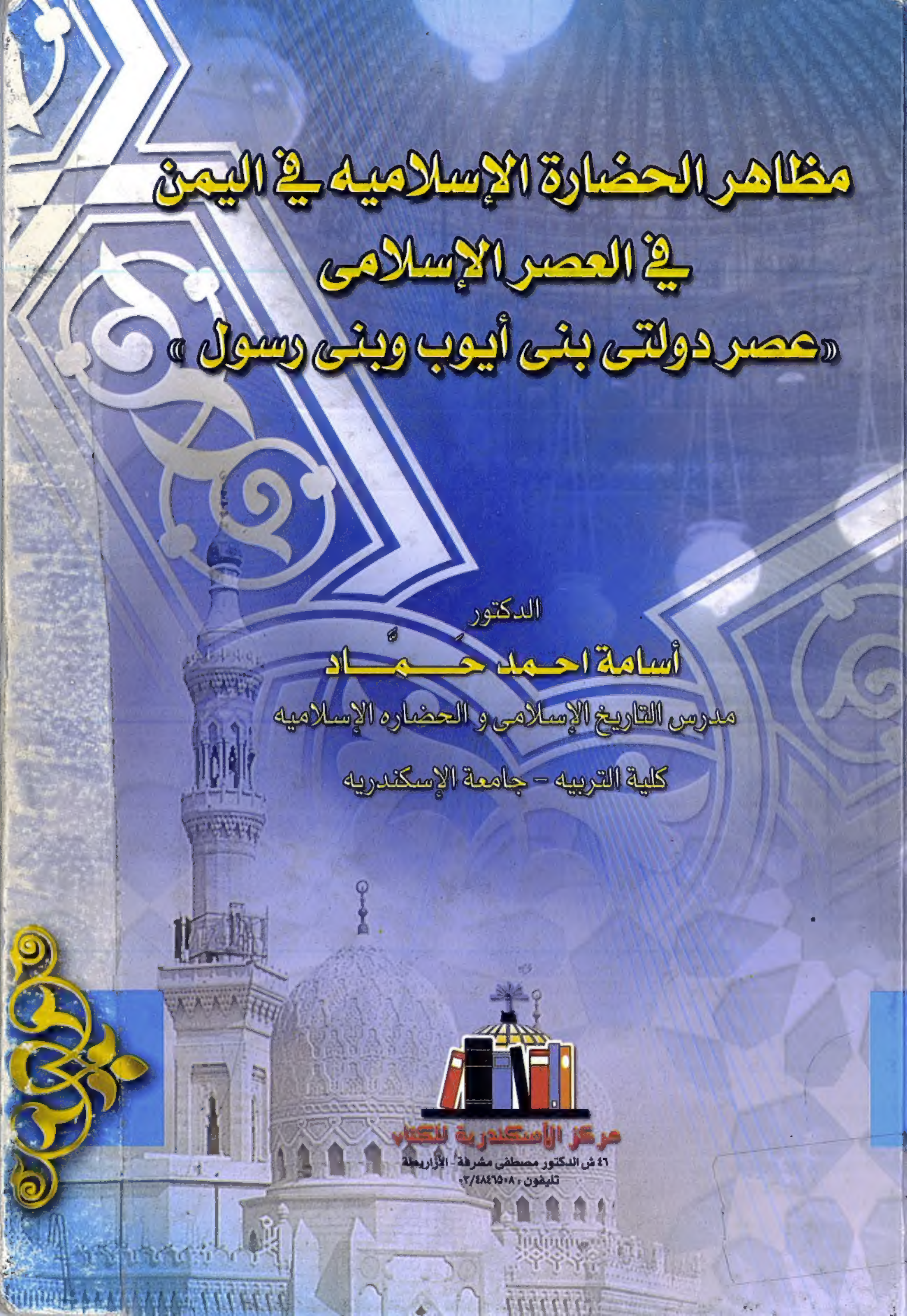

مظاهر الحضارة الإسلاميه في اليمن
في العصر الإسلامى
«عصر دولتى بنى أيوب وبنى رسول»
الدكتور
أسامة احمد حمَّاد
مدرس التاريخ الإسلامى و الحضاره الإسلاميه
كلية التربيه - جامعة الإسكندريه
مركز الإسكندرية للكتاب
٤٦ ش الدكتور مصطفى مشرفة - الأزاريطة
تليفون : ٠٣/٤٨٤٦٥٠٨

مظـــاهر الحضارة في اليمن
في العصر الإسلامى
" عصر دولتى بنى أيوب وبنى رسول "

للدكتور
أسامة احمد حَمَّاد
مدرس التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية
كلية التربية - جامعة الإسكندرية

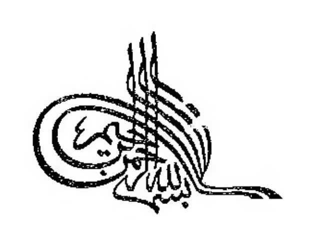
الطبعة الأولى
١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م

مركز الاسكندرية للكتاب
٤٦ شارع الدكتور مصطفى مشرفة - سوتير (سابقا)
تليفون وفاكس : ٤٨٤٦٥٠٨ - الاسكندرية
Ab-center@hotmail. com

الناشر : مركز الإسكندرية للكتاب
٤٦ ش الدكتور مصطفي مشرفة – الأزاريطة
ت / ٤٨٤٦٥٠٨
e-mail:ab_center@hotmail.com

رقم الإيداع ٢٠٠٤/٣٣٤٠

الترقيم الدولي I.S.B.N
977-5682-95-9



﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

صدق الله العظيم

سورة المجادلة ، الآية : ١١





كتب تاريخ وعلوم أخرى
facebook.com/hisy.books

الإهـــــداء

إلي زوجتـــــــــــــــــى ...

وإلي أبنائى : غادة وأحمـــــــــــــد ...

رمزاً للوفاء ، وأملاً في مستقبل أكثر إشراقـــــاً.


كتب تاريخ وعلوم أخرى
facebook.com/hisy.books

فهرس المحتويات

المقـــــــدمة

المقـــــدمة

أولاً : عرض عام لموضوع البحث ومنهج الدراسة .

ثانياً : دراسة تحليلية نقدية لأهم مصادر البحـــث ومراجعه .

١- المصادر التاريخية

٢- الكتب الجغرافية والرحلات

٣- كتب التراجم والطبقات

٤- المراجع الحديثة العربية والأجنبية





أولاً : عرض عام لموضوع البحث ومنهج الدراسة

" وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون "

صدق الله العظيم

تتناول هذه الدراسة " مظاهر الحضارة في بلاد اليمن في عصر دولتى بنى أيوب وبنى رسول ، وذلك في الفترة الزمنية الممتدة من عام ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م أى منذ الفتح الأيوبى لبلاد اليمن ، وحتى عام ٨٥٨هـ / ١٤٥٤م ، الذى يسجل نهاية دولة بنى رسول باليمن ، ووصول آل طاهر إلى دست السلطنة به .

ومما لاشك فيه أن الدراسة في التاريخ الحضارى للأمم في أى فترة تاريخية، ليست مهمة يسيرة ، فبالإضافة إلى كونها من أهم الدراسات وأمتعها في عصرنا الحديث ، لما تبرزه مثل هذه النوعية من الدراسات ، من مدى رقى المجتمعات التى تخضع لهذه الدراسات أو اضمحلالها ... عن طريق إلقاء الأضواء على نظمها المتبعة في جهازى الحكم والإدارة ، وكذلك إبراز الجوانب المختلفة من أوجه حياة هذه المجتمعات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها ، فهى أيضاً تستلزم بالضرورة التنقيب في شتى أنواع المصادر ، للظفر بإشارات تتعلق بأى من نقاط موضوع البحث ، سواء بطريق مباشر أو غير مباشر .

واليمن من الأقطار العربية الإسلامية التى ما زالت في أمس الحاجة لمزيد من الدراسات والبحوث التى تساهم في إماطة اللثام عما غمض من تاريخها الإسلامى بوجه عام ، والحضارى منه على وجه الخصوص . حيث لقى التاريخ السياسى لهذا القطر في العصور الإسلامية المختلفة جهوداً بارزة في البحث من قِبَل عدد وفير من الباحثين ، كما ظهرت العديد من الكتب والبحوث في شكل دراسات منهجية جادة تناولت تاريخ اليمن السياسى بوجه عام ، قام بها عدد من الدارسين في مختلف الجامعات المصرية والعربية والأجنبية .

وتعد هذه الدراسة أحد المساهمات التى تعالج بعض جوانب التاريخ الحضارى لبلاد اليمن في فترة من أزهى فترات تاريخها الإسلامى ونعنى بها دولتى بنى أيوب وبنى رسول ، والتى لم يركز عليها أو يفيها حقها الباحثون ، الذين تركز

إهتمامهم في تلك الفترة على دراسة التاريخ السياسى بوجه خاص ، أما بالنسبة لمظاهر الحضارة فقد اقتصرت الدراسات الحديثة على معالجة جانب أو آخر منها ، بحيث لم تظهر دراسة متكاملة في هذا المجال ، الأمر الذى دفعنى إلي اختيار هذه الحقبة الزمنية موضوعاً للدراسة ، وهي حقبة إرتقت فيها حضارة اليمن وانتعشت حياته الاقتصادية والعلمية وشهدت أرجاؤه العديد من الأحداث الداخلية والخارجية التى كان لها أثرها الواضح على تاريخه السياسى والحضارى منه بصفة خاصة .

هذا ، وقد واجه الباحث في سبيل إعداد هذا البحث عدة صعوبات يأتى في مقدمتها ضخامة البحث زمنياً وموضوعياً .. ففي إطار الفترة الزمنية شملت الدراسة عصرى بنى أيوب وبنى رسول ، وهى فترة تناهز الثلاثة قرون من الزمان شهد خلالها اليمن العديد من التغييرات الحضارية والتأثيرات الوافدة عليه مع الحكام الجدد ، لاسيما التأثيرات المصرية والشامية . وفي إطار الموضوع ، فقد شملت الدراسة العديد من مظاهر الحضارة من نظم سياسية وإدارية واقتصادية واجتماعية وفكرية ، وهذه الموضوعات جميعاً كان من الصعب الإلمام بكل قضاياها وتفاصيلها في بحث واحد لاتساع مجالها وتعدد نقاط البحث فيها .

وتتمثل الصعوبة الثانية في هذا النوع من الدراسات الحضارية في ندرة المعلومات التى تتصل بالعديد من جوانب الموضوع ، لعدم اهتمام مؤرخى ذلك العصر ، الاهتمام الكافى بتدوينها ، والتركيز في كتاباتهم على التاريخ السياسى ، الأمر الذى جعل الجوانب الحضارية ، والاهتمام بها يضيع وسط زحام الصراعات السياسية والمذهبية في الحقبة موضوع البحث ، مما يعيق الباحث عن التوصل إلي حقائق علمية حضارية ، وقد يقرأ كتبا عديدة ، دون أن يتوصل إلي نص واحد يتناول مظهراً من مظاهر الحياة الحضارية .

كما حالت في تقديرى طريقة السرد الحولى ، وكذا طريقة التدوين حسب الدول وشخصيات الحكام وهو الأسلوب الذى ذاع عنه مؤرخى جنوب الجزيرة العربية ، دون الاهتمام بالتأريخ لموضوعات متخصصة إلا في القليل النادر ، وهذا التفتيت في سرد الأحداث ، يتطلب من الباحث جهداً ومشقة في جمع شتات المادة

الحضارية المتناثرة ، وسط هذه الاهتمامات المتزايدة بتدوين التاريخ السياســى ، ومحاولة تنقيتها قدر الإمكان مما يشوبها من المبالغة والغموض وما إلي ذلــك ، ولم يكن من الممكن تحقيق ذلك إلا بطريق المقارنة بين النصوص ، والدراسة المتأنية مما استلزم اتباع منهج علمى يقوم على المقابلة بين النصوص المختلفــة ، وتحليلــها ، واستخراج النتائج والحقائق التي يمكن أن تقوم عليها دعائم البحث العلمى السليم .

كل ذلك جعل القضية عسيرة على الباحــث ، إذ اضــطر إلي التنقيــب والبحث عن المادة العلمية في كافة المصادر المتاحة ، حتى يمكــن إخــراج هــذه الدارسة، ولذا كان لزاما علينا الرجوع إلي العديد من المصادر العربيــة والأجنبيــة المتخصصة بالإضافة إلي كتب التراجم والطبقات ، التي كثيراً ما تضمنت إشارات هامة ، قد تبدو لأول وهلة ضئيلة القيمة ، ولكن هذه القيمة لا تلبث مع التعمق في تفاصيل الدراسة أن تظهر ذات فائدة كبرى ، فمن شأن هذه الإشارات أن تسلط في بعض الأحيان أضواء ساطعة تبدد الغموض الذى يكتنف قضية من القضايا ، أو تسد فجوة واضحة في التاريخ الحضارى لبلاد اليمن في الفترة موضوع البحــث ، فتعين على سبيل المثال في تصوير بعض الجوانب العمرانية المختلفــة ، أو توضــح الحالة العلمية للبلاد في العصر موضوع الدراسة .

ومن ثم فلم ندخر وسعاً في البحث في بطون المصادر العربية الأصيلة على تعددها وتنوعها ، ما بين المصادر الخطية والمطبوعة ، المعاصرة منــها أو المتــأخرة زمنياً عن فترة البحث ، علاوة على عدد لا بأس به مــن المراجــع والــدوريات المتخصصة عربية وأجنبية ، لجمع شتات المادة العلمية المتناثرة ، والظفر بمعلومة من هنا وهناك، تضيف جديداً ، أو تزيد الأمور إيضاحاً ، في محاولة جــادة للوقــوف على كل جديد في التأريخ الحضارى لبلاد اليمن خلال هذه الحقبة الزمنيــة الــتى امتدت حوالى ثلاثة قرون تقريباً .

أما من حيث تبويب البحث وخطته فقد قسمناه إلي أربعة أبواب ، مهدنا لها بمقدمة تحدثنا فيها عن أهمية الموضوع وسبب اختياره ، ثم قدمنا عرضاً وتحلــيلاً لأهم المصادر والمراجع العربية والأجنبية التي قامت عليها دعائم هذا البحث .

وقد خصصت **الباب الأول** لدراسة نظم الحكـم والإدارة ، **ويشتمل هذا الباب على أربعة فصول** ، **الأول** يتعلق بالنظام السياسي ، وتناولت فيه بالدراسة حكام اليمن وألقابهم واختصاصاتهم ، ثم تحدثت عن منصبي نائب السلطنة والوزير والوظائف المتصلة بهما في البلاط . أما **الفصل الثاني** ، فقد أفردته لدراسة النظم الإدارية والمالية فتناولت بالدراسة نظام الولاية والإقطاع في اليمن والنظم المتبعة في تعيين الولاة وتوزيع الاقطاعات ، كما تحدثت عن أهم دواوين اليمن ، وعن الموارد المالية الشرعية وغير الشرعية ، وعن نظام الضمان باعتباره من النظم المتبعة في تحصيل الدولة لهذه الموارد ، واختتمت الفصل بالحديث عن أوجه الإنفاق. **أما الفصل الثالث والرابع** فخصصتهما لدراسة النظامين القضائى والعسكرى ، **واختتمت الفصل الأخير** من هذا الباب بالحديث عن الأسطول اليمنى ودوره في الفترة موضوع الدراسة .

أما الباب الثاني ، فقد أفردته للحياة الاقتصادية والاجتماعية لليمن ، **ويتألف بدوره من أربعة فصول رئيسة** ، **أفردت الأول** لدراسة نظم الزراعة ، وعالجت فيه المقومات الطبيعية والبشرية اللازمة لازدهار الزراعة في العصرين موضوع البحث ، كما تناولت بالدراسة الملكية الزراعية الخاصة والعامة ووسائل الرى المستخدمة ، وطرق الحرث والتسميد والبذر والغرس والحصاد ، وأهم المحاصيل الزراعية وتنوعها وفقاً لاختلاف المناخ في مناطق اليمن المختلفة ، واختتمت الفصل بدراسة موجزة عن المراعى الطبيعية والثروة الحيوانية . **أما الفصل الثاني** ، فقد أفردته لدراسة الصناعات ، فتناولت بالبحث الفنون الصناعية في اليمن، وأهمها الصناعات الجلدية والمنسوجات والتحف المعدنية والخزفية والخشبية وغيرها . **أما الفصل الثالث** ، فقد خصصته لدراسة التجارة الداخلية والخارجية ، وما يرتبط بهما من معاملات واجراءات ، والرسوم المحصلة عن الصادر والوارد ، كما تعرضت لدراسة مظاهر تشجيع سلاطين اليمن للتجارة الخارجية ، وتطرقت لدراسة المكاييل والموازين المستخدمة في البيع والشراء ، والأسواق ، **وتناولت في الفصل الرابع** الحياة الاجتماعية في اليمن ، فتحدثت عن عناصر السكان والعناصر الوافدة ، وعن أهل الذمة والرقيق ، وأهم المظاهر الاجتماعية السائدة كالزواج وما

يرتبط به من إجراءات ، والاحتفالات الشعبية والدينية والأعياد والمواسم والمواكب، ووسائل التسلية ، والعادات والتقاليد والأطعمة والأشربة والزى ، كما تناولت بالحديث مركز المرأة في المجتمع اليمنى ودورها الإيجابى الواضح في المجتمع اليمنى عن طريق إسهاماتها الفعالة في الحياة العلمية والأعمال الخيرية .

أما الباب الثالث ، فقد خصصته لدراسة الحياة العلمية في اليمن في العصرين موضوع الدراسة **ويشتمل هذا الباب بدوره على أربعة فصول** ، **أفردت الفصل الأول منها** لدراسة عناية سلاطين اليمن بالعلم والعلماء فتحدثت عن التواصل العلمى بين اليمن والأقطار الإسلامية الأخرى ، **وخصصت الفصل الثانى** عن نظم التعليم في اليمن ، فتناولت بالدراسة بعض البيوتات العلمية اليمنية ، ثم انتقلت إلي الحديث عن المراحل التعليمية ، وعن طرق التدريس وآدابه ومجالسه والإجازات الدراسية وأنواعها . **أما الفصل الثالث** فقد أفردته للمدارس اليمنية التى أخذت في الظهور منذ أن بسطت الدولة الأيوبية سلطانها على اليمن ، فتحدثت عن المدارس الأيوبية ثم الرسولية كالمدرسة المعزية والمدرسة السيفية بتعز ، والمدرسة الأتابكية بذى هزيم ونظيرتها في أبين ، والمدرسة العاصمية في زبيد ، ومدرسة ميكائيل في الجند ، والمدرسة الفاتنية في ذى جبلة ، والأشرفية في تعز ، والوزيرية في مغربة تعز ، والمدارس المسماة بالمنصورية في الجند ووادى سهام وزبيد وعدن ، وغيرها من المدارس التى تنافس الخاصة والعامة في تشييدها مما كان له أثره الواضح في إزدهار الحركة العلمية ببلاد اليمن . كما خصصت بعض المدارس كالأشرفية الكبرى ، والمعتبية والياقوتية باهتمام خاص ، فعمدت إلي وصف عمارتها من خلال نصوص وقفياتها ، وما تضمنته من الوظائف والرواتب ، ومناهج الدراسة وخزائن الكتب . **أما الفصل الرابع من هذا الباب** فقد خصصته لدراسة إزدهار العلوم والآداب في اليمن ، فتحدثت عن العلوم الشرعية كالقراءات وعلوم القرآن والحديث ، ثم عن العلوم اللغوية والأدبية ، وأخيراً العلوم العقلية كالطب والحساب والفلك .

أما الباب الرابع فقد أفردته لدراسة العمائر الدينية والمدنية والعسكرية ، ويشتمل على فصلين ، الأول لدراسة المساجد والجوامع التى أقيمت في اليمن ،

ودورها في النهوض بالتعليم ، وخصصت الفصل الثانى لدراسة المنشآت المدنيـة والعسكرية ، فتحدثت عن تمصير المدن ، وتعرضت لدراسة بعض الدور والقصور وتخطيط شبكات الطرق ، ثم أنهيت الفصل بدراسة المنشآت العسكرية التى تشتمل علي الأسوار والأبراج والقلاع والخنادق .

واختتمت البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج والأفكار التى توصلت إليهـا من خلال هذه الدراسة ، كما ذيلتها بعدة ملاحق تخدم موضوع البحث في عـدد من جوانبه ، بالإضافة إلي بعض الأشكال التوضيحية واللوحات وخريطـة لـبلاد اليمن .

وحين أصل إلي تقديم الشكر ، يدفعنى الإنصاف والوفاء أن أقدر دور كل الذين ساهموا في تقديم هذا العمل ، فأقدم شكرى وعظيم امتنانى وتقديرى وعرفانى بالجميل الذى لا حدود له ، لكل من قدم لى يد العون والمساعدة والتشجيع بشكل مباشر أو غير مباشر ، كل بإسمه وفي موقعه ، وأخص بالشكر والتقدير أسـاتذتى الأجلاء الذين قدموا لشخصى العلم بغير حدود ، وفتحوا أمامى آفـاق البحـث بدون قيود ، فإننى أدين لهم بكل ما حققت وسأحقق ، فلهم منى تحية إعزاز وحب وتقدير وشكر .

وانتهز هذه المناسبة لأتقدم بعظيم شكرى وجزيل امتنانى **لأستاذى الجليل والعالم الفاضل الأستاذ الدكتور السيد عبد العزيـز سـالم ، أسـتاذ التـاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية** ، لما أولانى به من توجيه ونصح وتشجيع وعناية ، وما حبانى به من عطف طوال مدة إشتغالى بجمع المادة العلمية للبحث ، فاستفدت من بحر علمه الفياض ، ومنهجه العلمى الدقيق والواضح على مدى صفحات هذه الدراسة ، فكان بالفعل نعم المربى والعالم الجليل ، كما أذكر لسـيادته بالعرفـان إشرافه العلمى الكامل عَليَّ أثناء كتابتى لفصول هذا الكتـاب، وتذليلـه كافـة الصعوبات التى واجهتنى بما قدمه لى من سديد النصح والإرشاد ، مما كان له أبلـغ الأثر في نفسى ، كما أن سيادته لم يتوان لحظة عن مراجعته بكافة فصوله مراجعة علمية دقيقة ، أدت إلي ظهوره على هذه الصورة ، ومهما أفضت فلن أوفيه حقه ، فجزاه الله عنى وعن العلم وطلابه خير الجزاء .

كما أتقدم بجزيل شكرى وإمتنانى إلي العالم الجليل الأستاذ الدكتور **أحمد مختار العبادى أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية الآداب – جامعة الاسكندرية. والأستاذ الدكتور أحمد الطوخى ، أستاذ التاريخ الإسلامى والعميد السابق لكلية الآداب بسوهاج .**

ولا يفوتنى في هذا المقام أن أذكر بكل الشكر والعرفان بالجميل المرحوم **الأستاذ الدكتور محمد عبد العال أحمد أستاذ التاريخ الإسلامى بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية بجامعة القاهرة ، ورائد الدراسات التاريخية اليمنية** ، والذى كان له فضل توجيهى إلي حقل الدراسات اليمنية ، وآزرنى وشجعنى في كل مراحل هذا البحث ، منذ أن كان مجرد فكرة ، ولم يتوان عن تقديم كل أسباب المعاونة لى من توجيهات وإرشادات ، وفتح لى أبواب مكتبته الزاخرة بالعديد من نفائس المصادر اليمنية الخطية منها والمنشورة ، لأنهل منها ما أشاء ، واستمرت معاونته الصادقة لشخصى حتى أثناء إعارته للمملكة العربية السعودية ، حيث وافته المنية بها فإليه في جنات الفردوس أزجى خالص الشكر والوفاء ، داعياً الله أن يتغمده برحمته ويجزيه خيراً عما قدمه للعلم وطلابه .

كما أتقدم بخالص الشكر إلي كل من قدم لى يد العون والمساعدة في سبيل إخراج هذا البحث إلي حيز الضوء ، وأخص بالذكر الأخوة والزملاء الأفاضل **الأستاذ الدكتور رضوان البارودى أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية وعميد كلية التربية – كفر الشيخ ، و الأستاذ الدكتور حمدى عبد المنعم محمد أستاذ التاريخ الإسلامى بآداب الإسكندرية ، والدكتور على المليجى أستاذ الآثار الإسلامية المساعد بآداب الإسكندرية ، و الأستاذ الدكتور كمال السيد أبو مصطفى أستاذ التاريخ الإسلامى ورئيس قسم العلوم الاجتماعية بتربية الإسكندرية و الأستاذة الدكتورة سحر السيد عبد العزيز سالم أستاذ التاريخ الإسلامى بآداب الإسكندرية ، والدكتور محمود الشال مدرس التاريخ الحديث بتربية الإسكندرية ، والدكتور صلاح نوار أستاذ التاريخ الإسلامى المساعد بجامعة القاهرة والدكتور سعيد مصيلحى بكلية الآثار جامعة القاهرة ، والدكتور عصام السعيد دبش مدرس الآثار المصرية بآداب الاسكندرية** ، وأخيراً أقدم

خالص شكرى وتقديرى إلي أساتذتى وزملائى وأصدقائى بأسرة قسم التـــاريخ بكلية الآداب وأسرة قسم العلوم الاجتماعية بتربية الاسكندرية على ما قـــدموه لى من يد العون والمساعدة كل بإسمه وفي موقعه فهم أكبر من كل شكر وأعظم مـــن أى ثناء، وأدعوا الله لهم جميعاً بالخير والسداد .

وفي الختام أتوجه بالشكر والعرفان إلي **والدَّى** ، **وإلى شـــريكة عمـــرى السيدة الفاضلة زوجتى** ، لمشاركتهم ومؤازرتهم الصادقة لتخصصى طوال سنوات إعداد هذا البحث ، فجزاهم الله عنى أوفى الجزاء .

وأرجو من الله العلى القدير أن أكون قد وفقت في إعداد هذا العمل الذى أقدمه اليوم ، والله الموفق والمستعان ، أسأله السداد ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

د. أســـــامة حَمَّاد

الاسكندرية : جمادى الآخرة ١٤٢٤ هـ

أغسطس ٢٠٠٣ م

ثانياً : دراسة تحليلية نقدية لأهم مصادر البحث ومراجعه

١- المصادر التاريخية

على الرغم من وفرة المصادر اليمنية التى تناولت الحقبة الزمنية موضوع الكتاب، فإن الحقائق التاريخية التى وردت فيها قليلة ومكررة ، ومرد ذلك أن مؤرخى اليمن ، نهجوا نفس النهج الذى اتبعه بقية المؤرخون المسلمون بصفة عامة، وهو طريقة النقل عن السابقين ، بشكل يكاد يكون حرفياً فى أغلب الأحيان . الأمر الذى يجعل الباحث يقرأ العديد من هذه المصادر ، فلا يخرج منها إلا بصورة واحدة تقريباً هى الصورة التى أوردها المصدر الأصلى المنقول عنه . هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ، فإن هذه المصادر ركزت بصفة خاصة على النواحى السياسية فأفاضت الحديث عن المعارك والحروب والصراعات المختلفة التى دارت رحاها بين القوى السياسية فى فترة البحث ، بحيث طغت على الجوانب الحضارية الأخرى ، فلم يهتم بإيراد تفاصيلها غالبية مؤرخى اليمن ، وقد ترد فى ثنايا المصدر فى صورة إشارات قصيرة مبعثرة لا غناء فيها ، مما يدفع الباحث إلي اللجوء إلي كتب الأدب والتراجم وكتب الرحلة والجغرافيا وغيرها للنبش عن نصوص تعينه على سد الثغرات التى تركتها مصادر التاريخ العام .

وبرغم ذلك فقد اعتمدنا على عدد لا بأس به من المصادر الأصلية الخطية والمطبوعة أفادتنا فى تغطية الجوانب المتعددة للبحث يأتى فى مقدمتها الوقفية الغسانية ، التى تعد من أهم مصادر هذه الدراسة ، والوقفية عبارة عن مجموعة وثائق تتعلق ببعض المدارس والمساجد ، حيث تتناول كل وثيقة منها ذكر مؤسس المدرسة ووصفها المعمارى ، كما تتناول مرافقها والأراضى المحبوسة عليها ، وحدود المسجد أو المدرسة من جهاتها الأربعة ، كذلك تبين الوظائف المرتبة فى المنشأة والمهام الموكولة للقومة والموظفين ، الذين يأتى على رأسهم نائب الوقف ، ثم ناظر المدرسة ، ومجموعة القومة ، والمعلمين ، كما تحدد عدد الدارسين من الطلاب فى العلوم الشرعية المختلفة ، وكذا عدد الأيتام المرتبين لحفظ القرآن الكريم وتوضح كيفية صرف الرواتب من نقدية وعينية لكل هؤلاء ، وجميع إيرادات

المدرسة أو المنشأة الدينية ، مما ساعد على رسم صورة شبه متكاملة للعملية التعليمية في ذلك العصر .

هذا وتختتم الوقفية عادة بذكر الشهود على محتوياتها وتوقيعاتهم ، وأحياناً تذكر تاريخ كتابة الوقفية مما يشير إلي تاريخ الفراغ من عمارة المنشأة ، وقد أفادتنا هذه الوقفية الغسانية فائدة كبيرة **وبخاصة في الفصل الثالث من الباب الثالث الخاص بالمدارس اليمنية ، والفصل الأول من الباب الرابع الذى أفردته لدراسة العمائر الدينية وبخاصة المساجد والجوامع** ، وعظمت فائدتها فيما يتعلق بالنواحى المعمارية لهذه المنشآت وبخاصة المدارس ومعرفة إمكانياتها ومصروفاتها ، وهى أمور تفردت هذه الوقفية بذكرها دون غيرها من المصادر . كذلك أفادتنا هذه الوقفية في تقديم وصف معمارى متكامل لبعض المدارس الرسولية الدارسة ، الأمر الذى مكننا من وضع مخطط افتراضي للكثير منها ، كما تعرفنا من خلالها على بعض العناصر المعمارية التى ميزت العمارة الرسولية ومنها على سبيل المثال مجموعة القبوات التى سقفت بها معظم العمائر الدينية الرسولية .

أما المصادر التاريخية فيأتى في مقدمتها كتاب تاريخ مدينة صنعاء للرازى[١] (ت ٤٦٠ هـ / ١٠٦٨ م) وذيله المعروف " بكتاب الاختصاص " للعرشانى[٢] ، وقد أفدنا منهما فائدة كبرى ، حيث أمدنا بمعلومات هامة خاصة عند الحديث المنشآت الدينية السابقة على العصر موضوع الدراسة وبخاصة الجبانة ومصلى العيدين والمسجد الجامع بصنعاء ، وما طرأ على هذه المنشآت من تجديدات وترميمات في فترة البحث ، مما ينهض دليلا على إستمرارها في ممارسة وظائفها حتى ذلك العصر .

وهناك أيضاً ، كتاب " السمط الغالى الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن " [٣] لمؤلفه بدر الدين محمد ابن حاتم اليامى المتوفى بعد عام ٧٠٢ هـ /

---

[١] الرازى : أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد الرازى الصنعانى *تاريخ مدينة صنعاء ، تحقيق ودراسة : د. حسين العمرى ، ط ٢ ، دار الفكر ، دمشق ١٩٨٩ .*

[٢] العرشانى : نظام الدين سرى بن فضيل (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) : *كتاب الاختصاص (أو ذيل تاريخ مدينة صنعاء) تحقيق ودراسة د. حسين العمرى ، ملحق بكتاب الرازى .*

[٣] تحقيق ركس سميث ، كمبردج ، لندن ١٩٧٤ م .

١٣٠٢ م [1] ، ويعد كتاب السمط من أقدم المؤلفات التاريخية في اليمن التي تناولت فترة الحكم الأيوبي في هذه البلاد ، وصدرا من عصر الرسوليين ، فمادة الكتاب العلمية تغطى أخبار الأيوبيين في اليمن منذ إفتتاح المعظم توران شاه لليمن عام ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م ، وحتى سقوط دولتهم ، ثم ينتقل إلي أخبار الدولة الرسولية منذ بداية عهد المنصور نور الدين عمر مؤسس دولتهم ، وحتى نهاية عهد ولده السلطان الملك المظفر يوسف وولى عهده الأشرف عمر حيث تنتهى أحداث الكتاب بعام ٦٩٤ هـ / ١٢٩٥ م [2] .

وقد تناول ابن حاتم عند ذكر كل واحد من سلاطين الأيوبيين أو بني رسول سيرته وأعماله وأحداث البلاد الداخلية والخارجية في عهده ، فيما عدا الأشرف عمر ، حيث اكتفى بذكر تقليده ولاية العهد وأمور السلطنة في آخر سنة من عهد أبيه ، و لم يستكمل التأريخ لفترة حكمه وأهم أحداث عهده . وجدير بالذكر أن ابن حاتم استقى معلوماته عن الثقاة ، وأورد في كتابه ما أمكنه الحصول عليه من أخبار الأيوبيين وبدايات بني رسول في اليمن ، معتمداً على الروايات الشفهية التي أمده بها الثقات من الرواة " باختلاف واتفاق ، واجتماع في طرق الأخبار وافتراق " [3] ، كذلك كان يعمد في كثير من الأحيان إلي مناقشة الروايات المختلفة ، ويرجح إحداها على الأخرى ، أو يحاول التوفيق بينها ، وأحياناً أخرى كان يمسك عن الترجيح أو التوفيق بين الروايات تاركاً الأمر

---

(١) هو الأمير بدر الدين محمد بن حاتم اليامى الهمدانى من أعيان مؤرخى اليمن في النصف الثانى من القرن السابع الهجرى / ق ١٣ م ، من سلالة بنى حاتم الهمدانيين ملوك صنعاء وكانت بداية دولتهم عام ٥٣٣ هـ/١١٣٨ م ، وكان بدر الدين معاصراً للدولة الرسولية مقرباً لدى سلاطينها ، وظل محتفظاً بمكانته في بلاطهم حتى عهد السلطان الملك المؤيد داود. (راجع : أيمن فؤاد سيد : *مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي ، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ١٩٧٤* ، ص ١٣٦ ؛ محمد عبد العال أحمد : *الأيوبيون في اليمن* ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ١٩٨٠ ، ص ٣٢٥- ٣٢٧ ؛ *السمط الغالي الثمن*،ص ٥ ــ ٦ من مقدمة المحقق ؛

Smith (G.R) , Ibn Hatim,s Kitab Al-Simt , & its Places in Medieval Yemenite Historio – Graphy , Sources For the History of Arabia , Part , 2, Riad University Press , 1977 , P. 64.

(٢) أيمن فؤاد سيد : *المرجع السابق* ، ص ١٣٧ ؛

Smith , Op. Cit, PP , 64 – 66 .

(٣) *السمط الغالي الثمن* ، ص ٩ ــ ١١ من مقدمة المحقق .

للقارئ ، أما الروايات التي يثق في صحتها ، فكان يأتي بها مسبوقة بقوله " ولقد حكى بعض الثقات المعتبرين "[١] ، أو " ونحن نسوق الحديث فيها برواية من شاهد "[٢] ، أو يقول " أخبرني من أثق به " أو " كنت ممن حضر يومئذ " ، وهذه العبارة الأخيرة تشير إلي أنه كان شاهد عيان لتلك الواقعة التي يتحدث عنها[٣] ، وغالباً ما تكون ذات صلة بأحداث الدولة الرسولية التي كان معاصراً لبعض سلاطينها ، مشاركاً في أحداث بعضها ، بحكم شغله مركزاً كبيراً في الجهاز الإدارى لتلك الدولة[٤] .

وقد نقل عن ابن حاتم كثير من المؤرخين الذين جاءوا بعده ، وعلى رأسهم الجَندى ، وابن عبد المجيد ، والخَزْرجَي ، وابن الدَيْبَع ، وَبامَخْرمَة ، ويَحيى بن الحُسين وغيرهم ، حيث اعتبروا تأريخه مصدراً أساسياً لكل ما يتصل بالفترة الأيوبية وبدايات عصر الدولة الرسولية ، وان لم تتميز كتاباتهم عن تلك الفترة بنفس التفصيل الذى يتميز به كتاب " السمط "[٥] .

فقد اتسم بمادته الغزيرة التي كانت معيناً فياضاً بالأخبار والحقائق المتعلقة سواء بالحكم الأيوبى لليمن أو بعهدى المنصور والمظفر الرسوليين ،إذ تناول المؤلف بالتفصيل سيرة حكام اليمن خلال هذه الفترة مبيناً أعمالهم والأحداث التي وقعت في عصرهم ، وعلى الرغم من اهتمامه البالغ بالتركيز على الأحداث السياسية ووقائع الحروب والصراعات التي دارت بين الأيوبيين والرسوليين من جهة ، والأئمة الزيدية والأشراف ومن والاهم من العناصر العربية من جهة أخرى ، إلا أنه كان عظيم الفائدة بما تخلل هذه الأحداث من إشارات قيمة عن المنشآت المعمارية التي شيدها الأيوبيون في اليمن ، وتأصيلهم لنظم الحكم والإدارة في البلاد ، وخاصة ما يتصل بالدواوين والقضاء والجهاز الإدارى ووظائف البلاط ، كما تناول بالتفصيل الإقطاع العسكرى في اليمن في الفترة موضوع البحث ، مبيناً

---

(١) ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٤٠ .
(٢) ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٤٣٢ .
(٣) محمد عبد العال : _الأيوبيون في اليمن_ ، ص ٣٣١ .
(٤) _Smith , op . cit , pp . 65 – 66 ._
(٥) محمد عبد العال أحمد : _المرجع السابق_ ، ص ٣٣١ ؛ _Smith , Ibid ._

كيفية توزيع الإقطاعيات وأماكنها وأسماء أصحابها ، وأنها لم تقتصر فقط على أمراء الدولة وكبار أجنادها ، بل امتدت لتشمل مشايخ القبائل وأعيان البلاد نظير موالاتهم للنظام الحاكم ومعاونته عسكرياً ضد أعدائه ، كما اهتم كذلك بذكر المناقلات الإقطاعية التى تحدث عندما يتولى سلطان جديد دست السلطنة ، أضف إلي ذلك حديثه عن مدى قوة ونفوذ الأمراء الإقطاعيين في الدولة ، مبرزاً الكثير من أوجه الصراع الذى دار بينهم وبخاصة في عصر بنى أيوب بين العنصرين الكردى والتركى منذ وفاة المعز إسماعيل بن طغتكين الأيوبى عام ٥٩٨ هـ / ١٢٠١ م ، للإستئثار بالسلطة والنفوذ ، كما اهتم بالحديث عن المعاهدات والمصالحات التى تكرر عقدها بين الأيوبيين والرسوليين وبين الأئمة الزيدية ، مبرزاً تفاصيل هذه المعاهدات ذاكراً لبنودها ، والتى أشار فيها إلي أهمية معدن الحديد وتوفره في شمال اليمن ، مما جعله يدخل بصفة شبه مستمرة في التعويضات المطلوبة من دولة الأئمة لصالح سلاطين اليمن من بنى أيوب وبنى رسول .

كذلك انفرد ابن حاتم بذكر بعض الفنون القتالية التى شاع استخدامها في عصر بنى رسول بصفة خاصة لاسيما الاعتماد على العيون والجواسيس في تقصى أخبار الأعداء واستطلاع أحوال جيوشهم ، وفن الحيل والخدع الحربية ، وأعداد الجند في الجيشين الأيوبى والرسولى في بعض الفترات التاريخية ، أضف إلي ذلك ايراده التفاصيل الكاملة للحملة المظفرية البحرية – البرية على ظفار الحبوضى عام ٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م ، وأعداد الجيش القائم بهذه الحملة وأسماء قادته ، والطرق التى سلكها الجيش البرى للوصول إلي ظفار ، والتفاصيل الخاصة بقطع الأسطول اليمنى وأحداث المعركة وتشكيلات الجيش اليمنى ، وهى تفاصيل دقيقة انفرد بها ، ونقلها عنه كل من جاء بعده من مؤرخى اليمن المتأخرين زمنياً عن هذه الحادثة .

ومن الأصول العربية المعاصرة أيضاً ، والتى زودتنا بمعلومات هامة عن اليمن في فترة البحث ، وبخاصة في عصر السلطان المؤيد داود الرسولى ، حيث كان المؤلف معاصراً لها وشاهد عيان لكثير من أحداثها بحكم تواجده قريباً من صاحب السلطة ، حيث عمل كاتباً للإنشاء في البلاط المؤيدى ، كتاب " **بهجة**

الزمن في تاريخ اليمن "[1] للمؤرخ تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني (ت٧٤٣ هـ - ١٣٤٢ م)[2] ، وقد أسهم كسابقه في تسجيل أحداث تلك الفترة ، وكان بدوره مرجعا لمن جاء بعده من المؤرخين كالخزرجي وغيره ، حيث يُعَدُّ نص " **بهجة الزمن** " من النصوص القديمة التي سبقت زمنياً نصوص عمالقة التأريخ اليمني ، فيكون له قصب السبق والأهمية من تلك الناحية ، والتي تبرز واضحة عند استعراضنا لبعض مؤلفات المؤرخ الخزرجي (ت ٨١٢ هـ / ١٤٠٩ م) ، فنجده يعتمد على بهجة الزمن في تدوين أحداث الدولة الرسولية التي لم يدركها في كتابيه الشهيرين " العقود اللؤلؤية " و " العسجد " ، فنقل من كتاب ابن عبد المجيد الكثير من الأحداث حتى قيام دولة المجاهد الرسولي دون أن يشير إلي

---

[1] هناك نشرتان من هذا الكتاب إحداهما المختصر الذي ضمنه النويري موسوعته الشهيرة "*نهاية الأرب في فنون الأدب*" وقد وقف عليه الأستاذ مصطفى حجازي ، ونشره مستقلاً جازماً بسلامة النص ، وكماله بعنوان " تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن " وذلك عام ١٩٦٥ م . أما النشرة الأخرى ، فقد اعتمدت على النص الأصلي للمخطوطة الكاملة المحفوظة بالمكتبة الأهلية بباريس ، وقام على تحقيقها ونشرها الأستاذ عبد الله محمد الحبشي بالمشاركة مع الأستاذ محمد أحمد السنباني (*مطبوعات دار الحكمة اليمانية ، ط١ ، صنعاء ١٩٨٨ م*) . وبالمقارنة بين النشرتين ، نلحظ أن النويري لخص الكثير من الأحداث التي وردت في النشرة الثانية كاملة ، كما أغفل ذكر بعضها الآخر مما يوحي بأنه حذف أوراقا كاملة من الكتاب ، وردت في نسخة الحبشي ، وقد أوضحنا ذلك في مواضعه من الكتاب .

[2] هو الأديب المؤرخ تاج الدين أبو محمد عبد الباقي بن عبد المجيد بن عبد الله بن يوسف اليمني المخزومي ولد عام ٦٨٠هـ / ١٢٨١ م ، وشغف بالرحلة في طلب العلم، فرحل إلي مصر والشام وأخذ على مشايخ عصره ، وقام بالتدريس مدة في جامع دمشق ، ثم عاد إلي اليمن باستدعاء من الملك المؤيد ليتولى منصب الإنشاء ببلاطه ، وبقي على هذه الوظيفة إلي أن مات الملك المؤيد عام ٧٢١ هـ / ١٣٢١ م ، وكان في خلال هذه الفترة من عام ٧١٨ - ٧٢٢ هـ / ١٣١٨ - ١٣٢٢ م ، مقرباً من البلاط الرسولي ، إلي أن اضطربت الأمور من بعد المؤيد في عهد إبنه المجاهد الذي خلفه في الملك ونازعه فيه ابن عمه الملك الظاهر أسد الدين عبد الله بن المنصور أيوب بن المظفر الذي خلعه وقبض عليه ، وانحاز ابن عبد المجيد للظاهر حيث كان في ضيافته بحصن الدملوة وصنف له كتابه موضوع الحديث ، ولكن المجاهد استطاع استرداد ملكه ، فصادر ابن عبد المجيد الذي هرب إلي مكة قبل أن يتم القبض عليه ، وبقي بها زماناً ثم غادرها إلي مصر ، حيث دَرَّس بالمشهد النفيسي وولي شهادة البيمارستان ، وظل زماناً يتردد بين دمشق وحلب وطرابلس والقدس إلي أن توفي عام ٧٤٣هـ / ١٣٤٣ م . (راجع بالتفصيل عن المؤرخ ومصنفاته الأخرى : *بهجة الزمن* (تحقيق حجازي) ص ٩-١٠ وما بعدها من مقدمة المحقق ، *بهجة الزمن* (تحقيق الحبشي) ص ٧-١٠ من مقدمة المحقق ؛ وأنظر أيضاً : محمد عبد العال : *الأيوبيون في اليمن* ، ص ٣١٤-٣١٥ .

هذا إلا في مواضع قليلة ، وكانت هذه عادة معروفة عند المؤرخين في هذا الزمن ، فابن عبد المجيد نفسه اعتمد على كتاب " كنـز الأخيار في معرفة السير والأخبار" لعماد الدين إدريس الحمزى (ت ٧١٤ هـ / ١٣١٤ م) وعلى " المفيد " لعمارة اليمنى، وبعض صفحات من كتاب " وفيات الأعيان " لابن خلكان [١] .

وتبرز أهميته بالنسبة لموضوع الكتاب فيما أورده من معلومات تتعلق بالنظم الإدارية ، خاصة ما يتعلق منها بديوان الإنشاء ، وتنظيم الجيش اليمنى في عصر المؤيد الرسولى ، وكذلك فيما أورده بوصفه شاهد عيان لعدد من المنشآت المدنية الرسولية ، التى شغف سلاطين هذه الدولة بتشييدها في أنحاء المملكة اليمنية من قصور ودور واستراحات وبساتين ، لاسيما وصفه الكامل كشاهد عيان لقصرى المعقلى وبستان صالة وغيرهما من منشآت المؤيد الرسولى ، وقد انفرد بوصفهما ونقل عنه كل من جاء بعده ، وقد اعتمدت عليه كثيراً فيما يتصل بالحديث عن المواكب والاحتفالات الرسولية المختلفة وغيرها من مظاهر الحياة الاجتماعية السائدة آنذاك في عصر المؤيد مثل شغف الرسوليين بالتنـزه والخلوات مع الندماء في الاستراحات والبساتين اليانعة التى غرسوها في شتى أنحاء اليمن وعلى الأخص بستان ثَعَبَات بتعز .

ومن المصادر التى أثرت البحث أيضاً في العديد من نقاطه كتاب " الاعتبار في التواريخ والآثار " أو " تاريخ وَصَاب " [٢] ، لوجيه الدين عبد الرحمن بن محمد بن عمر بن محمد الحبيشى الوصابى (ت ٧٨٢ هـ / ١٣٨٠م) [٣] ، ويُعد هذا المصدر من المصنفات القليلة التى تناولت التأريخ للبلدان اليمنية ، ويتكون من جزأين : الأول رتبه على ستة أبواب وتناول فيه المؤلف تاريخ بعض ملوك اليمن

---

(١) *بهجة الزمن* ، (تحقيق الحبشى) ، ص ٦ من مقدمة المحقق .

(٢) نشر وتحقيق : *عبد الله محمد الحبشى* ، ط ١ ، صنعاء ١٩٧٩ .

(٣) راجع عنه : *الباب الثالث من الكتاب* ، الجزء الخاص بالبيوتات العلمية اليمنية ، حيث نشأ الحبيشى في بيئة علمية ، فوالده كان أحد أعلام عصره في الفقه والتصوف وكذلك عمه ، كما أسندت إلى جده رئاسة الفقه والقضاء في عصره بوصاب ، ولم يؤثر عن وجيه الدين سوى هذا المصنف الذى توفى عنه وهو مسودة ، فأكمله أحد أولاده وأضاف إليه زيادات يرجع تاريخها إلى سنة ٨٤٨ هـ / ١٤٤٤ م . (وراجع أيضاً : ص ٦ – ٧ من مقدمة المحقق للكتاب) .

من بني زياد ومن ملك قبلهم وبعدهم ، ومن وقتهم ومن بني الصليحي وبني مهدى ، واعتمد فيه كما يذكر هو بنفسه في مقدمة مصنفه على كتاب "المفيد في أخبار صنعاء وزبيد " للمؤرخ عمارة اليمنى (ت ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م) . أما الجزء الثاني فله أهميته العظمى لموضوع البحث وقسمه بدوره إلي أربعة أقسام ، وتناول فيه الحديث بالتفصيل عن كل ما يتصل بأخبار موطنه ونعني به ناحية وَصَاب ، وما يتعلق بها من أحداث وبخاصة في عهد أمراء بني رسول الذين تولوا الإمارة في هذه الناحية لمدة طويلة ، ونشأتهم فيها ، وبداية ظهورهم على مسرح الأحداث السياسية في اليمن ، وكشف عن طموحهم وتطلعهم لملك اليمن ، وقد أورد من خلال ذلك بعض الإشارات المتعلقة ببعض النواحي الإدارية ، كما خصص القسم الرابع من هذا الجزء لذكر تراجم علماء وفقهاء وأدباء وشعراء منطقة وَصَاب ، وإسهاماتهم في تنشيط الحركة الفكرية داخل اليمن وخارجها ، مما أثرى الدراسة الخاصة بالحياة العلمية في الفترة موضوع البحث ، كما أورد جملة من الأخبار الهامة عن قيام بعض أهل اليسار والعلم من أبناء منطقة وَصَاب بإنشاء المساجد والمدارس وحبس الأوقاف للصرف على مرافقها وكفاية المرتبين بها من قومة ودارسين ومعلمين ، ومن أشهرها مدارس فقهاء بني غليس ، وأفادنا أيضاً في الحديث عن الفصل الخاص بالحياة الاجتماعية بما أورده من معلومات عن العادات والتقاليد الشائعة في هذه الناحية ، وغيرها من مظاهر الحياة الاجتماعية السائدة في موطنه ، وقد بيناها في مواضعها بالبحث .

ومن بين المصادر العربية الهامة أيضاً والمعاصرة زمنياً للفترة موضوع البحث ، والتي اعتمدنا عليها بصفة أساسية في العديد من نقاط الكتاب المختلفة ، المؤلفات التاريخية لأبي الحسن على بن الحسن الخزرجي (ت ٨١٢ هـ / ١٤٠٩ م) ، الذى يُعَّد – بحق – عمدة مؤرخي اليمن بوجه عام ، ومؤرخ الدولة الرسولية بوجه خاص ، فقد برع في تصنيف التاريخ والتراجم ، واعتنى بأخبار

بلده، فجمع لها تاريخاً علي السنين ، وآخر على الأسرات ، وتاريخاً على الأسماء حسب حروف المعجم [(١)] .

ويأتى في مقدمة هذه المصنفات كتاب " العسجد المسبوك فيمن ولى اليمن من الملوك " [(٢)]، وهو عبارة عن البابين الرابع والخامس من القسم الثانى من كتاب " الكفاية والإعلام فيمن ولى اليمن وسكنها في الإسلام " [(٣)] ، وكتاب " العسجد " كما أوضحنا هو تاريخ عام لليمن منذ فجر الإسلام وحتى عصر المؤلف ، وقد استفاد منه الباحث في العديد من موضوعات هذه الدراسة لاسيما فيما يتصل بالنواحى الإدارية والمالية والعسكرية ، كما تضمن بعض الإشارات الحضارية الأخرى المتمثلة فيما أورده من معلومات عن بعض المنشآت المعمارية لحكام اليمن في فترة البحث ، فتعرفنا من خلاله على بعض المساجد والمدارس التى شيدت في هذا العصر ، وعلى القائمين بعمارتها وكيفية الإنفاق عليها ، ومن أمثلة ذلك إشارته إلي بناء المدارس في اليمن في عهد المعز إسماعيل بن طغتكين (٥٩٣ – ٥٩٨ هـ / ١١٩٦ - ١٢٠١ م) ، وفى عهد الأتابك سيف الدين سنقر وزير

---

(١) أيمن فؤاد السيد : _مصادر تاريخ اليمن_ ، ص ٢٤ ؛ محمد عبد العال أحمد : _الأيوبيون في اليمن_ ، ص ٣١٦ .

(٢) اعتمدنا على النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة بلدية الإسكندرية تحت رقم ١٢٦٥ ب .

(٣) كتاب: _الكفاية والإعلام_ وهو مخطوط عبارة عن قسمين تناول المؤلف في القسم الأول منه التأريخ للسيرة النبوية والخلفاء الراشدين والصحابة وخلفاء بنى أمية وبنى العباس وآل البيت . أما القسم الثانى فيشتمل على خمسة أبواب ، تتضمن الأبواب الثلاثة الأولى منه ذكر ملوك مصر والشام وإفريقيا والقيروان وملوك الأندلس والمغرب الأقصى . أما البابان الرابع والخامس من هذا القسم ويتضمنهما كتاب العسجد ، فيتحدث الباب الرابع عن اليمن وملوك صنعاء وعدن ومنا يتعلق بذلك ويشتمل على عدة فصول تبدأ بفضل اليمن ودخوله الإسلام وولاته من قبل الرسول عليه الصلاة والسلام وينتهى بأحوال اليمن في عصر بنى زريع . بينما يتناول في الباب الخامس تاريخ زبيد وأمرائها وملوكها ووزرائها ويتضمن ١٢ فصلاً تبدأ باختطاط مدينة زبيد وتاريخ الدولة الزيادية ، وتنتهى بنهاية أحداث دولة الأشرف الثانى الرسولى ونلاحظ أن ناسخ المخطوطة قد زاد في أحداث الكتاب حتى نهاية عصر الدولة الرسولية عام ٨٥٨ هـ / ١٤٥٤ م ، معتمداً في ذلك على تلخيص ما ورد بشأن ذلك من كتاب قرة العيون لابن الديبع الشيبانى كما نص هو بنفسه على ذلك فيقول " ومما نقل من تاريخ الفقيه العلامة وجيه الدين عبد الرحمن بن على بن محمد بن الديبع الشيباني - عامله الله بلطفه آمين - " . (راجع : _العسجد المسبوك_ ، ق ٢٩٢ ، وأنظر أيضاً : أيمن فؤاد سيد : _مصادر تاريخ اليمن_ ، ص ١٦٢ – ١٦٣ ، محمد عبد العال أحمد : _الأيوبيون في اليمن_ ، ص ٣١٦ – ٣١٧) .

الناصر أيوب بن طغتكين وكذلك حديثه عن مدينة المنصورة التي أسسها الملك العزيز سيف الإسلام طغتكين ، وعن القصور والبساتين وثكنات الجند التي أقيمت بها لتكون بمثابة مدينة عسكرية ومقراً للجيش الأيوبي ، بالإضافة إلي ما أورده من معلومات تتعلق بالاهتمام الأيوبي والرسولي بصفة عامة ببناء المساجد والمدارس ، وترميم ما تشعث منها ، وغرس البساتين .

وللخزرجي أيضاً كتاب " العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية " ، وأخرجه مصنفه من كتابه السابق " العسجد " ، وخصصه لأخبار ملوك اليمن من أسرة بني رسول ،حتى نهاية دولة الأشرف الثاني إسماعيل بن الأفضل (ت ٨٠٣ هـ / ١٤٠٠ م) ، والكتاب مرتب على السنين والشهور تبعاً لسنوات حكم سلاطين بني رسول ، وتناول فيه ذكر الأحداث العامة في اليمن ، وختم أحداث كل سنة بذكر تراجم من توفى خلالها من الأعيان ، وأهم مآثرهم العلمية والعمرانية ، وَقَدّم لنا من خلال ذلك معلومات غزيرة عن أصل الرسوليين ونشأتهم في الديار المصرية ، ثم قدومهم إلي اليمن ، ومشاركتهم في قيام دولة بني أيوب هناك ، والمناصب التي تولاها عدد من أفراد هذه الأسرة في البلاط الأيوبي ، مما أفادنا في التعرف على عدد من وظائف البلاط في ذلك العصر ، كما أفاض الحديث عن تطور الأمور في نهاية عصر بني أيوب حتى آل الحكم إلي الأسرة الرسولية ، وجدير بالملاحظة أن حديثه عن الدولة الرسولية يتسم بالمبالغة في معظم الأحيان ، وقد أدى ذلك إلي وقوعه في الخطأ أحياناً دون الانتباه لذلك ، بسبب ميله الشديد لملوك هذه الأسرة لكونه من صنائعهم ، الذين أفاضوا عليه من كرمه ، وأغدقوا عليه الهبات والصلات وبخاصة في عهد الأشرف الثاني حيث كان معاصراً له وقريباً منه [١] .

ويُعد هذا الكتاب " وسابقه " من أهم مصادر البحث ، فبالإضافة إلي المعلومات الوفيرة التي تضمنها وتتعلق بالنواحي السياسية ، فهو يمدنا بمعلومات هامة عن العمائر الرسولية المختلفة سواء التي شيدها السلاطين أو الأمراء أو نساء الأسرة الرسولية ، وكذلك ما شيده أعيان البلاد من الفقهاء والعلماء وغيرهم من

[١] أنظر : أيمن فؤاد سيد : _مصادر تاريخ اليمن_ ، ص ١٦١ .

الشخصيات العامة ، وذلك من خلال ما ذيل به أحداث كل سنة من وفيات الأعيان بها ، كما كانت هذه التراجم ذات فائدة جمة فيما يتصل بالباب الثالث من الكتاب والخاص بالحياة العلمية . كذلك أفدنا أيضاً مما ورد فيه من إشارات أخرى أثرت البحث في العديد من أبوابه وفصوله سواء ما يتصل بالنواحى الإدارية ونظام الحكم ، من حيث إيرادات الدولة ومصروفاتها ، وذكر خزائن أموالها المتعددة في تهامة ونعز والدملؤة وإشراف السلاطين عليها ، وكذلك ما يتصل بالنواحى العسكرية من حيث عناصر الجيش الرسولى وترتيبه وأعداد جنده والحملات العسكرية ضد الزيدية وغيرهم من أعداء الدولة ، وحملة ظفار الحبوضى، كما تبرز أهمية هذين المصنفين على وجه الخصوص ، فيما أورداه من معلومات اقتصادية واجتماعية وإدارية وعمرانية خاصة بعصر الأشرف الثانى الرسولى ، حيث كان الخزرجى معاصراً له وشاهد عيان للكثير من أحداث ذلك العصر بحكم قربه من البلاط الأشرفى ، فحدثنا عن مآثره العديدة في شتى المجالات، وعلاقات اليمن مع الدول المجاورة ، وأثر ذلك على انتعاش التجارة الخارجية للبلاد، كما تحدث عن عناية الأشرف ومن سبقه بغرس البساتين واستجلاب أنواع الغراس المختلفة إليها ، وجر الماء اللازم إليها من نواحٍ بعيدة ، ونجاح زراعة الأرز في العهد الأشرفى ، بعد فترة انقطاع طويلة عن زراعته .

واعتمدنا في دراستنا أيضاً على كتابي الفقيه والمؤرخ اليمنى عبد الرحمن بن على بن الديبع الشيبانى (ت ٩٤٤ هـ / ١٥٣٧ م) ، وهما كتاب " بُغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد "[١]،وكتاب " قرة العيون بأخبار اليمن الميمون "[٢] والكتاب الأول يشتمل على مقدمة وعشرة أبواب ، تتناول كل ما يتصل بمدينة زبيد منذ إنشائها عام ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م ، وحتى عصر السلطان الظافر عامر

---

[١] اعتمدنا على النسخة التي قام بتحقيقها ونشرها ضمن كتاب "*الفضل المزيد على بغية المستفيد*" لنفس المؤلف ، د. يوسف شلحد ، دار العودة ، بيروت ١٩٨٣ . وجدير بالذكر أن هناك نشرة أخرى للبغية قام بها الأستاذ عبد الله محمد الحبشى (مركز الدراسات والبحوث اليمنى ، صنعاء ١٩٧٩) ، وبالمقابلة بين النشرتين ، اتضح أن نشرة الحبشى لم تسلم من بعض الأخطاء المطبعية من سقط وتحريف وتبديل وتصحيف تناول بعض آيات القرآن الكريم ، كما جاءت خالية من الفهارس ، وعدم ضبط الألفاظ وغير ذلك .

[٢] قام على نشره وتحقيقه محمد *بن على الأكوع الحوالى* ، ط٢ ، بيروت ١٩٨٨ م .

الثاني بن عبد الوهاب الطاهرى في نهاية ق ٩ هـــ / ق ١٥ م ، وعلى الرغم من أن ما أورده المؤلف في الجزء الخاص ببنى أيوب وبنى رسول من هذا المصنف عبارة عن ملخص لما دونه في كتابه قرة العيون ، إلا أن فائدته لموضوع الدراسة تبرز فيما أورده من إشارات هامة تتصل بطبوغرافية مدينة زبيد ونظامها الإدارى وأقســامها في العصر موضوع الدراسة ، وكذلك إيضاح الاهتمامات الأيوبيــة والرســولية بعمران تلك المدينة لاسيما العمران العسكرى والدينى ، حيث داوم سلاطين اليمن على عمارتها وتجديد أسوارها وأبوابها وحفر خنادقها وتعبيــد دروبهــا لإضــفاء الحصانة والمنعة عليها .

كذلك حفل الكتاب بالملاحظات الهامة عن شتى نواحى الحياة الاجتماعية والعمرانية مثال ذلك حديثه عن العادات والتقاليد المتوارثة عند أهل زبيد مثل عادة الشفاعة بقبور الأولياء ، وبيوت الفقهاء والعلماء ، من أصحاب المناصب ، وأهل الصلاح والدين ، فكان الرجل المظلوم أو الخائف على نفسه ، يلجأ أحياناً إلي بيت واحد من هؤلاء ، أو إلي مدرسة قام بإنشائها أحد أقرباء السلطان ، فلا يقترب منه أحد ، حيث كانت هذه الأماكن لها قدسية وحرمة ، فكانت أشــبه مــا تكــون بالحمى ، من دخلها أصبح آمناً على روحه وماله . وغير ذلك من نواحى الحيــاة الاجتماعية والتى أشرنا إليها في مواضعها من الدراسة .

كما أمدنا ابن الديبع في بغيته بالكثير من المعلومات عن آثار سلاطين بنى أيوب وبنى رسول المعمارية ، وكذلك مآثر زوجاتهم وحاشيتهم ، وما تنافسوا في إقامته من قصور ودور ومساجد ومدارس وغيرها من مختلــف العمــائر الدينيــة والمدنية، وبخاصة ما شيد منها في الفترة الأخيرة من عصر الرسوليين وهى الفتــرة التى لم يعاصرها الجَنَدى والخزرجى لوفاتهما ، فانفرد ابن الديبع بذكرها ، ونقلــها عنه من جاء بعده من مؤرخى اليمن كيحيى بن الحسين وغيره ، مثال ذلك المدرسة الفرحانية ، والمدرسة الظاهرية ، ومسجد الأشاعرة ، وعمارة دار العــذيب ، ودار النعيم ، ودار السلا ، وحصن قوارير ، وتجديد درب مدينة زبيد وزيادة تحصينها ، وإنشاء بركة المسجد الجامع بزبيد والقيام بإصلاح ما تشعث من مبانيه .

أما كتاب " **قرة العيون** " فهو كتاب في التاريخ العام لدويلات اليمن منذ فجر الإسلام ، إلى عام ٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م ، رتبه مصنفه على ثلاثة أبواب، الأول وخصصه لذكر فضل اليمن وأخباره ومن ملك صنعاء وعدن وقسمه إلى عشرة فصول ، وقصر الباب الثاني على أخبار مدينة زبيد وذكر أمرائها وملوكها ووزرائها وأهم الأحداث التي مرت بها ، وقسمه إلي ثمانية عشرة فصلاً ، وأفرد الباب الثالث لذكر أخبار الدولة الطاهرية ، ومن الملاحظ أنه اعتمد على من سبقه من مؤرخي اليمن كعمارة وابن سمرة والجندي ، وابن عبد المجيد ، والخزرجي، حيث جعل من كتاب " العسجد " قدوته ، فنهج نهجه ولخصه ، ونقل فصوله بترتيبها ، ثم أضاف إليها من مؤلفات غيره وزاد عليه باقي تاريخ دولة بني رسول بداية من عهد الناصر بن الأشرف (من ٨٠٣ هـ) ، وحتى نهاية دولتهم ، وقد أفادنا بدوره في الكثير من موضوعات البحث المتصلة بنظم الحكم والإدارة سواء ما يتعلق بالنظم المالية أو العسكرية أو الإدارية ، وكذلك ما يتصل بالزراعة وأنواع الغراسات في فترة البحث ، كما أورد عدة إشارات هامة في سياق حديثه عن مآثر سلاطين بني رسول تتعلق بالإصلاحات التي قاموا بها للعمائر المختلفة .

ومن المصادر الهامة في تاريخ اليمن واعتمدنا عليها في إثراء هذه الدراسة بعض تواليف المؤرخ اليمني يحيى بن الحسين (ت ١١٠٥ هـ / ١٦٩٣ م) ومنها مخطوط من أهم مصنفاته عنوانه " أنباء الزمن في تاريخ اليمن " [(١)] ، رتب أحداثه على المنهج الحولي ، واستقصى فيه تاريخ اليمن ، وأخبار دوله منذ بداية العصر الإسلامي ، وانتهى بذكر الأحداث التي وقعت في اليمن إلى سنة ١٠٤٦ هـ / ٣٦- ١٦٣٧ م) ، وجمع مادة كتابه العلمية من مصادر نادرة أحصاها بنحو سبعة وخمسين مؤلفاً ، وترجع أهمية هذا المصنف بالنسبة لموضوع البحث ، إلي أنه بالإضافة إلي اهتمامه بدراسة تاريخ اليمن السياسي ، تناول في سياق عرضه للتاريخ السياسي عدة موضوعات اجتماعية واقتصادية ذات أهمية بالغة ، من ذلك على

---

(١) قام الدكتور محمد عبد الله ماضي بتحقيق ونشر قسم من هذا الكتاب يقع ما بين سنوات ٢٨٠- ٣٢٢ هـ ونشره في برلين مع مقدمة بالألمانية عام ١٩٣٦ م .

سبيل المثال اهتمامه بذكر تعدد عناصر السكان في المدن اليمنية وعلى رأسها مدينة صنعاء ، وحديثه عن المنشآت الأيوبية والرسولية المختلفة ، ومنها اهتمامات سيف الإسلام طغتكين بالبناء والتشييد وإنشاء البساتين ، كما تناول أنواع الزراعات الجديدة وأصناف الأشجار والرياحين والورود التي شغف حكام اليمن بجلبها من شتى الأقطار وغرسها في بساتينهم الملكية .

ولنفس المؤلف أيضاً كتاب " **غاية الأماني في أخبار القطر اليماني** " [1] ، ويعرف أيضاً بـ " عقيلة الدمن المختصر من أنباء الزمن " وهو بدوره كتاب عام في تاريخ اليمن بداية من ظهور الإسلام وينتهي بحوادث ووفيات سنة ١٠٤٦ هـ / ١٦٣٦ م ، وقد اهتم يحيى بن الحسين بذكر تفاصيل الصراع بين الأيوبيين والرسوليين والزيدية في اليمن ، ويعد ابن الحسين ممثلاً لوجهة النظر الزيدية في ذلك الصراع ، بحكم كونه زيدياً ، وقد أفاض في ذكر تفاصيل هذا الصراع ، مبيناً مدى ما اعترى النفوذ الأيوبي من ضعف في بعض الفترات ، لاسيما تلك الفترة التي أعقبت وفاة الناصر أيوب بن طغتكين وقيام الملك المسعود يوسف بأعباء الحكم في محاولة لإعادة الأمور إلي نصابها لصالح الأيوبيين في اليمن . وتبرز أهميته أيضاً بالنسبة لموضوع البحث فيما أورده من إشارات هامة تتصل بالعمائر الأيوبية والرسولية المختلفة والتي تنافسوا في تشييدها في شتى أنحاء الديار اليمنية ، وإبراز عناية هؤلاء السلاطين بإنشاء المدن وغرس البساتين بشتى أصناف الأشجار .

كذلك تطرق ابن الحسين إلي الحديث عن عدة موضوعات حضارية أخرى منها وسائل استنزال الحصون ، واهتمام السلاطين بتحصينها وشحنها بمختلف أنواع الأسلحة والعتاد ، وأساليب القتال المستخدمة في ذلك العصر ، وأنواع الأسلحة كالمجانيق والعرادات والنبال والزحافات بالإضافة إلي إستخدام العيون والجواسيس . كما انفرد أيضاً بالإشارة إلي الشعر الحميني وفترة ظهوره في الأدب اليمني في أخريات العصر الرسولي ، وأيضاً في المجال الاقتصادي انفرد بذكر إحدى الوسائل المتبعة في تقدير الضرائب على المزروعات في بدايات الدولة الرسولية وتعرف بطريقة خرص الثمار أي تقدير ما على النخيل وأشجار الكروم

---

[1] حققه الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ونشره في قسمين ، القاهرة ١٩٦٨ م .

من ثمار ظناً لا إحاطة . كذلك انفرد بالإشارة إلي ضرب المظفر الرسولى للدراهم السعيدة المظفرية في زبيد عام ٦٥٠ هـ / ١٢٥٢ م ، وأمدنا بعياره من الفضة الخالصة ، وما نقش عليه من عبارات ، وكذلك الدرهم المظفرى الذى ضربه بصعدة عام ٦٨٤ هـ ، مما يشير بطريق غير مباشر إلي وصول نفوذ الرسوليين إلي المناطق الزيدية ووقوع صعدة تحت سلطانهم في أخريات عهد المظفر ، كما أشار بدوره إلي إنقطاع الوارد من التجارة الشرقية إلي عدن في أخريات العصر الرسولى وتدهور أحوالها ، مبيناً أسباب ذلك التدهور ويحصره في جور العمال ، وانصراف السلاطين عن شؤون البلاد ، والعكوف على الملاهى والملذات ، وتعاطى الخمور وسماع المغنيات .

وثمة مؤلف آخر كانت له أهميته فيما يتصل بالتاريخ الاقتصادى لليمن في فترة البحث ، وهو كتاب " تاريخ الدولة الرسولية في اليمن " [1]، لمؤلف مجهول من مؤرخى القرن التاسع الهجرى / ق ١٥ م ، وعلى الرغم من اهتمامه بالوقائع التاريخية والأحداث السياسية التى عاشتها اليمن إبتداء من عام ٤٣٩ هـ/١٠٤٧م، وحتى عام ٨٤٠ هـ / ١٤٣٦ م ، إلا أن أهميته تتمثل في كون مصنفه قد عاصر فترة انحلال الدولة الرسولية وما صاحبها من تمردات العبيد وثورات القبائل وغيرها، وبالنسبة لما يتصل بالاقتصاد اليمنى ، فقد انفرد في أحيان كثيرة بمعلومات لم تتوفر في غيره من المصادر ، وبخاصة في أواخر عصر الدولة الرسولية وهى الفترة التى عاصرها صاحب المصدر ، مثال ذلك ما ذكره عن مقدار المتحصلات الضرائبية الواصلة من خزانة عدن إلي تعز الحاضرة السياسية للبلاد في كل عام ، وتباين هذا المقدار ارتفاعاً وانخفاضاً من عام إلي آخر ، كما أمدنا بمعلومات هامة تتصل بميناء عدن وتبرز مدى تدهوره في أخريات عصر بنى رسول ، وانعكاسات هذا التدهور على أحوال اليمن الاقتصادية بوجه عام وعلى دولة بنى رسول بوجه خاص ، وكيف أدى هذا التدهور ، إلي ازدهار ميناء جدة وانتعاشه بسبب إقبال السفن الهندية والصينية وغيرها من بلدان الشرق الأقصى على الرسو ببندرها ،

---

[1] اعتمدنا على النسخة التى قام بتحقيقها ونشرها/ عبد الله محمد الحبشى ، دمشق ، ١٩٨٤ م .

والتحول عن ميناء عدن ، وجهود سلاطين بني رسول لمنـع ذلـك ، وإرجـاع السبب في ذلك إلي المبالغة في تقدير العشور وجور العمال بالفرضة ، الأمر الـذى ساعد على تقديم دراسة مفصلة لأوضاع ثغر عدن وفترات ازدهـاره وكسـاده والأسباب المؤدية لذلك .

وإلي جانب هذه المصادر السابقة رجعنا إلي العديد من الأصـول العربيـة الأخرى المتقدمة زمنياً على الفترة موضوع البحث ، وكذلك المعاصرة والمتـأخرة التي أثرت جميعها البحث في العديد من نقاطه ، ولكن المجال لا يتسع هنا لدراستها والإشارة إليها بالتفصيل ، ونكتفى هنا بالإشارة إلي بعضها مثل مؤلفات عمـارة اليمنى " **المفيد** " ، والعماد الأصفهاني " **خريدة القصر وجريدة العصر** " ، وابـن أسير " **الجوهر الفريد في تاريخ مدينة زبيد** " ، وعماد الدين إدريـس " **كنـز الأخيار في معرفة السير والأخبار** " ، وبيبرس الدوادار " **زبد الفكـرة** " ، وابـن كثير " **البداية والنهاية** " ، وابن الصـيرفى " **نزهـة النفـوس والأبـدان** " ، و "**السلوك**" للمقريزى ، و " **النجوم الزاهرة** " لابن تغرى بردى وغيرها ، وهـى جميعاً مصادر لا غنى عنها في دراستنا من أجل سد الفجوات الناقصة في البحـث والخروج بأفضل النتائج بغية الوصول للحقيقة المجردة عن أى هوى .

٢- كتب الجغرافية والرحلات

استفاد البحث من كثير من الكتب الجغرافية التي صنفها عدد من المصنفين الذين عاشوا في القرون الثالث والرابع والخامس للهجرة وما بعدها ، منها كتـاب " **المسالك والممالك** " لكل من ابن خرداذبة والاصطخرى ، و" **صورة الأرض** " لابن حوقل ، و " **الأعلاق النفيسة** " لابن رسته ، و" **كتاب البلدان** " لليعقوبى ، و " **أحسن التقاسيم** " للمقدسى ، و " **صفة جزيرة العرب** " للهمدانى ، و" **نزهة المشتاق** " للإدريسى ، وقد أوردت لنا هذه المصنفات الجغرافية معلومات غزيـرة خاصة بالنواحى الاقتصادية في اليمن ، مثل طرق المواصلات التجارية ومحطاتهـا ، وأشهر الصناعات اليمنية والسلع المتوافرة بأسواق اليمن سواء المنتجـة محليـاً أو

الواردة إليها من الخارج ، كما ذكرت أبرز قرى ومناطق اليمن الزراعية ، وأنواع الزراعات المعروفة بها ، وكذلك المراعى الطبيعية والثروة الحيوانية المتوافرة بها .

ومن بين المصادر الجغرافية أيضاً التى اعتمدنا عليها فى الباب الخاص بالحياة الاقتصادية والاجتماعية بوجه خاص كتاب " **صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ويُعرف " بتاريخ المستبصر** " لمؤلفه ابن المجاور (ت ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م) ، وهو مصدر هام لتاريخ الحجاز ومكة واليمن في أوائل ق ٧ هـ / ق ١٣م ، وتتمثل قيمة الكتاب وأهميته بالنسبة لموضوع البحث في أن مؤلفه كان معاصراً لبدايات الفترة موضوع الدراسة وقد تضمن الكتاب وصفاً للحياة في المدن اليمنية المختلفة ، يُعد وصفاً حياً لشاهد عيان طاف بهذه المدن وسجل الكثير من نواحى الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، ولقد زودنا الكتاب بمعلومات هامة تتعلق بدراسة جوانب متعددة من الحياة الاجتماعية في بلاد اليمن ، من حيث عناصر السكان وأجناسهم وأشكالهم ، وأسماؤهم وطعامهم ولباسهم وعاداتهم وتقاليدهم في الزواج وغيره من مظاهر الحياة الاجتماعية ، ودور المرأة في المجتمع اليمنى ومشاركتها الرجل أعباء الحياة والنزول إلي ميدان العمل بالتجارة سواء الداخلية أو الخارجية. والاحتفالات الشعبية التى كانت تقام في النخل متى أينع ثمره وحان قطافه ، والتى اشتهرت باسم " السبوت " لأنها كانت تقع في أيام السبت .

كذلك قدم لنا الكثير من المعلومات القيمة في مجال الحياة الاقتصادية سواء في الزراعة أو الصناعة أو التجارة فأمدنا بمعلومات مفصلة عن أنواع الزراعات المحلية باليمن ، وكذلك الزراعات التى أدخلت لليمن بدءاً من عصر بنى أيوب ومناطق الثروة الغابية أو الخشبية ، كما أورد الكثير من المعلومات عن الفنون الصناعية باليمن في العصر موضوع الدراسة مثل صناعة الجلود ، وصناعة النسيج والخمور وغيرها من الصناعات الأخرى ، كما تناول بإسهاب النشاط التجارى في اليمن ، وطرق المواصلات ، والمراكز التجارية الكبرى في عدن وزبيد وصنعاء ، وحركة التجارة بها وما تغله من إيرادات لخزينة البلاد ، كما أمدنا بقوائم مفصلة لأنواع الصادرات والواردات ومقدار العشور المفروضة عليها ، كما حدد أنواع السلع المعفاة من العشور ، وذكر الإجراءات الجمركية الصارمة التى تميز بها ميناء

عدن ، وما يتعرض له الوافد إلي البلاد من تفتيش دقيق تساوى فيه النساء بالرجال، كما أشار أيضاً إلي البلدان التي تتعامل تجارياً مع اليمن ، وأنواع المعاملات التجارية السائدة في بلاد اليمن ، ففصل لنا النقد السائد في اليمن آنذاك ومنه الدينار الملكى والدينار الأحمر أو المصرى مبيناً قيمتها وتباين هذه القيمة من وقت لآخر تبعاً لتطورات الظروف الاقتصادية ، كما أشار إلي أنواع المكاييل والموازين والمقاييس المستخدمة في أسواق اليمن سواء بالنسبة للتجارة الداخلية أو الخارجية ، وأبرز السلع التي تُكال وتوزن بهذه المكاييل والموازين . هذا وقد خصص ابن المجاور جزءاً كبيراً من كتابه لوصف مدينة عدن بحكم كونها من أكثر المراكز التجارية في الشرق الأدنى الإسلامى أهمية ، فزودنا بمعلومات هامة أفادتنا كثيراً عند الحديث عن مدينة عدن وطبوغرافيتها وتطورها العمرانى في عصر بنى أيوب .

ومما يؤخذ على ابن المجاور رغم أهمية مصنفه لموضوع الكتاب أنه اعتمد - إلي جانب ملاحظاته المباشرة للمجتمع اليمنى عن طريق المشاهدة العينية - ، على الرواة كأحد مصادر كتابه ، فامتلأ مصنفه بالعديد من الروايات الأسطورية الشعبية التي سادت مجتمع جنوب الجزيرة العربية ، والتي دونها دون تمحيص ، فحدث خلط بينها وبين الملاحظات الدقيقة التي سجلها بناء على مشاهدة شخصية، الأمر الذى يجعلنا نعتمد عليه بحذر و نتنبه إلي تلك المبالغات والأساطير ، وقد أشرنا إلي بعضها في مواضعها بالكتاب .

كذلك استفاد البحث من مصنفات الهمدانى (ت بعد ٣٦٠ هـ / ٩٧٠م) مثل كتاب " **صفة جزيرة العرب** " ، والأجزاء المنشورة من كتاب " **الإكليل** " ، وكتاب " **الجوهرتين العتيقتين** " ، فقد أوردت هذه الكتب معلومات قيمة بالنسبة لموضوع البحث لاسيما ما يتصل بالنواحي الاقتصادية في اليمن مثل صناعة البرود والأدم ، والتجارة الداخلية وأنواع السلع المتبادلة في أسواق اليمن الداخلية ، وأسلوب الزراعة والحرث والسقى وأنواع التربة والمزروعات الملائمة لكل ناحية من نواحى اليمن طبقاً لطبيعة المناخ السائد بها ،

ولنوع التربة المتوافرة بأرضها ، وأشهر أنواع الأطعمة والأشربة ، وأنواع المعادن المتوافرة ومناطق إنتاجها واستخداماتها المختلفة .

كما استعنا أيضاً ببعض الموسوعات ومنها كتاب "**مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**" للعُمرى (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م) وكتاب " **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء** " للقلقشندى (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) فقد أورد هذان الكتابان معلومات هامة عن نظم الحكم والإدارة في البلاط الرسولى وبخاصة ديوان الجند ، ونظم وتراتيب الدولة الرسولية وعلاقتها بالمماليك في مصر ، وأهم وظائف البلاط ، كما أوردا الكثير من المعلومات الهامة التى أثرت الباب الخاص بالحياة الاقتصادية والاجتماعية ، فزودانا بأشهر الصناعات اليمنية ، ومظاهر عناية سلاطين بنى رسول بالصناعة ، والعمل على جلب المجيدين لفنون الصناعة من الأقطار المختلفة وترغيبهم في الإقامة ببلاد اليمن ، حرصاً على إعمارها ونهضتها ، كما تطرقا أيضاً للحديث عن أنواع المزروعات الشهيرة ببلاد اليمن ومناطق زراعتها ومظاهر اهتمام سلاطين اليمن بالزراعة ، وعنايتهم الفائقة بغرس البساتين وتوفير الماء اللازم لها ، وجلب الغراسات الفريدة إليها من شتى الأقطار ، كما تحدثا عن مركز عدن التجارى وأسواق اليمن ، وغير ذلك من المعلومات المتصلة بالنواحى الاقتصادية . وبالنسبة للحياة الاجتماعية قدم لنا العمرى وصفاً مفصلاً لزى سلاطين بنى رسول وأمراء الجند وأفراد الجيش اليمنى ، كما أبرز شغف هؤلاء السلاطين بالخلوة في بساتينهم وعقد مجالس الطرب والمنادمة مع حظاياهم والمطربين ، ورسم صورة واضحة المعالم لحياة الترف والثراء التى سادت هذا العصر وتفنن مياسير أهل البلاد في المأكل والمشرب والمسكن .

وجدير بالذكر أن القلقشندى قد نقل الكثير من معلوماته عن اليمن من كتاب " **مسالك الأبصار** " وأضاف إليه الكثير من المعلومات المتصلة بنظم الحكم والإدارة في اليمن من خلال كتابات ابن عبد المجيد في بهجة الزمن وكذلك الإدريسى في نزهة المشتاق وغيرهما ، فأمدنا على سبيل المثال بنموذج للرسائل الديوانية الصادرة من ديوان الإنشاء اليمنى إلي البلاط المملوكى بمصر ، مبرزاً مدى نهج حكام اليمن لنهج السلطنة المملوكية في الحكم والإدارة .

ومن الكتب الهامة في الفلاحة والغراسة والتى استعنا بها في دراستنا عن النظم الزراعية كتاب " **مُلَح الملاحة في معرفة الفلاحة** " للملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول (ت ٦٩٦ هـ / ١٢٩٦ م) ، وكتاب " **بُغية الفلاحين في الأشجار المثمرة والرياحين** " للملك الأفضل الرسولى (ت ٧٧٨ هـ / ١٣٧٧م) وكتاب " **مفتاح الراحة لأهل الفلاحة** " لمؤلف مجهول من " ق ٨ هـ / ق ١٤ م" وقد زودتنا هذه المصادر بالكثير من المعلومات الزراعية الهامة ، التى أثرت البحث بما أوردته عن أنواع المزروعات التى عرفتها بلاد اليمن والمحاصيل الرئيسة بها وأماكن زراعتها ، ونوع المحصولات الشتوية والصيفية ، والأوقات الملائمة لزراعة كل محصول وحصاده ، وأنواع التربة الملائمة لكل محصول ، وعلمية الزراعة من حرث وبذر وتسميد ورى ، وغير ذلك من العمليات المصاحبة للزراعة من جنى المحصول وحصاده وتخزينه ، والأدوات المستخدمة في العملية الزراعية .

ومن كتب الرحلات كتاب ابن بطوطة (ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م) المعروف باسم " **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار** " ، الذى زودنا بدوره بالكثير من المعلومات التى أفادت البحث في العديد من نقاطه وبخاصة ما يتصل بالنظام القضائى مثال النظر في المظالم ، حيث انفرد بروايته التى تشير إلي حرص المجاهد الرسولى على تخصيص يوم في الأسبوع وهو يوم الخميس لبحث شكايات الرعايا وإنصاف المظلومين بنفسه ، كما انفرد بالحديث عن تقسيم مدينة تعز على أساس طبقى إلي ثلاثة محلات ، أشرنا إليها عند الحديث عن تمصير المدن ، كذلك أمدنا بمعلومات هامة عن بعض مظاهر الحياة الاجتماعية باليمن مثل الاحتفالات الشعبية الخاصة بجنى الرطب والمعروفة " **بالسبوت** " في زبيد وأنحاء تهامة ، وبعض العادات والتقاليد المتبعة في اليمن آنذاك ، مثال ذلك عدم امتناع نساء زبيد عن الزواج من الغريب الوافد إلي بلادهن ، ورضائهن بالقليل من النفقة والكسوة ، ورفضهن أشد الرفض الخروج عن بلدهن ، مهما بذل لهن الأزواج في هذا السبيل . كذلك تحدث ابن بطوطة عن أخلاقيات نساء اليمن ، لاسيما نساء زبيد واتسامهن بالجمال والاحتشام ، معارضاً في ذلك ما ذكره ابن المجاور من قول

مخالف لذلك تماماً ، كما تناول بالحديث عناصر السكان في المدن اليمنية مثل عدن وظفار الحبوضى ، والزى السائد هناك ، كما تطرق للحديث عن النواحى الاقتصادية فتكلم عن أشهر مزروعات اليمن ، وعناية حكامه بجلب أنواع الغراسات المختلفة من الهند وغيرها من بلدان الشرق لإثراء الحياة الزراعية باليمن ، كما تحدث عن أسواق المدن اليمنية ، وأشهر السلع المتبادلة فيها ، وبعض أنواع المعاملات التجارية ، كما أبرز كيف غلب الطابع التجارى على مدينتى عدن وظفار الحبوضى في عصر بنى رسول ، إلى حد أن معظم متحصلاتهما كانت تعتمد على التجارة .

٣- كتب التراجم والطبقات

وتحتل مكانة بارزة بين مصادر هذا البحث بما تضمه من معلومات قيّمة عن النواحى العمرانية والثقافية لبلاد اليمن في الفترة موضوع الدراسة ، وذلك من خلال الترجمة لأشهر علماء وأعيان البلاد في ذلك العصر ، كما تضمنت هذه التراجم معلومات وافية عن العملية التعليمية ، وطرق التدريس المتبعة ، وأهم الكتب المعتمدة في التدريس للمذاهب الدينية المختلفة ، كما تشتمل هذه المصادر أيضاً على تفاصيل هامة عن النواحى العمرانية وبخاصة المنشآت الدينية منها كالمدارس والمساجد والتي يرد ذكرها خلال الحديث عن جهود هؤلاء العلماء والفقهاء في ازدهار الحركة الفكرية باليمن .

ويأتى على رأس هذه المصادر كتاب " **طبقات فقهاء اليمن** " [١] لعمر بن على بن سمرة الجعدى (ت بعد ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م) ، الذى يعد من أقدم كتب الطبقات اليمنية المعروفة ، وكان ابن سمرة من المعاصرين للحكم الأيوبى في اليمن ، وركز في طبقاته على الترجمة لفقهاء الشافعية ببلاده – وبخاصة في اليمن الأسفل حيث ساد المذهب الشافعي – ومن تولى رئاسة القضاء فيها ، وذلك منذ دخول اليمن في الإسلام ، وحتى عصره ، وتبرز أهميته بالنسبة لموضوع البحث فيما أورده لنا من تراجم فقهاء وأعيان القرن السادس الهجرى ، وما يتعلق بجهودهم في

---

[١] *قام المرحوم الأستاذ فؤاد سيد بتحقيق ونشر الكتاب* (القاهرة ١٩٥٧) .

إثراء الحركة العلمية في العصر الأيوبي باليمن ، وبعض التفاصيل عن النظام القضائي في ذلك العصر ، وجدير بالذكر أن معلومات ابن سمرة وبخاصة عن معاصريه اتسمت بالجدة والأصالة ، وصار هذا الكتاب مصدراً أساسياً لكل من قام بالترجمة لهؤلاء الأعيان من بعده ، ولذا يعد الكتاب من أكثر المصادر فائدة للدراسة في النواحي الثقافية والتعليمية .

ومن كتب التراجم الهامة التي اعتمدنا عليها أيضاً كتاب " **السلوك في طبقات العلماء والملوك** " تأليف بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب الجَندى (ت٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) ، والكتاب تاريخ عام لعلماء اليمن وملوكها بدأه من ظهور الإسلام إلي زمنه ورتبه على الطبقات واستقى معلوماته عن الفترة السابقة لزمنه من ثلاثة مصادر رئيسة هي طبقات فقهاء اليمن لابن سمرة ، وكان جل اعتماده عليه حيث نقل معظمه واتخذه نموذجاً احتذى به ونسج على منواله ، وكذلك اعتمد على تاريخ مدينة صنعاء للرازى ، وتاريخ صنعاء اليمن لابن جرير الصنعانى [1] ، والكتاب من المؤلفات القيمة التي اعتمدنا عليها ، ويشتمل على العديد من تراجم الأعيان والنابهين من أبناء اليمن ، وبخاصة فقهاء الشافعية ، وبعض فقهاء المذهب الزيدى ، وقد أفادنا فائدة عظمى عند تعرضنا لدراسة الحركة العلمية في بلاد اليمن ، ودور اليمن في الحركة الثقافية الإسلامية بوجه عام.

ويعد هذا الكتاب " **السلوك** " أيضاً من المصادر الموثوق بها بما يشتمل عليه من معلومات تحرى صاحبها الدقة في النقل والأمانة ، وبخاصة بالنسبة لمن ترجم لهم من معاصريه ،فكان يزور بيوت العلماء في أنحاء اليمن ، ويسأل عمن توفى منهم ، ويطلب الاطلاع على مصنفاتهم وكتبهم بنفسه ، ولا يعتمد على الرواة إلا قليلاً ، كذلك امتاز الكتاب باهتمامه الشديد بضبط أسماء الأعلام والأماكن والبلدان مما أفادنا كثيراً في تحديد العديد من مواقع اليمن ، وتصحيح نطق الأسماء المتعددة . كذلك شمل في طيات تراجمه لأعيان اليمن الكثير من المعلومات عن ملوك وأمراء حكام اليمن في فترة البحث وشخصيات المجتمع اليمنى في عهدهم ، وأورد أسماء مواطن هذه الشخصيات لاسيما العلمية منها وذكر أشهر

---

[1] أيمن فؤاد سيد : *مصادر تاريخ اليمن* ، ص: ١٤٠ .

مصنفاتهم في جميع الفنون مما أفادنا كثيراً عند تعرضنا للبحث في الحياة العلمية في اليمن ومراكز العلم المشهورة فيها آنذاك ، كذلك أبرز ما شيدوه من مدارس ومساجد وقصور وغيرها من العمائر المختلفة مع تحديد أماكن وجودها في أغلب الأحيان . كما أورد لنا معلومات هامة عن الأوقاف وأثرها في الحياة الاجتماعية في بلاد اليمن .

وإعتمدنا أيضاً على مصنف الخزرجى الذى أعده لتراجم العلماء والملوك والأعيان والمعروف باسم " **طراز الزمن في طبقات أعيان اليمن** " ، وينقسم إلي جزأين يهمنا منهما الجزء الثانى ويضم تراجم للعلماء والملوك وغيرهم من رجالات اليمن ، ورتبه في ثمانية وعشرين باباً على حروف المعجم ، وألحق به باباً للكنى وآخر لتراجم النساء ، واحتذى بدوره كتاب السلوك للجندى ، وقد ركز المصنف في كتابه على الترجمة لأشهر العلماء والفقهاء ، والترجمة كذلك للنساء اللائى اشتهرن في هذا العصر بالعلم وانشاء المدارس وتشجيع الحركة العلمية في اليمن .

كما انتفعنا بكتاب " **العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية** " للملك الأفضل الرسولى (ت ٧٧٨ هـ / ١٣٧٦ م) ، ورتبه على حروف المعجم ، وتبرز أهمية الكتاب فيما حواه بين دفتيه من معلومات غنية بتفاصيلها عن علماء اليمن وأدبائها ومحدثيها وكذلك تراجمه لأعيان البلاد من الأمراء والرؤساء والوزراء ، مما أثرى دراستنا عن الحياة العلمية اليمنية بوجه عام ، وقد ساعدت مكانة المؤلف كأحد ملوك بنى رسول واطلاعه على الكثير من أحوال البلاد على تفرده ببعض المعلومات الهامة منها النص على أرزاق القضاة في العصر الرسولى ، ومقدارها ، وتقاضيهم لهذه الجامكيات الشهرية من الجزية المفروضة على اليهود في بعض نواحي اليمن ، واستمرار ذلك حتى النصف الثانى من عصر المظفر الرسولى الذى أمر بإبطال ذلك لفترة قصيرة ، وجمع أموال الجزية من سائر جهات اليمن وصرفها في عمارة مدرسته المظفرية ، وجعل أرزاق القضاة من غير الجزية ، وقد أبطل وزراء بنى عمران ذلك تماماً في سنة ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م وجعلوا جامكية القضاة بعضها من الأحباس وبعضها الآخر من أموال الديوان .

ومن كتب التراجم النفيسة التي استفاد منها البحث في عدد من أبواب الدراسة لاسيما ما يخص الحياة الاقتصادية والاجتماعية والعلمية وكذلك نظم الحكم كتاب " **تاريخ ثغر عدن** " لأبي محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بامخرمة (ت ٩٤٧ هـ / ١٥٤٠ م) ، وهو مصنف هام خص به مدينة عدن وقسمه إلي قسمين ، الأول وقصره على مدينة عدن وما يتعلق بطبوغرافيتها ومراكزها العمرانية المختلفة ، وقد أفادنا عند الحديث عن مدينة عدن وتطورها العمراني ، ونلاحظ أنه اعتمد في معظمه على كتاب " **تاريخ المستبصر** " لابن المجاور . أما القسم الثاني فخصصه لتراجم الملوك والأمراء والأعيان والعلماء من أهل عدن والوافدين إليها ، وتضمنت هذه التراجم مادة حضارية وفيرة ، مثال ذلك حديثه عن المواكب السلطانية والاحتفالات المختلفة التي كانت تقام بثغر عدن عند قدوم سلاطين اليمن إليها للإشراف على أوضاع المدينة والجلوس للنظر في المظالم وبحث شكايات الرعايا وإنصافهم .

ولبامخرمة أيضاً مخطوط " **قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر** " [1] ، وتناول فيه تاريخ اليمن وسادالها منذ بداية العصر الإسلامي وحتى عام ٩٢٧ هـ ، واختص بني أيوب وبني رسول بجزء خاص في كتابه ، فذكر تاريخهما وتراجم مشاهير رجالاتهما ، وتعظم الفائدة من هذا المصنف فيما انفرد بذكره عن محاولات الظاهر يحيى الرسولي إجبار أصحاب السفن الهندية على الرسو بسفنهم في ميناء ثغر عدن بدلاً من جدة ، كما أورد العديد من المعلومات المفيدة عن مدينة عدن وأحوالها في أخريات عصر بني رسول .

واعتمدنا كذلك على كتاب " **طبقات صلحاء اليمن** " لعبد الوهاب بن عبد الرحمن البريهي السكسكي اليمني (ت ٩٠٤ هـ / ١٤٩٨ م) ، وقد أثرى البحث بمعلوماته عن الحياة العلمية ببلاد اليمن وأشهر بيوتاتها العلمية في القرن التاسع الهجري ، وإشاراته عن بعض الجوانب المتعلقة بالعمران اليمني ، لاسيما

---

[1] عن باخرمة ومحتويات كتابه *قلادة النحر* راجع بالتفصيل : محمد عبد العال أحمد : *البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليه* " نصوص مستخلصة من مشاهدات المؤرخ اليمني " بامخرمة " كما سجلها في مخطوط قلادة النحر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ١٩٨٠ ، ص ١٥ ـ ١٨ ، ٤٥ ـ ٤٨ .

تحديد مواقع بعض المنشآت كالمدرسة الياقوتية برباط البريهي بذي السفال جنوبي إب ، والقائمين بالإشراف عليها وعلى الأحباس الموقوفة للقيام بكفاية المرتبين بها ، وتبرز أهمية هذا المصنف في أنه لم يكرر جهود من سبقه من كتاب التراجم ، بل حاول أن يأتي بما أغفل السابقون ذكره ، إذ وجد حشداً من علماء القرن التاسع الهجري الذي عاصرهم وشاهدهم بنفسه ، فاستوعب في كتابه تراجمهم وتراجم غيرهم ممن ظهروا من علماء وشخصيات المجتمع اليمني في القرن الثامن وبعد وفاة الخزرجي من علماء ق ٩ هـ ، فانفرد بتراجم عدد كبير منهم ، وذكر مصنفاتهم وإسهاماتهم في الحركة العلمية باليمن في ذات القرن . وقد بنى كتابه على نفس النسق الذي انتهجه أسلافه من المؤرخين اليمنيين من حيث ترتيب التراجم على البلدان كالجندي وغيره .

وبالاضافة إلي ذلك رجعنا إلي عدد آخر من كتب الطبقات والتراجم ، سدت الكثير من فجوات هذا البحث عند التعرض للتعريف بأحد أعيان اليمن ، أو عند الترجمة لأحد أعلام الفكر والثقافة بها ، منها كتاب " **طبقات الزيدية الصغرى**" ليحيى بن الحسين ، و " **تاريخ مسلم اللحجي** " (ت ٥٤٥ هـ / ١١٥٠ م) ، و " **سيرة ذوى الشرفين** " للربعي (ت ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م) ، و " **سيرة الإمام عبد الله بن حمزة** " (ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) لمجهول ، و " **سيرة الإمام أحمد بن سليمان** " (ت ٥٦٦ هـ / ١١٧٠م) للثقفي ، وقد أوردت هذه الكتب والسير معلومات وفيرة عن علماء الزيدية ومصنفاتهم ، وكذلك عدد من الإشارات الخاصة بالنواحي الإدارية والعملة والحسبة في اليمن الأعلى .

كما رجعنا لمجموعة أخرى من كتب الطبقات والتراجم أيضاً منها " **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة** " لابن حجر العسقلاني ، و " **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** " للسخاوي ، و " **طبقات الشافعية** " لابن قاضي شهبة ، و " طبقات الشافعية " للإسنوي ، ووللفاسي " **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين** " ، و " شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام " ، و " **درة الحجال في أسماء الرجال** " لابن القاضي ، و " **شذرات الذهب** " لابن العماد الحنبلي ، و "

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع " للإمام الشوكانى وغيرها ، أفادت جميعها البحث في مواضع عديدة .

٤-المراجع الحديثة : العربية والأجنبية

إلي جانب هذه المصادر الخطية والمطبوعة هناك بعض المراجع المتخصصة التي رجعنا إليها ، وأفدنا منها في العديد من موضوعات هذا البحث ، وهى تنقسم بدورها إلي قسمين عربية وأجنبية :

المراجع العربية :

ومن أبرز المراجع العربية التي اعتمد عليها هذا البحث : كتاب " **الأيوبيون في اليمن** " للدكتور محمد عبد العال أحمد ، الذى أفاد البحث فائدة كبرى وخاصة فيما يتصل بنظام الإقطاع الإدارى والعسكرى ونظام النواب ووظيفة الأتابك ، وكذلك عند الحديث عن أعداد الجنود في الجيش الأيوبي من خلال حديثه عن الحملات الأيوبية التي خرجت إلي اليمن . كما رجعنا إلي كتاب آخر لنفس المؤلف بعنوان " **بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما** " ، فقد اعتمدنا عليه كثيراً في الحديث عن علاقات الدولة الرسولية بالسلطنة المملوكية في مصر ، وبغيرها من الدول المجاورة وخاصة الدول التي ارتبطت بعلاقات تجارية متميزة مع البلاط الرسولى ، واستعنا به أيضاً في تسليط الأضواء على أحوال ميناء عدن ، وتباين هذه الأوضاع بين الازدهار والاضمحلال وبخاصة في آخريات العصر موضوع الدراسة ، وأسباب ذلك التدهور وانعكاساته على أحوال دولة بنى رسول بوجه عام ، الأمر الذى أدى – بالإضافة إلي عوامل أخرى – إلي سقوطها تحت معاول الأسرة الطاهرية عام ٨٥٨ هـ / ١٤٥٤ م .

ومن كتابات المحدثين التي لم تخل من فائدة بالنسبة لموضوع البحث ، وخاصة عند الحديث عن النظم التعليمية في اليمن ، وأثر المدارس في ازدهار الحركة الفكرية بالبلاد في فترة البحث كتاب القاضى إسماعيل بن الأكوع الموسوم بـ " **المدارس الإسلامية في اليمن** " وتناول فيه جميع المدارس اليمنية سواء القائمة منها

أو الدارسة ، مع تحديد أسماء مؤسسيها وبيان مواقعها بالتحديد والترجمة لكل من قام بالتدريس فيها ، وأهم المصنفات التي كانت معتمدة في التدريس بها ، وتغطي مادة الكتاب المدارس اليمنية منذ نشأتها وحتى النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجرى .

ومن المراجع المتخصصة في الآثار كتاب الدكتور مصطفى شيحة وعنوانه " **مدخل إلي العمارة والفنون الإسلامية في الجمهورية العربية اليمنية** " وقد تطرق فيه للحديث عن عمارة بعض المدارس الرسولية التي مازالت قائمة متناولاً تفاصيلها المعمارية وأهم سمات العمارة الدينية الرسولية ، كما تناول بالدراسة بعض نماذج من الفنون الإسلامية اليمنية في العصر موضوع البحث مما يشهد بتفوق الصانع اليمني ، الأمر الذى ساعد على نهضة الفنون الصناعية باليمن ورفع من اقتصاديات البلاد في فترة البحث .

واعتمدت الدراسة أيضاً على مجموعة من الأبحاث المتخصصة في مجال العمارة والفنون ، مما أثرى البحث عند الحديث عن العمائر اليمنية والفنون الصناعية ، وبيان طرق التعامل النقدى في أسواق اليمن ، من أبرز هذه المقالات " **بحوث** " د. ربيع حامد خليفة عن طراز المسكوكات الرسولية ، ومناسج طراز الخاصة بمدينة صنعاء ، والفنون الإسلامية في عهد الدولة الرسولية ، وهى مقالات كانت ذات فائدة كبرى لنا — كما أوضحنا — عند دراسة الصناعات اليمنية ، وطرق المعاملات النقدية ، وهناك أيضاً مقال الدكتور " محمد سيف النصر " بعنوان " **المدارس اليمنية تخطيطاتها وعناصرها المعمارية** " وتطرق فيه لذكر نشأة المدارس في اليمن في العصر الأيوبي ، كما تناول بالدراسة بعض هذه المدارس سواء الرسولية أو التي شيدت بعد ذلك العصر من حيث تخطيطها المعمارى وأهم سماتها مع عقد بعض المقارنات بين هذه المدارس وأهم ما يميزها عن غيرها .

ومن المراجع الحديثة أيضاً التي اعتمدنا عليها عند دراسة الحياة العلمية في اليمن ، وأشهر المصنفات التي قام علماء اليمن بوضعها في سائر العلوم العقلية والنقلية في فترة البحث كتاب " **مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن** " للمحقق اليمني الأستاذ عبد الله محمد الحبشي ، فقد احتوى هذا المرجع بين دفتيه

على تراجم مختصرة للكثير من علماء اليمن وأدبائها وشعرائها وفقهائها في شتى العلوم النقلية والعقلية ، مع بيان مصنفاتهم وذلك منذ بداية العصر الإسلامي باليمن وحتى القرن الرابع عشر الهجرى .

المراجع الأوروبية :

ومن الكُتّاب الأجانب الذين استفدت من أبحاثهم ماكس فان برشم (M.Van Berchem)في بحثه القيم الموسوم بـ (Notes D' Archealogie Arabe) وذلك عند دراسة الصناعات المعدنية ، فأمدنا بقائمة من التحف المعدنية الرسولية المحفوظة بمتاحف العالم ، التي أبرزت مدى تفوق هذه الصناعات اليمنية ، وبراعة الصانع اليمنى وتفوقه الفني في العصر موضوع الدراسة .

واستفدنا أيضاً عند دراسة العملة الأيوبية وأنواعها والنظام النقدى السائد في اليمن ودور الضرب الأيوبية

ببحثى بالوج (Balog) وعنوانه :

(Dirhams Ayoubitesin edits du Yemen)

وميلز (Miles) وعنوانه :

(The Ayyubids dynasty of the Yemen & Their Coinage)

كذلك رجعنا إلي عدة مقالات أجنبية أخرى أفادت البحث عند دراسة العمائر الدينية والمدنية وأهم سماتها المعمارية ، وأيضاً مجموعة أخرى أفادتنا في دراسة أوضاع أهل الذمة في المجتمع اليمنى ، وبخاصة طائفة اليهود ، ودراسة علم الفلك والطب والزراعة ، ومعرفة علماء اليمن لهذه العلوم ووضع المصنفات فيها ، وهى منشورة ضمن كتاب تناول الأوضاع الحضارية في بلاد اليمن خلال ثلاثة آلاف سنة وعنوانه :

(Yemen : 3000 Years of Art and Civilization in Arabia Felix
"ed" Werner Daum , Austria, 1988).

ومجموعة أبحاث ومقالات أخرى ، تناولت بالدراسة بعض مظاهر الحضارة بمدينة صنعاء في العصر الإسلامى بصفة عامة ومن بينها أوضاعها الحضارية في الفترة موضوع البحث ، شملها الكتاب الموسوم بـ

(San' a,an Arabian Islamic City , England , 1983) .

وقام على نشره سيرجنت وليوكوك (Serjeant & Lewcock)

وجدير بالذكر أنه رغم أهمية هذه الأبحاث لموضوع الدراسة ، فإنها لا تسلط الأضواء الكافية على الجوانب الحضارية كاملة ، ولذا كان لزاماً علينا الاجتهاد في استقراء النصوص وجلاء ما غمض منها ، وتحليل محتوياتها ، ومحاولة استخراج ما يمكن استخراجه من مظاهر الحضارة بهدف الوصول إليها من خلال هذه الدراسة .

وبعد هذه الإلمامة السريعة بنماذج مختلفة من المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها — وأوردت قائمة بأسمائها وأسماء غيرها في نهاية البحث — يجدر بنا أن نقر بأن هذه المصادر والمنابع والأصول التي تمثل حجر الأساس في هذا البحث ، إلي جانب المراجع المتخصصة التي رجعنا إليها ، قد أعانتنا إلي حد كبير في رسم صورة نرجو أن تكون واضحة لأهم المظاهر الحضارية في بلاد اليمن في العصر موضوع الدراسة .

الباب الأول

نظم الحكم والإدارة

الفصل الأول

النظـــــــام السيـــاسى

الفصل الأول
النظام السياسى

(١) الحاكم وألقابه

أ – قاعدة وراثة الحكم

ب – اختصاصات السلطان

ج – وظائف البلاط اليمنى

(صاحب الباب – الاستدار – أمير علم – الخزندار – أمير جاندار – الزمام)

(٢) نيابة الملك (أو نيابة السلطان)

(٣) الـــــــــــــوزارة

(٤) ديوان الإنشاء

١- الحاكم وألقابه

لم يتفق المؤرخون على تحديد اللقب الذى تسمى به حاكم اليمن سواء في العصر الأيوبي أو في عهد دولة بني رسول ، ففى الدولة الأيوبيـة جـرى غالبيـة المؤرخين على إطلاق لقب الملك على أفراد البيت الحاكم ، بينما شذ عـن هـذه القاعدة مجموعة أخرى من المؤرخين ، فنعتوا بعض ملوك الأيوبيين في اليمن بلقب السلطان مثال ذلك توران شاه حيث نعت بالسلطان الملك المعظم [(١)] ، وسـيف الإسلام طغتكين حيث لقب بالسلطان الملك العزيز [(٢)] وكذلك فعل بامخرمة عنـد ترجمته للناصر أيوب بن طغتكين فنجده يلقبه بالسلطان الملك الناصـر ، وينعـت والده " طغتكين " بسلطان اليمن [(٣)] .

ومما لاشك فيه أن اطلاق لقب السلطان على ملوك بني أيوب كان مـن قبيل المبالغة والتفخيم [(٤)] وخاصة للأقوياء من هؤلاء الحكام ، لأنه من المعروف أن هذا اللقب كان خاصاً برأس الدولة الأيوبية ونعنى به الناصر صلاح الدين يوسـف بن أيوب حيث جرى المؤرخون علي نعته به " تعظيماً له وإجلالاً لقدره " أما بقية حكام الدولة الأيوبية سواء في الشام أو اليمن فتلقبوا بـالملوك [(٥)] وبـذلك حمـل

---

(١) الخزرجى (موفق الدين أبو الحسن على بن أبى بكر بن وهاس) ت ٨١٢ هـ / ١٤٠٩ م : العسجد المسبوك فيمن ولى اليمن من الملوك ، مخطوط بمكتبة البلدية بالإسكندرية تحت رقم ١٢٦٥ ب ، ق ٩١ ؛ المقريزى (تقى الدين أحمد بن على) ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م : الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، نشر د. جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٥٥ ، ص ٧٠ .

(٢) الخزرجى : العسجد المسبوك ، ق ٩٧ ؛ يحيى بن الحسين (ابن القاسم بن محمد بن على) ت ١١٠٥ هـ / ١٦٩٣ م ، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ، قسمان ، تحقيق د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ١٩٦٨ ، ق١ ، ص ٣٢٨ كذلك نعت المعز إسماعيل عند بامخرمة بسلطان اليمن . راجع : تاريخ ثغر عدن ، جزءان ، نشر اوسكار لوفجرين (ed. o. Loefgren, Leiden 1936) جـ ٢ / ١٩ .

(٣) بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، جـ ٢ / ٢٤ ؛ وراجع أيضاً : الكبسى (بدر الدين محمد بن إسماعيل) ت ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠ م : اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية ، مخطوط مصور على ميكروفيلم رقم ٣٨ ، معهد المخطوطات العربية عن نسخة خطية بمكتبة القاضى محمد بن الأكوع الخاصة بتعز، ق ٣٣ ـ ٣٤ .

(٤) يدلنا على ذلك الفاسي في ترجمته لسيف الإسلام طغتكين فيذكر أنه شاهد اسم طغتكين مكتوبا على باب زبيد المعروف بباب القرتب " بسبب عمارته له ، وتُرجم في الكتابة بسبب ذلك : سلطان الحرمين والهند واليمن " راجع : العقد الثمين ، جـ ٥ تحقيق فؤاد سيد ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٦٤ ومن المعروف أن السلطان سيف الإسلام طغتكين لم يصل نفوذه إلي الحرمين او الهند ولا يعدو ذلك سوى تفخيماً لهذا الملك القوى وتعبيرا عن سلطته القوية باليمن .

(٥) الفاسى : العقد الثمين ، جـ ٥ / ٦٢ ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ق١ ، ص ٣٢٨ و هـ ١ .

الحكام الأيوبيون في اليمن لقب الملك ، بدءاً من توران شاه الذى تلقب به عقب استيلائه على اليمن ووضعه تحت سيطرته ، فصار ينعت بالسلطان الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بن أيوب [١] جامعاً بذلك بين اللقبين ، كما عرف طغتكين بعد نجاحه في الاستيلاء على اليمن واخضاعه لنفوذ الأيوبيين بالسلطان الملك العزيز سيف الإسلام طغتكين بن أيوب [٢] ، وهكذا دأب حكام اليمن الأيوبيون على اتخاذ لقب " ملك " كأسلافهم مثل الملك المعز إسماعيل (٥٩٣ – ٥٩٨ هـ ١١٩٦ – ١٢٠١ م) والملك الناصر أيوب (٥٩٨ – ٦١١ هـ / ١٢٠١ – ١٢١٤ م) والملك المعظم سليمان بن شاهنشاه (٦١١ – ٦١٢ هـ / ١٢١٤ – ١٢١٥ م) حتى آخرهم وهو الملك المسعود يوسف بن الكامل محمد (٦١٢ – ٦٢٦ هـ / ١٢١٥ – ١٢٢٨ م) [٣] وحتى من طمع من أمرائهم في السلطة وتطلع للانفراد بالحكم عمد إلي اتخاذ لقب " الملك " لنفسه ، ومن أشهر هؤلاء ، الأمير بدر الدين غازى بن جبريل – الذى ذكرت المصادر قيامه بدس السم للملك الناصر أيوب وقتله طمعاً في الحكم – الذى استبد به بعد موت الناصر وجمع " أكابر الأمراء إليه واستحلفهم له .... (و) تلقب بالملك الظافر أو الظاهر " [٤] وخُطب له في صنعاء . لكن سرعان ما وثب عليه مماليك الناصر فقتلوه انتقاماً لقتله الناصر وتقرباً لأم الناصر [٥] .

ويمكن القول من خلال استعراضنا لألقاب الحكام الأيوبيين في اليمن أنهم التزموا جميعاً قاعدة التسمى بلقب ملك ، ولم يعرف عن أحد أنه تسمى بغير ذلك أو خوطب بلقب آخر غير الملك سوى " الملك المعز إسماعيل بن طغتكين " الذى سَمَت نفسه إلي منصب الخلافة عام ٥٩٦ هـ / ١١٩٩.م " واحتجب ... وانتسب المعز لبنى أمية (ادعى النسب القرشي) ودعا الناس إلي البيعة [٦] ،

---

[١] الخزرجى : العسجد ، ق ٩١ ؛ ابن حاتم : (الأمير بدر الدين محمد بن حاتم اليامى الهمدانى) كان موجوداً حتى عام ٧٠٢ هـ / ١٣٠٢ م) ، السمط الغالى الثمن فى أخبار الملوك من الغز باليمن ، تحقيق : ركس سميث ، كمبردج ، لندن ١٩٧٤ ، ص ١٥ ، ١٦ – ٢٠ .

[٢] ابن حاتم : السمط الغالى ، ص ٢٤ .

[٣] المقريزى : الذهب المسبوك ، ص ٧٦ .

[٤] ابن حاتم : السمط ، ص ١٥٢ – ١٥٣ ؛ بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، جـ ٢ / ٢٥ .

[٥] ابن حاتم : المصدر السابق ؛ بامخرمة : المصدر السابق ، جـ ٢ / ٢٥ .

[٦] ابن حاتم : المصدر السابق ، ص ٧١ ؛ المقريزى : السلوك ، جـ ١ / ١٤٣ .

وخوطب بالخليفة وبأمير المؤمنين [١] ، كما تلقب "بالإمام الهادى بنور الله المعز لدين الله أمير المؤمنين " [٢] . و لم تقتصر ألقابه التي حملها على ذلك فقط ، بل تطاول إلي أكثر من ذلك ، ونعت نفسه بنعوت عديدة وكتب دعوته بالخلافة في منشور عظيم ، " يعظم فيه بنى أمية ويسب بنى العباس ، وأرسل كتب الدعوة إلي كل قطر " [٣] ،وأورد له ابن حاتم بعض هذه الألقاب فقال"إمام الأئمة وكاشف الغمة،وعالى الهمة،المفترض الطاعة على كافة الأمة،المستخرج من السلالة الطاهرة النبوية،وفرع الشجرة الإمامية الأموية،المعز،الناصر،العزيز،القاهر،الرحيم،القادر، الحليم،الذاكر،سيد الموحدين،الحاكم بكتاب الله وسنن رسول الله،الهادى إلي الحق بأمر الله،أمير المؤمنين،ابو المعز إسماعيل بن طغتكين بن أيوب بن شاذى بن مروان الأموى ، خليفة رب العالمين،صلوات الله عليه وبركاته"[٤].ويذكر صاحب السمط أنه أرسل إلي عمه أبي بكر العادل بأمره"عارضاً عليه أن يتنازل عن الخلافة وألقابها له"،فعاد جواب العادل إليه ينكر عليه تلك الفعلة والمغالطة بالانتساب إلي بنى أمية ولكنه لم يمتثل[٥]، وتفاحش أمره بدعوى الخلافة وازداد ظلمه للرعية وأساء معاملة جنده ومنع أرزاقهم" وصرفها للمساخر والشعراء " [٦] ، فساقه قدره نتيجة لذلك

---

[١] بامخرمة : _تاريخ ثغر عدن_ ، جـ ٢ / ٢٠ ، ولنفس المؤلف ، _قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر_ ، مخطوط مصور علي ميكروفيلم تحت رقم ٥٨٥٧ بدار الكتب المصرية ، ق ٧٨٩ ؛ وأنظر أيضاً : ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٧٨ ؛ الخزرجى : _العسجد_ ، ق ١٠٤ .

[٢] عبد الباقى بن عبد المجيد (تاج الدين اليمانى) : (ت ٧٤٣ هـ / ١٣٤٢ م) تاريخ اليمن المسمى _بهجة الزمن في تاريخ اليمن_ ، تحقيق : مصطفى حجازى ، تقديم إبراهيم الحضرانى ، القاهرة ١٩٦٥، ص ٨٠ ، ويلاحظ خلو النسخة الأخرى من بهجة الزمن : تحقيق عبد الله محمد الحبشى محمد أحمد السنباتى : ط ١ ، دار الحكمة اليمانية ، صنعاء ١٩٨٨ ، ص ١٣٥ من هذه العبارة .

[٣] ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٧٢ .

[٤] ابن حاتم : _السمط_ . وجدير بالذكر أن المعز كانت له سابقة على حياة أبيه لمس منها أبوه انقياده للاسماعيلية وخروجه على مذهب السنة فطرده ثم عاد بعد وفاة أبيه وأظهرها سنة ٥٩٣ هـ . راجع عن ذلك بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، جـ ٢ / ١٩ .

[٥] أبو شامة : شهاب الدين أبى محمد المقدسى (ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م) : _الروضتين في أخبار الدولتين_ (جزءانَ) دار الجيل بيروت ب . ت ، جـ ١ / ٢١٠ ؛ ابن واصل : جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧ م) : _مفرج الكروب في أخبار بنى أيوب_ ، جـ ٣ ، تحقيق د. جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦١ م ، ص ١٣٦- ١٣٧ ؛ ابن حاتم : _السمط_ ص ٧١ – ٧٢ ؛ ابن عبد المجيد : _المرجع السابق_ ، تحقيق حجازى ، ص ٨٠ ، [نسخة الحبشى] ، ص ١٣٥ ؛ يحيى بن الحسين : _غاية الأمانى_ ، ق ١ / ٣٥٦ ؛ الكبسى : _اللطائف السنية_ ، ق ٣٦ .

[٦] ابن واصل : _مفرج الكروب_ ، جـ ٣ / ١٣٧ ؛ المقريزى : _السلوك_ ، جـ ١ / ١٥٩ – ١٦٠ ؛ بامخرمة : _تاريخ ثغر عدن_ ، جـ ٢ / ٢٠ ، _قلادة النحر_ ، جـ ٣ / ٧٨٩ .

لقتله على يد جماعة من الأكراد في ناحية القوز شمالى زبيد سنة ٥٩٨ هـ / ١٢٠١ م . [١]

ولعل السبب الكامن وراء اتخاذ المعز ألقاب الخلافة وادعائها لنفسه يرجع إلي رغبته في توسيع دائرة نفوذه وسلطانه خارج حدود اليمن لتشمل جزيرة العرب ومقدساتها ، ورأى أن ذلك لا يتحقق له سوى بالعمل على إضعاف شوكة العباسيين أصحاب الحق الشرعى في خلافة العالم الإسلامى والسيطرة على مقدساته، ومن ثم رأى في ادعاء الخلافة وانتسابه لبنى أمية سبيلاً لتقوية مكانته ونفوذه في وجه الخلافة العباسية . [٢]

أما فيما يتعلق بألقاب حكام بنى رسول الذين خلفوا الأيوبيين في حكم اليمن فإن المؤرخين لم يتفقوا على تحديد قاطع لها ، فجرى بعض المؤرخين على الإشارة إليهم باسم الملك [٣] ، بينما أطلق آخرون عليهم لقب السلطان [٤] بينما سما بعض المؤرخين بتلقيب بعضهم بالخلفاء كالخزرجى الذى لقب الملك المظفر بالخليفة (٦٤٧ – ٦٩٤ هـ) وكذلك حفيده الملك المجاهد [٥] كما تلقى الأشرف الثانى الرسولى كتاباً من أعيان قاليقوط يخاطبونه فيه بالخليفة المعظم [٦] .

---

(١) راجع عن حادثة مقتله بالتفصيل : ابن حاتم : السمط ، ص ٨١ – ٥٢ ؛ ابن عبد المجيد : بهجة الزمن (نسخة حجازى ، ص ٨٠ ؛ (نسخة الحبشى) ص ١٣٥ ؛ الخزرجى : العسجد ، ق ١٠٤ ؛ بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، جـ ٢ / ٢٠ ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ، ق ١ / ٣٥٦ – ٣٥٧ ؛ الكبسى : اللطائف السنية ، ق ٣٦ .

(٢) راجع عن ذلك : على بيومى : قيام الدولة الأيوبية في مصر ، القاهرة ط ١ / ١٩٥٢ ، ص ٥٨ .

(٣) ابن حاتم : السمط ، ص ٢٠١ ؛ الجندى : بهاء الدين محمد يوسف (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م) : السلوك في طبقات العلماء والملوك ، مخطوط مصور على ميكروفيلم ، بدار الكتب المصرية ، جـ ١/ رقم ١٢٠٣٤ ق ١١٣ ، ١٣١ ، ١٧٤ ابن الفرات : ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م) : تاريخ ابن الفرات ، تحقيق د. قسطنطين زريق ود. نجلاء عز الدين ، الجامعة الامريكية، بيروت ١٩٣٩ ، جـ ٢ / ٢٢٣ ؛ الفاسى : تقى الدين محمد بن أحمد (ت ٨٣٢ هـ / ١٤٢٩ م) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، جزءان ، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمرى ، دار الكتاب العربى ، بيروت ١٩٨٥ ، جـ ١ / ١٨٨ – ١٨٩ ؛ المقريزى : الذهب المسبوك ص ٧٩ ، ٨٤ ؛ بامخرمة : قلادة النحر ، جـ ٣ / ٨٦٩ .

(٤) ابن حاتم : السمط ، ص ٢٢٢ – ٢٢٣ ، ٢٣٤ ؛ الجندى : السلوك ، جـ ١ / ق ١٧٥ (حيث ينعت المنصور نور الدين على بالسلطان) وراجع أيضا الخزرجى : العقود ، جـ ١ / ٨٧ – ٩٠، ٢٣٨ ، ٢٤٩ ، جـ ٢ / ١٣ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٥٣ ، ٢٠٣ – ٢٠٤ .

(٥) الخزرجى : العقود ، جـ ١ / ٢١٦ ، ٢٣٢ ، ٢٣٨ ؛ ابن الديبع: قرة العيون ، ص ٢٣٤ .

(٦) الخزرجى : العقود ، جـ ٢ / ٢٠٤ – ٢٠٥ .

ومن الثابت من خلال ما ورد في العديد من المصادر التاريخية المعاصرة زمنياً أو المتأخرة عن عهد بني رسول أن حاكم اليمن في الفترة الرسولية كان يلقب بالسلطان الملك [١] . ويؤيد ذلك مطالعة ألقاب حكام بني رسول على السكة المضروبة بإسمهم ، من ذلك الدرهم الفضي الذي ضرب بإسم المظفر يوسف في زبيد عام ٦٥٠ هـ / ١٢٥٢ م وكتب في الدائرة الوسطى من ظاهر الوجه " عَمَّر السلطان الملك المظفر شمس الدين يوسف بن الملك المنصور " [٢] . كذلك الدينار الرسولي المضروب في عدن عام ٧١٨ هـ / ١٣١٨ بإسم المؤيد الرسولي وجاء على الوجه : **السلطان الملك**

المؤيد هزبر

الدين داود بن

الملك المظفر / [٣]

ويأتي تأكيداً لما سبق أيضاً ما ورد في نصوص المكاتبات التي وصلت إلي دواوين بني رسول من قبل السلطنة المملوكية في مصر ، مثال ذلك ما جاء في نسخة كتاب الملك المظفر قطز لصاحب اليمن " نور الدين عمر بن رسول " بالبشارة بهزيمة التتار وجاء في مقدمته :

" أعز الله تعالى أنصار المقر الشريف العالي ، المولوي ، السلطاني الملكي المنصوري .... " [٤]

كما ورد نفس اللقب في نسخة كتاب آخر بعث به المنصور قلاوون من إنشاء القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر إلي صاحب اليمن المظفر الرسولي يبشر فيه " بفتوح صافيتا (حصن) وجاء في افتتاحيته : " أعز الله تعالى نصرة المقام العالي ، المولوي ، السلطاني الملكي ، المظفري ، الشمسي " [٥] .

---

[١] على سبيل المثال راجع : الخزرجي : العقود ، جـ ٢ / ٢٧ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٦٣ ، ٦٨ ، ١٠٣ ، ١٠٥ وغيرها .

[٢] يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ق ١ / ٤٥٥ .

[٣] راجع : ص ٣٩٣ من الرسالة عن العملة .

[٤] القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي) ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م : صبح الأعشى في صناعة الانشاء ، جـ ٧ / نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية ، ص ٣٦٠ .

[٥] القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ ٧ / ٣٥٤ .

ومن هذا العرض الموجز لما حمله حكام اليمن من الرسوليين من ألقاب ، يمكن القول بأن لقب الخلافة إنما لُقب به حكام بنى رسول تعظيماً لهم وتفخيماً لشخصهم من قبل أحد المؤرخين المعروفين بموالاتهم لبنى رسول والتقرب إليهم ، كذلك الأمر بالنسبة لكتاب أعيان قاليقوط (والذى ورد به لقب الخليفة المعظم الأشرف الثانى) ، فهو لقب ينطوى على الكثير من المبالغة في مدحه طمعاً في إرضائه حرصاً على مصالحهم التجارية مع بلاده ، وقد دَلَّل الخزرجى على هذه المبالغة في الإطراء بقوله " ... وبالغوا كل منهم بالذكر لمناقب السلطان خَلَّد الله مُلكه والخلفاء المتقدمين ، والأئمة [الماضين] " [١] .

أ- قاعدة وراثة الحكم [٢]

اعتمد نظام الحكم باليمن في العصر الأيوبى والرسولى على مبدأ الوراثة اقتداء بما كان متبعاً في مصر في العصر الأيوبى وما سبقه من عصور فقد اعتبر المنصب إرثاً ، وبمقتضى ذلك يجب توزيع هذا الميراث أنصبة واقطاعات بين أبناء الأسرة الواحدة [٣] ، فبالنسبة للأيوبيين في اليمن فقد كانوا يحرصون على تطبيق هذه القاعدة كلما أمكنهم ذلك ، ففى البداية حال دون تطبيق هذه القاعدة عدم استقرار الحكام الأيوبيين في اليمن ، فالمعظم توران شاه غادر اليمن بعد إتمام الفتح وإخضاع اليمن ، وعاد إلي الشام ليستقر الحكم في اليمن لنوابه هناك [٤] ، إلي أن جاء سيف الإسلام طغتكين ليعيد اليمن إلي التبعية للبيت الأيوبى الحاكم ، ويبدأ تطبيق قاعدة وراثة الحكم بعد وفاته عام ٥٩٣ هـ الموافق ١١٩٦ م ، ويتمثل ذلك في انتقال الحكم في اليمن بعده إلي ابنه الملك المعز إسماعيل بن طغتكين ، وفى أعقاب مقتله يرث الملك أخوه الملك الناصر أيوب بن طغتكين [٥] . ثم حال دون

---

(١) الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ / ٢٠٤ ، وفي الأصل : الماضى ، والصواب ما أثبتناه .
(٢) جدير بالذكر أن نظام الوراثة هذا لم يقتصر فقط على من يتولى منصب الملك أو السلطان ، بل ظهر في العديد من المناصب الإدارية كالوزارة والنيابة والقضاء وغيرها من المناصب كما سيتضح عند الحديث عن هذه المناصب .
(٣) ابراهيم على طرخان : *النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى* ، دار الكاتب العربى ، القاهرة ١٩٦٨ ، ص ٤٥ .
(٤) الخزرجى : *العقود* ، جـ ١ / ٣٨ .
(٥) ابن واصل : *مفرج الكروب* ، جـ ٣ / ١٣٥ – ١٣٦ ؛ الخزرجى : *العقود* ، جـ ١ / ٣٨ .

تطبيق القاعدة انقطاع النسل الأيوبي من الذكور بعد مقتل الملك الناصر مسموماً علي يد وزيره بدر الدين غازى بن جبريل دون أن يعقب ، فأخذ بدر الدين غازى المذكور البيعة لنفسه في عام ٦١١ هـ / ١٢١٤ م وتلقب بالظافر أو الظاهر ، ولكن سرعان ما قتله مماليك الناصر ، ولم يجد الغز بعد ذلك رجلاً من أبناء البيت الأيوبي لينصبوه ملكاً ، ولم يكن للملك الناصر سوى " أخوات ، فأجمعوا على أن يكون الملك لهن " واتفقوا على أن يقيموا أتابكاً لتسيير أمور البلاد " فأقاموا رجلاً من المماليك يعرف بالمجاهد ، فبايعوه على الطاعة " [١] ، " وبقي الغز فترة بغير زمام " [٢] ، وأخذوا يتطلعون إلي شخصية قوية لإنقاذ البلاد وإقرار الأوضاع بها ، حتى وصل سليمان بن سعد الدين شاهنشاه بن الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب [٣] ، الملقب بالصوفى فملكوه عليهم[٤] ، ولم يكن سليمان الصوفى هذا من أفراد البيت الأيوبي الحاكم باليمن ، ولكن ظروف البلاد اضطرتهم إلي قبوله حاكماً عليهم [٥] .

ولكن سرعان ما ثبت لديهم عدم أهليته للحكم،وساءت سيرته باليمن ويُعبر الخزرجى عن ذلك بقوله"وكان ضعيفاً لا دراية له بالملك،فاشتغل بالشراب واللعب حتى تضعضع الملك" [٦]،ولم يكتف بذلك بل ملأ اليمن ظلماً وجوراً،

---

[١] ابن واصل : _مفرج الكروب_ ، جـ ٣ / ١٣٨ ؛ ابن حاتم : _السمط_ ، ص ١٥٢- ١٥٣ ؛ الخزرجى : _العقود_ ، جـ ١ / ٣٨ ؛ بامخرمة : _تاريخ ثغر عدن_ ، جـ ٢ / ٢٥ ؛ يحيى بن الحسين.

[٢] ابن واصل : _المصدر السابق_ ، جـ ٣ / ١٣٨ . ابن حاتم : _السمط_ ، ص ١٥٨ .

[٣] ابن واصل : _المصدر السابق_ ، ج٣ / ١٣٨ ، الكبسى : _اللطائف السنية_ ، ق ٤٤ .

[٤] ابن واصل : _نفس المصدر_ ، ج٣ / ١٣٩ ؛ ابن حاتم : _السمط_ ، ص ١٥٩ ؛ ابن كثير : (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر) ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٣ م : _البداية والنهاية_ ، جـ ٧ ، دار الغد العربى، القاهرة ١٩٩٢ ، ص ٢٦ ؛ الخزرجى : _العقود_ ، جـ ١ / ٣٩ ؛ الحنبلى : أحمد بن إبراهيم (ت ٨٧٦ هـ / ١٤٧١ م) _شفاء القلوب في مناقب بنى أيوب_ ، تحقيق ناظم رشيد : بغداد ١٩٧٩ ص ٤٠٧؛ يحيى بن الحسين : _أنباء الزمن_ ، ق ٦٨ .

[٥] عن كيفية سلطنته والروايات التى دارت حولها ، راجع : ابن حاتم : _السمط_ ، ص ١٥٨ ــ ١٥٩ ؛ الحنبلى : _شفاء القلوب_ ، ص ٤٠٧ ؛ يحيى بن الحسين : : _أنباء الزمن_ ، ق ٦٨ ؛ الكبسى : _اللطائف السنية_ ، ق ٤٣ (بن القاسم بن محمد بن علي الحسنى اليمنى) ت ١١٠٥ هـ / ١٦٩٣ م : _أنباء الزمن في تاريخ اليمن_ ، مخطوط مصور على ميكروفيلم رقم ٢٠٣٣٨ بدار الكتب المصرية ، ق ٦٨ ؛ محمد عبد العال أحمد : _الأيوبيون في اليمن_ ص ٢٣٤ ــ ٢٣٦ .

[٦] ابن واصل : _مفرج الكروب_ ، جـ ٣ / ١٣٩ ؛ الخزرجى : _العقود_ ، جـ ١ / ٣٩ ؛ يحيى بن الحسين: _انباء الزمن_ ، ورقة ٣١٨ .

وغدر بأمراء الأجناد مما أفقدهم الثقة فيه،وبدأوا يتحينون الفرصة للتخلص منه [٧] ويتمثل طغيانه الذى زاد عن الحد في كتاب قيل أنه بعثه إلي الملك العادل وهو عم جده (تقى الدين عمر) جاء في افتتاحيته " أنه من سليمان ، وأنه بسم الله الرحمن الرحيم " [١] عند ذلك استخف الملك العادل تفكيره ، وكان قد بلغه سوء سيرته في البلاد فأدرك " أنه لابد لليمن من سلطان قاهر يمضي إليها ويدبر أمر ملكها " [٢] ويعيد النفوذ الأيوبي إليها رغبة في استمراره هناك ، ودفعه إلي تنفيذ تلك الفكرة كتاب أم الناصر أيوب وزوجة سليمان التى كانت قد أقامته في الملك – فأعرض عنها – وأرسلت للعادل تشكو له تصرفاته [٣] . فعهد العادل أبو بكر إلي ابنه الملك الكامل محمد بأن يضع أمور اليمن في نصابها ، فأرسل الكامل ولده الملك المسعود يوسف إلي اليمن على رأس حملة لإقرار الأوضاع للأيوبيين هناك، فلما وصل إلي اليمن بادر بالقبض على سليمان وأرسله إلي مصر مقيداً ، وتولى هو مُلك البلاد عام ٦١٢ هـ / ١٢١٥ م [٤] .

وهكذا يتضح لنا أنه في حالة الهدوء والاستقرار في الحكم كان الأيوبيون يعملون على تطبيق قاعدة الوراثة في الحكم التى يُعين بمقتضاها الابن الكبير في الملك،وقد ثبت ذلك من تصرف الأمراء وكبار رجال الدولة في أعقاب وفاة سيف الإسلام طغتكين . فقد استقدموا ابنه الأكبر إسماعيل من حَرَضَ عام ٥٩٣ هـ / ١١٩٦ م ونصبوه ملكاً رغم أنه كان خارجاً على أبيه الذى عاقبه بالطرد من البلاد [٥] . كما أن العزيز طغتكين لم ينص على من يلى عهده ، ولم يوص بالحكم لأحد من أبنائه .

---

[٧] ابن واصل : _مفرج الكروب_ ، جـ ٣ / ١٣٩ ؛ ابن حاتم : _السمط_ ، ١٦١ – ١٦٢ .

[١] ابن واصل : _مفرج الكروب_ ، جـ ٣ / ١٣٩ ؛ الحنبلى : _شفاء القلوب_ ، ص ٤٠٧ .

[٢] ابن واصل : نفسه ، جـ ٣ / ١٣٩ .

[٣] ابن واصل : _نفس المصدر_ ، جـ ٣ / ١٣٩ .

[٤] الخزرجى : _العقود_ ، جـ ١ / ٣٩ – ٤٠ ؛ المقريزى : _الذهب المسبوك_ ، ص ٧٦ – ٧٧ . وعن حملة المسعود إلي اليمن واستيلائه على ملك اليمن من سليمان (راجع : ابن حاتم : _السمط_ ، ص ١٦٥ - ١٦٩ ؛ الحنبلى ، _شفاء القلوب_ ، ص ٣٦٢ – ٣٦٣ ؛ محمد عبد العال أحمد : _الأيوبيون في اليمن_ ، ص ٢٤٥ – ٢٤٩ .

[٥] ابن عبد المجيد : _بهجة الزمن_ ، ص ١٣٤ ؛ بامخرمة : _تاريخ ثغر عدن_ ، جـ ٢ / ١٩ ، السمط ، ص ٤٣ – ٤٥ ؛ أما حرض فهو واد مشهور يقع شمال غرب حجة ومنها تشرع طريق الحديدة جيزان.راجع إبراهيم أحمد المقحفى _معجم المدن والقبائل اليمنية_ ،دار الكلمة،صنعاء ١٩٨٥،ص١١٦ .

كما يتضح لنا من قراءة تاريخ الأيوبيين باليمن مدى حرصهم على قاعدة بقاء السلطة في أيدى أفراد البيت الأيوبي خشية ضياع اليمن من أيديهم وكان الدافع من وراء ذلك الحرص ، ما حدث في أعقاب خروج توران شاه عائداً إلي الشام ثم مصر ، حيث اضطربت عليهم البلاد واستقل كل عامل من عمال توران شاه بالبلد التي تولى أمرها وضرب كل واحد منهم السكة باسمه [١] ، إلي أن جاء طغتكين وضبط أمور البلاد تحت قيادته .. ومنذ ذلك الحين تمسك الأيوبيون بهذه القاعدة مهما كانت الظروف ، وبات ذلك واضحاً تماماً في أعقاب مقتل المعز إسماعيل عام ٥٩٨هـ / ١٢٠١م ، حيث يذكر ابن واصل " .. وتشوشت البلاد، وكل استقل بما تحت يده ، والبلاد سايبة تريد رجلاً يحفظها وسريَّة بنت سيف الإسلام عصت في قلعة منيعة ، هي أحصن القلاع وأمنعها ، وعندها من الأموال ما لا يحصى عدده ، وذكر عنها أنها قالت : ما نسلم هذا الحصن وهذه الأموال إلا لرجل من ولد السلطان " [٢] فجاءوا بأخ صغير للمعز يلقب بالملك الناصر ، فنصبوه سلطاناً [٣] .

كما ظهر ذلك واضحاً جلياً في أعقاب وفاة الناصر أيوب ، دون أن يعقب ، كما عدمت الذكور في البيت الأيوبي باليمن ، فتردد " رأى الغز في سلطان يقيموه وكان للملك الناصر أخوات ، فأجمعوا على أن يكون الملك لهن"[٤] ريثما يأتي أحد من أفراد البيت الأيوبي فيلي الملك ، وبالفعل تغلبت أم الملك الناصر على الأمور بزبيد " وأحرزت الأموال عندها ريثما يصل رجلاً[٥] من بني أيوب " ، ولهذا السبب ما كاد يصل سليمان الصوفي إلي اليمن ويثبت صحة نسبه لبني أيوب حتى سارعت ومعها أخوات المعز بتسليمه الحصن ، وتزوجته أم الناصر ومَلَكتّه البلاد [٦] ، وكان الأيوبيون على حق في حرصهم على الملك وخوفهم من

---

(١) يحيى بن الحسين : _أنباء الزمن_ ، ق ٢٣١ – ٢٣٣ .
(٢) ابن واصل ، _مفرج الكروب_ ، جـ ٣ / ١٣٦ .
(٣) ابن واصل ، _المصدر السابق_ ، ص ١٣٧ .
(٤) ابن حاتم ، _السمط_ ، ص ١٥٤ .
(٥) كذا في الأصل ، والصواب : رجل .
(٦) ابن واصل : _مفرج الكروب_ ، جـ ٣ / ١٣٨ – ١٣٩ ؛ ابن حاتم ، _المصدر السابق_ ، ص ١٥٩ الخزرجي : _العقود_ ، جـ ١ / ٣٩ ؛ الحنبلي : _شفاء القلوب_ ، ص ٤٠٧ ؛ يحيى بن الحسين : _أنباء الزمن_ ، ق ٦٨ .

ضياعه ، إذا ما ولوا أحدا من خارج البيت أمور البلاد ، وصدق حدسهم، وأصابت مخاوفهم في أواخر الدولة الأيوبية ، وخرجت بلاد اليمن من أيدى الأيوبيين على يد نائب الملك المسعود – آخر حكام بنى أيوب باليمن – وهو الأمير نور الدين عمر بن على بن رسول الذى استنابه المسعود على حكم اليمن عند خروجه قاصداً الديار المصرية ، فاستقل بالبلاد مؤسساً دولة جديدة على أنقاض الحكم الأيوبى هى دولة بنى رسول [١] .

أما ما يتعلق بقاعدة انتقال الحكم عند بني رسول ، فقد خضعت بدورها لمبدأ الوراثة في الحكم متأثرين في ذلك بأسلافهم الأيوبيين ، ولا غرو في ذلك، فهم صنائع الأيوبيين وعملوا تحت لوائهم قبل أن يخلفوهم في حكم بلاد اليمن، ومن ثم جروا على نفس القاعدة ، ولم يشذوا عنها طوال عهدهم إلا ، في حالتين – باستثناء فترة عشر السنوات الأخيرة في حكمهم ، والتي سادت فيها الاضطرابات والفتن ، وولى أكثر من واحد ، وتحزبت البلاد فيما بينهم – [٢] المرة الأولى بعد وفاة الأشرف الأول عام ٦٩٦ هـ / ١٢٩٦ م " فاتفقت آراء الخدم الخاصة والعامة والستور الكريمة على تولية المؤيد داود السلطنة [٣]. والمرة الثانية عندما أقدم الجند من المماليك والعبيد على عزل الأشرف الثالث عام ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨ م وكان صغير السن ، وقام بتدبير الملك مجموعة من أعيان الدولة، فتفرقت كلمتهم، مما ساعد على اضطراب الأوضاع في البلاد، وشيوع الفوضى، مما ترتب عليه ازدياد المحن، وانتشار الجدب ، وتجرأ الناس على سلطانهم لضعفه وصغر سنه، وانتهى الأمر بالقبض عليه (ظلماً و بغياً) ، وتنصيب عمه الملك الظاهر يحيى بن الأشرف إسماعيل مكانه [٤]

---

[١] ابن حاتم ، *السمط* ص ١٨٩ ، ١٩٥ وما بعدها ، الخزرجى : *العقود* ، جـ ١ / ٤١ – ٤٦ وما بعدها ؛ المقريزى : *الذهب المسبوك* ، ص ٧٨ – ٧٩ ؛ يحيى بن الحسين : *أنباء الزمن* ، ق ٧١

[٢] عن هذه الفترة راجع بالتفصيل · محمد عبد العال احمد : بنو رسول وبنو طاهر ، وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠ . ص ٢٣٧ – ٢٤٣ .

[٣] رغم أن للأشرف أولاداً منهم الناصر والعادل ولكن يبدو أن أعيان الدولة رأوا في صغر سنهما ما يحول دون استقامة أمر المملكة ولذلك اتجهوا لتعيين المؤيد داود . راجع : الخزرجى : *العقود* ، جـ١/ ٤٩ ؛ *العسجد* ، ق ١٦١ – ١٦٢

[٤] الخزرجى · *العسجد* . ورقة ٢٩٣ ؛ ابن الديبع · *قرة العيون* ، ص ٣٩٣ بامخرمة ، *قلادة النحر* ، جـ ٣ ١١٠٤ ؛ *أنباء الزمن* ، ق ١١٠ ١١١

ويبدو من استعراض سلسلة حكام بني رسول أنه لم يكن ضرورياً فيمن يعتلي العرش أن يكون الأبن الأكبر لأبيه ، فأول سلاطين هذه الدولة ونقصد بـه المنصور نور الدين عمر ، كان فيما يبدو راغباً في أن يتولى ابنه المفضل من بعده ، مؤثراً إياه على المظفر يوسف ولده الأكبر ، وذلك بتأثير من زوجته المعروفة ببنت جوزة ابنه الأمير سيف الدين " الأتابك " والزوجة السـابقة للملـك المسـعود يوسف " وكانت قد غلبت عليه حتى أنه استحلف العسكر لابنه المفضل (أحـد ابني بنت جوزة) وهو أصغر من المظفر " [1] ، ولكن المظفر – صـاحب الحـق الشرعي في السلطنة – تصدى لكل منافسيه إثر وفاة والده ، واستطاع أن يستميل إليه قلوب الجند والأتباع على أساس أنه الأكبر والأحق بالسلطنة [2] .

ولذا نجده يحرص قبل وفاته على تولية العهد للأشرف ممهد الـدين عمـر أكبر أبنائه وأرشدهم ، وأصدر له تقليداً بذلك في عام ٥٩٤ هـ / ١١٩٧ م ، " قرئ بمشهد من الملوك والعظماء ومحفل من الجحافل الكرمـاء ، وشـهود مـن القضاة الجلة والعلماء " [3] فعقد له بذلك على الملك ، وقال " هـذا ولى عهـدى وصاحب أمرى في جندى ووارثه بعدى " [4] .

ومما جاء بهذا التقليد الذى يعد نموذجاً للرسائل الديوانية الصـادرة مـن ديوان الإنشاء باليمن في عصر بنى رسول " أما بعد فقد ملكنا عليكم من " لم " [5] نؤثر فيه ، والله داعي التقريب ، على باعث التجريب ، ولا عاجل التخصيص على آجل التمحيص . ولا ملازمة الهوى والإيثار على مفاحمة البلوى والاختبار ، وهو سليلنا الخطير وشهابنا المنير وذخيرتنا [6] الذى وقف على المراد . ونصيرنا الـذى

---

[1] الخزرجي : *العقود* ، جـ ١ / ٨٣ ، *العسجد* ، ق ١١٥ ، ١٢٤ ؛ وراجع أيضا : ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٣١٤ – ٣١٥ .

[2] ابن حاتم : *السمط* ، ص ٢٣٥ وما بعدها ؛ الخزرجي : *العسجد* ، ق ١٢٤ – ١٢٥ وما بعدها ؛ ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٣١٥ ؛ محمد عبد العال ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ١١٠ – ١١٧ وما بعدها .

[3] ابن حاتم : *السمط* ، ص ٥٦٦ ، وعلّق ابن حاتم على ذلك قائلاً أنه من آرائه الصائبة ؛ وراجع أيضاً بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، جـ ٢ / ١٨١ .

[4] ابن حاتم : السمط ، ص ٥٦٦ .

[5] الخزرجي : *الكفاية* : والإعلام فيمن ولي اليمن وسكنها من ملوك الإسلام ، مخطوط مصور على ميكروفيلم رقم ٢٢٠٦ بدار الكتب المصرية ، ق ١٢٦ .

[6] راجع بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، جـ ٢ / ١٨١ .

يرجو به صلاح البلاد والعباد ، ونؤمل فيه من الله الفوز والنجاة من المعاد ، وقد رسمنا له من وجوه الذب والحماية ، ومعالم الرفق والرعاية ، ما قد التزم بوفاء عهده ، (ومضى عزمه بجده وجهده) [١] . والمسئول في إعانته من لا عون إلا من عنده ، ولن يعرفكم من حميد خصاله وسديد فعاله إلا ما قد بدا للعيان وزكا[٢] مع الامتحان. وفشا من قبلكم على كل لسان وشهدتم وشاهدتموه ، وحمدتم عقباه في كل أمر " [٣] . وقد أوضح نص التقليد أيضاً واجبات الحاكم وحقوق الرعية وواجباتها فيما يلي : " وقد حددنا له أن يكون رؤوفاً رحيماً ، جواداً كريماً ، ما أطعتموه على المراد مطاوعة الانقياد . فأما من شق العصا[٤] وخرج عن الطاعة وعصى ، فهو يقص منه ، ولو مَتَّ إليه بالرحم الدنيا ، فكونوا له خير رعية بالسمع والطاعة في كل حال ، يكن لكم بالبر والرأفة [٥] خير ملك ووال " [٦] .

وبمقتضى هذا التقليد الذي صدر في الدار السلطانية بثعبات، أصبح الأشرف ولياً لعهد والده المظفر، وصارت مقاليد البلاد كلها بيده، ولم يفزع إلى والده إلا في جلائل الأمور، ويوضح ذلك صاحب السمط بقوله " ثم انضافت الأوامر والنواهي، والحل والعقد، والبسط والقبض في البر والبحر، والأقاليم والسواحل والأمصار والحصون والثغور، وتدبير الحروب، وتجهيز العساكر إلي مولانا السلطان الأعظم الملك الأشرف، ولم يكن إلي مولانا السلطان الملك المظفر .... غير جلائل الأمور ومهماتها ، وقد تفزع إلي آرائه[٧] يتركاها من غير وهن ولا عجز ولا خور " [٨] .

ومما يستلفت النظر أن ولاية العهد للابن الأكبر على النهج الذي فعله ومارسه المظفر ، لم ينل القبول من جانب بعض أمراء بني رسول بعد وفاة المظفر

---

[١] بامخرمة : _المصدر السابق_ ، جـ ٢ / ١٨١ ؛ الخزرجي : _الكفاية_ ، ق ١٢٦

[٢] في الأصل : وزكي ، والصواب ما اثبتناه

[٣] ثم بعض الأبيات الشعرية في مدح الأشرف وخصاله الحميدة ، راجع : الخزرجي : _العقود_ ، جـ١/ ٢٣١ – ٢٣٢ ، _الكفاية_ ، ق ١٢٦ ؛ بامخرمة : _تاريخ ثغر عدن_ ، جـ ٢ / ١٨١ .

[٤] في الأصل : العصي والصواب ما أثبتناه .

[٥] الخزرجي : _الكفاية_ ، ق ١٢٦ ؛ بامخرمة : _تاريخ ثغر عدن_ ، جـ ٢ / ١٨٢ .

[٦] ابن حاتم : _السمط_ ، ٥٦٦ ؛ الخزرجي : _العقود_ ، جـ ١ / ٢٣١ – ٢٣٢ ، _الكفاية_ ، ق ١٢٥ – ١٢٦ ، _العسجد_ ، ق ١٥٧ – ١٥٨ ؛ ابن الديبع : _قرة العيون_ ، ص ٣٣٤ ؛ بامخرمة : _تاريخ ثغر عدن_ ، جـ ٢ / ١٨٢ .

[٧] في الأصل : أراءه والصواب ما أثبتناه

[٨] ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٥٦٧ ؛ ابن عبد المجيد : _بهجة الزمن_ ، ص ١٧١ ؛ الخزرجي : _العقود_ ، جـ ١ / ٢٣٢ ، _الكفاية_ ، ق ١٢٦ ، _العسجد_ ، ق ١٥٧ ؛ ابن الديبع : _قرة العيون_ ، ص ٣٣٤

وذلك لطمع بعض هؤلاء الأمراء في الوصول لدست السلطنة ؛ بغض النظر عن مدى قرابتهم من السلطان المتوفى ، يؤيدنا في ذلك موقف المؤيد داود بن المظفر الذى أعرض عن التقليد الذى كتبه والدهم لأخيه الأشرف الأول ، وأعلن العصيان عليه بعد وفاة المظفر عام ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م [١] . وعلى الرغم من فشل المؤيد داود في عزل أخيه عن السلطنة ، وما تعرض له نتيجة لذلك من اعتقال وحبس له ولمعاونيه في حصن تعز بدار الأدب بها ، إلا أننا نجد أعيان الدولة وكبراءها يستقر رأيهم عقب وفاة الأشرف عام ٦٩٦ هـ / ١٢٩٦ م ، على اخراج المؤيد من محبسه ، وتنصيبه على عرش البلاد [٢] .

أما المؤيد فلم ينهج نهج أبيه في إصدار تقليد لابنه الوحيد الملقب بالمجاهد بولاية العهد . ولم يأخذ له البيعة أو يستخلف له الجند والأمراء وأعوان الدولة ، وكل ما فعله أنه استقدم ولده حينما أحس بقرب منيته ، وأمره بالصعود إلي حصن تعز ، وإثر وفاة المؤيد كاتب المجاهد أمراء الجند والقضاة وأعيان الدولة ، ورغبهم في ولايته " فرغبوا إليه وصعد الناس والعساكر إليه ، وتم له نظام السلطنة " [٣] .

وتوفى المجاهد الرسولى بدوره دون أن ينص على ولاية عهده ، فاتفق أمراء الجند وأهل الدولة على قيام ابنه الأفضل العباس بالملك من دون أخوته رغم أنه لم يكن أكبرهم ، لأنه كما يقول الخزرجى " لم يكن في أولاد المجاهد حاضرهم وغائبهم من هو أرشد منه ... ولا أكمل للأمر منه وأن كان فيهم من هو أكبر منه سناً " فبايعه بذلك الحاضرون من الخاصة والعامة ووجوه أهل المدينة [٤] .

وقد حاول الأفضل الرسولى قبل وفاته في ٢١ شعبان ٧٧٨ هـ / ٣ يناير ١٣٧٧ م أن يأخذ البيعة لأكبر أبنائه وهو إسماعيل الذى لقب بعد ظفره بالسلطنة

---

[١] ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص ١٧٢ ؛ الخزرجى : العقود ، جـ ١ / ٢٣٩ ، العسجد ، ق ١٦٠ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص ٣٣٧ ؛ بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، جـ ٢ / ٧٣ .

[٢] ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص ١٧٣- ١٧٧ ؛ الخزرجى : العقود ، جـ ١ / ٢٤٠ ، ٢٤٢ – ٢٤٣ ، ٢٤٩ العسجد ، ق ١٦١ – ١٦٢ ؛ ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، جـ ٨ / ١٩٧ – ١٩٨ ، ٢٢٣ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص ٢٣٩ ؛ بامخرمة : تاريخ ثغر عدن جـ ٢ / ٧٣ – ٧٤ .

[٣] ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص ٢٨٥ – ٢٨٦ ؛ الخزرجى : العقود ، جـ ١ / ٣٥٨ ، جـ ٢ / ١٢ – ١٤ ، العسجد ، ق ١٩٠ – ١٩١ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص ٣٤٨ .

[٤] الخزرجى : العقود ، جـ ٢ / ١٠٥ ، ١١١ ، العسجد ، ص ٢٣٥ – ٢٣٦ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص ٣٦٧ ، ٣٦٨ ؛ بامخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، جـ ٢ / ١٠٥ .

بالأشرف الثاني ، ونستدل على ذلك من قول الخزرجي في سياق إشارته إلي وصول الأشرف إلي تعز مطلوباً من قبل أبيه " ثم وصل ولده مولانا السلطان الملك الأشرف من محروسة تعز وكان وصوله إلي زبيد يوم الجمعة الرابع عشر من شعبان الكريم مطلوباً طلباً حثيثاً ؛ ليقضى الله أمراً كان مفعولا " (١) ، غير أنه توفى قبل انفاذ هذه الرغبة ، فاتفق رأى رؤساء الدولة على قيام الأشرف إسماعيل بأعباء الملك " فاجتمع كبراء الدولة وعظماؤها وصلحاء الأمة وعلماؤها ، وعقدوا البيعة له وحضرها أمراء العسكر وكبراء الأشراف ومشايخ العرب ، وحلف الجميع منهم، وانتظمت الأمور ، وتقررت أحوال الناس ، وكان انتظام بيعته في المسجد بعد صلاة الجمعة في نفس يوم وفاة أبيه " (٢) .

وهكذا استمرت قاعدة الوراثة للحكم ، وإن لم تأخذ شكل الولاية الرسمية كما كان الحال في عهد المظفر ، بل كان يأخذ بها السلطان شفاهة من ألسنة كبار رجال دولته ، فيتعهدون أمامه بإقامة أبنائه ، بدليل أن ابن الديبع يذكر ذلك في سياق حديثه عن قيام الناصر أحمد بن الأشرف الثاني يأخذ البيعة شفاهة لولديه المنصور عبد الله ومن بعده الأشرف الثالث إسماعيل أمام وزرائه وكبار جنده وأعوانه ، وساق هذا الخبر على لسان القاضى شرف الدين إسماعيل العلوى وزير ابنى الناصر الرسولى ، والذى صادره الظاهر يحيى لوقوفه ضد توليته بعد وفاة أخيه الناصر ؛ حيث قال شرف الدين للظاهر " يا مولانا نحن جند النصيحة والصدق، وقد أخذ علينا المرحوم الملك الناصر العهود والمواثيق بالولاية لولديه ، فوفينا له بالعهود ، وأمضينا تلك العقود " (٣) .

---

(١) الخزرجى : العقود ، جـ ٢ / ١٣٤ ـ ١٣٦ ، وراجع أيضاً : ابن الديبع : قرة العيون ، ص ٣٧٥ .

(٢) الخزرجى : العقود ، جـ ٢ ، ص ١٣٤ ـ ١٣٥ ، ١٤١ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص ٣٧٥ ـ ٣٧٦ ؛ بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، جـ ٢ ، ص ٢٠ .

(٣) ابن الديبع : المصدر السابق ، ص ٣٩٤ .

ب- اختصاصات السلطان

من الجدير بالذكر قبل الشروع في دراسة النظام الادارى في البلاط الأيوبى والرسولى أن نعرض بإيجاز شديد أهم اختصاصات ملوك اليمن وسلاطينها في العصرين الأيوبى والرسولى ، ومن أبرزها تعيين كبار الموظفين وعزلهم ، وينطبق ذلك على العسكريين منهم والمدنيين على حد سواء [1] ، ومنح الألقاب والرتب لخواصه والمقربين إليه [2] ، والحق في فرض الضرائب وتقديرها وتعديلها واصدار المراسيم بإلغائها [3] ، واصدار الأوامر بالمصادرات التى تجرى على المغضوب عليهم، والخارجين عن طاعته [4] ، والحق في العفو الشامل عن المسجونين متى تحققت له براءتهم وأبلغ بأمرهم [5] ، كذلك كان من اختصاصاته منح الإقطاعيات للعديد من أبناء أسرته ، أو من يلوذ به من كبار رجال الدولة ، وحق تعديلها أو استردادها منهم [6] ، واصدار المراسيم بالمسامحات الضريبية لمن يشاء [7] ، وقيادة الجيش بنفسه في العديد من الحروب التى دارت رحاها على أرض اليمن ضد الجماعات المناوأة له ، وعلى رأسها دولة الأئمة الزيدية [8] .

ويذكر القلقشندى أيضاً أنه في حالة احتياج أحد من جنده أو غلمانه أو أعيان الدولة وأمرائها إلي مراجعته في أمر من الأمور، يكتب إليه قصة يلتمس فيها

---

(1) رجع في ذلك : ابن عبد المجيد : _بهجة الزمن_ ، ص ٢٧٩ ، ٢٨١ الخزرجى : _العقود_ ، جـ ١ / ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٩ ، ٧٦ _ ٧٧ ، ٣٥٢ ، جـ ٢ / ١٤١ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ؛ مجهول : _تاريخ الدولة الرسولية_ ، ص ١٤٧ ، ٢٤٧ ، ٢٧٩ _ ٢٨٠ .

(2) الخزرجى : _العقود_ ، جـ ١ / ٢٠٧ .

(3) الخزرجى : _المصدر السابق_ ، جـ ٢ / ١٣٥ ، جـ ١ / ٢٦٨ .

(4) الخزرجى : _العسجد_ ، ورقة ١٠٢ ، ١٩١ ، _العقود_ جـ ٢ / ٥٩ _ ٦١ ، ١٢٧ ، _الكفاية_ ، ورقة ٧٧_ ٧٨ ، ١٥٢ _ ١٥٣ وانظر أيضا ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٤٤ .

(5) ابن حاتم : _السمط_ ، ص ١٩٣ ؛ الخزرجى : _العقود_ ، جـ ٢ / ١٤ ، ١٤٦ ، ١٥٨ ، ٢٤٩ ، جـ ١ / ١٩٩ ، ٢٠٥ ، ٢١٥ _ ٢١٦ ، ٣٣٣ ، ٣٥٢ ؛ بامخرمة : _تاريخ ثغر عدن_ ، جـ ٢ / ١٤٨ ، ٢٤٣ ؛ يحيى بن الحسين : _انباء الزمن_ ، ق ٢٩٢ .

(6) ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٣٨ _ ٣٩ ، ١٥٩ ، ٢٠١ _ ٢٠٢ ؛ مجهول _تاريخ الدولة الرسولية_ ، ص ١٠٧ ، ١١٨ ، ١٣٦ ، ٢٥١ ، ٢٨٦ ؛ الخزرجى : _العقود_ ، جـ ١ / ٨١ _ ٨٢ ، ١٩٦ ، ٣٠٢ ، ٣٢٣ ، ٣٣٩ ، _الكفاية_ ق ١١٢ .

(7) الخزرجى : _العقود_ ، جـ ٢ / ٦٢ _ ٦٣ ، ١٢١ ، ١٣٥ ، ١٤٧ ؛ مجهول : _تاريخ الدولة الرسولية_ ، ص ٧٥ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ٢٧٠ ، ٢٨٠ .

(8) راجع امثلة ذلك في : ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٨٩ وغيرها من المواضع ؛ الخزرجى ، _العقود_ ، جـ ١ / ٦٤ ، ٧٦ ، ٧٩

مشورته ، فيكتب عليها السلطان بخطه ما يراه صائباً ، والشئ نفسه عند النظر في المظالم ، وهى من اختصاصه ، فإذا رفعت إليه المظلمة كتب عليها بخطه ما من شأنه إنصاف المظلوم [١] .

كذلك لقيت الشئون الخارجية مزيداً من الاهتمام من قبل حكام اليمن لاسيما سلاطين بنى رسول ، وتزخر المصادر اليمنية على اختلافها بالاشارات العديدة عن تبادل الرسل والسفارات بين سلاطين بنى رسول وملوك وأمراء الدول المجاورة المعاصرة لهم ، لاسيما تلك الدول ذات العلاقات التجارية المتميزة منها [٢].

ونظراً لأهمية تلك السفارات في تدعيم أواصر الصداقة وتنشيط الحركة التجارية ، عماد الاقتصاد اليمنى مع تلك الدول ، والأهمية المتزايدة للنشاط الدبلوماسى في تلك الفترة ؛ حرص سلاطين تلك الدولة حرصاً بالغاً على التدقيق والعناية الشديدة في اختيار من يمثلهم في هذه السفارات ، وبخاصة اختيارهم من ذوى الصلة والمقربين إليهم من أهل الثقة ، ومن تتوافر فيهم صفات الأمانة والفصاحة والإخلاص [٣] .

جـ- وظائف البلاط اليمنى

نقل الأيوبيون معهم عند ورودهم إلي اليمن الكثير من رسوم الدولة الأيوبية ونظمها المعمول بها في مصر والشام ؛ بل واصطحبوا ضمن حملاتهم المتعددة إلي تلك البلاد لإقرار أوضاعها تحت سيطرتهم الكثير من أرباب هذه الوظائف بهدف الاستعانة بهم في تنظيم بلاط الحكم في اليمن ؛ واستقدموا عدداً آخر منهم طوال سنى حكمهم لليمن [٤] .

---

[١] القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ / ٣٣ (بيروت) ؛ العمرى : مسالك الأبصار ، ص ١٥٣ .
[٢] عن هذه السفارات راجع ص.
[٣] راجع امثلة لذلك في بامخرمة : قلادة النحر وفيات أعيان الدهر ، جـ ٣ / ورقة ٨٩٨ ؛ الخزرجى : العقود جـ ١ / ٩٦ – ٩٧ .
[٤] على سبيل المثال : راجع : ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص ٢٧٩ ، ٢٨١ الذى يتضمن ما يشير إلى إستخدام المؤيد لصاحب مؤلف بهجة الزمن (عبد المجيد بن عبد الباقى) وذلك سنة ٧١٧ هـ / ١٣١٧ م ليوليه كتابة انشائه ، كما استقدم القاضى صفى الدين الواسطى وفوض إليه شد الإستيفاء، علاوة على استقدامه للأمير علاء الدين كشدغدى . وراجع أيضاً : الخزرجى : العقود ، جـ ١ ، ٣٣٩ ، ٣٤٢ ، ٣٤٨ .

وعندما استقرت دعائم الحكم الأيوبي في اليمن على يد الملك العزيز سيف الإسلام طغتكين ، عمد إلي تنظيم البلاط اليمنى وإدارات الحكم ، وإليه ينسب الفضل في إقرار قواعد الملك هناك ، ووضع نظام الضرائب السلطانية في الدواوين ، وسن القوانين [١] ، ومع توطيد دعائم المُلك الأيوبي ثم الرسولى واتساع دائرة نفوذهما تعددت الاختصاصات الإدارية ، وزخر البلاط اليمنى بالعديد من الوظائف الديوانية اللازمة لإدارة شئون الحكم في البلاد . وممن أسهم في ادارة البلاط اليمنى في العهدين الأيوبي والرسولى من كبار موظفى الدولة :

صاحب الباب: [٢] أو الحاجب ... وهى وظيفة قديمة ، مهمة صاحبها تنظيم الدخول على الملك ، والوساطة بين الملك أو السلطان والرعية ، ويُعرف أيضاً بالقائم بالباب [٣] ، وكان يركب أمام الملك ، ويتصدى للفصل في المظالم [٤] ويذكر ابن بطوطة في معرض حديثه عن وظيفة الحاجب في اليمن في عصر الدولة الرسولية أنه كان يجلس بين يدى السلطان في أحد المجالس التي حضرها الرحالة بنفسه [٥] .

ومن أبرز من شغل وظيفة الحاجب أو صاحب الباب في البلاط الأيوبي باليمن الأمير شمس الخواص الذى تولى خطة صاحب الباب للمعز إسماعيل بن طغتكين"وكان صاحب بابه وبيته وإليه امر الجند كافة ، وكان حسن السيرة فيهم والإنصاف لهم،ومحسناً إليهم حتى استمال قلوبهم ،وملكها ، فصار عندهم آثر من الملك المعز"[٦]، والأمير غازى بن جبريل الذى شغل هذه الوظيفة على عهد الملك الناصر أيوب بن طغتكين ، وعظم أمره بعد أن أقامه الناصر على بابه ، فصار أستاذ

---

[١] ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٣٩ ؛ ابن الديبع : _قرة العيون_ ، ص ٢٨٠ .
[٢] الخزرجى : _الكفاية_ ، ق ٨٨ .
[٣] بامخرمة : _تاريخ ثغر عدن_ ، جـ ٢ / ٨٠ .
[٤] القلقشندى : _صبح الأعشى_ ، جـ ٤ / ١٩ ، جـ ٥ / ٤٥٠ .
[٥] ابن بطوطة : (أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتى الطنجى (ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م) : رحلة ابن بطوطة المسماة "_تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار_ " ، نشر وتحقيق ديفر ميرى وسانجونيتى ، (٤ أجزاء) باريس ١٨٥٤ م ، جـ ٢ / ١٧٤ .
[٦] ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٤٩ وللمزيد عن شمس الخواص وخروجه على المعز وخلافه معه ثم القبض عليه ونفيه إلي دهلك ووفاته هناك : راجع _السمط_ ، ص ٥٠ ــ ٥٨ .

داره واتابكه " والناقض والمبرم " [١] ، والأمير نور الدين عمر بن رسول (المنصور الرسولى فيما بعد) الذى شغل ذات الوظيفة على عهد الملك المسعود يوسف بن الكامل محمد " فكان عنده من المكانة بالمحلة القصوى .... [و] سلم إليه بابه ، وجعله استاذ داره " [٢] .

وظلت هذه الوظيفة قائمة في البلاط اليمني في عهد دولة بني رسول ، ومن أشهر من شغلها على سبيل المثال زمن المجاهد الرسولى الأمير شجاع الدين بن يوسف بن منصور الذى جمع بين وظيفة أتابك العسكر ، ونيابة السلطنة. ومنصب صاحب الباب ، وعظمت مترلته لدى المجاهد " وغلب على الباب وحملت له الطبلخاناه ، وضبط الباب ضبطاً عظيماً ، وكان من أذكياء الرجال ودهاتهم وأعرفهم بتدبير المملكة " [٣] ، والأمير جمال الدين يوسف بن يعقوب بن الجواد المعروف بالخصى [٤] ، وجمال الدين محمد بن مؤمن وكان يشغل ذات الوظيفة في عام ٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م [٥] .

ويلاحظ مما سبق أن صاحب هذه الوظيفة كان يتم اختياره من بين كبار أمراء الجند ، وتوضح لنا النصوص المذكورة مدى أهمية هذه الوظيفة ، وأنها كانت تدخل في قائمة أهم وظائف البلاط اليمنى ، وكان صاحبها من كبار رجال الدولة بعد الجالس على دست السلطنة ، وكان يجمع في يده إلي جانب وظيفة صاحب الباب عدداً آخر من الوظائف الهامة .

---

[١] ابن حاتم : *السمط* ، ص ١٤٨ ؛ ابن عبد المجيد : *بهجة الزمن* (نسخة الحبشى) ص ١٣٦ ؛ يحيى بن الحسين : *أنباء الزمن* ، ص ٦٧ ؛ الكبسى : *اللطائف السنية* : ق ٤٢ .

[٢] ابن حاتم : *السمط* ، ص ١٩٣ ؛ الخزرجى : *الكفاية* : ق ٨٨ ويذكر الخزرجى في عبارة أشمل أنه (أى المسعود) قلده أموره كلها ومن بينها أن يكون صاحب بابه واتابكه (*العقود* ، جـ ١ / ٤٦ ، *الكفاية* ق ٨٨) .

[٣] الخزرجى : *لعقود* ، جـ ٢ / ١٣ ، ١٤ .

[٤] وكان ذلك زمن المنصور أيوب بن المظفر يوسف الذى غلب على المجاهد عام ٧٢٢ هـ / ١٣٢٢م وتمكن من عزله واعتلى دست السلطنة لمدة تتروراح ما بين ثمانين يوماً إلي تسعين يوماً ، استطاع بعدها مماليك المجاهد إطلاق سراحه وإعادته إلي عرشه . وفي خلال تلك الفترة غيّر المنصور في مناصب الإدارة ففوض نيابة السلطنة إلي الأمير شجاع الدين عمر الشهابى ثم عزله بجمال الدين يوسف الخصى " وفوض إليه أمر الباب بكماله " ولمزيد من التفاصيل أنظر الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ / ١٤ ـ ١٧ ؛ *الكفاية* ١٥٥ ـ ١٥٧

[٥] الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ / ٥٥ ، *العسجد* ، ق ٢١٣

وقد دفعت تلك الأهمية المتزايدة لشاغلي هذه الوظيفة بعضاً منهم إلي التطاول إلي أبعد من ذلك ، ومزاحمة صاحب السلطان ومحاولة الجلوس مكانه . مثال ذلك ما فعله الأمير غازي بن جبريل الذى تعاظمت مكانته زمن الناصر الأيوبي واستبد بالأمر دونه ، وانتهى الأمر بغازي إلي التخلص من الناصر أيوب والجلوس مكانه على دست الملك كما سبق أن أوضحناه [١] .

ويمكن القول بأن سلطة شاغل هذه الوظيفة شأنها شأن العديد من وظائف البلاط كانت تتوقف على مدى قوة أو ضعف الجالس على عرش البلاد ، بدليل أننا أحياناً لا نجد ذكراً لهذه الوظيفة في عهود بعض السلاطين العظام .

الأستدار: [٢] تُعد وظيفته من أكبر وظائف البلاط ، وكان صاحبها " يتحدث " " في أمر بيوت السلطان كلها " وما تحتاج إليه من الطعام والشراب واللباس ، وإليه يرجع أمر الحاشية والغلمان ، وله مطلق التصرف في استحضار ما يحتاج إليه كل من في بيت السلطان من النفقات والكسوات ، وإصدار الأمر بتسديد أثمانها بعد ورودها [٣] .

وتعد هذه الوظيفة من أقدم الوظائف التي عرفها البلاط الأيوبي في بلاد اليمن ويبدو أن أول من شغلها كان من بين من رافق الملك المعظم شمس الدولة توران شاه عند مجيئه فاتحاً لبلاد اليمن كما يفهم من رواية ابن خلكان [٤]، واستمرت هذه الوظيفة قائمة في بلاط السلطان وعظم شأنها في العصرين الأيوبي والرسولي،وصار صاحبها يختار من بين كبار أمراء الجند، كما أسندت إليه أحياناً

---

[١] _راجع ما سبق_ ، ص ٤٢ .

[٢] هذا الاسم مركب من لفظين فارسين أحدهما أستذ بمعنى أخذ ، والثانية دار ومعناها الممسك ، والمعنى العام يتولى الأخذ وعرف بذلك لكونه يتولى قبض المال (راجع : القلقشندى : _صبح الأعشى_، جـ ٥ / ٤٢٩) ؛ وراجع أيضاً : السبكي :_تاج الدين عبد الوهاب_ ت ٧٧١ هـ / ١٣٦٩ م ، معيد النعم ومبيد النقم ، تحقيق محمد على النجار وأخرون ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٢٦ ح ٤ .

[٣] القلقشندى : _صبح الأعشى_ ، جـ ٤ / ٢٠ .

[٤] ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد) ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م : _وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان_ ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط١ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٤٨ ، جـ ١ ، ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥ ؛ الخزرجي: _العسجد_ ، ق ٩٣ .

قيادة بعض التجريدات العسكرية التي كان ينفذها السلاطين ضد الخارجين عليهم [١] .

ولعل أشهر من تولى هذه الوظيفة زمن الملك المسعود اثنان من البيت الرسولى هما الأميران بدر الدين حسن ، ونور الدين عمر بن على بن رسول [٢] ، وفي عصر دولة بني رسول تولى هذا المنصب عدد من كبار أمراء الجند ، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر : الأمير علم الدين سنجر وشغل هذه الوظيفة للمنصور نور الدين مؤسس الدولة الرسولية [٣] وتولاها زمن المظفر الرسولى عدة أفراد نذكر منهم الهمام إبراهيم وكان يلى ذات الوظيفة أيام الأمير المظفر وقبل اعتلائه دست السلطنة [٤] والأمير شمس الدين ازدمر المظفرى ، والأمير الشجاع بن سعد الدين [٥] ، والأمير بدر الدين محمد بن عمر بن ميكائيل الذى شغل هذه الوظيفة في عهد المؤيد الرسولى [٦] وممن تولاها زمن المؤيد أيضاً الأمير سيف الدين طغربل (ت ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م) [٧] ، وفي عهد المجاهد عَلَيّ أمدتنا المصادر بأسماء عدد ممن شغل هذه الوظيفة منهم الأمير غياث الدين بن بوز [٨] والأمير شرف الدين بن حباجر [٩] والأمير صارم الدين داود كشدغدى [١٠] وتولاها زمن الأشرف الثاني الأمير غياث الدين عيسى بن حسان [١١] .

وجدير بالذكر أن الأستدار كان يقوى نفوذه في الدولة أحياناً وتتوطد مكانته تماماً ويتمثل هذا النفوذ في جمعه لعدد من المناصب إلي جانب وظيفته

---

[١] راجع : ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص ٩٧ ، ١٠٩ (نسخة حجازى) ؛ الخزرجي : الكفاية ، ق ١٤٢ .
[٢] ابن حاتم : السمط ، ص ١٧٣ ، ١٩٧ .
[٣] ابن حاتم : المصدر السابق ، ص ٢٣٤ .
[٤] ابن حاتم : نفسه ، ص ٢٦٧ .
[٥] ابن حاتم : السمط ، ص ٢٣٦ ؛ ابن عبد المجيد : بهجة الزمن (نسخة حجازى) ص ٩٧ ؛ الخزرجي : العقود ، جـ ١ / ١٨٣ .
[٦] ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص ١٠٩ ؛ الخزرجي : الكفاية ، ق ١٣٢ ، العقود ، جـ ٢ / ٢٦٠ ، العسجد ، ١٦٥ .
[٧] الخزرجي : الكفاية ، ق ١٤٦ .
[٨] ابن عبد المجيد : نفسه ، ص ١٤٣ .
[٩] الخزرجي : العقود ، جـ ٢ / ٥٤ ، العسجد ، ق ٢١٢ .
[١٠] الخزرجي : العقود ، جـ ٢ / ٦٧ .
[١١] الخزرجي : نفسه ، جـ ٢ / ٢٠١ .

الأصلية ، وممن برز من الأستدارية الأمير جمال الدين يوسف بن الجـواد الـذى وصفته المصادر بأنه كان " أميراً كبيراً عالى الهمة حسن التأنى في الأموال " ، قـد أنضاف إليه إلي جانب وظيفة الأستدار وظائف أخرى منها نائب السلطنة وأتابك العسكر وشاد الدواوين [١] ، والأمير غازى بن جبريل الذى كان أستدارا للملـك الناصر أيوب إلي جانب كونه صاحب بابه وأتابكه ووزيره [٢] .

---

[١] الخزرجي : نفسه ، جـ ١ / ٣٥٨ ، *الكفاية* ، ق ١٥٣ .
[٢] ابن عبد المجيد : *بهجة الزمن* ، (نسخة حجازى) ، ص ٨١ ، راجع ما سبق ص ٤٧ من الرسالة

أميـــرعلم:

وهو لقب كان يطلق على من يشرف على أمر الأعلام والرايـــات الــتى تحمل شعار الدولة الخاص والطبلخاناه السلطانية وهى بيت الطبل الــذى يشــتمل على الطبول والأبواق وتوابعها من الآلات الموسيقية [1] ، وكانت الأعلام والرايات ترفع والطبول تدق على أبواب القصور السلطانية في أوقات محددة [2] ، وكان امير العلم يصحب الجيوش في ميادين القتال ،حيث كانت الأعلام والطبول والأبــواق تصاحب الجند وكان يستعان بها في إشعار الجند بالاستعداد للتجمع أو الرحيــل ، واستعداداً لبدء الحرب،كما كان يستعان بها لإثـــارة الحميـــة وإعـــلان الفرحـــة بالنصر[3]. كما كانت تدق الطبول وترفع الرايات والأعـــلام ابتــهاجاً بوصـــول السلطان من سفر أو حج [4] ولم يكن يسمح لأحد بأن تدق له الطبلخاناة إلا بأمر السلطان ولمن يحددهم من أمراء الجند وأعيان الدولـــة الــذين يرغـــب في رفـــع منـــزلتهم فيأمر بأن تحمل إليهم أحمال الطبلخاناه والأعلام ، كـــل علـــى قـــدر منـــزلته [5] ، منهم من كان يتسلم علماً وحملاً واحداً . مثال ذلك ما امدنا بـــه الخزرجى من إصدار المظفر الرسولى أوامره إلي بنى فـــيروز أصـــحاب إب بحمـــل طبلخاناه رفعاً لمنـــزلتهم وتقديراً لفعلهم الجيد حيث قاموا على دفن والده المنصور اثناء تغيبه فيقول " وكان السلطان الملك المظفر يعرف ذلك لهـــم .... وأقطعهـــم إقطاعات ، وحمل لشمس الدين طبلخاناه ولأخيه فخر الدين أخرى وكانت لهـــم عنده خطوة عظيمة " [6]. وممن حُمل لهم حملاً واحداً الأمير عمر بن يوسف بـــن منصور صاحب الباب زمن المجاهد [7] والقاضى وجيه الدين عبد الرحمن العلـــوى

---

(1) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٤ ، ص ٨، ١٣ ، جـ ٥ / ص ٤٢٨ [طبعة بيروت] ، السبكى: معيد النعم، ص ٣٧ .

(2) ابن بطوطة : الرحلة ،ص ١٨٨ ـ ١٨٩ .

(3) راجع مثال لذلك : الخزرجى : الكفاية والاعلام ، ص ١٣٣ ، العقود ، جـ ١ / ١٨٤ ، ١٨٥ ، السبكى : معيد النعم ، ص ٣٧ .

(4) الخزرجى : العقود ، جـ ٢ / ٨٠ .

(5) راجع امثلة لذلك في · ابن حاتم : السمط ، ص ٩٥ ـ ٩٦ ، ٢٠٢ ؛ الخزرجى : العسجد ، ق ٢٠٩، العقود ، جـ ١ / ٣٣٦ ، جـ ٢ ، ١٣ ـ ١٤

(6) الخزرجى : العسجد ق ١٢٢

(7) الخزرجى : العقود ، جـ ٢ ١٤

أمير المحالب وحُمل له حملاً وعلماً[١] وهناك من أمر السلطان بأن يحمل إليه أربعة أعلام وأربعة أحمال من الطبلخاناه مثل ابن الشوع أحد أعيان ذمار الذى قدم إلى الجَنَد فأمر المجاهد أعيان الجند باستقباله"..وحمل له..أربعة أحمال طبلخاناه وأربعة أعلام"[٢]،ومنهم من كان يحمل إليهم خمسة احمال طبلخاناه وخمسة أعلام كبهادر الصقرى شاد الدواوين في عهد المجاهد[٣]ومنهم من أمر له السلطان بما يزيد عن ذلك دليلاً على مدى ارتفاع منـزلته ومكانته مثلما فعل المؤيد الرسولى سنة ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠م مع أحد الأشراف الموالين له وهو عماد الدين ادريس بن على بن عبد الله الحمزى " حيث أمر له بسنجق (راية) وعشرة أحمال طبلخاناه [٤] .

ومن أشهر من تولى هذه الوظيفة زمن بنى رسول الأمير حسام الدين لؤلؤ التوريزى ، والذى كان مقدماً للمماليك في الحملة العسكرية التى وجهها المظفر الرسولى لفتح ظفار الحبوضى سنة ٦٧٨ هـ / ١٢٧٩[٥] ، والأمير سيف الدين قيسون أمير علم السلطان الأشرف الثانى وذلك عام ٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ [٦] .

الخزندار: [٧]

وهو الذى يتحدث على خزانة السلطان ومهمته تنحصر في الإشراف على أموال الملك أو السلطان ، واخراج ما يؤمر بإخراجه – سواء من قِبل الملك أو

---

[١] الخزرجى : العقود ، جـ ٢ / ٢٠٦ .

[٢] الخزرجى : العقود ، جـ ٢ / ٣٤ – ٣٥ . وانظر أيضا نفس المصدر جـ ٢ / ٦١ عن أمر السلطان لقاضى القضاة ابن مؤمن بأربعة أحمال طبلخاناه وأربعة أعلام .

[٣] الخزرجى : العقود ، جـ ٢ / ٣٤ .

[٤] ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، (نسخة حجازى) ص ١١٢ ، ونلاحظ أن نسخة الحبشى قد اسقط منها لفظ السنجق ، بينما وردت نفس الرواية بشكل عام دون تحديد عدد الطبلخاناه في العقود اللؤلؤية، مع اختلاف في مبلغ الانعام المالى . راجع : بهجة الزمن (نسخة الحبشى) ص ٢٠٣ ؛ الأفضل الرسولى : العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية ، مخطوط مصور على ميكروفيلم تحت رقم ١٧٩٧١ بدار الكتب المصرية عن النسخة رقم ٣٥١ تاريخ ، ق ٣٣ ؛ الخزرجى: العقود ،جـ ١ / ٢٧٢ .

[٥] الخزرجى : العقود ، جـ ١ / ١٨٣ .

[٦] الخزرجى : العقود ، جـ ٢ / ٢٠١ . ولم تمدنا المصادر المتاحة بمن تولى هذا المنصب زمن الأيوبيين ، بل نلاحظ أن هناك عدداً من الوظائف قد أهملت المصادر ذكرها ابان الحديث عن فترة الحكم الأيوبى لبلاد اليمن ، بينما أفاضت الحديث عنها في عهد بنى رسول .

[٧] الكلمة من مقطعين احدهما خزن وهى عربية من الخزانة ، والثانية دار وهى فارسية بمعنى الممسك أو المتولى فيصبح المعنى ممسك الخزانة أو المتولى لأمرها ؛ راجع : السبكى : معيد النعم ، ص ٢٦ ، هـ ١ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٥ [طبعة بيروت] ص ٤٣٥ .

الأستدار – من هذه الأموال للصرف على نفقات الحاكم الخاصة ، أو نفقات القصر والحاشية ، كما كان يتولى الإشراف على ما تحتويه هذه الخزانة من المؤن والكساوى وغيرها ، ويقوم بصرفها حسب مقتضى الحاجة ووفقاً للأوامر الصادرة إليه [١] ، وكان صاحب هذه الخطة يختار من بين ذوى الأمانة والخلق [٢] .

وكانت خطة الخزندار من الخطط المعروفة منذ عهد توران شاه ، وكان يطلق على صاحبها أيضاً متولى الخزانة [٣] ، ومما يؤسف له أن المصادر المتاحة التي تناولت الحكم الأيوبى في اليمن لم تمدنا بأسماء من تولى هذه الوظيفة للملوك الأيوبيين في اليمن ، رغم أن هذه الوظيفة استمرت طوال العهد الأيوبى وحتى نهاية عهد الملك المسعود ، وكان الخزندار يصاحب الملك دائماً في أسفاره ، إذ يذكر الحنبلى أن الملك المسعود عند عودته الثانية للديار المصرية كان خزنداره مصاحباً له في العودة ، وإثر وفاته بمكة واصل الرحلة بمتعلقات المسعود إلى مصر [٤] .

ونستنتج من النصوص التاريخية أنه كان لكل سلطان من سلاطين بني رسول أكثر من خزندار واحد ولعل لذلك ارتباطاً بتعدد القصور الرسولية في البلاد والتي اعتاد سلاطين بني رسول النزول بها عند انتقالهم من مكان إلى آخر ،ويعبر القلقشندى عن ذلك بقوله : " وصاحب اليمن لا ينزل في أسفاره إلا في قصور مبنية له في منازل معروفة من بلاده ، فحيث أراد النزول بمنزلة وجد بها قصراً مبنياً ينزل به " [٥] ، ويؤيد ذلك ما أوردته المصادر من نعوت مختلفة لصاحب هذه الوظيفة فمرة ينعت متولى الخزانة باسم الخزندار أو أمين خزندار ،ومرة أخرى تشير لبعضهم باسم أمير خزندار مما يوحى بتعدد هؤلاء الخزندارية للملك أو السلطان الواحد ويرأسهم جميعاً موظف كبير يعرف باسم أمير خزندار وهو يعد المسؤول الأول عن خزانة الدولة الرسولية[٦].

---

[١] الخزرجى : العقود ، جـ ٢ / ٢١٢ ؛ القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٤ / ٢١ ، جـ ٥ / ٤٣٥ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص ٣٤٨ – ٣٤٩ .

[٢] السبكى : نفس المصدر والصفحة .

[٣] الخزرجى : العسجد ، ق ٩٣ ؛ الحنبلى : شفاء القلوب ، ص ٥٣ .

[٤] ابن حاتم : السمط ، ص ١٩٥ ؛ الحنبلى : شفاء القلوب ، ص ٣٦٥ .

[٥] القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ / ٣٤ [بيروت] ؛وراجع أيضا : العمرى : مسالك الأبصار ، ص ١٥٣.

[٦] الخزرجى : العقود ، جـ ١ / ٣٥٤

ومن أشهر من تولى هذه الوظيفة في عصر دولة بني رسول وامدتنا المصادر بأسمائهم الأمير نجم الدين أحمد بن أزدمر الخزندار المظفرى [(١)] ، والأمير سيف الدين طغريل خزندار المؤيد الرسولى [(٢)] ، والأمير بهاء الدين بهادر أمين خزندار الأشرف (ت ٨٠٢ هـ / ١٣٩٩ م) [(٣)] ، والطواشى جمال الدين ثابت الخزندار الأشرفى [(٤)] (ت ٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م) والطواشى نظام الدين خضير وعرف بالخزندار الأشرفى (ت ٨٠٤ هـ / ١٤٠١ م) [(٥)] ، وممن حمل لقب أمير خزندار الأمير شمس الدين اطينا وكان أمير خزندار المؤيد [(٦)] ، واقباى أمير خزندار المجاهد[(٧)] .

أميـــرجاندار: [(٨)]

وهو رئيس الجنادرة ويقف على رأس السلطان في مجلسه ، بينما يقف الجنادرة على بعد [(٩)] ، ويتولى هو وطائفته مهمة تنظيم الوقوف والقعود بين يدى السلطان وطبقاً لأوامره [(١٠)] . وقد عرفت اليمن هذه الوظيفة في العصر الأيوبى ، إذ يشير المقريزى إلي وجود طائفة الجنادرة على عهد المسعود يوسف وأنه صحب جماعة منهم عندقدومه على رأس الحملة المتوجهة إلي اليمن [(١١)] ، كما كانوا بصحبته عند خروجه إلي مكة للحج ، فكانوا يحيطون به عند نومه بالمسعى محافظة على حياته ولمنع الحجيج من التشويش عليه [(١٢)] ، وقد استمرت هذه الوظيفة وتلك الطائفة باليمن طوال عصر الرسوليين وتعددت مهامها فبالإضافة إلي قيام

---

(١) الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ / ١٤ .
(٢) الخزرجى : *العقود* ، جـ ١ / ٢٧٤ .
(٣) الخزرجى : *الكفاية* : ق ٢٣٤ .
(٤) الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ / ١٨٣ .
(٥) راجع : ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٣٨٨ .
(٦) الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ / ١٤ .
(٧) الخزرجى : *العسجد* ، ق ٢١٢ .
(٨) ومعناها المحافظ على شخص السلطان وحمايته أى يقوم بعمل رئيس الشرطة ، راجع عن أصل اللفظ ومعناه : القلقشندى : جـ ٥ / ٤٣٣ [بيروت] .
(٩) ابن بطوطة : *الرحلة* ، جـ ٢ / ١٧٤ ، ونلاحظ أنه كان يطلق على الجنادرة اسم الشاوشية ، أى الشرطة بالمعنى الحديث .
(١٠) ابن بطوطة *المصدر نفسه* ، ص ١٧٤ ـ ١٧٥ .
(١١) الخزرجى *العقود* ، جـ ١ / ٣١٨ .
(١٢) المقريزى : *الذهب المسبوك* ، ص ٧٧ . وراجع أيضا الحنبلى : *شفاء القلوب* ، ص ٢٦٣ .

صاحبها بالمحافظة على حياة السلطان ، وحمايته من تكالب عامة الرعية عليه [١] ، كانوا يكلفون بمهام أخرى منها السير للقبض على المخالفين للسلطان أو المطلوب القبض عليهم للتحقيق معهم فيما ارتكبوه من جرائم ، وغالباً ما كان هؤلاء من كبار رجال الدولة ، ويشير الخزرجي إلي مثال لذلك يرجع لعهد المجاهد الرسولى عندما أمر بإرسال طائفة من الجنادرة للقبض على جمال الدين بن مؤمن صاحب الباب فهاجموا بيته " ونزعوه من يده وجاءوا به إلي الباب الشريف " ثم أضافه السلطان لأمير جاندار الذى عمد إلي استصفاء ماله مقابل إطلاق سراحه ، فضمنه أهله بعشرة آلاف دينار قاموا بدفعها ،فأطلق سراحه في ذات اليوم [٢]، وهى إشارة هامة تفيد بأن من بين المهام الموكولة لأمير جاندارالإشراف على المتحفظ عليهم من رجال الدولة ، وأن مدة التحفظ عليهم كانت موكولة بدفع ما قرر عليهم من مغارم من ناحية ، أو سرعة الإجهاز عليهم وقتلهم متى تحققت التهمة عليهم وكانت خطيرة كالمخامرة على السلطان وخيانته .[٣]

كذلك نفهم من إشارة المقريزى الخاصة بجنادرة المسعود الأيوبي أنهم كانوا يصاحبون الملك في أسفاره للذب عنه وحمايته ، وهو الأمر الذى يؤكده الخزرجى في إشارة أخرى من عصر الرسوليين عندما يتحدث عن خروج المجاهد للحج عام ٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م ، فيذكر أن الأمير جاندار المصاحب له هرب من الخدمة بغية الانقطاع للعبادة والتنسك والتوبة ، فأقر السلطان في وظيفته أميراً آخر وهو الأمير حسام الدين لاجين [٤] . ومن بين المهام المسندة لأمير جاندار قيادة التجريدات العسكرية التى يسيرها السلطان لاخضاع المتمردين وضبط الأمن في المناطق المضطربة مثال ذلك ما حدث في عام ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م ، حينما سيّر المؤيد أمير جانداره ويدعى شجاع الدين عمر بن القاضى العماد من صنعاء إلي

---

(١) الخزرجى : _الكفاية_ ، ق ١٦٧ ؛بامخرمة : _تاريخ ثغر عدن_ ، جـ ٢ / ١٤٦ .

(٢) الخزرجى : _العقود_ ، جـ ٢ / ٦٠ .

(٣) راجع ما حدث لابن مؤمن بعد اطلاق سراحه ؛ الخزرجى : _العقود_ ، جـ ٢ / ٦٠ ـ ٦١ ؛ وراجع أيضا بامخرمة : _ثغر عدن_ ، جـ ٢ / ١٤٨ ، حيث يوضح أن المغضوب عليهم كانوا غالباً ما يهلكون في اعقاب الترسيم والمصادرة العنيفة والتعذيب .

(٤) الخزرجى : _العقود_ ، جـ ٢ / ٦٧ .

ذمار بقصد محاربة الأكراد المتمردين واخضاعهم للسيطرة المؤيدية بعـد قتلـهم للأمير سيف الدين طغريل الخزندار [١] .

الـزِّمَام:

واطلق هذا اللقب على كبير خدم السلطان ، وتعني الزمام القائم بـأمور القصر من أعمال الخدمة وإعداد الطعام والإشراف على خدم القصر من مماليـك وغيره ، وكان يتولى هذه الوظيفة عادة في العصر موضوع الدراسة جماعـة مـن الخصيان يُعرف الواحد منهم باسم الطواشي [٢] ، وغلبت خدمتهم على أبـواب الحريم ، وكانوا هم خاصة السلطان المقربين [٣] ، وكانت سيدات القصر تعـرف أو تنعت باسم الطواشي الملتزم بزمام بيتها ، فتعرف مثلاً بجهة مختـص نسـبة إلي الطواشي نظام الدين مختص الذى كان زمام بيت السيدة (بنت جـوزة) بنـت الأمير سيف الدين سنقر الأتابك وزوجة الملك المنصور نور الدين عمر الرسولى[٤]، وأيضاً جهة معتب ، وهو الطواشي معتب الأشرفى زمام بيت والدة الناصر أحمـد الرسولى ابن الأشرف الثانى [٥] وجهة صلاح نسبة إلي الطواشي أبو السعود شهاب الدين صلاح ، والجهة هى والدة الملك المجاهد على [٦] .

وكان كل زمام منهم يلقب غالباً باسم سيده فيقال مثلاً تاج الدين بـدر ابن عبد الله المظفرى (ت ٦٤٥ هـ / ١٢٤٧) [٧] وشهاب الدين صلاح بـن

---

(١) ابـن عبدالمجيد: _بهجـة الـزمن_ ، (تحقيـق الحبشـي) ، ص ٢٦٠ ، وتحقيـق (حجـازى) ص ١٢٥؛راجع أيضاً الخزرجي : _العسجد_ ، ق ١٨٢ ، _العقود_ ، جـ ١ / ٣١٨ .

(٢) عمارة اليمنى : أبو محمد نجم الدين بن أبى الحسن الحكمى (ت ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م) : تاريخ اليمن المسمى " _المفيد في أخبار صنعاء وزبيد_ " ، حققه وعلق عليه محمد بن الأكوع ، ط ٣ ، مطبعة العلم ، القاهرة ١٩٧٩ ، ص ٢٢٥ ؛ الخزرجي : _العسجد_ ، ق ٢٢٦ ، ٢٤٥ ، _العقود_ ، جـ ٢ / ١٢٩ ، ١٤٩ ، ٢٠٩ ؛ القلقشندى : _صبح الأعشى_ ، جـ ٤ / ٢٢ ، جـ ٥ / ٣٣ ـ ٣٤ .

(٣) العمرى : _مسالك الأبصار_ ، ص ١٥٢ .

(٤) ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٢٠٢ ، الخزرجي : _العسجد_ ، ق ١١٥ ، الكفاية ٩٢ ، ابن الديبع : _قرة العيون_ ، ص ٣٠١ ، وقد ارتفعت مكانة هذا الطواشي حتى أن المظفر في بداية عهده عهد إليه ببابه وصار منه بموضع الوزارة ، راجع _السمط_ ، ص ٢٧٥ .

(٥) الخزرجي : _العسجد_ ، ق ٢٦٨ ، _الكفاية_ ، ص ٢١٤ .

(٦) الخزرجي : _العقود_ ، جـ ٢ / ٢٦ .

(٧) الخزرجي : _العقود_ ، جـ ١ / ١١٣ ومن مآثره العمرانية قيامه بإنشاء ثلاثة مدارس بزبيد عرفت الأولى بالتاجية (أو مدرسة المبردعين نسبة لصانعى البرادع بجوارها) ، اختصت بتدريس الفقه ، ومدرسة القراءات بزبيد لقراءة القرآن بالسبعة ، ومدرسة للحديث النبوى ، ووقف على كل مدرسة ما يقوم بكفايتها ورتب في كل واحدة مدرساً وطلبة وإماماً ومؤذناً في أوقات الصلاة الخمسة . وأقام =

عبد الله المؤيدى (ت ٧٢٣ هـــ / ١٣٢٣ م) ، ومعتب الأشـــرفى (ت ٧٩٤ هـــ / ١٣٩١ م) نسبة للأشرف الثانى ، والطواشي جمال الدين ظريف الأشـــرفى (ت ٧٩٤ هـــ / ١٣٩١ م) [١] ، وأمين الدين أهيف المجاهدى [٢] .

وفى حالة انتقال الطواشي لخدمة سيد آخر أو سلطان جديد يظل محتفظـــاً باللقب الذى شهر به مثل الطواشي أهيف المجاهدى الذى خدم عدة سلاطين منهم (المجاهد – الأفضل – الأشرف) وظل محتفظاً باسم سيده الأول " المجاهدى " إلي أن توفى عام ٧٨٧ هـــ / ١٣٨٥ م [٣] .

ورغم ما يبدو من تواضع وظيفة الزَمَّام مقارنة بغيرها من وظائف الـــبلاط الأخرى كنائب السلطنة والأستدار وغيرها فإنه كان يؤدى دوراً هامـــاً في هـــذا البلاط حيث كان يقوم – علاوة على إشرافه على البيوتات الســـلطانية – بـــدور حلقة الوصل بين السلطان وكُتّاب ديوان الإنشاء ، ينقل إليهم ما يريد الســـلطان كتابته ثم يحمل ما كتبه الكاتب ليعلم عليه السلطان ، ثم يعيده للكاتب لتنفيـــذه ، وقد وضح ذلك العُمرى بقوله " ... وإنما السلطان إذا دعت حاجتـــه إلي كتابـــة كتب بعث إلي كل منهم ما يكتبه ، فإذا كتب الكاتب ما رسم له به ، بعثه علـــى يد أحد الخصيان ، وقدمه إلي السلطان فعلّم فيه ، ونفذه " [٤] ، ويدل ذلك علـــى مدى ثقة السلطان بأمانة الزمام والاطمئنان إليه في عدم الإفشاء بما اطلع عليه مـــن

=أيضا دار مضيف لاطعام الطعام رتب فيها شيخا ونقيبا وقيما لإطعام الواردين وإماما ومؤذنا للقيام بالصلاة في أوقاتها ؛ وأنظر أيضا : ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٣٢١ .

[١] راجع الخزرجى : _العقود_ ، جـ ٢ / ص ٢٦ ، ١٩٤ ، _العسجد_ ، ق ٢٦٨ .

[٢] الخزرجى : _العقود_ ، جـ ٢ / ١٥٦ ، وقد امدتنا المصادر بأسماء العديد من هؤلاء الطواشية ، راجع الخزرجى ، _العقود_ جـ ٢ / ١٠٣ ، ١٢٩ ، ١٥٧ ، ١٦٦ ، ١٧٣ – ١٧٤ ، _العسجد_ ، ق ٢٠٨ – ٢٠٩ ، ٢١٦ ، ٢٤٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦٠ ، ٢٧٠ .

[٣] اخزرجى : _العقود_ ، جـ ٢ / ١٥٦ ؛ ابن الديبع : _قرة العيون_ ، ص ٢٧٠ ، ٣٧٩ ؛ وانظر أيضا ابن حجر العسقلانى : شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٩ م) _إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ_ ، جـ ٢ ، ط٢ ، نسخة مصورة عن طبعة حيدر أباد ، بيروت ١٩٨٦ ، ص ١٩٥ . ولمزيد من التفاصيل عن الطواشى أمين الدين أهيف ونفوذه المتزايد وإمارته لزبيد مدة طويلة من الزمن ارجع إلي : الخزرجى : _العقود_ ، جـ ٢ / ١٢٨ ، _العسجد_ ، ق ٢٤٤ .

[٤] العُمرى : _مسالك الأبصار_ ، ص ١٦٠ وأيضا القلقشندى : _صبح الأعشى_ ، جـ ٥ / ٣٣ [بيروت] مع اختلاف طفيف في بعض الألفاظ .

أسرار الدولة ، وهذه الثقة والأمانة تبرز أيضاً في تصدرهم لقيادة السفارات الصادرة من سلاطين بني رسول إلي مختلف الجهات ، لاسيما الديار المصرية [١] .

كذلك لعب الطواشية دوراً خطيراً في الحياة السياسية في عصر دولة بني رسول على وجه الخصوص ، مثال ذلك الطواشي تاج الدين بدر الذى استطاع – بعد أن أفرجت عنه الدار شمسي أخت المظفر – المحافظة على مدينة زبيد وحفظ أسوارها ، ومنع المنافسين للمظفر الرسولي الذى كان غائباً في إقطاعه بالمهجم من دخولها في أعقاب اغتيال المنصور نور الدين عمر بن رسول [٢] . ولما استتب الأمر في اليمن للسلطان الملك المظفر كافأه على ذلك ، ورفعه لمرتبة الإمارة وحمل له طبلخاناه ومنحه إقطاعاً جيداً [٣] . كذلك كان لأحد طواشية المظفر أيضاً ويدعى ياقوت المظفرى ، دور هام في تسهيل استيلاء سيده على أمنع حصون اليمن وهو حصن الدملؤة عام ٦٥٠ هـ / ١٢٥٢ م . [٤]

و لم يكتف الطواشية والزمامين بخدمة القصور السلطانية ، بل خرج بعضهم أيضاً على رأس التجريدات العسكرية لقتال الخارجين على السلطنة الشرعية ، ومنهم الطواشي تاج الدين بدر المظفرى السابق ذكره [٥] ، كما تولى العديد منهم ولايات المدن اليمنية كالطواشي مرجان أمير زبيد ، والطواشي مفتاح الذى تولى إمرة عدن [٦] ، والطواشي صفي الدين جوهر الذى تولى إمرة حصن تعز [٧] .

---

[١] راجع أمثلة لذلك في : الخزرجي : العقود ، جـ ٢ / ٨٣ ، ٨٨ .

[٢] ابن حاتم : السمط ، ص ٢٤٨ – ٢٤٩ ؛ الأفضل الرسولي : العطايا السنية ، ق ١٥ ؛ الخزرجي : العقود ، جـ ١ / ٨٧ ، ١١٣ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص ٣١٤ .

[٣] الأفضل الرسولي : العطايا السنية ، ق ١٥ ؛ الخزرجي : العقود ، جـ ١ / ١١٣ .

[٤] راجع : ابن حاتم : السمط ، ص ٢٩٧ – ٢٩٨ ؛ ابن عبد المجيد (بهجة الزمن ، نسخة الحبشي) ص ١٤٧ ؛ الخزرجي :العقود ، جـ ١ / ٩٨ ؛ ابن الديبع :قرة العيون ، ص ٣١٩ . أما حصن الدملؤة : فهو أمنع حصون اليمن وأصعبها مرتقى ويقع إلي الجنوب الشرقي من تعز ، وهو اليوم خرائب وأطلال ، راجع : المقحفي : معجم المدن ، ص ١٦٠ ؛ابن الديبع :قرة العيون ، ص ٢١٨ هـ ١ للمحقق .

[٥] ابن حاتم :السمط ، ص ٣٠٢ ؛ ابن الديبع :قرة العيون ، ص ٣١٨ ؛ ابن عبد المجيد :بهجة الزمن (الحبشي) ، ص ١٤٨ .

[٦] الخزرجي : العقود ، جـ ٢ / ١٥٧ ، العسجد ، ق ٢٥٦ ، الكفاية ، ق ٢٥٧ ؛ ابن حجر : إنباء الغمر ، جـ ٧/ ٢٤٩ .

[٧] الخزرجي : العسجد ، ق ٢٧٠ .

كما استطاع الطواشي أمين الدين أهيف المجاهدى القبض علـى زمـام الأمور بدولة بني رسول أثناء فترة تغيب المجاهد الرسولي في الديار المصـرية عـام ٧٥١ هـ / ١٣٥٠ م ، فضبط البلاد ، وتصدى لكل من حاول الثـورة انتـهازاً لتغيب السلطان ، واستطاع التخلص من أعداء المجاهد وحفظ البلاد باسمه حتى عاد من سجنه بمصر عام ٧٥٢ هـ / ١٣٥١م [١] ، ومما يدل على سعة نفوذه ومـدى ما وصلت إليه مكانته قيامه بإمرة زبيد لمدة خمسة عشرة سنة متصلة وامتد نفـوذه من زبيد إلي عدن وتعز وحرض ، يدلنا على ذلك عبارة الخزرجى حيـث يقـول " كان يحكم وهو في زبيد على من في عدن وفى تعز ومن في حرض " [٢] ؛ حيث أطلق له السلطان يده في البلاد " فلا يعلو أمره أمر " ، وبلغ من سـطوته ونفـاذ كلمته أنه إذا تقدم له أحد بشكوى ضد غريم له ، وكان المشكو في حقه غائباً عن البلد في أى مكان من بلاد اليمن ، كتب له محضراً ، وأرسل به جماعة من الجنـد والأعوان ، فإما أن يُرضى خصمه ، وإلا أن يعود للطواشي ويقيم حجته المضادة ؛ وفي حالة امتناعه عن الوصول أو إرضاء الشاكي ، يقـوم الطواشـى بـإلزام أي شخص من أقاربه (أقارب المشكو في حقه) أو عبيده بتسليم ما توجب عليه ، فإن لم يكن له عاقله في البلاد (أقارب أو عبيد) ألزم الواصلين من أهل بلده التي هـو فيها إلي زبيد بدفع ما ثبت للشاكى من حقوق [٣] .

---

[١] راجع عن ذلك الخزرجى : *العسجد* ، ٢٢٣ ـ ٢٢٤ ؛ *العقود* ، جـ ٢ / ٧٦ ـ ٧٨ ، ٧٩ ؛ ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٣٦٢ ـ ٣٦٤ .

[٢] الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ / ١٢٨ ، ١٥٦ ، *العسجد* ، ق ٢٥٦ ؛ ابن الديبع : *قرة العيون* ، ٣٧٩

[٣] الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ / ١٢٨ وراجع أيضا عن اتساع نفوذ الطواشى أهيف : الخزرجى . *الكفاية* ، ق ١٧٦

٢-نيابة الملك (أو نيابة السلطنة)

هي وظيفة كما هو معروف تتعلق بالنيابة عن الحاكم وصاحبها يقوم بجميع الأعمال التي يقوم بها الملك ؛ طبقاً لما ورد في مرسوم نيابته [(١)] ، وعُرفت هذه الوظيفة عند الأيوبيين في مصر والشام ونقلوهم معهم إلى اليمن ... وكان هؤلاء النواب يتم اختيارهم من أكابر الأمراء وأعيانهم وأقدمهم [(٢)] ممن لهم خبرة تامة في الشئون العسكرية ودراية كاملة بتصريف شئون الدولة . وعملهم كما أوضح القلقشندي يماثل عمل الولاة مثل حماية مناطق نفوذهم ، والإشراف الكامل عليهم ، وتقليد العمال والكتاب ، والتوقيع على الأوامر الإدارية ،وجمع أموال بيت المال ، وصرف الأعطيات والأرزاق للجنود ، وإقامة المساجد والمدارس وتعمير المدن وتمهيد الطرق وغيره [(٣)] .

ويُعد المعظم توران شاه أول من أدخل من الأيوبيين هذه الوظيفة إلي بلاد اليمن [(٤)] حيث عين نواباً له على حكم أقاليم اليمن ومخاليفه فنجده قد استناب عنه في حكم اليمن أربعة نواب [(٥)] ، كما جعل في قلعتي تعز والدملؤه نائباً له من اتباعه ، وكذلك رتب في كل حصن نائباً له [(٦)] ، وقد أعطى كل نائب منهم

---

(١) للمزيد من التفاصيل عن شاغلي هذه الوظيفة واختصاصاتهم : راجع : السبكي : _معيد النعم_ ، ص ٢١ – ٢٤ ؛ القلقشندي : _صبح الأعشى_ ، جـ ٤ / ١٦ - ١٧ ، جـ ٥ / ٤٢٦ – ٤٢٧ (طبعة بيروت) .

(٢) ابن عبد المجيد : _بهجة الزمن_، ص ١٣١ (نسخة الحبشي) ؛ الخزرجي : _العسجد_ ، ص ٩٣ – ٩٤ ؛ ابن الديبع ، _قرة العيون_ ، ص ٢٧١ – ٢٧٢ ؛ يحيى بن الحسين : _أنباء الزمن_ ، ق / ٢٣٣ .

(٣) ابن الديبع : _قرة العيون_ ، ص ٢٧٢ – ٢٧٤ .

(٤) كانت هذه الوظيفة معروفة باليمن قبل ورود الأيوبيين فعرفت عند الزريعيين أصحاب عدن راجع: ابن الديبع : _قرة العيون_ ، ص ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ وكان أشهر نوابهم الشيخ بلال بن جرير المحمدي الذي توارثت أسرته هذا المنصب حتى زوال دولة بني زريع .

(٥) هم الأمير عز الدين عثمان الزنجبيلي وعينه نائباً على عدن وأعمالها ، والأمير مظفر الدين قايماز نائباً على ذي جبلة وأعمالها وحصن التعكر ومخلاف جعفر ، والأمير ياقوت التعزي نائباً عنه في تعز والجند وأعمالها ، والأمير أبو الميمون مبارك بن منقذ نائباً عنه في مدينة زبيد وأعمالها وما يليها من التهائم . راجع عن ذلك : ابن واصل : _مفرج الكروب_ : جـ ٣ / ٢٤٣ ؛ ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٢٠ – ٢١ ؛ ابن عبد المجيد: _بهجة الزمن_ ، (نسخة الحبشي) ، ص ١٣١ ؛ الخزرجي : _العسجد_ ، ق ٩٤ ، العقود ، جـ ١ / ٣٨ ؛ ابن الديبع : _قرة العيون_ ، ص ٢٧٢ ، يحيى بن الحسين : _أنباء الزمن_ ، ق ٢٣١ .

(٦) ابن عبد المجيد : _بهجة الزمن_ (نسخة حجازى) ص ٧٦ ؛ محمد عبد العال أحمد : _الأيوبيون في اليمن_ ، ص٢٠٣ .

صلاحيات واسعة كل في مناطق نفوذه ، وترك السيمن في طريقه إلي الشام ، واستمر هؤلاء النواب موالين للمعظم توران شاه ويرفعون إليه الأموال في كل عام- سواء كان بالشام أو في الديار المصرية ، إلي أن توفي في الإسكندرية عام ٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م [١] – تعبيراً عن ولائهم له . ولعل هذه الصلاحيات التي نالها كل منهم في حدود إقليمه كانت سبباً في نعت المصادر لهم بالنواب [٢] ، ويعبر ابن حاتم عن ذلك بقوله " وقد كان هؤلاء النواب ملوكاً في جهاتهم " [٣] .ويؤكد ذلك أيضاً رفض كل منهم التبعية للآخر ، واستقل كل منهم بجهته ، وأدعى الملك لنفسه وضرب السكة باسمه ومنع أهل بلاده من التعامل بغيرها [٤] ، وكانت هذه الاستقلالية والصلاحيات دافعاً للخلاف فيما بينهم ، الأمر الذى كاد أن يعرض النفوذ الأيوبى باليمن للخطر ، ولذلك سارع السلطان صلاح الدين خشية خروج البلاد عن السيطرة الأيوبية إلي إرسال حملة تأديبية بقيادة صارم الدين خطلبا بن موسى – والي القاهرة – لضبط الأمور باليمن وإصلاح الأوضاع بها [٥] واستقرت أمور البلاد بعد نجاح خطلبا في حملته وإطاعة النواب له ، ولكن سرعان ما وافته المنية فعادت الفتن والفوضى من جديد بين نواب تورانشاه ، مما دفع صلاح الدين إلي تسيير حملة أخرى وضع على رأسها أخيه سيف الإسلام طغتكين للقضاء على هذه الصراعات بين النواب وإقرار الأوضاع في اليمن .

هذا و لم تمدنا المصادر المتاحة بما يفيد وجود نائب للملك في أثناء فترة حكم الملك العزيز طغتكين أو ابنه الملك المعز إسماعيل مما يدفعنا إلي القول بأنهما لم ينصبا نواباً لهما لإدارة شئون البلاد ، بل مارسا مهام الحكم وأعباءه بنفسيهما الأمر الذى يوحى بأن تلك الوظيفة أثناء الفترة الأيوبية لم تكن من الوظائف الدائمة ، وأن وجودها كان يرتبط بقوة الجالس على دست الملك أو ضعفه ، وفي

---

[١] الخزرجى : *العسجد* ، ق ٩٤؛ *طراز الزمن في طبقات أعيان اليمن* ، مخطوط في (جزئين) مصور على ميكروفيلم رقم ٢٩٩٣٥ بدار الكتب المصرية ، ق ٣٨٥ – ٣٨٦ ؛ ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٢٧٣.

[٢] ابن حاتم : *السمط* ، ص ٢٠ ، ٢٣ .

[٣] ابن حاتم : *السمط* ، ص ٢٤ .

[٤] ابن حاتم : *السمط* ، ص ٢٢ .

[٥] عن حملة خطلبا والتجهيزات التى أمده بها صلاح الدين ونجاحه في إقرار الأوضاع باليمن راجع: محمد عبد العال : *الأيوبيون في اليمن* ، ص ١١١ – ١١٥

الحالة الأخيرة تتواجد دائماً مثل هذه الوظائف لعدم قدرة الحاكم على تحمل أعباء الحكم بنفسه من ناحية ، أو مغادرته للبلاد وعدم استقراره بها من ناحية أخرى كما رأينا في حالة المعظم توران شاه ، ومن بعده الملك المسعود كما سنرى في الصفحات التالية .

ويؤيدنا فيما ذهبنا إليه عودة وظيفة النيابة مرة أخرى في الفترة التي أعقبت مقتل المعز إسماعيل في عام ٥٩٨ هـ / ١٢٠١ م ، وصغر سن الملوك الأيوبيين الذين اعتلوا عرش البلاد من بعده ؛ وعدم قدرتهم على تسيير أمورها كما أوضحنا، فكان لابد من وجود النيابة والنواب لتدبير شئون الملك . وقد حدث مثل ذلك في عهد الملك الناصر أيوب بن طغتكين (٥٩٨ – ٦١١ هـ) ، الذى جلس على حكم اليمن وهو طفل ،فتم تعيين الأتابك سيف الدين سنقر نائباً له وأتابكاً، وأدار سنقر شئون البلاد والملك ، ومنح صلاحيات وسلطات واسعة طوال مدة توليه لهذا المنصب حتى وفاته عام ٦٠٨ هـ / ١٢١١ م [١] .

وشغلها بعد وفاته الأمير بدر الدين غازى بن جبريل الذى جمع إلي جانب نيابة الملك عدة وظائف أخرى ، فصار وزيراً للناصر وصاحباً لبابه ومدبراً لمملكته ومتصرفاً في أمورها [٢] ، وقد استمرت هذه الوظيفة حتى نهاية العصر الأيوبي ، فتحدثنا المصادر في أعقاب وفاة الناصر ومقتل غازى بن جبريل ، عن قيام أخوات الملك الناصر بالحكم لإنعدام الذكور في البيت الأيوبي اليمنى ، مع إقامة أحد مماليكهم في منصب النيابة نُعت بالمجاهد ليقوم بتدبير شئون الملك نيابة عنهم [٣] .

---

[١] ابن حاتم :السمط ، ص ٨٤ – ٨٥ ؛ إدريس (عماد الدين بن حسن القرشى) ت ٨٧٢ هـ / ١٤٦٧ م :نزهة الأفكار وروضة الأخبار فى ذكر من قام باليمن من الملوك الكبار والدعاة الأخيار ، مخطوط مصور على ميكروفيلم رقم٤٥٨٦٩ بدار الكتب المصرية ، ق ٤٨ ؛ ابن الديبع :قرة العيون ص ٢٨٦ – ٢٨٧ ؛ يحيى بن الحسين :أنباء الزمن ، ق ٦١ . ولمزيد من التفاصيل عن الأتابك سنقر وأعماله وإدارته لشئون البلاد حتى وفاته راجع : ابن حاتم :السمط ، ص ٨٥ – ١٤٧ ؛ الخزرجى : العسجد ، ورقة ١٠٥ – ١٠٦ ؛ يحيى بن الحسين :أنباء الزمن ، ق ٦١ – ٦٧ ؛ محمد عبد العال أحمد ،الأيوبيون فى اليمن ، ص ١٨٧ – ٢٢١ .

[٢] ابن حاتم :السمط ، ص ١٤٨ ؛ ابن عبد المجيد :بهجة الزمن (نسخة الحبشى) ص ١٣٦ ، (نسخة حجازى) ، ص ٨١ ؛ الخزرجى :العسجد ، ق ١٠٧ ؛ ابن الديبع :قرة العيون ، ص ٢٩٠؛ يحيي بن الحسين :أنباء الزمن ، ق ٦٧ ؛ الكبسى :اللطائف السنية : ق ٤٢ ، ويطلق القلقشندى على نائب الملك أو السلطان نائب الحضرة أو النائب الكافل وهو أعلى مراتب النيابة (صبح الأعشى ، جـ٥ / ص ٤٢٦ [طبعة بيروت]) .

[٣] ابن حاتم :السمط ، ص ١٥٤ ؛يحيى بن الحسين :أنباء الزمن ، ق ٦٨ .

كذلك وجدت وظيفة النائب في عهد الملك المسعود يوسف بن الكامل محمد ، سواء عند قدومه إلي اليمن على رأس الحملة العسكرية التى أنفذها الأيوبيون في مصر لإعادة تثبيت السلطنة الأيوبية في اليمن ، أوفي الفترتين اللتين غادر فيهما اليمن عائداً إلي الديار المصرية ، وفي بداية عهده كان أتابكه ونائبه ومدبر أموره ودولته الأمير جمال الدين فليت [١] ، أما بالنسبة للفترتين اللتين غادر فيهما المسعود اليمن عائداً إلي الديار المصرية فتختلف المصادر في ذكر من تولى نيابة الملك له باليمن أثنائهما ، فقد ذكرت بعض المصادر أن الأمير نور الدين عمر بن على بن رسول هو الذى استخلفه الملك المسعود وعهد إليه بنيابة البلاد خلال السفرتين الأولى عام ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م والثانية ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩م [٢] . بينما ذكر ابن حاتم مؤرخ بنى أيوب في اليمن أن المسعود استخلف في سفرته الأولى على البلاد الحسام لؤلؤ ، بينما استخلف في الفترة الثانية الأمير نور الدين عمر ابن على بن رسول [٣] .

ويبدو من الروايات السابقة أن المسعود أعطى السلطة العليا للحسام لؤلؤ عند سفره في المرة الأولى ؛ بدليل ما ذكره صاحب السمط عند الحاجة للقضاء على أحد الخارجين على الطاعة ويدعى مرغما الصوفى فيقول " ... فجرد له الحسام لؤلؤ مولانا الشهيد(يقصد الأمير نور الدين)في جحفل فخرج له ... " [٤]

---

(١) ابن حاتم : _السمط_ ، ص ١٦٦ ؛ ابن عبد المجيد : _بهجة الزمن_ (تحقيق الحبشى) ص ١٣٧ ، تحقيق حجازى ، ص ٨٣ ؛ الخزرجى : _العسجد_ ، ق ١٠٨ ، _العقود_ ، جـ ١ / ٤٠ ؛ الكبسى : _اللطائف السنية_ ، ق ٤٤ ؛ يحيى بن الحسين : _أنباء الزمن_ ، ق ٦٨ .

(٢) راجع في ذلك : ابن عبد المجيد : _بهجة الزمن_ (تحقيق الحبشى) ص ١٣٨ ـ ١٣٩ ؛ (نسخة حجازى) ص ٨٤ ـ ٨٥ ؛ الخزرجى : _العقود_ ، جـ ١ / ٤١ ، ٤٦ ، ق ١٠٩ ؛ المقريزى : _السلوك_ ، جـ ١ / ٢٣٧ ، _الذهب المسبوك_ ، ص ٧٨ ؛ ابن الديبع : _قرة العيون_ ، ص ٢٩٤ ؛ يحيى بن الحسين : _غاية الأمانى_ ، ق١ ، ص ٤١٠ ، ٤١٨ ، _أنباء الزمن_ ، ص ٧٠ ـ ٧١ ؛ الكبسى : _اللطائف السنية_ ، ق ٤٦ ؛ الأنسى : (عبد الملك بن حسين الأنسى الصنعانى) : _اتحاف ذوى الفطن بمختصر أنباء الزمن_ ، منشورات جامعة صنعاء ، ملحق العدد الثالث من مجلة كلية الاداب ، جامعة صنعاء ، ١٩٨١ ، ص ٢٣ ؛ وانظر ايضا : محمد عبد العال أحمد : _الأيوبيون فى اليمن_ ، ص ٢٦٢ ، ٢٧٣ .

(٣) ابن حاتم : _السمط_ ، ص ١٧٦ ، ١٩٥ ويذكر ابن حاتم أن المسعود عندما عزم على الرحيل طلب الحسام لؤلؤ من صنعاء ، وعرض عليه أمر النيابة كما كان في السفرة الأولى فتذمر الحسام لؤلؤ من البقاء في اليمن وعزم على الخروج معه ، عند ذلك استخلف الأمير نور الدين عمر بن على بن رسول بعد أن كان عازما على مصاحبته معه للسفر إلي مصر . راجع : ابن حاتم : _السمط_ ، ص ١٩٤ ـ ١٩٥ ؛ الخزرجى : _العسجد_ ، ورقة ١١٢ .

(٤) ابن حاتم : _السمط_ ، ص ١٧٦ .

بينما اعتمد في الشئون العسكرية وإقرار الأوضاع في اليمن لصالح بني أيوب على الأمير نور الدين عمر بن رسول ، يدلنا على ذلك أيضاً استدعاء المسعود له من إقطاعه بمكة إلي اليمن لضبط أمورها [١] .

ويبدو من استعراضنا للأحداث السياسية التي مرت باليمن أثناء فترة تغيب المسعود الأولى ؛ أن السلطة الفعلية صارت للأمير نور الدين وأهل بيته [٢] ، إذ تشير أغلب النصوص إلي أن معظم المعارك العسكرية التي دارت في اليمن آنذاك كان يتولى قيادة الجيش فيها أحد أفراد بني رسول وعلى رأسهم الأمير نور الدين وأخوه الأمير بدر الدين [٣] ، وفي هذه الفترة ارتفع شأن بني رسول ، وتزايدت سطوتهم في اليمن ، وبرز ذلك واضحاً في قصيدة أرسل بها الأمير بدر الدين بن رسول إلي الملك المسعود في مصر يعرفه من خلالها – شعراً – بانتصاراتهم على أعداء الأيوبيين من الزيدية في وقعة عَصّر ، ويخاطبه فيها بنون العظمة ومن هذه الأبيات :

وشيمتنا وصل السيوف بخطونا
إذا أقصرت حتى نعيد العدا طحنا
ونحن متى شئنا دسرنا عدونا
ولم نحتمل حقداً دفيناً ولا ضغنا
فلازالت الأخبار منكم تسرنا
كما سركم في مصر مخبركم عنا [٤]

وقد جعلت هذه الأخبار وتلك الأبيات الخوف يدب في قلب الملك المسعود منهم [٥] وخشي ضياع ملك اليمن من بني أيوب ، ولذلك نجده عند

---

[١] ابن حاتم : _السمط_ ، ص ١٧٥ ؛محمد عبد العال : _الأيوبيون_ ، ص ٢٦٢ .
[٢] يؤيد ذلك ما ذكره ابن حاتم في سياق حديثه عن خروج مرغم الصوفي وتصدي أبناء بني رسول له دون الحسام لؤلؤ بقوله"واتصل العلم إلي الحسام لؤلؤ داخله الحسد والنفاسة،ثم خشي أن الملك المسعود يلومه حيث جعله نائبه،فلم ينهض في قضية الصوفي ولا غيرها"راجع: _السمط_،ص١٨٧ .
[٣] راجع عن ذلك : ابن حاتم : _السمط_ ، ص ١٧٦- ١٧٧ – ١٧٩ – ١٨٧ .
[٤] ابن حاتم : _السمط_ ، ص ١٨٨ ؛ الخزرجي : _العقود_ ، جـ ١ / ٤٥ – ٤٦ .
[٥] يذكر _صاحب السمط_ أن الذي زرع الخوف والشك في نفس المسعود هو والده الملك الكامل الذي قال بعد أن وقف على القصيدة ورأى التزام المخاطبة فيها بنون العظمة " ما هذه مخاطبة أمير بل مخاطبة ضد ، فإن لم تثب عليه وثب عليك " ، _السمط_ ، ص ١٨٩ .

عودته لليمن في سنة ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦م يبادر بالقبض على أخوة الأمير نور الدين عمر بن على بن رسول ويرسلهم في القيد إلي الديار المصرية [1] ، أما الفترة الثانية فقد أجمعت المصادر على استخلاف المسعود يوسف للأمير نور الدين عمر بعد أن اعتذر عنها الحسام لؤلؤ ، فعند ذلك " نظر في أرباب دولته وأعيانها وخواصها فلم يجد من يصلح للنيابة غير مولانا (الشهيد) [يقصد الأمير نور الدين عمر بن رسول] " [2] فعقد له النيابة قائلاً له " تقف أنت نائبنا حتى يصلك أمرنا بتسليم البلاد لمن يتعين له ، وتلحقنا بعد ذلك إلي الديار المصرية " [3]. ولكن سرعان ما وافت المنية الملك المسعود في مكة قبل وصوله للديار المصرية [4] ليستقر الأمر في اليمن لبنى رسول . [5]

هذا عن وظيفة نائب الملك في عصر بنى أيوب ، أما في عهد بنى رسول فقد وجدت هذه الوظيفة ضمن وظائف البلاط الرسولى ، وكانت في مقدمتها [6]، ولكن يبدو أنها كانت أيضاً كحالها في فترة بنى أيوب لم تكن وظيفة دائمة ، بل أن المصادر التى بين أيدينا لا تشير في كثير من صفحاتها إلي هذه الوظيفة ، مما يجعلنا نرجح بأن معظم سلاطين بنى رسول أحجموا عن تعيين نواب لهم واعتمدوا على أنفسهم في تدبير شئون الملك ، وأول اشارة – تزودنا بها المصادر – تشير إلي تواجد وظيفة نائب السلطنة في عهد بنى رسول ترجع إلي عهد الملك المؤيد داود الرسولى ، ويبدو أن ظهور هذه الوظيفة في ذلك الوقت من أواخر عهد المؤيد الرسولي كان لها ارتباط بقدوم أحد أمراء المماليك إلي اليمن في عام ٧١٥ هـ /

---

[1] ابن حاتم : *السمط* ، ص ١٩٣ ، ابن عبد المجيد : *بهجة الزمن* ، (تحقيق الحبشى) ص ١٣٨ - ١٣٩ . الخزرجى : *العقود* ، جـ ١ / ٤٦ ؛ *العسجد* ، ق ١١٢ .

[2] ابن حاتم : *السمط* ، ص ١٩٥ ؛ ابن أسير : محمد بن محمد بن منصور (كان موجوداً حتى عام ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م): *الجوهر الفريد في تاريخ مدينة زبيد* ، مخطوط مصور بمعهد المخطوطات العربية عن نسخة المتحف البريطانى رقم ١٣٤٥/ق ٣ ؛ الخزرجى : *العسجد* ، ق ١١٤ .

[3] ابن حاتم : *السمط* ، ص ١٩٥ .

[4] ابن حاتم : *السمط* ، ص ١٩٥ ؛ ابن عبد المجيد : *بهجة الزمن* (تحقيق الحبشى) ص ١٣٩ ؛ الخزرجى : *العقود* ، جـ١ / ٤٨ ، *العسجد* ، ورقة ١١٢ .

[5] يذكر الخزرجى أن المسعود عند استخلافه للأمير نور الدين وعده بملك اليمن في حالة وفاته، إذ يشير إلي أنه قال له " قد عزمت على السفر وقد جعلتك نائبى في اليمن، فإن مت فأنت أولى بملك اليمن من أخوتى؛ لأنك خدمتنى وعرفت منك النصيحة والاجتهاد ، وإن عشت فأنت على حالك " راجع *العقود* ، جـ ١ / ٤٧ .

[6] العمرى : *مسالك الأبصار* ، ص ٥٤ ، القلقشندى : *صبح الأعشى* جـ ٥ / ٣٤ .

١٣١٥ م ، للعمل في بلاط المؤيد باستدعاء منه ، وهو الأمير علاء الدين كشدغدى " ت ٧٢٠ هـ / ١٣٢٠ م " " وكان أميراً فاضلاً في أبناء جنسه جمع بين شهامة السِّنان وفصاحة اللسان ... وتقدم عند السلطان تقدماً لم يُعلم بمثله " وجعله من جملة ندمائه ، بفضل ما تمتع به من كفاءات عالية برزت على سبيل المثال في قيامه بتنظيم الجيش اليمنى وفقاً لترتيب الجيوش المصرية ، فأنعم عليه المؤيد بالإقطاع ، وعقد له الولاية ، ورفع له الطبلخاناه " ثم فوض إليه السلطنة وجمع له معها الأتابكية على العسكر ، وذلك عام ٧١٩ هـ / ١٣١٩م ليتقدم عند السلطان تقدماً لم يسمع بمثله " [١] .

ثم تولى منصب نائب السلطنة عقب وفاة الأمير علاء الدين كشدغدى عام ٧٢٠ هـ / ١٣٢٠[٢]،أربعة أمراء آخرهم في عهد الملك المجاهد عليّ،وأول هؤلاء الأشخاص الأمير جمال الدين يوسف بن يعقوب بن الجواد(المعروف بالخصى)الذى جمع له المؤيد بين نيابة السلطنة ، وأتابكية العسكر والأستدارية وذلك عام ٧٢١ هـ / ١٣٢١م [٣]، ثم عزله المجاهد حال توليه السلطنة للمرة الأولى بالأمير شجاع الدين عمر بن يوسف بن منصور وأضاف إليه أتابكية العسكر وضبط الباب (صاحب الباب) أيضاً [٤] . ولكن سرعان ما تخلص منه الخارجون على المجاهد بالقتل ، و لم يكتفوا بذلك بل عمدوا إلي إقصاء المجاهد عن سلطنته واعتقاله بتعز ، وتولية عمه المنصور أيوب الذى قام بتفويض نيابة السلطنة إلي الأمير شجاع الدين عمر بن علاء الدين الشهابى [٥] ، ولكن لم تمض فترة قصيرة حتى عزل على إثر خلاف نشب بينه وبين أمراء المماليك البحرية ، وخشية تفاقم الأمر صرفه المنصور وأعاد الأمير جمال الدين يوسف بن

---

(١) ابن عبد المجيد : *بهجة الزمن* ، ص ٢٧٩ ، ٢٨٢ (نسخة الحبشى) ، الخزرجى : *الكفاية والاعلام* ، ق ١٥٢ ؛ *العقود* ، جـ ٢ / ٣٣٩ ، ٣٥٢ وجدير بالذكر أن الأمير علاء الدين كان أستدار الملك المظفر صاحب حماه ، كما تولى نيابة السلطنة بالشوبك وأعمالها من بلاد الشام زمن الأشرف خليل راجع : بيبرس الدوادار : *زبده الفكرة* ، تحقيق زبيدة عطا ، ص ٢٥٤ .

(٢) ابن عبد المجيد : *بهجة الزمن* (الحبشى) ص ٢٨٥ ، الخزرجى : *العسجد* ، ق ١٩١ ، *العقود* ، جـ ١ / ٣٥٢ .

(٣) الخزرجى : *الكفاية* ، ق ١٥٣ ، *العقود* ، جـ ١ / ٣٥٨ .

(٤) ابن عبد المجيد : *بهجة الزمن* (الحبشى) ص ٢٨٧ ــ ٢٨٨ ؛ الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ / ١٣ ، ١٤ ، *العسجد* ، ق ١٩٤ وجدير بالذكر أن مرسوم تعيين نائب السلطنة كان يصدر ويتم قراءته في دار المضيف : راجع : *العسجد* ، نفس الورقة .

(٥) الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ / ١٥ ــ ١٦ ؛ *الكفاية* ، ١٥٥ ــ ١٥٦ ، *العسجد* ، ق ١٩٥ .

يعقوب بن الجواد ثانية وفوض إليه أمر الباب بكماله [١] . وحينما استعاد المجاهد السلطنة ، وبدأ فترته الثانية في حكم البلاد استناب الأمير جمال الدين بوز بن حسن [٢] .

ويُعد جمال الدين بوز آخر من تولى هذا المنصب في عصر الدولة الرسولية، إذ يبدو أن الصراع العسكرى الذى دار بين الملك المجاهد ومنافسه وابن عمه الملك الظاهر — الذي استمر بضعة سنوات - [٣] كان له أثر كبير في إضعاف أهمية هذا المنصب أمام الحاجة المتزايدة لدور ونفوذ أتابك العسكر في هذا الصراع السدائر ، هذا بالإضافة إلي أن منصب الوزارة بدأ يسترجع أهميته في الفترة الثانية من عهد المجاهد ، وأصبح الوزير أو كما صار يلقب بـ (الصاحب) هو الرجل الأول في البلاد بعد السلطان ، وكانت تلك الوظيفة قد تضاءلت أهميتها منذ أواخر عهد المؤيد وبداية عهد المجاهد ، وتصاعدت على حسابها أهمية منصب نائب السلطنة؛ بحيث لم يعد للوزير أهمية تذكر . ونستدل على اختفاء وظيفة نائب السلطنة في عهد الدولة الرسولية ابتداء من عهد المجاهد ، وتصاعد أهمية الوزارة بما ذكره ابن بطوطه في سياق حديثه عن أحد المجالس التي عقدها المجاهد الرسولى عام ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦ م ، حيث أورد كيفية جلوس السلطان وأصحاب المناصب في هذا المجلس ، وجاء ذكر الوزير كأحد كبار الموظفين المتصدرين في هذا المجلس ، بينما لم ترد أى إشارة لوجود نائب السلطنة [٤] ، كذلك لم نعثر في المصادر المتاحة تحت أيدينا على نص أو إشارة تفيد ببقاء هذا المنصب أو ذكر لشخص تولاه في عصر بني رسول بعد الأمير جمال الدين بوز [٥] .

---

[١] ابن عبد المجيد : *بهجة الزمن* ، (الحبشى) ص ٢٨٨ ؛ الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ / ١٦ ، *العسجد* ، ق ١٩٥ .

[٢] الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ / ١٧ ؛ الكفاية ، ق ١٥٧ ، *العسجد* ، ق ١٩٦ .

[٣] راجع عن تفاصيل ذلك الصراع : الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ / ١٧ — ٥٨ ومحمد عبد العال أحمد: بنو رسول وبنو طاهر : ١٨٧ — ١٩٩ .

[٤] ابن بطوطة : *الرحلة* ، جـ ٢ / ١٧٤ .

[٥] جدير بالذكر أن هذه الوظيفة أبطلت في مصر على عهد الناصر محمد بن قلاوون في عام ٧٢٧ هـ / ١٣٢٦ م ، راجع المقريزى : *السلوك* ، جـ ٢ / ٢٨٠ . فلا نستبعد ايضا أنها بدأت تختفى في اليمن في ذات الفترة أو بعدها بقيل بدليل ما أورده ابن بطوطة من عدم تواجد النائب في مجلس المجاهد ، ويزيدنا في ذلك أن سلاطين بنى رسول وطبقاً لقول القلقشندى : كانوا دائماً يحاولون=

أما عن اختصاصات نائب السلطنة باليمن فلم تزودنا المصادر بمعلومات محددة عن هذه الاختصاصات رغم الإشارات المتعددة لوجود هذه الوظيفة باليمن في العصرين الأيوبي والرسولى ، واكتفت بما يوضح أنهم كانوا أصحاب نفوذ واسع شمل تدبير أمر المملكة كلها نيابة عن السلطان ؛ مما يجعلنا نقول أن اختصاصات النائب اليمنى لم تخرج عن الاختصاصات التى تمتع بها نظيره في الديار المصرية ، ونحن نعلم مدى تشبه هذه الدولة بمماليك مصر ، ولعل ذلك النفوذ الواسع وتلك السلطة المتزايدة تتضح من الإشارات العديدة التى أدلى بها المؤرخون عن هذه الوظيفة وأصحابها من ذلك ما ذكره صاحب بهجة الزمن عن الأمير علاء الدين كشدغدى بقوله " ثم استنابه بعد ذلك ورد إليه أمور دولته "[1] وكذلك ما ذكره الخزرجى عن الأمير عمر بن يوسف بن منصور نائب السلطان المجاهد بقوله " [وضبطه] ضبطاً عظيماً ، وكان من أذكياء الرجال ودهاتهم وأعرفهم بتدبير المملكة "[2] وغير ذلك من العبارات التى تشير إلي ما تمتع به نائب السلطنة من نفوذ واسع شمل جميع الأعمال التى يقوم بها الملك دون تخصيص .

=التشبه في نظمهم ورسومهم وأكثر أحوالهم بسلاطين المماليك في مصر . راجع : صبح الأعشى ، جـ ٤ / ١٧ ، جـ ٥ / ٣٥ .

(١) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، [نسخة حجازى] ص ١٢٩ .

(٢) الخزرجى : العقود ، جـ ٢ / ١٤ .

٣- الــوزارة

ظهرت وظيفة الوزارة مع بداية الوجود الأيوبي في اليمن ، وعلــى عهــد المعظم شمس الدين توران شاه ؛ حيث أشار صاحب كتاب بهجة الزمن ، وشاركه صاحب كتاب كنــز الأخيار إلي شخص الوزير – وإن لم يمدنا أحدهما باسمــه – ومصاحبته لتوران شاه في انتقاله من عدن بعد السيطرة عليها إلي صنعاء ، وقيــام هذا الوزير بإجراء مناظرة علمية بينه وبين أعيان العلماء في صنعاء في إحدى مسائل علم النحو [١] .

ومع استقرار دعائم الحكم الأيوبي في اليمن ، بدأنا نسمع عن العديد ممــن شغل هذا المنصب فتحدثنا المصادر عن قاضٍ تلقب في عهد الملك العزيز طغــتكين بلقب ذى الرياستين ، وتشير نفس المصادر صراحة إلي أن أحد هذين المنصبين كان منصب قاضى قضاة المسلمين . مما يدفعنا إلي الاعتقاد بأنه جمع بين هذا المنصــب ومنصب الوزارة لاسيما وأن ابن سمرة يذكر أنه أدرك " رئاسة في اليمن وحالا من الدنيا " [٢] . وهذا القاضى هو أثير الدين أبو عبد الله محمد ذو الرياستين ابن الشيخ ثقة الملك أبي الفضل محمد بن بنان الأنبارى [٣] .

ويبدو أن سلطات الوزير آنذاك كانت محدودة ، وذلك بسبب شخصــية الحاكم القوية واستئثاره بتدبير شئون الملك بنفسه ، ويتمثل هذا الحاكم القوى في شخص العزيز طغتكين الذى تروى عنه المصادر أنه هو الذى قرر القواعد وأصَّــلْ

---

[١] عماد الدين ادريس : ادريس بن على بن عبد الله (ت ٧١٤ هـ / ١٣١٤ م) : تاريخ اليمن من كتاب كنــز الأخيار فـي معرفـة السير والأخبار ، تحقيق د. عبد المحسن مدعج المدعج ، ط ١ ، الكويت ١٩٩٢ ، ص ٩١ ؛ ابن عبد المجيد : بهجة الزمن (تحقيق الحبشى) ص ١٣١ ، ونلاحظ خلو نسخة بهجة الزمن تحقيق مصطفى حجازى من هذه المعلومة راجع : ص ٧٦ .

[٢] ابن سمرة : عمر بن على الجعدى (ت بعد ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م) : طبقات فقهاء اليمن ، تحقيق : فؤاد سيد : دار القلم ، بيروت ب . ت ، ص ٢٣٠ ؛ الجندى : السلوك ، ق ٢١٨ – ٢١٩ ؛ بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، جـ ٢ ، ص ٧٧

[٣] ويؤكد ما نذهب إليه أنه شاع في اليمن آنذاك أن يجمع الوزير بين منصبى القضاء الأكبر والوزارة . انظر : الجندى: السلوك ، ق ٢١٩، أما القاضى أثير الدين فقد قدم صحبة طغتكين من مصر وكان من كبار موظفى الدولة الأيوبية هناك، وتقلد فيها منصب الكتابة ثم صار باليمن قاضيا للقضاة ووزيرا كما خرج سفيرا إلي بغداد، وظل يتمتع بمكانته إلي أن اتهم بالخيانة فتغير عليه طغتكين وصرفه عن مناصبه، فخرج إلي الحجاز سنة ٥٨١ هـ. راجع : ابن سمرة: المصدر السابق ، ص ٢٣٠، الجندى : السلوك ، ق ١٥٣ ، ٢١٩ ؛ الأفضل الرسولى : العطايا السنية ، ق ٤٣ .

الضرائب بدواوين اليمن [١] . مما يشير إلي استبداده بأمور الحكم عـلاوة عمـا عُرف عنه من اهتمام بالعلم والجلوس إلي العلماء والتفقه في أمور الدين، فيـذكر بامخرمة أنه كان " فقيهاً له مقروءات ومسموعات " [٢] ، وأجازه قاضي عصـره أحمد بن على العرشاني كما أخذ عنه نفس القاضي موطأ مالـك [٣] . فحـاكم تتوفر لديه هذه القدرات العالية كان من شأنه أن يطغى على غيره ويصبح الـوزير بالنسبة إليه مجرد وزير تنفيذ أو موظفاً منفذاً لأوامره ، ووضح ذلك في إقدامه على فصل القاضي أثير الدين حين غضب وصادره فخرج من اليمن [٤] .

وتصمت المصادر عن الإشارة إلي وجود منصب الوزير في فترة حكم المعز إسماعيل (٥٩٣ – ٥٩٨ هـ / ١١٩٦ – ١٢٠٢ م) ، بينما يرد فيها ما يشـير إلي من شغل هذا المنصب في عهد أخيه الناصر أيوب ، حيث شهد عهده وزيـرين هما عز الدين الكرماني [٥] ، والأديب يوسف بن إبراهيم القفطي [٦] ، ولعل تلـك العودة السريعة لذكر منصب الوزير تجعلنا نرجح بأنها كانت قائمة في عهد سابقه ، ولكن هذا المنصب لم تكن له أهمية بسبب شخصية المعز القوية واستبداده بـأمور الدولة ، ولهذا لم يرد ذكر هذا المنصب في عهد المعز ، كذلك ضـعف منصـب الوزير في عهد الناصر بسبب وجود شخصية أقوى هي المحركة للأحداث في البلاد، وهذه الشخصية قد جمعت في يدها العديد من المناصب والاختصاصات ، وتعدت على سلطات الوزير وسلبته اختصاصاته ، ونعني بها شخصية الأتابـك سـنقر أو نائب السلطنة الذى تملك البلاد وصار هو المدبر لأمورها في دولة الناصر فتضاءلت

---

(١) ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٣٩ .

(٢) الخزرجي : _العسجد_ ، ق ١٠١ ؛ بامخرمة : _تاريخ ثغر عدن_ ، جـ ٢ / ص ١٠٣ .

(٣) الجندى : _السلوك_ ، ق ١٥٣ ، الخزرجي : _المصدر السابق_ ، ق ١٠١ ؛ بامخرمة : _نفسه_ ، جـ ٢ / ص ١٠٣ .

(٤) يذكر الجندى أن القاضي أثير الدين قد تأثر بما ناله على يد طغتكين من انتهاك لحرماته وصرفه عن مناصبه فاقدم بعد خروجه إلي الحجاز على الكتابة إليه منددا بفصله ومتهما إياه بالجهل قائلاً :

وما أنا إلا المسك عند ذوى النهى
اضوع وعند الجاهلين أضيع

راجع : الجندى : _السلوك_ ، ق ٢١٩ .

(٥) ابن حاتم : _المصدر السابق_ ، ص ١٣٧ .

(٦) القفطي : _إنباه الرواه على أنباه النحاه_ : تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم : طبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٥٢ ، جـ ١ / ١١ . ويلاحظ أن بعض هؤلاء الأشخاص من المصريين ، ولعلهم قدموا مع سيف الإسلام من مصر ، ثم ترقوا إلي أن اعتلوا هذا المنصب .

إلي جانبه كافة المناصب واختفت وعلى رأسها منصب الوزير ، ومن ثم اقتصر عمل الوزراء آنذاك على القيام بالأعمال الكتابية والحسابية ، أو بعبارة أخرى صار عمل الوزير محصوراً في الإشراف على الأموال وصرف ما يحتاج إليه صاحب الملك منها [1] ، يؤيدنا في ذلك ما ذكره ابن حاتم في معرض حديثه عن افتتاح سيف الدين سنقر لأحد الحصون سلما ، ووعده لأهله بالخلع والإنعام فيقول :" وتقدم القاضي .... إلي الأتابك فَسلّم عليه فبالغ الأتابك في إتحافه وإكرامه ، وجعل يسأله عن الحصن وعمارته ومسالكه وهو يخبره ثم سأل منه الوفاء بما شرط لأهل الحصن من الكسوات والإنعام ... فأمر الوزير بإطلاق ذلك كله وكان اسم الوزير الكرماني ويلقب بعز الدين ... " [2] . وبعد وفاة الأتابك سنقر عام ٦٠٨ هـ / ١٢١١م ، قام الناصر أيوب بأمر المُلك واستوزر الأمير بدر الدين غازى بن جبريل واستمر قائماً بأمر الوزارة وشئون الملك – وإن غلب عليه تسمية الأستدار وصاحب الباب – حتى مقتله عام ٦١١هـ / ١٢١٤م [3] . مما يؤيد استمرار ضعف هذا المنصب حتى أخريات العصر الأيوبي بحيث أضحى – كما يبدو – منصباً ثانوياً بدليل عدم ورود أى ذكر له في المصادر المتاحة ، بينما تعاظمت مكانة مناصب أخرى كنائب السلطنة الذى جمع في يده أمور البلاد كلها .

ويبدو من استعراضنا لتطور نظام الوزارة الأيوبية أن وزراء بنى أيوب كانوا من أرباب الأقلام ولم يكن منهم أحد من أرباب السيوف فكان منهم القاضي والأديب والفقيه مما يؤيد ما ذهبنا إليه من أن أعمالهم كانت مقصورة على ما يتصل منها بشئون الأعمال الكتابية والحسابية [4] .

---

[1] القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٤ ، ٢٨ .

[2] ابن حاتم : السمط ، ص ١٣٧ .

[3] ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، (تحقيق الحبشى) ، ص ١٣٦ الخزرجى : العسجد ، ق ١٠٧ ، وراجع ما سبق ص ٤٢ عن مناصب غازى بن جبريل ومكانته في الدولة .

[4] اتخذ بعض أمراء ونواب بنى أيوب كُتاباً للإنشاء كانوا بمثابة وزراء لهم مثال ذلك الأمير علم الدين وردسار حاكم صنعاء الذى عين لنفسه كتابا للإنشاء كان بمثابة وزير له يفوضه في كثير من الأمور ويدعى القاضي الأشرف ، كذلك كان للأمير بدر الدين بن رسول أثناء توليه صنعاء من قبل الأيوبين كاتبا للإنشاء ووزير هو القاضي أبو الغيث بن محمد الأصفهانى . راجع ابن حاتم : السمط ، ص ١٣١ ، ١٨٤ .

أما الوزارة في عصر بني رسول فقد انتظمت منذ بداية عصر هذه الدولة، فالمصادر تشير إلي شخصية أول من شغل هذا المنصب في عهد مؤسس تلك الدولة، ويدعى الشيخ ناجي بن أسعد ، وكان يعتلى هذا المنصب في عام ٦٣٤ هـ / ١٢٣٦ م ، وكان يقوم بالتفاوض نيابة عن سلطانه مع الشريف يحيى بن حمزة حينما وقع الخلاف بينهما بشأن حصن منابر [١] . كما تولى الوزارة لذات السلطان القاضي الرشيد ذو النون المصرى الأخميمي (ت ٦٦٣ هـ / ١٢٦٤ م) وكان من الشخصيات المصرية التي وصلت إلي اليمن بصحبة الملك المسعود [٢] .

كذلك اعتلى منصب الوزارة في عهد المظفر الرسولى عام ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ الشيخ ابن أبي بكر السودى الملقب " مخلص الدين " ، وكان لهذا الوزير دور كبير في نجاح المظفر في القضاء على منافسيه على السلطنة من أبناء الأسرة الرسولية ، إذ يُعزى إليه اقتراحه للسلطان بالعمل على زيادة أعوانه ومناصريه من أبناء القبائل اليمنية واستمالتهم إليه عن طريق مقابلة اعيانهم وبعض مشايخهم واقناعهم بالوقوف إلي جانبه ، فوافقه المظفر على اقتراحه مما كان له أبلغ الأثر في تقوية شوكة المظفر بهذه القبائل فكان " كلما مر بقبيلة من العرب استخدم خيلها ورجلها وسار في خدمته من رؤساء العرب .... " ، فزاد أعوانه بذلك ونجح في التخلص من منافسيه [٣] . فارتفعت منذ ذلك الوقت مكانة الوزير ومنصبه وازدادت أهميته ، وعدنا نسمع عن وزير آخر في عهد المظفر ارتفعت مكانته فجمع بين منصبى القضاء الأكبر والوزارة [٤] ، ونعت بلقب الصاحب وهى صفة أصبحت ملازمة لمن يتولى منصب الوزارة دليلاً على علو مكانته وصحبته الدائمة للسلطان ، وكونه الرجل الأول بعده في الدولة ، وهذا الصاحب هو القاضى الوزير بهاء الدين محمد بن أسعد العمراني (ت ٦٩٥ هـ / ١٢٩٥ م) .ويدلل

---

[١] ابن عبد المجيد : _بهجة الزمن_ ، (تحقيق الحبشى) ، ص ١٤٣ ، الخزرجى : _العقود_ ، جـ ١ ، ص ٦٢ ، _العسجد_ ، ق ١١٦ – ١١٧ ؛ابن الديبع : _قرة العيون_ ، ص ٣٠٤ . وأسرة هذا الوزير يمنية الأصل ترجع في أصولها الأولى إلي بنى ناجى أصحاب المخادر والسحول وينتسبون إلي حمير . راجع _قرة العيون_ هـ ٣ للمحقق .

[٢] بامخرمة : _تاريخ ثغر عدن_ ، جـ ٢ / ٧٧ .

[٣] الخزرجى : _العقود_ ، جـ ١ ، ص ٨٧ – ٨٩ ، _العسجد_ ، ق ١٢٥ .

[٤] الخزرجى : _العقود_ ، جـ ١ ، ص ١٨٠ ، _العسجد_ ، ق ١٤٥ ، ١٥٠ ؛ الأفضل الرسولى : _العطايا السنية_ ، ق ٤٣ .

الخزرجي على علو مكانة الوزارة في عهد هذا الوزير بقوله " وكان أوحد رجال عصره ... وحصلت بينه وبين الخليفة الملك المظفر صحبة أكيدة و لم تزل الصحبة تتأكد حتى أسندت إليه الوزارة مع قضاء الأقضية [1] . فكان أول من جمع له الوزارة والقضاء الأكبر باليمن في دولة بني رسول وظل جامعاً بين الوظيفتين حتى عام ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م ، إلي أن تنازل عن وظيفة الوزارة لأخيه القاضي حسام الدين حسان وظل هو على منصب القضاء الأكبر ، وإن بقيت مشورته مستمرة وآراؤه السديدة منفذة يدلنا على ذلك قول الخزرجي " ... أشار القاضي بهاء الدين على .... الملك المظفر أن يكون أخوه القاضي حسام الدين حَسَّان وزيراً للأشرف ، فأمر الخليفة بذلك وبقي القاضي بهاء الدين على قضاء الأقضية وأخوه حسان يراجعه بما يرد عليه من أمر التهايم إلي أن توفى القاضي بهاء الدين ... سنة خمس وتسعين وستمائة " [2] .

وظل حسام الدين حَسَّان العمراني وزيراً للأشرف الأول حتى توفى الأشرف عام ٦٩٦ هـ / ١٢٩٦ م [3] . واستمر قابضاً على المنصب فترة يسيرة من صدر الدولة المؤيدية حيث قام بأخذ البيعة للمؤيد واستحلف الجند والأمراء وأعيان الدولة بالولاء له سلطاناً للبلاد ، ثم عزله المؤيد في نفس السنة بالصاحب موفق الدين علي بن محمد بن عمر اليحيوي [4] .

وقد ازداد نفوذ الوزير في عهد المؤيد زيادة كبيرة فنجد الصاحب موفق الدين هو ثاني وزير في الدولة يجمع بين قضاء الأقضية والوزارة بالإضافة إلي مهام

---

[1] الجندى : *السلوك* ، ق ١٩١ – ١٩٢ الخزرجي : *العقود* ، جـ ١ ص ٢٤٤ – ٢٤٥ ، *العسجد* ، ق ١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٥٨ .

[2] الجندى : *السلوك* ، ق ١٩٢ ؛الخزرجي : *العقود* ، جـ ١ ص ٢٤٥ ، ٢٥٠ ، *الكفاية* ، ١٢٩ – ١٣٠ ؛ *العسجد* ، ق ١٦١ .

[3] الخزرجي : *العقود* ، جـ ١ ، ص ٢٥٠ ؛*العسجد* ، ق ١٦٢ .

[4] الجندى : *السلوك* ، ق ١٩٢ ؛ ابن عبد المجيد : *بهجة الزمن* (تحقيق الحبشي) ، ص ١٧٩ ؛ الخزرجي : *العقود* جـ ١ ، ص ٢٥١ ، ٢٥٤ – ٢٥٥ ، *الكفاية* ، ق ١٣٠ ، *العسجد* ، ق ١٦٢ ، ١٦٤ . وتذكر المصادر أن المؤيد قام بالتنكيل بالوزير المعزول حسام الدين حسان وأهل بيته عقب إحدى الوشايات التي بلغته عنهم وأنهم يتآمرون على قتله فقبض عليهم وأودعهم بسجن عدن الذي أقامه خصيصاً لأجلهم ، وظلوا هناك حتى توفى حسان . وفي صدر الدولة المجاهدية تم إطلاق سراح بقية أهله حيث أقاموا في سفينة وأطلق علهم الإنعامات . للمزيد راجع الجندى : *السلوك* ، ق ١٩٣ – ١٩٤ ، ٢٢٠ – ٢٢١ ؛ الخزرجي : *العقود* ، جـ ١ ، ص ٢٥٥ ، جـ ٢ ، ص ٢٦ ، *الكفاية* ، ق ١٣١ ، ١٣٢ ؛ *العسجد* ، ق ١٦٤ ؛ بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، جـ ٢ ، ص ٤٨ – ٤٩ .

المحتسب حتى شبهه الخزرجي في علوم مكانته واتساع نفوذه بالصاحب ابن عباد في العراق فيقول " وصنع له ما صنع للوزير من رفع الدواة وعقد الطيلسان وفوض إليه قضاء الأقضية وكان ثابتاً في أموره كلها .... ونفذ أمره في البلاد ... وتقدم عند السلطان تقدماً كلياً وانطلق عليه اسم الصاحب انطلاقاً كلياً في أقطار اليمن ... حتى صار علماً في حقله كالصاحب بن عباد في العراق ... "[١] . وظل موفق الدين قائماً بأمر الوزارة والقضاء حتى توفى عام ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م[٢] . ومنذ وفاته لم يولِ المؤيد أحداً في الوزارة حتى كان عام ٧٢٠ هـ / ١٣٢٠ م ، حينما وصل من الديار المصرية القاضي والتاجر الكارمي محيي الدين بن عبد اللطيف التكريتي ، فنزل من السلطان منزلة عظيمة فأحله محل الوزارة ، أي جعله متحدثاً في اختصاصاتها قائماً بأعمال الوزير دون أن ينصبه رسمياً في المنصب ، بدليل قول الخزرجي حينما ألح القاضي في طلب الوزارة من السلطان وسعى في تحصيلها أن المؤيد قال له " كلا لاَ وَزَرْ " ثم أراد ترضيته[٣] فأركبه يوم عيد الفطر " في موضع الوزارة وركب بالطرحة على عادة الوزراء المصريين " ، دون أن يوليه[٤] .

ويؤيدنا في بقاء هذا المنصب شاغراً بقية عهد المؤيد ، وبدايات عهد المجاهد وذلك منذ وفاة الصاحب موفق الدين ، نص رواية الخزرجي الذى يذكر أن المجاهد كان يبذل الوعود شفاهة لقاضى الأقضية جمال الدين بن مؤمن عام ٧٣٥هـ / ١٣٣٤ م بتوليته الوزارة فيقول " وكان قاضياً مقطعاً ويتحدث في أمر

---

(١) الخزرجي : *العقود* ، جـ ١ ، ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥ ، *الكفاية* ، ق ١٣١ ، *العسجد* ، ق ١٦٤ .

(٢) الخزرجي : *العقود* ، جـ ١ ، ص ٣٣١ . وكان الصاحب ينيب عنه أحياناً من يقوم مقامه في مباشرة أحكام القضاء والفصل في القضايا ، ومن أشهر هؤلاء ابن أخيه القاضي جمال الدين محمد بن أحمد بن عمر اليحيوى . راجع : الأفضل الرسولى : *العطايا السنية* ، ق ٤٨ ؛ الخزرجي : *العقود* ، جـ ١ ، ص ٣٣١ ، *العسجد* ، ق ١٨٦ ـ ١٨٧ .

(٣) الخزرجي : *العقود* ، جـ ١ ، ص ٣٥٤ ـ ٣٥٦ ، *العسجد* ، ق ١٩١ . وكان السبب في عدم توليه المنصب ما بدر منه من تصرفات سيئة أثناء وجوده بعدن حيث تصرف بها تصرف الملاك وتشاحن مع أحد كبار القضاة فوصلت هذه الأخبار للمؤيد فنقص قبوله لديه وتضاءلت منزلته .

(٤) الخزرجي : *الكفاية* ، ق ١٥٣ ، *العسجد* ، ق ١٩١ . ويلاحظ من كلام الخزرجي بشأن هذا القاضي أن سلاطين بني رسول كانت لهم متاجرهم الخاصة حيث يشير إلى قيام المؤيد بتسليم القاضي مائة ألف دينار ملكية من ماله الخاص للمتاجرة له بها . كذلك نلاحظ استمرار استعمال الدنانير الملكية في العصر الرسولي . راجع : الخزرجي : *العقود* ، جـ ١ ، ص ٣٥٤ ، ٣٥٦ .

الوزارة وكان الباب كله بيده " (١) . ولعل ذلك يؤيد الترجيح بأن شأن الوزارة قد أُهمل في هذه الفترة نظراً لتزايد أهمية منصب نائب السلطنة ، فلم يُعد هناك ذكر للوزير ومنصبه حتى عام ٧٣٧ هـ / ١٣٣٦ م حيث تبدأ المصادر في الإشارة مرة أخرى إلي الوزير ، مما يشير إلي أن المجاهد بدأ يُعيد للوزارة أهميتها الأولى بعد أن استقرت دعائم ملكه في أعقاب قضائه على منافسه على العرش ونعني به ابن عمه الظاهر عبد الله . وقد وضحت عودة الوزير إلي سابق مكانته في تصدره لأحد مجالس المجاهد وهو المجلس الذى حضره ابن بطوطة عند زيارته لليمن في تلك الآونة (٢) .

وقد تولى هذا المنصب ابتداء من تلك الفترة من عهد المجاهد عدة أشخاص نذكر منهم الوزير القاضى جمال الدين محمد بن حَسَّان (٣) ، والوزير القاضى موفق الدين عبد الله بن على اليحيوى بن الصاحب موفق الدين (ت ٧٥٢ هـ) الذى بلغ مكانة والده السابقة حيث جمع بين قضاء الأقضية ومنصب الوزارة وشاد الدواوين وهو ثالث وزير في الدولة الرسولية يجمع بين هذه المنصبين (٤) ، ومنهم أيضاً القاضى جلال الدين على بن محمد بن عَمَّار الذى تولى المنصب لمدة ست سنوات من ٧٥٤ هـ - ٧٦٠ هـ / ١٣٥٣ - ١٣٥٨ م حيث توفى في شهر شعبان من هذه السنة (٥) . كذلك استوزر القاضى فتح الدين عمر بن محمد بن الخطبا القرشى المخزومى ، ولم تشر المصادر إلي تاريخ توليه المنصب ، وإن كنا نرجح أن توليه الوزارة تم بعد وفاة ابن عَمَّار ، لاسيما وأن تاريخ وفاته لاحق لتاريخ وفاة ابن عَمَّار بعامين " ٧٦٢ هـ / ١٣٦٠ م " (٦) .

---

(١) الخزرجى : العقود ، جـ ٢ ، ص ٦١ .

(٢) ابن بطوطة : الرحلة ، جـ ٢ ، ص ١٧٤ ؛ راجع أيضا الخزرجى : العقود ، جـ ٢ ، ص ٦٢ - ٦٣ حيث يشير للمرة الأولى إلي منصب الوزير في هذا العام من عهد المجاهد .

(٣) الخزرجى : العقود ، جـ ٢ ، ص ٦٨ ، ١٠٤ ، العسجد ، ق ٢١٩ .

(٤) الأفضل الرسولى : العطايا السنية ، ق ٢٧ ، الخزرجى : العقود ، جـ ١ ، ص ٢٤٥ ، جـ ٢ ، ص ٧٦ - ٧٧ ، الكفاية ، ق ١٧٤ ، العسجد ، ق ٢٢٣ .

(٥) الأفضل الرسولى : المصدر السابق ، ق ٣٦ ، الخزرجى : العقود ، جـ ٢ ، ص ٨٥ - ٩٥ ، الكفاية ، ق ١٧٧ ، ١٨١ ، العسجد ، ق ٢٢٦ ، ٢٣١ .

(٦) الخزرجى : العسجد ، ق ٢٣٣ ، العقود ، جـ ٢ ، ص ١٠١ - ١٠٢ .

أما في عهد الأفضل الرسولى فقد أعيد القاضى جمال الدين محمد بن حَسَّان إلي الوزارة للمرة الثانية أو بعبارة أخرى استمر وزيراً للأفضل حيث توفى المجاهد وكان هو صاحب وزارته [١] وظل قائماً بمنصبه في عهد الأفضل حتى توفى عام ٧٧٣ هـ / ١٣٧١ م [٢] ، ليخلفه في عام ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م القاضى تقى الدين عمر بن مُعبيد الذى نعت بسيد الوزراء ، واستمر وزيراً ، وجمع مع الوزارة وظيفة مقدم أو أتابك العسكر وذلك عام ٧٨٠ هـ / ١٣٧٨ م وظل قائماً بالأمر حتى توفى في السنة التالية (٧٨١ هـ / ١٣٧٩ م) [٣] . وقد شغل هذا الوزير مكانة كبيرة في عهد الأفضل والأشرف الثانى يدلنا على ذلك ما كلف بقضائه من أعمال إذ أوكل إليه الأشرف نظراً لفكره الصائب وحسن سياسته مهمة ضبط الأمور بالأماكن المضطربة وإقرار الأوضاع بها وتحصيل الخراج المقرر منها [٤] .

كما يوضح تلك المكانة استمرار بقاء المنصب الوزارى في أسرته حيث خلفه في المنصب ولده القاضى نور الدين على.[٥] ثم ولى المنصب بعد وفاة نور الدين عام ٧٨٧ هـ / ١٣٨٥م ؛ القاضى شرف الدين حسين الفارقى " ت ٨٠١ هـ / ١٣٩٨ م " ، ثم صرف بقاضى القضاة وجيه الدين عبد الرحمن بن على بن عباس المقرى الذى جمع عام ٧٨٧ هـ / ١٣٨٥ م بين منصب الوزارة والقضاء الأكبر ليصبح الوزير الرابع الذى يجمع بين الرياستين . [٦] واستمر في

---

(١) الأفضل الرسولى : العطايا السنية ، ق ٥١ ؛ الخزرجى : العقود ، جـ ٢ ، ص ١٠٤ ، ١١٢ ، الكفاية ، ق ١٩٦ ، العسجد ، ق ٢٣٦ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص ٣٧٦ .

(٢) الخزرجى : العقود ، جـ ٢ ، ١٢٩ ، العسجد ، ق ٢٣٦ ، الكفاية ، ق ١٩٣ ، ١٩٦ .

(٣) الأفضل الرسولى : العطايا السنية ، ق ٤٠ ؛ الخزرجى : العقود ، جـ ٢ ، ص ١٣٠ – ١٣٦ ، ١٤٢ – ١٤٣ ، ١٤٥ – ١٤٦ ، العسجد ، ق ٢٤٥ ، ٢٤٨ ، ٢٥٢ ، الكفاية ، ق ١٩٤ ، ١٩٦ ؛ ابن حجر : أنباء الغمر بأنباء العمر ، جـ ١ ، ص ٣١٩ ، ابن الديبع : قرة العيون ، ص ٣٧٣ ، ٣٧٦ .

(٤) الخزرجى : العقود ، جـ ٢ ، ص ١٤٢ – ١٤٣ ، ١٤٥ – ١٤٦ .

(٥) الخزرجى : العقود ، جـ ٢ ص ١٤٦ ، ١٤٨ ، ٢٠٦ ، العسجد ، ق ٢٥٣ ، ابن حجر : إنباء الغمر ، جـ ٢ ، ص ٢٤ . وجدير بالذكر أن القاضى وجيه الدين عبد الرحمن النظارى قد شارك نور الدين في الوزارة مدة بسيطة ثم عزل عام ٧٨٣ هـ / ١٣٨١ م ، و "توفى ٧٩٥ هـ" . ولعل تولى نور الدين خلفاً لأبيه يؤكد قبول مبدأ الوراثة في المناصب القيادية ، لاسيما في الوزارة والقضاء ، وقد حدث مثل ذلك من قبل في أسرة العمرانى زمن المظفر .

(٦) الخزرجى : العقود ، جـ ١ ، ص ٢٤٥ ، جـ ٢ ، ص ١٥١ ، ١٥٥ – ١٥٦ ، العسجد ، ق ٢٥٦ ، الكفاية ، ق ٢٣٢ ؛ بامخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، جـ ٢ ، ص ٦٢ .

منصبه فترة تزيد على السنوات الثلاث حيث توفى عام ٧٩٠ هـ/ ١٣٨٨ م [١]، ليأتي وزير ثالث من أسرة بني معيبد وهو القاضي شهاب الدين أحمد بن عمر الذى تولى الوزارة عام ٧٩١ هـ / ٨٨ – ١٣٨٩ م . [٢]

ونستدل من تتابع إسناد هذا المنصب لأشخاص الوزراء على ارتفاع مكانة الوزير وزيادة أهمية منصبه بداية من عهد الأفضل ، يدلنا على ذلك عدة شواهد أخرى منها خروج الوزير بنفسه على رأس الحملات العسكرية لقمع الخارجين على السلطان ، وإجبارهم على الإذعان بالطاعة وتسليم الأموال المقررة عليهم للحكومة [٣] ، كذلك كان يوكل إليه تنظيم أمور الرعية في هذه المناطق بعد إخضاعها مثال ذلك ما حدث مع الوزير شهاب الدين أحمد بن عمر بن معيبد حينما خرج عام ٧٩٦ هـ / ١٣٩٣ م ، لإخضاع أحد الخارجين على سلطان الدولة في منطقة المحالب وتمكن من هزيمته وإعادة أمور الرعية إلي سابق نصابها من الهدوء والاستقرار بعد أن أضرت الفتن بالمنطقة كثيراً ، ولذا نجد أن السلطان الأشرف يبادر باستدعاء الوزير فور انتهاء مهمته فيكرم وفادته حال وصوله إلي زبيد ، مما يدل على ارتفاع مكانته وعظم انتصاره ويشير الخزرجي إلي صدور الأوامر السلطانية لكافة العسكر بالخروج للقائه واستقباله عند مشارف المدينة وعلى رأسهم ابنه الملك الناصر . ولما وصل الوزير إلي الباب السلطاني أحسن السلطان استقباله وأفاض عليه الخلع والعطايا " فكساه كسوة سنية ، وقاد له بغلة بزنار وأعطاه خمسة آلاف دينار " [٤] .

وقد تكرر نفس الوضع مع الأمير شهاب الدين مما يؤكد ارتفاع منزلته واضطلاعه بجلائل الأمور لاسيما العسكرية منها ، فتروى المصادر خروجه عام ٨٠١ هـ / ١٣٩٨ م على رأس تجريدة عسكرية للاستيلاء على أحد الحصون المنيعة ونجاحه في مهمته ، فلما عاد من مهمته أنعم السلطان عليه بكسوة حسنة ومنحه ألف دينار [٥]

---

[١] الخزرجي : العقود ، جـ ٢ ، ص ١٦٩ ، العسجد ، ق ٢٦١ ، الكفاية ، ق ٢٠٨ .
[٢] الخزرجي : العقود ، جـ ٢ ، ص ١٧٠ ، العسجد ، ق ٢٦١ ، الكفاية ، ق ٢٠٨ .
[٣] الخزرجي : العقود ، جـ ٢ ، ص ١٤٢ – ١٤٣ ، ١٦٦ – ١٦٧ .
[٤] الخزرجي : نفسه جـ ٢ ، ص ٢٢٠ – ٢٢١ .
[٥] الخزرجي : العقود ، جـ ٢ ، ص ٢٥٠ – ٢٥١ . وراجع عن الوزير وأهمية منصبه المتزايدة وزيادة تخصصاته لاسيما العسكرية منها ص ٢٢٢ ، ٢٢٧ – ٢٢٨

وجدير بالذكر أن هذا الوزير ظل متولياً للوزارة منذ عام ٧٩١ هـ حتى وفاته في عهد الناصر أحمد بن الأشرف [١] .

واستمرت مكانة الوزير في تصاعد مستمر لم يتطرق إليها الضعف ، بل صار هو المدبر لأمور البلاد والمحرك لدفة الحكم بها ، ساعده على ذلك صغر سن سلاطين الدولة في آخريات عهدها ، فقام الوزير بتنظيم البيعة للسلاطين الجدد ، وإستحلاف أعيان الجند والأمراء للسلطان الجديد ، ومتابعة عملية انتقال السلطة إليه. وقد برز ذلك الأمر بوضوح بعد وفاة الناصر أحمد بن الأشرف حيث قام الوزير شرف الدين العلوى بالإشراف على أخذ البيعة وانتقال الحكم إلي ولدى الناصر على التوالى وهما المنصور عبد الله ، ثم الأشرف الثالث ، وتمكن الوزير بنفوذه المتعاظم من الحيلولة دون انفراد عمهما الظاهر يحيى بالحكم إثر وفاة أخيه . وقد أدى ذلك إلي معاقبة الظاهر يحيى للوزير بعد أن تمكن من الوصول لدست السلطنة عام ٨٣١ هـ / ١٤٢٧ م على إثر إقدام الأمراء والأعيان بعزل الأشرف، فنجد الظاهر يقدم على مصادرته واستخلاص الأموال الطائلة منه والتى بلغت مائة ألف دينار . ورغم تبرير الوزير المقنع بأنه لم يفعل ذلك إلا إخلاصاً منه لبيعة أداها شفاهة للملك الناصر في حياته فإن الظاهر أضمر له السوء فخاف على نفسه واضطر للهرب إلي مكة ، فاشتد حنق الظاهر عليه ، فنكل بأسرته وصادرهم ، وشنق أخاه الشهاب العلوى وهدم منازل أفراد الأسرة ، ولم يكتف بذلك بل أنه أوعز إلي أعوانه في مكة بتعقب الوزير ودسوا له من سقاه السم فوافته المنية عام ٨٣٥ هـ / ١٤٣١ م [٢] .

وتذكر المصادر أن الظاهر يحيى استوزر لنفسه عدة وزراء منهم : وجيه الدين عبد الرحمن بن على بن يحيى بن جُميع ، وذلك عام ٨٣٤ هـ / ١٤٣٠م[٣]، والوزير القاضى شهاب الدين أحمد بن إبراهيم المحالبى ، الذى تولى الوزارة في ذات العام ، ونستدل من مرسوم توليه المنصب ما كان يتمتع به هذا الوزير من نفوذ في الدولة الظاهرية ، حتى صار بحق كما نعت سيد الوزراء ،

---

[١] ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٣٩٢ .
[٢] ابن الديبع : *المصدر السابق* ، ص ٣٩٤ ـ ٣٩٥ ؛ بامخرمة : *قلادة النحر* ، جـ ٣ ، ق ١١٠٥ .
[٣] مجهول : *تاريخ الدولة الرسولية* ، ص ٢٤٢ .

والشخصية الأولى في البلاد بعد السلطان حيث جعل " نظره فوق العمال في الأعمال اليمنية ، وكساه وأنعم عليه ، وبرز المرسوم العالى على الأمراء والمقطعين وسائر المقدمين والعمال والكتاب أن يمشوا في خدمته .... " [١] ثم عزل المحالبى من منصبه وصودرت أملاكه عام ٨٣٨ هـ / ١٤٣٤ م ، ليتولى الوزارة خلفا له القاضى شمس الدين يوسف بن أحمد العزاف ، الذى أخضع الظاهر له كافة موظفى الدولة أسوة بسابقه ونتبين ذلك من المنشور الصادر بتوليه المنصب وجاء فيه " ... ثم أمر مولانا السلطان ... أن يكتب منشوراً[٢] ويقرأ على سائر المنابر بأنه وزير الوزراء والمقلد لأمر الدولة والدواوين جميعها في جميع أعمال اليمن ، وأن يرفع الناس حوائجهم إليه " [٣] .

ونلاحظ من ذلك العرض السريع لمنصب الوزارة في العصر الرسولى أن هذا المنصب كان يتولاه أحياناً شخصان في فترة واحدة مثال ذلك ما حدث في عهد الأشرف الثانى حينما أقدم على تعيين القاضى وجيه الدين النظارى (ت ٧٩٥) عام ٧٨٣ هـ وزيراً مشاركاً للوزير نور الدين على بن عمر بن معيبد [٤] ، ثم أقدم ثانية على إسناد المنصب لوزيرين وذلك عام ٧٩٧ هـ حينما قام بتعيين وزير ثان يدعى " شرف الدين حسين بن على بن أبى بكر بن سعادة الفارقى " بالاضافة إلي القاضى شهاب الدين أحمد بن عمر بن معيبد الذى ظل منفرداً بالوزارة منذ عام ٧٩١ هـ [٥] . ويبدو أن هذه الثنائية كان الغرض منها توزيع الاختصاصات المتزايدة التى قد لا يحتمل القيام بأعبائها شخص واحد ، بالاضافة إلي أنه إذا ما تغيب أحداهما في عمل ما خارج الحاضرة قام الآخر بعمله وقد استمرت هذه الوزارة الثنائية إلي أن توفى الفارقى عام ٨٠١ هـ / ١٣٩٨م [٦] ، لينفرد ابن معيبد بمنصب الوزارة للمرة الثانية إلي أن وافته المنية في

---

[١] مجهول : *تاريخ الدولة الرسولية* ، ص ٢٣٨ – ٢٣٩ ، ٢٤٦ .

[٢] هكذا في الأصل ، والصواب (يُكتَبَ منشور) .

[٣] مجهول : *المصدر السابق* ، ص ٢٩٤ – ٢٩٥ . وراجع أيضاً : الخزرجى : *الكفاية* ، ق ٢٤١ ؛ ابن الديبع : *المصدر السابق* ، ص ٣٩٥ .

[٤] الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ / ١٤ ، ١٤٨ ، ولكن لم يستمر النظارى في الوزارة طويلا فسرعان ما تم عزله بسبب وشاية من أعدائه .

[٥] بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، جـ ٢ / ١١ ، ٦٢ .

[٦] الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ / ٢٥٠ ؛ بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، جـ ٢ / ٦٢ .

عهد الناصر أحمد بن الأشرف الثاني [١] ، كذلك نلاحظ أن كثيراً من أبناء السلاطين كان يسمح لهم باتخاذ الوزراء ، فصار لكل واحد وزير خاص به ومثال ذلك أن المؤيد بن المظفر الرسولي كان له وزير يدعى القاضي شرف الدين أحمد بن علي بن الجنيد وذلك عام ٦٩٣ هـ / ١٢٩٣ م حينما كان مقطعا صنعاء [٢]، وكذلك فعل أخوه الأشرف الأول حال توليه ولاية العهد لأبيه المظفر وصدور التقليد له بذلك عام ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م إذ اتخذ وزيراً له هو القاضي حسام الدين حَسَّان العمراني [٣] . كذلك فعل الواثق إبراهيم بن المظفر حينما أقطعه والده ظفار فاستوزر القاضي عمران بن القاضي عبد الله بن أسعد العمراني [٤] .

ولعل ذلك يبين أنه كان يوجد أكثر من شخص يحمل لقب الوزير في وقت واحد ، ويفسر لنا من ناحية أخرى المقصود بعبارة الوزراء التي يكررها الخزرجي كثيراً على مدى صفحات مؤلفه كلما أشار إلي أعيان الدولة وأمرائها الذي يحضرون مجالس السلاطين واحتفالاتهم وغير ذلك من المناسبات المختلفة ، فنجده يشير إلي كبراء الدولة بقوله " وحضرت الأمراء والوزراء والحجاب " [٥] ، وفي حديثه أيضاً في موضع آخر عن أحد مجالس السلطان في رمضان فيقول " وأخلى محلة دار النصر لحضور الفقهاء والقضاة والأمراء والوزراء " [٦] ، وفي موضع ثالث يقول " فحضر الناس على اختلاف طبقاتهم من الوزراء والأمراء والمقطعين ... الخ" وموضع رابع يقول " وكان دخوله تعز في بزة حسنة وعسكر جرار من الملوك والوزراء والأشراف والأمراء " [٧] .

---

[١] ابن الديبع : _قرة العيون_ : ص ٣٩٢ . وقد وزر الناصر بعد وفاة ابن معيبد وزيرين آخرين هما الجمال المصرى ثم عين بعد وفاته القاضى شرف الدين إسماعيل العلوى ، راجع : ابن الديبع : _قرة العيون_ ، ص ٣٩٢ ، ٣٩٣ .

[٢] الأفضل : _العطايا_ ، ق ١١ ؛ الخزرجي : _العقود_ ، جـ ١ / ٢٢٨ ؛ . لاحظ أيضاً الكفاية ق ٢٤ حيث ينعته الخزرجي بالفقيه شهاب الدين ؛ وأنظر أيضاً : ابن الديبع : _قرة العيون_ ، ص ٣٣٣ .

[٣] الخزرجى : _العقود_ ، جـ ١ / ٢٤٥ ، جـ ٢ / ٢٦ .

[٤] الخزرجى : _العقود_ ، جـ ١ / ٢٨٥ .

[٥] الخزرجى : _العقود_ ، جـ ٢ / ٦٢ .

[٦] الخزرجى : _العقود_ ، جـ ٢ / ٢١٨ .

[٧] الخزرجى : _العقود_ ، جـ ٢/ ١٩٦ ، وراجع أيضاً : _المصدر نفسه_ ، جـ ٢ ص ٦٩ .

كما يلاحظ أيضاً من استعراض القاب الوزراء أن سلاطين بنى رسول اعتادوا اختيارهم من أرباب الأقلام ، يؤيدنا في ذلك أن معظم من استعرضناهم من الوزراء الرسوليين كان يلقب بالقاضى أو الشيخ ، ولم ينعت أحدهم بالأمير [(١)] إلا في القليل النادر كما كان الحال في مصر المملوكية حيث دأب سلاطينها على اتخاذ الوزراء من أرباب السيوف حيناً ومن أرباب الأقلام حيناً آخر [(٢)] .

ونختتم دراستنا بعرض سريع لأهم اختصاصات الوزير في عصر بنى أيوب وبنى رسول فقد كانت اختصاصات الوزير حينما كانت تتعاظم مكانته ويزداد نفوذه كما هو واضح في العصر الرسولى بصفة خاصة تشمل القيام بمهام التفاوض نيابة عن السلطان مع زعماء الزيدية وغيرهم من افراد الأسرة الرسولية لعقد الصلح[(٣)] ، ضماناً لعدم مخالفتهم للسلطان القائم ، والخروج على رأس التجريدات العسكرية وإصدار الأوامر بالهجوم على أعداء الدولة وقتالهم [(٤)] ، كما كان بعض السلاطين يحول إلي وزرائه بعض المظالم والشكاوى التى ترفع إليه ليفصل فيها بما يراه صائباً [(٥)] . كذلك كان يتصدر الوزير مجالس السلاطين التى تعقد لتصريف شئون الملك مثال ذلك المجلس الذى حضره ابن بطوطة للملك المجاهد ، وأيضاً المجلس الذى عقده المجاهد عام ٧٣٧ هـ / ١٣٣٦ م للنظر في المظالم التى أصابت الرعية بوادى زبيد وأدت إلي " خراب الوادى وافتراق الرعية " وهجرتهم لأراضيهم تحت وطأة الضرائب المفروضة عليهم ، وقيام الوزير بعرض شكواهم والانفراد بالسلطان بعد إنتهاء المجلس لإصدار القرار المناسب والوقوف على تنفيذه

---

(١) راجع ما سبق عن الأمير غازى بن جبريل ص ٤٢ . وأيضاً : ابن الديبع : *قرة العيون* ص ٣٩٣ .
(٢) القلقشندى : *صبح الأعشى* ، جـ ٤ / ٢٨ ، جـ ٥ / ٤٢٢ [طبعة بيروت] .
(٣) الخزرجى : *العقود* ، جـ ١ / ٦٢ ، ١٨٩ ؛ *العسجد* ، ق ١٦٣ .
(٤) الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ / ١٤٣ ، ٢٢٠ . وجدير بالذكر أن الفقهاء والعلماء بالإضافة إلي دورهم القضائى والتعليمى والاستشارى في أمور الدين ، كان منهم من يتولى قيادة العساكر السلطانية سواء من اعتلى منهم منصب الوزارة أو غيرها من مناصب الدولة أو غيرهم من الفقهاء راجع أمثلة عن ذلك : *العسجد* ، ق ١٤٧
(٥) انظر بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، جـ ٢ / ٢٢١ - ٢٢٢

بعد صدوره [١] . وحدث أن قام الأشرف الأول بن المظفر بإصدار مسامحة ضريبية للفلاحين في أعقاب الضرر الذى أصاب حرثهم من الجراد عام ٦٩٦ هـ / ١٢٩٦ م ، وتقاعس الوزير وهو القاضى حسام الدين بن حسان العمرانى عن التوقيع عليها ، وإصدار الأوامر التنفيذية لعماله بإقرارها ، فتصاعدت الشكوى للسلطان ثانية فكتب إلي الوزير يعاتبه ويأمره بسرعة التنفيذ قائلاً " اقتصر عنهم ولا تفرقهم علينا فإنه يصعب علينا جمعهم " . [٢]

---

[١] ابن بطوطة :الرحلة جـ ٢ / ١٧٤ ؛ الخزرجى : العقود ، جـ ٢ / ٦٢ ـ ٦٣ .
[٢] الخزرجى : العقود ، جـ ١ / ٢٤٩ ؛ وراجع أيضاً بامخرمة :ثغر عدن ، جـ ٢ / ١٨٣ .

٤- ديـوان الإنشاء

لم تشر المصادر التي تحدثت عن فترة الحكم الأيوبي في اليمن صـراحة إلي وجود ديوان للإنشاء أو الرسائل رغم إشاراتها العديدة في الكثير من صـفحاتها إلي الكتب والرسائل التي خرجت من البلاط اليمني آنذاك إلي سائر الأنحـاء في بـلاد اليمن أو إلي الأيوبيين بالديار المصريه [١] ، كذلك أمدتنا ببعض أسماء الكتّاب الذين عملوا بالإنشاء في البلاط اليمني ، أو عملوا ككتاب إنشاء لدى بعـض الأمـراء الكبار ، أمثال الكاتب : علوان الحاوى الرعيني الذى عمل كاتباً للإنشاء للملـك المسعود بن الكامل محمد [٢] ، كما اتخذ الأمير وردسار الأيوبي كاتباً لإنشائه مـن المصريين يُدعى القاضي الأشرف وكان ينتدبه بالإضافة لعمله الكتابي في التفـاوض وعقد الصلح واستحلاف الموالين للأمير [٣] ، كذلك كان القاضي أبو الغيث بـن الأصفهاني يشغل منصب كاتب الإنشاء للأمير بدر الدين حسن بن رسول أثنـاء عمله للأيوبيين والياً على صنعاء [٤] .

كما يفهم مما ذكره العمرى والقلقشندى أنه لم يكن لبني رسول ديـوان للإنشاء أسوة بأسلافهم الأيوبيين لأن كتاب الإنشاء عندهم كمـا يـذكران " لا يجمعهم رئيس يرأس عليهم ، يقرأ ما يرد على السلطان ويجـاوب عنـه ويتلقـى المراسيم وينفذها ، وإنما السلطان إذا دعت حاجته إلي كتابة كُتب ، بعث إلي كل منهم ما يكتبه ، فإذا كتب الكاتب ما رُسم له به ، بعثه على يد أحـد الخصـيان وقدمه إلي السلطان فَعلَّم عليه وَنفَذَّه " [٥] .

---

[١] راجع على سبيل المثال : الخزرجي : _الكفاية_ ، ق ١٣٠ .

[٢] الجندى : _السلوك_ ، جـ ١ /ق ١١٣ ؛الخزرجي : _العقود_ ، جـ ١ / ١٤٦ ؛ الأهدل : بدر الدين أبو عبد الرحمن الحسين بن عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م) : _تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن_ ، مخطوط مصور على ميكروفيلم رقم ٢١٢٣ ، بدار الكتب المصرية ، ق ٧٤ ، وعلوان هذا اشتهر بجودة الخط وجماله وقد كتب نسخة من كتاب البيان اشهر كتب الفقه المتداولة آنذاك باليمن وهى تأليف الفقيه أبو الحسن يحيى بن أبى الخير (ت ٥٥٨ هـ) ، وقد حملت النسخة المكتوبة بخط علوان إلي العراق ، راجع : الجندى : _السلوك_ ، جـ ١ / ١٠٨ ، ١١٢ ، الأهدل : _المصدر السابق_ : ق ٧١ – ٧٣ .

[٣] ابن حاتم : _السمط_ ، ص ١٣١ ؛ الأفضل : _العطايا السنية_ ، ق ٣١ .

[٤] ابن حاتم : _السمط_ ، ص ١٨٤ .

[٥] العمرى : _مسالك الأبصار_ ، ص ١٦٠ ؛القلقشندى : _صبح الأعشى_ ، (جـ ٥ / ٣٣ بيروت) .

ولكن هناك بعض الأدلة التي تجعلنا نرجح وجود مثل هـذا الـديوان في عصر الرسوليين لاسيما في عهد المؤيد الرسولي ، فيقول القلقشـندى نقـلاً عـن العمرى : " وعادة ما يكتب عنه في ديوان الإنشاء كعـادة الـديار المصـرية في المصطلح قال ورأيت علامة الملك المؤيد داود على توقيعها مثالها " الشاكر لله على نعمائه في سطر ، وتحته داود في سطر آخر " [١] . ومن ذلـك أيضـاً أن بعـض المصادر أشارت إلي وجود منصب كاتب الدرج [٢] ، وكاتب السر [٣] بين أرباب الوظائف في عهد كل من المؤيد والمجاهد من بني رسول ، والمعـروف أن كاتـب الدرج هو الذى يكتب المكاتبات ويدون المنشورات الصادرة من السـلطان [٤] ، وكاتب السر هو صاحب ديوان الإنشاء عند سلاطين المماليك في مصـر ويتـولى قراءة الكتب الواردة للسلطان وكتابة أجوبتها وأخذ خط السلطان عليها وتفسيرها وتصريف المراسيم الواردة والصادرة [٥] ، ومن هذه الأدلة أيضاً ما احتفظت لنا به المصادر من تراجم عدد من كتاب الإنشاء في العصر الرسولى ، وكان أغلب هؤلاء الكتاب من الوافدين إلي اليمن ، وبخاصة من مصر وقد عمل هؤلاء الكتاب علـى ترسيخ قواعد كتابة الإنشاء وقوانينها في بلاد اليمن ، حتى صار يتولاها بعد ذلك جماعة من أساطين الأدب في اليمن [٦] . من أشهر هؤلاء الكتاب الوافدين الأديب أبو مظفر موسى بن الحسين (ت ٦٩٩ هـ / ١٢٩٩ م) ويصفه الجندى بأنـه " من كرام الناس ، بحيث لم يكن فيمن وصل من مصر من يشابهه في الغالب ، علماً وأدباً ، وكذلك معاصره الأديب ناصح الدين المنبجى ، وكان ذا خـبرة ودرايـة كاملة بحسن الإنشاء ، وصنف مصنفاً في قواعد الدواوين اليمنية ونظام الضـرائب

---

(١) القلقشندى : نفسه، جـ ٥ / ٣٣ .ونلاحظ أن هذا النص لم يرد في النسخة المطبوعة من مسالك الأبصار التى بين أيدينا وما قاله العمرى " ورأيت علامة والد هذا السلطان القائم بها الآن (يعنى المؤيد) على توقيع وهو على المصطلح المصرى ما مثاله " ، راجع : مسالك الأبصار ، ص ١٥٣ .

(٢) الخزرجي : الكفاية ، ق ١٣٠ ، وكان أحدهم يعرف باسم تاج الدين بن الموصلى .

(٣) العمرى : مسالك الأبصار ، ص ١٥٤ ، راجع : ابن بطوطه ، جـ ٢ / ١٧٤ .

(٤) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٤ / ٣٠ ، جـ ٥ / ٤٣٧ (بيروت) .

(٥) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٤ / ٣٠ ، جـ ٥ / ٤٣٦ ، راجع أيضاً : العمرى (ت ٧٤٩ هـ) مسالك الأبصار تحقيق دوروتيا كرافولسكى ، ط١ ، بيروت ١٩٨٦ ، ص ١٢٠ .

(٦) من هؤلاء : اسحق بن محمد بن اسحق وكان معاصراً للأشرف الثانى . راجع : الخزرجى : الكفاية . ق ٢١٩ .

والرسوم [١] . ومنها ما رواه الخزرجي عند استقدام المؤيد للقاضي أبي المحاسن عبد الباقي بن عبد المجيد ليتولى كتابة الإنشاء فوصل اليمن قادماً من " دمشق على طريق مكة بطلب من السلطان الملك المؤيد فناله من إحسانه ما صغر عنده إحسان من مضى ... وولى كتابة الإنشاء في المملكة اليمنية " [٢] .

كذلك يقول الخزرجي أن الشيخ الفاضل منصور بن حسن الفرسي كان أحد أعيان الكتاب في الدولة المظفرية وصدر المؤيدية [٣] ، كذلك ما رواه عن أحد الفقهاء ويدعى محمد بن علي بن عمر العزيزي الشعبي (ت ٧١٨ هـ / ١٣١٨ م) فذكر أنه "خدم في الدولة المؤيدية كاتب الإنشاء وكان ذا دراية ثابتة " [٤] ، والشيخ أبي محمد الحسن بن محمد المعروف بمختار الدولة (ت ٧٢٩ هـ / ١٣٢٨ م) وكان من كبار قضاة مصر عالما بالحساب وتولى الكتابة للخزانة والإنشاء في عهد المجاهد [٥] ، وأمدنا أيضاً بإسم آخر من عهد المجاهد شغل هو الآخر منصب كاتب الإنشاء ويدعى القاضي بدر الدين حسن بن الموصلي [٦] ، كما تولى ذات المنصب القاضي وجيه الدين عبد الرحمن بن علي المقري في عهد الأفضل [٧] . كل هذه الشواهد ، بالإضافة إلي ما عرف عن سلاطين بني رسول منذ عهد المظفر ومن خلفه كالمؤيد من حرص بالغ على تنظيم قواعد الدولة الرسولية وفقاً لنظم ورسوم المماليك في مصر [٨] ، ويتضح ذلك على سبيل المثال في قيام المظفر بمحاولة تنظيم كتابة الرسائل والإنشاء على غرار النظام السائد بمصر المملوكية فقام باستدعاء عدد من كتاب الدرج بمصر [٩] ، كما برز ذلك الاتجاه

---

[١] الجندي : *السلوك* ، مصور على ميكروفيلم ، جـ ٣ رقم ١٨٤٨٥ ، ق ٣٦٣ .

[٢] الخزرجي : *العقود* ، جـ ١ / ٣٤٢ ، العسجد ، ١٩٠ ، *الكفاية* ، ١٥٢ ؛الفاسي : *العقد* ، جـ ٥ / ص ٣٢١ ـ ٣٢٤ .

[٣] الخزرجي : *العقود* ، جـ ١ / ٢٧٤ ـ ٢٧٥ وكان هذا الفقيه مشهورا بمهارته الفائقة في الحساب كما عرف بأمانته مما يجعلنا نرجح بأن الكتاب في ذلك العهد قد جمعوا إلي جانب الخط الفائق ، الدراية الثابتة بالأعمال الحسابية حيث عمل هذا الفقيه أيضا ناظرا بعدن ثم جبلة .

[٤] الخزرجي : *العقود* ، جـ ١ / ٢٥٧ .

[٥] الخزرجي : *العقود* ، جـ ٢ / ٥٣ .

[٦] الخزرجي : *العسجد* ، ق ٢١٥

[٧] الخزرجي :*الكفاية* ، ق ٢٠٨

[٨] العمري : *مسالك الأبصار* ، ص ١٥٢

[٩] الخزرجي : *العقود* ، جـ ١ / ٢٣٨

كما أوضحنا من قبل في استدعاء الملك المؤيد للقاضى عبد الباقى بن عبد المجيد وغيره لولاية كتابة الإنشاء في بلاده ، واتباع المصطلح المصرى في الرسائل والمكاتبات اليمنية (١) . كل ذلك يؤكد ما رجحناه من وجود ديوان إنشاء يمنى في عصر الرسوليين وإن كان لم يبلغ في تنظيمه وكفاءته ما بلغه نظيره المصرى في العصر المملوكى .

أما عن أوامر السلطان للُكّتاب فكان يقوم بحملها أحد الطواشية (٢) حيناً، وفي أحيان أخرى كانت تبلغ للُكّتاب عن طريق الوزير (٣) ، أما رسائل السلاطين إلي ملوك وحكام البلاد الأخرى فكانت تحمل على أيدى الخصيان أو الطواشية الذين اعتلى بعضهم منصب الدوادار ، وممن شغل هذا المنصب وتولى تسليم الرسائل السلطانية الطواشى افتخار الدين فاخر وكان دوداراً للملك الأشرف الثانى الرسولى (٤) ، وقام بحمل رسالته على رأس سفارة كبيرة إلي الديار المصرية في سنة ٧٩٨ هـ / ١٣٩٥ م ، ونلاحظ من تلك الرسالة التى أوردها القلقشندى . أن المكاتبة كانت تتم على نفس نهج الرسائل المملوكية فتبتدئ المكاتبة بلفظ " أعز الله تعالى أنصار المقام الشريف العالى المولوى السلطانى ، الفلانى بلقب السلطنة ... " ، ثم ذكر للمكان الذى صدرت منه الرسالة وهو[زبيد المحروسة] والمقصد والهدف من وراء المكاتبة ثم ختامها بالدعاء ونحوه . وأورد القلقشندى أيضاً انهم كانوا يكتبونها عادة على قطع الشامى الكامل وبخط الثلث (٥) .

---

(١) القلقشندى : _صبح الأعشى_ ، جـ ٨ / ٧٢ .
(٢) القلقشندى : _صبح الأعشى_ ، جـ ٥ / ٣٣ .
(٣) الخزرجى : _العقود_ ، جـ ٢ / ٦٣ .
(٤) القلقشندى : _صبح الأعشى_ ، جـ ٨ / ٧٢ .
(٥) القلقشندى : _نفسه_ : جـ ٨ / ٧٢ .وراجع نص الرسالة ص ٧٢ ــ ٧٦ .

الفصـــل الثانـــى

النظم الإدارية والمالية

الفصل الثانى
النظم الادارية والمالية

أولاً : النظم الادارية

أ – الولاة والمقطعون

ب – الدواوين أو (الشدود)

(شد الكبير – شد الخاص – شد الوقف – شد الأستيفاء – ديوان النظر – ديوان الجيش)

ثانياً : النظم المالية

١ – الايـــــرادات

أولاً – الموارد الشـــــــرعية :

أ – الزكاة　　　　ب – الجزية

ج – الخراج　　　　د – عشور التجارة

ثانياً – الموارد غير الشــــرعية :

– الضرائب والمكوس والضمان

– المصادرات

– المصالحات

٢– المصـــــروفات

أولاً: النظـــم الإداريـــة

أ- الولاة والمقطعـون

قسم الأيوبيون والرسوليون المناطق التى خضعت لنفوذهم مـــن المملكـــة اليمنية إلي عدة أقاليم إدراية كبرى . وقام الأيوبيون باختيار حكامها في الغالب من اقاربهم أو من رجالهم المخلصين [١] ، ممن توافرت فيهم القدرة والكفاءة اللازمـــان لضبط أمور هذه الأقاليم وإدارة شئوها ، وحَمَل هؤلاء الحكام العديد من الألقاب منها النائب [٢] ، والوالى [٣] ، والأمير المقطع [٤] ، والأتابك [٥] .

أما هذه الأقاليم الإدارية فهى:

١ – إقليم تهامة :

ويشمل معظم تهامة حيث يمتد من مدينة موزع[٦]جنوباً إلي حَرَض شمـــالاً ومن ساحل البحر الأحمر غرباً إلي منطقة الجبال شرقاً.وأول من تولى إمـــرة هـــذا الأقليم في العصر الأيوبى هو الأمير سيف الدولة مبارك بن منقذ الذى عينه تـــوران شاه نائباً على التهائم ومقره مدينة زبيد[٧]،وأحياناً كان يتم تقسيم هذا الإقليم إلي عدة مناطق صغيرة يعين على كل منها وال مستقل وأحياناً أخرى كانت تستقطع منه مدينتى الكدراء [٨] وزبيد حيث عين حكام بنى أيوب على كل منـــها واليـــاً ،

---

(١) اتجه توران شاه في بعض الأحيان إلي مصالحة بعض الزعامات القبلية ضمانا لولائها، فابقاها في السلطة مقابل دفع مبالغ مالية ، مثال ذلك مصالحته للسلطان عبد الله بن يحيى الجنبى صاحب ذروان. ابن حاتم :السمط ، ص ١٧ ؛ومصالحة العزيز طغتكين لبنى حاتم أصحاب صنعاء مقابل ثمانين الف دينار حاتمية ومائة حصان في السنة الواحدة . راجع ابن حاتم : السمط ، ص ٢٧ .

(٢) ابن حاتم : السمط ، ص ٢٠ .

(٣) ابن حاتم : لسمط ، ص ٢٧ ، ٣٠ .

(٤) ابن حاتم : السمط ، ص ٣٨ – ٣٩ .

(٥) ابن حاتم : السمط، ص ٧٩ .

(٦) موزع:تقع جنوب غربى تعز بمسافة ٨٠ كم،وهى آخر حدود تهامة من جهة الجنوب،ولذا تلحق بالقسم التهامى،وهى شديدة الحرارة وتطل على فضاء متسع،وحولها عدة أرباض ماهولة بالسكان وبها عدد من المساجد أهمها الجامع الكبير وإليها ينسب عدد من العلماء.راجع عنها المقحفى:معجم المدن،ص ٤١٧ ؛الأكوع:البلدان اليمانية،ص ٢٧٦ ،ابن الديبع:قرة العيون،ص ٢٤٦، هـ ٢ للمحقق .

(٧) ابن حاتم : السمط ، ص ٢٠ – ٢١ .

(٨) الكدراء : من مدن تهامة القديمة الخربة وتقع في وادى سهام، اختطها الحسين بن سلامة أحد أمراء بنى زياد في ق ٤ هـ / ق ١٠ م . راجع : المقحفى : معجم المدن ، ص ٢٤٦ .

مثلما حدث على عهد الناصر أيوب حينما أقطع بكتمر اليمنى " جميع تهامة سوى زبيد والكدراء " [١] .

٢- إقليم صنعاء :

وهو إقليم كبير يشمل مدينة صنعاء وأعمالها، ويجاور من الشمال والشرق بلاد الزيدية ، وقد انضم هذا الإقليم للحكم الأيوبى في عهد الملك العزيز طغتكين الذى وصل نفوذه إلي صعْده [٢] . ويمكن القول بأن حدود إقليم صنعاء لم تكن مستقرة بأى حال من الأحوال ، وارتبطت مساحته بين الزيادة والنقصان بنتائج الصراع الدائر وشبه المستمر بين حكام اليمن من الأيوبيين والرسوليين وبين أئمة الزيدية ، فأحياناً تتسع مساحة هذا الاقليم لصالح الأيوبيين حتى تصل إلي صعدة مثلما حدث عام ٥٨٥ -٥٨٦ هـ / ١١٨٩ - ١١٩٠ م . [٣] وأحياناً أخرى تتناقص مساحته وتدخل أجزاء كبيرة منه تحت نفوذ الدولة الزيدية ... ونظراً لمجاورته لتلك الدولة ولأهميته العسكرية ، فقد حرص حكام اليمن على اختيار واليه من بين كبار الأمراء المتسمين بالحنكة السياسية والعسكرية ، واشهر من تولى حكم هذا الإقليم الهمام أبو زبا (ت ٥٩٤ هـ / ١١٩٧ م) في عهد العزيز طغتكين[٤] والأمير شهاب الجزرى في عهد الملك المعز إسماعيل [٥] ، والأمير علم الدين وردسار الكردى في عهد الملك الناصر أيوب [٦] ، وظل ورد سار على إمرتها من

---

[١] ابن حاتم : *السمط* ، ص ٨٥ . وهناك إقليم المخلاف السليمانى ويقع شمال حَرَض ، وكان تحت حكم الأشراف السليمانيين ، الذين كانوا يستقلون به تماماً إبان فترات ضعف الدولة المسيطرة على اليمن ، فإذا قويت الدولة منحوا حكم هذا الإقليم كإقطاع ، وأحياناً كان يضاف إليه مدينتى حرض والهلية الواقعة قريبا من صعدة ... راجع في ذلك ابن حاتم : *السمط* ص ١٧٤ ، وكانت مدينتا حرض والهلية إقطاعاً لأشهر حكام السليمانيين وهو المؤيد بن قاسم بن غانم السليمانى بالإضافة إلي المخلاف، ونظراً للخلاف الذى وقع بينه وبين المسعود الأيوبى (بسبب جواد يعرف بالحومانى كان للمؤيد ورغب فيه المسعود فلم يعطه له) ، قام على أثره المسعود بعزله عن حرض والهَلية وأقطعهما لأميرين آخرين دخلا في صراع مع المؤيد انتهى بقتل المؤيد لهما . (راجع : ابن حاتم : *السمط* ، ص ١٧٤ ، وعن المخلاف السليمانى وحكامه وعلاقاتهم مع الأيوبيين راجع بالتفصيل : أحمد بن عمر الزيلعى : *بنو سليمان حكام المخلاف السليمانى وعلاقاتهم بجيرانهم* ، حوليات كلية الآداب ، جامعة الكويت ، الحولية ١٢ / ١٩٩٢ ، ص ٤٨ - ٦٦ وما بعدها) .

[٢] يحيى بن الحسين : *غاية الأمانى* ،ق ١ / ٣٣٥ .

[٣] ابن حاتم : *السمط* ، ص ٣٥ - ٣٨ ؛ يحيى بن الحسين : *غاية الأمانى* ، نفس القسم والصفحة .

[٤] ابن حاتم : *السمط* ، ص ٣٨ .

[٥] ابن حاتم : *السمط* ، ص ٦٧ ؛ يحيى بن الحسين : *غاية الأمانى* ، ق ١ / ٣٤١ ، ٣٤٥ .

[٦] ابن حاتم : *السمط* ، ص ٩٣ وما بعدها ؛ يحيى بن الحسين :*غاية الأمانى* ، ق ١ / ٣٥٩ .

عام ٥٩٨ إلي أن توفى مسموماً عام ٦١٠ هـ [١] ، ثم الأمير بدر الدين حسن بن على بن رسول ، وتولى إمرتها في عهد الملك المعظم سليمان بن شاهنشاه ، واستمر يتولاها في عهد الملك المسعود آخر ملوك بني أيوب باليمن [٢] .

٣- اقليم عدن :

ويشتمل بدوره على مدينة عدن وما حولها ، وعدن قاعدة واليه ، وأحياناً يمتد نفوذ هذا الوالى ليشمل بلاد حضر موت مثلما حدث عام ٥٧٥ هـ / ١١٧٩ م ، عندما تمكن الأمير عثمان الزنجبيلى أول نائب لها زمن الأيوبيين من الاستيلاء عليها وضمها لإقليمه [٣] ، وأحياناً أخرى كانت تنفصل عن عدن ، ويعين عليها واحد من الأمراء الكبار مثلما حدث في عهد المسعود الأيوبى عندما عين عليها الأمير عمر بن مهدى [٤] . ويبدو أن الأهمية الاقتصادية المتزايدة لعدن كانت وراء عدم استقرار ولاتها في حكم هذا الإقليم فترة طويلة من الزمن خشية انفراده بالأمر فيها تحت إغراء الأموال الطائلة المحصلة من وراء عمليات التبادل التجارى بالمدينة ، ونستدل على ذلك من تعدد ولاة مدينة عدن في فترة نيابة الأتابك سيف الدين سنقر عن الناصر أيوب في حكم البلاد حيث بلغ عدد الولاة ثلاثة هم على الترتيب الأمير شجاع الدين مهكار بن محمود (وكان معيناً عليها زمن المعز) ثم الشريف برعش ، ثم عُزل بالأمير أحمد بن عبد الله بن عبد الوهاب [٥] .

---

[١] ابن حاتم : السمط ، ص ١٥٢ .

[٢] ابن حاتم : السمط ، ص ١٦١ ، ١٨٩ ؛ الخزرجى : العقود ، جـ ١ / ٤١ ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ق ١ / ٤٠٢ .

[٣] ابن حاتم : السمط ، ص ٢٣ .

[٤] ابن حاتم : السمط ، ص ١٨٩ وراجع عن عمر بن مهدى وانفراده بامور حضر موت وما جرى منه تجاه المسعود إلى ان قتل على يد احد نوابه سنة ٦٢٣ هـ . ابن حاتم : السمط ، ص ١٨٩ - ١٩٢.

[٥] ابن حاتم : السمط ، ص ٨٥ ، ١٠٤ ، ١٠٥ . وتولاها زمن طغتكين بعد هروب الزنجبيلى الأمير ابن عين الزمان وظل على الإقليم من ٥٧٩ إلي ٥٨٥ هـ ، ثم عزل بالأمير فارس الدولة (راجع : الخزرجى : العسجد ، ق ٩٦ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص ٢٧٥ ؛بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، جـ ٢ / ١٠١ ، العبدلى : احمد بن فضل بن على بن محسن : هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن، القاهرة ١٣٥١ هـ ، ص ٧٤ ؛ محمد عبد العال أحمد : الأيوبيون في اليمن ، ص ١٢٣ .

٤- اقليم تعـز :

ويمتد من بلاد جَنْب شمالاً إلي لحج جنوباً ، ومن تهامة غرباً إلي بلاد الحِجْر شرقاً ، ويضم بين جنباته عدداً من المخاليف أشهرها الجَنَد وذى جبلـة ومخـلاف جعفر . وكان توران شاه قد قسمه إلي منطقتين كبيرتين الأولى تعز والجند وأعمالها وجعل عليها الأمير ياقوت التعزى نائباً عنه هناك ، والثانية ذى جبله وما حولهـا كحصن التعكر ومخلاف جعفر ، وجعل عليها الأمير مظفر الدين قايماز [(١)] ثم صار بعد ذلك وبعد استقرار دعائم الحكم الأيوبى في اليمن بدءاً من عهد العزيز طغتكين إقليماً واحداً قاعدته تعز، ويتولاه نائب ويساعده مجموعة من النواب في القـلاع والمدن التابعة له . ويُعد هذا الإقليم هو قلب الدولة الأيوبية والرسولية ففيه خزائن الدولة ومركز استقرارها .

وهناك عدد من الأقاليم الصغيرة التى عين لها الأيوبيون والرسـوليون ولاة قاموا على أمرها منها إقليم بلاد جنب ويقع بين إقليم صنعاء في الشمال ، وإقلـيم تعز في الجنوب وقاعدته ذمار واشهر ولاته في عهد طغتكين مظفر الـدين قايمـاز (أحد نواب المعظم توران شاه الأربعة) [(٢)] .

٥- اقليم حجة :

ويقع إلي الشمال الغربى من صنعاء وكان محلاً للصراع الدائم بـين أئمـة الزيدية وحكام اليمن من الأيوبيين والرسوليين ، ومتى اسـتقل بـه الأيوبيـون أو خلفائهم كانوا يولون عليه عاملاً يقوم بأمره ، ونضيف إلي ما سبق مـن أقـاليم إقليمياً يعرف بوصاب كان يقع شرقى زبيد وكان يتولاه لفترة من الـزمن بعـض أبناء البيت الرسولى [(٣)] .

ونلاحظ أن التقسيم الإدارى لبلاد اليمن في العصر موضوع الدراسـة لم يكن يستقر على وضع واحد، وبخاصة في المناطق المجاورة لأملاك الدولة الزيديـة،

---

(١) ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٢٠ .
(٢) ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٢٧ ؛يحيى بن الحسين :_غاية الأمانى_ ، ق ١ / ٣٢٩ .
(٣) الحبيشى (وجيه الدين الحبيشى الوصابى ت ٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م) : _الاعتبار في التواريخ والاخبار المعروف بتاريخ وصاب_ ، تحقيق : عبد الله الحبشى : ط ١ ، صنعاء - بيروت ١٩٧٩ ، ص ١١٠ - ١١١ .

ونعني بها مناطق صنعاء وحجة بصفة خاصة ، فكانت مساحة أملاك الأيوبيين والرسوليين بها تزيد وتنقص حسب مقتضيات الصراع الدائر بينهما وبين الزيدية ونتائجه ، ويمكن القول بأن أقصى اتساع بلغته أملاك الأيوبيين باليمن كان على عهد سيف الإسلام طغتكين إذ امتدت حدود دولته من عدن وحضر موت جنوباً إلي الجوف وصعدة شمالاً [١] .

ومما لاشك فيه أن اليمن عرفت النظام الإقطاعي بعد أن أصبحت تابعة للأيوبيين،فقد استخدمه هؤلاء كأسلوب إداري في حكم بلاد اليمن،بحيث يمكننا القول بأن اليمن بعد استيلاء توران شاه عليها صارت بمثابة إقطاع خاص به،ولذا نجده يقسمه إلي عدة إقطاعيات ويقوم بتوزيعها على كبار الأمراء المصاحبين له عندما عزم على العودة للديار المصرية،وكان كل أمير من هؤلاء النواب المقطعين يقوم على إرسال ما توفر لديه من أموال الخراج الخاصة بإقطاعه بعد أن يخصم منها كافة نفقات الإقطاع إلي توران شاه في مقر إقامته بالإسكندرية [٢]، الأمر الذي يشير بوضوح إلي اتخاذ الإقطاع كأحد الأساليب الإدارية لتسيير الحكم في اليمن .

ويتطلب الأخذ بهذا النظام قيام الأمير المقطع بجمع كافة موارد البلاد الإقطاعية من مصادرها المختلفة كخراج وضرائب ومكوس ونحوه ، والصرف منها على متطلبات الإقطاع من أرزاق للجند ونفقات عسكرية وغيرها . وكان من شأن استخدام الأيوبيين ومن بعدهم الرسوليين لهذا النظام، ومنح السلطة الإدارية لبعض المناطق على شكل إقطاعات ، العمل على تحديد مناطق نفوذ الأمراء المقطعين والتيسير عليهم في فرض سلطاتهم المختلفة من عسكرية وسياسية وإدارية على المناطق التي منحوا إقطاعها وذلك مقابل الالتزام بالدفاع عنها وتنظيمها إدارياً بأوامر الملك أو السلطان أو من ينوب عنهما من حيث معاونته متى طلب منه ذلك في إخضاع المناطق المتمردة ، أو إخضاع مناطق جديدة [٣] .

---

[١] يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ق ١ / ٣٣٥ – ٣٣٦ .
[٢] بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، جـ ٢ / ٣٨ .
[٣] مثال ذلك : ما طلبه الأتابك سنقر عام ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م من الأمير علم الدين وردسار أمير صنعاء من الخروج معه على رأس قواته لقمع التمرد بوصاب فالتزم وردسار بالأمر وخرج على رأس جنوده من صنعاء حيث التقى بالأتابك سنقر في موضع يعرف بالذعارى على مقربة من وصاب ، (راجع عن ذلك بالتفصيل : ابن حاتم : السمط ، ص ١٣٣ – ١٣٤) .

وقد انتهج خلفاء توران شاه من الأيوبيين نهجه في توزيع الإقطاعيات على الأمراء ، وكانت تمنح طبقاً لقدر كفايتها للجند المرتبين بها ، مثال ذلك ما أورده صاحب السمط من قيام الملك طغتكين بن أيوب بمنح منطقة صنعاء إقطاعاً للأمير الهمام ابي زبا، وقسمها إلي مقاطعتين كبيرتين طبقاً لقدر كفاية كل منطقة لما رتُب فيها من جند فيقول " وكانت البلاد يومئذ تحمل العسكر ، فيقال أنه كان من نقيل يسرح إلي نقيل صيد نحو ثلثمائة فارس ، ومن نقيل سرح إلي نقيل عجيب نحو مائتي فارس " [١] ، وفي حالة احتياج منطقة لزيادة الجند المرتبين بها يضاف إليها من المنطقة الأخرى أو المناطق المجاورة، ولذا جَعَل للهمام ثلاثة أمراء مقطعين بمثابة مساعدين له، وعَيَّنَ لكل منهم إقطاعاً قائماً بذاته [٢] ، وأمرهم بالطاعة لأبي زبا ومعاونته بجيوشهم متى طلب منهم ذلك ، وأن " يأتمروا بأمره وينتهوا بنهيه "[٣] وكان الهدف من هذه الإقطاعات للهمام أبي زبا، وتبعية الأمراء الثلاثة له هو تدعيم قوة الهمام العسكرية حتى يستطيع الدفاع عن صنعاء ومقاومة آل حاتم المتحصنين بالجبال المحيطة بها ، وكذلك لمقاومة النفوذ الزيدى المتزايد حيث كان الزيديون يسعون بين الحين والآخر إلي محاولة مد سيطرتهم على صنعاء .

ومن الإقطاعات التى أقطعها الملك طغتكين مدينة " القحمة " وأقطعها للأمير ياقوت القحمى [٤] . وأبقى الأمير ياقوت التعزى على إقطاعه الذى منحه له توران شاه في تعز . ولكن حدث أن صاهر التعزى القحمى (حيث تزوج جمال الدين أحمد بن التعزى من إبنة ياقوت القحمى) ... " فلم يرض الملك العزيز ذلك وخشى أن يتفقا على الخلاف وإفساد العسكر ، فقبض عليهما وبعثهما إلي الديار

---

(١) ابن حاتم : السمط ، ص ٣٨ ـ ٣٩ .

(٢) الأمير الأول وأقطع له مرعان ورداع وتقع إلي الشرق من ذمار بمسافة ٥٣ كم ، وبلاد عنس غرب ذمار بمسافة ٤١ كم وتسمى عنس السلامة ؛ راجع المقحفى : معجم المدن ، ص ١٧٥ ، ٢٩٨ ـ ٢٩٩ ؛ أما الأمير الثانى فقد أقطع له : جهران جنوب صنعاء بمسافة ٦٦ كم ، والسفل هى إحدى قرى الجوف الأعلى ، وألهان وهو جبل في آنس نسبة لقبيلة ألهان ؛ راجع : المقحفى : ص ٣٤، ١٢٥ ، ٢٠٧ . والأمير الثالث اقطع له الحقل ، وهو متسع من الأرض ويطلق هذا الاسم على عدة مواضع باليمن ، ولعل المقصود به حقل شرعة جنوب شرق ذمار بحوالى ٥٨ كم ، راجع : المقحفى : معجم المدن ، ص ١٢٦ ، وعن هذه الإقطاعيات انظر : ابن حاتم : السمط ، ص ٣٨ .

(٣) ابن حاتم : السمط ، ص ٣٨ ـ ٣٩ .

(٤) ابن حاتم : السمط ، ص ٣٩ ، اما القحمة فهى قرية تهامية خربة على وادى ذوال في الشمال الشرقى من زبيد بين بيت الفقيه والمنصورية ، راجع : المقحفى : المرجع السابق ، ص ٣٢٤ .

المصرية " [١] . كما أقطع حَرَض للقاضى الأسعد وكان في الأصل كاتباً عنده فرقاه ورفعه إلي مصاف إمرة الطبلخاناه " وشال له حملاً وعلماً " [٢] .

وكانت هذه الإقطاعات تتغير دائماً بتغير الملوك في اليمن [٣] ، كما أنها اتسعت لتشمل معظم أنحاء اليمن ، ففى عهد الملك المعز إسماعيل بن طغتكين أبدل اقطاع صنعاء من الهمام أبي زبا إلي الشهاب الجزرى وأعتقد أنه أكبر إقطاع منحه المعز في فترة حكمه ، إذ بدأت المصادر منذ بداية عهده تشير إلي نوع آخر من الإقطاعيات الصغيرة – لاسيما في المنطقة التهامية من زبيد إلي حرض – مُنح لعدد من الأمراء وأطلق عليه اسم الرتبة وجمعها الرتب ولعلها كانت صورة من صور الاقطاع الحربى حيث كان الملك يمنح الأمراء ومعهم جنودهم بعض المدن الصغيرة للقيام بالدفاع عنها [٤] . كذلك أقطع حرض للأمير هلندرى بدلاً من القاضى الأسعد ويبدو أن ذلك الإقطاع كان مكافأة له على تحالفه معه على إعاقة تقدم الأمير وردسار – الخارج على المعز – ووصوله إلي الإمام عبد الله بن حمزه [٥] .

ومن أمثلة التنقلات والتغييرات التى كانت تطرأ على التوزيع الإقطاعى مع كل حاكم جديد ، ما حدث في نيابة الأتابك سنقر أتابك الملك الناصر ، حيث كثرت الإقطاعات وانتشرت في اليمن بشكل واسع ، فقد منح إقليم صنعاء إقطاعاً للأمير وردسار من نقيل سرح إلي البون ، وأقطع بكتمر تهامة ماعدا زبيد والكدراء[٦] بينما اقطع ذمار ورداع لأحد أمرائه ويدعى البغش المعظمى [٧] وأقطع الأمير بدر الدين حسن بن رسول ريمه [٨] وأقطع لحج للأمير غازى بن جبريل [٩]

---

[١] ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٣٩ .
[٢] ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٤٣ .
[٣] ابن حاتم : _السمط_ ، ص ١٤٩ ، ١٦١ .
[٤] ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٧٩ ؛ يحيى بن الحسين : _غاية الأماني_ ، ق ١ / ٣٥٢ .
[٥] راجع عن ذلك : _السمط_ ، ص ٧٨ ، يحيى بن الحسين : _غاية الأماني_ ، ق ١ / ٣٥٥ – ٣٥٦ .
[٦] ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٨٥ – ٩٦ حيث يذكر أن سنقر رفع وردسار إلي إمرة الطبلخاناه " وساق إليه عشرين ألف دينار وعشرين مملوكاً وعشرين حصاناً وأضاف إليه رُمح معونة له لأجل النفقات "، كما أضاف إلي بكتمر المهجم أيضاً. راجع : ابن حاتم : _السمط_ ، ص ١٠٥ .
[٧] ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٩٦ .
[٨] ابن حاتم : _السمط_ ، ص ١٠٥ .
[٩] ابن حاتم : _السمط_ ، ص ١٤٨ .

كما أقطع (المخلاف السليماني) للشريف المؤيد بن قاسم بعد إطلاق سراحه من الأسر الأيوبي عام ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م . [١]

وجدير بالذكر أن منح الإقطاعيات لم يكن قاصراً على أفراد الأسرة الأيوبية وكبار الأمراء بها ، وإنما تعدى ذلك إلي بعض المشايخ العرب وزعمائهم ، ورأينا من قبل قيام الأتابك سنقر نيابة عن الملك الناصر بإقطاع حرض وأراضي المخلاف السليماني للمؤيد بن قاسم، كذلك منح محمد بن جحاف بلاد حجة إقطاعاً له وكان من حلفاء الأتابك وموالياً له ضد أعدائه من الأشراف [٢] .

ثم حدثت عدة مناقلات إقطاعية بعد وفاة الأتابك سنقر عام ٦٠٨ هـ / ١٢٠٠ م واستقلال الملك الناصر أيوب بالملك ، فقد فصل حرض والمَهْلِّية من إقطاع الشريف المؤيد بن قاسم ، وأقطعهما بدلاً عنه للأمير بدر الدين حسن بن رسول بعد أن فصله عن ريمة [٣] ، وظل عليهما إلي عهد المعظم سليمان بن شاهنشاه حيث أقدم الأخير على منحه صنعاء إقطاعاً له في محاولة للغدر به وقتله ، ولكنه هرب إلي الدملؤة [٤] ، وأقطع سيف الدين بن عُصية المحالب ، بينما أبقى كلاً من الأمير فخر الدين أبي بكر بن على بن رسول على ولاية البلاد الوصابية ، والأمير وردسار على صنعاء وأضاف إليه حصن السمدان وذمار ورداع وغيرها من الجهات التي تضاف إلي صنعاء [٥] .

وفي عهد الملك المعظم سليمان شاهنشاه – والذى لم يستغرق سوى سنة واحدة تقريباً – استمر منح الإقطاعات وتغييرها ، ويزودنا صاحب السمط ببعض هذه المنح والإقطاعات ، فنجده يقطع أحد مماليكه ويدعى الأمير أبو شامه صنعاء

---

[١] راجع تفاصيل ذلك في ابن حاتم : السمط ، ص ١٤١ – ١٤٢ ؛ بامخرمة : قلادة النحر ، جـ ٣ / ٨١٧ ؛ محمد عبد العال أحمد : الأيوبيون في اليمن ، ص ٢١٥ – ٢١٦ ؛ احمد الزيلعى : المخلاف السليماني : ص ٦٢ – ٦٣ .

[٢] ابن حاتم : السمط ١٤٢ ، ١٤٥ ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ق ١ص ٣٩٤ ؛ الزيلعى : المخلاف السليماني ص ٦٣ .

[٣] ابن حاتم : السمط ، ص ١٤٨ ، أحمد الزيلعى ، المخلاف السليماني ، ص ٦٣ – ٦٤ .

[٤] ابن حاتم : السمط ، ص ١٦١ .

[٥] ابن حاتم :السمط ، ص ١٤٨ – ١٤٩ وجدير بالذكر أن هذه الإقطاعات كما نتبين ذلك من الرواية التاريخية كانت تتضمن مباشرة ولاية هذه المناطق ولاية فعلية وليس الاكتفاء بالحصول على إيرادات هذه الإقطاعات فقط .

بعد وفاة وردسار سنة ٦١٠ هـ ، ويمنح أحد أمراء الأكراد ويدعى صالح بن هشام ذمار وكانت من قبل تابعة لوردسار [1] . واستمرت عملية منح الإقطاعات وإعادة توزيعها على عهد الملك المسعود أيضاً (٦١٢ – ٦٢٦ هـ / ١٢١٥ – ١٢٢٨ م) ، فنجده يباشر هذه العملية فور دخوله اليمن فيختص بها الأمراء المخالفين لسلفه سليمان بن شاهنشاه ، ممن خرجوا لاستقباله حيث نصب مخيمه بالَهلّية ، وكان أول المقطعين هو الأمير بدر الدين الحسن بن علي بن رسول الذى أفاض عليه المسعود الخلع السنية " وأقطعه من تلك الساعة القحمة " بينما أقطع أخاه الأمير نور الدين عمر بن علي صُهبان ، كما أنعم على أتابكه القادم معه من الديار المصرية ويدعى جمال الدين بن فليت الكدراء ورُمع [2] ، بينما فصل المؤيد بن القاسم عن حرض والهَلّيّة [3] ، وأقطعهما لأميرين أيوبيين أحدهما يدعى الخوارزمي والثاني يسمى المجاهد النظامي [4] ، كما أضاف صنعاء إلي الأمير بدر الدين إلي جانب القحمة [5] ، ثم نقل الأمير نور الدين عمر سنة ٦١٩ هـ / ١٢٢٢ م من إقطاعه بصُهبان إلي إقطاع جديد بمكة عقب نجاحه (المسعود) في الاستيلاء عليها [6] ، كما أقطع الأمير عمر بن مهدى أبْيَن وأحور ثم زاده بناء على طلبه المفاليس والسهلة وبلاد بني مسيلة كما استنابه في حضرموت والشحر مقابل نصف خراجها [7] ، وأنعم أيضاً على بعض أفراد البيت الرسولى بعدد من الإقطاعات ، فأقطع الأمير شرف الدين بن علي بن رسول جهران ، والأمير فخر الدين بن علي بن رسول التَّرْبية [8] وذلك عند عودته من الديار المصرية سنة ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ م ، كما أنعم على ابن وردسار ويدعى الأمير عز الدين بالمهجم

---

(١) ابن حاتم :السمط ، ص ١٥٩ .
(٢) ابن حاتم :السمط ، ص ١٦٧ ؛ الخزرجي :العقود جـ ١ / ٤١ .
(٣) ربما يكون سليمان قد أعادهما إليه إبان حكمه وإن لم تذكر المصادر ذلك صراحة بدليل فصل المسعود لهما عن اقطاعات الشريف السليماني . راجع في ذلك أحمد الزيلعي :بنو سليمان حكام المخلاف السليماني ، ص ٦٤ – ٦٥ .
(٤) ابن حاتم :السمط ، ص ١٧٤ .
(٥) ابن حاتم :السمط ، ص ١٧٥ ؛ الخزرجي :العقود جـ ١ / ٤١ .
(٦) ابن حاتم :السمط ، الصفحة نفسها ؛ الخزرجي :العقود ، جـ ١ / ٤١ .
(٧) ابن حاتم :السمط ، ص ١٨٩ – ١٩٠ .
(٨) ابن حاتم :السمط ، ص ١٩٣ .

إقطاعاً له ، وظل عليه حتى توفى سنة ٦٢٥ هـ / ١٢٢٧ م [١] ، أما صنعاء فقد أقطعها للحسام لؤلؤ ثم عاد وفصلها عنه سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م تمهيداً لاستنابته عند سفره الثانى وأقطعها للأمير نجم الدين بن أبى زكرى [٢] . وهكذا نرى أن عملية التوزيع الإقطاعى واتخاذه نظاماً للإدارة ظل مستمراً طوال العهد الأيوبى في اليمن .

ويمكن القول من خلال العرض السابق أن الإقطاعات الصغيرة كانت أحياناً تستقل كإقطاع قائم بذاته وأحياناً تضم إلي إقطاعات أخرى أكبر منها كالشأن مع جهران التى كانت تضم أحياناً لصنعاء وأحياناً تستقل عنها ، كذلك الكدراء ورمع كانتا تضمان لزبيد حيناً وأحياناً أخرى تنفصلان عنها .

كذلك يلاحظ أن هذه الإقطاعات كانت مرتبطة برضاء شخص الملك على الأمير المقطع ومدى ولاء الأخير وإخلاصه لشخصية الحاكم من ناحية ، وعلى تمام قدرته في القيام بما يطلب منه لاسيما الواجبات العسكرية من ناحية ثانية، وفي حالة الإخلال بأى من هاتين الناحيتين يقوم الملك أو السلطان بحرمانه من إقطاعه أو تسليمه لغيره ، وأحياناً يصل العقاب إلي حد الطرد أو النفى من البلاد وتمثل ذلك في إقدام طغتكين على طرد الأمير هلندرى بن أحمد المروانى الكردى ونفيه إلي الشام [٣] ، وقد يكتفى بانتزاع الإقطاع وتسليمه لآخرين مثلما حدث مع العديد من الأمراء المقطعين ومنهم المؤيد بن القاسم حاكم المخلاف السليمانى .

ويلاحظ أيضاً من توزيع هذه الإقطاعيات أن الحكومة المركزية كانت تعمد إلي بعثرة الإقطاع في أماكن متفرقة وبعيدة عن بعضها خشية أن يستقل بها الأمراء المقطعون ، فيخرجون على السلطة ويزداد نفوذهم ، على حساب السلطة الشرعية المركزية ، وهذه البعثرة أدت إلي ضمان استمرار سلطة الأيوبيين على

---

(١) ابن حاتم : السمط ، ص ١٩٤ .
(٢) ابن حاتم : السمط ، ص ١٩٤ ومن المعروف أن الحسام لؤلؤ رفض النيابة وأصر على مصاحبة المسعود في عودته للديار المصرية ، راجع ، المصدر نفسه ، ص ١٩٥ .
(٣) ابن حاتم : السمط ص ٦٧ ، وانظر أيضاً مثالاً لذلك من العهد الرسولى في الخزرجى : العقود جـ ٢ / ١١٩ .

الإقطاع والأمراء ولعل أبرز مثال على ذلك بعثرة إقطاعات أسرة بني رسول بين صنعاء والقحمة وصُهبان ووصاب ومكة المكرمة ، وكذلك الأتابك بن فليت حيث أقطع الكدراء ورُمع .

كما يمكننا القول من خلال التعرف على مساحات هذه الإقطاعات بأن اتساع مساحات الإقطاعات الممنوحة أو صغرها كان يرتبط إلي حد كبير بمدى إخلاص المقطع والثقة فيه وكفاءته الإدارية والحربية ، وكلما عظمت هذه الكفاءة كلما اتسع إقطاعه وضم العديد من المناطق ، مثال ذلك إقطاعية صنعاء التي كانت قاصرة في إقطاعها على كبار أمراء بني أيوب وأقدرهم ليتمكنوا من مواجهة القوى المضادة للأيوبيين حولها من الأئمة الزيدية وأعوانهم من القبائل العربية الخارجة على سلطان الأيوبيين . ومن أمثلة ذلك إقطاع الأمير الهمام أبو زبا صنعاء وما حولها[1].

أما في عصر الدولة الرسولية فقد استمرت الولايات والإقطاعات أساساً للنظام الإدارى للدولة ، فاسندت ادارة العديد من مدن وجهات اليمن إلي مجموعة من الولاة يعينون من قبل السلطان ويقومون بإدارة هذه الولايات لصالح السلطان أو تعتبر بمثابة إقطاع يمنحه السلطان للمقربين إليه من رجال الدولة وذوى النفوذ بها . ونلاحظ أن الإقطاع الواحد قد يضم أحياناً أكثر من جهة للمقطع الواحد كما كان الحال في عهد الأيوبيين [2] .

وفي أواخر عهد المنصور نور الدين عمر مؤسس الدولة الرسولية أقدم على إعادة إقطاع وتولية بعض المدن والأقاليم اليمنية لمجموعة من كبار رجال الدولة ، وقد أمدنا ابن حاتم بقائمة تتضمن أسماء هؤلاء الأمراء المقطعين والمناطق التي أسندت إليهم لولايتها أو منحت لهم كإقطاع لإدارتها وهى كالآتى :

---

[1] راجع ابن حاتم : السمط ، ص ٣٨ – ٣٩ .

[2] راجع عن ذلك : ابن حاتم : السمط ، ص ٢٣٣ ؛ الخزرجى : العقود ، جـ ٢ / ١٤٥ .

المقطع	اسم الاقطاع
الملك المظفر بن المنصور	المهجم بتهامة وكانت قائمة على وادى سردد وتهدمت في ق ١٢ هـ / ١٨ م
المفضل بن المنصور [١]	الخالب (قرية تهامية خربة تقع في وادى مور)
فخر الدين الحسن بن رسول(ابن أخى المنصور)	فشال + رمع (بين وادى زبيد ووادى سهام).
أسد الدين بن الحسن بن رسول	صنعاء + القحمة (بتهامة قرب زبيد)
شمس الدين على بن يحيى	السهلة + صهبان وستبة وبحرانه وريمة واحاظه [٢]
بدر الدين محمد بن أحمد بن خضر	الخيمة [٣] والجند (شمال شرق مدينة تعز بحوالى ٢٢كم)
بدر الدين بن فتح الدين	بلاد حباجر [٤]
والدة بدر الدين	إب جنوب صنعاء بحوالى ١٤٠ كم
البندقي	لحج (جنوبي اليمن)
الخوارزمي المنصورى	ذبحان وجبا [٥]
بدر الدين بن فيروز	بلاد الأشعوب حول حصن الدملؤة ومعها جهة أخرى لم يحددها صاحب السمط
ناصر الدين يونس بن التعزى	قفاعة وشرعب [٦]
المبارز بن برطاس	حيس وموزع والحازتين والشريحان والقرتب (من قرى وادى زبيد)
علم الدين سنجر الشعبي	القحرية بتهامة بالإضافة لولايته لتعز
الشريف على بن قتادة	العارضة [٧]
ابن البصرى	حَرضَ والهَلَية
المعز [٨]	الراحة وهي موضع في أوائل أرض اليمن بتهامة
ابن المسيب	مكة [٩]

(١) يلاحظ أن صاحب السمط لم يورد إقطاع الابن الثالث للمنصور وهو الفائز

(٢) نلاحظ هنا تفتيت وبعثرة هذا الإقطاع في أكثر من مكان فيما بين إب وأبين

(٣) لعلها الخيمة الواقعة جنوب صنعاء (راجع معجم المدن) ص ١٣٦ .

(٤) يذكرها محقق السمط الجنائز وما اثبتناه الصواب .

(٥) من أعمال تعز ونواحيها . (راجع : الأكوع : البلدان اليمانية ، ص ٦٩ ، المقحفى بمعجم المدن ، ص ١٦٦) .

(٦) ذكرها محقق السمط فقاعة . والصواب ما اثبتناه وقفاعة تقع شمال غرب تعز ، وشرعب من نواحي تعز ، راجع : المقحفي : معجم المدن ، ص ٢٢٩ ، ٣٣٤ .

(٧) هناك عدة مناطق تعرف بالعارضة في اليمن ، ولعل المقصود هنا هي أشهرها واكبرها وتعرف بعارضة كوكبان وهي تشرف على مدينة شبام كوكبان الواقعة شمال غربي صنعاء ، راجع : معجم المدن ، ص ٢٧٣ ، ٣٥٣ .

(٨) ذكره هكذا صاحب السمط دون القاب .

(٩) راجع عن هذه القائمة ابن حاتم : السمط ، ص ٢٢٣ – ٢٢٤ ، ٢٣٥ – ٢٣٦ ؛ الخزرجي : العقود جـ ١ / ٨٧ .

ويلاحظ من مطالعة هذه القائمة التي تشير للوضع الإدارى ببلاد اليمن في أواخر عهد المنصور أنها لم تشتمل على ذكر زبيد وعدن وتعز على سبيل المثال ، ولعل ذلك يرجع إلي قيام عدة ولاة بأمورها في تاريخ سابق للتوزيع الإقطاعى المذكور ، واستمروا يتولونها حتى نهاية عهد المنصور ، فتعز كان يتولاها علم الدين سنجر الشعبى [١] الذى حاز القحرية إقطاعاً إضافياً له كما وضح من القائمة السابقة ، بينما كان يتولى زبيد وإل من مماليك المنصور يدعى قايماز [٢] ، أما عدن فكانت تحت إمرة وال يدعى تاج الرئاسة ، وقد تعاون هذا الناظر أو الوال مع المظفر وامتنع عن تسليم خزانة عدن لمنافسيه على السلطة [٣] .

كذلك يلاحظ أن بعض هذه الإقطاعات كانت تتم مقابل مبالغ مالية معينة كان المقطع يبذلها للسلطان ، ويتمثل ذلك فيما أورده الخزرجى ووافقه على ذلك صاحب السمط حيث ذكرا أن ابن المسيب (شمس الدين محمد) طلب من المنصور نور الدين عمر إقطاعه مكة بدلاً من ابن الشلاح [٤] ، مقابل " ما بذله من القطعة " وهى عبارة عن الالتزام بأداء مائة حصان ومال نقدى يحمل إلي الخزانة بعد كفاية الجند في كل سنة [٥] .

وكما جرت العادة كانت تحدث العديد من المناقلات والتغييرات الإقطاعية أكثر من مرة سواء في عهد السلطان الواحد [٦] ، أو مع بداية عهد سلطان جديد ، مثال ذلك ما قام به المظفر الرسولى من مناقلات وتغييرات إقطاعية، فنجده يبدأ عهده بإقطاع مجموعة من الأمراء الموالين له ، فيقطع المبارز بن برطاس رمع ويفصله عن خيس وموزع ويقطعهما لابن البصرى ، بينما يقطع

---

[١] ابن حاتم : السمط ، ص ٢٣٦ .
[٢] الخزرجى : العقود ،جـ ١ / ٨٧ ، ١١٣ .
[٣] ابن حاتم :السمط ، ص ٢٦٥ .
[٤] ابن الشلاح هو فخر الدين اياس بن الشلاح وتولى إمرة مكة زهاء سبع سنوات من ٦٣٩ إلي ٦٤٦ هـ وهو تاريخ ولاية ابن المسيب لها ، واتسمت إمرته بالعدل والصلاح حتى ان ابن حاتم يعلق على ذلك قائلاً " لم ير أهل مكة مثلها في الخير .... وكانت ايامهم في هذه السنين مواسم واعياد " .
راجع: ابن حاتم : السمط ، ص ٢٢١ ــ ٢٢٢ ؛ الخزرجى : العسجد ، ق ١١٩ .
[٥] ابن حاتم : السمط ، ص ٢٢٦ ــ ٢٣٤ ؛الخزرجى : العقود ، جـ ١ / ٧٧ ؛ المقريزى : السلوك ، جـ ١ / ٣٣٢ ــ ٣٣٣ .
[٦] ابن حاتم : السمط ، ص ٢٢٣ ــ ٢٢٤ .

الحازتين وكانت للمبارز أيضاً إلي قايماز والى زبيد، ويقطع المحالب وكانت لأخيه المفضل الخارج عليه إلي الأمير المعينْ ، بينما يفصل حرض عن ابن البصرى ويقطعها للأمير الأميني [١] .

وفي سنة ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م يعيد توزيع الإقطاعيات من جديد ، بعد أن استتب له أمر البلاد عن ذى قبل ، وانضم إليه العديد من كبار الأمراء فخلع عليهم وأقطعهم ، فعلى سبيل المثال نجده يعهد بإقطاع القحمة للأمير ناصر الدين البرطاسي ، ولحج للعماد البرطاسي [٢] ، ويفصل الخوارزمي المنصورى المتمرد عليه عن ذبحان وجبأ ويقطعهما لناصر الدين يونس بن التعزى ، بينما يفصل عنه قفاعة وشرعب ويقطعهما بالإضافة إلي ذخر إلي البندقي الذى فصله عن لحج ، بينما يقطع عنس والمشيرق إلي شمس الدين على بن يحيى إضافة إلي ما بيده من إقطاع مستمر عليه منذ عهد المنصور الرسولى ، كذلك أقطع الأمير بدر الدين بن خضر بلاد الأشعوب والقاعين والظفر إلي جانب الخيمة التي كان مقطعاً لها منذ عام ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م [٣] .

ولم يقتصر منح الإقطاعات على الأمراء وكبار رجال البيت الرسولى بل كما كان الحال في العصر الأيوبي ، امتدت هذه المنح الإقطاعية إلي مشايخ العرب ورؤساء القبائل ضماناً لولائهم وقيامهم بأداء واجبهم القتالي إلي جانب السلطان متى طلب منهم ذلك ، وجريا على ذلك قام المظفر بإقطاع عدد منهم عدة مناطق مكافأة لهم على وقوفهم إلي جانبه ضد منافسيه على السلطة، ومن هؤلاء القرابلى الذى أقطعه المقصرية ، وابن أبي ذكرى وأُقطع لعسان، كما مُنحوا العديد من المسامحات الضريبية والزيادة في الجامكية ، وابن كنانة وقلده أمور المهجم [٤]
كذلك لم يستقر هذا التقسيم الإدارى في عهد الرسوليين على حال واحدة ومرجع ذلك كثرة الصراعات والحروب التي دارت بينهم وبين أعدائهم ، وبالتالى كانت

---

[١] ابن حاتم : السمط ، ص ٢٦٢ .
[٢] في سنة ٦٥٠ هـ وبعد صلح المظفر مع أخويه المفضل والفائز ، يعيد التوزيع الإقطاعى فيقطع لحج للمظفر وأبين للفائز ، راجع : الخزرجي : العقود جـ ١ / ٩٧ .
[٣] ابن حاتم : السمط ، ص ٢٧٤ ــ ٢٧٥ ، وراجع أيضاً أمثلة لهذه التغييرات في الخزرجي : العقود، جـ ٢ / ١١٨ .
[٤] ابن حاتم : السمط ، ٢٥٦ .

رقعة الدولة تزيد وتنقص تبعاً لنتائج هذه الصراعات ، وقد بلغت الدولة الرسولية اقصى اتساع لها زمن المظفر الرسولى الذى أضاف إلي دولته التي تركها له والده المنصور العديد من المدن أشهرها ظفار الحبوضي وفشال وذمار وبراقش وغيرها من المدن ووضع عليها ولاة من قبله ومن أهل بيته ضماناً لبقائها تحت سلطانه [١] .

ويتم تعيين الولاة أو الأمراء المقطعين عادة بمنشور [٢] أو مربعة [٣] تسلم للوالى أو الأمير المقطع قبل تسلمه العمل في الولاية أو المقاطعة ، وذلك من قبل الملك أو السلطان ، ويحمل هذا المنشور أو المربعة العلامة السلطانية أعلاه ، ويكون مصحوباً بأمر تنفيذى يُعرف بخط التمكين ويكون مكتوباً بخط السلطان نفسه [٤] ويحدد فيه مكان الإقطاع [٥] ، وغالباً لا يحدد المنشور مدة بقاء الوالى أو الأمير المقطع في ولايته أو إقطاعه ، بل كان معُرضاً للعزل أو الفصل من إقطاعه في أى وقت ، إذ أن معظم الولايات لا تدوم طويلاً في أغلب الأحيان فسرعان ما يُعزل الوالى ، ويفصل المقطع ، ويعين غيره ، ومع ذلك فقد شهد العصر موضوع الدراسة بعض حالات استمر فيها عدد من المقطعين والأمراء على ولاياتهم مدداً طويلة حتى وفاتهم والبعض الآخر منح الإقطاع مدى الحياة وورث لإبنائه من بعده

---

[١] راجع : الخزرجى : *العقود* ، جـ ١ / ٩٧ ، ١٠٢ ، ١٦٨ ، ١٨١ ، ٢٢٠ ، أما ظفار الحبوضى فهى مدينة على ساحل حضر موت فيما بينها وبين عمان اختطت عام ٦٠٠ هـ / ١٢٠٠ م ، وفشال : بلدة تهامية خربة من أعمال رمع شمالي زبيد وحل محلها الآن قرية الحسينية ، راجع : المقحفى : *معجم المدن* ، ص ٢٦٩ ، ٣١٦ أما براقش فهناك مدينتان بنفس الأسم: الأولى وتعد من أهم المدن الأثرية باليمن وتقع بالجهة الجنوبية من معين ضمن مدن وادى الجوف ولم يتبق منها اليوم سوى معالم سورها القديم وبقايا معابدها وبعض من النقوش التى تدل على أنها كانت مركزاً للثقافة المعينية قبل الإسلام . والثانية وتقع في ناحية النادرة من أعمال إب ، راجع : المقحفى : *المرجع السابق* ، ص ٤٧ .

[٢] الخزرجى : *العقود* ، جـ ١ / ٢٧٢ ، بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، جـ ٢ / ٢٢٨ . والمنشور هو كل ما يصدر عن السلطان من مكاتبات بالولاية أو الإقطاعات ولذا كان يسمى أحياناً مقاطعة أو سجلاً وهو عادة لا يحتاج إلي ختم ، (راجع القلقشندى : *صبح الأعشى* ، جـ ١٣ / ١٥٧) .

[٣] ابن حاتم : *السمط* ، ص ٢٥٧ وسميت بذلك لأنها تكتب على ورقة مربعة (راجع : القلقشندى : *صبح الأعشى* ، جـ ١٣ / ١٥٥) .

[٤] بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، جـ ٢ / ٢٢٨ – ٢٢٩ .

[٥] كان يكتفى أحياناً بتعيين أمير واحد على الإقطاع مثلما كان الحال في تعز وعدن وغيرها . وأحياناً أخرى كان يعين أكثر من أمير في الأقليم الواحد كل مستقل عن صاحبه كما كان الحال في تهامة . وفي أحيان أخرى كان يعين أمير مقطع ، ويعاونه عدد آخر من الإمراء المقطعين مثلما كان الحال مع الأمير الهمام أبي زبا الذى أقطع صنعاء وجعل له ٣ امراء مقطعين [في كل من رداع وعنس ومرعان أميراً ، جهران والسفل وبلاد الهان أميراً ، والحقل أميراً] كمعاونين له وتحت امرته ، (*راجع السمط* ، ص ٣٨ – ٣٩) .

مثال ذلك الأمير وردسار الأيوبي الذى مكث على إقطاعه وولايته بصنعاء منذ أن منحهما عام ٥٩٨ هـ ، وظل بهما حتى وفاته عام ٦١٠ هـ [١] ، والطواشي أمين الدين أهيف المجاهدى الذى استمر على ولاية زبيد خمسة عشر عاماً متصلة منذ أن تولى أمرها في زمن المجاهد وحتى وفاته عام ٧٨٧ هـ / ١٣٨٥ م في عهد الأشرف الثاني [٢] ، والقرابلى أحد مشايخ العرب الذى منحه المظفر مربعة بالمقصرية كاقطاعٍ مؤبد يستمر له مدى الحياة ويورث لأبنائه من بعده [٣] .

اما عن اختصاصات الوالى فتتعلق بتعقب اللصوص والمجرمين وإقرار الأمن والنظام في جهته [٤] ، وتنفيذ الأحكام الصادرة سواء من السلطان أو من قاضي الجهات التي يتولاها، وفي حالة امتناعه عن التنفيذ كان القاضي يشكوه للسلطان الذى يقوم بتأنيب الوالى على هذا التقصير [٥] ، كما يشرف بدوره على جباية الضرائب المطلوبة ومساعدة الموظفين الذين توكل إليهم مهمة تحصيل هذه الضرائب [٦] ، وبالإضافة إلي ذلك كان عليه إرساء قواعد العدل والإنصاف بين رعايا الإقليم الذى يتولاه وعدم التهاون في الحق ، اما إذا لحق الرعية ظلم أو استبداد من جهة الوالى ووصل ذلك إلي علم السلطان ، فإن الوالى أو المقطع يُعرض نفسه بذلك لعقوبة شديدة تصل أحياناً إلي حد الفصل من الولاية ومصادرة أمواله أحياناً أخرى.

ففى عهد العزيز طغتكين ، عرَّض والى الكدراء نفسه للفصل بسبب تهاونه في عقاب الضامن الذى استبد بأحد الرعية الفقراء في الأسواق وسلبه ماله بحجة

---

[١] يحيى بن الحسين: *غاية الأماني* ، ق ١ / ٣٩٧ .

[٢] الخزرجى : *العسجد* ، ص ٢٤٤ ، ٢٥٦ ، *العقود* ، جـ ٢ / ١٢٨ ، ١٥٦ ؛ ابن الديبع : *قرة العيون*، ص ٣٧٩ ، وقد عرفت ولايته بانها " الولاية المشهورة " *راجع العقود* ، جـ ٢ / ١٢٨ .

[٣] ابن حاتم : *السمط* ، ص ٢٥٧ . كذلك فعل المظفر مع عدد من مشايخ القبائل العربية إذ منحهم الاقطاعات مؤبدة اسوة بالقرابلى خشية انتشار فسادهم وخروجهم على الشرعية .

[٤] راجع مثالا لذلك : الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ / ٢٥٠ .

[٥] يذكر الخزرجى امتناع والى زبيد عام ٨٠١ هـ عن تنفيذ حكم الشريعة الصادر من القاضى في إحدى المخاصمات ، فما كان من القاضى إلا ان شكا الوالى إلي السلطان الأشرف الثانى فامر السلطان بخروج الوالى إلي بيت القاضى إجلالا للشرع الشريف الذى يمثله وأن ينهاه القاضى عن مثل ذلك ويأخذ تعهدا عليه بذلك ، ثم أمر به إلي باب الدار حيث لقيه السلطان فعنفه ووبخه على ذلك ثم أعاده لولايته . (راجع : *العقود* ، جـ ٢ / ٢٤٩) .

[٦] الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ / ٨٤ .

الضمان ، فاشتكى البائع للعزيز طغتكين الذى أمر بشنق الضامن في السوق وفصل الوالى عن ولايته، وأعطى درساً في وجوب تحصيل العدل مع الرعية بقوله " يُظلم مثل هذا عندكم ولا تنصفوه وتكلفوه الوصول إلي أبوابنا وهو لا يقدر والله لئن أتانى أحد شاكياً لأشنقن الوالى فلم يمد أحد يده إلي ظلم أحد بعدها " (١) وفي عهد الأفضل استبد الأمير شهاب الدين أحمد بن سمير والى زبيد بالبلاد فتشدد مع الأهالى وصادرهم مصادرات عنيفة لا أصل لها، كما طالب أناساً آخرين بأموال لاقبل لهم بها وقام بحبسهم دون ذنب، بينما كلف آخرين بفوق طاقتهم فافتدوا أنفسهم بما طلب، ووصل أمره للأفضل فقبض عليه وعزله وأمر بمعاقبته ومصادرة أمواله (٢) .

وكان من الواجبات المفروضة على الوالى الدفاع عن البلاد التى عهد إليه بولايتها ضد أى عدون تتعرض له، بل كان يكلف أحياناً من قبل السلطان بمهاجمة أراضى الأعداء القريبة منه أو المجاورة لإقطاعه ، وكانت إمدادات السلطان تأتى إلي ولاته في حالات الضرورة وكانت تشمل الجند وكافة المؤن ، ولذا حرص السلاطين على اختيار الولاة والأمراء المقطعين عادة من كبار الأمراء المعروفين بالولاء للسلطة الشرعية والكفاءة العسكرية المشهودة (٣) .

أما عن اختصاصات الأمير المقطع فلا تختلف كثيراً عن اختصاصات الوالى ومهامه سواء كان هذا المقطع إبنا للسلطان أو أحد أبناء أسرته أو أميراً من أمراء الجند ، فكان هو الآخر مسئولاً عن جمع الأموال الخراجية المقررة على المزارعين في نطاق إقطاعه ، والجزية المفروضة على أهل الذمة المقيمين بهذا النطاق ، والإنفاق من هذه الأموال على سائر مرافق إقطاعه ، واداء ما التزم به إقطاعه من أموال للدولة بعد خصم هذه النفقات المختلفة ، وتحمل المسئولية الكاملة عن النهوض باقتصاديات إقطاعه والمحافظة على أمنه كل ذلك في إطار من العدل والإنصاف. ويعبر الخزرجى عن ذلك في سياق حديثه عن مآثر المظفر ومنها حرصه على إرساء قواعد العدل بين الرعية داعياً الولاة والمقطعين إلي العمل بها فيقول " وكان محباً

---

(١) بامخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، جـ ٢ / ١٠٢ – ١٠٣ .
(٢) الخزرجى : العقود ، جـ ٢ / ١٢٠ – ١٢١ .
(٣) راجع عن ذلك : ابن حاتم : السمط ، ص ٣٩٣ – ٣٩٥ .

للرعية ومحسناً إليهم لا يكلفهم فوق ما يطيقونه . وإذا شكا أهل جهة من عامل من العمال أو كاتب من الكتاب عزله منهم ولا يعيده إلي تلك الجهة أبداً خوفاً من غائلته عليهم ، وكان إذا زادت جهة في الخراج على المعتاد أو نقصت عن الخراج المعتاد سأل عن سبب الزيادة أو النقصان ، فإن كانت الزيادة من بدعه أبدعها العامل أو النقصان لخراب في الجهة أدبَّ العامل أدباً بليغاً وصادره وترك استعماله البتة . وكان يأمر الولاة والمقطعين بالعدل في الرعية ... " . [١]

ويزيد الأمير المقطع عن الوالى بأنه يلتزم بأن يضم إلي إقطاعه عدداً من الجند يتفق ومساحة إقطاعه ويتكلف من متحصلات الإقطاع بالنفقة عليهم وامدادهم بالأسلحة لحماية الإقطاع والزود عنه والانضمام للعسكر السلطانى متى دعت الحاجة لذلك [٢] ، ولذلك كان عليه تجميع الأسلحة ومواد الحروب في حواصله لتزويد الجيوش بما تحتاجه زمن الحروب . ومن أمثلة ذلك ما قام به الأميران أسد الدين بن رسول وشمس الدين على بن يحيى من شحن حصن براش صعدة بالأسلحة، وإقامة رتبة جيدة في صعدة من الجُند لحمايتها وذلك تحت قيادة المقدم عز الدين محمد بن الفضل عام ٦٥٢ هـ / ١٢٥٤ م [٣] .

وكان هذا الدور العسكرى الذى اضطلع بمهمة القيام به الأمراء المقطعون هو السبب في أن مناطق الصراع العسكرى كان يُعهد بإدارتها دائماً للأمراء المقطعين مثال ذلك المناطق المجاورة للدولة الزيدية كصنعاء والتى كانت دائماً إقطاعاً يعهد به للأمراء الأكفاء كالهمام ابي زبا والأمير وردسار، والأمير بدر الدين الحسن بن رسول، وأسد الدين محمد بن الحسن بن رسول، وعلم الدين سنجر الشعبى ، وسيف الدين طغريل [٤] وغيرهم من كبار الأمراء على امتداد العصر موضوع الدراسة . بينما في المناطق البعيدة عن مراكز الصراع الحربى كان يعهد إلي الولاة بإدارتها مثل مدن عدن وتعز وزبيد .

---

[١] الخزرجى : العقود ، جـ ١ / ٢٣٤ .
[٢] ابن حاتم : السمط ، ص ١٥١ ، ٢٧٥ .
[٣] ابن حاتم : السمط ، ص ٣٠٧
[٤] راجع ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، (نسخة الحبشى) ص ٢٦٠ ، (نسخة حجازى) ص١٢٤؛ الخزرجى : العقود ، جـ ١ / ٩٢ ، ١٠٢ .

وكان الأمير المقطع لا يقيم أحياناً في إقطاعه ، رغم تسلمه المنشور وخط التمكين الصادر باسمه عن السلطان ، مثال ذلك ما فعله الملك المفضل بن المنصور نور الدين عمر حينما أقطع المحالب في آخريات عهد والده لم يتقدم إليها لتولى إدارتها بلَ وكّل أمرها لبعض نوابه يقومون بإدراة شئونها [١] ، كذلك حينما قلد المظفر الرسولي أحد مشايخ العصبيات القبلية الموالى له ويدعى ابن كنانه أمور المهجم ، استناب هذا عنه على المهجم والياً يقوم بأمره يدعى ابن أبي الغيث [٢] .

ومن الجدير بالذكر أن السلاطين من بني أيوب وبني رسول كانوا يعملون على تفتيت وبعثرة إقطاع الشخص الواحد في أكثر من جهة [٣] ، ضماناً لعدم تزايد نفوذه وسلطانه، وعند ذلك كان على الأمير المقطع أن ينيب عنه عدداً من الأمراء يقومون بأمر هذه الجهات نيابة عنه ، بينما يعمد هو للاستقرار في إحدى المناطق المقطعة له ويتولى أمرها، مثال ذلك الأمير عمر بن مهدى الذى أقطع في عهد المسعود الأيوبى عدة مناطق منها حضر موت والشحر وأبين وأحور وزاده السهلة والمفاليس وبلاد بني مُسليه ، فأناب عنه أحد مساعديه ويدعى ابن اليمانى في حضر موت . واتجه هو إلي غيرها [٤] .

وفي حالة خروج الأمير المقطع عن مقتضيات العدل مع الرعية ،أو إذا حدث تقصير منه في الدفاع عن إقطاعه كان مصيره العزل والفصل عن إقطاعه شأنه في ذلك شأن الوالي ويمنح لغيره ، ويتضح ذلك على سبيل المثال في قيام الأتابك سنقر بعزل أميره على صنعاء وهو الأمير وردسار عام ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧م ، نظراً لبعض المظالم التى أحدثها في حق الرعية وتهاونه في مدافعه القوى الزيدية فتقدم إلي صنعاء وعزله عنها وصاح بالأمان للرعية " ونشر العدل بها ونفى الجور " ثم أعاد وردسار إليها بعد أن تعهد بعدم تمكين الأشراف من صنعاء بقوله " لا سبيل إلي تمكين الأشراف إلي ذلك وأنا الزعيم بحسم موادهم " عندئذ أعاده

---

[١] ابن حاتم:السمط ، ص ٢٣٣ .
[٢] ابن حاتم : السمط ، ص ٢٥٦ .
[٣] راجع عن ذلك ما سبق ، ص١٠٨ – ١٠٩ ، والخزرجى : العقود ، جـ ٢ / ١١٨ . حيث اقطع الأمير بهادر السنبلى المجاهدى مواضع عديدة من جهات المملكة اليمنية .
[٤] ابن حاتم : السمط ، ص ١٨٩ – ١٩٠ .

الأتابك إلي إقطاعه بصنعاء وظل بها إلي أن توفى ٦١٠ هـ [١] . كذلك فعل الأفضل الرسولى عام ٧٦٩ هـ ، حينما قام بفصل الأمير سيف الدين طغى الأفضلى عن إقطاعه بحرض ، وكان ضعيف السياسة فلم يستطع إدارة إقطاعه بالعدل فتنافرت منه قلوب أعيان حرض وأهلها ، فقام بحبس بعضهم وقتل البعض الآخر ، فخرج أهالى حرض عن الطاعة ، وبلغ السلطان ذلك فقام بفصله عن إقطاعه درءاً للفساد [٢] .

أما إذا أثبت جدارة في إدارة إقطاعه فكان ذلك يؤهله لارتقاء المناصب العُليا، ومن أمثلة ذلك الأمير غازى بن جبريل الذى كان في الأصل أميراً مقطعاً في لحج ، ولكن قادته جهوده وقدراته للوصول إلي أعلى مناصب البلاد فصار بعد وفاة الأتابك سنقر ٦٠٨ هـ / ١٢١١ م اتابكاً للناصر أيوب وأستاذ داره وصاحب بابه والمتحدث بالوزارة [٣] .

---

[١] ابن حاتم :السمط ، ص ١٣٩ - ١٤٠ ، ١٤٣ ؛يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ، ق ١ / ٣٩٧ .
[٢] الخزرجى : العقود ، جـ٢ / ١١٩
[٣] ابن حاتم : السمط ، ص ١٤٨

ب- الدواوين (الشدود)

لم تسعفنا المصادر المتاحة لنا والتي اعتمدنا عليها بمعلومات وافية عن النظم المالية لبلاد اليمن في فترة الحكم الأيوبي لليمن،بينما أفاضت في الحديث عن الشدود في عصر الرسوليين وأشهر من تولى رئاستها والإشراف عليها.ولكن يمكن أن نستشف من بعض العبارات الواردة في بطون المصادر ما يفيد بوجود هذه الدواوين وخاصة ديوان الخراج،وديوان الجند،في الفترة الأيوبية ، فقد ذكر صاحب السمط في معرض حديثه عن الملك العزيز طغتكين ما يفيد بأنه".... قرر القواعد وأصل الضرائب القديمة في الدواوين"[1]،كما أورد الخزرجي عبارة أخرى أكثر شمولاً تشير إلي وجود هذه الدواوين في أخريات العصر الأيوبي زمن الملك المسعود أثناء إشارته لقيام المنصور نور الدين عمر بن رسول بافتتاح حصن تعز سلماً على يد القاضي المكين عام ٦٢٨ هـ/١٢٣٠م فيقول عنه"إنه رجل من أهل مصر كان صاحب الدواوين في الدولة المسعودية"[2]وعلى الرغم من أن عبارته جاءت خالية من تحديد نوع هذه الدواوين واختصاصاتها ، فإننا نرجح أن المقصود بذلك ديوان النظر الذى كان له الإشراف على جميع دواوين الإدارة المالية بالدولة [3] .

ثم تطورت هذه التنظيمات المالية في زمن بني رسول وبدأت تظهر أكثر تنظيماً وشمولاً من مثيلاتها الأيوبية ،وساعد على ذلك أن سلاطين هذه الدولة كانوا دائماً ينهجون في أعمالهم نهج سلاطين المماليك في مصر [4] ونستدل على ذلك من قيامهم زمن المظفر الرسولي بالاستعانة ببعض كتاب الدرج من مصر [5] ، بل أن السلطان الملك المؤيد استقدم أحد كبار الأمراء من مصر ، لإعادة ترتيب وتنظيم الجيش اليمني على غرار الجيش المصرى [6] ، كذلك قام باستدعاء أحد

---

(١) ابن حاتم : <u>السمط</u>، ص ٣٩ .

(٢) الخزرجي : <u>العسجد</u> ، ق ١١٥ ، <u>الكفاية والإعلام</u> ، ق ٩٢ .

(٣) الأفضل الرسولي : <u>العطايا السنية</u> ، ق ٢٥ ؛ بامخرمة : <u>تاريخ ثغر عدن</u> ، جـ ٢ / ١١٥ ؛ حسنين محمد ربيع : <u>النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين</u> ، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٦٤ ، ص ٤٠ .

(٤) القلقشندى : <u>صبح الأعشى</u> ، جـ ٥ / ٣٣ (طبعة بيروت) .

(٥) الخزرجي : <u>العقود</u> ، جـ ١ / ٢٣٨ .

(٦) ابن عبد المجيد : <u>بهجة الزمن</u> ، (الحبشي) ؛ ص ٢٧٩ ،الخزرجي : <u>العقود</u> ، جـ ١ / ٣٣٩ ، ٣٤٨ .

قضاة الشام وهو القاضى صفى الدين عبد الله بن عبد الرازق الواسطى وولاه شد الاستيفاء أى الإشراف على أمر دواوين اليمن كلها [١] .

وهكذا قامت التنظيمات المالية على نفس النسق المصرى المملوكى تقريباً شأنها في ذلك شأن التنظيمات الإدارية من حيث الولاية والإقطاع ، وكذلك الأمر بالنسبة للدواوين حيث تشابهت في الكثير من أمورها مع مثيلاتها بمصر المملوكية ، وكانت هذه الدواوين كما هو معروف مسئولة عن جمع الضرائب وعرفت باسم الشدود [٢] وبلغ عددها أربعة شدود وهى الكبير والخاص والحلال أو الهلال والوقف ، وكان يتولى رئاسة هذه الشدود الأربعة شد الاستيفاء [٣] وتتوزع اختصاصات هذه الشدود على النحو التالى :

شد الكبير : أو ديوان الخراج كما كان يعرف في الفترة الأيوبية ، ويبدو أنه كان له فروع في عدد من أقاليم اليمن ومنها تهامة حيث كان يتولاه أحد أفراد أسرة ابن القُم [٤] ويذكر صاحب العطايا السنية أيضاً اسم أسرة توارث أبنائها مهنة الكتابة بهذا الديوان وتعرف بأسرة ابن المعلم بتهامة [٥] .كذلك عرف هذا الديوان في العصر الرسولى أيضاً بالديوان السعيد [٦] ،وكانت مهمة الديوان تحصيل الأموال المقررة للدولة من مظانها المختلفة كخراج الأراضى الزراعية ورسوم النخل

---

[١] ابن عبد المجيد : *بهجة الزمن* ، ص ٢٨١ (تحقيق الحبشى) .

[٢] الخزرجى : *العقد الفاخر* ، ق ٨٥ ؛ بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، جـ ٢ / ١٩٤ .

[٣] الخزرجى : *العقد الفاخر* ، ق ٨٥ ؛بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، جـ ٢ / ١٩٤ ، ولم توضح المصادر المقصود بديوان أو شد الحلال أو الهلال كما ورد عند الشريف الحسينى (الحسن بن على) (ت بعد ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م) صاحب مخطوطة ملخص الفطن والألباب ومصباح الهدى للكتاب ولعله كما يبدو من مسماه كان مختصا بتحصيل الموارد الشرعية كاموال الزكاة والجزية المقررة على أهل الذمة ، وما إلي ذلك ، وكان بمثابة بيت المال . انظر بالتفصيل عن محتويات هذه المخطوطة المحفوظة بمكتبة الأمبر وزيانا بميلانو تحت رقم ١٣٠
Cahen (C.)& Serjeant (R.B); H Afiscal Survey Of the Medieval Yemen , Arabica , Iv 1957 ,PP.23 – 33 .
وأيضاً : أيمن فؤاد سيد : *مصادر تاريخ اليمن فى العصر الإسلامى* : المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص ١٦٥ ـ ١٦٦ .

[٤] الأفضل الرسولى : *العطايا السنية* ، ق ١٦.

[٥] الأفضل الرسولى : *العطايا السنية* ، ق ٤٤ .

[٦] الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ / ٦٣ .

والعشور والجزية والمكوس وغيرها ، ثم توريدها لبيت المال الذى كان بمثابة خزانة عامة للدولة [١] .

شد الخاص : وكان يختص كما يبدو من اسمه بالأملاك السلطانية والحسابات الخاصة بها من إيرادات ومصروفات ، ولعل تلك التسمية توضح مدى تشبه سلاطين بنى رسول في نظمهم بنظم ورسوم دولة سلاطين المماليك في مصر فمن المعروف أنه وجد في مصر منذ العصر الأيوبى ديوان عرف بديوان الخاص واستمر يقوم بمهامه في العصر المملوكى [٢] ، ويبدو أنه ظهر باليمن بعد ظهوره في مصر إذ أن أول اشارة إليه يرجع تاريخها إلي عهد المجاهد الرسولى (٧٢١ – ٧٦٤ هـ / ١٣٢١ – ١٣٦٢ م) ولم تذكر المصادر المتاحة شيئاً عنه قبل ذلك العهد ، ومن أشهر من تولى نظر هذا الديوان زمن المجاهد أبو العباس أحمد بن على بن قبيب(ت ٧٦٢ هـ / ١٣٦٠ م) [٣] ، والقاضى فتح الدين عمر بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن الخطبا القرشى المخزومى(ت ٧٦٢ هـ/ ١٣٦٠) [٤] .

وقد أمدتنا المصادر بأسماء بعض من تولى رئاسة هذا الديوان زمن الأفضل الرسولى (٧٦٤ – ٧٧٨ هـ / ١٣٦٢ – ١٣٧٦ م) مما يدل على زيادة أهمية هذا الديوان في ذلك العهد فتواترت أخباره وأسماء من تولوه في المصادر ومن أشهر هؤلاء الرؤساء :

القاضى أبو حفص عمر بن محمد بن مُحيَّا(ت٧٧١ هـ/١٣٦٩م)[٥] والقاضى تقى الدين عمر بن أبي القاسم بن معيبد(وزير الأفضل فيما بعد)ت٧٨١ هـ/ ١٣٧٩م[٦]والقاضى شهاب الدين أحمد بن عمر بن محمد بن الخطبا القرشى المخزومى نجل القاضى فتح الدين المخزومى السابق ذكره(ت٧٨٣هـ/١٣٨١م)[٧]

---

[١] ابن حاتم : السمط ، ص ٢٩٥ ؛ الخزرجى : العقود ، جـ ٢ / ٦٢ – ٦٣ .

[٢] القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٤ / ٣٠ ؛ المقريزى : المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ؛ مكتبة الثقافة الدينية ، ط.٢ ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، جـ ١ ، ص ٨٧ ؛ حسنين ربيع : النظم المالية ، ص ٥٨ .

[٣] الأفضل الرسولى : العطايا السنية ، ق ١٢ .

[٤] الخزرجى : العقود ، جـ ٢ / ١٠١ – ١٠٢ .

[٥] الأفضل الرسولى : العطايا السنية ، ق ٤٠ .

[٦] الأفضل الرسولى : العطايا السنية ، ق ٤٠ .

[٧] الأفضل الرسولى : العطايا السنية ، ق ١٢ ؛بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، جـ ٢ / ١٢ .

والقاضى جمال الدين محمد بن إبراهيم بن يوسف الجَــلاّد الأشــرفى الأفضــلى المجاهدى، وكان الأفضل قد أسند إليه رئاسة الشدود الأربعة ومــن بينــها شــد الخاص، واستمر عليها فترة في عهد الأشرف الثاني ، ثم فصل عنها وتولى نظــارة عدن وإمرة ولايتها وتوفى عام (٧٨٤ هــ / ١٣٨٢م) [١] والقاضى عفيف الدين عبد الله بن محمد الجلاد وتولاه عام (٧٩٦ هــ / ١٣٩٣ م) [٢] .

شد الوقف : شكلت الأوقاف ظاهرة عامة في اليمن في العصر الإسلامى عامة وفي العصر موضوع الدراسة بصفة خاصة ، وكان لها أكبر الأثر في ازدهــار الحياة العلمية والاجتماعية ، إذ تعددت أغراضها وأنواعها ما بــين أراض زراعيــة ومؤسسات اقتصادية ، ومنها ما كان على شكل كتب فقهيــة [٣] ، وتعــددت أغراض هذه الأوقاف ما بين صرفها على الفقراء والمساكين ، ومنها لرعاية الأيتام، والوافدين على اليمن من طلاب العلم [٤] ومنها لصالح المدارس والمساجد بغــرض إصلاحها وكافية القائمين عليها والمرتبين بها ، ومن هنا كان لها أبلغ الأثر في إثراء الحياة الاجتماعية والفكرية باليمن .

وكانت هذه الأوقاف كما ينص في نص الوقفية تكفى للقيــام بنفقــات الغرض الذى حددت له سواء أكان مدرسة أم مسجداً ، فيذكر الجندى في ترجمته للحرة ماء السماء حفيدة أسد الدين بن رسول أنها ابتنت مدرسة بزبيد ، وأعادت تجديد مسجد جدها بدر الدين الحسن بن رسول ووقفت عليهما " وقفاً جــاملاً للدرسة وأيتام يتعلمون ومدرس يقرئ الدرسة العلم ، وابتنت بتعز .... مســجداً أيضاً وجعلت عليه وقفاً يقوم بإمام وأيتام ومعلم " [٥] .

ومن أنواع الوقف ما خصص لصالح الفقراء والمساكين مثال ذلك ما أوقفه الفقيه على بن عيسى بن مفلح المليكى بعدن ، ويذكر بامخرمة أنه كــان ذا مــال وبنين وكتب كثيرة أوقفها وأسند تنفيذ الوقف والوصية إلي الشيخ الموفق يحيى بــن

---

[١] الخزرجى : *الكفاية* ق ٢٠٠ – ٢٠٢ ، *وله أيضا العقد الفاخر* ، ق ٨٥ ؛ بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، جـ ٢ / ١٩٤ .
[٢] الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ / ٢١٧ .
[٣] الجندى: *السلوك* ، جـ ١ ق ١٦٥ – ١٦٦ .
[٤] الجندى : *السلوك* جـ ١ / ق ١٧٨ .
[٥] الجندى : *السلوك* ، جـ ١ / ق ١٧٩ .

يوسف المسلماني وذلك عام ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م وَوُجِدَتْ بثغر عدن أراضٍ تعرف بتركة المسلماني وقف معظمها للصرف على الفقراء والمساكين [(١)] .

ومنها ما خصص في عصر الأيوبيين لصالح أعمال الخير بالحرمين الشريفين، وأشهر هذه الأوقاف ما نذره الأمير عثمان الزنجبيلي نائب عدن الأيوبي، حيث اشترى كثيراً من العقار والدكاكين والدور بعدن ووقفها على المسجد الحرام بمكة ، كما جعل خان البز بعدن وقفاً على مسجده بذات المدينة يصرف منه على احتياجات المسجد ، وما زاد من ذلك يُصرف على حرم مكة، وكان هذا الوقف كبيراً بدليل قول الجَنَدى " لما قدمت عدن ورأيت ما وقفه هذا الأمير على الحرم والمسجد ، فكنت أستعظم قدره وأستكثر خيره " [(٢)] . وأوكل النظر في مصالح هذا الوقف لقاضي دمشق الذي استناب قاضي مكة الذي استناب بدوره قاضي عدن للإشراف عليه [(٣)] .

ووقف الملك العزيز طغتكين بن أيوب أيضاً بعض أراضي اليمن من وادي زبيد ومنها وادي الجريب والجرب والمسلّب لصالح الحرم المكي ، وظل يرفع دخلها إلي مكة حتى عام ٦١٥ هـ / ١٢١٨ م ، عندما " حبَّل وقفها الملك المسعود " ورفع دخل هذه القرى إلي الديوان . كذلك وقف طغتكين دَخْل قرية أم الدجاج ومعها جُمَلٍ من الأراضي على الحرم المدني وأوكل النظر فيها إلي القاضي على بن الحسين بن وهيب وظل دخلها يرتفع إلي المدينة حتى آخريات العصر الأيوبي [(٤)] .

ومن الأوقاف ما وقف للصرف على المساجد والطلبة الدارسين به مثال ذلك جامع عَمَقْ بناحية الصِلّوْ (قرب حصن الدُملؤة) الذى أنشأه جوهر المعظمى

---

(١) بامخرمة : _تاريخ ثغر عدن_ ، جـ ٢ / ٢٣٩ .

(٢) ابن عبد المجيد : _بهجة الزمن_ (تحقيق الحبشي) ، ص ١٣٢ ؛ الخزرجي : _العسجد_ ، ق ٩٢ ؛ ابن الديبع : _قرة العيون_ ، ص ٢٧٣ ؛ بامخرمة : _تاريخ ثغر عدن_ ، جـ ٢ / ص ١٣٢ .

(٣) بامخرمة : _تاريخ ثغر عدن_ ، جـ ٢ / ١٣١ .

(٤) ابن المجاور : جمال الدين أبو الفتح يوسف الدمشقي (ت ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م) : _صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز_ ويسمى " _تاريخ المستبصر_ " ، نشر أوسكار لوفجرين ، ليدن ٥١ ـ ١٩٥٤ ، ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧ .

صاحب حصن الدملؤة ومولى بني زريع وكان معاصراً لسيف الإسلام طغتكين ووقف به وقفاً عظيماً يقوم بالمسجد وجمع من الطلبة [١] .

ومن الأوقاف ما خصصه أصحابه للإنفاق على المدارس ، ومن المعروف أن الأيوبيين هم الذين عمدوا إلي بناء المدارس المتخصصة باليمن ، لتدريس العلوم الدينية والمذاهب السنية، وقاموا بتخصيص العديد من الأوقاف الجيدة للصرف عليها وكفاية المرتبين بها ضماناً لاستمرارها في أداء وظيفتها ،إويعزى إلي الملك المعز إسماعيل بن طغتكين إنشاء أول مدرسة باليمن وهي المدرسة السيفية نسبة إلي والده سيف الإسلام طغتكين وكانت في الأصل داراً للاتابك سنقر ، فاشتراها منه المعز وحولها إلي مدرسة ونقل إليها رفات والده طغتكين وذلك عام ٥٩٣ هـ / ١١٩٦ م ، ووقف للصرف عليها وعلى القراء المرتبين للقراءة على تربة والده وعددهم سبعة وادى الضباب غربي تعز ... وظل هذا الوقف مستمراً لعصر الخزرجي (ق ٨ هـ / ق ١٤ م) [٢] .

كذلك أقام المعز مدرسته الثانية بزبيد والمعروفة بالمعزية أو مدرسة الميلين وذلك عام ٥٩٤ هـ / ١١٩٧ م ، ووقف عليها وقفاً جيداً [٣] .

ومن الأوقاف التي خصص ريعها للإنفاق على مصالح المدارس في اليمن، ما قام بوقفه الفقيه على بن محمد بن غليس العريقى(ت لبضع عشرة وستمائة) [٤]

---

[١] الجندى،*السلوك*،جـ١/ق١٦٥–١٦٦.وكان جوهر المعظمى أستاذا حبشيا من موالى الزريعيين ونائبهم على حصن الدملوه وظل قابضا عليه،حتى عام٥٨٤هـ حيث باعه لسيف الإسلام ادراكا منه بأنه لا قبل له بمقاومته،وهرب مع أبناء آل زريع وما تبقى لهم من مال ومتاع واتجه إلي الحبشة وظل هناك إلي ان وافته المنية.(راجع بالتفصيل:الجندى،*السلوك*،جـ١/ق١٦٤– ١٦٦؛الخزرجى،*العسجد*، ق٩٨).

[٢] الخزرجى : *العسجد* ، ق ١٠٢ – ١٠٣ ، حيث يذكر أن نظار المدرسة قد يزيدون أحيانا في أعداد القراء المرتبين ، وقد درست هذه المدرسة ، راجع ايضا ابن الديبع :*قرة العيون* ، ص ٢٨٣ هـ ٤ للمحقق ، بامخرمة *تاريخ ثغر عدن* جـ ٢ / ص ١٠٤ ؛ يحيى بن الحسين : *أنباء الزمن* ، ق ٥٨ ؛ الأكوع "*المدارس الإسلامية في اليمن*" ط ٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٦ ، ص ١٣ – ١٤ .

[٣] ابن عبد المجيد :*بهجة الزمن* (الحبشى) ، ص ١٣٥ ، وقد قام الأتابك سنقر بإغلاقها واخراج فقهاء الشافعية منها وأخرج وقفها ووقفه على إمام مقام ابى حنيفة بالحرم المكى الشريف ، ثم جدد بناءها بعد ذلك الملك المسعود يوسف ورممت للمرة الثانية في عهد الأشرف الثانى الرسولى ، وقد درست هذه المدرسة الآن (راجع : الخزرجى : *العسجد* ، ق ١٠٥ ؛ ابن الديبع :*قرة العيون* ، ص ٢٨٥ و هـ ٥ للمحقق ، وللمؤلف نفسه : الفضل المزيد على بغية المستفيد ، تحقيق : د. يوسف شلحد ، دار العودة ، بيروت ١٩٨٣ ، ص ١٠٣ ، الأكوع :*المدارس الإسلامية في اليمن* ، ص ١٠ .

[٤] الجندى،*السلوك*،جـ٢،ق ٣٥٥، وراجع الحبيشى:*تاريخ وصاب*، ص١٩٩حيث يذكر وفاته عام ٥٩٦هـ/١١٩٩م؛بامخرمة،*قلادة النحر*،جـ٣/ق٨٢٨.انظر ايضا:الأكوع،*المدارس الإسلامية*،ص١٨.

من ماله ومال أخيه عمر بن محمد ، على ما ابتناه من مدارس ثلاث بوصاب [١] ، كما وقف عليها أيضاً جملة كثيرة من الكتب النفيسة التي اهـتم بتحصـيلها [٢] ، وقام الفقيه علي العريقي ببناء هذه المدارس فيما بين عامي ٥٩٤-٥٩٥ هـ / ٧٩ – ١١٩٨ م [٣] ، وخصص الوقف للصرف على متعلمي القرآن ودارسي الفقـه وإطعامهم [٤] .

ومن هذه الأوقاف أيضاً ما أوقفه الفقيه بطال الركبي (ت بعد ٦٣٠هـ/ بعد ١٢٣٢ م) على مدرسته التي ابتناها بقريته ذي يعمد من أعمـال الـدملوة ، حيث يذكر بامخرمة أنه قام بالتدريس بها ورعاية طلابها والقيام بالمنقطع منـهم[٥]، وعددهم يزيد على الستين دارساً [٦] ، وقبل وفاته وقف كتبه وجملة من أراضـيه عليها،واستمرت على ذلك في عهد أبنائه الذين تولوا التدريس فيها بعد وفاته [٧] .

كذلك اهتم علماء اليمن وفقهاؤها بالعمل على تحصيل الكتـب الدينيـة ونسخها ووقفها على المدارس والمدرسين تسهيلاً على طلاب العلـم وفقهائـه في الاطلاع عليها والاستزادة من معارفها ، مثال ذلك الكتب الجليلة التي وقفها الفقيه مسلم بن أسعد وكانت تحت يد القاضي طاهر بن يحيى المتوفى٥٨٧هـ/١١٩١م [٨] والفقيه أبو عبد الله سلمان بن أسعد الجدني الحميري من قريـة سـودة بنـواحي الجند(ت ٥٩٣هـ/١١٩٦م)الذي وقف كتبه بقريته لصالح طلاب العلم[٩].

---

[١] تعرف هذه المدارس بمدارس بني غليس ، الأولى تعرف بمدرسة المدير في ظفران والثانية مدرسة الأحجور بذي المقدار وقام علي بالتدريس فيها ، والثالثة لم يذكر اسمها أو مكانها (راجع الحبيشي : تاريخ وصاب ، ص ١٩٩ ، الأكوع : المدارس الإسلامية ، ص ١٧) .

[٢] الجندي : السلوك ، جـ ٢ ، ق ٣٥٥ ؛ بامخرمة : قلادة النحر ، جـ ٣ ، ق ٨٢٨ .

[٣] الجندي : السلوك ، جـ ٢ ، ق ٣٥٥ ؛ الحبيشي : تاريخ وصاب ، ص ١٩٩ ؛ الشرجي : (أبو العباس احمد بن أحمد بن عبد اللطيف) ت ٨٩٣ هـ / ١٤٨٧ م : طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص ، ط١ ، دار المناهل – الدار اليمنية للنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٨٦ ، ص ٢٤٠ ؛ الأكوع : المدارس الإسلامية ، ص ١٧ .

[٤] الجندي : السلوك ، جـ ٢ / ٣٥٥ ؛ الشرجي : طبقات الخواص ، ص ٢٤٠ ؛ الأكوع : نفسه ، ص ١٧ – ١٨ .

[٥] بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، جـ ٢ / ٢٠١ .

[٦] الأكوع : نفسه ، ص ١١٨ .

[٧] الشرجي : طبقات الخواص ، ص ٢٤٠ ؛ بامخرمة : نفسه ، جـ ٢ / ٢٠٠ – ٢٠١ .

[٨] الجندي : السلوك ، جـ ١ / ق ١٣٦ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ق ٨٩ .

[٩] الجندي : السلوك ، ق / ١٤٩ – ١٥٠ ؛ الأهدل تحفة الزمن ، ق ٩٦ ونلاحظ انه وابن سمرة نعتاه بسليمان راجع : طبقات فقهاء اليمن ، ص ٢٣١ . حيث أطلق عليه سليمان الجندي . وانظر=

وكان من أعيان أهل اليمن وكبار فقهائها مـن عَمَـد إلي استنسـاخ المصاحف وأمهات الكتب الفقهية ووقفها لصالح الدارسين ، من ذلـك جـوهر المعظمى الذى نسخ بيده عدة مقدمات ووقفها في أماكن متفرقة منـها في جـامع الجند ثلاثون جزءاً ختمة كاملة [١] . ومن هؤلاء أيضاً الإمام أبو الحسن أحمد بـن محمد البريهى السكسكى المعروف بسيف السُـنَّة (ت ٥٨٦ هـ/ ١١٩٢م)[٢] الذى كان يقوم بالإضافة إلي اشتغاله بالتدريس في أحد المساجد المجاورة لبيته بإب، بنسخ أمهات الكتب الفقهية ، ووقف بعضها ، مثال ذلك كتبه الموقوفة بمسـجد السنة بذى جبلة ، بينما كان يرسل بعض الكتب المنسوخة إلي مكة حيث تبـاع ويشترى له بأثمانها ورق مصرى أو بغدادى ليقوم بنسخ كتب أخرى عليه ، ويشير الجندى إلي مداومته على النسخ بقوله " أنه كان ينسخ في كل عام نسـخة بيـان ونسخة المهذب ، ونسخة كافى الصردفى وربما التنبيه أيضاً " [٣] ، وكان يصـرف كل ما يتحصل له على شراء الأوراق والمداد ، وينسخ به كتبـاً ويوقفهـا علـى المسجد [٤] ، وبلغ عدد كتبه الموقوفة سواء على مسجده بإب أو في الجنـد ، مـا يربو على المائة كتاب في فنون كثيرة من علوم القرآن والسُنَّة منها صحيح مسـلم وكافى الصردفى [٥] .

واعتاد الفقهاء كتابة عبارات تشير إلي صاحب الوقف والأشخاص الذين لهم حق مطالعة وقراءة هذه الكتب الموقوفة ، وذلك على ما يوقفونه من الكتـب بالإضافة إلي من له حق الإشراف على الوقف، من هؤلاء العلماء : الإمام سـيف السُنَّة السابق ذكره حيث كان يكتب على كل كتاب نسخه وضبطه ووقفه علـى الطلبة من أهل السُنَّة البيتين الآتيين :

=أيضاً : عن جلب الكتب ووقفها على من يقرأ بها في المساجد : البريهى : عبد الوهاب بن عبد الرحمن السكسكي اليمني ، (من علماء ق ٩ هـ / ١٥ م) طبقات صلحاء اليمن : تحقيق عبد الله محمد الحبشي ، مركز الدراسات والبحوث اليمنية ، صنعاء ، ب . ت ، ص ٢٠٠ .

[١] الجندى : السلوك ، ق ١٦٥ – ١٦٦ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ق ١٠٤ .

[٢] راجع بالتفصيل: ابن سمرة طبقات فقهاء اليمن ص ١٩٠–١٩١ ؛ الجندى: السلوك ، ق ١٢٤ – ١٢٧ .

[٣] الجندى : المصدر السابق ، ق ١٢٦ ، الأهدل : تحفة الزمن ، ق ٨٠ .

[٤] الجندى : نفسه ، ق ١٢٤ ، ١٢٦ ، الأهدل : تحفة الزمن ، ق ٨٠ .

[٥] الجندى : نفسه ، ق ١٢٦ ، الأهدل : تحفة الزمن ، ق ٨٠ .

هذا الكتاب لوجه الله موقوف
منا إلي الطالب السُنّى مصروف
ما للأشاعرة الضلال في حسبى
حق ولا للذى في الزيغ معروف [١]

كذلك اعتاد كتابة صيغة أخرى من صيغ الوقف على لتبه الأخرى ومنها صحيح مسلم،أوردها الجندى ونصها " وقفه أحمد بن محمد بجميع الكتب المنسوبة إليه من الحديث والأصول والفروع والفرائض والتفسير واللغة والنحو وهى ثمانون كتاباً على أهل السُنّة يقدم فيها من يوجد فيه الشروط المذكورة (يعنى ببيتيه المذكورين فيما تقدم) ... ثم قال: من ذلك ذريته أى يتقدم من وجد فيه شرط البيتين من ذريته ونسله وبيتهم ونسلهم ثم قراباته من عصباته أى يتقدم من قراباته من عصباته فمن خرج على الشرط ببدعة أو ما يرد به الشهادة خرج من الوقف فإن تاب عاد استحقاقه ولا حق في الوقف لمبتدع واذا لم يبق مستحق من نسله فأهل السُنّة فيها سواء أبداً ما بقيت، لعن الله من يملكها أو يسعى في فساد الوقف أو يكتمها على من يستحقها [و] أن يُعيْرها من ينتفع بها إذا سئل بشرط الحفظ، كتبه أحمد بن محمد تقبل الله منه كان الوقف سنة أربع وثمانين وخمسمئة " [٢] .

ويتمثل اهتمام علماء اليمن وفقهائها بالعلم في حرصهم على جلب الكتب الفقهية واستنساخها ووقفها على الدارسين والمدرسين ليعم نفعها الجميع ، ويرتحل أحياناً للاطلاع عليها بعض الفقهاء ممن لا تتوافر ببلادهم مثل هذه الأوقاف . من ذلك منطقة " ذى أشرق " [٣] التى اشتهرت وجامعها بكثرة الكتب الموقوفة بها فكانت مقصداً لبعض الدارسين الذى يفتقرون لهذه الكتب كالفقيه مقبل الهمدانى الذى ارتحل طلبا للعلم خارج اليمن ، ثم عاد لبلاده واختار الاستقرار بذى أشرق " رغبة في الكتب الموقوفة بها " [٤] .

---

(١) الجندى : *السلوك* ، ق ١٢٤ ؛الأهدل :*تحفة الزمن* ، ق ٨٠ .
(٢) الجندى : *السلوك* ، ق ١٢٧.
(٣) ذى أشرق : قرية كبيرة بوادى نخلان قريبة من الجند راجع : ابن سمرة ، *طبقات فقهاء اليمن* : ص ٣١٥ من معجم المحقق في خاتمة الكتاب .
(٤) ابن سمرة : *طبقات فقهاء اليمن* ؛ ص ١١٥ ؛ الجندى : *السلوك* ، ق ٩٩ .

وكانت هذه الأوقاف من أراضٍ وغيرها إذا غيرت وصرف ارتفاعها في غير الأغراض التي خصصت من أجلها تؤثر تأثيراً كبيراً على سير العملية التعليمية قد يؤدي لانقطاع حلقات العلم التي تقوم هذه الأوقاف بالصرف عليها سواء للدارسين أو المدرسين ، مثال ذلك ما حدث بسَهْفَنه التي وقفَ الكثير من أراضيها لصالح العلم ودارسيه ، فقصدها طلبة العلم من جميع أنحاء اليمن وصارت " مقصودة لطلب العلم .. لم تكد تخلو عن فقيه مدرس وطلبة مجتهدين "إلي أن استولي عيها بعض الصعبيين فصرفوا أوقافها في غير الوجه المخصص والموقوفة له من حيث الصرف على حلقات العلم بها ، فتراجع مركزها العلمي " ولم يبق بها فقيه من أهلها ولا غيرها لاستيلاء من لا نظر له على ما وقف لمدرس ودرسة "[١].

وكان يشرف على الوقف والأوقاف طوال العصر الأيوبي وفترة طويلة من عصر بني رسول مجموعة من الفقهاء والقضاة الذي يكلفهم أصحاب الأوقاف بهذه المهمة والإشراف على تنفيذ الوقفية ، فكان فقهاء كل منطقة تسند إليهم نظارة الوقف الذي يوافقون على الإشراف عليه ومراقبة توجيه ارتفاعه للأغراض التي وقف من أجلها ، كذلك كان أئمة المساجد أو المدارس يقومون بدورهم بالإشراف على الأوقاف المخصص ريعها للصرف والتكفل بنفقات هذه المساجد أو المدارس من حيث كفاية رواتب الأئمة والمؤذنين والقومة والدارسين والمدرسين بهذه المؤسسات الدينية التعليمية ، ومن أمثلة ذلك قيام الفقيه علي بن محمد بن غُلَيْس العريقي بإسناد نظارة أوقافه على مدرسته بوصاب إلي الفقيه أحمد بن علي محمد بن يزيد من قرية أَعْدان ، وكان عالماً صالحاً [٢].

واستمر إسناد الواقف أمور الوقف والأموال المتعلقة به إلي القضاة وحكام الشرع في سائر أنحاء المملكة اليمنية طوال الفترة الأيوبية وصدراً من دولة بني رسول [٣] ، ثم تغير هذا الوضع بدءاً من عهد المؤيد الرسولي الذي صار هو الناظر الأعلى لشئون الوقف ببلاد اليمن لتنتقل الأوقاف بذلك من حكام الشرع إلي أرباب الدواوين، وذلك بمشورة القاضي رضي الدين أبي بكر بن محمد بن عمر

---

[١] الجندي :السلوك ، ق ٧٤ .
[٢] الأكوع :المدارس الإسلامية ، ص ١٧ .
[٣] ابن عبد المجيد :بهجة الزمن ، ص ١٨٥ ؛الخزرجي :العقود ، جـ ١ / ٢٥٥ .

اليحيوى (ت ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م) [١] وجعل للوقف منذ ذلك الوقت ديواناً خاصاً عرف بشد الوقف تحت إشراف ونظر الدولة [٢]، التي بدأت تسند مهمة إدارته لعدد من كتاب الدواوين ، ونرجح أن السبب في تغيير هذا الوضع الذي استمر فترة طويلة من الزمن يرجع إلي اكتشاف المؤيد أن حكام الشرع القائمين بأمور الأوقاف ليست لديهم سجلات لتدوين الإيرادات والمصروفات الخاصة بكل وقف والتي تُسَهِّل معرفة كل أحوال الوقف عند الرجوع إليها ، وتم ذلك عندما أصدر أوامره بالقبض على وزيره السابق حسام الدين حَسَّان بن أسعد العمراني وبعض إخوته ممن تولوا المناصب القضائية لأمور بلغته عنهم [٣]، فطلبهم وأراد مراجعة شئون الوقف معهم فلم يتيسر له من ذلك شئ لانعدام السجلات ، فتذكر المصادر أنه استدعاهم قائلاً لهم " أنتم قضاة القضاة ، وبأيديكم أموال الأيتام ، ونظركم على سائر الأوقاف بالمملكة اليمنية ، وبها نوابكم فأحضروا أموال الأيتام ودفاترها ، وحساب الأوقاف ، فقالوا : لا نعلم شيئاً منها ، فراجعهم مراراً ، فأصروا على الإنكار ... " [٤] . فمنذ ذلك الحين رد أمور الوقف إلي الدولة وجعل له ديواناً خاصاً به ، وممن تولى شد هذا الديوان القاضى وجيه الدين عبد الرحمن ابن محمد بن عمر اليحيوى وذلك في عصر الدولة الأفضلية [٥] ، وأمدتنا المصادر بأسماء عدد آخر ممن تولوا نظر هذا الديوان بالإضافة إلي باقى الدواوين الأخرى ولقب الواحد منهم بشاد الدواوين الأربعة أو مشد المشدين [٦] ومنهم القاضى جمال الدين محمد بن إبراهيم الجلاد [٧] (ت ٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م) والأمير شمس الدين على بن حسن السقيم [٨] ، والقاضى وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد

---

(١) الجندى : _السلوك_ ، ورقة ١٠٦ ؛ الخزرجى : _العقود_ ، جـ ١ / ٣٢٠ .

(٢) الجندى : _المصدر السابق_ ، ورقة ١٠٦ ؛ الخزرجى : _العقود_ ، جـ ٢ / ١٢١ .

(٣) ذكرت المصادر أنهم أرادوا دس السم له عن طريق جارية له .راجع : ابن عبد المجيد _بهجة الزمن_ (تحقيق الحبشى) ص ١٨٤ ؛ الخزرجى : _العقود_ ، جـ ١ / ٢٥٥ .

(٤) ابن عبد المجيد : _بهجة الزمن_ (حجازى) ، ص ١٠٤ ، وورد نفس النص مع بعض الاختلاف في نسخة (الحبشى) وراجع أيضا :الخزرجى : _العقود_ ، جـ ١ / ٢٥٥ .

(٥) الخزرجى :_العسجد_ ، ق ٢٤ ، _العقود_ ، جـ ٢ / ١٢١ وكان اميرا للجند زمن المجاهد .

(٦) ابن الديبع : _قرة العيون_ ، ص ٣٥٣ .

(٧) الخزرجى : _الكفاية_ ، ق ٢٠١ - ٢٠٢ .

(٨) الحزرجى : _العقود_ ، جـ ٢ / ١٤٨ ، _الكفاية_ ، ق ٢٠١ ، _العسجد_ ، ق ٢٥٣ .

ابن يوسف العلوى [١] وهؤلاء الثلاثة كانوا جميعاً معاصرين للدولة الأشرفية الكبرى (عهد الأشرف الثانى) (٧٧٨ – ٨٠٣ هـ / ١٣٧٦ – ١٤٠٠ م) .

وكان ديوان الوقف يشرف – شأن حكام الشرع سابقاً – على حسابات الممتلكات التى وقفها أصحابها للإنفاق من مواردها على العديد من أوجه الخير والصدقات ، وتنوعت هذه الأوقاف فاشتملت على الأراضي الزراعية والعقارات والمؤسسات الاقتصادية كالحوانيت والمعاصر والأسواق ، كما اشتمل الوقف أيضاً كما بيَّنا مسبقاً على أمهات الكتب الدينية [٢] .

كذلك خصصت بعض الأوقاف في عصر بنى رسول – كما كان الحال في العصر الأيوبى – للإنفاق من مواردها على أعمال الخير بالحرمين الشريفين [٣] ، والمنشآت الدينية التى قام بعض سلاطين آل رسول بإقامتها في مكة والمدينة ومنها المدرسة المجاهدية التى ابتناها المجاهد عام ٧٤٠ هـ / ١٣٣٩ م بمكة المشرفة ووقف عليها أوقافاً جيدة من أملاكه تقوم بكفاية الجميع " وجعل وقفها في ثلاثة مواضع من وادى زبيد : موضع في أعلاه وموضع في أسفله ، وموضع في أوسطه ، نظراً للمرتبين واحتياطاً لهم خوفاً من أن يتغير موضع فيكون في غيره ما يستعينون به سنتهم إلى العام المقبل [٤] .

أما بقية الوقف فكان يصرف من ريعه على المراكز العمرانية الدينية من مساجد ومدارس وخانقاوات تنافس سلاطين بنى رسول ومن يلوذ بهم من أفراد الأسرة الحاكمة والأمراء والأعيان على تشييدها ووقف الأوقاف الهائلة التى تقوم بكفاية المرتبين بها [٥] .

---

(١) الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ / ١٨٨ ، ٢٠٢ .

(٢) الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ / ٢٠٣ ، *العسجد* ، ١٥٧ ؛ ابن الديبع *الفضل المزيد* ، ص ١٠٤ ، وراجع : الخزرجى *العقود* ، جـ ١ / ٢٨٥ حيث أوقف المؤيد على مدرسته بتعز عدة كتب نفيسة .

(٣) كان للمنصور نور الدين عمر بن رسول صدقة جارية على أهل الحرم المكى الشريف اعتاد إرسالها كل عام فيعم بها النفع ، كما كان لولده المظفر أيام إمارته متاجر للطعام يرسلها لأهل مكة حيث تباع بأسعار زهيدة وكان يتصدى للسفر بها المجد بن أبى القاسم فكان لها من النفع موقع عظيم (راجع : ابن حاتم *السمط* ، ص ٢٢٢ ، الخزرجى : *العقود* ، جـ ١ / ٧٧) .

(٤) الخزرجى *العقود*، جـ٢/٦٤ ، راجع أيضا عن مدرسة الأفضل بمكة المشرفة وما أوقفه عليها(*العقود* ، جـ ١٣٦/٢) .

(٥) راجع على سبيل المثال لا الحصر الأوقاف المخصصة للمدرسة المؤيدية بتعز (الخزرجى : *العقود*، جـ ١، ص ٢٨٥) والأوقاف المخصصة لمنشآت المظفر بأنحاء اليمن (العقود ، جـ ١ / ١١٣، ٢٣٣ ؛ وراجع أيضا ، بامخرمة ، *المصدر السابق* ، جـ ٢ / ٨٣) .

وقد شملت هذه المنشآت الدينية الموقوفة كافة أنحاء المملكة اليمنية بصفة عامة ومدينتى زبيد وتعز بصفة خاصة ، فزبيد هى الحاضرة الثقافية للدولة ، بينما تعز هى الحاضرة السياسية ومركز إقامة السلاطين والطبقة الحاكمة ... ويدلنا على كثرة ما شيد من مساجد ومدارس في اليمن في ذلك العصر ، ما أشارت إليه المصادر على سبيل المثال عن عدد المدارس والمساجد الموقوفة في مدينة واحدة وهى مدينة زبيد في عصر الأشرف الثانى الرسولى في سنة ٧٩٥ هـ / ١٣٨٢ م فبلغت مائتين وبضعاً وثلاثين مدرسة ومسجداً [١] .

ويدلنا على عظم الأوقاف المخصص ريعها للإنفاق على كل هذه المؤسسات ما ذكره ابن الديبع الشيبانى من أن الريع السنوى لأوقاف أم السلطان الملك المجاهد الرسولى وأوقاف حاشيتها المرصودة لعمل الخير بلغت أكثر من ألف مُد [٢] . وكانت أموال الأوقاف أيضاً مصدراً للإنفاق منها – بالإضافة إلى المساجد والمدارس – على الخانقاوات ودور المضيف التى تبارى سلاطين بنى رسول وأعيان دولتهم في إنشائها ، وجعلوا لها ما يقوم بكفايتها ، مثال ذلك الخانقاة المظفرية في مدينة حيس ، والتى رتب فيها المظفر إماماً ومؤذناً وقيماً ومعلماً وايتاماً يتعلمون القرآن ، وخصص لإطعام الواردين إليها كل يوم مُداً من الطعام والحب بخلاف ما كان يوزع من التمر واللحم وخارجاً أيضاً عن نفقات المرتبين بها [٣] .

وقد امتد الوقف ليشمل الإنفاق على الأسبلة سواء المخصص منها لسقاية الأهالى أو الموقوفة لسقيا الدواب [٤] ، كما شملت أموال الأوقاف الصرف على الفقراء مثال ذلك ما أوقفه الملك المجاهد من أراضى وادى زبيد وتعز من " محاسن

---

[١] الخزرجى : العقود ، جـ ٢ / ٢٠٣ ؛ ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص ١٠٤ .

[٢] ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص ٩٩ ، وأم المجاهد هى آمنة بنت إسماعيل بن عبد الله الحلبى المعروف بالنقاش توفيت عام ٧٦٢ هـ / ١٣٦٠ م ، ولها العديد من المآثر الدينية في تعز وزبيد وغيرها (راجع بالتفصيل : الخزرجى : العقود جـ ٢ / ١٠٠ – ١٠١ ، ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص ٩٩ ؛ عبد الله محمد الحبشى : معجم النساء اليمنيات ، دار الحكمة اليمنية ، ط١ ، صنعاء ١٩٨٨ ، ص ١٨ – ١٩) . أما المُد فعرفّه صاحب العقود بأنه يزيد على حمل الجمل الضخم الشديد (الخزرجى : جـ ١ / ٢٣٣ ، وراجع عن المُد ، الجزء الخاص بالمكاييل والموازين من الكتاب) .

[٣] الخزرجى : العسجد ، ١٥٨ ، العقود ، جـ ١ / ٢٣٣ .

[٤] الخزرجى : العقود ، جـ ٢ / ١٠١ مثال ما أنشأته أم المجاهد من سبُل لسقيا الدواب ملحقة بمآثرها الدينية مثل خانقاه زبيد ومدرسة المسلب بزبيد وغيرها (العقود جـ ٢ / ١٠١) .

أملاكه ورباعاً وضياعاً للصرف على منشآته والقيام بالصدقة على فقراء الرعية الذين رتبهم بالخانقاوات المجاهدية في الحبيل ودار العدل بتعز وجعل لهم نقيباً يجمعهم " [١] .

موظفو الشدود : واختص بالعمل في كل شد مجموعة من العاملين تتفاوت أعدادهم طبقاً لطبيعة عملهم ويأتي على رأسهم الناظر الذى يتولى الإشراف على كل ما يجرى بالديوان من أعمال واختصاصات ، من بينها مراجعة حسابات الديوان والتوقيع على السجلات والتوقيع على الإيصالات الخارجة للمتعاملين مع الديوان ، ومن أبرز الصفات الواجب توافرها في الناظر والتي توفر له الاحترام والتقدير : الأمانة والدقة في العمليات الحسابية وعدم الإجحاف بالمترددين على الديوان ، ومن أبرز هؤلاء النظار الذين اتصفوا بذلك الشيخ منصور بن حسن الفرسى (ت ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م) وكان من أعيان الكتاب في الدولتين المظفرية والمؤيدية وحظى بمكانة سامية بين أرباب الدولتين بسبب ما عرف عنه من " عدم الغلط " في الحساب ولا خيانة لمخدوم ولا ظلم للرعية " [٢].

العمال (الكُتَّاب) : ومهمتهم إعداد أصول الحسابات وعرضها على الناظر ، وكان المظفر الرسولى يحرص على متابعة هؤلاء العمال ويأمر بمعاقبتهم إذا ما تبين تقصيرهم في أداء عملهم مما أدى إلي نقصان العائد من الديوان ، وأيضاً إذا ما اشتط أحد منهم في معاملة الرعية وألحق بهم عسفاً أو جوراً [٣] .

كذلك كان يتبع كل ديوان مجموعة من المُسَّاح والذُرَّاع الذين يتولون قياس الأراضى الزراعية وتقدير مساحتها من أجل حساب النسب الضريبية المقررة عليهم [٤] .

---

[١] الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ / ١٠٦ – ١٠٧ وراجع أيضا ما أوقفته أم المجاهد من أوقاف للصرف على المرتبين بعمائرها ومن بينهم الفقراء ، الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢، ص ١٠١ .

[٢] الخزرجى : *العقود* ، جـ ١ / ٢٧٤ – ٢٧٥ .

[٣] الخزرجى : *العقود* ، جـ ١ / ٢٣٤ .

[٤] الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ / ٢٣٣ ، ابن الديبع : *الفضل المزيد* ، ص ٥٠ .

وكانت مراقبة سير العمل بكل ديوان والتفتيش على أعماله تسند إلي موظف كبير يدعى بالمشد ، وكانت لبعض المدن أكثر من ديوان، ومن ثم تعدد المشدون بها كما هو الحال في مدينة زبيد [(١)]، حيث أشار الخزرجى إلي ذلك بقوله " وكان أمير زبيد يومئذ الأمير نجم الدين محمد بن أحمد الخرتبرتى ، ومشدها وناظرها القاضى شهاب الدين أحمد بن على بن قبيب، ومشد أملاكها الشهاب بن عبد الرحمن أخو الحكيم الزبيدى " [(٢)] .

ويبدو أن المقصود بعبارة مشدها وناظرها أى مشد الديوان الكبير وناظره ومن ثم قدم على مشد الأملاك نظراً لما للديوان الكبير أو السعيد من أهمية بحكم اتساع اعماله . أما مشد الأملاك فربما كان المقصود به المشرف على الأملاك السلطانية بزبيد وواديها أى مشد الديوان الخاص . ويلاحظ أن وظيفتى المشد والناظر كانتا تسندان لشخص واحد ضماناً لتيسير الأعمال [(٣)] ، بل كانت هاتان الوظيفتان تسندان أحياناً إلي والى المدينة [(٤)] .

كذلك يمكن القول بأن وظيفة المشد كانت أعلى مكانة ومرتبة من وظيفة الناظر بدليل ما أوردته المصادر عن هذه الوظائف فتأتى في البداية وظيفة المشد وصاحبها ويليها الناظر ، مثال ذلك عند الحديث عن براءة أولاد الأشرف الثانى من الختان عام ٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ م وإقامة احتفال بهذه المناسبة في الدار الكبير السلطانى كان في مقدمته " عسكر زبيد ومشدها وناظرها " [(٥)] كذلك تتضح مكانة المشدين وأهميتهم من حضورهم الاحتفالات المختلفة التى اعتاد سلاطين بنى رسول إقامتها وتصدرهم قائمة المدعوين إليها ، وفي ذلك يقول الخزرجى في سياق وصفه لحفل ختان أبناء الأشرف : " فحضر الناس على اختلاف طبقاتهم من الوزراء والأمراء والمقطعين والمشدين وكتاب الدواوين " وفي موضع آخر يذكر "

---

(١) الخزرجى : العقود ، جـ ٢ / ٦٨ .
(٢) الخزرجى : المصدر السابق ، جـ ٢ / ٦٨ .
(٣) الخزرجى : نفسه ، جـ ٢ / ١٤٢ ، العسجد /ق ٢٥٠ .
(٤) ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص ٩٧ حيث يذكر في أحداث سنة ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨ م أن المشرف على عمارة أبواب زبيد بدروبها وخندقها الأمير الشجاع عمر بن عثمان بن مُحيا وكان اميراً ومشدّا وناظراً . (راجع أيضاً : الخزرجى : العسجد ، ق ٢١٧) .
(٥) الخزرجى : العقود ، جـ ٢ / ٢٠٠ ، العسجد ، ق ٢١٧ ؛ ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص ٩٧ .

فلم يتخلف أحد من الوزراء والأمراء والمقطعين والمشـدين والمقـدمين وسـائر الجند " [١] .

شد الاستيفاء : يبدو أن وظيفة هذا الديوان كانت تستهدف الإشـراف على أعمال جميع الدواوين ورفع تقرير بشأنها للسلطان ، ونستدل على ذلك ممـا أوردته المصادر عند التعرض لذكر أحد رؤساء هذا الديوان وهو القاضـي صـفى الدين عبد الله بن عبد الرازق الواسطى الذى استدعاه المؤيـد الرسـولى عـام ٧١٨ هـ / ١٣١٨ م وفوض إليه شد الاستيفاء وانبسطت يده في الـدواوين [٢] وواصل الحكم فيها [٣] .

كما نستدل على أهمية هذه الوظيفة الإشرافية لشاد الاستيفاء على كـل دواوين الدولة مما أورده الخزرجى في سياق حديثه عن الاتهام الذى وجهه كتـاب الدواوين للقاضى صفى الدين باستيلائه على جملة من المال ، وشهدوا عليه بذلك ، فعزله السلطان عن يد الاستيفاء عام ٧٢٠ هـ / ١٣٢٠ م ، وفوض للأمير جمال الدين يوسف بن الجواد رئاسة هذا الديوان فاشترط هذا على السلطان ألا يوكـل إليه استخراج الأموال المقررة للدواوين وألا يجعل عقاب أحد على يده ، وينيـب في هذه الأمور أمير خزندار السلطان لاستخراجها، مما يدل على أن شد الاسـتيفاء كان مسئولاً عن تحصيل الأموال التى عجزت الدواوين عن استيفائها [٤] .

ومما يؤكد أيضاً أن مشد الاستيفاء كان له الإشراف على عمل الـدواوين وأنه كان ينعت أيضاً بمشد الدواوين [٥] ، وتسند إليه مهمة استيفاء ما للدولة مـن أموال عجزت بقية الدواوين عن استيفائها ممن يماطلون في دفعها لاسيما أصـحاب النفوذ منهم ، ما يرويه الخزرجى من أن السلطان الأشرف الثانى الرسـولى عنـد زيارته لمدينة حيس عام ٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ م ، وصلت إليه معلومات تؤكد بـأن

---

(١) الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ / ١٩٦ .

(٢) ابن عبد المجيد : *بهجة الزمن* (الحبشى) ص ٢٨١ ؛ الخزرجى : *العقود* ، جـ ١ / ٣٤٨ ، *العسجد*، ق ١٩٠ .

(٣) الخزرجى : *العسجد* ، ق ١٩١ ، *العقود* ، جـ ١ / ٣٥٢ .

(٤) ابن عبد المجيد : *بهجة الزمن* ، (تحقيق :الحبشى) ص ٢٨٣ ؛ الخزرجى : *العسجد* ، ق ١٩١ ، *العقود* ، جـ ١ / ٣٥٤ .

(٥) الأفضل : *العطايا السنية* ، ق ٥٢ ؛ الخزرجى: *العقود* ، جـ ٢ / ١٨٨، ٢٠٢ .

أميرها جمال الدين محمد بن عمران الفايشي قد " مد يده إلي شــئ مــن مــال الخراجي بها " [١]فأمر مشد الدواوين أو مشد الاستيفاء وقتئذ- القاضي وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد بن يوسف العلوي- أن يلزم العامل المذكور بتسليم ما أخذ ، فأنكر أن يكون قد أخذ شيئاً ... فصادره المشد كما ورد الأمر الشريف[٢].

ديوان النظـــر:

كان مقره مدينة عدن ، ويبدو من مســماه أن مهمتــه كانــت تتعلــق بالإشراف على مالية عدن وتحصيلها من تجار المدينة أو الواردين إلي الفرضة مــن الغرباء بدليل أن متولي الديوان كان يشغل موقعاً من الفرضة وكان لــه اتصــاله بالتجار الذين يداومون على حضور سماطه اليومي [٣] ، ونستدل على ذلــك ممــا روته المصادر عند تعرضها لذكر زيارة المظفر الرسولي لمدينة عــدن فتشــير إلي أن أهلها رفعوا شكوى ضد متولي ديوان النظر بالثغر ويدعى محمد بن عبد الله شمــس الدين الجزري لعسفه وجوره ضدهم ، فأمر السلطان بالتحقيق في صــحة هــذه الشكوى وعهد بذلك لقاضي قضاته بهاء الدين محمد بن سعد وأمر بأن يتم ذلــك بمواجهة الطرفين فيما بينهما ، فامتنع أهالي الثغر عن تلك المواجهة إلا بعد أن تعهد السلطان بصرفه عن الديوان نهائياً بعد انتهاء التحقيق ، فأعطاهم المظفر الذمة بذلك فأثبت التحقيق استيلاءه على الكثير من أموال أهل الثغر دون وجه حق ، فصــدر الحكم بمصادرته وعقابه فسلم ٣٠ ألف دينار حتى انتهى به الحال للإفلاس والموت من أثر التعذيب [٤] .

ويشير اختيار عدن بالذات مقراً لهذا الديوان على الأهمية الاقتصادية الــتي كانت تشغلها هذه المدينة بما لها من مكانة تجارية عالمية ، وعظم الضرائب المحصــلة من وراء التبادل التجاري بها والتي تشكل الدعامة الرئيسة لموارد الدولــة الماليــة ، ولهذا السبب اتخذ بها ديوان النظر لمراقبة إيرادات المدينة المالية ومصروفاتها ، ورفــع

---

[١] هكذا في الأصل والصواب : الخراج .
[٢] الخزرجي : *العقود* ، جـ ٢ / ٢٠٢ ، *العسجد* ، ق ٢٧٦ .
[٣] بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، جـ ٢ / ٢٢١ .
[٤] الجندي : *السلوك* ، جـ ٢ / ق ٢٠١ ؛ الخزرجي : *العقد الفاخر* ، *لوحة ١٠٤* ؛ بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، جـ ٢ / ٢٢١ – ٢٢٢ .

خزانتها إلي السلطان بالحاضرة .... ويفسر هذه الأهمية من ناحية أخرى أن مشد هذا الديوان كان دائماً من كبار الشخصيات، ويعتبر تكليفه بهذا المنصب فقط دليلاً علـى أهميته ، و لم تشر المصادر إلي اضافة ديوان النظر إلي صاحب منصب آخر إلا مرة واحدة حينما أضيف ديوان النظر إلي أمير المدينة وواليها وذلك في عهد الأشرف الثانى الرسولى عندما أضيفت نظارة هذا الديوان إلي الوالى أبي عبد الله محمد بن ابراهيم بـن يوسـف الجلاد الأشرفى الأفضلى المجاهدى (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٨٢ م) ويعلق بامخرمة علـى ذلك بقوله " و لم يتفق لأحد قبله ولا بعده الجمع بين ولاية عدن ونظرهـا أبـداً " [١]، ولعل السبب في ذلك يرجع إلي ما كان يتمتع به هذا الأمير من فطنة ومعرفـة بشـئون الدواوين وبراعة كاملة في علم الحساب أهلّته لنظر الاستيفاء أى الشدود الأربعة [٢] ومن ثم أهلته تلك الكفاءات للجمع بين المنصبين ، يدلنا على ذلك نعته بأنه " أحد الكملة في زمانه " [٣] بينما نجد أن مدناً أخرى كزبيد على سبيل المثال اعتاد واليها أن يجمع بـين منصبه كأمير ومشد وناظر في ذات الوقت [٤] ، ومن أشهر من تولى ديوان النظر أيضـاً أحد كبار شخصيات عصره وأعيان كتابه هو أبو محمد عبد الله بن العباس بن على بـن المبارك الحجاجي الهمدانى ، (ت بعد ٦٥٠ هـ / بعد ١٢٥٢ م) [٥] الذى تمرس على الأعمال الديوانية وتولى جلائل الأعمال منذ أواخر عصر الدولة الأيوبية ثم اعتلى ديوان النظر بثغر عدن في عهد المظفر الرسولى .

ديوان الجيـش :

من الدلائل التى تشير إلي وجود هذا الديوان في اليمن في فتـرة الحكـم الأيوبى ، واستمراره في عصر بنى رسول ؛ الإشارات المبتسرة التى أوردتها المصـادر في معرض حديثها عن ترجمة أحد أعيان الكتاب في الدولة المظفرية فأشـارت إلي كاتب تولى منصب كاتب الجيش زمن المسعود الأيوبى بما يوحى برئاسته لـديوان عُرف بهذا الاسم ، وهذا الكاتب هو صاحب ديوان النظر في عصر المظفر الرسولى

---

[١] الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ / ١٥٠ ، بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، جـ ٢ / ١٩٤ (نقلاً عن الخزرجى) .
[٢] الأفضل الرسولى : *العطايا السنية* ، ق ٥٢ .
[٣] الخزرجى : *العقد الفاخر* ، ق ٨٥ .
[٤] ابن الديبع : *الفضل المزيد* ، ص ٩٧ .
[٥] الأفضل الرسولى : *العطايا السنية* ، ق ٢٥ ، راجع : بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، جـ ٢ / ١١٥ حيث يجعل تاريخ وفاته بعد ٦٧٠ هـ / ١٢٧١ م .

ويدعى الشيخ عبد الله بن العباس بن المبارك الهمداني[1]. كذلك أمدنا العمري في حديثه عن المملكة اليمنية زمن المؤيد الرسولي وابنه المجاهد بإشارة أخرى تفيد وجود هذا الديوان صراحة عندما أشار إلي اسم قاضي يدعى أبو الربيع سليمان بن محمد بن الصدر بن سليمان الحنفي،وذكر أن قام بالخدمة في ديوان الجيش اليمني وقام بإطلاعه على جريدته التي وضعها آنذاك مسجلاً فيها أعداد جند اليمن في ذلك الوقت وأثناء خدمته بديوان الجيش اليمني[2]،كذلك أشار كل من العُمري والقلقشندي إلي استمرار وجود منصب كاتب الجيش(رئيس الديوان)في عصر بني رسول،إذ ذكراه ضمن أرباب الوظائف الكبرى في ذلك العصر[3]،مما يرجح أن هذا الكاتب كان يرأس ديوان الجيش،وكان يساعده جماعة من الكتاب،ومن بين اختصاصات هذا الديوان توزيع الإقطاعات وترتيبها وتغييرها طبقاً للمربعات الصادرة من السلطان[4]،كما كان يتولى شئون الإنفاق على الجيش وتزويده بما يحتاجه من المؤن والأسلحة وإقامة العمائر العسكرية وترميمها[5]،وصرف المرتبات للجنود،حيث أن بعض الجند كانوا يتقاضون مرتباتهم نقداً أو عيناً لا إقطاعاً[6]، بينما كان البعض الآخر لاسيما كبار الجند والأمراء أصحاب إقطاعات،ولذا شملت مهمة ديوان الجيش وكتابه:إعداد جرائد للجيش[7]يسجل بها اسماء أصحاب الإقطاعات على اختلاف طبقاتهم حيث أن أبرز مهمة للمقطع كانت تستهدف حماية المنطقة الواقع فيها إقطاعه وضم أكبر عدد ممكن من الجنود لهذا الإقطاع مع قيامه بالإنفاق عليهم وتجهيزهم بالأسلحة والمؤن، بل أن بعض الإقطاعات كان يحدد بها عدد الجند الواجب اقتناؤهم في الإقطاع الواحد [8] ،ومن ثم شملت جرائد الديوان تسجيل كافة الإقطاعات الممنوحة وتاريخ تسلم المقطع لها وعبرتها وعدد الجند في كل إقطاع [9] .

---

[1] الأفضل الرسولي : _المصدر السابق_ ، ق ٢٥ ؛ الجندي : _السلوك_ ، جـ ٢ / ق ٢٤١ ؛ بامخرمة : _تاريخ ثغر عدن_ ، جـ ٢ / ١١٥ .

[2] العمري : _مسالك الأبصار_ ، ص ١٥٢ – ١٥٣ والجريدة هنا بمعنى قائمة بينما تطلق أحياناً على فرقة الجيش من الفرسان الخيار الأشداء (راجع القلقشندي : _صبح الأعشى_ ، جـ ٥ / ٣٢ هـ ١ للمحقق ، بيروت) .

[3] العمري : _مسالك الأبصار_ ، ١٥٤ ؛ القلقشندي : _صبح الأعشى_ ، جـ ٥ / ٣٣ .

[4] ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٢٥٦ – ٢٥٧ .

[5] ابن المجاور : _المستبصر_ ، ص ٦٢ ؛ حسنين ربيع : _النظم المالية_ ، ص ٦٢ .

[6] حسنين ربيع : _المرجع السابق_ ، ص ٦٢ .

[7] العمري : _مسالك الأبصار_ ، ص ١٥٣ .

[8] ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٣٨ – ٣٩ ؛ حسنين ربيع : _المرجع السابق_ ، ص ٦٢ .

[9] العمري : _مسالك الأبصار_ ، ص ١٥٢ – ١٥٣ ،حسنين ربيع : _المرجع السابق_ : ص ٦٢ .

ثانياً :- النظـم المـالية

المقصود بالنظم المالية موارد الدولة المختلفة وأوجه النفقات أو المصروفات بهـا وتنقسم هذه النظم إلي

١- الايرادات : أو الموارد المالية وتنقسم في بلاد اليمن أسوة بغيرهـا مـن الأمصار الإسلامية إلي موارد شرعية تشمل الزكاة والجزية والخراج أو عشور الأراضـي الزراعية وعشور التجارة [١] ، وموارد غير شرعية تشمل المكوس والضـمان والرسـوم والمصادرات والمصالحات وغيرها .

وسوف نعالج هذه الموارد المالية على النحو التالي:

أولاً- المـوارد الشرعية :-

أ - الزكاة : - هى أحد أركان الإسلام الخمسة وتعنى الصدقة ، وهى فريضة إسلامية أوجبها الله تعالى بقوله " **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَـا** " [٢] وقوله تعالى " **وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ** " [٣] وتفرض الزكـاة بقدر معلوم على عدة أموال منها الذهب والفضة،وعروض التجـارة،وعلى السـائمة كالمواشى والأنعام،وقد تناولت كتب الفقه بالتفصيل مقدار ما يفرض في كل نوع مـن هذه الأنواع،ومن المعروف شرعاً أن من تجب عليه الزكاة كان مخيراً بين القيام بتوزيعها بمعرفته أو يقوم بدفعها للإمام أو الحاكم،ويبدو أن كثيراً من الناس في ذلك العصر اعتادوا القيام بتوزيع زكاتهم بأنفسهم من ذلك ما أورده الخزرجى في ترجمته للفقيه أبى الحسـن على بن محمد بن حجر الأزدى الهجرى المتوفى عام(٦٨٥ هـ/ ١٢٨٦م)في قولـه"..وبلغ الفرض الزكوى من ماله أربعين ألفاً وقيل ستين ألفاً فكان يتصدق بذلك في غالب أيامه حتى كان لا تكاد تنقطع صدقته"ولم يزل على ذلك إلي أن توفى[٤]،أما عن أموال الزكاة الخاصة بالملوك والسلاطين فمن المحتمل أنها كانت تجمع وتحمل لبيت المال أو ديوان المال كما عرف في عصر بنى رسول[٥]،حيث يتم صرفها في مصـارفها الشرعية [٦] . ومن المعروف أن

---

[١] راجع عنها بالتفصيل (الفصل الخاص بالتجارة) .
[٢] سورة التوبة : آية ١٠٣ .
[٣] سورة المعارج : آية ٢٤ - ٢٥ .
[٤] الخزرجى : العقود ، جـ ١ / ٢٠٨ ؛ بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، جـ ٢ / ١٥٩ .
[٥] القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ / ٣٣ .
[٦] الخزرجى : الكفاية ، ق ٢٣٢

الأيوبيين أنشأوا في مدينة عدن في عام (٦٢٥ هـ / ١٢٢٧ م) داراً للزكاة كانت تجمع فيها أموال الزكاة المحصلة على بضائع التجار الواصلين إلي عدن ولا تجب عليها العشور، وكانت هذه الزكوات تحصل من جميع التجار دون مراعاة إذا ما مر الحول على أموالهم أو لم يمر [١] .

كذلك كان القضاة المسند إليهم الإشراف على أموال الأيتام يخرجون الزكاة المفروضة على تلك الأموال ويودعونها بدار الزكاة [٢] .

وكانت هذه الأموال كما سبق القول يصرف منها في مصارفها الشرعية ومنها رواتب سنوية تمنح للفقراء الذين لا مورد لهم ، ونستدل على ذلك مما ذكره بامخرمة في ترجمة القاضي أبي العتيق أبو بكر بن أحمد بن عمران بن الأديب العيدى (ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٤ م) وكان على قضاء عدن فامتنع عن صرف الزكاة المستحقة على أموال الأيتام وكانت " مما ينتفع به الناس " [٣] ، وأيضاً ما قام به أبو الظاهر البيلقانى الأنصارى ناظر عدن زمن المؤيد الرسولي من مراجعة السلطان لأحد الأشخاص ويدعى عبد الله بن علي بن محمد بن حجر وذلك في شئ من الصدقة يُجرى له كراتب سنوى ، ومرجع ذلك أن والد هذا الفقير وهو الفقيه أبو الحسن علي بن حجر السابق ذكره كان من أهل الثراء واعتاد أن يختص البيلقانى عندما كان فقيراً بمبلغ نافع من زكاته السنوية ، فلما ارتقى البيلقانى وصار ناظراً تقهقر الحال بعبد الله بن الفقيه المذكور وركبه الدَّيْن وسجن بسببه ثم أطلق سراحه، وأشفق عليه البيلقانى وأجرى عليه بموافقة السلطان راتباً سنوياً من مصارف الزكاة وذلك رداً لجميل أبيه عليه [٤] .

ب – الجزية : – وهى ضريبة الرؤوس المفروضة على أهل الذمة و لم تحدد لنا المصادر مقدار ما كان يدفعه الذمى منها في الفترة موضوع البحث ، كما لم تشر إلي مقدار المبالغ المحصلة منها في أى عهد من عهود ملوك وسلاطين دولتى بنى أيوب وبنى رسول .

---

(١) ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٤٣ .
(٢) بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، جـ ٢ / ٢٤٢ .
(٣) بامخرمة : *المصدر السابق* ، جـ ٢ / ٢٤٢ .
(٤) بامخرمة : *المصدر السابق* ، جـ ٢ / ٢٥١ .

ولكن من الثابت من خلال أقوال المؤرخين أن بعض المدن اليمنية كانت تضم عدداً من اليهود يقيمون فيها منها مدينة عدن وذى جبلة وتعز والجَنَد وصنعاء[١] وكانت تحصل منهم الجزية ، وكان جزء من هذه الجزية يذهب للخزانة العامة في حين خصص الجزء الباقى كجامكية للقضاة والحكام في بعض مدن اليمن حيث اعتادوا أخذ أرزاقهم من هذه الجزية ، وقد أوردت المصادر عدة أمثلة لهؤلاء القضاة الذين اعتمدوا في أرزاقهم على تلك الجزية ، من ذلك القاضى أبو الحطاب عمر بن سعيد بن محمد بن على الربيعى الكعومى الجميلى قاضى صنعاء ونواحيها في عهد المظفر الرسولى ، ويذكر الجندى أنه تولى القضاء بتقليد من الخليفة المستعصم العباسى وبناء على طلبه فأرسل إليه تقليداً متوجاً بالعلامة الشريفة العباسية . " وكان رزقه على القضاء ورزق حكام الجهة من الجزية ولم يزل على ذلك إلى أن توفى فلذلك صار منذ توفى أمر الجزية يستند عليه القضاة الأكابر كقضاة القضاة والوزراء إلي عصرنا " ، ويوضح الجندى ذلك في موضع آخر بقوله " ولم تزل جزية اليهود وجامكيه من جاء معه إلي أن هلك (سنة ٦٨٥هـ)" فأخذ بنو عمران خلفاؤه على منصب القضاء الجزية إليهم وجعلوا لحاكم كل بلد جامكية من الوقف ، وربما جعلوه من مال الديوان ، واستمروا على ذلك هم وكل وزير جاء بعدهم [٢] .

ومن ذلك أيضاً القاضى عيسى بن على بن محمد بن أبي بكر بن مفلت وكان يلى منصب قاضى الجند ، ولبث قاضياً بها خمساً وأربعين سنة وعُمِّر فوق مائة السنة وتوفى ٦٧٣ هـ / ١٢٧٤ م وكانت جامكيته هو الآخر من جزية اليهود في الجَنَد ومقدارها خمسة عشر ديناراً [٣] .

ومن القضاة أيضاً الذين اعتمدوا في جامكيتهم على جزية اليهود في منطقته القاضى عباس بن منصور بن عباس البريهى السكسكى (ت ٦٨٣هـ / ١٢٨٤ م) قاضى جبلة في عهد المظفر [٤] .

---

[١] الخزرجى : العقود ، جـ ١ / ٦٨ ، ١٦٧ ، ٢٠٦ ـ ٢٠٧ ، جـ ٢ / ١٨٧ .
[٢] الجندى : السلوك ، جـ ٢ / ق ٢٠٥ ؛ وأنظر أيضا : الخزرجى : العقود ، جـ ١ / ٢٠٦ ـ ٢٠٧ .
[٣] الجندى : السلوك ،جـ ٢/ ق ٢٠٨ ؛ الأفضل: العطايا ، ق ٤١ ، الخزرجى : العقود ، جـ ١ / ١٦٧ .
[٤] يذكر صاحب العطايا السنية ان المظفر الرسولى أمر عندما شرع في بناء مدرسته بجمع الجزية من سائر جهات اليمن لصرفها في عمارة المدرسة وجعل أرزاق القضاة من غير الجزية (راجع : الأفضل الرسولى : العطايا ، ق ٢٩) .

جـ - الخراج : - نظراً لأهمية موارد الأراضى الزراعية لمالية اليمن في العصر الإسلامى ، نعرض بإيجاز إلي أحكام أراضى اليمن وما طـرأ عليـها مـن تغيرات ، فاليمن اعتبرت من البلاد التى أسلم عليها أهلـها فهـى لـذلك أراضٍ عشرية، ويقول عن ذلك القاضى أبو يوسف " وكل أرض أسلم عليهـا أهلـها ، فهى أرض عشر ، وأرض الحجاز والمدينة ومكة والـيمن وأرض العـرب كلـها عشر "[1] ، والمقصود بالأراضى العشرية هى الأراضى المفروض على انتاجها مـن زروع وثمار ما قيمته العشر أو نصف العشر طبقاً ليسر موارد الرى أو عسـرها . وهذه هى الزكاة المفروضة على أموال المسلمين وليس في مال المسلمين حق سوى الزكاة طبقاً لقول الرسول " ﷺ " [2] .

ولما كانت مصارف الزكاة او الصدقات محددة في القرآن الكريم في قولـه تعالى " إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّـهِ وَاللّـهُ عَلِـيمٌ حَكِيمٌ"[3] لذا احتاج الحكام إلي فرض أموال إضافية للقيام بالصرف على مرافـق الدولة المختلفة ودفع أرزاق الجند والعاملين بدواوينها المتعددة ، ومن هنـا فـرض ولاة اليمن على امتداد عصورها أموالاً جعلوها وظيفة على أهلـها ، واختلفـت مسميات هذه الوظيفة في المصادر فمرة تسمى عشوراً ومرة تسـمى ارتفاعـاً أو خراجاً دون تحديد واضح لنوعيتها .. ولما كانت هذه الأمـوال مفروضـة علـى أصحاب الأرض فقد اعتبرت بمثابة الخراج وأصبح المقصود به الضـريبة السـنوية المفروضة من قبل الدولة على الأراضى الزراعية وبساتين النخيل .

وكان المزارعون يدفعون هذه الضريبة إما للديوان السعيد [4] أو الكـبير ، أو إلي المقطعين الذين تقع أراضى هؤلاء المزارعين في نطـاق إقطـاعهم، ويقـوم المقطعون بتوريدها إلي الديوان بعد خصم النفقات المختلفة التى استلزمها الإقطاع .

---

[1] القاضى أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢ هـ / ٧٩٨ م) كتاب الخراج : تحقيق د. احسان عباس ، دار الشروق ، بيروت ، ط١ ١٩٨٥ ، ص ١٧٣ .

[2] الماوردى : أبو الحسن محمد بن حبيب البصرى (ت ٤٥٠ هـ / ١٠٠٨ م) : *الأحكام السلطانية والولايات الدينية* ، بيروت ١٩٧٨ ، ص ١١٣ .

[3] *سورة التوبة* : آية ٦٠ .

[4] الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ / ٦٣ .

وبذلك يمكن القول إن الاقطاع يُعد أحد الموارد المالية الهامة للدولـة، فـيمكن إدراجه ضمن مالية الخراج باعتبار أن الإقطاع الممنوح للشخص كان يدر دخـلاً معيناً هو بمثابة راتب مستحق للمقطع،يقوم على جمعه من المزارعين في دائرة إقطاعـه، وقد يستنيب عنه من يقوم بذلك وخاصة من مشايخ القبائل مقابل نصيب معـين يقدره لهم [١] .

ويقوم المقطع بتدبير نفقاته ونفقات إقطاعه من مال الخراج المتجمـع لديـه، ويورد الباقى إلي خزانة الدولة[٢]ولم تحدد لنا المصادر المتاحة القدر المسـتحق للمقطـع كراتب سنوى من خراج إقطاعه،ومع ذلك فقد أورد صاحب السمط مثالاً من العهـد الأيوبى ولكن لا يمكن تعميمه على سائر إقطاعات اليمن وهو خاص بالأمير عمر بـن مهدى الذى طلب إقطاعه بلاد المشرق وحضر موت والشحر فاشـترط عليـه الملـك المسعود الأيوبى مقابل ذلك مناصفة خراجها فيما بينهما " فعقدوا على ذلك" [٣] .

وهناك أيضاً بعض الإقطاعات التى منحها الحكام من بنى أيـوب وبـنى رسول لبعض الأعيان والمشايخ نظير التـزامهم بمبلغ محدد من المال يقومون بدفعه سنوياً،من ذلك ما التـزم به الشيخ على بن أحمد المعلم"للمخلاف من مصابيح إلي ضربة عمر"[٤]بخمسين ألف دينار، وذلـك في عهـد الملـك العزيـز طغـتكين الأيوبى،ولجأ في سبيل تدبير ما التـزم به إلي القسوة والعسف في جمع الأموال من رعية المخلاف فصادر أملاك بعضهم،واشترى أملاك البعض الآخر ومنتجاتهم بأسـعار زهيدة فباعوها له اتقاء سطوته،ورغم ذلك عجز عن دفع ما التـزم به فصادره طغتكين مصادرة منكرة وقبض غالب أملاكه ودوره في عدد من المواضع باليمن وضمها لبيـت المال [٥] .

---

(١) ابن حاتم : *السمط* ، ص ١٠٠ ، ٢٢٤ ؛ يحيى بن الحسين : *غاية الأماني* ، ق ١ / ٣٦٨ .

(٢) كانت موارد الإقطاع في بعض الأحيان لا تفي بما يتطلبه من نفقات لاسيما في مجال الدفاع ، وعندئذ يقوم الحاكم بإمداده بما يسد هذا العجز من الجند والسلاح والمؤن (راجع ابن حاتم : *السمط* ، ص ١٤٦ – ١٤٧).

(٣) ابن حاتم : *السمط* ، ص ١٩٠ .

(٤) تقع هذه المنطقة في مخلاف جعفر وهو يشتمل على منطقة إب وجبلة وما حولهما ، راجع : المقحفي : *معجم المدن* ، ص ٩٠ .

(٥) الجندى : *السلوك* ، جـ ١ / ق ١٢٦ ؛ ابن اسير : *الجوهر الفريد* ، ق ٢٨٢ ؛ الخزرجى : *العسجد* ، ق ١٠٢ ؛ الأهدل : *تحفة الزمن* ، ق ٨٠ .

وممن التزم من مشايخ القبائل بمال معلوم نظير إقطاع السلطان له، الشيخ عبد الوهاب بن يوسف العريقى (ت ٦٧٢ هـ / ١٢٧٣ م) حيث أقطع بلد العوادر " بمال معلوم يحمل إلي السلطان " [١] ، وكذلك راشد بن شجيعة صاحب الشحر الذى انضم لصاحب ظفار الحبوضى ضد المظفر طمعاً في التهرب مما التزم به للسلطان من خراج " إذ كان عليه خراج معلوم يحمله في كل سنة إلي الخزانة المعمورة " [٢] .

ومما لاشك فيه أن خراج الأراضى الزراعية المتحصل لحكام اليمن كان عظيماً رغم صمت المصادر عن تحديد مقداره السنوى [٣] ، وذلك بحكم شهرة اليمن كبلد زراعية واعتماد اقتصادها على الزراعة التى تُعدّ أحد الموارد الرئيسة لمالية البلاد ، ورغم ذلك يمكن القول بعدم ثبات قيمة هذا الخراج وتغيرها بين فترة وأخرى نظراً لعدة عوامل منها :

١- عدم ثبات رقعة الدولة وتذبذبها بين الزيادة والنقصان تبعاً لنتيجة الصراع الدائر بينها وبين أعدائها لاسيما من الزيدية ، فمن المعروف أن رقعة الدولة إبان العهد الأيوبى بلغت أقصى اتساع لها في عهد طغتكين حتى وصلت أملاكه ونفوذه إلي صعدة ، ثم تقلصت هذه المساحة بعد ذلك في عهد خلفائه حتى إن نفوذ الإمام المنصور عبد الله بن حمزة وصل إلي ذمار وصنعاء في وقت من الأوقات، وحدث نفس الشئ في عهد الدولة الرسولية فاتسعت مساحتها في عهد المنصور نور الدين عمر بضم صنعاء لنفوذها ، ثم اتسع نطاقها في عهد المظفر الرسولى الذى ضم إلي سلطانه عدة بلاد أخرى كذمار وظفار الحبوضى وغيرها ... ولكن بمضى الوقت وكما حدث زمن الأيوبيين - تناقصت مساحة

---

[١] الخزرجى : العقود ، جـ ١ / ١٦٥ ، والعوادر : بلد شرقى الجند من أعمال إب .

[٢] الخزرجى : العقود ، جـ ١ / ١٨٢ ، العسجد ، ق ١٤٧ .

[٣] أشار ابن المجاور إلي الخراج المستحق على بساتين النخيل فقط وذلك في عصر الدولة الأيوبية باليمن فذكر أنه بلغ في مجموعه مائة وثلاثين ألف دينار سنوياً تفصيلها كالآتى :
٩٠ ألف دينار نقداً لخزانة الدولة ، ٤٠ ألف دينار عيناً تصل إلي " الخزانة وعمال السلطان ونواب الديوان وغير النخيل السلطانية والأوقاف ، وغير الذى لأرباب الجاهات وأصحاب الدولة (راجع المستبصر : ص ٧٩ - ٨٠) وبلغ عام (٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ م) أى في أخريات العهد الأيوبى مائة وعشرة آلاف دينار نقداً غير ما حمل إلي الخزانة في هذا العام واستخدم الولاة القسوة والعنف في سبيل استخراج هذا المبلغ (نفس المصدر ، ص ٨٠) .

الدولة من جديد ، واستعاد الزيديون سلطاتهم ونفوذهم على بعض أراضى الرسوليين مثل صعدة وصنعاء وذمار ، ومما لاشك فيه أن ذلك أثر على مساحة الأراضى الزراعية للدولة وبالتالى أثر على مقدار الخراج وحصيلته التى تزيد أو تنقص تبعاً لهذه المساحة .

٢- كذلك تأثر الخراج في اليمن بالمسامحات الضريبية التى جرى على منحها حكام بنى أيوب وبنى رسول لأكابر الفقهاء ومشايخ الصوفية ، وهى إعفاء أملاكهم من الضرائب المقررة عليهم ، واستمرار هذه المسامحات أحياناً بعد وفاة السلطان المانح لها ، وأحياناً يتمتع بها أيضاً ورثة الشيخ ، من ذلك إعفاء نور الدين عمر بن رسول أيام إمارته للأيوبيين أرض صاحبى عواجه وهما الفقيه محمد بن حسين البجلى (ت ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م) ، والفقيه أبو عبد الله محمد الحكمى (ت ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م) من الضرائب المقررة وكانا من الملاك الكبار بمنطقة عواجة [١] ، ومن ذلك ما رواه الخزرجى عن الفقيه أبى الحسن على بن أحمد الأصبحى (٦٤٤ - ٧٠٣ هـ / ١٢٤٦ - ١٣٠٣ م) وكان يمتلك أرضاً زراعية ، فنال عنها مسامحة من السلطان المظفر واستمرت هذه المسامحة في عهد ولده الأشرف الأول ، وإمعاناً في تكريم هذا الفقيه لمنزلته العلمية الرفيعة قام بزيادة هذه المسامحة عما قرره المظفر له من قبل [٢] .

بل أن الخزرجى نفسه الذى كان معاصراً للسلطان الرسولى الأشرف الثانى نال منه مسامحة ضرائبية دائمة عن خراج أرضه ونخله مكافأة له لقيامه بتأدية فريضة

---

[١] المعلم وطيوط : الحسين بن إسماعيل البجلي (من علماء ق ٩ هـ / ق ١٥ م) : *تاريخ المعلم وطيوط* ، مخطوط مصور على ميكروفيلم رقم ١٦١ بدار الكتب المصرية ، ق ٣ ، وراجع ص ٢٦٩ من الكتاب . وكانت هذه المسامحات أمرًا مألوفا في اليمن منذ ما قبل العصر الأيوبى إذ يشير صاحب طبقات الخواص في ترجمته لأحد الفقهاء ويدعى أبو محمد سود بن الكميت (ت ٤٣٦ هـ / ١٠٤٤م) وهو من كبار الصوفية في ق ٥ هـ / ق١١ م أن أرضه كانت معفاة عن مساحة الديوان وغيرها ، واستمرت على ذلك وهى في أيدى ورثته ، وكانت مساحة هذه الأرض تبلغ عشرة آلاف معاد نذرها الشيخ للتصدق في سبيل الله وأوجه البر المختلفة . (راجع الشرجى : *طبقات الخواص أهل الصدق والاخلاص* ، ص ١٥٠ - ١٥١) .

[٢] الخزرجى : *العقود* ، جـ ١ / ٢٩٢ - ٢٩٤ . وقد تعددت هذه المسامحات زمن بنى رسول ومنها المسامحات التى أعطيت لفقهاء بيت الحضرمى وبيت أبى الخل ، ومنهم أيضا إبراهيم بن الفقيه أبو الحسن الشيبانى الذى سامحه المظفر الرسولى في أراضيه وأراضى أهله ونخيلهم (راجع الجندى : *السلوك* ، جـ ١ / ق ١٣١ ، الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ / ٤٠) .

الحج نيابة عن والدته (والدة الأشرف التى توفيت عام ٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م) ويعلق الخزرجى على ذلك بقوله " ولما رجعت من الحج والزيارة سامحنى في خراج أرضى وتخلى يومئذ مسامحة مستمرة مؤبدة مستقرة " [١] .

بينما آثر بعض الفقهاء عدم قبول هذه المسامحات الخراجية من السلاطين مثال ذلك قطب اليمن الفقيه أبو العباس أحمد بن موسى بن عجيل (ت ٦٩٠هـ/ ١٢٩١ م) وكانت الملوك تعظم قدره وتصله وتقبل شفاعته، هذا الفقيه رفض مسامحة المظفر بما يجب عليه من الخراج السلطانى قائلاً " أحب أن أكون من جملة الرعية الدفاعة " [٢] .

وكانت هناك مسامحات خراجية تصدر بها المراسيم السلطانية للرعية من أهل اليمن التى أصابت الآفات مزروعاتهم بالتلف ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر ما حدث في عهد الأشرف الأول بن المظفر حينما هاجمت أسراب الجراد الأراضى الزراعية فأتلفت الزرع والثمار ، وضجت الرعية بالشكوى، فأصدر أوامره بمسامحتهم عن خراج هذا العام، وتباطأ الوزير في تنفيذ المسامحة فلجأ الأهالى للباب السلطانى ثانية ، فأنب وزيره على المماطلة وحثه على سرعة التنفيذ لمرسومه قائلاً " اقتصر عنهم ولا تفرقهم علينا فإنه يصعب علينا جمعهم " [٣] .

كذلك تأثرت الإيرادات الخراجية بما كان يلجأ إليه بعض السلاطين من أعمال البر ومنها التخفيف عن الرعية في القيمة المطلوبة من الضرائب سواء في سائر جهات اليمن أو في بعضها ، من ذلك إقدام الملك العزيز طغتكين على تخفيف الضرائب المفروضة على الفلاحين وذلك لما يجدونه من مشقة عظيمة حتى يحصل الواحد منهم على إنتاجية أرضه ، بعد مراحل متعددة من الحرث والسقى والبذر والحصاد والتذرية ومن ثم وجب الترفق بهم [٤] .

كما أقدم المجاهد في أخريات عهده على إنقاص المطلوب من الخراج بجهات اليمن بمقدار الربع [٥] ونهج ابنه الأفضل نهجه فأعفى أصحاب الأراضى التى

---

[١] الخزرجى : العقود ، جـ ٢ / ١٤٩ - ١٥٠ ، الكفاية ، ق ٢٠٣ .
[٢] الخزرجى : العقود ، جـ ١ / ٢١٩ .
[٣] الخزرجى : العقود ، جـ ١ / ٢٤٩ .
[٤] ابن المجاور : المستبصر ، ص ٨٠ .
[٥] الخزرجى : المصدر السابق ، جـ ٢ / ٦٢ .

تدور عليها الحبال في الرى من خمس الخراج المطلوب سنوياً وذلـك في بعـض الجهات ، بينما أعفى جهات أخرى بما يقابل الربع وذلك " بصفة مؤبدة " ولكافة الملكيات سواء الكبيرة أو الصغيرة [١] . كذلك أقدم الأشرف الثانى الرسولى عـام ٧٨٣ هـ / ١٣٨١ م على إبطال بعض الضرائب التى استحدثت زمـن والـده الأفضل مثل الضرائب المفروضة على زراعة القطن [٢] وفي ذلك يقول الخزرجى " وفي هذه السنة أبطل السلطان عن الرعية مصالحة العطب وكانت بدعـة منكـرة أبدعها بعض النواب في أيام الملك الأفضل فأبطلها السلطان وهى من مستحسنات فعله " [٣] ويفهم من النص السابق أن مزارعى القطن كانوا لا يدفعون خراجاً عن المساحات التى زرعوها عطباً تشجيعاً لزراعته ، فجاء بعض النواب في زمن الأفضل واستحدثوا ضريبة على تلك المساحات مقابل السماح للفلاحين بزراعته ، وارتضى الطرفـان ذلـك فعرفـت بالمصـالحة واسـتمرت إلي أن أبطلـها الأشرف كما أوضحنا .

ومما يؤكد هذا التفسير بأن العطب كان معفياً من الضـرائب إلي أن قـام نواب الأفضل بتقريرها على المزارعين ، ما حدث عـام ٧٩٣ هـ / ١٣٩٠ م حينما أصدر الأشرف الثانى مرسوماً يقضى بالعفو ثانية عن مصـالحة العطـب في وادى زبيد وغيره من الجهات وأن يجروا على الرسوم المجاهدية أى على إعفائه كما كان الأمر زمن المجاهد ، ثم عَمَّم الأشرف ذلك على سائر جهات اليمن وفي ذلك يقول الخزرجى" وكانت هذه من فعلاته الحسان ... وانتشرت صـدقته في كافـة الجهات اليمنية " [٤] .

---

[١] الخزرجى : *المصدر السابق* ، جـ ٢ / ١٢١ ، ١٣٥ ، ولعل المقصود بالأراضى التى تدور عليها الحبال أى الأراضى التى يجلب الماء إليها بمشقة من عمق الآبار فيضطر الفلاحون إلي جلبها عن طريق انزال دلو ضخم وربطها بعدة حبال ورفعها(راجع ابن بطوطة *الرحلة* ،جـ ٢ ،ص ١٩٧.) .

[٢] وكان يطلق عليه في ذلك الوقت العطب (راجع : المظفر الرسولى : *يوسف بن عمر بن علي بن رسول* "ت ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م " : *المعتمد في الأدوية المفردة* ، تحقيق مصطفى السقا ، دار القلم بيروت ، ١٩٥١ ، ص ٣٩١) .

[٣] الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ / ١٤٧ ، *الكفاية* ، ق ٢٠٠ .

[٤] الخزرجى : *المصدر السابق* ، جـ ٢ / ١٩٢ .

ولم تقتصر الإعفاءات الأشرفية على ذلك بل امتدت إلي زراعات النخيل فصدرت مراسيمه بإعفاء أهل وادى زبيد من قُبالة نخل الأملاك السلطانية " وكانت بدعة أحدثها بعض النواب أيضاً " [١] .

واستمرت التخفيضات الضريبية زمن الأشرف الثانى ، فنجده في عام ٧٨٦ هـ / ١٣٨٤ م في محاولة منه للقضاء على المفسدين واللصوص الذين اعتادوا اغتصاب النخيل السلطانى في وادى زبيد ، وكانوا يسلكون في طريقهم إلي النخيل موضعاً مهجوراً يدعى قرية معقل يأمر بعمارتها ويصدر منشوراً بتخفيف القطيعة أى الشريحة الضرائبية على سكان المنطقة المجاورة للقرية ، تشجيعاً لهم على تعميرها والإقامة فيها وقيامهم بالتصدى لهؤلاء المفسدين ، وقطع الطريق عليهم إلي النخل [٢] .

٣- كذلك تأثر المتحصل من الخراج بنوع الذراع المستخدم في قياس الأرض الزراعية لمعرفة مساحتها وبالتالى تقدير قيمة الخراج المستحق عنها ، من ذلك ما روته المصادر عن قيام الأفضل الرسولى بتعميم القياس في سائر جهات المملكة اليمنية بالذراع الشرعى أو المظفرى بدلاً من الذراع الديوانى أو الأرضى ، فَعُد ذلك من كريم أفعالهُ وصدقة تامة وعامة لم يختص بها أحدٌ ، ويبدو من تسمية الناس له منذ ذلك الوقت بالذراع الأفضلى أنه كان أطول من الذراع الأرضى ، ونستدل على ذلك من قول الخزرجى " وبينه وبين ذراع الديوان ظاهر " [٣] ، كما يوضح ذلك أن وحدة القياس التى كانت مستخدمة في العصر موضوع الدراسة وهى الذراع لم تكن متساوية الطول على الدوام بل كانت تختلف من عصر لآخر وبالتالى كان ذلك يؤثر بالزيادة والنقص على مقدار الخراج المتحصل .

٤- وتأثرت قيمة الخراج أيضاً بنوع العملة المستخدمة في تسديد القيمة المطلوبة من المزراعين، ويتضح ذلك جلياً في عصر المجاهد الرسولى عندما أقدم عام ٧٣٦ هـ / ١٣٣٥ م على ضرب درهمه الجديد فأصدر مرسومه باستخدامه في تحصيل العشور والخراج من التجار وسائر الرعية، ويعبر الخزرجى عن ذلك بقوله

---

[١] الخزرجى : _العقود_ ، جـ ٢ / ١٤٧ ، _الكفاية_ ، ق ٢٠٠ .
[٢] الخزرجى : _المصدر السابق_ ، جـ ٢ / ١٥٢.
[٣] الخزرجى: _المصدر السابق_ ، جـ ٢ / ١٢١ ، ١٣٥ ، _الكفاية_ ، ق ١٩٦ .

"وبرز أمر السلطان أن لا يؤخذ من الرعية والتجار في جميع أموال الخراج إلا هذا الدرهم الجديد " [١] ويبدو أن قيمة هذا الدرهم كانت أعلى من الدراهم الرسولية السابقة مما أضر بالرعية ضرراً عظيماً وعجزت طائفة منهم عن التسديد بهذا الدرهم الجديد ، فتركوا الزراعة وهجروا قراهم [٢] .

وكان الخراج المطلوب من المزراعين يحصل نقداً وعيناً ، يدلنا على ذلك عدة شواهد منها ما ذكره ابن المجاور عن خراج النخل زمن الأيوبيين فذكر أنه كان يبلغ كل عام ٩٠ ألف دينار غير الذى يأخذه القائمون على أمر الخزانة وعمال السلطان وغيرهم حيث يصل المجموع في النهاية إلي ١٣٠ ألف دينار سنوياً. يقول ابن المجاور " ويحصل منه كل عام تسعين ألف دينار غير الذى يصل إلي الخزانة وعمال السلطان ونواب الديوان وغير النخيل السلطانية والأوقاف وغير الذى لأرباب الجاهات وأصحاب الدولة ، يصبح من جميع ما ذكرناه مائة وثلاثون ألف دينار [٣] " ، ويذكر الخزرجى ما يشير إلي أن بعض الخراج المتحصل كان يدفع عيناً وبعضه الآخر نقداً عند حديثه عن مآثر الأفضل الرسولى فيقول " وتصدق على أهالى ضاحى المصبر جميعاً بأن تكون قطيعتهم (الشريحة الضريبية المقررة عليهم) دينارية في كل معاد واحد ، إلا ما سقى بالوادى فإنه يكون في كل عشرة معاود منه . مُدّ ديوانى " [٤] .

وكان الخراج يقدر على حكم سعر المحصولات الزراعية في شهر ذى الحجة السابق[٥]وهو نهاية السنة الهلالية المستخدمة في تحصيل الخراج،ومن المعروف أن مواعيد الزروع والثمار منوطة بالشهور والسنين الشمسية ، بينما السنة القمرية

---

[١] الخزرجى : *المصدر السابق* ، جـ ٢ / ٦١ – ٦٢ ، *العسجد* ، ق ٢١٦ .

[٢] الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ / ٦٢ .

[٣] ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ٧٩ – ٨٠ ، ويلاحظ أن خراج النخيل في العصر الأيوبى ارتفع كثيراً عما كان عليه زمن بنى نجاح وبنى مهدى فلم يكن يتعدى ٩٠ ألف دينار ويدفع عيناً لا نقداً ، ويرجع ابن المجاور السبب في ذلك الارتفاع إلي زيادة الخراج المطلوب على أصحاب النخل ، واستعمال العنف والعسف في جمعه حتى أن مجموع المتحصل من خراج النخل بلغ في عام ٦٢٤ هـ مائة وعشرة آلاف دينار وذلك غير ما حمل إلي الخزانة ، وقد أدى استعمال الشدة والظلم في جباية خراج النخيل آنذاك إلي هروب طائفة من الرعية لعجزها عن دفع الخراج المطلوب ، فما كان من الدولة إلا أن صادرت هذا النخيل واستصفته لبيت المال (راجع : *ابن المجاور* ، ص ٨٠) .

[٤] الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ / ١٤٩ .

[٥] الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ / ٦٢ .

كما هو معروف تقل عن السنة الشمسية بحوالى ١١ يوماً وسدس ، فيكون الفرق سنة كل ٣٣ سنة [١] ومن هنا استلزم الأمر نقـل السـنة الخراجيـة إلي السـنة التي تليها [٢] .

وعُرف هذا النقل في اليمن باسم " زيادة ميعاد " وقد فسر لنا الخزرجـى ذلك بأنه كان يحدث في بعض الأوقات أن يقوم المزارعون بتسديد الخراج المقـرر عليهم في نهاية إحدى السنوات الهلالية ، ويسجل المدفوع في الديوان السعيد باسم السنة السابقة ، وذلك تلافيا للفروق بين السنوات الشمسية والقمريـة ، وإذا أراد السلطان التخفيف عن الرعية في حالة استيائهم من هذه الأسعار فإنه يأمر بتسجيل المدفوع بالسنة نفسها التي دفع فيها الخراج ، وبذلك يكون قد أضاف ميعـاداً إلي الميعاد الذى كان مفروض إثباته في الديوان وهو السنة السابقة، وأول مـن اسـتن هذه النواصف هو المجاهد الرسولى في أخريات عهده حيث أمر بزيـادة ميعـاد في جميع الجهات في التهائم كلها على اختلاف قطائعها [٣] ، ثم قام الأشرف الثـانى بإجراء مماثل في سنة ٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م ، حينما أمر بزيادة ميعاد في القطيعـة لسبع جهات من وادى زبيد وهى " المأوى والبقر والريان ونابط ومبرج والـنقض والبدانى " واستمرار هذه الصدقة على الدوام [٤]، ثم عاد في عـام ٧٩٣ هـ / ١٣٩٠ م وأمر بالتصدق على كافة الرعية " بزيادة ميعاد في كل قطيعة فى كافـة جهات المملكة اليمنية " [٥] ، وجدير بالذكر أن هذه الزيادة أبطلت في عهد بعض خلفاء الأشرف الثانى ، إلي أن كان عهد الناصر الرسولى الذى أعادهـا لسـابق عهدها كما كانت في الدولة الأشرفية [٦] .

وكان تقدير قيمة الخراج المطلوبة في نهاية السنة الخراجية يتم وفقاً لأسعار السنة السابقة في شهر ذى الحجة منها ، ويرجع السبب في ذلك إلي أن محاصـيل

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ١٣ / ص ٥٤ ـ ٥٥ .
(٢) القلقشندى : المصدر السابق ، جـ ١٣ / ص ٥٥ ، ٦١ ، ٦٢ .
(٣) الخزرجى : العقود ، جـ ٢ / ٦٢ ـ ٦٣ .
(٤) الخزرجى : العقود ، جـ ٢ / ١٤٩ ، وفي عام ٧٨٨ هـ / ١٢٨٩م أمر بنفس الشئ لأهل وادى سهام بزبيد ، (راجع : العسجد ، ورقة ٢٥٧) .
(٥) الخزرجى : العقود ، جـ ٢ / ١٩٢ .
(٦) الخزرجى : العسجد ، ق ٢٣٦ ، الكفاية ، ق ١٨٥ .

السنة الخراجية لم تكن قد نضجت بعد ، وكان ذلك يؤدى إلي الظلم والإجحاف بالمزارعين لأن المحاصيل تكون عادة فيما بين الموسمين شحيحة وبالتالى يرتفع سعرها فيقدر الخراج على هذا السعر المرتفع فتظلم الرعية ، بينما تنخفض الأسعار بعد نضج المحاصيل ونزولها الأسواق ، وقد أثار تقدير الخراج في عهد المجاهد على أساس السنة السابقة شكوى المزارعين وعجزهم عن أداء الخراج، فهربت طائفة منهم تاركين أرضهم دون زراعة فخرب الوادى وافترقت الرعية ، ووصلوا بمظالمهم للباب المجاهدى الذى بادر إشفاقاً بالرعية إلي عقد مجلس حضره كبار رجال الدولة وعلى رأسهم الوزير ، وأمر السلطان بإحضار أربعة من أعيان المزارعين لعرض مظلمتهم على المجلس ، فأوضحوا للمجلس تذمرهم من تقدير خراج السنة الحالية على أسعار ذى الحجة السابق وهو " وقت ارتفاع الأسعار وعدم الطعام " وطلبوا أن يحاسبهم الديوان السعيد بالخراج طبقاً للأسعار بعد الحصاد وتواجد المحاصيل في الأسواق ورخصها [1] .

فأدرك المجاهد مدى الظلم الذى تعرض له الفلاحون فبادر بإصدار منشور بإجراء النواصف لجميع الرعية بالتهائم " بأن يؤخذ منهم الخراج المتوجب عليهم في أرضهم في كل نصف شهر أغبط السعر للديوان " [2] بمعنى أن يكون هناك سعرين في كل شهر أحدهما لمستهله (من أول يوم إلي يوم ١٥ منه) وسعر لسلخه (من يوم ١٦ إلي آخر الشهر) وتحسب قيمة الخراج المطلوب للديوان على أساس أقل السعرين مراعاة لصالح المزارعين [3] .

ومع ذلك فإن هذا الحل لم يقض على أسباب الشكوى نهائياً لأن الأسعار غالباً لا تتفاوت كثيراً بين أول الشهر وآخره ، وكان الحل السليم لهذه المشكلة ما أشار به أعيان الفلاحين الحاضرين لمجلس السلطان وهو تحصيل الخراج عيناً من نفس المحاصيل المزروعة أو تقدير الثمن نقداً وفقاً لأسعار المحاصيل وقت توافرها

---

[1] الخزرجي :*العقود* ، جـ ٢ / ٦٢ ، *العسجد* ، ق ٢١٦ .
[2] الخزرجي : *العسجد* ، ق ٢١٦ .
[3] الخزرجي : *العقود* ، جـ ٢ / ٦٣ ، *العسجد* ، ق ٢١٧ .

بالأسواق وفي ذلك يقول الخزرجي " والذى يتوجب علينا للديوان السعيد إنما هو طعام من عين ما زرعناه أو ثمنه في وقت الطلب " [١] .

ويبدو أن المجاهد لم يقتنع بما حققه من إنصاف للرعية في هـذه السـنة ، ولذلك نجده يأمر في آخريات عهده بتخفيض قيمة الخراج المطلوب في سائر اليمن بمقدار الربع ثم يختتم عهده بإعفائهم من خراج سنة كاملة وهى المعروفة " بزيـادة ميعاد في القطيعة " [٢] .

ونختتم دراستنا عن الخراج بلمحة موجزة عن معاملة الولاة وعمال الخراج للفلاحين ويمكن القول انها كانت معاملة تتفاوت بـين الشـدة حينـاً والعـدل والإنصاف حيناً آخر ، فقد تشدد جباة الخراج مع أصحاب النخيل في زبيد بتوجيه من الملك العزيز طغتكين الأيوبى الذى اشتد في معاملة ملاك النخيل، بينما عمد إلي تخفيف الضرائب عن سائر المزارعين ، ونهج عمال الخراج نهجه فبالغوا في استعمال العسف والجور مع أصحاب النخيل، ومن الأمثلة الدالة على ذلك أن والى زبيـد الأمير يانس الكاملى تعسف مع أصحاب النخيل بأن رفع مقدار الخراج المحصل عام ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ م إلي مائة وعشرة آلاف دينار غير ما حمل إلي الخزانـة ممـا أعجز الكثيرين عن دفع ما عليهم فهربوا عن نخيلهم ، فلـم تتـردد السـلطات الحكومية في استصفائه لصالح الدولة وضمه لبيت المال تحت اسم الصوافى [٣] .

وواصل الجباة تعسفهم مع ملاك النخيل لفترة طويلة من عهد الرسـوليين وبالغوا في ذلك حتى سقطت منـزلتهم في المجتمع " من الجور الشديد وغفـلات الملوك عليهم فبلغ بهم الأمر أن من كان له نخل لا يزوجه أحد وأى أمرأة كان لهـا نخل لا يتزوجها أحد إلا مغرور " . وكان يقال للرجل الذى لا يمتلك نخلاً إذا عقد على امرأة لا تمتلك بدورها نخلاً عند عقد القران " ومن سعادتهما أنه لا نخل لأحد منهما " [٤] .

---

[١] الخزرجي : _العقود_ ، جـ ٢ / ٦٢ .
[٢] الخزرجي : _العقود_ ، جـ ٢ / ٦٣ .
[٣] ابن المجاور : _المستبصر_ ، ص ٨٠ ويدلل ابن المجاور على تلك الشدة بقول أهل زبيد :
ما شاء النخل ولا شاء زبيد　　يعلق بالمليمة ويضرب بالجريد
[٤] الخزرجي : _العقود_ ، جـ ١ / ٢٤٩ ـ ٢٥٠ .

وبلغت هذه المظالم مسامع الأشرف الأول فعمد إلي إزالة أسبابها، وذلك بندب مجموعة من الفقهاء العدول للقيام بِعَدْ النخل ضماناً لاتباع العـــدل وعـــدم الزيادة والعسف مع أصحابه[١]،ويبدو أن بعض خلفاء الأشرف الأول قد حـــادوا عن هذه السُنَّة،فعاد الضرر ثانية على ملاك النخيل فأقدموا على قطعه،فانقرض منه الشئ الكثير،وشاع ذلك وبلغ خبره إلي الأشرف الثاني الرسولي[٢]فـــأمر في ســـنة ٧٧٩ هـــ/١٣٧٧م بندب مجموعة من القضاة العدول لِعَدْ النخل بالإنصـــاف[٣]، وعُرفت عملية عَدْ النخل وتقدير الخراج المطلوب عليه وجمعه باسم"رسم النخل "[٤] وكان يقوم بإجرائها عدد من الكتاب تحت إشراف الفقهاء العدول ومشـــد وادى زبيد[٥]،واستمر عَدْ النخيل منذ ذلك الوقت بواسطة الفقهاء والقضاة العدول سواء في زبيد أو في غيرها من الجهات اليمنية المعروفة بزراعة النخيل،ومن أمثلـــة ذلـــك صدور الأمر السلطاني إلي القاضى سراج الدين عبد اللطيـــف بـــن ســـالم عـــام ٧٩٤هـــ/ ١٣٩١ م بعَدْ نخيل زبيد،وندب القاضى شرف الدين حسين الفـــارقى لِعَدْ باقى نخيل الجهات اليمنية ضماناً لتوخى العدل والدقة مع ملاك النخيل [٦] .

د- عشـور التّجارة:[٧]

هى ضريبة قديمة كانت تحصلها الدولة على البضائع التى تصل إلي المـــوانئ اليمنية أو التى تصدر منها إلي الخارج ، وتشكل مورداً هاماً من موارد البلاد المالية

---

[١] الخزرجى : *العقود* ، جـ ١ / ٢٥٠ .
[٢] لعل ذلك وضح من تناقص قيمة الخراج المحصل من النخيل .
[٣] الخزرجى : *المصدر السابق* ، جـ ٢ / ١٤٢ .
[٤] الخزرجى : *المصدر السابق* ، جـ ٢ / ١١٥ ، ١٤٢ .
[٥] الخزرجى : *المصدر السابق* ، جـ ٢ / ١١٥ .
[٦] الخزرجى : *المصدر السابق* ، جـ ٢ / ١٩٣ .
[٧] هى ضريبة تقدر بعشرة في المائة تفرض على غير المسلمين من التجار القادمين بتجاراتهم إلي الديار الإسلامية ، كما أخذت بمقدار نصف العشر من تجار أهل الذمة وكانت تحصل بمقدار ربع العشر من تجار المسلمين مع إعفاء كل من تقل بضاعته عن ٢٠٠ درهم من دفعها ، وأول من فرضها في الإسلام الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذ كتب إليه أبو موسى الأشعرى قائلا " أن تجاراً من قبلنا من المسلمين يأتون أرض الحرب فيأخذون منهم العشر " ، فكتب إليه عمر " خذ انت منهم كما يأخذون من تجار المسلمين ، وخذ من أهل الذمة نصف العشر ومن المسلمين من كل اربعين درهما درهما وليس في ما دون المائتين شئ ، فإذا كانت مائتين ففيها خمسة دراهم ، وما زاد فبحسابه " وبالتالى يتضح أن العشور نظام مالى إسلامى صار مطبقاً في شتى الأقطار الإسلامية ومن بينها اليمن منذ عهد عمر بن الخطاب(راجع.أبو يوسف ،*كتاب الخراج* ، ص ٢٩٢ – ٢٩٣) .

في الفترة موضوع البحث . ثم أضاف خلف اليهودى النهاوندى أحد الكتاب اليهود العاملين في دولة بنى زريع عليها مجموعة أخرى من الضرائب [١]، واستمرت هذه الضرائب سارية في عصر الأيوبيين والرسوليين الذين أضافوا عليها بدورهم إضافات جديدة مثل ضريبة الحديد زمن سيف الإسلام طغتكين ، وضريبة الخيل زمن الناصر أيوب طغتكين ، كما زادت الضريبة المقررة على الفوة المصدرة من عدن من ٣ إلي ١٢ ديناراً زمن المعز إسماعيل بن طغتكين [٢] .

وقد اهتم الأيوبيون ومن بعدهم الرسوليون بعشور التجارة ويتمثل ذلك في قيام الأمير عثمان الزنجبيلى نائب عدن من قِبَل توران شاه ببناء الفرضة في الميناء ونعنى بها صالة الجمارك وجعل لها بابين باب يطل على الساحل تدخل منه البضائع حال وصولها لتقدير العشور عليها ، وباب يفتح إلي المدينة تخرج منه البضائع بعد تقدير الرسوم الجمركية عليها [٣] ، ويتم كما أوضحنا في داخل هذه الفرضة تقدير العشور على البضائع الواصلة ، ولذا عرفت هذه العشور بمال الفرضة [٤] دليلاً على أن تحصيلها يتم بداخلها ، وكانت العشور تقدر بنسبة معينة من الثمن المقدر لكل سلعة ، وتختلف هذه النسبة من سلعة إلي أخرى [٥] كما وجدت بعض السلع الواردة التى كانت تعفى نهائياً من العشور لاحتياج السوق اليمنية إليها ، ويأتى في مقدمتها السلع الغذائية [٦] وكانت العشور المحصلة من قبل الدولة سواء في عصر بنى أيوب أو بنى رسول بالغة الكثرة [٧] ونستدل على ذلك من نص لابن المجاور ذكر فيه ان العشور المحصلة على السلع التى تحملها إحدى السفن القادمة إلي عدن عام ٦٢٥ هـ / ١٢٢٧ م بلغت ثمانين ألف دينار [٨] ، كذلك بلغ ما دفعه أحد التجار الواصلين ببضائعهم إلي عدن زمن بنى رسول في عام ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م

---

[١] ابن المجاور : المستبصر ، ص ١٤٠ .
[٢] ابن المجاور : المصدر السابق ، ص ١٤٠ – ١٤١ .
[٣] بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، حـ ١ / ١٤ .
[٤] ابن المجاور : المستبصر ، ص ١٤٣ .
[٥] راجع قائمة العشور المقدرة على مختلف السلع الواردة إلي ميناء عدن والصادرة منه في الفصل الخاص بالحياة الاقتصادية .
[٦] راجع : بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، جـ ١ / ٦٢ / ٦٣ .
[٧] راجع عن مالية عدن الفصل الخاص بالحياة الاقتصادية .
[٨] ابن المجاور : المصدر السابق ، ص ١٤٤ .

ويدعي عبد العزيز بن منصور الحلبي حوالى ثلاثمائة ألف درهم [١]، ومما يدل على ضخامة العشور المحصلة بعدن من ناحية أخرى ما ذكرته المصادر من أنه لم يكن يخلو أسبوع بها " من عدة تجار وسفن وواردين وبضائع شتى ومتاجر منوعة "[٢]، وكان عدد السفن التي ترسو كل عام في ميناء عدن يترواح ما بين سبعين إلي ثمانين مركباً بين الزيادة والنقصان [٣] مما يدل على عظم الحركة التجارية وبالتالى ارتفاع قيمة الضرائب المحصلة على البضائع الواردة .

ومن المعروف أن حصيلة العشور بدأت في الانخفاض في عهد الظاهر يحيى الرسولى (٨٣١ – ٨٤٢ هـ / ١٤٢٧ – ١٤٣٨ م) لعديد من الأسباب منها عدم إحكام رقابة الدولة على السواحل اليمنية ، فيذكر بامخرمة أن أهالى منطقة العارة على الساحل الغربي لليمن اعتادوا على تحصيل بعض الرسوم من السفن المارة عليهم مقابل مساعدة التجار في إنزال بضائعهم بعيداً عن الفرضة في هذا الموضع " العارة " [٤] ، كذلك زاد إقبال التجار بدءاً من عهد هذا السلطان على الاتجاه بعيداً عن فرضة عدن والرسو في فرضة جدة ، وقد حاول الظاهر إجبارهم على الرسو في عدن ، ولكنه فشل في ذلك نظراً لما كان يفرض عليهم من مكوس باهظة بعدن بالإضافة إلي تهديد الأشرف برسباى له [٥] .

ب- الموارد غير الشرعية :

وهى الضرائب والمكوس المختلفة التي استحدثتها النظم الحاكمة إلي جانب العشور وغيرها من الموارد المالية الشرعية للوفاء بمتطلباتها من الأموال ، وقد ستحدث النظام الأيوبي باليمن عدة ضرائب ومكوس جديدة منها عشور الشوانى وهى ضريبة فرضت زمن المسعود الأيوبي عام ٦١٣ هـ / ١٢١٦ م مقابل قيام الشوانى بحماية التجارة في المحيط الهندى من خطر القراصنة، وكانت تقدر

---

[١] الأفضل الرسولى (عباس بن على بن داود بن يوسف) ت ٧٧٨ هـ / ١٣٧٧ م : *نزهة العيون في تاريخ طوائف القرون* ، مخطوط مصور على ميكروفيلم رقم ١٧٩٧١ بدار الكتب المصرية ، ق ٢٠٠ ؛ الخزرجى : *العقود* ، جـ ١ / ٢٩٠ .

[٢] العمرى : *مسالك الأبصار* ، ص ١٥٧ .

[٣] ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٤٤ .

[٤] بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، جـ ٢ / ٩٢ ولعلها هى الفازة فرضة زبيد على البحر .

[٥] بامخرمة : *قلادة النحر* ، جـ ٣ / ١١٠٥ .

بـــ ١٠% من قيمة العشور المحصلة [١] ، وعلى الرغم من أن هذه الحماية البحرية للتجارة قد توقفت منذ عام ٦٢٥ هـــ / ١٢٢٧ م [٢] ، إلا أن ضـــريبة الشـــوانى استمر تحصيلها بعدن في عصر بنى رسول يدلنا على ذلك قول ابن المجاور " ..فبطل الشوانى وصار عشوره يؤخذ إلي يوم القيامة مع الشوانى " [٣] .

ومن الضرائب التى استحدثت زمن الأيوبيين وقبل عصر بنى رسول بعـــام واحد ضريبتا دار الوكالة ودار الزكاة . وكانت ضريبة دار الوكالة تقـــدر بواقـــع قيراط عن دينار [٤] ، ويبدو من أسم دار الوكالة أنها كانت تقوم بمهمـــة تخـــزين البضائع الواردة بمخازنها إلي أن يتم بيعها بمعرفة وكلاء التجار المقيمين بمدينة عدن والذين يتخذون من هذه الوكالة مقراً لعقد صفقاتهم التجارية وتخـــزين بضـــائعهم لحين بيعها، أما ضريبة دار الزكاة فكانت تحصل على كل البضائع الـــواردة لمينـــاء عدن ومعفاة من العشور [٥] .

كذلك فرضت رسوم الدلالة في نفس العام ٦٢٥ هـــ / ١٢٢٧م ، وهى التى تدفع نظير قيام الدلال بالتوفيق بين البائع والمشترى ، والمناداة علـــى الســـلعة بالأسواق ويقدر رسم الدلالة بفلس عن كل دينار إن كان الدلال ينـــادى علـــى السلعة أمام حانوت التاجر ، وفي بيع الجملة يؤخذ رسم دلالة على كل مائة دينار ديناراً واحداً أى بواقع ١ % [٦] .

ولم تقتصر الضرائب المحصَّلة على الواردات للبلاد فحسب ، بل كانـــت الصادرات أيضاً يُحَصَّل عليها ضرائب ومكوس ، فالخيل على سبيل المثال يؤخـــذ على كل رأس عند وروده خمسين ديناراً ، بينما يؤخذ عليه عند تصديره ســـبعين دينارا ، كذلك كان يؤخذ مكساً على رأس الرقيق الخارج من اليمن نصف دينار

---

[١] راجع بالتفصيل ، ص٣٧١ - ٣٧٣ من الكتاب .
[٢] ابن المجاور : _المستبصر_ ، ص ١٤٢ .
[٣] ابن المجاور : _المصدر السابق_ ، ص ١٤٢ ؛ بامخرمة : _تاريخ ثغر عدن_ ، جـ ١ / ٦٢ .
[٤] ابن المجاور : _المستبصر_ ، ص ١٤٣ ؛ بامخرمة : _تاريخ ثغر عدن_ ، جـ ١ / ٦٤ ، بينما أورد ابن المجاور نصاً آخر في سياق حديثه عن الناخوذة عمر الأمدى الذى خرج مديوناً من فرضة عدن يفيد بأن ضريبة دار الوكالة تحصل بواقع ما يقرب من ثلث البضائع الواصلة ولعل ذلك من قبيل المبالغة وللدلالة على شدة العاملين بالفرضة وقسوتهم في تحصيل الضريبة . _راجع المستبصر_ ، ص ١٤٤ .
[٥] ابن المجاور : _المصدر السابق_ ، ص ١٤٣ .
[٦] ابن المجاور : _المصدر السابق_:ص ١٤٣،١٤٦؛ بامخرمة : _تاريخ ثغر عدن_ ، جـ ١ / ٦٤ ، ٦٧ .

وكذلك على صادرات اليمن من الثياب فتنوعت المكوس المحصلة عليهـــا عنـــد تصديرها من الفرضة [١] .

و لم يكن ميناء عدن هو المدخل الوحيد على البحر ، بل كان هناك ميـــاء آخر على ساحل اليمن الغربي يدعى " العارة أو الفازة " ويُعد بمثابة فرضة مدينـــة زبيد وكانت ترد إليه بعض البضائع من عدن وتصدر منه أيضاً مجموعة من الســـلع إلي عدن ، كما كان مرفأً للتجار القادمين من زيلع وغيرها من مـــدن الحبشـــة ، ويقدر ابن المجاور حصيلة المكوس المحصلة منه قبل عام ٦٢٠ هـــ / ١٢٢٣ م بألف ومائتي دينار كل عام ، ثم ألغيت هذه الرسوم في عام ٦٢٠ هــــ / ١٢٢٣ م، إلي أن أعيدت ثانية عام ٦٢٤ هـــ / ١٢٢٦ م مع زيادتها إلي ألف وسبعمائة دينـــار ، وكانت تحصلها الدولة عن طريق الضمان أو الضامن أى يتولى شخص دفع هـــذا المبلغ للدولة مقدماً ثم يتولى جمعه من التجار بوسائله الخاصة ، ويمـــدنا صـــاحب المستبصر باسم أول من سعى في ضمان قرية الفازة وهو عبـــد الله بـــن أبي بكـــر الأحْوري [٢] .

ويمكن القول بأن قيمة المتحصلات من العشور والمكوس كانت تتوقـــف على مدى ازدهار الحركة التجارية بالبلاد بصفة عامة وفي ميناء عدن بصفة خاصة، كما كانت تتأثر بأمانة وعدالة الولاة وموظفى الفرضة المسئولين عـــن جبايتـــها ، لتحكمهم في تقدير ثمن البضائع التى تقدر على أساسها الرسوم المستحقة ، فأحياناً يحيقون الظلم بالتاجر في ثمن ما يحمله من بضائع وبالتـــالى إجحافـــه في الرســـوم المفروضة عليه ، حتى أن التاجر يخرج من الفرضة أحياناً و لم تكف بضائعه قيمـــة الضرائب المستحقة عليه [٣] .

ويضاف إلي ذلك ما سيلى الحديث عنه بالجزء الخـــاص بالتجـــارة مـــن الكتاب، وهو ما يتعلق بمعاملة السلاطين للتجار ومدى اهتمامهم بالتجارة وهـــى سياسة اختلفت من سلطان لآخر ، فالمؤيد الرسولى على سبيل المثال اهتم بازدهار تجارة عدن وفي سبيل ذلك نجده يأمر عام ٦٩٨ هـــ / ١٢٩٨ م عند زيارته لعدن

---

(١) راجع ، ص ٣٦٩ وما بعدها من الكتاب .
(٢) ابن المجاور : المستبصر ، ص ٩٩ – ١٠٠ .
(٣) راجع مثال لذلك في ، ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٤٤ .

بإفاضة الخلع على التجار المقيمين بالثغر وإكرام نواخذة الهند وغيرهم من التجـار المترددين على الفرضة ، وأبطل بعض المكوس بها ومنها ضمان بيت الحل بعدن [١].

كما أبطل الأشرف الثاني عند زيارته لعدن عام ٧٨١ هـ / ١٣٧٩ م الكثير من المكوس المحدثة [٢] وأدت سياسة بني رسول بعد الأشرف الثاني إلي تناقص المتحصل من خزانة عدن مما ترتب عليه في النهاية انهيار اقتصاديات الدولة ، ومن أمثلة ذلك أن الناصر أحمد الرسولي اصطنع سياسة الجور والعسف مع تجار الكارم الواردين لعدن فتسبب بذلك في تحولهم إلي ميناء جدة ، لترتفع مكانة جدة التجارية على حساب فرضة عدن [٣].

وشملت المكوس أيضاً البضائع الموجودة في الأسواق ، وكـذا التجـارات الداخلة إلي المدن اليمنية أو الخارجة منها لغيرها ، فكان يؤخذ في الخوهة الواقعـة بين زبيد وعدن على كل حِمل جمل من التمر مقدار سدس الحمل، ومن صـيادى السمك بها ضمان سبعون ديناراً كل شهر ، كما يُحَصَّل في مَوْزَع مكس على كل حِمل جمل يقدر بحوالى الثمن من الحمل [٤] ، وهكذا تطرقت المكوس على شـكل الضمان إلي كل أسواق اليمن في عدن وزبيد وغيرها ، حتى صار كل شئ " فيـه ضمان ما خلا الماء والسمك " [٥] وصارت هى الطريقة المتبعة في تحصـيل هـذه المكوس في الفترة موضوع الدراسة .

---

[١] الخزرجي : *العقود* ، جـ ١ / ٢٦٨ . ووردت الكلمة " الخل " في متن كتاب الخزرجي . وأيضاً وردت " الخل " عند بامخرمة ، في ترجمته للمؤيد الرسولى (*راجع تاريخ ثغر عدن* ، جـ ٢ / ٧٦). بينما وردت في حواشي المحقق اوسكار لوفجرين ص ٢٩ ، ٦٤ " بالحل " و " بيت الحل " بدون نقطة على الحاء . ولعل ذلك التصحيح هو الصواب والمتفق مع سياق النص القائل " وامر باكرام النواخيذ والتجار المترددة إلي الثغر المحروس وامر بابطال ضمان بيت " الحل " أى البيت المخصص لإقامة التجار الغرباء الوافدين على الثغر فكان هذا البيت بمثابة فندق أو دار ضيافة من تلك الدور التى شاعت اقامتها في أنحاء اليمن في عصر بنى رسول لايواء الغرباء وضيوف البلاد . وبذلك يكون المقصود أن بيت الاقامة هذا أو الفندق كان ينزل به التجار نظير اجر يدفعونه لأحد الأشخاص والذى التزم بضمانه لدى الدولة ، فألغاه المؤيد كنوع من أنواع التشجيع التجارى .

[٢] الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ / ١٤٥ ، *العسجد* ، ق ٢٥٢ ؛ بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، جـ ٢ / ٢١ ؛ وراجع ص ٣٨١ من الكتاب عن مظاهر تشجيعه للتجارة .

[٣] راجع ما يلى ص ٣٨٥ من الكتاب .

[٤] ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ٩٢ ـ ٩٣ .

[٥] بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، جـ ١ / ٦٩ .

وشملت المكوس (الضمان) في نيابة الأمير نور الدين عمر بن رسـول لعدن سنة ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ م العديد من المؤسسات الاقتصادية ، مثل القبان بعدن حيث جمع منهم على هيئة الضمان مبلغ ١٢٠ ألف دينار سنوياً ، ومكس السليط الواصل للسوق على كل بَهَار خمسة دنانير ، كما ضُمِنَّ سوق الخضر والجوارى والرطب واللحم وجميع الدواب بأحد عشر ألف دينار سنوياً [١] .

كذلك شمل الضمان موضع الملح المعروف بالمملاح بعدن [٢] ، وفي زبيد بلغ المكس أو الضمان المُحَصَّل سنوياً على سنابيق [٣] الصيادين ، والباعة الجائلين وما يباع في الأسواق من الخضر والبقول والغلال وكل ما يدخل من باب زبيد ٩٠ ألف دينار ملكى ، وتطرق الضمان إلي مؤسسات زبيد الاقتصادية أسوة بعدن فكان يحصل من المدبغة ١٣ ألف دينار سنوياً [٤] وضمان النخل مائة ألف ، كما بلغ ضمان سوق السمك بزبيد كل يوم ثلاثة عشر ديناراً ملكية [٥] ، أى أن مجموع المتحصل منه سنوياً يصل إلي ما يقرب من ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسين ديناراً ، وتطرق الضمان أيضاً لدار الضرب ، وبلغ المتحصل منها حوالى ١٣ ألف دينار هى حصيلة الرسوم التى يدفعها المتقدم للدار بما معه من ذهب وفضة بغرض سكها دراهم ودنانير وفقاً لعملة الدولة الرسمية ، كما شملت المكوس مخازن الخمور ومعاصرها وبلغت في إحدى السنوات ١٢ ألف دينار [٦] .

وامتد الضمان كذلك إلي الحصون وأهلها مقابل النفقة على حمايتها، فيذكر صاحب السمط عند حديثه عن حصون مبين وحجة أنها كانت تحمل إليهم النفقة من تهامة مدة على عهد المظفر ، ثم تبدل الحال سنة ٦٦١ هـ / ١٢٦٢ م ، ووردت الأوامر بوضعها تحت الضمان حيث يقول ابن حاتم " وخالف أهل مبين — وقد كان من جملة الحصون السلطانية — عليه قطعة كما كان على سائر الحصون الحجية ، وذلك أنها لما صارت إلي ملك مولانا السلطان أقامت النفقة

---

[١] ابن المجاور : _المستبصر_ ، ص ١٤٨ ؛ بامخرمة : _تاريخ ثغر عدن_ ، جـ ١ / ٦٩ .
[٢] بامخرمة : _المصدر السابق_ ، جـ ١ / ٦٩ .
[٣] السنابيق : _الزوارق الصغيرة_ .
[٤] ابن المجاور : _المستبصر_ ، ص ٨٩ - ٩٠ .
[٥] ابن المجاور : _المصدر السابق_ ، ص ٢٤٣ .
[٦] ابن المجاور : _المصدر السابق_ ، ص ٩٠ .

تحمل إليها من تهامة مدة ، ثم وردت الأوامر بعد ذلك على الأمير بدر الدين محمد بن طير – وهو آنذاك مشد الديوان في المهجم – بأن يطلع الحصون ويقرر عليها قطعاً فطلع في سنة إحدى وستين وجمع مشايخ البلاد وتحدث معهم بما ورد به الأمر السلطاني فأجابوا بالسمع والطاعة " فبلغ حاصل البلاد من ذلك الوقت ٣٠ ألف دينار تقبلها الشيخ على بن عمرو الغشمرى من موضع يسمى سوق السبت يحمل الحصون وتسليم قطعة للديوان "[١] .

كذلك يدخل ضمن الموارد المالية غير الشرعية والتي تعد بمثابة موارد مالية مؤقتة وغير ثابتة المصادرات والمصالحات .

- المصـــادرات:

ونعني بها انتزاع أموال بعض الأفراد بـالقوة أو استصـفائها[٢] ، وقـد تعددت أنواع المصادرات للأموال الثابتة أو المنقولة ، كأحد أنواع العقوبات الـتي يفرضها الحكام على أتباعهم بعيداً عن أحكام القضاء الشرعى ، كما تُعـد مـن ناحية أخرى نوعاً من المحاسبة المالية أو الإدارية يأمر بها الحاكم للأشخاص العاملين بأجهزة الدولة الذين اتهموا بالاستيلاء على الأموال العامة أو أموال الرعية بطـرق غير مشروعة ، وكثير من هؤلاء المصادرين كانت تخترمهم المنية أثنـاء المصـادرة بسبب ما كانوا يلاقونه من تعذيب وتنكيل شديدين[٣] ، ومن أمثلة المصـادرات التي حدثت في عهد الدولة الأيوبية في اليمن ، ما قام به الملك العزيز طغتكين مـن مصادرة أموال الكثيرين في اليمن، وفي مقدمتهم حطان ابن منقذ نائب الأيوبيين في زبيد الذى أدرك أنه لا مقام له باليمن بعد وصول سيف الإسلام طغتكين وتوليـه مقاليد الأمور في اليمن ، فاستأذن في الرحيل للشام ، فأمنه سيف الإسلام وأذن له في ذلك ، فبدأ يتجهز لمغادرة البلاد ، فجمع كل ماله وذخائره التي تَحصَّل عليهـا

---

[١] ابن حاتم : *السمط* ، ص ٣٦٨ – ٣٦٩ .

[٢] يدخل في هذه المصادرات أيضا صوافى النخيل وهو النخل الذى هرب أصحابه عنه لعجزهم عن تدبير الخراج المطلوب نظرا للمبالغة الشديدة من قبل العمال في تقديره ، فتقوم الدولة بمصادرته لبيت المال مقابل الخراج المستحق على صاحبه ، وعرف باسم الصوافى لكونه يصفى لبيت المال (راجع : ابن المجاور ، *المستبصر* ، ص ٨٠ ؛ الخزرجى ، *العسجد* ، ق ١٠٠) .

[٣] مثال ذلك أن الأمير شهاب الدين أحمد سمير والى زبيد في عهد الأفضل الرسولى الذى صودر عقابا له على ظلمه للرعية في بلاده ومصادرتهم (راجع : الخزرجى : *الكفاية* ، ق ١٨٩) .

من اليمن بغير حساب، وأخرج كل ذلك إلي منطقة الجنابذ الواقعة خارج بـاب زبيد ثم دخل لتوديع سيف الإسلام طغتكين ، فأمر بالقبض عليه وقتله ، ومصادرة أمواله كلها وقدرت أمواله بمليون دينار وذكر أبو شامة أنها كانت تضم " ما يعيى بحصر تفاصيل حمله أنمل الحاسب " وكان من بين هذه الذخائر " نيفـا وسـبعين غلافاً من غلف الزرد كانت مملوءة بالذهب الأحمر " [١] .

ومن صادرهم طغتكين أيضاً الأمير عثمان الزنجبيلى نائـب عـدن،حينما حاول الهروب بذخائره بحراً إلي الشام عام ٥٧٩هـ/١١٨٤م،فأمر طغتكين بإعداد السفن وقطع الطريق عليه،فتمكنت قوات طغتكين من القبض على جميـع سـفن الزنجبيلى بكل شحناتها من ذخائره فيما عدا السفينة التى استقلها وفيهـا (الخـفُّ النفيس)مِن ممتلكاته[٢]كذلك صادر طغتكين أموال وأملاك الشيخ على بن أحمـد المعلم ملتزم مخلاف جعفر عندما عجز عن أداء ما التزم به وهو خمسين ألف دينار، وشملت المصادرة الأموال والأملاك والدور التى كانت جملة مبعثرة في العديد مـن مواضع اليمن[٣].وتتابعت المصادرات واستصفاء الأموال في عهد الدولة الأيوبيـة لأعيان الدولة وكبار الأمراء،الأمر الذى عاد على الدولة بالأموال العظيمة فقد قام المعز اسماعيل بن طغتكين بمصادرة القاضى الأسعد صاحب حرض وأمـر بقتلـه "واستباح أمواله وجمع ما في داره من العبيد والخدام والجوارى"[٤]،كـذلك فعـل الناصر أيوب بن طغتكين مع الأمير بَكْتُمر السيفى حينما صادر ما وجده من ماله وذخائره وكان من جملتها"مائة وسبعين درعاً وأربعمائة قوس، خارجاً عن الدواب التى تزيد على مائة إلي ما سوى ذلك من ثياب وآلات وأثـاث ، [٥] . كـذلك

---

[١] أبو شامة : الروضتين ، جـ ١ / ص ٢٦ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٢ / ١٠٥ ؛ ابن حاتم: السمط ، ص ٢٤ الخزرجي : العسجد ، ق ٩٦ ، الكفاية ق ٧٧ – ٧٨ ؛ المقريزى : السلوك ، جـ ١ / ٧٨ ؛ محمد عبد العال أحمد : الأيوبيون في اليمن ، ص ١٢٢ .

[٢] ابن جبير : أبو الحسن محمد بن أحمد الكنانى (ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) : رحلة ابن جبير : تحقيق د. حسين نصار ، القاهرة ١٩٥٥ ، ص ١٥٣ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٢ / ١٠٣ ؛ الخزرجي : العسجد ، ق ٩٦ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص ٢٧٥ ؛ بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، جـ ٢ / ١٣٢ ، قلادة النحر ، جـ ٢ / ٧٥٣ .

[٣] الجندى : السلوك ، جـ ١ / ق ١٢٦ ؛ ابن أسير : الجوهر الفريد ، ق ٢٨٢ ؛ الخزرجي : العسجد ، ق ١٠٢ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ق ٨٠ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص ٢٨٣ .

[٤] ابن حاتم : السمط ، ص ٤٤ .

[٥] ابن حاتم : المصدر السابق ، ص ١٥١ .

استولى الناصر على أموال ومماليك الأمير وردسار أمير صنعاء عقب وفاته مسموماً بإيعاز منه [١] .

واستمرت هذه المصادرات التي تعرض لها كبار رجال الدولة في عصر بني رسول وظلت تشكل مورداً مالياً للدولة ، ومن أبرز الأمثلة على تلك المصادرات العديدة التي حدثت في عهد بني رسول ما حدث عام ٦٧٠ هـ / ١٢٧١ م في عهد المظفر الرسولي ، فعند وفاة الرشيد شاد الدواوين في صدر الدولة المظفرية نقل إلي المظفر أنه كان يخفي ماله مع أحد أصدقائه وهو الفقيه يحيى بن سالم الشهابي (ت ٦٧٠ هـ / ١٢٧١ م) فأمر السلطان بمصادرته وطولب بدفع اثني عشر ألف دينار [٢] ، كذلك صودر في عهد المظفر متولي ديوان النظر بثغر عدن ويدعى محمد بن عبد الله شمس الدين الجزري وأرغم على تسليم ٣٠ ألف دينار وذلك بعد أن اتهمه أهالي عدن بالعسف والجور وتحصيل الأموال بغير حق ، فتحقق قاضي القضاة من ذلك فكان الأمر السلطاني بمصادرته وتعذيبه ، فتوفى من أثر التعذيب بعد ٦٦٠ هـ / بعد ١٢٦١ م [٣] .

ومن أشهر المصادرات زمن المؤيد الرسولي مصادرته للوزراء العمرانيين الوزير حسام الدين وأخوته حيث أمر بالقبض عليهم وختم على بيوتهم وأمر بالقبض على أملاكهم لبيت المال " فقبضت وكانت كثيرة " [٤] .

ومن مصادرات الملك المجاهد مصادرته للقاضي جمال الدين بن مؤمن سفيره إلي الديار المصرية في عام ٧٢٩ هـ / ١٣٢٨ م على أموال كثيرة [٥] ثم صودر مرة ثانية بعد توليه قضاء الأقضية وارتفاع منزلته وقيامه بمصادرة البعض دون وجه حق كالقاضي موفق الدين عبد الله اليحيوي ، فاستبد بالأمر وارتكب الكثير من المفاسد فأمر المجاهد بمصادرته عام ٧٣٥ هـ / ١٣٣٤ م، فهاجم الجُند بيته واستولوا على جميع ما فيه من الآلات والفرش والدواب والجواري [٦] .

---

[١] ابن حاتم : نفسه ، ص ١٥٢ .

[٢] الخزرجي : العقود ، جـ ١ / ١٦١ .

[٣] بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، جـ ٢ / ٢٢١ – ٢٢٢ .

[٤] ابن عبد المجيد : بهجة الزمن (تحقيق حجازي) ص ١٠٤؛ الجندي : السلوك ، جـ ٢ / ق ١٩٣ .

[٥] الخزرجي : العقود ، جـ ٢ / ٥٢ ؛ العسجد ، ق ٢١١ .

[٦] الخزرجي : المصدر السابق ، جـ ٢ / ٦١ ؛ العسجد ، ق ٢١٦ .

ومنها أيضاً مصادرته للأمير ابن الحجازى والى ذمار نظراً لسوء سيرته مما أدى لشيوع الفتنة واضطرب أمر الولاية ، فغضب عليه السلطان وصادره بمائة ألف دينار واستولى المصادرون على دوابه وعدتها أربعون رأساً من جياد الخيل المشهورة وستون جملاً [(١)] . ولعل من أبرز المصادرات التى تمت في عهد المجاهد مصادرته لمشايخ بنى زياد عام ٧٥٤ هـ / ١٣٥٣ م وتمت المصادرة على يد الأمير بهاء الدين بهادر المجاهدى ، وكانوا ثلاثة أحدهم " مقطع لحج وأبين ، والثانى والثالث كانا يتوليان نظر بعض الجهات اليمنية الأخرى وكانوا قد بلغوا من النفوذ والسطوة درجة عالية جعلت الناس يشبهونهم بالبرامكة لفضلهم وجودهم واستيلائهم على معظم مملكة اليمن " فلما علم السلطان بأمرهم تغير عليهم وأوقع بهم ، فأمر بمصادرتهم " مصادرة قبيحة حتى هلكوا في المصادرة جميعاً " [(٢)] ، ومن المصادرات التى حدثت في عهد الأشرف الثانى مصادرته في عام ٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م للأمير شمس الدين على بن حسن شاد الدواوين الذى ساءت سيرته وكسب أموالاً كثيرة من وجوه مختلفة ، فصرفه السلطان عن منصبه وطالبه بما احتجزه من الأموال " فسلم بعضاً وبعض ، وساق نقداً وعرضاً " [(٣)] ونختتم عرضنا الموجز لهذه المصادرات التى أضافت لخزانة الدولة الأيوبية والرسولية في اليمن الكثير من الأموال بمصادرة القاضى شرف الدين العلوى وزير الأشرف الثالث في عام ٨٣٣ هـ / ١٤٢٩ م في عهد الظاهر يحيى الرسولى لاعتقاد الأخير بأن الوزير كان سبباً في عدم انتقال الملك إليه مباشرة في أعقاب وفاة أخيه الملك الناصر أحمد فصادره مصادرة شاقة وانتزع منه نحو مائة ألف (دينار) ، كما هاجم بيوت بنى العلوى جميعاً وصادر أموالهم وأوقاف مساجدهم ووصل تنكيله بهم إلي حد أنه أمر بهدم منازلهم واستصفاء جميع أموالهم [(٤)] .

---

(١) الخزرجى : *المصدر السابق* ، جـ ٢ / ٦٤ وراجع أمثلة أخرى عن المصادرات التى تمت في عهد المجاهد والأفضل والأشرف الثانى في الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ / ١٠٤ ، ١٢٠ – ١٢١ ، ١٢٧ ، *العسجد* ، ق ٢١٦ ، ٢٤٠ ، ٢٤٤ ، ٢٥٢ ، *الكفاية* ق ١٨٩ ، ٢٠٠ ؛ ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٣٧٧ .

(٢) الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ / ٨٣ ، *الكفاية* ، ق ١٧٧ .

(٣) الخزرجى : *الكفاية* ، ق ٢٠١ ، *العقود* ، جـ ٢ / ١٤٨ ، *العسجد* ، ق ٢٥٣ وراجع عن باقى مصادرات الأشرف ، *العقود* ، جـ ٢ / ٢٠٢ ، ٢٣٧ .

(٤) ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٣٩٤ – ٣٩٥ .

- المصالحات:

وتُمثل بدورها إحدى الموارد المالية المؤقتة ، وفي نفس الوقت تُعد أحد بنود المصروفات في الدولة أو الجهة الدافعة . ومن هذه المصالحات مصالحة شمس الدولة توران شاه لصاحب طمار من اعمال تهامة وغيره من مشايخ قبائل اليمن على أداء بعض الأموال للأيوبيين مقابل إبقائهم على الزعامة القبلية في مناطقهم [١]، ومن أبرز المصالحات في الفترة موضوع البحث أيضاً والتي عادت على الخزانة اليمنية بالمال الوفير وغيره من المؤن والآلات ما تم في عهد الملك العزيز طغتكين حينما صالح علي بن حاتم اليامي حاكم صنعاء سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧م مقابل عدم استيلائه — السلطان طغتكين — على صنعاء على أن يدفع له ابن حاتم ثمانين ألف دينار حاتمية ومائة حصان في سنة واحدة [٢] ، ثم جُدد الاتفاق مرة ثانية ، فعقد الصلح بينهما لمدة عامين مقابل أن يدفع ابن حاتم مائة وستين ألف دينار ومائتي فرس [٣] ، ومنها أيضاً المصالحة التي تمت بين الأمير وردسار الأيوبي والإمام الزيدي عبد الله بن حمزة وتم الاتفاق فيها على أن يدفع الإمام في كل سنة مائة حمل موقرة حديداً وعشرين رأساً من الخيل تحمل لعلم الدين وردسار [٤] ، وجددت هذه المصالحة مرة ثانية مقابل تقديمه عشرة رؤوس من الخيل وعشراً من الإبل وخمسة أحمال من الحديد لنفس الأمير " وردسار " [٥] .

وجدير بالذكر أن هذه الأموال المتحصلة لحكام اليمن من شتى الموارد التي ذكرنا بعضاً منها،كانت تودع بعدة خزائن للدولة منها خزينة حصن تعز،وكانت تودع فيها المتحصلات المالية الواردة من عدن والتي كانت تربو على ستمائة ألف دينار في العصر الأيوبي وينقل الفائض بعد ذلك للإيداع بخزينة الدملؤة[٦]، وخزانة عدن وتودع بها إيرادات الثغر وأعماله حتى يحين موعد انتقالها إلي تعز ، وخزانة تهامة أو زبيد ويبدو

---

(١) أبو شامة : _الروضتين_ ، جـ ١ / ٢١٧ .

(٢) ابن حاتم _السمط_،ص٢٧،ابن الديبع _قرة العيون_،ص٢٧٦ _راجع بامخرمة_ حيث يذكر صلحا آخر تعهد فيه علي بن حاتم بدفع ٥٠٠ دينار و ٥٠٠ كيلة من الطعام شهريا مقابل الصلح مع طغتكين ورد أملاكه إليه (راجع : تاريخ ثغر عدن ، جـ ٢ / ١٠٢،وانظر أيضا : ابن حاتم : _السمط_، ص ٤١) .

(٣) ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٢٨ ؛ ابن الديبع : _قرة العيون_ ، ص ٢٧٨ .

(٤) ابن حاتم : _المصدر السابق_ ، ص ١٠٢ ــ ١٠٣ .

(٥) ابن حاتم : _المصدر السابق_ ، ص ١١٨ ، وراجع أمثلة أخرى ، ص ١٠١ ، ١٣٠ .

(٦) ابن المجاور : _المستبصر_ ، ص ١٤٤ ــ ١٤٥ ، ابن حاتم : _السمط_ ، ٢٦٩ . وقد بلغت متحصلات خزانة عدن في صدر الدولة المظفرية حوالى ٥٠٠ ألف دينار . راجع عن متحصلات خزينة عدن في عهد بني رسول والتي كانت ترفع سنويا إلي تعز ، ما يلي ، ص ٣٨١ وما بعدها .

من اسمها أنه كان يودع بها ما يتم جمعه من أموال وضرائب مقررة على أراضى تهامة ونخيلها ، وتعد هذه الخزائن لاسيما خزانتى عدن وتهامة بمثابة خزائن مؤقتة تودع بها الأموال لفترة معينة، ثم تنقل منها بعد خصم نفقات هذه الأقاليم إلي الخزانة الرئيسة للدولة ومستودع ذخائر حكامها ونعني بها خزينة حصن الدملؤة (شرقى الجند) بدليل قول الخزرجى في أحداث عام ٧٧٠ هـ / ١٣٦٨ م " تقدم السلطان إلي محروسة الدملؤة وصحبته خزانة لعدن وتهامة ... ووضعها في الخزائن المعهودة " كذلك كان يحفظ في خزائن هذا الحصن المشهور بمنعته ووثاقته الهدايا النفيسة التي يهادى بها تجار الكارم حكام اليمن [1] . وكانت هذه الخزانة الرئيسة تحت اشراف السلطان نظراً لأهميتها البالغة ، وكان السلاطين يعمدون إلي تفقدها ومراجعة محتوياتها بأنفسهم [2] .

٢- المصروفات :

تعددت المصارف المالية للدولة وتنوعت أوجه الانفاق فيها ، فكان لكل نوع من الموارد الإسلامية أوجه صرفها المحددة ، فالصدقة أو الزكاة التي تؤخذ على الزروع والثمار والمعادن وعشور الأموال التجارية من المسلمين (أى ربع العشر) فكانت تصرف وفقاً لما حدده القرآن الكريم في قوله تعالى " **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ....** " [3] .

أما مصروفات الدولة المتعددة فكانت تصرف من الفئ أو من الأموال الموظفة على الأراضى الزراعية (الخراج) وعشور التجارة لغير المسلمين والجزية وغيرها من المكوس والضرائب التي شرحناها من قبل .

أما أوجه صرف الأموال فكانت متعددة منها رواتب الجند والولاة والقضاة والكتاب وغيرهم من أرباب الوظائف في الدولة ، ولم توضح لنا المصادر مقدار هذه الرواتب لكل فئة من هذه الفئات ، ولكن يفهم من بعض الروايات التاريخية أن موظفى الدولة كانوا يتقاضون رواتبهم نقداً ، حيث أشارت إلي عدد من القضاة كانوا يتسلمون جامكيتهم من جزية اليهود المحصلة ببلادهم كما جرت

---

[1] ابن حاتم : *السمط* ، ص ٣٦٨ ؛ الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ / ١٢٠ .
[2] الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ / ١٥ .
[3] *سورة التوبة* : الآية ٦٠ .

العادة آنذاك،ومن هؤلاء القضاة القاضى عيسى بن على بن مفلت الــذى كــان يتلقى جامكية مقدارها خمسة عشر ديناراً تستقطع من جزية اليهود ببلده [١]، ولم توضح الرواية ما إذا كانت هذه الجامكية شهرية أم سنوية وإن كان يبــدو مــن مقدارها إنها شهرية.وهناك إشارة أخرى إلي رزق أبي بكر بن محمد الجنيد قاضــى عدن في عهد المظفرالرسولى،وكانت جامكيته ثلاثين ديناراً،فزادها المظفر عشراً عند زيارته للمدينة وسؤاله أهلها عن أحوال القاضى معهم فأثنوا عليه فكانت الزيــادة التى أمر بها عقب مشورة وزيره،ولم تحدد المصادر أيضاً ما إذا كان هــذا الراتــب شهرياً أم سنوياً [٢] .

كما كانت تطلق لهم اطلاقات جيدة من الخيل والثياب وغيرها من الخلع في مختلف الأعياد والمناسبات [٣] ومن أوجه المصروفات أيضاً النفقــات الملكيــة والسلطانية فقد احتاجت الدور الملكية والسلطانية والأسمطة التى يمدونها والــولائم والحفلات المختلفة والمواكب التى اعتادوا إقامتها في مختلف المناسبات والصــدقات التى اعتاد السلاطين إطلاقها للفقراء إلي الأموال الطائلة [٤] .

وكانت الهدايا التى اعتاد الملوك والسلاطين من آل أيــوب وآل رســول إرسالها لسلاطين الأيوبيين والمماليك في مصر ولغيرهم من ملوك وأمراء الدول التى ارتبطوا معها بروابط وثيقة، تكلفهم من النفقات الطائلة الشئ الكثير لما اشــتملت عليه من نفائس التحف وطرائف الهدايا ، من ذلك على سبيل المثال الهديــة الــتى صحبها الملك المسعود الأيوبى لوالده الملك الكامل محمد عند قدومه مــن الــيمن للديار المصرية ، وكان من جملتها ثلاثة أفيلة : " أحدهم يدعى الملك عليــه محفــة تتسع عشر أنفس ، ومائتا خادم ، واحمال عود ومسك وتحف اليمن " [٥] ، ومنها هدية السلطان الملك المؤيد عام ٧٠٤ هـــ / ١٣٠٤ م إلي الديار المصرية واشتملت

---

[١] الجندى : السلوك ، جـ ٢ / ق ٢٨٠ ؛ الأفضل الرسولى : العطايا السنية ، ق ٤١ ؛ الخزرجى : العقود ، جـ ١ / ١٦٧ ، وأنظر أيضا : بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، جـ ٢ / ٢٥٢ .

[٢] الخزرجى : العقود ، جـ ١ / ٢١٤ ـ ٢١٥ ويبدو أيضا من مقدارها أنها جامكية شهرية .

[٣] راجع أمثلة لذلك في:الخزرجى.العقود،جـ ١ / ٣١١٢٣٤٧ ؛ بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، جـ ٢ .

[٤] راجع أمثلة لهذه النفقات في : ابن حاتم : السمط ، ص ١١٩ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٥٥٤ ؛ الخزرجى : العقود ، جـ ٢ / ٦٨ ـ ٧٠ ، ١٩٤ ـ ١٩٧ ، ٢٠٠، ٢٤٨ ـ ٢٤٩ .

[٥] الحنبلى : شفاء القلوب ، ص ٣٦٤ .

على العديد من " أنواع التحف السنية على اختلاف أنواعها .... وما عظم شأنه من فخار الصيني واليشم ... ومن الخدم الحبش والقنا الهندى والمراقد الصينية ومن المراكب المذهبة والشاشات الرفاع والسلقانيات ومن الثياب المذهبة الصينية ما عظم شأنها ... ومن الوحوش كالفيل وحمار الوحش والزرافة ... ومن الخيل المسومة العربية الآصائل اللائقة بحال المرسل إليه .... " [1] ومما يعبر عن النفقات الباهظة التي تكبدها ملوك اليمن في سبيل إرسال مثل هذه الهدايا الفائقة تعبيراً عن التبعية لسلاطين المماليك أنها كانت ترسل بصفة شبه مستمرة ، فيقول الخزرجى " ومثل هذه الهدية لا تكاد تتأخر بين عامين أو ثلاثة طلباً للمودة والمحبة واستمراراً على ما يُعهد من الصحبة " [2] .

ومن أوجه الصرف في الدولة أيضاً ما أنفق على إنشاء القصور والدور والمدارس والمساجد الفخمة التي تكبدوا في الإنفاق عليها الأموال الطائلة [3] .

ومما شملته أوجه الإنفاق ايضاً الإنعامات الملكية والهبات والخلع التي اعتاد ملوك اليمن منحها للمقربين إليهم من كبار رجال الدولة والشعراء والأدباء والعلماء والأعيان وغيرهم ، منها ما أفاض به الملك العزيز طغتكين على السلطان بشر بن حاتم عند قدومه تعز فرحب به وأكرمه " وأعطاه خلعة الخليفة وسيفه وسرجا من ذهب وطوقا من ذهب غير ما أعطاه من الخلع السنية وسمح له من القطيعة عشرين ألف دينار وعشرين

---

(١) الخزرجى : _العقود_ ، جـ ١ / ٢٩٨ ، وكانت الهدية للسلطان المملوكى في ذلك الوقت ، وهو الناصر محمد بن قلاوون ، ورغم عظم هذه الهدية التى وصفها الخزرجى بأنها قد حملت على مركبين عظيمين دلالة على كثرة الهدايا وتنوعها ، فإنها لم تلق قبولا كاملاً من السلطان المملوكى يدلنا على ذلك ما قاله بيبرس الدوادار في مصنفه زبدة الفكرة حيث ذكر أنها قومت فكانت أقل قيمة من هدايا المظفر والد المؤيد مما دفع الناصر محمد بن قلاوون إلي إرسال كتاب إليه على يد رسول معاتبا المؤيد عتابا شديداً على ذلك ، ولم تحظ السفارة المصرية ولا رسول الناصر بأية حفاوة في اليمن ، فعادت دون نتيجة ، راجع : _زبدة الفكرة_ ، ص ٣٦٣ .

(٢) الخزرجى : _العقود_ ،جـ ١ / ٢٩٨ – ٢٩٩ ؛ وراجع أمثلة لهذه الهدايا التى كانت تمثل أحد أوجه الصرف العديدة لملوك اليمن وسلاطينها (_العقود_ ، جـ ١ / ١٨١ ، ٢٣٥ ؛ ص ٣٠٦ من الكتاب) .

(٣) راجع أمثلة لذلك في : ابن عبد المجيد : _بهجة الزمن_ (تحقيق حجازى) ص ١٢٢ ؛ الخزرجى : _العقود_ ، جـ ١ / ٢٣٣ ، ٣١١ ، ٣٢٩ ، ٣٥٨ ، جـ ٢ / ٥٩ ، ١٠٦ – ١٠٧ ، ١٣٤ ، ٢٦٠ ، _العسجد_ ، ق ١٠١ ؛ القلقشندى : _صبح الأعشى_ ، جـ ٥ / ٣٤ (بيروت) ؛ ابن الديبع : _قرة العيون_ ، ص ٢٨٣ ، ٢٨٥ ، ٢٨٩ .

حصاناً " [١] ، ومن تلك المنح أيضاً العطايا الجليلة التي أنعم بها الملك المسعود الأيوبي على أحد الأشراف الحمزيين الموالين له ويدعى علم الدين سليمان بن موسى الحمزي وذلك عند قدومه لمحطة بُكُر معلناً الطاعة للمسعود[٢]،ومنها خلعة الملك المسعود لبني على بن رسول عندما خرجوا لاستقباله في الهَلِّية من تهامة وقت قدومه لليمن عام ٦١٢هـ/ ١٢١٥م فخلع عليهم الخلع السنية فكانت خلعة الأمير بدر الدين الحسن بن على بن رسول "فرجيه وشربوشا وحصاناً بسرج وألف دينار ذهباً "[٣] .

ويقدر الخزرجي ما أنفقه المعز إسماعيل بن طغتكين في الإنعامات والعطايا بما قيمته ستة عشر لكا ، واختص بالجانب الأكبر من عطاياه الشعراء لولعه بالشعر وسماعه ونظمه بينما غلب الشح عليه بالنسبة للجند [٤]، كذلك أنفق بنو رسول الأموال الطائلة في الهبات والعطايا على المقربين إليهم وغيرهم من كبار رجال الدولة وأعيان البلاد والشعراء وسفراء الدول الصديقة وضيوف البلاد ، ومن أمثلة تلك الإنفاقات ما منحه المؤيد للشريف جمال الدين على بن عبد الله الحمزي من الأموال والكساوى التي بلغت أكثر من سبعين ألف دينار ملكية بخلاف الكسوات والخيول وغيرها [٥] ، وما أفاضه أيضاً على أعيان عدن من التجار والنواخذة الوافدين والمترددين من الهدايا التي شملت " البغال المختارة بالعدد الكاملة والسروج المذهبة والزنانير المنوعة" [٦] وقد بلغ المؤيد غاية الجود والكرم في إنعاماته عندما خص أحد ندمائه ذات مرة بخزانة عدن كاملة بما تحتويه من أموال وملابس وتحف وطيوب[٧].ومن هذه النفقات أيضاً نفقات محمل الحج اليمني القاصد إلي مكة في مواسم الحج،وما يطلقه السلاطين هناك من مختلف الإنعامات[٨] .

---

(١) ابن حاتم : *السمط* ، ص ٣٠ ؛ الخزرجي : *العسجد* ، ق ٩٨ .
(٢) ابن عبد المجيد : *بهجة الزمن* (تحقيق حجازى) ، ص ٨٤ .
(٣) ابن حاتم : *السمط* ، ص ١٦٧ ؛ يحيى بن الحسين : *غاية الأماني* ، ق ١ ، ص ٤٠٤ .
(٤) الخزرجي : *العسجد* ، ق ١٠٣ ، قيل أن إهماله للجند وبخله عليهم بالمال كان أحد الأسباب التي دعتهم إلي قتله (أنظر : ابن حاتم : *السمط* ، ص ٨١) ، وعن اللك ومقداره راجع ص ٣٨١ هـ٤ .
(٥) ابن عبد المجيد : *بهجة الزمن* ، (تحقيق الحبشى) ، ص ١٩٨ ـ ١٩٩ ؛ الخزرجي : *العقود* ، جـ ١ / ٢٦٥ ـ ٢٦٦ وراجع أيضا إنعاماته لابنه الشريف إدريس بن على حيث أمر له " بسبعة آلاف دينار وتحف وملابس وخيل ومماليك " (*راجع العقود* ، جـ ١ / ٢٧٢) .
(٦) الخزرجي : *العقود* ، جـ ١ / ٢٦٨ .
(٧) بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، جـ ٢ / ٧٦ ـ ٧٧ . وانظر أمثلة أخرى لهذه الإنعامات في : ابن حاتم ، *السمط* ، ص ٩٦ ، ٣١٢ ؛ الخزرجي : *العقود* ، جـ ١ ، ص ١١ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٣١٤ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، جـ ٢ ، ص ٤٠ ، ٢١٨ ـ ٢١٩ ؛ ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٢٨٠ ـ ٢٨١ .
(٨) الحنبلي : *شفاء القلوب* ، ص ٣٦٢ ، ويدخل ضمنها ما كانت تتكلفه الكسوة للكعبة المشرفة من نفقات حينما كان يرسلها المظفر الرسولي من اليمن (راجع : ابن حاتم : *السمط* ، ص ٢٢٢ ،=

وكانت الإنفاقات الحربية تستنـــزف قسماً كبيراً من مـــوارد الدولـــة المالية، ويشمل الإنفاق الحربي شراء الأسلحة وبناء الحصـــون في المواقـــع الهامـــة واستفتاح بعضها بالمصالحة المالية، وإقامة الأسوار والخنادق حول المـــدن وتعمـــير الدروب . مثال ذلك قيام الملك العزيز طغتكين ببناء مدينة المنصورة الـــتي كانـــت بمثابة مدينة عسكرية متكاملة حيث أمر معظم جنده بالإقامة فيها [١] . علاوة على عناية ملوك اليمن بتجهيز الجيوش اللازمة وشحنها بالعدد والأسلحة لمواجهة القوى المعادية واستنـــزال الحصون المخالفة لهم ، ومن أبرز هذه الأمثلة الجـــيش الـــذى جهزه الملك المنصور نور الدين عام ٦٣٤ هـــ / ١٢٣٦ م لمحاربة الشريف الزيدى يحيى بن حمزة وأنفق عليه الأموال الطائلة " جزافاً من غير عدد وكانت الأكيـــاس تصب عنده صباً كأعدال الطعام ، وهو غير مكترث لنفاقها " [٢] .

ومنها أيضاً ما جهز به ابنه الملك المظفر الأمير شمس الدين عام ٦٥٢ هـــ/ ١٢٥٤ م للاستيلاء على الجوف فأمر بحمل الأموال والخلع إليه ، والتي بلغت مـــن النقد مائتا ألف دينار إلي غير ذلك من الخيول والكسوات " وجرد معه مائة فارس من المماليك بالحلقة ... فأخذ بها الأمير شمس الدين الجوف واستباحه " [٣] . ومن ذلك أيضاً الجيش الذى سيره المظفر لفتح ظفار الحبوضـــى عـــام ٦٧٨ هـــــ / ١٢٧٩م ، وأنفق عليه الأموال الطائلة التي عَلّق الخزرجي علـــى كثرتهـــا بقولـــه " وأنفق من الذهب والفضة ما يزيد على عدد الحصى " [٤] .

= ٣٥٤ ، ٣٧٨ ؛ الخزرجى : العقـود ، جـ ١ ، ص ١٢٥ ، ١٣٠ ، ١٦٣ ، جـ ٢ ، ٦٥ – ٦٦ ؛ المقريزى : الذهب المسبوك ، ص ٨٤) .

[١] يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ق ١ ، ص ٣٧٧ .

[٢] ابن حاتم : السمط ، ص ٢١١ – ٢١٢ .

[٣] ابن حاتم : المصدر السابق ، ص ٣١٦ .

[٤] الخزرجى : العقود ، جـ ١ / ١٨٢ ، وراجع أمثلة لهذه الإنفاقات الحربية في : ابن حاتم : السمط ص ٣١ ، ٣٩ – ٤٠ ، ٧٠ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١٣٧ ، ٢١٤ ، ٢٥٤ ، ٢٦٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٧ ، ٤٤٠ – ٤٤١ ؛ الخزرجى : العقود ، جـ ١ / ١٣٣ ، ١٤٣ ، ١٦٥ ، ٢٠٢ ، ٢٧٦ ، ٢٨١ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ – ٢٩٢ ، ٣١٦ – ٣١٧ ، ٣٤٢ ، جـ ٢ / ٦٤ ، ٢١٢ ؛ وانظر أيضا : العسجد ، ق ١٠٠ .

الفصل الثالث

النظام القضائى

الفصل الثالث
النظام القضائى

- منصب قاضى القضاة
- إجراءات التقاضى
- اختصاصات القضاة
- النظر في المظالم

- أنــــــواع العقوبات
1- الحبس أو السجن
2- الإبعاد أو النفى
3- الكحل
4- الاعدام
5- التعــــزير

- منصب قاضي القضاة

عَرَّف ابن خلدون القضاء بأنه " منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسما للتداعى وقطعا للتنازع ، إلا أنه بالأحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسُنةّ " [١] ، وعلى ذلك فالقضاء يختص بالفصل " في المنازعات وقطع التشاجر والخصومات واستيفاء الحقوق ممن مطل بها وإيصالها إلي مستحقيها بعد ثبوت استحقاقها " [٢] ، وإقامة الحدود على من تثبت إدانتهم ، والتسوية والعدل في الحكم " بين القوى والضعيف والشريف والمشروف " [٣] ، وغير ذلك مما انيط بالقضاء والقاضى من أحكام عليه ، مراعاتها عند توليه مهام وظيفته .

أما عن مبدأ ظهور وظيفة قاضى القضاة في اليمن ، فهى وظيفة لم تكن من مستحدثات الأيوبيين ، بل كانت موجودة قبل قدومهم إلي بلاد اليمن ، يدلنا على ذلك بامخرمة في ترجمته لأبي بكر اليافعى الجندى (ت ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م) أحد من تولوا القضاء الأكبر (أى قاضى القضاة) وهى تسمية ظلت تطلق على من يتولى هذا المنصب في اليمن طوال العهدين الأيوبى والرسولى أيضاً [٤] ، وخلفه في نفس المنصب بعد وفاته القاضى أبو الربيع سليمان بن الفضل [٥] .

وصاحب هذا المنصب أى قاضى القضاة يُعْهَد إليه بالإشراف على كافة الشئون القضائية،ومنها تعيين قضاة المدن والأقاليم،أما مسألة تعيينه هو فكانت من اختصاص الملك أو السلطان، فعلى سبيل المثال قام الملك المعظم توران شاه الأيوبي بتعيين القاضى جمال الدين أبو محمد عبد الله بن عمر الدمشقى قاضياً لقضاة اليمن، فقام بدوره بتعيين مجموعة من القضاة في مختلف الأقاليم منهم القاضى على بن حسين التسترى (ت ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م) وولاه قضاء زبيد ، والقاضى عمران بن يحيى بن على وولاه قضاء المعافر [٦] .

---

[١] ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) : _مقدمة ابن خلدون_ : ٣ أجزاء تحقيق د. على عبد الواحد وافى ، ط ٣ ، دار نهضة مصر ، القاهرة ١٤٠١ هـ ، جـ ٢ / ٦٢٧ .

[٢] الماوردى : _الأحكام السلطانية_ ، ص ٧٠ .

[٣] الماوردى : _المصادر السابق_ ، ص ٧٠ – ٧١ .

[٤] الخزرجى : _العقود_ ، جـ ١ / ١٧٦ ، ٣٥٧ ، جـ ٢ / ١٥٧ ، ٢٠٨ ، _الكفاية_ ، ق ٢٢٥ ، كما عرفت أيضا برئاسة القضاء (راجع : الجندى : السلوك ، جـ ١ ، ق ٨٨) .

[٥] بامخرمة : _تاريخ ثغر عدن_ ، جـ ٢ / ٩٦ .

[٦] ابن سمرة : _طبقات فقهاء اليمن_ ، ص ٢٢٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ .

وكان قضاة الأقاليم يقومون بدورهم بتعيين قضاة النواحي مثال ذلك القاضي أبو الخطاب عمر بن سَمُرَةَ الجعدي(ت ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م) ، صاحب كتاب طبقات فقهاء اليمن،الذي ولاه القاضي طاهر بن يحيى بن أبي الخير العمراني (ت ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م) والذي كان يلي قضاء ذي جبله ونواحيها زمن توران شاه ، قضاء مواضع كثيرة من مخلاف جعفر وترأس فيها بالفتوى [(١)] .

هذا وكان يطلق على قاضي النواحي اسم حاكم البلدة أو قاضي البلد ، ومن الأمثلة الدالة على ذلك القاضي القاسم بن محمد بن عبد الملك بن أبي الفلاح الذي كان حاكماً لبلدة الصِلُو (بالقرب من حصن الدملؤة شرقي الجند)[(٢)] ، والقاضي ابن أبي الفتوح وكان يعرف بحاكم زبيد حيث كان يتولى قضاءها زمن العزيز طغتكين [(٣)] .

وكان من عادة قاضي القضاة أن يقيم قريباً من الحاكم أي في حاضرة البلاد ، ومع تعدد المشكلات وتنوعها درج بعض الحكام على تعيين قاضي قضاة آخر في تهامة ، فيذكر الخزرجي أن المظفر الرسولي قَلَّد الفقيه أبو الفدا إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الحميري اليزني (ت ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م) القضاء الأكبر بتهامة ، فتولاه ما يقرب من عام [(٤)] .

على أية حال ونظراً لأهمية هذا المنصب فقد حرص الحكام من الملوك والسلاطين على اختيار من يشغله ممن توافر فيهم النزاهة وكرامة النفس مع سعة العلم وحسن الخلق [(٥)] ، ويلاحظ أنه في بدايات الحكم الأيوبي للبلاد حرص آل أيوب على اختيار هؤلاء القضاة الكبار من الأشخاص القريبين منهم لكونهم موضع

---

(١) ابن سمرة : *المصدر السابق* ، ص ١٨٨- ١٨٩، وجدير بالذكر أن ابن سمرة ترقى بعد ذلك وتولى منصب قاضي أبين عام ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م زمن العزيز طغتكين وقام قاضي قضاة اليمن آنذاك وهو القاضي أثير الدين الأنباري بتوليته هذا المنصب ؛ الجندي : *السلوك* ، جـ ٢ ، ق ٢١٨ .

(٢) الجندي : *المصدر السابق* ، جـ ١ ، ق ١٦٤ .

(٣) الجندي : *نفسه* ، جـ ١ ، ق ١٦٣ .

(٤) الخزرجي : *العقود* ، جـ ١ / ١٧٦ وممن اعتذر عن قبول منصب قاضي قضاة تهامة زمن المظفر أيضا أحد ابناء أسرة ابن أبي الخل المشهورة بالفقه ويدعى أبو العباس أحمد بن الحسن بن أبي الخل (ت ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م) ويشير الخزرجي إلي أنه كان فقيه زمانه ولما تحقق للمظفر كماله ونبله وفضله استدعاه لتعز وسأله في أن يلي قضاء الأقضية بتهامة فاعتذر وسأل في العودة لبلاده فأجيب (راجع : *العقود* ، جـ ١ ، ص ٢٢٢) .

(٥) ابن سمرة : *طبقات فقهاء اليمن* ، ص ٢٤٢ ؛ الخزرجي : *العقود* ، جـ ١ / ٢٢٢ .

ثقتهم من ناحية، ولعدم معرفتهم الكاملة بعد بشخصيات البلاد العلمية من جهة ثانية[١]،ولذا نجدهم يسندون هذا المنصب إلي بعض الأفراد الذين قدموا معهم من مصر مثال ذلك قاضى قضاة المسلمين جمال الدين الدمشقى السابق ذكره[٢] ، والقاضى أثير الدين ذو الرئاستين محمد بن بنان الأنبارى الذى تولى المنصب في عهد الملك العزيز طغتكين ، وكان بدوره من القادمين معه من الديار المصرية بينما تولى هؤلاء تعيين قضاة النواحى والأقاليم من بين الشخصيات اليمنية [٣] .

وبمضى الوقت أسند هذا المنصب للفقهاء والعلماء اليمنيين ومنهم الإمام الحافظ أحمد بن على العرشانى (ت ٦٠٧ هـ / ١٢١٠ م) الذى تولى القضاء خلفاً للقاضى أثير الدين الأنبارى الذى عزله طغتكين وصادره [٤] ، وكان سبب توليه منصب قاضى القضاة وفقاً لما ذكره الجندى أن القاضى أحمد كان يحضر مجلس سيف الإسلام وقرأ عليه موطأ مالك واجازه ، فوثق به وأعجب بعلمه

---

(١) بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، جـ ٢ / ٥٠ .

(٢) جدير بالذكر أن بقاء الدمشقي في منصبه كقاضي لقضاة اليمن ارتبط بوجود توران شاه بالبلاد ، فقد عاد القاضي بصحبة توران شاه إلي الديار المصرية ، ليتولى مهمة تعيين القضاة في اليمن نواب توران شاه كل في منطقة نيابته مثال ذلك قيام الأمير عثمان الزنجبيلي نائب عدن بتعيين القاضي منصور بن إبراهيم الموصلي على قضاء لحج ، فتولى منصبه (من سنة ٥٧٠ ـ ٥٩٧ هـ / ١١٧٤ ـ ١٢٠٠ م) راجع : ابن سمرة : *طبقات فقهاء اليمن* ص ٢٠٤ ؛ الجندى : *السلوك* ، جـ ١ ، ق ١٤٤؛ الأهدل : *تحفة الزمن* ، ورقة ٩٢ .

(٣) القفطى : *المصدر السابق* ، جـ ٣ / ٢٠٩ ، وما سبق ص ٨٠ من الكتاب ، وقام أثير الدين وفقاً لمقتضيات وظيفته بتعيين عدد من القضاة في مختلف أنحاء اليمن ، فولى على قضاء المعافر القاضى أبا اسحق إبراهيم بن أبى الأعز عام ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م ، وولى على قضاء لحج القاضى محمد بن سعيد القريظى ، ثم ولى بعده أخاه على بن سعيد القريظى ، ثم القاضى ابا بكر بن على القريظى ، كما اعاد بنى عقامة الى القضاء ثانية بعد أن عزلهم ابن مهدى وذلك بتولية أحد أفراد أسرتهم ويدعى القاضى عبد الله بن محمد بن أبى عقامة وولاه قضاء زبيد ، كذلك عين على قضاء عدن القاضى عمر بن محمد الكتيبى سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م ، والقاضى عبد الوهاب بن على المالكي بعد وفاة القاضى أحمد القريظى سنة ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م ، كما ولى على قضاء أبين القاضى محمد بن على بن أبى قرة ومن بعده ابن سمرة الجعدى . (راجع عن ذلك ابن سمرة الجعدى : *المصدر السابق* ، ص ٢٢٣ ـ ٢٢٦ ، ٢٣٠ ، ٢٤١ الجندى : *السلوك* ، جـ ١ ، ق ١٥٦ ، ١٥٩ ، جـ ٢ / ٢١٨ ؛ الأهدل : *تحفة الزمن* ، ق ١٠٤ ؛ بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن*،جـ ٢،ص ١٣٠ ، جـ ٣ ، ص ٢١٩) .

(٤) عندما اختلف طغتكين مع اثير الدين وعزله ، تولى هو تعيين القضاة في الأقاليم بنفسه إلي جانب تولية قاضى القضاة فنجده يقوم بعزل الفقيه ضياء الدين أحمد بن محمد العمرانى من قضاء الجند ، وبولى بدلا منه القاضى عيسى بن على بن المسلم ، ويعين على قضاء حيس الشيخ ابا بكر بن فالح ، كذلك تولى قضاء صنعاء فى عهده و عهد الأمير ورد سار القاضى سرى بن إبراهيم بن أبى بكر العرشانى (راجع : ابن سمرة : *طبقات فقهاء اليمن* ، ص ٢٣٦ ؛ الجندى : *السلوك* ، جـ ١ ، ق ١٥٤، حـ ٢ ، ق ١٨١) .

ومهارته في فنه فأسند إليه منصب قاضي القضاة [١] ، ثم عزله بالقاضي مسعود بن علي العنسي [٢] الذي ظل في منصبه إلي أن توفى سنة ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م ، ثم عاد أحمد العرشاني لمنصبه ثانية إلي أن عزل نفسه بابنه القاضي أبي الحسن علي بن أحمد العرشاني (ت ٦٢٥ هـ / ١٢٢٧ م) [٣] . وتقلد المنصب في عهد الملك المسعود الأيوبي القاضي أبو بكر بن أحمد بن موسى العمراني الذي تولى قضاء الأقضية منذ عهد المسعود وظل يتولاه حتى توفى في أواخر دولة المنصور نور الدين عمر بن رسول [٤] . وجدير بالذكر أنه أول من ولي المنصب من أسرة العمرانيين وهي إحدى الأسر الكبيرة التي اشتهر أفرادها بالفقه والعلم ، وقد توارثوا منصب قاضي القضاة منذ عهد المسعود وخلال فترات عديدة من حكم آل رسول لليمن ونازعهم هذه المناصب بنو محمد بن عمر اليحيوي ، الذي كان أغلب أفرادهم أيضاً من المهتمين بدراسة العلوم الشرعية وتناوبوا مع العمرانيين هذا المنصب الراقي طوال عهود المظفر ومن خلفه من السلاطين كالأشراف الأول والمؤيد وفترة طويلة من عهد المجاهد [٥] .

ومن الأمثلة الدالة على سمو المكانة الوظيفية والاجتماعية التي حازها من كان يلي منصب قاضي القضاة أن عدداً من أرباب هذا المنصب جمعوا بينه وبين منصب الوزارة مثال ذلك القاضي أثير الدين ذو الرياستين محمد بن بنان الأنباري على عهد طغتكين الأيوبي [٦] ومنهم الصاحب والقاضي بهاء الدين العمراني في عهد المظفر الرسولي ، والصاحب موفق الدين علي بن محمد اليحيوي في عهد المؤيد ، وموفق الدين عبد الله بن علي اليحيوي في عهد المجاهد والقاضي وجيه الدين عبد الرحمن بن علي بن عباس في عهد الأشرف الثاني [٧] .

---

[١] الجندي : _السلوك_ ، جـ ١ ، ق ١٥٣ ؛ بامخرمة : _قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر_ ، جـ ٣ ، ق ٨١٥ .

[٢] راجع عن أسباب العزل قضية الخلاف بين الفقيهين العرشاني ومسعود فيما يلي : الجندي : _السلوك_ ، ق ١٥٣ – ١٥٤ ؛ بامخرمة : _المصدر السابق_ ، جـ ٣ ، ص ٨١٥ – ٨١٦ . وعن العنسي راجع : الجندي : _المصدر السابق_ ، ق ١٦٠ – ١٦١ ؛ الأهدل : _تحفة الزمن_ ، ق ٩٨ .

[٣] الجندي : _السلوك_ ، جـ ١ ، ق ١٥٤ – ١٥٥ ؛ الخزرجي : _العقد الفاخر الحسن_ ، ق ٣٤ ؛ بامخرمة : _قلادة النحر_ ، جـ ٣ ، ق ٨١٦ ، _تاريخ ثغر عدن_ ، جـ ٢ ، ص ١٣٥ .

[٤] الجندي : _المصدر السابق_ ، جـ ٢ ، ق ١٩١ .

[٥] الجندي : _المصدر السابق_ ، جـ ٢ ، ق ١٩١ – ١٩٢ ؛ الخزرجي : _العقود_ ، جـ ١ ، ص ٣٣١ .

[٦] راجع ما سبق ، ص ٨٠ من الكتاب .

[٧] الخزرجي : _العقود_ ، جـ ١ ، ص ٢٤٥ ، جـ ٢ ، ص ١٥١ .

أما تولية القضاة وعزلهم فقد كان يتم عن طريق تقليد من السلطان سواء تقليداً شفوياً أو كتابياً [١] مثال ذلك ما رواه بامخرمة عند قيام العزيز طغتكين بعزل أحمد العرشاني وتولية مسعود العنسى منصب القضاء الأكبر فاستدعى الفقيهين وقال للأول " يا قاضى أحمد إلزم بيتك ، وأنت يا مسعود قد وليتك القضاء "[٢] فخرج هذا معزولاً وذاك متولياً فكان هذا تقليداً شفوياً .

كذلك كانت تصدر المراسيم أو المناشير كتابة بتولى القاضى منصب القضاء الأكبر ، ويشير الخزرجى إلي ذلك في سياق حديثه عن تقليد القاضى الأجل مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازى للمنصب عام ٧٩٧ هـ / ١٣٩٤ م فيقول :

" .... استمر القاضى الأجل مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازى في القضاء الأكبر وكتب له منشور بذلك في أقطار المملكة اليمنية .... " [٣] .

وكما ذكرنا آنفاً كانت مهام قاضى القضاة وأهم اختصاصاته تعيين القضاة في كافة أنحاء البلاد وعزلهم ، وكان لكل مدينة أو اقليم قاض خاص بـه ، وكان لا يختار لقضاء الأقاليم إلا من يصلح للمنصب ولا يوليه إلا " بعد اجتهاد في السؤال عن حاله وماله " [٤] ، ويُلْزِم من يوليه بخطة عمل معينة وضوابط ، لا يحيد عنها هؤلاء القضاة [٥] . وكان ينظر بنفسه في القضايا الهامة ليدلى فيها برأيه توخياً للعدالة والمساواة بين المتخاصمين ، ومن ذلك ما فعله قاضى القضاة مسعود بن على العنسى في عهد الملك العزيز طغتكين حينما توخى العدل في الحكم في خصومة بين الملك وأحد التجار أنصف فيها التاجر ، وحكم على السلطان برد المال الذى في ذمته للرجل ، " فبادر السلطان وأمر من جاءه بالمال ، والسلطان

---

[١] الماوردى : *الأحكام السلطانية* ، ص ٦٩ .

[٢] بامخرمة : *قلادة النحر* ، جـ ٣ ، ص ٨١٥ ـ ٨١٦ ؛ وراجع أيضاً : الجندى : *السلوك* ، جـ ١ / ق ١٥٤ ؛ الأهدل : *تحفة الزمن* ، ق ٩٨ .

[٣] الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ ، ص ٢٢٩ ، *الكفاية* ، ق ٢٢٥ . وراجع أيضاً البريهى : *طبقات صلحاء اليمن* ، ص ٢٩٦ حيث يشير إلي استمراره على منصبه زمن الناصر بن الأشرف .

[٤] الجندى : *السلوك* ، جـ ١ ، ق ١٦٠ .

[٥] الخزرجى : *العقود* ، جـ ١ ، ص ١٧٦ ؛ بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، جـ ٢ ، ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣ .

يومئذ مقيم بمجلس قريب من مجلس القاضى ، فلما وصل المال فسلمه للتاجر وأبرأ ذمة السلطان " [١] .

ومن بين القضايا التى عرضت على قاضى القضاة بمحضر من السلطان في عدن ، قضية المرأة التى ارتدت عن الدين الإسلامى رغبة في التخلص من زوجها فاقترح قاضى القضاة على السلطان الرسولى إصدار أوامره بإحراقها مبرراً ذلك الحكم بقوله : " ان سكتنا عن هذه القضية استمر النساء على هذا ، كلما كرهت امرأة زوجها ارتدت عن الإسلام .... " [٢] فأصدر السلطان أمره بتنفيذ حكم القضاء، وأُعدت المحرقة لتنفيذ الحكم فتراجعت المرأة تائبة عائدة للإسلام بعد ما رأت لهيب النار [٣] .

وكانت أحكام القضاة تقوم أساساً على الشريعة الإسلامية ، دون التقيد بمذهب معين من المذاهب الفقهية ولما كان بنو أيوب وخلفاؤهم من بنى رسول على مذهب أهل السُّنَّة ، فقد جرت العادة أن يكون قضاؤهم تابعاً لأهل السُّنَّة وإن اختلفت مذاهبهم بين الشافعية والحنفية والحنابلة [٤] ، ولكن السيادة كانت للمذهب الشافعى الذى انتشر في اليمن انتشاراً كبيراً في الفترة موضوع البحث ، ونستدل على ذلك من العديد من الشواهد منها أن سلاطين بنى أيوب وبنى رسول كانوا شافعية ، وكانت معظم المدارس التى أقاموها مخصصة لتدريس المذهب الشافعى ، وان اختصوا الحنفية بالقليل منها ، كذلك كان أئمة المساجد غالباً ما يعينون من الشافعية [٥] .

---

[١] الجندى : *المصدر السابق* ، جـ ١ ، ق ١٦٠ – ١٦١ ؛ وراجع تفاصيل القضية في ص ١٧٧ من الكتاب .

[٢] بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، جـ ٢ ، ص ١٩١ .

[٣] بامخرمة : *المصدر السابق* ، جـ ٢ ، ص ١٩١ – ١٩٢ .

[٤] كان الصاحب بهاء الدين العمرانى على سبيل المثال حنبلى المذهب (راجع : بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، جـ ٢ ، ص ٨٢) ومن المعروف أن سلاطين بنى رسول أنفسهم كانوا على المذهب الشافعى ، ويؤكد الخزرجى ذلك بنصه على تحول المنصور نور الدين مؤسس الدولة من المذهب الحنفى للمذهب الشافعى (راجع : *العقود* ، جـ ١ ، ص ٨٥) .

[٥] راجع على سبيل المثال : الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ ، ص ٢٣٨ ؛ بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، جـ ٢ ، ص ١٨ ؛ وانظر أيضا : ابن عبد المجيد ، *بهجة الزمن* ، ص ١١٩ (تحقيق حجازى) ؛ الأكوع : *المدارس الإسلامية فى اليمن* ، ص ١٣ من مقدمة المحقق ، ص ١٠ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ – ٣٣ وغيرها من الصفحات التى تشير إلي غلبة المدارس الشافعية على عدد المدارس التى اختصت بتدريس الفقه الحنفى وغيره من المذاهب السُّنية الأخرى

وعُرف القاضى أيضاً في الفترة موضوع البحث باسم حاكم الشرع[1] أو الحاكم [2] وعرف مكان القضاء الذى تعقد فيه الجلسات للنظر في القضايا أو الفصل فيها باسم مجلس الحكم [3] أو مجلس الشرع مما يشير من ناحية أخرى إلي وجود مكان مخصص لعقد جلسات القضاء .

وكان لكل قاض كاتب يساعده في ادارة جلسات التقاضى وكتابة الأحكام والمحاضر [4] ، كما كان له عدد من الأعوان يرسلهم القاضى لاستحضار المدعى عليهم كى يمثلوا أمام القاضى [5] .

كذلك درج القضاة على استخلاف نواب لهم في الحكم ممن يثقون في دينهم وورعهم ، وكان هؤلاء النواب يعرف الواحد منهم بنائب القاضى أو يعرفون بنواب الحكم [6] ، وكان الغرض من تعيينهم أن يحلوا محل قاضى القضاة ، أو قاضى الأقليم أو المدينة في حالة تغيبه عن مجلس القضاء لأى سبب من الأسباب كمرضه أو سفره خارج المدينة لزيارة بلدته أو نظراً لجمعه بين أكثر من منصب ، فيضطر عندئذ إلي إنابة غيره في بعض هذه المناصب ، ومنها منصب النيابة في القضاء . ومن أمثلة ذلك الفقيه زياد بن أسعد بن على الخولانى (ت ٥٦٣ هـ / ١١٦٧ م) الذى تولى القضاء نائباً عن متولى قضاء الجند ويدعى القاضى عبد الجبار الحنفى، والقاضى جمال الدين محمد بن أحمد اليحيوى (ت ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م) الذى كان ينوب عن عمه الصاحب موفق الدين في قضاء الأقضية فيباشر الأحكام ويفصل في القضايا [7] . وتقتصر مهمة القاضى على إزالة أسباب

---

[1] الخزرجى : العقود ، جـ ١ ، ص ٢٣٩ ، جـ ٢ ، ص ١٥١ ، الكفاية ، ق ٢٠٧ ؛ الحنبلى : ابو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٨٧ م) : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ٨ أجزاء ، ط٢ ، بيروت ١٩٧٩ ، جـ ٦ ، ص ٢٨٦ .

[2] راجع ما سبق ، ص ١٧١ من الكتاب ؛ الخزرجى : العقود ، جـ ١ ، ص ٧٤ .

[3] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص ٢٢٥ ؛ الجندى : السلوك ، جـ ١ ، ق ١٦٠ ؛ بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، جـ ٢ ، ص ١٢٦ ، ١٩١ .

[4] بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، جـ ٢ ، ق ٢٧ ، ١٢٦ حيث أمدنا باسم أحد هؤلاء الكتاب في العصر الرسولى ويدعى أبو بكر بن أبى بكر أحمد بن على الأحورى (ت ٧٩٧ هـ / ١٣٩٤ م) .

[5] الجندى : السلوك ، ق ١٦٠ .

[6] الخزرجى : العقود ، جـ ١ ، ص ١٩١ ، ٣٣١ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، جـ ٢ ، ص ١٩١ .

[7] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص ٢١٧ ؛ الجندى : السلوك ، جـ ١ ، ق ١٥٢ ؛ الخزرجى : العقود ، جـ ١ ، ص ٣٣١ ؛ بامخرمة : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣ .

الخصومة بين المتخاصمين بإصدار الأحكام العادلة ، أما فيما يتعلق بتنفيذ العقوبة فيوكل أمرها إلي السلطة التنفيذية ونعنى بها الولاة والحكام بما لديهم من سلطات واسعة .

- إجراءات التقاضي

أما عن إجراءات التقاضى فتبدأ بأن يتقدم المدعى بشكواه للقاضى طالباً نظرها والتحقيق فيها ، فيكتب القاضى بدوره استدعاء للمدعى عليه يأمره بالمثول أمام مجلس الشرع والتحقيق معه فيما هو منسوب إليه من خصمه ، ويتضمن الاستدعاء تأكيد القاضى على المدعى عليه بالحضور وعدم التأخر ، وقد أمدنا الجندى بصورة الاستدعاء الذى كتبه القاضى مسعود بن على العنسى قاضى قضاة اليمن في عهد الملك العزيز طغتكين ، وكان هذا الاستدعاء موجهاً للملك نفسه ، إذ ادعى أحد التجار أمام قاضى القضاة بأنه باع لطغتكين بضاعة بمال جزيل ثم صار الملك يماطله في دفع الثمن فكتب القاضى الاستدعاء السابق وصورته " ... **انما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلي الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا ... ، ليحضر فلان إلي مجلس الشرع الشريف بذى أشرق ولا يتأخر ، إن كان يؤمن بالله واليوم الآخر** " ودفع بالاستدعاء أحد أعوانه ليسلمه للسلطان . " **فلما وقف السلطان على ذلك قال : نعم أؤمن بالله واليوم الآخر** " ، وركب من فوره ومثل أمام مجلس الشرع ، وأقام القاضى المحاكمة وساوى بين الطرفين في الحكم ، وأجلس التاجر إزاء السلطان واستمع إلي أقوالهما، فاعترف السلطان بصحة دعوى التاجر، فصدر الحكم برد أموال التاجر ، فبادر السلطان بالأمر لمن أحضر المال المطلوب ، وسلمه للمدعى [١] .

ومن بين الأدلة التى تشير إلي إتخاذ الشريعة الإسلامية أساساً للحكم في القضايا ، اشتراط قاضى القضاة بتهامة (عام ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م) ويدعى القاضى أبو الفدا إسماعيل الحميرى على من استخلفهم في القضاء من ذوى الديانة والورع ، ألا يصدر أحدهم حكماً إلا " بمحضر من الفقهاء " [٢] .

---

[١] الجندى : *السلوك* ، جـ ١ ، ق ١٦٠ – ١٦١ ؛ الأهدل : *تحفة الزمن* ، ق ١٠٢ .
[٢] الخزرجى: *العقود* ، جـ ١ ، ص ١٧٦ .

ومن الأدلة التي تؤكد التزام القضاة في إصدار أحكامهم بالشريعة أن رجلين اختصما عند والى زبيد سنة ٨٠١ هـ / ١٣٩٨ م وطلب أحدهما منه تطبيق الشريعة في الحكم فرفض طلبه ، فاستغاث الرجل بحاكم الشريعة (أى القاضى) ولكن القاضى عجز عن تنفيذ الحكم الشرعى لسطوة الوالى وعناده ، فقام القاضى بتبليغ الأمر للسلطان الأشرف الثاني الذى أمر الوالى بالمثول أمام القاضى والاعتذار له " إجلالاً له وللشرع الشريف فنهاه القاضى مشافهة عن معارضة الشرع " كما قام السلطان بمعاتبة الوالى وتوبيخه نظراً لهذه المخالفة [١] .

ويمدنا الخزرجى برواية ثالثة تؤكد اتخاذ الشريعة المطهرة أساساً للحكم وملخصها أن أحد الأشخاص الوافدين من مصر قُتل ، واتهم بقتله مصرى آخر فقبض عليه وأودع السجن ، تمهيداً للقصاص منه ، فلما علم المذنب بذلك طالب بتطبيق حكم الشرع " وأنكر أن يكون هو القاتل ، ولم تقم عليه بينة بالقتل فأطلق" [٢] .

- اختصاصات القضاة

وتنوعت اختصاصات القاضى فأوكل إليه النظر في القضايا الشرعية مثل الزواج والطلاق والميراث والوصايا وجرائم الزنا ، ومنها القضايا المدنية مثل البيع والشراء ومشاكل الأسواق المختلفة ومنها البيع والعيب ، والغبن وخلافه ، فمثلاً نجد أبو العتيق أبو بكر بن أحمد بن الأديب العيدى قاضى عدن (ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٤ م) يصدر عدة ضوابط للعمل منها ما يتعلق بالوصايا فيأمر بألا تتم وصاية إلا بحضور " أقوام بعينهم " حددهم وأطلق عليهم اسم الأمناء ، وحدد عقوبة الحبس ونحوه من التعزير وحبس الشهود أحياناً ، إذا لم يلتزموا بهذه الأوامر وخالفوها [٣] .

---

[١] الخزرجى : _العقود_ ، جـ ٢ ، ص ٢٤٩ ، وذلك يدل على احترام الحكام لأحكام القضاء في الشئون الدينية وعدم التدخل فيما يقضى به القضاء فيها من أحكام ، بمعنى أنه لا سلطان على القضاء في الشئون الدينية ، أما ما يتعلق بالأمور الدنيوية فكانت تسير الأحكام فيها وفقا لاجتهادات الحكام واستشارتهم لذوى الخبرة من معاونيهم .

[٢] الخزرجى: _العقود_ ، جـ ٢ ، ص ٢٤٣ .

[٣] بامخرمة : _تاريخ ثغر عدن_ ، جـ ٢ ، ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .

ومن أمثلة المشاكل التي كان على القضاة الفصل فيها ما يحدث بين البائعين والمشترين والدلالين من مشاكل، فأحياناً يرد المشترى ما اشتراه من سلعة للتاجر لاستظهار عيبها ، ويعترض التاجر على الرد فيحتكم الطرفان للقاضى، فإذا ما ثبت العيب في السلعة صدر الحكم برد السلعة ، وأجبر التاجر على دفع أجرة الدلال الذى عاون في إجراء عملية البيع [١] .

كذلك تطرقت اختصاصات القضاء المدنى والشرعى لتشمل النظر في جرائم القتل وغيرها من الجرائم الجنائية [٢] ، كما اتسعت دائرة القضاء الشرعى لتشمل أعمالاً ومهاماً دينية بعيدة عن أحكام القضاء، ونعنى بها الإشراف على الأوقاف وأموال الأيتام والغائبين ، واتسعت هذه الوظيفة الإشرافية على الأوقاف اتساعاً كبيراً حتى رأينا بعض قضاة اليمن وقد أضيف إليهم الإشراف على بعض الأوقاف في الحرمين الشريفين [٣] ، وهو إشراف امتد حتى عهد المؤيد الرسولى ، فكان قبل ذلك العهد من حق قاضى القضاة مراقبة نوابه القائمين بالإشراف نيابة عنهم كالأوصياء ، وله مراجعة حسابات أموال الأيتام والغائبين التي كانت تودع كأمانات لديهم (لدى الأوصياء) [٤] ، ونظراً لعدم وجود الضبط الدقيق لدى القضاة على هؤلاء الأوصياء ، كانعدام دفاتر المحاسبات التي تحدد الإيرادات والمصروفات الخاصة بهذه الأموال ، أصبحت هذه المراقبة نظرية ، فصارت تلك الأموال عرضة للاختلاس والنهب عند بعض القضاة ممن لم تتوفر فيهم الأمانة والنزاهة ، يلدنا على ذلك ما فعله المؤيد الرسولى مع أحد وزرائه من بنى عمران وأفراد أسرته حيث قبض عليهم بتهمة تبديد أموال الأيتام ومتحصلات الأوقاف ، وحينما طالبهم بدفاتر هذه الأموال والأوقاف أنكروا وجودها ، فأمر بحبسهم [٥] . كذلك برزت عدم النزاهة عند بعض القضاة في تكالبهم على جمع المال من مصادر شتى ودون وجه حق ، مثال ذلك ما رواه الخزرجى عن الفقيه الإمام جمال

---

(١) ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٤٥ – ١٤٦ ؛ بامخرمة : *المصدر السابق* ، جـ ١ ، ص ٦٧ .
(٢) الخزرجي : *العقود* ، جـ ٢ ، ص ٢٤٩ .
(٣) بامخرمة : *المصدر السابق* ، جـ ٢ ، ص ١٣١ .
(٤) ابن عبد المجيد : *بهجة الزمن* ، (تحقيق حجازى) ص ١٠٣ .
(٥) الخزرجى: *العقود* ، جـ ١ ، ص ٢٥٥ ، وما سبق ص ١٢٩ من الكتاب .

الدين محمد بن عبد الله الريمى(ت ٧٩٢ هـ/ ١٣٨٩م)يقول الخزرجى: "وجمع من المال ما لا يجمعه أحد من الفقهاء البته ولكن من وجوه مختلفة عفا الله عنه"[١] ، كما كان بعض القضاة لا يتعفف عن إجبار المتقاضين على دفع مبالغ من الأموال مقابل نظر القضايا الخاصة بهم ، بينما رفض البعض الآخر هذا الأسلوب وأقدم على اعتزال القضاء فيحدثنا بامخرمة عن قيام القاضى محمد بن على الفائشى بتحصيل خمسة عشر ديناراً عن كل قضية يتم الفصل فيها وتوزع خمسة للكاتب وعشرة لحسابه ، وهو الأمر الذى رفضه القاضى الذى ناب عنه في الحكم فترة ويدعى أبو محمد بن أبي القاسم الأبينى جرياً على أن القضاء والفصل بين المتخاصمين يتم بلا رسوم ، وحينما تأكد من أن القاضى الأكبر كان يفعل ذلك عن طريق كاتبه ، عزل نفسه عن نيابة الحكم وظل منزوياً حتى توفى[٢].

ومع ذلك فقد وجد العديد من القضاة اليمنيين ممن كانوا على درجة عالية من الورع والنزاهة،فيذكر لنا صاحب العطايا وينقل عنه الخزرجى وغيره أن قاضى تعز ويدعى أبو الخطاب عمر بن أبي بكر بن أبي القاسم اليافعى المعروف بالهزاز(ت ٦٤٤هـ/١٢٤٦م) سار في القضاء سيرة مرضية وكان يعلن عن أموال الأيتام فكان إذا مات شخص تاركاً وراءه أولاداً قصر أمر من يجهزه ويقضى دينه،فإذا بقى شئ من تركته،أمر المؤذن بالإعلان عن ذلك من فوق سطح جامع المغربة المشرف على سوق المدينة،وذكر ما تبقى من التركة ومقدار النفقة الشهرية التى قَدرَّها لهم القاضى،وإذا أنفق عليهم في كل شهر،أمر المنادى ثانية بالإعلان عن أن" اليتيم فلان بن فلان قد صرف من ماله كذا وكذا إعلاماً للناس على نزاهة القاضى فكان الناس بهذه الوسيلة يعرفون تفاصيل دقيقة عن أموال الأيتام ومع من هى وما يصرف منها في كل شهر وما يتبقى لكل يتيم.ويعلق الخزرجى قائلاً "وهذا أمر لم يسبقه إليه أحد من القضاة ولا لحقه فيه أحد"[٣]، ومن أمثلة ذلك أيضاً أن القاضى محمد بن على بن عمر الرياحى احتفظ بمال أحد الأشخاص كان قد أئتمنه

---

(١) الخزرجى : _المصدر السابق_ ، جـ ٢ ، ص ١٨٣ ، _الكفاية_ ، ق ٢١٢ .

(٢) بامخرمة : _تاريخ ثغر عدن_ ، جـ ٢ ، ص ١٢٦ .

(٣) الأفضل الرسولى : _العطايا السنية_ ، ق ٣٨ ؛الخزرجى : _العقود_ ، جـ ١ ، ص ٧٤ ؛ بامخرمة : _قلادة النحر_ ، جـ ٣ ، ق ٨٧٢

على مكانه قبل وفاته حتى يبلغ أولاده الصغار مبلغهم من الرشد ، فظل يحتفظ بسر موضع المال حتى تأكد من بلوغ الصبية سن الرشد والعقل فآتاهم ، وأرشد أكبرهم على مال أبيه قائلاً " هذا أمانة عندى من والدك إليك لتتصرف به على نفسك وعلى أخوتك بالمعروف فسأله الولد أن يأخذ منه شيئاً ، ويحتسب به الولد من نصيبه فلم يفعل "[١] . ومن الأمثلة الدالة على نزاهة القضاة ما فعله قاضي قضاة تهامة أبو الفدا اسماعيل حينما دخل بيت زوج أخته وكان يلى منصب قاضي زبيد فوجد لديه ثياباً من الخز ، لم يعهدها لديه قبل توليه المنصب فأنكر عليه هذه الثياب وسأله عن مصدرها، فأجاب بما يدل على أنه حازها بحكم منصبه ، فأنكر أبو الفدا إسماعيل عليه التربح من وراء منصبه وأقدم على عزله ثم عزل نفسه بعده[٢] ، ومنهم القاضى أبو الحسن على بن عمر الحميرى (ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م) الذى امتحن بقضاء مدينة إب ، وكان ذا سيرة مرضية وكان يرى أن قيامه بالقضاء يعد واجباً لا يؤجر عليه ، ومن ثم امتنع عن أخذ الرزق المقدر له ، ويعلق الخزرجى على ذلك بقوله " ولو لم يكن من ورعه إلا امتناعه عن قبض الرزق على القضاء ... لكفى ، ولما حضرته الوفاة أوصى ابنه الأكبر ألا يتولى القضاء "[٣] .

ونظراً لتعدد اختصاصات القضاء وصعوبة العمل فيه وحساسيته فقد زهد عديد من الفقهاء في تولى هذا المنصب ، رغم سياسة الإغراء والتهديد التى اتبعت مع البعض منهم وكان هذا الامتناع والعزوف عن تولى مناصب القضاء ينظر إليه على أنه من قبيل التقوى والورع ، وممن زهد في هذا المنصب الفقيه أبو محمد الحسن بن أبي بكر الشيبانى (ت ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م) وكان يسكن قرية الخوهة (الخوخة) من ساحل حيس ، الذى عُرض عليه قضاء زبيد أيام توران شاه فامتنع ، ثم عرضه عليه ثانية القاضى أثير الدين زمن العزيز طغتكين فامتنع أيضاً[٤]،

---

[١] الخزرجي : *العقود* ، جـ ١ ، ص ١٩٩ – ٢٠٠ .
[٢] الخزرجي : *نفسه* ، جـ ١ ، ص ١٧٧ .
[٣] الخزرجي: *نفسه* ، جـ ١ ، ص ٦١ – ٦٢ ؛ وراجع أيضاً عن نزاهة بعض قضاة اليمن وورعهم : البريهى : *طبقات صلحاء اليمن* ، ص ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٩٨ – ١٩٩ .
[٤] ابن سمرة : *طبقات فقهاء اليمن* ، ص ٢٤٦ – ٢٤٧ ؛ الجندى : *السلوك* ، جـ ١ ، ق ١٣١ ؛ بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، جـ ٢ ، ص ٥٠ .

وامتنع أيضاً الفقيه على بن عباس بن عيسى بن مفلح المليكى ، المقيم في عدن عن تولى القضاء بها فأرادوا إكراهه على القبول وذلك في عهد العزيز طغتكين ، فأصر على الامتناع ، وخرج عن المدينة إلي الخبت (الصحراء) ، فمرض هناك ، وعاد إلي عدن حيث عاجله الموت في عام ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م [١]، وممن امتنع أيضاً عن تولى ذات المنصب في عصر بني رسول الفقيه أبو الحسن على بن قاسم الشراحيلى (ت ٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ م) الذى عرض عليه قضاء زبيد ، فأرادوا إلزامه به ، فتكرر رفضه " ورسم عليه أياما فلم يجب إلي ذلك " ورعاً وزهداً رغم فقره الشديد [٢] . وكثيراً ما كان القاضى يضيق ذرعاً بالمنصب لحساسيته وتعقيداته ورسومه فيستعفى منه ويقدم على عزل نفسه ، والأمثلة على ذلك كثيرة[٣]، منها إقدام القاضى أحمد العرشانى على عزل نفسه من منصب قاضى القضاة [٤] والقاضى أبو الفدا اسماعيل قاضى قضاة تهامة [٥] وغيرهم كثيرون .

وفي حالة امتناع أحد الفقهاء عن تولى منصب القضاء ، كان قاضى القضاة أحياناً يستعين بمشورته فيمن يوليه بدلاً منه على قضاء البلدة التى رفض أن يلى قضاءها ، ومن أمثلة ذلك أن القاضى أثير الدين طلب من أبي محمد الحسن الشيبانى الذى امتنع عن قبول منصب القضاء عندما عرضه عليه أن يرشده إلي من يصلح أن يكون مكانه على قضاء زبيد " فأشار عليه بإسناده إلي القاضى عبد الله بن محمد بن أبي عقامة فأخذ أثير الدين بالمشورة وولاه قضاء زبيد [٦] ". ومنها أيضاً إسناد منصب قضاء الجند إلي أحمد العرشانى بمشورة القاضى عيسى بن على بن المسلم التى اقترحها على أحد قضاة سَهْفَنَة والذى كان يلى معها قضاء جبلة ، فأخذ القاضى بالمشورة وولاه [٧] .

---

(١) ابن سمرة : المصدر السابق ، ص ٢١٨ – ٢١٩ ؛ الجندى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ق ١٥٣ .
(٢) الخزرجي : العقود ، جـ ١ ، ص ٧١ .
(٣) بامخرمة : المصدر السابق، جـ ٢، ص ١٢٦، ٢٤٢ ؛ البريهى : طبقات صلحاء اليمن ، ص ١٢١ .
(٤) بامخرمة : قلادة النحر ، جـ ٣ ، ص ٨١٦ ، وما سبق ص ١٧٣ من الكتاب .
(٥) راجع ما سبق ، ص ١٨١ من الكتاب .
(٦) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص ٢٤٧ ؛ وراجع أيضاً : الجندى : السلوك ، جـ ١ ، ق ١٣١ ؛ بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، جـ ٢ ، ص ٥٠ .
(٧) الجندى : السلوك ، جـ ١ ، ق ١٥٣ ؛ وراجع أمثلة أخرى في البريهى : طبقات صلحاء اليمن ، ص ١١٨ .

وكان منصب القاضى من المناصب الجليلة كما كان القاضى موضع احترام الخاص والعام ، وقد حظى كثير من القضاة بمكانة مرموقة لدى حكام ذلك العصر مثال ذلك القاضى مسعود العنسى الذى رضخ سيف الإسلام طغتكين لحكمه مما يدل على مدى احترام السلاطين لأحكام الشرع من ناحية، وامتثالهم لتنفيذها وعظم تقديره لهذا القاضى الأجَّل من ناحية أخرى ، وظهر ذلك في قيام طغتكين عقب إصدار القاضى لحكمه بإدانته بالسلام عليه ومعانقته مقبلا بين عينيه قائلاً له " صدق من سَمَّاك كمال الدين " [١] ، ومن هذه الأمثلة أيضاً رفض القاضى عيسى بن مفلت عقد قران المظفر الرسولى على الحرة مريم ابنة الشيخ العفيف إلا بعد استكمال كافة شروط العقد و لم يتساهل في شئ من أجل السلطان، ويعلق الخزرجى على ذلك بقوله أن السلطان أعجب بذلك وقال " لو كان متساهلا في شئ في حكمه لتساهل معنا " [٢] .

ومنهم أيضاً القاضى أبو حفص عمر بن سعيد بن محمد الربيعى الجميلى، وكان فقيهاً مُحَدِّثاً من خيرة فقهاء عصره رواية للحديث وإلماماً بالتفسير وكان إذا حضر مجلساً انفرد هو بالتبجيل والاحترام،وكان المظفر يعظمه ويبجله وجعل رزقه على القضاء من جزية اليهود في جهته وهى عدن حيث كان متولياً لقضائها [٣] .

كذلك كان القاضى أبو عبد الله محمد بن على بن عمر بن أبي القاسم الرياحى (ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م) – السابق ذكره – مكرما عند المظفر وحظى بمنزلة رفعية وتقدير عال بسبب ورعه وصلاحه وبرزت هذه المكانة في قبول السلطان لشفاعته في المغضوب عليهم ممن أمر بسجنهم ، فكان ينطلق للباب السلطانى سعياً في قضاء حوائجهم وإطلاق سراحهم ، ويتمثل ما بلغه من مكانة عالية وتقدير خاص عند المظفر بسبب ورعه وتقواه أن المظفر قال عنه إثر بحث جاد وشافى عن أخلاقه وسرائره " القضاة كلهم في النار إلا محمد بن على " [٤] .

---

[١] الجندى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ق ١٦١ .
[٢] الخزرجى : العقود ، جـ ١ ، ص ١٦٧ .
[٣] الأفضل الرسولى : العطايا السنية ، ق ٣٨ ، وراجع : الخزرجى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٠٦ – ٢٠٧ حيث يذكر أنه كان متوليا قضاء صنعاء
[٤] الخزرجى : العقود ، جـ ١ / ١٩٩ .

واستمر القضاة يشغلون مكانة سامية في عهد الأشرف الثاني ويتمثل ذلك في حادثة وقعت عام ٧٩٠ هـ / ١٣٨٨ م وتتلخص في تحرش أمير زبيد آنذاك ويدعى هبة بن الفخر بحاكم الشريعة بزبيد(أى قاضيها)وذلك على أرض من أراضي وادى زبيد كان يسعى كل منهما للاستحواذ عليها وزراعتها ، فكان القاضي يرسل شركاءه للأرض،فيمنعهم غلمان الأمير من حرثها،وتعددت مرات المنع،فنزل القاضي مع شركائه للحرث ، فتصدى لهم غلمان الأمير واعتدوا على القاضي وأعوانه وطردوهم من الموقع ، وبلغ ذلك الأشرف فأمر بموافاته بالتفاصيل الدقيقة للقضية ، فلما اتضح له كل شئ أمر بفصل الوالى عن ولاية زبيد وصادره بثلاثة آلاف دينار تأديباً له وقياماً بما يجب من حق الشرع الشريف [١] .

- النظر في المظالم

اهتم حكام اليمن في الفترة موضوع البحث بالجلوس للنظر في المظالم والفصل في شكايات المظلومين وكانت معظم الشكايات التى يتقدم بها أفراد الرعية تدور حول التظلم من قسوة الجباه وفداحة الضرائب المفروضة عليهم ، والشدة المفرطة في جبايتها ، فقصدوا لدرء هذه المظالم عنهم باب السلطان ، وكان العزيز طغتكين يهتم كثيراً بالنظر في المظالم والجلوس لإنصاف أصحابها حتى شهر عنه أنه إذا تعرض له أحد من الرعية بشكوى أثناء موكبه " أمسك رأس حصانه ولا ينصرف من مكانه حتى يكشف ظلامته " [٢] ، ويذكر صاحب السمط ما يفيد أيضاً اهتمام طغتكين بذلك الأمر اهتماماً شديداً ، إذ جلس يوماً في جبلة لكشف المظالم ، فجاءه رجل من عامة السوق يشكو أحد الأجناد الذى طلب من البائع أن يشتط (يزيد) في السعر ، فرفض البائع أن يبيع بسعرين ، فبطش به الجندى وكسر مكياله وَفَرَّق طعامه ، فأمر طغتكين بالبحث عن الجندى وإحضاره ، فاتضح أن الجندى أحد الأمراء المقدمين من أمراء الحلقة ، فازداد غضب طغتكين وألح في ضرورة استقدامه ومثوله بين يديه والمساواة بينه وبين خصمه والقصاص منه متى تبين خطأه، فأُحضر لمجلس العزيز " فعاتبه على ذلك وواقفه ، ثم أمر بقطع

---

(١) الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ / ١٦٦ .

(٢) الخزرجى : *العسجد* ، ق ١٠٠ ؛ بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، جـ ٢ ، ص ١٠٢ .

يده تنكيلاً وإرهاباً للباقين من الأمراء والعسكر أن يستنوا بسنته ، ونفذ الحكم في الأمير المقدم على الملأ الوقوف " [١] .

كذلك يذكر بامخرمة أنه أثناء تواجد طغتكين بصنعاء ورد إليه رجل من أهل سهام متظلماً من ضامن السوق الذى ظلمه حينما طالبه بدفع الضمان ومقداره ثلاثة دراهم رغم عدم امتلاكه أى شئ يتوجب عليه الضمان ، واشتط الضامن معه وأمر غلمانه بجبايته غصباً ، فلما استمع طغتكين لشكواه حدد له موعداً لمقابلته في نفس السوق الذى شهد حادثة الظلم ، وحضر الملك طغتكين في قوة من العسكر إلي السوق ، واستدعى الوالى وضامن السوق وصاحب المظلمة ، فلما تحقق من صدقه أمر بشنق الضامن في السوق ، وفصل الوالى عن تلك الجهة ، وولى غيره ، أما صاحب المظلمة فقد كساه وزوده وقال للملأ " يظلم مثل هذا عندكم ولا تنصفوه وتكلفوه الوصول إلي أبوابنا وهو لا يقدر ، والله لئن آتاني أحدا شاكياً لأشنقن الوالى ، فلم يمد أحد يده إلي ظلم بعدها " [٢] .

وقد عنى سلاطين بنى رسول بدورهم بالنظر بأنفسهم في مظالم الرعية التى انحصرت كما كان الحال في العهد الأيوبى في الشكوى من الظلم الناتج عن ثقل الضرائب والقسوة في جمعها ، ونستدل على ذلك مما ذكره العُمَرى في سياق حديثه عن المجاهد الرسولى واهتمامه بالنظر بنفسه في الظلامات ، من ذلك قوله " إذا رفعت إليه قصص المظالم هو الذى يكتب عليها "بخطه بما فيه إنصاف الشاكى " [٣] ، ولقد زودتنا المصادر بعدد من الروايات تشير أيضاً إلي هذا الاهتمام بنشر العدل بين الرعية، منها أن أهل عدن رفعوا شكوى إلي الملك المظفر عند نزوله المدينة يتظلمون فيها من عسف محمد بن عبد الله شمس الدين الجزرى متولى ديوان النظر بالثغر وكان من ذوى النفوذ الواسع بالمدينة ، فأمر بمحاكمته وأناب عنه قاضى القضاة في مباشرة التحقيق ، ولكن أهل المدينة امتنعوا عن الإدلاء

---

[١] ابن حاتم : *السمط* ، ص ٤٠ - ٤١ .

[٢] بامخرمة : *المصدر السابق* ، جـ ٢ ، ص ١٠٢ - ١٠٣ .

[٣] العمرى : *مسالك الأبصار* ص ١٥٣ ؛ أنظر أيضا : القلقشندى : *صبح الأعشى* ، جـ ٥ ، ص ٣٣ (طبعة بيروت) . ويؤكد هذا الأمر ابن بطوطة فيذكر أن للملك المجاهد يوما هو يوم الخميس يجلس فيه لعامة الناس ، راجع : *الرحلة* ، جـ ٢ ، ص ١٧٣ .

بأقوالهم في حق الناظر المذكور ، إلا بعد أن أخذوا عهداً من المظفر بعدم عـودة الجزرى لتولى الديوان مرة ثانية بعد انتهاء التحقيق خوفاً من بطشه ، فتعهد لهـم المظفر بذلك ، فأجرى قاضى القضاة التحقيق بين العدنيين ومتولى الديوان ، وعقد جلسة المظالم بالمسجد الجامع ، وأثبتت التحقيقات إدانة الجزرى واستيلائه علـى الأموال من الأهالى بالباطل ، وهم الأهالى أن يبطشوا به لولا جماعة مانعت عنه ، فصودر وضرب فقام بتسليم ٣٠ ألف دينار ، وانتهى به الحال إلي العزل ثم الوفـاة متأثراً بما تعرض له من تعذيب [1] ، كذلك شكا أهل بلدة في اليمن قاضيهم لعدم مراعاته العدل في أحكامه معهم ، ووصلت مظلمتهم للسلطان الرسولى ، الـذى أناب قاضى قضاته بالنظر في المظلمة وإنصاف أصحابها منددا بعدم عدالة بعـض القضاة بقوله " أنظر في أمرهم فالقضاة كلهم في النار إلا محمد بن على (يقصـد القاضى الرياحى قاضى إب) " [2] .

وقد تكررت مظالم الرعية على مدى فترات حكم الرسوليين لليمن ودأب سلاطين هذه الأسرة على رد المظالم تخفيفاً عن الرعية،فيروى صاحب العقـود أن الرعية رفعت مظلمة للأشرف الأول الرسولى يشكون فيها اشتطاط عماله علـيهم في طلب الخراج،رغم ما أصاب زروعهم من ضرر بسـبب الجراد،فلمـا بلغتـه شكواهم،أمر بمسامحتهم وإعفائهم من دفع خراج هذه السنة،ولكن وزيـره وهـو القاضى حسام الدين بن حسان العمرانى عمد إلي تعطيـل مرسـوم السـلطان، فتوجهت الرعية بالشكوى ثانية للسلطان الذى كتب لوزيره طالبا إيـاه بسـرعة التنفيذ قائلاً له"اقتصر عنهم ولا تفرقهم فإنه يصعب علينا جمعهم"[3]، كذلك تظلم الفلاحون من أهالى زبيد عام ٧٣٧ هـ / ١٣٣٦ م للمجاهد الرسـولى حينمـا نـزل ببلدهم وأمر باطلاق المنادين في أنحاء المدينة بالأمان وكشف المظـالم الـتى يتقدمون بها فوصلوا إلي الباب الشريف،وعقد المجاهد مجلساً ضم الوزير والحجاب والكتاب والأمراء،وأمر بحضور أربعة من أعيان أهل زبيد لعرض مظلمتهم علـى المجلس المنعقد برئاسته،وشرح ممثلو الفلاحين مظلمتهم بإسهاب واقترحـوا الحـل

---

[1] الخزرجى : *العقد الفاخر* ، ق ١٠٤ ؛ بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، جـ ٢ ، ص ٢٢١- ٢٢٢ .
[2] الخزرجى : *العقود* ، جـ ١ ، ص ١٩٩ .
[3] الخزرجى : جـ ١ ، ص ٢٤٩ .

الأمثل لإنهاء أسباب الشكوى ، ولما تحقق السلطان من مدى الظلم الواقع على الرعية وأدرك السبب في هروبهم من أرضهم وعدم زراعتها بسبب وطأة الخراج المفروض عليهم، أنهى عمل المجلس بأن طبق الدواة " وكانت عادته أنه إذا طبق الدواة في مجلس الحضور انفض المجلس " ، وخرج الحاضرون ما عدا الوزير والحاجب ، فأصدر السلطان أمره للوزير بأن يملى على كاتب الدرج منشوراً من السلطان يقضى بإنصاف المتظلمين [(١)] .

كذلك كان السلطان يجلس للفصل في الخصومات والمنازعات التي تقوم أحياناً بين كبار رجال الدولة من الأمراء والقضاة وغيرهم، مثال ذلك : الاختصام الذى دار بين الأمير عز الدين هبة بن أبي بكر الفخر بن منصور أمير زبيد (ت ٧٩٦ هـ / ١٣٩٣ م) وبين القاضى شهاب الدين قاضى المدينة حول قطعة من الأرض الزراعية أراد كل منهما امتلاكها ، وكان القاضى أحق بها ، فأنصفه السلطان ، وعزل الوالى وصادره إكراماً واحتراماً للقاضى بوصفه منفذاً لأركان الشرع الشريف [(٢)] ، وأيضاً ما حدث عام ٨٠١ هـ / ١٣٩٨ م حينما رفض والى زبيد أيضاً تنفيذ حكم الشرع الذى أمر به القاضى ، فاختصمه القاضى لدى السلطان الذى وبخه وعاتبه وأمره بالاعتذار للقاضى وعدم معارضته ثانية في أمور الأحكام الشرعية ، مما يدل من ناحية أخرى على استقلالية القضاء . ويُعلِّق الخزرجى على موقف السلطان من الوالى بقوله " ولولا أن السلطان كان يجله (أى الوالى) لحسن سيرته في الناس ما سلم منه " [(٣)] .

كذلك جلس المؤيد عام ٧١٦ هـ / ١٣١٦ م ، لفض النزاع القائم بين قاضى زبيد المعزول ويدعى محمد بن سعد المعروف بأبى شكيل ، وبين القاضى الجديد ويعرف بالمشيرقى ، وأساس النزاع أن القاضى الجديد أتهم القاضى المعزول بجملة من الاتهامات ، وأحضر من شهد ضده ، وكتب بذلك عدة رسائل انتهت باعتقال أبي شكيل ، ولما جلس المؤيد للتحقيق في هذا الأمر ، اعترف المشيرقى بخطئه وقال " أكرهت على ما حكمت به " فأطلق المؤيد سراح أبى

---

(١) الخزرجى : *المصدر السابق* ، جـ ٢ ، ص ٦٢ - ٦٣ .
(٢) الخزرجى : *الكفاية* ، ق ٢٠٧ .
(٣) الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ ، ص ٢٤٩ ، *الكفاية* ، ق ٢٣٢ .

شكيل وأمر بتقطيع الرسائل التى كان المشيرقى قد كتبها عليه وتحكم بإدانته ، ثم عزل قاضى القضاة [١] ، ونصب أبا العتيق أبو بكر بن الأديب العيـــدى مكانـــه ، فقام ابن الأديب بدوره بإعادة أبي شكيل على قضاء زبيد ، بعد أن عزل المشيرقى نفسه كارهاً [٢] .

- أنواع العقـــوبات

ونختتم دراستنا عن النظام القضائي بلمحة موجزة عـــن بعـــض أنـــواع العقوبات التى كانت مطبقة في هذا العصر ببلاد اليمن [٣] ومنها :

١- الحبس أو السجن

كانت عقوبة الحبس أو السجن كثيرة التطبيق في الفترة موضوع البحـــث حيث زخرت المصادر على اختلافها بإشارات عديدة تفيد بتوقيع تلك العقوبة التى شملت الجميع ممن كانت توجه إليهم الاتهامات من شتى الطبقات الاجتماعية سواء من طبقة الخاصة كالأمراء والأعيان وكبار رجال الدولة ومن يلوذ بهم،أو من عامة الناس،ومن المفسدين على اختلاف جرائمهم وتنوعها،الأمر الذى أدى إلي انتشـــار بناء السجون في مدن اليمن وأقاليمها المتعددة[٤]وأطلق على هذه السجون أسمـــاء عدة منها الحبس[٥]،والسجن [٦] ،وكثيراً ما كان يطلق عليها اسم دار الأدب [٧] .

---

(١) تم عزل قاضى القضاة بسبب عدم تحققه الكامل من صدق ما بلغه عن القاضى أبى شكيل بل سارع بفصله بمجرد ما بلغته بعض الشكايات التى لم يتأكد من صدقها(راجع:بامخرمة:*تاريخ ثغر عدن*،جـ ٢،ق ٢١٨– ٢١٩) .

(٢) بامخرمة : *المصدر السابق* ، جـ ٢ ، ص ٢٤٣ .

(٣) جدير بالإشارة أن المصادر ألمحت إلي وجود دور جوهرى للسلطان في بعض العقوبات التى كانت تنزل بالمتهمين مثال ذلك ما أورده الخزرجى عن تعقب صاحب حيس لأحد المفسدين ويدعى عثمان بن مطير " كان يسرق بالليل وينهب بالنهار ويأخذ كل سفينة غصبا " وكثر فساده بالبلاد ، فظل الوالى وراءه حتى قبض عليه وسيره إلي السلطان الذى أمر بإقامة الحد عليه بقطع يده ورجله من خلاف " فأقام أياما بعد القطع وهلك " . (راجع :الخزرجى :*العقود* ، جـ ٢ ، ص ٢٥٠ ؛ وراجع أيضا أمثلة أخرى تؤكد بأن السلطان كان يجب أخذ رأيه وحكمه في العقاب الواجب إنزاله بالمفسدين،*العقود* ، جـ ٢ ، ص ١٢٧ ، ٢٣٥ ، ٢٣٩ ، ٢٤٣) .

(٤) من امثله الحصون التى كانت تضم بين جنباتها سجونا يودع فيها أرباب الجرائم أو المغضوب عليهم من أهل الدولة حصن حب،حصن براش،حصن الدملوة،حصن الفص،حصن التعكر وغيرها. (راجع الخزرجى:*العقود*،جـ ١،ص١٢٧–١٢٨،٢٥٥،جـ ٢،ص ١٤؛*الكفاية*،ق ١٦٥؛ إدريس :*نزهة الأفكار وروضة الأخبار* ، ق ٨١ ؛ يحيى بن الحسين :*أنباء الزمن* ، أحداث عام ٥٩٦ هـ) .

(٥) الخزرجى : *العقود* ، جـ ١ ، ص ١١٣ ، جـ ٢ ، ص ٢٥٥ ، *العسجد* ، ق ٢٨٩ .

(٦) الخزرجى:*العسجد*،ق ١٢٤،١٨٧ ، *الكفاية*،ص ٢٣٥،١٠٠، *العقود*،جـ ١،ص ٨٧ ، ٣٣٣ ؛ إدريس:*نزهة الأفكار* ق ٩٤ ؛ محمد يحيى الحداد :*تاريخ اليمن السياسي* : دار الهنا للطباعة ، القاهرة ١٩٧٦، ص ٢٥٧ .

(٧) الخزرجى : *العسجد* ، ق ١٤٥ ١٤٦ ، ٢٦٠ ، *الكفاية* ، ق ١١٦ ، ١٢٩ ، ٢٠٧ ، *طراز الزمن*، ق ١٠ ، *العقود* ، جـ ١ ، ص ١٧١ ، ٢٧٩ ؛ ابن الديبع :*قرة العيون* ، ص ٣٤٣ ؛ بامخرمة:*قلادة النحر* ، جـ ٣ =

ويسوق الخزرجى نصاً يفيد بأن السجون في هذا العصر كانت تنقسم إلي نوعين : الأول ويعرف **بسجن العامة** ، ويبدو من التسمية أنه خاص بأرباب الجرائم ومحترفى اللصوصية وقطاع الطرق وغيرهم من طوائف المفسدين ومحترفى الإجرام . ويبدو أن المعاملة في هذه السجون كانت قاسية وسيئة بدرجة كبيرة ، بدليل أن المجاهد حينما أراد التنكيل بأحد المغضوب عليهم من الأمراء ، أمر بإيداعه سجن العامة إمعاناً في تعذيبه وإذلاله لخروجه على السلطان والتحالف ضده مع أعدائه [١] . ومما يؤكد سوء هذه السجون وقسوة المعاملة بها، ما ذكره صاحب نزهة الأفكار عند حديثه عن سجن ظفار الذى أودع فيه بعض الخارجين على الدولة فوصفه بأنه " سجن مظلم ضنك مؤلم " [٢] ، كذلك حدثنا الجندى عن سجن عدن الذى أمر المؤيد الرسولى ببنائه على باب دار الولاية ليودع فيه وزيره السابق حسام الدين بن حسان وبعض آل بيته فأصدر أمره إلي والى عدن بإحداث سجن لأجلهم " فيه من الضيق ما لا ينحصر ليس له متنفس لخارج ولا داخل ، فاجتهد الوالى ببنائه ظناً أنه لبعض الجبابرة من أعداء السلطان " [٣] . كما حدثنا ابن حاتم بدوره عن سجن صنعاء في عهد المعز إسماعيل الأيوبى فذكر أنه كان محفوراً في باطن الأرض ، وسقفه على ظاهرها " [٤] .

أما السجن الآخر فأكثر شهرة من قرينه الأول وأكثر تواراداً في بطون المصادر ونعنى به **سجن الأمراء** أو المعتقل الخاص بهم والذى عرف كثيراً بدار الأدب ، وكانت هذه السجون الخاصة موجودة بدورها في شتى المعاقل والحصون،

=ق ١١٠٤ ؛ محمد يحيى الحداد : *تاريخ اليمن السياسى* ، ص ٢٤٩ ، ٢٥٩ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ - ٢٦٨، ٢٧٨ .

[١] الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ ، ص ٣٦ كان هذا السجين يدعى بالأمير بن طرنطاى وكان قد خرج على المجاهد وانضم للناصر بن الأشرف وابن عمه الأشرف بن الواثق عام ٧٢٥ هـ / ١٣٢٤ م ، فقبض عليهم المجاهد وأودع أميرى بنى رسول سجن الخاصة بأحد ابراج قلعة تعز ويعرف ببرج الرماد بينما أودع ابن طرنطاى سجن العامة .

[٢] إدريس : *نزهة الأفكار* ، ق ٩٤ .

[٣] الجندى : *السلوك* ، ق ١٩٤ ، كذلك وصف حبس زبيد بأنه كان غاية في الضيق . (راجع الجندى: *نفس المصدر والورقة*).

[٤] ابن حاتم : *السمط* ، ص ٥٢ ، وجدير بالذكر أن الإمام الزيدى عبد الله بن حمزة أقدم على تخريبه وإطلاق سراح من فيه عندما استولى على صنعاء عام ٥٩٤ هـ / ١١٩٧ م . راجع السمط : *نفس الصفحة* .

يودع فيها المغضوب عليهم من قبل السلطان من الأمراء وكبار رجال الدولة وأشهرها على الإطلاق دار الأدب بحصن تعز حاضرة الرسوليين .

ويمكننا تفسير كثرة النصوص الخاصة بهذه المعتقلات والواردة في المصادر اليمنية بتعدد الانقلابات والخصومات السياسية في ذلك العصر لا سيما في عصر بني رسول ، وطمع العديد من الأمراء في اعتلاء دست السلطنة وعزل السلطان القائم ، مما ترتب عليه شيوع الاعتقالات في طول البلاد وعرضها ، وبالتالى كثرة ورود المعتقلين إلي هذه الدور بعامة ، ودار الأدب بتعز خاصة حتى يكونوا قريبين من قبضة السلطان الجالس على العرش فيستطيع التخلص منهم قضاءً على خطرهم.

ويبدو من استعراض النصوص الخاصة بمعتقلات الأمراء أن المعاملة فيها تختلف من مسجون لآخر ، وذلك طبقاً لأوامر السلطان الذى كان يسمح لبعض الأمراء وكبار رجال الدولة ممن اعتقلوا بهذه الحبوس بممارسة حياتهم الطبيعية في داخلها واصطحاب الأهل وبعض أفراد الحاشية معهم لخدمتهم ، بل أن بعضهم سمح له أيضاً باختلاف الفقهاء إليه في محبسه لمدارسة الفقه وغيره من علوم الشرع مما يشير إلي أن هذا الحبس كان أحياناً بمثابة تحديد إقامة بالمعنى الحديث منعا لإثارة الفتنة إذا ما ترك هذا الأمير المعزول مطلق السراح في الحاضرة ، من ذلك ما أشار إليه الخزرجى عند حديثه عن الانقلاب الذى قام على المجاهد الرسولى عام ٧٢٢هـ / ١٣٢٢ م بزعامة الملك المنصور أيوب بن المظفر يوسف ، فأقصى عن السلطنة وقبض عليه ، وأودع تحت التحفظ بحصن تعز " على الإعزاز والإكرام يؤتى إليه كل يوم بما يحتاجه ويشتهيه من طعام وشراب وحريم "[(١)] . ويؤيد الجندى ذلك في معرض حديثه عن الأمير أسد الدين محمد بن الحسن بن رسول (ت ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م) ابن عم الملك المظفر ، الذى أودعه دار الأدب بتعز ، فأقام فيها معززاً واشتغل اثناء حبسه " بقراءة كتب العلم وكان يستدعى بالفقهاء

---

(١) الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ ، ص ١٥ . كذلك فعل معه المجاهد عندما استرد ملكه منه وأودعه بدار الأدب بتعز " فأقام محبوسا من غير تضييق عليه " (راجع : بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، جـ ٢ ، ص ١١٥) .

إلي موضعه فيقرأ عليهم ويحسن إليهم ، ثم نسخ عدة مجلدات، ثم مقدمات قـرآن ووقف ذلك على أماكن عديدة " [١] .

كذلك كان الوضع مع الإمام الزيدى إبراهيم بن أحمد بن محمد بن يحيى الذى أسر في عهد المظفر الرسولى عام ٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ ، فأودعه دار الأدب بتعز على الإعزاز والإكرام " يحمل إليه في كل يوم أربعين درهماً والطعام بكرة وعشيا ، والكسوة له ولمن معه – من حريم وخدم – بقدر كفايتهم " [٢] .

بينما كانت هذه المعاملة تختلف مع بعض المسجونين الآخرين ، فتصدر الأوامر بالتضييق عليهم وتقييدهم بالقيود الثقال [٣] ، وتحديد حركتهم تماما داخل السجن ،والتشديد على الحراس بعدم اختلاف أحد عليهم خشية هروبهم ، وما قد يحدثه هذا الهروب من فتنة في البلاد لا سيما إذا كان هذا السجين من أصحاب النفوذ أو أحد أفراد الأسرة الحاكمة ، وكانت هذه الأصفاد لا تفك عن المسجون إلا بأمر من السلطان أو من ينوب عنه .

من ذلك ما حدث مع الأمير المؤيد (السلطان المؤيد فيما بعد)، حينما قبض عليه أخوه السلطان الأشرف الأول ، لعدم مبايعته له ، ومحاولة اغتصاب العرش منه . فنجده يأمر بتقييده ومعه ولديه ويسكنه دار الأدب بحصن تعز " وأمر لهم بترتيب الأطعمة والأشربة " ولكنه جعل عليهم حراسة مشددة تمثلت في شخص أحد مقدمى المماليك ويدعى كافور البتولى الذى بلغت شدته في التضييق عليهم مبلغاً كبيراً حتى قيل أنه كان " يفتش عليه الزبادى ويكسر الخبز " [٤] . وظل المؤيد وولداه في الحبس مقيدين بالأصفاد إلي أن توفى الأشرف الأول عام ٦٩٦ هـ / ١٢٩٦ م ، فدخل عليهم الوزير حسام الدين بن حسان ، فأعلم

---

(١) الجندى : *السلوك* ، ق ١٧٨ ، وراجع أيضا : الخزرجى : *العسجد* ، ق ١٣٨ ، *الكفاية* ، ق ١١١ حيث يشير إلي وفاته عام ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م كذلك *العقود* ، جـ ١ ، ص ١٧٩ .

(٢) الخزرجى : *طراز الزمن* ، ق ٩ - ١٠ ، *الكفاية* ، ق ١١٦ ، *العسجد* ، ق ١٤٥ – ١٤٦ ، *العقود* ، جـ ١ ، ص ١٧١ ؛يحيى بن الحسين : *غاية الأماني* ، ق ١ ، ص ٤٦١ .

(٣) ابن حاتم :*السمط* ، ص ٢٥٢ ؛ الجندى : *المصدر السابق* ، ق ١٧٧ ؛ ابن تغري بردى : *النجوم* ، جـ ٦ ، ص ٦٩ ؛ يحيى بن الحسين : *أنباء الزمن* ، ق ٥٩ . وراجع أيضا :الخزرجى : *العسجد* ، ق ١٢٨ ، حوادث عام ٦٤٩ هـ .

(٤) الخزرجى : *العقود* ، جـ ١ ، ص ٢٤٣ ، *الكفاية* ، ص ١٢٩ .

المؤيد بوفاة أخيه السلطان ، وأمر الحراس بفك قيوده وولديه وأجلسه من ساعته على سرير الملك [١] .

كذلك قام الناصر الرسولى بالقبض على أخيه حسين الثائر عليه والراغب في اعتلاء العرش، وأمر بتقييده هو ومن معه من مؤيديه وأودعهم دار الأدب بتعز[٢]، وأيضاً ما حدث عند تنصيب الظاهر يحى الرسولى بدلاً من ابن أخيه الأشرف الثالث وذلك عام ٨٣٣ هـ / ١٤٢٩ م ، وكان مسجوناً في سجن ثعبات منذ عهد أخيه الناصر الرسولى،فقدم إليه الأمراء والأعيان فسلموا عليه بالسلطنة "وفكوا القيد من رجليه"وركب إلي دار العدل بتعز حيث بويع بالسلطنة، وعندما استقر بالدار نجده يأمر بارسال ابن أخيه الأشرف الثالث إسماعيل إلي ثَعَبات فطلع به الجند " وقيدوه بالقيد الذى كان الظاهر يحى مقيداً به ، وسجنوه بالدار التي كان مسجوناً بها " [٣] .

كذلك يذكر صاحب أنباء الزمن في حوادث عام ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م في سياق حديثه عن قبض أعوان الإمام الزيدى على والى صنعاء من قبل بني أيوب ويدعى الأمير شهاب فيذكر أنهم قاموا " بربطه في رأس الفرس وأتى به يجره إلي الإمام ، وأقام شهاب وأصحابه بصنعاء تحت التحفظ أياماً ، وضربت في أرجلهم القيود الثقال " [٤] .

وتتمثل المعاملة القاسية بصورة أكبر في معاملة المؤيد الرسولى للمسجونين من أسرة بني عمران في سجن عدن حيث أمر بهم " فلبثوا في السجن مجتمعين لا يكاد يفتح لهم باب إلا في الوعد مرة أو مرتين طالما يؤتى به من الماء ، أما الطعام فينزل لهم من تصدق عليهم من طاقة السقف ، سقف الحبس ، وذلك أنه يعطيه الحباس سراً خشية أن يبلغ عدوهم " [٥] .

---

[١] إدريس : *نزهة الأفكار* ، ق ١٠٤ . وجدير بالذكر ان المؤيد توجس خيفة من دخول الوزير عليه في بداية الأمر ، ظنا منه أنه جاء حاملا مرسوم السلطان بقتله (راجع : *نزهة الأفكار* ، نفس الصفحة) .

[٢] بامخرمة : *قلادة النحر* ، جـ ٣٢ ، ق ١١٠٤ ؛ يحيى بن الحسين : *أنباء الزمن* ، ق ١٠٠

[٣] الخزرجي : *الكفاية* ، ق ٢٤٠ ، *العسجد* ، ص ٢٩٤ ؛ المقريزى : *السلوك* ، جـ ٤ ، ق ٢ ، ص ٧٧١ ـ ٧٧٢ ؛ ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٣٩٣ ؛ يحيى بن الحسين : *أنباء الزمن* ، ق ١٠٠ .

[٤] يحيى بن الحسين : ق ٥٩ .

[٥] الجندى : *السلوك* ، ق ١٩٤ .

وكان الافراج عن هؤلاء المعتقلين يخضع عادة لمشيئة السلطان ووفقا لرغبته [١] ، وأحياناً يتم الافراج عند ارتقاء سلطان جديد إلي دست السلطنة فيصدر مراسيمه بالإفراج عن بعض هؤلاء المسجونين ، وأحياناً ثالثة يفرج عن البعض الآخر بمقتضى شفاعة أحد من ذوى المكانة لدى السلطان وقبول الأخير لشفاعته .

ومن الأمثلة الدالة على تنفيذ الإفراج وفقا للحالات السابقة ما حدث طبقاً لمشيئة السلطان مع أحد أفراد أسرة بني عمران وكان محبوساً بزبيد ، وبلغ السلطان عنه حسن السيرة ، واختلافه للمساجد لأداء الصلاة ، فأمر المؤيد عند ذلك بإطلاق سراحه وحدد له رزقا يقتات منه [٢] ، ومع ارتقاء السلطان المجاهد دست السلطنة للمرة الأولى ، أصدر مراسيمه بالعفو عن بني عمران جميعاً ، فجمع بينهم وبين عائلتهم وسكنوا سهفنة في دولته [٣] . كذلك قبل المظفر شفاعة قاضيه محمد بن عمر الرياحى حينما وصل إلي بابه متشفعا في أحد المحبوسين فكتب السلطان بإطلاق سراح الرجل " ولم يخرج القاضى .... إلا بالرجل معه " [٤] .

ولم تكن مدة بقاء المسجون في سجنه ثابتة ، فيما زودتنا به المصادر ، فكان يكتفى بزج المحكوم عليه بالسجن في محبسه ، وكان بقاء المسجون مرتبطاً بمشيئة السلطان ، فقد يفرج عنه أحياناً بمجرد دفع غرامة مالية تفرض عليه [٥] ، وأحياناً يظل في الحبس إلي أن تثبت براءته مما اتهم به فيفرج عنه [٦] ، بينما يظل

---

[١] المقريزى : السلوك ، جـ ٤ ، ص ١٠٢٢ ؛ يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ، ق ٢٩٢ ، حوادث ٦٠٠ هـ ، وأحياناً كان يتم الافراج بناء على أمر صادر من أحد أبناء البيت المالك عند غياب السلطان أو في حالات الطوارئ مثلما حدث في أعقاب مقتل المنصور نور الدين عمر بن رسول ، فاصدرت ابنة المظفر الرسولى أوامرها باطلاق الطواشى تاج الدين بدر من معتقله بزبيد وأمرته بحفظ المدينة والقيام بأمرها ريثما يعود المظفر من المهجم ليتولى مقاليد الأمور . (راجع : الخزرجى : العقود ، جـ ١ ، ص ٨٧ ، الكفاية ، ق ١٠٠ ، العسجد ، ق ١٢٤) .

[٢] الجندى : السلوك ، ق ١٩٤ ؛ بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، جـ ٢ ، ص ٤٩ .

[٣] الجندى : السلوك ، ق ١٩٤ ومما يذكر أن هذا الإفراج كان بسعى عبد الباقى بن عبد المجيد كاتب الانشاء ، لدى الأمير عمر بن يوسف بن منصور صاحب الباب المجاهدى الذى ظل يتلطف بالمجاهد حتى أصدر مرسومه بالإفراج عنهم (راجع أيضاً : بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، جـ ٢ ، ص ٤٩) .

[٤] الخزرجى : العقود ، جـ ١ ، ص ١٩٩ .

[٥] الخزرجى : العقود ، جـ ٢ ، ص ٦٠ ؛ بامخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، جـ ٢ / ٢٢١ .

[٦] مثال ذلك القاضى وجيه الدين عبد الرحمن العلوى الذى أودع بسجن عدن وظل نحو ١٦ شهرا ثم ثبتت براءته فأطلقه السلطان(راجع : الخزرجى : العقود ، جـ ٢ ، ١٥٣ ، ١٥٨ ، الكفاية ، ق ٢٠٤) .

آخرون مدداً أطول [١] ثم يفرج عنهم بالشفاعة لدى السلطان مثل بني حسان العمرانيين الذين أقاموا بسجن عدن مدة تربو على ثلاث سنوات [٢] ، بينما ظل آخرون في محبسهم حتى وافتهم المنية سواء من أثر التعذيب [٣] ، أو انقضى نحبهم بقضاء الله وقدره [٤] ، وأحياناً أخرى يلقى المسجون حتفه بعد إطلاق سراحه من أثر التعذيب الذى كان يتعرض له أثناء حبسه [٥] .

٢- الإبعاد أو النفي

من بين العقوبات التي يفرضها سلاطين اليمن في الفترة موضوع البحث نفى المحكوم عليهم من الحاضرة تعز،ومن أمثلة ذلك ما حدث لشاعر المظفر الرسولى الفقيه سراج الدين أبي بكر بن عمر بن دعاس،عندما طرده المظفر من تعز إلي زبيد"لإدلال حدث منه على السلطان في حقه وحق وزيره البهاء"، فظل بزبيد مهجوراً حتى توفى ٦٦٧ هـ / ١٢٦٨م[٦].كذلك أمر المؤيد الرسولى بإبعاد أخيه المسعود وولده أسد الإسلام المعارضين له عقب إطلاق سراحهما من سجن تعز وأمر بإسكانهما في مدينة حيس ، " وقدر لهما جامكية جيدة مجاملة " [٧] . كذلك أمر الأفضل الرسولى عام ٧٧٢ هـ / ١٣٧٠ م بنفى القرشيين من قريتهم القرشية

---

[١] مثال ذلك الأمير جمال الدين عبد الله بن على بن وهاس ، الذى قضى في سجن تعز أربع سنوات " لا تزيد يوماً ولا تنقص يوماً " وكان خروجه بمقتضى أوامر السلطان عام ٧١٣ هـ / ١٣١٣ م ، (راجع : الخزرجى : *العسجد* ، ق ١٨٧) .

[٢] بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، جـ ٢ ، ص ٤٩ ، وأحيانا تكون مدة الحبس سنة واحدة ، ويتم الإفراج عن المسجون بعدها(راجع:ابن الديبع:*قرة العيون*،ص٣٤٣، الخزرجى :*الكفاية* ، ق ١٣٢) .

[٣] الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ ، ص ٢٣٧ ؛ بامخرمة :*تاريخ ثغر عدن* ، جـ ٢ ، ص ١٣٧) .

[٤] من هؤلاء الأمير الزيدى إبراهيم بن أحمد (ت ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م) ، والأمير أسد الدين بن رسول (ت ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م) واخرون غيرهم (راجع : عماد الدين ادريس :*تاريخ اليمن* ، *من كتاب كنز الأخيار في معرفة السير والأخبار* ، تحقيق د. عبد المحسن المدعج ، الكويت ١٩٩٢ ، ص ١١٢) ؛الأشرف الرسولى : أبو العباس اسماعيل بن الأفضل (ت ٨٠٣ هـ / ١٤٠٠ م) : *فاكهة الزمن ومفاكهة ذوى الاداب والفطن في أخبار من ملك اليمن* ، مخطوط مصور على ميكروفيلم رقم ٢٧٨٠٩ بدار الكتب المصرية ، ق ١٠١ - ١٠٢ ؛ الخزرجى : *الكفاية* ، ق ١١٦ ، *العسجد* ، ق ١٤٥ - ١٤٦ ، *العقود* ، جـ ١ ، ص ١٩٥ ، ١٧١ ، ٢٠٣ ، وأنظر أيضاً ادريس : *نزهة الأفكار* ، ق ٩٤ ؛ ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٢٣٩ ؛ يحيى بن الحسين : *غاية الأماني* ، ق ١ ، ص ٤٦٩ .

[٥] الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ ، ص ٢٣٤ ؛ بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، جـ ٢ ، ص ٢٢١ ، وكانت المراسيم تصدر أحيانا بالتخلص من السجين بقتله خنقا في محبسه (الخزرجى : *العسجد* ، ق ٩٦ ، *الكفاية* ، ق ٧٨ ؛ المقريزى : *السلوك* ، جـ ٢ ، ص ٣٧٦ ؛ابن تغرى بردى : *النجوم* ،جـ ٩ ، ص ٣٠٢ ؛ بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، جـ ٢ ، ص ٢٢٩ ؛يحيى بن الحسين : *أنباء الزمن* ، ق ٢٣٣ .

[٦] الخزرجى : *العقود* ، جـ ١ ، ص ١٥٥ .

[٧] الخزرجى : *العقود* ، جـ ١ ، ص ٢٥٩ ، *الكفاية* ، ق ١٣٢ ؛ ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٣٤٣ .

في فشال لخروجهم على الطاعة فأباح قريتهم " وأجلاهم عنها وأسكنها قوماً آخرين وتشتت القرشيون في البلاد وصاروا من طوائف الفساد " [١] .

٣- الكحل

وكانت من العقوبات التي تواترت في المصادر وبخاصة في عصر بني رسول حتى أن الخزرجي علّق على شيوع هذه العقوبة في عهدهم بقوله " وبقيت هذه سُبة في بني رسول " [٢] .

وممن نفذت فيهم هذه العقوبة الأمير محمد بن عباس بن عبد الجليل وكان ذا مرتبة سامية وصار من جملة المقربين لدى المظفر الرسولي ، ولكن غلب عليه العجب والخيلاء، فشكاه الناس إلى السلطان فلزمه وأمر بكحله [٣] . كذلك أمر المجاهد بتنفيذ عقوبة الكحل في جماعة من الخارجين عليه والمؤيدين لابن عمه الظاهر عبد الله بن المنصور منافسه على العرش [٤] . كذلك أمر الناصر بن الأشرف الثاني بكحل عيني أخيه حسين المنافس له على العرش فقبض عليه وأودعه سجن حصن ثعبات ، وأمر بكحل عينيه هناك [٥] .

٤- الإعدام

وكان يتم في عدة صور منها احتزاز الرأس بالسيف [٦] ، ومنها الشنق ، والتوسيط ، والتسمير . وقد نفذت هذه العقوبات في عدد كبير من جماعات المفسدين منها ما حدث زمن المجاهد عام ٧٢٦ هـ / ١٣٢٥ م ، حينما تم القبض

---

(١) ولعل ذلك النفي كان له ارتباط بامتناع بعضهم عن جلب المباشرة (الضمان) المطلوبة منهم (راجع : الخزرجي : *العقود* ، جـ ٢ ، ص ١٢٨ ، *الكفاية* ، ق ١٩٣) .

(٢) الخزرجي : *الكفاية* ، ق ٢٣٩ . ومما يذكر عن المعز إسماعيل بن طغتكين أنه سمل عيون بعض معارضيه بأصبعه . (أنظر : يحيى بن الحسين : *أنباء الزمن* ، ق ٢٦١) .

(٣) الخزرجي : *العقود* ، جـ ١ ، ص ٢١٦ . وراجع أيضاً عن العَصْر كإحدى العقوبات المتبعة في اليمن (بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن*، جـ ٢ ، ص ٢٢١ ؛ المقريزى : *السلوك* ، جـ ٤ ، ص ٧٧٢) .

(٤) بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، جـ ٢ ، ص ١٤٥ وكان غالبية من نفذت فيهم هذه العقوبة من أهل غمار وصنعاء،كما غرّق جماعة أخرى من المماليك الظاهرية.راجع الخزرجى : *الكفاية* ، ق ١٦٥ .

(٥) راجع عن ذلك ، وعن أمثلة أخرى ،الخزرجى : *الكفاية* ، ق ٢٣٥ ، ٢٣٩ ؛ ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٣٩٠ الخزرجى : *العقود* ، جـ ١ ، ص ٢٥٨ ، جـ ٢ ، ص ٤٥ .

(٦) الأفضل الرسولى : *نزهة العيون* ، ق ٢٠٦ ؛ الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، *الكفاية* ، ق ١٠٩ ، ١٩٥ .

على جماعة من المفسدين بزبيد ، فشنق بعضهم على باب الـوالى ثم أمسكوا " شيخهم ... في طائفة آخرين وحبسوهم حتى رجع الأمير فتولى أمرهم فشنق طائفة منهم وكحل طائفة أخرى [١] .

كذلك نفذت عقوبة التوسيط في بعض المعارضين للمعـز إسماعيـل بـن طغتكين الأيوبى [٢] ، كما أمر المجاهد بالقبض على ابن حسـين والى الكـدراء ، لسيرته السيئة في الرعية ، ثم أمر به " فوسط وقطع رأسه وطيف به " [٣] .

وطبقت عقوبات الشنق والتوسيط والتسمير في مجموعة أخرى من مشايخ القرشيين وأعوانهم من المفسدين وذلك في عهد الأفضل الرسـولى : فقـد أمـر السلطان الأفضل بإعدام الجميع وذلك بتوسيط خمسة أشخاص منـهم، وتسـمير ثلاثة وشنق الباقين [٤] .

وطبقت نفس العقوبة أى الإعدام تسميراً وتوسيطاً في عهد الأشرف الثانى الرسولى عام ٧٩٩ هـ / ١٣٩٦ م حيث نفذت في رجلين قتلا امرأة من ناحيـة قرية النويدرة الواقعة قرب باب سهام بزبيد ، وألقيا بجثتها في بئر بـين القبـور ، واختفيا عن الأنظار ، وأمعن والى المدينة في البحث عن الرجلين حـتى تم القـبض عليهما ، ثم كتب للسلطان يعلمه بأمر الجريمة ويطلب رأيه في العقوبـة الواجـب إنـزالها بالقاتلين فورد أمره بإعدامهما ، فأخرجهما الأمير من السـجن وسمرهمـا وأركبهما جملين ودار بهما في شوارع زبيد (تشهيراً بهما) ، ثم أخرجهما إلي قبر المرأة التى قتلت " وأمر بتوسيطهما هنالك وعلقهما على أربع خشبات حول القبر، وأقاما معلقين هنالك إلي آخر يومهما " [٥] .

---

[١] الخزرجى : العقود ، جـ ٢ ، ص ٤٥ ، راجع أيضاً عن تنفيذ عقوبة الشنق على بعض المخامرين على السلطان المجاهد (الخزرجى : الكفاية ، ق ١٦٥) .

[٢] يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ، ق ٢٦١ .

[٣] الخزرجى : العقود ، جـ ٢ ، ص ٤٠ ، العسجد ، ق ٢٠٦ ، وراجع عن تنفيذ عقوبة التوسيط أيضاً في زمن المجاهد : العقود ، جـ ٢ ، ص ٣٨ .

[٤] الخزرجى : العقود ، جـ ٢ ، ص ١٢٨ ، الكفاية ، ق ١٩٣ ، وانظر الخزرجى : العسجد ، ق ٢٢٣ عن عقوبة الشنق وتنفيذها في القاضى موفق الدين اليحيوى والطواشى بارع في عهد المجاهد ، أثناء تغيبه بالديار المصرية ، وقام بتنفيذ هذه العقوبة الطواشى أمين الدين أهيف ، المسيطر على مقاليد الأمور في البلاد آنذاك . وراجع أيضاً عن عقوبة الشنق: الخزرجى: العقود، جـ ٢، ص ٢٣٩ .

[٥] الخزرجى : العقود ، جـ ٢ ، ص ٢٣٩ ، الكفاية ، ق ٢٢٩ .

٥- التعـــزير

وهى عقوبة تأديبية لا تبلغ مبلغ الحد الشرعى ، وقد أوردت المصادر عدة أمثلة منها ما يذكره بامخرمة من أن ابن الأديب وهو أحد القضاة العدنيين طبق هذه العقوبة على بعض الأفراد من الرعية الذين أقدموا على مخالفة أوامره وضوابطه التى أمر بها ، وتتعلق بضرورة وجود مجموعة من الأمناء عند قيام الأهـــالى بتســـجيل وصاياهم للشهادة والتوقيع بصحة الوصية ، فأنكر عليهم ذلك وعاقـــب بعضـــهم بالحبس وغير ذلك من التعزير [١] .

كذلك طبق حد التعزير على أحد الفقهاء عـــام ٧١٨ هــــ / ١٣١٨ م ويدعى أبو محمد الحسن بن يحيى بن فضل وكان من أصحاب الوزير أبى بكر بـــن محمد بن عمر اليحيوى ، فلما هلك الوزير وتبدل حال أسرته ، أقدم ابن الأديـــب على مصادرة هذا الفقيه نكاية فى صحبته لهذه الأسرة ، فجرت عليه عدة أمور من حبس وتعزير وغيره [٢] .

---

(١) بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، جـ ٢ ، ص ٢٤٢ .

(٢) الخزرجى : العقود ، جـ ١ ، ص ٣٤٩ .

الفصل الرابع

النظام العسكرى

الفصل الرابع
النظام العسكرى

١- الجيـــــش

أ – عناصر الجيش
ب – الفرق العسكرية وأنواع الأسلحة
ج – التشكيل العسكرى للجيوش
د – الفنون القتالية
هـ – أتابك العسكر
و – إعداد الجيش اليمنى

٢- الأسطــــــول

١- الجيـــش

أ- عنـــاصر الجيش:

ازدادت عناية حكام اليمن في الفترة موضوع البحث بإعداد الجيش اليمني وفرقه إعداداً جيداً ، وذلك بغرض الاعتماد عليه في تمكين ســلطانهم في الـبلاد ، ودرء الأخطار المحدقة بهم ، وكانوا يعتمدون في تشكيل الفرق العسكرية على عدة عناصر منها العناصر التركية والكردية بالإضافة إلي طوائف المماليــك الــذين زاد الاعتماد عليهم بصفة خاصة في عصر دولة بني رسول [(١)] .

وبالإضافة إلي هذه العناصر السابقة ، اعتمد الجيش أيضاً على العنصر العـربي ونقصد به القبائل اليمنية التي عملت إلي جانب الأيوبيين والرسوليين ، وتختلف رؤيــة هذه العناصر القبلية في قبولها الدخول في رسوم الجندية فبعضها كان يعتبر الدخول فيها سبة وعيباً ، وبالتالي يرفضون قبول الأعطيات من خلالها ، والبعض الآخر كان يقبــل مرحباً الدخول في رسوم الجندية ، ويفضلها على ما سواها مــن الأعمــال ، وكـانوا يطالبون بالمزيد من الأعطيات في سبيل البقاء في الخدمة العسكرية وتعد قبيلة همدان على سبيل المثال من أشهر العناصر القبلية العربية التي قبلت العمل برسم الجندية ، مما جعــل حكام اليمن منذ عصر ما قبل الفتح الأيوبي للبلاد يقبلون على التعامل معها واجتــذابها للحرب إلي جوارهم [(٢)] ، وتشير المصادر في العديد من صفحاتها إلي تواجــد العنصــر العربي اليمني إلي جانب العناصر السابق الإشارة إليها ضمن فرق الجيوش اليمنية [(٣)] .

ب- الفرق العسكرية وأنواع الأسلحة

وكانت هذه العناصر تنضوي في فرق أو وحــدات عســكرية تتشــابه ونظائرها من الوحدات القتالية التقليدية في الجيش الإسلامي، والتي كانت تتكــون عادة من المشاة (الرجالة) والفرسان والرماة بأنواعها أي رماة الرماح والســهام

---

(١) ابن حاتم : السمط ، ص ٤٤١ ، الخزرجي : العسجد ، ق ١٢٢ ، ١٧٠ ، ٢١٢ ، العقود ، جـ ١ / ٢١٠ ، ٣١٧ - ٣١٨ ، الكفاية ، ق ١٥٩ ، ١٦٧ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص ٣١١ ، ٣١٤ .

(٢) مسلم اللحجي : مسلم بن محمد بن جعفر اللحجي (ت ٥٤٥ هـ / ١١٥٠ م) : تاريخ مسلم اللحجي (خ) بمكتبة د. محمد عبد العال الخاصة ، ق ١٤ ، ١٧ ؛ ابن حاتم : السمط ، ص ١٨ .

(٣) العمري : مسالك الأبصار ، ص ١٥٣ ، الخزرجي : العقود ، جـ ١ / ١٨٢ ، جـ ٢ / ٥٤ ، العسجد ، ق ١٢٥ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ص ٣١١ .

(القسى) والدبابيس والأقواس وغيرها ، بالإضافة إلي رماة المجانيق وغيرهم[١]. كذلك استخدم الجيش اليمنى أنواعاً أخرى من الأسلحة منها الطبر (السبلط أو الفؤوس) ، والعرادات [٢] ، وآلات تسلق الحصون كالأبراج المحمولة على العجلات [٣] واستخدم اليمنيون في العصرين موضوع الدراسة ألبسة وقائية منها البيض وهى الخوذ التى يرتديها الجنود على رؤوسهم لاتقاء ضربات العدو ، والتراس وتتخذ لاتقاء قذائف العدو [٤] والزرد وهى الدروع التى يرتديها الجنود على أجسادهم، والكزغندات وهو نوع آخر من السترات الواقية أقصر من الزرد وشاع استخدامها في عصر بنى رسول [٥] ، وكانت تلبس فوق الزرد [٦] .

---

[١] ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٣٩ ، ٤٠ ، ٦٣ ، ١٨٢ ، ٢٤٨ ، ٢٩٠ ، ٤٣٨ ، ٢٩٠ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ؛ عماد الدين إدريس : _تاريخ اليمن من كتاب كنز الأخيار_ ص ١٢٨ ، ١٣٨ ، ١٤٣ ؛ ابن بطوطة : _الرحلة_ ، جـ ٢ / ١٧٤ ؛ الخزرجى : _العسجد_ ، ق ١٢٤ ـ ١٢٥ ، ١٣٧ ، ١٤٠ ـ ١٤١ ، ١٧١ ، ١٨٧ ، ٢١٧ ؛ إدريس : _نزهة الأفكار_ ، ق ٩ ، ١٠ ، ١٢ . وقد استخدم المنجنيق في العديد من معارك الأيوبيين والرسوليين وبخاصة ما دار منها حول الحصون واستنزالها قهراً ، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر ما قام به سيف الإسلام طغتكين من استخدام المنجنيق في معاركه بشمال صنعاء ضد آل حاتم اليامى ، إذ نصبه في " جبل الظلمة " عند حصاره لحصن الفص ، واستولى عليه قهرا ، كذلك نصب اربعة مجانيق على حصن كوكبان فاخربت سوره فاضطر اهله لتسليمه صلحا ، كما نصبه عند حصاره لفده ورمى به حصنها " فاضر بمن فيها وتسلمها " (راجع : الخزرجى : _العسجد_ ، ق ٩٩ ـ ١٠٠ ، ابن الديبع : _قرة العيون_ ، ٢٧٩ . وأنظر أيضاً : ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٣٦ ـ ٣٧ ؛يحيى بن الحسين : _أنباء الزمن_ ، ق ٢٣٩) ، كذلك استخدم المنجنيق في عدد كبير من المعارك التى خاضها بنو رسول، من أمثلتها : حصار ذمار والاستيلاء عليها، وحصار المنافسين للمظفر على العرش في زبيد ، واستخدمت كذلك في ضرب وحصار حصن الخضراء في بلد الشوافى على عهد الأشرف الثانى الرسولى مما اجبر أهل الحصن على التسليم للعساكر السلطانية. كذلك صحبت حملة المظفر البحرية لفتح ظفار الحبوضى عام ٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م وكان عددها ستة منجنيقات . (راجع : ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٢٤٨ ، ٢٩٠ ، ٥١١ ؛ الخزرجى : _العسجد_، ق ٢١٧ ، ٢٨٠ ، _العقود_ ، جـ ١ / ١٨٣ ، ٢٣١) .

[٢] الخزرجى : _العقود_ ، جـ ٢ / ٢٣١ ؛ إدريس : _نزهة الأفكار_ ، ص ١٧٢ . والعرادات : آلة شبيهة بالمنحنيق ولكنها أصغر حجماً . (راجع : الشابشتى : _الديارات_ ، ص ١٣٥ ، هـ ١٠١) وقد استخدمت العرادات في دك الحصون في اليمن إبان العصر الأيوبى مثال ذلك قيام اهل حصن كوكبان برمى جيوش المعز اسماعيل الأيوبى بها عند حصاره لهم ، كما استخدمت في رمى حصن الخضراء زمن الرسوليين . (أنظر : ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٧٠ ؛ الخزرجى : _العقود_ ، جـ ٢ / ٢٣١ ، _العسجد_ ، ق ١٩٠ ؛ يحيى بن الحسين : _غاية الأماني_ ، ق ٢ / ٥٣٣) .

[٣] ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٧٠ ؛ إدريس : _نزهة الأفكار_ ، ق ١٧٢ .

[٤] ابن حاتم : _السمط_ ، ص ١٨٢ . وكانت هذه التروس تتخذ من جلود الحيوانات ، راجع الخزرجى : _العقود_ ، جـ ٢ / ٢١٢ .

[٥] ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٢٥٥ ؛ الخزرجى : _العقود_ ، جـ ١ / ١٨٣ ، جـ ٢ / ٢١٢ .

[٦] المقريزى : _السلوك_ ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٣٥٣ ، هـ ٤ .

وكان الجيش أيضاً يزود بالرواحل كالبغال والخيل والجمال لحمل المؤن والأزواد والجنود بالإضافة للخيام [1] ، كذلك ضم الجيش أحياناً بعض الفيلة [2] ، وكان يتقدم الجيش حملة الرايات والأعلام (السناجق) [3] كما كانوا يحملون الكوسات (الصنج النحاسية) لدقها قبيل الاشتباكات ، ويشير الخزرجي إلي ذلك عند حديثه عن خروج الملك المؤيد للقتال بقوله " وأشعر على العسكر بالزحف والقتال فدقت الكوسات الهزبرية وخفقت السناجق السلطانية فأشبهت البروق اللوامع " [4] ، وقد استخدمت هذه الآلات لإثارة حمية الجنود وحماستهم قبل الإقدام على الحروب ، واستخدمت أيضاً ومعها الطبلخاناه في الاستقبالات العسكرية [5] وامتد استخدامها للإعلان عن الفرحة بالنصر واستقبال الجيوش عند عودها مظفرة من ميدان القتال [6] .

وكانت تستخدم في بعض الأحيان بغرض تجميع الجنود والاستعداد لبدء الحرب والاستعداد أيضاً للرحيل ، فعند تجميع الجنود مثلاً كان قادة الفرق العسكرية وأمراء الجيش يرفعون الأعلام والرايات أثناء احتدام وطيس القتال لتجميع الجنود حولهم ، لكي يسهل عليهم إصدار الأوامر لهم بالتقدم لمواصلة القتال أو الانسحاب وغير ذلك من الخطط العسكرية التي تستجد أثناء المعركة . كذلك كانت هذه الرايات تساعد على معرفة أماكن تجمع كل فرقة فيهتدي الجند لأصحابهم ، ومن أمثلة ذلك ما رواه صاحب العسجد من حوادث عام ٥٩٩ هـ/

---

(1) ابن حاتم : السمط ، ص ١٩ ، ٩٩ ، ٢٩٠ ؛ الخزرجي : العقود ، جـ ١ / ١٨٣ ، جـ ٢ / ٢٣٠ ، العسجد ، ق ١٢٥ ، الكفاية ، ق ٢٢٥ .

(2) يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ق ١ / ٤٧٩ .

(3) كان شعار دولة بني رسول وردة بيضاء على أرضية حمراء (أنظر القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ ٥ / ٣٤) ، بينما ذكر العمري أنه راى السنجق اليمني في عرفات على عهد المجاهد الرسولي سنة ٧٣٧ هـ/ ١٣٣٧ م ، وهو أبيض اللون " وفيه وردات حمر كثيرة (أنظر : مسالك الأبصار ، ص ١٥٩) بينما كانت راية بني أيوب هي نفس رايتهم في مصر والشام صفراء اللون مطرزة بالذهب في رأسها خصلة من الشعر تعرف بالجاليش .

(4) الخزرجي : العقود ، جـ ١ / ٢٧٦ ، العسجد ، ق ١٧١ .

(5) الخزرجي : العقود ، جـ ١ / ١٧٤ ، ٢٦٥ .

(6) مثال ذلك ما حدث عند الاستيلاء على حصني ذيفان والميقاع عام ٦٩٨ هـ / ١٢٩٨ م ، حيث تم دخول الأعلام والرايات السلطانية فنصبت أعلى الحصنين (راجع : الخزرجي : الكفاية ، ق ١٣٣ ، العقود ، جـ ١/ ٢٦٣ ، العسجد ، ص ١٦٦ كذلك ضربت الطبلخاناه احتفالا بعودة المؤيد ظافرا في أعقاب استيلائه على حصن السانه ومجموعة من الحصون الأخرى ، فأستقبل عند دخوله زبيد بالأفراح ودق الطبول . (راجع : الخزرجي : العقود ، جـ ١ / ٣٠٥ ، العسجد ، ق ١٧٨) .

١٢٠٢ م،حينما تمرد الأكراد على الأيوبيين واستبدوا بمدينة زبيد وما وراءها من التهائم،فأمر الأتابك سيف الدين سنقر نائبه الأمير علم الدين وردسار بالنزول من صنعاء ومحاربتهم،فخرج وردسار في جيش كثيف والتقى بجموع الأتابك ونزلا سويا لمواجهة الأكراد الذين تحصنوا عند باب القرتب من زبيد،فلما التقى الجمعان حمل الأكراد على جيش الأتابك فالهزم ، بينما ثبت الأمير ورد سار عند الأعلام ورفعها لتجميع جيشه فاجتمعوا حوله من جديد ، وعاود الهجوم عند ذلك على الأكراد فكانت الهزيمة من نصيبهم " وقتل منهم مقتلة عظيمة " [١].

كذلك وجدت في الجيش اليمنى فرقة تعرف بالطلائع [٢] ويبدو من تسميتها أنها كانت تبرز في مقدمة العسكر لاستطلاع قوات العدو من حيث العدد والمعدات ومناطق التجمع واستكشاف خططه القتالية وكمائنه عن طريق بعض المناوشات السريعة،وذلك حتى يسهل لهم معرفة الخطط الملائمة لقتاله والانتصار عليه.كذلك استخدمت الجيوش إلي جانب الطلائع الجواسيس والعيون لاستطلاع أخبار العدو،ومن أمثلة ذلك قيام الإمام الزيدى عام ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م ببث العيون والجواسيس في سائر الجهات المحيطة بصنعاء وصعدة لاستطلاع أخبار الأمير ورد سار الأيوبى ورصد تحركاته استعداداً لتوجيه الضربات إليه،فأتاه الخبر بأن "غرضه المحطة على بُكُر"[٣]،ومن ذلك أيضاً إرسال المظفر الرسولى الطلائع والجواسيس لكشف أخبار الأمير فخر الدين بن رسول،"فأخبروه أنه على زبيد حاط،وأن ابن برطاس قد صار بزبيد"عند ذلك أعد المظفر الخطة المناسبة التى تعود عليه بالنصر،وبالفعل استطاع توجيه بعض أجناده الذين تمكنوا من القبض عليهما [٤].

وجدير بالذكر أن أعداء الدولة الرسولية نهجوا نفس النهج في محاربة الرسوليين ، من ذلك قيام بعض العناصر العربية من المعازبة الذين أرسلوا عدة من عيونهم وجواسيسهم لمعرفة تحركات الأشرف الثانى الرسولى ، وموعد قصده لبلادهم ، فتيقن الجواسيس من ذلك " فلما عزم السلطان على غزوهم جاءهم

---

(١) الخزرجى : العسجد ، ق ١٠٥ .
(٢) ابن حاتم : السمط ، ص ١٨٢ .
(٣) ابن حاتم : المصدر السابق ، ص ١٠٧ .
(٤) ابن حاتم :المصدر نفسه ، ص ٢٥١ .

جواسيسهم بالخبر فارتفعوا هاربين فلم يدرك منهم إلا من لا يؤبه له فقتل بعضهم وسلم الباقون " (١) .

وكان اليمنيون يشعلون النار أيضاً في قمم الأبراج كوسيلة من وسائل الإنذار والتحذير بقدوم العدو ، والإشارة بتجميع الجند والقبائل المحالفة استعداداً لبدء القتال،والتقدم لملاقاة العدو(٢)،كما استعملت الأبواق أيضاً لنفس الغرض(٣) .

ج- التشكيل العسكري للجيوش :-

استخدم الجيش اليمنى نفس التشكيل العسكرى الذى كان مستخدماً في جيوش غيره من الأمصار الإسلامية الأخرى ونعنى به توزيع فرق الجيش إلي ميمنة وميسرة وقلب ومؤخرة وطلائع أو مقدمة (٤) .

وقد ورد في السمط ما يشير إلي وجود بعض هذه التقسيمات في معرض الحديث عن إحدى المعارك التى دارت بين الأيوبيين والأشراف ، فيقول أن الأمير بدر الدين بن رسول رتب " الناس للقتال ميمنة وميسرة ووقف هو ومولانا الشهيد في القلب وقيل كان مولانا الشهيد في الميسرة ومعه على الميسرة سنقر ... ثم قَدَّم النبالين وهم أصحاب النشاب في أوائل العسكر كالطلائع " (٥) وعند الحديث عن حملة المظفر على مدينة ظفار الحبوضى واستعداد الجيش الرسولى لخوض المعركة وردت هذه التقسيمات خاصة الميمنة والميسرة والقلب فيذكر الخزرجى " أقبلت عساكر ظفار يقدمها سالم بن أدريس فلما رآهم العسكر المنصورة تأهبوا للقائه فصف لهم على بعد من المدينة وصفوا له . فكان الشيخ عبد الله بن عمر بن الجنيد وأصحابه في الميسرة وكانت الحلقة في الميمنة وكان شمس الدين ازدمر في القلب..... (٦) .

---

(١) الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ / ٢١٢ .وانظر أيضاً عن استخدام الجواسيس أو الأرصاد لرصد طرق العدو وتحذير الجيوش المعاونة ؛ ابن حاتم : *السمط* ، ص ٩٣ .

(٢) الخزرجى : *العقود* ، جـ ١ / ٩٨ ؛ يحيى بن الحسين : *أنباء الزمن* ، ق ٢٧٦ .

(٣) ابن حاتم : *السمط* ، ص ٤٣٩ .

(٤) ابن حاتم : *السمط* ، ص ١٨٢ ؛ ابن عبد المجيد : *بهجة الزمن* ، ص ٢٨٢ ؛ الخزرجى : *العقود* ، جـ ١ / ٣٤٨ ، *العسجد* ، ق ١٩٠ .

(٥) ابن حاتم : *المصدر السابق* ، ص ١٨٢ .

(٦) الخزرجى : *العقود* ، جـ ١/ ١٨٤، *العسجد*،ق١٤٧-١٤٨ .ويمكن القول بأن هذا التشكيل العسكرى كان استخدامه متاحاً بصورة أيسر وبشكل أوضح في المناطق السهلية المنبسطة التى تسمح=

د- الفنون القتالية :

وكان تركيز الهجوم على القلب أحد الفنون القتالية المستخدمة في المعارك اليمنية ، ويبدو أن لذلك دخلاً بتواجد القائد عادة في القلب ، ومن ثم يبدأ العدو بمحاولة اختراق القلب واقتحامه مما يؤدى إلي الإخلال بصفوف الجيش وبالتالى سرعة الهزيمة، وبخاصة إذا تمكن العدو من قتل القائد ، ومن أمثلة هذه الهجمات التي ركزت على فرق القلب ما ذكره الخزرجي عند حديثه عن الحرب التي دارت بين الأكراد والأتابك سنقر في عام ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م فيقول " فخرجت الأكراد إلي القرتب وصفوا هنالك فلما التقى الناس قصد فرسانهم القلب فتضعضع عسكر الأتابك وانهزم جل أصحابه ، وتثبت الأمير علم الدين وردسار عند الأعلام ثباتاً حسناً حتى أعاد الأكراد إلي مصافهم ثم كانت الهزيمة على الأكراد " [١] .

واستخدمت الجيوش اليمنية في بعض معاركها الخدع والمكائد الحربية ، خاصة إذا ما كانت القوات المعادية من الكثرة والكثافة العددية مما يتعذر معه الصمود أمامها أو مواجهتها قتالياً وجهاً لوجه، فيعمدون إلي تلك الحيل لإجبار الأعداء على رفع حصارهم عن المدينة والرحيل ، مثال ذلك ما حدث في معركة دارت رحاها عام (٧٧٢ هـ / ١٣٧٠ م) بين الرسوليين والأشراف الذين أرادوا مهاجمة مدينة حَرَض والاستيلاء عليها مستغلين غيبة السلطان المظفر في المناطق الشمالية من اليمن ، فلما بلغ أمير مدينة حرض ويدعى الأمير عزيز الدين الطنبغا عن طريق عيونه بأن الأشراف قادمون في جيش كثيف ، لم يتردد في اصطناع الحيلة والخديعة لمواجهة هذا الجيش ، وبادر بحفر الحفائر حول المدينة " لدرء شر العسكر الواصلين " فكانت حفراً أمثال الرُّبى ، الحفيرة قامة الآدمي ، وفتحها ذراع ونصف وجعل فيها سفافيد من الحديد طول كل سفود ذراع

= باصطفاف العسكر طبقاً لهذه التشكيلات والتى عرفت بطريقة الكراديس ، راجع : يحيى بن الحسين : *غاية الأماني* ، ق ٢ / ٥٣٥ والمقصود بالحلقة في النص السابق الفرقة العسكرية التى عُرفت في العصر المملوكى بأجناد الحلقة وهم محترفى الجندية من أبناء المماليك ، كما عُرفوا في مصر باسم آخر وهو " أولاد الناس " ، وكانوا أحراراً ومثلوا غالبية عدد الجيش زمن الحرب ، وأصحاب الحرف والصناعات وقت السلم . أى كانوا أشبه بالاحتياطى في الجيوش المعاصرة .
(راجع : أحمد مختار العبادى : *في التاريخ الأيوبى والمملوكى* ، ص : ٢٠٦)

[١] الخزرجى : *العسجد* ، ق ١٠٥

ونصف وأطعمها السم وجعل في كل حفيرة ثلاثة سفافيد منصوبة ، وهيأ الحفائر على ممار الطرق ، وباقى الحفائر لا سفافيد فيها ثم غطى هذه الحفر بالخصف وغيره وجعل عليه التراب حتى تغطت الحفائر ، فصارت من جملة الأرض " لا يتوهم المتوهم أن هنالك شيئاً " ، وحاول أحد أفراد جيش الأشراف التقدم إلي المدينة فوقع في إحدى هذه الحفائر " فدخل به سفود في فخذه ، فخرج من صلبه ، وحمل إلي معسكر الأشراف فلم يصل إلا ميتاً من السم الذى كان في السفود " ، عندئذ أدرك الأشراف استحالة اختراق هذه الحفائر لا سيما بعد ما رأوا سقوط أحد السائمة أيضاً في واحدة منها فهلك من فوره ، فارتفع حصارهم عن المدينة وعدلوا عن اقتحامها [١] .

كذلك أقدم نفس الأمير على استخدام خدعة أخرى لمواجهة حشود من العرب حاولت مهاجمة المدينة ، فعمد إلي دعم سور المدينة ، واتجه إلي الممرات والطرق المؤدية إلي السور من الخارج وألقى فيها حسكاً من حديد، الحسكة الواحدة " بأربع شوك يجمعها أصل واحد ، فإذا إلقيت الحسكة على الأرض وقفت على ثلاث من الشوك ، وبقى منها شوكة منتصبة ، وطول كل شوكة أصبع ، وسمم الشوك ، فحيث وقعت شوكة في الآدمى أو الدابة أتلفت للوقت ، ورمى الحسك على ممرات الطرق التى يكون السلوك فيها " [٢] .

كما استعملت الخديعة والحيلة أيضاً في استنزال بعض الحصون ، عندما يفشل المحاربون في الاستيلاء عليها ، من هذه الحيل التزوير الكتابى مثل ما فعله المظفر الرسولى عام ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م أثناء حصاره لحصن تعز [٣] وكان من بداخله موالياً لأخيه المفضل منافسه على العرش ، وعندما استحال عليه دخوله

---

(١) ابن حاتم : *السمط* ، ص ٤٤١ – ٤٤٣ . ومما ساعد على سرعة رحيل الأشراف وفكهم للحصار المضروب ، إقدام أمير المدينة على ردم آبار المياه بظاهر المدينة ، فيما عدا واحد فقط تركه دون ردم ، وعمد إلي تسميم مياهه بالزرنيخ والحشيش وغيره من المواد المخدرة ، فكان كل من شرب منه هلك سواء آدمى أو دابة ، فعدمت المياه لدى الجيش القادم وأشرف الجنود على الهلاك ، فاضطروا إلي الرحيل . (أنظر : ابن حاتم : *المصدر السابق* ، ص ٤٤٢ – ٤٤٥) .

(٢) ابن حاتم : *المصدر السابق* ، ص ٤٣٨ .

(٣) هذا الحصن ما زال قائماً حتى الآن ، وإن كان متشعث الأركان ويستخدم مستودعاً للذخيرة والعتاد، بينما اتخذ من بعض أجزائه مخازن للحبوب . (راجع : ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ١٩٢، هـ ٣ للمحقق) .

لحصانته ووثاقته ، لجأ إلي اصطناع الحيلة ، فيذكر الخزرجي " أنه قبض في يوم من الأيام بريداً جاء من المفضل ووالدته إلي أمير الحصن وَزمَّامه ... فلما قبض البريد أخذ ما معه من الكتب وفضها ، وأمر من زور على الخط حتى أتقنه " ثم كتب إلي أمير الحصن على لسان المفضل ووالدته أن يقبض على الزمام ويسجنه، وكتب إلي الزمام بمثل ذلك ، وجعلت أوراقه بين أوراق البريد ، ووهب للبريد ما أرضاه " وتقدم البريد بالكتب إلي الحصن ، فلما قبض الأمير والزمام على ما كتب به إليه ، همّ كل واحد منهما بصاحبه ، وكان متصافيين واطلع كل واحد منهما على ما عنده ، فاتفقا على أن يكتبا معا إلي المظفر ويتوثقا لأنفسهما منه ففعلا ، وسلما إليه الحصن " [1] .

ومما لاشك فيه أن ملوك بني أيوب وبني رسول حرصوا كل الحرص على امتلاك الحصون لأهميتها البالغة في الدفاع عن المدن ذات الطبيعة الجبلية مثل تعز وجبلة وغيرها ، وتعددت وسائلهم وأساليبهم في سبيل استنزال هذه الحصون وامتلاكها ، فمنها ما تم استنزاله قهراً بالسيف [2] ، ومنها ما كان يتم تسليمه صلحاً للنجاة من طول الحصار والقتل إذا ما تم الاستيلاء عليها بحد السيف [3] .

كما اتبع في استنزال بعض الحصون الأخرى أسلوب الشراء وخاصة بالنسبة لتلك الحصون ذات المواقع العسكرية الاستراتيجية التي تتيح لمن يتملكها

---

[1] الخزرجي:*العقود*،جـ ١/ ٩٢ ، *العسجد* ،ق ١٢٦ ــ ١٢٧؛ إدريس :*نزهة الأفكار* ، ق ٥٧ ــ ٥٨ .

[2] من امثلة ذلك ما لجا إليه السلطان المنصور نور الدين عمر بن رسول حينما فشلت مساعيه السلمية في انتزاع حصن منابر من الشريف يحيى بن حمزة وهذا الحصن يقع " في بلد السلطان مما يلي تهامة " حيث يطل جبل منابر المسمى الحصن باسمه على المهجم وهى من أملاك بنى رسول ، عند ذلك ارسل المنصور رسولا من قبله يعرض على الشريف استبدال منابر بحصن آخر مع تعويضه بعشرة آلاف دينار ، ولكن الشريف يحيى رفض ذلك العرض ، مما حمل المنصور على محاربته وتغلب عليه والاستيلاء على معظم حصونه ومنها حصن منابر . (راجع : ابن حاتم : *السمط* ، ص ٢٠٩ ــ ٢١٢ ؛ الخزرجى : *العسجد* ، ق ١١٦ ــ ١١٧ ، جـ ١ / ٦٢ ــ ٦٣ ؛ ابن الديبع: *قرة العيون* ، ص ٣٠٤) .
وانظر امثلة أخرى في : ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن على بن الكرم (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) : *الكامل في التاريخ* ، جـ ٩ / بيروت ١٩٧٨ م ، ص ١٢٣ ؛ ابن حاتم : *السمط* ، ص ١٧ ، ١٨ ، ٢٠؛ الخزرجى : *العسجد* ، ق ١٤١ ، ١٤٣ ، *الكفاية* ، ق ١١٠ ، ٢٣٩ ، *العقود* ، جـ ١ / ٦٨ ــ ٦٩ ؛ ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٢٦٧ ــ ٢٦٩ ، ٢٧٩ ، ٢٩٤ ؛ بامخرمة : قلادة النحر ، جـ ٣ ، ق ٨٠٠ .

[3] راجع عن ذلك عدة أمثلة في : ابن حاتم : *السمط* ، ص ١٩ ــ ٢٠ ، ٢٤ ، ٢٥ ؛ الخزرجى : *العقود* ، جـ ١ / ٥٥ ، ٧٣ ، *الكفاية* ، ق ٧٤ ، ٩٢ ، ١١١ ــ ١١٢ ، ١١٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢٢٤ ؛ ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٢٩٤ ، ٣٤٥ ؛ يحيى بن الحسين : *أنباء الزمن* ، ق ٣٤٢ .

التحكم في العدو المهاجم ، والإحساس بالأمان في موقعه لحصانة مواقعها ومناعتها الطبيعية فوق القمم الجبلية ، بحيث يتعذر ارتقاء الجيوش إليها ، والسيطرة عليها ، وتجنباً للهزيمة ، عمدوا إلي تلك الوسيلة وهى الشراء بالمال تفادياً لطول مدد الحصار وحقناً لدماء القوات فيما لا طائل من ورائه . ومن أشهر هذه الحصون التي آلت إلي الأيوبيين عن طريق الشراء حصن الدملؤة الذى اشتراه سيف الإسلام طغتكين بعشرة آلاف دينار ملكية [١] ، وحصن بُكُر الذى اشتراه الملك المسعود الأيوبى بعشرة آلاف دينار مصرية بعد أن استعصى عليه فتحه بعد حصار دام ما يزيد على ثمانية أشهر [٢] .

واستمر أسلوب شراء الحصون متبعاً طوال عهد بنى رسول فاستنزل كثير من سلاطينها عدداً من حصون اليمن بالشراء بعد أن عجزت الجيوش عن فتحها عنوة ، منها شراء المظفر لحصن ردمان [٣] ، كما استعاد أيضاً حصن كوكبان (شمال شرقى شبام) عام ٦٧٩ هـ / ١٢٨٠ م من الحواليين بمبلغ قدره اثنين وعشرين ألف دينار [٤] وحصن تُلُمص ودفع فيه المؤيد الرسولى ٥٠ ألف دينار للشريف سليمان بن قاسم [٥] .

وقد تمتنع بعض الحصون الأخرى عن التسليم صلحا أو شراء معتمدين في ذلك على مناعتها ، وعند ذلك يلجأ حكام اليمن إلي أسلوب الحصار طويل الأمد

---

(١) ابن حاتم : السمط ، ص ٣١ ، ١٤٤ ؛ الخزرجى : الكفاية ، ق ٤٧ ، ٧٩ ، ٨٠ ، العسجد ، ق ٩٨؛ إدريس : نزهة الأفكار ق ٨ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص ٢٧٧ ؛ يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ، ق ٢٣٦ ؛ محمد يحيى الحداد : تاريخ اليمن السياسى ، ص ٢٢٢ .

(٢) ابن حاتم : السمط ، ص ١٧٤ ــ ١٧٥ ؛ الخزرجى : العسجد ق ١٠٩ ، الكفاية ، ق ٨٨ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص ٢٩٤ . وراجع أمثلة أخرى لشراء الحصون في : السمط ، ص ١٠٨ ، ٥٣٥ ، ٥٣٨ . والحصن يحاذى حصن كوكبان ، راجع : المقحفى ، معجم المدن ، ص ٥٥ .

(٣) الخزرجي : الكفاية ، ق ١١٧ . (وحصن ردمان يقع في عزلة الشرقى من بلاد المحويت راجع : المقحفى : المرجع السابق ، ص ١٧٦) .

(٤) الخزرجى : الكفاية ، ق ١٢٠ ، العقود ، جـ ١ / ١٨٩ ؛ إدريس : تاريخ اليمن "كنز الأخيار" ، ص ١١٢ . كذلك اشترى المظفر عددا آخر من الحصون الهامة مثل حصن الجاهلى بحجة واشتراه من الشريف أحمد بن قاسم القاسمى ، وحصنى المصنعة وعزاف وانعم على صاحبيهما بثلاثين ألف دينار ، كما تسلم حصن اللجام بعد شرائه من اولاد أحد الأمراء الحمزيين . (راجع : الخزرجى ، العسجد ، ق ١٣٩ ــ ١٤٠ ، العقود ، جـ ١ / ١٣٩ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص ٣٢٧) .

(٥) الخزرجى : العسجد ، ق ١٧١ . وراجع ايضا أمثلة أخرى تشير إلي أسلوب شراء الحصون فى : الخزرجى : العسجد ، ق ١٢٩ ، ١٤٢ . أما حصن تُلمص فهو حصن مشهور في بلاد سحار من أعمال صعدة ، كانت تقوم في سفحه مدينة صعدة القديمة (راجع : المقحفى بمعجم المدن، ص ٧١) .

لهذه المعاقل دون الدخول معهم في قتال مباشر فيمنعون عنهم المؤن والماء ، وعندما تنفذ المؤن ، يضطر الأهالي إلي تسليم الحصون دون قتال ، أو بعد قتال واهن ضعيف ، خوفاً من الهلاك ، وبذلك ينجح الجيش المحاصر في تحقيق هدفه واستنزال الحصن ، ومن أبرز الأمثلة على ذلك إقدام سيف الإسلام طغتكين على حصار حصن السواء مدة طويلة ، أصيب خلاله أهل الحصن بمرض وبيل أشرفوا منه على الهلاك فسلموه [١] ، كما حاصر حصن قيظان لمدة تسعة أشهر ، حتى سلمه أهله بالأمان [٢] كذلك أحكم الحصار على حصن دروان لمدة خمسة أشهر حتى عدم الماء لديهم فاضطر أهل الحصن إلي تسليمه [٣] .وحاصر سيف الإسلام حصن حب [٤] ، قريباً من سنة حيث بدأ الحصار في ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م ، فلم يدرك منه أربا في هذا العام ، وكان قد عزم على الخروج لآداء فريضة الحج فترك على حصاره أحد أمرائه وهو الهمام أبا زبا ، " وأمره أن يحصر من فيه ويضيق عليه فوقف هنالك " ، حتى عاد طغتكين من الحج فاشتد الحصار بقدومه ووقف يواصل الزحف كل يوم حتى استولى عليه عنوة في عام ٥٨٢ هـ / ١١٨٦ م ، وقتل معظم سكانه [٥] . كذلك فعل الرسوليون مع أهل حصن ذى مرمر عام ٦٦١هـ/ ١٢٦٢ م حينما عرضوا عليهم مائة ألف دينار وعدة حصون أخرى مع إطلاقات جيدة من الكساوى والإنعامات، فلم يقبلوا تسليم الحصن فحاصروهم مدة حتى أشرفوا على الهلاك لمرض أصابهم ، وأهلك طائفة منهم في مدة يسيرة ، " فطلبوا الذمة والرفاقة لما أصابهم من الجهد والمشقة " وقاموا بتسليم الحصن [٦] .

---

(١) ابن حاتم : *السمط* ، ص ٢٤ ؛ الخزرجي : *العسجد* ، ق ٩٦ .

(٢) الخزرجي : *العسجد* ، ق ٩٧ ؛ ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٢٧٥ ؛ يحيى بن الحسين : *أنباء الزمن* ، ق ٢٣٥ ؛ أما الحصن : فهو أحد الحصون الخربة الآن ويقع في جبل بني الحارث من بلاد يريم ؛ راجع : المقحفي : *معجم المدن* ، ص ٣٤٠ .

(٣) يحيى بن الحسين : *المصدر السابق* ، ق ٢٣٥ . (ويقع الحصن في جبل دروان بيحصب في شمال اليمن قرب حجة ؛ راجع : المقحفي ، *المرجع السابق* ، ص ١٥٦) .

(٤) حصن حب من امنع معاقل اليمن وأصعبها مرتقى ويقف منتصبا في سُرة جبل بعدان ؛ راجع : المقحفي : *معجم المدن* ، ص ١٠٤ .

(٥) ابن حاتم : *المصدر السابق* ، ص ٢٥ ــ ٢٦ ؛ الخزرجي : *العسجد* ، ق ٩٧ ؛ ابن الديبع : *المصدر السابق* ، ص ٢٧٥ ــ ٢٧٦ .

(٦) الخزرجي : *الكفاية* ، ق ١١٢ ، وانظر أيضا : *العقود* ، جـ ١ / ١٣٠ ، ١٣٤ ، ويذكر الخزرجي ان السلطان أنعم على أهل ذى مرمر في أعقاب التسليم بمبلغ قدره ٢٦ ألف دينار وتصدق عليهم بحصن فدة . (راجع : *العقود* ، جـ ١ / ١٣٤) .

ومن الأساليب العسكرية التي شاعت أيضا في ذلك العصر " المصالحات العسكرية " وقد استخدمت هذه المصالحات لعدة أسباب منها عـدم التوصـل في الحرب الدائرة بين الطرفين إلي نتائج حاسمة ، بعد أن استمر التقال مدة طويلة، أو تجنباً من البداية للمصادمات العسكرية بين الطرفين ، وقد تعقد المصالحات نظـراً لإيمان أحد الأطراف بأنه لا قبل له بملاقاة الطرف الآخـر أو الانتصـار عليـه ، فتحاشياً لوقوع الهزيمة إذا ما حدث الصدام توقع هذه المصـالحات العسـكرية ، وقدي يتم التصالح أيضاً نتيجة نفاذ المؤن وغيرها من مواد الحـرب فيقـدم أحـد الطرفين على الصلح حقناً لدماء جنده وأهل الحصن . وتتم هذه المصالحة عادة إما بدفع مبالغ نقدية وأخرى عينية ، أو يتم الاتفاق فيها على اقتسـام البلـدان بـين الأطراف المتحاربة .

من هذه المصالحات ما حدث عام ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م ، حينما طالـت الحرب بين سيف الإسلام طغتكين والسلطان على بن حاتم اليامى ، فأدرك الأخير أن الهزيمة لا محالة واقعة أمام هذا الملك الذى دانت له البلاد بالطاعة [١] واسـتطاع " الاستيلاء على كل حصن " [٢] ، فعند ذلك أمر ابن حاتم رعاياه بـالخروج إلي حيث يمتنعون عن وطأة الجيش الأيوبي ، وَسيَّر ابن عمه القاضى حاتم بـن أسـعد رسولاً إلي طغتكين للمصالحة ، فصالحه على ثمانين ألف دينار حاتمية ومائة حصان في سنة واحدة [٣] . وُجِّدد الصلح لمدة سنة ثانية على نفس القيمة [٤] . وبعد انتهاء مدة الصلح تقدم الملك العزيز طغتكين يريد صنعاء ، فسأله على بن حاتم اليـامى على لسان رسوله وابن عمه السابق ذكره التوقف عن الزحف إلي صنعاء مقابـل ٣٠ ألف دينار وثلاثين حصاناً ، وجملتهم من الرهائن يودعون عند الملك العزيز [٥] . وتجددت الحرب ثانية بين الطرفين عقب انتهاء فترة الصلح ، فتجـدد الحصـار وازدادت الرتب العسكرية التي وضعها سيف الإسلام لحصار بلاد السلطان على بن

---

(١) الخزرجى : العسجد ، ق ٩٧ .
(٢) ابن حاتم : السمط ، ص ٢٧ .
(٣) ابن حاتم : المصدر السابق ، ص ٢٧ ؛ الخزرجى : المصدر السابق ، ق ٩٧ ؛ إدريس : نزهة الأفكار ، ق ٨ .
(٤) ابن حاتم : نفسه ، ص ٢٨ .
(٥) ابن حاتم : نفسه ، ص ٣٢ ؛ الخزرجى: العسجد ، ق ٩٩ .

حاتم وحصونه،حتى عاني الجميع من الإرهاق بعد حرب دامت ٤ سنوات،استنـزفت الكثير من قدرات الملك العزيز بسبب كثرة الإنفاق عليها ، كما نال الإرهاق من أهـل الحصون وقاربت مؤلهم على النفاذ ، لا سيما الحطب المستخدم في الوقود . عند ذلـك اتفق الطرفان على المصالحة ، وكان من شروطها أن يسلم طغتكين للسلطان علي بـن حاتم خمسمائة دينار وخمسمائة كيلجة كل شهر باعتبارها جامكية مقابل ألا يكون لابن حاتم بلد ، فأجاب بن حاتم على ذلك وصالحه وأقسم علىا الوفاء بذلك [١] .

ومن المصالحات أيضاً مصالحة اقتسام البلدان،ومن أمثلتها المصالحة التي تمت بين الأمير وردسار أمير صنعاء الأيوبي ، والإمام الزيدى عبد الله بن حمزة ، بعـد أن دارت الحرب سجالاً بين الطرفين دون الوصول لنتائج حاسمة ، فاتفق الطرفان على عقد الصلح مقابل أن يحمل الإمام للأمير في كل سنة مائة حمل موقرة حديداً من صعدة ، وعشـرة خيول [٢] ، كما تمت الموافقة على ترسيم الحدود على البلاد التابعة لكل منهما على أن يكون البونان الأسفل والأعلى للأمير ، والظاهران والجوفان وصعدة للإمام، وظلت هذه المصالحة العسكرية سارية المفعـول بـين الطـرفين إلي أن تـوفى الأمـير وردسـار عام ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م [٣] .

ومن الأساليب العسكرية التي شاعت في هذا العصر بذل الأموال للجند إغراءً لهم بالتقاعس في الدفاع عن الحصن أو لفك حصارهم عنه،مثال ذلك ما حدث عنـد حصار قوات المجاهد الرسولي لحصن الدملؤة،الذى تحصن به ابن عمه الظاهر عبـد الله الخارج عليه[٤]،وكان لحصانه هذا المعقل أثرها البالغ في صمود الظاهر وازدياد منافسـته على العرش ومحاولة اغتصابه من ابن عمه المجاهد الرسولي،إثر احتراز الظاهر به وتحصـنه بداخله،فاستعصى على القوات المجاهدية اقتحام هذا المعقل،و لم يتمكن المجاهد من ذلـك إلا عن طريق إغراء القوة المرتبة التي أوكل إليها أمر الدفاع عن الحصـن بالمال،فبـاعوه لأعوان المجاهد فكان ما بذل فيه حوالى سـتة آلاف دينـار ملكيـة بخـلاف الخلـع والكسوات [٥] .

---

[١] ابن حاتم :نفسه ، ص ٤١ ؛ الخزرجي :نفسه ، ق ١٠٠ ؛ ابن الديبع :قرة العيون ، ص ٢٨٠ ؛ ادريس : المصدر السابق ، ق ١٠ ـ ١١ .

[٢] راجع أبن حاتم : السمط ، ص ١٠٣ حيث يذكر عشرين راسا من الخيل .

[٣] ابن حاتم:السمط،ص ١٠٢ ـ ١٠٣ ،الخزرجي:العسجد،ق ١٠٦ ،ابن الديبع:قرة العيون،ص ٢٨٩ .

[٤] وهو ذات الحصن الذى احترزت فيه أرملة المنصور نور الدين عمر بن رسول ، ومعها ولدها المفضل المنافس لأخيه المظفر على عرش البلاد . الخزرجي : العقود ، جـ ١ / ٩٢ ، ٩٨ .

[٥] الخزرجي : المصدر السابق ، جـ ٢ / ٤٨ .

ومن هذا العرض السابق يتبين لنا مدى الأهمية التي أولاها حكام اليمن لتلك الحصون والمعاقل الجبلية لكونها وسيلة ذات خاصية دفاعية هائلة ، وقد أهلتها للقيام بهذا الدور الطبيعية التضاريسية لبلاد اليمن ، حيث قامت هذه الحصون على قمم المرتفعات الجبلية الشاهقة ما زاد في مناعتها وصعوبة الوصول إليها ، وقد انتشرت هذه الحصون بكثرة هائلة في العديد من المدن اليمنية ذات الطبيعة الجبلية وفوق الكثر من قمم الجبال المشرفة على تلك المدن [1] . ويذكر د. مصطفى شيحة أن هذه القلاع والمعاقل اليمنية تتوافر بها معظم العناصر المعمارية المميزة للقلاع من حيث الأسوار الدائرة عليها ، والخنادق المتقدمة لهذه الأسوار والتي تعد بمثابة خط دفاع أمامي ، ثم الأبراج المكتنفة لهذه الأسوار والمخصصة للمراقبة والاستطلاع أيضاً ، ثم مزاغل السهام التي تتخلل جدران هذه الأسوار والأبراج ، بالإضافة إلي المخازن اللازمة لتخزين المؤن والعتاد ، وصهاريج المياه وغير ذلك مما يلزم المدافعين عن الحصن من وسائل الإقامة والمعيشة ، كحجرات الإقامة والطواحين والمعاصر والمصلى [2] .

ونضيف إلي هذه الحصون واستخدامها كوسيلة دفاعية هامة ، بدنات الأسوار بما يكتنفها من أبراج ، والخنادق التي تتقدم هذه الأسوار ، والتي أقدم حكام اليمن على إحاطة المدن اليمنية بها كإحدى الوسائل الدفاعية التي تعوق تقدم القوات المعادية ، وتسبغ على هذه المدن الحصانة اللازمة للتصدى لأى عدوان خارجي ، من ذلك على سبيل المثال . مدينة زبيد [3] التي أدار العزيز طغتكين

---

[1] نستدل على الكثرة العددية لهذه الحصون مما ذكره المقريزى في أحداث عام ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م، حيث يشير إلي ورود كتاب سيف الإسلام طغتكين إلي الديار المصرية يتضمن ما يشير إلي أنه فتح باليمن ١٧٠ حصناً . (راجع : _السلوك_ ، جـ ١ / ٨٨ - ٨٩) .

[2] مصطفى شيحة : _مدخل إلي العمارة والفنون الإسلامية في الجمهورية العربية اليمنية_ ، القاهرة ١٩٨٧ م ص ١٨ و هـ ٣ .وجدير بالذكر أن بعض هذه القلاع والمعاقل يعود بناؤه إلي عصر ما قبل الإسلام ، وأعيد ترميمه واستخدامه في العصر الإسلامي . (راجع أيضاً : محمد يحيى الحداد : _تاريخ اليمن السياسي_ ، ص ٩٠) .

[3] جدير بالذكر أن المدينة كان عليها سور واحد تتفتح فيه أربعة أبواب في ق ٤ هـ / ١٠ م (راجع المقدسي : _أحسن التقاسيم_ ، ص ٨٤) ، ثم جدده الحسين بن سلامه ، ثم أدار عليها الوزير من الله الفاتكي سورا ثانيا في أوائل ق ٦ هـ / ق ١٢ م ، ثم أقام ابن مهدى السور الثالث . (راجع : ابن الديبع : _الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد_ ، تحقيق د. يوسف شلحد ، بيروت ١٩٨٣ ، ص ٤٩) . وكان يكتنف هذا السور طبقا لما ذكره ابن المجاور مائة وتسعة أبراج ، يفصل بين كل برج وأخر ثمانون ذراعا . (راجع : _المستبصر_ ، ص ٧٤) .

حولها سوراً جديداً عام ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م [1] . ثم أمر المجاهد الرسولى بعد ذلك في عام ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨ م بتجديد هذا السور وعمارة أبواب المدينة وحفر خنادقها ، واستغرق هذا التجديد للتحصينات الدفاعية لمدينة زبيد ، الذى شمل كافة دفاعاتها قرابة ثلاث سنوات حيث يحدد الخزرجى عام ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م تاريخاً للفراغ من هذه العمارة فيقول " وفي سنة احدى وأربعين وسبعمائة انقضت عمارة سور زبيد وجددت الأبواب الثمانية وزخرفت شراريعها[2] حتى كانت كالنجم الزاهر " [3] . ثم قام الأفضل بن المجاهد بتجديد السور المجاهدى مرة أخرى بعد أن تهدم، كما طهر خنادقها من الرواسب التى طمرتها وبذل في ذلك أموالا طائلة، واستخدم الأفضل الآجر في بنيانه هذه المرة ، بعد أن كان مبنياً في كل المرات السابقة باللبن والطين ، يدلنا على ذلك ما ذكره ابن الديبع حيث يقول "....ودرب مدينة زبيد بالآجر ، بعد أن كانت قبله مدربة باللبن ، فدربه الذى يظهر الآن للناظرين ، واللبن من داخله ، و لم يزل على بنائه إلي تاريخنا هذا (عصر ابن الديبع) ، إلا أنه قد تخرب منه مواضع وتصلح " [4] .

---

(١) وكان بناء هذا السور من اللبن والطين وركب عليه اربعة ابواب ، وكانت الأبواب والشراريف من الأجر ، وترتفع في الهواء مقدار عشرة أذرع . والأبواب هى باب الشبارق في الشرق وباب سهام في الشمال ، وباب النخل أو غلافقه في الغرب ، وباب القرتب في الجنوب . وكان عرض السور حوالى عشرة أذرع . (راجع : ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ٧٤ ؛ ابن الديبع : *الفضل المزيد* ، ص ٤٩) . كما يذكر ابن المجاور أن طغتكين أراد أن يدير حول المدينة سوراً ثانياً طويلاً وواسعاً وأن يسكن الجند فيما بين السورين بدوابهم وأموالهم ، ولكن الموت عاجله بعد الفراغ من بناء السور الأول . (راجع : *المستبصر* ، ص ٧٤ ، ابن الديبع : *الفضل المزيد* ، ص ٥٣ ، ٨٤ ؛ الخزرجى : *العسجد* ، ص ١٠٠) . كذلك جدد طغتكين سور مدينة صنعاء بعد أن خرب (راجع : الخزرجى : *العسجد* ، ق ١٠٠) وسور صنعاء كما هو معروف يرجع بناؤه إلي عصر ما قبل الإسلام ، وأعيد تجديده في العصر الإسلامى، ويتخلل هذا السور عدد من الأبراج ، وكان ينفتح فيه اثنى عشر مدخلا، بالإضافة إلي مجموعة أخرى من الأبواب الداخلية ، وكان السور في أجزاء كثيرة منه مشيداً من كتل من القوالب اللبنية فوق كتل حجرية غير مستوية ؛ راجع : مصطفى شيحة : *المرجع السابق* ، ص ١٩) .

(٢) الخزرجى : *الكفاية* ، ق ١٧١ حيث وردت " شراريفها " .

(٣) الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ / ٦٤ ، ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٣٦١ ، وله : الفضل المزيد ، ص ٩٧ ، وقام بالإشراف على العمارة المجاهدية لتحصينات زبيد الدفاعية الأمير شجاع الدين عمر بن عثمان بن محيا وكان يشغل منصب امير المدينة ومشدها وناظرها . (أنظر أيضاً : الخزرجى : *الكفاية* ، ق ١٧١ حيث يجعل عام ٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م تاريخاً لانتهاء العمارة المجاهدية لزبيد) .

(٤) ابن الديبع : *الفضل المزيد* ، ص ١٠١ وذكر أن القائم بالعمارة الأفضلية كان الطواشى أهيف المجاهدى . أنظر أيضاً لنفس المؤلف : *قرة العيون* ، ص ٣٧٦ ؛ الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ / ١٣٥ ، *الكفاية* ، ق ١٩٦ .

وتتابعت الاهتمامات الرسولية بمدينة زبيد واستحكاماتها الدفاعية ، فنجد الأشرف الثاني يأمر في الفترة ما بين عامى ٧٩٠ – ٧٩١ هـ / ١٣٨٨ م بتجديد حفر خنادق زبيد وإزالة ماردم منها لاسيما الخندق الثانى الذى طمره الطواشى أهيف ، كما أصدر أوامره بتفقد السور الثانى المطل على الخندق الثانى وعمارة ما تشعت منه فجددت عمارته [١] ثم تجددت أسوار زبيد مرة ثانية على عهد الظاهر يحيى عام ٨٣٣ هـ / ١٤٢٩ م [٢] .

وامتدت الاهتمامات بالاستحكامات الدفاعية إلي مدينة ثَعَبات (وهى إحدى محلات تعز الثلاث) والمخصصة لإقامة السلطان الرسولى، فنجد المجاهد الرسولى يأمر بإحاطتها بسور مانع ، وكانت ثَعَبات قبل ذلك عَورة بدون سور ، كما يرجع إليه الفضل في ازدهارها العمرانى بفضل ما أقامه فيها من عمائر مختلفة وبساتين متعددة[٣] .

وينسب إلي الأشرف الثانى تجديد بنيان سور مدينة الجَنَد وكان قد اندرس ولم يبق له أثر ، فأعاده على الحالة الأولى بحيث فاق سورها القديم ، وتم الفراغ من عمارة هذا السور عام ٧٩٣ هـ / ١٣٩٠ م [٤] .

هـ- أتابك العسكر:

أما عن القيادة العامة للجيش في الفترة موضوع البحث ، فكان يتقلدها في عهد الأيوبيين ملوكهم الأقوياء كالمعظم توران شاه والعزيز طغتكين [٥] والمعز إسماعيل بن طغتكين ، ولم تلبث هذه القيادة أن ضعف أمرها بعد وفاة المعز بن طغتكين، وبدءاً من عصر الناصر أيوب بن طغتكين الذى كان صغيراً ، فبدأت سلطة أتابكة العسكر في الظهور بوضوح وأحكموا سيطرتهم على مقدرات الأمور

---

[١] ابن الديبع : _الفضل المزيد_ ، ص ١٠٤ ؛الخزرجي : _العسجد_ ، ق ٢٦٢ .

[٢] بامخرمة : _قلادة النحر_ ، ق ١١٠٤ (وراجع : الخزرجى: _الكفاية_ ، ق ٢٤١ حيث يرجع تاريخ هذه العمارة إلى عام ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨ م) .

[٣] الخزرجى : _العقود_ ، جـ ٢ / ١٠٦ .

[٤] الخزرجى : _المصدر السابق_ ، جـ ٢ / ١٨٧ ، _الكفاية_ ، ق ٢١٣ .

[٥] شغل الأمير شمس الدين على بن رسول جد الرسوليين الذى دخل اليمن صحبة طغتكين وظيفة أمير الجيش ،ولكن لم يكن له من النفوذ والسيطرة ما صار لأتابكة العسكر بعد ذلك ولعل السبب في ذلك يرجع إلي قوة الجالس على دست الملك الأيوبى آنذاك(راجع _الخزرجى_،ق ١١٣ ،_الكفاية_،ق ٩١) .

في البلاد وعلى رأسها الجيش الذى تولوا قيادته ، وأولهم في هذا الشأن الأتابك سيف الدين سنقر الذى سيطر على مُلك الأيوبيين في اليمن في الفترة التى تلت مقتل المعز من ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م حتى تاريخ وفاته هو سنه ٦٠٨ هـ / ١٢١١ م[١] ، واستمرت السلطة الفعلية منذ تلك الفترة في أيدى أتابكة العسكر ومن بينها بطبيعة الحال قيادة الجيش، ومن أشهر أتابكة العسكر أيضاً الأمير غازى بن جبريل الذى تولى أتابكية العسكر بعد وفاة سنقر [٢] ، ومنهم المجاهد أتابك البلاد في الفترة التي خلت من سلطان للبلاد إثر وفاة الناصر أيوب مسموماً [٣] ، كذلك شغل نفس المنصب المنصور نور الدين عمر بن رسول في عهد الملك المسعود الأيوبى [٤]، واستحوذ بعد ذلك على مُلك الأيوبيين بعد وفاة المسعود ، واستقل به مؤسساً لدولة بنى رسول .

أما في عهد الرسوليين فنجدهم لا يهتمون في بداية عهدهم بتعيين قائد للجيش أو أتابك للعسكر،ولعل مرجع ذلك ، الخوف على سلطتهم أن تنهار أمام أصحاب هذا المنصب وخاصة أنهم جاءوا إلي دست السلطنة عن طريق اعتلاء هذا المنصب العسكرى الهام،ومن ثم كان الملك أو السلطان يتولى قيادة الجيش بنفسه في العديد من المعارك،أما في حالة الاشتباكات الصغيرة والمعارك البسيطة فكان يقوم بهذا الأمر أحد أبنائه نيابة عنه [٥]،أو بعض الأمراء من الولاة والمقطعين كل في ولايته وإقطاعه [٦]،وقد يمدهم بمجموعة من القوات السلطانية وغيرها من فئات العسكر إن تطلب الأمر ذلك[٧].وكان يحدث في بعض المعارك الكبيرة أن يتخلى السلطان عن قيادة قواته،ويستعيض عن ذلك بتعيين عدد من الأمراء على الفرق المختلفة للجيش،ويسند القيادة العامة لبديل عنه،ومن أمثلة ذلك ما فعله المظفر

---

(١) راجع بالتفصيل عن تلك الفترة : ابن حاتم :السمط ، ص ٨٤ – ١٤٧ .
(٢) ابن حاتم :السمط ، ص ١٤٨ – ١٥٤ .
(٣) ابن حاتم :السمط ، ص ١٥٤ .
(٤) ابن حاتم :المصدر السابق ، ص ١٩٣ – ١٩٥ ؛ الخزرجى :العسجد ، ق ١٠٩ ،الكفاية، ق ٨٨ .
(٥) راجع : ابن الديبع :قرة العيون ، ص ٣٢٨ ، حيث تولى الأشرف بن المظفر قيادة العسكر عام ٦٦٤ هـ / ١٢٦٥ م عندما خرج على رأس الحملة الرسولية المتجهة إلي حصون المخلافة بحجة .
(٦) الخزرجى :الكفاية ، ق ١٥٩ ، ١٩٩ ، وأحيانا كان الوزير يخرج على رأس بعض التجريدات العسكرية (راجع : الخزرجى :العقود ، جـ ٢ / ١٤٣) .
(٧) الخزرجى :الكفاية ، ق ١٥٨ ، ١٥٩ .

الرسولى عند تسييره لحملته الكبرى على ظفار الحبوضي عام ٦٧٨هـ / ١٢٧٩م، فنجده يعين مجموعة من القادة الفرعيين على فرق الحملة المختلفة ، بينما يسند القيادة العامة للحملة للأمير شمس الدين أزدمر الذى لقبه " بالمقدم على الجميع"[١]، وهذه القيادة العامة كانت قيادة مؤقتة تنتهى بانتهاء الغرض والهدف الذى عين بسببه في هذا المنصب ، بعكس الأتابكية التي كانت تمثل قيادة دائمة .

ثم بدأت وظيفة أتابك العسكر في الظهور مع بداية عهد المؤيد الرسولى وعهد ولده المجاهد على،وتزودنا المصادر بأسماء من تولى هذا المنصب وأشهرهم على الإطلاق الأمير علاء الدين كشدغدى،الذى نظم للمؤيد ترتيب الجيش الرسولى على غرار الجيوش المماليكية في الديار المصرية،ففوض إليه نيابة السلطنة والأتابكية على العساكر المنصورة،"وتقدم في هذه الوظيفة تقدماً لم يسمع بمثله[٢] " وظل الأمير كشدغدى في منصبه حتى توفى ٧٢٠ هـ/ ١٣٢٠م[٣]،فأسند المؤيد وظيفة أتابكية الجند للأمير جمال الدين يوسف بن الجواد[٤]،الذى عزله المجاهد عند توليه السلطنه عام ٧٢١ هـ/ ١٣٢١م بالأمير شجاع الدين عمر بن يوسف بن المنصور،وأصدر له بذلك مرسوماً قرئ على رؤوس الأشهاد بدار المضيف بتعز[٥] ، وتولى المنصب بعده أمير آخر يدعى الزعيم (ت ٧٣١ هـ/ ١٣٣٠م)،تعاظم نفوذه،هو وسابقه في منصب أتابكية العسكر للحاجة إلي جهودهما في الصراع الذى دار بين الملك المجاهد ومنافسيه على العرش ونعنى بهما المنصور أيوب عم المجاهد،ثم ابنه الظاهر عبد الله ، ويتضح هذا النفوذ المتزايد للأتابك في هذه الفترة في قول الخزرجى عن الزعيم"كان هو الغالب على أمر السلطان"[٦].ويبدو أن هذا النفوذ الذى ناله الزعيم والمكانة السامية التي شغلها عند

---

(١) الخزرجى : *العقود* ، جـ ١ / ١٨٢ – ١٨٣ ، الكفاية ، ق ١١٨ ، *العسجد* ، ق ١٤٧ ؛ ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٣٢٩ .

(٢) الخزرجى : *العقود* ، جـ ١ / ٣٤٨ ، ٣٥٢ ، *الكفاية* ، ق ١٥٢ ، وراجع أيضا ابن عبد المجيد : *بهجة الزمن* (تحقيق حجازى) ، ص ١٢٩ ، ١٣١ .

(٣) الخزرجى : *العقود* ، جـ ١ / ٣٥٤ .

(٤) الخزرجى : *العقود* ، جـ ١ / ٣٥٨ .

(٥) الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ / ص ١٣ . والأمير شجاع الدين هذا هو حفيد النقيب منصور الذى كان معاصرا للمظفر الرسولى وشاركه في الاستيلاء على حصن الدملؤة من أرملة أبيه وولدها المفضل فأنعم عليه منذ ذلك الوقت وترقى وأولاده في مناصب الرئاسة فمنهم شجاع الدين نائب السلطنة وأتابك العسكر ، ومنهم عز الدين هبة بن محمد بن منصور أحد أمراء زبيد ، وابن عمه نجم الدين محمد بن إبراهيم وتولى بدوره إمرة زبيد مدة طويلة . (راجع : الخزرجى : *العقود* ، جـ ١ / ٩٩) .

(٦) الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ / ٤٠ .

المجاهد [١] أضرت بمنافسيه وخاصة جمال الدين بن مؤمن فسعى عند السلطان لإفساد العلاقة بينه وبين أتابكه ، وبالفعل نجح في ذلك حيث أدخل في نفس السلطان أن الأتابك مخامر عليه وموالى للظاهر عبد الله وما مده للسماط إلا بغرض القبض عليه عند تصدره له وإعلان الدولة الظاهرية ، عند ذلك تغير المجاهد واستدعى الزعيم من فوره وبادر بالتخلص منه فقتله في عام٧٣١هـ/١٣٣٠م[٢] ، ويُعد الزعيم آخر شخصية أسندت إليها هذه الوظيفة العسكرية ، إذ لم تعد المصادر التي بين أيدينا تشير إلي منصب الأتابكية حتى نهاية عهد بني رسول .

و- اعداد الجيش:

أما عن عدد أفراد الجيش اليمني في الفترة موضوع الدراسة فإن المصادر لا تقدم لنا إحصائية عددية بكافة أعداد الجيش،وإنما تكتفي بالإشارة من حين إلي آخر إلي أعداد الجند الخارجة في بعض الحملات،فعلى سبيل المثال تشير المصادر المعاصرة للفتح الأيوبي لبلاد اليمن عام ٥٦٩ هـ/ ١١٧٤م إلي أعداد الجند التي رافقت أو تكونت منها الحملات الأيوبية الخارجة من الديار المصرية قاصدة بلاد اليمن،سواء حملة الفتح بقيادة المعظم توران شاه،أو الحملات الثلاث الأخرى التي سيرت لتمكين النفوذ الأيوبي هناك . فبالنسبة لحملة توران شاه تشير الروايات إلي أن صلاح الدين قد جهز الحملة " بالعسكر الجم والمال الكثير"[٣].وأمده بمجموعة من الأمراء وحوالى ألف فارس،كما انضمت إليه مجموعة أخرى من أجناد حلقته ،وقُدِّر مجموع من خرج معه في النهاية بحوالى ثلاثة آلاف [٤] .بينما بلغ عدد الجند المصاحب للأمير صارم الدين خطلبا – والى القاهرة – في حملته التأديبية التي سيَّرها الأيوبيون عام ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م إلي اليمن لإقرار الأوضاع فيها والقضاء على الفتن،حوالى خمسمائة رجل[٥]بينما تجهز سيف الإسلام

---

[١] تبرز هذه المكانة على سبيل المثال في قيامه بمد سماط لكافة العسكر عام ٧٣١ هـ/ ١٣٣٠م ودعوته للسلطان كي يتصدر السماط ، وكانت عادته أن يتكفل بإطعام العسكر لا سيما عند الخروج للقتال (راجع : الخزرجي : العسجد ، ق ٢٠٨ ، العقود ، جـ ٢ / ٥٦) .

[٢] الخزرجي : العسجد ، ق ٢١٣ ، العقود ، جـ ٢ / ٥٦ .

[٣] تذكر المصادر أن صلاح الدين أطلق خراج مدينة قوص لمدة عام كامل لأخيه توران شاه وكان يبلغ ٢٦٦ الف دينار وامده بالكثير من آلات الحرب . (راجع : أبو شامة : الروضتين ، جـ ١ / ٢١٧ ؛المقريزي:الذهب المسبوك ،ص٧١ ؛ محمد عبد العال أحمد : الأيوبيون في اليمن ، ص ٨٢) .

[٤] أبو شامة : الروضتين : جـ ١ / ٢١٧ ؛ الخزرجي : العسجد ، ق ٩٠ ؛ يحيى بن الحسين ، أنباء الزمن ، ق ٥٤ ؛الكبسي:الطائف السنية ،ق ٣٢ ؛ محمد عبد العال أحمد : المرجع السابق ، ص ٨١ .

[٥] المقريزي :السلوك ، جـ ١ / ٧٥ .

طغتكين في حملته التي قادها لليمن عام ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م بحوالي ألف فارس وخمسمائة راجل [١] . بينما جهز الملك الكامل ابنه الملك المسعود يوسف بجيش قوامه ألف فارس ، ومن الجاندارية والرماة حوالي خمسمائة ، وَسَيَّره على رأس حملة إلي اليمن لدعم النفوذ الأيوبي [٢] .

هذا عن أعداد الجيوش الأيوبية التي دخلت اليمن على مدار الفترة الأيوبية، وهو عدد لا يتجاوز السبعة آلاف جندي ما بين فارس وراجل ، كما أشار ابن حاتم في سياق حديثه عن أحد الجيوش التي رتبها سيف الإسلام طغتكين لحصار السلطان علي بن حاتم اليامي صاحب صنعاء ، وقد حاصر هذا الجيش حصون وبلاد بني اليامي لمدة قاربت ٤ سنوات، وبلغت عدة هذا الجيش المرتب في هذا الحصار حوالي خمسمائة فارس وعشرة آلاف راجل [٣] ، ويُعد هذا العدد أقصى ما أشارت إليه المصادر عند الحديث عن العساكر الأيوبية في اليمن ، وفيما عدا ذلك لا يوجد ذكر لمثل هذه الأعداد الكبيرة ، وكل الإشارات الأخرى ، لا تذكر سوى أعداد الجند التي تخرج في التجريدات العسكرية المختلفة التي يسيرها آل أيوب لإخضاع المناطق المتمردة والتي لم تزد أعدادها عن ستمائة فارس غير المشاة[٤] .

أما عن عدد الجيش في عهد بني رسول فيذكر صاحب العسجد المسبوك، أن أحد الجيوش التي سَيَّرها نور الدين عمر بن رسول تحت قيادته عام ٦٣٤ هـ / ١٢٣٦ م ، لمحاربة الإمام يحيى بن حمزة عقب رفضه تسليم حصن منابر ، بلغ ٦٠ ألف راجل [٥] ، كما ذكر صاحب السمط أن أحد الجيوش السلطانية التي أمر

---

(١) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن (تحقيق حجازى) ، ص ٧٨ ؛ الخزرجى : العسجد ، ق ٩٥ ؛ بامخرمة : تاريخ ثغر عدن، جـ ٢ / ١٠١ ؛ يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ، ق ٥٤ ؛ الكبسى : اللطائف السنية، ق ٣٣ ـ ٣٤. وانظر أيضا: محمد عبد العال أحمد : الأيوبيون في اليمن ، ص ١١٩ .

(٢) المقريزى: الذهب المسبوك ، ص ٧٧ ؛ الفاسى : العقد الثمين ، جـ ٧ ، تحقيق فؤاد سيد ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ٤٩٢ ؛ الحنبلى شفاء القلوب ص ٣٦٢ ؛ محمد عبد العال المرجع السابق ، ص ٢٤٥ .

(٣) ابن حاتم : السمط ، ص ٣٧ .

(٤) ابن حاتم : المصدر السابق ، ص ٥٠ ، ٥٩ ، ١٠١ ، وراجع أيضا : نفس المصدر ، ص ٣٦ ؛ إدريس : نزهة الأفكار ق ١٠ ، حيث يشيران إلي أن عدد القتلى من جيش طغتكين المحاصر لكوكبان عام ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م ، بلغ حوالى ألف مما يرجح معه أن عدد الجيش المصاحب له كان ضعف هذا العدد على الأقل .

(٥) الخزرجى العقود، جـ ٦٣/١ العسجد، ق ١١٧ ؛ إدريس تاريخ اليمن "كنز الأخيار" ، ص ٩٧ .

المظفر الرسولى بخروجها لتأديب المناطق الموالية للزيدية في آواخر عهده بلغ عـدد أحدها من الخيالة نحواً من ألف فارس ومن الرجالة عشرة آلاف [١]. كمـا ذكـر الخزرجى أيضاً أن المجاهد الرسولى قاد إلي تعز عام ٧٣٠ هـ / ١٣٢٩م جيشـا يتألف من اثني عشر ألف وقيل سبعة عشر ألفاً بخلاف فرسـان العـرب والغـز والمماليك والأكراد وأمراء الأشراف [٢] .

ويمكن القول في ضوء هذه الأعداد لاسيما العدد الأول الذى قدر بنحـو ٦٠ ألف رجل أنها أعداد مبالغ فيها من الصعب قبولها بسهولة ، خاصة ونحن نعلم أن معظم تحركات هذه الجيوش كانت تتم في مناطق جبلية تتسم بالوعورة وصعوبة المسالك ، مما يحول وتحرك هذه الأعداد الكثيفة بسهولة ، بل ويجعلها عرضة لسهام القوات المعادية إذا أطبقت عليها في أحد المناطق الجبلية الضيقة ، ويؤيدنا في ذلـك صاحب السمط في حديثه عن أحد المواضع التى ارتقى إليها المنصور نور الدين عمر للتجهيز للقاء الإمام الزيدى ، فيذكر أن هذا الموضع كان من الصعب الارتقاء إليه دفعة واحدة ، لوعورته وضيق مسلكه ، حتى أنه لم " يحمل الفرشخانة والحـوائج خانة إلا على ظهور الرجال لوعورة الموضع " [٣] .

ويؤيد ما ذهبنا إليه من مبالغة الخزرجى فيما ذكره عن أعداد الجنـود في الجيش الرسولى عامة وجيش المنصور نور الدين بصفة خاصة ، ما ذكره العُمَـرى في هذا الصدد نقلا عن أحد القضاة الذين خدموا بديوان الجيش اليمنى بقوله " أن مجموع جند اليمن ما يبلغ ألفى فارس ، وينضاف إليهم من العـرب الـداخلين في طاعته مثلهم . وأرانى جريدته الموضوعة لذلك .. .وهى تشهد بما قال[٤] .

---

[١] ابن حاتم : *السمط* ، ص ٥٥٨ .

[٢] الخزرجى : *العقود* ، جـ ٢ / ٥٤ ، *العسجد* ، ق ٢١٢ ، *الكفاية* ، ق ١٦٧ .

[٣] ابن حاتم : *السمط* ، ص ٢١١ ، ويؤكد ذلك الأمر صاحب السمط في موضع آخر في حديثه عن حملة المظفر على ظفار الحبوضى ، مؤكداً صعوبة مسالك تلك البلاد ووعورة طرقها مما يسبب المشقة والجهد للجند الذين يخترقونها فيقول عن الطريق المفضية إلي حضر موت " وهى طرق وعرة في شواهق وطرق صعبة ، .. فكانوا يمشون أقل المشى والمراكب معارضة لهم فإن عارضتهم ودنت منهم فهم .. في خصب وخير يمتارون منها ويستريحون إليها ، وإن تقدمتهم أو تأخرت عنهم غلا سعرهم وبلغ بهم العدم كل مبلغ لنفاذ الأزواد ونقل الجمل ومؤنها " (راجع : *السمط* ، ص ٥١٢؛ وراجع أيضا الخزرجى : العقود ، جـ ١ / ١٨٣) .

[٤] العمرى *بمسالك الأبصار* ،ص ١٥٢ ـ ١٥٣؛وانظر ايضا:القلقشندى *بصبح الأعشى* ، جـ ٥ / ٣٣ .

٢- الأسطـول

كان لليمن أسطول بحرى في عهد الأيوبيين فعندما قدم توران شاه بحملته إلي اليمن صحبه أسطول يتألف من عدة سفن عرفت بالشوانى [١] ، كذلك تجهز –الأمير صارم الدين خطلبا–عند خروجه لبلاد اليمن بأربعة حراريق[٢]حملت الزاد والعلوفات والأسلحة إلي اليمن[٣].وقد ظلت هذه السفن راسية في ميناء عدن لا عمل لها مدة طويلة.إلي أن كان عهد العزيز طغتكين ففي ذلك الوقت اشتد خطر السراق ومتجرمة البحر وتوالت اعتداءاتهم على التجارة البحرية في الطريق الممتد من عدن إلي الهند،الأمر الذى استدعى تجريد هذه السفن الحربية لحماية السواحل اليمنية والسفن التجارية المتجهة إلي عدن أو الصادرة منها،وظل طغتكين يقوم بهذا الأمر ويتكلف نفقاته من مال الدولة،دون أن يفرض رسوماً على التجار مقابل ذلك،وكانت نفقات تسيير الأسطول تتراوح ما بين خمسين وستين ألف دينار سنوياً،واستمرت هذه السفن الحربية تقوم بدورها في حماية التجارة الهندية إلي أخريات العهد الأيوبى لبلاد اليمن،حين بدأت أعمال القراصنة تخف وطأتها عن الساحل اليمنى والتجارة الواردة إلي عدن،فبطل إرسال هذه السفن وراء السُّرَّاق [٤].

---

[١] أبو شامة : *الروضتين* ، جـ ١ / ٢١٧ ؛ ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٤١ ، أما الشوانى : مفردها شينى أو شينية أو شونة :وكانت من أهم القطع الحربية في الأساطيل الإسلامية ومنها تتفرع أسماء السفن الحربية الأخرى وملحقاتها فكل سفينة حربية شينى تحمل اسما يدل على وظيفتها فمنها الغراب والطريدة والحراقة والجفنة . وذكر ابن مماتى أن الشينى تسير بمائة وأربعين مجدافا . كما حدد لنا النويرى السكندرى عدد المقاتلة الذين يعتلون ظهرها بمائة وخمسين رجلا . كذلك كانت الشينية تزود بالأبراج والقلاع للدفاع والهجوم . ومنها ما احتوى أيضا على أهراء لخزن القمح وصهاريج لخزن المياه العزبة ، وعدة من الرجال البارعين في أعمال الحيل الحربية والنقب ، وكانت ترمى منها النيران والنفط على العدو . (راجع : النويرى السكندرى : *الإلمام*، جـ ١ / ١٦٤ ؛ ابن مماتى : *قوانين الدواوين* ، ص ٣٤٠ ، المقريزى : *الخطط* ، جـ ١ / ٩٤ حيث أورد أن من الشينى ما كان يحمل نحو ألف من المحاربين ، وأنظر أيضا : *الخطط* ، جـ ٢ / ١٩٤ ؛ دروش النخيلى : *السفن الاسلامية على حروف المعجم* ، جامعة الاسكندرية ١٩٧٤ ، ص ٨٣ – ٨٥) .

[٢] المقريزى : *السلوك* ، جـ ١ / ٧٤ والحراريق : جمع حراقة : وهى تلى الشوانى في الأهمية ، وهى نوع من السفن الحربية التى تستخدم في قذف سفن الأعداء بالنار وتتميز بخفة الحركة وسرعة الجرى ، كما كان لها استعم'لات أخرى . (راجع :درويش النخيلى*المرجع السابق*،ص٣٢ –٣٧) .

[٣] المقريزى : *السلوك* ، جـ ١ / ٧٤ .

[٤] ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٤٢ ، وراجع ص ٣٧١ وما بعدها من الكتاب عن الضرائب التى فرضت على التجار بدءا من عهد المسعود نظير تسيير هذه السفن لحماية التجارة الهندية وعرفت بضريبة الشوانى .

أما في العهد الرسولى فكان طبيعياً أن ينهج سلاطينهم نهج أسلافهم من بني أيوب في الاهتمام بأمر الأسطول لا سيما أن جانباً كبيراً من حدود دولتهم يطل على البحر الأحمر من جهة الغرب والمحيط الهندى من جهة الجنوب ، وقد دفعتهم هذه الحدود الساحلية إلي الاهتمام بالسفن والأسطول لحراسة هذه السواحل ، وحماية السفن التجارية القادمة إلي عدن ، ويؤيدنا في ذلك قول العمرى مادحاً سيطرة ملوك بني رسول على بلادهم براً وبحراً فيقول " ولا يسمع أحد من أهل اليمن له على الحقيقة خبراً مع شدة ضبطهم لبلادهم ومن فيها ، واحترازهم على طرقها براً وبحراً من كل جهة فلا يخفى داخل يدخل إليها ولا خارج منها " [١] .

وقد أمدتنا المصادر بمعلومات متناثرة تفيد بوجود الأسطول اليمنى الرسولى على الساحة ، وأنه كان موجوداً على أهبة الاستعداد بدار الصناعة بعدن ينتظر الأوامر السلطانية بالتحرك لأداء ما يكلف به من مهام ، وقد أدى هذا الأسطول مهمات صعبة وشارك في الحملات البحرية ، مثال ذلك حملة المظفر الرسولى عام ٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م ، على مدينة ظفار الحبوضى ، وكان من الأسباب التى حملت المظفر على غزوها استيلاء صاحبها ويدعى سالم بن إدريس الحبوضى على الهدية التي بعثها المظفر لملك فارس عام ٦٧٨ هـ ، ولكن الرياح صرفت السفينة التي تحملها عن وجهتها ، وألقت بها إلي ساحل ظفار الحبوضى بحضرموت ، فقبضها السلطان سالم بن إدريس ، وأسر السفير ومن معه من مبعوثى المظفر ، وأول ما فعله المظفر هو محاولة حل المشكلة سلميا فكتب إليه يطلب منه إطلاق

---

[١] العمرى : _مسالك الابصار_ ، ص ١٦٠ . ولعل مما ساعدهم على إحكام الرقابة على منافذهم البحرية لاسيما ثغر عدن ما أقيم حوله من اسوار ، فيذكر ابن المجاور ان ثغر عدن قبل العصر الأيوبى احيط بسور امتد من الحصن الأخضر إلي جبل حقات ولكنه كان ضعيفاً سرعان ما تهدم بفعل الأمواج ، فاحيط بسور من القصب شبك فظل موجوداً إلي ان جاء الأمير عثمان الزنجبيلى نائباً على عدن من قبل توران شاه الأيوبى فاهتم بعمران عدن وتحصينها إيماناً منه بأهميتها الاقتصادية للبلاد ، فعمد إلي السور المقام فأعاد بناءه ثم أدار سورا ثانيا على الجبل الأخضر من حصن الأخضر إلي التعكر ، ثم أدار سورا على الساحل من دار الصناعة إلي جبل حقات وفتح فيه ستة أبواب هى " باب الصناعة ، وباب حومة ، وباب السكة ، وهما بابان يخرج منهما السيل إذا نزل الغيث بعدن ، وباب الفرضة ومنه تدخل البضائع وتخرج ، وباب مشرف لا يزال مفتوحاً للداخل والخارج ، وباب حيق لا يزال مغلقاً ، وباب البر .... " وبنى هذا السور بالحجر والجص ، كما عمد إلي تحصين الفرضة وجعل لها بابين . (راجع : ابن المجاور : _المستبصر_ ، ص ١٢٨) .

سراح الرسل والهدية وقال له " لم يجر بذلك عادة من أهلك ونحن نحاشيك من قطع السبيل ، وأنت تعلم ما بيننا وبين والدك وما بيننا وبينك ، والمكانة بيننا ، غير أنا نتأدب بآداب القرآن الكريم ، قال الله تعالى " **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً** " [١] ، فتهكم سالم بن إدريس على كتاب المظفر وكان جوابه " هذا الرسول وأين العذاب " [٢] ، وهكذا باءت المحاولة السلمية بالفشل ، وتمادى صاحب ظفار في غلظته وعدائه ، وأفسد على المظفر سلطان الشحر ويدعى راشد بن شجيعة فخرج على طاعة المظفر ، وانضم لسلطان ظفار [٣] . ولما رأى المظفر ذلك اضطر لاصطناع القوة ومحاربة سلطان ظفار انتقاما منه من ناحية ، وحرصاً منه على سلامة الملاحة في المحيط الهندى معبر التجارة العالمية إلي ميناء عدن من ناحية أخرى . ولذلك سيّر حملتين : اشتبكت الأولى مع صاحب ظفار ولكنها لم تأت بنتيجة حاسمة، يؤكد ذلك صاحب السمط بقوله " وجرى بينهما حرب ليست بالطائلة ، وكان فيها رمى بنشاب وجروخ ، لم تُنك في الجهتين طائلاً " [٤]. أما الحملة الثانية فجردها المظفر لصاحب الشحر ، فطردت راشداً واستولت على البلاد ، ورتبت فيها حامية " لحفظها على الموالاة والتبعية لبنى رسول [٥] " .

وهكذا أثبتت الحملة البرية على ظفار عدم جدواها بمفردها ورجوعها دون تحقيق نصر حاسم[٦]،ولذا نجد المظفر يصدر أوامره إلي الشهاب غازى بن المعمار نائبه على عدن بالتقدم بالشوانى إلي ظفار لتأديب صاحبها،فخرج والى عدن بالسفن إلي هناك"و لم يكن ثم حرب طائلة،وعاد سالما"[٧]،وقد تمادى سلطان ظفار بدوره في عدائه للرسوليين،فَسَيَّر حملة بحرية وصلت بدورها إلي بندر عدن وعاد دون أن يحدث حرباً بدوره [٨] . ولما بلغ المظفر ذلك أصدر أوامره إلي والى عدن بعمارة الشوانى

---

[١] سورة الإسراء : آية ١٥ .

[٢] ابن حاتم : السمط ، ص ٥٠٦ ـ ٥٠٧ ؛ الخزرجى : العقود ، جـ ١ / ١٨١ ـ ١٨٢ .

[٣] ابن حاتم : المصدر السابق ، ص ٥٠٧ ، الخزرجى : المصدر السابق ، جـ ١ / ١٨٢ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ،جـ ٢ / ٨٣ ، ٨٤ ويذكر الخزرجى أن راشد خرج على المظفر تهربا من الخراج المفروض عليه للدولة الرسولية .

[٤] ابن حاتم :نفسه ، ص ٥٠٧ ، وكان قائد هذه الحملة يدعى المجد بن أبى القاسم .

[٥] ابن حاتم :نفسه ، ص ٥٠٨ .

[٦] محمد عبد العال :بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٣٩١ .

[٧] ابن حاتم :نفسه ، ص ٥٠٨ ؛ الخزرجى : العسجد ، ق ١٤٧ .

[٨] ابن حاتم :نفسه ، ص ٥٠٦ ؛ الخزرجى : العقود ، جـ ١ / ١٨٢ .

والمراكب والطرائد [١] الموجودة وغيرها من مطايا البحر والعمل علـى تجهيزهـا وإصلاحها [٢] ، كما أصدر أوامره " بإنشاء مراكب أخرى [٣] " ، وخرج بنفسه إلي عدن لتفقد الاستعدادات الحربية والإشراف على تجهيز العمائر البحرية وشحنها بالشحن العظيمة من الأزواد وآلات الحرب على اختلافها [٤] . وأبحرت السفن من ثغر عدن وكان عددها – وفقا لما أورده صاحب السمط من قبيل المبالغة والتدليل على عظم الحملة وضخامتها – ألف قطعة " والقطعة عبارة عن الجوالق [٥] العظيمة من أنواع الشحن العظيمـة .... " [٦] ، بالإضـافة إلي الشـواني ، والحواسـك والسنابيق [٧] ، والطراريد ، وغيرها من السفن [٨] . وبالإضافة إلي الحملة البحرية خرجت حملتان بريتان لمساعدتها ، الأولى وتقدمت عبر الطريق الساحلي المـوازى للحملة البحرية [٩]،أما الثانية فقد توجهت عن طريق الجوف (شمال شرق اليمن) لتخترق الطريق من هناك جنوباً عبر حضـرموت إلي ظفـار [١٠] . واجتمعـت الحملات الثلاث بالقرب من ظفار في وقت واحد . أما عن الاشتباكات البحريـة فقد كان لسالم بن إدريس مجموعة من السنابيق وعدة سفن أخرى شحنها بالمقاتلة

---

(١) الطرائد : جمع طريدة : وهى نوع من الشوانى الغزوانية وتختص بحمل الخيول والفرسان وتتسع الواحدة لحمل أربعين فارسا ، وكانت أبوابها تفتح عادة من الخلف حتى يتيسر للخيل الصعود إليها والهبوط منها إلي اليابسة ، كما كانت تستخدم أحيانا في نقل الناس وأمتعتهم في أسفارهم البحرية . (راجع ابن مماتى : _قوانين الدواوين_ ، ص ٣٣٩ ؛ النويرى : _الإلمام_ ، جـ ١ / ١٦٤ ، جـ ٢ م/ ٢٣٤؛ درويش النخيلى : _السفن الإسلامية_ ، ص ٩١) .

(٢) الخزرجى : _العسجد_ ، ق ١٤٧ ، _العقود_ ، جـ ١ / ١٨٢ .

(٣) ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٥٠٩ .

(٤) ابن حاتم : _المصدر السابق_ ، ص ٥١٠ – ٥١١ ؛الخزرجى : _العقود_ ، جـ ١ / ١٨٢ .

(٥) وهى كما يتضح من وصف صاحب السمط لها أنها سفن شحن عظيمة تحمل فرق الخدمة من أرباب الحرف والصناعات المصاحبين للحملة من الطباخين والخبازين وصانعى الحلوى وغيرهم من أرباب الأشغال . (راجع : ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٥١١ ؛ الخزرجى : _المصدر السابق_ ، جـ ١ / ١٨٣) .

(٦) الخزرجى : _المصدر السابق_ ، جـ ١ / ص ١٨٣ ؛ابن حاتم : _المصدر السابق_ ، ص ٥١١ .

(٧) السنابيق : وهى الزوارق أو السفن الصغيرة التى تستخدم في نقل الأزواد والأشخاص من السفن الكبيرة إلي الشاطئ . (راجع : ابن بطوطة : _الرحلة_ ، جـ ٢ / ١٩٨ ؛ بامخرمة : _تاريخ ثغر عدن_ ، جـ ٢ / ٢٢ ، ٥٧ ؛ درويش النخيلى : _السفن الإسلامية_ ، ص ٧٠ – ٧١) .

(٨) الخزرجى : _العقود_ ، جـ ١ / ١٨٣ – ١٨٤ .

(٩) ابن حاتم : _المصدر السابق_ ، ٥١٢ .

(١٠) ابن حاتم : _المصدر السابق_ ، ص ٥١٣ ؛ محمد عبد العال : _بنو رسول وبنو طاهر_ ، ص ٣٩٢ ، ويقدر صاحب العقود عدد جنود هذه الحملات الثلاث بخمسمائة فارس وسبعة آلاف راجل . (راجع : الخزرجى : _العقود_ ، جـ ١ / ١٨٤) .

انتظاراً لوصول الحملة المظفرية ، وبدأت المعركة البحرية بين هذه السنابيق الظفارية ومجموعة من السنابيق السلطانية ودارت الدائرة على سنابيق ظفار وحلت الهزيمة ببعضها وفرّ بعضها الآخر،فتعقبها الجنود السلطانية فقتلوا طائفة من رجالها، وانتهبوا بعض ما وجدوه بداخل هذه السنابيق ، أما السفن الظفارية الأخرى فحينما رأت ما وقع لأصحابهم في السنابيق وكذلك لجنودهم على البر من هزيمة نـزلوا من مراكبهم في محاولة منهم للقتال البرى " من دون المدينة " . وأسفرت الاشتباكات في النهاية عن هزيمة السلطان سالم بن إدريس ومقتله في المعركة وأسر وقتل جملة كثيرة من أصحابه [1] .

وبالإضافة إلي هذه الحملة العسكرية الناجحة التي لعب فيها الأسطول الرسولي دوراً هاماً – بهدف تأمين السواحل اليمنية وحماية التجارات الواردة إلي عدن بتأمين طرق الملاحة إليها ، (إذ أسفرت حملة ظفار عن تبعيتها لآل رسول حيث أقطعها المظفر لابنه الواثق نور الدين ابراهيم " ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م " ، كما تولى ابنه المؤيد داود على حضرموت والشحر) [2] – استخدم الرسوليون الأسطول في مهام أخرى منها إرغام أصحاب السفن التجارية على الرسو بسفنهم وبضائعهم في فرضة عدن بدلا من التجوير إلي بندر جدة ، وكان ذلك في أخريات عهدهم بدءاً من عهد الظاهر يحيى [3] .

---

[1] ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٥٢١ ، وللمزيد من التفصيلات عن حملة ظفار : راجع : ابن حاتم : _المصدر السابق_ ، ص ٥١٣ – ٥٢٥ ؛ الخزرجي : _العقود_ ، جـ ١ / ١٨٢ – ١٨٥ ، العسجد ، ق ١٤٧ – ١٤٨ ، _الكفاية_ ، ق ١١٧ – ١١٩ ؛ ابن الديبع : _قرة العيون_ ص ٣٢٨ – ٣٢٩ وراجع أيضا: إدريس : _تاريخ اليمن من كتاب كنز الأخيار_ ، ص ١١٢ ؛ ابن عبد المجيد : _بهجة الزمن_ (تحقيق حجازى) ، ص ٩٦ – ٩٧ ؛ محمد عبد العال : بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٣٩١ – ٣٩٢.

[2] ابن عبد المجيد : _المصدر السابق_ ، ص ٩٩ (تحقيق حجازى) ؛ محمد عبد العال : _بنو رسول وبنو طاهر_ ، ص ٣٩٢ .

[3] بامخرمة : _قلادة النحر_ ، جـ ٣ ، ق ١١٠٥ ؛ وراجع : ص ٣٩٠ من الكتاب .

الباب الثانى

الحياة الاقتصادية والاجتماعية

الفصل الأول

الثروة الزراعية والحيوانية

الفصل الأول

الثروة الزراعية والحيوانية

١ – مقومات الثروة الزراعية
٢ – مظاهر عناية سلاطين بنى أيوب وبنى رسول بالزراعة
٣ – الموارد المائية ووسائل الرى
٤ – المراحل التى تمر بها العملية الزراعية
أ – تسميد الأرض
ب – حرث الأرض
ج – عملية بذر الحبوب
د – الزرع والحصاد

٥– المحاصيل الزراعية
أ – أنواع المحاصيل
ب – درس الحبوب وتخزينها

٦– الآفات الزراعية
٧– أنواع الملكية الزراعية
٨– الثروة الحيوانية
أ – المراعى
ب – الحيوانات

١- مقومات الثروة الزراعية

تعتبر الزراعة أو الفلاحة أساس التحضر والعمران ، وهى من أقدم الصنائع التى اهتدى إليها الانسان لكونها تؤدى إلى حصوله على القوت الضرورى اللازم لبقائه واستمرار حياته . ويُعرِّف ابن خلدون الفلاحة وأهميتها لحياة الإنسان بقوله " هذه الصناعة ثمرتها اتخاذ الأقوات والحبوب بالقيام على إثارة الأرض لها وازدراعها وعلاج نباتها ، وتعهده بالسقى والتنمية إلى بلوغ غايته ، ثم حصاد سنبله واستخراج حبة غلافه ، وإحكام الأعمال لذلك ، وتحصيل أسبابه ودواعيه ، وهى من أقدم الصنائع لما أنها محصلة للقوت المكمل لحياة الإنسان غالباً ، إذ يمكن وجوده من دون جميع الأشياء إلا من دون القوت ... " [١] .

ومما لا شك فيه أن الزراعة فى اليمن كانت بمثابة العمود الفقرى للاقتصاد اليمنى ، يمارسها السواد الأعظم من السكان ، وكانت تمثل إلى جانب التجارة الدعامة الرئيسة التى يرتكز عليها التقدم الحضارى للمجتمع اليمنى منذ القدم ، وعبر العصور المختلفة ومن جملته العصر موضوع الدراسة .

والزراعة شأنها شأن أى نشاط اقتصادى آخر لابد لها من مقومات تساعد على ممارستها وتنميتها ، ولقد حظيت اليمن بالعديد من المقومات البشرية والطبيعية التى ساعدت على تنمية حرفة الزراعة وازدهارها فى العصر الإسلامى بعامة ، وفى فترة البحث بخاصة .

فمن حيث المقومات البشرية ، امتاز المزارعون اليمنيون بالمهارة الفائقة فى الفلاحة والعمل المتواصل فى سبيل استغلال الأرض للإنتاج الزراعى ، ونستدل على ذلك من الجهود الكبرى التى بذلوها للحيلولة دون تجريف الأرض بفعل السيول [٢] . ويتمثل ذلك فى إقامة المدرجات على المنحدرات الجبلية وجوانب الوديان، وبناء السدود للتحكم فى مياه السيول والاستفادة منها فى أغراض الرى ،

---

[١] ابن خلدون : (عبد الرحمن بن محمد) ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م :
مقدمة ابن خلدون ، تحقيق د. على عبد الواحد وافى ، ط٣ ، دار نهضة مصر ، القاهرة ١٤٠١ هـ ، ج٢ / ٩٤٤ .

[٢] راجع عن هذه السيول وما تسببه من اضرار للأراضى الزراعية ، ص ٢٦٧ - ٢٦٨ من الكتاب.

على نحو ما ألفوه في عصر ما قبل الإسلام وتوارثوه عبر حقب التاريخ [١] . فابتدعوا مجموعة من النظم الدقيقة المقننة لتوجيه مياه السدود والغيول [٢] تجاه الأراضى الزراعية وتوزيعها بالعدل بين المزارعين، كما برعوا أيضاً في إقامة البرك التي تتجمع فيها مياه الامطار وعُرفت باسم المصانع [٣] . كما احتفروا الآبار العديدة في الأراضى التي لا تصل إليها المياه الجارية ، ولكن تتوافر في صهاريجها الجوفية فإستعانوا بها في زيادة المساحات المزروعة [٤] .

أما المقومات الطبيعية التي كان لها أثرها في الحياة الاقتصادية فنعنى بها المناخ والتضاريس وموارد المياه، فنلاحظ أنه على الرغم من وقوع بلاد اليمن في نطاق الصحارى المدارية إذ يمتد بين خطى عرض ١٢,٥ و ١٧,٥ شمال خط الاستواء ، إلا أن الطبيعة التضاريسية للبلاد من حيث تباين الارتفاعات أدت إلي إختلاف توزيع درجات الحرارة من منطقة إلي أخرى وفقاً للمستويات التي تقع فيها هذه المناطق بالنسبة لمستوى سطح البحر [٥] ، أى أن اختلاف التضاريس أدى لتنوع المناخ وبالتالى أثر على الإنتاج الزراعى واختلافه من جهة لأخرى . أضف إلي ذلك توافر موارد المياه سواء من الأمطار أو المياه الجوفية في بعض المناطق، ومن ناحية ثالثة يمكن القول بأنه كان للمناخ والبيئة أثرهما البالغ على قدرات السكان في أنحاء بلاد اليمن وبالتالى تأثيرهما على الإنتاج الزراعى بصفة عامة .

وهكذا يمكن القول بأن الإنسان اليمنى في مراحله التاريخية المختلفة كان في مقدوره تطويع عوامل الطبيعية لصالحه ، وعمد إلي الاستفادة من تكوينات

---

[١] يعتبر سد مارب الذى اقامته الدول السبئية على وادى ذنة من الأمثلة المعبرة عن اهتمام اليمنيين منذ أقدم العصور ببناء السدود للانتفاع بمياه الأمطار والسيول . ويكفى أن نذكر دليلاً على وفرة السدود قول الشاعر :

وبالربوة الخضراء من أرض يَحصبِ ثمانونَ سُدّاً تقلِس المَاء سَائِلاً

راجع : الهمدانى : أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م) : _صفة جزيرة العرب_ ،تحقيق محمد ابن عبد الله النجدى،مطبعة دار السعادة،مصر ١٩٥٣،ص ١٠١؛ السيد عبد العزيز سالم _تاريخ العرب قبل الإسلام_،الجزء الأول،مؤسسة شباب الجامعة،بدون تاريخ ، ص ٨٧ .

[٢] عن الغيول أنظر ص ٢٤٣ من الكتاب .

[٣] الهمدانى : _المصدر السابق_ ، ص ١٣٨ .

[٤] محمد متولى ومحمود أبو العلا : _جغرافية شبه جزيرة العرب_ ، الجزء الثالث ، _جغرافية اليمن الشمالى_ ، ط٢ ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص ٢٢٨ – ٢٢٩ .

[٥] محمد متولى : _المرجع السابق_ ، ص ٩٣ – ٩٦ .

بلاده الجبلية وجريان السهول في خلق مجتمع حضارى متميز في بعض الجهات فأقاموا السدود بين بعض هذه الجبال لحجز المياه لاستخدامها كما سبق القول وفقاً لاحتياجاته ، بينما ظل في مناطق أخرى أسيراً للعوامل الطبيعية وعجز عن إمكانية التأثير فيها ، أو النجاح في خلق تعاون بين سكان المناطق المختلفة ، الأمر الذى أدى إلي عدم قيام وحدة سياسية بين أرجاء اليمن في بعض الأحيان . مما كان له تأثيره بدوره على المستوى الفكرى لليمن [1] .

وفيما يتعلق بالتكوين الجغرافى لبلاد اليمن فيتكون على النحو التالى :

١- السهل الساحلى الغربى

ويعرف باسم تهامة اليمن . وهو عبارة عن السهل الساحلى الممتد بحذاء البحر الأحمر وعلى طول البلاد من أقصى الشمال إلي أقصى الجنوب ، وينحصر بين ساحل البحر في الغرب والمنحدرات الغربية للنطاق الجبلى شرقاً ، ويتراوح عرضه فيما بين ٣٠ : ٧٠ كم . ويتميز مناخ تهامة بوجه عام بحرارته القاسية ، وإن كانت درجاتها تتفاوت من منطقة لأخرى ، كما تهب على هذا السهل الرياح الشديدة المثيرة للأتربة في معظم أيام السنة وبخاصة في الصيف [2] .

ويقطع السهل من الشرق إلي الغرب مجموعة من مجارى السيول التى تنحدر من المناطق الجبلية إلي السهل ، فتكون مجموعة من الأودية أشهرها بالترتيب من الجنوب إلي الشمال : الّحكم ، مَوْزَع ، رسيان ، نخلة ، زبيد ، رِمَع ، سهام ، سُرْدُد ، مَوْر ، حرض ، خُلَب ، جازان ، ضَمَد ، بيش ، بالإضافة إلي عدد آخر من الأودية الصغيرة [3] .

---

(١) محمد متولى : *جغرافية شبه جزيرة العرب* ، ص ٢٩ ، ١٧١ – ١٧٢ .

(٢) المقدسى : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٣٨٨ هـ / ٩٩٧ م) : *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم* ، ط٢ ليدن ١٩٠٦ م ، ص ٦٩ ؛ محمد الأكوع الحوالى : *اليمن الخضراء مهد الحضارة* ، الطبعة الأولى،مصر ١٩٧١،ص ٥٦ – ٥٧ ؛ محمد متولى : *المرجع السابق* ، ص ٢٥٢ .

(٣) راجع عن هذه الأودية وفروعها وتعدد مساقطها بالتفصيل:الهمدانى:*صفة جزيرة العرب*،ص ٧١ – ٧٧؛حسين بن على الويسى: *اليمن الكبرى* ، القاهرة ١٩٦٢ ، ص ١٨ – ٢٢ ؛ محمد متولى : *جغرافية شبه جزيرة العرب* ، ص ١٢٥ – ١٢٧ ؛ الواسعى: عبد الواسع بن يحيى اليمانى : *تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن* ، ط ٣ ، الدار اليمانية ، ١٩٨٢ ، ص ٩٥ – ٩٧ ؛ أحمد حسين شرف الدين : *اليمن عبر التاريخ* ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ١٣ – ١٦ .

وتُعد هذه الأودية أكثر مناطق اليمن عمراناً وازدحاماً بالسكان مقارنة بغيرها من المناطق السهلية الأخرى لما تتميز به من وفرة مصادر المياه،وبخاصة زمن سقوط الأمطار ، بالإضافة إلي كونها أكثر أراضي اليمن خصباً وأفضلها إنتاجاً للمحاصيل المدارية كالموز والقطن والذرة ، والدُخْن [١]،والبقولات وغيرها [٢] .

وقد ساعد ذلك على قيام مجموعة من المراكز العمرانية في هذا السهل جذبتْ إليها السكان للعمل في مجالات الزراعة والتجارة وغيرها ، مثل حرض[٣] ، بيش [٤] ، المَهْجَم [٥] ، الكدراء [٦] ، وأسست في هذا السهل أيضاً مدينة زبيد حاضرة الحكم باليمن منذ أوائل ق ٣ هـ / أوائل ق ٩ م [٧] ، والتي سرعان ما

---

[١] الدُخْن : نوع من الحبوب منه نوعان أحدهما ينزع قشره كالأرز ، والآخر لا ينسحل عنه قشره ، ويُعمل منه الخبز ويُعد أجود من خبز الحنطة ، كما يدخل في بعض الاستعمالات الطبية : (أنظر : المظفر الرسولى : يوسف بن عمر بن علي بن رسول [ت ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م] : المعتمد في الأدوية المفردة ، صححه وفهرسه الأستاذ مصطفى السقا ، الطبعة الثانية ، دار القلم ، بيروت ١٩٥١، ص ١٥١ ــ ١٥٢ .

[٢] محمد متولى : جغرافية شبه جزيرة العرب ، ص ٨٠ ، ١٢٤ ، ٥٢٣ ، ٢٥٥ .

[٣] حرض : واد مشهور بالشمال الغربى من حجة تقوم على حَرَمِة مدينة حَرَض وهى مدينة قديمة لعبت في جميع حقب التاريخ أدواراً هامة وينسب إليها العديد من العلماء مثل الحافظ أبو بكر العامرى صاحب كتاب غربال الزمن وغيره (راجع : إبراهيم أحمد المقحفى : معجم المدن والقبائل اليمنية ، دار الكلمة ، صنعاء ، ١٩٨٥ ، ص ١١٦ ؛ إسماعيل بن علي الاكوع : البلدان اليمانية عند ياقوت الحموى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٨ ، ص ٩٤) .

[٤] بيش : أحد أودية تهامة المشهورة التى تصب في البحر الأحمر ، يضم بين جنباته العديد من القرى والمزارع . وبه قرية بيش وهى قصبة المخلاف . (راجع : المقحفى : معجم المدن ، ص ٦٣ ؛ إسماعيل الأكوع : المصدر السابق ، ص ٥١) .

[٥] المهجم : مدينة تهامية خربة في وادى سردد . ذكرها الهمدانى في صفة جزيرة العرب ، مما يشير إلي قدمها ، جدد عمارتها الحسين بن سلامة في القرن الرابع الهجرى / ق ١٠ م ، وظلت عامرة حتى ق ١٢ هـ / ق ١٨ م ولم يتبق الآن منها سوى جزء من الجامع المظفرى تبعد عن زبيد بحوالى ١٥٠ كم . (راجع : الهمدانى : المصدر السابق ، ص ٥٤ ، ٧٢ ، ١٠٦ ، ١١٩ ؛ المقحفى : المرجع السابق ، ص ٤٢١ ؛ إسماعيل الأكوع ، البلدان اليمانية ، ص ٢٧٦) .

[٦] الكدراء : من مدن تهامة القديمة الخربة وتقع في وادى سهام جنوب شرقى المراوعة ، جاء ذكرها في صفة جزيرة العرب ، وجدد عمارتها القائد حسين بن سلامة في حدود سنة ٤٠٠ هـ / ١٠٠٠ م (راجع الهمدانى : المصدر السابق ، ص ٥٤ ، ٥٥ ، ٧٢ ، ١٠٦ ؛ المقحفى : المرجع السابق ، ص٢٤٦ ؛ إسماعيل الاكوع : البلدان اليمانية ، ص ٢٤١) .

[٧] عن تاسيس مدينة زبيد ووصفها المعمارى وما دار حول ذلك من روايات على يد محمد بن عبد الله بن زياد في شعبان عام ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م ، راجع : الجندى : أبو عبد الله بهاء الدين يوسف بن يعقوب (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) : السلوك في طبقات العلماء والملوك (٣ أجزاء) محطوط مصور على ميكروفيلم بدار الكتب المصرية ج١ ، رقم ١٢٠٣٤ ، ق ١ / ٦١ ؛ ابن المجاور : المستبصر ، ص ٦٩ ؛ ابن الديبع : بغية المزيد على بغية المستفيد ص ٤٧ ــ ٥٠ ؛ ولنفس المؤلف: قرة العيون ، ص ٢٢٨ ــ ٢٣٠ وما بعدها ؛ ابن أسير : الجوهر الفريد في تاريخ مدينة زبيد (خ) ق ٢ ؛ حيث ينفرد وحده بذكر تأسيس مدينة زبيد عام ٢٠٣ هـ / ٨١٨ م .

ازداد نموها العمراني وانتجعها العديد من طوائف المجتمع اليمني كالعلماء والفقهاء والتجار وغيرهم من أرباب الحرف والصناعات .

ولعل من أبرز الأدلة على أهمية سهل تهامة الزراعية ما أورده الخزرجي من أن أصحاب الأمير نور الدين محمد بن ميكائيل الخارج على الملك المجاهد الرسولي، أشاروا عليه بالاستيلاء عليها (أي على تهامة) لاعتقادهم بأنه إذا نجح في بسط سلطته عليها صار السلطان عاجزاً عن مقاومته ، لأن التهائم هي أمهات الأموال بمعنى أنها تشكل بما يُحَصَّل على مزروعاتها من أموال الخراج مورداً أساسياً من موارد الدولة المالية "فوقع هذا الكلام منه موقعاً ورأى أنه كائن لا محالة فامتنع عن الوصول الى السلطان[1] ".

٢- السهل الشرقي الصحراوي :

يجاوز هذا السهل صحراء الربع الخالي ويمتد من حدود الأحقاف جنوباً إلي حدود نجران شمالاً ، ويتخلله عدد من الأودية ، وتصب فيه مجموعة من مجارى السيول المتجمعة من عدة مساقط تتدفق من رؤوس الجبال في المناطق المجاورة لها غرباً . ومن أهم أودية هذا السهل وادى حريب والجوبة ومأرب والجوف وبيحان، بالإضافة إلي غيرها من الأودية الصغيرة ، ومعظم هذه الأودية صالحة لزراعة الفواكه والنخيل والقطن . ويلاحظ أن معظم روافد هذه السفوح الجبلية الشرقية تصب فيما بين وادى مأرب ووادى الجوف ، والمناخ في هذه المنطقة قارى شديد الحرارة والبرودة وأمطارها شحيحة باستثناء الأجزاء الشرقية منها حيث يكون المناخ أكثر اعتدالا وأوفر أمطاراً [2] .

وكان ذلك سبباً من الأسباب التي أدت إلي إنشاء سد مأرب منذ القدم، وكان أعظم سدودها بهدف حجز مياه السيول واستغلالها في الزراعة،فصارت هذه المنطقة من أكثر مناطق اليمن خضرة مما ساعد على ازدهار عمرانها ،وبانهيار سد مأرب تأثرت المنطقة فاندثرت المراكز العمرانية وتضاءلت الكثافة السكانية بها[3].

---

[1] الخزرجي : العقود ، ح٢ / ٩٥ .

[2] محمد متولي : جغرافية شبه جزيرة العرب ، ص ١٢٨ - ١٢٩ ؛ حسين الويسى : اليمن الكبرى ، ص ٢٦ ؛ محمد الأكوع : اليمن الخضراء ، ص ٥٤ - ٥٦ .

[3] عدنان الترسيسي : اليمن وحضارة العرب ، منشورات دار الحياة ، بيروت ب . ت ، ص ١٢ . والمعروف أن السد تصدع في أواخر عصر الدولة السبئية ثم إنهارتماماً مما أدى إلي هجرة-

٣- السلسلة الجبلية

وهى ما تعرف بجبال السراة أو نجد اليمن وهى تخترق موسطة اليمن وتمتد مع طول البلاد من أقصى الجنوب من أرض المعافر إلي أقصى الشمال حيث أرض الحجاز ، وذلك لمسافة تبلغ نحو ٣٥٠ كم ، ويتراوح عرض هذا النطاق الجبلى فيما بين الانكسارات الشرقية والانكسارات الغربية ما بين ١٠٠ – ١٥٠ كم ، ويعد هذا النطاق الجبلى أعلى أراضى اليمن جميعاً ، إذ يتراوح ارتفاعه ما بين ١٨٠٠ – ٢٠٠٠ م فوق مستوى سطح البحر [١] .

وتُعد هذه المنطقة من أغزر مناطق اليمن أمطاراً وأكثرها انتظاماً ، كما تتوافر بها مصادر أخرى للمياه من ينابيع وعيون وغيول تجرى في سلسلة الفقار – أو الأودية والقيعان– [٢] التي كونتها الجبال فيما بينها واشتملت هذه الفقار على أراضٍ ومدرجات رراعية خصبة،الأمر الذى جعل هذا النطاق الجبلى من أكثر أقاليم اليمن صلاحية للزراعة،إذ حولت المنحدرات القابلة للزراعة إلي مدرجات بذل المزارع اليمنى جهداً كبيراً في بنائها،وصارت مجالاً خصباً لزراعة العديد من المحاصيل والغلات المتنوعة وفقاً لمستوى الأرض التي تزرع فيها،ولذلك فإننا نجد أن أراضى هذا النطاق الجبلى تجمع بين محاصيل الأقاليم الحارة مثل الدخن والموز والذرة الشامية والرفيعة والعنبة [٣]، وبين مزروعات الأقاليم المعتدلة ومنها الشعير والقمح والكروم والبقول بأنواعها [٤] .

=عناصر عديدة من أهل اليمن من الأزد الذين نزلوا في عُمان ويثرب وجنوبى الشام ولخم على تخوم العراق. (راجع : السيد عبد العزيز سالم :*تاريخ العرب قبل الإسلام* ، ص ١١١ – ١١٢) .

[١] الإدريسى : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي (ت في ق ٦ هـ / ١٢ م) :*نزهة المشتاق في اختراق الآفاق* ، مجلدان، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ب . ت ، جـ ١ / ١٤٨ ؛ المقدسى: *أحسن التقاسيم* ، ص ٦٩ ؛ محمد متولى : *جغرافية شبه جزيرة العرب* ، ص ٨٣ ؛ الأكوع: *اليمن الخضراء* ، ص ٥٧ . وعن جبال هذا النطاق وأسمائها والقبائل التى قطنت فيها راجع : الهمدانى : *صفة جزيرة العرب* ، ص ٦٨ – ١١٩ ؛ المجاهد الشماخى : القاضى عبد الله بن عبد الوهاب : *اليمن الإنسان والحضارة* ، عالم الكتب ، القاهرة ١٩٧٢ ، ص ٦ – ١٠ ؛ محمد أمين صالح :*تاريخ اليمن الإسلامى* ، ط ١ ، القاهرة ١٩٧٥ ، ص ١٠٢ .

[٢] الفقار : هى الأراضى السهلية المنبسطة الصالحة للزراعة متى توافرت لها المياه وتعرف فى اليمن بعدة أسماء منها الحقول والقيعان والصعيد والسهول . راجع عن ذلك : حسين الويسى : *اليمن الكبرى* ، ص ٢٢ – ٢٥ .

[٣] العنبة : أو العنباء : وهو نبات هندى ، يغرس بعضه باليمن فى سهول تهامة ، وشجره شبيه بشجر الجوز ، ويتميز بجودة المذاق ، ويستخدم كمشهى للطعام بالهند . (راجع : المظفر الرسولى : *المعتمد فى الأدوية المفردة* ، ص ٣٣٨ – ٣٣٩ ؛ ابن الديبع :*قرة العيون* ، ص ٣٨٥،هـ ٤ للمحقق) .

[٤] نزار الحديثى : *أهل اليمن فى صدر الإسلام* ، بيروت ب . ت ، ص ٣٩ ؛ محمد متولى : *جغرافية شبه جزيرة العرب* ص ٢٥٦ – ٢٥٨ .

ويمتاز مناخ نجد اليمن باعتداله في سائر فصول السنة ، فلا يميل إلي الحرارة الشديدة أو البرودة القارصة ، الأمر الذى ساعد على تنمية هذا النطاق حضارياً ، وعلى الرغم من تنوع المظاهر الطبيعية به من جبال عالية وهضاب وأودية إلا أنها ساهمت في عزلة الأقليم بسبب وعورة المسالك وتقسيم الجبال إلي مناطق معزولة ، إلا أن اعتدال المناخ وصلاحية الأرض الزراعية ساعدت على زيادة الكثافة السكانية به ، فازدحمت أوديته وقيعانه بالعديد من التجمعات العمرانية التى كان لها دورها في النهوض بالقيم الحضارية للبلاد في الفترة موضوع البحث ، فتميزت هذه التجمعات العمرانية بالعديد من أوجه النشاطات المختلفة [١] .

ولعل من أبرز هذه التجمعات العمرانية التى قامت في نجد اليمن،والتى صار بعضها حواضر لعدد من الدويلات اليمنية سواء ما كان منها سابقاً للفترة موضوع البحث أو في ذات الفترة الزمنية ذى جبلة وصعدة وصنعاء وعدن وتعز،كما نشأ على امتدادها وعبر طرقها،العديد من المحطات التجارية والمسالك الفرعية التى ساهمت في الربط بين هذه الحواضر وأعمالها، الأمر الذى أدى بدوره إلي إثراء النشاطات الحضارية بالمنطقة،وتنوعها [٢] .

وهكذا يمكن القول بأن الموقع الجغرافى لبلاد اليمن ساعدها على القيام بدور همزة الوصل بين المراكز الحضارية في الشرق الأدنى والعمل كأحد معابر التجارة العالمية منذ القدم وطوال العصور الوسطى الإسلامية ، مما أكسبها من الثراء ما ساعد على قيام حياة حضارية لا ترتكز على التجارة فقط ، بل تعتمد أيضاً على الزراعة التى ازدهرت من خلال عرضنا لتوافر مقوماتها ، فتضاريس اليمن كانت أحد العوامل المساعدة على هذا الازدهار ، فقد هيأت الطبيعة الجبلية لهذه الأرض المنعة ، كما ساعد الارتفاع وتباين المناخ على خلق بيئة جغرافية متميزة ، فتنوعت الغلات الزراعية بأراضى اليمن تنوعاً كبيراً [٣] .

---

(١) الأكوع : *اليمن الخضراء* ، ص ٥٧ – ٥٩ ؛ محمد متولى : *المرجع السابق* ، ص ٢٣٠ .
(٢) محمد متولى :*المرجع السابق* ، ص ١٩٣ – ١٩٤ .
(٣) محمد متولى : *جغرافية شبه جزيرة العرب* ، ص ١٧٢ .

٢- مظاهر وعناية سلاطين بني أيوب وبني رسول بالزراعة

ولما كانت الزراعة الحرفة الرئيسة لسكان اليمن ، ومصدراً أساسياً للثروة الاقتصادية لبلادهم ، فقد كان طبيعياً أن يولي حكام تلك البلاد اهتماماً خاصاً بها، فيعملون على تنميتها والنهوض بها ، فقاموا بشق الغيول وتفجير العيون ، وإقامة البساتين في أنحاء البلاد ، التي يمكن القول بأنها كانت أشبه بمحطات تجارب زراعية، فاهتموا بجلب البذور لها ، واستبراد أصناف الغروس والأشجار المختلفة من شتى البقاع لا سيما الديار المصرية والهند لغرسها فيها ، حتى إذا تأكدوا من صلاحيتها للنمو في أراضي اليمن ، نشروا غرسها بسائر أنحاء البلاد .

ونستدل على هذا الاهتمام من عدة شواهد نذكر من بينها ما أمر به طغتكين من الرفق بالفلاحين،وتخفيف الضرائب المفروضة عليهم،لما يجدونه من مشقة عظيمة في سبيل انتاج المحاصيل،وكان هذا التخفيف تشجيعاً لهم على البقاء في أراضيهم ، وبذل المزيد من الجهد في العناية بزرعها إيماناً منه بأن الزراعة تمثل الركيزة الأساسية لاقتصاديات البلاد[1].وتابع طغتكين اهتمامه بالزراعة فأرسل إلي مصر طالباً غروس بعض الأشجار ليقوم بزراعتها في أرض اليمن،حيث اعتنى بغرس عدد من البساتين الواسعة بأصناف الأشجار منها البستان المعروف ببستان السلطان (نسبة إليه)في صنعاء.كما أجرى الأنهار حول الدار السلطانية بنفس المدينة،التي حاطها بالبساتين التي كانت تزخر بشتى أنواع الأشجار والرياحين والأزهار،كما أنشأ العديد من البساتين في مدينة المنصورة التي ابتناها قبلي الجند، واعتنى بتوفير المياه اللازمة لها،فعمد إلي استخراج غيل البرمكي من شرقي جبل شعوب،وأجراه إلي بستان السلطان،بينما أجرى الغيل لري بستان المنصورة من قمة جبل صبر[2]. ولم يتردد بعد أن تم له الاستيلاء على حصن الدُملوه في إعادة تعميره،كما بادر بإنشاء بستان عظيم بجوار البرك التي أنشأها في الحصن،ثم أنشأ بستاناً آخر تحت الحصن يقال له الجنات.ذكر ابن المجاور أن طغتكين غرس فيه"من جميع الفواكه ويطلع فيه وزن كل أترجة عشرة أمنان"[3].

---

(١) ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ٨٠ .

(٢) يحيى بن الحسين : *أنباء الزمن* ، ق ٥٧ ، ٢٤١ ؛ الكبسي : *اللطائف السنية* ، ق ٣٦ ؛ وأنظر أيضاً : ابن حاتم : *السمط* ، ص ٣٩ .

(٣) ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٥٤ .

وحذا حذو الأيوبيين في الاهتمام بالزراعة والعناية بغراسة البساتين بصنوف الأشجار بعض المعاصرين لهم ومنهم صاحب ظفار في أواخرق٦هـ/١٢م،وبدايات ق ٧هـ/ ١٣م،وهو أحمد بن محمد بن عبد الله بن مزروع الحبوضى الذى أقام ببلاده مدينة أطلق عليها اسم المنصورة وغرسها بأنواع الثمار وأصناف الفاكهة،وجلب إليها كثيراً من أصناف الغراسات من بلدان مختلفة،فيذكر صاحب المستبصر أنه جلب إليها " من فواكه الهند الفوفل[1]، والنارجيل،ومن فواكه الساحلية (أى ساحل اليمن) قصب السكر والموز،ومن فواكه العراق،الرمان والعنب،ومن النخل جُمل،ومن ديار مصر الليمون والأترنج،والنارنج،ومن السند،النبق ومن الحجاز،الدوم وهو المقل "،وأدى ذلك إلي ازدهار العمران في هذه المنطقة إذ اجتذبت إليها طوائف من المهاجرين الحضارمة مما ساعد على زيادة كثافتها السكانية وتعميرها[2] .

وجرى سلاطين بنى رسول على نفس النهج من الاهتمام بالزراعة والعمل على تنمية الإنتاج الزراعى،وقد سبق أن أشرنا في سياق حديثنا عن الأراضى الزراعية المستصلحة أن المنصور نور الدين عمّر المفازة بين حبس وزبيد وحث على تنميتها زراعياً حتى أصبحت قرية عامرة عُرفت بالنورى نسبة إليه.وحذا ابنه الملك المظفر حذوه في الاهتمام بالزراعة فنجده يأمر في عام ٦٧٢ هـ / ١٢٧٣ م بعمارة أحد الحصون الجبلية ويعرف بقرن عنتر ويغير اسمه إلي ظفار ويقوم"بشحنه بأصناف الشجر"[3]،ولم يكتسف بذلك،بل حرص على تطبيق العدالة بين الرعية وبخاصة أهل الحرث فنجده يأمر بعقاب عمال الجهات التى يتناقص إنتاجها الزراعى عن ذى قبل نتيجة الإهمال[4] .

---

[1] الفوفل : نخلة شبيهة بنخلة النارجيل وتحمل كبائس فيها الفوفل أمثال التمر وهى شجرة هندية ومنه انواع الأحمر والأسود ويتميز أجوده بذكاء الرائحة . (أنظر : المظفر :المعتمد ،ص ٣٧٢) .

[2] ابن المجاور : المستبصر ، ص ٢٦٥ ؛(وراجع عصام الدين عبد الرؤوف الفقى : اليمن فى ظل الاسلام منذ فجره حتى قيام دولة بنى رسول ، دار الفكر العربى ، القاهرة ب ، ت ، ص ١٨١ . حيث يجعل منصورة الحبوضى هى نفسها منصورة الجند التى أقامها طغتكين .

[3] الخزرجى:العسجد،ق ١٤٣ ؛العقود،جـ ١ / ١٦٥ ؛الكفاية، ق ١١٥؛ وراجع : عماد الدين إدريس : نزهة الأفكار ، ق ٧٩ حيث يشير إلي أنه غير اسم الحصن إلي كوكبان " وشحنه من أصناف الشحن " والصواب أنه دعاه بظفار حيث يعرف بهذا الاسم حتى اليوم وهو يطل على صنعاء من الجنوب الغربى .(راجع:ابن الديبع:قرة العيون،ص ٣٤٧ ، هـ ٢ ؛ المقحفى : معجم المدن ، ص ٢٦٩) .
Wilson , R.T.O.Gasetteer of historical North , West Yemen , Georg olms verlag Hildesheim , Zurich , Newyork , 1989 . p . 254 .

[4] لم يكن العقاب ينزل بالعامل بسبب نقص الإنتاج أو الخراج فقط ، بل إمعانا في تطبيق العدالة ، فكان المظفر يسأل عند زيادة مال الخراج من إحدى الجهات عن المعتاد أو نقصه ، فيقول الخزرجى " فإن كانت الزيادة من بدعة أبدعها العامل أو النقصان لخراب في الجهة أدب العامل أدبا بليغاً وصادره وترك استعماله ألبتة " . (راجع : العقود ج١ / ٢٣٤) .

كذلك اهتم بعض سلاطين بني رسول بإنشاء البساتين والعناية بها وجلب طرائف وغرائب الغراسات من كافة الأنحاء إليها ، وإجراء الماء اللازم لسقايتها ، من ذلك ما ذكره العُمرى عن المجاهد الرسولي وامتلاك العديد من البساتين والمتنزهات الحسنة في أنحاء اليمن ، بقوله " ولصاحب هذه المملكة البساتين والمتنزهات الحسنة يتعدها في الأحيان " ، ثم يؤكد ذلك بوصفه لبستان ثَعَبات فيقول " ولسلطانهم بستان يعرف " بالثعبات " يطلع إليه ويقيم فيه أياماً للنزهة ، فيه قبة ملوكية ومقعد سلطاني [1] ، فرشهما وأزرهما من الرخام الملون، وبهما عمد قليلة المثل يجرى فيها الماء من تبعات تملأ العين حسناً .... وترمى شبابيكها على أشجار قد نقلت إليه من كل مكان تجمع بين فواكه الشام والهند ، ولا يقف ناظر على بستان أحسن منه جمعاً ولا أجمع حسناً ولا أتم صورة ولا معنى، يهز معاطف روحه الصبا ، كأنه في اليمن من بقايا سبأ " [2] ، وقد اهتم المجاهد الرسولي (٧٢١– ٧٦٤ هـ / ١٣٢١ – ١٣٦٢ م) بعمارة ثَعَبات اهتماماً فائقاً ، فأبدع في إنشاء مبانيها واعتنى بإقامة بساتينها [3] . كما أقام بستاناً آخر بتعز عرف بالجهملية [4] . كما وصف القلقشندى بستان صهلة بتعز ، وإن كان قد حرف اسمه إلي مهلة وفي ذلك يقول : " ... وفوقها متنزه يقال له مهلة قد ساق له صاحب اليمن المياه من الجبال التي فوقها ، وبنى فيها أبنية عظيمة غاية في الحسن في وسط بستان هناك " [5] .

ويتحلى اهتمامه(أى المجاهد)بالزراعة أيضاً في قيامه بإجراء بعض المسامحات والنواصف للفلاحين من أهل زبيد وسائر الجهات عندما بلغه عام ٧٣٧ هـ / ١٣٣٦ م أن بعض طوائف الفلاحين من أهل زبيد هربوا تاركين أراضيهم وعمارتها بسبب وطأة الضرائب المفروضة عليهم ، فنجده يبادر بالذهاب إلي زبيد

---

[1] لعله يقصد به قصر المعقلى الذى أقامه أبوه الملك المؤيد في بستان ثعبات وانتهى من بنائه عام ٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م (راجع : وصف الخزرجي له في : *العسجد* ، ق ١٠٨) .

[2] العمرى : *مسالك الأبصار* ، ص ١٥٣ ، ١٦٠ ؛ القلقشندى : *صبح الأعشى* ، ج ٥ / ٩

[3] الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ٢٣٤ ، *الكفاية* ، ق ١٨٤ .

[4] القلقشندى : *المصدر السابق* ، ج ٥ / ٨ .

[5] القلقشندى : *نفسه* ، نفس الجزء والصفحة ؛ وراجع : الخزرجى : *العقود* ، ج ٢ / ٦٩ ، *العسجد* ، ق ٢٢٠ ، *الكفاية* ، ق ١٧٣ ؛ وراجع أيضا : ابن عبد المجيد : *بهجة الزمن* ، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠ .

ويعقد فيها مجلساً حضره الأمراء والوزراء والحجاب والكتاب وجماعة من أعيان الفلاحين لبحث أسباب الشكوى ووسيلة علاجها حرصاً على عمارة البلاد والنهوض بالزراعة فيها. وحينما وقف على أسباب شكواهم أمر بتخفيف الضرائب المقررة عليهم[١] . وفي أخريات أيامه أيضاً أزال للفلاحين ربع الخراج المقرر على كل ما زرعوه تشجيعاً لهم على النهوض بالزراعة [٢] ونهج ابنه الافضل (٧٦٤ – ٧٧٨ هـ/ ١٣٦٢ – ١٣٧٦م)نهجه وتابع نفس سياسته ، فأقر إنقاص الربع من الضرائب في معظم جهات اليمن ، وجعله في بعض الجهات الخمس . كما أجرى للفلاحين الذراع الشرعي في مساحة الأرض الزراعية وهو أطول من الذراع الأرضي الذى كان مستخدماً من قبل في قياس الأرض وتقدير الخراج المفروض عليها [٣] .

وبرز اهتمامه الزراعي كذلك في حرصه على تزويد بستانه المعروف بدار الديباج بتعز بكافة أنواع الغراسات لا سيما المجلوبة من الهند ومجاوراتها ، فيذكر الخزرجي أن سفراء هذه المناطق وصلوا بغراسات الفلفل المختلفة وبعض صنوف الرياحين والورود " فأمر السلطان بالأشجار فغرست في بستان دار الديباج ، وفيه فل أبيض وفل أصفر وورود وغير ذلك " [٤] .

وتتابعت الاهتمامات الرسولية بالزراعة ، فنجد الأشرف الثاني (٧٧٨ – ٨٠٣ هـ / ١٣٧٦ – ١٤٠٠ م) يقدم على إنشاء بستان سرياقوس الأعلى في وادي زبيد ، ويغرس فيه غرائب أنواع الشجر ، وبالإضافة إلي ذلك فإن هذا السلطان يعتبر أول من أدخل زراعة الأرز في وادي زبيد [٥] . كما اهتم بإجراء الماء إلي بستان السوجين الواقع غربي مدينة زبيد فعمل عام ٧٩٨ هـ / ١٣٩٥ م على عمارة البئر الموجودة بالوادي من أجل ذلك [٦] . وصدرت أوامره لشاد زبيد بأن يغرس فيه ضروباً من الأشجار وسائر الخضروات . و لم تقتصر اهتماماته

---

[١] الخزرجي : العقود ، ج٢ / ٦٢ . ٦٣ .
[٢] الخزرجي : العقود ، ج٢ / ١٠٧ .
[٣] الخزرجي : العقود ، ج٢ / ١٣٥
[٤] الخزرجي : العقود ، ج٢ / ١١٧ ،١١٨،١٢٠ ؛العسجد،ق ٢٣٩– ٢٤٠؛الكفاية،ق ١٨٧ ، ١٨٩ .
[٥] الخزرجي : العقود ، جـ ٢ / ٢٦٠ ، الكفاية ، ق ٢٣٦ ؛ ابن الديبع :قرة العيون ، ص ٣٨٧ .
[٦] الخزرجي : العسجد ، ق ٢٨١ ، الكفاية ، ق ٢٢٧ ؛ ابن الديبع ، المصدر السابق ، ص ٣٨٤ .

الزراعية على بستاني السوجين وسرياقوس فقط ، وإنما امتدت لتشمل العديد من أنحاء زبيد وتعز ، إذ نجده في نفس العام يحرص على نقل شتلات الفواكه من العنب والخوخ والبلس (التين) والسفرجل والرمان والمشمش والأجاص ، وغرسها في بستانيه ومنطقة النخل وساحل البحر بزبيد ، ويعبر أحد المؤرخين عن ذلك بقوله:" فكان ذلك من سعادة مولانا السلطان ... وحسن نظره في الأمور بما لم يسبق إلي مثله أحد من الملوك المتقدمين " [١] .

وتظهر اهتمامات الرسوليين بالزراعة بالاضافة إلي ما أوضحناه، وعلى الأخص فيما يتعلق ببساتين النخيل في بلاد اليمن باعتباره أحد المحاصيل الرئيسة في البلاد ، والتي تعد مورداً هاماً من الموارد الاقتصادية للبلاد ، حيث صارت مهددة بالانقراض بسبب اشتطاط الأيوبيون في أواخر عهدهم ، فيما فرضوه على أصحابها من الضرائب " حتى آل أمرهم إلي أن من له نخل لا يزوجه أحد وأى امرأة لها نخل لا يتزوجها إلا مغرور " [٢] . ولكن هذه الأوضاع تبدلت في عهد بني رسول بسبب ما اتخذه بعض سلاطينها من إجراءات استهدفت النهوض بتلك الزراعة منها ما استنه الأشرف الأول (٦٩٤ – ٦٩٦ هـ / ١٢٩٤ – ١٢٩٦ م) في سنة ٦٩٥ هـ / ١٢٩٥ م من إحصاء النخل بواسطة الفقهاء العدول. وأمرهم أن يزيلوا " عن الرعية ما يجب إزالته " [٣] . ثم تابعه في ذلك سائر من خلفه من الملوك، فالمؤيد الرسولى سار على طريقة أخيه في الاهتمام بأمر النخل ، فأمر العدول بإحصائه وقال " إذا بقيت لنا نخلة واحدة رضينا بها فانتعشت الرعية وغرسوا النخيل واستكثيروا منه ورغب إلي ملك النخل من لم يملكه أبداً "[٤].

كذلك فعل ولده المجاهد بعد أن ولى السلطنة إذ أحب النخل ورغب إليه، وَرَغَّبَ الناس فيه ، وابتنى فيه قصوراً " .... وقرر قواعد العدل فيه وفي غيره ، وأمر بعديد النخل مراراً كثيرة على قانون العدل " [٥] ، كذلك اهتم الأفضل

---

[١] مجهول *تاريخ الدولة الرسولية في اليمن*،تحقيق عبد الله محمد الحبشى،صنعاء١٩٨٤،ص ١٢٨

[٢] الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ٢٤٩ ، *الكفاية* ، ق ١٣٠ ؛ بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، ج ٢ / ١٨٣ .

[٣] الخزرجى : *العقود* ، ج ١ / ٢٥٠ ، *العسجد* ، ق ١٠١ ؛ *الكفاية* ، ق ٨٢ ، ١٣٠ ؛ بامخرمة : *المصدر السابق* ، ج ٢ / ١٨٣ .

[٤] الخزرجى : *العسجد* ، ق ١٠١ ، *الكفاية* ، ق ٨٢ .

[٥] الخزرجى : *العسجد* ، ق ١٠١ ، *الكفاية* ، ق ٨٢ .

وولده الأشرف الثانى بزراعة النخيل وتنمية ثماره ، وتابعا نفس الإجراء في إحصاء النخل على يد العدول ، وترفقا بالرعية كثيراً، مما ساهم في النهوض بتلك الزراعة وازدياد موارد الدولة منها [1] . كما شجعا على غرس فسائل النخيل سواء كـــان ذلك في بساتينهما ومزراعهما الخاصة [2] أو في أراضى الدولـــة ، مـــن ذلـــك أن الأشرف الثانى أمر القاضى عبد اللطيف بن سالم مشد زبيد عـــام ٧٩٣ هـــــ / ١٣٩٠ م، بغرس النخيل في قضاء الجهمى من نخل وادى زبيد ، فامتثل على الفور للأمر وغرسه في أيام قلائل ، وكانت عدة ما غرسه نحو ألفاً ومئة وأربعين نخلـــة ، وقد عُمِّر هذا القضاء منذ ذلك الحين حتى صار يعرف بالرياض إشارة إلي غرســه واخضراره [3] ، وواصل الناصر بن الأشرف (٨٠٣ — ٨٢٧ هـــــ / ١٤٠٠ — ١٤٢٤ م) سياسة أسلافه في عمارة البساتين وإجراء الماء إليها وغرسها بصـــنوف الغراس ، فأنشأ في ظاهر زبيد دارين عظيمين وأحاطهما بالبساتين وسَيَّر إليهما الماء اللازم لريهما [4] .

ولم تقف اهتمامات الرسوليين بالزراعة عند ذلك الحـــد ، بـــل تعـــدت الاهتمام العملى الذى رأيناه، إلي التأليف العلمى في فنون الزراعة وغرس البســاتين مما ينهض دليلاً فعلياً على اهتمامهم بهذا الفن ، إذ صنف بعض ســلاطينهم عـــدة مصنفات هامة في هذا المجال ، اعتمدنا على بعضها فيما يختص بطـــرق الحـــرث والبذر ووسائل التسميد والحصاد ، ومن أهم تلك المؤلفات " مُلح الملاحة في معرفة الفلاحة " للأشرف عمر بن يوســف الرســولى (ت ٦٩٦ هـــــ / ١٢٩٦ م) "والإرشاد في علم الفلاحة " للمجاهد على بن داود (ت ٧٦٤ هـــ / ١٣٦٣ م) " وبغية الفلاحين للأشجار المثمرة والرياحين " للأفضل عباس بن علـــى بـــن داود (ت ٧٧٨ هـــ / ١٣٧٧ م)..

---

[1] الخزرجى : العسجد ، ق ١٠١ ١٠٢ ، الكفاية ، ق ٨٢ .
[2] الخزرجى : العقود ، ج٢ / ١٩٣ .
[3] الخزرجى : العقود ، ج٢ / ١٨٩ .
[4] الخزرجى : العسجد ، ق ٢٩٣ ـ ٢٩٤ ، الكفاية ، ق ٣٩١ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص ٣٩١ .

٣- الموارد المائية ووسائل الري

من المعروف أن بلاد اليمن بخلاف مصر والشام والعراق تخلو من الأنهار الجارية ، وأنها تعتمد اعتماداً كلياً على مياه الأمطار التي تسقي الأرض إما بطريقة مباشرة أو عن طريق ما يسيل منها على سطح الأرض مكوناً ما يعرف بالمجاري السطحية (الغيول) ، أو عن طريق ما يتجمع منها على شكل سيول في الأودية تحجزها السدود " كما كان الحال قديماً في سد مأرب " ، أو ما يغوص منها في جوف الأرض وتختزنه التربة وتتكون منه المياه الجوفية التي تغذي الينابيع والآبار والعيون [1] .

ومن الواضح أن الأمطار كانت ذات أثر بيِّن في نشأة حياة مستقرة فوق أرض اليمن ، التي انفردت دون غيرها من أنحاء شبه جزيرة العرب بوفرة الأمطار، فاليمن تحظى بموسمين للأمطار موسمي وصيفي احدهما رئيسي يتركز في شهر يوليو ويمتد موسمه حتى شهر سبتمبر [2] ، وهو موسم عظيم الأهمية لاعتماد الغلات

---

[1] شيخ الربوة:شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي(ت٧٢٧ هـ / ١٣٢٦ م) :نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، طبعة مصورة بالأوفست عن طبعة ليبزج عام ١٩٢٣ ، مكتبة المثنى . بغداد ، ص ٢١٧ ؛ محمد متولي : جغرافية شبه جزيرة العرب ، ص ٢٣٠ ــ ٢٣١ ؛ محمد الأكوع : اليمن مهد الحضارة ، ص ٦٥ ؛ يوسف عبد الله : أوراق في تاريخ اليمن وآثاره (بحوث ومقالات) الجزء الأول : منشورات وزارة الاعلام اليمنية ، دار التنوير للطباعة ، ط ١ ، بيروت ١٩٨٥ ، ص ٢٨ .

[2] يؤكد ابن بطوطة ذلك بقوله " المطر ببلاد الهند واليمن والحبشة إنما ينزل في أيام القيظ وأكثر ما يكون نزوله بعد الظهر من كل يوم في ذلك الأوان " . راجع : الرحلة ، ج ٢ / ١٧٦ ؛ وراجع أيضاً : العمري : مسالك الأبصار ، ص ١٥٤ ، حيث يتفق معه قائلاً " واليمن جميعه كثير الأمطار ولا تنشأ به السحب ، ويمطر المطر من وقت الزوال إلي أخريات النهار ، هذا وقت أمطارها في الغالب وأكثر مطره في أخريات الربيع إلي وسط الصيف " .

كذلك أكد هذا الأمر غيرهما من الجغرافيين العرب منهم ابن المجاور : الذي ذكر أن الغيث في جبال اليمن يستمر ستة شهور ، راجع : المستبصر ، ص ١٦٠ ؛ وراجع أيضاً : ابن الفقيه: أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني : " مختصر كتاب " البلدان ، ليدن ١٨٥٥ م ، ص ٣٤ حيث يذكر " ... وأهل الحجاز واليمن يمطرون الصيف كله ويخصبون في الشتاء فتمطر صنعاء وما والاها في حزيران [يونية] وتموز [يوليو] واب [اغسطس] وبعض أيلول [سبتمبر] من الزوال إلي المغرب " . راجع أيضاً : ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ١٥٢ ؛ الهمداني : الدامغة ص ١١٨ ــ ١١٩ ؛ الحميري :" أبو عبد الله محمد بن أبي عبد الله " الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق د. احسان عباس ، ط٢ ، بيروت ١٩٨٤ ، ص ٣٦٠ ؛ القلقشندي : صبح الاعشى ، ج٥ ، ص ٧ ؛ المجاهد الشماخي : اليمن الانسان والحضارة ، ص ١٨ وما بعدها ؛ محمد الاكوع : اليمن مهد الحضارة ، ص ٦٢ ــ ٦٥ ، حسن إبراهيم حسن : اليمن ، البلاد السعيدة ، سلسلة اخترنا لك (عدد ٥٢) ، دار المعارف ، بدون تاريخ ، ص ٩ . =

الزراعية وأصناف الفواكه عليه ، والآخر ثانوى وأقصر من الموسم الأول ويتركز في شهرى إبريل ومايو ، ويعد أقل أهمية من سابقه ، وإن كانت زراعة الذرة وهى المحصول الأساسى للبلاد تعتمد عليه ، بالإضافة إلي الفول وغيره من البقول [١] .

وسائل الري :

استفاد اليمنيون استفادة قصوى من مياه الأمطار الموسمية التى تهطل على أراضيهم ، عن طريق العناية بإنشاء الخزانات والصهاريج والسدود ، حتى عرفت بلاد اليمن ببلاد السدود ، فوجد إلي جانب سد مأرب الشهير مجموعة سدود أخرى منها سد الخانق بجنوب صعدة ، وسد العرائس بلحج ، وسد ريعان في وادى ضهر ، وسدود وأودية جردان وبيحان ويحصب وعمد [٢] . واستمر أهل اليمن في إقامة السدود في العصور الإسلامية المختلفة [٣] . كذلك استفاد المزارع اليمنى بما وهبته له الطبيعة من مياه العيون والينابيع ، كما عمد إلي حفر الآبار المتعددة للانتفاع بالمخزون الأرضى من المياه في سقاية زراعاته، وبذلك تتوفر لديه عدة طرق للرى أوضحها ابن رستة في سياق حديثه عن المناطق الجبلية في بلاد اليمن وما يكتنفها من ضياع مثمرة ، فذكر أن بعض هذه الضياع يروى بماء العيون ، والبعض الثانى يعتمد على مياه الآبار التى يرفع إليها الماء بواسطة سواقى

=*Varisco , (D.M) , Rasulid Agriculture & the Almanac Tradition , (in Yemen , 3000 Years of art & Civilization) in Arabia Felix (ed) Werner Daum , Amesterdam , 1989 , P . 309* .

(١) محمد الأكوع *اليمن مهد الحضارة*،ص٦٢ – ٦٥؛محمد متولى *المرجع السابق*،ص ١٧٣، ٢٣٠ ؛ وراجع أيضاً : ابن رستة : *الأعلاق النفيسة* ، ص ١٠٩ حيث يخالف الجميع بقوله انهم " يمطرون في شهور الصيف شهراً واحداً ، وفي الخريف تمام أربعة أشهر ثم تنقطع الأمطار عندهم " .

(٢) الهمدانى *صفة جزيرة العرب*، ص ١٠١؛ *الإكليل*،ج١ / ٢٢٩ هـ ٢، ٢٥٨ هـ ٤؛ راجع ايضا الرازى *تاريخ مدينة صنعاء*،ص ٢٧٨ – ٢٨٠ ؛ يوسف عبد الله *أوراق في تاريخ اليمن*،ج١ / ١٥ ، ٢٦ ؛ السيد عبد العزيز سالم :*تاريخ العرب قبل الاسلام* ، ص ٨٧ ؛ Varisco , op. cit . p . 309 .

(٣) ومن أشهر هذه السدود الإسلامية ما قام بانشائه المفضل بن ابى البركات(ت ٥٠٤ هـ / ١١١٠ م) وزير السيدة الحرة اروى بنت احمد الصليحى ، لتوفير المياه لمدينة الجند . للمزيد من التفاصيل عنه وكيفية بنائه ووصفه (راجع : *الأفضل الرسولى* :*فاكهة الزمن* (خ) ق ١٥٥ ؛ الخزرجى : *العسجد المسبوك* ، ق ٤٥ ، *الكفاية والاعلام* ، ق ٣٤ ؛ ابن الديبع :*قرة العيون* ، ص ١٩٤ ، ١٩٥ ؛ يحيى بن الحسين : *أنباء الزمن* ، ق ١٨٢ ؛ وانظر أيضا : حسين أحمد السياغى : *معالم اثار اليمن* ، ط١ ، صنعاء ١٩٨٠ ، ص ١١١ – ١١٢ ؛ حسن سليمان محمود : *الملكة أروى سيدة ملوك اليمن* ، ص ٤٦ . ومن السدود الرسولية سد فرقه في مخلاف جعفر اقامه الأمير أسد الدين محمد بن حسن بن رسول ، راجع : الجندى : *السلوك* ، (خ) ، ق ١٧٨) .

تجرها الإبل والأبقار ، بينما البعض الثالث وهو الأكثر والأهم فكانت تروى عن طريق السدود التي يقيمها أهل اليمن ويصنعون لها فتحات في أسفلها يجرى الماء منها في قنوات تحمله إلي الضياع [١] .

١- الري بمياه الأمطار

يؤدى سقوط الأمطار على قمم الجبال والمرتفعات إلي تكوين مجار تشق طريقها في شعاب الجبال مؤلفة قنوات صغيرة أو مجارى لمياه السيول ، وتُعد هذه المجارى المائية ملكية عامة لجميع مالكى الأراضى الواقعة على جوانبها في أودية اليمن ، وبذلك تُعد من المنافع العامة فلا يجوز لأحد أن يتملك مجرى هذه المياه أو المياه ذاتها منفرداً دون الآخرين ، كما لا يجوز للحاكم أو الإمام إقطاعها لأحد من الناس أو امتلاكها دون البعض الآخر [٢] . والقاعدة العامة في رى أراضى المزارعين من مياه السيول أن يتم ذلك حسب الدور أى يروى المزارع الأول أرضه ثم الذى يليه كل حسب دوره [٣] ، حتى يتمكن الجميع من سقاية أراضيهم ولا يسمح لأحدهم بحجز المياه أو أن يحل في الدور قبل غيره [٤] .

وفي حالة قلة كمية المياه المتدفقة من السيول وعدم كفايتها ، يتم رى الأراضى الزراعية الواقعة في الدور أولاً ، ثم التالية لها بحسب دور كل واحد ، إلي أن تنتهى مياه السيل ، فتوضع علامة عند آخر حدود الأرض المروية . وعندما تهطل الأمطار من جديد يبدأ الفلاحون سقاية أرضهم من حيث انتهت السقاية الأولى ، وهكذا حتى ينتهى رى وسقاية أراضى الوادى كلها ، ويتم ذلك في كل مرة أى تقديم الأعلى فالذى يليه بحسب دور كل منهم [٥] .

وكانوا يتبعون هذه الطريقة السابقة في حالة تتابع سقوط الأمطار ، وقبل أن يبدأ ذبول زرع الموسم الأول للمطر ، وعندما يتأخر جريان مياه الأمطار في

---

[١] ابن رستة : *الأعلاق النفيسة* ، ص ١١٢ .

[٢] الشلي :محمد بن أبى بكر(ت ١٠٩٣ هـ / ١٦٨٢م) /، *المشروع الروى في مناقب السادة آل بني العلوى*،مصر ١٣١٩ هـ،ص ١٥٢؛ الأهدل:حسين بن أبى القاسم الأهدل:*كشف الغطاء في معرفة أحكام الزراع*،تحقيق عبد الله محمد الحبشى *مجلة الأكليل*،عدد(١) ، صنعاء ١٩٨٠ ، ص ١١٦ .

[٣] الأهدل :*كشف الغطاء* ، ص ١١٦ ؛ الشلي : *المصدر السابق* ، ص ١٥٢ .

[٤] الأهدل : *المصدر نفسه والصفحة* .

[٥] الشلي : نفسه ، ص ١٥٢ .

القنوات وتبدأ زراعة موسم الأمطار الأول في الاصفرار والضمور يبدأ المزارعـــون في رى أعلى الوادى ثم ما يليه من أراضى إلي حيث ينتهى جريان مياه الســـيول ، وذلك بدلاً من التتابع من حيث انتهى هطول موسم المطر الأول كما هو متبـــع ، وذلك في محاولة من الفلاحين لإنقاذ ما يمكن من الزروع قبل الضمور [١] .

٢- الـري بمياه السدود

من المعروف أن السدود كانت تقام على فتحات الجبال وتتجمع إليها المياه من منحدرات متعددة ، وتكون هذه السدود قريبة من الأراضى الزراعية ، وفي نشز مرتفع عنها ، ليسمح هذا الارتفاع بانحدار سهل للمياه لسقيا تلك الأراضى . ويوضع أســفل هذه السدود فتحات تغلق حتى يمتلئ السد بالمياه ، ثم تفتح ليخرج منها المـــاء وتســير للأراضى الزراعية عبر المحارى المعدة لها وحتى تنال الأراضى حاجتها منها ثم تسد ثانية .

وجرت العادة أن يتعاون في بناء هذه السدود أصحاب الأراضى الزراعيـــة والضياع الممتدة أدناه ، ومن ثم يصير السد ملكية عامة لهم جميعاً ، وسبق القـــول بأن الرى عن طريق السدود هو أكثر أنواع الرى استخداماً في اليمن [٢] .

٣- الري بمياه الغيول والينابيع

تنتشر الغيول بكثرة في اليمن فلا تكاد تخلو منها أية جهة من الجهات [٣] ، والغيل هو المجرى الذى يستمد الماء من إحدى الينابيع أو العيون ، أى أنـــه بمثابـــة مجرى سطحى تجرى فيه المياه بمجرد انبثاقها من العين وانحدارها في الأودية، وتعـــد الغيول مجارى دائمة تخرج منها المياه إلا أنها أقل من مياه السيول [٤] .

---

[١] الشلبى : المصدر نفسه ، ص : ١٥٢ .

[٢] ابن رستة : الأعلاق النفيسة ، ص ١١٢ ؛ شيخ الربوة ،نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، ص ٢١٧ ؛ وراجع أيضاً : عصام الدين عبد الرؤوف الفقى : اليمن في ظل الاسلام ، ص ٢٤٨ .

[٣] من أشهر هذه الغيول:غيل البرمكى وغيل خنوة وغيل الاف وغيل أبى طالب وغيل رداع وغيل مراد والغيل الأسود(للمزيد من التفاصيل عن هذه الغيول ومواضعها،راجع:الجندى: السلوك[خ] ج١/ورقة٥٨؛الأفضل الرسولى فاكهة الزمن،ق ١٥٥؛الأهدل تحفة الزمن في تاريخ الزمن[خ] ق ٧٧؛وأنظر أيضا:الهمدانى:الإكليل،ج١/ ٤١٤ - ٤١٥ ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ، ق ١ ، ص ٤٥٧ ؛ ولنفس المؤلف : أنباء الزمن [خ] ق ٥٢ - ٥٣ ؛ الخزرجى: الكفاية والاعلام ، [خ] ق ٨٨ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص ٨٨ - ٨٩ ، ١٩٣- ١٩٤ ؛ الرازى : تاريخ مدينة صنعاء ص ١٥٥ ؛ ابن حاتم : السمط ، ص ١٧٣ ؛ الواسعى : فرجة الهموم ، ص ٣٥ هـ ١ ، ٩٣) .

[٤] محمد متولى : جغرافية شبه جزيرة العرب ، ص ٢٤٨ .

ويقوم النظام المتبع في توزيع مياه الغيول على المزارعين الواقعة أراضيهم بأسفل هذه الغيول والينابيع على نظام الحصص ، وبمقتضى هذا النظام يقيم المزارعون خزاناً من الحجر بالاشتراك فيما بينهم، بحيث يشارك كل منهم على قدر حصته ، ويقام هذا الخزان في مكان قريب من مخرج العين التي يستمد الغيل منها الماء ، ويكون مستوى هذا الخزان أو البركة أدنى من مستوى مخرج مياه العين ، حتى يتلقى مياه الغيل كلها ، وتزود هذه الخزانات الحجرية أو البرك بفتحة تقع أسفلها يخرج منها الماء ليوزع على الأراضي الزراعية حسب القدر المخصص لكل أرض ، وهذه الفتحة كانت مزودة بدورها بصمامات تحكم فتح الخزان أو غلقه عند الحاجة ، وتمتد بأدنى الخزان قناة رئيسة مهمتها حمل المياه من الخزان إلي الأراضي الزراعية التي يراد سقيها وذلك عن طريق شبكة من القنوات الفرعية[1] .

وتُعد هذه القناة الرئيسة ملكاً عاماً لجميع المزارعين[2] ، بينما تؤول المجاري أو القنوات الفرعية لأصحاب الأراضي ، وأحياناً تكون هناك أراضي داخلية بعيدة عن هذه الشبكة المائية ، ويسقيها أصحابها عن طريق الأراضي القريبة من المجرى المائي إما باستئجار القنوات الفرعية أو بشرائها أو يسمح لهم بها وذلك حسب العرف والاتفاق [3] . أما الزمن المقدر لملأ البركة أو الخزان فيرتبط بمدى غزارة مياه الغيل وتدفقها من العين فأحياناً يمتلئ في يوم كامل ، وأحياناً نصف يوم، وتارة أقل ، وتارة أكثر ، ولذا يتم حساب الحصص المائية للمزارعين أحياناً بالأيام وأحياناً أخرى بعدد مرات امتلاء الخزان [4] .

ونظام الحصص في توزيع مياه الغيول على أراضي المزارعين يتحصل المزارع بمقتضاه على نصيبه من مياه الغيل بالتناوب كل حسب حيازته من الأراضي الزراعية التي يستغلها [5] . ويتولى الإشراف على مياه الري وتوزيعها شيخ يقال له شيخ العبر يختاره المزارعون من الثقات ذوي الخبرة في الشئون الزراعية

---

(١) الأهدل: كشف القناع ، ص١٢٧ـ ١٣١ ؛ محمد متولى : جغرافية شبه جزيرة العرب، ص ٢٤٩ ـ ٢٥١ .
(٢) الشلي : المشروع الروى ، ص ١٥٢ ؛ محمد متولى : المرجع السابق ، ص ٢٤٥ .
(٣) الأهدل: المصدر السابق، ص ١٢٧ ـ ١٣١ ؛ محمد متولى : المرجع السابق ، ص ٢٤٥ ـ ٢٤٧ .
(٤) محمد متولى : المرجع السابق ، ص ٢٤٦ ، ٢٤٩ ـ ٢٥٠ .
(٥) الأهدل : كشف القناع ، ص ١١٦ ؛ محمد متولى : المرجع السابق ، ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩ .

ونظم الرى وتوزيع الحصص ، ومهمته ضمان حصول منطقته على نصيبها من ماء القناة كاملاً ، كما يراقب توزيع المياه على الزراع حسب نصيب كل فرد منهم متوخياً العدل والدقة ، ومراقبة ترتيبهم في الحصول على حصصهم المقررة ، كما يقع عليه عبء تسوية ما ينشأ بين المزراعين من منازعات تتصل بشئون الرى على اختلافها ، وأخيراً عليه واجب آخر هو تقدير قيمة ما يدفعه كل مزارع للمحافظة على سلامة القنوات وصيانتها [١] .

ويزودنا الهمدانى بوصف دقيق لنظم الرى المتبعة من الغيول في معرض حديثه عن سقاية وادى ضهر أحد أودية صنعاء [٢] ، ومن هذا الوصف يتضح لنا أن الأراضى كانت تروى تتابعياً الأول فالأول ، ولا يقدم فيها سلطان على يتيم أو ذمى ، حتى ولو لم تكن أرضه مزروعة ، وإذا حاول بعض خدم السلطان (يقصد به أحد أعيان المنطقة) أن يجروا الغيل إلي أرضه بغير علم ومعرفة المشرف ، تهدم غرس السلطان كلها مهما بلغ نفوذه ، وإذا كان لأى فرد في الوادى ضيعة بور ، وكان صاحبها غائباً فإنها تسقى له في موعدها ودورها [٣] .

وكانت الأراضى إذا ما رويت بمياه الغيول أو السدود تحرث وتسوى تسوية جيدة – حتى يكون سقيها مستقيماً – ثم تقسم أقساماً أشبه بالأحواض ، وكانت طريقة صنع الأحواض تتم بأن يوضع بالمحراث تلما [٤] أو خطا مستقيماً

---

(١) شيخ العبر هو الذى يتولى الإشراف على القناة الرئيسة ، وكل شيخ يشرف على توزيع المياه على الأراضى المروية من هذه القناة يعرف بذلك ، ويرأس هؤلاء الشيوخ شيخ الوادى أو المشرف العام ، ومهمته التنسيق بين مشايخ العبر لتحديد عدد الأيام المخصصة لتدفق المياه في كل مكان ، ويحدد ذلك تبعاً لمقدار الماء ، وظروف الأرض من حيث نوع المحصول المزروع في كل موسم من المواسم الزراعية ، كما يحدد التكاليف اللازمة لإقامة الخزانات والمصارف ، وطريقة تحصيلها من المزارعين (راجع بالتفصيل : محمد متولى : _جغرافية شبه جزيرة العرب_ ، ص ٢٤٥ – ٢٤٨) .

(٢) أحد منتزهات صنعاء الغربية الشمالية يبعد عنها بمسافة ٧ كم وينسب إلي ضهر بن سعد بن عريب بن ذى يقدم ويمتاز بخصب أرضه ويتكون الوادى من أربعة مناطق (راجع : الحميرى : _الروض المعطار_ ، ص ٣٧٨ ؛ المقحفى : _معجم المدن_ ، ص ٢٦٠ – ٢٦١) .

(٣) الهمدانى : _الإكليل_ ، ج٨ ، تحقيق محمد الأكوع ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ١٢١ – ١٢٢ ؛ محمد أمين صالح : _تاريخ اليمن الإسلامى في القرون الثلاثة الأولى للهجرة_ ... عصر الولاة) ط١ القاهرة ١٩٧٥ ، ص ٢٠٥ .

(٤) التلم هو الخط الذى يتركه سن المحراث في الأرض ويسمى الزبر أيضا أو الزبير (راجع : ... _الرسولى_ [_عمر بن يوسف بن عمر بن رسول_] ت ٦٩٦ هـ / ١٢٩٦ م : _ملح الملاحة في_ ... _حة_ ، نسخه وعلق عليه : محمد عبد الرحيم جازم ، مجلة الأكليل ، العدد الأول ، السنة ... ١٩٨٥ ، ص ١٧٨ هـ ١٠ ، ص ١٨٢ ، ١٨٤) .

(مستوياً) ويزاداد بجانبه تلم أو خط آخر حتى يستقيم له كفل [١] ، (أى يكون ما بين الخطين مرتفعاً) ، ثم يترك بعده قطعة أو مسافة تختلف مساحتها حسب رغبة المزارع في تقسيم أرضه ، ووفقاً لقوة مياه الغيل الذى يسقى به أو ضعفه ، وبعد ترك المسافة المذكورة يوضع تلم آخر وبجانبه خط ثان حتى يكون له ارتفاع ... وتتوالى نفس الطريقة فيعمل طرف أو خط ثالث ورابع حتى تقسم الأرض في النهاية إلي أحواض مربعة أو مستطيلة حسب المسافات [٢] .

ويختلف رى الأرض باختلاف المحاصيل المزروعة فيها ..فهناك بعض أنواع من المزروعات تتطلب تفريغ الأحواض بمجرد امتلائها بالماء في نفس اليوم ، بينما تتطلب زراعات أخرى سد الأحواض كى يستقر بها الماء لفترة طويلة وتظل بها حتى تجف مثلما هو الحال في زراعة الأرز وسقايته [٣] .

٤- الرى بمياه الآبار:

وهى الطريقة الرابعة التى اعتمد عليها أهل اليمن في سقاية أراضيهم ، وكانوا يستخدمون الحيوانات المختلفة كالإبل والبقر [٤] في رفع مياه الآبار ، ويتم ذلك عن طريق ربط الدلو بطرف حبل طويل ، ويُربط الطرف الآخر في عنق الحيوان ، ويتم إنزال الدلو في البئر ثم يجره الحيوان ، ويتم تفريغه في أحواض أو صهاريج مقامة بجانب الآبار ، وتتوالى عملية الإنزال والرفع حتى يتجمع قدر كاف من المياه ، ثم يتم دفعه إلي الضيعات عن طريق السواقى ، وقد شاهد ابن بطوطة هذه الطريقة عند زيارته لليمن وأوضح أنهم يستخدمون العبيد إناثاً وذكوراً بدلاً من السائمة في رفع المياه من الآبار فيقول " .... وزرع أهلها الذرة وهم يسقونها من آبار بعيدة ، وكيفية سقيهم أنهم يصنعون دلواً كبيراً ويجعلون لها حبالاً كثيرة ،

---

[١] الكفل ما يتراكم من تراب بين خطى المحراث : الأشرف الرسولى : *ملح الملاحة فى معرفة الفلاحة* ، ص ١٧٨ و هـ ١١ .

[٢] الأشرف الرسولى : *المصدر السابق* ، ص ١٧٨ . وتختلف أسماء هذه الأحواض من إقليم إلـ اخر ، كما تختلف أسماؤها كذلك تبعا لمساحتها فمنها الوذن عند أهل مارب والجوف وبيحان ، ومـ الذْنَب ، والجربة بلغة أهل تهامة ، ويتضح من كلام الهمدانى أنها متماثلة في المساحة ، وفي الأ السلطانية للماوردى (ص ١٥٢) يقدر الجريب بعشر قصبات في عشر قصبات والقصبة سـ فيكون الجريب مساحته حوالى ثلاثة آلاف وستمائة ذراع .

[٣] الأشرف : *ملح الملاحة* ، ص ١٨٤ ، ١٨٨ .

[٤] ابن رستة : *الأعلاق النفيسة* ، ص ١١٢

ويتحزم بكل حبل عبد أو خادم ويجرون الدلو على عود كبيرة مرتفع عن البئر ويصبونها في صهريج يسقون منه "[١] .

وكانت بعض أراضي سهول تهامة تعتمد في زراعتها على مياه الآبار ، ويتم الرى بواسطة آلة تعرف بالثقالة وتعتمد إلي حد كبير على مياه وادٍ ، أو نبع يحجز وراء سدود صغيرة ، وتتجمع المياه وتتوزع بواسطة القنوات ، ويستمكن الفلاح بذلك من توجيه المياه نحو الأراضي السفلى حتى تروى كلها [٢] . مما يدل على مهارته في استغلال الانحدار واقامة السواقى .

٤- المراحل التي تمر بها العملية الزراعية

أ- تسميد الأرض :

استخدم اليمنيون السماد الطبيعي في تسميد أراضيهم لزيادة خصوبتها ، بغية الحصول على إنتاج وفير من المحاصيل ، ويوضح الأشرف الرسولى أنواع الأسمدة والزبول المستخدمة في الأراضي الزراعية اليمنية ، ويبين أجودها ، فيذكر أن أجود الزبولُ " فضلات الطير والحيوان " مثل زبل الحمام ، وسرقين الطير ، ما عدا طير الماء كالبط ، وأجود السماد " السرقين " هو على الترتيب " سرقين الخيل والبغال والحمير ، ثم سرقين الضأن والماعز ، ثم سرقين البقر "[٣] .

كما يوضح كيفية خلط هذه الأسمدة المتنوعة ومقادير الخلط للحصول على نوعية جيدة من السماد فيذكر أن خلط السرقين أو الدمان (السماد) بعضه ببعض ، يفيد الأرض فائدة كبرى، أما إذا خلط السرقين بثلاثة أمثاله من تراب فإن ذلك يكون صالحاً للزرع . كذلك يمكن خلط وِقْرَين [٤] من سرقين الحمير مع عشرين وقراً من تراب ويترك لمدة سنة كاملة فيصير سرقيناً جيداً يكتفى به في التسميد [٥] . وكانت الأراضي المخصصة لزراعة الحبوب ، كأراضي القمح على سبيل المثال ، تحرث

---

(١) ابن بطوطة : الرحلة ، ج٢ ، ص ١٩٧ .
(٢) عصام الدين عبد الرؤوف : اليمن في ظل الإسلام منذ فجره حتى قيام دولة بني رسول ص ٢٤٧ .
(٣) الأشرف الرسولى : ملح الملاحة ، ص ١٧٦ ، أما بشأن سماد أو سرقين الخنازير فقد أشار الأشرف إلي عدم صلاحيته بقوله (أنه يحرف كل شئ بروزنته [أى ثقله] وحرارته) . راجع : المصدر نفسه والصفحة .
(٤) الأشرف الرسولى : المصدر السابق ، ص ١٧٦ .
(٥) الأشرف الرسولى : المصدر نفسه والصفحة .

أولاً حرثاً جيداً ، ثم تسمد بالدمان الجيد بـــأن ينثـــر علـــى طـــول الجربـــة ، ثم يحرث عليه [١] .

ب- حـرث الأرض

تحرث الأرض المسمدة عادة في غير أوقات الندى ، وذلك عندما تجـــف منها الماء ، وتتعدد مرات الحرث حسب نوع التربة إذا كانت جيـــدة أو ضـــعيفة وعلي قدر صلابتها ولينها ، وكذلك حسب المحصول المراد بذره في تلك الأرض . فمثلاً في زراعة البر " القمح " ، تحرث الأرض حرثاً جيداً ، ثلاث إلي أربع مرات، وأحياناً أكثر من ذلك حسب نوع التربة . وفي الذرة المزروعة بالبلاد الجبلية تحرث لها الأرض ثلاث مرات ، وبخاصة في أيام الشتاء ، وفي الدُخْن والكنب [٢] ، تحرث الأرض مرتين وثلاث مرات ، بينما في زراعة السمسم (الجلجـــلان) ، تحـــرث الأرض من ثلاث إلي أربع مرات في سهل تهامة ، أما إذا كان مزروعاً في المنـــاطق الجبلية فتطيب له الأرض بالحرث أربع أو خمس مرات . كذلك الطهف يحرث لـــه الأرض طولاً وعرضاً من ست إلي سبع مرات [٣] . وفي زراعة الفـــوة [٤] تحـــرث الأرض مرات كثيرة تصل إلي عشرين حرثة [٥] . وقد تحرث الأرض مرة واحـــدة

---

[١] الأشرف الرسولي :نفسه ، ص ١٧٨ .

[٢] الكنب : محصول يزرع في اليمن مع الدخن والذرة ، وحبه متناه في الصغر ، وللنبات ساق رفيعة تنتهي في أعلاها بسنبلة تشبه أصابع اليد الواحدة الملتقية الأطراف . (أنظر : الأشرف الرسولي : *ملح الملاحة* ، ص ١٧٧ هـ ٣ للمحقق) .

[٣] الطهف : قيل هو الذرة ، وقيل عشب له شوك، ورقه يماثل ورق الدُخْن وله حبة دقيقة طويلة ضاوية حمراء تؤكل . (المظفر الرسولي : *المعتمد في الأدوية المفردة* ، ص ٣٠٨ ؛ الأشرف الرسولي : *ملح الملاحة* ، ص ١٧٧ ، هـ ٤ ، ١٨٦) .

[٤] الفوة : نبات ذو عروق حمراء اللون ، يستعملها الصباغون لما لها من قوة صابغة لطيفة ، وهي مرة الطعم حارة المذاق وكان يستخدم طبيا (راجع : المظفر : *المعتمد* ، ص ٣٧١ ــ ٣٧٢ ؛ الأشرف : *ملح الملاحة* ، ص ١٧٧ ، هـ ٥) .

[٥] لكي تجود زراعة الفوة يشترط أن تخلى أرضها تماماً من الوبل " الحشيش المتأصل والساري في الأرض " ويمثل هذا النوع من الحشائش أكثر آفات الزرع ضررا على المحاصيل عموما ، وعلى محصول الفوة بصفة خاصة ، ولذا سمي بالوبل أي المرض ، حتى أن الأرض لا تصلح لزراعتها وهذا الحشيش بالتربة . ولذا يعمد الفلاح إلي اقتلاعه من جذوره ، وإخلاء الأرض من جميع التراب الذي علق به هذا الوبل ، ويبدل عوضه تراب آخر أجود منه ومن هنا تعددت مرات حرث أرض الفوة إلي هذه الدرجة ويتم زراعتها في ديسمبر ويناير ويمكن حصد محصولها بعد عام واحد ، وإن كان أجود محاصيلها ما يتم حصاده بعد عامين ونصف . (للمزيد عن زراعة الفوة وتمهيد الأرض لها أنظر : الأشرف الرسولي : *المصدر السابق* ، ص ١٨٨ ــ ١٩١ . Varisco , op . cit , P . 311 .

فقط ، وهذا يتوقف على مدى صلاحية التربة ولا يتم ذلك إلا في الأراضى النظيفة ذات التربة الجيدة، حيث تطيب الأرض ثم تبدأ عملية البذر مثلما هـو الحـال في زراعة الهرد (الكركم) والقضب (البرسيم) [١] .

ويختلف وقت حراثة الأرض من منطقة إلي أخرى في أرض اليمن ، وذلك تبعاً للظروف المناخية ومواسم الزراعة ونوع المحاصيل في كل إقلـيم . فيوضـح الهمدانى أنه في بعض المناطق تترك الأرض (الجربة) لترتوى من مياه الأمطـار في آخر يوليو وأول (أغسطس) ، ثم تبدأ عملية الحرث في آخر (سبتمبر) بعـد أن تكون قد " شربت ماءها وجف وجهها " ، ثم تحرث في (أكتوبر) مرة ثانيـة ، وفي (نوفمبر) مرة ثالثة ، ثم تبدأ عملية البذر للتقاوى في (ديسـمبر)[٢] . وفي مناطق أخرى تحرث الأرض ثلاث مرات في شـهور " مـارس " و " إبريـل " و " مايو " ، ثم تبدأ عملية بذر المحاصيل مع أوائل يونيه ، ويتم ذلك مع محاصيل البر، والدخن والهَلبا وغيره [٣] .

وتستخدم الثيران والإبل وغيرهما في الحرث ، ويجر المحراث عادة ثـوران ، وعند الحرث يوضع خط الحرث بجوار الخط الآخر بحيث يكون الخطان متقاربـان بعضهما من بعض ، بمعنى أن تراب خط الحرث الثاني ينقلب على شق الخط الأول وإذا تمت الحرثة الأولى طولياً ، تتم الحرثة الثانية عرضاً ، وتأتى بـذلك مقاطعـة للحرثة الأولى . وذلك حتى يتم تقليب التربة بصورة جيدة ، وتنقيتها من الحشائش العالقة بها ، كما تسمح هذه الطريقة بتوزيع السماد عليها كلها [٤] .

وأحياناً أخرى يستمر حرث بعض المحاصيل أثناء الزراعـة مثـل الـذرة والدخن ، فبعد أربعين يوماً من البذر ينبت الزرع ، فتحرث الأرض المزروعـة ، وذلك بأن يمر المحراث بين الفروع النابتة ، بحيث يشكل خط المحراث شـقاً بـين

---

(١) الأشرف الرسولى : _ملح الملاحة_ ، ص ١٧٨ ، ١٨٢ ، ١٨٤ -١٨٨ ، ١٩١ ؛ ويلاحظ أن الأرض المزروعة بالقضب إذا بذر فيها معه الشعير وغيره ، يتم حرث الأرض ثانيا حرثاً خفيفا حتى يتغطى البذر بالتراب . (راجع : _ملح الملاحة_ ، ص ١٨٨) .

(٢) الهمدانى : _صفة جزيرة العرب_ ، ص ١٩٩ ؛ ولنفس المؤلف : _الدامغة_ ، ص ١٢٠ .

(٣) الأشرف _ملح الملاحة_ ، ص ١٧٧ ، ١٨٥ . وعن الهلبا راجع ما يلى ص ٢٥١ من الكتاب هـ ٣ .

(٤) الأشرف : _المصدر السابق_ ، ص ١٧٨ ، ١٨٥ – ١٨٦ ، وراجع : _طرق أخرى مختلفة فى الحرث وبخاصة حرث الذرة_ ، ص ١٨٢ .

صفي النبات يسمح بتكديس التراب عند جذوعه فلا تقتلعه الريـاح أو تطرحـه أرضاً . ويسمى هذا الحرث في الجبال " بالكحيف " ، وفي بعض منـاطق تعـز " الجلب " ، بينما يسمى في تهامة (الشتاه) ويكتفى في تهامة بهذه الحرثة السـابقة " ولا يعترض الزرع بعمل ثان بعده " ، أما في المناطق الجبلية فبعد شهر من الحـرث المسمى " بالكحيف " تحرث الأرض المزروعة مرة أخرى بعرض تنقية الزرع مـن النباتات المتطفلة ، وتنظيف ما فيه من حشائش ، ومن المزارعين من يعمد إلي تنقية الحشائش من الزرع قبل كحيفه ليقوى وينمو ثم يحرثه . وهذه الحرثة تعـرف في الجبال " بالخلفة " ، حيث يوضع شق الحرث " التلم " في موضع شـق الحـرث السابق ، فيرفع الزرع مرة ثانية [1] .

ومما لا شك فيه أن عملية الحرث أثناء إنبات المحصول ، تساعد على تنقية الأرض من أنواع الحشائش الضارة فيجود الزرع وترتفع إنتاجيته من ناحية ، كما يسهل عملية وصول مياه الرى إلي الأراضى واحتفاظ " الشقوق أو الأتلام " بها .

ج- عملية بذر الحبوب:

تتوقف عملية بذر الحبوب في الأراضى على نوعيـة التُربـة والمحاصـيل المزروعة ، فالبر مثلاً يسفح أى يبذر والأرض ندية من المطر ، ولا تكـون ملطـة "مشبعة بالماء " من شدة المطر ، ويكون السفح متوسطاً ، بحيث يقـع في موضـع وطأة القدم بقدر سبع حبات أو ما يقاربها ، ثم يحرث عليه حتى يتغطى بـالتراب ، وفي الأرض متوسطة الخصوبة يوسط سفحها ولا يرق (يخفف) . ويتم البذر باليد وينفضها الباذر مقابلة وجهه وما يليه بعد أن يضع علامة يتميز بهـا موضـع مـا سفحه، من الموضع الذى لم يسفحه ، وحتى لا تتكرر عمليـة البـذر ، أو يبقـى موضعاً لم يبذر، ثم يحرث عليه وتنقى الأرض مما شابها من حشائش [2] .

أما في الذرة فيتم سفح البذور والأرض متوسطة بين الجفـاف والرطوبـة وطريقة البذر في الذرة تتم بأن يوضع المحراث في خط ، وتحرث الأرض خطوطـاً مستقيمة مستوية كل خط بجانب الخط السابق له ، بحيث ينشأ بين الخطين ارتفاع

---

[1] الأشرف : *ملح الملاحة* ، ص ١٨٢ ـ ١٨٣ .

[2] الأشرف : *ملح الملاحة* ، ص ١٧٨

(كفل) فيبذر الحب داخل الشق أو خط الحرث ، بأن يرمى ما بين ثلاث إلي خمس حبات من بين الأنامل في كل خطوة على قدر جودة الأرض وضعفها في أثر المحراث (النبال) حتى يغطى الحب بالتراب " ويخطو خطوة ويرمى الحب وهكذا يفعل حتى يحكم الأرض كلها " . وفي حالة عدم تغطية التراب للحب المسفوح ، يطأ الباذر بقدمه عليها حتى يغطى الحب ، وتعتمد وطأة الباذر على الحب بقدمه أو عدم وطأته لها على قدر لجفة التراب وثقله من حيث تغطيته للحب من عدمه [١] .

وفي حالة بذر حبوب الطهف والدخن ، فإنه يتم بذره قبل أن يجف ماء الري بحيث إذا نضب الماء ثار نبته [٢] .

د- الزرع والحصاد :

تختلف الفترة اللازمة لاكتمال نمو المحصول الواحد من منطقة إلي أخرى ، فالبر العربي " أو الأبيض " ، والبر الموسمي " الهَلبا " [٣] ، يزرعان في المناطق الباردة، ويستغرقان في الأرض حتى الحصاد فترة تتراوح ما بين ثلاثة شهور ونصف إلي أربعة . أما البر المسمى الوسنى وهو أجود أنواع البر ، فيزرع في المناطق المعتدلة لا سيما في مخلاف جعفر إذ يستغرق ثلاثة أشهر ونصف [٤] . بينما يستغرق الشعير في مأرب ما بين بذر الحب وحصاده نحو شهرين [٥] . أما الذرة وهى المحصول الرئيس للبلاد فيزرع في المناطق الحارة والمعتدلة ، وتختلف فترة بقائه في الأرض من

---

(١) الأشرف : *المصدر السابق* ، ص ١٨٢ ، هذا في المناطق الجبلية ، اما في الأودية ، كما هو الحال في سهل تهامة فيبذر الحب ذرا في وسط الشق بين حبتين إلي ثلاث حبات متواصلة لا فرق بينها (راجع : *المصدر السابق* ، ص ١٨٣) .

(٢) الهمداني : *صفة جزيرة العرب* ، ص ١٩٩ . ويلاحظ أن الدخن بصفة خاصة كان يزرع في الأراضي غزيرة المياه ، وموعد زراعته في منتصف فصل الشتاء (راجع : *Varisco , op . cit , P . 310*) .

(٣) الهَلبا : حب أبيض قصير ليس على سنابله شئ من السفا أى الزوائد التى تظهر على سنبله القمح وتكون مجاورة للحب (راجع : الأشرف : *المصدر السابق* ، ص ١٧٧ وهـ ١٤) .

(٤) الأشرف : *ملح الملاحة* ، ص ١٧٧ – ١٧٨ .

(٥) الأكوع : *البلدان اليمانية* ، ص ٢٤٩ . أما في المناطق الباردة فيستغرق ثلاثة شهور ونصف ، (راجع : الأشرف : *المصدر السابق* ، ص ١٨٠) ويلاحظ أن القمح والشعير كانا يمثلان مصادر هامة لصناعة الخبز ، وكان القمح الصيفى يزرع بصفة عامة في العصر الرسولى في الفترة من نهاية مايو وحتى أواسط يوليو ، ويحصد في سبتمبر ، ويطلق على الشعير والقمح الذى يزرع ويحصد فيما بين ديسمبر ومنتصف مارس اسم المحاصيل الشتوية أو القياظ ، انظر *Varisco, op , cit, p . 310* ؛ الأكوع : *اليمن مهد الحضارة* ، ص ٦١ .

مكان إلي آخر حسب نوعه . فالذرة البيضاء والصفراء تجود زراعتها في الأودية الحارة فتقيم في الأرض إلي أن تحصد قرابة خمسة شهور ونصف [١] . أما الذرة الشريجي ولونها بين الأصفر والأبيض وتجود في المناطق المائلة للبرد فتحصد بعد مضى سبعة شهور من يوم زراعتها ، وهناك نوع آخر يعرف بالجعيدى ويزرع في بلاد السحول [٢] ، ويتم حصاد أوله بعد أربعة أشهر ونصف ، وآخره بعد مضى خمسة شهور من يوم زراعته [٣] .

أما الذرة الحمراء وتجود في الجبال الباردة فيستغرق زرعها وحصادها قرابة تسعة أشهر ، ومنها صنف آخر يحصد بعد سبعة أشهر . وهناك أنواع أخرى تزرع في الجبال وتحصد بعد أربعة أشهر [٤] .

وقد يزرع المحصول الواحد في بعض المناطق مرتين أو أكثر في أوقات مختلفة في حين يزرع في بعض المناطق مرة واحدة مثال ذلك " البر الوسنى " فتختلف أوقات زراعته حسب نوع المياه المستخدمة في سقايته، فمثلاً يزرع في مخلاف جعفر (من تعز) وما والاه على المطر في أول شهر يوليو ، بينما يزرع في القصبية (أحد المواضع بمدينة تعز) وغيرها على مياه العيون في الفترة من أكتوبر إلي منتصف نوفمبر ، أما في المواضع المعتمدة على رى الغيول فيزرع في الفترة من ديسمبر إلي يناير ، ويعرف في تلك المناطق بالقياض [٥] . وتزرع الذرة في السهول التهامية في أوقات مختلفة من السنة ، فالذرة البيضاء بأنواعها تزرع في تهامة في العشرة أيام الأولى من (أغسطس) ، و(سبتمبر) و (مارس) ، أما الذرة الحمراء بأنواعها فتزرع في ٦ (أكتوبر) ، ١٦ (نوفمبر) . والعشرة أيام الأولى من (ديسمبر) [٦] .

---

(١) الأشرف : _ملح الملاحة_ ، ص ١٨١

(٢) بلاد السحول : سهل يبدأ من سفح إب الشمالي ويمتد شمالا حتى رحاب وهو من أخصب أراضي اليمن (راجع : الأكوع : _البلدان اليمانية_ ، ص ١٤٥ و هـ ٤) .

(٣) الأشرف : _المصدر السابق_ ، ص ١٨١ .

(٤) الأشرف : _ملح الملاحة_ ، ص ١٨١ ؛ ويلاحظ أن معظم أنواع الذرة كان يتم حصادها في شهر أكتوبر (راجع : _Varisco , op . cit , p . 310_ .)

(٥) الأشرف : _المصدر السابق_ ، ص ١٧٨

(٦) الأشرف : _نفسه_ ، ص ١٨٣ - ١٨٤

بينما تزرع الذرة البيضاء في المناطق الجبلية مرة واحدة في العام ، وفي العشرة أيام المختارة في نهاية مارس وبداية إبريل [١] .

وكانت الجربة أو الوِدْن (أى القطعة من الأرض) في بعض مناطق اليمن مثل مأرب والجوف وبيحان ، تمتلئ من مياه السيل ثم تبذر بالطهّف والدُخن قبل أن يجف الماء من سطح الأرض ، وعندما ينضب ماؤها تبدأ عملية إنبات الزرع ، وبعد الحصاد يبادر المزارعون بحرث الأرض وزرعها مرة ثانية ، ثم ثالثة ، بمحاصيل أخرى منها الذرة والسمسم وغيره ، ولذلك فقد كانت تصلح للحرث والبذر أكثر من مرة لخصوبة وجودة تربتها ، ومن ثم تستمر عملية الإنبات والإنماء والحصاد أكثر من مرة فيها [٢] .

ومن حيث تعدد أنواع المزروعات في الحقل الواحد، فتشير المصادر إلي عدد من المزروعات اعتاد فلاحو اليمن على زراعتها دفعة واحدة مختلطة فيما بينها، مثل زراعة القضب (البرسيم) والشعير والعلس في حقل واحد فوق بعض[٣]، ومن أمثلة ذلك ما ذكره الهمدانى عن قيام بعض مزارعى اليمن في مأرب والجوف بحرث الأرض إثُر حصاد الطهف والدخن ، ثم طرح بذر الذرة ومعها السمسم واللوبيا والعتر والقثاء والبطيخ والقرع فينبت كل محصول ويتم حصاده حسب زمان استغراقه في الأرض الأول فالأول [٤] .

ومن أمثلة المزروعات التى كانت تزرع عدة مرات في بعض المناطق مثل صنعاء ، فتشير المصادر الجغرافية إلي أن الحنطة كانت تزرع هناك وتحصد في العام دفعتين ، أما الشعير والأرز فكان يزرع ويحصد من دفعتين إلي أربع دفعات [٥] ،

---

[١] الأشرف : نفسه ، ص ١٨١ ؛ *Varisco , op . cit , p 310* .

[٢] الهمدانى : صفة جزيرة العرب ،ص ١٩٩ــ ٢٠٠ ؛ محمد أمين صالح : تاريخ اليمن ، ص ٢٠٥.

[٣] الأشرف : ملح الملاحة ، ص ١٨٨ ، العلس : نوع من الحبوب شبيه بالقمح لا يوجد في غير اليمن وله صفات مميزة فهو نوعان أبيض وأحمر ، وحبه ينبت في غلفة لكل غلفة حبتان أو ثلاث حبات إذا كان جيد الإنتاج ، وهذه الغلفة أو القشرة تقارب قشرة الأرز ، فيخلص الحب من غلفته ثم يجرش بالرحى ويصنع منه الخبز ، وخبزه يتميز بطيب المذاق أكثر من خبز الحنطة (راجع : الأشرف : المصدر السابق ، ص ١٨٠ ؛ المظفر : المعتمد ، ص ٣٢٣ ؛ وأنظر أيضا : ابن رستة : الأعلاق النفيسة ، ص ١١ ؛ القزوينى : اثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص ٦٩) .

[٤] الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٩٩ .

[٥] ابن رستة : المصدر السابق ، ص ١٠٩ ، ١١١ .

ويضيف القزويني مؤكداً أنه كان يزرع أربع مرات في السنة ويحصد كل زرع في ستين يوماً وتحمل أشجاره في السنة مرتين [١] .

أما بعض مناطق المدرجات الجبلية فكانت لا تزرع إلا مرة واحدة ، بسبب طبيعة الأرض إذ لا تستطيع الاحتفاظ برطوبتها (الندى) فترة طويلة ، وتعتمد في زراعتها على استمرار هطول الأمطار ، ومن ثم يقتصر زرعها على فترة المطر فقط ، ويمكث بها الزرع حتى يُحصد مدة خمسة شهور ، وشهرين قبل بذر الحب ، تستطيع فيهما الأرض الاحتفاظ بالندى فتصبح الفترة سبعة أشهر مع استمرار المطر كما أسلفنا ، أما بقية العام فتظل جافة ، ولهذا كانت تزرع دفعة واحدة في العام [٢] .

بينما توجد بعض المناطق التي تزرع أراضيها عدة مرات اعتماداً على مياه السقيا الواحدة ، ومن ذلك النوع أراضي مأرب لما يتوفر في تربتها من جودة وخصوبة عالية ، ويذكر ياقوت الحموي والقزويني أن أهل مأرب يزرعون على ماء جار يأتيهم من السد فيسقون أرضهم سقية واحدة فيزرعون عليه (على هذا الماء) ثلاث مرات في كل عام ، ويكون بين موعد زرع الشعير وحصاده في ذلك الموضع نحو شهرين [٣] . ويؤكد الهمداني ذلك فيذكر أن بذر البر يكون مثلاً في شهر ديسمبر، ويحصد في شهر مايو دون أن يصيبه ماء [٤] .

ومما سبق يمكن القول بأنه كانت تتوفر في اليمن بعض الأراضي الزراعية التي لها القدرة على الاحتفاظ برطوبتها ونداها لمدة طويلة فتتيح لزارعيها الإفادة منها في الزراعة من مرتين إلي أربع مرات ، بينما تقتصر نداوة بعض الأراضي الأخرى على فترة هطول الأمطار ، أي لا تحتفظ برطوبتها سوى فترة قصيرة مما لا يسمح بزراعتها أكثر من مرة واحدة . وهذا التنوع في الأراضي والمناخ ساعد على تنوع محاصيل اليمن تنوعاً كبيراً يتضح في الصفحات التالية :

---

(١) القزويني : *المصدر السابق* ، ص ٦٥ ؛ القرماني : *المصدر السابق* ، ص ٣٩٤ .
(٢) الهمداني : *المصدر السابق* ، ص ١٢٢ .
(٣) الأكوع : *البلدان اليمانية* ، ص ٢٤٩ ؛ القزويني : *المصدر السابق* ، ص ٦٠ .
(٤) الهمداني : *صفة جزيرة العرب* ، ص ١٩٩ .

٥- المحاصيل الزراعية

أ- أنواع المحاصيل:

ذكر الهمداني " أن نبات اليمن من روض وشجر عُرّى وعضاة مطعمة ، وعضاة شوكة وحشائش وزهور وأنوار .. وكل جنس من هذه الضروب لا تحصى فنونه " [(١)] . ويوضح هذا القول أن الفلاح اليمني كان يهتم منذ القدم بزراعة العديد من المحاصيل والحبوب وسائر الخضروات اللازمة لحياته ، حيث عمد إلي تقسيم سفوح الجبال إلي مدرجات ممهدة ساعدته على تنويع هذه المحاصيل ، واشتهرت تبعاً لذلك بعض المناطق اليمنية بجودة الزراعة فيها وكثرة محاصيلها ، من ذلك مخلاف ذى جرة وخولان (مشرق صنعاء)، وكان يعرف بخزائن اليمن [(٢)] . كما تعرف السحول ورعين وذمار بمصر اليمن لكون الذرة والبر والشعير تجود زراعتها في هذه المناطق وتبقى مدة طويلة [(٣)] . ويؤكد هذا التنوع وتلك الشهرة اليمنية بهذه الحبوب الثلاثة وصف ياقوت الحموى لبلاد اليمن والذى يأتى به على لسان أحد رجالها فيقول " أما جبالها فكروم وورس وسهولها بر وشعير وذرة " [(٤)]. كذلك يؤكد هذه النصوص السابقة ما ذكره العمرى عن كثرة زراعة الحبوب ببلاد اليمن وبخاصة الذرة والأرز والسمسم ، والقمح والشعير ، وإن كان هذان الأخيران يزرعان طبقاً لقوله بمقادير أقل من الأنواع الثلاثة السابقة [(٥)] .

ومن النصوص السابقة يتضح لنا أن من أهم محاصيل اليمن الذرة والشعير والبر . وكانت الذرة تزرع في اليمن بأنواعها البيضاء والصفراء والحمراء والغبراء وغيرها [(٦)] . وتنتشر زراعتها (مع البر والشعير) في معظم سهول ومناطق اليمن

---

(١) الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٣٣ .

(٢) الهمدانى : المصدر السابق ، ص ١٠٧ .

(٣) الهمدانى : نفسه ، ص ١٠٧ - ١٠٨ ؛ Varisco , op . cit , p . 309

(٤) الأكوع : البلدان اليمانية ، ص ٣١٣ ؛ حسن إبراهيم حسن : اليمن البلاد السعيدة ، ص ٨ ؛ Varisco, op cit, p . 309

(٥) العمرى : مسالك الأبصار ، ص ١٥٤ .

(٦) الهمدانى نفسه ،ص١٩٩ .ويلاحظ أن الذرة كانت تعد محصول الطعام والغذاء الرئيس للبلاد عبر تاريخ اليمن، ومنه كان اعتماد المزارعين على طحن الدقيق اللازم لصنع الخبز والثريد،أما سيقانه وأوراقه فتدخل في صناعة علف الماشية،وخشب الوقود.ويمكن تمييز نحو ٢٥ نوعاً عرفتها اليمن

وبخاصة في تهامة والمناطق الجبلية عندما تشتد الحرارة ، ومن أشهر مناطق زراعتها كما أوضح الهمداني ، هي السحول ورعين وذمار [١] . بالإضافة إلي عدد آخر من المناطق الجبلية مثل شهَارة [٢] ومسْوَر [٣] ، والشرجة والسروات [٤] ، كما كانت تزرع أيضاً في نجران وعثر والجوف ومأرب وبَيحَان وغيرها [٥] .

ويزرع في اليمن القمح بأنواعه[٦]،وذلك في مناطق شتى حيث يتوفر اعتدال الطقس وبرودته،وتجود زراعته في السلسلة الجبلية لليمن وهضابها والسهول المجاورة لها بما يكتنفها من وديان وحقول مثل(صبر بتعز)وجبال الشعر(شرقي مدينة إب)،والحقول (شمال إب)والشوافي(غرب إب)[٧]،والسحول ورعين وذمار[٨]،وصعدة[٩]،وشهارة [١٠] ، ومسور [١١] ، ووادي الجنات [١٢] ، وجبل تخلى وما حوله من أودية [١٣] كذلك كانت

=من الذرة وذلك من خلال الأسماء التي وردت في المصادر الرسولية،ولكن التمييز الأساسي لذلك كان يتم عن طريق لون الحب(أحمر - أبيض - أصفر).(راجع : Varisco , op . cit , p . 310) .

[١] الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص ١٠٧ – ١٠٨ .

[٢] شهارة:من حصون صنعاء تقع على رأس جبل الأهنوم،وتبعد مسافة ١٦٠كم عن شمال غربي صنعاء(أنظر:الأكوع:البلدان اليمانية،ص ١٧١؛الربعي مفرج بن أحمد:سيرة ذوى الشرفين،مخطوط بدار المحفوظات بصنعاء تحت رقم ٢٥٧٣(م.د عبد العال)،ق ٣٤؛الهمداني:المصدر السابق،ص ١٩٤) .

[٣] القزويني:المصدر السابق،ص ٦٢.ويذكر كل من الهمداني والقزويني أن البر والشعير والذرة يبقى بمسور مدة طويلة لا يداخله التغيير أو الفساد.(راجع:صفة جزيرة العرب،ص ١٠٨، آثار البلاد ، ص ٦٢) .

[٤] المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ٨٦ . وتعرف الشرجة ومجاوراتها من مدن الساحل بأنها خزائن الذرة . والشرجة بلدة شمال غرب حرض على الساحل وهى من أوائل أرض اليمن وتدخل في أول كورة عثر . (راجع : الأكوع : البلدان اليمانية ، ص ١٦٥) .

[٥] المقدسي : المصدر السابق ، ص ٨٦ ؛ الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص ١٩٩ – ٢٠٠ ، وعن بقية أماكن زراعته وطرق فلاحته راجع : الأشرف : ملح الملاحة ، ص ١٨٠ – ١٨٤ ؛ ابن المجاور : المستبصر ، ص ٦٣ ؛ مجهول : مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، تحقيق إحسان صدقى العمد، محمد عيسى صالحية ، ط١ ، الكويت ١٩٨٤ ، ص ١٢ .

[٦] من أنواعه : البر العربي وهو الأبيض رقيق الحب ، وبر الهلبا وحبه أبيض قصير ، والبر الحبشي وحبه متوسط بين الطول والقصر (للمزيد عن أنواعه وصفاته وطرق زراعته راجع : الأشرف : المصدر السابق ، ص ١٧٧- ١٧٨ ؛ مجهول : مفتاح الراحة ، ص ١٢٥ – ١٢٦ ؛ Varisco , op . cit , p. 311) .

[٧] الأشرف : ملح الملاحة ، ص ١٧٧ .

[٨] الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص ١٠٧ – ١٠٨ .

[٩] ابن المجاور : المستبصر ، ص ٢٠٦ .

[١٠] الربعي : المصدر السابق ، ق ٣٤ .

[١١] القزويني : آثار البلاد : ص ٦٢ .

[١٢] الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص ٧٦ .

[١٣] يُعد جبل تخلى وسفوحه ووديانه من أشهر مزارع اليمن وكان يتوفر في رياضه العديد من صنوف الزراعات كالموز وقصب السكر والنباتات الطبية والعلس والشعير وغيرها من الحبوب . (راجع عن هذا الجبل وموقعه وزراعاته ، الهمداني : المصدر السابق ، ص ١٩٠- ١٩٣) .

الحنطة والشعير يزرعان في إقليم فِشال على وادى رِمع في تهامة ابتــداءً مــن عــام ٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م كما زرع الشعير والعلس في نفس المناطق السابقة [١] .

كذلك كان أهل ظفار الحبوضى التابعة لبنى رسول ، يعتمدون على الذرة كمحصول رئيس للبلاد ، كما كانوا يزرعون العلس ويتخذون منه الخبز [٢] .

ومن المزارع الهامة أيضاً في بلاد اليمن منذ القدم و التى تزايدت أهميتها في الفترة موضوع الدراسة ، بحيث أصبحت الضرائب المحصلة منها تمثل أحد المــوارد الرئيسة لإيرادات الدولة ، مزارع النخيل ، التى ذاع صيتها في معظم الأصــقاع ، حتى أن أهل اليمن وصفوا " بأهل بلاد التمر " [٣] . وانتشرت مزارعــه في عــدة مناطق باليمن ، منها مأرب [٤] وجُرَش ونجران [٥] . أما أهل مناطق زراعته فتقع في سهل تهامة وبخاصة في وادى زبيد [٦] .

ويفسر ابن المجاور بداية ظهور النحل في اليمن بأن عير الحجاز وصــلت اليمن في تجارة ، وكانت أحمالها من التمر فكانوا يأكلون ويرمون النوى في " نداوة " فساعدت نداوة الأرض على ظهور النخل ، فلما رأى أهل البلاد ذلك " وعرفوا غرسه ، غرسوهُ وكثر النخل " [٧] ، ويؤكد ابن المجاور أن على بن محمد الصليحى أول من اهتم بغرسه والعناية به ، ومنذ ذلك الوقت اهتم أهــل الــيمن بغراســته والاستكثار من زرعه ، وزيادة الأنواع المزروعة منه ، فمثلاً وصل عدد قطع النخل

---

(١) نفس المصادر السابقة ، وانظر أيضا : القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ / ١٦ ، ١٧ ؛ القزوينى : المصدر السابق ، ص ٦٩ ؛ الواسعى : فرجة الهموم ، ص ٩٥-٩٦ ، ١٤٩ – ١٥٠ .

(٢) ابن بطوطة : الرحلة ، ج٢ ، ص ١٩٧ .

(٣) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٧٤ . وأنظر أيضا : المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ١٠٥ حيث يذكر في مدح التمر أن الله أكرم أهل اليمن بخير الثمار وسيدة الأشجار التمر والنخل .

(٤) الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٠٢ ؛ الأكوع : البلدان اليمانية ، ص ٢٥٢ .

(٥) المقدسى : المصدر السابق ، ص ٨٧ ؛ وراجع أيضا: القرمانى : المصدر السابق ، ص ٣٩١ ؛ الأصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٢٦ القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٥ / ٤٠ – ٤٢ ؛ Varisco , op . cit, p . 310

(٦) ابن المجاور : المستبصر ، ص ٧٨ – ٧٩ ، ٨٩ ، ٩١ – ٩٢ . وراجع عن نخل زبيد أيضا : القرمانى : المصدر السابق ، ص ٣٥٢ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ج٢ / ١٦٧ ؛ الخزرجى : العسجد ، ص ٢٥٢ – ٢٥٣ ؛ العقود ، ج٢ / ١٤٧ القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٥ / ٩ ؛ الواسعى : مرجع السابق ، ص ٤٥ .

(٧) ابن المجاور : المستبصر ، ص ٧٨ – ٧٩ . وعن طرق زراعة النخل راجع بالتفصيل : مجهول : مفتاح الراحة ، ص ١٧٩ - ١٨٢ وما بعدها .

بوادى زبيد زمن الأيوبيين ما يزيد عن عشر قطع هي الأبيض والكاديجا والَمجّرشيَّة والَمحلّة والأثيل والمَجازع وكَرْوة والقُهَيّرا والمغَارس وحَجَنة [١] .

وزودنا الأشرف الرسولى في حديثه عن طرق غراس النخل وكيفية ريه بأسماء عدة أصناف أخرى كانت معروفة في عصره مثل الثعل ، والمولد وهى على ثلاثة أصناف (دحر – مقصاب – ذبل) ، والمعصى . أما التمور أو الرطب فكانت على ثلاثة أصناف وهى حمارى وصفارى وخضارى وكلها ذات ألوان مختلفة ، كما زودنا الأشرف بصنف رابع أسماه المقصاب [٢] .

وكان للتمر سوقه الرائجة في بلاد اليمن ، فإذا حان وقت نضجه أقبل الناس إليه من سائر أنحاء اليمن " من باب حرض إلي آخر أعمال أبْيَن " ، وينزل لشرائه أهل الجبال إلي تهامة ، ويتم الشراء بطريقة التقبيل [٣] .

كما كانت أراضى اليمن تنتج العديد من صنوف الخضروات والفواكه ، ومعظم ما كان يزرع بأرض مصر من الفواكه كان يزرع في بلاد اليمن [٤] ، وسوف نكتفى هنا بذكر مثالين أحدهما لصنعاء وتعز وهما يمثلان زراعات المناطق المعتدلة والباردة ، والمثال الآخر لزبيد التى تمثل نموذجاً لزراعات المناطق الحارة .

أما صنعاء فأشهر ما يزرع فيها من صنوف الفواكه والخضروات ، الكروم بأنواعه [٥]،والرمان الحلو والحامض والممزوج، والسفرجل،والإجاص والمشمش ،

---

[١] ابن المجاور : المستبصر ، ص ٧٨ ـ ٧٩ .

[٢] ابن المجاور ،نفسه ، ص ٧٩ ؛ الأشرف :ملح الملاحة ، ص ١٩٨ . ويعد منتصف يوليو موعد جنى ثمار النخل ، عن ذلك وللمزيد من التفاصيل عن أنواع النخيل والتمور وصفاتها (راجع : الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٦١ ، ٢٩٧ ، ٣١٣ ـ ٣١٤ ؛ الأشرف : المصدر السابق ، ص ١٩٦ ـ ١٩٨ ؛ الأفضل الرسولى :بغية الفلاحين ، ق ٥٧ ـ ٦١؛ Varisco , op cit, p . 310) .

[٣] ابن المجاور :المستبصر ،ص ٧٩.وطريقة التقبيل تعنى الاستئجار من الملاك أى قبول الشئ المعروض للبيع بمبلغ محدد يتم الاتفاق عليه بين البائع والمشترى على أن يدفع الأخير الثمن بعد بيع الثمار .

[٤] العمرى :مسالك الأبصار ، ص ١٥٩ ؛ القلقشندى :صبح الأعشى ، ج٥ / ١٧ ؛ وانظر أيضا : الهمدانى :صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٣ .

[٥] عددت لنا المصادر الكثير من أنواع الكروم المتواجدة باليمن ، حتى أن ابن رستة ذكر نحو سبعين لونا منه ، كما عَدَّد لنا الهمدانى بدوره عددا آخر من أصنافه وأشهرها الملاحى ، والدوالى ، والأشهب ، والجرشى وغيره ، وأضافت لنا المصادر الرسولية عددا آخر من هذه الأنواع (أنظر : الهمدانى،صفة جزيرة العرب،ص ١٩٦؛ابن رستة،الأعلاق،ص ١١١؛ Varisc ,op . cit , p . 310) ، وللمزيد من التفاصيل عن كروم اليمن وطرق فلاحته ومواعيد زراعته وقطفه وتحويل بعضه إلي=

والتفاح الحلو والحامض والمسكى والممزوج ، والخوخ بأنواعه المختلفة الفارسى والهندى والحميرى ، والجوز واللوز بأنواعهما والكمثرى والبلس (التين) [١] .

وكان يزرع بها أيضاً الأترج والبطيخ وقصب السكر والعديد من صنوف الخضروات [٢] . كذلك كان يزرع بأرضها الزعفران والعديد من ألوان الرياحين والزهور كالورد والنرجس والياسمين والسوسن والنمام [٣] . كما كان يزرع بها الباقلاء الخضراء (الفول) ، وكافة أصناف البقول وجميع الحبوب [٤] .

أما تعز فأشهر ما كان يزرع بها لاعتدال هوائها وكثرة مائها صنوف الفواكه والرياحين مثل العنب والرمان والسفرجل والليمون والتفاح وأصناف أخرى كثيرة ولكن بمقادير أقل ، وكان يزرع بها العديد من أنواع الرياحين والزهور ، ويجلب بعضه من بلاد الشام والهند ويغرس في أرضها ، لاسيما الزهور البيضاء ، وكان أوان ازدراعها في عامة اليمن في شهر إبريل ، كذلك عرفت حدائق تعز أنواعاً عدة منها النرجس بأنواعه والياسمين والفل وشجر الكاذى المجلوب أصلاً من الهند ويتميز برائحته الذكية التى تفوق غيره من أنواع الزهور الأخرى [٥] .

=زبيب ، راجع (الأشرف : *ملح الملاحة* ، ص : ١٩٩ ـ ٢٠٢ ؛ الأفضل الرسولى : *بغية الفلاحين*، ق ٦١ ـ ٦٢) .

[١] للمزيد عن هذه الفواكه وطرق غراستها بالتفصيل راجع : ابن رستة : *المصدر السابق* ، ص ١١١ ؛ الهمدانى : *نفس المصدر* ، ص ١٩٦ ـ ١٩٧ ؛ *الإكليل* ، ج١ / ٣١٤ ، ٤١٥ ، ج٨ / تحقيق الأكوع ، ص ١٢٠ ـ ١٢١ ؛ الرازى *تاريخ مدينة صنعاء* ، ص ١٥٨ ، ١٩٠ ، ٢٨١ ؛ ابن الفقيه : *مختصر كتاب البلدان* ، ص ١٢٤ ـ ١٢٥ ؛ ابن حاتم : *السمط* ، ص ٣٦ ؛ العمرى : *مسالك الابصار* ، ص ١٦٥ ، ١٦٧ ؛ القلقشندى: *صبح الأعشى* ، ج٥ / ١٦ ؛ الأهدل : *تحفة الزمن* ، ق ١٩؛ ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ١١٤ ، ٢٠٩ ؛ وأنظر أيضا : ابن المجاور : *المصدر السابق* ، ص ١٨٥ ، ١٩١ ؛ الأشرف : *المصدر السابق* ، ص ٢٠٢ ـ ٢٠٧ ؛ الأفضل الرسولى : *بغية الفلاحين* ، ق ٦٥ ـ ٧٢ ؛ الواسعى : *فرجة الهموم* ، ص ٤٢ ـ ٤٣ .

[٢] ابن رستة : *الأعلاق النفيسة* ، ص ١١١ ؛ ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٨٦ ويلاحظ أن القليل من المزارعين من كان يقبل على زراعة الخضروات ، بينما خصصت مناطق واسعة من الأراضى السلطانية لزراعتها ، ويُعد الفجل والكرات والبصل أكثر الخضروات شيوعا في الوجبات الغذائية لفلاحى اليمن (راجع *Varisco , op cit , p . 310*) .

[٣] النمام : يعرف أيضا بالشهبان وهو أحد أنواع الرياحين ويعرف بنعناع الماء . (راجع : الأفضل الرسولى : *بغية الفلاحين* ، ق ٥١ـ ٥٢ ؛ وعن مختلف أنواع الرياحين وطرق غرسها راجع : *بغية الفلاحين* ، ق ٤٤ ـ ٥٢) .

[٤] الهمدانى : *صفة جزيرة العرب* ، ص ١٩٧ ؛ ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٨٥ .

[٥] العمرى : *مسالك الأبصار* ، ص ١٥٢ ؛ *Varisco , op . cit , p . 311* .

أما زبيد فكان يزرع بها هى الأخرى الكثير من صنوف الفواكه والخضروات وأنواع الرياحين والزهور فمن أشهر مزروعاتها الموز والتين ، وشجر النارجيل [١] والعنباء [٢] ،والنخيل المبسوطة على كل لون (أصفر وأحمر وأخضر) وغير ذلك من الأنواع ، والبطيخ والليمون والنارنج بنوعيه (الحلو والحامض) ، والحناء وزهرة اللينوفر وزهر الكاذى وغيرهما من أنواع المشمومات [٣] .

وعرفت اليمن زراعة الأرز في أواخر العصر الأيوبى ، حيث جُربت زراعته في فشال عام ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ م ، إثر نجاح زراعة الحنطة والشعير بها في العام السابق مباشرة (عام ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م) ، ونجحت التجربة ولكن حال دون استمرارها بعد ذلك جهل المزارعين بأصول الحصاد [illegible] قاموا باقتلاع الأرز من أصوله عند الحصاد [٤] ... ليمتنع أهل اليمن عن زراعته لمدة تزيد عن قرن ونصف من الزمان ، وكانوا يعتمدون طوال هذه الفترة في طعامهم على الأرز المجلوب إليهم من الهند [٥] . إلي أن كان في أواخر عصر الأشرف الثانى الرسولى (ت ٨٠٣ هـ / ١٤٠٠ م) وكان معروفاً عنه الاهتمام بالفلاحة وغراسة البساتين وتزويدها بغرائب أنواع الشجر ، فأمر في عام ٨٠١ هـ / ١٣٩٨ م بزراعة الأرز في الأراضى السلطانية بوادى زبيد ، ونجحت زراعته هذه المرة ، وتم حصاده وضربه [٦] . وأدى هذا النجاح إلي الاستمرار في زراعته في وادى زبيد

---

[١] يلاحظ ان عدداً من أصناف الفواكه والأشجار الغريبة كانت تجلب من الهند ، حيث دأب حكام اليمن وبخاصة زمن الرسوليين على جلبها وغرسها في بساتينهم الملكية مثل النارجيل الذى شاهده ابن بطوطة ببساتين المجاهد الرسولى بزبيد . وساعد على ذلك العلاقات التجارية النشطة التى كانت تربط بين القطرين الهندى واليمنى في عصر بنى رسول . (راجع : ابن بطوطة : _الرحلة_ ، ج٢ / ٢٠٤ ؛ _Varisco , op . cit , p . 310_) .

[٢] العنباء : شجرة أصلها من الهند شاع غراسها في أودية وسهول تهامة وثمرها أشبه بالكمثرى لونها يميل للإصفرار وهى زكية الرائحة . تؤكل في اليمن طازجة ويصنع منها المربى بينما في الهند يكبسونها بالملح والماء ويضاف إليها الخل وتستخدم كأحد الكوامخ (المشهيات) أسوة بالزيتون . (راجع : المظفر : _المعتمد_ ، ص ٣٣٨ ـ ٣٣٩ ؛) .

[٣] ابن بطوطة : _الرحلة_ ، ج٢ / ١٦٧ ، ٢٠٤ ؛ ابن المجاور : _المستبصر_ ، ص ٦٢ ، ٨٧ ؛ ابن الديبع : _الفضل المزيد_ ص ٤٨ ؛وللمزيد من التفاصيل عن كل هذه الأنواع راجع : الأفضل الرسولى : _بغية الفلاحين_ ، ق ٤٤ وما بعدها .

[٤] ابن المجاور : _المستبصر_ ، ص ٦٣ .

[٥] ابن بطوطة : _المصدر السابق_ ، ج ٢ / ١٩٧ .

[٦] الخزرجى : _الكفاية_ ، ق ٢٣١ ، _العسجد_ ، ق ٢٩١ ، _العقود_ ، ج٢ / ٢٤٧ ، ٢٦٠ .

وفي مناطق أخرى باليمن مثل شهارة [١] . ويلاحظ أن زراعته بدأت في الأراضي الملكية وعلى نطاق ضيق بقصد التجربة في البداية ، وذلك لأن مصادر المياه آنذاك لم تكن متوفرة بالقدر الذى يضمن نجاح زراعته في كل أنحاء البلاد ، ثم أن الأراضى الملكية كانت أفضل المناطق لإنتاجه بحكم توافر المياه بها [٢] .

كما عرفت مدينة ظفار الحبوضى زراعة الموز ، فيذكر ابن بطوطة أنه يوجد بهذه المدينة عدد كبيرٌ من بساتين الموز الذى يصفه بأنه طيب المذاق شديد الحلاوة كبير الحجم حتى أن الحبة الواحدة منه وزنت أمامه فبلغت اثنتا عشر أوقية[٣]. كذلك كان يزرع بذات المدينة النارجيل أو جوز الهند والتنبول وهو نبات متسلق أشبه بالعنب ويصنع له معرشات من القصب(الغاب)،أو يغرس بجوار شجر النارجيل حتى يتسلق عليه،وهو شجر غير مثمر وإنما المقصود من زراعته استعمال مراوحه التي كانت تنتزع كل يوم وأطيبها الأصفر[٤]،ومن المزروعات أيضاً الكتان والسمسم وكان يزرع على طول وادى سردد.ومنها القطن في التهايم وبخاصة في وادى زبيد وكان يطلق عليه اسم العطب [٥]،كذلك شاعت زراعة الورس في مذيخرة [٦] وعدن،واللبان في الشحر،والأترج بنجران[٧]والسندروس

---

[١] الربعى : _المصدر السابق_ ، ق ٣٤ .

[٢] _Varisco , op . cit , p . 310 ._

[٣] ابن بطوطة : _الرحلة_ ، ج٢ / ٢٠٤ .

[٤] للمزيد عن التنبول واستعمالاته راجع : ابن بطوطة : _المصدر السابق_ ، ج٢ / ٢٠٤- ٢٠٦ .

[٥] عرف القطن آنذاك بالعطب ويتم جنيه في شهر مايو وهو الجزء المزروع في الإقليم الساحلى بوادى سردد وزبيد . أما المزروع منه في أبين بالساحل الجنوبى فيتم حصاده في ديسمبر . أما الكتان فكان يبذر في يونيو ويوليو .(أنظر : مجهول : _مفتاح الراحة_ : ص ١٣٣ ـ ١٣٥ ؛ _Varisco , op . cit, p. 311_ ؛ وللمزيد عن زراعتهما راجع : الأشرف: _ملح الملاحة_ ، ص ١٨٦- ١٨٨؛ الأفضل : _بغية الفلاحين_ ، ق ٨٢ : ٨٣ . وراجع عن القطن أو العطب : الخزرجى ، _العسجد_ ، ق ٢٥٢ ـ ٢٥٣ ، ٢٦٩ ؛ _الكفاية_ ، ٢١٥ ، _العقود_ ، ج١ / ٧٨ ، ج٢ / ١٤٧ ، ١٩٢ ؛ ابن المجاور : _المستبصر_ ، ص ٨٩) .

[٦] مذيخرة : بلدة تقع في الجنوب الغربى لمدينة إب . وراجع عن أماكن أخرى لزراعة الورس : الهمدانى : _صفة جزيرة العرب_ ، ص ٧٦ ـ ١٠٥ ؛ المقدسى : _أحسن التقاسيم_ ، ص ٩٨ . أما الورس: فهو نبت أصفر يشبه نبات السمسم يعطى ثمرة مغطاة بغدد حمراء تستخدم في صباغة الثياب اسوة بالزعفران . (أنظر : المظفر : _المعتمد_ ، ص ٥٤٧ ؛ وراجع أيضا : الإدريسى : _نزهة المشتاق_، ج١ / ٥٣ ؛ القزوينى : _المصدر السابق_، ص ٦١ ؛ الأكوع : _البلدان اليمانية_ ، ص ٦٥ ، هـ ١ ، وراجع أيضا : ابن حوقل : _صورة الأرض_ ، ص ٤٣) .

[٧] شيخ الربوة : _المصدر السابق_ ، ص ٢١٧ ؛ وذكر القزوينى شهرة بلاد اليمن بالورس واللبان قائلا " أربعة أشياء قد ملأت الدنيا ولا تكون إلا باليمن الورس والكندر (اللبان) والخطر والعَصب (أما الخطر فهو نبات يخضب به) ، والعصب نوع من البرود اليمنية يعصب غزله ثم يصبغ ويحاك=

(صمغ الساج) وشجر الحنون (الحناء) ، والخيار والأهليلج ، وعدد من الرياحين كاللينوفر وغيره في تهامة [1] .

وكان الورس يزرع في وادى الجنات ، ويختلط في أعاليه مع العديد من أنواع الفواكه كالأعناب والموز وقصب السكر بالإضافة إلي الخيار والقثاء والكزبرة بينما تزرع الحناء وأصناف الخضر بوادى نخلة [2] . ويزرع الصبر في سقطرى وحضرموت ، وفي الأخيرة كان يزرع أيضاً النبق ، وتغل الشجرة منه حوالى خمسة أوقر (وقر خمسة جمال) [3] . ويزرع في مأرب والجوف الحمص والكمون والسمسم الذى يعد أجود أنواع السمسم في اليمن فيصفه الهمدانى " بأنه لا يلحق به لا حق خاصة المأربى والجوفى كثير الضياء صاف طيب " [4] .

وجدير بالذكر أن بعض الحاصلات الزراعية ارتبطت زراعتها من حيث الكثرة والقلة بالنشاط التجارى لبلاد اليمن ، ومدى الإقبال عليها ، مثال ذلك محصول الفوة الذى يدخل في صباغة المنسوجات ، فكانت لها سوق رائجة باليمن، ويصدر لعدد من الدول المجاورة ، الأمر الذى دفع المزارعين إلي الإقبال على زراعته ، فازدادت مساحاته في الجبال على حساب المحاصيل الأخرى وبخاصة الغلال والحبوب خاصة وأن الجريب الواحد منه كان يباع بأضعاف ثمن جريب الشعير أو القمح وغيره . ففي عام ٦١٥ هـ / ١٢١٨ م ، كان ثمن جريب الحنطة أو الشعير خمسة دنانير ، بينما يبلغ ثمن جريب الفوه ٦٠ ديناراً ، ووصل سعره في عدن عام ٦٢٢ هـ / ١٢٢٤ م إلي ٧٦ ديناراً فاتجه الناس إلي زراعته على اختلاف طبقاتهم ، وبقى الوضع على ذلك الحال إلي أن اعتلى المسعود الأيوبى

=وهو يشبه الأرجوان الأحمر . (راجع : القزوينى : المصدر السابق ، ص ٦٥ ، ٦٩ ؛ وأنظر أيضا: المقدسى : أحسن التقاسيم ،ص ٨٧؛الاصطخرى:المسالك والممالك ،ص٢٧؛ المقريزى:الطرفة الغريبة في أخبار وادى حضر موت العجيبة ،ص ٤٠؛الحميرى:الروض المعطار ،ص ٣٣٩.وراجع أيضا : الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٢١٠ ؛ الأكوع : اليمن مهد الحضارة ص ٦٩) .

[1] ابن المجاور :المستبصر ،ص٩١،٨١؛وعن الأصناف الواردة بالمتن راجع المظفر :المعتمد، ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦،٣٥٦ ـ ٣٥٩ ؛ مجهول : مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ،ص ٣٣٤ ، ٣٤٢،٣٤٧ .

[2] الهمدانى : المصدر السابق ، ص ٧٥ ـ ٧٦ .

[3] الادريسى :نزهة المشتاق،ج١ / ٥٠ ـ ٥١،٥٦؛ابن المجاور :المصدر السابق،ص ٢٦٦ ؛ المقريزى:الطرفة الغريبة،ص ٣٨ الحميرى:الروض المعطار ص ٣٢٨؛ الأكوع : البلدان اليمانية ، ص ١٥١ . وعن النبق وزراعته وأنواعه راجع : مجهول : مفتاح الراحة ، ص ٢٠٠ ـ ٢٠٢ .

[4] الهمدانى :نفسه ، ص ١٩٩ ؛ وعن طرق زراعته انظر : مجهول : مفتاح الراحة ، ١٣٣ .

دست السلطنة فأدرك خطورة هذا النبات على باقى المحاصيل الغذائية الرئيسة للبلاد، فأمر عام ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦م بمصادرة الفوة "و لم يُخلْ لأحد وزن أوقية " ومنع الناس من زراعتها بهذه الكميات [١] .

ومما يؤسف له أنه في الوقت الذى توافرت لدينا في المصادر كافة التفاصيل الخاصة بزراعة المحاصيل وأنواعها وطرق حصادها في بلاد اليمن ، تصمت المصادر التي أمدتنا بتلك المعلومات الوافية عن طرق الزراعة عن إمدادنا بمعلومات وافية عن القيمة الإنتاجية لهذه المحاصيل من حيث مقدار انتاجية الجريب أو الجربة أو الذهب (أى الفدان تقريباً) ، وكل ما يمكن الذهاب إليه ترجيحاً في هذا الشأن ، أنه بخلاف العشر المطلوب دفعه للخزانة الملكية كزكاة للثمار من قبل الفلاحين [٢] ، فإن إنتاج هذه المحاصيل غير معلوم ، ولكن يمكن القول بأنها لم تكن تدر محصولاً ثابتاً على مدار الأعوام ، وإنما يتغير هذا الإنتاج تبعاً لكميات الأمطار، ومدى عناية الفلاح بأرضه ومحصوله ، علاوة على ظروف المناخ والآفات والأضرار الزراعية من عدمها .

ب- درس الحبوب وتخزينها :

أمدنا الأشرف الرسولى بوصف تفصيلى للطرق التي يستخدمها أهل اليمن في درس الحبوب في سياق حديثه عن زراعتها ، فعلى سبيل المثال : عندما يحصد البر يجفف بالشمس ، في " الجرن " ، ثم " يكوم " بعضه على بعض ، بحيث تكون سنابله من أعلى متجمعة وجذوعه مفتوحة من أسفل على شكل هرمى ، ويظل مكوماً لمدة ثمانية أيام ، دون أن يصله شئ من رطوبة الندى حتى لا يصيبه العفن ، ثم يحل ويداس بالثيران بعد انتهاء الأيام الثمانية ، ويستمر الدرس حتى يتخلص الحب من التبن تماماً ، ثم تذرى الحبوب في الرياح بالمدراة ، حتى يخلص الحب من التبن ، فإذا بقى فيه شئ ثانية يدرس من جديد بالحجر والثيران حتى يخلص الجميع، ويذرى ثانية بخشبة في رأسها لوح قدر نصف ذراع مسمر بها ، حتى يطيب من التبن وسواه . وعند التذرية يمسح بين الفترة والأخرى على وجه البر المذرى

---

[١] ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٧٥ .

[٢] يحيى بن الحسين : *أنباء الزمن* ، ق ٢٧٧ .

بشجرة تشبه المكسحة ، حتى يزول ما بقى فيه من ركب التبن ومن السنابل التى لم تدرس . ثم يُكَوَّم كومة واحدة ، ويكال ويرفع للتخزين حتى لا يصيبه السوس ويخزن في مخازن فتحتها تقابل الهواء ، ولا يجوز أن تجاور مخازن البر مساكن أو مطابخ أو نار أو ضوء أو دواب أو تبن ، ولا تكون للمخزن فتحات من الشرق أو الجنوب حتى يسلم من السوس [١] .

وكان المزارعون يتبعون نفس الطريقة مع الحبوب الأخرى كالشعير والعلس ، مع بعض الاختلاف ، فعملية درس هذه الحبوب تتم بعد الحصاد مباشرة دون تجفيف ، وفي حالة درس الذرة ، يتم قطع السنابل من مفاصلها ، ويجمع إلي البيدر (الجرن) ، ثم يداس بالثيران والحجر كالطريقة السابقة ، حتى يخلص من القيش (السنابل بعد تخليص الحب منها) ، أو يخبط بالمخابط إذا كانت كميته قليلة ، ثم يكيل ويرفع إلي مخازنه المحفورة في الصخر القوى الأملس المعتاد لخزن الذرة [٢] .

- التقاوى

في حالة الرغبة في ادخار كمية من البذور لاستعمالها في زراعة العام التالى، يقوم المزارع بانتقاء أجود السنابل وأكثرها حباً ، ويعزلها عن باقى السنابل المعدة للدرس ، ثم يُعرضها للشمس حتى تجف رطوبتها ويخبطها بالمخابط (أى العيدان المتخذة من فروع الأشجار) ، حتى يتم تنظيفها من القيش ، ثم يرفعها بعد تمام جفافها في موضع نقى الهواء بعيداً عن حرارة الشمس ورطوبة الجو منعاً لتطرق السوس إليها ، إلي " أن يحول عليها الحول ويبذر منها ... " [٣] .

---

(١) الأشرف الرسولى : *ملح الملاحة* ، ص ١٧٩ – ١٨٠ .

(٢) الأشرف الرسولى : *المصدر السابق* ، ص ١٨٠ – ١٨٣ . وقد وصف الهمدانى الطريقة المتبعة لتخزين الذرة في عصره ونلاحظ أنها لا تختلف عما كان متبعاً زمن الرسوليين فيقول " فأما الذرة فإنها لا تكون إلا في بلد حار ولا تختزن في البيوت لحال ما يسرى إليها من الفساد ، ولكن يحفر لها في الأرض وتدفن في مدافن يسع المدفن منها خمسة آلاف قفيز إلي ما هو أقل ، ويُسد عليها .... ، وتقيم العمر ولا تتفخش ، ولكن تغير رائحتها وطعمها فإذا كشف عنها المدفن ترك أياماً حتى يبرد ويسكن بخاره ..... " . (راجع : *صفة جزيرة العرب* ، ص ١٠٨) .

(٣) الأشرف : *ملح الملاحة* ، ص ١٨٣ .

٦- الآفـــات الزراعية

كثيراً ما كانت الزروع والثمار تتعرض في العهدين الأيـــوبي والرســـولي لأنواع متعددة من الأضرار التي تصيبها بالتلف ، مما يؤثر تأثير كبيراً على الثروتين الزراعية والحيوانية للبلاد ، ومن هذه الأضرار ، الجراد والضــريب (الصـــقيع) ، وبخاصة في المناطق الجبلية ، وكان يؤدى إلي محق (تلف) الثمـــار بعـــد قـــرب نضوجها " لشدة ضربة البرد " [١] ، ومنها الجفاف أو الجدب والرياح والسيول .

ويُعد الجراد أخطر الآفات التي كانت تتعرض لهـــا الزراعـــة في الـــيمن ، وبخاصة بلاد حضرموت حيث كانت هجماته تفتك بزروعها ، وجرت العـــادة في هذه الحالات أن يخرج الأهالي لجمع الجراد في أكياس تعبيراً عن شـــدة هجومـــه عليهم [٢] ، وقد بلغت أضرار الجراد حداً بالغاً مثال ذلك ما حدث في سنة ٦٩٥ هـــ / ١٢٩٥م ، فيذكر الخزرجي أنه " حصل ... جراد عظيم استولى على الزرع والثمار .... " ، فاشتدت شكوى الأهالي مما دفع الأشرف الرســـولي إلي إصـــدار أوامره بإعفاء المزارعين من الضرائب المقررة عليهم في تلك السنة ، وتقاعس الوزير الذى أوكل إليه تنفيذ هذه المسامحات عن تنفيذ أوامر السلطان ، فضج المزارعـــون بالشكوى ثانية ، فشدد السلطان في أوامره للوزير بسرعة تنفيذ الإعفاءات بقولـــه " ... اقتصر عنهم ولا تفرقهم فيصعب علينا جمعهم " [٣] . كذلك تعرضت اليمن لغزوة عاتية للجراد في عام ٧٨٧ هـــ / ١٣٨٥ م " فأتلف معظم زرع الـــبلاد ، وطائفة من نخل زبيد " [٤]. وفي أواخر عهد الأشرف الثاني وبالذات في عام ٨٠٢ هـــ / ١٣٩٩م هاجم الجراد مدينة زبيد ونواحيها بكثرة عظيمة ، فأتلف كثيراً من الزروع والثمار والأشجار [٥] .

---

[١] الأكوع : *اليمن الخضراء مهد الحضارة* ، ص ٥٩ .

[٢] المقريزى : *الطرفة الغريبة* ، ص ٣٩ .

[٣] الخزرجى : *الكفاية* ، ق ١٣٠ ، *العقود* ، ج١ / ٢٤٩ . ولعل في هذه الجملة ما يعبر من ناحية أخرى على مدى أهمية الزراعة والمزارعون بالنسبة للحياة الاقتصادية للدولة حيث يمثلان دعامة رئيسة من دعاماتها .

[٤] الخزرجى : *العقود* ، ج٢ / ١٥٦ ، *الكفاية* ، ق ٢٠٤ ، *العسجد* ، ق ٢٥٦ .

[٥] الخزرجى : *العقود* ، ج٢ / ٢٥٧ ـ ٢٥٨ ، *الكفاية* ، ق ٢٣٥ ـ ٢٣٦ .

أما الصقيع (الضريب في اصطلاح أهل اليمن) فقد أصاب مزارع همدان عام ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م " فلم يدع فيها شيئاً " [١] ، كذلك عم الضريب نواحي اليمن ، فأضر بالزراعة ، وبخاصة الأعناب، الأمر الذى أرغم المزارعين على استئصال أشجار العنب لشدة ما لحق بها من أضرار [٢] .

ومن الكوارث الطبيعية أيضاً والتي تعد أحد الأضرار التي تصيب الزراعة ، الجفاف الذى يحدث في بعض المواسم الزراعية إثر تناقص كمية الأمطار الموسمية التي تسقط على الجبال ، فيتناقص منسوب المياه الجوفية في الآبار ، مما يؤدى لحدوث القحط والجدب فترتفع الأسعار وتعز الأقوات . من ذلك ما حدث في السهل الغربي (تهامة) من تناقص لمنسوب المياه الجوفية في آبار مدينة زبيد وما حولها حتى سنة ٦٢٥ هـ / ١٢٢٧م ، إذ بلغ عمق البئر من ١٢ : ١٥ قامة فقط، بعد أن كان المزارعون يستقون الماء من هذه الآبار بأيديهم ويشربون وذلك زمن حكم العزيز طغتكين (٥٧٩ – ٥٩٣ هـ / ١١٨٣ – ١١٩٦م) [٣] .

وقد تعددت سنوات القحط والجدب التي أصابت أراضي اليمن ، واتلفت الكثير من الزروع والثمار ، مثال ذلك ما حدث عام ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م ، حينما اشتد القحط فانزعج الناس وضجوا بالدعاء [٤] . وكذلك في عام ٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ م ، عندما أصاب البلاد قحط عظيم أثر تأثيراً بالغاً على المزروعات بسبب نضوب المياه ، فارتفعت الأسعار في صعدة وصنعاء وما حولهما ، واشتد القحط إلي حد أن كثيراً من الناس هلكوا جوعاً " وأقام القحط ستة أشهر " واشتد بالناس حتى أكلوا السباع والكلاب " [٥] . كما اشتد القحط على الماشية فهلك أكثرها [٦] . واستمر القحط غالباً على البلاد في العام التالى فهلك فيه كثير من الناس منهم عدد من فقهاء الزيدية والأشراف الحمزيين [٧] .

---

[١] يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ق ١ ، ص ٣٧٤ .
[٢] مجهول : تاريخ اليمن ،مخطوط مصور بمعهد المخطوطات العربية ، رقم ٩٦٨ تاريخ ، ق ٤٠ .
[٣] ابن المجاور : المستبصر ، ص ٦٤ .
[٤] يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ق ١ ، ص ٣٦٧ .
[٥] يحيى بن الحسين ، المصدر السابق ، ق ١ ، ص ٤٤٣ ، الخزرجى : الكفاية ، ق ١٠٨ .
[٦] وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق ٣ .
[٧] الخزرجي : المصدر السابق ، ق ١٠٩ .

وتحدثنا المصادر أيضاً عن قحط أصاب اليمن في عام٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م شبيه بجدب عام٦٥٥هـ/١٢٥٧م السابق ذكره ،واشتد حتى هلك فيه"عـالم لا يحصـون وأكلت الميتة"[١] .

كما عم القحط ووقع الغلاء باليمن عام ٦٩٥ هـ / ١٢٩٥ م ، مثل غيره من مدن الشرق التى أصابها الجدب والفناء ، وصار أهل اليمن والمشرق في أسوأ حال " من القحط والفناء وموت المواشى وقلة المرعى ومسك الغيث " حتى أنهم بـاعوا أولادهـم طلباً للقوت الضرورى [٢] . وتوالت حالات المجاعات والجدب في اليمن ومخاليفها سـنة ٧٠٢ هـ / ١٣٠٢ م حيث " هلك الناس وبيع الطين بأرخص ثمن وعم القحط جميعه ... ولحق بالناس قحط شديد "[٣] . وفي عام ٧٩٣ هـ / ١٣٩٠ م اشتد القحط باليمن واجتاح سهل تهامة ، فعمت المجاعة لتأخر نزول الغيث ، وارتفعت الأسـعار ارتفاعـاً عظيماً ، ثم جاء الغيث وتوفرت المياه فتوقف القحط [٤] . وتكررت حالات الجفـاف والقحط وظهرت آثاره السيئة على المزارع والثروة الحيوانية وبالتالى علـى الأحـوال الاقتصادية للبلاد في سنوات أخرى عديدة منها سنة ٨٠١ هـ / ١٣٩٨ م ، وفي أواخر عهد الرسوليين في ٨٥٢ هـ / ١٤٥١ م وعام ٨٥٤ هـ/ ١٤٥٣م [٥] .

كذلك ساهمت الرياح والسيول في الإضرار بالزروع وإتلافها ، وتشير المصادر إشارات عديدة إلي هذه الأضرار التى سببتها الرياح والسيول الجارفة ، الـتى كانـت تصيب أصقاع اليمن ، فتقتلع الأشجار وتهلك الماشية وتتلف النخيل وأشجار الفاكهـة وغيرها من أصناف الزراعات . ومن هذه الرياح ريح الطرف التى كانت تهـب علـى نجران طوال اثنى عشر يوما ، فتصيب المزروعات بأضرار شديدة [٦] . كمـا أضـرت الرياح الشديدة التى هبت على سهول تهامة في عام ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧ م عقـب

---

[١] ابن عبد المجيد : _بهجة الزمن_ ، ص ١٥٨ ؛ الخزرجى : _الكفاية_ ، ق ١١٥ ؛ يحيى بن الحسين : _أنباء الزمن_ ، ق ٣٧٢ ؛ وله أيضا : _غاية الأماني_ ، ق ١ ، ص ٤٥٨ .

[٢] العينى : _عقد الجمان_ ، ج٣ / ص ٣٠١ .

[٣] ابن عبدالمجيد _بهجة الزمن_،ص ١٦؛الخزرجى _العقود_ ، ج١ / ٢٨١ – ٢٨٢ ، _الكفاية_ ، ق ١٣٨ ، _العسجد_ ، ق ١٧٣ ؛ يحيى بن الحسين : _غاية الأماني_ ، ق١ / ٤٨٣ .

[٤] الخزرجى : _العسجد_ ، ق ٢٦٧ .

[٥] الخزرجى _الكفاية_ ، ق ٢٢٣ ، ٢٤٥ ؛ بامخرمة : _قلادة النحر_ ، ج٣ ، ق ١١١٥ حوادث عام ٨٥٤ هـ ، وبلغ من شدة القحط وما أصاب الناس من الغلاء والجدب الشديد في هذه الفترة أن عَرف العوام تلك السنة بسنة الجوع .

[٦] ابن المجاور : _المستبصر_ ، ص ٢١٢ .

السيول بالزراعة " فاقتلعت أشجاراً عظيمة بأصولها "[١] . كذلك تسببت تلك السيول في إتلاف الكثير من المزروعات ، ومن أمثلة ذلك ما حدث عام ٧٤٣ هـ / ١٣٤٢ م إذ هطلت أمطار غزيرة على وادى زبيد ، تسببت مياهها في جرف قرية بأكملها وهلك حوالى ١٥٠ فرداً ، بالإضافة إلي الكثير من الحيوانات كالبقر والأغنام والإبل وغيرها [٢] . كما عم السيل نواحى تعز عام ٧٦٧ هـ / ١٣٦٥ م فخرب " بستان الجهملية وكثيراً من قصورها " [٣] .

وفي ربيع الآخر عام ٧٩٠ هـ / ١٣٨٨ م ، عمّ السيل وادى زبيد ، وامتدت مياهه نحو النخل فأتلف سدوراً كثيرة منه "واستولى على دواب الوادى ، ولم يترك من نخل المغرس إلا قليلاً [٤] . وتكرر نفس السيل في عام ٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ م على نفس المنطقة تقريباً فأتلف من النخل " جملة مستكثرة " [٥] . كما اشتد سقوط المطر بتعز وزبيد في عام ٧٩٧ هـ / ١٣٩٤ م فأتلف بدوره مواضع كثيرة " عُهد إليها بالسقى " [٦] واستمرت أضرار السيول بالمزروعات مع بدايات ق ٩ هـ الذي شهد نهاية الدولة الرسولية فيذكر الخزرجي أخبار سيل عام ٨٠٢ هـ / ١٣٩٩ م الذى خرب مدينة زبيد ، ونواحيها وكان عظيم الضرر على نخيلها حيث " أتلف ثمرة النخل إتلافاً شديداً " [٧] .

---

[١] الخزرجى : *الكفاية* ، ق ١٣٢ .
[٢] الخزرجى: *العقود* ، ج٢ / ٧٠ ، *الكفاية* ، ق ١٧٣ .
[٣] الخزرجى : *الكفاية* ، ق ١٨٧ ، *العسجد* ، ق ٢٣٩ .
[٤] الخزرجى : *الكفاية* ، ق ٢٠٧ ، *العسجد* ، ق ٢٦٠ ، *العقود* ، ج٢ / ١٦٥ .
[٥] الخزرجى : *العقود* ، ج٢ / ٢٠٢ ، *الكفاية* ، ق ٢١٨ .
[٦] الخزرجى : *الكفاية* ، ق ٢٢٤ .
[٧] الخزرجى : *العقود* ، ج٢ / ٢٥٦ ــ ٢٥٧ ، *الكفاية* ، ق ٢٣٥ .

٧- أنواع الملكيـة الزراعية

إذا ألقينا نظرة فاحصة على الأراضى الزراعية باليمن ، لأمكننا القول بأن ملكية الأراضى الزراعية تعددت ما بين ملكية خاصة ، وملكية عامـة للدولـة ، علاوة على أراضى الإقطاع والأحباس وغيرها .

وكانت الملكية الخاصة تمثل النوع الشائع في أراضى اليمن ، وهى الأراضى التى يمتلكها بعض الناس ، وآلت إليهم ملكيتها عن طريق البيع والشراء والميراث والهبات وغير ذلك . وكانت هذه الملكية الخاصة موزعة بين صغار الملاك وهـم يمثلون السواد الأعظم من الملاك ، وبين مجموعة من كبار الملاك وهم قلة يمتلكـون أراضٍ شاسعة [١] ومن أمثلتهم الشيخ على بن أحمـد المعلـم (ت ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م) ، الذى كان في حوزته ممتلكات عديدة موزعة على مناطق مختلفة منها المجرعة (المقرعة) وذى جبلة وضراس وذى أشرق وغير ذلك من الأمـاكن [٢] .

ومن هؤلاء الملاك الكبار أيضاً الفقيه محمد بن الحسين البجلـى وأخـوه علـى ، وكانت لهما أراضٍ جبلية في الجهة القبلية من منطقة عواجة وهى عبارة عـن واد متسع من الأراضى الزراعية [٣] .

وكان للشيخ حمير بن سعيد ضيعتان كبيرتان آلتا إليه عن طريـق الهبـة الأولى من عثمان الغزى وتعرف بضيعة ذؤال (في زبيد) ، والثانية هـى ضـيعة العبادى وحصل عليها بما فيها " من زروع ومالها من أبقار " ووهبها لـه الـوزير

---

[١] بيوتروفسكى : اليمن قبل الإسلام والقرون الأولى للهجرة ، تعريب محمد الشعيبى ، دار العودة ، ط١ ، بيروت ١٩٨٧ ، ص ١٠٣ .

[٢] الخزرجى : العسجد المسبوك ، ق ١٠٢ ؛ ابن أسير : الجوهر الفريد في تاريخ مدينة زبيد (خ) مصور على ميكروفيلم رقم ١٣٤٥ معهد المخطوطات العربية ، ق ٢٨٢ .

[٣] وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط (خ) ق ٣ . أمّا الفقيه البجلى فهو أبو عبد الله محمد بن حسين وكان عالماً محققاً جامعاً بين الشريعة والتصوف ، صحب الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبى بكر الحكمى احد مشايخ الصوفية ، وتلازما حتى فارقا الحياة أحدهما بعد الآخر ، وعرفا في مصادر التراث اليمنى بصاحبى عواجة أو الشيخ (هو الحكمى) والفقيه (هو البجلى) ، وكان المنصور الرسولى يجلهما . وتوفي الفقيه عام ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م . وسبقه الحكمى عام ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م وقبراهما بعواجه . وكان للبجلى شقيق فقيه مبارك التدريس يدعى علّى تفقه عليه جماعة من معاصريه وتوفي عام ٦٧١ هـ / ١٢٧٢ م (راجع عنهما بالتفصيل : الشرجى الزبيدى (أبو العباس احمد بن أحمد بن عبد اللطيف) : ت ٨٩٣ هـ / ١٤٨٧ م ، طبقات الخواص أهل الصدق والاخلاص ، تحقيق : عبد الله محمد الحبشى : الدار اليمنية للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٩٨٦ ، ص ٢٦٤ – ٢٧٠ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ص ٣١٣ و هـ ٢ للمحقق) .

منَّ الله الفاتكى(ت ٥٢٤ هـ / ١١٣٠ م) ، ويعلق عمارة اليمنى على جودة أراضى هذه الضيعة وعظم مساحتها وما تضمه من زرع وضرع بقوله " وهى الضيعة التي لا ضيعة على من ملكها " [1] .

ومن الهبات ما قدمه بعض أهالى زبيد حينما اشتد عليهم العمال في طلب الخراج في عهد الأتابك سنقر (ت ٦٠٨ هـ / ١٢١١ م) فآثروا أمام عجزهم عن أداء الخراج إلي وهب أراضيهم للدولة [2] .

أما الأراضى التي تملكتها الدولة في اليمن فكانت متنوعة ، منها ما آل إلي الدولة عن طريق الاستصفاء أو المصادرة ، وهو ما عرف في الفترة موضوع البحث بالصوافى (أى ما صفى لصالح بيت المال) [3] ، ومنها ما تملكته الدولة عن طريق الشراء ، أو عن طريق استصلاح بعض الأراضى المقفرة واستزراعها .

فمن الأراضى التي آلت للدولة عن طريق المصادرة أو الصوافى ، ما كان ملكاً خاصاً للأفراد مثل ما استصفاه سيف الإسلام طغتكين من أملاك الشيخ على بن أحمد بن إبراهيم المعلم (ت ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م) وكان ملتزماً بجميع مخلاف جعفر بمال معلوم ، فطلب منه طغتكين أداء المال الذى تضمن به البلاد فعجز عن أدائه ، فصادره مصادرة عنيفة أدت إلي هربه " فقبض سيف الإسلام غالب أملاكه ودوره وكانت جليلة وفي أماكن كثيرة " [4] .

ومن الصوافى أيضاً ما كان ملكاً عاماً لطائفة من الأهالى مثال ما استصفاه طغتكين من أراضى النخيل المملوكة لأهل مدينة زبيد ، إذ أمر عماله أولاً بالجور على أصحاب النخل [5] ، بزيادة الخراج المقررة عليهم ، فوصلت هذه الزيادة إلي

---

(1) عمارة اليمنى *تاريخ اليمن*،تحقيق محمد بن الأكوع،ط٣، القاهرة ،١٩٧٩، ص ٢١٩ ـ ٢٢٠ .
(2) الخزرجى : *العسجد* ، ق ١٠١ .
(3) الصوافى : جمع صافية وهى الأراضى التى يعجز أصحابها عن أداء الخراج المقرر عليهم فتصفى لبيت المال في مقابل الخراج المستحق عليها فعرفت بالصوافى . راجع : ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ٨٠ ؛ الخزرجى : *العسجد* ، ق ١٠١ . والصوافى غير الصفايا التى كان يتميز بها شيوخ القبائل العربية في عصر ما قبل الاسلام .
(4) ابن أسير : *الجوهر الفريد* ، ق ٢٨٢ ؛ الخزرجى : *الكفاية* ، ق ٨٢ ، *العسجد* ، ق ١٠٢ ؛ ابن الديبع : *قرة العيون* ص ٢٨٣ ؛ بامخرمة : *قلادة النحر* ، ج٣ ، ق ٧٨٦ ـ ٧٨٧ .
(5) وجدير بالذكر أن الظلم الذى وقع بأرض النخيل بزبيد،حاق بملاك النخيل وليس بالفلاحين (أهل الحرث)،الذين أمر طغتكين بالعدل والترفق بهم بقوله"أن الفلاح يحرث ويسقى ويبذر ويحصد=

حد عجز معه ملاك النخيل عن دفع المقرر عليهم ، فاضطر جملة منهم إلي الفرار تاركين أملاكهم ، فأمر طغتكين باستصفاء نخيل كل من هرب ومصادرته لصالح بيت المال ، لتصبح كثير من أراضي النخيل في زبيد ملكاً للدولة عن طريق الصوافي أو المصادرة [١] .

أما الأراضي التي آلت إلي الدولة عن طريق الشراء،فمنها بعض أراضي النخيل الواقعة في أرض تهامة بالقرب من زبيد،وهما إقطاعان أحدهما يسمى الفازة[٢]والثاني ويعرف بالقبة،وكانا في الأصل ملكاً لأخوين"قد غرساه ، وسقياه ، وقاما عليه "حتى صار نخيل هذين الاقطاعاين من أجود أنواع النخيل " وطار له صيت " [٣] ، فأراد الأتابك سيف الدين سنقر أن يشترى هذا النخل الجيد، فامتنع صاحباه عن بيعه له ، فأمر سنقر عماله أن يتشددوا مع الأخوين في إحصائه ويزيدوا الخراج عليهما ، فأثقلت الزيادة كاهلهما ، وعجزا عن أدائها ، فتظلما إليه مما أحدثه العمال عليهما من إجحاف وظلم ، فلم ينصفهما بل أمعن في ظلمهما وعرض عليهما شراء أرضهما بقوله " بيعوني وأريحوا أنفسكم من ظلمة ! " ، فطلبا أن يكون البيع والشراء " على وجه الجرد " فحدد لهما ثمن كل نخلة بدرهم ، وأمر باحصاء عدد النخل فصح عده " ألفي نخلة " فاشتراها بخمسمائة دينار ،

=ويعرق ويذرى في الهوى ،ويجد مشقة عظيمة فالواجب أن يرفق بهم ، أما أصحاب النخل فأنهم يجنون الثمرة من العام إلي العام بلا عناء ولا تعب"(راجع:ابن المجاور:*المستبصر*، ص ٨٠) .

[١] ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ٨٠ ؛ الخزرجي : *العسجد* ، ق ١٠١ ، وجدير بالذكر أن سيف الإسلام طغتكين عندما آل إليه ملك اليمن أراد أن يمتثل خطى صلاح الدين في مصر ، ويعمد إلي روك أراضي اليمن أسوة بالروك الصلاحي عام ٥٧٢ هـ / ١١٧٦ م ، فيصدر أوامره في اليمن في عام ٥٩٣ هـ / ١١٩٦ إلي المثمنين للقيام بعملية مسح شاملة للأراضي الزراعية باليمن تمهيداً لحصرها وإعادة تثمينها وضمها للديوان لإعادة النظر في التوزيع الإقطاعي باليمن . ولكنه توفي قبل اتمام هذا العمل ، لينتهي المشروع بوفاته ولم يحاول أحد من خلفائه إكمال عملية الروك . ويبدو أن هذا المسح الشامل للأراضي الزراعية باليمن كان عملاً غريباً على أهلها وظنوا أن الهدف من ورائه أن تكون الأراضي كلها ملكاً للديوان " ويكون من أراد حرث شئ منها ، وصل إلي أهل الديوان واستأجر منهم" . (راجع عن ذلك : الخزرجي :*الكفاية* ، ق ٨٢ ، *العسجد* ، ق ١٠٢ ؛ ابن الديبع : *قرة العيون*، ص ٢٨٢ ؛ يحيى بن الحسين : *أنباء الزمن* ، ق ٥٧ ؛ ولنفس المؤلف : *غاية الأماني* ، ص ٣٣٩ ؛ الكبسي : *اللطائف السنية* ، (خ) ، ق ٣٦) .

[٢] الفازة : مرسى على ساحل البحر الأحمر جنوب غربي زبيد . (انظر المقحفي : *معجم المدن والقبائل اليمنية* ، ص ٣١٣ ؛ ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٢٥٥ هـ ٤ للمحقق) ، أما القبة فلم نستدل على موقعها ويرجح من النص أنها كانت على مقربة من الفازة .

[٣] ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ٩١ ؛ الخزرجي : *العسجد* ، ق ١٠١ .

وأراد الأخوان بعد البيع للأمير أن يتركا العمل بالنخل ، إلا أن الأتابك سنقر أجبرهما على العمل بها ، وعندما أدرك أحدهما مدى ما أصابهما من غبن من جَرَّاء شراء النخيل بهذا الثمن البخس ، أقدم على طعن المشرف على النخيل من قِبَل الأتابك فمات " وبقى النخل سلطانى " أى ملكاً للدولة " وليس في جميع هذه الأعمال أحسن من هذا النخل ،ولا أصح من غرسه ونشوه " [(١)] .

ومن الأراضى المشتراة أيضاً لصالح الدولة الأرض المعروفة بالربوة من أعمال زبيد ، وأمر الملك الأشرف إسماعيل (ت ٨٠٣ هـ / ١٤٠٠ م) بشرائها من ورثة شخص يعرف بالعز الآمدى ، وتم شراؤها عام ٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ م ، وكانت مزروعة نخيلاً ، فَأُمر القاضى سراج الدين عبد اللطيف بن سالم شاد زبيد بزيادة الاعتناء بهذا النخيل ورعاية ما فيه من غرس وتعميره ، أى زيادة نخله " فبادر المشد إلى ذلك ، فغرس في النخل المذكور نحوا من خمسة آلاف نخلة ... " [(٢)] .

كذلك اشترى الأشرف الرسولى أرضاً أخرى مغروسة بأصناف النخيل في المنطقة المعروفة بالتحيتاء من وادى زبيد ، وابتاعها من بعض الأهالى هناك ، ومن بينهم ورثة الفقيه جمال الدين الريمى ، ونزل بنفسه لمباشرتها والإشراف على غراسها [(٣)] .

كما استصلحت الدولة العديد من الأراضى القفر،واعتنت بزراعتها مما ساعد على ازدهارها وزحف العمران إليها،من ذلك قيام الأمير ناصر الدين فاروت والى عدن عام٦٢٤هـ/١٢٢٧م بتعمير بستان بقرية رُباك إحدى قرى لحج، وحفر به الآبار اللازمة،وقام على غرسه بأصناف الفواكه والشجر لا سيما النارنج والنارجيل،والأترج والموز،كما غرس به أحد النواخيذ ويعرف بالناخوذة عمر الآمدى سنة٦٢٥هـ/١٢٢٨م،شجر الشكى البركى(التين الشوكى)،وكان أغلب ما زرعت به أشجار النخيل،وصارت بعد هذا الإعمار متنزهاً لأهل عدن وغيرهم [(٤)].

---

(١) ابن المجاور : _المستبصر_ ، ص ٩١ – ٩٢ ؛ الخزرجى : _العسجد_ ، ق ١٠١ .
(٢) الخزرجى : _العقود_ ، ج٢ / ٢٠٢ ، وراجع أمثلة أخرى للأراضى المشتراة لصالح الدولة زمن المظفر في الأفضل الرسولى : _العطايا السنية_ ، (خ) ق ٢٥ .
(٣) الخزرجى : _العقود_ ، ج٢ / ٢٣٣ .
(٤) ابن المجاور : _المستبصر_ ، ص ١٠٥ ؛ العبدلى : احمد بن فضل بن على محسن : _هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن_ ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٥١ هـ ، ص ٣٣ . ويلاحظ أن العبدلى=

كذلك استصلح طغتكين بعض الأراضى الزراعية وذلـــك بإحيـــاء وادى خنوم الذى ابتنى فيه مدينته المنصورة ، وكان هذا الوادى قبل طغـــتكين مـــأوى للوحوش ، كما استصلح أيضاً أراضى وادبي الدارة والقاعدة [١] .

ومن أمثلة الأراضى التى ساعد حكام اليمن على استصـــلاحها بـــإطلاق المسامحات الضريبية لمن يقوم على زراعتها تشجيعاً علـــى تعميرهـــا أرض المفـــازة الواقعة بين زبيد وحيس ، وكانت أرضاً قفراء غير عامرة ، يعانى المارة فيها كـــثيراً من المشاق ، ويتعرضون في اجتيازها للقتل والسلب والنهب ، فأقدم المنصور نـــور الدين الرسولى على تعميرها ، " فابتنى بها مسجداً وجعل فيه مؤذناً واماماً " وشرط لمن يسكن معهما مسامحة فيما يزدرعه ، فسكن الناس معهما حتى صـــارت قريـــة جيدة وانتفع بها الناس نفعاً عظيماً [٢] " . وعرفت بالنورى نسبة إليه .

كذلك وجدت في اليمن أراضٍ زراعية على شكل إقطاعات منها مـــا أقطعـــه الخليفة العباسى الأمين للأشراف العلويين عندما ازداد عددهم بأرض الحجاز،فخرجـــت طائفة منهم إلي العراق واستوهبوا من الأمين أرضاً يقيمون فيهـــا ويتعيشـــون عليهـــا " فأقطعهم من مكة إلي الهَلِّية طولا،ومن صعدة إلي ساحل البحر عرضاً "وبقيت هـــذه الإقطاعات في أيدى الأشراف حتىسنة٦١٥هـــ/١٢١٨م،عندما دب الضعف فـــيهم، ودخل الأيوبيون اليمن"فخرجت البلاد من أيديهم،وصارت في حوز الغز وفي قبضتهم" [٣].

واستمرت الإقطاعات الزراعية يوزعها الأيوبيون والرسوليون كهبات للأمـــراء والزعماء،وقد أفاضت المصادر في الإشارة إلي المقطعين والنواحى التى أقطعها السلاطين لهم،مثال ذلك إقطاع منطقة صنعاء ما بين نقيل سرح ونقيل عجيب [٤] ، الذى وهبـــه

=أطلق على هذا الشجر اسم(تشكى) التركى وذكر ابن المجاور أن ثمار هذا النوع من الأشجار ينبت من بدن الشجرة بخلاف باقى الأشجار وهو ما ينطبق على شجر التين الشوكى المعروف بمصر؛(وأنظر أيضا : بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج٢ / ١٧٣) .

[١] الخزرجى : العسجد ، ق ١٠١ .

[٢] الخزرجى : الكفاية ، ق ٩٩ ؛ العقود، ج١ / ٨٢ – ٨٣ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص ٣١٢ ؛ الأهدل : أبو عبد الرحمن الحسين بن عبد الرحمن (ت ٨٨٥ هـ/ ١٤٨٠ م) : تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن مخطوط مصور على ميكروفيلم رقم ٢١٢٣ دار الكتب المصرية ، ق ٥٩ .

[٣] ابن المجاور : المستبصر ، ص ٥٧ .

[٤] النقيل هو الجبل أو العقبة ، ونقيل سرح يدور حول صنعاء ويقع فيما بين نقيلى صيدو عجيب الذى يقع شمالى صنعاء على الطريق بينها وبين صعدة ، (أنظر : ابن حاتم : السمط الغالى الثمن ص ٣٨ ؛ ابن المجاور : المستبصر ، ص ٢٠٣ ؛ الأكوع : البلدان اليمانية عند ياقوت الحموى ، ص ٢٩٠) .

طغتكين إلي الهمام أبي زبا [١] . كما أقطع القاضى الأسعد بلاد حَرَض ، بعد أن رفعه إلي مصاف أمراء الطبلخاناه [٢] .

كما أقطع المسعود الأيوبى (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) ، أمراء بنى رسول القحمة وصُهبان [٣] ، واستمر سلاطين بني رسول يقطعون بدورهم الأراضى لأمرائهم والموالين لهم وغيرهم ممن يلوذ بهم . ومن الأمثلة الدالة على ذلك الإقطاعات الجليلة التى كان يقطعها المظفر الرسولى (ت ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م)، لبني فيروز أصحاب إب الذين كان يحلهم وكانت لهم عنده حظوة عظيمة [٤] .

ويذكر الخزرجى في سياق حديثه عن المؤيد داود (ت ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م) ، الذى خلف أخاه الأشرف الأول على حكم اليمن في سنة ٦٩٦ هـ / ١٢٩٦ م ، أن المؤيد عرض على ولدى الأشرف وهما الناصر جمال الدين محمد والعادل صلاح الدين أبو بكر أن يستمرا على إقطاعيهما فيظل الناصر مالكاً لإقطاع القحمة والعادل لإقطاع صنعاء [٥] .

ووجدت باليمن أراضٍ كثيرة حبسها أصحابها لأغراض متعددة ، منها ما خصص وقفه للصرف على المدارس والمساجد التى أقامها السلاطين والأمراء وغيرهم من رجال الحاشية ، ومنها ما خصص للإنفاق على طلاب العلم وشيوخه، فمن هذه الأراضى أرض وادى الضباب (غربي مدينة تعز) ، وهو واد كثير الزرع والثمار ، أوقفه المعز إسماعيل بن طُغتكين ، ليصرف من ريعه على المدرسة السيفية التى أنشأها محل الدار التى كانت للأتابك سنقر بعد أن اشتراها منه ونقل إليها رفات والده ، فأوقف أرض الوادى للإنفاق على المدرسة والتربة والقراء المرتبين

---

[١] ابن حاتم : *السمط* ، ص ٣٨ ؛ يحيى بن الحسين : *أنباء الزمن* ، ج٢ / ٢٤١ .

[٢] ابن حاتم : *السمط* ، ص ٤٣ .

[٣] يحيى بن الحسين : *غاية الأماني* ، ق ١ ، ص ٤٠٤ ؛ أما القحمة : فهى بليدة تقع في الشمال الشرقى من زبيد فيما بين بيت الفقيه والمنصورية (المقحفى : *معجم المدن* ، ص ٣٢٤ ، الأكوع : *البلدان اليمانية* ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧) وصُهبان : تعرف اليوم بمخلاف صُهبان في ناحية ذى سفال قرب ذى جبلة جنوبى إب وتعرف أيضا بنعيمة السواد نسبة إلي أحد الحصون هناك وتسميتها صُهبان منذ القرن الثامن الهجرى نسبة للأمير الصهبانى أحد أمراء الدولة الرسولية وهو مخلاف ينسب إليه عدد من العلماء والصالحين (أنظر المقحفى : *المرجع السابق* ، ص ٤٣٧) .

[٤] الخزرجى : *الكفاية* ، ق ٩٩ ؛ ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٣١٢ .

[٥] الخزرجى : *الكفاية* ، ق ١٣١ .

فيها ، ويذكر ابن الديبع الشيباني : أنه أوقف أرضاً جديدة في زبيد للصرف على المدرسة التي أقامها هناك وعرفت بمدرسة الميلين [١] .

كما أوقف المؤيد الرسولي على مدرسته في تعز وتعرف بالمدرسة المؤيدية مساحة كبيرة من الأراضي وأعداد هائلة من الكتب القيمة [٢] ، وكذلك وهبت آمنة بنت إسماعيل بن عبد الله الحلبي النقاش أم المجاهد الرسولي (ت ٧٦٢ هـ / ١٣٦٠ م) ، لثلاث من جواريها العديد من الأراضي للإنفاق منها على المساجد الثلاثة التي أنشأتها في مدينة زبيد[٣] .أما الأراضي التي حبسها أصحابها على العلم والإنفاق منها على طلابه، فمنها الضيعة التي كان يمتلكها الفقيه الشافعي أبو إسحاق إبراهيم بن سليمان بن عجلان(من علماء ق٨ هـ/ ق ١٤م)،ويقتات من ريعها ، فلما دنت ساعة وفاته ، وقفها ووقف ربع كتبه على طلبة العلم [٤] .

وعلى الرغم من أن معظم الأراضي الزراعية باليمن كانت من الملكيات الخاصة أو العامة ، أو كانت أحباساً إلا أنه وجدت بعض الأراضي التي لم يُعرف لها مُلاّك أو محبسون ، فابن المجاور عند حديثه عن القحمة يذكر منها ذؤال وهي أراضٍ كانت تمتد بين البحر والجبال ، وكان يزرع بها الموز الطيب والرمان المليح، ولم تكن مملوكة لأحد ، ويتابع حديثه عن المناطق المزروعة وغير المملوكة لأحد ، فيذكر إحدى مناطق سهل تهامة ، وتقع أيضاً في القحمة من وادي ذؤال وتسمى "سفاكا " وكانت تضم أرضاً زراعية شاسعة تغص بالكثير من أصناف الفاكهة كالتمر هندي " الحُمَر " ، الذي كان يحمل إلي الآفاق ، وليس لها مالك فيقول " ... وفي هذه البلاد عُقَد لم تُسلك لكثرة شجرها ووعرها .... ويكون بهذه

---

(١) الخزرجي : الكفاية ، ق ٨٢ ؛ ابن الديبع :قرة العيون ، ص ٢٨٣ ، ٢٨٥ ؛ يحيى بن الحسين : انباء الزمن ، ق ٥٧ ، غاية الأماني ، ق ١ ، ص ٣٣٩ .

(٢) يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ق ١ ، ص ٤٩٤ .

(٣) الخزرجي : الكفاية ، ق ١٨٢ وهؤلاءالجواري هن : الحاجة سمح ومسجدها كان قائماً بسوق الشاك بزبيد ، والثانية الحاجة قنديل ومسجدها كان يقع شمالي باب القرتب ، والثالثة تدعى الحاجة غصون ومسجدها كان يقع جنوبي دار السلطان بزبيد . وكان الوقف الذي حبسته أم المجاهد يفي للإنفاق على هذه المساجد ، هذا علاوة على ما خصصته هي من أراضٍ وقفتها على مآثرها الدينية بتعز وزبيد وغيرهما حتى أن الخزرجي يذكر أن متحصلات وقفها كان يزيد على ألف مُدّ (راجع : الكفاية ، ق ١٨٢)

(٤) الخزرجي : طراز الزمن في طبقات أعيان اليمن ، (خ) مصور على ميكروفيلم رقم ٢٩٩٣٥ بدار الكتب المصرية ج٢ ، ق ٢٠ – ٢١ .

العقد النارنج والأترج والليمون والموز ضائع لا مالك له ،وهذه الأشجار بين أنهار وعيون " [١] .

٨- الثــروة الحيــوانية

أ- المــراعى :

عرفت بلاد اليمن المراعى المتعددة لرعى البقر والإبل والأغنام ، وغيرهـا من الحيوانات التى عرفتها تلك البلاد ، ومن هذه المراعى ما كان طبيعياً ، ومنه ما خصصه الإنسان للرعى .

أما المراعى الطبيعية فتمثل معظم مراعى اليمن ، وتنمو مع نزول المطـر ، ويقبل الناس على رعى حيواناتهم بها ، وتنتشر هذه المراعى فى كافة أنحاء الـيمن ، ومن أشهر هذه المراعى ما كان موجوداً منها بالقرب مـن أحقـاف الرمـل فى حضرموت ، فهذه المناطق كانت على حد قول المقريزى مخصصة للرعى ، إذا نزل الغيث عليها أخصبت وربت وكثرت بها المراعى ، فتقيم بها بعض القبائل لرعـى إبلهم وأغنامهم طوال مدة الخصب [٢] ويمكننا القول بوجه عام أنـه فى مواسـم الأمطار تكتسى مسطحات الجبال وسفوحها بالمزارع والحشائش وتصبح مرتعـاً خصباً للسائمة على اختلاف أنواعها [٣] .

---

[١] ابن المجاور : _المستبصر_ ، ص ٦٢ . كذلك وجد في اليمن نظام رهن الأراضى ، فيشير أحد المؤرخين إلي حادثة رهن في بلاد وادعة بنجران ، حيث قام أهل هذه البلاد برهن أراضيهم للتجار اليهود والنصارى ، وعندما طالبوهم بردها امتنع هؤلاء التجار ، وأمام حاجة الأهالى المتزايدة للمال استمروا على رهن أراضيهم حتى صار معظمها في أيدى اليهود ، وحاول الأهالى استعادتها بالقوة ففشلوا ، وظلوا على تلك الحال ، إلي أن تولى الامام احمد بن سليمان إمامة الزيدية عام ٥٣٢ – ٥٦٦ هـ / ١١٣٨ – ١١٧٠ م ، فشكا إليه أهل الأراضى المرهونة امتناع هؤلاء التجار عن رد الأراضى حتى أصبحت جميع أموالهم في أيدى هؤلاء اليهود وحاول الإمام إقناعهم برد هذه الأراضى فرفضوا ، فاضطر إلي إجبارهم على إعادة الأرض لأصحابها من الرعية وإعادة نصف قيمة الثمار في ذات السنة . (راجع : _سليمان الثقفى_ [ق ٦ هـ/ ق ١٢ م]: سيرة الامام أحمد بن سليمان (خ) ، دار المحفوظات اليمنية بصنعاء رقم ٢٥٢٤ [نسخة مصورة في مكتبة د. محمد عبد العال] ، ق ٦ . وعن الإمام الزيدى : أحمد بن سليمان راجع بالتفصيل عبد الفتاح أحمد فؤاد : _الإمام الزيدى أحمد بن سليمان وآراؤه الكلامية_ ، دار الدعوة ، الإسكندرية ، ١٩٨٦ ص ٧ وما بعدها .

[٢] المقريزى : _الطرفة العجيبة_ ، ص ٤١ .

[٣] أنظر :الهمدانى _صفة جزيرة العرب_ ،ص ١٩٣ عند حديثه عن أحد مراعى اليمن وهو جبل نخلى

وكان أصحاب الأراضى والمزارع يخصصون مراعى للحيوانات لا سيما في المناطق المكتظة بالمحاصيل الزراعية ، مثال ذلك ما أورده ابن المجاور عن وجود منطقة مجاورة لمسجد الأشاعر بزبيد ، كانت تغص بعقد الشجر التي تحف بغدير ماء ، وكانت تستخدم لرعى البقر [١] .

وكانت المناطق الرعوية ملكية عامة للجميع ، إلا ما كان منها ملكاً للأفراد ، ومن المهام الموكولة للرعاة ، أن يهتموا برعى اغنامهم في مناطق الكلأ والمراعى المخصصة لذلك ، ويحرصون على منع حيواناهم من التعدى على المزارع الخاصة أو إتلاف مزروعاهما [٢] .

ب– الحيوانات :

وتتمثل الثروة الحيوانية في اليمن في الفترة موضوع الدراسة في حيوانات مستأنسة كثيرة ومتنوعة فالقلقشندى يذكر في معرض ذلك أن " لأهلها ماشية أعوذها الزرائب وضاقت بها الحظائر [٣] " . ومن هذه المستأنسة ما كان مخصصاً للركوب والنقل مثل الخيول العربية الفائقة ، والبغال الجيدة للركوب والأحمال ، والإبل والحمير ، ومنها ما يستخدم في أعمال الزراعة وإدرار الألبان والذبح مثل البقر بأنواعه ، والأغنام وغيرها [٤] .

والخيول أنواع ، منها ما يوجد في عنس من مخلاف ذمار وتعرف بالخيول العنسية نسبة إليها ،وتُعد من عتاق الخيل [٥] . وفي الجوف تعرف خيولها بالجوفية ، كذلك يوجد باليمن الخيول الُحجَيْجية ، وتمتاز هذه الأنواع كما ذكر الهمدانى بالصبر والصباحة والجرأة ، والقدرة على حمل الأسلحة الثقيلة والركض بها يساعدها على ذلك ضآلة أجسامها مقارنة بالخيول المصرية،وفي ذلك يقول الهمدانى

---

[١] ابن المجاور : _المستبصر_ ، ص ٦٩

[٢] ابن المجاور : _المستبصر_ ، ص ٢٥٠ .

[٣] القلقشندى :_صبح الأعشى_ ،ج٥ /٣٨

[٤] العمرى :_مسالك الأبصار_ ، ص ١٥٤ ؛القلقشندى :_المصدر السابق_ ، ج٥ / ١٦ ؛المقريزى:_السلوك_ ، ج ٢ / ص ٤٣٥ حيث يذكر قيام الناصر محمد بن قلاوون بجلب الأغنام اليمنية للحوش الذى خصصه لتنمية الثروة الحيوانية بمصر مما ينهض دليلا علىشهرة الأغنام اليمنية فى مختلف الأصقاع ومنها مصر

[٥] الهمدانى :_صفة جزيرة العرب_ ، ص ١٠٤

" .... وليست مثل المصرية .... ولها صبر وصباحة على أنها ليست بجسام ، وهى أشهم وأجمع قلوباً ويطأن القتيل ، ويحملن السلاح الثقيلة ، ويَجُلن بها ويجرين فلا ينقص الثقل من جريهن شيئاً .... " [١] ، ومن الخيول أيضاً ما كان يعرف بالشوافية نسبة إلي مخلاف الشوافى [٢] .

وذاعت شهرة اليمن بكرام الإبل ومنها الإبل الأرحبية بهمدان ، والمهرية العيدية نسبة لقبيلة العيد في مهرة وتمتاز بحسن صورُها وضخامة أبدانها،وهناك الإبل المسماة بالصُدفية والجرمية ، والداعرية ، والجيدية والأخيرة تُعد من أكرم الإبل وأنجبها بعد المهرية التى تُعد أكرم إبل اليمن [٣] ، ومن الإبل أيضاً المسماة السكسكية وهى مخصصة للحمل والنقل [٤] . أما الحُمر فمنها ما يستخدم لنقل البضائع ومنها ما يستخدم للسروج أى للركوب وأفضلها وأشهرها الحضرمية والمعافرية لما تتميز به من خفة وسرعة وقوة وقدرة على العمل الشاق [٥] كذلك كانت البغال نوعين سروجية للركوب وحبشية للأحمال [٦] .

أما الحيوانات المستخدمة في إدرار الألبان وأغراض الذبح ، كالبقر بأنواعه والأغنام ، فقد ذكرت المصادر بعضها ، وأماكن تواجدها وأهم صفاتها ومنها الأبقار وأشهرها ما ينسب إلي جُبْلان وخدير والجند وكرار ، وتسمى بأسماء هذه المناطق فتعرف بالجبلانية والخديرية والجندية والكرارية نسبة إليها . وتعد جلود البقر الجبلانية السود من أجود الجلود ، وتدبغ جلودها للنعال وكانت تصل قيمة الجلد منها إلي عشرة مثاقيل وأحياناً يصل إلي عشرين مثقالاً . وتمتاز هذه الأنواع من الأبقار بأن لها " صيالة وحد في قرونها وبأسٌ وتقتل السباع " ، وتعرف بالعراب من البقر . وتتصف البقر الجندية والخديرية بالقوة وضخامة الجسم ،

---

(١) الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٢٠١ – ٢٠٢ ؛ الاكليل ، ج١ / ٣٧٥ .
(٢) الهمدانى : نفسه ، ص ٢٠٢ . والشوافى : مخلاف كبير في شمال غربى إب بنحو ميلين تنسب إلى الشوافى بن معدى كرب . راجع :المقحفى : معجم المدن ، ص ٢٣٩ .
(٣) الهمدانى : الإكليل ، ج١ / ١٩٣ ؛ صفة جزيرة العرب ، ص ١٠٠ ، ٢٠١ ؛ وراجع أيضا : محمد أمين صالح : تاريخ اليمن الإسلامى ، ص ٢٠٦ وانظر :القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ١٥ ؛ الحميرى : الروض المعطار ، ص ٣٣٩ .
(٤) الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٠٠ .
(٥) الهمدانى : المصدر السابق ، ص ٢٠١ .
(٦) العمرى : مسالك الأبصار ، ص ١٥٤ .

ويؤكد الهمدانى هذه الصفات عند ذكره لأبقار منطقة السكاسك فيقول " وللسكاسك البقر الخديرية لا يلحق بها في العظم بقر " كما تتصف لحومها بالمذاق الطيب لا سيما الجندية منها ، والتى يعد لحمها " أطيب من لحم الحَمَل الشهرى في سائر البلاد لرقته ولطفه ودسمه ولا يكون له رائحة " ، ولذا فقد يبلغ ثمن الثور الواحد منها نحواً من ثلاثين ديناراً [(١)] .

كذلك أشار ابن المجاور إلي شهرة جزيرة سقطرى بثروتها الحيوانية حيث يتوفر بها ألوف مؤلفة من الإبل والبقر والضأن [(٢)] . ووجدت باليمن أنواع أخرى من الحيوانات الضارية كحمر الوحش ، والفهود ، والأسود وأخرى وديعة كالغزلان والزراف والقردة [(٣)] . وغيرها من النعام والظباء والأيائل [(٤)] والتى كانت تنطلق ورائها الكثير من رحلات الصيد السلطانية وخاصة في عصر بنى رسول .

أما الطيور اليمنية فكثيرة ومنها الطيور الأهلية المعروفة كالحمام والأوز والدجاج ومنها الطيور التى كانت هدفاً للقنص في رحلات الصيد [(٥)] .

ومما لا شك فيه أن هذه الثروة الحيوانية الكبيرة التى وجدت على أرض اليمن ، كانت تتعرض في كثير من الأحيان للأخطار المتمثلة بصفة خاصة فيما يتفشى بينها من أوبئة يترتب عليها موت أعداد ضخمة منها ، فقد شاع تفشى الأمراض في الخيل بصفة خاصة ، ولعل أهم الأوبئة التى أصابت الخيل في العصر موضوع الدراسة ذلك الوباء الذى تفشى في خيل اليمن زمن الملك المجاهد ، وكان أولها عام ٧٢٨ هـ / ١٣٢٧ م ، وبدأ سريان هذا المرض في الخيول بحضرموت وسرعان ما شاع في اليمن كله حتى وصل إلي مكة " وفنى فيها من الخيل ما لا

---

(١) الهمدانى : _صفة جزيرة العرب_ ، ص ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٩٨ ، ٢٠١ .

(٢) ابن المجاور : _المستبصر_ ، ص ٢٦٦ .

(٣) ابن الفقيه : _المصدر السابق_ ، ص ٢٥٢ ؛ القزوينى : _المصدر السابق_ ، ص ٤٧ ؛ القلقشندى : _صبح الأعشى_ ج٥ / ١٦ .

(٤) ابن المجاور : _المستبصر_ ، ص ١٩٩ ؛ وللمزيد عن هذه الحيوانات البرية والمتوحشة منها راجع : الزبيدى : _تقي الدين أبو العباس حمزة بن عبد الله محمد الناشري اليمني_ (ت ٩٢٦ هـ / ١٥١٩ م) : _انتهاز الفرص في الصيد والقنص_ ، تحقيق عبد الله محمد الحبشى ، الدار اليمنية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٥ ، ص ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٨٦ ، ٢٠٣ .

(٥) ابن المجاور : _المصدر السابق_ ، ص ٢٣٣ – ٢٣٤ ؛ القلقشندى : _صبح الأعشى_ ، ج٥ / ١٦ ، العمرى : _مسالك الأبصار_ ، ص ١٥٤ . وراجع عن أنواع الطيور المعروفة باليمن ؛ الزبيدى : _المصدر السابق_ ، ص ١٥٥ – ١٥٧ ، ١٧١ ، ١٧٤ – ١٧٥ .

يعرف عدده .... ومن البغال كذلك " وبلغ وباء الخيل من القوة وسرعة الانتشار إلي حد أن الرجلين كانا يتساومان في بيع أو شراء الحصان فيموت قبل عقد البيع بينهما [١] .

كذلك ألم بخيول السلطان نفسه وباء آخر عام ٧٦٠ هـ / ١٣٥٨ م هلك على أثره من خيل السلطان والعسكر عدد كبير حتى كاد يستولى عليها كلها[٢] . ولعل تفشى مثل هذه الأوبئة في الحيوانات كان مدعاة للاهتمام بعلم البيطرة ،واتجه بعض علماء هذا العصر إلي التصنيف في هذا الفن ، ولعل أشهر من صنف في هذا المجال : الأشرف الأول الرسولى [٣] ، والفقيه المتطبب محمد بن أبي بكر بن محمد بن حسن التيمى الفارسى (ت ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م) الذى كان معاصراً للمظفر الرسولى وذكر الخزرجى اسم كتابه " التبصرة في علم البيطرة[٤] ".كذلك اهتم الملك المجاهد بهذا العلم عقب تفشى الوباء بخيله عام ٧٢٨ هـ / ١٣٢٧ م فصنف هو الآخر كتاباً خاصاً بالخيل وأنواعها وأوصاف كل منها وخصائصها والأوبئة التى تتفشى فيها كما بين أسبابها وكيفية علاجها ،وعرف مصنفه باسم " الأقوال الكافية والفصول الشافية في الخيل [٥] " .

ونضيف إلي هذه الثروة الحيوانية حشرة لها أهميتها في المجال الاقتصادى إذا جاز أن ندرجها في عداد الثروة الحيوانية وأعنى بها النحل وكانت مراكزه في اليمن في جبلان وجبل الأهنوم [٦] .

---

[١] المجاهد الرسولى : _على بن داود بن يوسف بن عمر_ (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م) :_الأقوال الكافية والفصول الشافية في الخيل_ ، تحقيق د. يحيى وهيب الجبورى ، ط١ ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ١٩٨٧ ، ص ٢٧٥ .

[٢] الخزرجى : _العقود_ ، ج٢ / ٩٥ .

[٣] عنوان مصنفه :_المغنى في البيطرة_ . راجع : المجاهد : _الأقوال الكافية_ ، ص ٢١ من مقدمة المحقق .

[٤] راجع :الخزرجى : _العقود_ ، ج٢ / ١٧٨ ؛ بامخرمة ،_تاريخ ثغر عدن_ ، ج٢ / ٢٠٩ .

[٥] المجاهد الرسولى : _الأقوال الكافية_ ،ص ٤٢ ومابعدها من مقدمة المحقق و ص ٨٨ – ٩٠ من متن ذات الكتاب .

[٦] الأكوع : _البلدان اليمانية_ ، ص ٧١ ، وكان يكثر في سفح جبل الأهنوم النحل والعسل كما ينمو في أعلاه نبات يشبه الصندل الأبيض يماثله في الرائحة ويقارب في النوعية الصندل الهندى ، كما يزرع به البر أيضا (راجع : الهمدانى : _صفة جزيرة العرب_ ، ص ٩٤) .

الفصل الثانى
الصناعات والحرف

الفصل الثانى
الصناعــات والحــرف

١ – مظاهر تشجيع الحكام للصناعات والحرف

٢ – التعـــــدين

أ – معدنا الفضة والذهب

ب – الأحجار الكريمة [١ – الجزع / ٢ – العقيق]

ج – معدن الحديد ومعادن أخرى

٣ – الصناعات المعدنية

أ – الحدادة وصناعة أدوات الركوب

ب – صناعة السيوف والأسلحة

ج – أشهر التحف المعدنية المحفوظة بالمتاحف العالمية

٤- صناعة المنسوجات

١- البرود اليمانية ٢- الثياب

٣ – المنسوجات الحريرية ٤- الصباغة والزخرفة

٥- الصناعات الجلدية

٦ – صناعة العطور

٧ – صناعة الورق

٨ – صناعة الزجاج والخزف

٩ – معاصر النبيذ والزيوت

١٠- الصناعات الخشبية

١١- صناعة البناء وصناعات أخرى

١- مظاهر تشجيع الحكام للصناعات والحرف

على الرغم من أن المصادر والمراجع اليمنية المتاحة لدينا لا تمدنا بمعلومات وافية عن الصناعات والحرف . ولم تزودنا بتفصيلات يمكن الاعتماد عليها في دراستنا عن الصناعة وفنونها في العصر موضوع الدراسة ... إلا أنه يمكننا من خلال الإشارات القليلة التي زودتنا بها هذه المصادر أن نرسم بعض الملامح العامة للصناعة اليمنية آنذاك ، حيث تشير في جملتها إلي قيام صناعات متعددة اشتغل بها أهل اليمن ، كما استقدموا إليهم عندما كانت تعوزهم الحاجة عدداً من العارفين بهذه الصناعات من البلدان المجاورة بغية تلبية مطالبهم واكتساب الخبرة منهم .

ومما لا شك فيه أن أهل اليمن في العصور الإسلامية بصفة عامة مارسوا ألواناً عامة من الحرف والصناعات اللازمة لأمور حياتهم المعيشية في المقام الأول ويأتي على رأسها صناعة النسيج ، وما يرتبط بها من صباغة وزخرفة ، والصناعات المعدنية كصناعة الدروع والسيوف والخناجر ، وبعض الصناعات الجلدية وغيرها من الفنون الصناعية المختلفة .

ومما ساعد على تقدم الصناعة اليمنية ما حظيت به من عناية حكام اليمن من آل أيوب وآل رسول،نظراً لحاجتهم الماسة إلي هذه الصناعات في توفير احتياجاتهم وحاجات شعوبهم المعيشية من ناحية،واعتبارها أحد الموارد المالية للدولة بما تفرضه من ضرائب مختلفة على أهل تلك الصنائع من ناحية ثانية،ومن ناحية ثالثة كان حكام اليمن يلتمسون في بعض هذه الصناعات مجالاً لمهاداة ملوك وسلاطين الدول المصاقبة لليمن،وعلى الأخص الدولة العباسية،ومصر الأيوبية والمملوكية،وغيرهما من الدول التي ارتبطت اليمن معها بعلاقات وثيقة[١].وتتجلى مظاهر هذا التشجيع فيما أوردته المصادر بشأن حرصهم البالغ على استقدام أهل الخبرة في مجال الفنون الصناعية من بلدان مختلفة وبخاصة من مصر وبلاد الشام والعراق [٢] حرصاً منهم على نهضة اليمن وازدهار

---

[١] ابن عبد الظاهر : *القاضي محيي الدين* (ت ٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م) :*تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور* تحقيق د. مراد كامل ، القاهرة ١٩٦١ ، ص ٤٩ ، ١١٧ ؛ المقريزي :*السلوك* ، ج١ ، ص ٧٠٢ ، ٧٢٩ .

[٢] نلاحظ أن استقدام الصناع المهرة كان أمراً مألوفاً في اليمن قبل العصر موضوع الدراسة حيث كان أهل البلاد يكتسبون من خلالهم الخبرة بعدد من الفنون الصناعية ، ويذكر الهمداني في هذا الصدد : أن استخراج معدن الفضة من منطقة الرضراض بأرض همدان وبخاصة في مخلاف يام=

عمرانها، حتى أنهم كانوا شديدى التمسك ببقائهم في البلاد وعدم رحيلهم ، إلا من وفد إلي اليمن في رحلة معينة تجارية أو علمية ، وبلغ اهتمامهم بتكريم أرباب الحرف والصناعات القادمين إليهم مداه ، وتفننوا في إغرائهم بالإقامة بأبوابهم للاستفادة من مواهبهم وكفايتهم ، ولذا عمدوا إلي اصطناع كل وسائل التكريم حثاً لهم على البقاء وتعويضاً عن تركهم أوطانهم .

وبفضل هذا التكريم ، انتجع إلي اليمن اعداد كبيرة من مهرة الصناع من شتى أقطار العالم الإسلامى ، وفي ظل هذا المناخ المواتى أنتجوا وأبدعوا ، ويوضح ابن فضل الله العمرى ذلك في عدة مواضع من كتابه عند الحديث عن مملكة بنى رسول فيقول "ولا تزال ملوك اليمن تستجلب من مصر والشام طوائف من أرباب الصناعات لقلة وجودهم باليمن ...." [(١)] وفي موضع ثان يؤكد قوله قائلاً " ولقد كانا يبعثان إلي مصر والشام والعراق من يلتقط لهما من محاسن الوجود وأحاسن الموجود ، فلا يبقى طرفة من الطرف إلا اشتريت لهما ، ولا مجيد في شئ من الأشياء إلا استميل إليهما ، ورغب في الكثير ، حتى يقصد حضرتهما ويقيم عندهما وقل من يعود عنهما " [(٢)] .

ويوضح العُمَرى مدى حرص ملوك بنى رسول على الصناع القادمين لبلادهم والتصميم على بقائهم باليمن بقصد مشاركتهم في تعمير البلاد ، فيذكر ما يشير إلي ذلك في عدة مواضع حيث يقول في إحداها " وصاحب هذه المملكة أبداً يرغب في الغرباء، ويحسن تلقيهم غاية الاحسان ويستخدم فيما يناسب كلا منهم،ويتفقدهم في كل وقت بما يأخذ به قلوبهم ويوطنهم عنده " [(٣)] .... وقوله " وكان من عادتهما ... أن لا يسمحا بعود غريب ، ولا يصفحا عن هذا من بعيد ولا قريب قصداً لعمارة اليمن بإثارة أفاقه بكل شئ حسن " [(٤)] .

=ونهم كان يقوم على عاتق الفرس فيقول " وكان أهله جميعا من الفرس ممن تأوب إليه في الجاهلية وأيام بنى أمية وبنى العباس وكانوا يسمون فرس المعدن " ، (راجع : الهمدانى : أبو محمد الحسن بن أحمد . كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء ، تحقيق د. كريستوفرتول . ترجمة د. يوسف محمد عبد الله ، ط٢ ، مشروع الكتاب ، صنعاء ١٩٨٥ ، ص ٥٠ ، ١٢٦) .

(١) العمرى : مسالك الأبصار ، ص ١٥٦ ؛ وراجع أيضا القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٥ / ٣٦ .

(٢) العمرى : المصدر السابق ، ص ١٦٢.

(٣) العمرى : نفسه ،ص ١٥٣ .

(٤) العمرى : نفسه ، ص ١٦١.

ويتابع حديثه عن قصد الصناع المجيدين لبلاد اليمن في عصر بني رسول بصفة خاصة ، وما يلقونه من وسائل التكريم والتقدير لا سيما في عهد الملك المؤيد داود وابنه الملك المجاهد اللذين كانا " ... مقصودين من آفاق الأرض ، قل أن يبقى مجيد في صنعته من الصنائع إلا ويصنع شيئاً على اسمه ، ويجيد فيه بحسب الطاقة، ثم يجهزه إليه أو يقصده به ، ويقدمه إليه من يده ، فيقبل عليه ويقبل منه ، ويحسن نزله ويسني جائزته .... " [١] .

أما إذا كان الصانع قد قدم إليهما بنية الرحيل ، فإنه يلقى الترحيب والتكريم طوال إقامته ثم يكرمانه مرة أخرى عندما يحل موعد عودته إلي بلده وفي ذلك يقول العمرى : فإنهما " كانا لا يكلفانه مقاماً لديهما ولا دواماً في النزول عليهما ، بل يجزلان رفادته ويجملان إعادته " [٢] . أما في حالة قدوم الصانع بنية الإقامة الدائمة ، ثم غير مراده ، وعزم على الرحيل ، فعند ذلك لا يسمح له بالعودة ، وإن أصر عليها سمحوا له بالعودة إلي بلاده ، دون أن يحمل معه شيئاً مما كسبه عندهم عقاباً له ويوضح العمرى ذلك بقوله " ... فإذا أراد الارتحال عن دارهما ، مكناه من العود كما جاءهما وخرج عنهما على أسوأ حال ، مسلوباً بما استفاد عندهما من نعمة ومال ؛ عقاباً له على مفارقته لأبوابهما ، لا بُخلا بما جادت به بوادر سحابهما " [٣] .

ويؤكد الخزرجى ذلك عند حديثه عن بناء قصر المعقلى ، الذى أقامه المؤيد في ثعبات،وانتهى من عمارته عام٧٠٨ هـ/١٣٠٨م،ومشاركة الصناع الغرباء مع زملائهم من صناع أهل البلاد في عمارة هذا القصر فيذكر أن المؤيد كان حريصاً على حمل الصناع الغرباء الذين أسهموا في بناء القصر من مكان اقامتهم إلي مكان إنشاء القصر يومياً،ويتولى حطهم سعون بغلة،فضلاً عمن يركبون الحمر أو يسيرون على أقدامهم من الصبية والمعاونين وهم"ما بين نجار ودهان ونحاس وصانع ومكندج ومرخم ومزخرف ومصور ... وهذا ما عدا صناع البلاد وهم أضعاف أضعافهم [٤] .

---

[١] العمرى : *مسالك الأبصار* ، ص ١٦١ .
[٢] العمرى : *المصدر السابق* ، ص ١٦١ .
[٣] العمرى : *نفسه* ، ص ١٦٢ .
[٤] الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ٣١١ ، *العسجد* ، ق ١٨٠ .

كذلك نهج الملك المجاهد نهج اسلافه في الاهتمام بعمارة اليمن وازدهارها، والحرص على استقدام خبراء الصناعة لها في شتى المجالات ، فيذكر المقريزى أنه لما قبض على المجاهد وسُيّر إلي مصر ، حرص بعد الإفراج عنـه عـام ٧٥٢ هـ / ١٣٥١ م ، والسماح له بالعودة لليمن على أن يصحب معه عدداً من الصناع المهرة والعمال. كما استقدم الأشرف الثانى عام ٧٨٨ هـ م / ١٣٨٦ م جماعة من صناع الحرير من ثغر الإسكندرية للعمل على النهوض بهذه الصناعة ببلاده [(١)] .

و لم يقتصر الاهتمام بالصناعة والتشجيع عليها على السلاطين فقط ، بل تعدى ذلك إلي الأمراء والولاة التابعين لهم ، فتحدثنا المصادر عن قيام الأمير عثمان الزنجبيلى نائب توران شاه في عدن بإنشاء معملين للآجر والزجاج في منطقة الخبة الواقعة خارج مدينة عدن [(٢)] .

وكان الحرفيون في اليمن شأن نظرائهم في البلاد الإسلامية الأخرى يتقنون الحرفة ويتعلمون أسرارها عن طريق الوراثة، ولهذا فقد عرفت اليمن أسوة بغيرها من الأقطار الإسلامية أسراً متخصصة في شتى أنواع الحرف، وكان الفرد يتعلم الحرفة عن طريق التدريب عليها ، بالمشاهدة والملاحظة وممارسة العمل تحت اشراف السابقين له في الحرفة ، وغالباً ما كانت هذه الحرف تتعرض لبعض الاضطرابات التي تؤثر عليها ، فلا يستطيع الأبناء أحياناً مواصلة نفس صنعة الآباء ، إذ قد يموت صاحب الحرفة قبل توريثها لأبنائه أو التابعين له . كما تأثرت الصناعات في اليمن أيضاً بالصراعات القبلية المتكررة ، ونتيجة لاشتراك أرباب الحرف والصناعات في تلك الحروب وتكسبهم من ورائها ، الأمر الذى دعا الشريف محمد بن القاسم – حرصاً منه على بقاء الصناعة وازدهارها – إلي توجيه خطاب لأهل شِهارة يطلب فيه من اتباعه ، الحرص على التكسب من مهنهم وحرفهم كل في الفن الذى يجيده [(٣)] .

كذلك تأثرت الصناعة بمدى توافر المواد الخام اللازمة لحرفة ما ، فمثلاً تأثرت بعض الحرف في اليمن بتوقف استخراج بعض المعادن مثل ذهب بيش

---

(١) الخزرجى : _الكفاية_ ، ق ٢٠٤ ، _العقود_ ، ج٢ / ١٥٨ .
(٢) بامخرمة : _تاريخ ثغر عدن_ ، ج١ / ٢١ – ٢٢ ، ج٢ / ١٤٨ .
(٣) الربعى : _المصدر السابق_ ، ق ٩ .

بتهامة حيث توقف التنقيب عنه في ق ٤ هـ / ق ١٠ م ، كما توقف استخراج معدن الفضة – من منطقة الرضراض [١] – الذى يذكر الهمدانى أنه أفضل من فضة شِمَام بنجد ، ويرجع هذا التوقف إلي عام ٢٧٠ هـ / ٨٨٣ م ، وذلك بسبب خلاف نشب بين القبائل القائمة على استخراجه فوقع القتال بينهم ، وتفرقت سبلهم في البلاد [٢] .

---

[١] يسميه الهمداني معدن الرضراض نسبة لمنطقة استخراجه الواقعة في أرض همدان في حد نهم ومخلاف نام .

[٢] الهمدانى : *الجوهرتين* ، ص ١٢٣ ـ ١٢٦ ؛ ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٧٥ .

٢- التعدين

ترجع شهرة اليمن بالتعدين إلي توافر المعادن بأنواعها المختلفة في عديد من ربوع اليمن ، وهى معادن عكف أهل اليمن على استخراجها وفقاً للحاجة والضرورة ، واستخدموها في صناعاتهم ومتطلبات حياتهم .

وفيما يلي عرض لأهم المعادن ووسائل استخدامها .

أ- معدنا الفضة والذهب

وتتوفر الفضة في قرية تعرف بقرية " المعدن " قريبة من صنعاء ، وصفها الهمدانى بأنها قرية عظيمة بها نخيل وغيل وكانت تحتوى على ٤٠٠ تنور لمعالجة الفضة حتى أن الطائر إذا حاذى هذه القرية " سقط ميتا من نار التنانير [١] " ، وكان يرتفع عنها كل أسبوع حمل فضة مقداره عشرون ألف درهم . ويذكر الهمدانى أن مقدار الضريبة التى كانت تؤديها معامل الفضة لبنى يعفر في صنعاء آنذاك كانت تصل إلي مليون درهم سنوياً ، وكانت تعرف بحق السلطان مما يعبر عن عظم الكميات المستخرجة من الفضة [٢] .

كما وجدت الفضة في أرض بنى مذحج ، وكانت تستخرج في ق ٣ هـ/ ق ٩ م لصالح بنى زياد بزبيد وكان ينفق على استخلاص الدرهم منها أربعة دوانيق نتيجة ضآلة الكمية الموجودة وصعوبة استخراجها [٣]، كما وجد هذا المعدن أيضاً في سلوق [٤] ، وفي جبل المعدن بأعمال العواهل قرب وادى بيحان من أعمال مأرب [٥] . كما وجد أيضاً في قفاعة قرب صعدة من أرض خولان [٦] .

---

[١] رغم ما ينطوى على هذا القول من مبالغة ، إلا أنه يدل من جانب آخر على وجود أفران كثيرة في عدد من القرى اليمنية تستخدم في صهر المعدن يدلنا على ذلك كثرة ما ورد إلينا من تحف معدنية يمنية تغص بها متاحف العالم

[٢] الهمدانى : *الجوهرتين* ، ص ١٢٧ ، *صفة جزيرة العرب* ، ص ٨١

[٣] الهمدانى : *الجوهرتين* ، ص ١٢٩

[٤] سلوق : بلدة في ناحية خدير جنوب الجند من أعمال تعز (راجع الأكوع *البلدان اليمانية* ، ص ١٥٤ ـ ١٥٥ ؛ الهمدانى : *صفة حريرة العرب* ، ص ٧٩)

[٥] ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٩٩

[٦] المقحفى : *معجم المدن* ، ص ٣٣٤ ، الواسعى *فرجة الهموم* ، ص ٩٨ ، ١٠١ ـ ١٠٢ ؛ وأنظر أيضا الهمدانى *صفة جزيرة العرب* ، ص ١١٤

وكان الذهب يتوفر في ضنكان[١]،وكان الرطل منه يعادل مائة دينار علوية،وديناراً ونصف،وكذلك في أرض القفاعة من نواحي صعدة في أرض خولان بالقرب من الخصوف أعلي وادى خلب،وكان الرطل منه يعادل مائة وستة دنانير علوية.وقريب منه المعدن المستخرج من المخلف من أرض حجور من أرض همدان ويستخرج أيضاً من أرض بني سابقة الواقعة على الحدود ما بين صعدة ونجران،ويساوى الرطل منه حوالى مائة وأربعة دنانير، كما كان يتوفر في مناطق أخرى منها عطان بيش[٢]، ومنطقة سلوق[٣]،وجبل سرواج من مأرب قرب بيحان.ويذكر ابن المجاور أن ترابه أصفر يشبه الزرنيخ[٤]،كذلك كان يوجد في أحد الجبال الواقعة بشرق وحاظة[٥].

ومن المعروف أن معدني الفضة والذهب يتم معالجتهما وتنقيتهما ويسك منهما النقود من دنانير ودراهم ،كما يدخلان في العديد من الصناعات لا سيما التحف المعدنية والحلى،ويستعملان في الزخارف مثل الثياب المتوجه بقضبان الذهب والفضة الرقاق،ويدخلان في تزيين الملابس الحريرية،وفي تزيين خشب السقوف،وفي ترصيع الصفائح التى تكسى بها أبواب القصور الملكية،وواجهات المحاريب،وفي تذهيب وتفضيض ورق المصاحف، وفي أشياء أخرى كثيرة[٦].وفي بعض الأحيان كانا يصدران على شكل سبائك [٧] وقد شاع ذلك في اليمن في العصر الإسلامي،عندما كان تجار العراق وفارس والشام ومصر يحملون فضض اليمن في ذلك العصر،ويربحون من تجارتهم فيها أرباحاً طائلة [٨] .

---

[١] أحد مخاليف اليمن وهو واد في أسفل جبل السراة (أنظر : الأكوع : _البلدان اليمانية_ ، ص ١٨٨) .
[٢] الهمدانى : _الجوهرتين_ ، ص ١٢٣ ؛ _الإكليل_، ج١ / ٣٥٧ ؛ الأكوع : _المصدر السابق_ ، ص ٥١ .
[٣] القزوينى : _المصدر السابق_ ، ص ٤٥ .
[٤] ابن المجاور : _المستبصر_ ، ص ١٩٩ ؛ وراجع :الواسعى : _فرجة الهموم_ ، ص ٩٨ حيث يحدد العديد من مواضع استخراج الذهب في بلاد اليمن .
[٥] الهمدانى : _صفة جزيرة العرب_ ، ص ٧٩ ووحاظة بلدة في أعلى جبل حبيش في عزلة ثبع شمالى إب ويقال لها أيضاً أحاظة وهى اليوم مزارع وأطلال وتعرف باسم القلعة . والاسم وحاظة نسبة إلي أحد بطون حمير وهم بنو وحاظة بن سعد بن عوف بن عدى ، وإليها ينسب العديد من العلماء والأدباء راجع : المقحفى : _معجم المدن_ ، ص ٤٦٠ ـ ٤٦١ .
[٦] راجع عن هذه الاستعمالات : الهمدانى : _الجوهرتين_ ، ص ٢٠٢ ــ ٢٠٤ .
[٧] تذكر المصادر عند ترجمتها لسيف الإسلام طغتكين أنه جمع من الأموال ما لا يحصى ، فلما كثرت كميات الذهب عنده عمد إلي سبكه على هيئة الطواحين،مما يشير إلي وفرة الذهب انذاك باليمن (أنظر :ابن الأثير : _الكامل في التاريخ_، ج ٩ / ٢٣٨ـ ٢٣٩؛ الحنبلى : _شذرات الذهب_، ج٤ / ٣١٢) .
[٨] الهمدانى : _الجوهرتين_ ، ص ١٢٨

ب- الأحجـــار الكريمة

١- الجـــزع

ويؤتى به من معدن العقيق وهو نظيره في التكوين ،ويوجد بأنواع مختلفـــة وفي مناطق كثيرة ، لا سيما صنعاء وما حولها ، وأجود هذه الأنواع وأغلاها ثمنـــاً النوع المسمى بالبقرانى [١] نسبة لبقران قرب صنعاء ، ومن أنواعه أيضاً العـــروانى (الغروى) ، والفارسي والحبشي والعسلى والمعرق ، ومن هذا النوع الأخير تصنع الأوانى الكبيرة " لكبره وعظمه " [٢] .

كما وجدت منه أنواع أخرى من بينها الجزع الموشى والمسّـــير في عـــدة مواضع منها جبل نقم قرب صنعاء ، وكان الجزع العُشارى أو الســـماوى يتـــوفر أيضاً على مقربة من صنعاء ، أما الجزع الخولانى والجُرتى فكان يتوفر في عذيقـــة والشرب ، والجزع الظفارى بظفار ، وكان الجزع بمختلف أنواعـــه يســـتخدم في صناعة ألواح وصفائح وقوائم السيوف ، ومقابض السكاكين والمدى ، والمـــداهن وغير ذلك [٣] .

٢- العقيـــق

وهو من أصناف اليواقيت وسُمى بذلك لعقه أى لشقه بعض الحجـــارة ، وعرفت اليمن بأنها أرض العقيق اليمانى الشهير،ويؤتى به لعدن،ومنها يحمل لسائر البلاد،كما قامت عليه صناعة من أشهر الصناعات الحرفية في الـــيمن [٤]،عرفـــت

---

[١] الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٢٠٢ ؛ الأكوع :البلدان اليمانية ، ص ٤٥ .

[٢] ابن الفقيه :مختصر كتاب البلدان، ص ٣٦ .

[٣] راجع الهمدانى : صفة جزيرة العرب، ص ٢٠٢ ؛الاكليل ، ج١ / ٨٨ وهـ١ ، ج٨ / ٣٧ – ٣٨ ؛ الواسعى :فرجة الهموم ، ص ١٠٢ ؛ الأكوع : البلدان اليمانية ، ص ١٩٢ ، وراجع أيضا : محمد امين صالح : المرجع السابق ، ص ٢٠٧ . وعذيقة مدينة عامرة في جبل مسور تابعة لصنعاء أنظر : المقحفى : معجم المدن ، ص ٨٠ . وعن الجزع جيده ورديئه وأصنافه وخواصه راجع : التيفاشى : شهاب الدين ابو العباس احمد بن يوسف القيسى (ت ٦١١ هـ / ١٢٥٣ م) : ازهار الأفكار في جواهر الأحجار : تحقيق د. محمد يوسف حسن ، و د. محمود بسيونى خفاجة ، القاهرة ١٩٧٧ ، ص ١٤٨ – ١٤٩ ، ١٥٠ – ١٥١ .

[٤] وجد في صنعاء في عصر بنى رسول حوالى اثنى عشر حرفياً برعوا في صناعات العقيق (راجع:محمد المتيمى : الصناعات الحرفية في مدينة صنعاء وآفاق تطورها . مجلة دراسات يمنية ، العدد ٣٢ ، ابريل – يونية ، صنعاء ١٩٨٨ م ، ص ١٧٠) .

بصناعة العقيق،وأبدع فيها الصانع اليمني ولاقت منتجاته منها رواجاً وشهرة واسعة في الأسواق العالمية ، وقد نحتوا منه أشكالاً عديدة ، وكتبوا عليها الشعارات والرموز ، كما أدخلوا العقيق في تطعيم وترصيع الحلى الذهبية والفضية ، وكانت بعض الأدوات الخاصة بزينة النساء تصنع من العقيق الخالص ، كالأحزمة النسائية (البرم) والمحكات (مماسك الشعر) وغيرها [١] . ومما يدل على رقي صناعة العقيق في اليمن في العصر موضوع الدراسة ، أننا نجدها تشغل مكاناً بارزاً في قوائم الهدايا التي يقدمها ممثلو وسفراء سلاطين بني رسول لسلاطين مصر المملوكية ، ومنها الهدية التي أرسلها الأشرف الثاني إلي الظاهر برقوق سنة ٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م ، واشتملت على " حياصة بعواميد عقيق ، ووجه فرس عقيق ومرآة هندية محلاة بفضة وقد رصعت بعقيق وشطرنج عقيق أبيض وأسود " [٢] .

وقد أشار ناصر خسرو إلي شهرة أهل اليمن وصنعاء على وجه الخصوص في صناعة العقيق ، حيث ذكر أنهم يقومون بقطعه من الجبل وصهره في بواتق ثم صقله ببعض الآلات والعمل على تشكيله حسب الحاجة ، وكان العقيق يدخل في صناعة مقابض السيوف ، وذكر ناصر خسرو أنه رأى في مصر سيفاً هادى به حكام اليمن الخليفة الفاطمى " مقبضه قطعة واحدة من العقيق الأحمر كأنه ياقوت"[٣] وكان العقيق يستخدم أيضاً في ترصيع الأسلحة الأخرى ، وفي الفصوص التي تزين بها المجوهرات والحلي ، ويشير سرجنت إلي أن يهود مدينة صنعاء اشتهروا بقطع الأحجار الثمينة وصقلها ، وكانوا يتبعون طريقة أخرى في ذلك تعتمد على استخدام قضيب يغمس في الماء ، ثم في سائل صمغي لاصق لتنقية الأحجار الكريمة من الشوائب ، ثم يستخدم الصانع مطرقة خفيفة لكسر الأصل إلي قطع صغيرة يقتلع منها الحجر الكريم ، ثم يؤخذ فتهذب أطرافه وزواياه فيتحول إلي فص مصقول مستدير نظيف [٤] .

---

(١) محمد المتيمي : _الصناعات الحرفية_ ، ص ١٧٠

(٢) ابن تغري بردي : _النجوم_ ، ج١٢ / ٦٦ – ٦٧ .

(٣) ناصر خسرو علوى : _سفرنامه_ ، ترجمة د. يحيى الخشاب ، القاهرة ١٩٥٤ ، ص ٧٩ .

(4) Serjeant R. B. , ed. San 'a , An Arabian Islamic city Puplished by the World of Islamic Festival Trust , London , 1983 , pp . 168- 169 .

وقد تواجد العقيق في مناطق كثيرة باليمن أهمها صنعاء ، ولا نشك في أن صنعاء حافظت على تقاليد موروثة منذ القدم في تصنيع العقيق مع تنقيته من الشوائب،وهذا يدل على أن صنعاء اختصت بذلك حتى العصر الحاضر،وقد تواجد بها في منطقة مقرى،ويعرف بالبقراني[1]،ويتميز بألوانه المختلفة ، فالفص منه يكون وجهه أحمر فوق عرق أبيض فوقه عرق أسود،وتتواجد منه عدة أنواع أيضاً في جبل أنس قرب صنعاء[2].كذلك يتوفر العقيق الأحمر والأصفر في مخلاف ألهان وفي جبل قساس ، ويوجد العقيق السعواني في وادى سعوان قرب صنعاء،وتتميز فصوصه السوداء بوجود تعريقات بيضاء،كما يوجد العقيق العرواني،ويتميز لونه الأحمر بوجود عرق أبيض،وأشهر مناطق استخراجه الشرف بشهارة وغرب همدان حيث يوجد السعواني إلي جانبه [3].وكان يتم استخراجه هو والجزع من جبل شبام قرب صنعاء.ويلاحظ أن معدن العقيق يصنع بعضه في اليمن – ويدخل كما ذكرنا في نفس الاستعمالات السابقة للجزع بالإضافة لتزيين التحف المعدنية وغيرها – ويصدر البعض الاخر منه خاماً[4] .

جـ- معدن الحديد ومعادن أخرى :

وكان يشكل أهمية بالغة في الصناعات المعدنية لا سيما الأسلحة بأنواعها ، والتي ذاعت شهرة اليمنيين في صناعتها ، كما صنعت منه الأدوات التي يستخدمها المزارعون في فلاحة الأرض (المحراث – الفأس – المنجل) ، والأدوات المنزلية وغير ذلك من الآلات التي تلزم لصناعاتهم [5] .

---

(١) القزوينى : _آثار البلاد_ ، ص ٦٢ ، وراجع أيضا :ابن الفقيه ، _المصدر السابق_ ، ص ٣٦ ؛ الأكوع:_البلدان اليمانية_ ، ص ٢٦٠ .

(٢) الهمدانى : _صفة جزيرة العرب_ ، ص ٢٠٢ ، الإدريسى :_نزهة المشتاق_ ، ج١ / ١٠١ – ١٠٢ ؛ ويتناول المقدسى شهرة صنعاء بالعقيق قائلا " من أراد العقيق اشترى قطعة أرض بموضع بصنعاء، ثم حفر فربما خرج له شبه صخر وأقل " (راجع :_أحسن التقاسيم_ ، ص ٩٨ ، ١٠١) .

(٣) الهمدانى : _صفة جزيرة العرب_ ، ص ٢٠٢ – ٢٠٣ ، _الإكليل_ ، ج٢ / ٣٧ – ٣٨ .

(٤) ابن الفقيه :_المصدر السابق_ ، ص ٣٦ ؛ ابن المجاور :_المستبصر_ ، ص ١٨٤ ، وقد وصف القزوينى معالجته فيقول أن معالجيه يعمدون إلى كسره وإلقائه في حر الشمس ، ثم توقد له التنانير ،ويضعونه في أوانى حتى لا يلامس النار حتى " يسير منه ماء يجرى في مجرى وضعوه له، ثم يستخرجونه ، لم يبق منه إلا الجوهر وما عداه صار رماداً " (انظر :_آثار البلاد_ ، ص ٦٢ ، وراجع أيضاً : شيخ الربوة :_نخبة الدهر_ ، ص ٦٩) ، ونستنتج مما ذكرناه في المتن وما ورد في المصادر أن للعقيق خمسة أنواع (أحمر ورطبى [أى احمر مائل للصفرة] ثم أزرق وأسود وأبيض، وأجوده الأحمر ثم الرطبى وهكذا على الترتيب المذكور ، (راجع عن خواصه وقيمته ومنافعه بالتفصيل :التيفاشى :_المصدر السابق_ ، ص ١٤٦ – ١٤٧) .

(٥) محمد المتيمى :_الصناعات الحرفية_ ، ص ١٦٨ – ١٦٩ .

ويتوفر معدن الحديد في جبل الحديد على مقربة من عدن[١] ، وفي جبل كدمل في الطريق إلي الحجاز [٢] ، وفي سلوق [٣] ، على أن أهم مناطق استخراج معدن الحديد كانت تقع في الأراضي التابعة للأئمة الزيدية وبخاصة في منطقة رغافة، الواقعة على مسافة تبعد نحو ٣٧ كم شمال غربي مدينة صعدة ، وذاعت شهرة أهل صعدة في استخلاص خامات الحديد وإعادة سبكه في الجبال المحيطة بالمدينة لا سيما برغافة التي كانت تضم ١٥ مسبكاً (كبيراً) لسبك الحديد ، ويؤيد ذلك ما عثر عليه من أدوات وأفران استخدمت في صهر المعادن وبخاصة في صهر الحديد وتنقيته من الشوائب العالقة به [٤] . وقد برع أهل صعدة في استخدام الحديد في صناعة آلات الحرث والفلاحة بأنواعها ، وآلات الحرب من المنجنيق والنصال الصعدية وغيرها ، بالإضافة إلي توفير ما تطلبته العمائر من مغالق الحديد ومسامير الأبواب وغير ذلك ، وكان يصدر منها الفائض إلي المناطق اليمنية المجاورة، وكذا البلدان المحيطة باليمن [٥] .

ونتيجة لجودة الحديد المستخرج من صعدة وكثرته،فقد تم–كما ألمحنا– تسويقه محلياً على نطاق كبير وقامت عملية تصديره للهند ومصر عبر فرضة عدن. وبسبب توافر الحديد،ازدهرت الصناعات القائمة عليه في عدد من المدن اليمنية لا سيما صنعاء الواقعة على"طريق تسويق الحديد الصعدى"[٦]،ونظراً لأهميته في عمليات تصنيع الآلات والأدوات المختلفة ،عمد الأيوبيون إلي احتكار تجارته"ومنع من يشتريه من عدن إلا من تحت إيديهم"فبلغ سعر نصف الرطل ديناراً،بينما كان سعر خمسة أرطال منه في صعدة بدينار [٧].

---

[١] ابن المجاور : المستبصر ، ص ١٠٦ – ١١٠ ، ويذكر بامخرمة أن بعض أهل الخبرة في صناعة التعدين سبك من هذا الجبل حديدا قدره بهارين ونصف.(راجع:بامخرمة تاريخ ثغر عدن،ج١ / ١٨) .

[٢] ابن المجاور : المستبصر ، ص ٥٥ .

[٣] الهمداني :صفة جزيرة العرب ، ص ٧٩ .

[٤] واضح الصمد : الصناعات والحرف عند العرب في العصر الجاهلي ،ط١ ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ١١١- ١١٩ ؛ مصطفى شيحة : مدخل إلي العمارة والفنون ، ص ١٢١ ، ١٢٢ ؛ المقحفى : معجم المدن ، ص ١٧٩ ؛ الأكوع : البلدان اليمانية ، ص ١٣٠ .

[٥] حسين عيظة الشعبي : مدينة صعدة عبر أطوار التاريخ ،مجلة الإكليل ، العدد الأول ، السنة السابعة ، صنعاء ، ١٩٨٩ ، ص ١٠٣ .

[٦] محمد عبد الرحيم جازم : الحرف والمنتجات الحرفية في مدينة صنعاء في أوائل دولة بني رسول : جريدة الثورة ، عدد ١٩ /٩ / ١٩٨٧

[٧] حسين عيظة :مدينة صعدة ، ص ١٠٥

وبلغ من أهمية الحديد أيضاً وشهرة صعدة في استخراجه وتصديره أنه صار يدخل ضمن شروط الصلح التى تعقد بين الأئمة الزيديين وحكام اليمن ، فتشير المصادر إلي أن الأيوبيين حرصا منهم على توفير معدن الحديد اللازم للصناعة لديهم،كانوا يشترطون عند عقد الصلح أو تجديده بينهم وبين الأئمة بصعدة ، على قيام الأخيرين بتزويدهم بأحمال الحديد ، مثال ذلك ما حدث عام ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م عندما جدد الأتابك سنقر الصلح بينه وبين الإمام عبد الله بن حمزة على يد شقيق الإمام وهو الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة ، فتم الاتفاق على تسليم الإمام مائة حمل موقرة حديداً في كل سنة للأمير وردسار أمير صنعاء الأيوبى [1] .

وتتكرر نفس الشروط في العديد من الهُدن التى توالى عقدها بين سلاطين اليمن وبين الأئمة كهدنة عام ٦٠١ هـ / ١٢٠٤ م ، حيث نص الصلح على تزويد الأمير علم الدين وردسار أمير صنعاء بخمسة أحمال حديد إلي جانب أشياء أخرى تعهد الإمام بدفعها نظير إقرار الهدنة [2] . وفي سنة ٦٠٥ هـ / ١٢٠٨م تجدد الصلح للمرة الثالثة نظير تسليم مائة حمل موسقة بالحديد الصعدى من الإمام للأمير وردسار [3] .

وإلي جانب الحديد توفرت في بلاد اليمن معادن أخرى كالبللور الذى اختصت به عدة مواضع من صنعاء لا سيما النوع المعروف بالمسنى ، وتعمل منه نصب السكاكين ، التى تصنع أيضاً من الحجر الجرتى الأسود والأخضر والذى تواجد بدوره باليمن [4] ، كما وجد باليمن أيضاً معدن اليصب الذى كثر استخدامه في سائر البلاد وكان على أنواع منه الأبيض والأزرق والزيتونى وهو أجودها جميعاً [5] . كما عرفت أرض اليمن عدة أنواع من الشب أشهره الشب

---

(١) ابن حاتم : السمط ، ص ١٠٢ .

(٢) ابن حاتم : المرجع السابق ، ص ١١٨ .

(٣) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ، ق ١ / ٣٩٣ ،ولنفس المؤلف أنباء الزمن ، ق ٦٦ ؛ ابن الديبع: قرة العيون ص ٢٨٩ .

(٤) الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٢٠٢ ؛ الإكليل ، ج٨ / ٣٨ .

(٥) التيفاشى : المصدر السابق ، ص ١٩٨ كذلك تم استخراج الملح من عدة مناطق باليمن مثل تبوه وتهامة وبخاصة من ناحية مور والمهجم ومعظم المناطق القريبة من الساحل وفي مارب ايضا حيث يوجد جبل يعرف بجبل الملح يصفه الهمدانى بانه لا نظير له في الجوهرية والصفاء كالبللور ويعرف بالملح البرى . (راجع : الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٨٧ ، ١٥٥ ، ٢٠١) .

الأبيض اليماني الذى كان يحمل من البلاد " إلي الآفاق " [١] . كما وجد معـــدن الكبريت بذمار ، وكان يصدر إلي سائر أعمال الـــيمن [٢] ، واللؤلـــؤ بعـــدن [٣] وهجر [٤] ، والعنبر وتواجد في كل من الشحر والمنطقة الواقعة فيما بين عدن وباب المندب [٥] .

٣- الصنـــاعات المعـدنية

كان لتوافر أنواع متعددة من المعادن في اليمن كما ألمحنـــا في الصـــفحات السابقة أثرها البالغ في قيام عدد من الصناعات المعدنية عليها ، فقد صنعت منـــها مختلف أنواع الأسلحة وبخاصة السيوف اليمانية الشهيرة ، ونصـــال الســـكاكين ، والمدى ، والخناجر وأدوات الفلاحة على شـــتى أنواعهـــا ، والأواني والطســـوت والأباريق والشماعد وغيرها من الأدوات المنــــزلية، وكـــذا التحـــف المعدنيـــة كالثريات وكسوات الأبواب ، والمباخر والمجامر والأسطال والقناديل .

ويمكننا الاستدلال على ما أحرزته هذه الصناعات من تقـــدم وازدهـــار وبخاصة في عصر الرسوليين وذلك من خلال ما ورد في ثنايا المصادر التاريخية مـــن إشارات حول بعض هذه الصناعات عند الحديث عن إعمار المسجد الحـــرام ، أو الفراغ من عمارة أحد القصور الرسولية المنتشرة في أنحاء اليمن آنـــذاك . أو مـــن خلال الحديث عن قوائم هدايا الرسوليين المرسلة إلي سلاطين مصر المملوكية .

ومما لا شك فيه أن كل ذلك إنما يعبر تعبيراً صادقاً عن ازدهار الحياة الفنية في عصر بني رسول بصفة خاصة ولعل ذلك بتأثير عدة عوامل منـــها الاســـتقرار

---

[١] القزويني : _آثار البلاد_ ، ص ٥٢ ؛ القرماني : _المصدر السابق_ ، ص ٣٦٠ .

[٢] ابن المجاور : _المستبصر_ ، ص ١٩٠ – ١٩١ .

[٣] الاصطخري : _المسالك والممالك_ ، ص ٢٦ ؛ التيفاشي : _المصدر السابق_ ، ص ٤٩ . وجدير بالذكر ان بعض الأحجار الكريمة لا توجد في اليمن ، ولكنها تحمل إليه خاما من مناطق أخرى لعلاجها أى لإزالة كل ما يكون عالقا بالاحجار من ماء وطين وسواد لإظهار لونها الأصلى مثل الياقوت الأحمر الذى يستخرج من سرنديب ويعالج بعضه في اليمن . (راجع : التيفاشي : _المصدر السابق_ ، ص ٦٥ – ٦٦) .

[٤] المقدسي : _احسن التقاسيم_ ، ص ١٠١ .

[٥] القزويني : _اثار البلاد_ ، ص ٤٥ ، ٤٧ ؛ المقدسي : _المصدر السابق_ ، ص ١٠١ – ١٠٢ وللمزيد من التفاصيل عن الأحجار الكريمة وانواعها ومناطق استخراجها قديما وحديثا راجع : حسن صالح شهاب : _اضواء على تاريخ اليمن البحري_ ، ط٢ ، دار العودة ، بيروت ١٩٨١ ، ص ١٥٠ – ١٥٤ ؛ الواسعي : _فرجة الهموم_ ، ص ٩٨ ، ١٠٢ – ١٠٦

السياسى الذى عرفته اليمن في معظم فترات حكم هذه الدولة ، والذى أدى بدوره للإستقرار الاقتصادى الذى أثمر في النهاية ثراءاً عظيماً يتمثل في عدة مظاهر أهمها إقدام سلاطين هذه الدولة ومن يلوذ بهم من أهل بيتهم وأمرائهم على تشييد العمائر المختلفة التي تميزت بالتنوع والثراء الزخرفى والإتقان المعمارى [١] .

كما يتمثل هذا الثراء أيضاً فيما اشتملت عليه خزائن حكام اليمن من تحف وذخائر غاية في الروعة والثراء، وسوف تأتى الإشارة إلي محتويات دار المرتبة بتعز عند الحديث عن صناعة المنسوجات ، وكذلك ما احتوته هداياهم إلي حكام مصر المملوكية من طرائف هذه الأقمشة ، كما يظهر هذا الثراء واضحاً فيما أورده الخزرجى عن كرم المؤيد الرسولى عندما وهب أحد ندمائه ويدعى الأمير شمس الدين بن رضوان خزانة عدن وكان من ضمن محتوياتها ألوف من السبائك الذهبية والفضية وأضعاف ذلك من الملابس والتحف والطرف والأطياب " مما لا يحويه الوصف ولا يحصيه العدد " [٢] .

ويشير صاحب بهجة الزمن أيضاً إلي هذا الثراء الذى كان له أثره الواضح في ازدهار فن صناعة التحف المعدنية كإحدى المظاهر الدالة على استكمال أسباب الترف واليسار ، وذلك عند حديثه عن نهب بعض دور الملك المجاهد في مدينة زبيد سنة ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م ، والاستيلاء على ما فيها من ذخائر وتحف ، ومنها "حياصتين [حزامين] مرصعتين بالجواهر النفيسة ، وسرموجة [٣] مرصعة بالجواهر.... " [٤] .

ومن الأدلة التي تعبر بصدق عن ازدهار فن الصناعات المعدنية في اليمن آنذاك ما أشار إليه الخزرجى في حوادث عام ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م عن قيام

---

(١)
Van Berchem (M .) notes d ' Archeelogie Arabe , (Monuments et inscriptions Rassaulides) Journal Asiatique , Dixieme serie ,Tome ,III Paris, 1904 .pp.13 – 14; Dimand , un published, Metal Work of the Rasulid sultans of Yemen (Metropolitan Museum Studies) p. 229 .

(٢) الخزرجى : العسجد ، ق ١٩٢ – ١٩٣ .

(٣) سرموجة : (سرموزة) : وهو نوع من الأحذية القصيرة التى تلبسها النساء وتخلع عند دخول البيت . (راجع : ماير : الملابس المملوكية . ترجمة صالح الشيتى ، مراجعة د. عبد الرحمن فهمى ، القاهرة ١٩٧٢ ، ص ١٢٩) .

(٤) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص ٢٩٣

المنصور نور الدين عمر بن رسول بإرسال قناديل من الذهب والفضة إلي الكعبة المعظمة على يد رسوله إلي مكة ويدعى ابن النصرى الذى دخل الحرم وَعلَّقَ القناديل في جوف الكعبة [١] كما قام ابنه المظفر بتحلية باب الكعبة المعظمة بالذهب والفضة وذلك عام ٦٦٦ هـ / ١٢٦٧ م [٢] كما أورد الفاسى خبراً عن قيام المجاهد الرسولى بدوره بتحلية باطن الكعبة بحلية من الفضة كتب عليها اسمه بحروف بارزة وَعلّق هذه الحلية في جوف الكعبة مما يلى بابها الشرقى [٣] .

ونلاحظ من خلال وصف المصادر لأحد قصور الدولة الرسولية وهو قصر المعقلى الذى أقامه المؤيد داود في ثعبات ، مدى ما وصل إليه فن العمارة في ذلك العصر من ازدهار ، وما صاحب ذلك من تقدم بعض الفنون الأخرى المكملة لهذا الفن وهى ما يتصل منها بأعمال الترخيم والتذهيب والتصوير والنجارة وصناعة التحف المعدنية النحاسية وتماثيل لطيور وحيوانات تمج المياه من أفواهها [٤] . كما نتبين هذا الازدهار في التحف النفيسة التى كانت من بين ما هادى به حكام اليمن سلاطين مصر المملوكية ، ومعظم هذه التحف كانت مصنوعة من النحاس والبرونز وغيرهما من المعادن التى يتم تكفيتها بالذهب والفضة ، مما يشير إلي وصول هذه الصناعة لدرجة عالية من الإتقان ، بحيث أصبحت من التحف الصالحة لإهداء الملوك والسلاطين .

ومن أمثلة ذلك هدية المؤيد الرسولى عام ٧٠٤ هـ / ١٣٠٤ م ، والتى كانت زاخرة بصنوف التحف السنية من " الفضيات على اختلاف أنواعها ، كالطسوت والأباريق والصلاحيات والمجامر والأكر .... [٥] " وكذا هدية الأشرف الثانى عام ٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م ، وكانت تضم بدورها كثير من تحف اليمن منها

---

(١) الخزرجى :العقود ، ج١ / ٥٩ ؛الفاسى : العقد الثمين ،ج٦ / ٣٤٧ ـ ٣٤٨ ؛ ابن الديبع :قرة العيون ، ص ٣٠٣ ؛ العصامى سمط النجوم العوالى ، ج٤ / ٢١٨ ؛
Porter , (VI) the Art of the Rasulids (Yemen 3000 Years) P 234 , Van Berchem , op . cit , P 26 , no . 1 .

(٢) ابن حاتم . السمط، ص ٣٧٨ Porter , Ibid

(٣) الفاسى . العقد الثمين ، ج٦ ، ص ١٥٨ ١٥٩ (ب ٢٠٥٨)

(٤) الخزرجى . العقود . ج١ ٣١١

(٥) الخزرجى العقود ج١ ٢٩٨ ، الكفايه و ١٤١ ، Van Berchem , op . cit p 26

" ..... سيف بحلية ذهب مرصع بالعقيق ، وحياصة بعواميد عقيق مكللة بلؤلؤ كبار ، ورماح عدة مائتين .... " [١] .

كما يمكننا القول بوجود عدد لا بأس به الصناع المحليين المجيدين لأسرار مثل هذه الصناعات المعدنية استناداً إلي ما ذكره صاحب العقود عن مشاركة الحرفيين المحليين لنظرائهم الغرباء في عمارة المعقلى و صناعة تحفه المعدنية ، وكان عددهم أضعاف عدد الحرفيين الغرباء [٢] .

وقد أورد لنا د. محمد عبد الرحيم جازم بدوره بعض الإشارات إلي مجموعة من الصناع المحليين الذين تخصصوا في صناعة الحلى الذهبية والفضية والكتابة والنقش عليهما ، مما يدل على ازدهار هذه الصناعة ومن بين هؤلاء الصناع ، ابن شرف ، وعلى بن المأمون وأخوه محمد ، وكانوا ينقشون " الكحال الرفيع " أى الكتابة على الحلى ، بالإضافة إلي عمل الخواتم ، ونقش السكك كالدرهم والمثقال وغيرهما [٣] .

ومن المعروف أن صناعة الحلى والمجوهرات في أى مجتمع تُعد انعكاساً لما كان ينعم به هذا المجتمع من ثراء ورقى حضارى ساعد بالتالى على ازدهار تلك الصناعة التى تدخل ضمن صناعات الترف [٤] ، ومما لا شك فيه أن تلك الصناعة انتشرت في اليمن منذ القدم ، وساعد على ذلك توافر الأحجار الكريمة والمعادن النفيسة باليمن مما أدى إلي رواج الصناعات المعدنية بوجه عام ، وصناعة المشغولات الذهبية والفضية بوجه خاص وشاع ترصيعها بالأحجار الكريمة كالعقيق والجزع ، والتى ذكرنا بعضاً منها في الحديث عن هدايا بنى رسول للديار

---

[١] ابن تغرى بردى : النجوم ، ج١٢٢ ، القاهرة ١٩٥٦أ ، ص ٦٦ ـ ٦٧ .

[٢] الخزرجى : العقود ، ج١ / ٣١١ ، وجدير بالذكر أنه مما ساعد على ازدهار هذه الصناعة اهتمام بعض سلاطين اليمن بصنع عدد منها مثل الأشرف الأول الرسولى الذى كان على دراية واسعة بعلم الفلك والتقاويم قبل أن يتولى عرش البلاد ، وكتب رسالة في هذا العلم ، وقام بنفسه بصنع اسطرلاب معدنى وذلك عام٦٩٠هـ/١٢٩٠م، ويوجد هذا الاسطرلاب في متحف المتروبوليتان (مجموعة *E.C. Moore*) وهو مؤرخ بعام ٦٩٠ هـ أيضا (راجع : *Porter , op . cit , p . 234 ; Dimand , (M . S) ; un Published Metal Work , p . 229*) .

[٣] محمد عبد الرحيم جازم : الحرف والمنتجات الحرفية في مدينة صنعاء في أوائل دولة بنى رسول (٦٩٠ ـ ٦٩٥ هـ / ١٢٩٠ ـ ١٢٩٥ م) ، جريدة الثورة ، الحلقة الثانية والثالثة .

[٤] عبد الرحمن زكى : الحلى في التاريخ والفن ، المكتبة الثقافية ، عدد ١٢٦ ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٧ .

المصرية ، ومنها أيضاً السيف المهدى من قبل الأشرف الثاني الرسولى إلي أحد سلاطين المماليك بمصر وكان " سيفاً بحلية ذهب مرصع بعقيق " (١) . الأمر الذى يؤكد أن هذه الحلى قد تنوعت وتعددت أشكالها وتفنن الصانع اليمنى في صناعتها وتجويدها حتى بلغت درجة عالية من الإتقان والإبداع جعلها تدخل ضمن قوائم هدايا السلاطين ، وكان من أبرز هذه المشغولات، القلائد العادية والمطعمة باللؤلؤ والياقوت ، والخلاخل الذهبية والفضية والتى تعرف في اليمن " بالحجل " ، والخواتم الذهبية ذات الفصوص المتنوعة ، وعلب الفضة والذهب المستخدمة في حفظ النقود، والمكاحل وغيرها من أدوات الزينة الخاصة بالنساء علاوة على ترصيع الجنابى والسيوف والخناجر وخاصة بمقابض من الفضة (٢) وألواح الذهب والفضة الداخلة في تكسية الأبواب الخاصة بالمساجد والقصور وغيرها (٣) .

أ- الحدادة وصناعة أدوات الركوب

ازدهرت تلك الحرفة التى تعتمد بصفة أساسية في آليات صناعتها على الحديد ، وتواجدت أسواقها في صنعاء وغيرها من المدين اليمنية ، ويشتمل السوق على حوانيت ومعامل لتصنيع الأدوات الزراعية وأدوات النجارة والعمارة ، وقد انتشرت هذه الحرفة في العصر موضوع الدراسة انتشاراً واسعاً ، وشهدت تطوراً عظيماً ، وقام الحرفيون المشتغلون بهذه الصناعة بإنتاج عدة أنواع من الأعمدة الحديدية والرماح المستخدمة في الحروب ، بالإضافة إلي أنصال الخناجر والخوذ الحديدية لوقاية رؤوس المقاتلين (٤) .

ويلحق بحرفة الحدادة صناعة أدوات الركوب التى يستخدمها الفرسان في ركوب الخيل ، وهى متعددة منها السروج والأزمة واللجم والمهاميز والسياط وغيرها ، وقد انتشرت هذه الصناعة ببلاد اليمن للحاجة الضرورية إليها ، ومن المعروف أن السروج تختلف أنواعها والمواد المستخدمة في صناعتها ، فمنها ما

---

(١) ابن تغرى بردى : *النجوم* ، ج١٢ / ٦٧ .
(٢) ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٣٦ ؛ محمد المتيمى : *الصناعات الحرفية* ، ص ١٦٩ .
(٣) عبد الرحمن ركى : *المرجع السابق* ، ص ٤٧ .
(٤) محمد المتيمى : *المرجع السابق* ، ص ١٦٩ ؛ محمد عبد الرحيم جازم : *الحرف والمنتجات الحرفية* ، الحلقة الثانية والثالثة .

يصنع من الجلد العادى،ومنها ما استخدم في كسوته الجلود الغالية الثمن،وقد ذكر الهمدانى أن جلود النمور النفيسة المحلولكة السواد المبقعة بالبياض والتى يبلغ ثمن الجلد الواحد منها عدة دنانير كان يتخذ منها السروج ، مما يعد جلالاً للخيل[١] .

كذلك برع أهل اليمن في صناعة اللُحم براعتهم في صناعة السروج [٢] ، وقد وردت لنا عدة أسماء لبعض الحرفيين من أهل مدينة صنعاء ممن تخصصوا في صناعة الحدادة وآلات الركوب،وقاموا بإنتاج أدوات الركوب الراقية الصنع،إلي جانب الأدوات الشعبية التى يستخدمها عامة أبناء اليمن من الجمالة والجنود والفلاحين والعاملين في نقل البضائع بين المدن،وأهم هذه الأدوات"اللجم"،وأشهر هؤلاء الحرفيين أسرة بنى يعيش،وهى أسرة تخصصت في الحدادة ومنهم على ومحمد إبنا إبراهيم بن يعيش،ومنهم أيضاً سليمان وأخوه على بن موسى بن صالح، كذلك تخصص حرفى آخر يدعى عمرو بن عامر في صناعة رِكاب السروج وكانت ركاب سروجه التى يقوم على صناعتها تعرف باسم"اشغال عمرو بن عامر "[٣].

ب- صناعة السيوف والأسلحة

تمثل صناعة الأسلحة،واحدة من أبرز الصناعات المعدنية في اليمن ويأتى في مقدمتها صناعة السيوف اليمانية التى شاع ذكرها وشهرتها لما تتميز به من الليونة وعدم الانكسار،وتنوعت أشكال هذه السيوف وأسماؤها،فمنها ما نسب إلي مكان صناعتها كالبيلمانية نسبة إلي منطقة(بيلمان)[٤]،والسيوف النقمية نسبة إلي حديد جبل نقم المطل على صنعاء،والسيوف البرعشية والمنسوبة إلي منطقة ذى برعش[٥].

---

(١) الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٢٠٢ .

(٢) يدل على هذه البراعة قول أحد ملوكهم :

والذ من قرع المثانى عندنا في الحرب الجم يا غلام وأسرج
خيل بأقصى حضرموت مجالها وصهيلها بين العرق ومنبج

راجع ابن الديبع :قرة العيون ، ص ١٨٠ هـ ٢ .

(٣) محمد عبد الرحيم جازم :الحرف والمنتجات الحرفية ، الحلقة الثانية والثالثة ، أنظر أيضا ربيع حامد خليفة :توقيعات الصناع والفنانين على الآثار والفنون اليمنية ، مجلة الإكليل ، العدد ٣ - ٤ ، سنة ١٩٨٨ ، ص ٩١ . ويطلق أهل اليمن على السروج اسم الوطف ، ويسمى من يعمل بهذه الصناعة الموطف (راجع Serjeant , San 'a , p . 168) .

(٤) الخزرجى : العسجد ، ق ١٤٠ ، ١٤٨ ؛ الأكوع :البلدان اليمانية ، ص ٥٣ .

(٥) الأكوع :اليمن الخضراء مهد الحضارة ، ص ٢٣٦ . ويمكننا أن نضيف إلى جانب الشهرة اليمانية بصناعة السيوف أيضا شهرتها القديمة في صناعة الخنجر اليمنى التقليدى والمعروف=

وقد دفعت شهرة السيوف اليمانية وما تميزت به من مواصفات جيدة الشعراء العرب منذ القدم للتغني بوصفها والتفاخر ببعضها في أشعارهم ، ومن هذه السيوف اليمانية السيف المستقيم ذو الحد الواحد وذو الحدين وهو الأكثر شيوعاً وانتشاراً ، ومنها السيف المقوس أو المثنى [1] . وقد تطورت صناعة السيوف اليمنية بمرور الوقت وتفنن الصانع اليمني في صناعتها ، فجعل لها مقابض متعددة الأشكال، صنعت من معادن شتى ، ونقشوا على المقابض والنصال الكثير من العناصر الزخرفية المتنوعة من نباتية وحيوانية ، كما مهروها بالكتابات المختلفة [2]، ورأينا كيف دخلت هذه السيوف في قوائم هدايا ملوك اليمن لنظرائهم من ملوك الدول المجاورة .

ومما لا شك فيه أنه كان لكثرة الحروب التي خاضها الأيوبيون وخلفاؤهم من بني رسول لإخضاع المناطق المتمردة وتوحيد أرجاء اليمن تحت سيطرتهم أثرها الواضح في تقدم وصناعة الأسلحة بوجه عام لشدة حاجة الجيوش إليها . ولعل من أشهر هذه السيوف ما عرف باسم السيوف الصنعانية نسبة لصنعاء مركز صناعتها وتتميز بقصر أنصالها وحدتها [3] .

كذلك عرفت اليمن صناعة السهام والدروع . ومنها السهام الصعدية المنسوبة إلي مدنية صعدة وقد أطبقت شهرتها داخل وخارج بلاد اليمن . والدروع المحكمة الصنع المنسوبة إلي سلوق وكانت تعرف بالدروع السلوقية [4] .

=بالجنبية وسميت بذلك لأنها توضع في الجنب ، وتعد من الصناعات المعدنية القديمة التي ما زالت قائمة ، ويتحلى بها أهل اليمن حتى اليوم وتعد أحد مظاهر صناعة السلاح اليدوي التي تخلفت من الصناعات الحرفية القديمة خلال فترات العصر الإسلامي وهي عبارة عن خنجر صغير ملتو في نهاية طرفه المدبب وتوضع في غلاف يصنع من الفضة أو الخشب ، وتثبت حول الخصر من الأمام قريبة إلي الجنب ويتم التثبيت بحزام يلتف حول الوسط . (للمزيد عن الجنابي راجع : مصطفى عبد الله شيحة : *مدخل إلي العمارة* ، ص ١٣٤ – ١٣٦) .

[1] وعن السيوف اليمانية وشهرتها منذ القدم راجع : ابن الديبع : *نشر المحاسن اليمانية في خصائص اليمن ونسب القحطانية* ، تحقيق : أحمد راتب حموش ، ط١ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٩٢ ، ص ١٨٨ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ؛ مصطفى عبد الله شيحة : *مدخل إلي العمارة* ، ص ١٢٢ – ١٢٣ .

[2] مصطفى عبدالله شيحة : *المرجع السابق* ، ص ١٢٦ ، وأنظر أيضا الهمداني : *صفة جزيرة العرب* ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ حيث يذكر دخول الأحجار الكريمة كالجزع والعقيق في عمل الواح وصفائح وقوائم السيوف ونصب (مقابض السكاكين وغير ذلك) .

[3] ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ٢٩ .

[4] الهمداني : *صفة جزيرة العرب* ، ص ٧٩ ؛ القزويني : *آثار البلاد* ، ص ٤٥ ؛ الأكوع : *البلدان اليمانية* ، ص ١٥٥ ؛ الأكوع : *اليمن الخضراء* ، ص ٢٣٦ .

وذاعت شهرة اليمن في صناعة النصال والأَسِنَّة والرِماح ، ففي شرعب كانت تصنع الأَسِنَّة والرماح الشرعبية ، وفي منطقة ذى يزن الأَسِنَّة اليزنية ، وفي خط وسمهر الرماح الخطية والسمهرية ، وكذلك في ردينة وشراعة حيث عرفت بالرماح الردينية والشراعية ، وكانت تصنع في صعدة النصال الصعدية ، وفي بنى حريم وحضرموت النصال الحرمية [1] . وكانت الرماح المعروفة برماح القنا تتميز بقوتها وجودة صناعتها بدليل وجودها في قوائم هدايا المظفر الرسولى للسلطان المنصور سيف الدين قلاوون [2] .

وكانت ترتبط بصناعة الأسلحة وآلات الحرب صناعة أخرى مكملة لها وهى صناعة نصب (مقابض) السكاكين ، وكانت تصنع من مواد مختلفة كالخشب والحديد ، والعقيق والجزع ، وأفضلها ما كان يصنع من النوع المسمى " المسنى " ومنها ما صنع من معدن " الشزب " ، وهو معدن سهل التشكيل يمكن التحكم فيه بيسر ، ويقوم أهل اليمن باستغلاله في صناعة الألواح والصفائح [3] .

---

(1) الهمدانى : *الإكليل* ، ج١ / ٣٩٣ ، وهـ ٣ ، ج٢ / ٢٦ ، ١٤٤ ، ٢٥٤ ، ٣٨٢ ـ ٣٨٣ ؛ القزوينى: *المصدر السابق* ، ص ٤٥ ، ٩١ ؛ محمد الأكوع : *اليمن الخضراء* ، ص ٢٣٦ ؛ محمد أمين صالح : *تاريخ اليمن الإسلامى* ، ص ٢٠٧ ؛ مصطفى عبد الله شيحة : *شواهد قبور إسلامية من جبانة صعدة باليمن* ، ج١ ، القاهرة ١٩٨٨ ، ص ٢٤ .

(2) القزوينى : *المصدر السابق* ، ص ٤٥ ؛الخزرجى :*العسجد*، ق ١٤٨ ؛ المقريزى : *السلوك* ، ج١ / القاهرة ، ١٩٣٩ ، ص ٧٠٢ ، ٧٢٩ .

(3) الهمدانى : *صفة جزيرة العرب* ، ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣؛ عصام الدين عبد الرءوف : *اليمن فى ظل الإسلام* ، ص ٢٥٠ ـ ٢٥١ .كذلك برع أهل اليمن في صناعة النشاب والتى تعمل من خشب الرقع الذى ينمو طبيعيا في سائر أودية ذؤال (راجع : ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ٦٢ .) ، كذلك أشار الهمدانى إلي شهرة أهل اليمن في صناعة القسى ، وخاصة بنى مران إحدى بطون خولان ، ويُعد المرانيين أكثر صناع قبيلة خولان ، وإليهم تنسب هذه القسى ، فيقال قسى مرانية . (راجع : *الإكليل*، ج١ / ٣٢٥) .

جـ- أشهر التحف المعدنية المحفوظة بالمتاحف العالمية

ونختم دراستنا عن الصناعات المعدنية بلمحة موجزة عن أشهر التحف المحلية المعدنية والمحفوظة بعدد من المتاحف العالمية،ومعظمها إن لم يكن كلها تنتمي إلي عصر دولة بني رسول،مما ينهض دليلاً على تقدم وإزدهار هذه الصناعة في عهدهم،ومنها:

١- طاسة من النحاس المكفت بالفضة [1] وهي من الأواني المعدنية المستعملة في المطبخ الرسولى ، وتعد من بواكير التحف المعدنية الرسولية ، ويزينها من الخارج شريط كتابي بخط الثلث باسم شمس الدنيا والدين يوسف بن السلطان المنصور عمر بن رسول ، ويحيط بها من أعلى وأسفل إطار زخرفى من حبات اللؤلؤ تتخلله عدة دوائر بداخلها زهرة خماسية ، وأسفل هذا الإطار جامات بها رسوم فرسان على ظهور جياد يقومون بالصيد والقنص [2] .

٢- ويقتنى متحف الفن الاسلامى أيضاً تحفة معدنية من صناعة (صنعاء) تعبر بحق عن ازدهار صناعة محلية لتطعيم المعادن بالفضة وهى عبارة عن صندوق نحاسى أصفر بيضى الشكل على بدنه شريط من الكتابة النسخية،تفصل بين كل عبارة وأخرى جامات مستديرة مزينة بزخارف نباتية تحيط بشعار بنى رسول وهو الزهرة،ويحيط بالغطاء شريط كتابي نسخى مكفت بالفضة قوامه عبارات دعائية[3].

٣- وفي نفس المتحف طبق مستدير من النحاس الأصفر يحتوى على مجموعة من الزخارف النباتية ، وفي الخلفية شريط دائرى من الكتابة النسخية بأحرف متوسطة تتضمن اسم المظفر الرسولى نطالع فيها النص التالى : (عز لمولانا السلطان الملك المظفر العالم العادل المجاهد المرابط شمس الدنيا والدين يوسف بن عمر بن على خليل أمير المؤمنين) [4] .

٤- وهناك أيضاً شمعدان يمنى نحاسى يردان بنقوش نباتية يبلغ ارتفاعه حوالى ٣٥ سم ، ويدور حول قاعدته شريط كتابي نسخى بحروف كبيرة نطالع

/

---

(١) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى(رقم سجل ١٥٠٩٠)راجع:مصطفى عبد الله شيحة:*المرجع السابق*،ص١٣٣ويلاحظ أنه يذكر نسبتها للمنصور نور الدين عمر،بينما هى لابنه المظفر يوسف .

(٢) وفيه عزى:*نماذج من الفنون الإسلامية في اليمن*،مجلة المجلة(ديسمبر)القاهرة ١٩٦٢،ص ٣١ .

(٣) وفيه عزى : *المرجع السابق* ، ص ٣١ – ٣٢ .

(٤) *Van Berchem , notes D' arch . pp . 40 – 43 .*

فيه (عز لمولانا السلطان الملك المؤيد والعالم العادل المجاهد المرابط المثـاغر هزبـر الدنيا والدين داود عز نصره) . ويلاحظ أنه قد حفرت عليه علامتان تشيران إلي بعض مُلاكه في ق ١٧ م ، أحدهما يحمل لقب المهدى ، ويرجح فـان برشـم أن يكون أحد أئمة الزيدية في القرنين ١٧ ، ١٨م ، كما يؤيد فان برشم أيضاً نسـبة هذا الشمعدان للصناعة اليمنية من واقع دراسته لبعض الزخارف المحيطـة بـالجزء العلوى للقاعدة الخاصة به وهى زخارف تنتمى للبيئة المحلية اليمنية [١] .

٥- ويحتفظ المتحف الوطنى بصنعاء بمجموعة أخرى من التحف المعدنيـة التى ترجع إلي عصر بنى رسول ، منها شمعدان نحاسى مكفت بالفضة يرجح صناعته باليمن لأحد السلاطين أو الأمراء ، وجمع في عناصره الزخرفية بين العناصر النباتية المتعددة وبين الزخارف الهندسية ، ويعد تقليداً لنماذج الشماعد المملوكية [٢] .

٦- ومن التحف المعدنية المحلية التى تنتمى لعصر المجاهد الرسولى طبـق أو صينية مستديرة من النحاس المحفور ، تزدان بجملة من النقوش والزخارف النباتيـة والحيوانية، وفي الخلفية شريط دائرى عريض ينقسم إلي ثلاثة خـراطيش مطـرزة بكتابة نسخية تحمل العبارة التالية (عز لمولانا ومالكنا ومالك عصـرنا ورقابنـا السلطان الملك المجاهد سيف الدنيا والدين على بن السلطان الملك المؤيد هزبر الدنيا والدين داود حائز جلال الرتبتين السيف والقلم) .

وتتضمن الخرطوشات في أكليل زهرى منمنم شعار بنى رسـول"الزهـرة خماسية البتلات"منفصلاً بنحاسه الأحمر عن نحاس الخلفية الأصفر.وتتضمن ألقـاب التشريف الموجودة في هذا النقش بعض الألفاظ الجديدة مثل مالك عصرنا ورقابنا، كما يشير السطر الأخير إلي السلطة الثنائية العسكرية والمدنية[٣].ونلاحظ في أسفل الصينية علامة محفورة بآلة حادة تتضمن الكلمات الآتية بأحرف صغيرة غير متقنـة نوعاً ما " برسم الخزانة الناصرية بدار النصر السعيد " [٤] .

---

(١) من مجموعة مسيو كرافت بباريس _Van Berchem . op . cit , pp . 49 – 50_

(٢) مصطفى عبد الله شيحة : _مدخل إلي العمارة_ ، ص ١٢٧ – ١٢٩ .

(٣) _Van Berchem , notes D, arch pp 60 – 62._

(٤) _Van Berchem , op . cit , p . 64_ ربما يقصد بالناصرية أن الخزانة المذكورة منسوبة إلي الملك الناصر أحمد بن إسماعيل ثالث خلفاء الملك المجاهد . أما دار النصر فهى اسم لقصرين شيدهما الأشرف الثانى إسماعيل أحدهما بالقرب من زبيد في ناحية القوز وشيده عام ٧٨٠ هـ / ١٣٧٨ م=

٧- أمدنا فان برشم بوصف لبعض التحف المعدنية الرسولية التى صنعت لكبار موظفى الدولة منها:شمعدان من النحاس المرصع المزين بزخارف نباتية ، وتحتوى قاعدته على شريط دائرى تقسمه ثلاثة خراطيش إلي ثلاث مناطق تدور فيها كتابة نسخية بحروف متوسطة نطالع فيها النص التالى(مما عمل برسم الشيخ الأجل،المحترم، المخدوم،عز الدين على،بن مسعود المباخ المجاهدى)،وتتضمن الخراطيش الثلاثة"الزهرة الخماسية البتلات"شعار الرسوليين،ومن اللقب المجاهدى يمكن نسبة التحفة المذكورة إلي أحد رجال بلاط المجاهد الرسولى[١].

٨- طبق كبير من النحاس محلى بالزخارف النباتية والنقوش، ويزدان بمجموعة من القضبان التى تتخذ حرف T، مع مناظر لبعض الطيور (البط) ومجموعة من الفرسان على خيولهم ، وتنتظم هذه النقوش في جامات مستديرة، وفي الخلفية شريط دائرى عريض نقشت عليه كتابة نسخية تشير إلي (الجناب العالى العالمى المولوى المالكى ، المنعمى المخدومى الأفضلى السيدى الافتخارى السندى الهمامى الأكملى الرسّى القطبى دام رفعته) . ويرجح فان برشم بدراسته لأسلوب صناعة الطبق انتماءه للصناعة المحلية اليمنية في ق ٨ هـ / ق ١٤ م[٢] .

وبدراسة الألقاب التشريفية الواردة على الطبق مثل الأفضلى،يمكننا القول بأن هذا الشخص ربما كان ممن التحقوا بخدمة بلاط السلطان الأفضل الرسولى (٧٦٤-٧٧٨هـ/١٣٦٢-١٣٧٦م)،بينما يشير لقب الرسّى إلي أنه كان أحد أبناء أسرة الأئمة الزيدية،الذى تحالف عدد منهم مع الرسوليين في اليمن.الأمر الذى يجعلنا نرجح أن يكون هذا الشخص موظفاً في البلاط السلطانى زمن الأفضل الرسولى،خاصة وأن الطبق يزدان بخرطوشة كبيرة إلي جانب أربعة خراطيش أخرى صغيرة تزدان كلها بشعار بنى رسول المعروف وهو"الزهرة خماسية البتلات "[٣] .

= والثاني بداخل مدينة زبيد ذاتها وابتناه عام ٧٩٥ هـ / ١٣٩٢م ؛ راجع : الخزرجى : *العقود* ، ج٢ / ١٤٣ ، ٢٠٢ ؛ ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٣٧٧ ؛ *Van Berchem , op , cit , p . 64*

(١) *Van Berchem , op . cit , pp . 72 – 74 .*

(٢) *Van Berchem , op . cit , pp .86 90*

(٣) *Van Berchem , op cit , pp 86 – 90* وللمزيد من التفاصيل عن التحف المعدنية الرسولية على اختلافها من طاسات وصدريات وأباريق وطسوت وصناديق حلى وغيرها سواء المنتجة محلياً أو التى صنعت لصالحهم بمصر والشام (راجع : ديماند : *فنون الإسلامية* ، ترجمة : أحمد محمد عيسى ، مراجعة وتقديم د. أحمد فكرى ، دار المعارف ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٨٢ م ، ص ١٥٧ ؛=

٤- صنـــاعة المنســوجات

ازدهرت صناعة النسيج في اليمن ازدهاراً واضحاً في الفتـــرة موضـــوع البحث [١] ، وساعد على ذلك عدة عوامل منها ، توافر المواد الخام اللازمة لتطور هذه الصناعة سواء ما كان ينتج منها محلياً ، أو ما كان يجلب من خارج الـــيمن ، ومن أبرز هذه الخامات القطن والكتان والحرير بالإضافة إلي الصوف وشعر المـــاعز ومواد الصباغة [٢] .

ومن العوامل المساعدة أيضاً على تقدم تلك الصناعة باليمن ما لقيته مـــن تشجيع الحكام لها ، حيث كانت المنسوجات تدخل ضمن قوائم التحف والهـــدايا التي حرص سلاطين اليمن وملوكها على إهدائها في العديد من المناسبات المختلفـــة لأعيان الدولة وضيوفها من جهة ، وإلى سلاطين الدول المجاورة من ناحية أخرى ، فالمسعود الأيوبى حمل معه عند خروجه للديار المصرية العديد من الهـــدايا ، أشـــار الخزرجى إلي أن بعضها كان عدداً من الصـــناديق الموســـقة بفـــاخر الأقمشـــة والملبوس[٣] . كما أقام المؤيد داود بعد فراغه من عمارة قصر المعقلى بَثَعبات حفلاً عظيماً دعا إليه أعيان الناس وعامتهم على " اختلاف حالاتهم وتنوع طبقـــاتهم ... وأمر بإفاضة الخلع على أعيان الناس ...... " [٤] .

=مصطفى عبد الله شيحة: _مدخل إلى العمارة_ ،ص١٢٧ – ١٣٤؛ربيع حامد خليفة : _الفنون الإسلامية في عصر الدولة الرسولية_ ، مجلة كلية الاداب . جامعة صنعاء،العدد ١٩٨٨٨،ص١٧ – ٢٦ .
Dimand , unpublished , pp . 229 – 236 ; Porter , the Art , pp . 232 – 236 .
Van Berchem , notes D ' Arch . pp . 8 – 50) .

(١) راجع عن شهرة اليمن في صناعة المنسوجات قبل العصر موضوع الدراسة :
Serjeant , R . B . ; Islamic Textiles , Material for Ahistory to The Mongle Conquest , Libaraire Du Liban , Peirut , Lebanon , 1972 pp. 123 – 126 .

(٢) راجع عن القطن والكتان وأماكن زراعتهم باليمن ص ٢٣٠ وما بعدها ؛ الأشرف الرسولى : _ملح الملاحة_ ، ص ١٨٧ – ١٨٨ ، ١٩٥ ؛ عبدالله أحمد الثور : _هذه هي اليمن_ ، صنعاء ١٩٦٩ ، ص٥٠. وعن الخامات المستوردة والمجلوبة في صناعة النسيج ، راجع : ابن المجاور : _المستبصر_ ، ص ١٤١ ، حيث يذكر استيراد اليمن لبعض الأقطان من الهند كالثياب الخام الهندى ، وسواسى الكتان الكبار . (أنظر أيضا _Serjeant , op . cit , p . 130_) .

(٣) الخزرجى : _العقود_ ، ج١ / ٤٧ .

(٤) الخزرجى : _العسجد_ ، ق ١٨٠ ، _العقود_ ، ج١ / ٣١١ ؛ راجع أيضا : ابن عبد المجيد _بهجة الزمن_ ، ص ٢٥٢ وللمزيد عن إفاضة الخلع والكساوى على الأمراء وغيرهم من رحال الحاشية وأعيان الجند والسفراء والرسل والتجار القادمون لضافة حكام اليمن في المناسبات المختلفة (انظر : ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٣١٦ ؛ الخزرجى : _العقود_ ، ج١ / ١١١ ، ٢٦٥ – ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٧٢ ؛ ج٢ / ٤٨ ، ٦٩ ، ٢٤٤ ؛ يحيى بن الحسين : _أنباء الزمن_ ق ٢٧٣) .

ومن العوامل التي ساعدت على تقدم هذه الصناعة في اليمن ورقيها آنذاك، حرص سلاطين بنى رسول أيضاً على أن تتضمن هداياهم المتواصلة إلي الملوك والسلاطين،وبخاصة سلاطين مصر المملوكية.حرصاً منهم على موادعتهم وإظهاراً لمودتهم وصداقتهم بهم،الكثير من هذه المنسوجات فمثلاً تضمنت هدية المظفر الرسولى للمنصور قلاوون عام ٦٨٤ هـ/ ١٢٨٥م،العديد من طرائف اليمن منها "...قماش حُملٌ على مائة قفص"[١]،كما كان من بين ما هادى به الملك المؤيد داود الرسولى الناصر محمد بن قلاوون سلطان مصر سنة ٧٠٤ هـ / ١٣٠٤ م، " الشاشات الرفاع والسلقانيات[٢]...ومن الوحوش المكسوة بالحرير والأطلس الملمع بالذهب ..."[٣]،وكانت هدية الأشرف الثاني للديار المصرية تتضمن في جملتها العديد من الطرائف اليمنية والهندية منها ٧٠٠ رطل من الحرير الخام [٤] . وهدية الملك الناصر أحمد عام ٨١٩ هـ / ١٤١٦ م إلي المؤيد شيخ المحمودى وكانت تضم " هدية جليلة من الشاشات والأُزر وتفاصيل من الحرير ..... " [٥] . كذلك تضمنت الهدية المرسلة من المؤيد الرسولى إلي أمير مكة عام ٧٠١ هـ / ١٣٠١ م ووصلت صحبة الحاج اليمنى " ما اقتضته المواهب السلطانية .... من الكساوى .... والثياب الملونة والخلع النفيسة ..... " [٦] .

وجدير بالذكر أن المنسوجات كان لها دور سياسى هام برز في القرنين ٧ – ٨ هـ / ١٣- ١٤ م ، عندما اشتدت المنافسة بين مصر واليمن للسيطرة على الحجاز ، الأمر الذى ساعد على تقدم وازدهار صناعة النسيج في اليمن ، إذ كان من بين مظاهر السيادة على المقدسات الإسلامية التكفل بكسوة الكعبة المشرفة بأفخر أنواع المنسوجات ، الأمر الذى أدى إلي إثراء فن صناعة النسيج باليمن للظفر بكسوة الكعبة ، وقد تجلى حرص سلاطين بنى رسول على إرسال تلك الكسوة في عهد المظفر الرسولى ، الذى يعد أول من كساها من سلاطين

---

[١] ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام والعصور ، ص ٤٩ ؛ المقريزى : السلوك ، ج١ / ٧٢٩ .
[٢] نوع من الثياب ينسب إلي منطقة سلوق
[٣] الخزرجى : العقود ، ج١ / ٢٩٨ ، الكفاية ، ق ١٤١
[٤] ابن تغرى بردى : النجوم ، ج١٢ ، ص ٦٧
[٥] المقريزى : السلوك ، ج٤ / ٣٤٥ ؛ الصيرفى نزهة النفوس والأبدان ، ج٢ / ٣٦٢
[٦] الخزرجى : العقود ، ج١ / ٢٧٩ ، الكفاية ، ق ١٣٧

اليمن،بعد سقوط الخلافة العباسية ببغداد،وقام بذلك شخصياً عند أدائه لفريضة الحج عام ٦٥٩ هـ/ ١٢٦٠م،فقام بغسل الكعبة بنفسه"وطيبها وكساها من داخلها وخارجها...وأكثر من الصدقات،ونثر على الكعبة الذهب والفضة...[١]".

وتكرر قيامه بكسوتها في عام ٦٦١ هـ/ ١٢٦٢م،كما كسا الحجرة النبوية الشريفة في المدينة المنورة[٢].وفي سنة ٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م، أمر بتحلية باب الكعبة المشرفة بصفائح الذهب والفضة وتم ذلك على يد نائبه ابن التعزى . وفي سنة ٦٧١ هـ / ١٢٧٢ م ، تكرر إرساله للكسوة فأرسلها على يد قاسم بن محفوظ [٣] .

وقد تعددت دور الطراز في اليمن ، وأنتجت أنواعاً متعددة من النسيج ، وحظيت زبيد وصنعاء بصفة خاصة بشهرة ذائعة في هذا المجال [٤] . ويمكن القول بأنه أقيمت في اليمن دارين للطراز ، إحداهما دار الطراز الخاصة وهي المصانع الحكومية التي قامت على إخراج طرز من المنسوجات الخاصة بسلاطين البلاد ومن يلوذ بهم من الأمراء والحاشية ورجال البلاط ، والثانية دار الطراز العامة التي زخرت بها العديد من المدن اليمنية المختلفة لسد حاجة أهل البلاد من المنسوجات

---

(١) المقريزى : _الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك_ ، تحقيق د. جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ص ٨٤ ؛ الفاسي : _العقد الثمين_ ، ج١ / ٥٩ ، ١٩١ ؛ العصامي : _سمط النجوم العوالي_ ، ج٤ / ٢٢٢ ؛ الخزرجي ، _الكفاية_ ، ق ١١٢ ؛
Porter , (V.) , The art of the Rasulide , pp . 239 – 240

(٢) الخزرجي : _العقود_ ، ج١ / ١٣٠ ، _الكفاية_ ، ق ١١٢ ؛ راجع أيضاً : ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٣٥٤ ، وقد تم ارسال هذه الكسوة للحجرة النبوية على يد المجد بن حسرين .

(٣) الفاسي : _العقد الثمين_ ، ج١ / ٥١ – ٥٢ ؛ الخزرجي : _العقود_ ، ج١ / ١٥٢ ، ١٦٣ ، _الكفاية_ ، ق ١١٣ – ١١٤ ، ابن بطوطة : _الرحلة_ ، ج١ / ٣٢٤ ؛ أنظر أيضاً : ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٣٧٩ . وجدير بالذكر أن هذا الباب قد تم صنعه باليمن من خشب الساسم المصفح بالفضة وكان مقدار هذه الفضة حوالى ستين رطلاً ، وكتب اسم المظفر على مصراعى الباب حيث كتب على واحد منها " اللهم يا ولي يا على " أغفر ليوسف بن عمر بن على " . ولم تقتصر اهتمامات المظفر على إرسال الكسوة للكعبة وللحرم النبوى الشريف ، وإنما تجاوز ذلك إلى مشاركته في إعمار المسجد النبوى عقب الحريق الذى شب فيه عام ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م ، فنجده يرسل عام ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م منبراً بدلاً من المنبر الأصلى المحترق ، لتقام من عليه الخطبة لمدة عشر سنوات إلى أن يزيله الظاهر بيبرس عام ٦٦٦ هـ / ١٢٦٧ م ، ليضع منبره الجديد مكانه ، ولعل هذه الإشارة تفيد بوجود صناعة للتحف والأثاثات الخشبية على درجة من التقدم في اليمن . (راجع : المقريزى : _السلوك_ ، ج٢ / ٣٦٣ – ٣٦٣ . السخاوى : _التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة_ ، تحقيق محمد حامد الفقى ، ٣ أجزاء ، القاهرة ١٩٧٩ ، ج١ / ٦٠ ، ٣٨٥ – ٣٨٦ ؛ القرمانى : _المصدر السابق_ ، ص ٣٨١) .

(٤) الحميرى : _الروض المعطار_ ، ص ٣٥٩ .

المختلفة . ومما لا شك فيه أن هذه المصانع الأهلية كانت تعمل بدورها تحت اشراف ورقابة الحكومة ، وتقوم بتزويد الأسواق اليمنية بما تحتاجه من المنسوجات الشعبية . ويحتمل أيضاً أنها كانت تقوم على صناعة ما يطلبه البلاط السلطانى إذا ما دعت الضرورة لذلك [١] .

وكان يطرز على النسيج إلي جانب اسم الطرّاز الذى نسجه ، سواء كان طراز الخاصة أو العامة إسم المدينة التى صنع بها ، وإسم الآمر بصناعة قطعة النسيج وسنة الصنع ، وذلك بالخط الكوفى المورق والمزهر [٢] .

وقد زودتنا المصادر بأسماء عدد ممن اتقنوا فن صناعة النسيج والحياكة مما يشير إلي شيوع هذا الفن باليمن وازدهاره لا سيما في عصر بنى رسول،من بين هذه الأسماء عبد الكريم بن على بن إسماعيل(ت ٧١٧ هـ/ ١٣١٧م)وكان نساجاً للثياب كما عانى الحياكة أيضاً إلي جانبه اشتغاله بالفقه والقراءات [٣] ومنصور بن على بن عمر بن اسماعيل الشعبى (ت ٧١٨ هـ / ١٣١٨ م) ، وكان ذا بصيرة وبراعة بعدد من الصناعات منها الحياكة والنسيج ، والكمال بن الصفى الذى كان بارعاً في صناعة العُمر (أى عمائم الرأس والقلنسوات وغيرها) [٤] .

ومما يشير إلي تقدم فن صناعة المنسوجات وعلى الأخص الحريرية منها باعتبارها إحدى الصناعات التى ترمز للثراء والترف ، ما أمدتنا به المصادر المعاصرة من اشارات متعددة عن بلاط المجاهد الرسولى وما كان يزخر به من مصنوعات الحرير ، فالعمرى عند حديثه عن المجاهد يورد لنا عدداً من الإشارات القيمة عن الأزياء المستخدمة في البلاط آنذاك وبخاصة زى الملك والأجناد فيقول " فأما زى ملكهم وسائر الجند بها فأقبية إسلامية [٥] ضيقة الأكمام ، مزندة على اليد ،

---

[١] وفيه عزى : نماذج من الفنون الاسلامية في اليمن ، ص ٢٧ ؛ ربيع حامد خليفة : مناسج الطراز الخاصة بمدينة صنعاء ،دراسة حول المنسوجات اليمنية في العصر الإسلامى، مجلة الاكليل ، عدد (٢) صنعاء ١٩٨٨ ص ٤٤ ؛ *Serjeant . Islamic , p . 128*

[٢] ربيع حامد خليفة : المرجع السابق : ص ٤٦ – ٤٧ .

[٣] الخزرجى : العقود ، ج١ / ٣٤٥ ؛ الجندى : السلوك ، (خ) ، ق ١٧١ – ١٧٢ .

[٤] الخزرجى : العقود ، ج١ / ٣٤٩ ؛ الفاسى : العقد الثمين ، ج٨ / ص ٨٣ – ٨٤ .

[٥] أقبية جمع قباء وهو ثوب يلبس فوق الثياب ويصنع من الصوف والأطلس والحرير أو القطن ، وسمى بذلك لاجتماع أطرافه ، (راجع *Dozy ,Dictionnaire detaille des noms des vetements chez les arabe,Amesterdam,1845,p 352* وانظر أيضا : أيمن فؤاد سيد : ص ٣٤ ح١ من تحقيقه لكتاب مسالك الأبصار) .

ومناطق [١] ، وعلى رؤوسهم تخافيف [٢] لانس ، وفي أرجلهم الدلاكسات ، وهى أخفاف من القماش الحرير الأطلسى العتابى ، وغير ذلك) [٣] .

كذلك يشير ابن بطوطة في رحلته إلي ترتيب قعود المجاهد الرسولى في مجلسه فيقول " أنه يجلس فوق دكانة مفروشة مزينة بثياب الحرير .... " [٤] ، ويستدل علي إسراف الرسوليين في استخدام الحرير مما يؤكد تفوق السيمن في صناعته آنذاك ما ذكرته المصادر المختلفة ، حيث أمدتنا بإشارتين تفيد ذلك ، الأولى وترجع إلي عام ٦٨٦ هـ / ١٢٨٧ م ، حيث تصف خيمة ملكية رسولية صنعت بُسطها من الحرير المطرز بخيوط الذهب والفضة [٥] . والثانية عام ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م ، عندما احترقت دار المرتبة بمدينة تعز ، فاحترقت من ضمن محتوياتها العديدة والتى تضم أشياء عظيمة من الفرش والأثاث والكتب النفيسة " بشخانتين كبيرتين كاملتين من الزركش [الحرير المنسوج بخيوط الذهب والفضة] أحداهما صفراء أطلس والأخرى حمراء " أطلس .... " [٦] .

ويفهم من تلك الإشارات السابقة أن المنسوجات الحريرية لعبت دوراً هاماً في حياة البلاط الملكى في اليمن ، سواء في الزى الخاص بملابس الملوك والسلاطين أو من يلوذ بهم من الأمراء وكبار الجند ، وأيضاً في المجالس والمواكب والاستقبالات إلي غير ذلك من فرش وستور القصور السلطانية [٧] . ويبدو أن هذا الثراء اليمنى في فن صناعة المنسوجات الحريرية بصفة خاصة قد يرجع من بين أسبابه إلي الدور الكبير الذى لعبه الصناع المستقدمون من مصر والشام لإسداء

---

[١] المناطق : هى الأحزمة وتتخذ من الذهب والفضة (راجع : *Dozy , op . cit , p . 420*) .

[٢] التخافيف : أو التخفيفة : نوع من غطاء الرأس يعرف أيضا بالعُصبة أو اللفائف (راجع : *Dozy , op . cit . p . 161 – 162*) .

[٣] العمرى : *مسالك الأبصار* ، ص ١٥٦ .

[٤] ابن بطوطة : *الرحلة* ، ج٢ / ١٧٤ .

[٥] ابن حاتم : *السمط* ، ص ٥٥٤ ؛ عماد الدين أدريس : *نزهة الأفكار* (خ) ق ٩٣؛الخزرجى:*العقود* ج١ / ٢١١ ، *العسجد*، ق ١٥٣ .

[٦] ابن عبد المجيد : *بهجة الزمن* ، ص ٢٦٨ ؛الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ٣٢٩ ، *العسجد* ، ق ١٨٦ *Porter , The Art , p . 239 .*

[٧] راجع عن استخدامات الحرير في المواكب والاستقبالات وغيرها . الخزرجى : *العقود* ، ج٢ / ٦٨، حيث يشير إلي اعتياد الأمراء وأبناء الملوك على فرش ثياب الحرير عند قدوم موكب السلطان إلي جهة ما .

الخبرة لأهل هذه الصناعة وغيرها من الحرف والصناعات الأخرى باليمن ، ومما يؤيد هذا الترجيح ، ما أشارت إليه المصادر اليمنية عن استقدام الأشرف الثاني الرسولي ، لجماعة من عمال وصناع الحرير في ثغر الاسكندرية والتي كانت تُعد بدور طرازها المملوكية الشهيرة أحد المراكز العالمية في فن صناعة المنسوجات [١] .

هذا . وقد وصلتنا قطعة من الحرير اليمني ترجع للعهد الرسولي وتتميز بلونيها البني والعاجي ، وتحتوي على شريطين زخرفيين يتكرران على امتداد القطعة ، يتكون الشريط الأول من مهاد من المعينات بداخلها زهور رباعية البتلات [٢] ، وتتخللها جامات مفصصة بداخل كل واحدة منها أزواج متقابلة من أشكال الحيوانات وطيور الأوز والببغاء ، وترتبط هذه الجامات المفصصة فيما بينها بتشكيلات زخرفية قوامها عناصر نباتية من توريقات وفروع متموجة وأزهار . أما الشريط الثاني فتزينه زخارف كتابية متكررة داخل " خراطيش " نصها : " عمل لمولانا السلطان الملك المؤيد " ، ويفصل بين هذه الخراطيش الكتابية جامات مفصصة تحتوي على توريقات أو زخارف مورقة ، ونلاحظ أن الخطاط استغل حرفي اللام والميم في (لمولانا) لضمها مع حرف العين وذلك لتكملة كلمة (عمل) [أنظر اللوحة رقم ١] ورغم عدم احتواء القطعة على اسم السلطان والاكتفاء بلقبه إلا أن ناشر هذه القطعة ويدعى ماكي (Mackie) ، يرى أنها تنتمي حتماً إلي السلطان الرسولي الملك المؤيد داود ، اعتماداً على أن السلطان المملوكي الذي حمل لقب المؤيد وهو المؤيد شيخ الذي اعتلى عرش السلطنة المملوكية عام ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م تولى السلطنة في فترة متأخرة عن تاريخ وطراز هذه القطعة من النسيج التي نحن بصددها [٣] .

---

(١) الخزرجي: *الكفاية*،ق ٢٠٤؛*العسجد*،ق ٢٥٧؛*العقود*،ج٢ / ١٥٨ ؛ *Porter , op . cit , p . 239*

(٢) وهي تشير إلي شعار بني رسول.راجع عن الزهرة الرسولية بالتفصيل *Porter . op . cit , p . 237*

(٣) *Porter , op . cit , p . 239*

كذلك يشير أ . د. السيد عبد العزيز سالم إلي وجود قطعة من النسيج في متحف بلنسية دى دون خوان بمدريد تزدان أرضيتها بزخارف هندسية على شكل معينات ، ويحيط بها أقواس زخرفية تجاورها أقواس أخرى تضم كتابات كوفية تتكرر فيها كلمة " اليمن " طرداً وعكساً ، راجع : *في تاريخ وحضارة الأندلس* ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٥ ، ص ٢٨٢ . ونلاحظ أن هناك تماثلاً بين هذه القطعة وزخارفها من المعينات مع القطعة الرسولية مما يوحي بانتماء هذه القطعة الرسولية إلي نفس عصر القطعة الأندلسية ، لا سيما وأن الزخارف التي اتخذت هيئة المعينات ، قد شاعت في المنسوجات اليمنية وكذا في زخارف أسقف المساجد والجوامع باليمن التي عرفت=

وانتشرت صناعة المنسوجات كما سبق القول في عدد من مـدن اليمن واشتهرت مسميات هذه المنسوجات باسماء المدن التي تصنع بها ، ومن أشهر أنواع المنسوجات اليمنية ما يلي :

١- البـرود :

وعرفت بالبرود اليمانية[1]،وهي من أهم منسوجات اليمن،وكانت تصنع في مناطق مختلفة منها منطقة السحول،وسميت بالبرود السحولية نسبة إليها وخاصة الموشاه[2].كما صنعت البرود الحريرية في حجة وعرفت بأبراد حجة[3]،وعرفت عدن وشرعب والمعافر صناعة البرود،وسميت البرود بها باسماء تلك المناطق [4] كذلك صنعت في الجريب[5]وزبيد، التي أشار ابن المجاور إلي شهرة طرازها بالبرد ، وأنه يصنع بها البردة التي يصل طول الواحدة منها ثمانية أذرع باليد،وتُعد للتصدير ويوسق حمل الجمل الواحد بما يقدر عدده ب ١٢٢ بُرداً،ويخرج من زبيد إلي الشحر حيث يباع بأسواقها[6]،وعرفت منسوجات زبيد لا سيما الحريرى منها باسم القماش الزبيدى [7] .

وعرفت صنعاء ومناسجها صناعة البُرد بدورها وبخاصة من القطن ، وكانت تحمل منها لسائر البلاد،وكانت هذه البرود اليمانية غالية الثمن،حتى أن ثمن الثوب الواحد منها كان يبدأ سعره من مائة دينار وقد ينتهى إلي خمسمائة دينار[8].

=بالمصندقات الخشبية وذلك منذ ق ٥ هـ / ١١ م . وهى [أى القطعة الأندلسية] ، وإن كان قد عثر عليها في الأندلس ، إلا أنه من الممكن أن تكون قد جلبت من المشرق الإسلامى في عصر دولة بنى نصر ، ولا نستبعد أن تكون يمنية الأصل ، وإن كان هذا الاحتمال لا يلقى تأييداً مادياً يمكن الاستناد إليه.(وراجع عن المصندقات الخشبية مصطفى شيحة *مدخل إلى العمارة*،ص١٤٣،٢١ ـ ١٤٦) .

(١) القزوينى : *آثار البلاد* ، ص ٦٩ ؛ يحيى بن الحسين : *أنباء الزمن* ، ق ٢٨٨ .

(٢) المقدسى : *أحسن التقاسيم* ، ص ٩٨ ؛ الحميرى : *الروض المعطار* ، ص ١٧٦ ، ٣٠٨ ؛ Serjeant , Islamic , p . 127

(٣) مجهول : *سيرة الإمام عبد الله بن حمزة* ، ق ١ .

(٤) حسن صالح شهاب *أضواء على تاريخ اليمن البحرى*،ص ١٥٧ ـ ١٥٨؛وجدير بالذكر أن يهود شرعب ما زالوا حتى اليوم يحتكرون صناعة هذه البرود الشرعبية؛راجع Serjeant , op . cit , p . 132

(٥) المقدسى : *أحسن التقاسيم* ، ص ٩٨ ؛ Serjeant , op . cit , p . 127
والجريب : بلدة في وادى زبيد من أعمال حجة . راجع : الأكوع : *البلدان اليمانية* ص ٧٧ .

(٦) ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ٨٩ .

(٧) الخزرجى: *العقود*،ج١ / ١٨٤؛ الأكوع *البلدان اليمانية* ،ص ١٦٥ ؛ Serjeant , op . cit, p . 132.

(٨) ابن رستة : *الأعلاق* ، ص ١١٢ ؛ الحميرى : *الروض المعطار* ، ص ٣٦٠ ؛ وراجع أيضا عن البُرد : حسن إبراهيم حسن *اليمن البلاد السعيدة* ، ص ٤٥ Serjeant , op . cit , p . 128 ; Scotte (H) , in the high Yemen , London , 1942 , p . 137 .

ويدل ارتفاع ثمن الثوب الواحد منها على مدى الجودة الفائقة التى تميز بها هذا النوع من الثياب بحيث يقتصر بيعه واقتنائه على الطبقة الحاكمة ومن يلوذ بهم من أهل الترف والثراء لارتفاع ثمنه .

٢- الثيــاب

وكانت تنتجها دور الطراز باليمن وهى على أنواع منها الثياب القطنية البيضاء في السحول وعرفت بالأثواب أو الثياب السحولية [١] . كذلك صنعت الثياب في المعافر وعرفت باسم الثياب المعافرية [٢] ، وفي تزيد وشهرت بالثياب التزيدية وكانت تتميز بأنها تزدان بعدة خطوط ملونة لاسيما الخطوط الحمراء[٣] . وهناك الثياب العدنية نسبة إلي عدن [٤] ، ومن أشهرها الشروب وهى منسوجات كتانية رقيقة تدخل في لحمتها خيوط الذهب وبلغ من رقتها ونعومة ملمسها أن اليمنيين كانوا يفضلونها على القصب [٥] ، واشتهرت ظفار الحبوضى بدورها في صناعة الثياب فائقة الجودة من الحرير والقطن والكتان [٦] . واختصت حراز إحدى قرى المعافر بصنع الثياب الحرازية المعروفة بثياب التجاوز أى الشريحة المطرزة بألوان الصباغات [٧] . كذلك كانت تصنع في اليمن الحلل اليمانية (وهى ما تشتمل على القميص والإزار والرداء) ، وأشهرها ما صنع في منطقة سلوق [٨] ، كما عرفت

---

[١] من المعروف أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد كفن في ثلاثة أثواب قطنية بيضاء من عمل السحول وقيل في ثوبين كما كفن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه في ثوبين سحوليين أيضاً مما يؤيد شهرة سحول منذ القدم في صناعة المنسوجات لا سيما القطنية منها بصفة خاصة (راجع : ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص ٣٣ ، ٣٩ ؛ مجهول : نموذج ملوك اليمن (خ) ق ٧ ؛ الحميرى : الروض المعطار ، ص ١٧٦ ، ٣٠٨ ، ٣٦٠ ؛ أنظر أيضاً : ابن المجاور : المستبصر ، ص ١٧٥ ؛ عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ، ص ٨٨ ؛ الخزرجى : طراز الزمن (خ) ق ٦١ ، ٩٣ ؛ حسن صالح شهاب : أضواء على تاريخ اليمن البحرى ، ص ١٥٨ ؛ *Serjeant , op . cit , p . 127*

[٢] *Serjeant , op . cit , p . 132 .*

[٣] الهمدانى : الإكليل ، ج١ / ١٨٩ .

[٤] ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، ص ٢٣٥ ، ٢٥٢ ؛ الشابشتى : الديارات ، ص ٢٠١ ، وهـ ١١ ؛ انظر أيضاً : المقدسى . أحسن التقاسيم ، ص ٩٨ .

[٥] ابن المجاور : المستبصر ، ص ١٣٦ ؛ *Serjeant , op . cit , p . 129*

[٦] ابن بطوطة : الرحلة ، ج٢ / ١٩٨ - ١٩٩ ؛ وانظر أيضاً : ابن المجاور المستبصر ، ص ١٤١ ، حيث أشار إلي تحصيل ربع دينار وجائز ضريبة على كل ثوب ظفارى يخرج من فرضة عدن ؛ *CF. also , Serjeant , op . cit , p . 130*

[٧] الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٩٩

[٨] ابن الفقيه : المصدر السابق ، ص ٢٥٢ ؛ القزوينى : المصدر السابق ، ص ٤٥ .

زبيد أيضاً أنواعاً أخرى من الأقمشة قامت مصانعها بإنتاجها ويدخل في نسيجها القطن والكتان ومنها الملايات أو الملايا [١] .

٣- المنسوجات الحريرية

شاع استخدام المنسوجات الحريرية في اليمن في مجالات مختلفة،واشتهرت بصناعتها مدن معينة فاختصت حجة بصناعة البرود[٢]،كما اشتهرت الشوافية بصناعة فرش العباءات الملونة النفيسة،وهي من الحرائر النفيسة الملوكية التي كانت تتخذ للراحة [٣].كذلك اشتهرت زبيد بصناعة عدداً آخر من أنواع المنسوجات الحريرية منها شقق الحرير الأبيض التي كان طول الشقة منه يبلغ عشرين ذراعاً، ومنها البيرم،ويبلغ طول الشقة منه ستة أذرع،ومن شقق الحرير الزبيدية أيضاً السباعية وهي نوع من الأردية يبلغ طول الواحدة سبعة أذرع في عرض أربعة أذرع وهي صنفان أحدهما من الحرير الخالص،والثاني مشروك أي خليط من الحرير والكتان[٤].كما عرفت صعدة بدورها إنتاج الثياب الحريرية والقطنية من البرود وغيرها وكان لباس أهلها منهما [٥].

وبالإضافة إلي ما سبق ما ذكره عرفت اليمن أيضاً صناعة أنواع أخرى من الثياب القطنية والكتانية منها الفوط وأشهرها ما يعرف باسم السوسي ، وقد أشار ابن بطوطة إلي استعمال أهل ظفار لها في سياق حديثه عن ملابسهم ، فذكر أنهم يشدون واحدة في أوساطهم عوض السروال ، ويجعلون أخرى فوق ظهورهم حماية لهم من شدة الحر [٦] . وهناك الأحواك وهي من المنسوجات اليدوية [٧] وتتسم

---

[١] ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ٨٩ .

[٢] مجهول : *سيرة الإمام عبد الله بن حمزة* ، ق ١ .

[٣] الهمداني : *المصدر السابق* ، ص ٢٠٢ .

[٤] ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ٨٩ ، ١٤١ ؛ عبد الله محمد الحبشي : *جوانب من الحياة الاقتصادية في التاريخ اليمني* (*مجلة الكلمة*) العدد ٥١ - ٥٢ صنعاء ، فبراير ١٩٧٩ ، ص ١٠٢ . هذا ويشير سرجنت نقلاً عن مايلز Miles إن هذا الاسم ينطبق على نوع من رباط الخصر المستخدم لدى رجال القبائل في اليمن . أنظر : *Serjeant , op . cit , p . 130*

[٥] ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ٢٠٦ ؛ يحيى بن الحسين : *أنباء الزمن* ، ق ٢٨٨ .

[٦] ابن بطوطة : *الرحلة* ، ج٢ / ١٩٨ - ١٩٩ ، ويتم صناعتها من القطن الوارد من الهند ، (انظر أيضاً عن الفوط : ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ٨٩) . وكانت هذه الفوط أو أغطية الخصر المخططة منتشرة بدورها في الكوفة بين الأوساط الشعبية والدنيا ويستخدمونها كرباط للخصر وللصدر أيضاً ويدعونها فوطه أيضاً . راجع : *Serjeant , op . cit , p . 130.*

[٧] وكان هذا النسيج عادة يتم في داخل المنزل وتقوم النساء على غزل خيوطه ونسجه على أنوال خاصة بهم (راجع : ابن المجاور : *المصدر السابق* ، ص ٢٥٦) .

ببياض لونها وكانت تصنع من القطن والكتان وتستخدم عادة كإزار يغطى النصف الأدنى من البدن،وبعضه يدخل في صناعته خيوط الحرير ويسمى المخطط أو المُصَنَّف[١].وهناك الخام أى الثياب التي لم يتم تبييضها بالصباغة أو بالتعرض للشمس ويغلب هذا الزى على أهل البادية[٢].كما أشار بامخرمة إلي وجود نوع آخر من القماش يسمى الرُوسّي،وذكر أنه يباع بالقصبة وطول القصبة أربعة أذرع [٣].وكان يصنع من الكتان.ومن ثياب اليمن أيضاً الفوف وهى ثياب رقاق موشاه [٤].

٤- الصباغة والزخرفة:

من خلال قطع النسيج المحفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، والتى يرجع تاريخها إلي القرنين ٣ ، ٤ هـ / ٩ ، ١٠ م ، وقطعة النسيج الرسولية المحفوظة بمتحف الميتروبوليتان بنيويورك ، يمكن القول بأن صناع النسيج في اليمن أقبلوا على استخدام ألوان مختلفة في صباغة المنسوجات أشهرها البنى الفاتح والعاجى والأزرق ، والأصفر الفاتح [٥] .

وكانت الأصباغ في معظمها أصباغاً نباتية يتم استخراجها من بعض الأشجار،وتستخدم في تلوين المنسوجات وأيضاً بعض الأوانى الفخارية،كما استخدم بعضه كذلك في تزيين المرأة،وكثيراً ما كانوا يخلطون الأصباغ بالعطور لإضفاء رائحة عطرية للملابس [٦] . ومن أشهر أنواع النباتات التى اعتمد عليها النساجون في الصباغة والتلوين : -

---

(١) *Serjeant , op . cit , p . 130*
ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٤١ ؛ بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، ج١ / ٦٠ .

(٢) ابن المجاور : *نفسه* ، ص ١٩٢ ؛ *Serjeant , op . cit , p . 130* . كذلك عرفت بعض مناطق اليمن ومنها ظفار وصنعاء نوعاً اخر من الملابس أو الثياب كانت ترتديه النساء يعرف بالفتوحى وهو من الحرير الملون بألوان مختلفة متداخلة (أنظر ابن المجاور : *نفسه* ، ص ١٨٩ ، ٢٥٣) .

(٣) ويبدو انه نسبة إلي بلاد الرُوس جنوب صنعاء راجع : السياغى : *معالم الآثار اليمنية* ، ط١ ، صنعاء ص ٤١ . وانظر : ابن المجاور : *نفسه* ، ص ١٤٥ ؛ بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، ج١ / ٦٥ – ٦٦ . والذراع وحدة قياس متداولة في ذلك العصر وما قبله وتساوى عادة نحوا من ١٨ بوصة أنظر : *Serjeant , op . cit , p . 131*

(٤) يقال عنها بُرد من السنا مفوفا فالبرُد هى الثياب،والسنا الضوء اللامع أو الرفعة،مفوفاً:أى رقيقاً به خيوط بيضاء فيكوز المعنى الثياب الرقيقة الوشاة(الرازى:*مختار الصحاح*،ص ٥٦٦،٣٣١؛أحمد رضا كحالة:*معجم متن اللغة*،ج٤/٤٧٠؛ حسن صالح شهاب:*أضواء على تاريخ اليمن البحري*،ص ١٥٨) .

(٥) *Porter , op . cit , p . 237*
ربيع حامد خليفة : *مناسج الطراز الخاصة* ، ص ٤٦ – ٤٨

(٦) الهمدانى : *صفة جزيرة العرب* ، ص ٢٠٢ .

نبات الوَرْس : وهو أنواع منه صنف يسمى الحبشي للونه المائل للسواد ، ويخرج صبغه أصفر خالص الصفرة ويقارب الحمرة ، وهو قريب من صبغة الزعفران ، ومنه لون آخر وهو الأحمر ، ويعد أكثر جودة من سابقه لقوته الصابغة[١].

نبات العُصب : وهو كالورس ويستخرج منه صبغ أحمر يستخدم بصفة أساسية في صباغة البرود ، والتي تعرف باسم نبات الصباغة فتسمى العُصب[٢] .

نبات العُصفر : نبات ينمو في بلاد اليمن ويقال له الإحريض وهو نوعان ريفي وبرى ، ويخرج منه صبغ أحمر يستخدم في تلوين المنسوجات من حرير وغيره[٣] .

نبات الفوة : ويستخدم في صباغة المنسوجات أيضاً وهو عروق نباتات لونها أحمر يستخرج منه صبغ أحمر يدخل في صباغة الحرير والصوف[٤]،وقد انتشرت زراعته بشكل واسع في اليمن في آخريات العصر الأيوبي حيث زرعت جميع جبال اليمن بالفوة عام٦١٥هـ/ ١٢١٨م،وذلك على حساب الغلال الأخرى طمعاً في العائد المجزى من وراء محصولها حيث يدر الجريب الواحد نحو ٦٠ ديناراً مقارنة بخمسة دنانير وهو مبلغ ما يغله الجريب من الغلال الأخرى كالحنطة والشعير،وارتفع سعره في عدن عام٦٢٢هـ/١٢٢٥م فوصل إلي ٧٦ ديناراً . " فلما رأت الخلق ما رأت قالوا نترك غيره ونزرعه "[٥].فأقبل على زراعته الجميع من سائر الطبقات (الخدم– الجوار– النساء– المشايخ وأهل اليسار)، وراجت تجارته تماماً في عدن يدلنا على ذلك ما أورده ابن المجاور عن مقدار الضريبة المحصلة على تجارة الفوة الصادرة من ثغر عدن كل عام،حيث بلغت مائة وخمسين ألف دينار [٦] . وبلغت ضريبة البهار

---

(١) المظفر :*المعتمد* ، ص ٥٣٧ . ويقول عنه الإدرسى :*نزهة المشتاق* ، ج١ / ٥٣ أنه "نبات أصفر يشبه الزعفران تصبغ به الثياب " واشهر مناطقه مذيخرة . راجع أيضا : *Serjeant , op . cit , p . 127*

(٢) القلقشندى :*صبح الأعشى* ، ج٤ / ٢٧٧ ؛ حسن صالح شهاب :*أضواء* ، ص ١٦٣ .

(٣) المظفر :*المصدر السابق* ، ص ٣٢٧؛ حسن صالح شهاب :*المرجع السابق* ، ص ١٦٣ .

(٤) المظفر : *المعتمد* ، ص ٣٧١ ـ ٣٧٢ ؛ حسن صالح شهاب :*أضواء* ، ص ١٦٢ ، وجدير بالذكر أن يهود اليمن كانت لهم خبرة فائقة بالصباغة وطرقها منذ أقدم العصور .

(٥) ابن المجاور :*المستبصر* ، ١٧٤ ـ ١٧٥ .

(٦) ابن المجاور :*المستبصر* ، ص ١٤٤ ـ ١٤٥ .

الواحد من الفوة في عهد المعز إسماعيل بن طغتكين ١٢ ديناراً [١]،وكانت قبل عهده تتراوح بين دينارين وثلاثة دنانير ، مما يشير إلي شدة الإقبال على شرائها، ومن ثم زادت الضرائب المفروضة عليها استغلالاً لحاجة الناس إليها ورواج تجارتها.

وأمام التأثير السلبى الذى أحدثته الفوة والاهتمام بزراعتها على حساب زراعات أخرى لا سيما الغلال ، أقدم الملك المسعود على مصادرة جميع كميات الفوة باليمن سنة ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ م [٢] ، لتتضاءل منذ ذلك الوقت الكميات المعروضة منها بأسواق اليمن ، مما نرجح معه أن زراعته باتت قاصرة على ما تحتاجه مصانع النسيج منها .

– **دم الأخوين** : وسمى بذلك لأن عصارته كلون الدم ، وهو شجر صمغى يجلب من جزيرة سقطرى وينبت بعضه قريباً من عدن عند قرية الجحفة ويوزع عصبيات بين الخياطين ، لأن غالب استخداماته في صبغ الثياب وتلوين الأوانى الفخارية [٣] .

– **النيل (النيلة)** : نبات يميل لونه إلي الغبرة والزرقة ويستعمله الصباغون، ويتم استخراج المادة الزرقاء اللازمة للصباغة منه عن طريق غسل أوراقه بالماء الدافئ ، فيجلو ما على الأوراق من الزرقة ، ويترك الماء ، فيرسب النيل في أسفله ، فينضح عنه الماء ، ثم يجفف ويرفع [٤] .وكان الأيوبيون يُحَصِّلون على القطعة الواحدة منه عند خروجه من فرضة عدن ضريبة مقدارها ٤ دنانير ونصف دينار [٥] .

---

[١] من هذا الرقم والرقم السابق يبدو أن كميات الفوة المصدرة من ميناء عدن في أخريات العصر الأيوبى بلغت حوال ١٢,٥٠٠ الف بهار في العام الوحد .

[٢] ابن المجاور :المستبصر ، ص ١٤٠ – ١٤٧ ، ١٧٤ – ١٧٥ ؛ حسن صالح شهاب نفسه، ص ١٦٢ – ١٦٣ .

[٣] ويتم استخلاص المادة الصابغة منه من سيقان الأشجار بشقها بالسكين ، فتخرج على شكل مادة لزجة حمراء تتجمد في فصوص داكنة هشة يسحقها الأهالى ويستخدمونها في الصباغة وأحيانا في التداوى (راجع : المقدسى : المصدر السابق ، ص ١٠٢ ، مجهول :مفتاح الراحة ، ص ٣٢٩ – ٣٣٠ ؛ حسن صالح شهاب : المرجع السابق ، ص ١٦٤)

[٤] المظفر : المعتمد ، ص ٥٣١ – ٥٣٢ .

[٥] ابن المجاور : المستبصر ،ص ١٤٠؛وراجع أيضاً :ربيع حامد خليفة بمناسج الطراز ، ص٥٠ .

وفي حضرموت كان صانعو الثياب يقومون بصباغاتها وخاصة ثياب النساء بمادة أخرى تعرف بالزاج " فيرجع اللون لا أخضر ولا أزرق إلا لون عجيب "[(١)] .

وعمد صانعو الثياب والمنسوجات اليمنية إلى استخدام بعض الألوان لتزيين منسوجاتهم بالزخارف الملونة واعتمد فيها على استخدام الألوان المتعددة والمتداخلة منها الأزرق والأصفر والأبيض والبني والعاجي وغيره ، وتتمثل هذه الزخارف في عناصر نباتية وهندسية كالمعينات والوريدات الصغيرة ، كما استخدم الخط كعنصر أساسي في الزخرفة ، حيث استعمل في كتابة أشرطة الطراز وشارات الصناع بصفة خاصة ، وتنوعت هذه الخطوط وإن كان أكثرها استخداماً الخط الكوفي المورق والمزهر [(٢)] .

[(١)] ابن المجاور *المصدر السابق* ، ص ٢٥٣ . أما الزاج فهو مادة صبغية على عدة ألوان منها الأبيض والأحمر والأصفر والأخضر وأجود أنواعه الزاج الأخضر ويعرف بالمصرى ، وله استعمالات طبية عديدة بالإضافة إلى دخوله في صباغة الثياب . (المظفر : *المعتمد* ، ص ١٩٢ ـ ١٩٣) .

[(٢)] راجع بالتفصيل عن أساليب الزخرفة في المنسوجات اليمنية في العصر الإسلامى ؛ ربيع حامد خليفة : *مناسج الطراز* ص ٤٦ ـ ٤٨ ؛ رأفت محمد النبراوى : دراسة لقطعتين نادرتين من المنسوجات الإسلامية في مصر واليمن ، مجلة الدارة ، عدد ٢٠ السنة ١٨ ، المحرم ـ أغسطس ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م ص ٢٠٨ وما بعدها .

٥- الصناعات الجلدية

عرف اليمنيون منذ أقدم العصور فن دباغة الجلود ومعالجتها وإنتاج مختلف الأدوات الجلدية ، وتُعد هذه الحرفة من أقدم الحرف لديهم ، وقد ساعد على ذلك توفر الثروة الحيوانية ومواد الدباغة اللازمة لمعالجة الأنطاع وعلى رأسها شجرة القرظ [(١)] التي يستخدم حبها في عملية الدباغة ، وقد انتشرت تلك الصناعة في مختلف أقاليم اليمن [(٢)] واستخدم اليمنيون جلود الأغنام والماعز والإبل والأبقار منذ القدم لعمل الأنطاع التي كانت تكسى بها الكعبة قبل الإسلام ، كما صنعوا منها البُسط لكسوة أرضيات القاعات وبيوت الصلاة في المساجد ، والقرب لحفظ الماء والمناطق الجلدية ، وأغمدة السيوف والخناجر والجنابي [(٣)] . كما صنع اليمنيون منها أنواع الخفاف النفيس [(٤)] .

ومن أهم مراكز دبغ الجلود والصناعات الجلدية في اليمن منطقة صعدة ، وكانت بها دار لصناعة الأدم عديم المثال ، ويدبغ بها الأدم الجيد ، ويتجهز منها إلى كثير من بلاد اليمن والحجاز [(٥)] . واشتهرت صعدة تبعاً لذلك بتنوع إنتاجها من المصنوعات الجلدية ، فعرفت بصناعة النعال الجيدة من جلود البقر،والأنطاع الحسنة والركاء الجيد [(٦)] . ومن مراكز دباغة الجلود في اليمن أيضاً عدن

---

(١) شجرة القرظ : شجرة لها سيقان غليظة أوراقها صفراء ، وله حب يدبغ ويتداوى به ويستخرج منه اصباغ يصبغ بها الأدم ، ويطحن القرظ بطواحين ضخمة (راجع عن القرظ واستعمالاته الأخرى:المظفر : *المعتمد* ، ص ٣٨٣ - ٣٨٤ ؛ حسن صالح شهاب : *أضواء على تاريخ اليمن البحري* ، ص ١٦٠) . ومن الأشعار التي ورد فيها ذكر القرظ واستعماله في الدباغة ما أورده ابن قتيبة في مصنفه أدب الكاتب ، ص ٤١١ ؛ حيث يقول :

وبُرْدان من خال (أحد مواضع اليمن) وسبعون درهماً
على ذاك مقروظ من القِدِّ ماعِزُ

وراجع أيضا :مجهول : *مفتاح الراحة* ، ص ٣٤٥ .

(٢) ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١١٣ .

(٣) محمد المتيمي :*المرجع السابق* ،ص ١٦٩ - ١٧٠ .

(٤) ابن جبير :*الرحلة* ، ص ١٥٣ .

(٥) الإدريسي : *نزهة المشتاق* ، ج١ / ٥٥ ، ١٤٦ ؛الحميري : *الروض المعطار* ، ص ٣٦١ .

(٦) المقدسي :*أحسن التقاسيم* ، ص ٨٧ ، ٩٨ ؛ ابن خرداذبة : *المسالك والممالك* ، ص ١٣٩؛الهمداني :*الإكليل* ، ج١ / ١٣ - ١٤ وهـ ٦ ؛ الأكوع : *البلدان اليمانية* ، ص ١٧٥ ؛ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ١١٤ وهـ ٢ ؛ أنظر أيضا القلقشندي : *صبح الأعشى* ، ج٥ / ٤١ . أما الأنطاع : مفردها نطع وهو البساط من الجلد ، الركاء مفردها ركوة ، وهي آنية صغيرة من الجلد يشرب منها الماء .

ونجران وجرش [١] . واشتهرت صنعاء منذ القدم بهذه الصناعة أيضاً فوجدت بها دار لصناعة دبغ الجلود يؤكد ذلك رواية الرازى في تاريخ صنعاء حيث يشير إلي كثرة المدابغ بها في أواخر ق ٤ هـ / ق ١٠ م ، كما يذكر أن عدد مطاحن القرظ الذى كان يستخدم في دبغ الجلود والأدم بلغ ما يقرب من ٣٣ مطحناً [٢] ، وكان يدبغ بها جلود البقر الجبلانية ،ويصنع منها النعال التى يتراوح ثمنها (ثمن الجلد) الواحد منها ما بين عشرة إلي عشرين مثقالاً كما عرفت صناعة الشرع المُدَرْهمة وكان ثمن الأشرع الأملس منها يبلغ عدة دنانير[٣] ، وكانت تصنع بها النعال المشعرة والأنطاع [٤] .

وعرفت ذى أصبح دباغة الأدم من جلد الجمال ، وكان يصنع منه نوع من السياط يعرف بالسياط الأصبحية [٥] . واشتهرت الشوافية إحدى مدن إب بدباغة جلود النمر النفيسة المحلولكة السواد الملمعة بالبياض وكان ثمن الجلد منه يبلغ عدة دنانير ، وكان يستخدم في صناعة السروج والفرش الثمينة وتتخذ لتزيين الخيول فتكون جلالاً لها ، وبها كانت تصنع الأنطاع الصَّت التى لا تؤثر فيها الأمطار ولا ينفذ منها الماء [٦] . ومن المصنوعات الجلدية اليمنية أيضاً النعال الترخمية المعروفة بالحذية [٧] . والجلود المدبوغة من البقر الملمعة وتتخذ منه النعال ، وفي هذه الجلود تواليع بين بياض وصفرة كأحسن الوشي وُيصَدَّر إلي سائر الأقطار[٨] .

---

(١) المقدسى :_احسن التقاسيم_ ، ص ٨٧ ؛ الادريسى :_نـزهة المشتاق_ ، ج١ / ١٤٦ ، ١٥١ ؛ ابن حوقل : ابو القاسم محمد (ت ق ٤ هـ / ق ١٠ م) :_صورة الأرض_ ، بيروت ب . ت ، ص ٤٣ ؛ القرمانى :_المصدر السابق_ ، ص ٣٩١ ؛ القلقشندى :_صبح الأعشى_ ، ج٥ / ٤٠ – ٤٢ ؛حسن صالح شهاب :_اضواء على تاريخ اليمن البحرى_ ، ص ١٦٠ . وتمثل دباغة الجلود في نجران وجرش صناعة رئيسة لمعظم أهلها ، وبلغت الجلود المدبوغة فيهما درجة عالية من الجودة ويؤكد ذلك الادريسى بقوله " وبها تدبغ الجلود اليمانية التى لا يبلغها شئ في الجودة " ، وفي موضع آخر يؤكد اهمية هذه الصناعات لأهل هاتين البلدتين فيقول أن هذه الصناعة بضائعم .

(٢) الرازى :_تاريخ مدينة صنعاء_ ، ص ١٦٤ .

(٣) الهمدانى :_صفة جزير العرب_ ، ص ٢٠١ .

(٤) ابن رستة :_الأعلاق النفيسة_ ، ص ١١٢ .

(٥) الهمدانى :_الإكليل_ ، ج٢ / ١٤١ .

(٦) الهمدانى :_صفة جزيرة العرب_ ، ص ٢٠٢ .

(٧) الهمدانى :_الاكليل_ ، ج٢ / ٣٦٢ ؛محمد أمين صالح:_المرجع السابق_،ص ٢٠٧ .

(٨) الحميرى :_الروض المعطار_ ، ص ٣٦٠ .

وقد تفنن أهل اليمن في تزيين الجلود ورخرفتها برسوم وزخارف متنوعة ، عمدوا إلي إبرازها عن طريق الضغط بآلات معينة ، كما تفننوا في تذهيب بعض الجلود الأخرى [١] . ويشير المؤرخون اليمنيون إلي أن منطقة زبيد كانت مزودة بعدد من مدابغ الجلود ، ومن المرجح أن هذه الصناعة ازدهرت في هذه المدينة ، ولقيت حظاً من الانتعاش والرواج ، وبخاصة منذ أخريات العصر الأيوبي ، وكان الفائض على الاستهلاك المحلى يحمل إلي الآفاق ، يدلنا على ذلك أن الحكومات اليمنية آنذاك كانت تحصل عليها ضرائب ومكوس تقدر بحوالى ١٣ ألف دينار سنوياً [٢] .

---

[١] حسن صالح شهاب : المرجع السابق ، ص ١٦١

[٢] ابن المجاور :المستبصر ،ص ٨٩ ،وراجع أيضا :المقدسي :أحسن التقاسيم ، ص ٩٨ .

٦- صنـــاعة العطـور

تركزت هذه الصناعة في مدينة عدن وساعد على ذلك وجود عديد مـــن الدهون والنباتات العطرية بأرضها أو على مقربة منها ، وتتداول في أسواقها مثـــل العنبر حيث توجد أشهر مناطق استخراجه في الشحر ، والمنطقة الواقعة عند بـــاب المندب [١] . وكذلك الدهون العطرية المستخلصة من الزعفران والصندل وشـــجر الكاذى المتميز برائحته النفاذة [٢] وغيرها .

ويذكر صاحب كتاب " أسواق العرب " نقلاً عن المرزوقي أن " طيـــب الخلق جميعاً بها (أى بعدن) يعبأ و لم يكن يُحسن صنعه أحد من غـــير العـــرب ، حتى أن تجار البحر لترجع بالطيب المعمول بعدن فتفخر به في السند والهند ، وقـــد ترتحل به تجار البر إلي فارس والروم ، وأن الناس على ذلك إلي اليوم ، ما يُحْســـن اليوم عمله إلا أهل الإسلام بعدن " [٣] .

ويبدو أن هذه الشهرة العريضة التي حازتها عدن في مجال صناعة العطـــور وتجارتها ظلت تواكبها طوال العصر الإسلامي ، يؤيدنا في ذلك ما ذكره بامخرمـــة عن قيام الملك المعز إسماعيل بن طغتكين ببناء قيسارية جديدة للعطـــارين بعـــدن ، وجعلها كلها حوانيت ، وأدار عليها باباً يغلق ليلاً ، واســـتمر الاهتمـــام بهـــذه القيسارية زمناً طويلاً مما يشير إلي الاهتمام بهذه الصناعة وما تـــدره تجاريـــاً مـــن أرباح، فنسمع ثانية عن تجديد عمارتها زمن الملك المسعود يوسف آخر ملوك بـــنى أيوب في اليمن [٤] .

---

[١] بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ص ٤٠ ؛ وانظر أيضا : ابن المجاور : المستبصر ، ص ١٩٢ ؛ الخزرجى : العقود ، ج٢ / ٢٠٨ .

[٢] الكاذى : شجر يشبه النخل ، له فروع ورقية مستطيلة ، ويثمر زهرة سنبلية بيضاء ، وعندما تتفتح الأزهار تحمل الريح أريجها العطر إلي مسافات بعيدة ، وتوضع الأزهار في الدهن المراد إكسابه رائحة الكاذية وينقع فيه يوما بعد يوم حتى تطيب رائحته (راجع بالتفصيل : ابن المجاور : المصدر السابق ، ص ٨١ ؛ المظفر : المعتمد،ص ٤٠٧ ؛حسن صالح شهاب:أضواء،ص ١٤٥ – ١٤٦) .

[٣] سعيد الأفغانى : أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، ط٣ ، بيروت ١٩٧٤ ، ص ٢٦٩ . حيث ينقل النص السابق عن كتاب الأزمنة والأمكنة للمرزوقى (ت ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م) ؛ وراجع أيضا : حسن صالح شهاب : المرجع السابق ، ص ١٣٣ – ١٣٤ .

[٤] بامخرمة : المصدر السابق ، ج١ / ٤٩ ؛ ابن المجاور : المستبصر ، ص ١٣٠ . وراجع أيضا

٧- صنـــاعةالورق

عرفت اليمن تلك الصناعة أيضاً نظراً لحاجة أهل العلـــم لـــلأوراق لتـــدوين مصنفاهم ، كما أن العصر موضوع الدراسة شهد نهضة علمية واسعة النطاق ، ســاعد عليها اهتمام الدولة بالعلم والعلماء الذين كانوا يشغلون مكانة سامية في المجتمع اليمنى ، كذلك كانت أجهزة الإدارة الحكومية ودواوينها المختلفة في حاجة ماســة إلي الأوراق اللازمة لتبادل الرسائل في داخل اليمن وخارجها . ورغم أن المصادر المتاحة لنا لا تفصح صراحة إلي مراكز هذه الصناعة ، والطرق المتبعة في تصنيع الأوراق ، وغير ذلـــك ممـــا يتعلق بهذه الحرفة ، إلا أن صاحب مخطوطة أنباء اليمن أمدنا برواية تشير إلي وجود مثل هذه الصناعة بأرض اليمن في صنعاء ، واعتماد هذه الصناعة على لب أشجار الطلح التي تنمو في أرض اليمن كإحدى المواد الخام المستخدمة في تصنيع الأوراق ، وأن صنعاء تمثل أحد مراكز انتاجه . وتذكر هذه الرواية أن الإمام المتوكل على الله أحمد بن ســليمان (ت ٥٦٦ هـــ / ١١٧٠ م) كان قد احتل بيت بوس [١] قرب صنعاء ، وأقام بها فترة ، وأثناء إقامته احتاج إلي الأوراق وعدة حوائج أخرى ، فبعث أحد أعوانـــه خفيـــة إلي صنعاء لابتياع الأوراق اللازمة وغيرها من حوائج ، فعلم بذلك السلطان حاتم بن أحمد بن عمران اليامي ، فاستدعى رسول الإمام ، وأرسل معه كتاباً للإمام فيه ما يشـــير إلي صناعة الورق محلياً على لب الطلح حيث قال :

أبى الورق الطلحى أن تأخذ أرضنا
ولم تشتجر تحت العِجاج رماحُ
وتأخذ صنعاء وهى كرسى ملكـــنا
ونحن بأطراف البلاد شحـــاحُ [٢]

ويتضح لنا من تلك الرواية العابرة وجود صناعة للورق بصنعاء التي كانت إحدى مراكز تجارته وصناعته باليمن .

= Goitein , Letters of Medieval Jewish Traders , Prinston , newgersey , 1972 , p. 203
حيث وردت العطور ضمن قوائم البضائع المرسلة من عدن إلي مصر صحبة أحد التجار اليهود مما ينهض دليلاً على شهرة بلاد اليمن في مجال تصنيع وتجارة العطور أيضاً .

[١] بيت بوس : بلدة وحصن بالجنوب الغربى من صنعاء على مسافة خمسة كيلو مترات تشتهر بكثرة زروعها ، ولعبت دوراً هاماً فى تاريخ اليمن الإسلامى ، ونسب إليها عدد من علماء اليمن . (راجع: المقفحى : معجم المدن ، ص ٦٠ - ٦١) .

[٢] يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ، ج٢ ، ق ٢٠٧ .

٨- صناعة الزجاج والخزف [١]

وردت بعض النصوص التاريخية التي تشير إلي معرفة أهل اليمن بفنون صناعة الزجاج،فقد أشار ابن المجاور في سياق حديثه عن منطقة لخبة الواقعة بظاهر مدينة عدن،والتي قام بتأسيسها الأمير عثمان الزنجبيلي نائب توران شاه على حكم عدن،إلي وجود معامل للزجاج بها،كان ينقل منها إلي عدن[٢]حيث يباع في أسواقها.كذلك وجدت معامل الزجاج في مخلاف لحج في منطقة تعرف بالمجاهيل [٣] .

وتشير فينيتا بورتر (V . Porter) في بحثها عن الفن الرسولي استناداً على عدة تقارير لحفائر أثرية قام بها العالم الانجليزي سرجنت وآخرون في سهل عدن ، إلي أن اليمنيين وبخاصة أهل عدن ، استخدموا الأساليب الصينية المتبعة في صهر وصناعة الزجاج ، وأنتجوا عدة أنواع منه ما يعرف باسم الزجاج المعتم ، وكان يضيفون مادة البوراكس عند صهر الزجاج لجعله أكثر مرونة [٤] .

وعثر في سهل عدن على بقايا أفران وكميات من مادة ذات سطح زجاجي تتضمن كتلاً من مادة تدخل في صناعة الزجاج،يميل لونها إلي الإخضرار، مما يثبت وجود إنتاج محلي من الزجاج،ويتميز الإنتاج الزجاجي لهذه المنطقة بأنه من النوع الشعبي الذي يكثر استخدامه بين طبقات المجتمع اليمني،وقد عثر على مجموعة محدودة من الأشكال والأساليب البسيطة،معظمها عبارة عن سوارات مزخرفة بدقة واتقان شديدين مما يوحي بأن صناع الزجاج العدنيين تخصصوا فيها [٥] .

---

[١] يعرف في الانجليزية باسم (Ceramic) وهي كلمة تعبر عن كافة أنواع التحف المصنوعة من الصلصال سواء أكانت مزججة أو غير مزججة ، ويرجع أصل اللفظ إلي اللفظ الإغريقي كيراموس ، وفحوى اللفظ في تلك اللغة هو المسوى من المواد الطينية . وهناك عدة تعريفات أخرى للخزف منها ما ذكره د. عبد العزيز مرزوق حيث يقول أن الفخار هو الطين الذي يشكل على اليد أو على العجلة أو في قوالب خاصة ثم يجفف ويسوى في أفران خاصة ، وإذا غطي بطبقة زجاجية أصبح خزفا ، للمزيد : راجع : محمود إبراهيم حسين : *الخزف الإسلامي في مصر* ، *مكتبة نهضة الشرق* ، جامعة القاهرة ١٩٨٤ ، ص ١٠ – ١١ .

[٢] ابن المجاور : *المستبصر* ،ص١٤٨ ؛بامخرمة:*تاريخ ثغر عدن*، ج١/ ٢٢ ؛العبدلي:*هدية الزمن*،ص ٨.

[٣] العبدلي : *المرجع السابق* ، ص ٩

[٤] *Porter , the Art , p . 236* ومادة أو مسحوق الورق Borax تضاف لتجعل الزجاج سهل التشكيل دون أن يكون هشا سريع الكسرة فلا يتأثر بدرجات الحرارة ، وهذه الطريقة انفردت بها الجزيرة العربية عند صناعة الزجاج اعتمادا على نفس الطريقة الصينية التي تعتمد على تسخين أكسيد الرصاص ونترات البوتاس والجص ، ثم يضاف إليهما البوراكس

[٥] *Porter , op . cit , p 236 =*

أما صناعة الخزف والأدوات الفخارية فكانت من الصناعات الشعبية في العالم الإسلامى،وكانت لها مراكز متعددة مثل خزف الرى والرقة والفسطاط ومالقة وغرناطة وغيرها.وكانت باليمن مراكز متعددة لصناعته وتشير المصادر التاريخية إلي أن الأطباق والطيافير الخزفية اليمنية كانت من بين التحف التى يهادى بها حكام اليمن سلاطين المماليك بمصر،مما يشير إلي تقدم مثل هذه الصناعة ورقيها في البلاد.ومما ساعد على ازدهار هذه الصناعة أيضاً شيوع استخدام التجار لهذه الآنية الفخارية،حيث كانوا يستخدمونها عوضاً عن السورق في الوقت الحالى، فيضعون في هذه الآنية ما يبيعونه ويأخذ عملاؤهم ما يشترونه فيها بدلا من الورق .

وتعددت مراكز انتاج الخزف في اليمن،وعرف الخزف أو الفخار المنتج بأسماء مناطق انتاجه،مثال ذلك منطقة حراز من المعافر حيث كانت تنتج نوعاً من الأطباق الخزفية عرف بالأطباق الحرازية [١] . كذلك وجدت صناعة الفخار والخزف في ذى جبلة [٢] . وصنعاء [٣] والدمينة الواقعة على الطريق بين تعز وزبيد[٤] ، ومخلاف لحج في منطقة المجاهيل [٥] ، وعدن [٦] . ومن مراكز صناعته حيس [٧] من أعمال زبيد وجدير بالذكر أن الخزاف اليمنى كان يستخدم العديد من الألوان في زخرفة وتلوين إنتاجه الخزفى منها اللون الأحمر الذى كان يستخرجه من النبات المعروف بالعندم أو دم الأخوين [٨] .

=وراجع عن التحف الزجاجية الرسولية :

Van Berchem , notes D' Arch . pp . 44 – 46 , 50 – 56 , 66 – 68 .

(١) الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٩٩ . وحراز قرية تقع غرب مدينة صنعاء بنحو بضعة وستين كيلاً . وراجع عن الأطباق الحرازية أيضاً : الأكوع : البلدان اليمانية ، ص ٩١ .

(٢) ابن الديبع : قرة العيون ، ص ٨٧ وهـ ١ ؛ ابن المجاور : المستبصر ، ص ١٦٨ .

(٣) بامخرمة : قلادة النحر ، ق ٩٥٥ .

(٤) ابن المجاور : المصدر السابق ، ص ٢٣٣ .

(٥) العبدلى : هدية الزمن ، ص ٩ .

(٦) بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج١ / ٥٢ ؛ وأنظر أيضاً : ابن المجاور : المصدر السابق ، ص ١٣٢ حيث يذكر أن للخزف سوقاً مخصصة له بعدن عرفت بسوق الخزف .

(٧) الهمدانى : الإكليل ، ج١ / ٢٧٤ ؛ الأكوع : البلدان اليمانية ، ص ١٠٧ وهـ ٤ . وترجع فترة ازدهار الخزف في مدينة حيس إلي الفترة موضوع الدراسة ، ويتميز خزف هذه المدينة بالزخارف المنقطة والمستديرة والمغطاة بطبقة من الطلاء الزجاجي الأخضر اللون ، كما تميزت حيس أيضاً بانتاج نوع من الخزف يتخذ شكل الكؤوس الصغيرة المتفردة في شكلها ونفذت زخارفها بطريقة الحز على بطانات ملونة . (راجع : ربيع حامد خليفة : الفنون الزخرفية اليمنية ، ص ٢١٠) .

(٨) حسن صالح شهاب : المرجع السابق ، ص ١٦٤

وتركزت أشهر مناطق إنتاج الخزف في تهامة لاسيما في زبيد والمناطق المحيطة بها ، ولذا اتجهت إليها أول بعثة أثرية كندية في عام ١٩٨٢ م ، من متحف أونتاريو الملكى لدراسة آثارها ، وقد أسفرت هذه التنقيبات الأثرية عن اكتشاف مجموعة من أنواع الخزف المحلى منها :

١- الخزف المطلى باللون الأزرق : وعرف بـ (خزف تهامة الأزرق) ويتميز باستخدام اللون الأزرق الفاتح والأبيض في رسم العناصر الزخرفية على أرضية زرقاء داكنة ويرجع تاريخ إنتاجه إلي القرنين السادس والسابع للهجرة / ق ١٢ ، ١٣ م [١] .

٢- خزف تهامة الأخضر : وهو نوع يمكن ربطه بالنوع السابق ، واستعاض الخزاف اليمنى هنا عن اللون الأبيض بلون أصفر فاتح على أرضية خضراء تحت طلاء زجاجي شفاف أصفر اللون،وأبرز عناصره الزخرفية تقوم على أشكال هندسية تمثل أطباقاً نجمية سداسية،وقد استمر انتاج هذا النوع من الخزف في الفترة من القرن السابع الهجرى إلي القرن التاسع الهجرى(١٣-١٥م) [٢] .

٣- الخزف المحزوز تحت الطلاء : ويتميز هذا النوع من الخزف المرسوم تحت الطلاء باستخدام الحز العميق في صناعة الزخرفة ، واستخدام اللون القرنفلى الفاتح في طلاء الأوانى الخزفية من الخارج ، وتعد الزخارف الكتابية أهم العناصر الزخرفية لهذا النوع ، وكانت تحدد بواسطة الحز ثم تلون [٣] .

٤- وهناك نوع آخر من خزف زبيد : عَرّفته البعثة الكندية بأنه خزف محفور بطريقة الاسجرافياتو (Saografiato) ، ويتميز هذا النوع كما جاء في تقريرها باستخدام طينة حمراء اللون في صنعه واستعمال بطانة بيضاء حفرت عليها الزخارف مع إضافة اللونين الأخضر والبنى ، واستخدام الطلاء الزجاجى الشفاف. كما تميزت حواف القصاع التي عثر عليها من هذا النوع بأنها مفصصة [٤] .

---

[١] ربيع حامد خليفة : *الفنون الزخرفية اليمنية* ، ص ٢٠٨ .
[٢] ربيع حامد خليفة :*المرجع السابق* ، ص ٢٠٩ .
[٣] ربيع حامد خليفة :*نفسه* ، ص ٢٠٩ .
[٤] ربيع حامد خليفة :*نفسه* ، ص ٢٠٩ . وللمزيد عن مميزات الخزف الزبيدى : أنظر : ربيع حامد خليفة : *المرجع السابق* ، ٢١٠ - ٢١٢ .

٩- معاصـــر النبيذ والزيوت

في سياق حديثنا عن الزراعة في اليمن ذكرنا أن مـــن أكثـــر مزروعاتهـــا انتشاراً وجودة ، النخيل والكروم بأنواعهما المتعددة [١] ، وكان لذلك أثره في قيام صناعة الخمور . ورغم انتشار الإسلام باليمن ، إلا أن هذه الصناعة ظلت موجودة طوال العصور الإسلامية المختلفة [٢] ، وتعددت مراكزها في أنحاء كثيرة من اليمن من بينها بلاد وادعة شرقي صعدة ، حيث تشير المصادر إلي خروج الأئمة إليهـــا لإزالة المنكرات وإراقة الخمور [٣] .

ويتضمن كتاب العقود للخزرجي ما يشير إلي كثرة دنان الخمور في بيت حنبص فعند تعرضه لذكر استيلاء المظفر الرسولي على حصن بيت حنـــبص عـــام ٦٧٢ هـــ / ١٢٧٣ م ، يذكر أن العسكر وجدوا بها خمـــوراً كـــثيرة فكســـروا أوعيتها وأراقوها [٤] . كما اشتهرت زبيد وعدن بإنتاج النبيذ وصناعته أيضاً ، ففي زبيد قامت هذه الصناعة على التمور المتوافرة بها ، وكان النبيذ يصنع بكثرة مـــن التمر والبر والرطب ويسمى " الفضيح " ، ويستغرق صنعه يوماً وليلـــة ، وشـــاع تناوله في سبوت النخل عند الاحتفال بنضج التمور ، ويقبل عليه عامـــة النـــاس

---

[١] راجع عن التمور وأنواعها ، الفصل الخاص بالزراعة وعن أنواع الكروم ؛ الهمداني : _صفة جزيرة العرب_ ، ص ١٩٦ .

[٢] الخزرجي : _العقود_ ، ج١ / ٨٣ ، ١٦٥ – ١٦٦ حيث يشير في هذا الموضع ومواضع متفرقة من كتابه إلي انتشار تعاطي الخمور وكثرة مجالس الشراب التي كان يعقدها سلاطين آل رسول مما يوحي بقيام صناعتها والإتجار فيها ، ويذكر الخزرجي في ترجمته لعبد الوهاب العريقي أحد الشخصيات البارزة في دولة بني رسول (ت ٦٧٢ هـ / ١٢٧٣ م) أنه كان يضمن بلد العوادر بمال معلوم يحمل إلي السلطان وأنه كان شرها في شرب الخمر ، ثم تاب عنه وعمد إلي تحريمه في بلاده وشدد في شربها تشديداً عظيماً مما يفهم معه انتشار تعاطيها ببلاد اليمن .

[٣] يحيى بن الحسين : _أنباء الزمن_ ، ق ٢١١ ، وقد تكررت هذه الحملات في صعدة منها حملة عام ٥٤٧ هـ / ١١٥٢ م التي أزال فيها أحد الأئمة معبداً لليهود هناك ، الأمر الذي يرجح معه وجود صلة قوية لليهود بهذه الصناعة ، حيث قاموا على صناعتها والإتجار بها منذ القدم ، ومن ثم أقدم الإمام الزيدي على تخريب معبدهم .

[٤] بيت حنبص : قرية تقع جنوب غرب صنعاء (راجع : المقحفي : _معجم المدن_ ، ص ٦١ ؛ الخزرجي : _الكفاية_ ، ق ١١٤ ، _العقود_ ، ج١ / ١٦٤) ويعلق أحد الشعراء الرسوليين على وجود الخمور ببلاد الأئمة في هذه الأبيات :

ولما افتتحنا بيت حنبص عنوة ... وجدنا به الأدواح ملأى من الخمر
وعند أمير المؤمنين عصـــابة ... يقولون بالبيض الحسان والسمر
فإن تكن الأشراف تشرب خفية ... وتُظهر للناس التنسك في الجهر
وتأخذ من خلع العذار نصيبها ... فإني أمير المؤمنـــين ولا أدرى

وخاصتهم على إختلاف مشاربهم من النساء والرجال [١] ، ومما ساعد على انتشار هذه الصناعة بالمدينة إقدام حكام اليمن على تضمين النبيذ واعتبار هذه الصناعة مصدراً هاماً من مصادر دخل الدولة ، حيث قدرت المكوس التي تجبيها الحكومة من دار النبيذ في زبيد في العهد الأيوبي بنحو ١٢ ألف دينار سنوياً مما يشير إلي ازدهار هذه الصناعة بالمدينة ورواج تجارتها وإقبال الناس عليها [٢] .

أما عدن،فيشير المقدسى إلي شهرتها هى الأخرى في صناعة الخمور فيذكر أنه كان يصنع بها شراب يفضله الناس على القصب[٣]،ويبدو أن لإنتشار صناعة الخمور بهذه المدينة ارتباط وثيق بكثرة الوافدين إليها من الأجانب.ويشير ابن المجاور إلي نوع ثان من النبيذ قامت على انتاجه أيضاً مدينة عدن كان يعرف باسم نبيذ الزعفران،إذ كان بها بئر يستخرج منها الماء خصيصاً لصنع النبيذ يعرف ببئر زعفران،فيقوم أهل عدن باستخراج مائه،ومزجه بثمرة الكاذى ذى الرائحة النفاذة ويترك في الشمس أياماً حتى يخمر،ويتحول بعدها إلي نبيذ كامل لا يحتاج إلي عسل ويتم حمل هذا النبيذ وتصديره إلي كافة أرجاء اليمن،ويذكر في ذلك أن ماء زعفران كان يصدر إلي الجند وتعز وصنعاء وزبيد يعملون منه نبيذاً كما يذكر في معرض حديثه عن شهرة نبيذ زعفران أن الأتابك سيف الدين سنقر(ت٦٠٨هـ/١٢١١م)،قدم إلي عدن،فاستقبله والى المدينة ويدعى المعتمد محمد بن على التكريتى وقدم إليه هذا النبيذ فشرب منه وأعجبه طعمه ومذاقه[٤] .

ونرجح أن القائمين على صناعة الخمور وتجارتها في بلاد اليمن كانوا من أهل الذمة من اليهود والنصارى الذين كانوا يقيمون في عديد من مدن اليمن ، واستطاعوا شرعاً ممارسة تلك الصناعة ، ويذكر سرجنت أن الأئمة الزيدية دخلوا في معارك طويلة مع شاربى الخمور ، واعتادوا مهاجمة أماكن تعاطيها وتدميرها وإراقة خمورها،كما تعرض اليهود اليمنيين لكثير من المتاعب بسبب قيامهم ببيع الخمور للمسلمين [٥] .

---

[١] ابن المجاور : _المستبصر_ ، ص ٧٩ ، ويشير أيضا إلي أن اول من صنع النبيذ باليمن كان رجلا وافدا على اليمن من بلاد الشام .
[٢] ابن المجاور : _المصدر السابق_ ، ص ٩٠ .
[٣] المقدسى : _أحسن التقاسيم_ ، ص ٩٨ .
[٤] ابن المجاور : _نفسه_ ، ص ١٣١ .
[٥] يحيى بن الحسين : _أنباء الزمن_ ، ق ٢١١ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ؛ _Serjeant , San 'a , p . 171_

وكما اشتهرت بعض مدن اليمن بنبيذها اشتهرت أيضاً بصناعة الزيوت على مختلف أنواعها ، فكان المعصرانيون (الصناع العاملون على عصر الزيوت)، يستخرجون أنواعاً مختلفة من الزيت في ذلك العصر ، بعضها كان يستخدم في الطعام ، بينما شاع استخدام البعض الآخر منها في الإضاءة .

وقد أعتمدت صناعة الزيوت في اليمن على الثمار والبذور التي تغلها أراضيها الزراعية ، فكانوا يستخرجونه إما من بذور السمسم (الجلجلان) الذى تنتجه البلاد بكميات وفيرة ، وإما من نبات الخردل . وقد انتشرت تبعاً لذلك العديد من معاصر الزيوت (السليط) في اليمن ، ومن أشهر مناطق إنتاجه مدينة المخا على ساحل البحر الأحمر ، التي يصفها المقدسي بقوله " ومخا مدينة بزبيد عامرة كثيرة السليط " [١] ، وصنعاء التي وصل عدد معاصر السليط بها إلي ٤٥ معصرة كانت تقوم على استخراج زيت السمسم [٢] ، كذلك عرفت جَبَلة معاصر الزيوت ، وكان بزبيد سوق قائمة بذاتها خصصت لعصر الزيوت والتجارة فيها ، مما ينهض دليلاً على شهرة المدينة في هذا المضمار ، وعرفت السوق " بسوق العصر " ، وقدْ ذكرت المصادر أن عدد معاصرها بلغ ٤٩ معصرة في آواخر ق ٨ هـ / آواخر ق ١٤ م [٣] ، كذلك وجدت معاصر السمسم في لخبة بضواحى عدن [٤] .

وإذا كان الزيت يعرف باسم السليط ، فإن بائعيه كانو يعرفون بالسلاّطين، في حين كانت أوعية الزيت تسمى عند أهل اليمن " بالبطاط " وهى أوعية من الجلد ما زالت مستعملة حتى اليوم عند أهل اليمن (مفردها بطة) ،

---

[١] المقدسى : *أحسن التقاسيم* ، ص ٨٦ .

[٢] الرازى : *تاريخ مدينة صنعاء* ، ص ١٦٤ بينما يحدد مصدر آخر عددها بـ ١٤ معصرة ولكنه لا يذكر تاريخا لذلك راجع : مجهول : *تاريخ اليمن* ، ق ٦٧ .

[٣] ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٣٨٢ . بينما يذكر الخزرجى أن عددها في نفس الفترة تراوح بين ٢٦ إلي ٢٧ معصرة ، أنظر : *الكفاية* ، ق ٢١٨ ؛ *العقود* ، ج٢ / ٢٠٣ بينما يعددها ابن الديبع في مؤلفه الآخر "*بغية المستفيد* " وفي نفس الفترة ٧٩٥ هـ بما يتراوح بين ستة إلي سبعة وثلاثين معصرة . (راجع : الفضل المزيد على بغية المستفيد ، ص ١٠٤) .

[٤] بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، ص ٢٢ ، وجدير بالذكر انه قامت على صناعة استخراج الزيوت صناعة أخرى هى صناعة الصابون لا سيما الصابون المعتمد على زيوت الجلجلان (السمسم) ، وإن لم تصل في جودتها إلي مثل ما وصلت إليه في مصر مثلاً . (راجع : الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ١٥٨ ؛ العمرى : *مسالك الأبصار* ، ص ١٥٩) .

وكان السلاّطون يدورون بأوعيتهم " البطاط " المملوءة بالسليط علـــى النـــاس في منازلهم ويصعدون إليهم في حصوهم ليشتروا منهم ما يريدون [(١)] .

وقد أمدنا سيرجنت عند حديثه عن سوق صنعاء بما يفيد وجود عدد كبير من معاصر السمسم حول السوق ، وذكر أن زيت بذرة الخردل يكثر استعماله في شمال اليمن . ويصف إحدى هذه المعاصر فيذكر أن المعصرة تتكون مـــن مخـــزن منفرد ينفتح أو يتعامد على بناء معماري واسع ، وتوجد في بعض الأحيان غرفـــة جانبية تستخدم كحظيرة للجمال أو الدواب التى تدير المعاصـــر ، وكـــان لكـــل معصرة جمل أو جملين يستخدمان في إدارتها ، وبعض المنصات الحجرية التى تمتد من المدخل وحتى المعصرة ، وكانت تستخدم لتخزين أجولة بذور السمســـم وقـــدور الزيت ، وللجلوس والنوم [(٢)] .

أما المعصرة ذاتها ، فهى عبارة عن جرن حجرى فسيح يزيد ارتفاعه عـــن متر ، تثبت به يد خشبية ثقيلة تنتهى بقاعدة حجرية لكى تعمل على طحن حبوب السمسم واستخراج زيوتها ، وترتبط هذه اليد الثقيلة برباط مع الجـــرن ، يســـمح ببقاء اليد في وضع رأسى ، بينما تكون القوة الدافعة التى تديرها منتقلة أفقياً مـــن رقبة الجمل الذى يستخدم في إدارة المعصرة . ويقوم المعصرانى بوضع " غمامات " على عينى البعير – وهى عبارة عن طاسات معدنية في الغالب – وذلـــك حـــتى لا يعانى من الدوار بسبب دوراته المتواصلة ، ويتحرك البعير في غير هوادة ، وتُصـــب بذور السمسم أو الخردل من قمة الجرن ، ليخرج الزيت من حافة جانبية [(٣)] .

---

(١) الخزرجى : *العسجد* ، ق ٤٣ ؛ الجندى : *السلوك* ، ق ٧٩ ؛ الأهدل : *تحفة الزمن* ، ق ٥٧ .

(٢) *Serjeant , San ' a , p . 293*

(٣) *Serjeant , San ' a , p . 293*

١٠- الصناعات الخشبية

تعد هذه الصناعة من ضروريات العمران،إذ تصنع منها الأسقف الخشبية لدور السكنى والأبواب والنوافذ والأثاث بأنواعه في العمائر الدينية والمنابر وكراسى المصاحف في المساجد،وعن الصناعات الخشبية يقول ابن خلدون : " إن الله سبحانه وتعالى جعل للآدمى في كل مكون من المكونات منافع تكمل بها ضروراته أو حاجاته ، وكان منها الشجر فإن له فيه من المنافع ما لا ينحصر ، مما هو معروف لكل أحد ، ... فيتخذ منها الوقود والدعائم والأوتاد للخيام ، والرماح والقسى والسهام ، والسقوف والأغلاق والكراسى" ، وكل واحدة من هذه . فالخشبة مادة لها ولا تصير إلي هذه الصورة الخاصة بها إلا بالصناعة " فإذا عظمت الحضارة " وجاء الترف وتأنق الناس فيما يتخذونه من كل صنف من سقف أو باب .. حدث التأنق في صناعة ذلك ، واستجادته بغرائب من الصناعة كمالية ليست من الضرورى في شئ مثل التخطيط في الأبواب والكراسى ، ومثل تهيئة القطع من الخشب بصناعة الخرط يحكم بريها وتشكيلها،ثم تؤلف على نسب مقدرة وتلحم بالدساتر فتبدو لرأى العين ملتحمة ... يصنع هذا في كل شئ من الخشب " [١] .

ومما لاشك فيه أن الصناعات الخشبية ازدهرت ازدهاراً ملموساً في اليمن في العصر موضوع البحث ، وشملت هذه الصناعات الأبواب والنوافذ والمصندقات الخشبية بأسقف المدارس والمساجد والدور ، وساعد على هذا الازدهار ما شهدته بلاد اليمن آنذاك من رقى عمرانى ، حيث تعددت منشآت ملوك اليمن وسلاطينهم وتنوعت عمائرهم ما بين مدارس ومساجد وقصور وغيرها من المنشآت الاقتصادية والعسكرية والمدنية والدينية ، الأمر الذى استلزم بالضرورة عدداً من المشغولات الخشبية كالأبواب والنوافذ والمصاريع الخشبية والمنابر والمحاريب الخشبية وكراسى المصاحف وغيرها مما تستلزمه هذه العمائر [٢] .

---

(١) ابن خلدون : _مقدمه ابن خلدون_ ، ج٢ / ٩٤٩ – ٩٥٠ .

(٢) مصطفى عبد الله شيحة : _مدخل إلي العمارة_ ، ص ١٣٩ وما بعدها ، وقد أدى الاهتمام بالصناعات الخشبية إلي ازدهار فن الحشوات الخشبية التى ازدانت أسطحها بالنقوش المحفورة المزخرفة بعدد كبير من الزخارف والكتابات المتنوعة .

وكانت وفرة الأخشاب وتنوع أصنافها ببلاد اليمن – وبخاصة أخشاب الحراج التي تنمو في عدد من أودية اليمن كوادى ذؤال ، والتي كانت تقطع بغرض استخدامها في هذه العمائر [١] وكذلك أشجار الكاذى التي تكثر على سواحل البحر ، والتي قيل أنها لا تتعرض للتسوس إذا قطعت في الليالى المقمرة ، وينخر فيها السوس إذا تم قطعها في الليالى غير المقمرة [٢] – من أسباب ازدهار هذه الصناعة كما ساعد على ازدهارها أيضاً توفر الصناع المهرة من الخشابين والنجارين سواء من أهل البلاد ، أو من الوافدين إليها ، والذين تمتعوا باهتمام حكام اليمن ، وحرصهم الدؤوب على استقدامهم وإبقائهم في البلاد للعمل على نهضتها وازدهار عمرانها ، كل ذلك كان من العوامل التي ساعدت على تنمية الفنون الصناعية بوجه عام والصناعات الخشبية منها على وجه الخصوص .

وقد أمدتنا المصادر ببعض النصوص التي تتضمن ما يشير إلي ازدهار فن الصناعات الخشبية ببلاد اليمن ، حيث تشير إلي قيام المظفر الرسولى بصناعة منبر خشبي كان على درجة عالية من الإتقان بحيث يليق بالمسجد النبوى الشريف ليقام هناك بديلاً عن المنبر الذى دمر في حريق سنة ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م ، وقام بإرساله إثر الانتهاء من عمارة المسجد عام ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م [٣] .

ومن الأمثلة الدالة أيضاً على رقى هذه الصناعة ودراية الصانع اليمنى بالأساليب الصناعية والزخرفية المتبعة في زخرفة الأخشاب وفن الحشوات الخشبية في العالم الإسلامى [٤] ، منبر جامع الجند والذى يرجع تاريخ صناعته إلي عام ٥٨٨ هـ / ١١٩٢ م ونتبين ذلك من توقيع صانعه اليمنى المعروف " بابن النظام

---

[١] ابن المجاور : المستبصر ، ص ٦٣ .

[٢] ابن المجاور : المستبصر ، ص ٨١ ؛ عصام الدين عبد الرءوف : المرجع السابق ، ص ٢٥٣ .

[٣] راجع ما سبق عن باب الكعبة الذى صنعه المظفر الرسولى وامر بتحليته بصفائح الفضة٢٩٦ ، ٣٠٧ و هـ ٣ من الكتاب ، وانظر أيضا ؛ السخاوى : التحفة اللطيفة ، ج١ / ٦٠ ، ٣٨٥ ـ ٣٨٦ ؛ القرمانى : المصدر السابق ، ص ٣٨١ . كذلك يذكر الخزرجى أن عمران بن محمد بن سبأ (٥٥٠ ـ ٥٦٠ هـ / ١١٥٥ ـ ١١٦٥ م) أمر بصناعة منبر لجامع عدن نصب فيه ونقش عليه اسمه ووصفه بانه " منبر له حلاوة في النفس وحلاوة في العين " . (راجع : الكفاية ، ق ٤٧) .

[٤] تعد هذه الزخارف الخشبية اليمنية وبخاصة زخارف الأسقف من أروع أمثلة الزخارف المعروفة في العالم الإسلامى وقد نفذت بطريقة تدل على تقدم حرفة المشغولات الخشبية . (راجع : مصطفى شيحه : مدخل إلي العمارة ، ص ١٤٣ ـ ١٤٥ .

بن حسين " ويسجل الصانع تاريخ صناعته للمنبر بالتاريخ المذكور ، وذلك من خلال نص كتابي ونقش بالخط الكوفي على الخشب في حشوة مستطيلة تعلو عقد مدخل باب المقدم ، ويتكون هذا النص من ثلاثة أسطر نطالع فيه : " ... مما أمر بعمله الجناب الأجل ... الحسن بن علي بن حسن العنسي في شهر المحرم أول سنة ثمان وثمانين وخمسمائة .... عمل ابن النظام بن حسين " [١] .

كذلك تحتفظ المدرسة الأشرفية بتعز ببعض الأبواب الخشبية التي تعبر عما كانت عليه حرفة المشغولات الخشبية في العصر موضوع الدراسة من رقي وإتقان ، ومنها الباب الخشبي المؤدي لبيت الصلاة وتبلغ مساحته ٢,٢٨ م × ١,٢٤ م عرض ، ويتكون من مصراعين ويشتمل كل مصراع على ثلاث حشوات ، الوسطى منها مستطيلة ، وتزدان هذه الحشوات بزخارف هندسية مجدولة يتدلى منها شكل المشكاة ، بالإضافة إلي مجموعة أخرى من الزخارف النباتية والهندسية التي تنتمي من حيث الأسلوب لزخارف القرن التاسع هـ / ق ١٥ م كما يلاحظ استخدام الخط الكوفي على مدخل هذا الباب وهي الكتابة الكوفية المورقة والمضفرة، ويبدو واضحاً في الأعمال الخشبية بهذه المدرسة استخدام خشب الخرط في صنع بعض السياجات المحيطة بالمقابر التي تتوسط فناء المدرسة ، ويتضح منه معرفة الصانع اليمني بفنون استخدام خشب الخرط ، والذي يتمثل في عدد من الوحدات الزخرفية الهندسية التي تزدان بها السياجات المذكورة ، والتي كررها بدقة وإتقان شديدين [٢] .

---

(١) مصطفى شيحة : *المرجع السابق* ، ص ١٤٦ ـ ١٤٨ ؛ ربيع حامد خليفة ، *توقيعات الصناع* ، ص ٨٧ ، وللمزيد عن وصف المنبر وزخارفه وحشواته راجع: ربيع حامد: *نفسه* ، ص ٨٧ ـ ٨٨ .

(٢) مصطفى شيحة : *المرجع السابق* ، ص ١٤٨ ـ ١٤٩ .

١١– صناعة البناء وصناعات أخرى

ازدهرت صناعة البناء بدورها في بلاد اليمن وساعد على ذلك اهتمام ملوك اليمن وسلاطينها بإقامة العمائر المختلفة ، وشاركهم في ذلك العديد من وجوه الدولة وأعيانها ، وقد تطلبت إقامة هذه العمائر العديد من الفنيين والعمال المهرة المدربين الذين كانوا يلقون الكثير من مظاهر التشجيع والترغيب من قبل الحكام [١] . فبرع العديد منهم في فن البناء والتشييد وما يلحق به من نحت وطلاء وتوفيص للحجارة وترخيم وغيرها [٢] .

وتختلف مواد البناء في هذه المنشآت وتتنوع ، فالحجارة الجيدة تتوفر في جبال اليمن ، والآجر كان شائع الاستخدام في البناء [٣] ، كذلك استخدموا الجبس (النورة) ، والقضاض (الأسمنت) [٤] . وتختلف نوعية مواد البناء تبعاً لاختلاف أهمية البناء والغرض الذي أقيم من أجله . ومن الجدير بالذكر أن البنائين اليمنيين اهتموا بتحميل الواجهات وتزيينها لإضافة اللمسات الجمالية ومظاهر الفخامة عليها ، واستخدموا في ذلك العديد من الزخارف الهندسية والنباتية وكذلك الأشرطة الكتابية ، وشاع ذلك في مختلف العمائر كواجهات المنازل والقصور ، ولعل ذلك الأمر يتضح فيما زودتنا به المصادر من نصوص عن أحد قصور ثعبات بالعصر الرسولي.التي تعبر عن مدى ازدهار فن البناء والتشييد وما لحق به من صناعات تكميلية من دهان وترخيم وزخرفة وغيرها [٥] .

---

[١] ابن المجاور : _المستبصر_ ، ص ١٢٦ ؛ الخزرجي : _الكفاية_ ، ق ٣٩ ، ويذكر الخزرجي أن السلطان الناصر أحمد بن الأشرف الثاني أغدق على البنائين العاملين في عمارة إحدى الدور السلطانية عام ٨٢٠ هـ / ١٤١٧ م وتعرف بدار التعبم الأموال ومنحهم ٢٠ ألف دينار على سبيل التشجيع لإتمام العمارة . (وراجع ما سبق ص ٢٨١ وما بعدها من الكتاب) .

[٢] الخزرجي : _العقود_ ، ج١ / ٣١١ .

[٣] ابن المجاور : _المصدر السابق_ ، ص ١٤٨ ؛ ابن الديبع : _الفضل المزيد_ ، ص ٤٩ ، ١٠١ ؛ الكبسي : _اللطائف السنية_ ، ق ٣٦ ، ٤٨ .

[٤] ابن المجاور : _المصدر السابق_ ، ص ٢٦٨ ؛ أحمد حسين شرف الدين : _اليمن عبر التاريخ_ ، ص ٢٠٣ ؛ عبد الله أحمد الثور : _هذه هي اليمن_ ، ص ٢٨٥ .

[٥] الخزرجي _العقود_ ،ج٣١١/١، _العسجد_ ،ق ١٨٠ حيث يشير النص إلي الشبابيك أو المشربيات التي اكتنفت جدران هذا القصر وواجهاته مما يوضح ازدهار فن الصناعات الخشبية.وكانت هذه المشربيات أو الشبابيك تجمل بها واجهات المنازل والقصور بالإضافة إلي إدخال الضوء والتهوية إلي داخل هذه الأبنية،واستخدامها أيضا كعنصر معماري زخرفي لتغطية بعض الفراغات وتيسير استغلال الدهاليز العليا المطلة على القاعات والأفنية(أنظر:مصطفى شيحة، _المرجع السابق_ ،ص١٥٥) .

وقد وصلتنا أسماء بعض عرفاء البناء والزخرفة المعمارية من خلال أعمالهم التي ظلت موجودة حتى الآن تشهد بمدى براعتهم ، وما وصلت إليه صناعتهم من تقدم آنذاك ، منهم عبدالله ابن أبي الفتوح وهو من الجصاصين ، وقام بصنع محراب جصي بجامع الجند يرجع تاريخه لعام ٦١٨ هـ / ١٢٢١ م ، وقد سجل اسمه أعلى العمودين الذين يزينان جانبي المحراب ونصها " فرغ من عمل هذا المحراب العبد الفقير إلي رحمة الله عبد الله بن أبي الفتوح ، في شهر رجب سنة ثماني عشر وستمائة وصلى الله على محمد وآله ورضى الله عن الصحابة أجمعين " [١] .

ونلاحظ أن تاريخ الفراغ من عمارة هذا المحراب يتفق وما أوردته المصادر من عزم الملك المسعود الأيوبي على تجديد عمارة مسجد الجند ، بعد هدمه ، فأمر بهدم العمارة الأولى " إلا أنه تعذر عليه إعادة بنائه لقلة الماء فلما أحدث الله المطر بعث المسعود بمال عظيم إلي الشيخ ظهير الدين على بن عمر وأمره أن يبني المسجد بناء جيداً ، ويفعل فيه ما جرت به عادة الملوك في المباني من التهذيب والزخرفة ، وأن يجعل على بابه منزلاً لطيفاً لقعوده فيه ففعل ... " [٢] .

ومنهم أيضاً أحد أقربائه ويدعى عبد الصمد بن أحمد بن أبي الفتوح وولده أحمد [٣] ، وقد قاما بعمل محراب جصي في الجامع الكبير بصنعاء عام ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م ، ويبدو أنها أسرة يمنية تخصص أفرادها في أشغال الجص والمحاريب الجصية في ق ٧ هـ / ق ١٣ م ، ولا يزال توقيعهما مسجلاً في موضعين على جانبي المحراب بأعلى تاج العمودين المكتنفين لحنية المحراب [٤] . وجدير بالذكر أنه أعيد حديثاً زخرفة هذا المحراب والمنطقة المحيطة به وكسيت بطبقة من الجص وبخاصة تلك الأشرطة الكتابية [٥]

---

[١] ربيع حامد خليفة توقيعات الصناع ، ص ٨٣ – ٨٤ .

[٢] يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ق ١ / ٤١٧ – ٤١٨ ؛ وعن تفاصيل هذا المحراب واستخدام الجصاص للزخارف النباتية في طاقية المحراب وبنيقتي عقده ، والكتابة النسخية في الأفاريز ، مما يتفق و الأسلوب المتبع في العمائر الأيوبية (راجع : ربيع حامد خليفة : المرجع السابق ، ص ٨٤) .

[٣] لعلنا نلاحظ من تشابه الأسماء الخاصة بجصاص جامع الجند مع هذين الأخيرين وجود علاقة عائلية فيما بينهم ، ويذكر الحجري : مساجد صنعاء ، ص ٢٩ أن صانع محراب جامع الجند كان عما للصانع عبد الصمد (راجع أيضا ربيع حامد خليفة : نفس المرجع ، ص ١٨٤) .

[٤] عن وصف المحراب وتفاصيله الزخرفية ونص توقيع الصانعين راجع : الحجرى : مساجد صنعاء ، ص ٢٩ ؛ ربيع حامد خليفة : المرجع السابق ، ص ٨٤ ٨٥

[٥] Serjeant , San ' a , p . 324

كذلك ورد في بعض المصادر أسماء عدد آخر من المعماريين اليمنيين الذى تولوا الإشراف على عدد من المنشآت المعمارية في العصر موضوع الدراسة ، نذكر منهم على سبيل المثال:سعد السِّياد عمر بن عبد الله النجار،الذى أشرف على بناء مدرسة ضراس عام٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م التى تنسب إلي الحرة إبنة شرف الدين محمد بن الحسن بن رسول[١]،وإبراهيم بن عبد الله مسعود شيخ البنائين أو عريف العرفاء الذى نفذ الزخارف الجصية الخاصة بقبة مسجد الفليحى وهو أحد مساجد شمال صنعاء ويرجع تاريخه لعام ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م[٢]، وشاركه العمل في هذا المسجد وقاما معه بتنفيذ زخارف محراب ذات القبة ابناه عبد الله وعلى [٣] .

كما أمدتنا المصادر أيضاً بأسماء عدد من الأشخاص الذين أسند إليهم الملوك مهمة الإشراف والمراقبة على تنفيذ الإنشاءات التى أمروا بها ، منهم الأمير عمر بن عثمان بن محيا ، الذى أوكل إليه المجاهد الرسولى مهمة الإشراف على عمارة أسوار مدينة زبيد وأبوابها وخنادقها عام ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨[٤] م ، وكان يشغل وظيفة أمير المدينة ومشدها وناظرها . ومنهم أيضاً المعمار : الصديق بن عمر الموزعى الذى أشرف على تجديد عمارة مسجد الأشاعر بزبيد عام ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨ م زمن الملك الظاهر يحيى الرسولى " فَعَمَرَّ المسجد عمارة متقنة وزاد فيه زيادات حسنة منها أجنحته الشرقى والغربى واليمانى " [٥] .

صناعات أخرى :

والى جانب الصناعات السابقة وجدت صناعات أخرى صغيرة منها صناعة موائد الأسمطة والأبسطة من سعف النخيل [٦] . كذلك عرفت اليمن صناعة السكر ، التى تقوم على قصب السكر الذى انتشرت زراعته هناك منذ فترة طويلة [٧] وكان يطلق على مصانعه اسم المسابك ، منها مسبك سكر الأملاك

---

(١) الأكوع : *المدارس الإسلامية* ، ص ٢١٦ .
(٢) الحجرى:*مساجد صنعاء*،ص٩٠،وراجع أيضا:ربيع حامد خليفة:*الفنون الزخرفية* ، ص ١٨٣ .
(٣) ربيع حامد خليفة : *الفنون الزخرفية* ، ص ١٨٤ .
(٤) ابن الديبع : *الفضل المزيد* ، ص ٩٧ .
(٥) ابن الديبع : *المصدر السابق* ، ص ١١٢ .
(٦) ابن بطوطة : *الرحلة* ، جـ٢ / ١٦٤ ، ٢٠١ .
(٧) راجع عن زراعة قصب السكر ، ص ٢٣٣ .

السلطانية الذى كان قائماً في جبلة زمن الجندى أى في النصف الأول من ق ٨ هـ / النصف الأول من ق ١٤ م ، ويذكر العمرى أن صناعته كانت بسيطة لا تقارن بمثيلتها في مصر والشام [١] .

وقد ساعد توفر السكر وعسل النحل على تقدم صناعة الحلوى باليمن وقد تفنن أهلها في صناعتها واكتسبوا شهرة في ذلك [٢] ، حيث يشير الهمدانى إلي براعة أهل اليمن في صنع الحلوى ومذاقها الطيب بقوله إذا شرع الرجل في أكلها فإنه قد يقضم على طيبها " بعض أنامله " [٣] ، وكانوا يصنعونها من " معقدات الأترج والقرع والجزر وقديد الخوخ " وغير ذلك [٤] .

ومن أشهر أنواع الحلوى التي اشتهر أهل اليمن بصنعها الشهد الحضورى الماذى الجامد الذى يقطع بالسكاكين ، وكان مما يهادى به إلي العراق ومكة وسائر البلدان [٥] . وكانت طريقة عمله تتم بتسخين معقدات الفاكهة تحت حر الشمس حتى يصير في عقود قصب البراع ، ثم يوضع في مظروف ويترك في مكان بارد حتى يجمد ، ثم تختم أفواه المظروف بالفضة ويُخزَّن . وإذا رغب في تقديمه على الموائد ، يتم إفراغه بكسر المظروف فتخرج منه الحلوى مجمدة ، فترفع إلي الموائد على " طيفورية [أى طبق صينى] أو رغيف " ويستعمل السكين في قطعها [٦] .

---

(١) العمرى : *مسالك الأبصار* ، ص ١٥٩ ؛ الجندى : *السلوك* ، ق ١٥٤.

(٢) ابن بطوطة : *الرحلة* ، ج٣ / ٤٢١ – ٤٢٢ ، ٤٢٥ ؛ جواتياين : *دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية* ، ترجمة : عطية القوصى ، ط١ ، الكويت ، ١٩٨٠ ، ص ٢٦٧ – ٢٦٩ حيث وردت الحلوى اليمنية المصنوعة من الجوز ضمن قوائم السلع المصدرة من اليمن إلي الهند ، مما ينهض دليلاً بدوره على شهرة اليمن في هذا المجال .

(٣) الهمدانى : *صفة جزيرة العرب* ، ص ١٩٨ .

(٤) الهمدانى : *نفس المصدر والصفحة* .

(٥) الهمدانى : *نفس المصدر والصفحة* .

(٦) الهمدانى: *نفسه* ، ص ١٩٩ ؛ *الإكليل* ، ج١ / ٢٤٠ .

الفصل الثالث
التجارة الخارجية والداخلية

الفصل الثالث
التجارة الخارجية والداخلية

أولاً : التجارة الخارجية

١- الطرق التجارية
٢- حركة الصادر والوارد
٣- أشهر المدن التجارية
٤- إجراءات ديوان عدن لتحصيل الضرائب في حالتى الورود والصدور
٥- العشور والضرائب
٦- سياسة حكام اليمن وأثرها على أوضاع التجارة بمدينة عدن

ثانياً : التجارة الداخلية

١- الحركة التجارية في الأسواق بين مدن اليمن
٢- الأسواق التجارية
٣- أنواع التجار والباعة
٤- الحسبة والمحتسب
٥- نظام الطوائف الحرفية

ثالثاً : المعاملات التجارية

أولاً : التجارة الخـــارجية

١- الطـرق التجـارية

لعبت التجارة دوراً هاماً في الحياة الاقتصادية لبلاد اليمن في العصـــر الأيـــوبى والرسولى،وغدت مركزاً هاماً لتجارة سلع الشرق،حيث كانت السفن التجارية القادمة من شتى مرافئ الهند والصين والسواحل الشرقية للقارة الإفريقية،تصل إلي فرضة عـــدن، حيث تفرغ وسقها من البضائع المختلفة،ثم من عدن تنقل البضائع عبر الطرق التجاريـــة اليمنية سواء البحرية منها أو البرية إلي الشمال حيـــث بـــلاد الحجـــاز ومصـــر،ومن الإسكندرية ميناء مصر الأول ، كانت توسق بها السفن إلي دول الغـــرب الأوربى [١] .

ومن أهم الطرق التجارية اليمنية : -

١- الطـرق التجارية البحـرية :

تطل اليمن على البحر الأحمر من جهة الغرب ، وعلى المحيط الهندى من جهـــة الجنوب ، كما تتحكم في مضيق باب المندب الموصل بينهما ، وقد جعلها هذا الموقـــع تتوسط أقصر الطرق البحرية الموصلة بين المحيط الهندى والبحر المتوسط، مما كان له أثره البالغ في الدور الذى لعبه اليمنيون في التجارة العالمية عبر هذه البحار ، طوال العصـــور التاريخية ، فكانوا وسطاء التجارة البحرية بين الهند والصين من جهة ، والقرن الإفريقى وسواحل البحر الأحمر من ناحية أخرى .

وقد تطلب الإبحار إلي هذه المناطق خبرة عميقة ودراية بمسالك هذه البحار ومواضع الصخور والأعشاب المرجانية المعوقة لحركة الملاحة،وكذلك مواضـــع الخلجـــان الصـــالحة للرسو،ومواسم التيارات البحرية المضادة والمواتية وحركات المد والجزر وارتفاع الموج ومدى قوة الرياح إلي غير ذلك من الأمور الملاحية.ومن المعروف أن الرياح في ذلك الوقت كانت هى القوة الدافعة الرئيسة لحركة المراكب الشراعية وتسييرها من مكان لآخر،وكان لهذه الريـــاح مواقيت معروفة لدى النواخذة والملاحين يستلزم منهم دراية كاملة بمواسمها التى يصلح فيهـــا الإبحار وغير الصالحة لمسير السفن،ويوضح هذه الأمور النص التالى"والمعلم الماهر لا تخفـــى عليه جميع الأرياح ومواسم[أسفار]جميع الدنيا لأنها مرتبة على الأرباح" [٢] .

---

[١] المقريزى : *السلوك* ، ج٣ / ٤١٦ ؛ الفاسى : *العقد الثمين* ، ج٣ / ٢٥ .
[٢] حسن صالح شهاب : *فن الملاحة عند العرب* ، دار العودة ، بيروت ١٩٨٢ ، ص ١٨٧ .

ولقد أوضح جغرافيو العرب ما كان يواجهه الملاحون في بحر القلزم من صعوبات مما يستلزم توفر قدر كبير من المهارة لدى النواخذة لتخطى الشعاب المرجانية التي تعترض المجرى الملاحى به في كثير من المواضع [١] فالبحر على حد قول الاصطخرى " مثل الوادى به جبال كثيرة قد علا الماء عليها ، وطرق السفن بها معروفة ، لا يهتدى فيها إلا بربان يتخلل بالسفينة في أضفاف تلك الجبال بالنهار ، أما بالليل فلا يسلك " [٢] .

وكان الملاحون اليمنيون على دراية كاملة بمعرفة الرياح الموسمية الصيفية المساعدة على دفع السفن جنوباً ، والرياح الموسمية الغربية التى تساعدها على الاندفاع ناحية الهند ، والرياح الموسمية الشتوية التى تتجه إلي الشمال الشرقى ، الأمر الذى أفادهم كثيراً في رحلاتهم المتجهة عبر البحار المختلفة [٣] . هذا بالاضافة إلي ما اكتسبوه من خبرات عن رياح القبول والدبور ، والمعروف أن أول رياح الدبور ما يوافق ١١ مايو ويعرف هذا الموعد بـ " غلق الموسم " حيث تتوقف حركة السفن والمسافرين فيه ، أما آخره فيسمى " مفتاح البحر " لبداية السفر معه وبذلك فإن مواسم المُدة أو الرحلات التجارية بين المراسى الغربية والجنوبية وبين المراسى الشرقية والشمالية في الصيف وهو ما يسمى بالدبور . كما يبدأ الارتحال من المراسى الشرقية والشمالية للمراسى الغربية والجنوبية في الشتاء وهو ما يطلق عليه القبول ، وعندما تكون المدة الباقية من الموسم غير كافية للسفر، يتوقف السفر في الفترة المتبقية خشية تعرض السفن والمسافرين للغرق أثناء الابحار لانقلاب موسم الرياح قبل التمكن من الوصول إلي المكان المقصود [٤] .

وكانت أقصى نقطة يمكن أن تصل إليها الرحلات التجارية البحرية من جهة الشرق هى ساحل الصين ، حيث ميناء زيتون وكنيساى ، الذى لا يسلك

---

(١) حسن صالح شهاب : *فن الملاحة عند العرب* ، ص ٢٢٥ ؛ السيد عبد العزيز سالم : *البحر الأحمر في التاريخ الاسلامي* ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ١٩٩٣ ، ص ٤ – ٥ .

(٢) الاصطخرى : *المسالك والممالك* ، ص ٢٨ – ٣٠ وما بعدها ، ابن حوقل : *صورة الأرض* ، ص ٥١ ؛ نقولا زيادة : *الجغرافية والرحلات عند العرب* ، بيروت ١٩٦٢ ، ص ٣٥ – ٣٦ ؛ فارتيما : *رحلات فارتيما* ، سلسلة الألف كتاب الثانى (١٣٤) ترجمة وتعليق : د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ص ٦٢ ؛ السيد عبد العزيز سالم : *البحر الأحمر* ، ص ٥ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : *البحر الأحمر* ، ص ٥ .

(٤) حسن صالح شهاب *فن الملاحة* ،ص١٨٨ وما بعدها؛السيد عبد العزيز سالم *البحر الأحمر*، ص ٥.

بعده ، وآخر مكان يصل إليه المسلمون غرباً إلي شرق افريقية هو قنبلو أو مدغشقر، وكانت عدن هى المركز التجارى الكبير بين بلاد العرب وشرق افريقية[1]. أما المسافة من جزيرة العرب إلي الهند فقد كانت تستغرق شهراً ومن الهند إلي سواحل الصين حوالى شهرين ، وإذا أضفنا اليها فترة الراحة في المراسى على طول الطريق وانتظار الموسم المناسب للابحار وحلول الرياح الصالحة ، فإن الرحلة تستغرق من سواحل الجزيرة العربية الجنوبية إلي الصين ما يقرب من ستة شهور ومثلها في رحلة العودة [2] .

واستخدم البحارة اليمنيون في رحلاتهم البحرية طريقين أحدهما وهو بمحاذاة السواحل ، والآخر اختراق البحر مباشرة ، أما الطريق الأول ، فكانت تجوبه السفن المتجهة من عدن إلي عمان وفارس ثم الهند [3] .

كما كان السير من الشرق الأقصى يبدأ من الصين ، ثم يمر بسواحل الهند الغربية إلي أن يصل لساحل عمان ، ثم سواحل اليمن الجنوبية فالبحر الأحمر ، أما السفن المتجهة إلي القرن الأفريقى وسفالة الزنج ، فكانت هى الأخرى تسير بمحاذاة ساحل شرق أفريقيا حتى بلاد الزنج [4] ، وقد شرح ابن المجاور ذلك حيث يقول " ومن عدن إلي مقدشوه موسم (أى رحلة تستغرق موسماً تجارياً) ، ومن مقدشوه إلي كلوه موسم ثانى ، ومن كلوه إلي القمر موسم ثالث ، فكان القوم يجمعون الثلاثة مواسم في موسم واحد " [5] .

وتعددت أسباب تفضيل النواخذة السير بسفنهم بمحاذاة الشاطئ منها صغر حجم السفن التى يقودونها ، وخوفهم كذلك من شدة الرياح إذا داهمتهم

---

[1] نقولا زيادة : الجغرافية والرحلات ، ص ٣٨ ، ٢٢٧ ؛ نعيم زكى فهمى : طرق التجارة الدولية ومحطاتها ، بين الشرق والغرب في أواخر العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٧٣ ، ص ١٦١ ؛ وعن ميناثى زيتون وكينساى راجع طرق التجارة ، ص ١٦٣ – ١٦٤ .

[2] جورج فاضلو حورانى : العرب والملاحة فى المحيط الهندى ، ترجمة د. يعقوب بكر ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٢١٩ – ٢٢٠ ؛ على حسن الناصرى : النشاط التجارى فى شبه الجزيرة العربية فى أواخر العصور الوسطى ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٨١ م ، ص ١٤١ ؛ وراجع أيضاً : نعيم زكى فهمى : المرجع السابق ، ص ١٦٥ – ١٦٦ .

[3] نقولا زيادة : المرجع السابق ، ص ٢٢٧ .

[4] على حسين الناصرى : النشاط التجارى في شبه جزيرة العرب ، ص ١٣٤ – ١٣٦ .

[5] ابن المجاور : المستبصر ، ص ١١٧ ؛حسن صالح شهاب : أضواء على تاريخ اليمن ، ص ٧٢ .

وهم في لجة البحر ، أو أن السير بمحاذاة البر يوفر لهم الأمان عند هياج البحر وارتفاع الأمواج ، أو هرباً من متجرمة البحر الذين دأبوا على التعرض للرحلات التجارية ، ومنها رغبة بعض التجار في ممارسة عمليات التبادل التجارى عبر موانئ هذه الشواطئ ، أو التزود بما يحتاجون إليه من المياه والميرة بالموانئ التي يمرون بها .

أما الطريق الثاني وهو اجتياز البحر من وسطه ، فكانت تسلكه السفن اليمنية فتقطع المحيط الهندى مباشرة إلي كُولم ملي (كويلون) في جنوب ساحل ملبار ، ثم تمضي في طريقها من هناك إلي الصين . وكانت رحلة العودة من الصين إلي الهند ثم إلي مهرة ببلاد اليمن تسلك نفس الطريق [١] .

أما إجتياز البحر مباشرة إلي القرن الأفريقي فقد مارسه نواخذة اليمن أيضاً، وأوضح ابن المجاور ذلك قائلاً " .... فكان القوم يجمعون الثلاثة مواسم في موسم واحد ، وقد جرى مركب من القمر إلي عدن بهذا المجرى سنة ست وعشرين وستمائة ؟ ، أقلع من القمر وكان طالباً كلوه فأرسى بعدن " وتابع تأكيده على حدوث اختراق البحر مباشرة فيقول " ... وكانوا يطلعون من القمر يأخذون عدن رأساً واحداً في موسم واحد " [٢] ويمكن القول أن الارتحال عبر البحر مباشرة وليس بمحاذاة الساحل كان وقفاً على ما يبدو على السفن الضخمة الموسقة بكميات كبيرة من البضائع ، والمتجهة إلي أماكن بعيدة ولا تحتاج معها للتوقف في أى من مراسى الشواطئ .

٢- الطرق التجارية البرية

اهتم حكام اليمن عبر حقب التاريخ الاسلامى بالطرق التجارية البرية ، لكونها تخدم أغراضاً مختلفة متعددة يأتى على رأسها تسهيل وصول قافلة الحج اليمانى وسير الجيوش من موقع إلي آخر للدفاع عن الحصون والمدن وتيسير وصول البريد من العاصمة إلي الولاة والنواب في المدن والحصون بأنحاء اليمن ، وأيضاً

---

[١] جورج فاضلو حورانى :*العرب والملاحة* ، ص ٢٠٨ ؛ نقولا زيادة : *الجغرافية والرحلات* ، ص ٢٢٧ ؛ نعيم زكى فهمى : *طرق التجارة* ، ص ١٦٥ .

[٢] ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١١٧ .

لخدمة التجارة سواء الداخلية منها أو الخارجية حيث تنقل العير البضائع إلي كافة أرجاء اليمن ، ومنها إلي خارجها شرقاً وغرباً .

وجرت عادة حكام اليمن منذ القدم على تعمير الطرق وتعبيدها وارساء بعض مظاهر العمران بين كل محطة وأخرى تتمثل في اقامة مسجد للمصلين ، واستراحة ، وبئر لمياه الشرب [1] ، وكثيراً ما كانوا يعبدون هذه الطرق عبر القرى اليمنية ضماناً لأمن وراحة المسافرين عبرها ، وتوفيراً للاغراض التي قد يحتاجها المسافر أثناء السفر . وكانت توجد في اليمن في العصر موضوع الدراسة ثلاثة طرق برية رئيسة هي : -

الطريق الساحلي ، وطريق السهل الشرقي ، والطريق الجبلي ، وسنتناول كل طريق منها بشئ من الايجاز .

أ- <u>الطريق الساحلي</u> : ويعرف بطريق تهامة ، ويبدأ مساره من عدن عبر تهامة ويتفرع إلي طريقين منذ بدايته : الطريق الأول ويعرف بالطريق الساحلية ، ويمتد بمحاذاة الساحل مباشرة ابتداء من عدن إلي باب المندب ، ثم المخا والسحارى ، والخوخة (الخوهة) والأهواب وغلافقة ثم الشرجة وعصر ثم حنضة فحلي فذهبان والسرين إلي أن يصل إلي جدة . أما الطريق الآخر ويعرف بالطريق الأوسط أوالجادة السلطانية ، فيبدأ هو الآخر من عدن متجهاً إلي الداخل وأهم محطاته موزع وحيس وزبيد ، وفشال والقحمة والكدراء والجثة والمهجم ومَوْرَ وجيزان والساعد وتعثر والهجر ، ثم يلتقي الطريقان عند السرين ، ويعودان إلي الافتراق عندها فيتجه الطريق الأوسط إلي مكة ، بينما يتجه الطريق الساحلي إلي جدة ، وتستغرق رحلة القوافل على هذه الطرق من عدن إلي مكة في تلك الفترة نحو شهر [2] .

---

(1) راجع عن ذلك انشاءات الحسين بن سلامة آخر أمراء الدولة الزيادية بزبيد في أوائل ق ٤ هـ فقد قام باصلاح الطرق وتعبيدها على طول اليمن من حضرموت إلي مكة ، مرورا بعدن وأبين ولحج ، وطول المسافة التى تستغرقها الرحلة فيها ستين يوما . (راجع : عمارة اليمنى : <u>*تاريخ اليمن*</u> ، ص ٧١ ؛ الخزرجي : <u>*الكفاية*</u> ، ق ٤٩) .

(2) عمارة اليمنى : <u>*تاريخ اليمن*</u> ، ص ٧٦ - ٨٠ ؛وانظر ايضا : الخزرجى : <u>*الكفاية*</u> ، ق ٥٠ ؛ المقدسى : <u>*أحسن التقاسيم*</u> ، ص ٥٣ .

وقد ازدادت أهمية هذا الطريق الساحلي في الفترة موضوع البحث وذلك نتيجة لزيادة النشاط التجارى وحركة الرحلة والاتصالات بين مصر واليمن،وهو نشاط بدأت ملامح زيادة كثافته مع قيام دولة الصليحيين في اليمن وارتباطاتها القوية مع مصر الفاطمية

ب — <u>الطريق الجبلي</u> وهو الطريق الذى يصعد إلي الجبال مخترقاً السلسلة الوسطى من جبال اليمن طولا ويسير هذا الطريق من عدن إلي الجوة والجند وذى أشرق، وإب ، ثم النقيل ، ثم دمار وصنعاء ، وريدة وأثافت وخيوان ، وصعدة وجرش وبيشة ومنه إلي الطائف الخ [١] وقد نشطت حركة الرحلة عبر هذا الطريق في العصور الإسلامية الأولى ، وخاصة إبان فتره الحكم الأموى ثم العباسى، إذ ورد ذكره كثيراً في كتابات الجغرافيين الأول كالمقدسي وابن خرداذبة ، فيذكرون محطاته العديدة التي تمر بها قوافل الحج والتجارة ، بينما تقل معلوماتهم عن الطريق الساحلى السابق ذكره ، مما يشير إلي كثرة استخدام الطريق الجبلى آنذاك ، باعتباره الطريق الرئيس لقوافل الحج والتجارة، ولعل ذلك كان بحكم الصلة الوثيقة آنذاك بين اليمن والخلافة العباسية ببغداد لاسيما في عصر القوة ونعني به العصر العباسي الأول

ولكن مع قيام الدويلات المستقلة باليمن كالدولة الزيادية والدولة النجاحية ودولة الصليحيين وغيرها،بدأت أهمية هذا الطريق في التضاؤل تدريجياً،لتحول حكام هذه الدويلات عن هذا الطريق وتفضيلهم الطريق الساحلى عبر تهامة،وقد ساعد على ذلك التحول العداء التقليدى القائم بين دولة الأئمة الزيدية بصعدة وبين حكام الدويلات اليمنية في الوسط والجنوب،الأمر الذى يعرقل سير القوافل إذا ما اتخذت طريقها عبر الجبال عند صعدة[٢]،كما ساعد على هذا التحول،وعورة مسالك هذا الطريق عبر المضايق والممرات الجبلية الضيقة التي كانت لا تسمح في بعض أجزائها إلا بمرور الواحد تلو الآخر مما يسهل الاعتداء عليهم والإمساك بهم من قبل الزيديين،الأمر الذى أدى في النهاية إلي تقلص النشاط التجارى عبره وتحوله إلي طريق الساحل التهامى

عمارة اليمنى <u>تاريخ اليمن</u> ، ص ٧٣ - ١٥٠ ؛ وانظر ايضا مجهول <u>نموذج ملوك اليمن</u> . و ٥؛ وراجع الأصطخرى ، <u>المسالك والممالك</u> . ص ٢٧ ٢٨ المقدسى <u>أحسن التقاسيم</u> ص ١١٢ ، ابن خرداذبة <u>المسالك والممالك</u> ، ص ١٣٤ ١٣٥ ، الخزرجي : <u>الكفاية</u> ، ق ٥

يويد ذلك صاحب سيرة الامام أحمد بن سليمان حيث يذكر ان قافلة من التجار شقت الطريق عبر صعدة فامسك بهم جند الامام الذى أشار بحبسهم ولم يتم اطلاق سراحهم الا بعد استخلاص اربعه الاف دينار منهم ، انظر سليمان الثقفى <u>سيرة الامام احمد بن سليمان</u> ، و ١٣ ؛

ج – طريق السهل الشرقي : ونعني به الطريق الممتد في جنوب اليمن من حضرموت عبر شبوة ومأرب إلي نجران ومنها إلي مكة أو جدة،وبالعكس إلي شبوة في طريق الرجوع،ومنها إلي حضرموت ثم إلي عدن،وهذا الطريق كان الطريق المألوف للقوافل التجارية في العصور القديمة،ولكن تضاءلت أهمية هذا الطريق في العصر الإسلامي وقل استعماله لعدم توافر المياه الكافية لقوافل الحجيج والتجارة عبر مراحله ومحطاته وإن كنا لا نعدم مرور بعض القوافل عليه رغم صعوبته لا سيما تلك المتجهة إلي مكة وخاصة في موسم الحج لقربه نوعاً من مكة ولذا فقد ظل البعض يسلكه على فترات متقطعة في العصر الإسلامي،يؤيدنا فيما نذهب إليه الاصطخرى وما ذكره في سياق حديثه عن هذا الطريق بقوله "وأما أهل حضرموت ومهرة كانوا يقطعون بلادهم في العرض ويسيرون حتى يصلوا إلي طرق الجادة(أحد فرعي الطريق الساحلي)بين عدن ومكة–والمسافة بينهم إلي الاتصال بهذه الجادة ما بين ثلاثين إلي خمسين مرحلة ... "[1] .

وبالإضافة إلي هذا الطريق استخدم طريق فرعي آخر كان يمثل بدوره أهمية قصوى لأهل حضرموت في العصر الإسلامي بصفة عامة،ونعني به الطريق الممتد من حضرموت إلي عدن ومنها إلي مكة وبقية المناطق الشمالية[2]،وتشير بعض الروايات إلي أن عدداً من تجار اليمن كانوا يسلكون مثل هذه الطرق الصحراوية ببضائعهم وتجارتهم قاصدين مكة لاسيما أهل السروات،وكانوا يجمعون بين النية في العمرة وميرة البلد بضروب كثيرة من البضائع من بينها الغلال والحبوب والسمن وأنواع الزبيب،وعند وصولهم ترخص الأسعار ويفيض الخير،وكان هؤلاء التجار يقايضون على بضائعهم بالعباءات والملاحف التي يعدها لهم أهل مكة[3] .

ويبدو أن أهل مكة وتجارها كانوا يحملون بدورهم الأدم وسائر البضائع التي تأتيهم من اليمن إلي سائر نواحي الجزيرة العربية فيبيعونها ويربحون من ورائها مكاسب طائلة ، ويشير ناصر خسرو إلي أن بلدة " فلج " وهي من بوادي الحجاز كانت مركزاً تجارياً هاماً تأتيها السلع المختلفة من اليمن ، فيحملها التجار إلي الإحساء وشرق جزيرة العرب [4] .

---

(1) الاصطخرى :*المسالك والممالك* ، ص ٢٨ ؛ عمارة اليمني : *المصدر السابق* ، ص ٧١ ؛ الخزرجي : *الكفاية* ، ق ٤٩ ؛ يوسف عبد الله : *أوراق في تاريخ اليمن* ، ج١ / ١٧٥ .

(2) عمارة اليمني :*المصدر السابق* ، ص ٧١ .

(3) ابن جبير : *الرحلة* ، ص ١١٢ – ١١٣ .

(4) ناصر خسرو علوى : *سفر نامة* ، ص ٩٠-٩١.

٢- حركـــة الصادر والـــوارد

كانت أسواق اليمن تكتظ بأنواع عديدة من السلع سواء المحليـــة منـــها كالمصنوعات والمنتجات اليمنية التي كانت تشتهر بها وتعمل علـــى تصـــريفها في الأسواق الخارجية ، أو تلك السلع الشرقية وخاصة الأفاوية ، التي كان لها ســـوق نافقة في الغرب الأوربي وبخاصة تلك الواردة من الشرق الأقصى أو سلع ســـواحل افريقيا الجنوبية الشرقية ، الأمر الذى أدى إلي التنوع الشديد في حركـــة الصـــادر والوارد التي تتضح من خلال السطور التالية عن صادرات اليمن ووارداتها : -

أ- الصـــادرات

كانت اليمن تصدر العديد من المصنوعات ومنتجات أراضيها إلي كثير من الدول المجاورة ، فعلي سبيل المثال كانت تصدر من الأحجـــار الكريمـــة العقيـــق والجزع [1] ، ومن المنسوجات البرد المتقنة التي اشتهرت بجودة صـــناعتها . ومـــن الأسلحة أصناف السيوف اليمنية المتميزة بجدتها وصلابتها [2] ، كما تقوم بتصدير سائر أنواع الثياب والوشي الجيد والعنبر ، وبعض أنواع مواد صباغة الملابس وعلى رأسها الورس والنيلة والفوة [3] ، ومن الحيوانات الخيول العـــراب الجيـــدة الـــتي تستخدم في السباق ، والبغال والحمير والأغنام [4] ، وطيور الصيد الجارحة [5] .

ومن المنتجات اليمنية أيضاً التي شاع تصديرها إلي مختلف البلـــدان،التمر والدخن والذرة وكانت تصدر إلي الحجاز،كما كان الجزع يصدر إلي الحبشة[6] .

---

(١) الأصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٢٦ ؛ ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، ص ٣٦ ؛ المقدسى : احسن التقاسيم ، ص ٩٧ ، وأنظر أيضا : ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٤٤ .

(٢) القزوينى : آثار البلاد ، ص ٤٦ ، ٩٦ ؛ Serjeant , Islamic Textiles , p . 127

(٣) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ٧١ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٤٣ ، ابن المجاور : المستبصر ، ص ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٧٥ ؛ Serjeant , op . cit , p . 127

(٤) ابن خرداذبة : المصدر السابق ، ص ٧١ ؛ ابن المجاور : المستبصر ، ص ١٤١ ؛ ابن بطوطة :الرحلة ، جـ٢ / ١٩٦ – ٣٧٤ ؛ المقريزى : السلوك ، جـ٢ / ٤٣٥ ؛ القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٥ / ٨١ ؛ Serjeant , Islamic Tex . p . 127

(٥) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٨ / ٧٣ .

(٦) الإدريسى نزهة المشتاق ، جـ١ / ٤٣ – ٤٤ ويذكر أيضا أن المدن الساحلية الحبشية تمتار مما يجلب إليها من اليمن في البحر .واكثر مراكب القلزم تصل إلي المدن الحبشية بأنواع التجارات التى يتولى أهل الحبشة مهمة تصريفها في بلادهم(وراجع أيضا:ابن المجاور :المستبصر : ص ٨٩) .

واللبان إلي مختلف الدول كالهند وخراسان والصين واللك في عيدانــه إلي مصــر وغيرها من البلدان [١] .كما تخصصت بعض المناطق اليمنية بتصدير الفائض مــن منتجاتها فكان يتم تصدير السمك المجفف من الشحر إلي عمـــان والبصـــرة [٢] . واللبان من الشحر ومرباط ويتجهز به إلي " جميع المشارق والمغارب " [٣] . والصبر من حضرموت وسقطرى [٤] وكانت صنعاء وفقاً لما أورده ابن رستة تصدر الأدم ، والنعال المشعرة ، والأردية والبرود والأنواع المختلفة من الثياب ، والجزع وأنـــواع الخرز وألوان الفصوص والأواني [٥] . وكانت صعدة تصدر الجلـــود [٦] ، وعـــدن العطور [٧] . أما شتى أنواع المنسوجات كالثياب والبرود بأنواعها فكانت تصـــدر من السحول وشرعب والمعافر وعدن وحجة وغيرهـــا إلي مختلـــف الأنحـــاء [٨] . واشتهرت زبيد بتصديرها لعدد من منتجاتها ويأتى على رأس صـــادراتها الملابـــس بأنواعها لاسيما الحريرية منها ، وبعض البهارات كالزنجبيـــل ، والتمـــر الهنـــدى (الحُمَر) ، وأجوده النوع المسمى " المقلس " والمربى وهى على نوعين المقصوص منه قليل العسل ، والمطحون وهو الصنف الأكثر جودة ، كما يخرج من زبيد الأدم الذى يباع بالعدد [٩] .

---

[١] ابن المجاور : المستبصر ، ص ١٤٠ ؛ وراجع : عبد الله يوسف غنيم :جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك للبكري ، ط١ ، ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع ، الكويت ١٩٧٧ ، ص ١٣١ . واللك : صمغ نباتي له زهر اصفر وبذوره أقرب شبها لبذور القرطم ، ومنه يستنبت ، واللك صمغه وهو طل يسقط عليه ، واجوده الأحمر ويصبغ به جلود الماعز وله عدد من الاستخدامات الأخرى (راجع:مجهول:مفتاح الراحة،ص ٣٥٢؛المظفر:المعتمد،ص٤٦٠ – ٤٦١) .

[٢] المقدسى :احسن التقاسيم ، ص ٨٧ .

[٣] الإدريسى:نزهة المشتاق ، ج١ / ٥٦ ؛ راجع أيضا : الأصطخرى : المسالك والممالك ، ص٢٧؛ القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٥ / ١٥ .

[٤] الإدريسى :نزهة المشتاق ، ج١ / ٥١ – ٥٢ ، ٥٦ . ويوضح هنا الإدريسى طريقة استخراج الصبر من لحاء الأشجار ويشير إلي جودته في قوله " يتجهز به إلي سائر بلاد الله في المشرق والمغرب وصبرها ينسب إليها وبها يعرف " ويؤكد على جودة الصبر السقطرى في موضع آخر حيث يتكلم عن الغش التجارى وما يلجأ إليه تجار الصبر من سبك (خلط) الصبر الحضرموتى الأقل جودة بنظيره السقرطى الأمر الذى يضمن لهم أكبر قدر من الأرباح .

[٥] ابن رستة :الاعلاق النفيسة ، ص ١١٢ ؛ الادريسى :نفس المصدر ، ج١ / ٥٥ ؛ Serjeant , Islamic Tax , pp . 128 – 129

[٦] الإدريسى : المصدر السابق ، ج١ / ٥٥ .

[٧] راجع ما سبق عن شهرة عدن في صناعة العطور وتجارتها في الجزء الخاص بالصناعات من الكتاب .

[٨] Serjeant , Islamic Tax . p . 132

[٩] ابن المجاور : المستبصر ، ص ٨٩ ؛ Serjeant , op . cit , p . 132

ويزودنا المقدسي بقائمة تحتوى على صادرات اليمن نلحظ فيها مجموعة من السلع اليمنية ، وبعضها الآخر كان يرد إلي اليمن من البلدان الأخرى ليقوم اليمنيون بتصديره وهو ما يعرف بتجارة الترانزيت ويوضح ذلك في قوله : " والتجارات في هذا الاقليم مفيدة لأن به قصبتي الدنيا وسوق منى والبحر المتصل بالصين وجدة ، .... واليمن معدن العصائب والعقيق والأدم والرقيق ، فإلي عُمان يخرج آلات الصيادلة [يقصد الأعشاب الطبية التي تنبت بأرض اليمن] ، والعطر كله حتى المسك والزعفران والبقم والساج والساسم ، والعاج واللؤلؤ والديباج والجزع واليواقيت والأبنوس والنارجيل والقند والاسكندروس ، والصبر والحديد والرصاص والخيزران والغضار والصندل والبللور ، والفلفل وغير ذلك وتزيد عدن بالعنبر والشروب والدرق والحبش والخدم وجلود النمور .... "[1] .

ومن خلال هذه القائمة التي أمدنا بها المقدسي عن السلع التي يتاجر فيها أهل اليمن يمكن القول بأن بعضها محلى كانت تنتجه اليمن وبعضها الآخر مجلوب من الخارج . فمن المنتجات المحلية العقيق والجزع والعطور والصبر والخيزران [2]. ومن المجلوب من الخارج ويصدره تجار اليمن إلي بلاد أخرى العاج والأبنوس والديباج والغضار والبهارات وأخشاب الساج وغيرها .

وجدير بالذكر أنه كان يتم تحصيل العشور أو الضرائب على كافة البضائع سواء الواردة إلي عدن أو الصادرة منها ، أما السلع والبضائع الواردة بغرض اعادة تصديرها مرة أخرى فكانت فيما يبدو تحجز داخل الديوان(أى في مخازن الفرضة) إلي أن يتم اعادة تصديرها ثانية ، ومما يؤسف له أن المصادر لم توضح لنا ما إذا كانت تحصل عليها عشور التجارة أسوة بغيرها من التجارات الداخلة للمدينة أم

---

(١) المقدسي : _احسن التقاسيم_ ، ص ٩٧ ؛ وراجع أيضا : حسين على المسرى :_تجارة العراق في العصر العباسي_ ، نشر جامعة الكويت ، ١٩٨٢ ، ص ٣٨٣ .

(٢) يشير سرجنت إلي صناعة القصب المثنى من الخيزران والذى ينمو في اليمن ، ويصنع ليتم ارتداؤه كاغطية للرأس تحت العمامة وكان ذلك الأمر شائعا عند سكان ساحل تهامة
Serjeant , op . cit , p . 131

تعفى منها . ولكن الأمر المؤكد أنه كان يتحصل عليها ضريبة دار الوكالة ، ومال الفرضة مقابل الانتفاع بحق التخزين ، وهى ضرائب كما ذكر ابن المجاور لازمة على كل ما يدخل الفرضة حتى ولو كانت السلع معفاة من العشور وهو أمر يجعلنا نرجح رغم صمت المصادر أن بضائع الترانزيت لم تسلم هى الأخرى من كافة العشور التجارية المستحقة ويؤكده ما أورده ابن المجاور عن اجراءات نور الدين عمر بن رسول حينما تولى أمر عدن في أخريات العصر الأيوبى وهى اجراءات مالية اتسمت بالشدة والصرامة حيث لم يترك شيئاً إلا وقرر عليه الضرائب والمكوس فيما عدا الماء والسمك وفي ذلك يقول ابن المجاور " ولم يبق شئ يدور عليه اسم وحرف إلا وقد رجع فيه ضمان ما خلا الماء والسمك " [1] .

ب- الــواردات

كان يجلب إلي اليمن العديد من السلع والمتاجر من بلدان مختلفة ونلاحظ من خلال استعراض قوائم هذه السلع الواردة ، تباينها وتنوعها ، ما بين مواد خام ترد إلي اليمن بغرض تصنيعها ، ويستهلك بعضها في السوق المحلى ، وبعضها الآخر كان من قبيل تجارة العبور إذ كان الهدف منه الاتجار فيه في الأسواق العالمية خارج بلاد اليمن . وكانت بعض هذه الواردات تخضع للعشور وغيرها من المكوس ، بينما يخضع البعض الآخر للزكاة [2] .

ويأتى في مقدمة المواد الخام الواردة لليمن حيث يقوم الصناع اليمنيون المتخصصون بمعالجتها وتصنيعها ، ثم اعادة تصديرها ثانية " الأدم " أى الجلود رغم توفر أنواع منه في اليمن ، ويوضح ذلك ابن المجاور بقوله " وكانوا يدبغون الأدم ويجلب إليهم من أعلى مكة ونجران إلي عمان ومن حَلْى بنى زهرة إلي كرمان ومن كيش وجنانه وفارس ومن بنى مكرمان ومن زيلع ورحبتو والمنذرية من عدن إلي مكة .... " ، ويتم دبغ هذه الجلود الواردة في المدابغ اليمنية المنتشرة في أنحاء متفرقة من اليمن كصعدة وصنعاء وزبيد ، حيث تتوافر المواد اللازمة لعملية الدباغة مثل شجر القرظ ، ثم يعاد تصديرها ثانية في شكل جلود بدون تصنيع أو في شكل

---

[1] ابن المجاور: *المستبصر* ، ص ١٤٣ ، ١٤٨ .
[2] ابن المجاور : *المصدر السابق* ، ص ١٤٣ .

مصنوعات جلدية مختلفة ، يؤكد ذلك صاحب المستبصر في قوله " وكان ينـــزف جميع هذا الأدم إلي العراق وخراسان وكرمان وما وراء النهر وخـــوارزم وهجـــر فكان يتفرق في أقاصي الأرض ودانيها " [١] .

وكان تجار اليمن يجلبون من الهند والصين وسرنديب وغيرها مـــن ســـائر بلدان الشرق الأقصى قائمة طويلة من السلع المختلفة أفاضت في ذكرها المصـــادر الجغرافية المختلفة وعلى رأسها التوابل أو الأفاوية وهى كلمة تطلق علـــى ســـائر ضروب البهارات والتوابل الواردة من هناك إلي فرضة عدن ، حيث يعاد تصـــدير كميات كبيرة منها إلي سائر البلاد وبخاصة مصر لتنطلق من الإسكندرية في طريقها إلي أسواق الغرب الأوربى [٢] .

وتزودنا المصادر بأصناف الواردات الأخرى على النحو التالى،فمن الهنـــد يحمل إلي اليمن الحديد[٣]،والأعواد والصندل والثياب المتخذة مـــن الحشـــيش[٤]، والثياب العظيمة المخملة وأنياب الفيلة[٥]،والقنا والبقم[٦]،والطباشير[٧]،والقسط[٨] .

---

(١) ابن المجاور :نفسه ، ص ٩٧ ـ ٩٨ .

(٢) الإدريسى :نـــزهة المشتاق ، ج١ / ٥٤ ؛ ابـن خرداذبـة :المصـدر السـابق ، ص ٧١ ؛ وعـن أصناف الأفاويـة الشرقية واستخداماتها المتنوعـة راجـع : أسـامة أحمـد إسماعيل :الاسكندرية فـي عصـر دولتـى سلاطين المماليك ص ٨٠٢ ومـا بعدها (رسـالة ماجستير غير منشـورة ، جامعـة الإسكندرية ، ١٩٨٧) .

(٣) الإدريسى :المصدر السابق ، ص ٥٤ ، ٦٧ ـ ٦٨ ؛ الحميرى :الروض المعطار ، ص ٤٠٨ .

(٤) الحشيش : نبات يشبه البردى يأخذ الصناع منه أجوده ويصنعون منه ثياباً تشبه الثياب المتخذة من الديباج ويعمدون إلي صبغها وتلوينها وتصديرها لسائر أنحاء الهند ويصل بعضـها لليمن (راجع : الإدريسى :نفسه ، ج١ / ٧٢) .

(٥) الإدريسى :نفسه ، ج١ / ٥٤ ؛ ابن خرداذبة :المصدر السابق ، ص ٧١ .

(٦) البقم : أو العندم وهو خشب أحمر اللون موطنـه الهند وسيلان وجزر الهند الشرقية ، كما ينمو أيضا في الصين ومنه ثلاثة أنواع ويستخدم في الصباغة وتزيين المخطوطات ويدخل في صناعة الأثاثـات الدقيقـة (راجـع : مجهـول :مفتـاح الراحـة ، ص ٣٢٠ ؛ المظفـر :المعتمـد ، ص ٣١ ؛ الدمشقى :أبو الفضل جعفر بن علـى (ق ٦ هـ / ق١٢ م) الاشـارة إلـي محاسن التجـارة ، تحقيق البشرى الشوربجى ، القاهرة ١٩٧٧ ، ص ٤٠ ـ ٤١ و هـ ٣ ؛
Heyd , Hist . de Comme . T . II . pp . 443 , 454 , 587 – 590

(٧) الطباشير :من المواد التى تستخرج من أصول القنا الهندى وتحمل من ساحل كلى بالهند وأكثره يوجد في سندابور وشكله مستدير وهو سريع الاحتراق عند احتكاك بعضه ببعض بالرياح الشديدة إذا هبت عليـه ، ويعمد إلـي غشـه بعظـام الحيوانـات المحترقـة ، ولـه العديد مـن الاستعمالات الطبيـة . (راجع : الادريسى :نفسه ، ج١ / ١٩١ ؛ المظفر :المعتمد ، ص ٣٠١ ـ ٣٠٢) .

(٨) القسط :نوع من البخور يطلق عليه العود أيضا ومنه نوعان ، ويدخل بدوره في صناعة كثير من العقاقير الطبية والأدهان ، كما استخدم بخوراً في الطقوس الدينية المسيحية . (الدمشقى :المصدر السابق ، ص ٤٣ وهـ ٣٨ ؛ الإدريسى :نفسه ، ج١ / ٥٤ ، ١٩١ ، ١٩٨ ؛ حيث يذكر أن من بين–

ومن سرنديب الحرير والياقوت بمختلف ألوانه والبللور والماس والسنباذخ (يدخل في معالجة الجواهر) ، وخشب النارجيل [١] ، والقسط والخيزران من السند ، والرصاص القلعي من كلي [٢] . ومن بلاد الصين عدة سلع أخرى أهمها الحديد [٣] ، والحرير والمسك والأعواد والغضار والسروج والدارصيني [٤] ، والخولنجان [٥] والدار فلفل والأبنوس والبسباسة [٦]، والذبل [٧] والأهليلجات [٨] .

<u>السلع المعفاة من العشور</u> : وكانت السلطات اليمنية تستورد منتجات مختلفة من جنوب شرق أفريقيا منها الذهب والعاج والشمع وغيره [٩] . وهناك

=الواردات الهندية إلى اليمن القرود التي كانت لها سوق رائجة باليمن لاهتمام أهل التجارة بها وشرائها واتخاذها في حوانيتهم بمثابة الحراس للأمتعة والتجارات ، فلا تمكن أحداً من الاقتراب من التجارات .راجع :*نزهة المشتاق* ، ج١ / ٦٣ - ٦٤) .

[١] كان تجار اليمن وغيرهم يقصدون جزائر سرنديب حيث يقطعون أشجار النارجيل ومن ليفه يصنعون حبالاً يخرزون به ذلك الخشب ويستعملونه في صنع السفن وصواريها ويفتلون من خوصه حبالاً ثم يوسقون تلك المراكب بخشب النارجيل ويمضون به إلى بلادهم فيبيعونه هناك . (أنظر : الإدريسي : *المصدر السابق* ، ج١ / ٧٥ ، ٩٩) .

[٢] ابن خرداذبة : *المصدر السابق* ، ص ٧١ ؛ الأدريسي: *نفسه* ، ج١ / ٥٤ ؛ الحميري :*المصدر السابق* ، ص ٤٠٨ .

[٣] الإدريسي :*نفسه* ، ج١ / ٥٤ ؛ الحميري :*نفسه* ، ص ٤٠٨ .

[٤] الدارصيني : أو القرفة وهي شجرة متوسطة الطول والحجم أصلها من الصين ولذا عرفت بالدراصيني وأجوده ما كان قطعا كباراً وطعمه ورائحته ذكية وأقله جودة ما يعرف بقرفة القرنفل وتستخدم بعد طحنها في حفظ الأطعمة و النبيذ كما تدخل في صناعة الأدوية . (للمزيد راجع : الدمشقي : *الاشارة* ، ص ٤٢ ؛
Heyd , op . cit , I , P . 383 , II , PP . 343 , 595 , 596 , 598 – 600).

[٥] الخولنجان :نوع من التوابل يدخل في صناعة العقاقير وشجرته ذات عروق متشعبة ذات عقد لونها يتراوح ما بين السواد والحمرة ، ويعرف أيضا بالخسروادار وموطنه الصين والهند وأجوده الأحمر الخالي من السواد والعفونة وقد شاع استخدامه في الطهي والطب بأوربا . (راجع :الدمشقي : *المصدر السابق* ، ص ٤٢ ؛ عزيز سوريال عطية :العلاقات بين الشرق والغرب تجارية – ثقافية – صليبية ، ترجمة د. فيليب صابر يوسف ، مراجعة أحمد خاكي : ط١ ، القاهرة ١٩٧٢ م ، ص ١٧٣ ؛ Heyd , op . cit , II , P. 617) .

[٦] البسباسة : هي القشرة الداخلية لجوزة الطيب وأجود أنواعها الحمراء وتستخدم في أغراض متعددة منها الأغراض الطبية .(للمزيد راجع : المظفر : *المعتمد* ، ص ٢٣ ، ٢٤ ؛ Heyd , op . cit , II , PP . 443 , 664 – 668) .

[٧] الذبل :هو جلد السلحفاة الهندية وله بعض المنافع الطبية .(أنظر :المعتمد : *الأدوية* ، ص ١٧٧ - ١٧٨) .

[٨] الحميري : *الروض المعطار* ، ص ٤٠٨ . والأهليلج أو الهند شعيرة :نوع من النبات كان يستخدمه الصيادلة في تركيب العقاقير الطبية وخاصة الأدوية المسهلة بالاضافة إلى استخدامها في علاج أمراض المعدة والأمعاء ، وتنمو أشجاره في الصين والهند وغيرها ومنه خمسة أنواع . (أنظر : الدمشقي :*الاشارة* ، ص ٤٣ – ٤٤ ؛ Heyd , op . cit , I , PP . 640 – 641 , 643) .

[٩] حسن صالح شهاب : *أضواء على تاريخ اليمن* ، ص ٧٠

بضائع وسلع دأبت اليمن على استيرادها لحاجة البلاد الاقتصادية لها ومن ثم تطلب الأمر تشجيع التجار على توريدها للبلاد وذلك بإعفائها من العشور ، وبمطالعة قوائم هذه السلع نلحظ أن أغلبها من المواد الغذائية الضرورية والمتصلة بالحاجات اليومية لسكان البلاد وتنقسم حسب أماكن ورودها إلي : -

. السلع الواردة من مصر:وتتضمن السلع الآتية:الحنطة والدقيق والسكر والأرز والصابون الرَقّي والأشنان[١]والقطارة وزيت الزيتون وزيت الحار والزيتون المملح وكل ما يتعلق بالنقل[٢]وعسل النحل بشرط قلة الكميات الواردة منهما[٣].

السلع الواردة من الهند: والمعفاة بدورها من الضرائب كالعشور : فهي كل ما يصل عن طريق البحر كالأهليلج والأكرار ، والمخاد ، والمساور والأنطاع ، والأرز والكجرى (الأرز المخلوط بالماش) ، والسمسم ، والصابون ومن البضائع المغر الكلاهي [٤] ، والنشم [٥] وحطب القرنفل وثياب العرابية (وهي ثياب يتم صنعها في مدنية دقلي بالهند) [٦] ، ومن الشحر : كانت ترد بعض السلع المعفاة من العشور ومنها التمر المقلف (المنزوع النواة) ، والسمك المملح إن كان بلا رأس، وإن كان برأس أخذ عليه العشور[٧] ، وكان يعفى من العشور أيضاً النعال

---

[١] الأشنان:وهو شجر ينبت في الأرض الرملية ويستعمله العرب هو ورماده في غسل الثياب(راجع : محمد كريم ابراهيم :*الفعاليات الاقتصادية لميناء عدن خلال القرنين الخامس والسادس الهجري ، دراسة تاريخية* ، المؤرخ العربي ، عدد ٣٥ ، السنة ١٤ ، بغداد ١٩٨٨ ، ص ١٨٨ هـ ٨٣) .

[٢] النُقل : ما يتنقل به على الشراب ، وبفتح النون : الانتقال على النبيذ والعامة تضمُه . (أنظر محمد كريم إبراهيم ،*المرجع السابق* ، ص ١٨٨ هـ ٨٥) .

[٣] ابن المجاور :*المستبصر* ، ص ١٤٣ . ويذكر د. محمد كريم إبراهيم وجود مجموعة أخرى من السلع كانت معفاة من الضرائب منها السليط والعطور ولوز الحلويات إن كان قليلاً . (راجع :*نفس المرجع والصفحة* ، هـ ٨٦) .

[٤] المغرة : مادة طبية ، أجودها ما كان ثقيلاً لونها يميل للون الكندر إذا بلت بالماء ربت ، ولها قوة قابضة مجففة ، تدخل في تصنيع الأدهان ، والأقراص المجففة لعلاج الإسهال وغيره من الأوجاع ، وهناك مغرة النجارين وأجودها ما كان يأتي من مصر .والمغرة مادة يابسة لها عدة استعمالات طبية أخرى . (راجع : المظفر :*المعتمد* ، ص ٥٠١ ـ ٥٠٢) أما الكلاهي فنسبة إلي كلة الواقعة بين عمان واليمن ، وتعد مركزاً تجارياً هاماً يأتي منها أيضاً العود الكلاهي . (راجع : محمد كريم ابراهيم :*المرجع السابق* ، ص ١٨٨ هـ ٩٣) .

[٥] النشم : شجر جبلي تتخذ منه القسي وهو من عنق العيدان ويقال هو حب البلسان . (راجع : محمد كريم ابراهيم :*المرجع السابق* ، ص ١٨٨ هـ ٩٤) .

[٦] ابن المجاور :*المستبصر* ، ص ١٤٣ .

[٧] يبدو أن لذلك علاقة بسرعة فساد السمك إذا ورد كاملاً برأسه ، ولذا كان التجار يعمدون إلي قطع رأس السمك حتى لا يتطرق الفساد إليه بسرعة فيعيش مدة أطول في الأسواق ، وبالتالي يُعفى من العشور .

الهندية إن كانت بلا شراك(سيور)، وإن كانت بشراك أخذت عليها العشور [١] .
ويبدو أن هذه النعال كانت ترد من الهند كإحدى الخامات المكملة لصناعة النعال المنتشرة في اليمن وكان يعمل بها قطاعاً من السكان [٢] .

وكان الخرز المجلوب من الديبل يعفى أيضاً من العشور [٣] ، وكذلك كان غلمان جودر المجلوبين من الهند كانوا يعفون من العشور [٤] ، كما أعفى منها الماعز والتيوس الواردة من الحبشة [٥] .

ونلاحظ من خلال قوائم السلع الواردة إلي عدن والتي تم اعفائها من العشور أنها كانت متنوعة وتشتمل على مواد غذائية ضرورية لأهل البلاد ، وبخاصة معظم السلع الواردة من مصر ، وكذلك بعض واردات الهند والحبشة ، كما كانت تضم مواداً أخرى للاستعمالات اليومية المنزلية ومنها الصابون والأنطاع ، والمخاد وغيرها من الفرش والثياب ، وكذلك المواد التي تدخل في الصناعات الطبية كالاهليلج والنشم وغيرها ، مع بعض السلع الكمالية كالعطور والخرز ، بالإضافة إلي مواد تكميلية للصناعات المحلية كالنعال الهندية .

وهذا التنوع في أصناف السلع المعفاة يبين لنا مدى حاجة البلاد عامة ومدينة عدن خاصة إلي سلع أساسية ترد من الشرق الأقصى والهند وشرق أفريقيا ومصر لسد حاجة السكان من السلع الضرورية في المقام الأول،ويؤكد ابن المجاور هذه الحاجة بالنسبة لعدن حيث يمدنا بنص يشير إلي افتقار المدينة للعديد من الضروريات اللازمة لأهلها،واعتمادهم على السوق الخارجية لسد هذه الاحتياجات فيقول"ومادتهم من الهند والسند والحبشة وديار مصر،ومأكولهم الخبز وأُدمهم السمك،غاية عمل نسائهم القِفاع،ورجالهم يبيعون العطر والقُنبار .... " [٦] .

---

[١] ابن المجاور : _المصدر السابق_ ، ص ١٤٣ .
[٢] محمد كريم إبراهيم : _المرجع السابق_ ، ص ١٨٨ .
[٣] الديبل : ميناء مشهور على ساحل الهند .
[٤] يذكر د. محمد كريم إبراهيم نقلا عن حمزة على لقمان (_تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية_) أن الضرائب كانت لا تفرض علي الجوارى والغلمان إذا كانت عيونهم واسعة .
[٥] ابن المجاور _نفسه_ ، ص ١٤٢ – ١٤٣ .
[٦] ابن المجاور : _المستبصر_ ، ص ١٣٧ ؛ويؤكد العمرى نفس الشئ فيقول " ..وهى مدينة مجلوب [إليها] كل شئ حتى الماء ....." (راجع _بمسالك الأبصار_ ، ص ١٥٧ ؛ وأنظر أيضا : القرمانى:_المصدر السابق_ ، ص ٣٦٤ ؛ محمد كريم ابراهيم : _الفعاليات الاقتصادية_ ، ص ١٨٩) .

٣- أشهر المدن التجارية

اشتهرت عدة مدن في اليمن بالنشاط التجارى،الأمر الذى ساعد على توثيق العلاقات بين اليمن وعديد من الأقطار المحيطة بها،فارتبطت معها بوشائج تجارية،ويوضح لنا العمرى مظاهر هذا النشاط التجارى وأثره على مكانة التجار في المجتمع اليمنى من جهة وفي إنماء الموارد المالية في اليمن من ناحية ثانية،فيقول في عديد من مواضع كتابه:واليمن"لها ارتفاع صالح من الأموال،وغالب أموالها من موجات التجار الواصلين من الهند ومصر والحبشة،مع مالها من دخل البلاد"..." واسم اليمن أكبر ، لا تعد في بلاد الخصب بلاده ، وغالب دخله مما يؤخذ من التجار والجلاّبة براً وبحراً " ، ثم يستطرد موضحاً مكانة التجار في المجتمع اليمنى فيقول " وللتجار عندهم وضع جليل ، لأن غالب متحصلات اليمن منهم وبسببهم "[1].

وهكذا يتضح من هذه النصوص مدى أهمية التجارة الخارجية بصفة خاصة لأهل اليمن ، الأمر الذى أدى إلي اتساع نشاطها وبرز ذلك في شهرة بعض المدن اليمنية بالتجارة في المقام الأول ، ومن هذه المدن على سبيل المثال :-

١- مدينة صنعاء[2]

وهى قصبة نجد اليمن وقاعدته وبها التجارات المفيدة[3] ، ويبرز القلقشندى شهرتها التجارية بقوله "..... بها أسواق ومتاجر كثيرة "[4] . وجدير بالذكر أن معظم تجارات صنعاء ، وكذلك صعدة ، كانت تتم بحكم موقعهما الداخلى براً عبر الهضبة اليمنية مع الحجاز والعراق وفارس والشام وبعضها مع مصر، وتشير المصادر إلي وجود طريقين بريين كانت تسلكهما القوافل التجارية في

---

(١) العمرى : مسالك الأبصار ، ص ١٥٤ ، ١٥٨ ، ١٦١ .

(٢) عن مدينة صنعاء وتاريخها وعمارتها المختلفة راجع بالتفصيل : الرازى : أحمد بن عبد الله: تاريخ مدينة صنعاء ، تحقيق د. حسين عبد الله العمرى ، دار الفكر ، دمشق ، ط ٣ ، ١٩٨٩ ؛ مجلة الاكليل اليمنية ، العدوان ٢ ـ ٣ ، السنة الثانية ، صنعاء ١٩٨٣ (عدد خاص صدر عن صنعاء) ؛ وانظر أيضا :
Costa (P . M .), San'a , In the Islamic city , (ed) , Serjeant , Faculty of Oriantal studies , Cambridg , July , 1976 , PP . 151 - 165 , Serjeant . (R.P) & Lewcock , (R.) (ed) ;" san 'a Arabian Islamic city " London , 1983.

(٣) المقدسى : احسن التقاسيم ، ص ٨٦ ؛ الحميرى : الروض المعطار ، ص ٣٥٩ .

(٤) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٥ / ٣٩ .

طريقها إلي العراق منها على وجه الخصوص طريق كان يمتد من صنعاء إلي البصرة عن طريق اليمامة،والثاني من صعدة للبصرة عن طريق الركب[١].كذلك يورد ابن المجاور نصاً آخر يؤيد استعمال تجار اليمن للطرق البرية المارة بصنعاء وصعدة في طريقهم إلي العراق حاملين الأدم وذلك في معرض حديثه عن طريق الرضراض القريب منهما وأن هذا الطريق ينفذ إلي البصرة والكوفة مروراً باليمامة والاحساء[٢].كذلك كان هناك طريق صنعاء—صعدة—الشام—مصر[٣]،وقد استخدم تجار المعادن من أهل العراق والشام ومصر هذه الطرق في القدوم إلي صنعاء لشراء معدني الذهب والفضة،وكانوا يربحون من وراء هذه التجارة أرباحاً طائلة لرخص هذه المعادن في اليمن وارتفاع أثمانها في بلادهم [٤] .

٢- مدينة صعدة

وهى من المدن التجارية الهامة في اليمن ويذكر ياقوت أنها كانت"مدينة عامرة آهلة يقصدها التجار من كل بلد"[٥]،وأهم انتاجها التجارى الأدم،الذى كان يصدر من مدابغها ذات الشهرة الواسعة في تجهيز الجلود ولا يدانيها سوى مدابغ صنعاء،وكانت على حد قول الإدريسى"مجتمع التجار وأهلها أهل أموال وافرة وبضائع وتجارات كثيرة"[٦].ويؤكد نفس المصدر شهرة ادم صعدة ويذكر بعض أماكن استيراده بقوله"وصعدة مدينة صغيرة،لكنها متحضرة وبها دور الدباغة، يدبغ بها الأدم الجيد ويتجهز منها إلي كثير من بلاد اليمن والحجاز "[٧] .

٣- مدينة زبيد

وكانت أيضاً من المدن التجارية الهامة في اليمن ، شاركت عدن في النشاط التجارى ، لا سيما الخارجى منه وقد ساعدها على ذلك كونها قاعدة صناعية لبلاد اليمن ، وبخاصة في مجال صناعة النسيج والجلود ، بالإضافة إلي ما

---

(١) قدامة بن جعفر(ت ٣٠٢ هـ/ ٩١٤ م)،*الخراج وصناعة الكتابة*،تحقيق د. محمد حسين الزبيدى،دار الرشيد للنشر،سلسلة كتب التراث(١١) العراق ١٩٨١، ص ١٨٩؛الهمدانى: *الجوهرتين* ، ص ١٢٨ ؛ راجع أيضاً : محمد المتيمى : *الصناعات الحرفية في مدينة صنعاء وآفاق تطورها* ، ص ١٦٥ .

(٢) ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ٢١٦- ٢١٧ .

(٣) راجع عن الطرق التجارية البرية :ص ٣٤١ وما بعدها من الكتاب .

(٤) الهمدانى :*المصدر السابق* ، ص ١٢٨ .

(٥) الأكوع :*البلدان اليمانية* ، ص ١٧٥ .

(٦) الإدريسى : *نزهة المشتاق* ، ج١ / ٥٥ .

(٧) الإدريسى : *المصدر السابق* ، ج١ / ١٤٦ .

كانت تتمتع به من خلفية زراعية واسعة تتمثل في واديهـــا الخصـــيب ، ومـــن ثم تنوعت صادراتها من فائض إنتاجها الزراعى والصناعى ، كما تعددت الـــواردات إليها أيضاً لا سيما من سلع الحجاز ومصر والحبشة ، بالإضافة إلي السلع الـــواردة من بلدان الشرق الأقصى [(١)] .

ويؤكد هذا التفوق التجارى كل من الإدريسي والقلقشندى عند حديثهما عن هذه المدينة فيذكر الإدريسى أنها "مدينة كبيرة وأهلها مياسير أهل ثروة ومال، والمسافرون إليها كثيرون وبها يجتمع التجار من أرض الحجاز وأرض الحبشة وأرض مصر الصاعدون في مراكب جدة وأهل الحبشة يجلبون رقيقهم إليها،ويخرج منها ضروب الأفاوية الهندية والمتاع الصينى وغيره"[(٢)].ويؤكد القلقشندى النص السابق بقوله أن زبيد " فرضة اليمن وبها يجتمع التجار من الحجاز ومصر والحبشة،ومنها تخرج بضائع الهند والصين ..." [(٣)] .

ومن المعروف أن حركة الواردات والصادرات في زبيد كانت تتم عن طريقين: ***الأول طريق برى*** يصل بين زبيد ومصر مروراً بأرض الحجاز وهو الطريق الذى اعتادت قوافل الحج على اجتيازه من مصر إلي مكة ، ومن مكة إلي اليمن ، وبالعكس عند رحلة العودة . ***والطريق الآخر الطريق البحرى*** وهو فرعان الأول المؤدى إلي مصر ويبدأ من ميناء غلافقة إلي مصر عن طريق الموانئ المصرية الشهيرة آنذاك عيذاب ، الطور، السويس والآخر يبدأ من غلافقة أيضاً ويتجه إلي سواحل شرق أفريقيا وبـــلاد الحبشـــة والهنـــد والصين وبالعكس عند العودة [(٤)] .

٤- مـــدينة عدن

وكانت تمثل أهم المراكز التجارية لليمن، وهى الميناء الأساسية لهذه البلاد، وأعظم أسواقه التاريخية منذ القدم ... وكانت هذه المدينة بدورها محطة تجارية بين الشرق الأقصى والشرق الأدنى أو همزة الوصل بين أسواق الشـــرق ونظيرتهـــا في الغرب ، ومن المعروف أن اليمن كانت مركزاً هاماً للتجارة الكارمية [(٥)] ، وكانت

---

(١) ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ٩٩ .

(٢) الإدريسى : *نزهة المشتاق* ، ج١ / ٥٢ ـ ٥٣ .

(٣) القلقشندى : *صبح الأعشى* ، ج٥ / ١٠ .

(٤) القلقشندى : *المصدر السابق* ، ج٥ / ١٧ .

(٥) لعل ازدهار التجارة الكارمية باليمن كانت من ضمن العوامل المشجعة على لفت أنظار صلاح الدين لليمن ، فعمد للسيطرة عليها باعتبارها أحد مفاتيح التجارة الشرقية ، وموردا ماليا هاما عن طريق ما يتحصل في عدن من ضرائب على تجار الكارم .(وعن الكارمية راجع : *صبيحى بنى*=

عدن أهم موانئ هذه التجارة حيث تركز بها تجار الكارم في فترة من فترات العصر الإسلامي ووكلاؤهم التجاريون الذين أشرفوا على عمليات نقل بضائعهم المجلوبة من الشرق الأقصى إلي عدن ومنها إلي مصر التي تصدرها بدورها للغرب الأوروبي عن طريق تجار المدن الايطالية .

ومع قيام الخلافة الفاطمية في مصر ، وما تبع ذلك من انتقال مركز الثقل السياسي تدريجياً إلي القاهرة ، وبالتالي السيطرة الاقتصادية على تجارة البحر الأحمر والخليج العربي [(١)] كل ذلك أدى إلي ازدهار المكانة الاقتصادية لمرفأ عدن ، وازداد الانتعاش الاقتصادي بها مع دخول اليمن ضمن مناطق الولاء الفاطمي في عصر الصليحيين وبني زريع [(٢)] . وازدادت هذه الأهمية مع ما شهدته تجارة الكارم من رواج ذلك الوقت ، ومع قيام تجار الكارمية بنقل مراكزهم التجارية إلي مصر واتخاذها قاعدة لتجارتهم في النصف الثاني من ق ٦ هـ / ق ١٢ م [(٣)] . وما تبع ذلك من رواج شديد شهدته مراكز هذه التجارة في عدن والإسكندرية وغيرها وتضاعفت هذه الأهمية مع قيام الفاطميين ومن بعدهم الأيوبيين بتنفيذ برنامج طموح يهدف إلي تنشيط هذه التجارة عن طريق المد التجاري المكثف مع بلدان أوروبا لاسيما المدن التجارية الايطالية – بيزا وجنوة والبندقية –، وإضفاء السيطرة والحماية الكاملة على حركة الملاحة في البحر الأحمر ، فصارت السفن تسلك

طبيب: *التجارة الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطى* ، المجلة التاريخية المصرية ، م٤ ، عدد ٢ مايو ١٩٥٢ ؛أحمد حطيط :الكارم في عصر المماليك ،مجلة الفكر العربي ، عدد ٥٤ ديسمبر ١٩٨٨ ، ص ١٧٠ – ١٨٣ ؛ الشاطر بصيلي : الكارمية ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، عدد ١٣ / ١٩٧٦ ؛

Ashtor , the Karimi marchants ,J. R .A . S. April ,1956;Goitein , New Light on the Beginning of the Karim merchant , J . E . S . H . O . I , 1958).

(١) وكان من الأسباب التي أدت إلي انتعاش عدن اقتصاديا ، الاهتمام الفاطمي بها بسبب العلاقات العدائية التي كانت قائمة بين الفاطميين والعباسيين ، الأمر الذى أدى إلي تقلص التجارة البرية الواصلة لمصر عبر بغداد ، فاستعاض الفاطميون عن ذلك بتنشيط الحركة التجارية في البحر الأحمر عبر عيذاب ,ولذا نرى الفاطميين يعمدون إلي إنشاء أسطول بحرى يتلقى تجار الكارم وسفنهم فيما بين عيذاب وسواكن حماية لهم من متجرمة البحر بجزائر القلزم ,وكانت عدة هذا الأسطول ما بين ثلاث إلي خمس سفن وتولى أمره والى قوص احيانا وأحيانا أخرى كان يتولى أمره أحد الأمراء الذى يعينهم الخليفة الفاطمي ويمده بالسلاح الذى يكفيه . (راجع : القلقشندي *صبح الأعشى* : ج٣ / ٥٢٤؛ أحمد حطيط : *الكارمية* ،ص ١٧٠ ؛ السيد عبد العزيز سالم *البحر الأحمر* ، ص ٢٨) .

(٢) محمد كريم *الفعاليات الاقتصادية* ،ص ١٨٠؛السيد عبد العزيز سالم *البحر الأحمر* ،ص ٢٤ – ٢٧ .

(٣) الشاطر بصيلي : *المرجع السابق* ، ص ٢١٧ .

الطريق البحرى عبره من عدن إلي مصر في أمان كامل ، وصارت عدن آنذاك من أكبر مراكز التجارة والنقل [1] . وهكذا أهلها الوضع الجديد للقيام بدورها الرائد كمحطة تجارية لعديد من البلدان على هذا الطريق التجارى بين البحر المتوسط والشرق الأقصى ، فكانت البضائع والسلع الشرقية تنتقل منها عبر البحر الأحمر إلي الساحل المصرى حيث ميناء عيذاب [2] .وتفرغ حمولتها هناك أو تمتد بعض المدد (الرحلات) التجارية وتواصل رحلتها إلي شمال البحر الأحمر حيث ميناء الطور أو السويس وتفرغ حمولتها لتأخذ بعد ذلك طريقها عبر الأراضى المصرية إلي البحر المتوسط فأوروبا [3] .

وقد ساعد عدن على القيام بدورها كمحطة لتجارة العبور بين الشرق الأقصى ومصر عدة عوامل منها الموقع المتوسط بين طرق التجارة البحرية،ومنها أن الرحلات التجارية البحرية كانت تسير وفقاً لمواسم محددة ومعلومة لا تستطيع السفن تجاوزها أو تغيرها، ولكل اتجاه مواسم محددة للإقلاع والحط ، وكانت عدن من بين المرافئ التي ينطبق عليه هذا القول ويوضح العمرى ذلك بقوله " ... ولحط المراكب عليه وإقلاعها مواسم مشهورة " [4] . بمعنى أن السفن كانت في الغالب آنذاك لا تستطيع مواصلة الرحلة مباشرة،ودون توقف،على سبيل المثال من الصين أو الهند إلي مصر أو الحبشة أو غيرها في موسم واحد ،بل كان الأمر يتطلب منها التوقف في بعض المرافئ للراحة والتزود بالميرة من ناحية ، وانتظاراً لهبوب الرياح المواتية للإقلاع من ناحية أخرى [5] . فكانت عدن واحدة من أهم هذه المرافئ

---

(1) ابن جبير : الرحلة ، ص ٤٠ .

(2) عن عيذاب وأهميته كثغر تجارى راجع :السيد عبد العزيز سالم : البحر الأحمر ، ص ٣٩ – ٤٧ .

(3) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٣ / ٤٦٨- ٤٦٩ ، ٤٧٠ .

(4) العمرى:مسالك الأبصار ،ص ١٥٧ ,وكانت هذه المواسم معروفة عند أهل عدن فيخرجون لرؤية السفن وتنصب الأسواق على الشواطئ،مما يبشر بدفع عجلة التجارة الداخلية والخارجية وزيادة الأرباح,وقد أوضح العمرى كيف كانت حركة [illegible] في الميناء تمثل احد مظاهر الحركة التجارية بعدن بقوله"وإذا أراد ناخوذة مركب فيها السفر [illegible] جهة اقام علمه برنك خاص له،فعلم التجار وتسامع الناس وبقى كذلك اياما،ويقع الاهتمام بالرحيل،ويسرع التجار في نقل أمتعتهم وحولهم العبيد بالقماش السرى والأسلحة النافعة وتنصب على شاطئ البحر الأسواق ، ويخرج أهل عدن للفرجة عليهم " (راجع : مسالك الأبصار ، ص ١٥٧ – ١٥٨ ؛القلقشندى: صبح الأعشى ، ج٥ / ١١) .

(5) راجع على سبيل المثال:ناصر خسرو :سفرنامة ، ص ٧٣ .حيث أضطر للبقاء في عيذاب مدة ثلاثة شهور انتظارا لهبوب الرياح الجنوبية التى تدفع بالسفينة تجاه الشمال (أنظر :السيد عبد العزيز سالم : البحر الأحمر ، ص [illegible] .

التى تحط بها السفن انتظاراً للموسم الملائم لمواصلة السير ، ومن هنا عرفت بكونها مدينة حط وإقلاع [١] ، وبذلك أهلها موقعها الجغرافى للقيام بدورها كوسيط تجارى لنقل المتاجر والسلع بين عالم الشرق الأقصى وشرقى القارة الأفريقية وبين مصر والغرب الأوروبى بصفة خاصة .

ونستدل على هذه المكانة العالمية التى كانت تشغلها عدن فى مجال التجارة البحرية من كثرة وصف الجغرافيين لها وذكر أهميتها كأحد معابر التجارة الشرقية ونقطة ارتكاز للتجارة بين الصين والهند وبين مصر [٢] .فالمقدسى يستطرد واصفاً اتساع النشاط التجارى بعدن من خلال حديثه عن الأرباح الطائلة التى يجنيها التجار من وراء نشاطهم بعدن فيقول " ... إذا أنت دخلت عدن فسمعت أن رجلاً ذهب بألف درهم فرجع بألف دينار ، وآخر دخل بمائة فرجع بخمسمائة ، وآخر بكندر فرجع بمثله كافوراً ، طلبت نفسك التكاثر " [٣] . ولم تكن عدن أيام المقدسى بمثل نشاطها التجارى العظيم الذى اتسمت به فى عصر دولة بنى رسول ، فقد نشطت فى هذا العصر الحركة التجارية بين الشرق والغرب بفضل الدور الأعظم الذى كانت تؤديه عدن آنذاك ، مما ساعد على إثرائها وتدفق الثروات الاقتصادية عليها وعلى أرباب التجارة فيها ، ويؤكد ابن بطوطة هذا الثراء الذى أحرزه تجار عدن فيذكر " ... وأهل عدن ما بين تجار وما بين حمالين وصيادين للسمك ، وللتجار منهم أموال عظيمة ربما يكون لأحدهم المركب العظيم بجميع ما فيه ما يشاركه فيه غيره ، لسعة ما بين يديه من الأموال ، ولهم فى ذلك تفاخر ومباهاه ... " [٤] ويستطرد نفس الرحالة موضحاً مكانة عدن وطبيعة الحركة

---

(١) القلقشندى : *صبح الأعشى* ، ج٥ / ١٠ .

(٢) راجع أوصاف عدن عند اليعقوبى :كتاب البلدان ضمن كتاب الأعلاق النفيسة ، ص ٣١٩ ؛ ابن خرداذبة : *المسالك والممالك* ، ص ٦١ ، ابن حوقل : *صورة الأرض* ، ص ٤٤ .

(٣) أحسن التقاسيم ، ص ٣٤ ، ٨٥ . " حيث يذكر أنها دهليز الصين وفرضة اليمن وخزانة المغرب ومعدن التجارة " .

(٤) ابن بطوطة : *الرحلة* ، ج٢ / ١٧٧ – ١٧٨ . ويؤكد الفاسى هذا الثراء الدال على عظم النشاط الاقتصادى بالمدينة فى سياق حديثه عن استدانة أحد ولاة مكة من تجار اليمن مبلغاً كبيراً من المال استعان به على إزالة ضروراته كذلك وضح الفاسى عظم تجارة عدن لاسيما من ضروب الأفاوية فيذكر سطو أحد أمراء مكة على ثلاث سفن موسقة بالكارم كانت فى طريقها من عدن إلى مصر عبر جدة ، وقدر المال والبضائع المنهوبة بحوالى ٦٠٠ ألف مثقال ذهباً . وكان السبب فى نهب السفن=

التجارية بها كمحطة تجارية هامة ، واتساع النشاط التجارى بها بقولـه:"وهـى مرسى أهل الهند تأتى إليها المراكب العظيمة ...وتجار الهند ساكنون بها وتجار مصر أيضاً"[١].كما أورد العمرى نصاً يحمل نفس المعنى في وصفه لعدن فيقول"وإليهـا مجمع الرفاق وموضع سفر الآفاق يحط بها من الصين والهند والسند والعراق وعمان والبحرين ومصر والزنج والحبشة،ولا يخلو أسبوع بها من عدة تجار وسفن وواردين وبضائع شتى ومتاجر(منوعة)والمقيم بها في مكاسب وافرة وتجائر مربحة، لا يبالى بما يغرمه بالنسبة إلي الفائدة ، ولا يفكر في سوء المقام لكثرة الأموال النامية "[٢] .

وتعد الصين إلي جانب الهند من أكثر المناطق التجارية اتصـالاً بعـدن في مجال النشاط الاقتصادى ، يؤيد ذلك النصوص السابقة وما زودنا به أيضاً بعـض الجغرافيين الآخرين فالإدريسى يقول عنها"مدينة عدن مدينة صـغيرة،وانما شـهر ذكرها لأنها مرسى البحرين ومنها تسافر مراكب السند والهند والصين وإليها يجلب متاع الصين ..."[٣].كذلك يوضح ياقوت الحموى(ت ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٨م) مدى العلاقة الوثيقة التي كانت تربط عدن تجارياً بالهند فيقول"وهي مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن ... إلا أن هذا الموضع هو مرفأ مراكـب الهنـد والتجار يجتمعون إليه لأجل ذلك فإنها بلد تجارة ..."[٤]،ويتابعه صاحب كتـاب مراصد الإطلاع(ت٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م)فيقول عن ذات المدينة موضحاً علاقتـها التجارية بالهند وغيرها فيقول " وهى مرفأ مراكب الهند والحجاز والحبشة "[٥] .

كذلك عرفت عدن بأنها " عين اليمن " باعتبارها أهم منفذ طبيعـى لهـا على البحر العربي والمحيط الهندى ، وتحكمها بموقعها في طريق البحر الأحمـر[٦] ، الذى ارتبط تاريخ عدن به ارتباطاً وثيقاً فهو الشريان الحيوى للمواصلات والتجارة

=هو حاجة الأمير المكى للمال للصرف على حلفائه في الصراع الدائر بمكة (راجع : *العقد الثمين* ، ج ٦ / ٢٠٦ ـ ٢٠٧ ، ج٧ / ٨٧ ـ٨٨) .

[١] ابن بطوطة : *الرحلة* ، ج٢ / ١٧٧ .

[٢] مسالك الأبصار ،ص ١٥٧ ؛ القلقشندى *صبح الأعشى*،ج٥ / ١١؛العبدلى :*هدية الزمن* ، ص ٢٠ .

[٣] الإدريسى :*نزهة المشتاق* ، ج١ / ٥٤ .

[٤] الأكوع : *البلدان اليمانية* ، ص ٢٠٣ ؛ وأنظر أيضا : الحميرى : الروض المعطار ، ص ٤٠٨ .

[٥] البغدادى : عبد المؤمن بن عبد الحق (ت ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨ م) : *مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع* ، نشره وستنفلد ، ليدن ١٨٩٤ ، ج٢ / ٢٤١ .

[٦] محمد كريم : *الفعاليات الاقتصادية* ، ص ١٨١ .

بين الشرق والغرب ، وسيطرت عدن بموقعها على مدخله الجنوبي وتحكمت فيه ، ولذا عرفت أيضاً " بجبل طارق الشرق " [١] باعتبارها همزة الوصل – كما أسلفنا – بين الشرق والغرب ، والسوق الكبيرة للجزيرة العربية [٢] .

ويوضح ابن المجاور أثر اتساع النشاط التجارى بعدن على توسعها العمرانى منذ عهد آل زريع الذين استبسلوا في الدفاع عن مكانة عدن التجارية والأرباح الطائلة التي كانت تعود عليهم من وراء تجارتها أمام صاحب قيس الذى هاجم الثغر بغية تحويل التجارة عنه إلي بلاده ، واستطاع آل زريع الانتصار عليه ، وبدأوا التوسع في تعمير عدن فسكنوا واديها وأقاموا فيه الدور بالحجارة والجص ، الأمر الذى ساعد على اتساع دائرتها العمرانية اعتباراً من ذلك الوقت (منتصف ق ٥ هـ / منتصف ق ١١ م) [٣] ، فازداد عدد سكانها وساهم في هذا التوسع العمرانى تعرض الفرضة القديمة المعروفة باسم أبين للخراب لتقادم عمرها ، الأمر الذى دفع التجار إلي هجرها والتحول إلي سكنى عدن [٤] ، ويزداد الاهتمام باتساع النطاق العمرانى للمدينة مع مجئ الأيوبيين إدراكاً منهم لأهميتها الاقتصادية ونظراً لاهتمامهم الشديد أيضاً بالتجارة الشرقية وتأمين حركة الملاحة في البحر الأحمر والمحيط الهندى ، فنجدهم في سبيل ذلك يتعهدون المدينة بالتحصين والحماية وإقامة المنشآت ذات الطابع الاقتصادى بها [٥] .

وفي سبيل اضفاء الحماية على تجارتها نجد سيف الاسلام طغتكين يرسل الشوانى للمحيط الهندى حماية للتجارة الواردة من خطر السراق وقراصنة البحر [٦] ، وقد وصلت هذه الشوانى في سبيل حمايتها للتجارة إلي قُلهات على ساحل عمان وإلي غيرها من المواضع على عهد الأتابك سيف الدين سنقر في عام ٦٠٢ هـ /

---

(١) محمد كريم : *الفعاليات الاقتصادية* ، ص ١٨١ .

(٢) الأكوع : *اليمن الخضراء* ، ص ٨٥ ؛ عبد الله أحمد الثور : *هذه هي اليمن* ، ص ٤٧٢ ؛ وانظر أيضا : محمد كريم : *المرجع السابق* ، ص ١٨١ .

(٣) ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٢٦ ؛ عطية القوصى : *تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الاسلام حتى سقوط الخلافة العباسية* ، القاهرة ١٩٧٦ ، ص ١٢٦ – ١٢٧ ؛ السيد عبد العزيز سالم : *البحر الأحمر* ، ص ٢٥ ؛ *Heyd , Hist . de . Commerce . I , P . 165 .*

(٤) ابن المجاور : *المصدر السابق* ، ص ١٣٠ .

(٥) ابن المجاور : نفسه ، ص ١٢٨ ، ١٤٠ – ١٤٢ .

(٦) ابن المجاور : نفسه ، ص ١٤٢ .

١٢٠٥ م ، حينما انقطع الواصل من مراكب الهند لمدة سنة خشية التعرض لمتجرمة البحر ، فاستطاعت البحرية الأيوبية إخلاء مرافئ هذه المنطقة من هؤلاء القراصنة ، واستمرت تقوم بدورها في حراسة عدن وحماية تجارتها في البحر الأحمر والمحيط الهندى حتى أخريات العصر الأيوبى [١] . وامتدت جهود الأتابك سنقر في سبيل تأمين سبل التجارة اليمنية إلي جزيرة سقطرى حيث اتخذها القراصنة والسراق مأوى لهم يلجأون إليه بحصيلة نهبهم ، فنجده يوجه إليها حملة بحرية من خمس شواني لتطهيرها من هؤلاء المتجرمة [٢] .

---

[١] ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٤١ - ١٤٢ ؛ ابن حاتم : *السمط* ، ص ١٣١ .
[٢] ابن المجاور : *المصدر السابق* ، ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .

٤- اجراءات ديوان عدن لتحصيل الضرائب

في حالتي الورود والصدور

مما لا شك فيه أن سكان عدن وهم من جنسيات مختلفة كانوا يتميزون بخبرات تجارية عالية لمجاراة هذا النشاط الاقتصادى الضخم الذى اشتهر به ميناء عدن ، وشارك العديد منهم في الأعمال القائمة بهذا الميناء من تجارة ودلالة وحمالة، وأعمال كتابية وحسابية ، بالإضافة إلي تعدد الجنسيات الوافدة إليها [١] .

وكان استقبال السفن بميناء عدن يتم وفقاً لتقاليد وإجراءات إدارية معينة ، يتم اتخاذها من قبل القائمين على الإشراف على الميناء،وقد أورد لنا ابن المجاور صورة تفصيلية لهذه الإجراءات التي تتبع حين قدوم السفينة للثغر وحتى نزول التجار وبضائعهم إلي المدينة.فيشير إلي وجود مجموعة من الحراس(الناظرون، ويذكر مفردهم بالناطور) ، يعتلون قمة جبل المنظر وحصن الخضراء [٢] ، مهمتهم ترصد السفن الوافدة [٣] فإذا ظهرت لأحدهم إحدى السفن عن بعد ، وتأكد من أنها سفينة قادمة [٤] ، أشار بذلك إلي رفيقه المجاور له وينادى " هيريا " تعبيراً عن الابتهاج بوصول المركب ، فيسمعه الحارس الذى يليه ، فيخبر صاحبه حتى يصل النداء لآخر حارس في المرصد فيتولى هذا الأخير – ويعرف بالجراب أو الخبار –

---

[١] يذكر ابن المجاور الجنسيات التى سكنت عدن فيقول " وغالب سكان البلد عرب مجمعة من الإسكندرية ومصر والريف والعجم والفرس وحضارم ومقادشة وجبالية وأهل ذبحان وزيالع ... وحبوش ، وقد التأم إليها من كل بقعة ومن كل ارض وتحولوا فصاروا أصحاب خير ونعم " (راجع: المستبصر ، ص ١٣٤ ؛ بامخرمة :*تاريخ ثغر عدن* ، ج ١ / ٥٤) هذا بخلاف الوافدين على المدينة لفترات موسمية ما بين أغسطس وابريل من العام التالى . أنظر :
Hunter : An Account of the Brititsh Setilement of Aaden in Arabia,London,1877,PP . 41 – 43

[٢] جبل المنظر : جزء من جبل صبرة المقابل للبلد ويستعمل كمرصد لمراقبة السفن ، أما حصن الخضراء فيقوم أعلى جبل الأخضر الواقع غرب جبل المنظر ويعرف الآن بحقات ، وفيه حصنين منهما الخضراء المشرف على باب البحر بعدن ، وعنده كانت ترسو المراكب الشراعية التى تحمل البضائع للميناء . (راجع : محمد يحيى الحداد :*تاريخ اليمن* ، ص ٢١٨ ؛محمد كريم :*الفعاليات الاقتصادية* ، ص ١٨٢ وهـ ٢٥) .

[٣] كان المراقبون لا يتمكنون من رؤية السفن إلا وقت طلوع الشمس وغروبها لوقوع أشعة الشمس على سطح البحر ،فيتضح على البعد مسافة الشئ القادم.(راجع:ابن المجاور:*المستبصر*،ص ١٣٨).

[٤] كان يتم التاكد من نوعية الشئ القادم وانه سفينة عن طريق عصا مثبتة يدقق الناطور النظر إليها فإن رأى خيال الشئ القادم مستقيماً على العود ويتحرك ببطء تأكد أنه سفينة ، أما إذا كان الخيال متحركا في كافة الاتجاهات علم أنه طيرا أو ما شابه ذلك (أنظر : ابن المجاور :*المستبصر* ، ص ١٣٨ ؛ بامخرمة :*تاريخ ثغر عدن* ، ج١ / ٥٦) .

مهمة تبليغ نبأ وصول السفينة إلي والى المدينة ، ثم يخرج من عنده ليبلغ مشايخ الميناء أى موظفى الفرضة ، ويستعد الجميع لاستقبال السفينة القادمة ثم يعود إلي المرصد ، وينادى ثانية ، حتى تصل أخبار السفينة إلي معظم سكان المدينة، فيسارعوا بصعود الجبال ، وأسطح المنازل لمشاهدة السفينة القادمة [١] .

وكان الحراس يستعملون وسيلة أخرى لإبلاغ سكان القرى المجاورة بخير قدوم السفينة ، ويتم ذلك بإيقاد النيران على قمة جبل المنظر [٢] ، ولعل ذلك الاهتمام يبرز بوضوح أهمية النشاط التجارى للمدينة ومدى اعتماد الأهالى الأساسى على واردات هذه السفن .

وكانت مهمة الحراس والمراقبين في غاية الصعوبة وتتطلب قدراً كبيراً من المعاناة ، إذ يتطلب الأمر إقامتهم المستمرة بالموقع طوال اليوم ، مع التزام اليقظة والتنبه المتواصل ، ولذا رصدت للناطور إذا كان خبره صحيحاً ، وثبت أن الذى رآه سفينة مكافأة قدرها دينار واحد عن كل سفينة يبلغ عنها ، وتدفع له المكافأة من مال الفرضة [٣] . أما إذا كان ما أخبر به مختلفاً ولا أساس له من الصحة وأنه قد خانه النظر يكون جزاؤه الضرب عشرة عُصيّ [٤] . ومما لا شك فيه أن مبدأ الثواب والعقاب هذا كان حافزاً للنظار على الدقة في عملهم بغية الحصول على المكافأة والإفلات من العقاب .

وعندما تقترب السفينة من جبل " صبرة " [٥] ، يتوجه إليها عدد من الأفراد يطلق عليهم المبشرون في السنابيق (القوارب الصغيرة) ، فإذا اقتربوا منها صعدوا لتحية ربانها ثم يسألونه جملة أسئلة عن البلد القادم منه وأنواع البضائع

---

[١] ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٣٨ .

[٢] محمد كريم : *الفعاليات* ، ص ١٨٢ .

[٣] يذكر د. محمد كريم رواية أخرى مؤداها أن الناطور كان يحصل على مكافأة ثانية قدرها دينار واحد أيضا،ولكن من والى المدينة مكافأة له عند إيصاله الخبر له.(أنظر *المرجع السابق*،ص١٨٢) .

[٤] ابن المجاور : *المصدر السابق* ، ص ١٣٨ .

[٥] جبل صبرة : جبل شامخ في البحر قبالة عدن ، يواجه جبل المنظر ، بل يعد جبل المنظر قطعة منه ، وفي رأس جبل صبرة حصن قديم . ويتصل الجبل بالساحل عن طريق ممر طويل في وسطه جسر يمر منه ماء البحر . أما جزيرة صبرة المواجهة لرأس عدن فتعد أحد المراكز الدفاعية الأمامية عن ميناء صبرة الذى ترسو عنده السفن قبل السماح لها بالدخول إلي فرضة عدن . (أنظر : ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١١١ ؛ بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، ج١ / ٢١٧ محمد كريم إبراهيم : *نفس المرجع* ، ص ١٨١ وهـ ٢١) .

المشحونة وأسماء القادمين معه على متن السفينة ، وأحوال التجار الذين لهم أهـل وعلاقة بعدن ، ثم يستفسر منهم الربان بدوره عن أحوال البلاد واسم والى المدينـة وأسعار البيع والشراء ، وفي خلال ذلك يدون الموظـف المخـتص — (كاتـب الديوان) أو كما يسميه ابن المجاور " الكرّانى " — ويحصر كل ما تحتويه السفينة من بضائع وأمتعة وفرش ، ويسجل أيضاً اسم الربان ، وأسماء التجار المصاحبين لـه ، وبعد الانتهاء من ذلك العمل ، يسلم الرقعة المدون بها هذا الحصـر للمبشـرين ، وبعد ذلك يقوم المبشرون بنـزع أشرعة السفينة وسواريها ودفتـها ومراسـيها ، ويحملون ذلك معهم عند مغادرتهم للسفينة ، وكان هذا الإجراء يتبع خشية مغادرة السفينة الميناء دون دفع الرسوم المستحقة عليها للفرضة . ثم يتوجهون في أعقـاب مغادرتهم للسفينة إلي باب الوالى لتسليمه رقعة كاتب الجمرك وإعلامه بكـل مـا يتصل بالمركب القادم ، ثم يخرجون من عنده ويتجولون في أنحاء المدينة يبشـرون أهل من وصل من التجار ، ويحصلون على البشارة ، ويعزون أهل من لم يعد منهم أو وافته المنية في سفره ، ثم يعرجون إلي التجـار ويعرفـونهم بـأنواع البضـائع الواصلة[1] .

وبعد انتهاء عملية الحصر والتسجيل ، ترسو السفينة بمرسى الميناء ويصعد إليها نائب السلطان في المدينة (الوالى) ، يرافقه المفتش ، ومهمته تفتيش الرجـال تفتيشاً دقيقاً واحداً واحداً وبدقة متناهية ، ويبحث عما يكونـوا قـد أخفـوه ، ويستحق عليه العشور ، وذلك في عمائمهم وأجسـامهم وطيـات ملابسـهم . ويصف ابن المجاور ذلك مبيناً مدى دقته بقوله أن التفتـيش يصـل إلي " حُـزة السراويل وتحت الآباط " وغير ذلك من أعضاء جسم الانسان [2] .

---

(١) ابن المجاور : المستبصر ، ص ١٣٨ ـ ١٣٩ ؛ بامخرمة : المصدر السابق ، ج١ / ٥٧ ـ ٥٨ ؛ فارتيما : رحلات فارتيما ، ص ٦٨ .

(٢) ابن المجاور : المصدر السابق ، ص ١٣٩ . وجدير بالذكر ان التشدد في اجراءات التفتيش بديوان عدن ، إنما كان سمة مميزة للدواوين الجمركية في العصور الوسطى بوجه عام منعا لتسرب الجواسيس إلي داخل البلاد من جهة ، وحرصا على الإيرادات المالية المحصلة من وراء الضرائب المفروضة على السلع الواردة والتى كانت تمثل اهمية بالغة للموارد المالية لأى دولة من جهة أخرى. ومن ثم أتبعت الدقة المتناهية منعا للتهرب من دفع المستحقات المطلوبة ، وخاصة أنه شاع آنذاك العديد من محاولات التهرب من دفع الضرائب لاسيما على الأموال والذهب الذى يحمله المسافرون معهم ودابوا على اخفائه . (راجع : امثلة لذلك في : نعيم زكى فهمى : طرق التجارة الدولية =

ولم يقتصر التفتيش على الرجال فقد كانت النساء يتعرضن للتفتيش كذلك، ويتولى ذلك" عجوز " موكلة من قبل إدارة الميناء لإجراء هذه العملية[١] ، وبعد الانتهاء من عملية التفتيش الصارمة ، التي تتم كما أوضحنا على ظهر المركب وفي نفس يوم الوصول ، يسمح للركاب وسائر ركاب السفينة من تجار وملاحين بمغادرتها والنـزول للمدينة . أما البضائع والأمتعة فتنـزل إلي داخل الفرضة بعد ثلاثة أيام لتعرض على موظفى الجمارك فتحل البضائع "شدة شدة ، وتعد ثوباً ثوباً ، وإن كان من بضائع البهار يوزن بالقبان " [٢] ، وذلك توطئة لتقدير الضرائب المطلوبة على كل سلعة بمنتهى الدقة . ويتبين مما ذكر أن التفتيش وتقدير الضرائب كان يتم بكل دقة ودون أى تساهل في موضوع تحصيل الضرائب والعشور المفروضة ، الأمر الذى سبب العديد من المتاعب للتجار ، ويرجع ابن المجاور هذه الدقة والتشدد الذى يجريه موظفو الفرضة في عملية التفتيش وحصر السلع الواردة إلي رغبة هؤلاء الموظفين في إرضاء رؤسائهم عليهم ، بينما كان هذا الاجراء يتسبب في حزن التجار الوافدين على ما يبذلونه من أموال الضرائب [٣] .

وهكذا كان التجار والمترددون على فرضة عدن يلقون الكثير من مظاهر العنت والمعاناة بسبب التفتيش ، وما كان يفرض عليهم من مكوس ورسوم باهظة، بعكس طريق البر الذى كانت جمارك أبوابه غاية في التساهل . ويشبه ابن المجاور خروج التجار من محنة التفتيش والوفاء بسداد الرسوم بخروج المرء من القبر يوم الحساب ، مما يوضح أحوال التجار بداخلها فيقول " وخروج الانسان من البحر كخروجه من القبر ، والفرضة كالمحشر فيه المناقشة والمحاسبة والوزن والعدد ، فإن

=ص ٣٢١ ؛ سعد زغلول عبد الحميد : *الأثر المغربي والأندلسي* ، ص ٢٥١ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور : *مركز مصر* ، ص ١٣٤ – ١٣٥ ؛ وأنظر أيضا :البلوى :*تاج المفرق* ، ج١ / ١٩٧ ؛ أسامة أحمد إسماعيل ، *الاسكندرية في عصر دولتي سلاطين المماليك* ، ص ٨٢٣ – ٨٢٤) .

[١] ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٣٩ .

[٢] ابن المجاور : *نفس المصدر والصفحة* .

[٣] ابن المجاور : *نفس المصدر والصفحة* ، ويستدل صاحب المصدر على قسوة الجمارك وعظم المبالغ المفروضة على الواصل من البضائع بقصة الناخوذة عثمان بن عمر الآمدى الذى صار بعد المحاسبة الجمركية مدينا لسلطات الفرضة بتسعة دنانير مقابل بضاعته التى دفعها كلها رسوما في الميناء ، ثم خرج بنفسه مقابل تسليم بضاعته وأثر تدخل وسيط بينه وبين رجال الجمارك حتى سمحوا له بأن يخرج " رأسا برأس " (أنظر : ابن المجاور :*نفسه* ، ص ١٤٤) .

كان رابحاً طاب قلبه ، وإن كان خاسراً اغتم [1] " ، أما إذا قدر له السفر عبر أبواب البر " فهو من أهل ذات اليمين ، وإن رجع في البحر فهو من أهل ذات الشمال " [2] .

أما إجراءات المغادرة فكانت بدورها في غاية الصرامة والدقة ، إذ كانت السلطات لا تسمح للتاجر المسافر بالخروج والسفر إلا بعد الحصول على ما يعرف " بخط الجواز " أي يكون حاصلاً على تصريح بالسفر ، وهي رقعة ممهورة بعلامة الوالي . ولا يعطى هذه الرقعة إلا بضامن يكفله ويتعهد بتسديد ما عساه يظهر عليه من مال أو عشور بعد السفر . عند ذلك يسمح له بالسفر ، ويتمكن أقاربه ومعارفه من توديعه في الميناء قبل المغادرة . أما إذا لم يعثر المسافر لنفسه على كفيل يضمنه ، وهذا يحدث للواصلين بالميناء للمرة الأولى ، أو للتجار غير المعروفين لأهل المدينة ، فكان يتبع معهم اجراءاً آخر أشد عنفاً ضماناً لاستخلاص ما قد يكون على هذا المسافر من حقوق لأهل البلد وتجارها ، وفي هذه الحالة يحضر مناد ينادي في الأسواق ويخبر الناس أن " فلاناً " قد عزم على السفر ، فمن له ديناً أو حق عليه يطالبه به ، فإنْ ظهر شئ عليه يؤجل سفره لحين السداد ، وإن لم يتقدم أحد لمطالبته بشئ أخلى سبيله وسمح له بالرحيل " إلي أي موضع شاء " [3] .

---

(١) ابن المجاور : نفسه ، ص ١٢٨ ـ ١٣٠ .

(٢) ابن المجاور : المستبصر ، ص ١٣٠ .

(٣) ابن المجاور : المصدر السابق ، ص ١٤٦ ؛ بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج١ / ٦٧ .

٥- العشور والضرائب

كانت عدن من أهم مراكز اليمن التجارية التي كان يتم فيها تحصيل العشور على الوارد إليها من تجارات أو الصادر عنها ، ودراستها تكمل لنا ملامح النشاط التجارى لميناء عدن .

ويلاحظ أن المصادر التي تتعرض لذكر تجارة عدن تستخدم عدة مصطلحات للتعبير عن تلك العشور مثل الضريبة أو الجباية والتي تشمل ضرائب ورسوم أخرى زيادة على " العشور " لذلك يصعب تحديد مبالغ كل من العشور أو الضريبة أو الجباية كل على حدة ، وقد فصَّل ابن المجاور مصدرنا الرئيس في دراستنا لتجارة عدن مقدار الضرائب التي تؤخذ على أهم السلع في فرضة عدن ، وهى ضرائب سابقة على العصر موضوع الدراسة ، واستمرت طوال عصر بني أيوب وبني رسول ، واستحدث عليها عدد آخر من الضرائب والمعاملات التجارية منها ضريبة الشوانى ، وعشور دار الزكاة ، وعشور الدلالة والسمسرة ، ومال دار الوكالة [1] ، بالإضافة إلي العشور القديمة التي كانت تعرف بمال الفرضة أو عشور البضائع وهى الرسوم الجمركية التي تحصلها إدارة الميناء مقابل الإفراج عن البضائع وتخليصها والسماح بنزولها للمدينة أو شحنها على السفن المغادرة للميناء .

وفيما يلي عدة قوائم بعشور البضائع (مال الفرضة) الواردة للميناء أو الصادرة منه طبقاً لكتابات ابن المجاور : -

---

[1] ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٤٣ .

أولاً : بضائع فرضت عليها العشور طبقاً لوزن البهار الواحد [١] : -

نوع السلعة	مقدار مال الفرضة	ضريبة الشوانى عند قدوم السلعة	ضريبة الشواى عند خروج السلعة	مجموع العشور
الفلفل	ثمانية دنانير	دينار	ديناران	١١ دينار
الأنكزة (الحتليت) [٢]	ثمانية دنانير	--	--	٨ دنانير
قشر المحلب [٣]	٣ دنانير ونصف	--	--	٣,٥ دينار
الطباشير	٢١ ديناراً إلا ثلث	دينار		٢٢ديناراً إلا ثلث
عود الدفواء [٤]	١٠,٥ دينار تقريباً [٥]			١٠,٥ دينار
الهيل [٦]	٧ دنانير			٧ دنانير
الكتان	٧,٥ دينار			٧,٥ دينار
الفوة	١٢ ديناراً [٧]			١٢ ديناراً
الحُمَر (التمر الهندى)	ثلاثة جُوَز [٨]			ثلاثة جوز
السليط (الزيت)	٥ دنانير [٩]			٥ دنانير

---

[١] البهار : يزن حوالى ٢٤٣,٧٥ كجم ، وقدره البعض الآخر بـ ٢٧٠,٥٦٢ . (راجع : فالترهنتس : المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المترى ، ترجمة د. كامل العسلي ، منشورات الجامعة الأردنية ، عمان ، ١٩٧٠ ، ص ٢١) .

[٢] الحتليت : صمغ الأنجدان ويعد أكثر ألبان الشجر حرارة ولطافة ، ويدخل كمادة طبية في علاج عدد من الأمراض (أنظر : المظفر : المعتمد ، ص ١٠٠ - ١٠١) .

[٣] المحلب : شجر أبيض النور ثمره يدخل في ضروب الطيب وهو على أنواع ، وأجوده الأبيض ، ويستعمل في بعض المسوحات والنقاوات ويدخل في عدة استعمالات طبية . (المظفر : المعتمد ، ص ٤٨٦ - ٤٨٧) .

[٤] ربما كان من أنواع البخور المجلوبة من الشرق الأقصى .

[٥] أنظر : الحبشي : جوانب من الحياة الاقتصادية في التاريخ اليمني ، ص ١٠٩ .

[٦] الهيل (الحَبهان) : نوع من الأفاوية العطرية ، حبه أكبر من النبق ، له أقماع وقشر وفي داخله حب صغير طيب الرائحة منبته أرض الهند ويوجد منه قليل باليمن وله عدد من الفوائد الطبية (المظفر : المعتمد ، ص ٣٧٥ - ٣٧٦) .

[٧] يلاحظ أن هذا المبلغ استجد زمن المعز إسماعيل بن طغتكين ، حيث كان مقدار العشور المحصلة من قبل على بهار الفوة تتراوح بين دينارين وثلاثة دنانير . (أنظر : ابن المجاور : المصدر السابق ، ص ١٤٠) .

[٨] الجائز : عملة نحاسية صغيرة تقدر بثمانية فلوس وكل فلس أربع دُرُس ، وكل ثلاثة جوز تساوى درهماً . (راجع ابن المجاور : المصدر السابق ، ص ١٢ ؛ Serjeant , Islamic , Text . P . 130) .

[٩] راجع هذه القائمة : ابن المجاور : نفسه ، ص ١٤٠ ، ١٤٨ .

ثانياً : بضائع فرضت عليها العشور طبقاً لوزن الفراسلة [١] : —

نوع السلعة	عشـــــور الفرضة	ضريبة الشوانى عند الورود	ضريبة الشوانى عند الصدور	المجموع
الكافور	٢٥,٧٥ ديناراً	— —	— —	٢٥,٧٥ ديناراً
القرنفل	١٠ دنانير	دينار	— —	١١ دينار
الزعفران	٣ دنانير وثلث	— —	— —	٣ دنانير وثلث

ثالثاً : بضائع فرضت عليها العشور " بصيغ " مختلفة طبقـاً للطريقـة والعرف المتبع في بيعها ، ومعظم هذه السلع بضائع صادرة من اليمن ومنها : —

نوع السلعة	الكمية	مقدار مال الفرضة
شقق الحرير (عمل زبيد)	الشقة عشرون ذراعاً بالحديد[٢]	نصف دينار وجائز
الشقة البيضاء	" " " "	ثمن دينار
الثوب الظفارى [٣]	الواحد	ربع دينار وجائز
الشقة السُوسّى	"	ثلاثة قراريط [٤]
فوط السوسى	"	ربع دينار وجائز
كورجة المحابس	الكورجة (٢٠ قطعة)	٤ دنانير
كورجة الأحواك	" "	ديناران ونصف
كورجة السُباعى	" "	" "
كورجة : الثياب الخام الهندى	" "	" "
سواسى الكتان الكبار	— —	جائزان وقيراط
سواسى الكتان الصغار	— —	جائزان وفلسين
المقاطع	١٠ قطع	ديناران ونصف
العُقدات	١٠ عُقد	نصف دينار وربع جائز [٥]

---

[١] راجع عنها : *الجزء الخاص بالمكاييل والموازين حيث ورد انها عشرون رطلاً أو عشرة أمنان* ، ص ٤٣٤ من الكتاب ، (راجع ابن المجاور :*المستبصر* ، ص ١٤٠ ؛ هنتس : *المرجع السابق* ، ص ٢١ ، ٤١) .

[٢] الذراع الحديد : طوله ٥٨,١٨٧ سم . (أنظر : ابن المجاور :*نفسه* ، ص ٨٩ ؛ هنتس : *نفسه* ، ص ٨٧) .

[٣] ذكر الحبشي أنه كان يؤخذ عليه أيضا ربع دينار ضمان . (راجع : *جوانب من الحياة الاقتصادية* ، ص ١٠٣) .

[٤] القيراط = ٠,١٩٥ جرام. (أنظر : هنتس :*نفسه* ، ص ٤٤) .

[٥] ابن المجاور :*نفسه* ، ص ١٤٠ .

ومن السلع والبضائع التي كانت تؤخذ عليها العشور بصيغ متعددة طبقـاً لطريقة بيعها آنذاك ، وهى نوعيات ومواد مختلفة مثل :

رأس الضأن :	يؤخذ عليه	ربع دينار	مال الفرضة
العويلى السندابورى [1]	يؤخذ عليه	ثمانية دنانير بالإضافة إلي دينار مال الشوانى عند دخوله إلي عدن ، وفي حالـة إعادة تصديره من باب البر يؤخذ عليه نصـف دينار عشور ، ويتسلمها ضامن دار النبيذ .	

	عند الدخول للفرضة	عند الخروج صادراً من المدينة
رأس الرقيق	: ديناران	نصف دينار
الـسلاك أو (اللّك)	: ربع دينار وأحياناً الثلث	
النيلـة	: وهى مادة صباغة ويؤخذ على القطعة الواحدة ٤ دنانير مال للشوانى ، وعند خروجه من الفرضة يحصل ربع دينار عشور على القطعة .	
قفعة " القفة " الذرة :	يحصل على الواحدة ثمن دينار كعشور [2] .	

أما ما استجد من ضرائب وعشور في العهد الأيوبى باليمن وظل مسـتمراً مع إضافات أخرى في عصر بنى رسول ، فمنه ما سبق إيضاحه مثل بهار الفوة من ثلاثة دنانير على الأكثر إلي ١٢ ديناراً ،كما استجدت عشور أخرى منها :

- بيع المراكب : وكان يحصل على المركب في حالة بيعه بأكمله ١٠ % من ثمنه يدفعها بائع المركب .
- الحديد : وقد بلغت عشوره نصف ثمنه المقدر .

---

[1] يبدو أنه إناء مملوء إما بالنبيذ أو بمادة لها صلة بصناعته لاسيما وان العشور المحصلة عليه يتسلمها ضامن دار النبيذ بعدن ، وهى أماكن مخصصة لصنع وتجارة الخمور التى كانت تلقى رواجا بعدن وبغيرها من مدن اليمن . وهناك دار أخرى لصناعة النبيذ وتجارته في زبيد أما سندابور فهى موضع بساحل الهند كان يجلب منه الطباشير . (راجع : ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ٩٠ ؛ المظفر : *المعتمد* ، ص ٣٠١؛وانظر ايضا:محمد كريم ابراهيم *الفعاليات الاقتصادية* ، ص ١٨٦) .

[2] ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٤٠ ـ ١٤١ .

- الجياد : ويحصل على الرأس الواحد عند دخوله الفرضة خمسون ديناراً وقد استجد ذلك في عهد الناصر أيوب بن طغتكين (٥٩٨ – ٦١١ هـ / ١٢٠١ – ١٢١٤ م) ، وفي حالة تصديره إلي خارج البلاد من عدن عن طريق البحر يحصل على الرأس سبعون ديناراً [1] .

ويأتي على رأس الضرائب المستحدثة في الفترة الأيوبية أيضاً ما عرف باسم :

ضريبة الشواني :

بدأ استخدام الشواني الأيوبية لحماية السفن التجارية والتجار الواصلين ببضائعهم إلي اليمن منذ عهد طغتكين واستيلائه على مقدرات الأمور ببلاد اليمن عام ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م ، وذلك عندما أشار عليه أحد الرؤساء بعدن باستخدام السفن الراسية بالميناء عاطلة عن العمل منذ قدوم توران شاه إلي اليمن [2] ، وذلك لحماية التجارة والتجار – نظير ما يحصل منهم من عشور – من خطر القراصنة الذين دأبوا على التعرض للسفن التجارية التي تنقل السلع الشرقية ما بين عدن والهند ونهب شحناتها ، والهروب بما تم الاستيلاء عليه إلي مخابئهم بجزر المحيط الهندى لا سيما جزيرة سقطرى ، فاستحسن طغتكين المشورة ، وأمر بإنفاذ الشواني من أجل هذا الأمر ، وكان ينفق على تجهيزها وشحنها بالمقاتلة والسلاح والأزواد من مال الخزانة مبالغ يتراوح مقدارها ما بين خمسين إلي ستين ألف دينار سنوياً [3] . وظلت الشواني تقوم بهذا العمل على نفقة الدولة حتى عام ٦١٣ هـ / ١٢١٦ م ، حينما أشار أحد الأعيان على الملك المسعود الأيوبي بتحصيل رسوم أو

---

[1] ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٤٠ – ١٤١ . ومن المعروف أن الخيول اليمنية لاسيما الخاصة منها بالسباق كان لها سوقا نافقة في شتى الأقطار لاسيما في الهند . (راجع : ابن بطوطة : *الرحلة* ، ج٢ / ٣٧٤) ، ويرى د. محمد كريم أن سياسة رفع العشور عند تصدير الخيول من عدن سياسة اقتصادية ترمي لمحاولة الإبقاء على السلالة العربية الأصيلة للخيل داخل بلادها وذلك عن طريق الحد من تصديرها برفع الضرائب عليها ، وهي سياسة جمركية نراها متبعة في العصر الحديث لتخفيض الطلب على السلع التي تحتاجها البلاد بداخلها ، بينما تعمد الدول لتخفيض الضرائب على السلع التي في حاجة إلي ورودها بالبلاد مثلما رأينا الإعفاءات لجملة من سلع مصر والهند والحبشة . (*راجع ما سبق* ، ص ٣٥١ من الكتاب ؛ محمد كريم ، *المرجع السابق* ، ص ١٨٣) .

[2] ابن المجاور : *المصدر السابق* ، ص ١٤١ .

[3] ابن المجاور : *نفسه* ، ص ١٤٢ .

ضريبة من التجار مقابل خروج الشواني لحمايتهم ، بدلاً من الإنفاق عليهم من خزانة الدولة ، فوافق المسعود على ذلك ، وقرر ما عرف بضريبة الشواني ، وأمر بتحصيلها بنسبة ١٠ % من قيمة العشور المحصلة من التاجر " فإذا بلغت قيمة العشور ألف دينار ، يحصل ضريبة للشواني منها مائة دينار " ، واستمرت هذه الضريبة تحصل من التجار سواء خرجت السفن لمباشرة مهامها في إسباغ حمايتها للسفن الواردة ، أو لم تخرج وظلت عاطلة بالفرضة ، إلي أن حلّ عام ٦٢٥ هـ / ١٢٢٧ م ، عندما بطل خروج الشواني نهائياً ، إثر استقرار الأمور والأمن وانحسار خطر القراصنة . بينما ظلت ضريبة الشواني تحصل مع عشور التجارة في عصر بني رسول بدليل قول ابن المجاور " فبطل الشواني ، وصار عشوره يؤخذ إلي يوم القيامة مع الشواني " [١] .

وفي أواخر العهد الأيوبي أيضاً إستحدث الأمير نور الدين عمر بن رسول نائب بني أيوب في عدن عدة ضرائب قبل أن يستقل بحكم اليمن بعد وفاة المسعود الأيوبي وذلك عام ٦٢٥ هـ / ١٢٢٧ م ، فقام بتأسيس دار الوكالة ودار الزكاة، بغرض فرض ضريبتين جديدتين على التجارات الواصلة إلي عدن وهي تجارات لم تكن تحصل عليها عشور ، ليصبح لدينا في أخريات العهد الأيوبي وبداية العصر الرسولي خمسة أنواع من الضرائب كان على التجار دفعها دفعة واحدة إلي ديوان الفرضة مقابل الإفراج عن بضائعهم والسماح بدخولها المدينة وهي :

١- **مال الفرضة (العشور القديمة)** : وهذه يتم دفعها فور تقدير قيمة البضائع الواصلة وطبقاً لما أوضحناه في الجداول السابقة.

٢- **ضريبة الشواني** : وصارت تحصل منذ عام ٦١٣ هـ / ١٢٢٦ م بمقدار ١٠ % من قيمة العشور السابقة (مال الفرضة) [٢] .

---

[١] ابن المجاور : _المستبصر_ ، ص ١٤٢ ؛ بامخرمة : _تاريخ ثغر عدن_ ، ج١ / ٦١ ــ ٦٢ ؛ وراجع أيضاً : محمد كريم : _المرجع السابق_ ، ص ١٨٤ ــ ١٨٥ ، ١٨٩ .

[٢] ابن المجاور : _المصدر السابق_ ، ص ١٤٢ .

٣- **عشور دار الوكالة** : وتحصل على كل دينار قيراط [١] .

٤- **عشور دار الزكاة** : وتفرض على البضائع المعفاة من مال الفرضة ، ولم يحددها ابن المجاور وإن أورد لنا رواية تشير إلي أن مقدارها كان ٥ % من قيمة البضائع الواردة ، وذلك في معرض حديثه عن فداحة الضرائب المفروضة على التجار بعدن وتعدد أنواعها في تقدير ثمن البضائع باختلاف مكان التقويم ، فيذكر قدوم الناخوذة عثمان بن عمر الآمدى ببضاعة من الأعواد قومت في دار الوكالة بحوالى ٢٥ ديناراً فدفع عنها زكاة قدرها دينار وربع دينار [٢] .

٥- **عشور الدلالة** : منذ ذلك العهد أصبح ضرورياً ألا تتم الصفقات التجارية بين البائع والمشترى إلا على يد شخص يعرف بالدلال [٣] ، يؤدى دور الوساطة بينهما ، وذلك نظير أجر يتقاضاه عرف برسم الدلالة أو السمسرة ، ومقداره على الصفقات الصغيرة فلس عن كل دينار من ثمن البضاعة، وفي الصفقات الكبيرة ، يُحَصِّل الدلال ديناراً على كل مائة دينار ، وأحياناً أخرى يأخذون أجرهم من البضائع المباعة عيناً [٤] .

---

[١] ابن المجاور : _نفسه_ ، ص ١٤٣ .
[٢] ابن المجاور : _نفسه_ ، ص ١٤٤ .
[٣] يحيى بن الحسين : _أنباء الزمن_ ، ق ٢٧١ .
[٤] ابن المجاور : _المستبصر_ ، ص ١٤٣ – ١٤٤ ، ١٤٦ ؛ بامخرمة : _تاريخ ثغر عدن_ ، ج١ / ٦٣ – ٦٤ ، ٦٧ ؛ الحبشي : _جوانب من الحياة الاقتصادية_ ، ص ١١١ – ١١٢ .

٦- سياسة حكام اليمن وأثرها على أوضاع التجارة بمدينة عدن

نستدل من العرض السابق لعشور التجارة وأنواعها المختلفة ، على كثرة الأموال المحصلة من التجار لصالح الدولة ، وبالتالى يبرز ذلك حجم النشاط التجارى للمدينة ومدى الازدهار الاقتصادى الذى تعيشه البلاد ، وعظم البضائع سواء الواردة إليها أو الصادرة منها ، ومما يؤيدنا في ذلك ما ذكره ابن المجاور أيضاً عن عدد المراكب الداخلة كل عام إلي ميناء عدن ، وترسو عند مقدمها عند جبل صيرة ، قبل السماح لها بدخول الفرضة ، ويقدر عددها ما بين السبعين والثمانين قابلة للزيادة والنقصان [١] . ورغم ما قد ينطوى على هذا القول من مبالغة في رقم السفن الواردة [٢] ، إلا أنه يعبر من ناحية أخرى عن اتساع النشاط التجارى للميناء بصورة كبيرة ابتداءً من العصر الأيوبى ، وقد انعكست هذه الزيادة في عدد السفن الداخلة للميناء على الأموال المحصلة منها ، فارتفعت ارتفاعاً كبيراً ، حتى أن ابن المجاور يذكر في هذا الصدد أيضاً : أنه قد حصل في جمارك عدن ذات مرة مبلغ ٨٠ ألف دينار قيمة عشور مركب واحدة [٣] . مما يعبر عن عظم الفوائد التى كان يجنيها حكام اليمن من وراء هذا الميناء والتى تجلت بوضوح في صافى إيرادات ثغر عدن التى كانت ترفع سنوياً إلي تعز الحاضرة السياسية لليمن وبلغت آنذاك نحو ٦٠٠ ألف دينار موزعة على أربعة أقسام رئيسة هى : -

أ - خزانة قدوم المراكب من الهند ب - خزانة دخول الفوة إلي عدن

ج- خزانة خروج الخيل من عدن إلي الهند د- خزانة سفر المراكب إلي الهند

وبلغت قيمة كل خزانة منها ١٥٠ ألف دينار قابلة للزيادة والنقصان[٤] واستمر هذا الدخل السنوى الكبير لبلاد اليمن طيلة العصر الأيوبى تقريباً حيث بدأ

---

(١) ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٤٤ .

(٢) يعلق د. محمد كريم إبراهيم على هذا العدد وضخامته بما يفيد أن هناك مركبين على الأقل تدخلان ميناء عدن كل أسبوع ، ولما كان المركب الواحد وفقا لما ذكره ابن المجاور يستغرق ثلاثة أيام في تفريغ شحنته لتعدد الإجراءات الجمركية فمن الواضح أن العمل بالميناء من تفريغ وشحن وحساب وجباية كان يستمر طوال العام . (راجع : *الفعاليات الاقتصادية* ، ص ١٩٠) .

(٣) ابن المجاور : *المصدر السابق* ، ص ١٤٤ .

(٤) في حين أن مقدار كل منها لم يتجاوز في عهد الصليحيين مائة ألف دينار مما يوضح مدى زيادة النشاط التجارى بثغر عدن واجتذابه للكثير من السفن المتجهة من وإلي عدن . (راجع : ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٢١ ، ١٢٢ ؛ بامخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ج١ / ٤١ ؛ وأنظر أيضا :=

في التناقص اعتباراً من عام ٦٢٥ هـ / ١٢٢٧ م [١] .

ولعل لتاريخ هذا التناقص لموارد عدن المالية ارتباطه الوثيق بما أحدثه المنصور نور الدين عمر بن رسول نائب عدن من قبل المسعود الأيوبى في السنة السابقة وهى سنة ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ م ، من إجراءات تجارية صارمة اتسمت بالعنف والظلم الذى شمل التجار على اختلافهم بعدن ، مما سبب لهم خسائر جسيمة لعل أشهرها ما تمثل في عشور دار الوكالة ، ودار الزكاة ، والدلالة ، وما صاحب تحصيلها من قسوة وشدة ، وصلت إلي درجة " ضرب الخلق بالخشب والسياط " [٢] . الأمر الذى أضر ضرراً بالغاً بالتجارة والتجار ، وبالتالى بموارد خزانة عدن للدولة ، و لم تقف هذه الإجراءات عند ذلك الحد ، بل تعدتها إلي اتباع سياسة الاحتكار وطرح البضائع بالسعر الذى يبتغيه ، وهى سياسة أدت كما يقول ابن المجاور إلي خراب عدن ، حيث أمر في سنة دخوله المدينة بطرح الفوة على كل من كان بعدن من " غريب وقريب ، وقوى وضعيف ، ورجل وامرأة ... على سعر البهار مائتى دينار وثمانين " [٣] .

وتابع نور الدين اجراءاته التعسفية وسياسة الاحتكار بأسعار زهيدة وإعادة الطرح بأسعار مرتفعة في السنة التالية ٦٢٥ هـ / ١٢٢٧ م ، فنجده يشترى "جميع فلفل التجار وجميع الخُف [٤] ، والنحاس ، والبُرهار " لحسابه الخاص ، فيدفع للتجار أربعين ديناراً في بهار الفلفل ، ويعيد طرحه على تجار الكارم بستين ديناراً ، ويأخذ الصفر " النحاس " بسعر البهار ستين ديناراً ، ويطرحه على التجار

=العرشى : حسين بن أحمد الزيدى (ت ١٣١٩ هـ / ١٩١١ م) *بلوغ المرام في مسك الختام في من تولى اليمن من ملك وإمام* ، تحقيق : انستاس مارى الكرملى ، القاهرة ، ١٩٣٩ ،ص ٢٧ ؛ الواسعى: *فرجة الهموم* ، ص ١٦٥ ؛

Kammerer (Albert) , la Mer Rouge , Tome I , le Caire , 1929 , P . 66

ويمكن القول من خلال تصنيف ابن المجاور لأقسام الخزانة العدنية أن التجارة مع الهند حظيت بنصيب وافر من الاهتمام والرعاية بحيث شكلت عشور المراكب الواردة منها أو الصادرة إليها حوالى نصف موارد الخزانة ، بالإضافة إلي قيمة الضرائب المحصلة على الخيول العربية المصدرة إليها أيضاً .

[١] ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٤٤ ـ ١٤٥ .

[٢] ابن المجاور : *المصدر السابق* ، ص ١٤٧ ، ٢٥٤ .

[٣] ابن المجاور : *نفسه* ، ص ١٤٧ .

[٤] لعله يقصد السلع التى لا تباع بالوزن ولا تحسب عشورها طبقاً للميزان إنما بالقيمة التى تدل عليها كالأحجار الكريمة والمعادن النفيسة .

بثمانين ديناراً ، علاوة على عدم الإمانة في الميزان ، حيث كان يشترى البهار بهاراً وربعاً ، وعند البيع يعطيه للتجار بهاراً إلا ربع [١] .

كذلك امتدت اجراءاته المالية لتشمل احتكار الأقطان الواردة من الهند، والاتجاه إلي سياسة الضمان،حيث قام بضمان عدد من أوجه النشاط الاقتصادى بالمدينة،فقد ضَمَّن القبان بـ ٢٠ ألف دينار سنوياً،وسوق الجوارى والخضر والرطب واللحم وجميع الدواب بـ ١١ ألف دينار..وامتدت صور الضمان للعديد من المرافق الاقتصادية بالمدينة حتى شمل كل شئ " ما خلا الماء والسمك "[٢] .

ويبدو أن نور الدين اتخذ هذه الإجراءات المالية بهدف زيادة المتحصلات المالية للدولة استرضاءً للملك المسعود وكسباً لثقته ، وهو المعروف بحبه لجمع المال ، الأمر الذى دفعه (أى الملك المسعود) إلي ظلم التجار ونهب تجاراتهم بعدن ، ويورد الخزرجى رواية مؤداها أن الملك المسعود حين عزم على العودة للديار المصرية أمر من ينادى في البنادر ، بأن من أراد من التجار السفر إلي مصر ، فليسافر مع الملك المسعود " فأقبلت التجار من كل ناحية ، بأنواع التجارات والبضائع ، فاجتمع بهم في ثغر عدن وقال لهم بيعوني هذه البضائع التي عندكم تسلموا من العشور ، فباعوا عليه ، فأخذها منهم ، وكتب لهم بأثمانها إلي اليمن ، وأحل لهم بحوالات إلي كل ناحية ، فصاحوا بالويل والثبور ، فلم يلتفت إليهم ولم يحصل لأكثرهم شئ " [٣] .

وكان لهذه التصرفات الجائرة [٤] وارتفاع العشور وسياسات الاحتكار والطرح التى اتبعها الأيوبيون في آخر عهدهم باليمن نتائج سلبية على التجارة والتجار ، حتى أن تلك الرغبة الجامحة في تحصيل الأموال بشتى الوسائل دفعت بعض التجار إلي أن يدفعوا كل بضاعتهم ثمناً لتسديد العشور المتنوعة المفروضة

---

[١] ابن المجاور : _نفسه_ ، ص ١٤٧ ــ ١٤٨ .
[٢] ابن المجاور : _المستبصر_ ، ص ١٤٨ .
[٣] الخزرجى : _العقود_ ، ج١ / ١٤٧ .
[٤] بالرغم من هذه التصرفات الأيوبية الجائرة ، إلا أننا لم نعدم بعض مظاهر التشجيع الأيوبى للتجارة لعل أبرزها ما تمثل في إعفاء بعض السلع الواردة من العشور ، وما قاموا به من حماية للتجارة العالمية بابعاد خطر القراصنة عن سواحل عدن واليمن وجنوب الجزيرة العربية بعامة ، والتى وصلت إلي حد مهاجمة هؤلاء القراصنة في عقر دارهم بجزيرة سقطرى وغيرها من جزائر البحر العربى . (راجع : ابن حاتم : _السمط_ ، ص ١٣١) .

عليها ، بل وأحياناً يصبح مديناً للفرضة [١] . ويعبر ابن المجاور أبلغ تعبير عن هـــذه الأوضاع الجائرة بقوله " ويُخرج التاجر بعد ذلك من هذه البضائع الواصلة العشور والشواني ودار الوكالة ودار الزكوة والدلالة ، يفضل التاجر لا شئ في لا شئ [٢] .

ومما لا شك فيه أن هذه التصرفات الجـــائرة ، بالإضـــافة إلي الظـــروف السياسية الأخرى ، كان لها نتائجها السلبية على مركز عدن التجارى ، ونعنى بها الصراع الناشب بين المنصور نور الدين والأيوبيين في مصر ، كل ذلك كان دافعـــاً للتجار على الهروب من عدن والامتناع عن التعامل معها إلي حد ما ، ممـــا كـــان إيذاناً بضعف مركز عدن الاقتصادى [٣] . لولا ما قام به بعض سلاطين بنى رسول في بدايات دولتهم من جهود تستهدف تشجيع التجارة ، حرصاً علـــى اســـتمرار ازدهار عدن الاقتصادى والمحافظة بالتالى على الأموال الطائلة التي تجبى من ورائها .

ولعل أول محاولة جادة تمت في عهد الرسوليين بغية تشجيع التجارة والحفـــاظ على مركز عدن التجارى ودوام ازدهاره،الاهتمام الزائد الذى أولاه المظفـــر الرســـولى لعدن،فنجده يقوم بزيارة هذا الثغر عام ٦٤٨هـــ/١٢٥٠م،وذلـــك قبـــل اســـتكمال سيطرته على البلاد بعد وفاة والده في العام السابق،فيجتمع بالتجار وأعيـــان البلـــد في محاولة للتودد إليهم وكسب ثقتهم بعدالته،وبث مشاعر الاطمئنان على أموالهم وتجارتهم بدليل ما أورده الخزرجى من سؤال المظفر للتجار عن أحوال قاضـــى عـــدن معهـــم ، فأجمعوا على عدالته ونـــزاهته وكان يدعى القاضى أبو بكر بن محمد بن الجنيد(ت٦٨٨ هـــ/١٢٨٩م)[٤]،ويبدو من سياق نص لابن حاتم أيضاً أن المظفر أزال في هذه الزيـــارة بعض المظالم عن التجار بدليل أنهم قاموا بمهاداته فحملوا إليه "من المال والتحف قـــدراً جليلاً " [٥] .

---

[١] ابن المجاور : _المصدر السابق_ ، ص ١٤٤ .

[٢] ابن المجاور : _نفسه_ ، ص ١٤٨ .

[٣] على الرغم من اجراءات نور الدين التى اتخذها لكسب ثقة مليكه المسعود الأيوبى،وعلى الرغم من صمت المصادر عن توضيح مركز عدن الاقتصادى من خلال الارتفاع الواصل منها إلي تعز في عهده،إلا أننا نرجح عدم توقف النشاط الاقتصادى لعدن كلية آنذاك،بدليل استقبال المنصور قبل وفاته بأيام قلائل لسفير صاحب الهند،الأمر الذى يعكس استمرار قيام العلاقات بين الدولتين وتطورها ايجابيا مما يجعل صاحب الهند يخطب وده بهذه السفارة.(راجع:الخزرجى : _العقود_ ، ج١ / ٨١) .

[٤] الخزرجى : _المصدر السابق_ ، ج١ / ٢١٤ .

[٥] ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٢٦٩ . ومما يذكر أن مبلغ متحصلات عدن بلغ هذا العام (٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م) ٥٠٠ ألف دينار مما يشير إلي أن النشاط التجارى بالمدينة لم يتوقف كلية بل كان لا=

وهكذا بدأت عدن في الانتعاش من جديد مع بداية عهد المظفر الرسولى[١]، الذى كان يسعى جاهداً إلي تنمية موارد هذا الثغر وازدهاره بتأمين طرق الملاحة المتجهة إليه من الأخطار ، والمتمثلة في خطر القرصنة التي عاودت نشاطها من جديد فاستطاع إبعاد القراصنة عن سواحل الجزيرة العربية الجنوبية[٢] بالإضافة إلي توثيق العلاقات بين اليمن وبين الدول التجارية الآسيوية ، فيشير صاحب السمط إلي قيام المظفر بإرسال سفارة إلي ملك فارس عام ٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م ، تحمل إليه صنوفاً متعددة من الهدايا وكان بالسفارة طائفة من تجار عدن ، واتفق أن عصفت الرياح بالسفن ، وألقت بها إلي ساحل ظفار حيث قبض عليهم سلطانها واستولى على هداياهم [٣] .

الأمر الذى جعل المظفر بعد أن فشل في حل المشكلة سلمياً واسترجاع سفارته بالطرق الودية إلي تسيير حملة بحرية برية على ظفار الحبوضى ، استطاع بواسطتها الاستيلاء عليها وقتل سلطانها " سالم بن إدريس الحبوضى " وضمها لدولة بنى رسول ، حيث أقطعها لابنه الواثق نور الدين إبراهيم [٤] . وكان هذا الانتصار من العوامل المشجعة على استقرار الأمن في المحيط الهندى ، وضمان سلامة الملاحة وبالتالى زيادة الإقبال على عدن ، بعد أن دان الساحل الجنوبى للجزيرة العربية بالطاعة لسلطان اليمن مما ساعد على ازدهار تجارة اليمن والبحر الأحمر من جديد [٥] .

=يزال مستمراً وعلى قدر من القوة ، رغم انخفاضه عما كان عليه في أواخر العصر الأيوبى . (راجع : أيضاً: مجهول :تاريخ الدولة الرسولية في اليمن ، ص ٢٧) .

[١] *Lewis (B .);Egypt and Syria , (The Cambridge History of Islam),Cambridge , 1970 , P .223.*

[٢] *Ashtor , Levant trade in the Later Middle ages , New Jersey , 1983 , P . 274 .*

[٣] ابن حاتم :السمط ، ص ٥٠٧ ؛ الخزرجى :العقود ، ج١ / ١٨١ ؛ ابن الديبع :قرة العيون ، ص ٣٢٨ .

[٤] ابن حاتم : المصدر السابق ، ص ٥٠٦ – ٥٢٩ ؛ الخزرجى : المصدر السابق ، ج١ / ١٨١ – ١٨٥ ، ٢٨٥؛ ابن الديبع :قرة العيون ، ص ٣٢٨ – ٣٣٠ ؛ بامخرمة :تاريخ ثغر عدن ، ج٢ / ٨٣ – ٨٥ ؛ وراجع أيضاً : ابن عبد المجيد :بهجة الزمن ، ص ١٦٠ ؛ محمد عبد العال أحمد: بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٣٩١ – ٣٩٣ .

[٥] محمد عبد العال أحمد : المرجع السابق ، ص ٣٩٣ .

وجدير بالذكر أن ظفار الحبوضى صارت منذ ذلك الوقت أحد مراكز التجارة الخارجية في عهد بني رسول وعمد حكامها من الرسوليين إلي إغراء أصحاب السفن للنزول بها،لاعتماد سكانها الأساسى على النشاط التجارى في حياتهم.ومن ثم بالغوا في تقديم التسهيلات للتجار الوافدين والعمل على إكرامهم، من ذلك أنه عند قدوم المركب يصعد إليها عبيد السلطان ويقومون بتقديم كسوة ممتازة لكل من صاحب المركب أو وكيله وربانها والكراني"كاتب السفينة"،تعبيراً عن ابتهاجهم بقدومهم،ثم ينزل هؤلاء الثلاثة من على ظهر السفينة،ويسيرون في موكب حافل من ساحل البحر إلي دار السلطان،وكل منهم يركب فرسا،وتدق أمامهم الطبول والأبواق،حيث يستقبلهم الوزير،ثم يتم استضافة جميع ركاب السفينة والقيام بمؤنتهم لمدة ثلاثة أيام،وبعد انقضاء الأيام الثلاثة،يقام لهم حفل استقبال بدار السلطان تنصب فيه موائد الطعام والأسمطة،مبالغة في الحفاوة بهم ويعلق ابن بطوطة على ذلك العمل بقوله"وهم يفعلون ذلك استجلاباً لأصحاب المراكب[١]".

ويبدو أن النشاط التجارى باليمن عامة وبعدن خاصة ، بدأ يتكاثف وينتعش ويأخذ حظه ثانية من الازدهار في أعقاب حملة ظفار ، إذ تشير المصادر إلي وصول عدة سفارات من صاحب الصين وعُمان تحمل بعض الهدايا للمظفر ، كما وصل صاحب البحرين بنفسه إلي زبيد [٢] ومما لا شك فيه أن هذه السفارات والزيارات كانت تستهدف تمكين وتوطيد أواصر العلاقات التجارية مع اليمن .

وقد نهج العديد من خلفاء المظفر نهجه في الاهتمام بالتجارة وثغر عدن ، فنجد المؤيد الرسولى يزور عدن في سنة ٦٩٨ هـ / ١٢٩٩ م ، حيث استقبله التجار استقبالاً حافلاً ، وتباروا في تقديم الهدايا النفيسة إليه ، ولكنه ردها عليهم شاكراً ، وأمر " بإضافة الخلع عليهم والتشاريف والركائب من البغال المختارة بالعدد الكاملة والسروج المذهبة والزنانير المنوعة " ، وامتد كرمه ليصل إلي نواخيد الهند وغيرهم من ربابنة السفن والتجار الواردين لثغر عدن [٣] . وعمد إلي إبطال

---

(١) ابن بطوطة : _الرحلة_ ، ج٢ / ١٩٨ .
(٢) الخزرجى : _العقود_ ، ج١ / ١٨٥ ؛ ابن الديبع : _قرة العيون_ ، ص ٣٣٠ .
(٣) الخزرجى : _المصدر السابق_ ، ج١ / ٢٦٧ – ٢٦٨ ؛ بامخرمة : _تاريخ ثغر عدن_ ، ج٢ / ٧٦ ؛ أحمد دراج : ايضاحات جديدة عن التحول في تجارة البحر الأحمر منذ مطلع ق ٩ هـ / ١٥ م .

بعض المكوس التى شكا منها أهل التجارة ، ومنها ضمان بيت الحِل [1] . وأثمرت هذه المعاملة الطيبة للتجار فأخذوا ينتجعون عدن ويقبلون عليها بمتاجرهم ، فانتعشت التجارة وعمرت الأسواق وصلحت أوضاع ثغر عدن ثانية ويتمثل ذلك فيما وصل للخزانة السلطانية بتعز في أواخر عهد المؤيد وبالتحديد عام ٧١٨ هـ / ١٣١٨ م من موارد مالية ، إذ حُمل إليها جزءاً يسيراً من ارتفاع عدن قدرت قيمته بحوالى ٣٠٠ ألف دينار ملكية [2] .

غير أن الوضع لم يلبث أن تغير في عهد المجاهد فقد مرت اليمن ومن بينها عدن بحالة من الفوضى والاضطراب ، الأمر الذى تسبب في ظهور آثار سلبية على تجارة المدينة بعد أن سيطر عليها النواب إبان الصراع الناشب بين المجاهد وابن عمه الظاهر عبد الله ، وما عانته من حصار الأطراف المتنافسة طمعاً في السيطرة على خزانتها لتمويل الحروب الدائرة ، وظلت المدينة تعانى من هذا التمزق إلي أن استقر الأمر للمجاهد الرسولى [3] ،وبدأ في الاهتمام بعدن ، فنجده يتردد على الثغر كثيراً للوقوف على أحواله والاهتمام بإقرار الأوضاع فيه [4] ، وبلغ من اهتمامه بثغر عدن ، وكثرة تردده عليه ، أنه توفى بهذا الثغر اثناء إحدى زياراته المتكررة له سنة ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م [5] .

وتابع الأفضل سياسة أبيه في الاهتمام بثغر عدن والعمل على تنشيط تجارته، فتوجه إليه عام ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م ، وأقام فيه أياماً ،تفقد خلالها أحوال التجار فيه " فنشر شيئاً من العدل ما لا يعهد " ، فأنعم على النواخيذ ، وأبطل العديد

محاضرة القيت في الموسم الثقافى ٦٧ / ١٩٦٨ ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة ١٩٦٨ ، ص ١٩١ .

[1] ويعنى به المقابل الذى يدفعه التاجر الغريب نظير مبيته في دار الضيافة او الإقامة بعدن أثناء تواجده بالثغر وكانت هى الأخرى عليها ضمان ، يلتزم به شخص للحكومة لقاء مال معلوم ثم يتولى هو تحصيله من التاجر وفقا لهواه ، فيبدو أن التجار قد تظلموا للسلطان من ارتفاع قيمة المبيت بداخل دار الحل ، فامر بالغاء ضمانه تيسيراً على التجار الغرباء في نفقات الإقامة .

[2] الخزرجى : _العقود_ ج٢ / ٣٤٨ . ولعل ما يؤيد ازدهار عدن زمن المؤيد الرسولى أنه وهب خزانة عدن لأحد خواصه وكان فيها " من المال شئ كثير ومن الملابس والأطياب والتحف ما يتجاوز حد العدّ " فامتنع القائمون عليها من تسليمها للأمير لعظم محتوياتها وكثرتها وهى من متاع السلطان وكسوة أهله وأطيابهم مما لا ينبغى إلا لسلطان ، واكتفوا بارضاء خاطره بمبلغ ٤٠ ألف درهم نقداً وشيئا من الكسوة والطيب يليق بمكانته (راجع : بامخرمة : _تاريخ ثغر عدن_ ، ج٢ / ٧٦ - ٧٧) .

[3] راجع : عن هذه الصراعات : بامخرمة : _المصدر السابق_ ، ج٢ / ١٣٩ – ١٤٦ ؛ محمد عبد العال أحمد : _بنو رسول وبنو طاهر_ ، ص ١٨٥ – ٢٠١ .

[4] الخزرجى : _نفسه_ ، ج٢ / ٥٢ ، ٧٤ ، ٧٥ ؛ بامخرمة : _نفسه_ ، ج٢ / ١٤٧ .

[5] الخزرجى : _نفسه_ ، ج٢ / ١٠٥ ؛ بامخرمة : _نفسه_ ، ج٢ / ١٤٩ .

من المكوس التي كانت تضر بالواردين على الثغر " فصار التجار تذكره بالجميل ونائله الجزيل إلي كل ناحية في البر والبحر " [(١)] .

وحذا الأشرف الثاني نهج أسلافه في الاهتمام بعدن لاسيما في أوائل عهده فزارها بدوره في أواخر عام٧٨١ هـ/ ١٣٧٩م،" وأبطل من المكوس المحدثة شيئاً كثيراً"[(٢)]،وذلك رغبة في انعاش الحركة التجارية بالثغر،ودخلها زائراً للمرة الثانية عام٧٩٣ هـ/١٣٩١م،فأقام بها نحوا من أربعين يوماً [(٣)].ورغم صمت المصادر عما فعله أثناء هذه الزيارة إلا أننا لا نستبعد قيامه بتفقد أحوال المدينة،والتجارة بها ولعله عمد إلي إبطال بعض المغارم،وإزالة أسباب الشكوى أسوة بما فعله في زيارته الأولى ، وذلك دعماً لتجارتها وعملا على تنمية موارد الثغر وزيادتها [(٤)] .

واستطاع بنو رسول المحافظة على مكانة عدن الاقتصادية بما قدموه من تسهيلات للتجار وإزالة بعض المظالم التي أنزلها بهم عمالهم في عدن[(٥)].كما كان لعلاقاتهم بالدول التجارية أثرها في إبراز الأهمية التجارية لعدن واستمرار ومواصلة النشاط الاقتصادى بالثغر،وازدهار تجارة البحر الأحمر بوجه عام.إذ لجأت هذه الدول إلي توثيق الصلات الودية بينها وبين البلاط اليمني في عهد بني رسول، وتوافدت السفارات محملة بالهدايا إلي اليمن،حتي صارت عدن ملتقى السفارات الوافدة للبلاد من الصين والهند وقاليقوط وسيلان وغيرها من الدول الشرقية [(٦)] .

---

(١) مجهول : _تاريخ الدولة الرسولية_ ، تحقيق : عبد الله محمد الحبشي ، _صنعاء_ ، ١٩٨٤ ، ص ٧٥ – ٧٦ ؛ الخزرجي : _نفسه_ ج٢ / ١٣٢ ؛ ابن الديبع : _قرة العيون_ ، ص ٣٧٤ .

(٢) الخزرجي : _العقود_ ، ج٢ / ١٤٥ ؛بامخرمة : _تاريخ ثغر عدن_ ، ج٢ / ٢١ ؛ أحمد دراج : _ايضاحات جديدة_ ، ص : ١٩٢ .

(٣) الخزرجي : _المصدر السابق_ ، ج٢ / ١٨٥ – ١٨٦ .

(٤) يؤيدنا في هذا الترجيح أنه قام بازالة بعض المظالم مما كان له أثره على تدفق السفن إلي عدن ، وبالتالى زيادة ارتفاع عدن الوارد إلي الخزانة السلطانية ، ما أمدتنا به المصادر وبخاصة كتاب تاريخ الدولة الرسولية عن تدرج ارتفاع عدن فيما بين أعوام ٧٩٦ هـ ، ٧٩٩ هـ ، ٨٠٢ هـ فنجده في السنة الأولى يقدر نقدا بخمسة لكوك (٥٠٠ ألف دينار) خارجاً عن الذهب والقماش والطيب والتحف ، بينما في السنة التالية ٧٩٩ هـ أكثر من عشرة لكوك ، وفي عام ٨٠٢ هـ وهى السنة السابقة لوفاة الأشرف وصلت خزانة عدن حوالى ١٧ لكا من الدنانير ومن الأصناف قدر ثلاثة لكوك [اللك : في العدد عند أهل إيران والهند واليمن : مائة ألف] . راجع : _المعجم الوسيط_ ، ج٢ / نشر مجمع اللغة العربية ، ط٣ ، القاهرة ١٩٨٥ ، ص ٨٧٠ ؛ وعن ارتفاع عدن المبين راجع : مجهول : _تاريخ الدولة الرسولية_ ، ص ١٢٤ ، ١٣٠ الخزرجي : _نفسه_ ، ج٢ / ٢٣٧ .

(٥) محمد عبد العال أحمد : _بنو رسول وبنو طاهر_ ، ص ٤٤٥ .

(٦) راجع عن العلاقات المصرية اليمنية بالتفصيل منذ بداية عهد دولة بنى رسول وحتى نهاية عهد دولة المماليك البحرية : محمد عبد العال أحمد : _المرجع السابق_ ، ٣٩٣- ٤٣٠ .

وسنعرض هنا أمثلة من محاولات تلك الدول توثيق علاقاتها بالبلاط الرسولى حرصاً على استمرار مصالحها التجارية بعدن :

أ- علاقات الرسوليين بمصر :

حرص بنو رسول والمماليك الجراكسة على توثيق العلاقات الاقتصادية بينهما [١] حفاظاً على تسهيل تجارة العبور في البحر الأحمر [٢] . ويعتبر الظاهر برقوق أول من اهتم من سلاطين الجراكسة بتوطيد علاقات الصداقة مع الأشرف الثاني الرسولي ، وتبادل الهدايا والرسل معه تعبيراً عن تلك المودة [٣] . كما تلقى الأشرف بدوره كتاباً من الظاهر برقوق في ذى الحجة عام ٧٩٧ هـ /١٣٩٤ م بشأن التجارة والحرص على استمرارها ، حمله أحد كبار تجار الكارمية وهو القاضى برهان الدين المحلى [٤] ، الذى تردد مراراً بالكتب والهدايا بين الجانبين ، مما يوضح أن هذه السفارات والهدايا وما وصل خلالها من الكتب المتبادلة من قبل السلطان المملوكى لصاحب اليمن ، كانت تهدف إلي تحسين العلاقات مع الأشرف الرسولي، أملاً في أن يقوم الأخير بتحسين معاملته للتجار المصريين الوافدين إلي عدن وبخاصة هؤلاء الذين يشرفون على تجارة برقوق الخاصة [٥] .

ب- العلاقات مع قاليقوط والهند وسيلان :

كذلك عملت قاليقوط على تأمين مصالحها الاقتصادية في ثغر عدن ودعمها عن طريق توثيق علاقات المودة مع بلاط بنى رسول، وذلك بإرسال السفارات والهدايا الثمينة التى تعبر عما بلغه ثغر عدن من أهمية تجارية ، فنجد

---

(١) Lewis (B .) , Egypt and Syria , I P . 223

(٢) Piloti (E .) ; I ' Egypte au Commencement du quinzieme Siecle , Le Caire , 1950 , P . 42 .

(٣) عن تلك السفارات المصرية اليمنية المتبادلة وما ضمنه من الهدايا راجع : مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٧٤ ـ ٧٧ ، ٩٣ ، ١٢٨ ـ ١٢٩ ، ١٧٥ ؛ الخزرجى : العقود ، ج٢ / ١٥٥ ، ١٥٨ ، ١٦٣ ، ١٦٧ ـ ١٦٨ ، ٢٣٣ ، ٢٤٢ ـ ٢٤٣ ، ٢٤٦ ، ٢٥٢ ؛ المقريزى : السلوك ، ج٣ / ٨٧٤ ـ ٨٧٥ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم ، ج١٢/ ٦٦ ـ ٦٧ .

(٤) الخزرجى : المصدر السابق ، ج٢ / ٢٣٣ ؛ القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٨ / ٧٢ ـ ٧٣ .

(٥) جدير بالذكر أن العلاقات الوثيقة بين اليمن ومصر استمرت بعد وفاة الظاهر برقوق ، واستمرت السفارات والهدايا متبادلة بين الجانبين مما يدل على رغبة مصر في استمرار وتحسين تجارة العبور والتى كانت تقوم عليها ركائز نظامها الاقتصادى . (راجع : المقريزى : السلوك ، ج٤ / ٣٤٥ ، ٣٦٧ ، ٣٩٥ ، ٤٧٩) .

صاحب قاليقوط يرسل إلي الأفضل الرسولي في عام ٧٧٠ هـ / ١٣٦٩ م هدية تشتمل على الكثير من غرائب الأشجار والطيور [١] ، كما تلقى الأشرف الثاني بدوره سنة ٧٩٥ هـ / ١٣٩٣ م هدية وكتابا من قاضي قاليقوط وجماعة رؤسائها من التجار والأعيان يعلنون فيه ولاءهم له ويستأذنون فيه أن يسمح السلطان لهم بذكر اسمه في الخطبة على منابر بلادهم وكانوا يدعون في المساجد قبل ذلك لصاحبي هرمز ودلهى ، فوافق الأشرف على " ما بذلوه من الطاعة ، وأنعم عليهم إنعاماً تاماً وأذن لهم في ذلك " [٢] ، ومما لاشك فيه أن هؤلاء التجار كانوا يهدفون من وراء ذلك إلي توثيق العلاقات بالأشرف فيشملهم الأخير بعطفه ويمنحهم العديد من التسهيلات التجارية كلما وفدوا بمتاجرهم إلي عدن .

كذلك توافدت السفارات الهندية مصحوبة بالهدايا السنية إلي البلاط الرسولي لذات الهدف ، ففي سنة ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م ، وصل رسول صاحب الهند إلي بلاط المنصور نور الدين عمر بن رسول قبل وفاته بأيام قلائل ويروى الخزرجي أن هذا الرسول بعد خروجه من مجلس السلطان تنبأ بدنو أجل المنصور . ثم تكرر ورود السفارات والرسل من قبل صاحب الهند ، إلي بلاط بني رسول على مدى سنوات متفرقة ، ففي عهد المظفر وصلت سفارة من صاحب الهند عام ٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م إثر افتتاحه لظفار [٣] ، ثم تعاقبت السفارات الهندية في عهد كل من الأشرف الثاني وابنه الناصر أحمد [٤] ، حيث شهد عهد هذين السلطانين توافد العديد من الرسل والسفارات في سنوات متقاربة فقد تكرر مجيؤهم في سنوات ٧٨٣ هـ / ١٣٨١ م ، ٧٩٣ هـ / ١٣٩٠ م ، ٧٩٤ هـ / ١٣٩١ م ، ٧٩٨ هـ / ١٣٩٦ م [٥] ، ٨٠٠ هـ / ١٣٩٨ م [٦] وسنة ٨٠٢ هـ / ١٤٠٠ م [٧]

---

[١] الخزرجي : العقود ، ج٢ / ١٢٠ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص ٣٧٠ .
[٢] راجع : الخزرجي : العقود ، ج٢ / ٢٠٣ - ٢٠٦ حيث اورد نص كتاب أعيان قاليقوط ؛ وأنظر أيضا : الكفاية ، ق ٢١٨ .
[٣] الخزرجي : العقود ، ج١ / ٨١ ؛ محمد عبد العال أحمد : بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٣٤٦ .
[٤] عن هذه السفارات وما حملته من هدايا راجع : مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٦٨ ، ٨٠ ، ٨٥ ، ١٠٦ ، ١١٤ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٦٥ .
[٥] الخزرجي : العقود ، ج٢ / ٢٣٤ - ٢٣٥ .
[٦] الخزرجي : العقود ، ج٢ / ٢٤٤ .
[٧] الخزرجي : العقود ، ج٢ / ٢٥٤ .

وسنوات ٨٠٦هـ/١٤٠٣م ، ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م ، ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م ، وكان الهدف من هذه السفارات المتتابعة التعبير عن رغبة سلطان الهند في توثيق العلاقات التجارية بين البلاطين . كذلك وصلت رسل صاحب كنباية وملك السند سنة ٧٦٨ هـ / ١٣٦٧ م ، مصحوبة بالتحف والهدايا إلي بلاط الأفضل واشتملت هداياهم على غراسات الأشجار المتنوعة [1] . وعمل صاحب سيلان على تدعيم علاقاته السياسية وبالتالى التجارية مع بلاط الرسوليين ، فنجده يرسل سنة ٨٠٠ هـ / ١٣٩٨ م ، إلي الأشرف الثانى هدية نفيسة وبصحبتها كتاب عبارة عن ورقة من الذهب الخالص تشتمل على بيانات الهدية وما اشتملت عليه من طرائف وتحف " فقابل السلطان رسوله بالقبول وأدخله الأصطبل ، فانتقى منه خمسة رؤوس من جياد الخيل وكساه كسوة فاخرة [2] " .

ج- العلاقات مع الصين :

وتوثقت علاقات صاحب الصين مع بلاط بنى رسول لذات الغرض وهو السعى إلي تنمية تجارته مع عدن ، ففي سنة ٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م بعث إلي المظفر سفارة محملة بالهدايا لتهنئته بفتح ظفار [3] . ويبدو أن العلاقات بين البلاطين الصينى واليمنى في عهد المظفر توطدت لدرجة كبيرة إلي حد أن المظفر حينما علم بأن صاحب الصين حرم على المسلمين في بلاده ختان أبنائهم بادر بالكتابة إلي الامبراطور الصينى طالباً منه أن يسمح للمسلمين بالختان وبعث مع الكتاب هدية سنية توافق مراده "فقبل شفاعته وأذن لهم في ذلك " [4] .

واستمرت حركة التجارة بين الصين وعدن ، وتدفقت المتاجر إلي الثغر المحروس مع أواخر القرن ٨ هـ / ق ١٤ م ، بعد فترة توقف بدأت منذ أوائل هذا القرن ، امتنع خلالها تجار الصين عن الإبحار إليها ،ولكن مع اعتلاء أسرة مينج

---

[1] الخزرجى : _العقود_ ، ج٢ / ١١٧ – ١١٨ ؛ _العسجد_ ، ق ٢٣٩؛ كذلك وصلت سفارة أيضا من صاحب كنباية للناصر أحمد عام ٨٢٧ هـ / ١٤٢٣ م لمهاداة الناصر واشتملت الهدية على العديد من الأطياب والتحف والفرش والحرير وغيرها.(راجع:مجهول : _تاريخ الدولة الرسولية_ ، ص ٢٠٧) .

[2] الخزرجى : _العقود_ ، ج٢ / ٢٤٤ .

[3] الخزرجى : _العقود_ ، ج١ / ١٨٥ ؛ ابن الديبع : _قرة العيون_ ، ص ٣٣٠ .

[4] الخزرجى : _العقود_ ، ج١ / ٢٣٥ .

دست الحكم في الصين في سنة ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م ، اصطنعت هذه الأسرة سياسة حكيمة لانعاش الحياة الاقتصادية في الصين ، من ذلك أن أحد أباطرة الصين تبادل مع الناصر أحمد بن الأشرف الثاني السفارات ، الأمر الذى ترتب عليه توثق العلاقات الاقتصادية بين الصين واليمن ، وكان من أثره أن الناصر كان يخص تجار الصين باهتمامه ، وكان يرحب بهم ويحسن معاملتهم [١] . وتوالت هذه السفارات في أعوام ٨٢١ هـ ، ٨٢٢ هـ ، ٨٢٣ هـ / ١٤١٨ – ١٤٢٠ م ، وفي هذه السنة الأخيرة وصلت سفارة موجهة من إمبراطور الصين إلي بلاط الناصر تحمل إليه جملة من الهدايا النفيسة شحنت بها ثلاثة مراكب كبيرة قدرت قيمتها آنذاك بحوالى ٢٠ لكا من الذهب ، واستقبل الناصر السفير الصيني ورحب به وبالغ في إكرامه ، وأرسل صحبته كتاباً وهدية جليلة لامبراطور الصين ، وتذكر المصادر أن رسول الإمبراطور ، حين دخل على الناصر لمقابلته لم يقبل الأرض بين يديه كما جرت العادة عند استقبال رسل الملوك آنذاك ، بل قال للناصر حين قابله " سيدك صاحب الصين يسلم عليك ويوصيك بالعدل في الرعية " ، وعلى الرغم مما تحمله العبارة من مظاهر الاستخفاف بالناصر تتمثل في كلمة " سيدك " التى تحمل معاني التبعية ، فقد أكرم الناصر وفادته ، وحمله رسالة إلي سيده عند عودته وصف فيها الناصر السفير بأقذع الصفات [٢] .ويبدو أن هذه السفارة الصينية كانت تستهدف إقناع الناصر أحمد بتحسين سياسته مع التجار ، وتخفيف حملته عليهم ، إذ كان قد أقدم في أواخر عهده على تغيير معاملته الحسنة للتجار واتبع معهم سياسة قوامها العسف والجور منها احتكاره لشراء بعض السلع لحسابه

---

[١] أحمد دراج : _ايضاحات جديدة_ ، ص ١٩٠ .

[٢] ابن الديبع : _قرة العيون_ ، ص ٣٩٠ ، _الفضل المزيد_ ، ص ١٠٧ ؛ الخزرجي : _العسجد_ ، ق ٩٣ ؛ يحيى بن الحسين : _غاية الأماني_ ، ص ٦٦٥ ، وفي عام ٨٢٦ هـ / ١٤٢٢ م وصل قاصد صاحب الصين في سفارة أخرى لبلاط الناصر أحمد وصحبته هدية سنية شملت الكثير من التحف والطرائف كظباء المسك والأوانى الصينية الفاخرة والثياب والنرش والبشاخين العجيبة وغير ذلك . ويرجح أن هذه السفارة وردت بقصد الاعتذار عما بدر من السفير في زيارته السابقة عام ٨٢٣ هـ . ومحاولة خطب ود الناصر لتحسين معاملته لتجار الصين حرصاً على استمرار الحركة التجارية بين البلدين (راجع : مجهول _تاريخ الدولة الرسولية_ ، ص ١٨٩ – ١٩٠ ، ٢٠٢) . ويبدو أن الناصر أحمد قبل اعتذار صاحب الصين ، ولقيت هديته قبولا منه ولذا نجده يرد على الامبراطور رداً حسناً ويحمل سفارته بهدية جليلة ويرسل معها قاصداً من قبله ، راجع : مجهول : _المصدر السابق_ ، ص ١٩٠ – ١٩١ ؛وراجع أيضاً عن سفارات صاحب الصين للظاهر يحيى ابن رسول _نفس المصدر_ ،ص ٢٤٧) .

الخاص ، على أن يبيعها نوابه بأكثر من ثمنها المعتاد ، وفي ذلك يقول ابن الديبع " وأحدث في آخر دولته مظالم كطرح الحرير بأكثر من ثمنه [١] . الأمر الذى دعا الكثيرين من التجار إلي مقاطعة عدن [٢] .

و لم يقتصر الأمر على تلك الدول فقد توافدت على البلاط اليمنى في عهد بنى رسول العديد من السفارات قدمت من دول ومناطق تجارية مختلفة بهدف توطيد العلاقات الاقتصادية بينها وبين اليمن،والحصول على تسهيلات تجارية بثغر عدن على وجه الخصوص،من هذه الدول فارس وعُمان والبحرين ودول ساحل أفريقيا الشرقى وغيرها [٣].

ومما لاشك في أن سلاطين بنى سول ولفترة طويلة من عمر دولتهم كما أوضحنا،اهتموا بتشجيع التجارة وتأمين طرقها في المحيط الهندى،وتوثيق عرى المودة والصداقة مع الدول ذات العلاقات التجارية معها،مما أثر آنذاك في ازدهار مكانة عدن،وانتعاش أهميتها الاقتصادية.ولكن مع بداية تدهور علاقاتهم مع السلطنة المملوكية في مصر بداية من عهد المؤيد الرسولى وولده الملك المجاهد،وإجحافهم في بعض الفترات بمصالح التجار وزيادة الضرائب المفروضة عليهم بل وتحديهم للسلطنة المملوكية ونهب السفارات المتجهة إلي مصر والإقدام على قتل الرسل[٤].كل ذلك كان له أثره الفعال في تدهور أوضاع عدن وتهديد طريق تجارة البحر الأحمر،الأمر الذى يتعارض مع الجهود التى كانت تبذلها السلطنة المملوكية لحماية هذا الطريق وتدعيم تجارته التى تمثل أحد الركائز الهامة لحياة المماليك الاقتصادية .

ومما ساعد على تدهور مكانة ميناء عدن ما اصطنعه سلاطين اليمن من سياسة تعسفية مع التجار بلغت مداها في بدايات ق ٩هـ/١٥م،وبخاصة في عهد الناصر أحمد الرسولى،فهناك كثير من الدلائل تشير إلي أن الناصر كما سبق أن ذكرنا عمد في أواخر عهده [٥] إلي تغيير سياسته ومعاملته الحسنة للتجار ، واتبع معهم سياسة تقوم على

---

(١) ابن الديبع :*قرة العيون* ، ص ٣٩٠ .

(٢) يحيى بن الحسين :*غاية الأماني* ، ص ٥٦١ .

(٣) راجع عن هذه السفارات :الخزرجى :*العقود* ، ج١ / ١٨٥ ؛ ابن الديبع : *المصدر السابق* ، ص ٣٣٠ ؛ مجهول :*نفسه* ، ص ٧٠ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٩١ ، ١٦٦ ، ٢٠٧ وغيرها ؛ محمد عبد العال أحمد: *المرجع السابق* ، ص ٤٣٨ ــ ٤٤٣ .

(٤) عن العلاقات المصرية اليمنية وتوترها أثناء هذه الفترة : راجع : محمد عبد العال أحمد :*بنو رسول وبنو طاهر* ، ص ٤٠٠ ــ ٤٢٣ وما بعدها .

(٥) يبدو أن هذا السلطان كان يحسن معاملة التجار في أوائل عهده ، يدلنا على ذلك موقفه السابق مع تجار الصين بالإضافة اوقوفه إلي جانب بعض تجار الكارمية عندما تظلموا له من سوء معاملة أمير مكة الشريف حسن بن عجلان لهم ، فنصحهم الناصر بعدم الرسو على ميناء جدة ، ونقل موسمهم=

الجور من ذلك طرحه للسلع كالحرير مثلا وبيعها للتجار بأكثر من ثمنها [١] . وقد أدى هذا الجور بالتجار إلي الهرب من عدن والالتجاء إلي جدة وغيرها تخلصاً من المظالم التى تعرضوا لها ، ولكن الناصر إمعاناً في الانتقام منهم ، أقدم على مصادرة أملاك من هرب منهم في عدن [٢] .

وهكذا تأثر مركز عدن التجارى بسبب هذه الإجراءات التعسفية الصارمة، وبدأت أحوال المدينة في التدهور والاضمحلال ، ويعبر عن ذلك صاحب غاية الأماني بقوله " وتضاعفت أحوال مدينة عدن ، وانقطعت المراكب الواصلة إليها من الهند وغيره...وهذا بسبب جور العمال وما استعملوه من قبيح الأعمال"[٣]. بعد أن جرت العادة منذ القدم أن " مراكب تجار الهند ترد إلي عدن ، ولم يُعرف قط أنها تعدت بندر عدن " [٤] .

وتمادى الناصر أحمد في معاملته السيئة لأصحاب المتاجر ، الأمر الذى جعل بعضهم يفكر في التحول نهائياً عن عدن ومن ذلك ما فعله أحد تجار قاليقوط وهو الناخوذة ابراهيم ، الذى كان من أشهر المترددين على عدن بمراكبه ، فقام "بمحاولة جريئة تعتبر بداية لمرحلة هامة في تاريخ تجارة

=إلي ينبع ، وأمر بان تشحن السفن المبحرة من عدن بالمقاتلة بصحبة تجار الكارمية حتى لا يتعرض لهم الأمير الملكى بسوء ، وقد أدى هذا الموقف إلي إقدام أمير مكة على الاعتذار للناصر عما بدر منه تجاه تجار اليمن ووعده بحسن معاملتهم . كذلك نجده يصدر أوامره عام ٨١٦ هـ / ١٤١٣ م إلي عماله ومتصرفيه في سائر أنحاء اليمن ببسط العدل والرفق بسائر التجار والمتسببين . (راجع:الفاسى:*العقد الثمين*،ج٤ / ١٢٨ – ١٣٢ ؛ مجهول :*تاريخ الدولة الرسولية* ، ص ١٧٦) .

[١] *Ashtor , Levant trade , p . 278*

هذا وقد أمدنا صاحب كتاب تاريخ الدولة الرسولية بمقدار ارتفاع خزانة عدن في سنوات ٨١٣ هـ ، ٨١٧ هـ أى في عهد الناصر فنجد أنها في السنة الأولى نحو عشرة لكوك غير الأصناف العينية من التحف والهدايا وأصناف الحيوانات والطيور وفي سنة ٨١٧ هـ وصلت نقداً وعيناً إلي ما يزيد على عشرة لكوك ولعل هذا الارتفاع في مقدار الواصل من الفرضة يتفق مع ما أوردناه سابقا من انه عمل في بداية عهده على اصطناع الرفق بالتجار الواردين لبلاده ، فتدفقت السفن حاملة أصناف البضائع على الثغر العدنى ، وزادت بالتالى العوائد الجمركية تبعا لذلك . (راجع : مجهول :*تاريخ الدولة الرسولية* ، ص ١٦٠ ، ١٦٩ ، ١٧٢) .

[٢] بامخرمة :*قلادة النحر* ، ج٣ ، ق ١١١٣ ،*تاريخ ثغر عدن* ، ج١ / ١٢ حيث يذكر مثالا لأحد التجار الذين استصفى الناصر أحمد أملاكهم في عدن ، ويدعى التاجر صلاح الدين بن على الطائى صاحب دار صلاح بعدن ، والتى صادرها الناصر من بين جملة أملاك التاجر بعد هروب صلاح إلي مليبار فرارا من قسوة المعاملة في عدن .

[٣] يحيى بن الحسين : *غاية الأماني* ، ق ١ / ٥٦١ .

[٤] المقريزى : *السلوك* ، ج٤ / ٦٨١ .

البحر الأحمر[١]"،إذ قرر عدم التوجه بتجارته لعدن"حنقاً من صاحب اليمن لسوء معاملته للتجار"[٢]،فلم تتوقف سفنه بعدن وإنما واصلت سيرها في سنة ٨٢٥ هـ / ١٤٢٢ م ، إلي باب المندب مجوراً إلي جدة،حيث شكا هناك من سوء معاملة بني رسول وعمالهم في عدن للتجار،ولكنه لم يجد آذاناً صاغية لشكواه،بل أن الشريف حسن بن عجلان استولى على ما معه من بضائع بثمن بخس،وأعاد طرحها على تجار مكة[٣] .

غير أن هذا التاجر كرر محاولة التجاوز عن عدن في العام الثاني ٨٢٦ هـ / ١٤٢٣ م ، وأرسى بسواكن ودهلك ، فلقي نفس المعاملة السيئة التي تلقاها في جدة [٤] ، ورغم ذلك أصر الناخوذة إبراهيم القاليقوطي على موقفه من مقاطعة بندر عدن ، مما ينهض دليلاً على حقيقة مشاعره نحو هذا الثغر بسبب ما كان يلحق به من جور لا حدود له ، ويعاود في العام التالي (٨٢٧ هـ / ١٤٢٤ م)، العزف عن التوقف في عدن ، والمضي في رحلة التجارة عبر البحر الأحمر إلي ينبع في هذه المرة ، ولكن الأمير قرقماس الشعباني – أمير الحاج المصري – الذي كان حاضراً آنذاك في مكة من قبل الأشرف برسباي ، أغراه بالرسو في جدة ، فأرسى بمركبين هناك " فجامله أحسن مجاملة ، حتى قويت رغبته ومضى شاكراً ثانياً[٥] ". الأمر الذي جعله يعود إلي جدة في عام ٨٢٨ هـ / ١٤١٥ م بأربعة عشر مركباً موسقة بالسلع والبضائع [٦] .

وكان نجاح الناخوذة إبراهيم في تعامله الأخير مع بندر جدة ، وما أحرزه من أرباح حافزاً له على التعامل مع هذا البندر ، ولم يكتف بذلك بل استطاع

---

[١] محمد عبد العال أحمد : بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٤٥٥ .
[٢] المقريزى : المصدر السابق ، ج٤ / ٦٨١.
[٣] المقريزى : نفس المصدر والصفحة ؛ أحمد دراج : ايضاحات جديدة ، ص ١٨٧ ؛ إبراهيم على طرخان : مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٢٨٦ .
[٤] المقريزى : السلوك ، ص ٦٨١ ؛ احمد دراج : المرجع السابق ، ص ١٨٧ .
[٥] المقريزى : المصدر السابق ، ج٤ / ٦٨١ .
[٦] المقريزى : نفس المصدر والصفحة . وجدير بالذكر أن برسباى أدرك أهمية وصول تجارات الهند إلي جدة ، ولذا عمد إلي تحصيل المكوس المستحقة على ما تحمله من بضائع لصالح خزانته بدلاً من أمير مكة ، فوجه لذلك الأمر قوة عسكرية بقيادة أحد أمراء العشرات ، يرافقها أحد الكتاب ويدعى سعد الدين إبراهيم بن المرة لتحصيل هذه المكوس.(راجع:المقريزى:نفسه، ج٤ / ٦٨٠ – ٦٨١) .

إقناع بعض التجار الهنود على حذو حذوه في التوقف عند بندر جدة بدلاً من ثغر عدن ، ففي عام ٨٢٩ هـ / ١٤٢٦ م تمكن من جمع نحو ٢٧ مركباً وآتى بها إلي بندر جدة [١] . وجاراه تجار هرمز وغيرهم ممن أعتادوا فيما مضى التردد إلي عدن في انتجاع بندر جدة ، حتى بلغت عدة المراكب التجارية التي وصلت إلي هذا البندر في هذا العام ما يزيد على أربعين مركباً تحمل أصناف البضائع [٢] . وكان الباعث على ذلك ما وجده التجار من تسهيلات تجارية من قبل المسئولين بفرضة جدة ، بعكس ما كانوا يجدونه في عدن من عسف وجور " فتركوا بندر عدن واستجدوا بندر جدة عوضه [٣] " ، وتبعاً لذلك تلاشى أمر عدن وضعف أمر صاحب اليمن تبعاً لذلك [٤] ، وازدهرت جدة وأصبحت بندرا عظيماً وأصبح نظر جدة وظيفة سلطانية يخلع على متوليها [٥] .

وعلى هذا النحو بدأت جدة تحل محل عدن كمحطة رئيسة لتجار الشرق، الأمر الذى ترتب عليه حرمان بنى رسول من كثير من المكاسب التي كانوا يحصلون عليها قبل هذا التحول ، مما دعا الملك الرسولي المنصور عبد الله بن الناصر أحمد (٨٢٨ - ٨٣٠ هـ / ١٤٢٤ - ١٤٢٦ م) إلي السعى لاستعادة مكانة ثغر عدن فأقدم على إزالة بعض المظالم ، وتقديم بعض التسهيلات التجارية للتخفيف عن كاهل التجار ، ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل و لم تجد شيئاً لاستعادة مكانة عدن القديمة [٦] فتضاعفت أحوال الميناء كثيراً ، يدلنا على ذلك ما ذكره المقريزى

---

[١] بامخرمة : قلادة النحر ، ج٣ ، ق ١١٠٣ .
[٢] المقريزى :نفسه ، ج٤ / ٧٠٧ .
[٣] المقريزى :نفسه ، ج٤ / ٧٠٧ .
[٤] المقريزى : السلوك ، ج٤ / ٦٨١ ؛ ابراهيم على طرخان : مصر في عهد دولة المماليك الجراكسة ، ص ٢٨٦-٢٨٨ .
[٥] المقريزى : المصدر السابق ، ج٤ / ٧٠٧ ؛ الجزيرى : زين الدين عبد القادر بن محمد الانصارى (ت ٩٦١ هـ / ١٥٥٤ م)درر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة ، مخطوط مصور بدار الكتب المصرية ، رقم ٣٧ م ، ق ٢٩٢ . هذا وقد اختص هذا الناظر بتحصيل الرسوم الجمركية المقررة على السفن الواردة من الهند إلي جدة حيث كان يذهب الناظر في أوان ورود هذه السفن لتحصيلها والعودة بها للقاهرة ، وكانت تزيد على حد قول المقريزى على ٧٠ ألف دينار " سوى ما لم يحمل (راجع : السلوك ، ج٤ / ٧٠٧ - ٧٠٨ ؛ وأنظر أيضا ابن شاهين الظاهرى : زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، تحقيق بول رافيس ، باريس ١٨٩٤ م ، ص ١٤ حيث يقدر هذه المكوس بنحو ٢٠٠ ألف دينار) .
[٦] بامخرمة :قلادة النحر ، ج٣ ، ق ١١٠٣ ؛ Ashtor , op . cit , P . 278

في حوادث عام ٨٣٥ هـ / ١٤٣٢ م ، من قدوم قافلة تجارية من الصين ، أرسى منها مركبان بعدن ، فلم يتيسر لهما بيع بضائعهما بالميناء ، وكانت خليطاً من الصيني والحرير والمسك وغير ذلك . مما يؤكد اختلال أحوال اليمن ، وأمام هذا الكساد ، قام قائد المركبين بمراسلة كل من أمير مكة ، وسعد الدين بن المرة ناظر جدة يستأذنهما في القدوم إلي فرضة جدة ، فأذنا له بعد الحصول على موافقة برسباى إذ " رغباه " في كثرة ما يتحصل في مقدمهم من المال " [١] .

فكانت تلك هى المرة الأولى التى تصل فيها السفن الصينية إلي البحر الأحمر تسجيلاً لبداية التعامل المباشر مع جدة والتخلى عن عدن[٢].وقد دفع هذا الإقبال التجارى على جدة السلطان الرسولى الظاهر يحيى(٨٣١-٨٤٢ هـ/ ١٤٢٧- ١٤٣٨م)،إلي بذل محاولة أخيرة لاستعادة مكانة عدن التجارية فنجده يأمر نوابه في عدن بتسيير بعض قطع الأسطول المشحونة بالرجال والسلاح إلي باب المندب سنة ٨٣٣ هـ / ١٤٢٩ م ، لرصد السفن الهندية المتجهة إلي جدة وإرغامها على العودة إلي عدن ، ونجح رجاله في وضع أيديهم على بعض المراكب والعودة بها إلي بندر عدن ، حيث استصفيت أموال أصحابها وبضائعهم[٣] .

---

[١] المقريزى : _نفسه_ ، ج٤ / ٨٧٢ ـ ٨٧٣ ؛ ابن تغرى بردى : _النجوم_ ، ج١٤ / ٣٦٢ ؛ _Ashtor , op . cit , P . 278_ ويؤكد هذا الكساد الذى أصاب عدن أن عدة ما كانت تحتويه خزائنها في عام ٨٣٤ هـ / ١٤٣١ م بكامل أصنافها وأقسامها لم تزد عن خمسة لكوك ، مما يشير أن لذلك الهبوط ارتباطه بما تم من مصادرات لبضائع التجار التى كثرت حوادثها اعتباراً من ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨ م ، لمحاولة منع السفن من اللجوء إلي جدة ، ثم نجدها في العام التالى مباشرة أى عام ٨٣٥ هـ / ١٤٣٢م قد انخفضت إلي ثلاثة لكوك فقط مما يشير إلي مزيد من التدهور في أحوال الفرضة . (راجع أيضاً : مجهول : _تاريخ الدولة الرسولية_ ، ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣ ، ٢٤٩ ؛ بامخرمة : _المصدر السابق_ ، ج٣ ، ق ١١٠٦) .

[٢] محمد أحمد عبد العال : _المرجع السابق_ ، ص ٤٥٨ .

[٣] مجهول : _تاريخ الدولة الرسولية_ ، ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥ ؛ بامخرمة : _قلادة النحر_ ، ج٣ ، ق ١١٠٥، وجدير بالذكر أنه في عام ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨ م ، اصطدم مركبان من مراكب المجورين بصخور جزيرة " الزقر " فأرسل الملك الظاهر الأمير زين الدين شكر العدنى وبصحبته ناظر عدن وجماعة من المباشرين والجند للاستطلاع عن خبر المركبين ، ومصادرة ما بهما من بضائع ، فتم ذلك وقدرت قيمة حمولتهما بما يزيد على ١٠٠ ألف دينار ، فتصدق بها الظاهر على جنده وأمرائه . وأطلق سراح من بهما من التجار وأفراد. (راجع : مجهول : _المصدر السابق_ ، ص ٢١٤ ـ ٢١٥)، كذلك ظفر المبشرون في باب المندب بمركب سومطرى من مراكب المجورين فقبضوا عليه ولزموا تجاره وأرسلوهم لعدن تحت التحفظ سنة ٨٣٣ هـ / ١٤٢٩ م .(راجع : مجهول : _نفسه_ ، ٢٢٢) .

ولكن هذا الموقف العدائى من جانب الظاهر يحيى تجاه الراغبين في الإبحار إلي جدة ، لم يُرجع لعدن ما فقدته من تجارة العبور ، وازداد التجار اصراراً علـى مقاطعة ميناء عدن ، بل وأساء هذا الموقف إلي سمعة بندر عدن التجارية في المحـيط الهندى والشرق الأقصى ، بالإضافة إلي استثارة السلطان المملوكى برسباى – لأن جدة كانت ضمن السيادة المملوكية آنذاك – من فعل الظاهر يحيى وما أدى إليـه هذا التصرف من ضياع جملة كبيرة من المبالغ التى كانت تتـدفق علـى الخزانـة المملوكية ، الأمر الذى دفعه إلي تهديد الظاهر يحيى باحتلال بلاده ، وتظاهر بإعداد حملة عسكرية لهذا الغرض قدّم عليها الأمير بكتمر السعدى [1] . فخشى الظـاهر مغبة موقفه إذا ما تمادى في عدائه للأشرف برسباى فأرسل إليـه متعهـداً بعـدم التعرض للسفن مرة أخرى ، وأنه سوف يطلق لأصحابها الحرية في اختيار المينـاء الذى يرغبون الرسو فيه [2] .

ورغم صمت المصادر عن ذكر أى نبأ عن حدوث صدامات مسلحة بين السلطات اليمنية وبين سفن المجورين المتجهـة إلي بنـدر جـدة ، بعـد حادثـة عام ٨٣٣ هـ / ١٤٢٩ م ، إلا أن المراكب المجورة التى قد يصادفها حظها العسر وتتحطم على صخور البحر الأحمر ، أو تلك التى تعصف بها الريح ، فتدفعها ناحية سواحل اليمن ، كانت تصادر أو تعاد تحت الحراسة في معظم الأحيان إلي ميناء

---

(١) ابن شاهين الظاهرى : زبدة كشف الممالك ، ص ١٣٧ .

(٢) *Heyd , Hist . de . Comm . II , PP . 445 _ 446*

ويبدو أن الظاهر يحيى قد أدرك عدم جدوى تلك السياسة العدائية فحاد عنها واتبع سياسة أكثر مرونة تهدف إلي ازالة بعض المظالم التى يتعرض لها التجار بعدن في محاولة أخيرة لانقاذ مكانة هذا البندر التجارية ، فنجده يصدر أوامره إلى قاضى البندر عام ٨٣٦ هـ / ١٤٣٢ م بألا يؤخذ من تجار قاليقوط غير العشور ويسمح لهم باتخاذ القواعد وغيرها ، وأنعم على الناخوذة القاليقوطى الواصل هذا العام بالخلع النفيسة ، وتسامح له في بعض العشور تشجيعاً لهم على الورود إلي عدن " فطابت خواطر التجار بما تصدق به مولانا السلطان ... عليهم ، وما بذله من العدل والإنصاف والرفق بسائر المتسببين " ، ويبدو أن هذا التشجيع في تلك السنة أثمر بعض الشئ بدليل ارتفاع الواصل من خزانة عدن هذا العام عن العام الماضى بمقدار لكين إذ وصلت بما تحتويه من النقد والذهب والتحف والأطياب إلي حوالى ٤ لكوك . علاوة على خمسين حملاً من البز . بالإضافة إلي بعض الهدايا المقدمة للسلطان ، مما يوحى بأن التجار وبخاصة تجار قاليقوط أقدموا على اهداء بعض طرف بلادهم للبلاط الرسولى طمعاً في حسن معاملته لهم ، يؤيد ذلك أن الناخوذة القاليقوطى وأسمه كروه صاحب الخزانة عند مسيرها لحاضرة الرسوليين . فكسا السلطان كسوة فاخرة وتبع ذلك اصداره للأوامر السابقة بحسن معاملة الواردين لعدن وبخاصة تجار قاليقوط وتسهيل سبل اقامتهم بالمدينة والاقتصار في الرسوم على العشور فقط (راجع : مجهول : *المصدر السابق* ، ص ٢٧٠) .

عدن [١] ، الأمر الذى يفسر لنا من ناحية أخرى تلك العوائد المرتفعة لخزانة عدن في ذلك الوقت . ومن أمثلة هذه الحوادث ما حدث عام ٨٣٧ هـ / ١٤٣٣ م عندما عاكست الرياح الشمالية مسيرة مجموعة من سفن المجورين كانت في طريقها لميناء جدة ، فلم يتمكنوا من مواصلة السير إليها ، فطلبوا الدخول لفرضة عدن ، فأذن لهم السلطان وأسقط عنهم خمس العشور [٢] .

وفي العام التالى قبض مسئولو ميناء الحديدة مركباً للمجورين ، وأعلموا السلطان الذى صدرت أوامره بمصادرة المركب .وسير من أجل ذلك مجموعة من قضاته بصحبة العسكر إلي الحديدة لنقل شحنة المركب إليه ، فنقلوا " الخف الثمين" إلي مقام السلطان بالمهجم ، ثم اقتادوا رجال المركب أسرى ، أما بقية أحمال البضائع التي كانت مشحونة بالمركب فقومت بما يزيد عن ١٠٠ ألف دينار[٣].

وهذه التصرفات التي أقدم عليها البلاط الرسولى إلي جانب ما قام به السلطان المملوكى الأشرف برسباى من اجراءات يهدف من ورائها إلي محاصرة عدن اقتصادياً ومنها مرسومه الصادر في عام ٨٣٨ هـ / ١٤٣٥ م [٤] ويقضى بمصادرة البضائع الواردة من اليمن إلي جدة على السفن اليمنية ، ومضاعفة العشور على نفس تلك البضائع إذا وردت عن طريق اليمن مع التجار الشاميين والمصريين، ولكن حال دون تنفيذ هذا المرسوم الصارم ، الشريف بركات بن عجلان أمير مكة

---

(١) أحياناً كانت سفن المجورين تضطر إلي دخول عدن بعدما يتعذر عليها دخول جدة وأحياناً أخرى كانت تلجأ إلي فرضة زبيد أو المخا في طريق عودتها وذلك بفعل صدود الريح عن تسييرها ، مثال ذلك ما حدث عام ٨٣٣ هـ حينما نزل مركبان بندر المخا ، واستطاع أحدهما دخول عدن بعدما ساعدته الريح على مواصلة طريقه إلي هناك فقط بينما لم يستطع الثاني التقدم لمعاكسة الريح له فتقدم إليه عمال السلطان وأفرغوا حمولته إلي الباب الشريف بزبيد . (راجع : مجهول : *المصدر السابق* ، ص ٢١٦ – ٢١٧) .

(٢) مجهول : *المصدر السابق* ، ص ٢٨٠ .

(٣) مجهول : *المصدر السابق* ، ص ٢٩٠ – ٢٩١ .

(٤) قبل صدور هذا المرسوم كان عمال برسباى يشتطون في جمع الضرائب من الواصلين إلي جدة في البحر ، فأدى هذا الي عودة بعض التجار للرسو بمتاجرهم في عدن ثانية بالإضافة إلي مسامحات الظاهر يحيى في هذه السنة للتجار وبخاصة تجار قاليقوط ، مما تسبب في بعض الازدهار يفسر لنا ذلك عوائده المرتفعة عام ٨٣٦ هـ / ١٤٣٢ م الأمر الذى جعل برسباى يبادر بإصدار مرسومه عام ٨٣٨ هـ / ١٤٣٥ م حماية لتجار جدة ، وعقاباً لمن تردد من التجار على اليمن ثانية (راجع : المقريزى : *السلوك* ، ج٤ / ٩٢٩ ؛ *Ashtor , Levant Trade , P . 278*) .

الذى راجع السلطان بشأنه مبيناً خطورته وأثره في دفع عجلة جدة وتجارتها مرة ثانية إلي الوراء،مما يؤدى إلي ازدهار بندر عدن ثانية،فأمر برسباى بإبطال المرسوم والتخفيف عن التجار الوافدين إلي جدة[١].وقد ساعد ذلك على زيادة كساد بندر عدن وتحطم مركزها التجارى،فأقفرت من التجار تدريجياً،وانخفضت متحصلاتها من الرسوم الجمركية إلي أدنى مستوى لها في عام ٨٣٨ هـ/١٤٣٥م،واقتصرت على قدر بسيط من المال والحرير والبز والتحف،وفي عام ٨٤٠هـ/١٤٣٧م، لم تزد عن مائة ألف دينار نقداً وشيئاً يسيراً من الهدايا والملبوس وأنواع التحف[٢].فكان ذلك مؤشراً هاماً لقرب انهيار دولة بنى رسول بعد أن فقدت مصدراً هاماً من مصادر ثروتها المالية،ولم يعمل سلاطينها آنذاك على انقاذ سمعة ثغرهم التجارية،وانشغل أعيان دولتهم بالتنافس على السلطنة وهو تنافس تفاقمت حدته في أواخر عهد الدولة الرسولية مما عجل بانهيارها،وانعكس ذلك على عدن فتفاقم أمرها هى الأخرى،وتعرضت للإهمال،وازداد حالها سوءاً بالحريق الذى تعرضت له في عام٨٤١ هـ/ ١٤٣٧م،ليأتي عليها بأجمعها[٣]،ويفقد بنو رسول بذلك مورداً مالياً كان دائماً عوناً لهم فيما يواجهونه من مشكلات كانت تعترض بناء دولتهم .

فكان لانهيار مؤسستهم الاقتصادية بعدن وانشغالهم الداخلى في الصراع على الحكم،أثره الواضح فيما تعرضت له الدولة من ضعف وانحلال،صوره لنا بامخرمة تصويراً دقيقاً مبيناً انحسار سيادة بنى رسول عن عدن في أواخر عهدهم،وأنها كانت مجرد سيادة اسمية فقط،بينما السيادة الفعلية لبعض القبائل العربية التي دأبت على نهب التجار القادمين وبخاصة الغرباء منهم،ولم يسلم من طائلتهم إلا من طلب الحماية لنفسه وآله مقابل إتاوة شهرية يدفعها لأعيان القبيلة التي تتكفل بحمايته [٤] الأمر الذى يوضح مدى الضعف الذى أصاب الرسوليين وعجل بسقوط دولتهم عام ٨٥٨ هـ/ ١٤٥٤ م [٥].

---

[١] المقريزى : المصدر السابق ، ج٤ / ٩٢٩ ـ ٩٣٠ ؛ Heyd , op , cit , II , P . 445

[٢] مجهول تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٢٩٤، ٣٠٤ .

[٣] المقريزى : السلوك ، ج٤ / ١٠٢٢ .

[٤] بامخرمة : قلادة النحر ، ج٣ ، ق ١١١٥ .

[٥] المقريزى.المصدر السابق،ج٤/١١٥٣؛وراجع أيضا محمد عبد العال:بنو رسول وبنو طاهر، ص ٤٥٩ ـ ٤٦٠ .

ثانياً : التجارة الداخلية

١- الحركة التجارية في الأسواق بين مدن اليمن

نشطت حركة التجارة الداخلية في اليمن نشاطاً ملحوظاً في عدد كبير من مدن اليمن وقراها ، فكان هناك العديد من الأسواق التى تقام في ساحات هذه المدن والقرى ، ورغم كثرة هذه الأسواق وتنوعها ، إلا أن الغالب عليها كما يبدو هو نظام الأسواق الأسبوعية التى كانت تقام في يوم معين من أيام الأسبوع ، وكان هذا النوع من الأسواق ، أكثر شهرة وذيوعاً لا سيما في المدن والقرى الصغيرة ، بحيث غلب على ما سواه حتى قيل أن اليمن لم تعرف الأسواق الدائمة كما يقول العمرى " وليس باليمن أسواق دائمة ، إنما بها يوم من الجمعة تجلب فيه الأجلاب ويخرج أرباب الصناعات والبضائع على اختلافها ، وتقام في ذلك اليوم الأسواق ، ويباع ويشترى فمن أعوزه شئ في وسط الجمعة لا يكاد يجده إلا المآكل ، فإنها دائمة كغيرها من البلاد ، والمعمولات من المآكل في أسواقها للبيع قليلة ، بل من أراد شيئاً عمله بنفسه " [1] .

والثابت من خلال استقراء العديد من النصوص التاريخية أن اليمن كغيره من بلدان العالم الإسلامى ، عرف الأسواق بأنواعها من الدائمة والموسمية والأسبوعية ، بل أن الأسواق اليومية كانت تقام في بعض المدن اليمنية الكبرى ، كعدن وزبيد وصنعاء ، حيث كان يقصدها الناس من البوادى والقرى والمناطق المحيطة لبيع منتجاتهم واستبدالها بما يحتاجونه من السلع المتوافرة بأسواق هذه المدن الكبرى . كمدينة زبيد مثلاً ، وهى إحدى المراكز التجارية اليمنية والتى عرفت الأسواق اليومية المتخصصة التى زخرت بالحركة التجارية مثل سوق البَزّ ، وكان يعقد في وقت القائلة من صلاة ظهر كل يوم لأن جميع قاصدى هذا السوق كانوا يأتون من خارج مدينة زبيد ، فيقبلون إليها ومعهم إنتاجهم ، ويبيعون في أوائل النهار ويحصدون أثمان مبيعاتهم ، وعندما ينتهون يكون الوقت قد قارب الظهر ،

---

[1] مسالك الأبصار ، ص ١٥٦ ؛وراجع : القلقشندى : *صبح الأعشى* ، ج٥ / ٧ حيث يجعل الأسواق تقام يوم الجمعة فقط من الأسبوع ، بينما تبدو عبارة العمرى أكثر منطقية إذ أن لكل مدينة أو قرية يوماً في الأسبوع تعقد فيه سوقها فكان هناك سوق السبت وسوق الأحد وغيرها .

فيتناولون طعام الغذاء ويدخلون السوق فتتعاظم عند ذلك حركة البيع والشراء وتصل لذروتها بعد ظهر اليوم [(١)] .

وهكذا نشطت حركة التبادل التجارى بين المدن والقرى،فكان تجار صنعاء وذمار على سبيل المثال،ينتقلون بتجارتهم إلي عدن حيث يبيعونها هناك، ويجلبون لأسواق بلادهم العديد من السلع المتوافرة بأسواق عدن ويأتى في مقدمتها العطور والعُطب،وغيرها من السلع[(٢)].وبذلك قامت حركة مصغرة للاستيراد والتصدير داخلياً فميا بين مناطق اليمن المختلفة،تقوم على أساس تبادل المنتجات الزراعية والصناعية والمواد الخام، فالمصادر تتضمن ما يشير إلي خروج الجزع والعقيق بأنواعه من منطقة ألهان،وسعوان إلي أسواق صنعاء[(٣)].كما كان جميع أنواع السمك يرفع من غلافقه إلي زبيد[(٤)].وتخرج الأبقار الجبلانية من جبلان إلي صنعاء[(٥)]،كذلك تبادل تجار اليمن الأخشاب بأنواعها،فحملت من أودية سردد ومور ورماع وزبيد وغيرها إلي كافة أنحاء اليمن[(٦)].وكانت الشحر تصدر السمك المجفف إلي عدن وأطراف اليمن[(٧)].وكان الزبيب يحمل من خيوان للعديد من مناطق اليمن[(٨)] .أما السروات فعرفت بأنها كانت معدناً للحبوب والتمور والعسل ومنها كان يصدر إلي كل أنحاء اليمن[(٩)] .كما كان التمر هندى (الحمر) يحمل من سفاكا احدى حصون تهامة إلي عديد من أقاليم اليمن،وكانت أسواق زبيد تزخر بالخضر والغلال والبقول وتُباع فيها متجاورة،ومنها ما تنتجه أراضى زبيد ذاتها ، ومنها ما يجلب إليها من الأسواق والبوادى المجاورة لبيعه في أسواقها [(١٠)] .

---

(١) ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ٨٨ . ويلاحظ ان أغلب الواردين على سوق البز كانوا لا يمتلكون نقوداً عند القدوم للسوق ، فيعمدون إلي بيع بعض مصنوعاتهم التي يحضرونها معهم ، ويحصلون أثمانها ثم يدخلون السوق لشراء ما يحتاجونه بما تحصل لهم من نقود . ولعل ذلك كان السبب في انعقاد هذا السوق بعد الظهر حتى يتمكن الواردون من تصريف منتجاتهم صباحاً بالمدينة ثم يتفرغون لابتياع حاجاتهم من البز .

(٢) ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٩٢ .

(٣) الهمدانى : *صفة جزيرة العرب* ، ص ٢٠٢ – ٢٠٣ .

(٤) ابن المجاور : *المصدر السابق* ، ص ٢٤٣ . وكان ضمان سوق السمك بزبيد يبلغ ١٣ ديناراً ملكية كل يوم .

(٥) الهمدانى : *المصدر السابق* ، ص ١٠٣ .

(٦) ابن المجاور : *نفسه* ، ص ٦٣ .

(٧) المقدسى : *أحسن التقاسيم* ، ص ٨٧ .

(٨) الإدريسى : *نزهة المشتاق* ، ج١ / ١٤٧ .

(٩) المقدسى : *المصدر السابق* ، ص ٨٦ .

(١٠) ابن المجاور : *نفسه* ، ص ٦٢ ، ٨٩ – ٩٠ .

٢- الأســـواق التّجارية

أ- الأســـواق الأسبوعية

طغت الأسواق الأسبوعية في اليمن على ما عاداها من أسواق فانتشرت في المدن الكبيرة وفي القرى الصغيرة،وكانت الأسواق تعرف بيوم انعقادها فكان هناك مثلاً سوق الجمعة بقرية أثافت[١]،وسوق السبت بالجَنَد[٢]،وسوق السبت بعدن[٣].

كذلك كانت هناك أسواق أسبوعية في مدن السواحل يرتبط قيامها بيوم وصول السفن التجارية أو رحيلها ، وعند ذلك تنشط حركة البيع والشراء وتنعقد الأسواق ، لتزويد بحارة السفن وركابها بما يحتاجون إليه من الميرة اللازمة لهم أثنـــاء رحلتهم ، من ذلك مدينة عدن التي لا يكاد يخلو أسبوع واحد بها من تجار وسفن واردة وبضائع شتى ومتاجر متنوعة [٤] . ولذا جرت العادة أن يقام سوق تجـــارى على شاطئ البحر يجتمع اليه الكثير من تجار اليمن وغيرها [٥] ، وكانت أهم السلع المتبادلة فيه العطور والطيب بأنواعه والأدم والبرود المجلوبة من المعافر واللؤلؤ [٦] .

وعرفت زبيد بدورها السوق الأسبوعى وكان يُعرف بوعد زبيد وكـــان يقام يوم الجمعة من كل أسبوع ، ويقصده الناس من شتى المناطق المحيطـــة لبيـــع انتاجهم واستبداله بما يحتاجونه من سلع ، وقد ظل وعد زبيد يقوم في هذا اليـــوم حتى كان عهد الأشرف الثاني الرسولي الذى عمد إلي تغييره في عام ٧٩٠ هـــــ / ١٣٨٨ م ، فأصدر مرسوماً يقضي بجعله يوم الخميس بدلا من يوم الجمعة ، بعـــد أن شاهد انشغال الناس وتعلقهم بالبيع والشراء في الوعد عن أداء شـــعائر صـــلاة الجمعة ، فكان مرسوم التغيير [٧] .

---

(١) قدامه بن جعفر : _الخراج_ ، ص ١٨٩ . أما أثافت فهى احدى قرى اليمن القريبة من صنعاء عرفت بمعاصر الخمر قديماً وكثرة الكروم . (راجع : الأكوع : _البلدان اليمانية_ ، ص ١٧ ـ ١٨ ؛ المقحفى : _معجم المدن_ ، ص ٩) .

(٢) ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٣٠٠ .

(٣) حسن محمود : _تاريخ اليمن السياسي_ ، ص ٢٥٧ .

(٤) العمرى : _مسالك الأبصار_ ، ص ١٥٧ .

(٥) العمرى : _المصدر السابق_ ، ص ١٥٨ .

(٦) سعيد الأفغاني : _أسواق العرب_ ، ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩ .

(٧) الخزرجى : _العقود_ ، ج٢ / ١٦٨ ، _الكفاية_ ، ق ٢٠٧ ؛ ابن الديبع : _قرة العيون_ ، ص ٣٠٨ .

وكانت تعقد بتعز سوق أسبوعية تعرف هى الأخرى بسوق الوعد ، وإن لم تشر المصادر ليوم انعقاده ، ويبدو أن هذا السوق كان يرتاده جمهور عظيم من أبناء تعز والمناطق المجاورة لشراء حاجياتهم منه . ولعل ذلك كان السبب في اختياره ساحة لتنفيذ أحكام الإعدام إبان الفتنة التي دارت رحاها بين الملك المجاهد ومعارضيه ، بقصد بث الرعب في قلوب الأهالى المجتمعين في هذا السوق [١] .

ويبدو أن ذلك الأمر كان مألوفاً في اليمن ، إذ يذكر الخزرجى في أحداث عام ٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م ، استخدام ساحة سوق الجند أيضاً موقعاً لإعدام أربعة من المخالفين شنقاً [٢] . ترهيباً وتخويفاً لمن تسول له نفسه من حاضرى الوعد الخروج على السلطان .

وعرفت الكثير من مدن وقرى اليمن الأسواق الأسبوعية ، ففي منطقة الأهواب على ساحل زبيد ، كانت توجد أسواق ودكاكين وجامع [٣] ، وفي المدن والقرى الداخلية قامت عدة أسواق كان يحضر ميعادها الكثير من الناس لتصريف تجاراتهم وابتياع حاجياتهم ، وسميت هذه الأسواق عادة بأسماء البلاد أو المناطق أو الساحات التي تعقد فيها مثال ذلك سوق دعام بالجوف بالقرب من صعدة[٤] ، وسوق المجمع بوصاب [٥] ، وسوق الخموس بالجوف بالقرب من صعدة أيضاً [٦] ، وسوق همان بنهم [٧] ، وأسواق خولان [٨] ، وسوق حجة [٩] .

وجدير بالذكر أن السكان اعتادوا عقد هذه الأسواق التي كانت تقوم عادة في القرى في منطقة متوسطة بين مجموعة من القرى ، ليسهل على أهالى تلك

---

(١) الفاسى : العقد الثمين ، ج٦ / ١٦٦ .
(٢) الخزرجى : الكفاية ، ق ١٦٨ ، العسجد ، ق ٢١٢ ؛ وراجع عن سوق الجند أيضا : الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٧٩ – ١٨٠ .
(٣) ابن المجاور : المستبصر ، ص ٢٤٧ .
(٤) الخزرجى : الكفاية ، ق ١١٠ ، ١٤١ ، العسجد ، ق ١٧٦ .
(٥) الخزرجى : العقود ، ج١ / ١٥١ .
(٦) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ، ق ٢٨٦ .
(٧) حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٢٣٤ ؛ انظر أيضا : يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ، ق ٢٠٧ ، ويقع هذا السوق قريباً من صنعاء بحوالى ٥٨ كم إلى الشمال الشرقى منها . (راجع : المقحفى : معجم المدن ، ص ٤٤١ .
(٨) يحيى بن الحسين : المصدر السابق ، ق ٢١٥ .
(٩) الواسعى : فرجة الهموم ، ص ٢٢٩ .

القرى الوصول إليها والعودة منها في ذات اليوم . وأحياناً كانت لا تتوافر في مثل هذه الأسواق الصغيرة كل ما يحتاج إليه مرتادوها ، فالغالب على سلعها الضرورية منها أو اليومية ، فيضطر من لا يجد حاجته فيها للارتحال إلي أسواق الحواضر البعيدة،لجلب ما يحتاجه من أسواقها،الأمر الذى يستغرق منه عدة أيام في رحلتي الذهاب والعودة.ويفهم مما ذكره بامخرمة أن هذه الأسواق كلها كانت تخضع لإشراف حكومى من قِبَلْ المسئولين بالمدن والمناطق اليمنية،الذين خصصوا لكل سلعة تباع في الأسواق نقيباً خاصاً بها يُعرف بنقيب المستعملة(أى السلعة المباعة) ، يكون على دراية كاملة بتجار السلعة التي يعمل نقيباً لها ، عارفاً بأصنافها فيرجع إليه من قبل والى المدينة أو المحتسب فيما يختص بأمور هذه السلعة [١] .

ب- الأسواق الدائمة الكبرى بالمدن والقيساريات :

كذلك تعددت الأسواق بالمدن الكبرى ، وكان يقوم في بعضها عدد من الأسواق المختلفة كل يوم ، وهذه الأسواق كانت على ما نرجح على غرار الأسواق الإسلامية في العصور الوسطى تتألف من شارع طويل تكتنفه الحوانيت من الجانبين ، ويتقدم كل حانوت مصطبة مرتفعة يجلس عليها صاحب الحانوت مع عملائه حيث يعقد صفقاته ، ويجرى عملية البيع والشراء ، وكان بعض هذه الحوانيت ينقسم إلي قسمين أحدهما داخل الآخر ، ويتخذ القسم الداخلى مخزناً للبضائع بينما الجزء الخارجى بمثابة معرض لها ومجلساً للعملاء [٢] . وأغلب هذه الأسواق كانت مزودة بسقائف لحماية مرتاديها من حرارة الشمس صيفاً ، وتقلبات الجو وهطول الأمطار شتاءً .

ويؤيدنا في ذلك ما أمدنا به سرجنت من وصف لأحد الأسواق الكبرى وهو سوق صنعاء فذكر أنه كان يضم مجموعة من المبانى ذات الأسقف المنخفضة، تقع خلفها مجموعة من المخازن المنفردة،أو العامة،وهى التي تعرف في اليمن باسم"السمسرات"[٣]

---

[١] بامخرمة : _تاريخ ثغر عدن_ ، ج / ١٩٧ .

[٢] المقريزى : _السلوك_ ، ج١ / ٩١٢ ؛ ابن الأخوة : _معالم القربة في أحكام الحسبة_ ، القاهرة ١٩٧٦ ، ص ١٣٥ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور : _المجتمع المصرى في عصر سلاطين المماليك_ ، القاهرة ١٩٦٢ ، ص ٨٧ .

[٣] راجع عن السمسرات Serjeant , San ' a , P . 276 - 290

أو الخانات المخصصة لسكنى التجار الوافدين وتخزين بضائعهم ومبيت دوابهـــم ، وهى تطل على الحوانيت مباشرة ، وبالإضافة إلي هذه المخازن أو الحوانيت كانت هناك عدة مبانى أخرى منتشرة عبر السوق ، وهى أماكن مخصصة لتناول الطعام ، والأسبلة ، ومعاصر الزيوت ، بالإضافة إلي مجموعة من المعامل الحرفية [١] .

أما عن شوارع السوق ووصف حوانيته فلا تختلف عن مثيلاتها من شوارع الأسواق في المدن الإسلامية الأخرى وحوانيتها . فيشير سرجنت إلي أن الممـــرات والأزقة الفاصلة بين الحوانيت ضيقة ، ونادراً ما يزيد اتساعها عن ثلاثـــة أمتـــار ، وكانت الحوانيت تخضع لنفس الطراز السائد في غيرها من المدن الإسلامية ، فهـــى مكان مربع الشكل نادراً ما تزيد مساحته عن ثلاثة أمتار مربعة ، قـــد تصـــل في أصغرها إلي متر × متر ونصف ، وترتفع أرضية الحانوت بصفة عامة عن مســـتوى الشارع بحوالى نصف المتر أو أكثر ، وذلك على قاعدة حجرية ، يصعد إليها عـــن طريق دَرَج حجرى مكون من درجتين . وكان الحانوت يتم بناؤه في العادة مـــن الخشب ويدهن باللون الأبيض ، وتغلق واجهة الحانوت ليلاً بواســـطة مصـــاريع خشبية ، ويكتنف أحد جوانب الحانوت خزانة من الخشب يتخللها دُرْج يحـــتفظ فيه بالنقود ، وكانت الحوانيت مزودة بمجموعة أخرى من الأدراج المنفصلة توضع فيها البضائع الخفيفة كالتوابل وتسمى المعطارة . أما بقية مساحة الحانوت فتشغلها الأرفف لعرض السلع . وفي بعض الحوانيت الكبرى كان ينفتح في مؤخرة الحانوت باب يؤدى إلي مخزن أو حاصل يستخدم لإيداع باقى مخزونهم من السلع التى يتاجر فيها صاحب الحانوت [٢] .

وكان يكتنف هذا السوق الكبير العديد من الحوانيت والمعامل الحرفيـــة[٣] كما ذكرنا ويضم بين جنباته عدداً من الأسواق التخصصية المتفرعة منه ، والـــتى

---

(١) Serjeant , op . cit , p . 276 .

(٢) Serjeant , San 'a , P . 276 .

(٣) كانت المعامل الحرفية تتخذ تقريبا نفس صورة الحانوت وبخاصة معامل صقل المعادن وسبكها بينما كانت المعامل الصغرى كتلك المخصصة للمشغولات الذهبية والفضية وترصيع الأسلحة فكانت تتخذ أماكن أصغر حجما وتكون عادة في المنطقة العليا فيما بين العوارض الخشبية والأرفف وهو ما يعـــرف بـــ " السـندرة " الموجـــودة بـــأعلى الحـــانوت المخصـــص لبيـــع ذات الســـلعة . (Serjeant , San 'a , p . 276) .

كانت تعرف بأسماء السلع المباعة فيها ، منها سوق الحدادة ، سوق المنجارة ، سوق الحبوب ، سوق الخزف ، سوق الجلود والمصنوعات الجلدية وغيرها من تلك الأسواق [١] . وبذلك فقد كان سوق صنعاء الكبير يشمل كل ما يحتاج إليه الناس من ضرورياتهم ، فكان يرتاده العديد من أهل المناطق اليمنية الأخرى ، بالإضافة إلي التجار الوافدين لليمن من خارجها .

ومن أهم الأسواق التي وجدت بداخل سوق صنعاء سوق يعرف باسم سوق الحلقة [٢] ، ويوصف بأنه قلب السوق ويباع فيه الخزف بمختلف أنواعه والخرز وغيره ، ويُعد الخرز من السلع الرائجة بهذا السوق لاعتقاد أهل صنعاء بأنها مجلبة للحظ ، وأنها مربحة لمن يعمل بها ، فتزدهر تجارته وتتسع لتشمل العديد من الأسواق اليمنية الأخرى [٣] . ويقع هذا السوق على الحافة الشرقية لصنعاء ، والحلقة هنا بمعنى الدائرة مما يشير إلي جلوس التجار وأصحاب الحوانيت في شبه دائرة بعد الانتهاء من عمليات البيع والشراء لتصفية حساباتهم ومراجعتها ، فتكون بذلك قصراً لمجمع التجار [٤] .

كذلك عرفت زبيد بدورها سوقاً كبيراً يبدو من النصوص التي ورد ذكره فيها عرضا أنه كان على غرار سوق صنعاء ، أي مجمع للتجار وحوانيتهم وقيسارياتهم ، وتكتنف جنباته وشوارعه مجموعة من الأسواق التخصصية فقد وردت عدة إشارات تؤيد ذلك منها أنه كان يضم مجموعة من المتاجر الخاصة باسم متاجر حسان التي يرجح أنها كانت أشبه بوكالة أو قيسارية مملوكة لأحد الأشخاص وقد أصابها حريق عام ٧٨٩ هـ / ١٣٨٧ م ، كذلك ضم هذا السوق الكبير بزبيد ما عرف باسم المتجر السلطاني الذى أمر السلطان الأشرف الرسولى بعمارته عام ٧٩٨ هـ / ١٣٩٥ م وتمت عمارته تحت إشراف ومراقبة القاضى

---

(١) *Serjeant Ibid ;*
محمد المتيمى : *الصناعات الحرفية* ، ص ١٦٥ .

(٢) محمد يحيى الحداد : *تاريخ اليمن السياسي* ، ص ١٥٦ وهـ ١ .

(٣) *Serjeant , op . cit , p . 161* .

(٤) *Serjeant , op . cit , PP . 161 – 162*
وهذا قد أمدنا سيرجنت بمعلومات هامة عن سوق صنعاء الحالى والسلع التى يتعامل فيها والمكاييل والموازين المستعملة في البيع حاليا . (راجع : *Serjeant , San 'a , PP . 177 – 178*) .

سراج الدين بن سالم . وقد تعرض هذا السوق الكبير للحريق أكثر من مرة في عهد بني رسول في سنوات من ٧٨١ – ٧٨٣ هـ / ١٣٧٩ – ١٣٨١ م وآتت هذه الحرائق على السوق ومبانيه ومحتوياته ، مما أضر بالعديد من رواده [١] ولعل هذه الحرائق كان لها ارتباط إما بنوع البضائع وطرق تخزينها ، أو بسبب سقائف السوق وحرارة الشمس .

كذلك عرفت تعز بدورها سوقاً كبيراً " عظيماً " كان قائماً في منطقة المحالب وهي المحلة المخصصة لسكنى العامة في عهد بني رسول [٢] .

أما بالنسبة لعدن تلك الفرضة التجارية الهامة ، والتي كانت زاخرة بالنشاط التجارى الخارجى مع دول العالم المختلفة ، فكان طبيعياً أن تزدهر فيها التجارة الداخلية بدورها خدمة لأبناء اليمن المقيمين بها أو الوافدين عليها للتجارة مع جملة من وفد إليها من الغرباء ، ولذا نراها تزخر بعدد من المؤسسات الاقتصادية التي كانت تخدم تجاراتها الداخلية ، وكونت فيما بينها ما يمثل سوقاً دائمة تتكفل بتلبية مطالب أهلها ، ويعد الأمير عثمان الزنجبيلي من أكثر ولاة عدن اهتماماً بالتجارة وينسب إليه الاهتمام بسوق عدن حيث أقدم على بناء عدد من العمائر الاقتصادية ، وفي مقدمتها القيسارية العتيقة والحوانيت وغير ذلك من الأسواق . الأمر الذى أدى لازدهار عدن في أيامه [٣] .

وكانت هذه القيسارية تمثل السوق المسقوف ، وخصصت لبيع النباتات والأعشاب الطبية وغيرها من التوابل الداخلة بدورها في الاستعمالات الدوائية وأغراض الطيب والطهى [٤] .

كذلك حرص المعز إسماعيل بن طغتكين جريا على تنشيط التجارة الداخلية بثغر عدن على إقامة قيسارية جديدة للعطارين ، كانت تكتنفها الحوانيت، وجعل لهذه الحوانيت مصاريع خشبية تغلق ليلا وتوضع عليها الأقفال حماية لها من

---

[١] الخزرجى : *العقود* ، ج٢ / ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٦٣ ، ٢٣٣ ، *العسجد* ، ق ٢٥٩ ، ٢٨١ ؛ ابن الديبع: *قرة العيون* ، ص ٣٨٤ .

[٢] ابن بطوطة : *الرحلة* ، ج٢ / ١٧٣ .

[٣] ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٣٠ .

[٤] محمد كريم : *الفعاليات الاقتصادية* ، ص ١٩٨ .

السرقة ، وقد أصاب هذه القيسارية بعض التشعث بمرور الوقت فأعاد المعتمد رضي الدين محمد بن عبد الله التكريتي والى عدن زمن الملك المسعود الأيوبي تجديدها وترميمها [١] . الأمر الذى ساعد بدوره على ازدياد عمران عدن وزيادة الكثافة السكانية بها [٢] .

ولعل الاهتمام بإقامة هذه المؤسسات الاقتصادية والعمل على تجديدها وحراستها ، يمثل أحد مظاهر التطور الحضارى الذى شهدته عدن في عهد الأيوبيين وجزءاً كبيراً من عصر بني رسول ، مما أدى لانتعاش التجارة الداخلية والخارجية للمدينة ، فعاد على أهلها والدولة بالفائدة ، فأثرى بعضهم وارتفع مستواهم المعيشى ، ويعبر ابن المجاور عن ذلك بقوله " وكثر الخلق بها ، فبنوا الدور والأملاك وتوطن بها جماعة عرب من كل فج عميق " [٣] .

جـ- الأسواق المتخصصة :

وبالاضافة إلي الأسواق الكبرى السالفة الذكر ، وجدت في ذات المدن الكبرى مجموعة من الأسواق المتخصصة التى كانت تنسب للسلعة المباعة ، ففي زبيد على سبيل المثال ، وجدت مجموعة من هذه الأسواق منها سوق الشباك[٤] " ويبدو أنه كان متخصصاً في بيع وصناعة شباك الصيد " وسوق المعاصر [٥] ويبدو من تسميته أنه كان خاصاً بصناعة وبيع الزيوت ، وسوق المرباع [٦] ، وسوق المنجارة [٧] وهناك أيضاً المجزرة التى كانت تقوم على أحد جوانب سوق زبيد الكبير [٨] وسوق السمك وبيت البز وبيت الحناء [٩] .

---

[١] ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٣٠ .
[٢] ابن المجاور : *نفس المصدر والصفحة* .
[٣] ابن المجاور : *نفس المصدر والصفحة* .
[٤] الخزرجى : *الكفاية* ، ق ١٨٢ ؛ ابن الديبع : *الفضل المزيد* ، ص ٩٩ .
[٥] الخزرجى : *المصدر السابق*،ق٢١٨، ١٧٤؛ *العقود*،ج٢/٢٠٣؛ابن الديبع *قرة العيون* ،ص ٣٨٢ .
[٦] الخزرجى : *العقود* ، ج٢ / ٢٣٨ ، ويبدو أنه كان مخصصاً لتجارة الحيوانات يدلنا على ذلك ما ذكره الخزرجى في سياق حديثه عن سوق تعز ، فذكر مرباع البقر كأحد الأماكن الموجودة به . (راجع : *العقود* ، ج١ / ٧٤) .
[٧] الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ١٥٥ .
[٨] الخزرجى : *العقود* ، ج٢ / ١٨٢ ، ١٩١ ، *الكفاية* ، ق ١٧٤ ، ٢١٢ ، وكانت هذه الأسواق كلها خاضعة للضمان (راجع : *الكفاية* ، ق ١٧٤) .
[٩] الخزرجى : *الكفاية* ، ق ١٧٤ .

ومن هذه الأسواق المتخصصة أيضاً سوق المملاح أو قيسارية الملح بزبيد ، وكانت وكالة مخصصة لبيع وشراء الملح [١] . وفي صنعاء وجدت مجموعة أخرى من هذه الأسواق منها سوق التبانين وزقاق المبيضين [٢] ، وسوق الحطب [٣] ، وموضع الحدادين [٤] ، وغيرها من الأسواق المتخصصة [٥] .

ويذكر ابن بطوطة في معرض حديثه عن ظفار الحبوضى أن سوقها كان يقام خارج المدينة في أحد أرباضها المعروف باسم الحرجاء ، وأكثر سلعه السمك والخضروات والفاكهة ، وأشار إلي أن الخدم من النساء كن أكثر من يتولين عمليات البيع والشراء في هذا السوق بثيابهن السوداء [٦] . ومن المعروف أن موارد ظفار في عهد حكامها من آل الحبوضى السابقين على بنى رسول كانت تعتمد على الزراعة والتجارة معاً ، لا على الجباية ، بينما صارت مواردها بعد ضمها لبنى رسول قائمة على الجبايات المحصلة من التجار الواردين إليها في البحر من الهند وغيرها [٧] ويؤكد ذلك ابن بطوطة الذى زارها في عصر الملك المجاهد فيقول عن أهلها أنهم " أهل تجارة لا عيش لهم إلا منها [٨] " .

ووجدت بعدن بعض الأسواق المتخصصة نذكر منها خان البز [٩] وهو السوق الخاصة بعقد الصفقات المتصلة بهذا النوع من الأقمشة ، وسوق الصاغة ،

---

[١] الخزرجى : *العقود* ، ج٢ / ١٥٣ ويرجع تاريخ انشاء هذه القيسارية لعام ٧٨٦ هـ / ١٣٨٤ م وكانت قبل ذلك مجرد سوق لبيع وشراء الملح .

[٢] الرازى : *تاريخ مدينة صنعاء* ، ص ٩٠ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ؛ الأفضل الرسولى : *فاكهة الزمن* ، ق ٦٠ ؛ الخزرجى : *الكفاية* ، ق ١٣ .

[٣] الرازى : *المصدر السابق* ، ص ٢٧٥ .

[٤] الرازى : *نفسه* ، ص ٨٥ .

[٥] الرازى : *نفسه* ، ص ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٦١ .

[٦] ابن بطوطة : *الرحلة* ، ج٢ / ١٩٦ — ١٩٧ وفي ذلك اشارة هامة تفيد باشتراك النساء في التجارة الداخلية ، ويؤكد ذلك أيضاً الفاسي ، حيث أشار في احدى ترجماته إلي أن بعض النساء كن يعملن في مجال التجارة الخارجية أيضاً وكن ينتقلن وراء تجارتهن من اليمن إلي مكة مثال : السيدة عائشة بنت العجمية (ت ٨٠١ هـ / ١٣٩٨ م) وكانت من القاطنات لعدن وقد ترددت بينها وبين مكة عدة مرات للتجارة . (راجع : *العقد الثمين* ، ج٨ / ٢٧٣) .

[٧] بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، ج٢ / ١٩٥ .

[٨] ابن بطوطة : *المصدر السابق* ، ج٢ / ١٩٧ — ١٩٨ .

[٩] ابن الديبع : *قرة العيون* : ص ٢٣٧ . ويرجع بناء هذا الخان إلى الأمير عثمان الزنجبيلى ، وقد أوقفه الأمير للصرف على مسجده بعدن ، ويبدو من اسمه أنه كان متخصصا لتجارة هذه السلعة وسكنى تجارها وتخزين بضائعهم . (راجع : الخزرجى : *الكفاية* ، ق ٧٧ ؛ بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، ج٢ / ١٣٧) .

ويبدو من اشارة ابن المجاور عنه أن اليهود كان لهم باع طويل في هذه الصناعة بعدن[١]،وسوق الخزف[٢]وهو سوق متخصصة في بيع وتجارة الخزف والأواني الفخارية سواء المحلي منها أو المستورد وبخاصة من الصين،وسوق القصب[٣]. وهناك أيضاً بعض الأسواق التي تخصصت في بيع حوائج السكان اليومية ومنها سوق الخضرة والرطب وبيع الدواب[٤]،وهناك أيضاً سوق الجوار[٥]،وسوق آخر نعته العبدلي بسوق الليل ويقوم في أرض تعرف بأرض الزريعي،ويرجع تاريخه على حد قوله إلي عهد بني زريع حكام لحج[٦].ويبدو أن هذا السوق ظل عامراً منذ تلك الفترة وحتى عهد بني طاهر الذين خلفوا الرسوليين على حكم بلاد اليمن،ونستدل على ذلك مما ذكره الرحالة الإيطالي لودفيكو فارتيما،الذى زار عدن في مطلع ق ١٦ م(١٥٠٢- ١٥٠٨م)فقد ذكر أن بعدن سوقاً يعقد ليلاً بعد غروب الشمس بساعتين تفادياً لحرارة الجو الشديدة نهاراً[٧]،فلعله هو السوق المعروف عند العبدلي بسوق الليل،وإن لم يمدنا فارتيما بتفاصيل عن تخصصه ونوعيات السلع المباعة فيه.

د- الأسواق الموسمية :

عرفت اليمن أيضاً الأسواق الموسمية،وهى أسواق كانت تقام في مواسم أو مناسبات معينة يتم فيها رواج الحركة التجارية من بيع وشراء واستبدال،ومن أشهر هذه الأسواق الموسمية مواسم السبوت،أو مواسم حصاد النخيل بزبيد،فعندما يحين موعد نضج الرطب وجنيه،يتوافد الناس إلي وادى زبيد من كافة أنحاء اليمن، وتتحول بساتين النخيل إلي مزار ومتنزه سياحي،يقيم الناس فيه مدة تتراوح بين شهرين وثلاثة أشهر"وهم في لعب وضحك وشرب"،وتقام لهم الأسواق لتزويدهم بما يحتاجون إليه أثناء مدة الإقامة التي تنتهى بانتهاء جني الرطب [٨] وتعد مواسم النخيل أو ما عرفت في التراث اليمني باسم السبوت من أشهر مظاهر الحياة الاجتماعية في بلاد اليمن .

---

(١) ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ٣٢ .
(٢) ابن المجاور : *المصدر السابق* ، ص ١٣٢ .
(٣) بامخرمة : *المصدر السابق* ، ج٢ / ٨٣ .
(٤) ابن المجاور : *نفسه* ، ص ١٤٨ .
(٥) ابن المجاور : *نفس المصدر والصفحة* . وقد أمدنا ابن المجاور بصورة تفصيلية للطرق المتبعة في بيع الجواري بعدن ، وكيف تفنن النخاسون في عرض الجواري لارضاء المشترين وطرق المزايدة عليهم من قبل المنادى أو الدلال ، وهى طريقة اتسمت بالكثير من الإباحية والتحلل من الأخلاق سواء من البائعين أو المشترين . (راجع : *المستبصر* ، ص ١٤٥) .
(٦) العبدلي : *هدية الزمن* ، ص ٩ .
(٧) فارتيما : *رحلات فارتيما* ، ص ٦٧ .
(٨) ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ٧٩ .

٣- أنواع التجار والباعة

انقسم التجار والباعة في الأسواق اليمنية إلي أقسام متعددة توضحها أسماء الأسواق التخصصية التى عرضنا بعضها ، فمنهم تجار الأقمشة الذين يعملون في تجارة البز ، ومنهم تجار الحبوب أو الغلال ، الذين يعملون في سوق الحبوب ، وغيرهم ، وكان طبيعياً أن ينقسم هؤلاء التجار بدورهم إلي تجار جملة ، وتجار تجزئة . ومن الصنف الأخير أرباب الحوانيت ، والباعة الجائلين الذين يذرعون طرقات الأسواق وشوارع المدينة ومناطقها المختلفة ينادون على سلعهم ترويجاً لها وحثاً للأهالى على الشراء منهم .

والأسواق تعد ملكية عامة لأهل القرى والمدن التى تعقد فيها ، ويتمتع البائع والمشترى داخل السوق بحماية مشايخ القبائل [١] . أما أسعار السلع فتتوقف على أمرين قيمة السلعة من ناحية أى ما يتصل بالسلعة من حيث الجودة والرداءة ، ومن ناحية أخرى يتوقف السعر على نفاق السوق ووجود العرض والطلب ، بالإضافة إلي اختلاف البقاع في القرب والبعد عن موطن السلعة ، وهو ما يعرف بالمصطلح الحديث بتكلفة السلعة [٢] .

ومن خلال دراستنا للأسواق اليمنية والتعرف على عديد من أنواع التجار ومظاهر نشاطهم وأساليبهم في البيع والشراء ، يمكن القول بأن الباعة الجائلين كانوا أقل حظاً من أرباب الحوانيت ، فالسوق هى المكان المفضل لعرض البضائع وتصريفها ، ففيها يتمكن التاجر من بيع سلعته بدلا من الطواف بها والتجول في أنحاء المدينة مما لا يحقق له الربح الوفير [٣] .

وكانت السلع تصل لأصحاب الحوانيت وغيرهم من تجار التجزئة عن طريق تجار الجملة ، الذين يزودون بها بواسطة المنتجين للسلع أو المستوردين لها ، أو الفلاحين إذا كانت سلعاً زراعية ، وتصل إلي مخازنهم محمولة على ظهور

---

(١) *Serjeant , San 'a , P . 161 .*

(٢) التيفاشى : *أزهار الأحجار* ، ص ٢٢٣

(٣) *Serjeant , op . cit , p . 161*

ويذكر سيرجنت مثلاً يمنياً مازال سارياً إلي يومنا هذا يوضح أفضلية البيع والشراء من الأسواق فيقول المثل " السوق أبو مرزوق " .

الدواب ، ثم يتم وزنها وكيلها بواسطة الكيالين والقبانيين [1] المختصين بـذلك ، ويقدر التجار كراء الدواب التي تنقل البضائع على كل " فراسله " مبلغاً معيناً مـن المال ، ثم يتولى الحمالون نقل هذه البضائع [2] إلي صغار الباعة وغيرهم [3] .

ويلجأ تجار الجملة إلي " الدلالين " ، الذين يطوفون بأصحاب الحوانيت وغيرهم من تجار التجزئة فيخبرونهم بأصناف السلع المتوفرة ، ويعرضـون عليهم "نماذج " منها ، ويتعرفون من كل تاجر على مقدار ما يريده من السلعة ويعودون إلي تجار الجملة الذين يحددون السعر ، وفي حالة الاتفاق على السعر ، يقع البيـع ، أما الدلال فيحصل مقابل أتعابه على رسوم معلومة ، تختلف بـاختلاف مقـدار الصفقة [4] .

ويزودنا ابن المجاور بصورة من صور التعامل التجارى السارية في مدينـة عدن ، يطلق عليها اسم " البيع والعيب " فيشير إلي أنه بإمكان المشـترى رد مـا ابتاعه من بضائع تبين له أنها غالية ، فيظهر عيبها على بائعها ويردها ، وعند ذلك يقبلها البائع ثانية ويعبر عن ذلك بقوله " إذا اشترى زيد ثوباً ، واستغلاه ، فـرّق طرفه ورده على صاحبه باستظهار عيبه " [5] ، وكانت نفس الطريقة تسرى أيضاً في بيع وشراء الجوارى فيمكن للمشترى أن يرد على النخاس جاريته إذا أظهر لـه عيبها ، وكانت هذه الأمور في بعض الأحيان لا تحسم ودياً بين الطرفين ، ومن ثم يلجأ الطرفان للقاضى حسماً للنـزاع [6] .

---

(١) مما يذكر أن جماعات القبان قد دخلوا ضمن نطاق الضمان منذ أواخر العصر الأيوبى في اليمن وكان مبلغ الضمان المفروض عليهم سنويا ٢٠ ألف دينار الأمر الذى يشير إلي أهمية الدور الذى يلعبونه في سوق التجارة بنوعيها الداخلية والخارجية . (راجع : ابن المجاور : _المستبصر_ ، ص ١٤٨) .

(٢) ذكر ابن بطوطة في سياق حديثه عن مدينة عدن طائفة الحمالين وأنها كانت تشكل عددا كبيرا من سكان تلك المدينة التجارية . (راجع الرحلة : ج٢ / ١٧٧) .

(٣) _Serjeant , op . cit , P . 162_

وكان تاجر التجزئة يصل أحيانا بنفسه إلي تاجر الجملة ، ويتولى حمل السلعة التى ابتاعها بنفسه إذا كانت كمياتها بسيطة ، وربما استأجر بنفسه بعض الحمالين إذا كانت الكمية كبيرة وتمثل له مشقة في حملها . (_Serjeant , op . cit , P . 163_) .

(٤) راجع عن رسوم الدلالة : ابن المجاور : _المستبصر_ ، ص ١٤٦ ؛ _Serjeant , op . cit , P . 162_

(٥) ابن المجاور : _المصدر السابق_ ، ص ١٤٦ .

(٦) ابن المجاور : _نفسه_ ، ص ١٤٥ – ١٤٦ .أما الدلال الذى كان وسيطا في البيع فإنه يحصل على دلالته سواء تم البيع أو رجع فيه عند القاضى .

٤- الحسبة والمحتسب

عرفت أسواق اليمن وظيفة المحتسب منذ أمد طويل ، فالمقدسى يـذكر في رواية له وجود المحتسب بعدن وذلك في معرض حديثه عن بعض المواد التى تدخل في تجليد الكتب ، فلما سأل عنها أشاروا عليه باللجوء إلي المحتسب ليدلـه عليهـا باعتباره أعرف الناس بأصناف السلع [١] . ومما يدل من ناحية أخرى على استمرار العمل بهذه الوظيفة في اليمن ، احتياج الأسواق فيها كغيرهـا مـن الأسـواق في الأقطار الأخرى ، إلي نوع من المراقبة منعاً لما شاع فيها من غش وتدليس وتلاعب في الأسعار ، مما يؤدى إلي ارتفاع أثمانها مما يثقل بدوره كاهل الأهالى ، ويزيد من أرباح تجار السلعة ، ومن أمثلة ذلك ما ذكره الإدريسى لما كان يجرى في أسـواق اليمن من غش لمحصول الصبر السقطرى ، فيذكر قيام التجار بخلط الصبر الحضرمى الأقل جودة به وبيعه في الأسواق على أنه " سقطرى " [٢] .

ولمواجهة مثل هذه الانحرافات وغيرها وجدت وظيفة المحتسـب في أسـواق اليمن،وكانت مهمته الطواف مع أعوانه بالأسواق نهاراً وليلاً،وفي أوقات مختلفة لمراقبـة تصرفات الباعة والتجار منعاً للغش والتلاعب سواء في البضائع ونوعياتها،أو في الأسعار والمكاييل[٣]التى يتضح مما رواه الخزرجى في العقود أنها كانت من صميم اختصاصـات المحتسب في اليمن،إذ كان من بين سلطاته التعديل في الموازين والمكاييـل بموافقـة والى المدينة،فيتحدث الخزرجى عن أحد المكاييل المستخدمة في الأسـواق وهـو الزبـدى السنقرى،وأن عياره كان في الأصل٢٤٠ درهماً،ثم زاد فيه أولو الأمر حتى صـار٣٢٠ درهماً،وظل كذلك حتى عام٧٦١ هـ/١٣٥٩م عندما قام أحد محتسبى زبيد ويـدعى الجمال بن العروس بزيادته أربعين درهماً بموافقة وال زبيد." ثم لعب به المحتسبون في زبيد فكانوا يزيدون فيه زيادة غير محققة " [٤] .

---

(١) المقدسى : *أحسن التقاسيم* ، ص ١٠٠ .

(٢) الإدريسى : *نزهة المشتاق* ، ج١ / ٥٦ .

(٣) للمزيد عن الحسبة والمحتسب وطرقه التى يستعين بها في مراقبة الأسواق واختصاصاته راجع : الماوردى : *الأحكام السلطانية* ص ٢٤٠ - ٢٤٥ ؛ ابن الأخوة : *معالم القربة* ، ص ١٢١ ، ١٢٣- ١٢٥ ، ١٣٥ ، ٣٢٠ - ٣٢٣ ، ٣٣٢ - ٣٣٥ . وهناك مصادر أخرى للحسبة في الأندلس والمغرب ومصر والشام كالشيزرى وابن عبدون والمالقى .

(٤) الخزرجى: *العقود* ،ج١٥٤/٢ .وعن الزبدى السنقرى راجع الجزء الخاص بالمكاييل والموازين ، ص ٤٣٣ وما بعدها من الكتاب .

وفيما عدا ذلك لم ترد في المصادر أية اشارات صريحة تمدنا بتفصيلات عن أعمال المحتسب وهي بالتأكيد لا تخرج عما هو معروف من اختصاصات المحتسب في الأسواق بشتى الأقطار الإسلامية . أما عن شخصيات من تولى هذه الوظيفة ، فكان يقوم بها الولاة والعمال والقضاة [١] . وكان يتولاها كذلك إمام الزيدية في بلاده [٢] وتشير بعض المصادر إلي عدد من الشخصيات التي تولت هذه الوظيفة منهم الجمال بن العروس الذى سبق ذكره والبهاء الجندى (أبو عبد الله محمد بن يوسف الجندى) صاحب كتاب السلوك في طبقات العلماء والملوك ، وتولى حسبة عدن زمن المؤيد الرسولى [٣] . ومحمد بن أبي بكر بن على الذروى الملقب بالجمال المصرى (ت ٨٢٠ هـ / ١٤١٧ م) ، وتولى منصب محتسب زبيد في عهد الأشرف الثاني الرسولى ، وكان معروفاً بحسن أدائه لوظيفته وإمعانه النظر في مصالح المسلمين [٤] .

وكان يعين المحتسب في عمله عريف أو نقيب لكل صنعة في السوق من أهلها ، بصيراً بعملهم وتدليسهم ، وتقتصر مهمته على رقابة أهل الصنعة واطلاع المحتسب بأخبارهم [٥] . كذلك كان لكل سوق ضامن ، يعرف بصاحب السوق[٦] ، وهو الذى يتولى جباية الأموال من البائعين في الأسواق كضمان نظير السماح لهم بالجلوس في الأسواق وممارسة عمليات البيع والشراء [٧] .

---

(١) الخزرجي : العقود ، ج٢ / ١٥٤ .
(٢) مجهول : سيرة الامام عبد الله بن حمزة ، ق ٦٢ ، وقد أوضحنا من قبل عند الحديث عن صناعة الخمور قيام الأئمة بهذا الدور حيث اعتادوا كبس الأسواق ومعاصر النبيذ والضرب على أيدى صانعي وشاربي الخمور مما يشير صراحة لقيامهم بدور المحتسب (راجع أيضاً عن قيام الإمام بوظيفة المحتسب ابن حاتم : السمط ، ص ١٧٢) .
(٣) الخزرجي : المصدر السابق ، جـ١ / ٢٧٠ ؛ بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج٢ / ١٨ .
(٤) الخزرجي : نفسه . ج٢ / ١٨٧ ، الكفاية ، ق ٢١٣ ، العسجد ، ق ٢٦٧ ؛ الفاسى العقد الثمين ، ج١ / ٤٢٨- ٤٢٩ .
(٥) بامخرمة : المصدر السابق ، ج٢ / ١٩٧ .
(٦) هذه الوظيفة تعادل نفس وظيفة المحتسب في المغرب .
(٧) بامخرمة : نفسه ، ج٢ / ١٠٢ – ١٠٣ .

٥- نظـــام الطوائف الحرفية

على الرغم من إحجام المصادر المتاحة عن الحديث بصورة مباشرة عن هذا النظام وتفصيلاته في اليمن،إلا أننا من خلال بعض الإشارات المتنـــاثرة أمكنننـــا أن نلمس ما يفيد بوجود الجماعات الحرفية،التي كانت كل واحدة منها تضم عدداً من العاملين في صناعة معينـــة،من هـــذه الطوائـــف الحدادين،وصـــانعي الأســـلحة، والجصاصين،والصاغة،والمرخمين وغيرهم من طوائف الصناع،وهو أمر كان شـــائعاً في مختلف أقطار العالم الإسلامي،ولعل في ذكر لفظة"صناع البلاد"عنـــد حـــديث الخزرجي عن بناء قصر المعقلي،ما يفيد بوجود جماعات مختلفة من هذه الطوائـــف الحرفية [١]،التي توارث أفرادها هذه الحرف،مثال ذلك الأســـرات الـــتي تخصـــص أفرادها في اشغال الجص[٢].والحدادة وصناعة أدوات الركوب،والصيد[٣] وصـــناعة الأسلحة وهي طوائف مهنية متميزة،توارث أفرادها أسرار هذه الصناعة،ومن أشهر هذه الأسر في اليمن أسرة الصنعاني التي تعد أول أسرة قامت بصـــناعة الجنـــابي في اليمن وهناك أسرات يمنية أخرى توارث أفرادها دقائق أسرار هذه الصناعة [٤] .

ومما لا شك فيه أن هذه الطوائف الصناعية في اليمن لا تختلف عن نظائرها في مختلف الأقطار الإسلامية،وتتشابه معها في نظمها وتقاليدها وملامحها العامة، فقد كـــان لكل طائفة رئيس يعرف بشيخ الصنعة،وربما كان لـــه مســـاعدون يعاونونـــه في أداء عمله،ويرتبط أبناء الطائفة بصلات وثيقة فيما بينهم،وكان أستاذ الصـــنعة أو الأســـطى يلقن أسرارها بالتدريج إلي المتعلم وهو في الغالب صبي حدث من السهل عليه استيعاب هذه الأسرار وتعلمها خاصة إذا كان من أفراد أسرته،فإذا ما أتم الصبي تعليمـــه انضـــم للطائفة وصار أحد الصناع الذين لهم حق ممارسة الحرفة مســـتقلاً عـــن معلمـــه [٥]أو مشاركاً له،مثال ذلك مشاركة أحمد بن عبد الصمد بن أبي الفتوح لوالده في تجصـــيص محراب صنعاء الكبير في عام ٦٦٥ هـــ / ١٢٦٦ م [٦] .

---

[١] الخزرجي : *العقود* ، ج١ / ٣١١ .

[٢] راجع ما سبق ص ٣٠٦ من الكتاب .

[٣] راجع ما سبق ص ٢٦٩ ــ ٢٧١ من الكتاب ؛ بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، ج١ / ١٨ ــ ١٩ .

[٤] مصطفى عبد الله شيحة : *مدخل إلي العمارة* ، ص ١٣٦ .

[٥] أسامة أحمد اسماعيل : *الإسكندرية* ، ص ٧٨١ ــ ٧٨٣ .

[٦] راجع ما سبق ص ٣٠٦ من الكتاب .

ويطلق أهل اليمن على أهل كل حرفة اسماً خاصاً بهم يتلاءم مع الحرفة التي يتقنون فنونها ، فهناك " المدّارون " أى المشتغلون بالمدر وهو الطين ويقصد به الفخارين صناع الأواني الفخارية ، والمعماريون وهم البناءون أو العاملون في مجال التشييد والبناء ، " والضرابون " وهم صاغة الذهب والفضة [١] ويلحق بحرفة البناء عدة حرف مساعدة مثل قطع الأحجار اللازمة للبناء ، ويعرف أصحابها باسم " القطاعين أو الموقصين " [٢] ، وهناك " المقضضين " الذين يعملون في القضاض " الأسمنت " ، وأيضاً " المقصصين " أى الذين يستخدمون الجص في طلاء المباني وتسوية جدرانها [٣] .

وكان اليمنيون يحرصون على توريث الحرف والصناعات لذراريهم كما كانوا يوقرون الشخص الذى يتبع ذويه في حرفهم الخاصة ، وقد عبروا عن ذلك بعدد من الأقوال والأمثال ، من ذلك " حرفة في اليد أمانة من الفقر "وقولهم " كلٌ لمهره والده يعود " ، أى أن الولد يتبع أباه في حرفته مما ينهض دليلاً على شيوع توارث أسرار المهنة من الآباء للأبناء وساعد على نشأة الطوائف الحرفية في ذات الأسر العاملة في حرفة ما واستمرارها ، ومن أمثالهم أيضاً " صاحب المهرتين [الحرفتين] كذاب "، أى لا يستطيع اتقان أى واحدة منهما [٤] ، وقولهم " كل فرد في حرفته سلطان " [٥] .

---

(١) Serjeant , op . cit , P . 167 .

(٢) Serjeant , op . cit , p . 168 .

ونلاحظ أن القطّاع هو من يقوم بقطع الحجارة واقتلاعها من الجبال ، أما الموقص فهو الذى يعمد إلي تهذيب الحجارة وتسويتها وإعدادها للبناء .

(٣) Serjeant , Ibid ,

(٤) يقابل هذا المثل مثل مصرى شعبى "صاحب بالين كذاب " .

(٥) Serjeant , San 'a , p . 169 .

ثالثاً : المعاملات التجارية

إن دراسة أوجه النشاط الاقتصادى لليمن تستلزم من الباحث بطبيعة الحال، استجلاء طرق التعامل التجارى المتبعة آنذاك في أسواق اليمن ، وجرى التجار من أبناء اليمن والوافدون عليها على التعامل بها .

وفيما يلى دراسة لأوجه التعامل : -

١- التعامل النقدى

تعد وحدات النقد العمود الفقرى للاقتصاد النقدى فهى التى تمثل سلطة الدولة وشرعيتها ، وتمنح المستهلك قوة شرائية عامة ، ومرونة قصوى في سبيل تحقيق مطالبه واشباع رغباته الشرائية [١] وقد عرفت أسواق اليمن مثل غيرها من أسواق الشرق الإسلامى التعامل النقدى كواحد من أهم أوجه التعامل المختلفة التى سادت في الأوساط التجارية في العصور الوسطى ، لاسيما ما يتعلق منها بالتبادل التجارى بينها وبين أقطار العالم المختلفة وذات العلاقات الاقتصادية معها.

ويمكننا أن نقسم الوحدات النقدية التى سادت أسواق اليمن وجرى بها التعامل التجارى في العصر موضوع الدراسة إلي ثلاث وحدات نقدية وهى : النقود الذهبية (الدينار) ، وتمثل الوحدات النقدية الرئيسة لاسيما في المعاملات والصفقات التجارية الكبرى ، ثم النقود الفضية (الدراهم) ، والنقود النحاسية (الفلوس) وهما بمثابة الوحدات النقدية المساعدة [٢] .

وإذا ما نظرنا إلي طرق التعامل في الصفقات التجارية (سواء الخارجية منها أو الداخلية) باليمن نجد أنها غالبا ما تتم بالنقود سواء المضروبة في اليمن أو خارجها [٣] . أما العملات المتداولة في أسواق اليمن في فترة البحث ، فكانت لا تخرج عن ثلاث عملات مختلفة وأهمها : -

---

(١) *Heyd , op . cit , II , P . 452 .*

(٢) سامح عبد الرحمن فهمى : *الوحدات النقدية المملوكية (عصر المماليك البحرية)* ، ط١ ، جدة ، ١٩٨٣ ، ص ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٠ ؛ وراجع أيضاً : أسامة أحمد اسماعيل :*الإسكندرية* ، ص ٨٧٠ .

(٣) راجع عن ذلك جوايتاين : *دراسات في التاريخ الإسلامى والنظم الإسلامية* ، ص ٦٧ – ٦٩ ؛ حيث أورد لنا من خلال بعض الخطابات المتبادلة بين التجار اليهود في الهند وعدن ، وتحتوى على ذكر بعض السلع المتبادلة فيما بين البلدين ، أن طرق المحاسبة الضريبية والبيع والشراء يتم بأنواع=

أ - الدينار الملكي : المنسوب إلي الملك المكرم أحمد الصليحى الذى يعتبر أول من وحد العملة اليمنية لإدراكه خطورة تعددها ، وأثر ذلك في اضطراب أوزانها ، وبالتالى إرباك صور التعامل التجارى في البلاد ، ويرجع تاريخ ضرب هذا الدينار فيما بين عامى ٤٧٧ هـ / ١٠٨٤ م ، ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م [(١)] .

وقد استمر الدينار الملكى متداولاً باليمن طوال عصر بنى زريع ، وحتى قدوم الأيوبيين إلي اليمن ، حيث ظل ضرب الدنانير الملكية واستعمالها مستمراً في عصرهم وعصر الرسوليين [(٢)] ، وكانت هذه الدنانير تحمل أسماء ضاربيها من ملوك وسلاطين بنى أيوب ، وبنى رسول [(٣)] ، حيث كانت تقدر بهذا الدينار الملكى قيمة البضائع المختلفة الواردة إلي عدن أو الصادرة منها لسائر الأقطار ، كما تحصل به الرسوم الجمركية المقدرة على تلك السلع [(٤)] .

=عدة من الدنانير منها ما هو مضروب في اليمن كالدينار الملكى والدينار الزبيدى ودينار ذى جبلة ، ومنها ما هو مضروب خارج اليمن ويعرف بالدينار المصرى (أى الدينار الأيوبى الوارد مع الأيوبيين عند حضورهم لليمن ، راجع أيضاً :

Goitein . (S . D) , from Aden to India (Specimens of the Correspondence of India Traders of the tewelf th century , in (Jouranal of the Economic and Social history of the orient) Vol , XXIII ,Parts,I and II ,April 1980,PP .58,60;Goitein ,Letters and Documents on the India trade in Mediveal Times , Islamic Cullture , Vol . XXXVII , No.I January, 1963, PP.198 – 199.

(١) راجع ابن المجاور : المستبصر ، ص ١٤٥ ؛ عمارة : المفيد ، ص ١٣٥ حيث يحدد عام ٤٧٧ هـ تاريخاً لضربه ؛ الأفضل الرسولى : فاكهة الزمن ، (خ) ق ١٤٣ ، حيث حدد عام ٤٧٩ هـ تاريخاً لضرب الدينار الملكى . وراجع بالتفصيل عن هذا الدينار وتاريخ ضربه والاختلاف الوارد بشأن ذلك وعن أول دينار ملكى عثر عليه وينتمى لدار ضرب عدن ومؤرخ بعام ٤٨٦ هـ ووزنه ٢,٤ جم وكتب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله ، على ولى الله (ضرب هذا الدينار بعدن سنة ست وثمانين وأربعمائة ، الملك السيد المكرم عظيم العرب سلطان أمير المؤمنين ، الامام معد أبو تميم المستنصر بالله أمير المؤمنين) . راجع : Bikhazi , Ramzi , J .,

Coins of Al–Yemen,132 –595,A.H .Al–Abhath,vol , XXIII , Nos (1- 4) , Beirut , December 1970 , PP . 78 , 79 , 87 – 104 .

محمد أبو الفرج العش : المسكوكات في الحضارة العربية الإسلامية ، م . الإكليل اليمنية ، العدد الخامس ، صنعاء ، سبتمبر ١٩٨١ ، ص ٤٣ - ٤٤ .

(٢) الخزرجى : العقود ، ج١ / ١٧١ ، ٢٦٥ - ٢٦٦ ، ٣٢٧ ، ج٢ / ٤٨ ، ١٣٥ ؛ الكفاية ، ق ٥٣ ، العسجد ، ق ٩٨ حوادث عام ٥٨٤ هـ ؛ ابن المجاور : المستبصر ، ص ٩٠ .

(٣) ينسب إلي الملك المعز اسماعيل بن طغتكين دينار ذهبى ضرب في تعز عام ٥٩٥ هـ ويحمل على الوجه عبارة : لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى الظهر عبارة : الإمام الناصر لدين الله أحمد أمير المؤمنين ، [ثم] الملك المعز ناصر الدنيا والدين سلطان المسلمين إسماعيل بن طغتكين . (راجع :

Doran (R.E.Darley),Examples of Islamic Coinage from Yemen,(in Yemen 3000 Years of Art and Civilization in Arabia Felix,(ed)by Werner Daum,Amesterdam,Austria,1988,P. 201).

(٤) Goitein , From Aden to India , PP . 58 – 60 ; Letters and Doc . P . 199 .

ب – الدينار المصرى : وهو الدينار الذى يلى الملكى في الأهمية من حيث الذيوع والانتشار ، روجه الأيوبيون عند دخولهم اليمن ، وعرف بالدينار المصرى[١] أو الدينار الأحمر [٢] . وكان هذا الدينار يزيد في القيمة عن الدينار الملكى في بداية الدولة الأيوبية ، فقد حدده ابن المجاور بحوالي أربعة دنانير ونصف دينار ملكى [٣] . أما الدينار الملكى فطبقاً لابن المجاور كان ينقسم إلي وحدات نقدية أصغر حيث يقسم إلي أربعة أرباع ، كل ربع يساوى ٣ جُوَّز ، وكل جائز يساوى ٨ فلوس ، وكل فلس يساوى أربعة دوارس ، (أو كل فلس يساوى بيضتين) [٤] .

ج – الدرهم الفضى : وهو العملة الثالثة التى راجت في بلاد اليمن في الفترة الأيوبية ، وغلب استعماله في بلاد الزيدية وكان يعرف بالدرهم العباسى[٥]، ولذا عمد الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة (ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) ، إلي ضرب عملة باسمه فأنشأ في صعدة عام ٦٠١ هـ / ١٢٠٤ م ، دارا للضرب ، وضع بها الآلات اللازمة وجعل أحد ثقاته مسئولاً عنها ، ويدعى على بن حسن الصعدى ، جلبت له الفضة من كل مكان باليمن ومن تجار زبيد،وضرب الدراهم المنصورية رغبة في إبطال التعامل بالدراهم العباسية،وبدأ أولا بضرب درهم فضى صغير،ثم أتبعه بالدراهم الكبار،وكان الواحد منها يصرف بأربعة دراهم صغيرة [٦] ثم ضرب الإمام ديناراً ذهبياً خالصاً ، وقسمه إلي ثلاثة أجزاء المثقال الكامل ، ونصف المثقال ، وربع المثقال ، وكتب عليها جميعاً العبارات الآتية :–

في وسط الوجه : لا إله إلا الله محمد رسول الله على ولى الله

---

(١) Goitein , From Aden , P . 60 , Letters and Doc ., P . 199 .

(٢) ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ٨٠ ، ولعل تلك التسمية راجعة إلي لون ذهب الدينار الضاربة إلي الحمرة .

(٣) ابن المجاور : *المصدر السابق* ، ص ٨٠ .

(٤) ابن المجاور : *نفسه* ، ص ٨٩ ، ١٤٥ .

(٥) يحيى بن الحسين : *غاية الأماني* ، ق ١ ، ص ٣٨٨ .

(٦) ذكر صاحب السيرة أن وزن درهم الامام المنصور كان يساوى قفلة وثمن قفلة (مجهول : *سيرة الامام عبد الله بن حمزة* [مخطوط بدار المخطوطات اليمنية – مصورة من م . د . محمد عبد العال أحمد] ق ٦١ – ٦٢ ؛ ودرهم قفلة أى درهم وافى راجع : ربيع حامد خليفة : *طراز المسكوكات الرسولية* ، ص ٦٣ وهـ ١١) .

ثم كتابة دائرية على حافة الوجه : تشمل التاريخ ومكان الضرب

في وسط الظهر : الإمام المنصور بالله أمير المؤمنين

محيط الظهر : عبد الله بن حمزة بن سليمان بن رسول الله صلى الله عليه وآله

وكتب على الدينار الخالص بعد كلمة على ولى الله الآية الآتية "إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا يقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة وهم راكعون[١] " .

وعندما صدرت العملة المنصورية انصرف الناس عنها لكونها أقل عياراً من الدراهم العباسية [٢] ، ومن ناحية أخرى لما شاع عنها من أنها قد أصابها زغل (مزيفة) ، وأمام هذا الأمر ، جمع الإمام الناس ، وهددهم بالعقوبة لمن يرفض التعامل بسكنه ، وأصدر كتاباً قرئ على الناس نسخته " ... وكانت دراهم الظلمة تأتينا وإياكم مخلوطة بالصفر والغش ، فلا نجد بدا من قبولها ، ولم نر الا أن نضرب للمسلمين نقداً طيباً مباركاً ، فبلغنا أن الدرهم المبارك خرج ، ووقع منه بعض نقرة من المفسدين ، ونحن نعيذكم بالله سبحانه أن تعرضوا للعقوبة في مصالح نفوسكم ، فتخسروا أموالكم لغير موجب ، قوموا في نفاذ درهمكم دينا ومنعه ، فبالله قسماً صادقاً ، لئن رد الظلمة درهمنا ، أو منعوا منه لا أقبل درهمهم في بلادنا، إلا من يكون منهم نأخذ ماله ونضرب رقبته ، ونهتك ستره ، ونخرب بلده ، وإن كان تاجراً أخذنا بضاعته ، فانظروا لأنفسكم نظراً مخلصاً ، فالأمر جد ، ولا تظنوا أني أعاملكم في الدرهم بالهوان ولا الرفق ، وإنما السيف والسوط والحبس ، وأخذ المال ، فمن صدقنا فليجزم ومن كذبنا فليقدم " [٣] . وأمام هذا التهديد الشديد الذى توعد به الإمام من قتل وحبس ومصادرة وغير ذلك من وسائل التهديد ، أجبر الناس على التعامل بدرهمه ، حتى شاع وانتشر في سوق المعاملات التجارية وعم البلاد ، بل تعامل به الأيوبيون وغيرهم[٤] .

---

[١] مجهول : سيرة الامام عبد الله ، ق ٦١ – ٦٢ .
[٢] يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ، ق ٦٦ .
[٣] مجهول : سيرة الامام عبد الله ، ق ٦٢ .
[٤] مجهول : سيرة الامام عبد الله ، ق ٦٢ ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص ٣٨٨ -٣٨٩ .

ويمكن القول بأن دخول الأيوبيين اليمن يسجل خطا فاصلاً في تاريخ العملة بها فدور الضرب التى كانت تعمل بطريقة مستقلة ، ويتم ضرب العملة لأسر محلية مختلفة – أصبحت بعد التوحيد الأيوبى للبلاد ، واهتمامهم المتزايد بدور الضرب – تعمل تحت إشراف ومراقبة مركزية ، وأصبحت إصدارتها تحمل الطابع الرسمى واسم السلطان والخليفة العباسي . ونجد توران شاه يقدم فيما بين عامى ٥٦٩ – ٥٧١ هـ / ١١٧٣ – ١١٧٥ م ، على ضرب عملة ذهبية في اليمن ، تحمل هذا الطابع الرسمى ، وإن كانت لا تحمل اسم دار الضرب التى سكت فيه أو تاريخ الضرب ونقش عليها العبارة الآتية :

على الوجه : لا إله إلا الله محمد رسول الله المستضئ بأمر الله أمير المؤمنين

على الظهر : الملك المعظم ملك اليمن شمس الدولة توران شاه بن أيوب[1] .

والأمر الأكثر أهمية من وجهة النظر الاقتصادية هو التغيير الذى بدأ يحدث في معدن العملة المضروبة ، فقبل الفتح الأيوبى ، كانت العملات اليمنية تتكون باستثناء بعض الدراهم العباسية والرّسية – من دنانير ذهبية مختلفة الأنواع ، أما الأيوبيون وخلفاؤهم الرسوليون فقد سكوا العملة في معظم الأحوال من الفضة ، باستثناء حالات قليلة ضربوا فيها عملة ذهبية ، ولعل ذلك كان مرتبطاً ببعض المناسبات الخاصة مثل عملة توران شاه الذهبية التى ارتبط ضربها فيما يبدو بالنجاح الذى أحرزه في ضم اليمن وتعبيراً عن قيام سلطة جديدة في البلاد .

أما عن سبب هذا التغيير من الذهب إلي الفضة فيكمن خارج اليمن ويتصل بالظروف المتعلقة بالنقود في الشرق الأوسط في أخريات العصور الوسطى ، إذ بدأ انتعاش الفضة كعملة إسلامية بعد أن أصدر صلاح الدين عملته الأساسية من الفضة الخالصة في الشام وغيرها من دور الضرب الأخرى بعد عام ٥٧٠ هـ /

---

[1] محمد أبو الفرج العش : *المسكوكات في الحضارة العربية الإسلامية ، الأثار الاسلامية في الوطن العربي* ، المؤتمر التاسع ، ١٩٨٠ ، تونس ، ١٩٨٥ ، ص ٢١٣ . وجدير بالذكر أن نواب توران شاه على حكم اليمن أقدموا عقب رحيله على ضرب السكه كل باسمه ومنع كل نائب أهل بلده عن التعامل بعملة الآخر (راجع : ابن حاتم : *السمط* ، ص ٢٢ ؛ ابن عبد المجيد : *بهجة الزمن* ، ص ١٣١ – ١٣٢ ، ومن هذه العملة : الدراهم الخطابية نسبة إلي نائب زبيد وهو خطاب بن منقذ) .

١١٧٤ – ١١٧٥ م ، وبدأت الأقطار الإسلامية ومنها اليمن في اتخاذ الفضة معدناً أساسياً للعملة بها [١] . بعد أن تضاءلت كميات الذهب في أسواق الشرق العربي بصفة عامة ، نظراً لنشاط الصليبيين الملحوظ ونجاحهم في تهريب الذهب للبندقية وغيرها من أسواق الغرب الأوربي ، بالإضافة إلي تحول الذهب الواصل من المغرب إلي الموانئ الأوربية المختلفة ، لتقل بذلك كميات الذهب في الأسواق العربية بشكل ملحوظ [٢] . وعمد الناس إلي إخفاء ما لديهم من الذهب [٣] ، وبدأوا يعتمدون على الفضة ويستخدمونها بشكل رئيس في ضرب العملة ، وقد شارك الحكام الأيوبيون الأهالي في إخفاء ما لديهم من ذهب ، فيروى عن العزيز طغتكين أنه قام بجمع الذهب في خزائنه ، فلما تراكمت كمياته عمد إلي سبكه في سبائك كانت الواحدة في حجم الطاحونة [٤] .

ومع إبدال معدن العملة الرئيس من الذهب إلي الفضة بدأ النظام النقدى يعتمد على ما يضرب من دراهم كعملة أساسية ، بينما كانت المحاسبة تتم على أساس(الدنانير الملكية)الذهبية بمعنى أنه صار الذهب مجرد وسيلة لتقدير القيمة المدفوعة من القطع الفضية.وأمام ندرة الدنانير الملكية المحلية في اليمن وبخاصة في أواخر عصر الرسوليين،استعاضت الأسواق التجارية بعملة ذهبية شهيرة شقت طريقها لأسواق الشرق الأدنى ومن بينها أسواق اليمن اعتباراً من عام ٧٩١ هـ / ١٣٨٨ م،على وجه التحديد،وذلك بسبب تميزها بالعيار الصحيح والوزن الثابت والسمك المحدد والاستدارة الكاملة إلي حد كبير ، مما جعلها تحوز ثقة العاملين

---

(١) Serjeant , San 'a , P . 305.

(٢) راجع عن ذلك الاضطراب في أسواق الذهب بالشرق العربي وأثره على السكة الاسلامية : أسامة أحمد اسماعيل : الاسكندرية ، ص ٨٧٣ وما بعدها .

(٣) يبدو أن قلة المعروض من الذهب في الأسواق أدى إلي إرتفاع قيمة الدينار الملكى مقارنة بالدينار المصرى الذى قلت الكميات الواصلة منه إلي اليمن أيضاً ، فزاد الاعتماد على الملكى والإقبال عليه كعملة أساسية في التعاملات التجارية الكبرى فصار الدينار المصرى = ٢,٣٥ ديناراً ملكيا بعد أن كان = ٤,٥ دينار ملكى في عصر بنى زريع ، ويرجع السبب في هذا الهبوط الكبير في قيمة الدينار المصرى في أواخر عصر صلاح الدين إلي إضطراب الأوضاع السياسية بسبب الصراع الصليبى الاسلامى الذى أدى إلي قلة الوارد من السفن الأوربية للتجارة مع مصر وبالتالى الكساد التجارى وانخفاض قيمة العملة المصرية . راجع

(Goitein , Letters and Docu . P . 198 ; from Aden to India , P . 59)

(٤) الحنبلى : شفاء القلوب ، ص ١٩٩ .

بالنقد [١] . ونعني بهذه العملة الدوكات الايطاليــة أو البنــدقي ، والإفــرنتي أو الفلورنسي، ومع مجئ عام ٨٠٠ هـ / ١٣٩٧ م ، أصبح الإفرنتي هــو العملــة الذهبية الأكثر استخداماً للدفع وتقدير قيمة البضائع المبيعة في معظم مــدن العــالم القديم في مصر والشام وآسيا الصغرى والعراق واليمن [٢] .

وبذلك سادت الفضة في معظم تعاملات أهل اليمن ، وعمد الأيوبيون إلي سك دراهم منها ، فعندما قدم سيف الإسلام طغتكين إلي اليمن عام ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م ، ضرب عملة جديدة عبارة عن درهم صغير عرف بالسيفى نسبة إليه ، وكان عياره أربعة قراريط وحبة [٣] . ويبدو أن هذا الدرهم السيفى لم يجد اقبــالاً عليه في التعامل بالأسواق لصغره ، الأمر الذى دفع المعز إسماعيل بن طغــتكين إلي ضرب ما عرف بالدراهم الكبار بدءاً من عام ٥٩٤ هـ / ١١٩٧ م ، وكان وزن الدرهم منها ثلاثة عشر قيراطاً (أى ما يقرب من ٢,٤١٨ جم)[٤] .

ومن هذه الدراهم المعزية (نسبة إلي المعز إسماعيل) ، درهم ضرب في تعز عام ٥٩٤ هـ

ويزين حافة وجهه كتابة دائرية تبتعد عن المركز وهى عبارة :

الملك المعز نصير الدنيا والدين سلطان المسلمين اسماعيل بن طغتكين

---

[١] رغم هذا الثبات الذى تمتعت به العملة الأوربية إلا ان ذلك العيار قد اصابه الفساد أحيانا فيذكر المقريزى وابن حجر في حوادث عام ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م أن الدنانير الافرنتية بمصر أصابها الزغل بالقص والبرد فأصدر المؤيد شيخ أوامره بعدم التعامل بها متى كانت ناقصة . ويذكر ابن حجر : أن الدينار المشخص هذا قد استقر وزن المائة منها على ٧٨,٣٣ متقالاً بعد أن كان ٨١ متقالا وربع . (راجع : _السلوك_ ، ج٤ / ٤٥٥ ؛ ابن حجر : _أنباء الغمر_ ، ج٧ / ٣٢٤) .

[٢] راجع عن ذلك :
Goitein , Letters , P . 198 , from Aden to Indeia , P . 59 ; Ashtor . Levant , trade , P . 138
المقريزى : _السلوك_ ، ج٤ / ٧٠٩ ؛ ابن تغرى بردى : _النجوم الزاهرة_ : ج١٣ / ١٥١ ، ج١٤ / ٢٨٣؛ عبد الرحمن فهمي : _النقود العربية ماضيها وحاضرها_ ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص ٧٢ – ٧٤ .

[٣] القيراط في جزيرة العرب نوعان قيراط الذهب يعادل ما بين ٠,١٧٦ جم و ٠,١٩٥ جم تقريبا ، وقيراط الفضة ٠,١٨٦ جم ، أما الحبة : فهى وزن حبة الشعير العربية ويتألف الدرهم نظرياً من كميات مختلفة من هذه الحبوب ، وكانت حبة الفضة تساوى في جزيرة العرب بالجرامات حوالى ٠,٤٩٥ جم . (راجع : هنتس : _المكاييل_ ، ص ١٠ ، ٢٥ ، ٤٤) .

[٤] ابن المجاور : _المستبصر_ ، ص ٨٩ . ويذكر أن المسعود الأيوبى أول من ضرب الدرهم الكبير بمكة وكان على نفس عيار ووزن دراهم اليمن في زمنه أى على قوانين اليمن . (راجع : _المستبصر_ ، ص ١٢ ، أنظر أيضا : القلقشندى : _صبح الأعشى_ ، ج٤ / ٢٧٥ – ٢٧٦ ؛ _Serjeant , San 'a , P . 306_) .

وفي الوسط أربعة سطور هى الامام الناصر

لدين الله أحمد

أمير المؤ

منين

حافة الظهر : بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الــدرهم

بتعز سنة أربع وتسعين وخمســ (كذا) ثم دائرة ملساء

في داخلها نقش مربع على شكل نجمــة ذات حــواف

ملساء متتابعة . وفي الوسط أربعة أسطر أفقية

لا إله إلا الله

محمد رسول

الله صلى الله

عليــه [١]

كذلك ضرب المعز في نفس السنة درهماً آخر في زبيد ، يتسم بأن نقوشه الكتابية تماثل نقوش الدراهم السابقة من حيث الكتابة الكوفية الدائرية ونفس عيار درهم تعز (١,٨٨ جم) [٢] ويعد الملك المعز إسماعيل بن طغتكين أول من أسس من الأيوبيين داراً لسك العملة في اليمن في كل من زبيد وعدن وتعز [٣] . وكذلك في بعض المدن اليمنية كصنعاء . وأول من أسس دار السكة بصنعاء الأتابك سنقر في عام ٦٠٤ هـــ / ١٢٠٧ م ، على عهد الناصر بن طغتكين وفقاً لما ذكره ابــن حاتم ، وأخرج إليها ستة أبهرة من الفضة لتضرب دراهم [٤] . ولكن هنــاك مــا ينقض هذه الرواية ، ويؤكد وجود دار سك أيوبية في صنعاء تســبق في تــاريخ إنشائها التاريخ الذى حدده صاحب السمط ، ويتمثل ذلــك في وجــود درهــم

---

(١) Balog , (P .) ; Dirhems Ayoubites inediteinedite du Yemen , (Bulletin De L ' institute D ' Egypte Tome , XXXVI , Fasc . 2 , 1953 - 1954 , le Caire, 1955 , P . 350 وأورد بــالوج مثــالا لدرهم مماثل ضرب في عدن أيضا وكان عياره أكبر من درهم تعز فالأول كان يزن ١,٨٨ جم بينما درهم عدن = ٢,٠٥ جم . راجع Balog , op . cit , PP , 351 - 352

(٢) Balog . op . cit , P . 353 .

(٣) الحبشي :جوانب من الحياة الاقتصادية ، ص ١١٢ ، ١١٥ .

(٤) ابن حاتم : السمط ، ص ١٤٠ .

مضروب بصنعاء يحمل اسم المعز إسماعيل ومؤرخ بعام ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م ، ويرجح أن هذا الدرهم من نوع الدراهم الكبار التي ضربها المعز ابتداء من السنة السابقة (٥٩٤ هـ / ١١٩٧ م)[(١)] .

وفي تصوري أن ما فعله الأتابك سنقر عام ٦٠٤ هـ ، لا يعدو تجديداً لمنشآت هذه الدار وآلات الضرب بها ، وإعادة تنشيطها بسك الدراهم الفضية المطلوبة وتزويدها بالمعدن اللازم لذلك إثر استقرار الأوضاع بها في هذه الآونة لصالح الأيوبيين .

ومن مظاهر الانتعاش الذى صاحب تجديد سنقر لهذه الدار قيام الملك الناصر أيوب باستخدامها في سك درهم يحمل تاريخ سنة ٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ م ، أى إثر تجديد سنقر للدار بسنة واحدة ، الأمر الذى يؤيد وجهة نظرنا بأن هذه الدار تعطلت عن العمل في الفترة من أواخر عصر المعز إسماعيل وحتى تاريخ التجديد الأتابكى لها بسبب الحروب والصراعات الدائرة في صنعاء وما حولها بين الأيوبيين وأئمة الزيدية ، فلما عقدت الهدنة ووقعت اتفاقيات الصلح بين الطرفين[(٢)] بادر سنقر إلي إحياء دار الضرب كمظهر هام من مظاهر السيادة الأيوبية على صنعاء وسك الدراهم لبنى أيوب ومنها درهم الناصر أيوب الذى ضرب عام ٦٠٥

---

(١) *Serjeant , San 'a , P . 306 .*

(٢) من المعروف أن صنعاء ظلت لفترة طويلة من ق ٧ هـ / ق ١٣ م مسرحاً للصراع بين القوى الرسولية المسيطرة على المناطق الجنوبية والساحلية في اليمن ويمثلهم في هذا الصراع الأمير أسد الدين محمد بن الحسن بن رسول(ابن عم المظفر)وبين القوى الزيدية المتحكمة في المرتفعات الشمالية،وكانت الحروب سجالا بين الطرفين،وكثيرا ما تخللتها الهدن واتفاقيات الصلح، وعند ذلك تضرب العملة بدار سك صنعاء تسجيلاً لاستيلاء أى من الطرفين عليها ، مثال ذلك ما حدث حينما هاجم الإمام أحمد بن الحسين صنعاء مغتنما فرصة الخلاف القائم بين الرسوليين وأجبر واليها الأمير أسد الدين على مغادرتها عام ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م،ويسجل ذلك الحدث بضرب درهم باسمه مؤرخ بنفس العام، وآخر بتاريخ ٦٥٠ هـ / ١٢٥٢م مما يشير إلي وقوع صنعاء تحت سيطرته فيما بين التاريخين.وفي سنة ٦٥٠ هـ عقد صلح بين الطرفين من بنوده بند ينص على عودة صنعاء للرسوليين مرة أخرى،ولذا يقدم المظفر الرسولى على ضرب عدة دراهم بصنعاء في تلك الفترة تحمل اسمه منها درهم مؤرخ بـ٦٥٠ هـ / ١٢٥٢ م ، وآخر بـ ٦٥١ هـ ، وثالث بـ ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦م وهى آخر الدراهم الرسولية المضروبة والمسجلة بدار الضرب بصنعاء . وجدير بالذكر أن تلك الدار لم تكن غزيرة الانتاج كنظرائها في زبيد وعدن وتعز التى أنتج كل منها مجموعات كبيرة من العملات الفضية الرسولية ، أما صنعاء فقد خضعت بعد ذلك لحكم الأئمة على عهد الناصر صلاح الدين محمد (٧٧٣ – ٧٩٣ هـ / ١٣٧١ – ١٣٩٠ م) ، فأصدر من دار ضربها عدة عملات فضية خالصة منها أحد الدراهم المؤرخة بعام ٧٨٩ هـ/١٣٨٧م،(راجع:الخزرجى: *العقود*،ج١/ ٩٤– ٩٥،٩٧، Serjeant . San 'a , PP . 306 – 307 ربيع حامد خليفة : *طراز المسكوكات الرسولية* ، ص ٤٥) .

هـ / ١٢٠٨ م ، وكان عياره حوالى ٢,٠٩ جم [١] . كما عمد الناصر أيوب إلي إصدار درهم آخر باسمه في العام التالى ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م ، بدار ضرب تعز ، وكان وزنه ٢,١٢ جم [٢] .

وتابع ملوك بنى أيوب إصدار الدارهم الفضية باسمائهم في سنوات متفرقة من حكمهم ، وضربت هذه العملات في مناطق متعددة من اليمن أهمها عدن وزبيد [٣] وتعز وصنعاء ، كما ضربت بعض دراهم في ريدة [٤] وغيرها ، واعتمدوا معدن الفضة أساساً لنوع العملة وصار الدرهم هو الوحدة النقدية الأساسية في بلاد اليمن منذ العهد الأيوبى وما تلاه من عصر بنى رسول [٥] .

واستمر ضرب العملة الأيوبية باسم الحكام الأيوبيين حتى عام ٦٢٨ هـ/ ١٢٣٠م ، أى بعد زوال سيادتهم الفعلية على اليمن ، وانتقال الحكم إلي مؤسس أسرة بنى رسول وهو المنصور نور الدين عمر بن رسول ، وربما كان ذلك يرجع إلي عدة عوامل سياسية معينة تتصل بالرغبة في الحفاظ على الاستقرار السياسى وعدم الرغبة في الإعلان عن الاستقلال دفعة واحدة ،

---

(١) Palog , op . cit , PP . 352 - 354
وراجع أيضا عن الدراهم الأيوبية ضرب صنعاء
Miles (G . C.),the Ayyubid Dynasty of the Yemmen and their Coinage ; Numismatic Chronicle 5 ser 19 ; 1939 , PP . 74 – 75) .

(٢) Balog , op . cit , PP . 345 – 355
محمد أبو الفرج العش : المسكوكات في الحضارة العربية ، ص ٢١٤ .

(٣) جدير بالذكر أن عدد الدراهم الأيوبية التى ضربت بدار السكة في زبيد بالإضافة إلي مبلغ الضمان السنوى المحصل من تلك الدار في العصر الأيوبى وهو ١٣ ألف دينار يشيران إلي ما تمتعت به زبيد من مكانة متميزة في مجال سك العملة آنذاك ؛ (راجع : ابن المجاور : المستبصر ، ص ٩٠) .

(٤) ريدة : تعرف بريدة البون ويقال لها أيضا ريدة شهير ونقع إلي شمال غرب صنعاء مسافة ٤٠ ميلا وفي هذه البلدة عاش الهمدانى لسان اليمن وألف فيها كتابيه الإكليل وصفة جزيرة العرب وتوفي بها (راجع : الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٦٦ ، ٨٥ ، ١١١ ، ١٨٦ ؛ الأكوع : البلدان اليمانية ، ص ١٣٥ – ١٣٦ ؛ المقحفى : معجم المدن ، ص ١٨٦ Wilson , Gazetter , PP . 180 – 181 ; Miles , op . cit , P . 87 . ويوجد بها دارا للضرب منذ العهد الأيوبى واليها ينسب درهم أيوبى مؤرخ بعام ٦١٢ هـ / ١٢١٥م ، وعياره حوالى ٢,١٥ جم يرجع إلي عهد الملك المسعود يوسف ؛ راجع Miles , op . cit , P . 68

(٥) وراجع بالتفصيل عن الدراهم الأيوبية Miles , the Ayyubid Dynasty حيث نشر في هذه المقالة ٧٧ درهما أيوبيا منها ٣٥ ضرب زبيد ، ١٩ ضرب عدن ، ١٠ ضرب تعز ، ٨ ضرب صنعاء ، ودرهما واحداً ضرب ريدة . (راجع أيضاً : Serjeant , San 'a , P . 305) .

ريثما يتم تمهيد الأمور وإقرار الأوضاع للسلطة الجديدة [١] .

وانتهج الرسوليون نهج أسلافهم من بنى أيوب في ضرب العملة باسمائهم ، وغلب عليهم إصدار الدراهم الفضية بالإضافة إلي بعض الفلوس النحاسية [٢] ، وكان إصدارهم لعملة تحمل أسماء ملوكهم بمثابة تأكيد لسلطة دولتهم وشرعيتها واستكمالاً لمظاهر استقلالهم عن الأيوبيين ، وأول من فعل ذلك منهم مؤسس دولتهم المنصور نور الدين الذى ضرب درهماً باسمه يرجع تاريخه لعام ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م [٣] . وعلى هذا النحو كان الدرهم الفضى هو العملة النقدية الرئيسة حتى آخر عهدهم ، ومع ذلك فقد ضربت بعض الدنانير الذهبية أيضاً فيذكر ابن حاتم أن المظفر الرسولى أمر " بضرب دينار ذهبياً ، فضرب منه عدة ، وأنفق في الناس شهرين " [٤] ، ويؤكد ذلك ما ذكره د. أحمد الزيلعي نقلاً عن نوتزل (Nutzal) ، الذى نشر في دراسته عن النقود الرسولية ديناراً ذهبياً يحمل اسم المظفر يوسف والخليفة العباسى المستعصم من اصدارات دار الضرب بتعز عام ٦٤٩ هـ / ٥١ – ١٢٥٢م [٥] وربما كان سك تلك الدنانير جرياً علي عادة ضرب العملة الذهبية في المناسبات الهامة ، ويمكن على هذا الأساس تفسير إصدار هذا الدينار الذهبى ، بأنه صدر تعبيراً عن مناسبة هامة هى نجاح المظفر في القضاء على منافسيه على العرش وسيطرته على العديد من أنحاء البلاد كتهامة وزبيد وتعز وغيرها ، ودخول هذه المناطق في طاعته واعترافها بخلافته لأبيه المنصور الذى اغتيل عام ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م .

---

(١) *Serjeant , San 'a , P . 305*

وعن الدراهم التى ضربت في الفترة من ٦٢٦ – ٦٢٨ هـ / ١٢٢٨ – ١٢٣٠ م ، وهى الفترة الانتقالية ما بين نهاية السيطرة الأيوبية على اليمن وقبل اعلان الدولة الرسولية رسمياً باصدار سكتها الجديدة راجع : *Miles , op . cit , PP . 73 – 77 , 79*

حيث نشر مجموعة من هذه الدراهم أرقام ٤١ ، ٤٢ ، ٤٩ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ - ٦٨ .

(٢) ربيع حامد خليفة : *طراز المسكوكات الرسولية* ، ص ٤٣ .

(٣) الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ٥٦ ؛ العبدلى : *هدية الزمن* ، ص ٧٦ ؛ محمد عبد العال أحمد : *المرجع السابق* ، ص ٩٩ .

(٤) ابن حاتم : *السمط الغالى* ، ص ٢٥٧ .

(٥) احمد عمر الزيلعى : *دراهم رسولية مظفرية نقش عليها اسم الخليفة المستعصم بالله بعد وفاته ، دراسة في مغزاها السياسى وطرز سكها* ، مجلة اليرموك للمسكوكات ، منشورات جامعة اليرموك ، قسم التاريخ ، المجلد الخامس ، ١٩٩٣ ، ص ٣٣ . وانظر أيضاً : ربيع حامد خليفة : *طراز المسكوكات الرسولية* ، ص ٤٥ ، ٥٧ .

وهناك دينار رسولي آخر ضرب في عدن سنة ٧١٨ هـ / ١٣١٨ م يحمل اسم السلطان المؤيد داود ، نطالع في نقوشه ما يلي : -

الوجه : السلطان الملك

المؤيد هزبر

الدين داود بن

الملك المظفر / أمير المؤمنين ، المستعصم بالله ، ضرب عدن سنة

ثمان عشر وسبعمائة .

الظهر : لا إله إلا الله

محمد رسول الله

صلى الله عليه

بسم الله الرحمن الرحيم،الأئمة الراشدون،أبو بكر/عمر/عثمان/ علي[١].

كما ضرب في عهد المجاهد أيضاً نوع من الدنانير الذهبية كبيرة الحجم عرفت باسم الشخوص الذهبية،فيذكر الخزرجي نقلاً عن أحد الفقهاء المقربين للمجاهد ويدعى الإمام جمال الدين محمد بن عبد الله الريمي في معرض حديثه عن كرم الملك المجاهد،إن الملك أهدى للفقيه الريمي أربعة شخوص من الذهب،وزن كل شخص منها مائتا مثقال[٢].

وقام سلاطين بني رسول بعد مؤسس دولتهم بسك الدراهم الفضية التي أصبحت العملة السائدة في اليمن [٣] ، فقد ضرب المظفر الرسولي درهماً باسمه في

---

(١) ربيع حامد خليفة : _طراز المسكوكات الرسولية_ ، ص ٥٧ ، ٥٨ ؛ أحمد عمر الزيلعي : _دراهم رسولية_ ، ص ٤٧ و هـ ٣٣ .

(٢) الخزرجي : _العقود_ ، ج٢ / ١٠٥ ويذكر أنه كان منقوشا عليها بيتان من الشعر هما :

إذا جادت الدنيا عليك فجد بها ... على الناس طراً قبل إن تنفلت

فلا الجود يفنيها إذا هي أقبلت ... ولا الشح يبقيها إذا هي ولت

ويرجح د. ربيع حامد خليفة ونؤيده في القول بأن هذه الدنانير الذهبية المشخصة كانت بمثابة العملات التذكارية التي يتم سكها للحفظ أو لتسجيل أحداث معينة جرت في سنة الضرب أو على سبيل الاهداء للمقربين وذوي الصلة (راجع : _طراز المسكوكات الرسولية_ ، ص ٥٧ - ٥٨) .

(٣) قام المنصور الرسولي : بضرب عدة دراهم وفلوس نحاسية في مدينة زبيد وصنعاء منها درهم بصنعاء عام ٦٣٩ هـ / ١٢٤١ م ، وآخر مؤرخ بعام ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م ، وفلس ضرب بصنعاء سنة ٦٣١ هـ ، وثان في عام ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م . وقد أخذت العملة الرسولية نفس الطابع الرسمي لعملة بني أيوب من حيث ذكر اسم السلطان والخليفة العباسي عليها دلالة على التبعية له. (راجع : _Serjeant , San 'a , p . 306_ ربيع حامد خليفة : _طراز المسكوكات الرسولية_ ، ص ٤٣ - ٤٤) .

زبيد من الفضة الخالصة سنة ٦٥٠ هـ / ١٢٥٢م [1] .ويصف يحيى بن الحسين الدرهم المظفرى وصفاً دقيقاً في كتابه غاية الأماني ، فيذكر أنه ضرب من الفضة الخالصة وكان " وزنه نصف قفلة أو زيادة ، مكتوب في الدائرة الوسطى بسم الله الرحمن الرحيم ، لا إله إلا الله محمد رسول الله ، أرسله بالهدى ودين الحق " وفي الدائرة الخارجية " ليظهره على الدين كله ، أبو بكر / عمر / عثمان / على رضيالله عنهم " . وفي الدائرة الوسطى من ظاهر (الوجه) " عَمَّر السلطان الملك المظفر شمس الدين يوسف بن الملك المنصور " وفي الدائرة الخارجية " الإمام المستعصم بالله أمير المؤمنين ضرب بزبيد سنة ٦٥٠ هـ " [2] .

ويذكر الخزرجى بعد ذلك بحوالى ٣٥ عاماً وبالتحديد في عام ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م خبر قيام المظفر بضرب الدرهم السعيد في صعدة [3] ، ولما تولى ابنه الأشرف الأول عمر (٦٩٤ – ٦٩٦ هـ / ١٢٩٤ – ١٢٩٦ م) قام بدوره عام ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م بضرب عملة تحمل اسمه ونسبت إليه وعرفت بالدراهم الأشرفية [4] .وتابع بقية سلاطين بنى رسول ضرب الدراهم الفضية في عدن وتعز وزبيد والمهجم وغيرها ، وكانت تنعت بأسماء ضاربيها فصارت هناك الدراهم المؤيدية والمجاهدية والأفضلية والأشرفية أو الجدد الأشرفية [5] والناصرية وغيرها من أنواع الدراهم التى ضربت في ذلك العصر [6] . ونقش عليها جميعاً أسماء السلاطين ونعوتهم الشخصية وألقابهم ، فضلاً عن أسماء الخلفاء العباسيين ومكان وتاريخ الضرب ، وكانت هذه العبارات تنقش عادة على وجه الدراهم ، أما عبارات

---

(١) يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص ٤٤٥ ؛ Serjeant , op . cit , P . 306 .

(٢) يحيى بن الحسين :المصدر السابق ، ص ٤٤٥ ؛الحبشى : جوانب من الحياة الاقتصادية ، ص ١١٦ ـ ١١٧ .

(٣) الخزرجى :العقود ، ج١ / ٢٠٧ ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص ٤٦٩ ؛ وجدير بالذكر أن المظفر في سنة وفاته جمع اسم ابنه وولى عهده الأشرف معه في الخطبة والسكة وخرج بذلك مرسوم ولاية العهد في عام ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م (راجع ابن حاتم :السمط ، ص ٥٦٦) . وعن الدراهم المظفرية راجع : ربيع حامد خليفة :المرجع السابق ، ص ٤٤ ـ ٤٦ ؛ أحمد عمر الزيلعى : المرجع السابق ، ص ٢٩ وما بعدها .

(٤) مجهول :تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٤٩ .

(٥) الخزرجى :العقود ، ج٢ / ١٦٢ .

(٦) للمزيد من التفاصيل عن الدراهم الرسولية وطرز سكتها ، راجع : ربيع حامد خليفة :المرجع السابق ، ص ٤٦ ـ ٥٧ .

الظهر فكانت تشتمل على البسملة والشهادتين وعبارة " محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون " يليها أسماء الخلفاء الراشدين ، وأخذت العملة الرسولية ابتداء من عهد المجاهد تشتمل على نقوش لبعض الشارات (الرنوك) كالزهرة خماسية البتلات ، شعار بني رسول ، والكأس، والسبع ،وغيرها من الشارات [١] . مثال ذلك درهم ضرب بعدن يرجع تاريخ ضربه إلي عهد الناصر أحمد بن الأشرف إسماعيل (٨٠٣ – ٨٢٧ هـ / ١٤٠٠ – ١٤٢٤ م) ويتمثل فيه نقش لسمكتين في وضع متدابر [٢] ، كما وصلنا من الدراهم ذات الشارات (الرنوك) درهم فضي ضرب زبيد يرجع تاريخ سكه لفترة حكم السلطان الناصر أحمد أيضاً، وتاريخ الضرب غير واضح وعياره حوالى ١,٧٥ جم سجلت عليه العبارات الآتية : -

الوجه : بسم الله الرحمن الرحيم / لا إله إلا الله / محمد رسول الله / ارسله بالهدى ودين الحق / أبو بكر / عمر / عثمان / على .

الظهر : نقش يمثل شارة (رنك) لطائر الطاووس يحيط به من أعلى عبارة السلطان الملك الناصر،ومن أسفل عبارة صلاح الدنيا والدين أحمد بن اسماعيل. وعلى الطوق الخارجى كتب"الامام المستنصر بالله أمير المؤمنين ضرب زبيد..."[٣] .

وشاع على السكة الرسولية أيضاً تسجيل الرسوم التصويرية ، ووصلتنا بعض الدراهم الفضية المشتملة على بعض هذه المناظر منها درهم فضى سك بدار ضرب تعز عام ٧٨٥ هـ / ١٣٨٣ م ، يبلغ وزنه ١,٨٥ جم ،وينتمى لعهد الأشرف الثانى الرسولى (٧٧٨ – ٨٠٣ هـ / ١٣٧٧ – ١٤٠٠ م) ويتضمن نقشاً لفارس يمتطى صهوة جواده ، ويمسك بيده اليمنى بازاً . أما العبارات المنقوشة عليه فهى :

الوسط : المنظر التصويرى للفارس

الهامش الخارجى : السلطان الملك الأشرف ممهد الدين إسماعيل بن

---

(١) Doran , Examples of Islamic Coinage from Yemen , P . 202 .
ربيع حامد خليفة : طراز المسكوكات الرسولية ، ص ٥٢ – ٥٣ ، ٥٩ – ٦٠ .

(٢) Doran , Exzmples , P . 202.

(٣) Doran , Examples , P . 202 . No . 20 .

العباس، ضرب بتعز سنة ٧٨٥ هـ .

الظهر : في وسطه : بسم الله الرحمن الرحيم

لا إله إلا الله

محمد رسول الله

ارسله بالهدى

الهامش الخارجي : ودين الحق ، ثم أسماء الخلفاء الراشدين .أبو بكر/ عمر / عثمان [١] .

ويتضح مما تقدم أن سلاطين بني رسول حرصوا بدورهم على ضرب العملة بأسمائهم وكان معظم ما ضربوه منها من الدراهم الفضية التي ساد التعامل بها ، وكان وزنها يتراوح بين ١,٥ جم و ١,٨٥ جم ، بينما كان الدينار الذهبي (للملك المؤيد على سبيل المثال) يزن حوالى ٤,٦٦ جم [٢] .

ويلاحظ أن أسعار السلع المتداولة في أسواق اليمن وكذا أموال التعويضات وبيع وشراء الحصون وغير ذلك من أوجه التعامل ، كانت ترد في بداية عهد الدولة الرسولية مقدرة بالدنانير ، ثم بعد ذلك أصبحت تقدر في معظمها وبخاصة السلع الغذائية بالدراهم ، مما يدل على سيادة الدراهم الفضية في المعاملات التجارية لا سيما الصغرى منها بداخل أسواق اليمن ، ونستدل على ذلك مما ورد في أحداث عام ٧٣٦ هـ / ١٣٣٥ م ، وهو العام الذى شهد ضرب الدرهم المجاهدى الجديد المعروف " بالرياحى " [٣] إذ صدرت مراسيم السلطان إلي سائر

---

[١] *Doran , op . cit , p . 202 , No . 19 .*

[٢] ربيع حامد خليفة : *المرجع السابق* ، ص ٦٣ . وانظر أيضا : ابن عبد المجيد : *بهجة الزمن* (تحقيق الحبشى) ، ص ١٩٩ حيث يشير إلي وزن أحد الدنانير زمن المؤيد فيذكر أنه كان يزن أربعة دراهم ، وكل درهم عشرة قراريط .

[٣] وردت هذه التسمية بذلك الرسم عند الخزرجى وغيره من المصادر (راجع : *العقود* ، ج٢ / ٦١) ومن المعروف أنه كان هناك نقاشا للسكة بدار الضرب بتعز معاصرا للأشرف الرسولى ، فربما نسب إليه قيامه بنقشه (أنظر: *العقود* ج٢ / ٢٤١) . في حين يفسر د. ربيع حامد الكلمة بأنها الرباعي، وكلمة الرياحى تصحيف وقع فيه محقق مخطوطة العقود فنقلها الرياحى بدلا من الرباعى (*راجع طراز المسكوكات الرسولية* ، ص ٤٩) . بينما وردت التسمية عند ابن الديبع : (*الفضل المزيد* ، ص ٩٧) برسم " الرباصية " ، وقد عرفها محقق الفضل بأنها تعنى الفضة الخالصة (راجع هـ ١ نفس الصفحة) .

عماله ونوابه بأن تحصل جميع أموال الخراج من الرعية والتجار بالدرهم الجديد فتضررت من ذلك الرعية [1] .

وعندما ارتفعت الأسعار وشحت الأقوات في عام ٧٨٦ هـ/١٣٨٤م،أمر الأشرف الثاني بزيادة مكيال الزبدي السنقري المستعمل في بيع وكيل الحبوب بزبيد وأعمالها من ٣٤٠ درهماً إلى خمسمائة درهم،وذلك لمواجهة ارتفاع الأسعار وندرة الطعام،وقد عادت هذه الزيادة بالضرر على الفلاحين[2] وفي عام ٨٠١ هـ / ١٣٩٨م، شاع استخدام الدرهم في بيع وشراء المواد الغذائية عندما ارتفعت الأسعار ثانية في زبيد،فتذكر المصادر أن سعر الذرة والدخن كل زبدي بدرهم وعبرة الزبدي خمسون أوقية حباً،وبلغ سعر الزبدي من البر درهماً ونصف وكان الوزن قبل ذلك كل زبديين بدرهم[3].ومن هذا العرض يتضح أن أسعار معظم السلع في الأسواق الداخلية وحركة البيع والشراء كانت تجرى بالدراهم،بينما ظلت الصفقات الكبرى تتم بالدنانير الملكية،بمعنى أن الدرهم أصبح وحدة التعامل الأساسية في الأسواق،بينما كانت المحاسبة تتم تقديراً على أساس الدينار الذهبي .

وكان يضرب في ظفار الحبوضي التي صارت محطة تجارية هامة منذ أن ضمها المظفر لملك بني رُسول،دراهم من النحاس المخلوط بالقصدير،واقتصر صرف هذه الدراهم وتداولها على أسواقها الداخلية ومعاملة أبنائها فيما بينهم فقط [4] .

٢- الصكوك والحوالات :-

وهي إحدى طرق المعاملات المصرفية ، وتعرف بالسفتجة أو السندات المالية المحولة للغير،وقد استخدمت في أسواق الشرق الأدنى ومن بينها أسواق اليمن المختلفة كعدن وغيرها[5]تسهيلاً لعمليات التبادل التجاري بدلا من حمل النقد، ويجيز العمل بهذا النظام لشخص ما أن يحول ما عليه من دين تجاري إلي شخص آخر فيقوم هذا الأخير بدفعه نيابة عنه[6] ،وكان الدافع لاستعمال هذا النظام تجنب نقل التاجر للمعادن الثمينة ، والحفاظ على النقود من أخطار الطريق .

---

[1] الخزرجي : العقود ، ج٢ / ٦١ – ٦٢ .

[2] الخزرجي : العقود ، ج ٢ / ١٥٤ .

[3] الخزرجي : المصدر السابق ، ج٢ / ٢٥١ .

[4] ابن بطوطة : الرحلة ، ج٢ / ١٩٧.

[5] ابن المجاور : المستبصر ، ص ٨٠ ؛ الخزرجي : الكفاية ، ق ٨٢ .

[6] يمدنا الخزرجي بمثال لاستخدام الحوالة عند حديثه عن خروج المسعود الأيوبي قاصداً الديار المصرية فأطلق من ينادي في البنادر بأن من أراد السفر صحبة المسعود إلي مصر فليأت ، فأقبل=

وكان تجار الجملة في اليمن يلجأون إلي الحوالات عند بـيعهم للبضـائع والسلع لتجار التجزئة عن طريق الدلالين ، فيقوم كل دلال بعقد الصفقة بين البائع والمشترى ، ويحرر بذلك عقداً أو سنداً بقيمة السلعة ومقدارها وسعرها الإجمـالى ويكون هذا السند أو تلك الحوالة بمثابة إيصال استلام ، ويتقاضى الدلال عمولتـه على إتمام الصفقة من كل من البائع والمشترى على حد سواء [١] .

٣- الـدفع بالأجل :

وهى إحدى طرق ثلاثة عرفت في أوجه التعامل ، بعد الدفع نقداً عند إتمام الصفقة التجارية بين البائع والمشترى ، وبعد الصكوك أو الحـوالات ، ثم البيـع والدفع بالأجل ، فكان بإمكان التاجر الصدوق أن ينال الثقة لدى التجار الكبار ، فيأخذ ما يشاء من البضائع دون مال حتى يبيع ، ثم يسدد ما عليه من أثمان البضائع من عملية البيع طالما لا يستطيع الدفع نقداً [٢] .ويقوم هؤلاء الباعة الصغار أو تجار التجزئة أحياناً بدفع ما عليهم من ديون لتجار الجملة تقسيطاً ، ويحدد يوم معـين يتفق عليه بين الطرفين ، ليُوفى تاجر التجزئة ما عليه من أقساط ثمنـاً للبضـائع ، وجرت العادة أن يكون الخميس من كل أسبوع [٣] موعـداً لـذلك الاتفـاق ، وكانت طريقة البيع والدفع بالأجل في ثمار النخيل متبعة في اليمن ، وعرفت بنظام التقبيل ، حيث ينـزل تجار التمور في موسم جنى التمور ، فيأخذ كل تاجر علـى قدر استطاعته ، ثم يسدد الثمن من عملية البيع [٤] .

٤- المقـايضة :

وعرفتها أيضاً المدن التجارية اليمنية ، ولجأ إليها التجار لإبرام الصـفقات التجارية نظراً لقلة العملة الذهبية في أسواق اليمن ، فأستعاضوا بها عـن النقـد ، وكانوا يعمدون إلي تقدير قيمة البضائع بالدنانير الذهبية عنـد إتمـام إجـراءات

=التجار بأنواع التجارات والبضائع ، فاجتمع المسعود بهم في عدن وسألهم في بيعه هذه التجارات نجاة لهم من عشورها،فباعوها عليه فكتب لهم بأثمانها إلي اليمن"وأحل لهم بحوالات إلي كل ناحية " (أنظر : الخزرجى : *الكفاية* ، ق ٨٢ ؛ *العقود* ، ج١ / ٤٧) .

(١) Serjeant , San'a , P . 162 .

(٢) Serjeant , San'a , P . 161 .

(٣) Serjeant , op . cit , P . 163 .

(٤) ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ٧٩ ـ ٨٠ .

المقايضة، ويورد جويتاين بعض الأمثلة التي تشير لنظام المقايضة من خلال مجموعة من الرسائل المتبادلة بين التجار ووكلائهم في ثغر عدن توضح اعتماد المقايضة كأحد نظم الدفع المعمول بها بين التجار هناك ، وشملت المقايضة كل أنواع السلع المتبادلة. نذكر منها خطابين متبادلين بين أحد التجار بالهند ووكيله في عدن يتضح من خلالهما تساوى قيمة البضائع الواردة ، مع قيمة البضائع الصادرة مما يوضح شيوع التبادل التجارى بين القطرين وفقاً لنظام المقايضة [١] . ويؤكد جويتاين شيوع نظام المقايضة في موضع آخر مبيناً مدى تفضيل التجار له بدلاً من الدفع النقدى بالدينار الذهبى ، ويبين أن الحرير كان إحدى السلع المفضلة في قوائم الخطابات العدنية المتبادلة بين التجار باعتباره من وسائل الدفع بدلاً من الذهب لا سيما الحرير الوارد من الأندلس وكان يلقى رواجاً عند بيعه بسواحل الهند [٢] .

ويشير ابن المجاور إلي شيوع نظام المقايضة بطريقة عابرة في معرض حديثه عن احدى المناطق الواقعة على الطريق بين المحالب وزبيد وتعرف بوادى الراحة فيشير إلي أن بعض أهلها كان يقايض الدُرٍّ بالبُر " حمل دُرّ بحمل بُرّ " [٣] .

٥- شركات القراضة أو المقارضة :

وعرفتها اليمن أسوة بغيرها من البلاد الإسلامية المعاصرة [٤] . وبمقتضى نظام هذه الشركات يدفع الشخص أمواله لشخص آخر كي يتاجر له فيها نيابة عنه ، ويسوق ابن سمرة الجعدى وغيره من مؤرخى اليمن أمثلة لشيوع هذه الشركات واعتمادها كإحدى وسائل التعامل التجارى ببلاد اليمن ، فقد كانت موجودة باليمن قبل الفترة موضوع البحث ، واستمرت خلال عصرى بنى أيوب وبنى رسول . ومن الأمثلة الدالة على ذلك أن الفقيه زيد بن عبد الله اليفاعى (من

---

[١] يوضح الخطاب الأول نوع البضائع المرسلة من أحد التجار بالهند وقيمتها ، بينما يذكر الخطاب الثانى نوع البضائع الصادرة من عدن وقيمتها إلي نفس التاجر بالهند عن طريق وكيله بعدن وبمطالعة قيمة البضائع الواردة والصادرة في الخطابين نجد أن كلا منهما تساوى ٥٣٥ ديناراً ملكياً مما يؤيد قيام هذه الصفقة على أساس نظام المقايضة . (راجع :
(Goitein , From Aden to India , pp . 45 – 46 , 59 – 60) وأنظر أمثلة أخرى لشيوع نظام المقايضة في التبادل التجارى بين الهند وعدن في Goitein , Letters and Docum . pp . 198 – 199.

[٢] Goitein , Letters and Docum , p . 199 .

[٣] ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ٥٥ .

[٤] راجع : أسامة أحمد اسماعيل : *الإسكندرية* ، ص ٨٨٣ – ٨٨٤ .

علماء ق ٦ هـ / ق ١٢ م) ، كان يمتلك مالا تحصل له من التجارة تبلغ قيمته ١٤ ألف مثقال فكان له بضعة عشر مقارضاً ، أعطى لكل واحد ألف مثقال يتاجرون فيه، منهم من يسافر إلي عدن ، ومنهم من يسافر إلي زبيد ، أو إلي مصر أو العراق ، وكان يتم كتابة عقد بين الطرفين صاحب المال والمقارض يتضمن قدر المال المدفوع ، ونسبة الربح المتفق عليه بينهما ، أو العمولة التي يحصلها المقارض مقابل الإتجار بأموال الفقيه [1] . وكان نفس الفقيه أيضاً يقارض بما يفيض من إنتاج أطيانه من الغلال والثمار جماعة أخرى من تجار مكة [2] .

وهناك نص أورده الخزرجي يشير إلي شيوع نظام المقارضة في بلاد اليمن في العصر موضوع البحث ، وذلك من خلال ترجمته للفقيه عثمان بن محمد الحساني (ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م) ، فذكر أنه كان يمتلك الأموال الطائلة يقارض بها أهل جبلة وتجارها ، ويسير بأموالهم إلي عدن " وكان من خَبَرَه منهم ، لا يسمح به أن يقارض غيره محبة فيه ووثوقاً بدينه وأمانته " [3] . كذلك أمدنا بامخرمة بمثل آخر من عصر المؤيد الرسولي يفيد انتشار شركات القراضة ، واستمرارها طوال فترة الدراسة ، وذلك في معرض حديثه عن القاضي أبو القاسم بن عبد العزيز الأبيني ، الذي تعاني التجارة بعد صرفه عن القضاء فبدأ يرتاد الطريق التجاري بين عدن والهند " وجعل يقارض التجار " [4] .

٦- الشركات المساهمة :

وعرفتها أسواق اليمن أيضاً ، حيث أمدنا جويتاين بنموذج لهذه الشركات التي أتخذت من أسواق اليمن مجالاً لتصريف بضائعها ، وقامت هذه الشركة في بداية الأمر ، على شكل شركة أسرية كونها أحد التجار مع ابن أخته ، ودون

---

[1] كانت مثل هذه الشركات تقوم في مصر المملوكية بين المسلمين فيما بينهم وأحيانا بين مسلمين ونظائرهم من التجار الأجانب ، ولكنهم يشتركون في رأس المال بنسب معلومة تكون النسبة الأكبر للتاجر المسلم وتوزع الأرباح تبعا لنسبة رأس المال مع عمولة للتاجر الأجنبي . (راجع : المقريزي: السلوك ، ج٢ / ١٠٤ ؛ نعيم زكي فهمي : طرق التجارة ، ص ٢٧٤ ؛ صبحي يني لبيب : التجار الكارمية ، ص ٢٥ ؛ أسامة أحمد اسماعيل : المرجع السابق ، ص ٨٨٤) .

[2] ابن سمرة الجعدي : طبقات فقهاء اليمن ، ص ١٢١ ؛ الجندي : السلوك ، ج١ ، ق ٩٣ – ٩٤ .

[3] الخزرجي : العقود ، ج١ / ٢٠١ .

[4] الخزرجي : العقد الفاخر ، ق ٢٩ ؛ بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج٢ / ١٣٢ .

تصديق قانوني عليها وظلت هكذا لعدة سنوات ، ريثما تحقق نجاحاً يتطلب بعد ذلك توثيقها قانونياً ... وكانت في هذه الفترة الأولى تعتمد على جهد الشريكين في عقد العقود وإبرام الصفقات كل على حدة، وقد تعود الالتزامات والأرباح عليهما معاً وأحياناً تكون قاصرة على إسم الشخص الذى أبرم الصفقة وأتم التعاقد فقط . ومع اتساع نطاق عمل الشركة ، بدأ الشريكان في اتخاذ الخطوات القانونية لتوثيق الشركة وإشهارها لدى موثق العقود ، ووضع القواعد والشروط المنظمة لعمل الشركة ومسك الحسابات الخاصة بها [1] ... فنجدهما يعمدان إلي تقدير قيمة ممتلكاها ، واعتباره رأس المال المشترك بينهما بالتساوى وقدراه بـ ٣٧٥٠ ديناراً ، كما حددا نسبة الأرباح بينهما مناصفة . وحددا المجال الجغرافى لنطاق عمل الشركة فنجده يضم دول شمال أفريقيا ومصر واليمن ، ولعل المقصود باليمن هنا كل الطريق التجارى إلي الهند [2] .

٧- البنوك الأهلية :

يبدو أن اليمن عرفت في تلك الفترة نظاماً أولياً للبنوك والإيداعات النقدية، يمكن أن نطلق عليه البنوك الأهلية ، حيث كان رجال القبيلة يختارون رجلاً من ذوى الأمانة والثقة عالماً بالحساب ، يودعون لديه أموالهم وذخائرهم مقابل حصوله على فائدة معلومة تدفع له كرسوم على هذه الخدمة [3] .

ويمدنا الخزرجى بما يفيد معرفة أهل اليمن لنظام الإيداع المصرفى الأهلى في سياق حديثه عن وفاة الفقيه يوسف بن أبي بكر بن عبد الله عام ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م ، فيذكر أن معظم ودائع أهل ناحية هذا الفقيه كانت تصب عنده ، وكان عالماً بالحساب موثوقاً في أمانته ، ومحل ثقة أهل المنطقة التى يقطنها [4] .

---

[1] مما لاشك فيه أنه كان لكل تاجر وبخاصة أعيانهم دفاتر خاصة لقيد حساباتهم التجارية ، وقد لعب تجار الكارمية دورا هاما في نشر نظام حسابات التجار وقيدها في الدفاتر ، ولهذه الدفاتر أهمية خاصة حيث تعد حجة على أصحابها من التجار ، وأشار سيرجنت عند حديثه عن تجار صنعاء أنهم كانوا يحتفظون بتقارير مفصلة لحساباتهم مع الباعة حرصاً على دوام المصلحة العامة والمودة فيما بينهم طبقاً للمثل اليمنى القائل بأن " الحساب صابون القلوب " (راجع: *Serjeant , San 'a , p . 163*) .

[2] راجع بالتفصيل عن حقوق الشريكين وتقسيم الأرباح وغير ذلك :
Goitein , Amedterranean Society , New Yourk , 1967 , pp . 180 ss.

[3] *Serjeant , San'a , p . 278 .*

[4] الخزرجى : *العقود* ، ج٢ / ٢٣ .

ومما يؤكد معرفة اليمن لنظام هذا الإيداع النقدى عند أحد الصيارفة أو الأمناء مقابل نسبة معلومة تدفع له للاحتفاظ عنده بالمال،ما ذكر عن قيام الزيدية بشمال اليمن بقتل أحد الفقهاء في مشرق اليمن وكانت معه أموال كثيرة خاصة بالمودعين من أهل ناحيته وكان ذلك في أواخر ق٨ هـ/أواخر ق١٤ م[١]. ويلاحظ أن أغلبية من مارس دور الصراف أو أمين " البنك الأهلي "،كان من رجال الدين،ولعل مرجع ذلك أنهم كانوا في الغالب أقل الناس عرضة للتحرش من قبل السلطات الحاكمة،ومحل ثقة المودعين،الذين كانوا يقبلون على إيداع ما لديهم من أموال وتحف قيمة وذخائر عندهم[٢].

٨- نظام الاحتكار وطرح البضائع :

وشاع هذا النظام منذ أواخر عهد بني أيوب في اليمن،وبخاصة مع تولى نور الدين عمر بن رسول نيابة عدن،حيث قام بعدد من الإجراءات المالية الصارمة منها سياسة الاحتكار وطرح البضائع،فنجده يبدأ عهده عام٦٢٤ هـ/ ١٢٢٦م بطرح الفوة على كل من كان بعدن وبالسعر الذى حدده هو للبهار وهو ٢٨٠ ديناراً ملكياً وأجبر الناس على ابتياعها،ولم يتورع في سبيل تنفيذ سياسته عن ضرب الناس بالسياط والعصى،وفي العام التالى أقدم على احتكار تجارة الفلفل وجميع أصناف التوابل أو ما يعرف بالأفاوية الشرقية،وكذلك النحاس والقطن وبعض الخف"الأشياء الخفيفة الوزن كالأحجار الكريمة والحرير وخلافه"،فبدأ في شراء هذه الأصناف من التجار،ثم أعاد طرحها على التجار بالأسعار التي يحددها ويرتضيها،ولم يقتصر الأمر على ذلك فقط،بل تعداه إلي التطفيف في الميزان،فأقدم نوابه على شراء البهار من التوابل وغيرها بهاراً وربع،وعند إعادة طرحه على التجار يقوم عماله ببيعه بهاراً إلا ربعاً طمعاً في زيادة المكاسب من وراء إنقاص الوزن أيضاً[٣].

وهكذا شملت هذه السياسة الاحتكارية كل أصناف المتجر في عدن ، واستمرت سارية طوال العصر الرسولى،وأضيفت إليها العديد من السلع الأخرى كالسمسم والحرير [٤] .

---

(١) *Serjeant , San'a , p . 278 .*

(٢) *Serjeant , Ibid .*

(٣) ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٤٧ – ١٤٨ .

(٤) الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ١٥٨ ؛ ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٣٩٠ .

ومما لا شك فيه أن الدافع وراء إتباع هذه السياسة الاحتكارية،هو الطمع في الاستحواذ على تلك الثروات الطائلة التي كانت تؤول للتجار من وراء العمــل في هذه التجارات لا سيما تجارة الكارم،التي بلغ أصحابها مكانة مرموقة في المجتمع اليمني،بفضل ما كان يعود عليهم من ثراء من وراء الاشتغال بتجارتها،الأمر الــذى أطمع حكام اليمن في مثل هذا الثراء،فعمدوا إلي إتباع سياستهم الاحتكارية،بغيــة تكوين ثروات مماثلة،ولم يكتفوا بما كانوا يحصلون عليه من رسوم وعشور مفروضة على هؤلاء التجار،الأمر الذى أدى في نهاية الأمر إلي امتلاء خزانة هؤلاء السلاطين بالأموال غير مبالين بالخسائر التي تنــزل–نتيجة اجراءاتهم المالية الصارمة–بالتجار والتي عبر عنها ابن المجاور بقوله أن حصيلة التاجر تصبح في النهاية"لا شئ في لا شئ [١] ".

وتمخض عن هذه السياسة الاحتكارية ، وما ارتبط بها مــن مبالغــات في تقدير الأسعار والضرائب والأرباح العديد من الأزمات الاقتصادية التي وضــحت جلياً في امتناع التجار عن الورود إلي عدن والتجوير إلي جــده [٢] . ممــا أدى في النهاية إلي خراب بندر عدن ، وما تبع ذلك من انهيار المركز المــالى والاقتصــادى لدولة بنى رسول مما كان له أكبر الأثر في سقوطها وانهيارها مع بدايات النصــف الثاني من ق ٩ هــ / النصف الثانى من ق ١٥ م .

٩- المكاييل والموازين والمقاييس :

اختلفت المكاييل والموازين ووحدات القياس في اليمن مــن منطقــة إلي أخرى، ويعبر ابن المجاور عن هذا الاختلاف بقوله " سنجة عدن أقوى من ســنجة زبيد بشئ يسير [٣] " . ويظهر هذا الاختلاف أيضاً من عصر إلي عصر فيما ذكره ابن المجاور عند سرده لأحداث عام ٦٢٥ هــ / ١٢٢٧ م (أى في أواخر الحكــم

---

(١) ابن المجاور :المستبصر ،ص١٤٨ .هذا وقد استن المنصور نور الدين أيضا عام ٦٤٥ هـ / ١٢٤٧م طريقة ضرائبية جديدة لم تكن معروفة عند أهل اليمن من قبل،بهدف تحصيل الضرائب مبكرا قبل أوان استحقاقها،وطبقت هذه الطريقة على المنتجات الزراعية وعُرفت هذه الطريقة الضرائبية باسم خرص الثمار ،أى تقدير كمية المحصول ظنا قبل نضجه وحصاده وتقدير الضريبة المستحقة عليه تبعا لذلك،ومطالبة الرعايا طبقا لذلك بزيادة على ما جرت به العادة،وقد لاقت هذه الطريقة اعتراضات عدة من قبل الأهالى والفقهاء(راجع:يحيى بن الحسين:غاية الأمانى،ص ٤٢٧) .

(٢) Heyd , Hist . de . Comm II , pp . 445 – 446

(٣) ابن المجاور : المستبصر ، ص ٨٩ .

الأيوبى) فذكر أن ولاة الأيوبيون أقدموا على تغيير كافة المكاييل والموازين وعبر عن ذلك بقوله " وزيد في القبان سدس بهار عما كان في الأول ، وغُيّر جميع مكاييل اليمن ، ووضعوه على عيار زبدى الجند.، وغيروا الأوعاد [مواعيد الأسواق] كلها سنة خمس وعشرين وستمائة " [١] .

ويبدو واضحاً اختلاف وحدة الموازين والمكاييل والقياس من سلعة إلى أخرى باختلاف نوعية السلعة من حيث السيولة والصلابة ، فوحدة المكيال تعرف في السلع السائلة باسم الوعاء الذى يحتويها أحياناً ، فالسمن مثلاً يباع بالَجمنَة وتساوى خمسة أمنان [٢] . والشيريج " السليط " يباع بالجرة [٣] . وهما اللذان يحفظ بهما السمن والشيرج لسيولتهما .

أ- الموازين :

من أشهر الموازين المستخدمة في بلاد اليمن في الفترة موضوع البحث ما يلى :

- **الرطل** : ويختلف وزنه باختلاف البلد المنسوب إليه ، وذكرت المصادر أن الرطل اليمنى كان يساوى الرطل البغدادى [٤] . وتباع به جميع الحوائج ، لاسيما العطور ، وقد حدده ابن المجاور بحوالى ١٣٠ درهماً أى ما يساوى ٤٠٦,٢٥ جرام على أساس أن الوزن الدقيق للدرهم يساوى ٣,١٢٥ جم [٥] .

- **البهار** : وقد اكتسب أهمية عامة في التجارة العالمية حيث اعتمد وحدة لوزن البهارات والتوابل بأنواعها في عدن وغيرها من البلدان [٦] ، كما استعمل في وزن سلع أخرى منها الفوة والكتان والطباشير والتمر هندى والسكر والحديد والقار ، والفضة والسليط وغيرها [٧] . أما عن عياره فقد ذكر المقدسى أنه يساوى

---

[١] ابن المجاور : *المصدر السابق* ، ص ١٤٤ .

[٢] المن في بيع ووزن السمن = ٨٠٠ درهم فيكون وزن الجمنة تقريبا حوالى ١٢,٥٠٠ كجم .

[٣] ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ٨٩ .

[٤] المقدسى : *أحسن التقاسيم* ، ص ٩٩ .

[٥] ابن المجاور : *المصدر السابق* ، ص ١٣ ؛ هنتس : *المكاييل والموازين الإسلامية* ، ص ٣٠ - ٣١. وراجع عن استخدامات الرطل فى التجارة اليمنية وكونه مساويا الرطل البغدادى . الخزرجى : *الكفاية* ، ق ١٤٠ ، *العقود* ، ج١ / ٢٩٠ ، *العسجد* ، ق ١٧٥ .

[٦] هنتس : *المرجع السابق* ، ص ٢١ .

[٧] ابن المجاور : *نفسه* ، ص ١٤٠ - ١٤١ ، ١٤٨ ؛ ابن حاتم : *السمط* ، ص ١٤٠ ؛ الجندى : *السلوك* ، ج٢ ، ق ٢١٥ ؛ الخزرجى : *العقد الفاخر* ، ق ٨٦ ، *الكفاية* ، ق ٥٩ ؛ بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، ج٢ / ١٩٥

ثلاثمائة رطل مكى [١] ، وحدده هنتس بما يوازى ٣٣٣ منا بغداديا ، وبناء على ذلك يصبح وزن البهار معادلاً لـ ٢٧٠,٥٦٢ كجم [٢] .

- المَنّ : وذكر ابن المجاور انه يساوى ٣٢٠ درهماً ويباع به الثياب كالحرير وبعض السلع الأخرى لا سيما الحلويات والعسل،كما يوزن به العود والزعفران[٣]،وطبقاً لذلك يكون وزن المن اليمنى=كيلو جرام واحد(١٠٠٠ جرام)[٤].

ويختلف عيار المن باختلاف نوعية السلعة الموزون بها ، فالمن المستخدم في وزن اللحم والشحم والهريسة والمجبنة يعادل ٤٠٠ درهم فيكون وزنه بالجرامات = ١٢٥٠ جم [٥] ، بينما نجد أن المن المستخدم لعيار السمن ووزنه وكذلك لوزن الزيت والخل وبيعه يساوى٨٠٠ درهم وبالتالى يصبح مساوياً لـ ٢٥٠٠ جرام[٦]. بينما كان مَنّ الحرير يساوى ٢٦٠ درهماً أى ما يوازى ٨١٢,٥٠٠ جم [٧] .

- الفراسلة : اعتمدت وحدة وزن لمجموعة من البضائع منها الكافور والقرنفل والزعفران [٨]،وهى تساوى عشرة أمنان أو عشرين رطلاً[٩]،وفي تقدير

---

[١] المقدسى : احسن التقاسيم ، ص ٩٩ ، وطبقا لما ذكره فيكون البهار = ٢٤٣,٧٥ كجم على وزن الرطل المكى الذى يساوى ٢٦٠ درهما . راجع : هنتس : المرجع السابق ، ص ٢١ .

[٢] هنتس :نفس المرجع والصفحة ، ويذكر انه في ق ١٦ م صار يوزن به القطن وكان وزنه آنذاك حوالى ١٥٦ كجم راجع :نفس المرجع ، ص ٢٣ . ويذكر سيرجنت أن أهل اليمن وبخاصة تجار عدن كانوا يستقبلون بضائع الكارمية على شكل بالات ، والبالة = ٥٠٠ رطل ، وكل ٦٠ بالة = مائة بهار باجمالى ٣٠ ألف رطل الأمر الذى يؤكد أن البهار = ٣٠٠ رطل بغدادى . (راجع : Serjeant , San'a , p . 162) .

[٣] ابن المجاور :المستبصر ،ص ١٢، ٨٩، ١٤٤؛ الجندى: السلوك، ج٢، ق ٢١٢؛ الخزرجى : العقود، ج١ / ١٧٧ - ١٧٨؛ العقد الفاخر ، ق ٨٦ ؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن ، ج٢ / ١٩٥ .

[٤] بينما قدره هنتس برطلين بغداديين أى ٢٦٠ درهما ، فيكون وزن المن = ٨١٢,٥ جم . (راجع المكاييل والموازين ، ص ٤٥ ، ٤٦ ، حيث يذكر أيضا أن معدل المن في المخا في بدايات ق ١٧ م = ١,٠٦ كجم أى يقارب ما ذكره ابن المجاور) .

[٥] ابن المجاور : المصدر السابق ، ص ١٢ ، ٨٩ ، وبذلك يكون المن يساوى تقريبا ما كان معروفا حتى وقت قريب بالأوقة (راجع أيضا : الأهدل : كشف القناع ، ص ١٥٤ حيث يؤكد ذلك بقوله أن المن = ربيعة ، والربيعة ١٨ اوقية ، والأوقية = ٦٧,٧٠٨ جم فيصير وزن المن = ١,٢١٨ كجم) .

[٦] ابن المجاور :نفسه ، ص ١٢ .

[٧] ابن المجاور :نفسه ، ص ٨٩ ؛ التيفاشى : المصدر السابق ، ص ٢٢٦ .

[٨] ابن المجاور :نفسه ، ص ١٤٠ ؛ بامخرمة :تاريخ ثغر عدن ، ج١ / ٥٩ .

[٩] وطبقا لذلك يكون وزنها ٨,١٢٥ كجم على أساس أن الرطل نصف المن = ٤٠٦,٢٥ جم ، راجع:بامخرمة :تاريخ ثغر عدن ، ج١ / ٥٩ .

آخر يساوى ٢٠/١ من البهار ، أو ما يساوى ١٣,٥٢٨١ كجم على أساس أن وزن البهار = ٢٧٠,٥٦٢ كجم [١] .

– **البيعة** : ورد ذكرها عند ابن المجاور ، وتعتمد كوحدة وزن لبيع الأدم وقدرها بحوالى مائة من ، وذكر أن حمل الجمل يبلغ بيعتين ونصف [٢] ، وبذلك يتراوح وزن البيعة طبقاً لوزن المن ما بين ٨١,٢٥٠ كجم ، و ١٠٠ كجم [٣] .

– **الجَوزة** : وتستخدم في موازين النقود ، كما أوضح ابن المجاور عند شرحه لعيار الدينارين المصرى والملكى [٤] والجوزة يتراوح وزنها ما بين ١٩,٨٦٣ و ٢٣,١٧٣٥ جم [٥] .

– **القيراط** : ويستخدم في عيار النقود وضربها ووزن الأحجار الكريمة ، وهو في جزيرة العرب يعادل حوالى ٠,١٩٥ جم [٦] .

– **الأعدال** : مفردها عديلة : وتستخدم وحدة وزن للدقيق وسائر الأطعمة ، والخمور [٧] ، ويتراوح وزنها ما بين ١٢٥ و ١٥٠ كجم [٨] .

– **الأوقية** : وتساوى عشر قفال بالختم المصرى طبقاً للخزرجى [٩] ، وحددها ابن المجاور بشكل أكثر تفصيلاً عند حديثه عن الرطل اليمنى ، فذكر أن

---

(١) هنتس : *المرجع السابق* ، ص ٢١ ، ٤٠ . وراجع : Serjeant , San'a , p . 162 حيث يذكر أن الفراسلة في سوق صنعاء كانت تساوى نحو خمسة كيلو جرامات ، وتوزن بها البضائع الآتية على ظهور الجمال ، وعلى أساسها يحدد كراء الجمال .

(٢) ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٣ ، وأحيانا يباع الأدم بالعدد ، وقد حدد سعر البيعة بسبعين ديناراً .

(٣) يقدر هنتس وزن البيعة المصرية المستخدمة في وزن الحرير والعنبر بحوالى ٤,٥ كجم (راجع : *المكاييل والموازين* ، ص ٢٣)ويؤكد صحة ما ذكره ابن المجاور عن البيعة في اليمن أن حمل البعير في شتى البقاع الإسلامية كان له قيمة تقريبية تناهز ما ذكرناه وهو ٢٥٠ كجم (راجع : هنتس : *المرجع السابق* ، ص ٢٦ – ٢٧) .

(٤) ابن المجاور : *المصدر السابق* : ص ١٢ . .

(٥) هنتس : *المرجع السابق* ، ص ٢٥ .

(٦) ابن المجاور : *نفسه* ، ص ٨٩ ؛ التيفاشى : *المصدر السابق* ، ص ٢١١- ٢١٢ ؛ هنتس : *المرجع السابق* ، ص ٤٤ . ومن المعروف أن القيراط جزءا من الدينار ، ويذكر ابن المجاور أنه كان يؤخذ رسما لدار الوكالة في عدن قيراطا عن كل دينار . أنظر : *المستبصر* ، ص ١٤٣ .

(٧) ابن حاتم : *السمط* ، ص ٢١٢ ؛ ابن بطوطة : *الرحلة* ، ج٢ / ١٥٩ .

(٨) هنتس : *المرجع السابق* ، ص ٣٩ .

(٩) الخزرجى : *العقود* ، ج٢ / ٢٥١ .

الأوقية تعادل احدى وعشرين درهما وثلث [١] وبحساب الدرهم ٣,١٢٥ جـم ، فيكون وزن الأوقية في ذلك العهد حوالى ٦٧,٧٠٨ جم [٢] .

– القفلة : وهى وحدة وزن تستخدم في بيع وعيار السمن ، وطبقاً لما سبق حددنا وزنها قياساً لوزن الأوقية فصارت = ٦,٧٧٠ جم ، ويباع السمن كل أربعين قفلة مجتمعة أى ما يساوى ٢٧٠,٨٣٢ جم [٣] .

ب– المكاييـــل :

– المُدّ : اختلف الفقهاء في تقديره وكان يستخدم في اليمن كوحدة كيل للتمور والغلال وسائر الأطعمة [٤] . ويذكر ابن المجاور أن المد في الـيمن كـان يساوى ٣٢ ثمناً ، والثمن ٣٢ زبدى ، والزبدى يساوى مَنَّ والمَنَّ رطلين ، وكـل رطل ١٢٠ درهماً ، كل درهم ثلاثة عشر قيراطاً [٥] . وذكر صاحب العسجد أن المد الواحد في اليمن ٣٢٠ مكيالاً ، والمكيال الواحد ٣٢٠ قفلـة بالمصـرى [٦] ، كذلك يباع القطن بالمد ، ومد القطن خمسة أمنان بالكبير ، وأيضاً تباع العصـارة والشيذر وغيرها بالمـد (خمسـة أمنـان بـالكبير) أى ١٠٠٠ جـرام × ٥ = ٥,٠٠ كجم [٧] .

– الزبدى : وهو مكيال يستخدم لكيل الغلال على اختلافها وكـذلك الدقيق وأنواع أخرى من الأطعمة،وعياره يختلف من مدينة إلي أخرى داخل اليمن، فعبرة الزبدى في مدينة زبيد طبقاً للخزرجي يساوى خمسون أوقية حبا [٨].أى مـا يساوى ٦,٢٥٠ كجم وذلك طبقاً لوزن الأوقية ١٢٥ جم،وكان الزبدى يستخدم في كيل الحبوب،بينما عرفت زبيد أيضاً زبدى آخر يستخدم في كيل السمن فيذكر

---

[١] ابن المجاور : المستبصر ، ص ١٢ ، والأوقية = ١٠ أقفال ، والقفلة = ٦,٧٧٠ جم .

[٢] يذكر هنتس أن الأوقية بجزيرة العرب في صدر الإسلام كانت تساوى ٤٠ درهما أى ١٢٥ جم ، بينا صارت في ق ١٧ م حوالى ٢٧,٠٨ جم . راجع : المكاييل ، ص ١٩ .

[٣] الخزرجي : العقود ، ج٢ / ١٨٨ .

[٤] الخزرجي : المصدر السابق،ج١٨٩/٢، ١٨٨ ، العسجد،ق ١٧٠، ١١٩،الكفاية،ق ١٥٤، ١٣٧ .

[٥] ابن المجاور : المصدر السابق ، ص ٨٩ .

[٦] الخزرجي :العسجد،ق١٩٣،ويصبح طبقاً لوزن القفلة الذى يساوى ٦,٧٧٠ جم=٦٩٣,٢٤٨كجم .

[٧] ابن المجاور : نفسه ، ص ٨٩ .

[٨] الخزرجي : العقود ، ج٢ / ٢٥١ .

صاحب العقود أن زبدى السمن كانت عبرته ١٢ رطلاً،والرطل الخاص بالسمن يساوى ٢٠ أوقية [١] .فيصير وزن زبدى السمن=٣٠,٠٠ كجم .

ويتضح الاختلاف في معيار الزبدى من مدينة لأخرى في بعض النصوص التاريخية التي تشير إلي نوعين من هذا المكيال ، أحدهما يستعمل بمدينة زبيد وأعمالها أيضاً ويعرف بالزبدى السنقرى . والآخر خاص بمدينة تعز وعرف بالزبدى التعزى . أما الأول فكان عياره في الأصل على عهد الأتابك سنقر المنسوب إليه المكيال يساوى ٢٤٠ درهماً ، وظل الحكام يزيدون فيه ، حتى استقر على ٣٢٠ درهماً وذلك في أواخر عهد المجاهد الرسولى ، إلي أن زاد فيه محتسب زبيد عام ٧٦١ هـ / ١٣٥٩ م ، أربعون درهماً فصار ٣٦٠ درهماً ، ثم زاده الأفضل ليستقر في عهده على ٤٠٠ درهم ، فعرف بالأفضلى ، ثم استمرت الزيادة فيه إلي أن استقر في عهد الأشرف الثانى على ٥٠٠ درهم ، وعرف منذ ذلك الوقت بالأشرفى [٢] .

أما الزبدى التعزى وهو خاص بكيل الحبوب فكان يساوى طبقاً للمصادر ثمانية أرطال [٣] ، أى ما يقارب ٣,٢٥ كجم على أساس أن الرطل = ١٣٠ درهماً، بينما لو تم حسابه على أساس الرطل = ١٢٠ درهماً أى الرطل المقدر في عيار المُد، فيكون عيار الزبدى التعزى ما يقرب من ثلاثة كيلوجرامات . مما يوضح اختلافه عن الزبدى السنقرى المستعمل في زبيد والذى وصل أقصى عيار له إلي ٥٠٠ درهم أى ما يزيد قليلاً على كيلو جرام ونصف (١٥٦٢,٥ جم) .

- <u>الصاع</u> : ويستخدم في بيع الحنطة وسائر الحبوب ، وقدره ابن المجاور بأربعة أمداد ، وكل مد أربعة أرباع رطل [٤] . بينما يذكر الأهدل أن الصاع

---

[١] الخزرجى : العقود ، ج١ / ٢٥١ ، العسجد ، ق ١٠٥ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، الكفاية ، ق ١٣٧ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص ٢٨٨ .

[٢] أى يساوى ١٥٦٢,٥ جرام . ونلاحظ ان الخزرجى يذكر أنه ٥٠٠ درهم في بعض مؤلفاته ، ثم يذكر أنه ٥٠٠ قفلة راجع عن الزبدى السنقرى : الخزرجى : العسجد ، ق ١٠٦ – ١٠٧ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، العقود ، ج٢ / ١٥٤ ، الكفاية : ق ٨٦ .

[٣] الخزرجى : العقود ، ج١ / ١٣٦ ؛ الأفضل الرسولى : العطايا السنية ، ق ٣٣ .

[٤] ابن المجاور : المستبصر ، ص ١٣ .

يساوى ربيعة ، والربيعة تساوى ١٨ أوقية ، ثم صار يساوى أربع ربيعات ، أى صار يساوى ٧٢ أوقية ، أى ما يقارب ٩ كجم [١] .

– **البطة :** (بطاط) : وذكر ابن بطوطة استخدامها كمعيار للسمن أيضاً في بلاد اليمن [٢] ، وكانت تستخدم أيضاً كأوعية لحفظ الزيوت ، ويدور بها السلاطون لبيعها على أهل المدن والحصون وهى أكياس من الجلد [٣] ، ومن المعروف أن نفس هذا المكيال كان يستخدم في كيل الدقيق في المدن المصرية ، وكان يساوى ٥٠ رطلاً ، أى حوالى ١٧,٥ كجم [٤] .

– **الكيلجة :** [٥] وتستخدم في عيار الحبوب وسائر الغلال ويحددها هنتس بحوالى ٦٠٠ درهم أى ما يساوى ١٨٧٥ جرام أو ٢,٥ لتر [٦] .

ج- المقاييس :

– **الذراع :** ويختلف طوله حسب الزمان والمكان وينقص في المواسم ويعود إلي ما كان عليه قبل الموسم [٧] . وقد عرفت اليمن عدة أنواع منه الذراع اليدوى ، والذراع الحديدى . أما ذراع اليد ، فكان يستخدم كوحدة قياس في بيع وشراء الأقمشة كالبرود وشقق الحرير وغيرها من الأقمشة ، فيذكر ابن المجاور أن البردة من إنتاج زبيد كان طولها ثمانية أذرع باليد [٨] . ويذكر في موضع آخر أن ذراع اليد كانت مساوية للذراع الأيوبى في مصر [٩] . ويتراوح طول ذراع اليد طبقاً لما أورده هنتس فيما بين ٤٨,٥٤ سم إلي ٥٠,٣ سم [١٠] .

---

(١) هنتس : *المرجع السابق* ، ص ٦٣ ، حيث يحدد الصاع بـ ٣,٤٥ كجم بينما الصاع اليمنى إذا قدر وزنه طبقاً لوزن الأوقية قديماً في بلاد العرب يصير حوالى ٢,٢٥٠ كجم (أى على وزن الأوقية ١٢٥ جرام) بينما إذا قدرناه طبقاً لوزن الأوقية المستعملة في العصر موضوع الدراسة (٦٧,٧٠٨ جم) فيكون قبل الزيادة = ١,٢١٨ كجم ، وبعد الزيادة ٤,٨٧٤ كجم .

(٢) *الرحلة* : ج٢ / ١٥٩ .

(٣) راجع عن صناعة الزيوت ، الجزء الخاص بالصناعات من الكتاب .

(٤) هنتس : *المرجع السابق* ، ص ٦٠ .

(٥) ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٢٨٠ ؛ وانظر أيضا ابن حاتم : *السمط* ، ص ٣٧ – ٤١ .

(٦) هنتس : *المرجع السابق* ، ص ٧١ .

(٧) ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٢ .

(٨) ابن المجاور : *المرجع السابق* ، ص ٨٩ .

(٩) ابن المجاور : *نفسه* ، ص ١٢ .

(١٠) هنتس : *المرجع السابق* ، ص ٩١- ٩٢ .

أما الذراع الحديد : فكان يستخدم في قياس وبيع ألواح الساج وشقق الحرير والبيض من إنتاج زبيد ، حيث كان طوال الشقة يبلغ عشرون ذراعاً بالحديد ، وكذلك البَيرم ، وطولها ستة أذرع ، والسُباعية وطولها سبعة أذرع[١] . وتعرف أيضاً بذراع البز ويقدر طولها بحوالى ٥٨,١٨٧ سم[٢] .

ويضاف إلي هذه الأنواع من الأذرع ذراع خاص بقياس الأراضى وتقدير مساحتها ، عرف بالذراع الأرضى[٣] . ويبدو أنه كان أقل طولاً من الذراع الشرعية التي يبلغ طولها ٤٩,٨٧٥ سم[٤] ، بدليل ما ذكره الخزرجى عند ذكره لمآثر الأفضل فذكر من بينها إجرائه للذراع الشرعى في قياس الأراضى لحساب الخراج بدلاً من الذراع الأرضى لأن بينه " وبين الذراع الأرضى فرق "[٥] . وقد عرف الذراع الشرعى بعدة مسميات في عهد بنى رسول منها الذراع المظفرى ، مما يشير إلي بداية استخدامه كوحدة قياس للأراضى الزراعية ، لتقدير الخراج عليها منذ عهد المظفر الرسولى . ثم عرف بالأفضلى ، مما ينهض دليلاً على أنه لم يستخدم منذ عهد المظفر ، حيث امتنع بعض سلاطين بنى رسول عن استخدامه في حساب خراج الأراضى لطوله عن الذراع الأرضى أو ذراع الديوان ، إلي أن تولى الأفضل فأمر بمسح الأراضى به كنوع من المساحات وكان ذلك في عام ٧٧٠ هـ / ١٣٦٨ م إذ " تصدق على كافة الرعايا ... بأن يمسح عليهم بالذراع المظفرى ، فسماه الناس الأفضلى .... وهى من إحدى فعلاته المشهورات[٦] .

---

(١) ابن المجاور : المستبصر ، ص ٨٩ .

(٢) هنتس : المرجع السابق ، ص ٨٤ ، ٨٧ .

(٣) الخزرجى : العقود ، ج٢ / ١٣٥ .

(٤) هنتس : المرجع السابق : ص ٨٥ .

(٥) الخزرجى : المصدر السابق ، ج٢ / ١٣٥ .

(٦) الخزرجى : العقود ، ج٢ / ١٢١ ، الكفاية ، ق ١٨٩ . وطبقا لما ورد في مخطوطة " هذه الاراحة في علم المساحة " عن ذراع المساحة فيقول مؤلفها " ذراع اليد عندنا ٢٤ أصبعا معترضات والأصبع ستة شعيرات معتدلات معترضات ، وذراع الحديد ذراع وربع ولكن المصطلح عليه في وادى زبيد في المساحة غير الذراعين المذكورين وهو ستة قبضات وترفع الابهام في القبضة السابعة، وحيث استمر العمل بالذراع المذكور ، فينبغى أن تحرر الحبال عليه ويستمر العمل به " راجع : ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص ١٤ من مقدمة المحقق . ومن المعروف أن القبضة = ٦ أصابع وبذلك يكون ذراع المساحة بوادى زبيد = ٤٠ أصبعا أى ما يعادل ذراع اليد وثلثيه ، ولما كان ذراع اليد = ٤٩,٨٧٥ سم فيصبح ذراع المساحة بوادى زبيد حوالى ٨٣,١٢٥ سم تقريبا .

– **القصبة** : وهى وحدة قياس يمنية كانت تستخدم في بيع نوع من القماش عرف بالرُوسّى وحددّها ابن المجاور بأنها = ٤ أذرع بالحديد [1] فيكون طولها طبقاً لتحديد صاحب المستبصر حوالى ٢٣٢,٧٤٨ سم أى أقل من مترين ونصف.

– **المعاد** : أورد ابن الديبع هذا المقياس أثناء حديثه عن مساحة مدينة زبيد مما يشير إلي كونه وحدة قياس يمنية تستخدم لتقدير مساحة الأراضى باليمن سواء أراضى البناء منها أو الأراضى الزراعية . والمعاد في عرف أهل اليمن هو " قطعة من الأرض مربعة لكل جانب منها حبلان أى قصبتان ، وتكسير ذلك : طول كل قصبة حبل وعرضها كذلك ، وكل من هذه الأربع : أربعة قراريط طولا وعرضاً " وإذا ضربنا " أربعة في أربعة بلغت ستة عشر ، فهى جملة المعاد قراريط ، وكل قيراط من هذه الستة عشر طوله خمسة وعشرون ذراعاً وعرضه كذلك ، فإذا مسحت القيراط بأن تضرب عرضه بطوله خمس وعشرين في مثلها بلغ ستماية وخمس وعشرين ، فإذا ضربت ذلك في جملة قراريط المعاد وهى ستة عشر كان الحاصل عشرة آلاف وهو مبلغ المعاد لبنا،كل واحدة عرضها وطولها ذراع " [2] .

وبذلك يكون المعاد على درجة التقريب عشرة آلاف لبنة،واللبنة قطعة من الأرض طولها ذراع وعرضها ذراع،فيصير المعاد حوالى عشرة آلاف ذراع مربع[3] .

وبالاضافة إلي ذلك كانت هناك عدة مصطلحات أخرى من الموازين والمكاييل ووحدات القياس ، وردت عند الحديث عن قوائم العشور التجارية ، واتخذت أساساً لتقدير كمية البضائع وبالتالى حساب الضرائب المفروضة عليها ،

---

[1] ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٤٥ ومن المعروف أن القصبة الحاكمية كانت حوالى ٣,٩٩ م . راجع : هنتس : المرجع السابق ، ص ٩٤ . بينما كانت هناك قصبة البناء في اليمن وتعادل ربع المعاد أى حوالى ٢٥٠٠ ذراع مربع (راجع : ابن الديبع : *الفضل المزيد* ، ص ٥٠ هـ ٢) .

[2] ابن الديبع : *الفضل المزيد* ، ص ٥٠ ، *قرة العيون* ، ص ٢٣٦ . (وراجع : *ص ١٣ من مقدمة المحقق للفضل المزيد*) .

[3] ويذكر ابن الديبع . ان مساحة زبيد كانت زمن المجاهد سنة ٧٦٣ هـ / ١٣٦١ م تساوى نحو ٦٣٧ معادا تقريبا ، وفي عهد الأفضل عام ٧٦٧ هـ / ١٣٦٥ م بلغت نحوا من ٦٨٠ معاداً . بينما قدر ابن المجاور دور البلد في عهده بما يساوى ١٠,٩٠٠ ذراعا أى ما يقارب ٩٤٥ معادا (راجع : ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ٧٤ ؛ ابن الديبع : *الفضل المزيد* ، ص ١٢ ، ١٣ ، ٥٠) .

منها القفعة (لعلها القفة) للذرة [١] . والمقاطع للثياب [٢] ، كما استخدمت المقاطع أساساً لتقدير العشور على التمر هندى (الحُمر) ، والعقدات أيضاً لتقدير كمية التمر هندى لحساب العشور المستحقة عليها طبقاً لعدد العقدات (كل عشر عقدات عليها ضريبة نصف وربع جائز) [٣] ومن بين هذه المصطلحات أيضاً الكورجة واستخدمت لتقدير عشور بعض المواد كالنسيج ومنه الأحواك والمحابس والسباعيات والثياب الخام الهندى [٤] . ويرجح د. محمد كريم أنها (الكورجة) أشبه ما تكون بالبالة أو الحزمة وتضم ٢٠ قطعة [٥] ، كذلك استخدم العدد أساساً لبيع بعض السلع القابلة للعد كالأدُم والبرود ، والنيل حيث استخدم في تقدير عشورها وحدة (القطعة) [٦] .

ومن هذا العرض السابق يتضح لنا وجود عدة سلع تقاس بعدة عيارات عند البيع وتقدير العشور وغير ذلك منها المواد السائلة كالسمن ، فوجدناه يباع بالقفلة والبطة والظرف أو الجمنة وكل عيار من هذه العيارات يختلف عن الآخر . بينما نجد الحرير يوزن بالمن ، ويعد ويباع بالقطعة ، ويقاس بالذراع [٧] . وبعض العيارات تستخدم كوزن ومكيال منها المن والزبدى والأوقية ، ففي الوزن ذكر الأهدل أن الزبدى يساوى مَنّ ، والمن رطلين وفي المكيال الربيعة الزبيدية تساوى ١٨ أوقية ، والمن يساوى ربيعة [٨] (أى حوالى ١,٢١٨ جم) طبقاً لوزن الأوقية ٦٧,٧٠٨ جم .

---

[١] ابن المجاور : المستبصر ، ص ١٤١ .
[٢] الخزرجى : العقود ، ج٢ / ٢١٩ .
[٣] ابن المجاور : المصدر السابق ، ص ١٤٠ .
[٤] ابن المجاور : نفسه ، ص ١٤١ .
[٥] الفعاليات الاقتصادية ، ص ١٩٧ و هـ ١٧٦ .
[٦] ابن المجاور : نفسه ، ص ٨٩ ، ١٤٠ .
[٧] ابن المجاور : نفسه ، ص ٨٩ ؛ القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٨ / ٧٤ .
[٨] الأهدل : كشف القناع ، ص ١٥٤ .

الفصل الرابع
الحيـــاة الاجتماعية فـــي عهد بنى أيوب وبنى رسول

الفصل الرابع
الحياة الاجتماعية في عهد بنى أيوب وبنى رسول

١- عناصر السكان
  ١- القبائل العربية
  ٢- العناصر الأجنبية
  ٣- أهل الذمة

٢- مظاهر الحياة الاجتماعية
  أ - مركز المرأة في المجتمع اليمنى
  ب - الاحتفالات في المناسبات المختلفة
    ١- الزواج والمهور وعادة الطرح
    ٢- حفلات الختان والولادة
    ٣- الأعياد والمواسم
    ٤- المواكب والاحتفالات

٣- وسائل التسلية والرياضات
٤- العــادات والتقاليد
٥- الأطعمة والأشربة
٦- الــــزى

(١)

عناصر السكان

كان المجتمع اليمني يتألف في الفترة التاريخية موضوع البحث من عناصر سكانية متعددة ، أهمها القبائل العربية التي شكل أفرادها الغالبية العظمى من سكان اليمن ، وإلي جانبهم أستقرت عدة عناصر سكانية أخرى منها الغز ، والمماليك وبعض الأقليات الأجنبية الأخرى كالفرس [١] والأحباش [٢] وغيرهم .

١- القبائل العربية :-

وهم السواد الأعظم من سكان اليمن الأصليين ، ويتألفون من عدد من القبائل والعشائر المختلفة . فمن المعروف أن بلاد اليمن تتميز بظاهرة عامة تتمثل في أن العديد من مناطقها وأقاليمها قدسميت بأسماء القبائل العربية التي كانت تنزلها [٣] مثل حمير ، وكَهْلان ، والتي يتفرع منها العديد من البطون ، فعلى سبيل المثال تنتشر أكثر بطون حمير في المنطقة الواقعة فيما بين صنعاء وعدن ، ومن أبرز هذه البطون : ذو أصْبَح ، المعافر ، السَّحُول ، لحج ، رعين وذو الكلاع وغيرها . وكانت هذه البطون تنزل في المناطق الممتدة وسط هضبة جنوب صنعاء حتى عدن ، بينما نزلت عدة بطون أخرى في غرب الهضبة ومنها بنو مجيد، وجُبْلان، ووصاب ، وأَلْهان ، وحراز . وفي شرقها توزعت بطون رَدْمان ، ويافع ، وعَنْس وأَبْيَنَ ، وَرَداع ، والأَوْزاع ، ومن أشهر قبائل حِمير . خولان ، وهي قسمان خولان العالية ، وكانت منازلهم بشرق صنعاء ، وتمتد حتى مأرب ، والثانية خولان قضاعة ، ومساكنهم في صعدة [٤] .

---

(١) الخزرجي : الكفاية ، ق ٢١٥ .

(٢) ابن بطوطة : الرحلة ، ج٢ / ١٥٨ .

(٣) الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص ٨٥ ؛ الحبيشي تاريخ وصاب ، ص ٨١ .

(٤) الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص ٥٣ ـ ٥٤ ، ١٠٤ ـ ١٠٦ ، ١٠٩ ، ١١٣ ، ١١٩ وما بعدها ، الاكليل ، ج١ / ٣٢٣ ، ٣٢٥ ، ج٢ / ٣ ، ٨٦ ، ٢٣٥ ـ ٢٣٦ ، ٢٦٤ ـ ٢٦٦ ، ٣٦٣ ؛ الحبيشي : تاريخ وصاب ، ص ٢٠ ؛ وراجع أيضا : الأكوع : البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي ، ص ١٦ ـ ١٧ ، ٣٣ ، ٣٥ ـ ٣٦ ، ٤٧ ، ٧٠ ـ ٧١ ، ٩٠ ـ ٩١ ، ١٠٥ ، ١١٢ ـ ١١٣ ، ١٢٧- ١٣٠ ، ١٤٥ ـ ١٤٦ ، ٢١٣ ، ٢٤٥ ـ ٢٤٧ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ـ ٢٦١ .

أما كَهْلاَن ، فمن أشهر بطونها هَمْدان ، وكان موطنها في شمال صنعاء وحتى صعدة ، وتنقسم بدورها إلي قسمين ففي شرق هضبة صنعاء كانت تنـــزل قبائل بكيل ، بينما استقرت قبائل حاشد في غربها ، وتعد مدينة خَيْوان الحد الفاصل بين مضـــارب القبيليتين ، وإن كتان ذلك لم يمنع التداخل فيما بينهما فتواجدت بعض القبائل دائماً في مناطق القبيلة أخرى [١] .

ومن قبائل هَمْدَان أيضاً بالاضافة إلي حاشد وبكيل،قبيلة أرجب،ويام وشاكر، ووداعة،وقدم وحجور،وغيرها[٢].ومن كهلان أيضاً مَذْحِج ومنـزلها ذمسار وأشـــهر قبائلها بنو الحارث بن كعب وسعد العشيرة وجَعض والنَّخع ومـــراد وجنب،وصُـــداء، ورُهَا ، وَعنْس [٣] .

كما استقرت الأزد في مأرب وأشهر قبائلـــها دَوْس ، وغامـــد ، وبـــارق ، وأحجن، والجنادبة ، وزهران وغيرهم [٤] بينما أستقرت كِندة في حضر ميـــوت ومـــن قبائلها السكاسك وتُجيب والسكون [٥] .

وقد خالطت هذه القبائل العربية بعضها البعض،وتداخلت مســـاكنها ، ففـــي القحمة سكن الأشاعرة من الأزد من كهلان،إلي جانب أقوام من خولان وهمـــدان[٦]، وفي مدينة الكدراء سكن خليط من علث والأشاعر وفي باديتها غلبت علث في النــــزول بها بالاضافة إلي"نبذ من خولان"[٧]،وكان ينـــزل برداع خليط من حِمير وخولان كما استقر في باديتها خليط من بني الحارث والربيعين وغيرهم[٨].وسكنت صعدة يَرْسُم من ذى الكلاع من حِمير،إلي جانب أقوام آخرين من همدان وخولان قضاعة[٩]،بينما سكن عالية المهجم قوم من خولان من حمير،بينما سكن سافلتها قوم من علث إدى قبائل الأزد[١٠]، وسكن

---

(١) الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص ٦٦- ١٠٩ ، ١١٢ ؛ الأكوع : البلدان اليمانية ، ص ٤٦ – ٤٧ ، ١١٤ وهـ ١ ؛ القلقشندي : صبح الأعشي ، ج٥ / ٤١ .

(٢) الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص ١١٢ ، ١١٥ ؛ الأكوع : البلدان اليمانية ، ص ٢٢ ، ٨٩ ، ١٥٩ ، ٢٢٧ ، ٢٩٨ .

(٣) الهمداني:المصدر السابق،ص ٩١ – ٩٣ ؛الأكوع: المصدر السابق ، ص ٢١٠ ، ٢١٣ ، ٢٦٤ .

(٤) الأكوع : البلدان اليمانية ، ص ٢٨٤ ، ٢٥٢ .

(٥) الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص ٨٥ .

(٦) الهمداني : المصدر السابق ، ص ٥٣ – ٥٤ .

(٧) الهمداني :نفسه ، ٥٤ .

(٨) الهمداني :نفسه ، ص ٥٥ .

(٩) الأكوع : المصدر السابق ، ص ١٠١ ، ١٠٢ ؛ الهمداني :نفسه ، ص ٦٧ ، ١٠٩ .

(١٠) الهمداني :نفسه ، ص ٥٤ ، ١١٩ .

حضرموت قبائل كِندة إلي جانب قوم من حمير [١] ، وفي المعافر استقر إلي جانب حمير ، أقوام آخرون من همدان وكندة [٢] ، كذلك سكن الجند قوم من حِمير إلي جانب بطون من السكاسك من كِندة [٣] ، واستقر بنجران في الشرق قوم من همدان ، كما اختلطت بها أقوام أخرى من حمير وكهلان [٤] .

وهذه القبائل العربية المتعددة ، اختلفت فيما بينها من حيث الاستقرار والتحضر ، فبالنسبة لبعض قبائل جنوب اليمن وسهول تهامة غلب عليهم الاستقرار وممارسة الزراعة والولاء للسلطة الحاكمة ، بينما غلبت على بعض القبائل لا سيما القبائل القاطنة في المناطق الجبلية طابع البداوة ، والتعصب للقبيلة والولاء لمشايخ القبائل ، ومن ثم سيطر على هذه القبائل بصفة خاصة الصراع الحربى ، الذى تعددت أسبابه ، ومن ذلك الصراع حول السيادة ، ورغبة بعض القبائل في السيطرة على القبائل الأخرى ، أو محاولات النهب والسلب التى فرضتها عليها قسوة البيئة التى كانوا يحيونها ، فتعددت غاراتهم على مناطق التحضر والعمران ، بهدف السلب ، والعودة ثانية إلي منازلهم بالجبال . وكانت هذه الغارات سبباً في تعكير صفو الأمن إلي حد إقدامهم على تخريب مدينة الكدراء وإحراقها عام ٧٥٩ هـ / ١٣٥٧ م ، كما تجرأوا على قطع سبل الاتصال بين زبيد والمهجم ، ليمتد الخراب والفساد إلي تلك الناحية حتى " صار أهل زبيد لا يتصلون بأهل المهجم ، وأهل المهجم لا يتصلون بأهل زبيد " [٥] . واستمر عيثهم في تلك الناحية فترة طويلة حيث هاجموا نخل وادى زبيد ، ونهبوا أهله ، وطردوهم فخرجوا " لا يملك أحدهم قوت يومه " ثم اقتسموا النخل فيما بينهم ، فارتفعت بذلك " أيدى أهل النخل عن أملاكهم وتملكه العرب " [٦] .

كذلك ساهم أهل صنعاء بدورهم في شق عصا الطاعة على الدولة ، من ذلك ما حدث في العهد الأيوبي عام ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م ، عندما خالفوا أميرهم

---

(١) الهمدانى : *نفسه* ، ص ٨٥ – ٨٨ .
(٢) الهمدانى : *نفسه* ، ص ٩٩ .
(٣) الهمدانى : *نفسه* ، ص ٥٤ .
(٤) الهمدانى : *صفة جزيرة العرب* ، ص ٨٣ .
(٥) الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ٩٢ .
(٦) الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ٩٢ ؛ الفاسى : *العقد الثمين* ، ج٦ / ١٧٢ .

وردسار الأيوبي فانتهزوا فرصة خروجه إلي كوكبان لاستخراج الحقوق (أي الأموال الخراجية المطلوبة لصالح بيت المال) ، وأعلنوا العصيان ، وقبضوا على أحد أخوته ويدعى شمس الدين ، وأقاموا الآذان " بحى على خير العمل " ، وحينما وردت الأخبار بذلك إلي وردسار بادر بالعودة إلي صنعاء ، وعسكر في ظاهرها ، وأرسل إلي أهل صنعاء يعرض عليهم الصلح ، فرفضوا ، وكاتبوا الإمام طالبين منه النجدة ، و لم يتردد الإمام في تلبية ندائهم وخف بعسكره لنجدتهم ، ولكنه لم يستطع دخول المدينة بسبب قيام وردسار بمحاصرتها ، وكان ورد سار قد كتب إلي الأتابك سنقر يعلمه بأخبار العصيان الصنعانى ، فبادر بالقدوم إلي صنعاء وعندئذ طلب أهل صنعاء الأمان ، فوافق سنقر مقابل دفعهم عشرة آلاف دينار ، وعشرة أفراس كعقوبة لهم بسبب ما جرى ، فوافقوا على ما رسم به الأتابك ، الذى أوكل لورد سار أمر استخراج العقوبة من أهالى المدينة ، فكان منه " من الانتقام ما يجاوز الحد ، وعذب أهل صنعاء بأنواع العذاب الرجال والنساء " ، فباع أهل صنعاء أملاكهم من الدور والأراضى ، وتفرقوا في كل مكان [1] . ويعلق ابن حاتم على عصيان أهل صنعاء ونتائجه بقوله " وقد كان عندهم من البطر ما يجاوز الحد حتى حملهم على الخلاف " [2] .

وساهم أهل وصاب بدورهم في الأحداث السياسية الداخلية،وحركة العصيان والتمرد على سلطة الحكومة الأيوبية،ومن بعدها الدولة الرسولية،من ذلك ما حدث عام ٦٠٤ هـ/ ١٢٠٧م،حينما قويت شوكة الأشراف باليمن الأعلى وأحاطوا بالأمير ورد سار الذى نزل إلي زبيد لحث الأتابك على إدراك البلاد خشية وقوعها في أيدى الأشراف فاتفق الاثنان على النهوض لاستعادة سيطرتهم على البلاد،والبدء بالاستيلاء على وصاب ومخاليفها،ثم الاتجاه بعد ذلك إلي صعدة وغيرها للقضاء على حركة الأشراف،واتفق الطرفان على الالتقاء بجموعهما بوصاب،ففعلاً،والتقيا في موضع يقال له " الذعارى " ، وتقدم الأتابك ، وعسكر بالقرب من حصن الشرف وحاول محمد بن عيسى القراظى صاحب الحصن

(١) ابن حاتم : *السمط* ، ص ١٠٠ – ١٠١ .
(٢) ابن حاتم : *السمط* ، ص ١٠١ .

الدفاع عن أهل وصاب ، فعرض على الأتابك تسليم رهينة تعبيراً عن إذعانه بالطاعة مقابل رفع المحطة وعدم اتلاف الزرع ، ولكن الأتابك لم يقبل ما عرضوه عليه ، واقترح تسليم ثلاث رهائن من كل قبيلة ، وأن يخرجوا معه لحرب الإمام ، فرفض أهل الحصن ذلك،فزحف الأتابك عليهم بجموعه، واستمر القتال لمدة يومين وانتهى بهزيمة " الغز " وقتل منهم ١٧٠ قتيلاً [١] .

وأدرك بعض كبار القوم أن الأيوبيين سيعودون للانتقام ، ومن ثم سعوا في عقد الصلح بين أهل وصاب والأتابك ، ومن هؤلاء الداعين إلي الصلح أبو المعالى بن أحمد الحرازى الذى تقدم لأهل وصاب مبيناً لهم مغبة عصيانهم وخروجهم على الأتابك ، الذى لابد وأن يعود ثانية للانتقام ، وأن عليهم موادعة الأتابك وطلب العفو منه ، وإلا فإنه لن يتركهم بدون عقاب ، فاستجابوا للحرازى ، ونزل خمسون رجلا منهم إلي زبيد لمقابلة الأتابك ، وطلب الصلح " فعفا ، وصفح ، وزاد بالإكرام ، وضاعف الإحسان ، وكتب لهم منشوراً بالصدقة عليهم ببلادهم ، وأن لا مطلب عليهم فيها ، وعادوا إلي بلادهم " [٢] .

وتعددت مثل هذه الاضطرابات القبلية والثورات المتتابعة التي كانت تشعل نيرانها القبائل العربية كالمعازبة والقرشيين والجحافل على الحكومات اليمنية وعكرت صفو الأمن في البلاد وكانت معظمها بسبب ظلم الولاة وجورهم ، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر ما حدث في إحدى مناطق وصاب حيث قام رجل من أهالى قرية هَرُورَة يدعى الشريف بالخروج على بنى رسول ودعا الناس إلي الوقوف ضد عمال المنصور نور الدين عمر بعد أن جاروا عليهم في الخراج ، فانضم إليه ثمانون رجلا وتمكن بمساعدتهم من الاستيلاء على قريتى الحمراء والسدة من قرى وصاب وذلك رغم فقره وعدم استطاعته القيام بما التزم به نحوهم من كفايتهم ولكنهم وقفوا معه و لم يبالوا بسبب ما نالهم من ظلم الوالى وجوره [٣] .

واتسعت حركة الشريف واستفحل خطرها بعد أن استولى على عدة مناطق أخرى من قرى وصاب مثل المصنعة والجبجب وقشط وغيرها ، وقام ببناء

---

(١) ابن حاتم : السمط ، ص ١٣٣ - ١٣٤ .
(٢) الخزرجى : العقود ، ج١ / ٩٢ .
(٣) الحبيشى : تاريخ وصاب ، ص ١٥٥ - ١٥٦ .

عدة دور صغيرة لرعاياه الذين تعهدوا بخدمته " وولوه عليهم ، فلم يأخـذ منـهم شيئاً ، إلا ما يقوم بكفاية الرتبة في الحصون لا سوى " ، فاعترف المنصور الرسولى بولايته، وانضوى الشريف بدوره في خدمته ، وصار " يصل إلي الملك في تعز كل سنة ويقول أنا خادم الدولة ، وما يرجع إلا بجايزة وكسوة حسنة " (١) .

وكانت هذه الاضطرابات القبلية وحركات العصيان والتمرد بمثابة معاول هدم لنظام الحكم القائم في اليمن ، وقد حاول العديد من السلاطين إخمـاد هـذه الحركات وردع أهل العصيان بعدة وسائل منها استخدام القوة تـارة ، ومحاولـة تجريدهم بقدر الإمكان مما يملكون من السلاح والخيل لإضعافهم (٢) ، بالاضافة إلي محاولة السيطرة عليهم عن طريق المهادنة بالمال والهبات والإقطاعات الواسعة تـارة ثانية (٣) ، وعندما كان يعيى بعضهم الصراع المرير مع هـذه القبائـل ، كـانوا يلجأون إلي سلاح الوقيعة والحيلة والغدر بهم تارة ثالثة ، وأشهر مثال على ذلك ما حدث زمن الأشرف الرابع بن الظاهر يحيى الذى دخل في صراع مرير مع القبائل ، وكانت له معهم وقائع ، مما جعله يغدر برؤساء بعض القبائل كما حدث في عـام ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م ، عندما مد سماطا دعا إليه مشايخ هذه القبائـل لا سـيما المعازبة ، ومشاهير رجالها ، فلما أخذوا مجالسهم على السماط ، وبدأوا يـأكلون "أمر العسكر بضرب رؤوسهم فضربت على السماط رؤوس أربعين نفرا ولم يـنج إلا القليل " (٤) .

ورغم ذلك ، فقد شارك العديد من هذه العناصر العربية مشاركة فعالة في الحكومات الأيوبية والرسولية ، وتتضح هذه المشاركة في حرص السلاطين الجـدد على استحلاف مشايخهم وأخذ البيعة منهم مثال ذلك ما رواه الخزرجى عند وفاة الأفضل الرسولى وانتظام البيعة لابنه الأشرف الثانى الرسولى فيقول " ... فـاجتمع

---

(١) الحبيشى : _المرجع السابق_ ، ص ١٥٦ .

(٢) راجع أمثلة لذلك في : مجهول : _تاريخ الدولة الرسولية_ ، ص ٥٧ ، ٧٢ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ١١٤ ، ١٢٥ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٥٠ ، ١٦٤ ، ٢١٣ ، ٢١٦ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٩٧ ؛ الخزرجى : _العقود_ ، ج٢ / ٢١٤ ـ ٢١٥ ، ٢٢٠ ، ٢٢٤ .

(٣) راجع ما سبق ، ص ٨٨ من الكتاب .

(٤) ابن الديبع : _قرة العيون_ ، ص ٤٠٠ ـ ٤٠١ ، _الفضل المزيد_ ، ص ١١٤ ـ ١١٥ ؛ يحيى بن الحسين : _غاية الأماني_ ، ق / ٥٧٩ . وراجع أيضا عن استعمال الحيلة للايقاع بالقبائل العربية ومشايخهم ؛ الخزرجى : _العقود_ ، ج٢ / ١٠٤ .

كبراء الدولة وعظماؤها وصلحاء الأمة وعلماؤها وانعقدت بيعتــه المــذكورة في التاريخ المذكور ، وحضر أمراء العسكر وكبراء الأشراف ومشايخ العرب وحلــف الجميع منهم ، وانتظمت الأمور وتقررت أحوال الناس .... " [١] .

كذلك استفاد الأيوبيون والرسوليون من العنصر العربي في جيوشــهم،إلي جانب العديد من العناصر الأخرى[٢].فمن المعروف أن الأيوبيين على سبيل المثــال استفادوا من معاونة بني سليمان أصحاب المخلاف السليماني في القضاء على دولة بني مهدى في زبيد عام٥٦٩ هــ/١١٧٤م فكافأهم توران شاه على ذلك بإقرارهم على حكم المخلاف[٣]،كذلك استعان الأيوبيون بالعناصر العربية في حروبهم العادية سواء ضد الأئمة الزيدية أو ضد بني حاتم[٤]،كما استعان بهم الرسوليون بــدورهم في الكثير من حملاتهم،ولعل من أشهرها حملة المظفر البرية- البحرية علــى ظفــار الحبوضى عام٦٧٨ هــ/١٢٧٩م والتي كان على رأسها عدد من مشايخ القبائــل وجنودهم من العناصر العربية[٥]،كذلك ضم جيش المجاهد الرسولى الذى تقدم بــه إلي تعز عام٧٣٠ هــ/١٣٢٩م عناصر مختلفة منهم العرب والأشــراف[٦].وقــد منحت لبعض هؤلاء المشايخ ممن لعبــوا دورا بــارزاً في العمليــات الحربيــة رتــب عسكرية،ومن بين هؤلاء الشيخ محمد بن على المعلم الذى كان أحد المقدمين في عسكر الغز زمن المعز إسماعيل بن طغتكين الأيوبي[٧]،والشيخ راشد بن مظفر بن الهرش،الــذى كان بدوره أحد قواد العرب في الجيش الأيوبي وقد لقى مصرعه عام ٦٢٢هــ/١٢٢٥م في المعركة التي دارت رحاها بين الأيوبيين بقيادة الأمير نور الدين عمر بن رسول وبين مرغم الصوفى أحد الخارجين على سلطان الدولة في سَحَمَّر [٨] ، ومنهم أيضا الشــيخ بدر الدين حسن بن على المذحجي الذى كان مقدماً للركاب السلطاني في حملــة

---

[١] الخزرجى : *العقود* ، ج٢ / ١٣٤ ـ ١٣٥ . وأنظر أيضا : *العسجد* ، ق ٢٤٨ .
[٢] العمرى : *مسالك الأبصار* ، ص ١٥٣ ؛ القلقشندى : *صبح الأعشى* ، ج٥ / ٣٣ .
[٣] راجع عن ذلك : ابن حاتم: *السمط* ، ص ١٦ ؛ محمد عبد العال أحمد : *الأيوبيون فى اليمن* ، ص ٨٦ ؛ أحمد بن عمر الزيلعى : *بنو سليمان حكام المخلاف السليمانى* ، ص ٥٦- ٥٧ .
[٤] ابن حاتم : *السمط* ، ص ٣٧ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٧٦ .
[٥] الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ١٨٢ ـ ١٨٣ ؛ ابن حاتم : *السمط* ، ص ٥١٢ ـ ٥٢٥ .
[٦] الخزرجى : *العقود* ، ج٢ / ٥٤ .
[٧] ابن حاتم : *السمط* ، ص ٥٩ ـ ٦١ .
[٨] ابن حاتم : *السمط* ، ص ١٧٢ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، وسَحَمَّر أحدى نواحى ذمار .

ظفار الحبوضي ، وكان تحت قيادته أكبر عدد من المشاه والفرسان من العرب المصاحبين للحملة [1]،كذلك كان من قواد الجيوش من مشايخ العرب في عصر بني رسول الشيخ فارس بن أبي المعالي الحرازي ، والشيخ محمد بن محمد بن ناجي، والشيخ الهمام بن على بن عواض والشيخ بدر الدين عبد الله بن عمرو بن الحيد[2].

و لم تقتصر مشاركة العنصر العربي على المشاركة في العمليات الحربية ، بل تطرقت إسهاماتهم إلي المشاركة الفعالة في شئون الحكم والإدارة ، فكان العديد منهم يتولون كثيراً من الوظائف الحكومية في الفترة موضوع الدراسة سواء في الترسيل والقضاء والولاية أو الوزارة [3] .

٢- العناصر الأجنبية :

أ - الغز : وكانوا يشكلون بدورهم عنصراً من عناصر السكان باليمن في الفترة موضوع البحث ، ونلاحظ أن تلك التسمية أطلقها أهل اليمن على الأيوبيين أنفسهم ومن وفد معهم إلي بلاد اليمن من عناصر مختلفة في الحملات الأيوبية التى قدمت من مصر اما لفتح اليمن أو لضبط أمورها وإحكام القبضة الأيوبية عليها وسواء كانت هذه العناصر من الأكراد أو من الأتراك ، ولعل ذلك يبدو واضحاً في مؤلف ابن حاتم اليامي ، الذى أطلق هذه اللفظ في صفحات كتابه عن الأيوبيين والرسوليين من بعدهم ونعني به كتاب " السمط الغالى الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن " مما يؤكد شيوع هذه التسمية بين اليمنيين للدلالة على تلك العناصر المتعددة الوافدة مع الحملات الأيوبية [4] .

وكان الأكراد والأتراك أهم تلك العناصر المسماة بالغز ، وقد امتدت سلطة هذين العنصرين لتشمل كافة مقاليد الأمور ببلاد اليمن فعملوا في خدمة الجيش الأيوبي ثم الرسولى ، كما شغلوا العديد من المناصب سواء ما كان منها في الأجهزة الحكومية المختلفة أو في البلاط السلطاني ، ولعل أبرز مثال على ذلك النواب الذين خلفهم توران شاه على حكم بلاد اليمن ، وكان معظمهم من

---

[1] ابن حاتم : *السمط*، ص ٥١٢ ؛ الخزرجي : *العقود* ، ج١ / ١٨٢ .
[2] ابن حاتم : *السمط*، ص ٥١٢ - ٥١٥ وما بعدها ؛ الخزرجي : *العقود* ، ج١ / ١٨٢ - ١٨٣ .
[3] راجع : الفصل الأول من الكتاب .
[4] راجع عن ذلك : محمد عبد العال أحمد ، *بنو رسول وبنو طاهر* ، ص ٤٨ - ٤٩ .

الأكراد ، وظلوا يتسابقون على السلطة والنفوذ ، ولم تنته فتنتهم إلا بحضور سيف الإسلام طغتكين ، وتوليه مقاليد السلطة في البلاد ، وتخلصه من نفوذ هؤلاء النواب وبذلك أمكنه اقرار الأوضاع في ربوع اليمن [١] .

وجدير بالذكر أن الأكراد في الجيش الأيوبى ثم الرسولى كانوا يفوقون الأتراك في العدد وفي المكانة ، فصارت لهم القيادة العليا في الجيش ، وكونوا أغلب عناصر الفرق العسكرية لا سيما في العهد الأيوبى ، وبخاصة الجند المحيطين بالملك ، الذين استفحل خطرهم ؛ ووصل طغيانهم إلي درجة إقدامهم على قتل المعز إسماعيل بن طغتكين في عام ٥٩٨ هـ / ١٢٠١ م [٢] بينما قوى نفوذ الأتراك في عهد الأتابك سيف الدين سنقر لكونه منهم ،ولذا حاول بدوره تحجيم الدور الكردى والانتقام من قتلة المعز إسماعيل فثار الخلاف بينه وبين الأكراد الذين استبدوا بزبيد عام ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م فجمع الأتابك جيشاً كثيفاً وتوجه لقتالهم ، وانتهت المعركة التى دارت رحاها عند باب القرتب بهزيمة الأكراد وقتل منهم مقتلة عظيمة انتقاماً لقتلهم المعز وحيل بين الباقين وبين زبيد ، التى استولى عليها الأتابك [٣] .

وفي عهد بنى رسول — وهم بدورهم من أمراء الغز الوافدين إلي اليمن مع الأيوبيين — أبقوا الأكراد على مواضعهم في الجيش وفرقه المختلفة ، ولكن الأكراد أصبحوا يخشون على أنفسهم من سطوة العناصر الأخرى التى كان يتكون منها الجيش ، وازداد نفوذها بدءاً من فترة حكم بنى رسول وبخاصة المماليك . وقد وضح ذلك في حادثة مقتل الأمير سيف الدين طغريل أمير صنعاء على عهد المؤيد الرسولى الذى طلب من الباب السلطانى في عام ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م حملة عسكرية للاستعانة بها في قمع حركات التمرد في البلاد ، ومحاربة الإمام الزيدى محمد أبن مطهر [٤] فأجابه المؤيد وأمده بقوة عسكرية كثيفة العدد ، تولى قيادتها

---

[١] ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٢٢ — ٢٤ ؛ ابن الديبع : _قرة العيون_ ، ص ٢٧١ — ٢٧٤ ؛ ابن واصل : _مفرج الكروب_ ، ج٢ / ٤٦٩ .

[٢] ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٨١- ٨٢ ؛ ابن الديبع : _قرة العيون_ ، ص ٢٨٦ ؛ ابن واصل : _مفرج الكروب_ ، ج٣ / ١٣٦ .

[٣] ابن الديبع : _قرة العيون_ ، ص ٢٨٧ ؛ ابن واصل : _مفرج الكروب_ ، ج٣ / ١٣٧ .

[٤] هو الإمام المهدى محمد بن المطهر تولى زعامة الزيدية في الفترة من ٧٠١ — ٧٢٩ هـ / ١٣٠١ — ١٣٢٨ م وهو تاريخ وفاته وله عدة مؤلفات منها منهاج الجلى في شرح مجموع الإمام زيد بن على (راجع : ابن عبد المجيد ، _بهجة الزمن_ ، ص ٦١ و هـ ١ للمحقق) .

وزحف بهم إلي ذمار ، فتوهم الأكراد الموجودين بها أن الأمير طغريل لم يخرج على رأس هذه القوة إلا للتخلص منهم ، فعزموا على مفاجأته بالهجوم قبل أن يشرع هو فيه فحاصروه وحالوا بينه وبين قواته ، وانتهى الأمر بمصرعه في طائفة من عسكره ، ثم سارع الأكراد بمكاتبة الإمام الزيدى والانضمام إليه [١] .

وظل الأكراد خارجين على المؤيد الرسولى مدة تقارب السنة تتبعهم خلالها بالحصار والقتال حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، فأذعنوا للمؤيد بالطاعة ، الذى أعادهم إلي خدمته من جديد [٢] . ورغم ذلك فقد واصلوا تمردهم فيما بعد المؤيد الرسولى ولم يظهروا إخلاصهم لبنى رسول ، فنراهم يخرجون على الطاعة في عهد المجاهد ، فيثورون على ابن الحجازى والى ذمار في عام ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨ م ، ويحاصرونه في إحدى حصون الولاية عدة أيام ، ويرغموه في النهاية على الهروب واللجوء إلي الباب السلطانى [٣] .

وجدير بالذكر أن أعداداً كبيرة من هؤلاء الغز سواء من الأتراك أو الأكراد استقروا في بلاد اليمن منذ وفودهم إليها ، وصاروا يشكلون عنصراً سكانياً أساسياً في البلاد ، فتملكوا الدور والأراضى ، وتوزعت أعداد كبيرة منوهم في كثير من أنحاء اليمن لا سيما المدن الكبرى مثل صنعاء وتعز وذمار ، ونستدل على ذلك من قول المؤرخ ابن حاتم في سياق حديثه عن أخذ أحد الأئمة الزيدية البيعة والعهد من أهل صنعاء فذكر أن سكان المدينة كانوا ما بين " غزى وعربى وحضرى " [٤] .

ب – المماليك : تشير المصارد إلي وجود أعداد منهم ببلاد اليمن في العصر الأيوبى،فقد ذكر ابن الديبع أن عسكر الملك الناصر أيوب بن طغتكين في بداية توليه الحكم خلفا للمعز إسماعيل،كان يضم من بين عناصره ثلاثمائة مملوك[٥] . كما يذكر ابن حاتم أسماء بعض المماليك ممن كانوا في خدمة أحد أمراء الأيوبيين

---

(١) ابن عبد المجيد : *المصدر السابق*،ص ٢٥٩ – ٢٦١ ؛ الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ٣١٧ – ٣١٨ .
(٢) ابن عبد المجيد : *بهجة الزمن* ، ص ٢٦٥ ؛ الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ٣٢٣ .
(٣) راجع عن عصيان الأكراد : الخزرجى : *العقود* ، ج٢ / ٦٤ ، *الكفاية* ، ق ١٦١ .
(٤) ابن حاتم : *السمط* ، ص ١٥٥ .
(٥) ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٢٨٧ .

ومنهم بكتمر السيفي [1] كما ذكر أن عدد مماليك الأمير ورد سار أمير صنعاء بلغ مائتين وستين مملوكاً [2] . وخلف الأيوبيون لبني رسول حكم اليمن ، كما خلفوا لهم نظام الإدارة ، والاعتماد على المماليك في تسيير أمور البلاد سواء في الجهاز الإداري أو فرق الجيش المختلفة ، حيث بقيت أعداد منهم في اليمن [3] . ثم عمد مؤسس الدولة الرسولية إلي الاستكثار من اقتنائهم فزاد عددهم بداية من عهده حتى بلغ عدد مماليكه البحرية ألف فارس ، وقيل ثمانمائة ، وكانوا يحسنون من الفروسية والرمي مالا يحسنه مماليك مصر [4] ، كما كان لديه ما يقارب هذا العدد من المماليك الصغار إضافة إلي حلقته وعساكر أمرائه [5] .

ويبدو أن المنصور الرسولي أراد الاستكثار منهم ليجعل لنفسه عصبية قوية تدعمه ، يستند عليها ضد العصبيات المختلفة المحيطة به لا سيما العصبيات القبلية المتوفرة في اليمن ولكن للأسف كانت نهايته على أيدي هؤلاء الأجناد من مماليكه في قصره بالجند عام ٦٤٧ هـ / ١٢٢٩ م [6] ، ويفهم من حديث الخزرجي عن مماليك المنصور نور الدين أن المماليك الرسولية كانوا ينقسمون إلي ثلاث مراتب ، الأولى المماليك السلطانية وهم خاصة السلطان المدربين تدريباً عالياً على أعمال الفروسية والقتال ، وكان يعتمد عليهم في خوض الحروب ، وجرت العادة أن من يظل منهم على قيد الحياة بعد موت السلطان ينتقل إلي خدمة السلطان الجديد ، ويصبح من جملة مماليكه [7] ويأتي مماليك الحلقة في المرتبة الثانية وكانت مهمتهم

---

(١) ابن حاتم : السمط ، ص ١٥١ .

(٢) ابن حاتم : السمط ، ص ١٤٩ ، ١٥٤ ، ١٥٥ . ومن المعروف أن الذى تولى تسيير أمور البلاد في أعقاب موت الناصر أيوب بن طغتكين ، وقيام المماليك بالثأر لمقتله بالتخلص من الأمير غازى بن جبريل - هو أحد أمراء المماليك الذى لقب بالمجاهد ، وبايعه الجميع بالطاعة . (راجع : السمط ، ص ١٥٤) .

(٣) ابن حاتم : السمط ، ص ٢٠١ وما بعدها .

(٤) الخزرجي : العقود ، ج١ / ٨١ ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ق ١ / ٤٣٣ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص ١١٣ .

(٥) الخزرجي : العقود ، ج١ / ٨١ .

(٦) الخزرجي : العقود ، ج١ / ٨١ ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ق ١ / ٤٣٣ ، ويقال أن الذى أغراهم بقتل السلطان وشجعهم عليه ابن أخيه الأمير أسد الدين محمد بن الحسن بن رسول الذى " آنسهم ووعدهم بما طابت به نفوسهم " وكان سبب مخامرته على عمه أن المنصور أراد انتزاع صنعاء منه واقطاعها لابنه المظفر ، فعز على أسد الدين ذلك فاتفق مع المماليك على قتل عمه فقتلوه. (راجع : ابن الديبع : قرة العيون ، ص ٣١١) .

(٧) ابن عبد المجيد بهجة الزمن (تحقيق حجازي) ،ص ١٣٤ وبهجة الزمن (تحقيق الحبشي) ص ٢٨٦.

الأساسية تنحصر في حماية السلطان والذب عنه ومصاحبته في حِلـه وترحالـه ، وكانوا إذا دعت الحاجة إليهم في الحروب يشتركون فيها كفرقة قائمة بذاتها يعين لها قائد من قبل السلطان مثلما حدث أثناء تكوين الجيش المتجـه لفـتح ظفـار الحبوضى ، حيث اشتركت حلقة السلطان في الحملة ولم ينضووا تحت امرة مقـدم المماليك البحرية ، بل نرى السلطان المظفر يعين عليهم مقدما خاصا بهـم وهـو الأمير فيروز [١] . ويأتى في المرتبة الثالثة مماليك الأمراء حيث دأب سـلاطين بـنى رسول على منح الأمراء الإقطاعات الواسعة التى يقومون بإدراتها وجباية أموالهـا ، وكان من حق كل منهم اقتناء ما يشاء من الأجناد والمماليك الذين يعملون تحـت لوائه في الإقطاع ، ويتولى الانفاق عليهم وتدريبهم ، ويخوض بهم غمار الحـروب التى يأمره السلطان بها ، كما كان عليه إمداد السلطان بما يحتاجه منهم متى طلـب منه ذلك [٢] .

وتتواتر بكثرة أخبار المماليك في دولة بنى رسول ، حيث لعبوا دوراً خطيراً في تاريخها ، فشارك كثير منهم في شئون الحكم والإدارة ، كما أبلى الكثير منـهم بلاءً حسناً في محاربة أعداء الدولة على اختلافهم [٣] . كذلك كونوا أغلب فرسان الجيش الذى تمكن من إيقاع الهزيمة بصاحب ظفار وقتله ، وأسر معظم رجاله [٤] . كما ساهم بعضهم في المؤامرات والفتن والقتل ، فهم الذين فتكوا بالمنصور نـور الدين عمر بن رسول ، كما قامت جماعة منهم بأعمال عدوانية على بعض القبائل للحصول على المال والسيطرة على إحدى المناطق أو الحصون من ذلك مـا فعلـه الفارس أحد مماليك المظفر الرسولى حين وثب على أحد حصون ذمار في جماعـة من أصحابه ، فاجتمعت عليه قبائل مذحج ودخلوا الحصن ، " وقتلـوه وسـبعين رجلا من أصحابه " [٥] .

---

(١) الخزرجى : العقود ، ج١ / ١٨٣ .
(٢) ابن حاتم : السمط ،ص٣٠٥ – ٣٠٦ .وراجع ما سبق من الكتاب عن الولاة والمقطعون .
(٣) ابن حاتم : السمط ، ص ٣٠١ وما بعدها .
(٤) الخزرجى : العقود ، ج١ / ١٨٣ – ١٨٤ ؛ ابن حاتم : السمط ، ص ٥١٣ وما بعدها .
(٥) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ، ق ١ ، ص ٤٧٧ .

كذلك تدخل بعض هؤلاء المماليك في عزل السلاطين وتوليتهم كما حدث في سنة ٧٢٢ هـ / ١٣٢٢ م عندما أجمع الأمراء الكبار والمماليك على عزل المجاهد، وتولية عمه الملك المنصور أيوب ، فخرجوا من فورهم إلي ثعبات فلازموا السلطان الملك المجاهد ، ورجعوا به أسيراً إلي المنصور أيوب الذى اعتقله بدار الإمارة بتعز [١] . كما كان لبعضهم الفضل أيضاً في استعادة المجاهد الرسولى سلطانه في نفس العام ، بالتعاون مع مجموعة من العرب وعبيد الشربخانات من مماليك والده الملك المؤيد [٢] . ولكن سرعان ما انقلب المماليك في العام التالى ٧٢٣هـ / ١٣٢٣ م على المجاهد ، فحاصروه يعاونهم الأكراد في مدينة تعز لمدة سبعة أيام ، تمكن بعدها من إنزال الهزيمة بهم وأمر عقب ذلك بإطلاق مناد من حصن تعز يدعو إلي استباحة دماء المماليك وأملاكهم فقتل منهم يومئذ ستة عشر رجلا ، وفر بقيتهم إلي زبيد [٣] .

ويبدو أن هؤلاء الفارين قد تقووا بزملائهم الموجودين في زبيد فاستولوا عليها ، وتكفل أحد الأمراء المجاهدية وهو كما يبدو من اسمه أحد المماليك الأتراك ويدعى الأمير نجم الدين أحمد بن أزدمر باستعادة زبيد فأمده المجاهد بنحو خمسمائة فارس وستمائة راجل ، فباغت المماليك الجموع المجاهدية فانهزموا وقتل من ثبت منهم [٤] . ثم ركز المماليك هجومهم على الأمير نجم الدين أحمد بن أزدمر ومن معه ، فوقع أسيراً في أيديهم وقتل بعض من كان معه [٥] .

كذلك هَدَّد المماليك سلطة بنى رسول في عدن،إذ استغلوا اضطراب الأمور في تعز على المجاهد،وانضموا إلي أيبك الدوادار على لحج وأبين الذى خالف المجاهد ونزع يده عن طاعته انتقاما لمقتل أبيه في زبيد في الفتنة السابقة،واستولى بمساعدتهم على عدن،وقبض على عامل المجاهد بها ويدعى الأمير بدر الدين حسن بن الحلبى ، وبعث به إلي الظاهر عبد الله منافس المجاهد على العرش الذى اعتقله بحصن السمدان [٦] .

---

(١) الخزرجى : <u>*العقود*</u> ، ج ٢ / ١٥ ؛ يحيى بن الحسين : <u>*غاية الأمانى*</u> ، ق ١ ، ص ٤٩٥ .
(٢) الخزرجى : <u>*العقود*</u> ، ج٢ / ١٦ ؛ يحيى بن الحسين : <u>*غاية الأمانى*</u> ، ق ١ ، ص ٤٩٦ .
(٣) الخزرجى : <u>*العقود*</u> ، ج٢ / ٢١ ؛ يحيى بن الحسين : <u>*غاية الأمانى*</u> ، ق ١ ، ص ٤٩٨ .
(٤) يحيى بن الحسين : <u>*غاية الأمانى*</u> ، ق ١ ، ص ٤٩٨- ٤٩٩ ؛ الخزرجى : <u>*العقود*</u> ، ج٢ / ٢٢ .
(٥) الخزرجى : <u>*العقود*</u> ، ج٢ / ٢٢ ؛ يحى بن الحسين : <u>*غاية الأمانى*</u> ، ق ١ ، ص ٤٩٩ .
(٦) الخزرجى : <u>*العقود*</u> ، ج٢ / ٢٢ ؛ يحيى بن الحسين : <u>*غاية الأمانى*</u> ، ق ١ ، ص ٤٩٩- ٥٠٠ .

وبعد أن نجح المجاهد في التغلب على المماليك في تعز ، اضطر الي الاستعانة بالأشراف الحمزيين والسليمانيين لاستعادة زبيد من قبضة المماليك ، وأمدهم بمال عظيم ، فساروا في ألف فارس وألف راجل واشتبكوا مع المماليك في قتال عنيف عند الكدراء ، انتهى بهزيمة المماليك ورجوعهم إلي زبيد ، وحاولوا في أثناء ذلك عزل نائب المجاهد فيها ويدعى القصرى ، وتولية أحد أمرائهم ويدعى الشهابى مكانه ، فوقع بينهم وبين أهل زبيد خلاف كبير بسبب ذلك ، وعمد القصرى إلي التحايل للقبض على رؤوساء المماليك ، الذين ما كاد يبلغهم ذلك حتى بادروا بالخروج من زبيد قبل القبض عليهم ، وواصلوا شن الهجمات على المدينة ، حتى قصدهم المجاهد بنفسه [١] .

واشتدت وطأة المماليك على الملك المجاهد ، وتسببوا له في كثير من الاضطرابات بأنحاء اليمن مما دفع المجاهد إلي أن يرسل في مطلع عام ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م إلي السلطان الناصر محمد بن قلاوون يطلب العون العسكرى منه ، فأنجده بألفى فارس ومثلهم من الرجالة تحت قيادة الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب [٢] ، فوصلوا أثناء وجود المجاهد بزبيد ، فلما أشرفوا على المدينة خرج السلطان للقائهم في عسكره وخاصته ، ثم انتقل المجاهد إلي تعز وصحبته أجناد مصر على دفعات ، إذ لم يكن يتسع لهم الطريق لو أنهم صاروا جملة واحدة [٣] .

وقد مثل العسكر المصرى عبئاً ثقيلاً على المجاهد منذ البداية،ففي الطريق من زبيد إلي تعز ساءت سيرتهم،وانتهبوا ما وجدوه في أيدى الناس من طعام وغيره وازداد عبئهم إلي حد أنهم أقدموا على نهب إحدى قرى تهامة،فسبوا حريمها وباعوهم كما يباع الرقيق[٤].ولما وصلوا تعز ساءت سيرتهم بها وأفسدوا في الأرض وقتلوا كثيراً من الناس بالضرب [٥] . و لم يطل مقامهم ببلاد اليمن وعادوا أدراجهم متوجهين إلي الشام بعد حوادث كثيرة [٦] .

---

[١] يحيى بن الحسين : غاية الأماني،ق ١،ص٥٠٠-٥٠٢؛الخزرجى:العقود،ج٢/٢٨-٣٢،٣٤-٣٦ .

[٢] المقريزى : السلوك ، ج٢ / ٢٥٩- ٢٦٠ ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ق ١ ، ص ٥٠٢ ؛ الخزرجى : العقود ، ج٢ / ٣٧ .

[٣] الخزرجى : العقود ، ج٢ / ٣٧ ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ق ١ ، ص ٥٠٢ .

[٤] الخزرجى : العقود ، ج٢ / ٣٧ - ٣٨؛يحيى بن الحسين:غاية الأماني،ق ١ ، ص ٥٠٢ - ٥٠٣ .

[٥] الخزرجى : العقود ، ج٢ / ٣٨ ؛ يحيى بن الحسين : المصدر السابق ، ق ١ ، ص ٥٠٣ .

[٦] الخزرجى : العقود ، ج٢ / ٣٨ ؛ يحيى بن الحسين : نفس المصدر والصفحة .

وتكررت حوادث المماليك ضد ساداهم من سلاطين بني رسول واستفحل أمرهم لا سيما في أواخر عهد هذه الدولة مما ساعد على اضمحلالها وسقوطها في النهاية [١] .

ج – أقليات أجنبية أخرى : كذلك استقرت ببلاد اليمن بالإضافة إلي العناصر السكانية السابق ذكرها من أهل البلاد الأصليين ، والغز والمماليك الوافدين إليها، عدة عناصر أجنبية أخرى منهم الهنود والأحباش والصوماليين والفرس وغيرهم . وقد ساعد على تعدد العناصر السكانية باليمن ، ما بذله سلاطين اليمن وبخاصة في عهد بني رسول من ترغيب لأهل الحرف وأرباب الصناعات من الغرباء القدوم إلي اليمن ، وإغرائهم بكافة الوسائل للإقامة فيها ، حرصا على نهضة البلاد وازدهار عمارتها ، وأظهروا لهؤلاء القادمين كل مظاهر التقدير والترحيب حتى صارت اليمن مقصداً لكل مجيد في فن من الفنون [٢] .

وانفردت مدينة عدن دون غيرها من سائر المدن اليمنية ، باحتوائها على عناصر سكانية مختلفة ، التأموا إليها من كل بقعة ، جمعت بينهم الرغبة في التكسب والإثراء من ورأء النشاط التجارى الزاخر بالثغر . فاستقر بها في الفترة موضوع البحث العرب من أهل الإسكندرية ومصر ، إلي جانب العناصر الأصلية من عرب البلد ، وجبال اليمن ، والحضارمة ، بالإضافة إلي أقليات أخرى من الهنود والفرس وأهل مقديشيو وزيلع ، والأحباش والبربر . وتشكل الطائفتان الأخيرتان الجنس الغالب على سكان الثغر العدني [٣] .

كما استقر الفرس في وادى زبيد [٤] ، وهم جماعات من الخراسانيين الذين وفدوا ضمن جند ابن زياد حينما قدم من العراق إلي اليمن واستقروا منذ ذلك الوقت بالبلاد ، كذلك استقر في تهامة الكثير من الأحباش والنوبيين الذين جلبوا إليها كرقيق فعملوا في مجال الخدمة والجندية [٥] .

---

[١] بامخرمة : *قلادة النحر* ، ج٣ ، ق ١١١٢ – ١١١٧ .
[٢] العمرى : *مسالك الأبصار* ، ص ١٥٣ ، ١٦١ ، ١٦٢ .
[٣] ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٣٤ ؛ ابن بطوطة : *الرحلة* ، ج٢ / ١٧٧ .
[٤] الخزرجى : *الكفاية* ، ق ١٥ ، *العقود* ، ج٢ / ١٩٢ .
[٥] عمارة اليمنى : *المفيد* ، ص ٤٦ ، ٦٧ وقد اختلطت هذه العناصر الأجنبية وامتزجت مع المجتمع اليمنى يدلنا على ذلك ما أورده عمارة على لسان المكرم الصليحى بقوله " اعلموا أن عرب هذه=

وأدت حاجة المياسير وعلية القوم للعبيد لاستخدامهم في دورهم ، بالإضافة إلي استعانة الدولة بهم لخدمة قصورها وكذلك لاصطناعهم في الجيش إلي انتشار الرقيق في بلاد اليمن انتشاراً واسعاً ، فكان يجلب إليها الغلمان والجواري من الهند وغيرها عن طريق عدن [١] . بينما جلبت الوصيفات والوصفان من بلاد النوبة والحبشة ، فكان يدخل البلاد في كل سنة ألف عبد وخمسمائة وصيف ، وخمسمائة وصيفة نوبية وحبشية [٢] .

ويوضح العمرى مدى شيوع تملك الرقيق ، وإقبال السادة من الحكام والأمراء وأعيان البلاد على استعمال الرقيق في قصورهم ، وساعد على ذلك الثراء الذى شهدته البلاد بسبب رواج التجارة وما صاحبه من ازدهار في مختلف النشاطات الاقتصادية الأخرى فيعبر عن ذلك بقوله " ولأهل اليمن سيادات بينهم محفوظة ... ولأكابرها حظا من رفاهية العيش والتنعم ... وتكون له الحاشية والغاشية والحبوش ، وفي بيته العدد الصالح من الإماء ، وعلى بابه جملة من العبيد والخدم والخصيان " [٣] .

ويصف ابن المجاور سوق الجوارى في عدن وطريقة بيعهم ، فيذكر أن النخاسين اذا أرادوا بيع الجارية ، فإنها " تبخر وتطيب وتعدل ويشد وسطها بمئزر . ويأخذ المنادى بيدها ، ويدور بها في السوق ، وينادى عليها ، ويحضر التجار الراغبين في الشراء ، فيفحصونها فحصاً دقيقاً ، فيقلبون يدها ورجلها وساقها ، ويمتد الفحص لمناطق حساسة أخرى ، رغبة في التأكد من جمالها وعمرها التقريبى ، وكلما كانت الجارية صغيرة السن فائقة الجمال ، أقبل التجار على شرائها ، وكلما توافرت فيها هذه الصفات وندرت عيوبها ، كلما ارتفع ثمنها [٤] . وإذا حدث أن أحد الأفراد اشترى جارية ، وأتضح له أن بها عيبا ، يحق له أن يطلب من القاضى

=التهائم ، يستولدون الجوار السود ، فالجلدة السوداء تعم العبد والحر " (راجع *المفيد* ، ص ١٣٤ ؛ *Serjeant,R.B; societe et government en Arabia du Sud,Arabia Revue d Etudes Arabes,Leiden ,1967 , p. 287).*

[١] ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٤٣ .
[٢] عمارة اليمنى : *المفيد* ، ص ٦٧ .
[٣] العمرى : *مسالك الأبصار* ، ص ١٥٩ .
[٤] ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٤٥ .

(حاكم الشرع) إعادتها إلي صاحبها فإذا اقتنع الحاكم بالعيب أمر بإعادتها لصاحبها ورد الثمن للمشترى [١] .

وقد استفحل شأن هؤلاء العبيد خاصة الذين انخرطوا في سلك الجندية والعمل في القصور السلطانية ، وبات ذلك واضحاً بصفة خاصة في زبيد ، حيث كثرت أعدادهم في أواخر عهد بني رسول ، وتسلطوا على المدينة ، وتعذر على آخر حكامها وهو الملك المسعود الرسولى (٨٤٧ – ٨٥٨ هـ / ١٤٤٣ – ١٤٥٤ م)،استعادة سلطانه بها فاستقل العبيد بالأمر في المدينة "وجعلوا على كل طائفة منهم واليا وحاكما،ومرج الأمر وخربت مدن تهامة كالمهجم والقحمة والكدراء ونواحيها "[٢].وبذلك مثل هؤلاء العبيد في زبيد وسائر أنحاء تهامة شوكة في جانب الرسوليين تعذر عليهم اقتلاعها،فساهموا في اضمحلالها وسقوطها ، ولم يحد من شأنهم سوى قيام دولة فتية جديدة على انقاض دولة بني رسول ، وهي دولة بني طاهر ، التي استطاعت عن طريق الحيلة والخديعة ، استعادة سيطرتها على زبيد والتهائم ، والنجاح في تفريق كلمة العبيد حتى تلاشى شأنهم[٣] .

٣- أهل الذمة :

انتشر أهل الذمة بأعداد قليلة من اليهود والنصارى في عدد من المدن والقرى اليمنية ، وكانت هذه الأعداد تتفاوت بين الزيادة والنقصان من مكان إلي آخر . فكان هناك عدد من اليهود يعيشون في جبلة [٤] . بينما يذكر الإدريسى أن أكثر أهل جزيرة سقطرى من النصارى الذين اعتنقوا الدين المسيحى منذ وقت مبكر ، وأن بقايا ذرياتهم ما زالوا يقيمون بها إلي أيامه مع سائر من كان يسكنها من غيرهم [٥] .

---

[١] ابن المجاور : المستبصر ، ص ١٤٥ – ١٤٦ .

[٢] يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ق ٢ ، ص ٥٨٤ .

[٣] راجع عن ذلك بالتفصيل :مجهول:تاريخ الدولة الرسولية،ص ٢٩١–٢٩٨،٢٩٦،٢٩٢؛ابن الديبع: قرة العيون ، ص ٤٠٢ – ٤٠٨ ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ق ٢ ، ص ٥٨٥ – ٥٨٦ .

[٤] عمارة : المفيد ، ص ١٣٨ – ١٣٩ .

[٥] الإدريسى :نزهة المشتاق ، ج١ / ٥١ . وذكر الهمدانى أن عدد نصارى جزيرة سقطرى في زمنه بلغ نحوا من عشرة آلاف . (راجع : صفة جزيرة العرب ، ص ٥٣) .

كذلك ازداد عدد الذميين في مدينة نجران ، فذكر ابن المجاور أن أهلها ينقسمون إلي ثلاث ملل " ثلث يهود ، وثلث نصارى ، وثلث مسلمين " [١] .
كما يشير المقدسى بصفة عامة إلي أهل الذمة في اليمن بقوله أن عدد اليهود في اليمن أكثر من النصارى بها ، ولا يوجد بها من أهل الذمة غير هؤلاء [٢] .

وكان اليهود يسكنون في العديد من مناطق اليمن ، بالاضافة إلي استقرار عدد كبير منهم في جبلة ونجران ، عاش بعضهم في كل من صنعاء وتعز وزبيد وصعدة وعدن والجند [٣] . وكانت تحصل منهم الجزية الواجبة شرعا ، والتى كانت تصرف في بعض النواحى كرواتب لبعض القضاة وبخاصة المقربين للسلطان[٤].وعن طريق دفع الجزية ضمن اليهود لنفسهم حياة مستقلة نسبياً في معظم الأحيان،فكان في مقدورهم التحرك بحرية ما عبر الدولة وممارسة شعائرهم الدينية، وادارة اعمالهم الخاصة ، كما سمح لهم بتطبيق شرائعهم الخاصة بهم[٥] .

وكانت هذه المجتمعات اليهودية اليمنية تابعة روحياً لموسى بن ميمون زعيم طائفة اليهود في مصر في العصرين العصر الفاطمى والأيوبى وكانوا يرسلون إليه عن طريق يعقوب بن نثانئيل تلميذة اليمنى ، يستشيرونه في أمور العقيدة اليهودية ، فيرد عليهم من ذلك رده عليهم عام ٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م ، بإجابة شافية عن تساؤلاتهم الدينية وعرفت هذه الإجابة باسم الرسالة اليمنية، مؤكداً بذلك شمول زعامته الدينية الروحية ليهود اليمن [٦] .

وعاش العدد الأكبر من أهل الذمة سواء من اليهود أو النصارى في مدينة صنعاء ونواحيها ، وكان ليهود اليمن عامة احياء خاصة بهم [٧] يقيمون فيها ، ومن

---

(١) ابن المجاور : _المستبصر_ ، ص ٢٠٩ . كما ذكر أن المسلمين بها ينقسمون بدورهم إلي ثلاثة مذاهب " ثلث شافعية ، وثلث زيدية ، وثلث مالكية " .

(٢) المقدسى : _احسن التقاسيم_ ، ص ٩٥ .

(٣) انظر : الجندى : _السلوك_ ، ج٢ ، ق ٢٠٥ ، ٢٠٨ ؛ الأفضل الرسولى : _العطايا السنية_ ، ق ٢٩ ، ٣٨ ، ٤١ ؛ الخزرجى : _الكفاية_ ، ق ٢١٨ ، _العقود_ ، ج١ / ٦٨ ، ١٦٧ ، ٢٠٦ – ٢٠٧ ، ج٢ / ١٨٧، ٢٠٨ ، _العسجد_ ، ق ٢٦٧ .

(٤) الخزرجى : _العقود_ ، ج١ / ٢٠٧ ، وما سبق عن القضاء في الكتاب . وانظر أيضا : _Serjeant (R.B.) Societe et govemment en Arabia du Sud , P . 288 ._

(٥) _Franke , (A.K.) , the Jews of Yemen (In Yemen 3000 Years) , P. 267 ._

(٦) _Franke , op . cit , pp . 266 , 274 – 275 ._

(٧) _Goitein ,Jews and Arabs,Their contacts Through the Ages,New Yourk.p.74;Serjeant,San'a P. 392 ._

أشهر هذه الأحياء في صنعاء حى القاع ، أو كما يعرف بقاع اليهود [١] ، وكذلك كان الوضع في بقية مدن اليمن التى كانت تقيم بها طوائف يهودية ، وإن كان يسمح لهم أحياناً بالإقامة وبناء المنازل في أنحاء متفرقة من صنعاء وغيرها ، وكان ذلك يتم بإذن خاص [٢] . أما النصارى فتشير بعض الروايات إلي وجود أماكن خاصة كان يقطنها النصارى في مدينة صنعاء منها ما كان يعرف باسم سوق النصارى [٣] .

وقد حرص المسلمون من أهل اليمن على فرض بعض القيود على أهل الذمة وبخاصة اليهود تجعل من اليسير التعرف عليهم من حيث الشكل والملبس بصفة خاصة[٤] فمنعوهم من التشبه بالمسلمين في زيهم،وأجبروهم على عقد الزنانير[٥] ، وجز النواصى ، وألزموهم بعدم ركوب الحمير أو البغال بالسروج [٦]، ومنعوا نهائياً من ركوب الخيل ، كذلك تضمنت القيود المفروضة عليهم عدم السماح لهم بممارسة شعائرهم الدينية إلا في بيعهم ،ولم يكن يسمح لهم ببناء بيع أوكنائس جديدة [٧] ، ولكن سمح لهم بإعادة بناء ما تهدم منها . كذلك لم يكن

---

(١) Costa,(P.M.);San'a,(in Islamic city)faculty of Oriental Studies ,Cambridge , Unite Kingdom , July , 1967 (ed. Serjeant) , P . 157 .

(٢) Serjeant , San 'a , P.392 .

(٣) ويعرف هذا المكان الآن بحارة الصليحى . (أنظر : Serjeant , San'a , p. 290) .

(٤) وكان من يجرؤ منهم على التشبه بالمسلمين يعاق عقاباً شديداً يصل في بعض الأحيان إلي حد الكحل وقطع اليد كان ذلك في أوقات القمع أو الردع . (راجع : الخزرجى : الكفاية ، ق ٢١٣ ، العقود ، ج٢ / ١٨٧ ، العسجد ، ق ٢٦٧) ، وفيما عدا ذلك كان اليهود يعيشون في تسامح تام مع المسلمين (أنظر : Serjeant ,op . cit , p. 392) .

(٥) وما زال اليهود حتى اليوم في اليمن يعقدون الزنانير ويجزون النواصى ويعرفون بأصحاب الزنانير (راجع : Serjeant , San'a , p . 424) .

(٦) كان بعض الفقهاء يتشددون في هذا المنع تشددا كاملا مثال ذلك الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الله الماربى (ت ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م) الذى شاهد في الطريق رجلا يمتطى بغلة حسنة ويحيط به عدة غلمان ، فطنه قاضيا أو كبيرا من غلمان الدولة فسال عنه فقيل له أنه طبيب يهودى يخدم السلطان المنصور نور الدين ، فانقض عليه الفقيه واجتذبه من فوق البغلة على الأرض وضربا ضربا مبرحا، فذهب الطبيب يشكو للسلطان ، الذى أرسل للفقيه يستفسر عن السبب ، فاعلم الفقيه رسول السلطان بان الشرع الشريف لا يجيز لأهل الذمة ركوب البغال بالسروج ولا يحل لهم ان يتراسوا المسلمين ، عند ذلك أمر السلطان طبيبه أن يذهب للفقيه حتى يعرفه ما يجب عليه فعله طبقا للشرع الشريف ، (راجع : الخزرجى . العقود ، ج١ / ٦٨ ، الجندى : السلوك ، ج٢ ، ق ٣٣١) .

(٧) تشدد بعض فقهاء اليمن في ذلك الأمر للغاية فقاموا بهدم اى بيعة احدثها اليهود ، كما أجبروهم على عقد الزنار والتستر في الحمامات ، وكان البعض نتيجة هذا التشدد يعزل من منصبه (راجع : البريهى : طبقات صلحاء اليمن ، ص ١٨٩ ، ٢١٨ ؛ الجندى : السلوك ، ج٢ / ق ٣٣١) .

لهم الحق في الإقامة في غير الأحياء الخاصة بهم،واذا استلزم الأمـــر أن يقيمـــوا في أماكن أخرى، فإن ذلك لا يتم إلا باذن خاص من المسلمين،كذلك حرمـــوا مـــن الارتفاع بمنازلهم عن منازل المسلمين) [١] .

وكان من بين القيود المفروضة على الذميين أيضاً أن الأسرحة التي يستعملونها تكون من الخشب،والسير من أشجار الليف،كما منعوا من تصدر المجـــالس،أو تـــزيين أبواب منازلهم وزخرفتها،كذلك تشدد عليهم في مسألة الخمور،فمنعوا من تناولها جهراً أو بيعها للمسلمين.كمات تطرق المنع لهم أحياناً إلي عدم الإبحار في بحر الحجـــاز،وإذا سمح لهم،فإن أعدادهم ووصفهم وأسماءهم كان يجب أن تسجل بكل دقة في الديوان[٢] .

وذكر البعض أن فقهاء المسلمين رأوا ضرورة تمييز أهل الذمة عن سائر المسلمين بعدد من العلامات لتجعل من اليسير التعرف عليهم ، خاصة في حالات الوفاة ، ومن ثم حملوا على علامة مميزة يعرفون بها في المجتمعات الإسلامية الـــتي يعيشـــون فيهـــا [٣] ، بالإضافة إلي تعزيز فكرة التفريق المحلي بين المسلمين وما عداهم من الذميين عن طريـــق تحديد أماكن خاصة لاقامتهم في المدن الإسلامية ، وجدير بالذكر أن هذا التفريق والزى المميز لليهود في اليمن كان له أثره الكبير في حمايتهم أثناء النـــزاعات القبلية التي دارت بصفة شبه مستمرة بين المسلمين في اليمن [٤] .

ومن بين العلامات المميزة أيضاً لأهل الذمة في ملبسهم ، كانت العلامـــات أو الشارات الزرقاء أو الصفراء ، التي ألزموا بوضعها على الأردية والعمائم[٥] . وفرض على المرأة اليهودية بدورها ارتداء الدثار الأصفر ، تمييزا لها عن النساء المسلمات [٦] . كذلك أجبر أهل الذمة على ارتداء أحذية مختلفة عما يرتديه المسلمون فكانت المرأة الذمية تنتعل حذاءً مختلف الألوان [٧] .

---

(١) Serjeant , San'a , P. 421 , Ashtor (E) The Medieval Near East , Social and Economic History London , 1978 , P. 82.

(٢) Serjeant , op . cit , P . 421 , 424.

(٣) Ashtor , the Medieval Near East , P . 75 .

(٤) Ashtor , the Medieval Near East , P . 88 , Serjeant , San□a , P . 392 .

(٥) Ashtor , op . cit , PP . 77 – 78 ; Serjeant , San□a , P . 421 ;Goitein . Jews and Arabs , P . 6 .

(٦) Ashtor , op . cit , P . 80 . ذكرت بعض الروايات أن يهود اليمن من النساء والرجال اعتادوا بصفة عامة ارتداء أسمال مشابهة لملابس الفقراء والمتسولين ، وتمسك بعضهم من أفراد الجيل القديم بهذه العادة في بدايات هذا القرون ، وقد ظل من انتقل منهم إلي اسرائيل في الوقت الحاضر متمسكاً بها . (راجع : Goitein , Jews and Arabs , P . 75) .

(٧) Ashtor , op . cit . P . 81 , Goitein , op . cit , P . 67 .

وكان ليهود اليمن دور هام في الحياة العامة للبلاد ، وبخاصة في أوجه النشاط الاقتصادى المختلفة ، فكانت لمدينة عدن نصيب وافر من عدد اليهود المقيمين باليمن حيث اشتغلوا بالتجارة[١]،وفي الحرف المعاونة لها من وظائف إدارية ومالية مؤثرة ، ومن هؤلاء على سبيل المثال اليهودى " خلفون بن بندر " الذى عمل موظفاً بالاستعلامات لتجار اليمن في ميناء عدن ، كما عمل في الوقت ذاته مفتشاً لضرائب السلطان ، كذلك وجد غيره من جهابذة اليهود الذين تولوا أعمال المال والصرافة في ثغر عدن وبخاصة في القرنين ٦ ، ٧ هـ / ١٢ ، ١٣ م حيث كان ثغر عدن مركزاً تجارياً مزدهراً لتجارة الشرق والغرب [٢] . وعلم بعض اليهود في حرف أخرى متصلة بالتجارة فكان منهم الدلالون والكيالون الذين عملوا في كيل وتجارة الحبوب في الأسواق ، وكان البعض منهم يعمد لشراء الحبوب من الفلاحين ويختزنها ، ثم يتولى بيعها بعد ذلك [٣] .

كذلك كان منهم طوائف الصناع الذين احترفوا العمل في العديد من المهن والفنون الصناعية [٤] ، منها صناعة الأوانى الفخارية ، وهى حرفة لازمت يهود اليمن منذ فترة طويلة ترجع إلي منتصف ق ٥ هـ / ١١ م ، عندما تردد أن اسم مدينة جبلة ، إنما سميت على اسم أحد اليهود الذين امتهنوا حرفة صنع وبيع الفخار في ذلك الموضع ، كذلك عملت النساء اليهوديات في صباغة تلك الأوانى[٥] . واشتغل اليهود أيضاً في صناعة الحلى والمجوهرات [٦] ، وصناعة البناء والتشييد وقطع الأحجار ، واحترف بعضهم صناعة الشموع وأغطية الرأس [٧] . كذلك عمل بعضهم كمزارعين في الأراضى الزراعية [٨] ، وتملك الأثرياء منهم لا سيما في نجران الكثير من الأراضى الزراعية عن طريق الشراء من المسلمين [٩] ،

---

(١) البريهى : طبقات صلحاء اليمن ، ص ١٧٧ ؛ جوايتاين : دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الاسلامية ، ص ٢٨١ ؛ Franke , the Jews of Yemen , P . 268 .

(٢) Franke , op . cit , P. 268 .

(٣) Serjeant , San 'a , PP . 167 , 425 .

(٤) Serjeant , Societe et Gouvernernent , P . 288 .

(٥) الخزرجى : الكفاية ، ق ٣٧ ؛ Serjeant , San'a , P . 425

(٦) ابن المجاور : المستبصر ، ص ٣٢ ؛ Serjeant , San'a , PP . 168 , 391

(٧) Serjeant , San a , PP . 168 – 169 , 425 .

(٨) Serjeant , Societe et Gouvernement , P . 288 .

(٩) سليمان الثقفى : سيرة الإمام أحمد بن سليمان ، ق ٦ .

كما برع منهم عدد آخر في مهنة الطب ، فكان للمنصور نور الدين عمر بن رسول طبيباً يهودياً [١] .

ويمكن ملاحظة بعض سمات الحياة الاجتماعية وطرق التعليم المتبعة داخل تلك المجتمعات اليهودية في اليمن وغير ذلك من مظاهر حياتهم ، من خلال النصوص التاريخية وبعض البحوث المتخصصة الحديثة عن يهود اليمن لا سيما مصنف فرانك عن يهود اليمن ، الذى زودنا بمادة خصبة حول هذا الموضوع ، فقد عرفنا من كتاباته أن يهود الريف اليمنى كانوا يتسمون بالكرم الزائد مقارنة بيهود المدن ، وبخاصة يهود مدينة صنعاء الذين عرفوا بالبخل والإعراض عن تلقى الأضياف حتى من بنى جلدتهم ، حتى أصبحوا مضرب المثل والسخرية من قبل يهود الريف الذين اعتادوا إطلاق الأمثلة الدالة على بخلهم ، ومنها المثل القائل " هيا يا ابن عمى ، هل تأتى عندنا أم الخان أكثر دفئاً لك " [٢] .

كذلك اتسمت بعض المجتمعات اليهودية بالثراء العريض الذى حققوه من وراء اشتغالهم بالتجارة والصيرفة ، وكان كبار أحبارهم وأعيانهم معروفين خارج نطاق جنوب الجزيرة العربية ، وكانوا وثيقى الصلة بالمجتمعات اليهودية في مصر والشام وغيرها ، وساعدهم الثراء على إمداد مدارس التلمود بهذه الأقطار بالدعم المادى ، وفي مقابل ذلك كانت تلك المدارس تخلع لقب ناجد " أمير " على الشخصيات المتميزة من يهود اليمن [٣] .

ودفعهم اشتغالهم بالتجارة إلي الارتحال لمختلف أنحاء المشرق والمغرب الأمر الذى أتاح لهم الحصول على العديد من الكتب والأسفار الخاصة بمفكرين يهود متميزين . وتشير دور المحفوظات اليهودية إلي قيام يهود اليمن بدور بارز في المحافظة على اللغة العبرية ونقائها [٤] . بل أنهم ذهبوا إلي أبعد من ذلك بحرصهم

---

(١) الخزرجى : العقود ، ج١ / ٦٨ .

(٢) Serjeant , San'a , P. 278 ونلاحظ تشابه هذا المثل اليهودى مع مثل آخر يطلقه المسلمون من أهل ذمار على إخوانهم من أهل صنعاء يصفهم بالبخل أيضاً فيقول " صاحب صنعاء يُطعَم ولا يُطعم غيره " . الأمر الذى يدل على امتزاج فكرى ووجود ثقافة مشتركة فيما بين الجانبين ، مما يوضح أن اليهود قد اندمجوا في نسيج البناء الاجتماعى لليمن.(راجع: Serjeant , op . cit , PP . 278 , 392) .

(٣) Franke , Jews of Yemen , P . 266 , 272 , 274 .

(٤) Franke , op . cit , P . 273 .

على تعليم أبنائهم عدة لغات أخرى منها اللغة العربية والآرامية ، ويمكن القول بأن اللغة العربية لم تكن لغة أجنبية بالنسبة إليهم ، حيث اعتادوا استعمالها في قراءة التوراة ، وترجموا إليها العديد من مدوناتهم (١) .

ويمكن ملاحظة أن اللهجة التي كان ينطقها اليهود من أهل اليمن ، كانت تخضع للمتغيرات الإقليمية ، فيهود صنعاء كانوا يتخاطبون على سبيل المثال بطريقة تختلف عن يهود صعدة ونجران وغيرها من المناطق التي تمركز بها اليهود في اليمن . وقد اهتم اليهود اهتماماً كبيراً بدراسة اللغة ومبادئ النحو وواظبوا على دراسة قواعد لغتهم العبرية في بِيَعهم ، وكانت الكتب المستخدمة في التدريس من تأليف يهود يمنيين ، وأشهر هذه الكتب كتاب التيجان الذى يرجع تأليفه إلي أخريات ق ٧ هـ / ١٤ م . وينقسم إلي ثلاثة أقسام تتعلق بالحروف المتحركة ، والساكنة وعلامات الإعراب في العبرية ، وهناك ترجمة عربية لهذا الكتاب بالإضافة إلي النسخة العبرية (٢) .

وكانوا يتعهدون أطفالهم منذ نعومة أظفارهم بتعلم اللغتين العربية والعبرية في مدارسهم،وفي البيت أيضاً،وعندما يشب الطفل ويصبح على رأس الأسرة، فإنه يواصل توسيع دائرة معرفته،وكان نسخ النصوص جزءاً مكملاً لهذه الدراسات، وإلي جانب العربية والعبرية،كان الطفل اليهودى في اليمن يدرس أيضا اللغة الآرامية، وهناك من كان يجنح إلي دراسة الفلسفة والعلوم،وإذا قارنا بين أطفال يهود اليمن وبين أطفال اليهود في بلاد عربية أخرى،يتبين أن أطفال اليهود في اليمن كانوا أكثر تعليما وثقافة،بل فاقوا أقرانهم من مسلمى اليمن(٣) .

وجرت العادة أن الطفل اليهودى إذا ما أجاد الكتابة،تحولت مهمته إلي نسخ أهم الكتب،ومن أبرز الأعمال التي كان اليهودى يحتفظ بها ويأتلف معها،كتاب"التاج" أى التوراة،والشروح،وكتاب الصلوات،ودواوين الشعر.بالإضافة إلي عدد آخر من كتب الأدب التي تتعلق بشرائع الذبح،والأعمال

---

(١) *Franke , op . cit , P . 274 .*

(٢) *Ibid .*

(٣) *Ibid .*

العلمية والطبية، وتفسيرات الكتاب المقدس ، وعن طريق نسخ مثل هذه الأعمال ، أصبح متاحا لكل باحث يهودى أن يؤسس تدريجياً مكتبته الخاصة به [١] .

واهتم يهود اليمن بدراسة الفلسفة العربية واشـــتركوا في العديـــد مـــن المناظرات الفلسفية ، كما تخصص بعضهم في دراسة الطب والتنجيم، وقد حفظوا في عدة تراجم عبرية عدداً من المؤلفات الطبية التى كتبها البيرونى وغيره من علمـــاء المسلمين . وكان الاشتغال بالأمور العلمية والفلسفية من السمات المميزة ليهـــود اليمن عن المجتمعات اليهودية الأخرى ، التى كانت تنظر للفلسفة بوجه خاص على أنها دراسة غير ملائمة لهم لكونها لم تقدم حلولا للعديد من المشكلات اليهودية التى يعانون منها مثل مشكلات المجتمع الذى يعيشون فيه وغيرهـــا مـــن المشـــكلات السياسية التى كانت تواجههم [٢] .

وكان مبعث اهتمامهم بدراسة الفلسفة الاهتمام الشديد بالتفسير الرمزى للتوراة والقصص الواردة في هذا الكتاب المقدس . وكان هذا المدخل الرمـــزى في التفسير يلقى قبولاً عند يهود ذمار ، بينما عارضه يهود صعدة ، وقد احتدم النقاش في ق ٧ هـــ / ق ١٤ م بين يهود اليمن حول المنهج الرمزى للتفسيرات ، وألـــف بعضهم المصنفات دفاعات عن هذا التأويل الرمزى [٣] .

ومن أهم ما صنف في ذلك كتاب الحقائق ، وكتاب بستان العقول لمؤلفه يعقوب بن نثانئيل ، والشرح الكبير الذى ألفه داود بن عمرام العدنى باللغة العبرية ويرجع تاريخه إلي ق ٧ هـــ / ق ١٣ م ، ويتضمن تفسيرات وشروحاً للتوراة كما وردت في نصوصها القديمة [٤] .

واهتمت المجتمعات اليهودية في بلاد اليمن أيضا بالشعر ، فكانـــت كـــل أسرة يهودية في اليمن تقتنى مجموعة من مختارات شعرية ، وكل مجموعة منها كانت تشتمل على قصائد مختلفة ، ونبغ من يهود اليمن عدد من الشعراء الذين صـــاغوا قصائدهم بالعبرية ، وضمت الدواوين الشعرية التى احتفظت بها الأسر اليهوديـــة ،

---

(١) Franke , op . cit , P . 274 .

(٢) Ibid .

(٣) Frank , op . cit , p 275 .

(٤) Franke , op . cit , p . 275 .

بالإضافة إلي الشعر اليمنى ، أعمال مؤلفين آخرين من يهود العالم ، وكان ديـوان الشعر يشغل في الأهمية لدى الأسرة اليهودية المرتبة الثانية بعد التـوراة وكتـاب الصلوات [١] .

وكان الصبى اليهودى يستعير من العائلات الأخرى بعض دواوين الشعر ، ويتولى نسخ أفضل قصائدها ، التى تتضمن ذكر المناسبات والاحتفالات اليهوديـة بالزفاف وميلاد الأبناء وغير ذلك من الترنيمات والمدائح [٢] .

وكان الشعر اليهودى اليمنى يكتب إما بالعبرية ، أو العربية ، أو الآرامية ، وكان اختيار اللغة التى يعبر بها الشاعر تتحدد على أساس الأسلوب الملائم لمـادة الموضوع الذى يكتب به ، وأحياناً كان الكاتب أو الشاعر يستخدم هذه اللغـات الثلاث مع الاحتفاظ بنفس الوزن والإيقاع في نفس القصيدة . وهنـاك قصـائد شعرية كان الوزن الأول فيها بالعبرية،والثانى بالعربية،دون أن يؤثر هذا على وحدة القصيدة أو جزالة التعبير والغرض من نظمها،ومن الجدير بالذكر أن هذا الاتجاه في نظم القصيدة بلغاتها الثلاثة ظهر بادئ ذى بدء في الأندلس في القـرن السـادس الهجرى/ق ١٢م،وبالذات في طليطلة حيث استخدم أحد شعرائها اليهود ويـدعى يهوده الحريزى Yehudah al – Harizi اللغات الثلاث في قصائده[٣] .

وكان الشعر الدينى أهم الموضوعات التى تناولها الشعراء في قصـائدهم ، وكذلك الشأن بالنسبة للشعر الذى يتعلق بتاريخ الشعب اليهودى والمحـن الـتى تعرض لها ، والشعر التعليمى الذى يستهدف الحفاظ على القـيم اليهوديـة مـن الضياع ، وكان معظم هذا الشعر موجهاً للأطفال والشباب اليهود لحـثهم علـى اتباع حياة دينية صادقة ، وقد تضمنت هذه القصائد التعليمية العديد من الأقـوال المأثورة والأمثلة بين ثنايا الأبيات الشعرية على نحو ما كان معروفاً في الأدب العربى آنذاك [٤] .

---

(١) Franke , op . cit , p . 278 .
(٢) Franke , op . cit , P . 278 .
(٣) Ibid .
(٤) Franke , op . cit , PP . 278 – 279 .

(٢)

مظـــاهر الحيـــاة الاجتماعية

أ- مركز المرأة في المجتمع اليمني :

ساهمت المرأة اليمنية بنصيب وافر في خدمة المجتمع اليمني،فكانـــت تهـــتم بشؤون بيتها،وتقوم بمسؤولياته،فهي تتولى خدمة زوجها وتشرف على تربية أبنائها وتعهدهم بالرعاية وتشملهم بحنانها،كما كانت تعين زوجها في أعمال الفلاحـــة والرعي وجلب المياه من الينابيع والآبار وذلك في نطاق المجتمع الريفي،كما كانت تضطلع بمهمة أخرى في هذا المجتمع وهو العمل بالتجارة في الأسواق،حيث كانت تخرج بالمنتجات الزراعية والحيوانية وغير ذلك لبيعها في الأسواق،ويوضـــح ابـــن المجاور مشاق هذه المهام،حيث كانت تخرج وتحمل على ظهرها الحمل الثقيل مـــن البضائع فتبيع وتشترى حوائجها،ثم ترجع ومعها ما اشترته وتقطع به المسافات الطويلـــة عبر الأودية والشعاب إلي أن تصل إلي البيت،ثم تقطع نفس الطريق عند الذهاب للسوق وتظل على ذلك طوال حياتها،وفي ذلك يقول"فتقبل..وعلى ظهرها كـــارة،وعلى قـــدر شيلها تحط في السوق،فتبيع ما معهـــا وتشـــترى حوائجهـــا وترفـــع كارتهـــا علـــى ظهرها...[و]تقطع الجبال والأودية والشعاب والسهل والجبـــل واللـــين والوعر،وهـــذا كله،ولم تحط الكارة من ظهرها ولم تسترح..وتبقى على شغلها ذلك إلي الممات"[١].

ويحصى مسلم اللحجى أعمال المرأة الريفية في المجتمع اليمنى بقوله " وإنمـــا ينكح الزراع امرأة تطحن وتعجن وتخبز وتغزل ، وتقوم بخدمة كـــثيرة لزوجهـــا وضيفه وولدها وخدمتهم ، وغير ذلك من رقع ثوبها وغسله ، وتنظيـــف بيتـــها وكنسه ونحو ذلك وسواه من أعمال " [٢] .

وكانت بالإضافة إلي هذه الأعباء المختلفة تؤدى بعض الصناعات المنـــزلية التي تعود في بعضها بالفائدة على أسرتها ومنـــزلها،وقد تبيع بعضـــه في الأســـواق فنساء عدن على سبيل المثال عرفن بصنع القفاع[٣] ، كما عمل غالبية نساء اليمن

---

(١) ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٩١ - ١٩٢ .
(٢) مسلم اللحجى : *تاريخ مسلم اللحجى* ، ق ٢٧٨ .
(٣) ابن المجاور : *نفسه* ، ص ١٣٧ .

من الطبقة العامة في غزل الصوف وفق طريقتين ، الطريقة الفارسية " وفيه يـدخل الإبهام على الأصبع الوسطى من فوق الغزل " ، والطريقة الحميرية " الذى يخـرج الأصبع على الإبهام في الغزل " [1] .

أما النساء الخاصة فمنهن من كانت تتخطى حاجز العزلة ، وتشـارك في معترك الحياة وتساهم بنصيب وافر في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية . ومن أبرز هؤلاء النسوة : نساء بنى أيوب وعلى رأسهن أم الناصر أيوب بن طغـتكين ، حيث كن يتحملن مسئولية حكم البلاد ، بعد أن اضطربت أوضاعها عقب مقتل الناصر على يد غازى بن جبريل عام ٦١١ هـــ / ١٢١٤ م ، واسـتطاعت أم الناصر أن تحفز مماليك ولدها على الثأر والانتقام لمقتل ولدها ونجحت في مسعاها ، واندفع المماليك للتخلص من الأمير غازى وقتله في مدينـة إب [2] . وقامـت أم الناصر بمباشرة شؤون الحكم بنفسها لانقطاع الذكور من البيت الأيوبى ، وعـدم وجود أمير يتولى مهام الحكم ، واستمرت تدير شؤون البلاد حتى قـدم سـليمان الصوفى ، واستدعته وتأكدت من نسبه ، فسلمته مقاليد البلاد وتزوجته [3] .

وكان للنساء دور بارز في عصر بنى رسول ، فقد حازت المـرأة بمكانـة عالية في المجتمع اليمنى ووصلت في عصرهم إلي أسمى درجات الزعامة ، وشاركت في الحياة السياسية ، وتصدرت المحافل ، وتذكر بعض المصادر أن قبيلـة المعازبـة المعروفة بكثرة ثوراها على حكم بنى رسول ، تولت زعامتهم امرأة عرفت ببنـت عاطف ، فكانت " تركب دابة من الحمر أو جملا ، وتقود المعازبـة بأسـرهم " ، وكان المجاهد الرسولى يكسوها أسوة بغيرها من مشايخ القبائل [4] .

ومنهن أيضا الدار الشمسى إبنة [5] السلطان الملـك المنصـور الرسـولى وكانت من خبرة النساء حازمة عفيفة ، سهلت بحزمها وحكمتها وحسن ادارتهـا

---

[1] ابن المجاور : _نفسه_ ، ص ٢٥٦ .
[2] ابن حاتم : _السمط_ ، ص ١٥٣ – ١٥٤ .
[3] ابن حاتم : _المصدر السابق_ ، ص ١٥٨ – ١٥٩ .
[4] الخزرجى : _العسجد_ ، ق ٢١٧ ، _العقود_ ، ج٢ / ٦٤ – ٦٥ .
[5] ذكر ابن حاتم أنها ابنة المظفر (راجع : _السمط_ ، ص ٢٣٤) ، بينما ذكر الخزرجى أنها كريمة المظفر مرة ، ثم عاد وذكر أنها ابنة المنصور في نفس الورقة وأخت المظفر أيضا عند سرده لخبر وفاتها (راجع : _العقود_ ، ج١ / ٨٧ ، ٢٤٥) .

ارتقاء أخيها دست السلطنة ، إذ كانت بزبيد وقت مصرع أبيها ، فبادرت بإطلاق الأموال والجرايات عن سعة لمن يقاتل ، وحفظت المدينة حتى وصل أخوها المظفر من إقطاعه بالمهجم ، فلما وصل المظفر لزبيد مَلَّكها إياها " فهى أول مدينة ظهرت فيها ملكة " ، كذلك ساعدتهم في الاستيلاء على الدملؤة ، ولذلك كان يبرها ولا يخالف لها رأيا ، وتوفيت عام ٦٩٥ هـ / ١٢٩٥ م [١] .

ومنهن أيضاً الآدر الكريمة والدة الملك المجاهد الرسولى وتدعى آمنة بنت الشيخ إسماعيل بن عبد الله الحلبى المعروف بالنقاش (ت ٧٦٢ هـ / ١٣٦٠ م) وكانت امرأة عاقلة سديدة الرأى حكيمة في تصرفاتها بارعة في قضاء الأمور وحل المشكلات ، وكانت تقدر العلماء وتكرمهم ، وتقوم بالوافدين والمنقطعين ، وتدور على بيوت الفقراء تتفقدهم بالعطايا الوافرة ، وقد أهلتها صفاتها للدور السياسى الذى اضطلعت به عندما غدر المماليك بإبنها الملك المجاهد ، وخلعوه من الملك واعتقلوه في حصن تعز ، فبذلت الأموال واستخدمت الرجال من مماليك زوجها الراحل الملك المؤيد ، حتى تسلقوا الحصن ليلاً ، وأخرجوا المجاهد من محبسه ، وأعادته إلي ملكه ، ولما غاب الملك المجاهد في مصر فيما بين عامى ٧٥١- ٧٥٢ هـ / ٥٠ – ١٣٥١ م ، قامت هى بأمر البلاد وتولت زمام المملكة وضبطتها بحزم وجمعت العساكر تحت لوائها حتى عاد ولدها فسلمته زمام الأمور [٢] ، وكان المجاهد لا يرفض لها طلبا أو شفاعة وكثيراً ما استجاب لشفاعتها في إطلاق المسجونين من أبناء الملوك فأطلقهم جميعاً [٣] .

ومنهن أيضا السيدة بنت جوزة زوجة الملك المنصور نور الدين بن رسول وأم ولديه المفضل والفائز،والتى حاولت جاهدة تنصيب ابنها المفضل خلفا لوالده المنصور بدلاً من المظفر،وتحصنت في حصن الدملؤة ، ودخلت في صراع حربى ضد المظفر انتهى بفشلها في تحقيق مأربها،وإتمام الصلح مع المظفر والاعتراف له بالسلطنة [٤] .

---

(١) ابن حاتم :نفسه ، ص ٢٣٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ؛ الجندى :السلوك ، ج٢ ، ق ٢٣٢ ؛ الخزرجى : العقود ، ج١ / ٢٤٥ ـ ٢٤٦ ، وراجع أيضا :
Asma Yaha Al- Basha , Women in Yemen - Past and Prese (in Yemen 3000 Years)P.392 .

(٢) الخزرجى :العقود،ج٢/ ١٠٠ ، ١٠١؛راجع أيضا:عبد الله الحبشى:معجم النساء،ص ١٨ ـ ١٩ .

(٣) الخزرجى :المصدر السابق ، ج٢ / ٨٢ .

(٤) بامخرمة :تاريخ ثغر عدن ، ج٢ / ١٧٨ ؛ وراجع أيضا : ابن حاتم :السمط ، ص ٢٩٥ ؛ الخزرجى :نفسه ، ج١ / ٨٧ وما بعدها .

كذلك كانت للسيدة دار الأسد ابنة الأمير أسد الدين محمد بن الحسن بن رسول وزوجة المؤيد الرسولى مكانة عظيمة في مجتمع اليمن إذ كانت كثيرة المروءة تتوسط للرعية بشفاعتها عند السلطان مما ينهض دليلا على علو منزلتها بالبلاط[١].

وساهمت المرأة اليمنية أيضاً بنصيب وافر في الحياة الثقافية ، ومن نساء اليمن البارزات في هذا المجال : فاطمة بنت المهدى لدين الله على بن محمد أخت الإمام الناصر لدين الله ، وكانت امرأة تقية عالمة صنفت عدداً من المؤلفات في مجال الفقه واللغة [٢] ، وامتازت بالرأى السديد والدين القويم ، وجلست للإجازة ، وكان لنظرها السديد أعظم الأثر في توجيه سياسة أخيها الناصر الذى لم يكن يقطع في أمر أو في اتخاذ القرارات السياسية الصعبة دون مشورتها [٣] ، وقد رثاها عند وفاتها عدد من الشعراء ، منهم من وصفها بأميرة المؤمنات دليلاً على تدينها وكثرة خشيتها الله تعالى وإقبالها على أعمال الطاعة من ذلك قول الشاعر :

أمير المؤمنين أخوك فينا وأنت أميرة للمؤمنات [٤]

ومنهن صفية بنت المرتضى(ت٧٧١ هـ/ ١٣٦٩م)، اشتغلت بالعلم منذ سن مبكرة ودرست على والدها وتفوقت في الفقه والأصول واللغة "ولم يكن لها شغل غير العلم والاجتهاد فيه"،كذلك نبغت في قرض الشعر،وشهرت بجودة الخط فحصلت بخطها جملة كتب جيدة،وكانت متمكنة في الإفتاء والإقراء،بالغة الكمال في التصنيف،وتنسب إليها جملة رسائل تشهد بتبحرها في العلم وسعة الاطلاع، تزوجت بعد أن بلغت الثلاثين من العلامة محمد بن يحيى القاسمى فكانت تقرأ عليه علم الكلام،ويدرس هو عليها علم النحو"فأفادته وأفادها"،وكان لها مناظراتها العلمية وخاصة مع الإمام المهدى [٥] .

ومنهن أيضاً دهماء بنت يحيى المرتضى(ت ٨٣٧ هـ / ٣٣ — ١٤٣٤ م) وكانت امرأة ذات قدرة فائقة في التصنيف لا سيما في مجال الفقه وأصوله والفرائض وعلم الكلام ، والتصوف ، ومن هذه المصنفات كتاب " شرح الأزهار"

---

(١) الخزرجى :<u>نفسه</u>، ج١ / ٣٠٠ .

(٢) Asma Al – Basha , op . cit , P . 392 .

(٣) Asma Al – Basha , op . cit , P . 392 .

(٤) عبد الله الحبشى : <u>معجم النساء</u> ، ص ١٤٩ — ١٥٠ .

(٥) عبد الله الحبشى : <u>المرجع السابق</u> ، ص ١٣٢ — ١٣٣ .

في أربعة أجزاء " ومختصر المنتهى " في أصول الفقه ، وكتاب " الجـــواهر في علـــم الكلام " ، وأقامت على التدريس في مدينة " ثلا " حتى وافتها المنيـــة ، وكانـــت تنظم الشعر أيضاً ولها جلمة منه في مدح كتاب أخيها الامام أحمد المهدى بن يحيى والموسوم باسم " الأزهار " والتي قامت هي علي شرحه [١] .

وفاطمة بنت المهدى لدين الله أحمد بن يحيى ، وكانت ترجع إلي نفسها في استنباط الأحكام مما ينهض دليلاً على علو مكانتها في شتى أنواع العلوم ، وكانت تناظر والدها في العديد من المسائل الفقهية ، وتزوجت من الإمام المطهر بن محمـــد بن سليمان (ت ٨٧٩ هـــ / ١٤٧٤ م) ، فكان يرجع إليها في حل المشـــكلات والمسائل التي يستعصى عليه وأصحابه حلها حتى كانوا يقولون له " هذا مـــا هـــو منك هو من خلف الحجاب " ، وقال فيها أبوها شعراً يدل على كمالها في الـــدين والدنيا منه :

ونساؤنا فاقت أئمة غيرنا   في الفضل والتدريس والأخلاق [٢]

ولقد ساهمت المرأة اليمنية بأوفى نصيب في مجال الحياة الاجتماعية ، حيث أفاضت المصادر على اختلافها في ذكر العديد من المآثر الدينية والاجتماعية المختلفة قامت بها نساء الأسرة الحاكمة على وجه الخصوص فتعددت المـــدارس والأســـبلة والمساجد وغير ذلك من المنشآت التي أقمنها في أنحاء اليمن مما يصعب حصـــره في هذا المجال ، وسنكتفي بإيراد بعض النماذج على سبيل المثال . منـــها مـــآثر الآدر الكريمة والدة الملك المجاهد ، ومنها المدرسة الصلاحية بقرية السلامة بتعز ، والـــتي رتبت فيها إماماً وخطيباً ومؤذناً وقيما ، كما أنشأت لها سبيلاً ، وزودت المدرسة بمعلم وايتام يتعلمون القرآن ، ومدرساً للمذهب الشافعيوآخر لتدريس الحـــديث النبوى ورتبت مجموعة من الدراسين مع كل مدرس ، وأوقفت على الجميع كفايته من الأوقاف النفيسة [٣] ، وأنشأت أيضا مسجدا بذات المدينة [٤] ، ومدرسة ثانية

---

[١] عبد الله الحبشى : نفسه ، ص ٧٥ ؛ Asma Al-Basha , op . cit , P . 392

[٢] عبد الله الحبشى : معجم النساء ، ص ١٤٩ .

[٣] الخزرجى : العقود ، ج ٢ / ١٠١ .

[٤] الخزرجى : المصدر السابق ، ج ٢ / ١٠١ .

بزبيد عرفت بالصلاحية خصصتها لدراسة المذهبين الشافعي والحنفي ، ورتبت فيها طلبة على المذهبين ، كما أقامت سبيلاً لسقاية الدواب [1] .

وابتنت قبالة المدرسة السابقة الخانقاه الصلاحية ، وقامت بترتيب شيخ ونقيب وعدد من الفقراء وأوقفت عليهم ما يقوم بكفايتهم [2] .

ومن النساء اللائى ساهمن أيضا في نفس المجال الاجتماعى، الحرة مريم بنت الشيخ الشمس بن العفيف زوجة الملك المظفر ، التى كانت من عقائل النساء ، وقد أسهمت في انشاء المدارس بمدن اليمن ، من ذلك المدرسة السابقية بزبيد أو مدرسة مريم وخصصت لتدريس المذهب الشافعي ، كما ابتنت أخرى في تعز ،وثالثة في ذى عقيب بتعز أيضا بالإضافة إلي دار للضيافة تقوم على إيواء الوافدين للمدينة من الغرباء ، وتوفيت عام ٧١٣ هـ / ١٣١٣ م [3] .

والجهة الكريمة زوجة الأشرف الثانى الرسولى (ت ٧٩٦ هـ / ١٣٩٣م)،وكانت امرأة خيرة أكثرت من أعمال الخير والبر ، ولها العديد من المآثر منها المدرسة المعتبية بتعز ، وعدد من الأسبلة قامت بإنشائها على مقاطع الطرق لخدمة " السارح والرائح " ، كما كانت تأمر بإصلاح الطرق والمدرجات والعقبات وما يتضرر منه المارون من الشجر وغيره [3] .

ومنهن الجهة الكريمة إبنة الملك المظفر الرسولى وتسمى نبيلة التى أقامت بدورها عدداً من المدارس العلمية في تعز وزبيد بالإضافة إلي مسجد في جبل صبر المطل على تعز ، وكانت امرأة صالحة بارة بأهلها ، كثيرة الإحسان والصدقات لكل من لاذ ببابها وتوفيت عام ٧١٨ هـ / ١٣١٨ م [4] .

---

(١) الخزرجى : العقود ، نفس والصفحة .
(٢) الخزرجى : المصدر نفسه والصفحة .
(٣) الخزرجى :نفسه ، ج١ / ٣٣٤ .
(٣) الخزرجى : العقود ، ج٢ / ٢٠٩ _ ٢١٠ ، الكفاية ، ق ٢١٩ _ ٢٢٠ ، العسجد ، ق ٢٧٤ .
(٤) الخزرجى : العقود ، ج١ / ٣٥٠ _ ٣٥١ .

ب- الاحتفالات والمناسبات المختلفة :

١- الزواج والمهور وعادة الطرح

كانت الخطبة تعد أولى الإجراءات الأساسية التي تسبق الإقدام على عقد القران وإتمام إجراءات الزواج ، وتبدأ بتقدم الشاب الراغب في الزواج إلي أهل العروس ، وإبداء رغبته في الزواج منها ، فإذا ما تمت الموافقة على الخطبة وأبدى الخاطب استعداده لتلبية كل مطالب أهل العروس من حلي وجهاز وكسوة ، بالإضافة إلي قيمة المهر المطلوب عاجله وآجله وغير ذلك ، يبدأ الطرفان العمل على استكمال مراسم اتمام الزواج .

وكانت القاعدة المتبعة في أوساط القبائل اليمنية لا سيما السادة والأشراف منهم تقوم على أساس التمايز الطبقي . بمعنى أن بعض القبائل لا تقبل أن تزوج أبناءها من بنات قبائل أخرى غير متكافئة معها ، ويطبق هذا التمايز الطبقي في القبيلة الواحدة ، حيث لا تستطيع الفتاة أن تتزوج إلا رجلاً من نفس الطبقة التي تنتمي إليها ، وكان الرجل يعتبر إقباله على الزواج من فتاة تنتمي لنفس طبقته شرفاً له ، وذلك تحقيقاً للمبدأ المعروف بالتكافؤ الاجتماعي وإذا كان الرجل ينتمي إلي طبقة متدنية في ذات القبيلة ، فإنه في هذه الحالة لا يكون جديراً بالزواج من إحدى بنات الطبقة العليا في القبيلة [1] . ومن أمثلة التمايز الطبقي أن بني مالك من بني حي في صعدة كانوا يعظمون بني حرب ويتقدمون على التزوج منهم ، بينما كان بنو حرب لا يزوجون بناتهم إلا رجلاً منهم أو قرشياً [2] .

وكانت بعض القبائل اليمنية ترفض مصاهرة بعض القبائل الأخرى لعدة أسباب ، منها قيام خصومات قبلية بين القبيلتين ، ومنها التمايز الطبقي حيث كانت بعض القبائل تنظر بعين الاعتبار إلى المستوى الذي ينتمي إليه المتقدمون للزواج ، وقد أدى ذلك بدوره إلى العديد من النزاعات القبلية والصراعات

---

(١) Serjeant , Societe et Gouvernement , PP ., 285 , 291.
وأدى هذا التمايز الطبقي الذي يقوم على أسس عصبية إلي بقاء الكثير من الفتيات دون زواج لعدم توفر الرجل الذي ينتمي لنفس طبقة الفتاة .

(٢) الهمداني : الإكليل ، ج٢ / ٣٠٢ .

المسلحة من ذلك ما حدث عندما تقدم أحد أبناء بني سعد بن خولان القاطنين بصعدة لخطبة إحدى الفتيات من كرائم بني حي بن خولان فأكبر الأخيرون أنفسهم عليه ، ورفضوا تقدمه إليهم ، فألح في طلبه ، فما كان منهم إلا الاعتداء عليه ، فثار لذلك بنو سعد قبيلته وشنت الحرب على الحى الآخر ، ودامت الحرب بينهما مدة حتى انتهت باخراجهم من صعدة ، فاتجهوا إلي مصر ، واستقروا بالصعيد [(١)] .

وفي ظل هذه الفوارق الاجتماعية التي كانت تتمسك بها بعض العصبيات، كان البعض يشترط لإتمام الخطبة وإجراءات الزواج موافقة كافة أولياء الخطيبة ، بحيث لا يتم أي إجراء إلا برضى الجميع [(٢)] .

ويذكر ابن المجاور ما يشير إلي أن العادة جرت لا سيما في الريف أن تتاح للمتقدم للخطبة الفرصة لرؤية خطيبته ، والتأكد من صفاتها ومستوى جمالها ومدى نشاطها ، حيث كانت أغلب فتيات الريف والبادية يعملن في الزراعة والتجارة ، فإذا وافق الأب على شخصية الخاطب ، طلب الأخير التحقق من سمات الخطيبة ، فيدله الأب على السوق الذى تتوعد به الفتاة ، فيذهب الخطيب لمشاهدتها " في بيعها وشراها وجمالها " ، ويتابعها في طريق عودتها إلي منزلها ، " فإذا أعجب الرجل حالها وجمالها وشيلها وبيعها وشراها ، وقوة صبرها ... فعند ذلك يملك بها ويدخل عليها .... " [(٣)] .

- المهور : كانت المهور تدفع وفقاً لما تم الاتفاق عليه بين الطرفين بما يتناسب مع المكانة الاجتماعية للزوجين ، وكان يزاد فيه باعتبار الحسب والنسب ، ومكانة الأسرتين . وكانت المغالاة في المهور ظاهرة منتشرة في بلاد اليمن وبخاصة في أوساط السادة والأشراف ، الذين يقدمون على دفع صداقات ضخمة

---

(١) الهمداني : *المصدر السابق* ، ج٢/ ٢٠٨ - ٢٠٩ .

(٢) مثال ذلك ما حدث عندما تقدم جياش بن نجاح لخطبة احدى فتيات الفرسانيين من أهل موزع ، فاجاب بعض أوليائها ، وامتنع البعض ، وأفتاهم القاضي الحسن بن أبى عقامة التغلبي بأن الزواج لا يصلح إلا برضى الكل ، فاصروا على الامتناع ويقال أنه وضع هذا الشرط دلالة على اعترافه بعدم كفاءة جياش ، ولكن الأخير استدرجهم بالمال حتى أجابوه وزفت المرأة إليه . (راجع : ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٢٤٦ - ٢٤٧) .

(٣) ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٩١ .

لزوجاتهم، تعبيراً عن الرفعة واظهاراً لمكانتهم بين الناس،ويشير الهمداني في هذا الصدد إلي أن أقل الصداقات التي اعتاد المرانيون واللعويون(من حاشد همدان) دفعها كانت تصل إلي ألف دينار وست جوار فرس،وست جوار روم،ومثلها مؤجلة ، الأمر الذى أدى إلي الحد من الزواج في بيوتات هذه الطبقة الرفيعة [١] .

أما المهور التي كانت تقدم في الأوساط التي تقل في المستوى عن هذه الطبقة فكانت قليلة للغاية ، ولذلك انتشرت حالات الزواج بين بيوتاتها ، ويؤيد ذلك الهمداني بقوله " وأما باقي همدان من – حاشد وبكيل – فيكثرون الأزواج عن خفة الصدقات فثرى عددهم " [٢] .

ويشير ابن المجاور إلي عادات نساء زبيد وتهامة بالنسبة للمهور ، فيذكر أنهن يأنفن أخذ الصداق من أزواجهن مقدماً ، ويحبذن تأجيله ، ويعتبر أخذ المهر كاملا عندهم عيبا كبيرا ، اعتقادا منهم أن المرأة بذلك ترغب في الطلاق ، ويعبر عن ذلك بقوله "ونساء أهل هذه البلاد ، لم يأخذوا من أزواجهن المهر ، وأخذ المهر عندهم عيب عظيم ، وكل امرأة تأخذ المهر من زوجها يسمونها مفروكة أى أن زوجها أعطاها مهرها وفركها أى طلقها " [٣] . ويتابع ابن المحاور روايته فيذكر أن مثل هذا التصرف كان يؤدى إلي خوف الرجال من طلبها للزواج ثانية خشية الطلاق للمرة الثانية [٤] ، ومن ثم عمد الكثير من أهل اليمن إلي تأجيل دفع الصداقات أو جزء منها إلي زمن غير محدد. فقد تموت الزوجة والصداق دين على زوجها ، وقد يتوفى الزوج والصداق ما زال في ذمته [٥] .

أما عن تجهيز العروس فكان يتم وفقا لمكانة العروسين ومقدرة المتقدم للزواج المادية ، فكان الزوج يسلم للزوجة ما يلزم من المال للقيام بالتجهيز والولائم وذلك على قدر طاقته [٦] . كما كانوا يقدمون الكسوة والحلى وفقا

---

[١] الهمداني : *الإكليل* ، الجزء العاشر ، تحقيق محب الدين الخطيب ، الطبعة الأولى الجديدة ، الدار اليمنية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٧ ، ص ٤٨ .

[٢] الهمداني : *المصدر السابق* ، ج١٠ / ٤٨ .

[٣] ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ٨ .

[٤] ابن المجاور : *المصدر السابق* ، ص ٨٥ – ٨٦ .

[٥] ومما لاشك فيه أن هذه الطريقة كانت تساعد كثيرا رغم المغالاة في المهور على إقبال الشباب على الزواج وخاصة محدودى القدرات المادية منهم ، فيمكنهم الاكتفاء بدفع نصف الصداق أو جزء منه كمقدم صداق . (راجع : الواسعى : *فرجة الهموم* ، ص ١٣٣) .

[٦] الواسعى : *فرجة الهموم* ، ص ١٣٤ .

لمكانتهم الاجتماعية ايضا ، فيذكر الخزرجي في سياق حديثه عن عرس الأمير بدر الدين محمد بن زياد الكاملى أحد أمراء الأشرف الثانى الرسولى ، على ابنة الأمير سيف الدين سنجر صاحب القحمة ، أن السلطان قام بتجهيزه تجهيزاً تاماً ، فحمل له " فرشا على اثنين وعشرين جملا أنواعا مختلفة ، وما يحتاج إليه من النحاس والصينى والأطباق والملابس شيئاً كثيرا ، وكساه كسوة فاخرة " [١] .

وكان تجهيز العرس واقامة الولائم يستغرق ثلاثة أيام ، اليوم الأول ويعرف بيوم الحمام ، ويقوم فيه أهل الزوجة بدعوة النساء من أقارب الزوج للذهاب معهن إلي الحمام ، وبعد العودة إلي منزل العروس تقام الولائم لضيافة أهل الزوج [٢] ، واليوم الثانى ، يعرف بيوم النقش ، حيث اعتاد اليمنيون في الزواج على أن يتزين الرجال والنساء ، فيخضبن أيديهم وأرجلهم بالحناء [٣] ، وينقش أو يخضب مع العروس أخص نساء أقارب الزوج ، وفي مساء نفس اليوم تحضر المنشدة لتترنم ببعض الأشعار والمدائح النبوية ، ومدح أهل العروسين وذكر خصالهما الحميدة [٤] أما اليوم الثالث فيعرف بيوم الحفلة أو يوم الزفاف ، ويخرج فيه العريس من منزل أسرته مزفوفاً من أهله وأصدقائه إلي البيت الذى هيئ له ، ويختلف الاحتفال بهذا اليوم طبقا للمكانة الاجتماعية للعروسين . ففي يوم زفاف الأمير بدر الدين الكاملى — الذى سبق أن أشرنا إليه - خرج الأمير ممتطياً صهوة جواده مزفوفاً من باب داره إلي البيت الذى هيئ له ، وكانت المماليك تحمل الشموع المزهرة أمامه ، وسائر المدعوين من الأمراء والمقطعين ووجوه الغز يمشون حوله " إلي أن وصل إلي البيت المذكور " [٥] .

– الطرح : وهى إحدى العادات المصاحبة للزواج عند أهل اليمن ، وهى مساهمة المدعوين رجالا ونساء في العُرس بمبالغ مالية يقدمونها كل على قدر حاله وسعة ماله . ويظل هذا الطرح (أو كما يعرف حاليا بالنقوط) دينا على

---

[١] الخزرجى : العقود ، ج٢ / ٢٤٨ ، العسجد ، ق ٢٨٦ .
[٢] الواسعى : المرجع السابق ، ص ١٣٤ .
[٣] الهمدانى : الإكليل ، ج٢ / ١٧٧ ؛ ابن المجاور : المستبصر ، ص ٧ ، ٨٦ .
[٤] الواسعى : فرجة الهموم ، ص ١٣٥ ؛ حسن إبراهيم حسن : اليمن ، ص ١٥٥ — ١٥٦ .
[٥] ابن المجاور : المستبصر ، ص ٧ ؛ الخزرجى : العقود ، ج٢ / ٢٤٨ ، العسجد ، ق ٢٨٦ .

العروسين ، عليهما رده بذات القدر أو أزيد منه في مناسبة مماثلة ، ويـذكر ابـن المجاور أنه عندما يقبل أحد الأفراد على الزواج ، يحضر كل أصدقائه مـن الأهـل والأقارب ، فيكتبون أسماءهم في قرطاس ويدون أمام كل اسم المبلغ الذى يقدمـه للعريس [١] . كذلك كانت النساء يقدمن الطرح مثل الرجال ، وكان يرد إلـيهن في مناسبات مماثلة " فإذا أعطيت المرأة في عرس رد إليها في عرس مثله ، وإن كان في ختان رد إليها في ختان ، وإن كان في الولادة ، رد إليها في الولادة ، ولم تـرد الشئ إلا في الوجه الذى كان منه وفيه بعينه " [٢] .

وكانت المرأة تضحى بأغلى ما تملكه في سبيل الوفاء بما عليها من " طرح" باعتباره ديناً لابد من الوفاء به وإلا عد ذلك عيباً كبيراً ، فيصـيبها مـن جـراء تقاعسها عن رده خزى عظيم [٣] .

وكان من عادات الزواج باليمن أيضا ما ذكره ابن بطوطة من أن نسـاء زبيد لم يكن يزهدن في التزوج من الغرباء الوافدين إلي بلدهم ، فـإذا تزوجـت الواحدة منهن بأحد الغرباء ، فإنها تقنع منه في حال اقامته معها بالمدينة بالقليل من النفقة والكسوة . إما إذا أراد السفر فإنها تخرج معه لوداعه ، وترفض مغادرة اليمن رفضا قاطعاً مهما بذل لها من الأموال ، وإن كان بينهما أبناء فإنها تتكفل بالنفقـة عليهم ، وتقوم بما يجب لهم لحين عودته "ولا تطالبه في أيام الغيبة بنفقة ولا كسوة ولا سواها " [٤] .

ويشير ابن المجاور أيضاً إلي عادة النكاح في المناطق الواقعة شمال زبيد مثل قرى الزربية،والعنبرة،والهرمة،والقرشية،فيذكر أن من عاداتهم عدم ظهور البنت وعدم السماح لها بالتزين"إلا إذا عُقد نكَاحُها وقُطع مهُرها وسُلّم دَفْعُها"[٥]وبعد ذلك،يسمح بظهـور البنت بالطبل والدفوف"على رءوس الأشهاد بالمهامين والضيافات والطرح والتسليم " [٦]

---

[١] ابن المجاور : *المصدر السابق* ، ص ٧ ، وأحيانا كان مبلغ الطرح يكون عظيما ، فيعمد العريس إلي استغلاله في التجارة . (راجع : *نفس المصدر والصفحة*) .

[٢] ابن المجاور : *نفسه* ، ص ٨٦ .

[٣] ابن المجاور : *نفس المصدر والصفحة* . وهذا التقليد ما زال متبعا في مجتمعنا المعاصر .

[٤] ابن بطوطة : *الرحلة* ، ج٢ / ١٦٨ – ١٦٩ .

[٥] ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ٢٣٩ .

[٦] ابن المجاور : *المصدر السابق* ، ص ٢٣٩ .

ويبرر أهالي تلك الجهات عادتهم هذه بأنهم يخشون اطلاع البنت وهى بعد صغيرة على أمور الزواج ، وما يرتبط به من تزين وتجمل ، فتخرج عن الطريق القويم عندما تشب وتكبر ويوضح ذلك ابن المجاور بقوله " نخاف نظهر طفلة فإذا كبرت رأت نبتها وخدها وقدها .... يعجبها حسنها ، فتحتاج إلي أن تخرج عن الطريق إلي غير الطريق ، بل نخليها على حالها تخمد نارها ، ويقل طلابها .... فإذا مهرت ظهرت ، فأدخلت على بعلها ... "[1] .

٢- حفلات الختان :

وتمثل بدورها أحد مظاهر الحياة الاجتماعية ، في الفترة موضوع البحث ، حيث كانت تعقد الاحتفالات الضخمة ، وتمد الأسمطة ، وتغص قاعات القصور السلطانية بالمدعوين على اختلاف طبقاتهم ، ومن أمثلة هذا النوع من الاحتفالات حفل طهار الملك الناصر أيوب في تعز عام ٦٠١ هـ / ١٢٠٤ م ، وبهذه المناسبة دعا الأتابك سنقر مدبر أمور المملكة الأيوبية باليمن آنذاك كافة الأمراء المقطعين وغيرهم من وجوه الدولة " وكان السماط في الميدان ، وكان طهارا عظيماً "[2] .

ونستدل من خلال استعراضنا لإحدى حفلات الختان التى تمت في عهد بنى رسول على مدى الثراء والبذخ الذى عاشه هذا البلاط السلطانى ، وقد تجلى ذلك بصورة واضحة في الحفل الذى أقامه السلطان الرسولى الأشرف الثانى في عام ٧٩٤ هـ / ١٣٩١ م ، لختان أولاده ، وقد أفاضت المصادر الرسولية في وصف هذا الاحتفال وما أنفق فيه من أموال طائلة ، وأطعمة وأشربة مختلفة جلبها من كل مكان ، بالإضافة إلي الهدايا والتقادم النفيسة التى تنافس على تقديمها أعيان الدولة وأمراؤها إلي السلطان ابتهاجا بهذه المناسبة ، واحتفالا بذلك أقام السلطان سماطاً ضخماً أعد له الكثير من الذبائح على اختلاف أنواعها من الطير وذوات الأربع ، بالإضافة إلي الحنطة والسمن والعسل والأرز وسائر التوابل والبقول ومختلف صنوف الفواكه والتمور ، وأنواع الرياحين والطيوب مالا يحصى عدده[3] .

---

[1] ابن المجاور *بنفس المصدر والصفحة* .

[2] ابن حاتم : *السمط* ، ص ١١٩ .

[3] الخزرجى : *العقود* ، ج٢ / ١٩٤ – ١٩٥ ؛ *العسجد* ، ص ٢٦٩ ، *الكفاية* ، ق ٢١٥ – ٢١٦ .

كما أرسل في طلب صناع الحلوى ، فصنعوا منها العديد من الأصناف ، بعد أن زودهم بما يحتاجون إليه من الخامات والأدوات منها خمسمائة طبق من الأطباق الصيني التي لم تستعمل من قبل ، بالاضافة إلي الأطباق التي سبق أن استعملت وبعض الأواني الفخارية الزبيدية [١] .

كما وصل الأمراء والمقدمون من سائر الجهات تسبقهم هداياهم النفيسة منها على سبيل المثال ٦٠ حمالا أرسلهم الأمير بدر الدين محمد الشمسي،إلي دار السلطان بثعبات المعروفة بدار النصر وكانوا يحملون الشموع المزهرة والأصناف المختلفة من"المأكول والمشموم"،كذلك أرسل أمير حصن صبر عدداً كبيراً من الحمالين يحملون أنواعا مختلفة من أشجار بلاده من الكاذي،وقصب السكر، وقضبان الآس،والثوم الأخضر،والفول الأخضر،وألوانا كثيرة من الأعناب وغيرها[٢] كما حمل القاضي شهاب الدين وزير الأشرف هدايا عديدة يتعذر حصرها[٣]، وتتابعت هدايا أعيان البلاد وكبار الأمراء بها،وصار كل من حمل حملا من الهدايا إلي قصر السلطان يتقدمها رأسان كبيران من البقر قد كسيا بثوبين من الحرير الملون بصحبة عدة من المغاني والموسيقيين الذين يقومون بزف أحمال الهدايا الواصلة إلي باب الدار السلطانية بآلاتهم المختلفة،فإذا وصلوا إلي باب القصر المذكور،قام مقدم الجزارين بنزع الثياب الحريرية،وذبح ما وصل من الرؤوس " فاذا ذبح ما أتى به إلي هنالك أخذه من حضر من الغلمان " إلي داخل القصر السلطاني [٤] .

وبعد إتمام وصول الهدايا المختلفة تبدأ مراسم الاحتفال بالختان فيأمر السلطان بركوب الجند والأمراء في الميدان"بكرة وعشية ثلاثة أيام"،ويدعى إلي الاحتفال سائر الأمراء والوزراء والمقطعين والناس على اختلاف طبقاتهم فلا يتخلف أحد منهم ، ويظل الجند من الفرسان والمشاه والطبلخاناه يخدمون على باب الدار في مواضعهم ليلا ونهارا [٥] .

---

(١) الخزرجي : *العقود* ، ج٢ / ١٩٥ ، *الكفاية* ، ق ٢١٦ .
(٢) الخزرجي : *العقود* ، ج٢ / ١٩٥ ، *الكفاية* ، ق ٢١٦ ، *العسجد* ، ق ٢٧٠ .
(٣) الخزرجي : *الكفاية* ، ق ٢١٦ .
(٤) الخزرجي : *العقود* ، ج٢ / ١٩٧ ، *الكفاية* ، ق ٢١٦ .
(٥) الخزرجي : *العقود* ، ج٢ / ١٩٧ ، *الكفاية* ، ق ٢١٦ .

وتم الطهور المبارك يوم الخميس ٩ من ذى القعدة عام ٧٩٤ هـ / ٢٧ سبتمبر ١٣٩١ م ، فحضر الناس على اختلاف طبقاتهم وانتظموا أمام سماط عظيم " قد أتقنه طهاته ، وتناصفت في الحسن جهاته " ، وأفيضت الخلع على كبار رجال الدولة وكسى الحاضرون على اختلاف طبقاتهم ،ثم خرجوا من مجلس السماط إلي مجلس الحلواء ، فأخذوا منه بحسب ما أرادوا ثم انتقلوا إلي " سماط فيه من الجوز واللوز والزبيب والعنب " وغيرها من الفواكه وأنواع المشروبات ، ثم انتقلوا إلي مجلس الطيب " فاستعملوا منه شيئاً كثيراً من المسك والعنبر والبخور وسائر أنواع الطيوب ، فكان " يوما مشهودا ، لم يكن في الدهر مثله " [١] .

وانتهى الحفل بحضور جماعة من فحول الشعراء لمدح السلطان وتهنئته بقصائدهم ، ومنهم الخزرجى صاحب العقود الذى حضر ذلك الحفل ووصفه وصف شاهد عيان ، كما ألقى بنفسه قصيدة شعرية بهذه المناسبة ، فخلع عليه السلطان وعلى نظرائه من الشعراء ، وأجيزوا بالجوائز السنية [٢] .

وكما شاعت اقامة الحفلات العظيمة في مناسبات الزواج والختان [٣] ، درج الناس أيضاً على إقامة حفلات مماثلة ابتهاجا ببراء الأطفال من ألم الختان.من تلك الحفلات ما أقامه أيضا الملك الرسولى الأشرف الثانى بعد أن برء أولاده من ألم الختان،فأمر بإعداد احتفال بهذه المناسبة في زبيد ودخل أولاده الحمام الصلاحى وبعد الانتهاء من الحمام خرجوا في زفة كبيرة إلي القصر السلطانى،تحيط بهم جموع العسكر،وأعيان الدولة وأصحاب المناصب والناس على اختلافهم،كل ذلك في ترتيب وموكب عظيم وصفه الخزرجى بقوله"فلما خرجوا...زفوا إلي الدار الكبير السلطاني في جملة العسكر وكان عسكر زبيد ومشدها وناظرها أمام الناس كلهم، وقبلهم عبيد السلاح،وغلمان البغلة بأسرهم،وبعدهم الغز والجمدارية والخدام ونقباء العسكر،والجاووشية.وبعدهم الوزراء وكتاب الدواوين واستدار،وبعدهم الخدام الكبار والمماليك والملوك بعد الناس كلهم على خيولهم في أحسن زى ، وأجمل هيئة " [٤]
وكان يتقدم هذا الموكب الطبول والمغانى والطلعات المكسوة بثياب الحرير " فكان

---

[١] الخزرجى : _العقود_ ، ج٢ / ١٩٧ ، _الكفاية_ ، ق ٢١٦ ، _العسجد_ ، ق ٢٧٠ .
[٢] الخزرجى : _العقود_ ، ج٢ / ١٩٧ ، _الكفاية_ ، ق ٢١٦ ـ ٢١٧ .
[٣] الخزرجى : _العسجد_ ، ق ١٥٤ ، ٢٣٨ ، _الكفاية_ ، ق ١٢٣ .
[٤] الخزرجى : _العقود_ ، ج٢ / ٢٠٠ ، _العسجد_ ، ق ٢٧٢ .

هنالك يومئذ طلعتان [١] أحدهما تسير على أربع عجل تارة إلي ناحيــة الشــام (الشمال) وتارة إلي ناحية اليمن (الجنوب) ، والأخرى تدور كما تدور المعصرة (وتعرف بالمدارة وهى أشبه ما تكون بالأرجوحة) وفي كل واحدة مــن المغــانى والراقصات ما يدهش الناظرين " [٢] .

وتكرر ما حدث في حفلة الختان السابقة ، حيث مدت الأسمطة الحافلــة بأنواع الأطعمة المختلفة ، فاحتوى السماط الكبير على أنواع من "الطبائخ والألوان والأطعمة مالا يعرف أكثره " ، ثم انتقل الحاضرون على اختلاف مراتبهم إلي سماط من الحلوى وبعد الفراغ منه ، انتقلوا إلي مجلس الطيب " . وكان يوماً تام السرور حسناً أوله وآخره [٣] .

- حفلات الــولادة :

كان من عادة أهل اليمن إذا رزقت المرأة مولوداً أن،يلتزم الزوج بتوفير مكــان يتسع لعقد مجلس لنساء الأسرة يعرف بمجلس الــولادة[٤]،ويــزوده بفــاخر الفــراش والزينة،احتفالاً بالمولود،فيزين جدران المجلس بالأقمشة المزركشة وأطراف الستائر الــتى تزدان على نحو يختلف عن زخارفها في وسط الستائر ويدور حولها شريط ، وكان هذا النوع من النسيج يبطن بنوع آخر من النسيج ويسمى في اليمن " السميدار " ويكســو الجدار والأسقف بتعاليق الزينة من الزجاج والبللور والخزف والزخارف الكتابية [٥] .

وكانت عادة النساء أن يزرن [الوالدة] في اليوم السابع من يوم الــولادة وتستمر الزيارات وعقد مجلس النساء لمدة أربعين يوما.ولا تنقطع الزيارة يوميا من بعد الظهر إلي المغرب،ويعد ذلك من الأمور الضرورية اللازمة عند نساء الــيمن. وتدور المشروبات على النساء في هذا المجلس ، كما كانت تحضر النَشّادة في معظم هذه الأيام تنشد المدائح النبوية والمواعظ [٦] .

---

(١) وهى عربة تجرها عجلات من الخشب (راجع : الخزرجى :_العقود_ ، ج٢ / ٦٨) .

(٢) الخزرجى :_العقود_ ، ج٢ / ٢٠٠ ، _العسجد_ ، ق ٢٧٢ .

(٣) الخزرجى :_العقود_ ، ج٢ / ٢٠٠ ، _العسجد_ ، ق ٢٧٢ .

(٤) مثال ذلك قاعة الأسد في القصر السلطانى بزبيد،حيث خصص فيها مجلس عرف بمجلس الولادة، تمت فيه ولادة الملك المجاهد الرسولى عام٧٠٦ هـ/١٣٠٦م(أنظر:الخزرجى:_العسجد_،ق ١٧٨) .

(٥) الواسعى :_فرجة الهموم_ ، ص ١٣٥ - ١٣٦ .

(٦) الواسعى :_المرجع السابق_ ، ص ١٣٦ .

وكانت صاحبة البيت تأمر بماء الورد ليصب على النساء الحاضرات ويبخر المجلس كذلك بالعود الطيب . وخلال الأربعين يوما التالية للوضع كانوا يبالغون في تغذية المرأة الوالدة بعد الوضع ، ففي الافطار تتناول فطير البر المفتوت بالسمن والعسل ، ويعرف عند أهل اليمن بالمعصوب . أما في الغذاء والعشاء فتتناول الفراخ الصغار ، وتسمى عندهم " الشقران " ، وكان الزوج يعاني من مصروفات الولادة الباهظة معاناة شديدة ، حيث تكلفه ما لا يطيق ، وخاصة إذا كان غير ميسور الحال ، فتكون عليه أشد وطأة من مصروفات الزواج ، ومن هنا شاع في أمثالهم أن يقولوا " عرسان ولا ولد واحد " [١] .

٣- الأعياد والمواسم

اعتاد أهل اليمن الاحتفال بالمناسبات والأعياد الدينية المختلفة ، من ذلك ليالي رمضان وعيدى الفطر والأضحى ، وموسم أول جمعة من شهر رجب ، وليلة السابع والعشرين من رجب ، وليلة النصف من شعبان وغيرها .

واهتم أهل اليمن اهتماما خاصا بالاحتفال بمقدم شهر رمضان،ويظل الاحتفال بلياليه قائما على مدار الشهر الكريم،ويحدثنا المقدسى عن عوائد أهل ثغر عدن في الاحتفال بشهر رمضان،وكيف كانوا يستعدون لاستقباله قبل يومين من مقدمه ، فيقومون بنصب التعاليق والزينات فوق أسطح المنازل ، وضرب الدبادب (الطبول)،فإذا ما دخل رمضان،بدأ الأهالى في التجمع بعد الانتهاء من صلاة العشاء ويبدأون في قراءة القصائد،ويظلوا كذلك حتى آخر الليل ودخول وقت السحور ، ويبدو أن الغرض من ذلك العمل على ايقاظ النائمين لاعداد طعام السحور، ويستمر الأمر على هذا الحال طوال ليالى الشهر[٢].وبالإضافة إلي هذا الإجراء الذى يشبه ما يقوم به المسحراتى،كانت هناك طائفة من المسحراتية يدورون على البيوت فيدقون الأبواب على أصحابها،والمناداة عليهم باسمائهم لإيقاظهم لتناول السحور [٣] . وكان هؤلاء يتقاضون أجراً على عملهم هذا يحصلونه من الناس قرب حلول عيد الفطر .

---

(١) الواسعي : *فرجة الهموم* ، ص ١٣٦ .

(٢) المقدسي : *أحسن التقاسيم* ، ص ١٠٠ .

(٣) ابن الحاج : أبو عبد الله محمد بن العبدرى (ت ٧٣٧ هـ / ١٣٣٦ م) *المدخل إلى الشرع الشريف*، المجلد الأول ، الجزء الثاني ، دار الحديث ، القاهرة ١٩٨١ ، ص ٢٥٥ . ونلاحظ أن التسحير عادة من العادات التي ارتبطت بشهر رمضان وقد اختلفت عوائد أهل الأقاليم في كيفية=

ومن العادات المرتبطة بشهر رمضان قيام الأهالى والحكام بإحياء ليالى رمضان بتلاوة القرآن الكريم في دورهم وقصورهم في كل ليلة ، حيث كان يتم ختم أكثر من جزء في كل ليلة ، حتى إذا كان اليوم الثالث والعشرين من الشهر يبدأ الاحتفال بختم آخر أجزاء القرآن ، وتقام الختمة عادة في إحدى الدور السلطانية ، ويعقبها مد سماط من الحلوى يحتوى على العديد من أصنافها بالاضافة إلي الرياحين وسائر صنوف الطيب [1] وذلك مبالغة في الاحتفاء بالشهر الكريم .

وكان سلاطين بنو رسول يحتفلون بهذا الشهر فيعقدون مجالس التشفيع التى كانت تقام كل ليلة في رمضان في إحدى القصور السلطانية [2] ، وهى عبارة عن اجتماع علمي يعقده السلطان بعد الانتهاء من سماط الإفطار ، ويحضره العديد من الفقهاء والقضاة والأمراء والوزراء وغيرهم من كبار رجال الدولة وضيوفها ، ومن اعتاد حضور هذه المجالس من أعيان البلاد [3] .

وتدور بين الحاضرين لهذا الاجتماع المناقشات الأدبية والمناظرات العلمية ، فينقسم العلماء والأدباء فيما بينهم إلي قسمين،بينما يظل السلطان في موقف المحايد ويورد الخزرجى وصفا لما دار في أحد مجالس التشفيع هذه من مناقشات في عام ٧٩٦ هـ/ ١٣٩٣م،حيث انقسم الحاضرون فيما بينهم إلي قسمين في تفضيل الرطب والعنب " وأيهما أفضل من صاحبه فحصل الاجتماع بتفضيل الرطب على العنب ، وكان القائل بذلك فقهاء تهامة وأمراؤها،وكان القائلون بتفضيل العنب فقهاء الجبال وأمراؤها " [4] .

كذلك أحيى سلاطين بنى رسول ليالى شهر رمضان بالإضافة إلي ما سبق بالجلوس لسماع الحديث وبخاصة صحيح البخارى ، على أئمة عصرهم [5] . كما

=التسحير ، فأهل الاسكندرية وبعض أهل المغرب كانوا يتبعون نفس طريقة أهل اليمن في التسحير ، بينما البعض الآخر من أهل المغرب كانوا يضربون النفير والأبواق ، أما أهل القاهرة وبقية الديار المصرية فكانوا يدعون الناس للسحور من أعلى المآذن ، بينما كان أهل الشام يسحرون بدق الطار وضرب الشبابة والغناء (راجع : ابن الحاج : *المصدر السابق* ، ج١ / ٢٥٥) .

[1] الخزرجى : العقود ، ج٢ / ٢٣٩ ، ٢٤٥ ، ٢٥٠ .

[2] بلغ من أهمية هذه المجالس وحرص السلاطين على إقامتها أن أخلى لها السلاطين محلاً من قصرهم المعروف بدار النصر في زبيد ، وعرف هذا المحل باسم دار التشفيع (راجع : الخزرجى : العقود ، ج٢ / ١٤٨) .

[3] الخزرجى : العقود ، ج٢ / ٢١٨ ، ٢٣٥ ، ٢٤٤ ، العسجد ، ق ٢٨١ ، ٢٨٤ .

[4] الخزرجى : العقود ، ج٢ / ٢١٨ .

[5] الخزرجى : العسجد ، ق ٨٢ ، الكفاية ، ق ٢٢٨ ، العقود ، ج٢ / ٢٣٥ – ٢٣٦ .

اعتادوا بدورهم مد الأسمطة في كل ليلة من ليالى شهر رمضان وكـان يحضـرها وجوه أهل الدولة ، والسفراء الموجودين بالدولة آنذاك وغيرهم من الضيوف [١] .

كما برز اهتمام أهالى اليمن وسلاطينهم أيضا بعيدى الفطر والأضـحى ، والاحتفال بهما في مظاهر عديدة منها حرص السلاطين على تصدر المواكـب في العيدين ، أو من ينوب عنهما من الأبناء أو كبار ضيوف الدولة ، حيث يخرجـون في المواكب الحافلة تحيط بهم جموع الناس والعسكر إلي الميدان ، فيلعب العسـكر مدة ، ثم يتجهون والسلطان أو من ينوب عنه على رأسهم ، إلي مصلى الأعيـاد ، وبعد الفراغ من آداء صلاة العيد ، يعود الموكب إلي موضع السـماط ، حيـث اعتادوا مد السماط الحافل بألوان مختلفة من الأطعمة والأشربة ، وبعد الانتهاء منه يتبارى الشعراء في إلقاء القصائد في مقام السلطان بأنواع المدائح [٢] .

ويشير الخزرجى إلي تصدر السلطان المظفر الرسولى لموكب عيد الأضحى عام ٦٩٣ هـ / ١٢٩٣ م بقوله " وأطل عيد النحر والخلق كلهم على بابه مـن الشرق والغرب ، والغز ، فخرج إلي الميدان في عساكره المحشـودة ثم انقلـب إلي المصلى على أضخم حال وأعلى شأن " [٣] .

كذلك يوضح نفس المؤرخ ما أشرنا إليه من قيام السلاطين بإنابـة أحـد أبنائهم ، أو أحد كبار ضيوف الدولة في تصدر مواكب العيدين وقيـادة جمـوع الناس والعسكر إلي المصلى ، وذلك في معرض حديثه عن زيارة الشـريف عمـاد الدين إدريس الحمزى للمؤيد الرسولى بثعبات من تعز عام ٦٩٩ هـ / ١٢٩٩ م، إذ وافق موعد الزيارة حلول عيد النحر " فبرز الأمر الشريف إلي أتابك العسـاكر المنصورة ، أنه لا يستفتح الميدان أحد غيره مقدما على كافة الأمراء ووجوه الدولة فكان كذلك " [٤] وذلك تكريما له .

---

(١) الخزرجى : العسجد ، ق ٢٨٤ ؛ العقود ، ج٢ / ٢٣٥ ، ٢٤٤ .

(٢) الخزرجى : الكفاية ،ق ١٣٨، ٢٢٢، ٢٤٢ ؛ العسجد ،ق ٢٧٧ ؛ العقود ، ج١/ ٢٣٠-٢٨٣، ٢٣١-٢٨٥ ، ج٢ / ٢١٩ ، ٢٦٦ ، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن (تحقيق الحبشى) ،ص ٢٦٣ ؛ بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج٢ / ٧٤ ؛ طه أحمد أبو زيد : المقرى ، حياته وشعره ، ص ٢٧١ وما بعدها .

(٣) الخزرجى : العقود ، ج١ / ٢٣٠ – ٢٣١ .

(٤) الخزرجى : العقود ، ج١ / ٢٧١ ، الكفاية ، ق ١٣٥ ؛ ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص ٢٠٢ .

كما أناب الأشرف الثانى ابنه الناصر في تصدر المواكب والركوب بدلاً منه في عيد الفطر عام ٧٩٦ هـ / ١٣٩٣ م " فأدى الصلاة في مصلى العيد بثعبات بعد أن عبر العسكر في الميدان على جارى عادتهم " [١] .

ويشير في موضع آخر إلي مظاهر الاحتفال بالعيد في مدينة عدن ، ويذكر توجه الموكب السلطانى للملك المؤيد الرسولى إلي هناك ، حيث يؤدى صلاة العيد ثم يمد السماط بحقات تحت المنظر السلطانى على شاطئ البحر ، ويقوم الشعراء على السماط بأنواع المدائح [٢] .

وكان الأهالى يحذون حذو ملوكهم في الجود والكرم،فاعتادوا بدورهم مد الأسمطة كأحد مظاهر الاحتفال بالعيد ، وقد اتبع ذلك التقليد في غلافقة من زبيد حيث كان الأهالى يمدون الأسمطة والموائد الحافلة بعد صلاة العيد ، ويقوم المياسير من أهلها بدعوة الناس إليها، مثال ذلك ما قام به أحد أعيان غلافقة ويدعى عمرو بن القشيرى ، حيث أمر أهل بيته في ليلة العيد بالطبخ والشواء ، و لم يتوفر لديه في داره آنذاك الحطب اللازم للوقود ، فعمد إلي الخيوش وغمسها في السمن ، وأوقد النار تحت القدور . وفي صباح يوم العيد وعقب الفراغ من الصلاة ، قام عمرو بدعوة من كان بالمصلى لتناول الطعام بداره قائلاً " بسم الله يا أصحابى إلي دارى بارك الله فيكم " ، " فدخلت الناس إلي داره إلي أطعمة وأشربة وأشوية ... وأكل جميع من في غلافقة في داره " في ذلك اليوم احتفالاً بمقدم العيد [٣] .

وفي عيد الأضحى كان كثير من أهل اليمن يذبحون الهدى أو الأضحيات من الأبقار والضأن والماعز ويجهزون العديد من أنواع المأكولات ، بالإضافة إلي إعداد الكسوات والملابس الجديدة ، وإطلاق ذلك لأهل الحاجة من ذلك ما رواه الخزرجى مدللا على جود وكرم الشيخ على بن أحمد بن المعلم أحد الضمان على عهد سيف الإسلام طغتكين ، حين قصده الشيخ المقرى حميد أحد المؤذنين بذى جبلة ، وكان يعانى فراغا من النفقة مع دخول عيد النحر ، فقصد ابن المعلم طامعاً

---

[١] الخزرجى : الكفاية ، ق ٢٢٢ ؛ وراجع أيضا : العقود ، ج٢ / ٢١٩ .
[٢] الخزرجى : العقود ،ج١/٢٦٦؛الكفاية،ق١٣٤ـ ١٣٥؛العسجد،ق١٦٧ـ١٦٨؛ابن الديبع : قرة العيون،ص٣٤٣ـ٣٤٤ ؛راجع أيضا:ابن عبد المجيد:المصدر السابق،ص٢٠١،١٩٩ـ ٢٠٢.
[٣] ابن المجاور : المستبصر ، ص ٢٤١ .

في جوده وكرمه ، طالباً الهبة من الطعام والكسوة له ولأولاده ، فاستقل ابن المعلم ما طلبه حميد ، وسأله أن يكتب كل ما يحتاج إليه من أجل العيد ، فكتب المؤذن في ورقة كل ما يحتاجه وأعطاها له ، فأمر نائبه بإنفاذ كل ما فيها وكان من جملة ما طلبه " مائتي ذهب ذرة ، ومائة ذهب بر ، ورأس بقر ، ورأس غنم " علاوة على كسوة جديدة له ولأولاده ، فأجاب ابن المعلم كل ما طلبه المؤذن الذى عاد بها مسروراً [١] .

وكان من عادة الأغنياء وذوى الجاه واليسار من أهل صنعاء إذا أهل عيدى الفطر والأضحى ، أن يأمروا عبيدهم وإماءهم فيكنس كل واحد منهم ساحة باب داره وخاصة النافذة منها على مصلى العيدين ، ويرشوها بالماء " فيصير الموضع كله نظيفا مرشوشا بالماء " ، ثم يبسطون حصر السامان " وهو قش الخيزران " على باب كل دار وفنائه ، ثم يبسطون فوقها أنواع الأبسطة الأخرى من الرومية والطرسوسية والأرمنية ذات الألوان الحمراء والأرجوانية ويطرحون عليها الريحان وغيره من الأزهار الطبيعية ، والأنوار العبقة ، ويرشوها بماء الورد والكافور ، كما يعلقون المجامر النحاسية الكبيرة بين تلك الأفنية ، ويطرحون فيها العديد من أصناف العود والند وسائر أنواع البخور والطيب الغالى الثمن ، فيخرون الموضع كله مع المصلى بدءاً من صلاة الفجر حتى انصراف الإمام والمصلين بعد آداء صلاة العيد ، ويضعون على أبواب دورهم الماء المبرد " والكيزان الجدد " ليشرب منها الناس [٢] .

ومن المواسم التي اهتم أهل اليمن بإحيائها والاحتفال بها ، الجمعة الأولى من رجب ، حيث ألف الناس التوجه إلي مسجد الجند في ذلك اليوم ، والصلاة فيه، وكانوا يعدون هذا اليوم موسما وعيدا ، ويرجع سبب احتفالهم به ، إلي أن الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضى الله عنه قد نزل إلي الجند في مثل ذلك اليوم فاعتبره أهل اليمن عيداً لهم ، بقولهم أن الإسلام قد بسط ظله على البلاد فيها ، وتناقلوا هذا الاحتفال خلفا عن سلف ، ويعتبرون الصلاة في مسجد الجند في ذلك

---

[١] الخزرجي : *العسجد* ، ق ١٠٢ .

[٢] الرازى : *تاريخ مدينة صنعاء* ، ص ١٤١ .

اليوم بمثابة عمرة أو أكثر ، فيغص المسجد بجموع المصلين من كل أعمال اليمن حتى لا يبقى موضع لقدم [١] . وعرفت هذه الجمعة بالرجبية عند أهل اليمن ، وكان السلاطين بدورهم يعظمونها ويحرصون على صلاتها بجامع الجند ، ومن هؤلاء المنصور نور الدين عمر بن رسول الذى كان يحرص على الذهاب بنفسه إلي الجند لآداء صلاة هذه الجمعة المعظمة عند أهل اليمن [٢] .

ويعتبر الأهالى هذا اليوم عيداً،وكان أهل اليمن الأعلى يتبادلون فيه الزيارات،وعبارات التهنئة،ووصل الأرحام،كما كانت تكثر فيه الذبائح،وارتداء الكسوات الجديدة.بينما كان أهل اليمن الأسفل يتقاطرون من كل صوب إلي مسجد الجند،وهم يحملون الأزواد والنعم وكل ما يحتاجون إليه ويصلون إلي الجند قبل حلول الجمعة وفي هذا اليوم تكتظ بوفودهم المدينة ، فيقيمون في المسجد الصلوات ويكثرون من ذكر الله ، كما يعقد المتصوفة حلقات الذكر ، وتزدهر أوضاع المدينة أياما حيث تقام الأسواق وتنحر الذبائح ، وتكثر الصدقات [٣] .

ويحتفلون أيضا باليوم السابع والعشرين من رجب من كل عام ، ويعرف عندهم " بالكثيب " ، وحرص بعض سلاطين بنى رسول على حضور الكثيب والاحتفال به والتصديق على كافة الناس بالصدقات الجليلة في ذلك اليوم ، والسماح لهم بالاقتراب من مجالسهم ، فكان المجاهد على سبيل المثال يأمر الجاندارية بألا يمنعوا الناس من الاتصال به أثناء وجوده في هذا الاحتفال [٤] .

كذلك احتفلوا بليلة النصف من شعبان ، واعتادوا أن يصنعوا فيها أنواعاً من الحلوى ، ويتصدق بها أهل اليسار على ذوى الحاجة والضعفاء ، من ذلك الفقيه الصالح بن ابراهيم العثرى (ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م) ، الذى كان يأمر في هذه الليلة يصنع الكثير من أصناف الحلوى ، ويهتم بتوزيعها على الأيتام والضعفاء

---

(١) ابن المجاور : المستبصر ، ص ١٦٦ .
(٢) ابن حاتم : السمط ، ص ٢٣٣
(٣) ابن المجاور : المصدر السابق ، ص ١٦٦ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص ٥١ و هـ ٣ .
(٤) الخزرجي : الكفاية ، ق ١٦٧ ، العسجد ، ق ٢١١ ، العقد الفاخر ، ج٢ ، ق ٣٩ ؛ بامخرمة تاريخ ثغر عدن ، ج٢ / ١٤٦

في تهامة ، كما كان يهادى بها الخواص من أصحابه ، " ولا يدع فقيها في البلد إلا واساه بشئ من ذلك " [1] .

٤- المواكب والاحتفالات

يقصد بالمواكب الاحتفال بخروج السلطان في المناسبات والاحتفالات المختلفة من دينية وقومية ، وقد تعددت المواكب والاحتفالات في اليمن في الفترة موضوع البحث لا سيما في عهد بنى رسول حيث اكتملت في عصرهم مظاهر الفخامة والعظمة ، وساعد الثراء العظيم الذى عاشته الدولة آنذاك على تفنن سلاطينها في اقامة تلك الاحتفالات الرسمية والدينية ، والتى اعتادوا افتتاحها بمواكبهم السلطانية ، كالاحتفال بالعيدين ، أو عند العودة من أداء فريضة الحج أو في خروجهم للتنزه ورحلات الصيد .

ويفهم من المصادر اليمنية أن المظهر الأساسى للمواكب السلطانية كان يتسم بالطابع العسكرى ، ويتم ترتيب الجنود فيها بدقة كاملة ، فيشير صاحب بهجة الزمن إلي أن المواكب السلطانية كان يتم تنظيمها في عهد المؤيد الرسولى على نسق ما كان يحدث في ترتيب المواكب السلطانية بالديار المصرية ، وكان يتولى الإشراف على هذا الترتيب الأمير علاء الدين كشدغدى أحد كبار أمراء المماليك الوافدين على اليمن من الشام ، في ذلك الوقت ، ونال حظوه ومكانة في البلاط المؤيدى ، حيث جمع بين منصبى نائب السلطنة وأتابكية العسكر ، فتولى ترتيب الموكب السلطانى بأن جعل له ميمنة وميسرة من الجنود المحيطين بالموكب وكان برأس كل جانب منهما صاحب أطلق عليه حاجب ، وجعل السلطان يسير في مقدمة الموكب ، ومن خلفه العصايب (الرايات الحريرية المطرزة بالذهب) ، والجمدارية ، والطبردارية ، بينما كانت تصحبهم المماليك بآلات النفخ [2] .

ويجتمع المشاركون في الموكب في الساحة أو الميدان الواقع أمام القصر السلطانى ، وعندما يحين موعد خروج السلطان أو من ينوب عنه ، تدق الطبلخاناه

---

(١) الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ١٤٩ .

(٢) ابن عبد المجيد : *بهجة الزمن* (تحقيق حجازى) ، ص ١٣١ ، (تحقيق الحبشى) ، ص ٢٨٢ ؛ وراجع أيضا : الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ٣٤٨ ، وراجع أيضا : طه أحمد أبو زيد : *اسماعيل المقرى ، حياته وشعره* ، دار الآداب ، ط١ ، بيروت ١٩٨٦ ، ص ٢٧٢ .

وتضرب المماليك بالأبواق وغيرها من آلات النفخ ، ويبدأ سير الموكب وفقاً للترتيب السابق لفرق الجند [(١)] .

ومن بين الاحتفالات التي كان يتقدمها الموكب السلطاني ، الاحتفال بالانتصارات العسكرية ، ومنها الموكب الذى كان يترأسه الملك الأشرف ولى عهد المظفر عند عودته ظافراً من إحدى معاركه ضد الأئمة الزيدية عام ٦٨٦ هـ/١٢٨٧ م ، وعندما دخل صنعاء على رأس قواته ، فلم تنظر العيون أبهى منها، وأكثر جموعاً ، ولا أكثر خيلاً وبيضاً ودروعاً ، وكان دخوله من باب النصر [(٢)] ، فلما حاذى القصر السعيد ، فرش لحصانه ثياب الحرير المعلمة في الذهب،ونثر على الناس من البيضاء والصفراء (الفضة والذهب) ما لا يحصر [(٣)] .

ولقد أمدتنا المصادر بتفاصيل وصفية للمواكب السلطانية والاحتفالات ذات الصلة بالمناسبات الدينية ، وهي الاحتفالات التي كانت تجرى بمناسبة عودة الحاج والابتهاج بقدومه ، حيث جرت عادة أهل اليمن على الاحتفال بمن يحج للمرة الأولى ، حال عودته من الأراضي الحجازية ، وبخاصة إذا كان الحاج من أهل الرئاسة ، وذوى المكانة ، فيقيمون له المدارية (جمع مدروهة) أو الأراجيح ، وهي أعواد كبيرة على شكل مراجيح يتفنن في اقامتها أهل اليسار في المدينة احتفاء بالحاج الذى يتوسطها ، ويقوم الشعراء بين يديه بالمدائح والقصائد في مدح من عمل الأراجيح " ومن عملت له " فيكافئهم صاحب الحفل بالجوائز السنية [(٤)] .

ومن أبرز هذه الاحتفالات ، الحفل الذى أقامه أعيان أهل عدن ابتهاجا بعودة المظفر الرسولي من أداء فريضة الحج،ومن المعروف أنه أول من كسى الكعبة بعد الخليفة المستعصم[(٥)]،وكان خروج موكبه عام٦٥٩ هـ/ ١٢٦٠م إلى مكة، بالبر والبحر،حيث سار هو على رأس الموكب بطريق البر،بينما صحب معه المراكب تسايره بالبحر ، لإمداده بسائر الأطعمة والعلوفات،وأتبع نفس النهج في

---

(١) الخزرجي : _العقود_ ، ج١/ ٣٤٨ ؛ طه أبو زيد : _المرجع السابق_ ، ص ٢٧٢ ـ ٢٧٣ ـ ٢٧٤ .
(٢) عماد الدين ادريس :_نزهة الأفكار_ ، ق ٩٧ .وكان يعقب هذه المواكب القاء الأناشيد والقصائد ابتهاجا بالنصر . (راجع :_نفس المصدر والورقة_) .
(٣) الخزرجي :_الكفاية_ ، ق ١٢٣ ،_العقد_ ، ج١ / ٢١١ ؛ ابن حاتم :_السمط_ ، ص ٥٥٤ .
(٤) بامخرمة :_تاريخ ثغر عدن_ ، ج٢ / ٢٤٥ .
(٥) المقريزى :_الذهب المسبوك_ ، ص ٨٤ .

طريق عودة الموكب وقفوله بعد الحج،فنـزل في عدن [1] . حيث احتفى أعيان المدينة بوصوله ، وعمل كل واحد منهم بهذه المناسبة أرجوحة [2] ، والتف الشعراء حول هذه الأراجيح في حلقات ، وتباروا في نظم القصائد الشعرية في امتداح صاحب الأرجوحة ، والسلطان الملك المظفر ، واجتمع القوم آنذاك لمشاهدة الحفل وسماع الشعر . ومن بين الشعراء الذين امتدحوه الفقيه أبو بكر السرددى الذى مدحه بقصيدة عصماء امتدح فيها أيضا محمد بن عبد الله متولى ديوان النظر بعدن وهو صاحب المدروهة الذى كلف الفقيه بنظم القصيدة ، فأعجبت القصيدة جموع الحاضرين ، فرمى عليه الجزرى كسوة جيدة وبعض المال ، وجاراه مجموعة من أعيان التجار الحاضرين للحفل وغيرهم من الأعيان ، فرموا عليه الدنانير الذهبية والدراهم الفضية فاجتمع له " من الذهب والفضة شئ كثير " [3] .

كذلك اقيمت المواكب والاحتفالات المماثلة ابتهاجا بعودة الملك المجاهد من الأراضى الحجازية عقب أدائه للفريضة عام ٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م ، فعند سفره قاصدا مكة المشرفة ، خرج على رأس موكبه من تعز على النسق السابق ذكره ، تحيط به الفرسان والمشاه [4] ، وفي طريق عودته بعد أداء الفريضة ، كان ولاة المدن اليمنية وأمراؤها التى كان يمر بها موكبه من حلى بن يعقوب إلي حاضرته بتعز يحتفلون بمقدمه ، فكان كل منهم يزين باب داره ويقيم الأفراح وكان أولهم صاحب المخالب الذى أقام الطلعات على باب داره ، وتلاه صاحب المهجم فعمل " طلعات تمشى على العجلات بمن فيها من المغانى وأهل الطرب ، وفرش من الثياب الحرير عند قدوم السلطان شيئا كثيراً " [5] .

كذلك احتفل صاحب فشال بمقدم السلطان بعمل طلعات ومدارية وقيام المغانى بالأناشيد ، ولما وصل الموكب السلطانى إلي زبيد ، استراح السلطان بقصره المعروف بحائط لبيق هناك ، واحتفل والى زبيد وأهلها بعودة الموكب السلطانى

---

(1) الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ١٢٤ .
(2) بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، ج٢ / ٢٤٥ .
(3) بامخرمة : *نفس المصدر والصفحة* .
(4) الخزرجى : *العقود* ، ج٢ / ٦٥ .
(5) الخزرجى : *العقود* ، ج٢ / ٦٨ ، والمقصود بالطلعات ما يشابه حاليا أقواس النصر وكان أهل اليمن يزينونها أيضا بأغصان الأشجار والورود ويحملونها على عجلات .

احتفالا عظيما ، حيث أقام أمير زبيد وغيره من وجوه الدولة ، الطلعـات المزينـة بالذهب والفضة والمدارية المزخرفة ، وفرشوا من الثياب الحريرية شيئاً كـثيراً [١] .
وتكرر الاحتفال في حيس ، حيث استقبل بالطرب والمغاني والطلعات ، وظل يلقى طوال مسيرته من الاحتفالات حتى صار قريبا من تعز ، فأنعم على كافة العسـكر بأموال كثيرة وكميات وفيرة من الذهب والفضة ، كما أفـاض علـيهم الخلـع والكسوات كل على قدر مرتبته ثم دخل الموكب السلطاني تعز ، فكـان دخـول السلطان في بزة حسنة وموكب حافل بالأمراء والأشراف والوزراء [٢] .

وخرج للقائه كافة وجوه الدولة وأعيان الحاضرة وعامة الناس وتقـدموا للسلام عليه وتقبيل يده،والدعاء له،فاستقبلهم استقبالا حسنا مؤمنا على دعائهم ، وبعد الانتهاء من تسليم الفقهاء والأعيان وأتباعهم ، واصل الموكب طريقه حـتى قصره بالجهملية ، حيث استقبله عامة أهل تعز وخاصتهم بدورهم فعملوا له من " الطلعات التي تمشي على العجل والمدارية شيئا كثيرا " [٣] . واسـتمرت الأفـراح بعودته واستقراره سبعة أيام متواصلة ، وكسبت المنازل والقصـور أثنـاء ذلـك بالزينات وقابل السلطان ذلك بالانفاق على العسكر نفقة أربعة شهور [٤] .

هذا عن الاحتفالات الدينية،أما الاحتفالات الرسمية ، فقد تحدثنا عن أمثلة لها تتمثل في حفلات الختان والبراءة منه ، كما حدث في عهد السلطان الرسـولي الأشرف الثاني[٥]،ومنها الاحتفال بمقدم السفارات والرسل وبخاصة القادمـة مـن الديار المملوكية في مصر،من ذلك على سبيل المثال السفارة المصرية التي قدمت إلي اليمن في ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣م تزف بشرى انتصار جيش الناصر محمد بن قلاوون على جيش غازان خان في موقعة مرج الصفر قرب دمشق[٦]،فأمر الملك المؤيد بدق

---

[١] الخزرجي : *نفس المصدر والصفحة* .
[٢] الخزرجي : *العقود* ، ج٢ / ٦٩ .
[٣] الخزرجي : *نفس المصدر والصفحة* .
[٤] الخزرجي : *العقود* ، ج٢ / ٧٠ ،وقد تكرر مثل هذا الاحتفال عند عودة المجاهد من الحج للمرة الثانية عام ٧٥٢ هـ / ١٣٥١ م ، فعملت له " الفرحات والطلعات وزينت المدينة [زبيد] ، وفرح الناس بوصوله فرحا عظيما " . (راجع : الخزرجي : *العقود* ، ج٢ / ٨١) .
[٥] راجع ما سبق *ص٤٧٩ من الكتاب* .
[٦] الخزرجي : *الكفاية* ، ق ١٤٠ ؛ راجع أيضا : ابن عبد المجيد : *بهجة الزمن* ، تحقيق الحبشي ، ص ٢٢٦ ، ونلاحظ خلو نسخة مصطفى حجازي من هذا الخبر .

البشائر واقامة الفرحات ، وأصدر أوامره بخروج أعيان الدولة ووجوهها لاستقبال السفير المصرى ، الذى وصل محاطا بكل مظاهر الاحتفاء والتقدير إلي الأبواب السلطانية ، حيث استقبله السلطان استقبالا حسنا ، واحتفل بمقدمه ، وأمر بإنزاله مكانا يتناسب وحالته ، " وأفاض عليه الإنعام التام " [١] .

وتبارى الشعراء كعادتهم في حفل الاستقبال بإلقاء قصائد المدح التى تبرز مكانة السلطان اليمنى عند أخيه السلطان المملوكى الناصر محمد بن قلاوون ، والتغنى بعظمة الانتصار ، وتهنئة اخوالهم في مصر بذلك [٢] .

ومن الاحتفالات الرسمية أيضاً ، ما دأب السلاطين على إقامته بمناسبة منح الإقطاعات أو إعادة توزيعها من جديد على الأمراء وأعيان الدولة وكبار الأجناد وغيرهم . ومن أمثلة ذلك ما روته المصادر عن الاحتفال الذى أقامه المؤيد بمناسبة إقطاعه القحمة للشريف عماد الدين الحمزى وذلك في عام ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠م، حيث يتقدم المقطع إلي الأبواب السلطانية لتسلم منشور الإقطاع وخط التمكين ، ويقدم شكره للسلطان على إنعامه ، ويصف ابن عبد المجيد وصول الشريف الحمزى إلي مقر السلطان الذى أغدق عليه فأمر برفع عشرة أحمال طبلخاناه له ، بالإضافة إلي الأموال والمماليك والتحف السنية ، فتقدم الشريف يحيط به الأمراء والأجناد لتقديم فروض الطاعة والولاء للسلطان ثم أعقب ذلك تقبيله لعقب العلم المنصور جريا على عادة المقطعين ، وبعد ذلك اتجه وجموع الحاضرين إلي " سماط جليل الشأن جمع مختلفات الطعام والألوان فيه ما تمتد إليه اليد واليدان أمر بعمله السلطان " [٣] . وأعقب الانتهاء من مراسم الاحتفال والفراغ من السماط ، تسليم المنشور بالإقطاع الممنوح [٤] .

وجدير بالذكر أنه كان يعقب الفراغ من المجالس والاحتفالات على اختلافها اقامة الولائم ومد الأسمطة الواسعة والموائد الحافلة بالكثير من أنواع الأطعمة والأشربة وصنوف الحلوى والطيوب ، وجرت العادة أن تنقسم هذه

---

[١] ابن عبد المجيد : _بهجة الزمن_ ، ص ٢٢٧ .

[٢] راجع عن هذه القصائد : ابن عبد المجيد : _بهجة الزمن_ (تحقيق الحبشى) ، ص ٢٢٦- ٢٣٠ .

[٣] ابن عبد المجيد : _بهجة الزمن_ ، ص ٢٠٣ ؛ وأنظر ايضاً : الخزرجى : _العقود_ ، ج١ / ٢٧٢ .

[٤] ابن عبد المجيد : _نفس المصدر والصفحة_ ؛ الخزرجى : _العقود_ ، ج١ / ٢٧٢ .

الأسمطة التي يأمر الملوك والسلاطين بتقديمها إلي طعامين طبقاً لما ذكره ابن بطوطة وهما " طعام العامة وطعام الخاصة " ، فأما الطعام الخص فيأكل منه السلطان وقاضي القضاة وكبار الأشراف والفقهاء والضيوف،وأما الطعام العام فيأكل منه سائر الشرفاء والفقهاء والقضاة والمشايخ والأمراء ووجوه الأجناد،وكان مجلس كل فرد من المدعوين للطعام محدد لا يتجاوزه بحيث لا يزاحم أحد منهم أحدا [١] .

كذلك كانت تقام الاحتفالات الخاصة في اليمن ، وخاصة في قصور الملوك والسلاطين ، وغيرهم من وجوه الدولة وأعيانها ، حيث تقام حفلات الغناء ومجالس الشراب ، وقد يشارك الشعراء بدورهم في هذه الاحتفالات إلي جانب المطربين والمطربات ، وخاصة السلطان وندمائه ، ويؤكد ذلك ما ذكره العمرى عن حياة هؤلاء السلاطين الخاصة إذ يقول " وملوك اليمن أوقاتهم مقصورة على لذاتهم ، والخلوة مع حظاياهم وخاصتهم من الندماء والمطربين ... " [٢] .

فكان الملك سليمان بن شاهنشاه الأيوبي مولعا بعقد مجالس الشراب واللهو ، حتى انشغل بها عن أمور الدولة فتضعضع الملك [٣] . كذلك كان المنصور الرسولي مغرما بدوره بعقد مجالس الشراب ويعقد لها مقاماً في يوم معلوم يدعو إليه خاصة ندمائه من الأدباء والشعراء ، وأهل دولته المقربين ، وتجرى في هذه المجالس المناظرات الشعرية بين الأدباء والشعراء الذين يتنافسون في عرض مواهبهم الشعرية بما ينظمونه ارتجالاً ودون تحضير دلالة على سرعة البديهة وحضور القريحة ، وطمعاً في جوائز السلطان السنية ، التي كان يجزل عطاءها لأفضلهم نظما وبيانا [٤] .

وكان المؤيد الرسولي بدوره مولعا بإقامة هذه الاحتفالات الخاصة ، والخلوات في متنزهاته المتعددة في زبيد وتعز حيث يقبل على مجالسة الندماء ويقضون وقتهم في سماع المعازف وألوان الملاهي ، وبلغ من شغفه بالغناء أن

---

[١] ابن بطوطة : _الرحلة_ ، ج٢ / ١٧٥ ، ويعلق ابن بطوطة على هذين السماطين بقوله أن نفس الترتيب معمول به في مجالس سلطان الهند ، ولكنه لا يعرف أى منهما قد اقتبس هذا الترتيب من الأخر . (راجع : _نفس المصدر_ ، ج٢ / ١٧٥ – ١٧٦) .

[٢] العمرى : _مسالك الأبصار_ ، ص ١٦٠ .

[٣] الخزرجى : _العقود_ ، ج١ / ٣٩ .

[٤] ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٢٣٠ ؛ الخزرجى : _العقود_ ، ج١ / ٨٣ – ٨٥ ، _العسجد_ ، ق ١٢٣ ؛ ابن الديبع : _قرة العيون_ ، ص ٣١٣ – ٣١٤ ؛ يحيى بن الحسين : _غاية الأماني_ ، ق ١ ، ص ٤٣٣ .

استقدم أحد المطربين من الشام اسمه الحاج أحمد المعروف بالخروف [١] . بالإضافة إلي المنشدين والمطربين من أهل البلاد ومنهم أسرة بني خويعة [٢] .

كذلك شغف بعض أعيان الدولة ووجوهها بمجالس الشراب ، ومن أمثلتهم الأمير علم الدين وردسار الأيوبي عندما دخل الجند عام ٥٩٨ هـ / ١٢٠١ م ، بعد جهد وطول عناء فأقام ثلاثة أيام " وانفتح في شرب الخمر "[٣] كذلك كان يفعل الأمير بدر الدين بن رسول فيذكر ابن حاتم أنه في أعقاب انتصاره على الأشراف في وقعة عصر عام ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م ، عاد إلي صنعاء، فأقيمت الاحتفالات بهذه المناسبة ومدت الأسمطة فنزل " الأمير على السماط وأكل الناس ، ودعا بالشراب ، فشرب ليلته تلك ، ووهب وأنعم " [٤] . كذلك أغرم بشربها أيضا أحد أمراء مدينة حرض في عصر المجاهد الرسولي ، وكان يداوم على شربها وعقد مجالسها في قصره [٥] .

وبلغ من شغف بعض هؤلاء الأعيان بتعاطي الشراب في هذه المجالس والمنادمات ، أن السُكر كان يغلب على بعضهم ، الأمر الذى يجر عليهم العديد من المشاكل بسبب تصرفاتهم الخاطئة وهم على هذه الحالة [٦] ، وبخاصة إذا كانوا من أصحاب المناصب الإدارية الرفيعة ، مثال ذلك ما يرويه لنا بامخرمة ويشاركه فيه الخزرجي ، من أن أحد كتاب الإنشاء في الدولة المجاهدية يسمى حسن الموصلي ، كان في أحد مجالس الشراب مع أحد أصدقائه ، فغلب عليهما السُكر ، فطلب الصديق ويدعى محمد بن قيماز على سبيل المجون من الكاتب أن يكتب له منشورا بولاية أحد الحصون ، فكتب الموصلي له بذلك ، ومهره بالعلامة السلطانية أعلاه

---

[١] ابن عبد المجيد : _بهجة الزمن_ ، ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٧٩ ، وكان هذا المغنى يعمل مطربا للملك المنصور صاحب حماه . (راجع : شيخ الربوة : _المصدر السابق_ ، ص ٢١٩) .

[٢] ابن عبد المجيد : _بهجة الزمن_ ، ص ٢٣٨ .ومن مغنيات العصر الرسولي أيضا المغنية مشطر وهى من تهامة وجاءت وهى صغيرة إلي الباب السلطاني في عصر المؤيد ، فعلق بها ، وشغف بحبها ، فأمر بحجبها وتزوجها وحظيت عنده بمكانة عظمى (راجع : عبد الله الحبشي : _معجم النساء اليمنيات_ ، ص ١٨٠) .

[٣] ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٩٥ .

[٤] ابن حاتم : _المصدر السابق_ ، ص ١٨٣ – ١٨٤ .

[٥] ابن أسير : _الجوهر الفريد_ ، ق ٢٢ .

[٦] ابن حاتم : _نفسه_ ، ص ٢٨٢ ، ٤٥٤ .

تزويراً ، فأخذه ابن قيمازم ، وغلب السُكر على ابن الموصلي فلم يسترجع المنشور. بينما اتجه به ابن قيماز إلي القائم بأمر الحصن طالباً تنفيذ المنشور ، ولكن الوالى رفض وراجع الملك المجاهد في ذلك ، فتم التأكد من التزوير [١] .

وكان الظاهر يحيى الرسولى يحرص على عقد مجالس الغناء والطب وما يصحبها من شراب في قصوره ، فشاع في عصره عقد " الاجتماعات العظيمة والفرح المشتملة على أنواع بما لا يرضاه أهل الدين وهبت بدولته رياح أهل الغناء والشعر " فكان يجيز الشعراء الجوائز السنية [٢] . كما أولع الناصر أحمد بن الأشرف الثانى في آخر عمره بشرب الخمر " ولم يكن يعرف بذلك في أكثر ولايته " [٣] .

ومن الاحتفالات الشعبية التى كان أهل اليمن يهتمون بإحيائها على اختلاف طبقاتهم ، ويشاركهم فيها الحكام والسلاطين ، الاحتفال بنضج ثمار النخيل في زبيد وهو الاحتفال المعروف باسم " سبوت النخل " ، وكان موسماً سنوياً يحتفل به أهالى زبيد وتهامة ، وهى المنطقة المشهورة بنخيلها الكثير ، وكان يبلغ عشر قطع ، كل قطعة منها يبلغ طولها وعرضا ربع فرسخ [٤] .

ويورد المؤرخون وصفا رائعا لأيام السبوت في زبيد واهتمام حكام اليمن لا سيما في عصر بنى رسول بهذا الموسم اهتماما بالغا ، تشجيعا منهم على زراعة النخيل ، ومن أبرز هؤلاء المؤرخين ابن المجاور الذى وصف هذا الموسم في القرن السابع الهجرى / ق ١٣ م ، باستفاضة معبرا عن مدى اهتمام أهل اليمن بهذا الموسم والاحتفال به لأن عليه معظم معاشهم فيقول " فإذا حمل النخل يتقبل كل واحد من الناس على قدره " [٥] . ويأتى إليه الناس من كل أنحاء اليمن من باب حرض إلي آخر أعمال أبين ، وينزل أهل الجبال في تهامة ، فتنتعش أحوال الناس المادية وتزدهر الأسواق ، ويستمر الاحتفال السنوى بنضج النخيل لمدة شهرين أو

---

(١) الخزرجى : _العقد الفاخر_ ، ق ١١٨ ؛ بامخرمة : _تاريخ ثغر عدن_ ، ج٢ / ٢٣٨ – ٢٣٩ .
(٢) ابن الديبع : _قرة العيون_ ، ص ٣٩٩ .
(٣) ابن الديبع : _المصدر السابق_ ، ص ٣٩١ .
(٤) ابن المجاور : _المستبصر_ ، ص ٧٩ .
(٥) ابن المجاور : _المستبصر_ ، ص ٧٩ ؛ _Varisco , op . cit , p . 310_

ثلاثة شهور ، والناس مقيمون هناك يختلط النساء بالرجال في غير كلفة ولا حجاب ، ولا هم لهم سوى اللعب والضحك والأكل والشرب ، ويصنعون النبيذ من التمر والبر والرطب ويسمونه (الفضيح) ويصلح للتناول في يوم وليلة [١] .

ويواصل ابن المجاور وصفة لخروج الناس بعد الانتهاء من جنى ثمار النخيل، الكبار مع الصغار،والأخيار والفجار بالطبل والمزمار،بعدما يلبسون جمالهم عدة كاملة تامة من الأجراس والقلاقل،ويشدون في رقابها المقانع والحلى،ويركب كل أربعة على جمل،وناس منهم على الشقادف،ويمشون إلي مسجد مشرف على البحر يقال أنه موضع نزل به معاذ بن جبل ويعرف بالفازة بالقرب من غلافقة[٢]،فينزلون إلي مياه البحر،ويبالغ ابن المجاور في وصفه لهذا الاحتفال حيث يذكر سباحة الرجال مع النساء عرايا مختلطين وهم في شرب ولعب ورقص وقصف،ويكون خروجهم إلي هذا الموضع في يومى الاثنين والخميس من كل أسبوع [٣].

ويؤكد ابن بطوطة شيوع هذه الاحتفالات الشعبية واهتمام أهل زبيد وغيرهم من أبناء اليمن والوافدين عليها بإحيائها ، والخروج إلي النخل كل يوم سبت من ابتداء التمر إلي نهايته بغية الراحة والترفيه ، وفرارا من حياة المدينة الصاخبة وحرارة الصحراء اللافحة إلي حدئق النخيل ونسمات البحر للاستجمام فيقول " ولأهل هذه المدينة سبوت النخل المشهورة ، وذلك أنهم يخرجون في أيام البر والرطب في كل سبت إلي حدائق النخل ، ولا يبقى بالمدينة أحد من أهلها ولا من الغرباء ، ويخرج أهل الطرب ، وأهل الأسواق لبيع الفواكه والحلاوات وتخرج النساء ممتطيات الجمال في المحامل " [٤] .

---

[١] ابن المجاور : المصدر السابق ، ص ٧٩ .ويقال ان اول من صنعه في اليمن احد الوافدين لليمن من بلاد الشام .

[٢] ابن المجاور :نفسه ، ص ٧٩ - ٨٠ ، ومن المعروف ان الملك الناصر أحمد الرسولى أسس في الفازة عام ٨٢٢ هـ / ١٤١٩ م مرسى جديدا (ميناء) استخدم في رسو السفن القادمة من الشرق الأقصى ، كما كان منتجعا ومصيفا للرسوليين (راجع : ابن الديبع :قرة العيون ، ص ٣٩٠ ؛ عبد الرحمن عبد الله الحضرمى : المؤرخون والسبوت في زبيد ،مجلة دراسات يمنية ، العدد ٤٦ (ابريل - يونيو ١٩٩٢) صنعاء ، ص ١٨٦ ؛الخزرجى :العقود ، ج١ / ٣١٤) .

[٣] ابن المجاور :نفسه ، ص ٨١ .

[٤] ابن بطوطة :الرحلة ، ج٢ / ١٦٧ – ١٦٨ .

ودأب سلاطين بني رسول بدورهم على الخروج في سبوت النخيل بمواكبهم السلطانية،والإقامة هناك للنزهة والفرجة،كنوع من التشجيع على زراعة النخيل بعد أن كاد يتلف من كثرة المظالم التي صبت على أهله في عهد الأيوبيين.

ويفهم من المصادر أن عادة خروج السلاطين في السبوت بدأت في عهد الأشرف الأول عام ٦٩٥ هـ / ١٢٩٦ م ، حيث ثبت في هذا العام سبتا فنزل إلي النخيل وبصحبته " ثلاثمائة محمل في كل محمل سرية جاريتها " من أجل التسلية والمتعة تحت نخيل التمر [١] ، ثم تابع من خلفه على دست السلطنة الخروج في السبوت في كامل مواكبهم وأبهتهم الملوكية ، ومن أشهر هؤلاء السلطان المؤيد الرسولي الذى دأب على الخروج بعسكره إلي النخل في يوم السبت من الأسبوع ، وكان يأمر أهل زبيد بالخروج معه بنسائهم " فتقع هنالك مفاسد عظيمة ، واختلاط فاحش وسماع وطرب " [٢] .

ويذكر صاحب كتاب غاية الأماني أن جماعة من العلماء أبدوا إنكارهم لما يصاحب احتفالات السبوت من مظاهر المجون في عهد المؤيد ، فدعوا الناس إلي الخروج عن زبيد في هذه المدة . ويزعم يحيى بن الحسين أنه خرج عن زبيد في موسم جني النخيل قدر سبعمائة بيت من الفقهاء وأهل النجدة والحمية ، وأووا إلي الجبال وأنكروا على من تخلف منهم عن الخروج " حتى أن بعض الفقهاء كتب إلي بعض أقاربه – وقد تخلف عن الخروج – يقول له :

تجنب عن زبيد ولا تطأها	ولا تغررك يابن أخي زبيد
ففي يوم السبوت ترى مساوئ	آتتها يوم سبتهم اليهود

ويكمل المؤرخ روايته بأنه لما طال هجر الفقهاء زبيد كتب اليهم المؤيد يستعطفهم ويسترضيهم واعداً إياهم بالإقلاع عما يغضبهم وما جعلهم يخرجون بسببه [٣] .

---

(١) الخزرجي : العقود ، ج١ / ٢٤٤ ؛ العسجد ، ق ١٦١ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص ٣٣٩ ؛ بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج٢ / ١٨٢ ؛ Varisco , op . cit , P . 310

(٢) يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ق ١ / ٤٩٤ .

(٣) يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ق ١ / ٤٩٤ – ٤٩٥ . ونلاحظ من خلال رواية يحيى بن الحسين أنه الوحيد الذى أنكر من المؤرخين على أهل اليمن ظاهرة السبوت واعتبرها بدعة ناجمة عن التشبه باليهود في احتفالهم بيوم السبت . ويعد هذا الموقف من قبيل التعصب والتطرف الزائد في

واستمر السلاطين في الاحتفال بالسبوت والخروج إلي زبيد بكامل مواكبهم ومن هؤلاء الأشرف الثاني الذى سبت في زبيد عام ٧٩٧ هـ / ١٣٩٤ م ، فانتقل اليها في موكب عظيم حمل فيه كل ما يلزمه وحاشيته واتباعه من حوائج طوال مدة اقامته هناك وفي ذلك يقول الخزرجى " ونزل السلطان النخل... وقد عمرت الدورات والعراريش والاصطبلات ، وجعل السلطان لحوية باب الدار أربعة أبواب ... فاحتوت الحوية على آلات السلطان كلها من الخيل والبغال والحمير والأفيال ، وسائر البيوتات ، كالخزانة والفرشخانة والطشتخانة والشربخانة والركبخانة والطبلخانة فازدان بها الموضع وحسن حسنا تاما " [١] . ثم تقدم إلي البحر فأقام هنالك في نزهته وفرجته ثم ارتفع إلي النخل فأقام في الدار الجديدة التي أقامها هناك للنزول فيها في السبوت ، حتى قارب شهر رمضان على الحلول فعاد إلي الحاضرة تعز [٢] .

واستمر الاحتفال بهذه المناسبة طيلة عصر بنى رسول لا سيما في عهد الظاهر يحيى الذى سلك في دولته على إحياء السبوت في أيام النخل بزبيد [٣] .

الحكم على الأمور ، فهذا الاحتفال لا يعدو كونه ظاهرة اجتماعية طابعها الفرحة واظهار الابتهاج بما وهبه الله للرعية من نعم وأرزاق يعبر عنه ابن المجاور شعرا فيقول :

هذا الشقح واللقخ والطلع منه قد افتتح

يا غازلات أغزلوا فالنخل قد صار بلح

وقد يحدث في هذه المهرجانات خروج من بعض المحتفلين عن آداب الشرع الشريف ، فيمكن ببعض الحزم القضاء عليه ، مع استمرار الاحتفالات ، ولعل مما يؤكد أن ما حدث من مفاسد زمن المؤيد كان بمثابة حادث عارض لم يتكرر بعد ذلك استمرار هذه الاحتفالات زمن ابنه المجاهد بنفس القوة طبقا لما ذكره ابن بطوطة والذى يعلق تعليقا كريما على خروج النساء إلي هذه الاحتفالات فيذكر أن خروجهن كان في المحامل مع التزام كامل بحسن الخلق بقوله " ولهن مع ... الجمال الفائق الأخلاق الحسنة والمكارم " وهذا القول في ابن بطوطه حيث ينفي تماما ما أدعاه ابن المجاور من مبالغات في الاحتفال والسباحة عرايا واللهو والشرب (راجع : ص٤٩٧) . كما يؤيدنا أيضا استمرار هذه الاحتفالات حتى عصرنا الحديث (راجع : عبد الرحمن الحضرمى : *المؤرخون والسبوت في زبيد* ، ص ١٨٨ – ١٩٢) .

[١] الخزرجى : *العقود* ، ج٢ / ٢٢٥- ٢٢٦ .

[٢] الخزرجى : *المصدر السابق* ، ج٢ / ٢٢٦ .

[٣] ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٣٩٨ – ٣٩٩ . وراجع عن خروج السلاطين في السبوت إلي نخل زبيد ؛ الخزرجى : *العسجد* ، ق ٢٢١ ، ٢٣٨ ، ٢٥٩ ، *الكفاية* ، ق ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٨٦ ، ١٩٨ ، ٢١٨ ، ٢٢٢ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، *العقود* ، ج٢ / ٧٢ ، ٧٥ ، ١١٥ – ١١٦ ، ١٣١ ، ١٤٢ ، ١٤٦ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٥٠ .

ومن الاحتفالات الشعبية القديمة التي استمرت في بلاد اليمن من عهد بني زريع وغيرهم ، إلي أن بطلت في أخريات العهد الأيوبي ، لما فيها من جاهلية بعيدة عن شرائع الاسلام ، تقديم أضحية المراكب للجبل ، وكان الاحتفال بها قاصراً على مدينة عدن ، فكان الأهالى إذا تأخرت السفن عن المجئ في الموسم إلي ثغر عدن يحضرون سبع رؤوس من البقر إلي جبل صيرة ، حيث تعودت السفن الرسو قبل دخول الميناء – عند اصفرار الشمس ، وتبقى البقر في مكانها إلي منتصف الليل وبعد ذلك ترد ست رؤوس منها إلي عدن ، ويبقى الرأس السابع في مكانه بالجبل فإذا أصبح ، ضحى به من الغد في مكانه ، وتسمى تلك الضحية ضحية الجبل ، وكان الناس يعتقدون فيها ، وأنه في أعقاب هذا العمل " تقدم المراكب ، وتلاحق بعضها بعض " [1] .

---

[1] ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١١٤ .

(٣)

وسائل التسلية الرياضات

رأينا فيما عرضناه مدى ولع حكام اليمن بالمواكب والاحتفالات وسماع المغاني،وعقد مجالس الشراب،ونضيف إلي ذلك أنهم كانوا مولعين كذلك وجاراهم في ذلك أهالى البلاد،بأنواع أخرى من ضروب التسلية وأنواع الرياضات،منها :

١- المتنزهات

وتحدثنا من قبل عن خروج أهالى البلاد إلي ساحل البحر من زبيد للاستحمام والتمتع بنسمات البحر أثناء موسم جنى الرطب . كذلك اعتاد السلاطين الخروج للنزهة بدورهم على ساحل البحر والإقامة هناك أياماً ، من ذلك ما روته المصادر عن خروج المؤيد الرسولى للنزهة إلي بحر الأهواب من ساحل زبيد ، فخرج في موكب سلطانى حافل إلي هناك ، تقدمه بنفسه على ظهر أحد الأفيال ، فأقام هناك أيام للفرجة والتنزه ، ثم عاد إلي قصره بزبيد [١] .

أ- التنزه في البساتين الملكية :

ومن أشهر ضروب التسلية السلطانية أيضا الخروج للتنزه وارتياد البساتين الملوكية المنتشرة في أنحاء متفرقة من البلاد،والتى عنى ملوك اليمن وسلاطينها بغرسها بكافة صنوف الأشجار،وغرائب الغراسات وأجروا إليها الماء من أماكن بعيدة[٢].لتكون هذه الرياض متنفسا لهم ولأهل البلاد،ومجالاً للترويح والترفيه [٣].

ومن أشهر تلك البساتين التى كانت مجالا للنزهة السلطانية بستان ثعبات في تعز ، الذى يرجع تاريخ اتخاذه متنزها ملوكيا ، إلي عهد الصليحيين ، حيث اعتاد ملوكهم النزول من حصونهم إليه للفرجة والنزهة ، فيقيمون فيها عدة أيام ، ثم يطلعون ثانية إلي مقر حكمهم [٤] . وواصل حكام اليمن الاهتمام به

---

[١] راجع : الخزرجى : *الكفاية* ، ق ١٤٥ ، *العقود* ، ج١ / ٣١٤ ، وقد تابعه في ذلك سلاطين بنى رسول ومنهم الأشرف الثانى (راجع : *العقود* ، ج٢ / ٢٠٣ ، ٢٢٤) .

[٢] ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٣٩١ .

[٣] ابن حاتم : *السمط* ، ص ٢٩٧ ، ٥٣١ ؛ ابن عبد المجيد : *بهجة الزمن* ، ص ١٦١ .

[٤] الخزرجى : *الكفاية* ، ق ٣٦ .

لاسيما المؤيد وولده المجاهد اللذين شغفا بإقامة القصور الرائعة والحدائق الغناء والخروج إليها للنـزهة،فينسب إلي المجاهد تمصيره لثعبات والاهتمام بعمارتها، فأدار حولها سورا"وأقام فيها المخترعات الفائقة والبساتين الرائعة "[(١)]،التى شغف بالتنـزه فيها،ويذكر العمرى أنه انشأ بها"قبه ملوكية ومقعد فرشهما وأزرهما رخام ملون،وبها عمد قليلة المثل ، يجرى فيها الماء عن تبعات تملأ العين حسنا .... وترمى شبابيكهما على أشجار قد نقلت إليه من كل مكان ... ولا يقف ناظر على بستان أحسن منه جمعا ، ولا أجمع حسنا ولا أتم صورة ولا معنى " [(٢)] .

وكان حكام اليمن وأهلها يترددون في نـزهاتهم على العديد من البساتين نذكر منها بستان السلطان بالجند [(٣)] وبساتين الشجرة والراحة والسوجين والبستان الشرقى وغيرها من بساتين زبيد [(٤)] ، وبساتين قراضة وصهلة وصالة بتعز[(٥)] وغيرها من البساتين الغناء التى كانت تحيط بقصورهم في شتى انحاء البلاد ، واعتادوا النـزول فيها أثناء اسفارهم وخروجهم للتنـزه والترفيه وقد غلب ذلك على سلاطين بنى رسول بصفة خاصة حتى كان الواحد منهم " يصيف بتعز ويشتى بزبيد " [(٦)] . فكان الملك لا ينـزل إلا في " قصور مبنية له في منازل معروفة من بلاده، فحيث نزل في منـزلة وجد بها قصرا مبنيا ينـزل به " [(٧)] .

وكانت البساتين المحيطة بتلك القصور مجالا للفرجة والترويح عن النفس ، وتذكر المصادر أنه لما وفد الشريف تاج الدين محمد بن يحيى الحمزى على الملك المؤيد عام ٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م في زبيد " أكرمه المؤيد وأتحفه ، وصحبه إلي النـزهة والفرجة بقصور تعز وحدائقها الغناء بثعبات وصالة وقراضة وصهلة "فرأى هناك ملكا كبيراً وجنة وحريراً " [(٨)] .

---

(١) الخزرجى : العقود ، ج٢ / ١٠٦ .
(٢) العمرى : مسالك الأبصار ، ص ١٦٠ .
(٣) ابن حاتم : السمط ، ص ٣٩ .
(٤) راجع عن هذه البساتين وغيرها ، الخزرجى : العقود ، ج٢ / ١٢٣ ، ٢٠٣ ، الكفاية ، ق ١٧١ ، ٢٠٦ ، ٢١٧ ؛الجندى ، السلوك ، ج٣ / ق ٤٩١ .
(٥) الخزرجى : العقود ، ج١ / ٣١٥ ، الكفاية ، ق ١٤٥ .
(٦) العمرى : المصدر السابق ، ص ١٥٢ .
(٧) العمرى : نفسه ، ص ١٥٣ .
(٨) الخزرجى : الكفاية ، ق ١٤٥ ، العقود ، ج١ / ٣١٥ ؛ ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص ٢٥٥ .

وكان يتخلل هذه النـزهات التي يخرج فيها السلاطين مهرجانات واحتفالات ينشد فيها المنشدون ، ويطرب المطربون ، ويقوم الشعراء على نظم المدائح المختلفة ، وتمد الأسمطة الحافلة طوال أيام النـزهة ، التي تشمل أيضا العديد من ضروب الدعابة وألوان اللهو . وكان القائمون برعاية هذه البساتين يهتمون بتزيينها وتجميلها لكي يدخلوا البهجة في نفوس السلاطين وضيوفهم ، من ذلك ما أمدتنا به المصادر عن شغف المؤيد الرسولي بالخروج للنـزهة ، وقضاء أوقات سعيدة في متنـزهاته بثعبات ، وإقامة المهرجانات العظيمة ، التي يدعو إليها أعيان الأمراء ووجوه الدولة،وتعرف هذه الدعوة للمهرجان والنـزهة بدعوة الورد [١] .

وكان السلطان يأمر بتقديم الأطعمة الفاخرة ويأذن لهم بالتجول في صحبته في المتنـزهات ، ويبالغ في إكرامهم بإفاضة الخلع عليهم بما يناسب كل منهم ، وجرت العادة أن يساهم الأدباء والشعراء مساهمة فعالة في مهرجان الورد بنظم المدائح السلطانية ، التي يقوم المنشدون والمطربون بتلحينها وغنائها [٢] .

كما كان يتخلله ضروب من الدعابة واللهو البرئ ، فيأمر السلطان بطرح الدراهم في قاع بُركة الماء بالبستان وعمقها قامة الإنسان ، فيغوص وراءها الخدم ، وبعض الحاضرين من قبيل الدعابة لإحضارها ، ويتفنن الشعراء في وصف كل ما يدور أثناء هذه النـزهة ، ومن ذلك قول الأديب ابن جعفر شاعر المؤيد يصف طرح الدراهم بالبركة :

إن بركة قد طما موجها　　وفي قعرها ورَق منتثر
فيا ملك الأرض هذى السماء　　وهذى النجوم وأنت القمر[٣]

كذلك تفنن البستانيون أثناء النـزهة السلطانية في صنع التحف الحريرية على هيئة الورود والرياحين ، من ذلك قيام الشيخ عز الدين يوسف الموصلي

---

[١] ابن عبد المجيد : *بهجة الزمن* ، ص ٢٣٨ ، ويبدو من التسمية أن الدعوات التى كانت تصل للمدعوين تصنع من الأزهار والرياحين .

[٢] ابن عبد المجيد : *المصدر السابق* ، ص ٢٣٨ .

[٣] ابن عبد المجيد : *المصدر السابق* ، ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩ . وهذه الفوارة التى تطرح بها الدراهم يساق إليها الماء من احدى العيون المنبثقة من وسط الأحجار وتتميز بالصفاء الشديد ، حتى أن الفرد يمكنه رؤية ما بقاعها من الورق المتناثر ، وقد تغزل في صفائها الأديب والشاعر المؤيدى العفيف بن جعفر (راجع قصيدته : ابن عبد المجيد : *المصدر السابق* ، ص ٢٤٠ ـ ٢٤٢) .

الشجرى بصنع أزهار من الحرير ، ونظم هذه الأزهار الحريرية على عمود من نحاس مجوف ، وكسا العمود بالحرير الأخضر ، ووضع في قاع العمود الأنابيب التى ينطلق منها الماء خارجا من بين تلك الأشجار [١] .

ب – الصيد

كذلك شغف حكام اليمن وأمراؤهم في الفترة موضوع البحث بألعاب الفروسية والصيد والرياضة على اختلاف أنواعها "لما في ذلك من تمرين النفوس على اكتساب التأييد وحصول المسرة بكل ظفر جديد"[٢].ولذا اهتموا بإقامة الميادين الفسيحة ظاهر المدن[٣]،كما اهتموا بطيور الصيد وكلاهما على اختلاف أنواعها[٤]،فأنشأوا لها المطاعم،وعينوا لها البازدارية للإشراف عليها تحت رقابتهم [٥] ويذكر الخزرجى في معرض ذلك أن الملك المسعود الأيوبى اعتاد النزول كثيراً إلي مطعم الطير ، حيث كان يتولى بنفسه إطعام " الجوارح الصيدية " [٦] .

ويأتى في مقدمة الألعاب الرياضية التى شغف بها حكام اليمن رحلات الصيد،وقد بلغ من ولع ملوك الدولة الرسولية بصفة خاصة بالصيد أنهم كانوا يخصصون أياما معلومة للخروج لنزهة الصيد،وكان المؤيد الرسولى من أكثر ملوك بنى رسول شغفا بهذه الرياضة،ودفعه شغفه بالصيد إلي أن عهد إلي الفقيه يعقوب بن اسماعيل المطماطى[٧]أحد علماء بلده بتصنيف كتاب عن الصيد والقنص

---

(١) ابن عبد المجيد : *المصدر السابق* ، ص ٢٤٠ .

(٢) القلقشندى : *صبح الأعشى* ، ج١٤ ، ص ١٦٦ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور : *المجتمع المصرى في عصر سلاطين المماليك* ، ط١ ، القاهرة ١٩٦٢ ، ص ٦٩ .

(٣) الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ١٩٣ ، ج٢ / ٣٥ ، *الكفاية* ، ق ١٦١ .

(٤) شيخ الربوة : *المصدر السابق* ، ص ٢١٩ ـ ٢٢٠ . ومن بين كلاب الصيد المستخدمة في الصيد باليمن نوع يعرف بالتفه وهو في حجم جرو الكلب ويعد نوعا من السباع أشبه بالفهد ويستخدم في صيد الأرانب وبعض أنواع الطيور لا سيما طير الكركى . ويستخدم في الصيد على النحو التالى : يرسل القناص الأرنب في الساحة . ثم يرسل التفه بعدها ، فيتبعها فإذا دخلت الأرنب بين الناس ، دخلت بعدها ، فيفزعون ، ثم تصيدها . (للمزيد عن هذا الحيوان وغيره من طيور وحيوانات الصيد راجع : الزبيدى : *انتهاز الفرص* ، ص ١٢٣ ـ ١٢٥ ، ١٥٥ ـ ١٥٨ ، ١٧١ ـ ١٧١ ، ١٧٤ – ١٧٥ ، ١٨٦ ـ ١٨٧) .

(٥) ابن عبد المجيد : *بهجة الزمن* ، ص ٧٩ .

(٦) الخزرجى : *العقود* ، د١ / ١٩٣ .

(٧) الزبيدى : *انتهاز الفرص*:ص ٦ ـ ٧ .كذلك ألف الفقيه رضى الدين بن الخياط اليمنى(ت ٨١١ هـ) كتابا لطيفا عن الحيوانات ، راجع :*نفس المصدر* ، ص ١٧٧ و هـ ٤ /٥.

وهو الكتاب المرسوم بـ:"نـزهة الملوك الأخيار في الاقتناص بـأنواع الأطيـار " وكان من جملة الأسباب التي جعلت المؤيد ذاته يقرب إليه الأمـير عـلاء الـدين كشدغدى معرفته التامة بالبيزرة [1] . علاوة على قيامه هو نفسه باختصار أحـد المصنفات عن الصيد وهو كتاب الجمهرة في البيزرة [2] .

وكان السلاطين يخرجون في سرحات الصيد إلي مواضع مخصصة لذلك[3] ويخرج معهم أعيان دولتهم وكافة العسكر لخدمتهم [4] . وأهم هـذه المواضـع ، سرياقوس الأعلى في وادى زبيد [5] ، وحيس [6] ، وفشال [7] ، ووادى رمع[8] ، وأبين [9] ، والجند [10] ، والتربية ، والقرشية وغيرها من نواحى اليمن [11] .

أما طريقة الصيد فهى أن يطلقون الطير في الهواء ، ثم يطلقـون وراءهـا الطيور الجارحة لاصطيادها [12] .وأحيانا أخرى تطلق الطيور في الهواء ، ثم يرمـى إليها الحب لتهبط لالتقاطه ، فيضرب الأمراء حولها حلقة ، وهى لاهية في التقـاط الحب فيذعرونها بضرب الطبول والسلطان والأمـراء مترقبـون لصـيدها [13] . وبالنسبة لاقتناص الوحوش من الحمر الوحشى ، وغيره من النعامـات ، فكـانوا يكمنون لها في عدة مواضع ومعهم حيوانات الصيد من الكلاب والفهود ، إلي أن تظهر الحيوانات ، فيطلقون الجوارح الصائدة وراءها ، ويتبعها السلطان والأمـراء على الخيول ، إلي أن يصلوا إليها فيتناوشونها بالسهام [14] .

---

(1) ابن عبد المجيد :*بهجة الزمن* ،ص ٢٧٩ .
(2) ابن الديبع :*قرة العيون* ، ص ٣٤٩ .
(3) شيخ الربوة :*المصدر السابق* ، ص ٢١٩ ـ ٢٢٠ .
(4) الخزرجى :*العقود* ، ج٢ / ٣٥ ، ٢٢٣ ،*العسجد* ، ق ٢١٨ ،*الكفاية* ، ق ١٧١ ؛ ابن حاتم : *السمط* ، ص ٨٠ .
(5) الخزرجى :*العقود* ، ج٢ / ٢٢٣ ـ ٢٢٤ ، ٢٣٣ ، ٢٣٧ ، ٢٤٢ ، ٢٤٦ .
(6) الخزرجى :*العقود* ، ج٢ / ٢٠١ ، ٢٤٨ ـ ٢٤٩ ،*الكفاية* ، ق ٢٣٢ .
(7) الخزرجى :*العقود* ، ج١ / ٣٢٩ .
(8) الخزرجى :*العسجد* ، ق ٢٤٧ ـ ٢٤٨ ،*الكفاية* ، ق ١٩٥ ـ ١٩٦ ؛*العقود* ، ج٢ / ١٣٤ .
(9) الخزرجى :*الكفاية* ، ق ١٩٤ .
(10) الخزرجى :*العسجد* ، ق ١٨٥ ـ ١٨٦ .
(11) ابن حاتم :*السمط* ، ص ٢٨٠ ـ ٢٨١ ؛ مجهول :*تاريخ الدولة الرسولية* ، ص ٢١١ .
(12) ابن حاتم :*السمط* ، ص ٢٨١ ؛ سعيد عاشور :*المرجع السابق* ، ص ٦٩ .
(13) سعيد عاشور :*المرجع السابق* ، ص ٧٠ .
(14) ابن حاتم :*السمط* ، ص ٢٧٨ ؛ شيخ الربوة ،*المصدر السابق* ، ص ٢٢٠.

وعرف الملك المسعود الأيوبي بإقباله على صيد الطيور [(١)] ، بينما ورد في العديد من المراجع ما يشير إلي شغف سلاطين بني رسول بصيد حمر الوحش والنعـام ، ومـن هؤلاء الملك المؤيد ، والملك المجاهد ، والأفضل ، والأشرف الثاني حيث كثرت سرحاتهم للصيد في العديد من نواحي اليمن [(٢)]، واعتاد سلاطين اليمن بعد العودة مـن سـرحة الصيد أن ينعموا على الأمراء والمقدمين بالكسوات والأموال ويعم احسـانهم في ذلـك اليوم العام والخاص،وكثيرا ما كانت انعاماتهم تصل الي العديد من الأجناد والعسكر[(٣)] .

ج- لعـب الكرة :-

ومن الرياضات الشهيرة أيضا عند سلاطين اليمن لعـب الكـرة وهـي المعروفة بالبولو ، فأنشأوا لها الميادين وأعدوا لها ما يلزمها مـن خيـول وأدوات ، ومن أشهر سلاطين البلاد شغفا بهذه اللعبة السلطان الملك المجاهد [(٤)] .

د- الـرمي بالبندق :-

ومن الألعاب السلطانية أيضا الرمى بالبندق ، وهي كرات تصنع من الطين أو الحجارة أو الرصاص ونحوه وترمى به الطيور ، وممن شغف بهذه اللعبـة الملـك المسعود الأيوبي ، حتى أنه لم يتورع من كثرة شغفه برياضة البندق عن رمى حمـام الحرم بالبندق من فوق زمزم أثناء تواجده بمكة عام ٦١٩ هـ / ١٢٢٢ م [(٥)] .

هـ- الـرماية :-

ومن الألعاب الشائعة في ذلك العصر ، والتي تسجل عادة يمنية مازالـت تمارس حتى اليوم في المناسبات كالأعياد والأعراس الرماية على أهـداف صـغيرة

---

(١) الخزرجي : العقود ، ج١ / ١٩٣ .
(٢) راجع عن هذه السرحات : الخزرجي : الكفاية ، ق ١٧١ ن ١٩٤ - ١٩٦ ، ٢٣٢ ، العسجد ، ق ١٨٥ - ١٨٦ ، ٢٤٧ - ٢٤٨ ، ٢١٨ ، العقود ، ج١ / ٣٢٩ ، ج٢ / ١٣٤ ، ٢٠١ ، ٢٢٣ - ٢٢٤ ، ٢٣٣ ، ٢٣٧ ، ٢٤٢ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ - ٢٤٩ ؛ وراجع أيضا : ابن حاتم : السمط ، ص ٢٨١ - ٢٨٢؛ شيخ الربوة : المصدر السابق ، ص ٢١٩ - ٢٢٠ .
(٣) مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٢١١ .
(٤) الخزرجي : العقود ، ج٢ / ٣٥ ، الكفاية ، ق ١٦١ ، ١٧١ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ، ص ٧١ . كذلك عرف أهل اليمن من الصبية الصغار لعبة الكرة ؛ راجع : ابن اسير : الجوهر الفريد ، ق ٢٥ .
(٥) المقريزى : السلوك ، ج١ / ٢١٣ .

الحجم ، يصوب إليها الرماة قذائفهم اختبارا للمقدرة الحربية ، ويصـور الشـاعر الرسولى إسماعيل المقرى (ت ٨٣٧ هـ / ١٤٣٣ م) هذه الرياضة بقوله :

وقمت للحرب تدرى تدريبهم ... فالطعن للحرب من التبرر

نصبت عرضا شاخصا ممتـحنا ... لحذقهم كخاتم في الصغـر

فمخطئ يطرق برأسه خجـلا ... وصائب يبدو بوجه مسفر[1]

و- الشطرنـج :-

كذلك عرفت اليمن من وسائل التسلية لعبة الشطرنج ، وكانت تعد لعبة ارستقراطية خاصة بالملوك والأمراء ، ومن يلوذ بهم من أعيان البلاد وكبار الفقهاء والأدباء منذ العصر السابق لموضوع البحث ، واشتهر بذلك جيـاش النجـاحى ، الذى برع في لعبة الشطرنج مع الشاعر الحسين بن على القمى ، وكـان الأخـير يومئذ رأس طبقة أهل زبيد في الشطرنج [2] ، كما لاعب القمى أيضا خلف بن أبي طاهر [3] أحد وزراء بنى نجاح ، كما شاعت أيضا في العصرين الأيوبي والرسولى ، حيث ورد ذكر رقعتها في قائمة هدايا السلطان الأشرف الثانى الرسولى المهداة إلي الظاهر برقوق في عام ٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م ، فكان من ضمن هذه الهدايا رقعـة شطرنج أبيض وأسود مصنوعة من العقيق [4] .

ز- سباق الخيل وهوايات أخرى :-

عرف حكام اليمن أيضا سباقات الخيل ، وكانت تجرى في حلبات واسعة تحت حصن كوكبان وغيره من المواضع [5] ، كما عمد بعضهم إلي التسلى بصـيد السمك أو الحوت ومن هؤلاء الملك المجاهد [6] .

---

(1) طه أحمد أبو زيد : *المرجع السابق* ، ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .
(2) عمارة : *المفيد* ، ص ٢٠٥ ، الحبيشى : *تاريخ وصاب* ، ص ٥٠ .
(3) يحيى بن الحسين : *أنباء الزمن* ، ق ١٧٧ .
(4) ابن تغرى بردى : *النجوم الزاهرة* ، ج١٢ / ٦٦ - ٦٧ .
(5) الخزرجى : *الكفاية* ، ق ٤٠ .
(6) الخزرجى : *الكفاية* ، ق ١٧٢ .

(٤)

العـــادات والتقاليـــد

قليل من المؤرخين من قام برصد أخلاق المجتمع اليمني في ذلك الوقـــت ، وعادات أهله وتقاليدهم ، ويمكننا من خلال النتف القليلة التي أوردتهـــا المصـــادر واختصت بها بعض مناطق اليمن دون بعضها الآخر أن نتعرف على الكـــثير مـــن العادات والتقاليد التي سادت في بعض أنحاء اليمن ، منها ما بيناه عند الحديث عن عاداتهم في الزواج والطرح ، وطريقة البيع والشراء . ومنها ما سوف نعرض له في هذه الصفحات من عادات وتقاليد أخرى .

من ذلك ما رصده لنا أحد المؤرخين عن أخلاقيات أهل بلده وصـــاب [(١)] وما تميز به مجتمع هذه البلدة من عادات وتقاليد في ق ٨ هـــ / ق ١٤ م ، ونعـــني به المؤرخ عبد الرحمن بن محمد الحبيشي الوصابي (ت ٧٨٢ هـــ / ١٣٨٠ م) ، وذلك من خلال مصنفه الموسوم بـــ " تاريخ وصاب المسمى الاعتبار في التواريخ والآثار " .

يحدثنا الوصابي عن تميزهم بمكارم الأخلاق ، وإقراء الضـــيف ، وإطعـــام الطعام ، اقتداء بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم " من كان يؤمن بالله واليـــوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليكرم جـــاره " وقـــد تأصلت فيهم هذه السنة حتى أن من " كان منهم في غاية الفقر ، فإنه يحب الضيف ولا يتضرر من قرائه مع فقره ، بل يرهن عقاره ، أو يبيع من ماله ما يقـــرى بـــه ضيفه، ومع هذا يأنف من تقريب القليل ، ويؤنس الضـــيف بكثـــرة الترحيـــب والتسهيل والتأهيل ، ويجد في نفسه له بقرائه ، كأنه قد حصل له كل ما يتمنـــاه ، ويرى للضيف فضلا كثيرة باختياره اياه ونـــزوله لديه " [(٢)] .

---

(١) وصـاب : قطر من اقطار اليمن نسبة إلي جبل وصـاب الذى يحاذى زبيد ، ويقع إلي الجنوب الغربى من صنعاء بحوالى ١٨٢ كم ، ويتألف من اقليمين وصاب الأعلى ، ووصاب الأسفل . والجبل منسوب إلي وصاب بن سهل بن زيد بن الجمهور من حمير وهو أول من سكنيا (راجع : الحبيشى: _تاريخ وصاب_ ، ص ٨١ – ٨٣ ؛ الأكوع : _البلدان اليمانية_ ، ص ٣٠٠ المقحفى : _معجم المدن_ ، ص ٤٦٥) .

(٢) الحبيشى : _تاريخ وصاب_ ، ص ٨٤ .

ومن جملة أخلاقهم أيضا تحليهم بالحياء واعترافهم بالجميـــل والمعـــروف وحرصهم على المروءة والشرف ، فالعار عندهم يعادل القتل بل أن القتل أهون من العار ، والرجل منهم يفضل أن يقتل دون أن يهان أو يضرب على باب أمـــير أو سلطان ، ويفضل إذا ما أتيح له أن يختار أن يبذل كل ما يملك مـــن مـــال وأرض ونحوه للوالى مقابل ألا يهان أو يضرب أمام الناس ، فإذا ضرب عصا أو عصـــاتين فإنه يجمع ثيابه ويرحل مؤثرا ترك ماله وبيته وهجر أهله ووطنه عـــن أن يعـــيش موصوما [١] .

كذلك عظمت عندهم الخيانة ، وكان الرجل منهم إذا وعد وعـــدا أوفى به، فمن خلف وعده ونكث به أسمة " أعيب " ، ويصـــاح عليـــه في الأســـواق " والمتحدثات " بذلك ، ويعم عاره كل أقاربه وأصحابه واصهاره وجيرانه ، فـــلا يجبر ذلك العار إلا بأن يندم على فعله ، ويصل هو وأصحابه إلي منـــزل الشخص " الذى نسب إليه العيب لأجله " بما يملكه من أنعام ، ويقومون بذبحها بأنفسهم ، ويسمون ذلك " إنصافا " ، " فإذا وصلوا بذلك قبل الغـــريم وصـــولهم وأحســـن قراءهم ، ويصاح في الأسواق أن فلانا قد طاب وخرج مما فعل " [٢] .

كذلك أفاض الحبيشى في ذكر تعاونهم ومبادرتهم إلي هذه المساعدة مـــتى طلب صاحبها اعترافا بحقه ومحبة لطاعته ، " فإذا كان المطلوب [للمساعدة] من ذوى الأقدار فأنه يأمر بمن يخدمه ، ويقوم بحاجته أو يجعل جعلا لمن يقـــوم لطلبـــة الطالب ، ولا يعد المطلوب ذلك الإعانة ضيعة اهداها إلي الطالب ، بل يعد ذلـــك من أدى الحق الواجب عليه " [٣] .

ومن حسن تصرفهم وتلطفهم اكرام العلماء والصـــالحين والقيـــام لهـــم وتعظيمهم والنظر إليهم بعين التوقير والاحترام [٤] .

ومن فضائل هذا القطر أيضا زمن الحبيشى عدم تواجد من يتعاطى الخمور من أهله ، فسلموا من اثمها ، وكذلك الميسر ، وسائر مزيلات العقل ، فلم تعرف

---

[١] الحبيشى : تاريخ وصاب ، ص ٨٤ .
[٢] الحبيشى : المصدر السابق ، ص ٨٥ .
[٣] الحبيشى : نفسه ، ص ٨٥ – ٨٦ .
[٤] الحبيشى : نفسه ، ص ٨٦ .

وصاب الحانات ولم يعرف أهلها الخمر على الاطلاق " ويعلق الحبيشي على ذلك بقوله أنه لم يعلم أن أحدا من أهلها "يشرب النبيذ المختلف في حله ، ومن العصمة أن لا يوجد أصلا " [١] .

وكان نزلاء وصاب ومن يحل بها يتأثر بهذه الطباع الرقيقة والمثل العليا ، ويعبر الحبيشي عن ذلك بقوله : " أن أهلها رقاق القلوب ، فمن أقام بها من غير أهلها وجد في قلبه حالة لم يعهدها من قبل إقامته فيها من الخشوع ورقة القلب ومحبة العلم والدين والعبادة " [٢] .

كما تميز أهل حصن عتمة [٣] أحد حصون وصاب بالذكاء المفرط بخلاف أهل حصن ألسانة الذين وصفوا منذ القدم بالبلادة ، حتى بلغ الأمر بأحدهم أن يصعد الجبل ، ويسدد سهمه في القمر ليصيده ، ويحكى عنهم أنهم رأوا القمر في بئر فظنوا أنه في أسفله بين الماء فتبادروا ووثبوا إلي البئر ليصطادوه فمات عدة رجال في الماء ، إلي غير ذلك من النوادر الكثيرة التي تروى عنهم لاثبات قلة ذكائهم [٤] . أما في عصر الحبيشي ، فقد تبدل أمرهم وغلب على أكثرهم الدهاء والذكاء والفهم الثاقب والرأى الصائب [٥] .

ويمدنا ابن المجاور – رغم مبالغاته – ببعض المعلومات عن أخلاق أهل زبيد في ق السابع الهجرى / ق الثالث عشر الميلادى ، فيذكر أنها أقر إلي الرقة واللطف ، وهم يميلون إلي الطعام والشراب والملابس و " المركوب الوطئ " وشم الطيوب ، ويعيب على رجالها طبائعهم المائلة إلي التخنث وخصال النساء ، فيقول: " معظم رجالهم يتغانجون في حديثهم " ... ويتقصفون تقصيف النساء في الحديث والحركة " [٦] . ويصفهم بأنهم ضعاف التركيب محلقين الرءوس [٧] . كذلك

---

[١] الحبيشي : *نفسه* ، ص ٨٦ .
[٢] الحبيشي : *تاريخ وصاب* ، ص ٩٢ .
[٣] نسبة إلي شجرة كبيرة كانت فيه من شجر العتم وهو الزيتون البرى . (راجع : الحبيشي : *تاريخ وصاب* ، ص ٩٤ ، وهـ ١١) .
[٤] الحبيشي : *المصدر السابق* ، ص ٩٦ ويعلل الحبشي ذلك ببداوتهم وعدم مخالطتهم .
[٥] الحبشي : *نفسه* ، ص ٩٦ – ٩٧ .
[٦] ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ٧٠ .
[٧] ابن المجاور : *المصدر السابق* ، ص ٨٥ . كما أوضح أن من عاداتهم أيضا قيامهم بتخضيب أيديهم وأرجلهم بالحناء (*راجع نفس المصدر* ، ص ٨٦) .

وصف ابن المجاور اخلاقيات نساء زبيد وسلوكهن وآدابهن قائلا " ونساؤهم خلقات وهن رخوات التكك ، وفي كلامهم كثر غنج " يميلون إلي استخدام الطيوب بكثرة [١] . واستطرد واصفا إياهم وعامة نساء اليمن بقوله " ما رأيت في جميع اليمن سهلها وجبلها وجها حسنا يعتمد عليه النظر ، ولا فيهم ظرافة ولا لطافة ، ولا ملاحة ولا حلاوة إلا اسم بلا جسم " [٢] .

بينما يصف ابن بطوطة الذى زار اليمن في عهد المجاهد أهل زبيد عامة بلطف الشمائل وحسن الأخلاق وجمال الصور ويمدح في جمال نسائها بصفة خاصة مع التزامهم بالمكارم وحسن الخلق فيقول " ولنسائها الحسن الفائق والأخلاق الحسنة والمكارم " [٣] .

ويؤكد ابن بطوطة حسن أخلاقيات أهل زبيد في موضع آخر عند حديثه عن أهل قرية الشرجة ، وهى احدى قرى وادى زبيد فيذكر أنهم أهل كرم وإطعام يعينون الحجيج الوافد إليهم وينقلونهم بمراكبهم ويقدمون لهم الأزواد اللازمة [٤] .

ومن الجدير بالملاحظة أن نص ابن المجاور مبالغ فيه بدليل تناقضه مع نفسه في موضع آخر من كتابه ، عند حديثه عن منطقة الحليلة الواقعة جنوبى زبيد فيقول " ويكون فيها الصبايا الملاح والنساء الصباح ، وفيهن ذات فسق ، وفيهن ذات صلاح " [٥] .

أما أهل عدن ، فكانوا أخلاطا غير منتظمة من الناس ، ومعظمهم وفد إلي اليمن من أقطار أخرى سعيا للتكسب وطلب الرزق عن طريق الاشتغال بالتجارة وما يتصل بها من حرف مساعدة ، وقد وصف ابن بطوطة ثراء تجار عدن بقوله " وللتجار منهم أموال عريضة وربما يكون لأحدهم المركب العظيم بجميع ما فيه لا يشاركه فيه غيره لسعة ما بين يديه من الأموال ولهم في ذلك تفاخر ومباهاة "[٦] ،

---

[١] ابن المجاور : نفسه ، ص ٨٥ .
[٢] ابن المجاور : نفسه ، ص ٢٤٦ .
[٣] ابن بطوطة : الرحلة ، ج٢ / ١٦٧ – ١٦٨ .
[٤] ابن بطوطة : الرحلة ، ج٢ / ١٦٥ – ١٦٦ ، وعن موقع الشرجة راجع : المقحفى : معجم المدن ، ص ٢٢٨ – ٢٢٩ .
[٥] ابن المجاور : نفسه ، ص ٩٢ .
[٦] ابن بطوطة : الرحلة ، ج٢ / ١٧٨ .

ورغم هذا الثراء العريض ، إلا أنهم على حد قول نفس الرحالة أهل دين وتواضع وصلاح ومكارم أخلاق ، يحسنون إلي الغريب ، ويؤثرون على الفقير ويعطون حق الله من الزكاة على ما أوجب به الشرع [١] .

أما الجوارى في عدن فقد وصفهن ابن المجاور بأنهن يمارسن البغاء علنا[٢] ، ويتفق معه المقدسى في هذه الظاهرة [٣] ، ويعبر ابن المجاور عن ذلك بأنهن مبتذلات الفروج ، وإن هذا العمل عندهن ليس بعار ، سواء عند أهلها أو القادمين إليها من الغرباء ، ويوضح ذلك بقوله " فترجع الجارية ترجو الفرج أو تبذل الفرج للرجل والحرج في هرج ومرج ، وإلي الآن [لزمن ابن المجاور في نهايات العصر الأيوبى] هذا موجود في عدن من الغريب وأهلها وليس هذا الفن عندهم عار " [٤].

ويمكننا القول في ضوء تعدد الجنسيات التى سكنت ثغر عدن واستوطنته ، والأعداد الكثيفة التى وفدت إليه من الرقيق والجوارى ، أن هذه الإباحية الجنسية وذلك المرض الاجتماعى الخطير ، إنما تفشى وانتشر بين الأوساط غير الإسلامية من هذه الجنسيات في الغالب ، خاصة ونحن نعلم أنه قد وفد إليها الكثير من العناصر الحبشية والبربرية والهندية ، وغيرهم كثير ، ولم توضح لنا المصادر إسلام هذه العناصر من عدمه [٥] .

أما عن أهل تعز ، فقد وصفهم ابن بطوطة بأنهم " ذو تجبر وتكبر وفظاظة" وعلق على ذلك بأن هذه الصفات غالبا ما تلصق بأهل الحواضر التى يسكنها الملوك[٦] بعكس ما كان عليه أهل ظفار الحبوضى ، الحضارمة الذين انتقلوا إليها من حضرموت واستوطنوا بها [٧] . فوصفهم ابن بطوطة بأنهم أهل تواضع وحسن

---

[١] ابن بطوطة : *الرحلة* ، ج٢ / ١٧٩ .
[٢] ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ٧ .
[٣] المقدسى : *المصدر السابق* ، ص ١٠٣ .
[٤] ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ٧ .
[٥] ويؤكد هذا الرأى بأن العادات المستهجنة إنما تفشت بين هذه العناصر غير المسلمة وخاصة الزنوج ما ذكره ابن المجاور نفسه عن اخلاقيات هؤلاء البربر (الزنوج) السيئة وبخاصة نسائهم حيث وصفهم بقبح الطباع وسوء العوايد من سب وقذف وخلافه من العادات السيئة . (راجع : ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٣٤ـ ١٣٥) .
[٦] ابن بطوطة : *الرحلة* ، ج٢ / ١٧٢ .
[٧] ابن المجاور :*المصدر السابق* ، ص ٢٦٥ .

أخلاق وفضيلة ومحبة للغرباء ، ومن عوائدهم الحسنة التصافح في المساجد أثر صلاتى الصبح والعصر ، حيث " يستند أهل الصف الأول إلي القبلة ، ويصافحهم الذين يلونهم " وهكذا بالنسبة لكل صفين متتاليين ، وعقب صلاة الجمعة كان جميع المصلين يتصافحون [١] .

ويتابع ابن بطوطة وصفه لأهل ظفار فيشير إلي أنهم أشبه الناس بأهل المغرب في شؤونهم وعاداتهم،ويستدل على ذلك من تشابه اسماء الجوارى في كل من ظفار وبلاد المغرب فيذكر أن خطيب المسجد الجامع بها كان له عدة "جوار مسميات باسماء خدم المغرب احداهن اسمها بخيت،والأخرى زاد المال"ويعلق على ذلك بأنه لم يسمع هذه الأسماء في بلد باليمن سواها[٢].ويتابع استدلالاته على التشابه بين الظفاريين والمغاربة فيذكر أن أكثر أهلها من حاسرى الرؤوس لا يتخذون العمائم،وفي دار كل واحد منهم سجادة من الخوص معلقة على الحائط في المنزل،يصلى عليها صاحب البيت كما يفعل أهل المغرب،وأكلهم الذرة "وهذا التشابه كله مما يقوى القول بأن صنهاجة وسواهم من قبائل المغرب أصلهم من حمير"[٣].

بينما وصف الخزرجى أهل صبر[٤]في زمن المجاهد بأنهم أهل"خلاف وخرق للعرض والشتم الشنيع والتهاون بالعسكر"[٥]،وعلى العكس من ذلك كان أهل اليمن النازلون في بلاد الأشراف فضلاء إذ امتدح العمرى اخلاقهم واثنى على جودهم وكرمهم بقوله "وأهلها أهل سلامة وخير وتمسك بالشريعة ووقوف معها يعضون على دينهم بالنواجذ،ويقرون كل من يمر بهم ، ويضيفونه مدة مقامه حتى يفارقهم " ودلل على مبالغتهم في اكرام الضيف بقوله " وإذا ذبحوا لضيفهم شاه ، قدموا له جميع لحمها ، ورأسها وأكارعها وكرشها وكبدها وقلبها، يأكل ما يأكل ويحمل ما يحمل " [٦] .

---

[١] ابن بطوطة : *المصدر السابق* ، ج٢ / ١٩٩ .
[٢] ابن بطوطة : *نفسه* ، ج٢ / ٢٠٠ – ٢٠١ .
[٣] ابن بطوطة : *الرحلة* ، ج٢ / ٢٠١ .
[٤] صبر : جبل مشهور تقع مدينة تعز في سفح منحدره الشمالى ، وتغطى جوانبه الزراعات المختلفة، وفيه العديد من الحصون المشرفة على المدينة.(راجع:المقحفى،*معجم المدينة*،ص ٢٤٤) .
[٥] الخزرجى : *العسجد* ، ق ٢١٢ ،*العقود* ، ج٢ / ٥٤ .
[٦] العمرى : *مسالك الأبصار* ، ص ١٦٩ ؛ القلقشندى : *صبح الأعشى* ، ج٥ / ٣٨ .

وكان من العادات والتقاليد المتبعة عند كافة أهل اليمن عادة التبرك والتمسح بقبور الأولياء وبيوت الفقهاء والعلماء،وأهل الصلاح والدين،منهم أصحاب المناصب وذوى الكرامات[١]،فكان الرجل المظلوم،أو الخائف على نفسه، يلجأ أحيانا إلي زاوية أو مسجد لأحد هؤلاء الأولياء أو يلجأ أحيانا إلي مدرسة انشأها أحد أقرباء السلطان يلتمس فيها الأمان،ويحتمى فتكون عند ذلك أشبه بالحمى من دخلها صار آمنا على روحه وماله[٢].وكان السلاطين وأولو الأمر غالبا ما يحترمون هذه الاستجارة ولا يقتحمون المكان للقبض على المستجير،من ذلك ما رواه ابن بطوطة عن زاوية الشيخ أبو محمد بن أبي بكر بن عيسى قرب ظفار والتي كان يستجير بها بعض الخائفين على أنفسهم فإذا دخلها أحدهم لم يقدر عليه السلطان فيقول " وفي الأيام التي كنت بها ، أستجار بها كاتب السلطان، وأقام فيها حتى وقع بينهما الصلح [٣] .

وأحياناً أخرى وخاصة في أيام الفتن والاضطرابات الشديدة،كان السلاطين لا يحترمون هذه الاستجارة،ويداهمون المكان المحتمى به ويقبضون عليه ، مثلما حدث أثناء الفتنة التي ألمت باليمن في بداية عهد الملك المجاهد،وقيام بعض أفراد أسرته عليه بقيادة عمه الملك المنصور أيوب بن المظفر يوسف يعاونه عدد آخر من ابناء عمومته،فعزلوه عن السلطنة عام٧٢٢ هـ/١٣٢٢م،ونصبوا عليها المنصور أيوب،ولكن سرعان ما استطاع المجاهد بمعاونة غلمانه وغلمان ابيه المؤيد ، الفكاك من الأسر،واسترداد ملكه،فبدأ يتعقب الخارجين عليه وخاصة أولاد الملوك من أسرته،فلجأ واحد منهم وهو الملك الناصر إلي تربة الفقيه عمر بن سعيد بذى عقيب على مقربة من تعز،واستجار بها،فداهمته عساكر المجاهد،واقتحمت عليه التربة،وأخرجوه منها"و لم يراعوا حق الجوار"[٤].

- المآتم والأحزان

تفنن أهل اليمن في كيفية اظهار الحزن على موتاهم ، فإذا مات فرد منهم، أظهر أهله الحزن عليه ، وتمثل ذلك في قيامهم بجز شعورهم ، وارتداء السواد[٥] . وفي أثناء خروج الجنازة لتشييع المتوفى إلي مثواه الأخير ، جرت عادة أهل اليمن

---

[١] ابن الديبع : *الفضل المزيد* ، ص ١١٧ ، ١٢٣ .
[٢] ابن الديبع : *المصدر السابق* ، ص ١٥ ؛ الأهدل : *تحفة الزمن* ، ق ٤١.
[٣] ابن بطوطة : *الرحلة* ، ج٢ / ٢٠٢ .
[٤] الخزرجي : *الكفاية* ، ق ١٥٥ .
[٥] ابن حاتم : *السمط* ، ص٢٤٣ ، ٢٨٥ ؛ الخزرجي : *العسجد* ، ق ١٠٣ ، *الكفاية* ، ق٨٣ ؛ يحيى بن الحسين ، *انباء الزمن* ، ق ٢٤٤ .

على صياح الرجال والنساء دفعة واحدة تعد بمثابة وداع للمتوفى[1] ، ويصحب ذلك لطم الخدود وشق الثياب [2] . وكان يتبع الجنازة عدد من النسوة يقمن بالنياحة على الميت ، وتكون النياحة بشعر خفيف تلحنه النساء ويتخالسنه فيما بينهن وهن يصحن على المتوفى ، كذلك كان بعض الرجال من الموالى ينوحون بدورهم بألحان عجيبة التراجيع [3] .

وكانت العادة أن يطرح فوق النعوش سواء كان المتوفى رجلا أم امرأة الأقمشة والبشاخانات الحريرية [4] وبعد دفن الميت ، يقام العزاء على القبر لمدة سبعة أيام كاملة ، ويكون ذلك بإحضار المقرئين لتلاوة القرآن [5] ، وكان بعض أقارب المتوفى وخاصة من الأمراء والسلاطين من يبالغ في ذلك ويرتب عددا من المقرئين على قبر المتوفى مدى الحياة ، ومنهم الأشرف الثانى الرسولى الذى رتب على قبر زوجته [6] عند وفاتها عام ٧٩٦ هـ / ١٣٩٣ م عشرين قارئا مؤبدين ، وبنى عشرين بيتا بجوار المقبرة ، وأجرى عليهم الأرزاق ليواصلوا التلاوة عليها [7] .

---

(1) الخزرجى : _العقود_ ، ج١ / ٣٣٠ ، _العسجد_ ، ق ١٨٦ ؛ _الكفاية_ ، ق ١٤٩ ، وراجع أيضا : سعيد عاشور : _المجتمع المصرى_ ، ص ١٠٨ .

(2) الخزرجى : _العقود_ ، ج١ / ٣٣٠ ؛ _العسجد_ ، ق ١٨٦ .

(3) الهمدانى : _صفة جزيرة العرب_ ، ص ٢٠٣ ؛ الخزرجى : _الكفاية_ ، ق ١٤١ ، ١٤٩ ، ٢٣٤ ، _العسجد_ ، ق ٢٨٨ .

(4) الخزرجى : _العسجد_ ، ق ١٧٦ – ١٧٧ ، _العقود_ ، ج١ / ٣٠٠ ، _الكفاية_ ، ق ١٤٢ . ولذا نجد أن البعض كان يوصى عند وفاته بألا يغطى نعشه إلا بثوب من القطن اتقاء للحرمة ومن هؤلاء على سبيل المثال المظفر حسن بن المؤيد الرسولى الذى توفى عام ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م . (راجع : ابن عبد المجيد : _بهجة الزمن_ ، ص ٢٦٨ ؛ الخزرجى : _العقود_ ، ج١ / ٣٣٠ ، _الكفاية_ ، ق ١٤٩ ، _العسجد_ ، ق ١٨٦) .

(5) ابن عبد المجيد : _بهجة الزمن_ ، ص ٢٦٩ ؛ الخزرجى : _العقود_ ، ج٢ / ١١١ ، ١٤١ ، ٢١٧ ، ٢٥٩ ؛ _العسجد_ ، ق ١٦٢ ، ٢٧٢ ، وكان البعض يبالغ في أيام التلاوة من ذلك الأشرف الثانى الذى رتب القراءة لمدة شهر كامل على أم أولاده ، وجلب لها مائة قارئ لذلك . (راجع : الخزرجى : _العقود_ ، ج٢ / ٢٠٩) ، وأحياناً أخرى يأمر بعض الملوك بالقراءة على المتوفى لمدة سبعة أيام في كل أرجاء المملكة مثلما فعل المؤيد حينما توفى ابنه المظفر حسن ، والناصر أحمد حينما توفي والده الملك الأشرف الثانى ، حيث أمرا بالقراءة عليهما سبعة أيام في كل مدينة بأرجاء اليمن . (راجع : ابن عبد المجيد : _بهجة الزمن_ ، ص ٢٦٩ ؛ الخزرجى : _العقود_ ، ج٢ / ٢٥٩ ، _العسجد_ ، ق ٢٧٤) .

(6) هى المعروفة بجهة الطواشى معتب الأشرفى ، ولها العديد من المآثر الدينية منها مجموعة من الأسبلة ، والمدرسة المعتبية بمنطقة الواسطة من مدينة تعز . (راجع : الخزرجى : _العقود_ ، ج٢ / ٢٠٩ – ٢١٠ ، _الكفاية_ ، ق ٢٢٠) .

(7) الخزرجى : _العقود_ ، ج٢ / ٢٠٩ ، _الكفاية_ ، ق ٢٢٠ .

كذلك جرت العادة إذا كان الميت من الملوك أو أحد أفراد الأسرة الحاكمة أن تمد الأسمطة عقب الفراغ من تلاوة القرآن في كل يوم ، وحتى تنتهى الأيام السبعة المحددة للعزاء والتلاوة [(١)] ، وقد يزيد البعض فيأمر بإيقاد شمعة كبيرة على القبر كل ليلة ، وتوقد من أول الليل إلي آخره [(٢)] . ومن بين العادات المتبعة أيضا في المآتم وبخاصة إذا كان الشخص المتوفي من الملوك والسلاطين أو من ذوى المكانة أن ينحر على قبره العديد من الذبائح [(٣)] ، ويعقر عدد من خواص خيله وتقلب عليه السروج [(٤)] .

ومن المعروف أن عادة عقر الخيول على قبر المتوفى وهى عادة كانت سائدة في اليمن آنذاك ، تعد من العادات الجاهلية المستهجنة ، ولذا نجد أن بعض حكام اليمن حينما تحضرهم الوفاة يوصون بألا يهلب عليهم شئ من خيلهم ولا تقلب عليهم السروج ، وبالغ الأتقياء منهم في وصاياهم فنجد بعضهم يوصى بألا تتبع معه احدى العادات الاجتماعية المستهجنة والتى لا يقرها الاسلام البتة " فيوصى بألا يصاح عليه ، ولا يشق عليه ثوب ، ولا يغطى نعشه إلا بثوب من القطن " [(٥)] ، ولا يسود أحد من مماليكه ثوبا [(٦)] ، ولذلك عمد بعض السلاطين بدورهم إلي محاولة منع هذه المساوئ الاجتماعية السائدة في عصرهم ، فنجد الأشرف الثانى يأمر بمنع النساء من السير في الجنائز والنياحة على الموتى ، كما أصدر أوامره بمنع الناس من فرش الثياب على القبور [(٧)] . وبالغ البعض في التشديد على النساء حرمة وصيانة لهن ، فنجد المنصور عبد الله بن الناصر أحمد الرسولى

---

(١) الخزرجى : _الكفاية_ ، ق ١٤٨ . وقد يزيد البعض من الملوك عن ذلك فيأمر باعداد سماط كل ليلة إذا زادت أيام التلاوة عن سبعة مثال ما فعله الأشرف الثانى حينما مد الأسمطة طوال شهر التلاوة على زوجته ، فكان يحضره القراء والمرتبون ، وأطلق الكسوة لهم جميعا والأرزاق المالية والعينية ، وتطرقت نفقته إلي الموكلين على أمر التربة من المؤذنة ، والسرادالية (الموكل إليهم انارة التربة وإيقاد شموعها) ، راجع : الخزرجى : _العقود_ ، ج٢ / ٢١٩ .

(٢) الخزرجى : _العسجد_ ، ق ١٠٢ – ١٠٣ .

(٣) الخزرجى : _الكفاية_ ، ق ٢٢٠ ، _العقود_ ، ج٢ / ٢٠٩ .

(٤) راجع : الخزرجى : _الكفاية_ ، ق ٩٠ ، ١٤٩ ، _العقود_ ، ج١ / ٣٣٠ ، ج٢ / ١٧ ، _العسجد_ ، ق ١١٢ ، ١٨٦ ، ٢٧٦ .

(٥) الخزرجى : _الكفاية_ ، ق ٩٠ ، ١٤٩ ؛ _العقود_ ، ج٢ / ٢١٧ ، ج١ / ٣٣٠ ؛ _العسجد_ ، ق ١٨٦ ؛ يحيى بن الحسين : _غاية الأمانى_ ، ق ١ / ٤٩٠ .

(٦) ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٩٥ .

(٧) الخزرجى : _العقود_ ، ج٢ / ٢٥٥ ، _العسجد_ ، ق ٢٨٨ ، _الكفاية_ ، ق ٢٣٤ .

(حفيد الأشرف الثاني) ، وكان ذا دين وعلم وصلاح ، يعمد إلي إزالة عدد من المنكرات السائدة في أيامه ، فحرم على النساء من أرباب الطرب أن يتخذن الغناء حرفة لهن ، ومنعهن من القدوم إلي الأبواب السلطانية ، وظل هذا المنع قائما حتى انقضاء دولته [1] .

ومن المعتقدات الباطلة التي شاعت عند أهل اليمن ، وصارت من جملة عاداتهم ، حمل التعاويذ والأحجبة التي تشفي من الأمراض على حد اعتقادهم ، فيروى الخزرجي أن أحد الأشخاص شفي من مرض الحمى الذى ألم به ، بعد أن كتب له أحد الفقهاء الصالحين عزيمة علقها معه في عضده ، وحينما فضها للتعرف على ما بداخلها من كلمات ، عاودته الحمى من جديد ، وهكذا تكرر معه الأمر حينما حاول ثانية فتح الحجاب ، ولم تنقطع عنه الحمى ويبرأ منها تماما ، إلا بعد أن كف عن محاولاته تفتيش " العزيمة وقراءة ما كتب فيها " [2] .

ومن بين العادات المستهجنة التي سادت بين بعض قبائل اليمن عادة أخذ الثأر ، والتي كانت تؤدى إلي نشوب الحروب والصراعات المستمرة ، وخاصة إذا كان المقتول من ذوى المكانة في قبيلته [3] . كما شاع في بعض مناطق اليمن تفضيل حكم العرف على حكم الشرع ، وخاصة بين الأعراب والبدو وجماعات الصيادين ، ويوضح ذلك ابن المجاور عند حديثه عن عرب الجبال وبعض مناطق التهائم فيقول " وجميع عرب أهل هذه الأعمل الجبال مع التهائم إلي حدود الحجاز لا يقبل أحدهم حكم الشرع ، وإنما يرضون بحكم المنع ، ولا شك أنه حكم الجاهلية الذى كانوا يتحاكمون به " [4] .

ومن المعروف أن جماعات البدو والمجتمعات القبلية في شتى المناطق ومن بينها بلاد اليمن ، كان يتحكم فيها العرف أو ما يسمي بالقانون العرفى ، ويتم ذلك بمعزل عن حكم الشريعة التي كان عدد كبير من القبائل يجد صعوبة في قبولها

---

[1] ابن الديبع : _قرة العيون_ ، ص ٣٩٢ ؛ الخزرجي : _الكفاية_ ، ق ٢٤٠ .
[2] الخزرجي : _العقود_ ، ج١ / ٢٦٨ – ٢٦٩ ؛
Varisco , Medicine and the herbal in medieval Yemen (in Yemen 3000 Years) P . 321
[3] الخزرجي : _الكفاية_ ، ق ٢٢٢ .
[4] ابن المجاور : _المستبصر_ ، ص ٩٩ .

وتطبيقها ، كذلك كانت لمجتمعات الصيادين نظامها العرفى فكانوا يقومون بتنظيم خلافاتهم وتسوية نزاعاتهم فيما بينهم . وكان المحكمون أو القضاة التقليديون الذين يتولون فض هذه الخصومات هم شيوخ القبائل الذين كانوا يكونون الرئاسة الدينية المنظمة في عائلات تتوارث التكليف في فض المنازعات والخلافات الناشبة [١] .

كذلك تأصلت عادات الجود والكرم بين أهل اليمن وبخاصة في أيام الجدب والقحط الشديد ، فيروى الخزرجى أنه في عام ٨٢٤ هـ / ١٤٢١ م حدث غلاء عظيم وجوع شديد فقام الفقيه الصالح شرف الدين اسماعيل بن عجيل بأمر الناس قياما تاما في بلدته حتى قيل " أنه أطعم في احدى الليالى ثلاثة آلاف نفس " [٢] .

كما كان الأهالى يعمدون إلي تسليف بعضهم الحبوب أو الطعام في أيام القحط أيضا كنوع من التكافل الاجتماعى فيما بينهم ، فكانوا يتسلفون الطعام إلي وقت جمع المحصول الجديد ، وفي احدى السنوات ندر المطر في بعض جهات اليمن من تهامة واحتاج الناس إلي الطعام ، فقام أحد الفقهاء بدعوة الناس إلي قريته ، فوصلوا إليه واسلفهم [٣] ، كذلك كان الفقيه وجيه الدين عبد الرحمن الكاهلى (ت٨٣٦ هـ / ١٤٣٢ م) قاضى إب والسحول وبعدان ، من الموصوفين بالجود والكرم فكان يلازم اطعام طلاب العلم ، ويوسع عليهم في عيدى الفطر والأضحى بالأطعمة الطيبة ، وظل على تلك الحالة من الجواد واكرام الضيف حتى لحقته الديون الكثيرة [٤] .

---

(١) *Serjeant , Societe et Governement , P . 294 .*
(٢) الخزرجى : *الكفاية* ، ق ٢٣٩ .
(٣) المعلم وطيوط : *تاريخ المعلم وطيوط* ، ق ١٤ أ .
(٤) البريهى : *طبقات صلحاء اليمن* ، ص ٨٨ .

(٥)

الأطعمة والأشربة

كان أهل اليمن غاية في التأنق في مأكلهم ، وكانوا يعدون في بيوتهم لا سيما أهل اليسار منهم ألوانا مختلفة من الأطعمة ، ويوضح العمرى ذلك بقوله : " ولأكابرها حظ من رفاهية العيش والتنعم والتفنن في المأكل ، يطبخ في بيت الرجل منهم عدة ألوان،ويعمل فيها بالسكر والقلوب،وتطيب أوانيها بالعطور والبخور " (١) .

وتختلف الأطعمة في بلاد اليمن،باختلاف مناطقها،ووفقا لما يتوافر من منتجات زراعية بكل منطقة ، ففي صنعاء وما يماثلها من المناطق الجبلية المعتدلة الباردة،حيث يزرع القمح والشعير والعلس ، كان خبزهم يصنع عادة من هذه الحبوب(٢).وكان خبز أهل صنعاء يعرف بالرقاق لرقته وشدة بياضه،كما كان خبز النسول ويصنع من بر العلس ، ألطف أنواع الخبز واخفها ، ولهم ضروب عديدة أخرى من ألوان الخبز الذى يتصف بالرقة واللين فهو " ينعطف ولا ينكسر"(٣).

ومن طعامهم أيضا الألبان ، وبخاصة اللبن الرائب وهو أثخن من الزبد في غير اليمن ، مع لذة الطعم ولطف الرائحة . أما الزبد فهو بمنزلة الجبن الرطب في غيرها من الأقطار " ويحمل القطعة فلا يعلق بيدك منها كثير شئ " (٤) . ولهم ألوان أخرى من الطعام والشراب والحلوى منها صنوف السمائد (٥) ، وألوان الكشك

---

(١) العمرى : *مسالك الأبصار* ، ص ١٥٩ ؛ القلقشندى : *صبح الأعشى* ، ج٥ / ٧ .

(٢) جدير بالذكر أن أهل اليمن كانوا يطحنون غلالهم في منازلهم ، حيث أعتادوا تناول الخبز طازجا طريا بمجرد خروجه من الفرن ، وكانت بعض البيوتات بسبب ذلك تعمد إلي صنع الخبز عدة مرات في اليوم حسب الحاجة ، فكانت المرأة تقوم قبل شروق الشمس بوقت طويل لطحن الغلال اللازمة واعداد الخبز (راجع :
Goitein ,The main Industries of the Mediterranean Erea as reflected in the records of the CairoGeniza , (J.E.A.S.H) of the orient , vol IV , Leiden , 1961 , P . 193).

(٣) الهمدانى : *صفة جزيرة العرب* ، ص ١٩٨ .

(٤) الهمدانى : *المصدر السابق* ، ص ١٩٨ .

(٥) وغالب صناعه من اليهود ، وكانوا يستخدمون في صنعه زيت السمسم ، ويتم رشه بأفواه صانعيه، الأمر الذى جعل المسلمين يتحاشون أكله لذلك السبب ، ولكونه قد يمثل ضررا صحيا لمن يتناوله ولذا شاع تحذير كتب الحسبة من استعمال هذه الطريقة في رش الزيت (راجع : *Goitein , op . cit , PP . 194 - 195*) .

والحلبة ، ومعقدات الأترج والقرع والجزر وقديد الخوخ وغير ذلك من صنوف الحلوى طيبة الطعم التي إذا شرع الفرد في تناولها "قضم على طيبه بعض أنامله"[١] ، كذلك كان من أطعمتهم أيضا الشهد الحضوري الجامد الذى يقطع بالسكاكين[٢] .

وكان أهل صنعاء وذمار وشبام يقبلون على تناول اللحوم ، ويفضلون أنواعا منها عن غيرها ، ولعل لذلك علاقة ببرودة الجو في تلك المناطق المرتفعة ، وكانوا يفضلون لحم البقر على لحوم الضأن السمين [٣] . كما كانوا يتعاطون الشراب لا ينقطعون عنه سواء في الصيف أو الشتاء وسواء القوى أو الضعيف [٤] . أما الفاكهة فكانوا يستطيبون ما يزرع في بلادهم منها كالتفاح والمشمش والخوخ والبرقوق والسفرجل والعنب والتين والكمثرى [٥] .

أما في زبيد وما يماثلها من المناطق التهامية الحارة فكانوا يعتمدون في طعامهم على ما تغله أرضهم لا سيما الدخن والذرة ، فكان خبزهم منهما ، ويصنعون منهما عدة أصناف من الأطعمة منها الخفوش ، واللحوح " قطايف بالعسل وأحيانا تؤكل باللبن الزبادى أو القطيب " [٦] ، والفطير ويأكلونه بعد مرسه باللبن،والبعض يعمد إلي خلطه بالجبن والموز والسكر (القند) والحليب [٧]. ومن أطعمتهم السمك ويعرف عندهم باسم " الملتح " [٨] ، ويأكلون الدباء (القرع) مشويا في التنور [٩] . واشهر طبيخهم الملوخية ، وفواكههم البطيخ والموز والعنب [١٠] .

هذا وقد وصف ابن المجاور أهل زبيد بنهمهم ومبالغتهم في الطعام والشراب وفي ذلك يقول : " وليس لديهم حديث سوى الأكل " [١١] . ومما يدل

---

[١] الهمدانى :*نفس المصدر والصفحة* .
[٢] الهمدانى :*صفة جزيرة العرب* ، ص ١٩٨ .
[٣] الهمدانى :*المصدر السابق* ، ص ١٩٨ ؛ ابن المجاور :*المستبصر* ، ص ١٩٢ .
[٤] ابن المجاور :*المستبصر* ، ص ١٩٢ .
[٥] ابن المجاور :*المصدر السابق* ، ص ١٨٥ .
[٦] ابن المجاور :*نفسه* ، ص ٨٦ ؛ حسن إبراهيم حسن :*اليمن البلاد السعيدة* ، ص ١٥٨ .
[٧] ابن المجاور :*نفسه* ، ص ٨٦ .
[٨] ابن المجاور :*نفسه* ، ص ٨٦ ، ٢٤٣ .
[٩] ابن المجاور :*نفسه*، ص ٨٧ .
[١٠] ابن المجاور :*نفسه* ، ص ٨٦ – ٨٧ .
[١١] ابن المجاور :*نفسه* ، ص ٨٦ .

على تفضيلهم للطعام على غيره من متع النفس ما نظمه على بن علــى الســنوى الشاعر حيث يفضل الطعام على الوصال بمحبوبته فيقول :

تريد منى وصالا قلت يا ســكنى رفقا على فإن الجــوع أزرى بى
خذى الثريد إذا ما جئت مقــبلة نحوى ولا تأخذى مسكا وأطياب
واستعملى من فطير الدخن مع لبن وصابحيني به صبحــا على الباب
فإن قلبي إلي حب الفطيــر صبــا وليس قلبي إلي حب النســا صابي[1]

وتتنوع الأطعمة تبعا للمناطق التي تتوفر فيها ومن يسكنها من أهل البداوة أو أهل الحضر ، فالمناطق البدوية يغلب على طعامها اللحم والثريد حيــث يســلق "اللحم بالماء والملح ويثرد الخبز ويقلب عليه السمن الكثير ، فيشرب اللحم بالمرقة ، ويفرق جميع اللحم على الثريد "ويعد هذا طبيخ العرب خاصة ويعرف بالعربية[2] . بينما يغلب على سكان الريف أكل الخبز من البر والدخن الذرة مصــحوبا بــأدام السمن أو اللبن [3] .

أما أهل المدن الساحلية كعدن والشحر والمنذرية وغيرهــا مــن المنــاطق الساحلية اليمنية فيغلب على طعامهم الخبز وأدمهم السمك ، الذى يدخل في معظم ما يصنعونه من أطعمة [4] .

كذلك تختلف الأطعمة وأنواعها باختلاف طبقات المجتمع ومــدى امكانــاتهم المالية،فكان عامة الشعب وأهل الطبقات الدنيا يأكلون ما تيسر لهم حســب أرزاقهــم وكان غالبا ما يشتمل على فطير الدخن واللبن الرائب(الزبادى)،أو أرغفة الخبــز مــن البر،والحلاوة،وأحيانا يشمل طعامهم الحليب والسكر ويعد هذا منتــهى الترف،وقــد أوضح ابن المجاور ذلك بقوله"يقول زيد لعمرو:ما تصبحت اليوم؟يقول:فطــير دخــن وقطيب،أو ملتح وسليط،ويقول مضر لجعفر:ما تعوفت؟يقول:رغيف خبز بــر بفلــس وقطعة حلاوة بأربعة فلوس...ويقول خالد لزيد:إني أكلت اليوم أكلة تكفيني ثلاثة أيام فطير وحليب وقند شرقي وترفت إلي أن شبعت " [5] .

---

(١) ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ٨٧ .
(٢) ابن المجاور : *المصدر السابق* ، ص ٢٢٢ – ٢٢٣ .
(٣) الهمداني : *صفة جزيرة العرب* ، ص ١٩٧ – ١٩٨ .
(٤) ابن المجاور : *نفسه* ، ص ٩٩ ، ١٣٧ ، ٢٤٣ ، ٢٥٣ ، ٢٦٥ – ٢٦٦ .
(٥) ابن المجاور : *نفسه* ، ص ٨٦ – ٨٧ .

هذا بعكس رجال الطبقة الحاكمة وأهل الغنى واليسار من الوزراء والأعيان وغيرهم ، فكانوا يتناولون أشهى المأكولات ، التى تمد لهم على أسمطة واسعة يبلغ طول السماط الواحد منها أحيانا خمسون ذراعا ، ويقدمون عليه العديد من الخراف المشوية وأنواع مختلفة من الحلوى [١] .

ويصف اسماعيل المقرى الشاعر الرسولى أحد الأسمطة التى مدها المنصور عبد الله بن الناصر أحمد الرسولى عام ٨٢٨ هـ / ١٤٢٤ م بمناسبة عيد الفطر ، وما قدم في هذا السماط من الأبعرة المشوية قياما ، مما ينهض دليلا على فاخر ما كان يقدم في هذه المناسبات في بيوت السلاطين من الأبعرة والخراف والطيور . كذلك يدل وصف الشاعر لهذه الأسمطة على أحدى عادات الملوك في الفترة موضوع البحث ، حيث جرت عاداتهم على الاحتفاء الكبير بمقدم العيدين ، وقيامهم بدعوة أعيان الدولة للاحتفال بهذه المناسبة ، ويصف المقرى الشاعر السماط ومدى اتساعه وما كان يشتمل عليه من أطايب الأطعمة :

سماط ما أراه أم مناخ ... لأبعرة تقام وتستناخ
تراها وهى مشوية قياما ... صحاحا ما بمفصلها انفتاخ
قياما في السماط وحولتيها ... طيور وما حواليها فراخ
تحاول أن تطير وأين منها ... مطار ولأكف لها فخاخ
وضان فيه تأكل من كلاها ... وما ببطونها منه انتفاخ [٢]

إلي أن يقول :

فمن منكم رأى جملا سميطا ... كما هو لا انكسار ولا انشداخ
يقوم على قوائمه ويثنى ... ويبرك لانحناء ولا انبراخ [٣]

كذلك عرفت اليمن أصنافا متعددة من الحلوى التى كانت الأسمطة والموائد لا تخلو منها [٤] ، وكان العديد من أهل اليمن يقبلون بشغف على تناولها حتى أن

---

[١] الحبيشى : تاريخ وصاب ، ص ٥٨ .
[٢] طه أحمد أبو زيد : اسماعيل المقرى ، ص ٢٧٥ .
[٣] طه أحمد أبو زيد : المرجع السابق ، ص ٢٧٦ .
[٤] الحبيشى : تاريخ وصاب ، ص ٥٨ .

البعض كان يقول تدليلا على اقبالهم على تناولها " لا نأكل إلا الحلوى " [١] . وقد عددت لنا المصادر الكثير من أنواع الحلوى التي برع اهل اليمن في صناعتها ، منها ما قدم خلال حفل ختان أبناء الأشرف الثاني الرسولي ، حيث ذكر من أصنافها ما يعرف باسم ، المبسوط ، والمشبك ، والقرعية،والشيزرية، والخشكار (المدهون) ، والقطايف المقلية ، والكعك المطابق المحشو ، إلي غير ذلك من ضروب اللوز والفستق وأنواع الزبيب [٢] .

أما أهل البادية فكانوا يتناولون طعامهم المشهور " العصيد أو العصيدة "[٣] وكان بعض الزهاد من أهل اليمن يكتفي في وجباته بشئ من عيش الذرة ، يبتلعه بماء الحمر " عصير التمر الهندى " [٤] ،بينما البعض الآخر من الفقهاء كان يترف قليلا في مطعمه وخاصة عند استضافته لبعض المريدين فتتكون وجبته من الأرز والسمن والعسل والزنجبيل الأخضر [٥] .

ومن أكلات اليمن أيضا المعصوب ، والشقران ، وتقبل على تناولهما المرأة بعد الولادة . كما بينا من قبل [٦] كذلك عمد أهل اليمن إلي صنع أنواع من الأطعمة يتناولونها أثناء أسفارهم الطويلة وخاصة أثناء الحج إلي مكة ، فحرصوا على أن تستمر صلاحيتها مدة طويلة لا يصيبها التلف أو التغير ، من ذلك ما كان يصنعه أهل صنعاء في طبخ اللحم وحفظه ، فكانوا يعمدون إلي إضافة الخل إلي اللحم أثناء الطهى ، فإذا أتم نضجه ، حفظوه في قدور مغطاة ، فيستمر شهرا وشهرين دون أن يصيبه تلف أو تغير فإذا " أتيت بعد هذه المدة فتجده جامدا ، فأسخنته ، فتظهر فيه رائحة يومه " [٧] .

ومن أمثلة الأطعمة التي تستمر طويلا دون أن يصيبها التغير نوع من الخبز عرف عندهم بخبز المَلة ، والكشك والخبز اليابس الذى لا يصيبه التغيير ، وجرت

---

(١) البريهى : _طبقات صلحاء اليمن_ ، ص ٢٠٣ .
(٢) الخزرجى : _العسجد_ ،ق ٢٧٠، _العقود_ ،ج٢ / ١٩٥ ؛راجع أيضا:ابن بطوطة : _الرحلة_ ، ج٣ / ٣٨٢ .
(٣) ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٤٨٢ .
(٤) البريهى : _طبقات صلحاء اليمن_ ، ص ٢٠٣ .
(٥) البريهى : _المصدر السابق_ ، ص ٢١٩ .
(٦) راجع ما سبق ، ص ٤٨٣ .
(٧) الهمدانى : _صفة جزيرة العرب_ ، ص ١٩٧ .

عادة المسافرين منهم وبخاصة الحجيج على أن يتناولوا في نصف طريقهم الأول إلى مكة الخبز طريا،وفي النصف الثانى الخبز اليابس الذى يــدق ويطـرأ بالســـمن ثم يؤكل[1].

وكانوا يستعملون السمن في صنع الخبز المخصص للأسفار ، حتى يظـــل طريا أطول فترة ممكنة ، وكان غالبية أهل اليمن لا يأدمون سواء في سفرهم أو في حالة مكوثهم ببلادهم إلا به ، وبلغ شغفهم بتناول السمن اليمنى أنهـــم كــانوا لا يصنعون حلواهم إلا به ، ويقبلون على شربه لذكاء رائحته ولطفه وخفته [2] .

أما الأشربة فكان أشهرها الثوبيا (السوبيا) والفقاع ، وتروى المصادر أن الفقاع ، كان يشربه الملوك والسلاطين وغيرهم من أعيان البلاد ، فقد وجـد في حفلاتهم ومجالسهم الخاصة ، حتى أن الملك الناصر أيوب بن طغتكين مات مسموما بشراب كوز من الفقاع المسمم [3] . ومن الأشربة الشائعة النبيذ وكان يصنع منه عدة أنواع ، من ذلك نبيذ الفضيح ونبيذ زعفران [4] ، وكان يقبل عليهما خاصة البلاد وعامتهم وبخاصة الفضيح الذى شاع تناوله في موسم جنى التمور .

---

[1] الهمدانى : *المصدر السابق* ، ص ١٩٧ .
[2] الهمدانى : *صفة جزيرة العرب* ، ص ١٩٨ .
[3] الخزرجى : *العسجد* ، ق ٢٧٠ ؛ ابن واصل : *مفرج الكروب* ، ج٣ / ١٣٨ .
[4] راجع ما سبق عن صناعة الخمور .

(٦)

الـــزى

اختلف لباس أهل اليمن حسب مكانة الشخص وطبقتـه الاجتماعيـة ، وتبعا لاختلاف العوامل الطبيعية من حيث المناخ والحرارة والـبرودة ، وكـذلك باختلاف المناطق البدوية والحضرية بحيث أصبح من السهل تمييـز طبقـة الفـرد الاجتماعية وحرفته وعمله بل وديانته إن كان مسلماً أو ذميا ، بدويا أو حضـريا بمجرد النظر إلي هيئته وملابسه ، ونستدل على ذلك من حديث بامخرمة عن الملك سيف الاسلام طغتكين ومدى اهتمامه بالنظر في المظالم ، فيذكر أن رجلا تقدم إليه بمظلمة أثناء وجوده في صنعاء ، فلما وقعت عين طغتكين عليه ورأى هيئته تخالف هيئة أهل البلد استدعاه وسأله عن بلده [١] .

وهكذا كان الزى أساساً للتعبير عن حرفة الشخص وعملـه في المجتمـع، ومن أمثلة ذلك أن سليمان بن شاهنشاه الأيوبى،الذى تولى ملك اليمن بعد مقتـل الناصر أيوب خلع لباس الجند قبل توليه حكم اليمن ولبس لباس الفقـراء وحمـل ركوه على كتفه[٢]،ويذكر السخاوى في سـياق ترجمتـه للفقيـه ابـن الفاقوسـى (ت٨٦٤ هـ/١٤٥٩م)،أنه أقام فترة بزبيد بزى الجند،ثم غير زيه فلبس زى الفقهاء [٣].

وكان لباس السلطان في اليمن ومعظم جنده طبقـا لمـا رواه العمـرى والقلقشندى يتكون من أقبية [٤] اسلامية ضيقة الأكمام ، مزنده على الأيـدى ، وفي أوساطهم مناطق مشدودة ، وعلى رؤوسهم تخافيف [٥] لانس ، ويلبسـون في أرجلهم " الدلاكسات " وهى أخفاف من القماش الحرير الأطلسى والعتابى وغير ذلك [٦] .

---

(١) بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، ج٢ / ١٠٢ .

(٢) ابن واصل : *مفرج الكروب* ، ج٣ / ١٣٨ .

(٣) السخاوى *الضوء اللامع في أهل القرن التاسع*،م٢ ج٤ /بيروت بدون تاريخ ، ص ١٢٨ – ١٢٩ .

(٤) الأقبية : جمع قباء وهو ثوب يلبس فوق الثياب ، وعرف بذلك لاجتماع أطرافه ، وهناك العديد من أنواع الأقبية منها التترية والسلارية والمفتوحة ،أما القباء الإسلامى فيرجح أنه يمتاز بطريقة تفصيل عربية مميزة ومخالفة لغيرها من الأقبية . (راجع : ماير : *الملابس المملوكية* ، ص ٤٢) .

(٥) تخافيف : جمع تخفيفة وهى العمائم الصغيرة الملساء . (ماير : *المرجع السابق* ، ص ٣١) .

(٦) العمرى : *مسالك الأبصار* ، ص ١٥٦ .

ووجد من حكام اليمن من كان يتشبه في زيه بالخلفاء مثل الملك المعز إسماعيل بن طغتكين الأيوبي عقب إدعائه الخلافة فيشير المقريزى إلي أنه جعل " شعاره الخضرة ، ولبس ثياب الخلافة ، وعمل طول كل كم خمسة وعشرين شبرا في سعة ستة أشبار " [١] . وعرفت هذه الثياب الخلافية في اليمن باسم " المقدرات[٢] " ، ويروى الخزرجي تأكيدا لما سبق انه ارتدى لباس الخلفاء ووصفه بأنه يتكون من القمصان ذات الأكمام الطوال الواسعة ، والتي تسمى الثمانية والعشارية ، ويكون طول الكم عشرة أذرع أو ثمانية أذرع " بحيث يكون الملك قاعدا في روشنه ، فيصل أحد الغلمان أو النواب ممن يريد تقبيل يده ، فيرسل الملك كمه من الروشن إلي الأرض ، فيقبل الغلمان كمه نيابه عن يده " [٣] وكانت هذه الأكمام الطويلة سببا في عجزه عن صد هجمات الأكراد عليه عندما هموا بقتله " ، فكان كلما أراد أن يضرب بالسيف استدل عليه الكم " ، حتى انتهى الأمر بمقتله عام ٥٩٨ هـ / ١٢٠١ م [٤] .

أما زى الأئمة الزيدية واتباعهم فتشير المصادر إلي أن لباسهم هو لباس العرب والعمامة والحنك [٥] . وكان أعيان الدولة ووجوهها وغيرهم من ذوى اليسار يرتدون الملابس الحريرية الفضفاضة ، والجوخ المقصب ، ويشتركون جميعا في حمل الجنابي أو الخنجر المثبت في منطقة على الوسط [٦] ، ويشير صاحب بهجة الزمن إلي أن الصاحب موفق الدين على بن محمد اليحيوى ، حينما تقلد الوزارة في عهد المؤيد الرسولى ، استعفى السلطان من لبس الحرير والصوف المقصب لكونهما من المحرمات فيقول " ووضع له ما يوضع للوزراء من رفع الدواة وعقد الطيلسان ، واستعفى السلطان من لِبس الدلكس . ولبس الخلع الحرير من العتاب ... ولم يلبس المحرمات .... " [٧] .

---

[١] المقريزى : _السلوك_ ، ج١ / ق١ / ١٦٠ .
[٢] ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٦٨ ، ٨١ .
[٣] الخزرجى : _العسجد_ ، ق ١٠٤ ، _الكفاية_ ، ق ٨٤ .
[٤] ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٨١ ـ ٨٢ ؛ الخزرجى : _الكفاية_ ، ق ٨٤ .
[٥] العمرى : _مسالك الأبصار_ ، ص ١٦٨ ؛ القلقشندى : _صبح الأعشى_ ، ج٥ / ٥٣ ، ج٧ / ٣٣٤ .
[٦] حسن إبراهيم حسن : اليمن ، _البلاد السعيدة_ ، ص ١٥٣ .
[٧] ابن عبد المجيد : _بهجة الزمن_ ، ص ١٨٣ ـ ١٨٤ .

أما لباس عامة الشعب فكان يختلف في المدن عنه في القرى ، كما كـان يختلف باختلاف المهن والحرف لتتناسب وطبيعة عمل أهل كل حرفة ، ونستدل على ذلك من حديث عمارة اليمني عن أحد حكام الصليحيين وقيامه بـالتخفى في ثياب سلاّط يبيع السليط في احدى معاصر مدينة حيس ، حتى يستطيع دخـول المدينة دون أن يلفت إليه الأنظار بمظهره الأميرى [١] .

ومع تنوع ملابس أهل اليمن بوجه عام ، إلا أن الغالب على زيهم ارتداء الأزر بلا قمصان ، ما عدا القليل منهم والازر هو ما يستر النصف الأسفل من البدن ، كما كانوا يلبسون بدورهم أحيانا ثيابا أشبه بالأقمصة تستر النصف الأعلى للجسم فوق الازار [٢] .

وإذا نظرنا إلي ملابس أهل البادية من الفلاحين والرعاة ، نجد أنها ملابس تغلب عليها البساطة ، فتشتمل على ازار وقمصان كبيرة الجيوب من القطن يغلب السواد على ألوانها ، وينتعلون في أقدامهم نعالا عربية ضخمة ، وبعضهم يحرص على إطالة شعره ، ويميل إلي كشف رأسه ولا يغطيه إلا في أحيـان نـادرة [٣] ، كذلك كان عامة أهل ظفار حاسرى الرؤوس لا يلبسون العمائم ، ولباسهم من القطن ، وهو عبارة عن مئزر يشدونه في أوساطهم عوض السروال ويسمى عندهم فوطة، ويجعلون فوطة أخرى بمثابة الـ داء على الظهر وقاية لهم من شدة الحرارة[٤] .

وتختلف ألبسة العامة تبعاً للمناخ ، فزى أهل الجبال والمناطق الباردة يختلف عن زى عامة أهل تهامة والمناطق الحارة من اليمن ، وشاع في ملابس العامة من أهل صنعاء الثياب الخام لبرودة البلاد ، أما الشباب فكانوا يلبسون "الفتـوحى"[٥] وهى قمصان كما يبدو واسعة ويتم ضمها في الوسط بحزام ، كما كانوا يرتـدون ثياب الخز والكتان والرقائق في الشتاء ، ويلبسون أيضا الصوف والمبطنات ودواويح (فراء) الثعالب . ويذكر الهمدانى أن بعض الأفراد من أهل صنعاء قـد يلبسـون

---

(١) عمارة اليمني : *المفيد* ، ص ١٠٠ .

(٢) المقدسى : *أحسن التقاسيم* ، ص ٩٩ .

(٣) الجندى : *السلوك* ، ج٢ ، ق ٣٢٠ ؛ المقدسى : *المصدر السابق* ، ص ٩٦ ؛ الواسعى : *فرجة الهموم* ، ص ٥٨ .

(٤) ابن بطوطة : *الرحلة* ، ج٢ / ١٩٨ – ١٩٩ ، ٢٠١ .

(٥) ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٨٨ ، ١٩٢ .

ملابس الشتاء في الصيف والعكس فلا تؤذيهم [1] . أما في صعدة فغلب استخدام المنسوجات الحريرية والقطنية " لأن البلاد ظاهرها حار بـــالمرة ، وباطنـــها حـــار لين"[2] أما العلماء والفقهاء والقضاة فكان لباسهم الشاش والملاحف والعمائم[3] . وكانت هذه الملاحف من الجوخ ، وتماثل الجبة في مصر والشـــام فهـــي واســـعة الأكمام مبطنه ببطانة من النسيج ، وأطرافها موشاه بالحرير [4] .

أما في التهائم وغيرها من المناطق الحارة باليمن كزبيـــد وعـــدن والمخـــا وحضرموت فكانوا يتخذون من اللباس ما يناسب طبيعة المناخ ، ففي عدن كـــان لباس عامة أهلها من الكتان والعمائم الملساء ، أما العجم مـــن ســـكانها فكـــانوا يعتمون بذؤابة [5] ، بينما كان لباسهم في زبيد من الحرير ، وكانوا يستخدمون من ألبسة الرأس قلنسوات من خوص النخيل [6] . وكان لباس أهل شبام وحضرموت من المنسوجات القطنية التي يغلب على ألوانها اللون الأزرق وجرت عادتهم علـــى السير حفاة الأقدام حاسرى الرؤوس [7] . أما أهل المخا فكانوا يـــأتزرون بـــإزار واحد يلتف فيه الواحد منهم [8] .

ومن العرض السابق يمكن القول بأن أهل المدن حيث يسود الترف والتحضـــر بين سكانها،كانوا يتأنقون في ملابسهم بحكم كون العديد من أهلها من أعيان الدولـــة ووجوهها من أهل اليسار من التجار وكبار الملاك،فتوفرت لديهم الثياب النفيسة علـــى اختلافها[9]،فأهل صنعاء من مشايخها ووجوه أهلها،تميزوا بأزيائهم الحسنة التي كانـــت مثار أعجاب المعظم توران شاه عند دخوله لها[10]، كذلك عرف أهل زبيد بميلهم إلي " الملابس النظاف " [11] . بينما استمت ملابس أهل البادية كما أوضحنا ببساطة المظهر .

---

[1] الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص ١٩٥ .
[2] ابن المجاور : المصدر السابق ، ص ٢٠٦ .
[3] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص ٣٢٠ .
[4] الواسعي : فرجة الهموم ، ص ١٣٢ .
[5] ابن المجاور : المستبصر ، ص ١٣٦ .
[6] ابن المجاور : المصدر السابق ، ص ٦٨ .
[7] ابن المجاور : نفسه ، ص ٢٥٣ ؛ الشلي : المشروع الروي ، ص ١٥٦ .
[8] المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ٩٩ .
[9] عمارة اليمني : المفيد ، ص ٢٣٤ .
[10] الخزرجي : الكفاية ، ق ٧٤ .
[11] ابن المجاور : نفسه ، ص ٧٠ .

وكانت للنساء أزياء خاصة بهن عند الخروج ، وجرت العادة أن ترتدى المرأة لباس يسمى جوخة ، وتضع على رأسها طرطورا ، وتخرج وقد لفت جسدها بمعجز أشبه بالملاءة ، وممن ارتدت هذا الزى السيدة بنت جوزة كريمة الأتابك سيف الدين سنقر وزوجة المنصور نور الدين عمر بن رسول [١] .

ومن ملابسهن أيضاً " الفتوحى " وشاع ارتداء النساء له في صنعاء وحضرموت وغيرها من ربوع اليمن [٢] كما ارتدين العبلات (العباءات) ، والقناع ، والبريم ، ويتكون من زنارين أحدهما أحمر والآخر أبيض ، وتشده المرأة على وسطها كالنطاق ، وكان هذان الزنارين يزدانان بأصناف الجوهر [٣] . كذلك كانت الجوارى في عدن عند بيعهن يشدون أوساطهم بالمآذر [٤] .

أما الحلى الشائعة في اليمن وأدوات الزينة النسائية فمنها الخلخال(الحجل) والدملج وغيره ، بالاضافة إلي الكحل والعطر ، وقد ذكر ذلك ابن المجاور شعرا فيقول في حلى نساء اليمن :

ويا غزالا مَرّبي — عصراً يجُر الخلعا
محجلاً مُدمْلَجاً — مخَرقا مملجعا
شيعا مظرّفاً — مطوقا مقنّعا
معبلاً محجلاً — مكحلاً مشرّعاً
منعماً معطراً — ملطَّفاً مسرّعاً [٥]

ويبدو من الأبيات السابقة تزين المرأة اليمنية بعديد من أنواع الزينة لاسيما الكحل والعطر ، كما عرف عن نساء حضرموت ميلهن الشديد للزينة فيعمدون إلي تضفير شعورهن وربطها في وسط الرأس كالتاج وتشبه في ذلك تاج الهدهد ، ويطلقون على هذا النوع من التصفيف الطرطر [٦] .

---

[١] ابن حاتم : *السمط* ، ص ٢٩٥ .
[٢] ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٨٩ ، ٢٥٣ . وقد شاع صبغه بالزاج الذى يعكس الوانا متعددة ومتداخلة .
[٣] ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٢٥٥ .
[٤] ابن المجاور : *المصدر السابق* ، ص ١٤٥ .
[٥] ابن المجاور : *نفسه* ، ص ١٣٦ .
[٦] ابن المجاور : *نفسه* ، ص ٢٥٣ .

الباب الثالث

الحيـــــاة العلمـــية

الفصل الأول
مظاهر عناية سلاطين اليمن بالعلم والعلماء

الفصل الأول
مظاهر عناية سلاطين اليمن بالعلم والعلماء

(١) دور السلاطين الأيوبيين والرسوليين في تشجيع الحركة العلمية

أ - عناية السلاطين بالعلم

ب - السلاطين العلماء

ج - عقد المجالس العلمية

د - اهتمام السلاطين بإنشاء المدارس

(٢) التواصل العلمي بين اليمن والأقطار الإسلامية الأخرى

أ - الرحلات المشتركة بين علماء الإسلام في طلب العلم

ب - علماء اليمن الذين أخذوا العلم خارجها

ج - شيوخ العلم الوافدين إلي اليمن من أنحاء العالم الإسلامى

٣- الرحلات العلمية في داخل اليمن

(أ) العلماء المتنقلون بين مراكز العلم اليمنية

(١) دور السلاطين الأيوبيين والرسوليين في تشجيع الحركة العلمية

أ- عناية السلاطين بالعلم:

شهدت بلاد اليمن قبل قدوم الأيوبيين إليها ، نشاطاً فكرياً وعلمياً ملحوظاً ، حيث دأب الحكام وأعيان البلاد من الأمراء والمشايخ على تشجيع العلماء والفقهاء وغيرهم من أهل الأدب والشعر على اختلافهم [1] . الأمر الذى ساعد على ظهور عدد من المبرزين في شتى المجالات لعل من أشهرهم نشوان بن سعيد الحميرى [2] العالم اللغوى الكبير ، والفقيه الأمثل يحيى بن أبي الخير العمراني[3] ، صاحب البيان ومؤسس المدرسة الفقهية الكبرى في اليمن ، التي تخرج

---

[1] الشماخي : *اليمن ، الانسان والحضارة* ، ص ١٧١ .

[2] هو الأمير العلامة الفقيه أبو سعيد نشوان بن سعيد بن نشوان اليمني الحميرى ، ولد بحوث في حاشد شمال صنعاء ، وكان أوحد أهل عصره نبلا وفضلا وعلما عارفا باللغة والنحو والأنساب والتواريخ ، وسائر ما يتصل بفنون الأدب شاعرا فصيحا ، وخطيبا مفوها ، كذلك كانت له اليد الطولى في علم الفرائض وكان بينه وبين علماء عصره العديد من المناظرات العلمية ، كتب له الفوز فيها ، وكان إلي جانب ذلك ذا نفس وثابة لا ترضى إلا بالوصول إلي قمة المجد والجمع بين شرف العلم وشرف الملك ، فخاض من أجل ذلك ميادين القتال ، حتى قبض على زمام الأمور في ناحية صبر .... ثم انطوى بساط ملكه لأسباب عديدة وانزوى آخر عمره في جبال خولان حيث احتفظ بمقاطعة وحصن هناك حتى وافاه الأجل عام ٥٧٣ هـ / ١١٧٨ م ، ومن أشهر مؤلفاته " شمس العلوم، ودواء كلام العرب من الكلوم " وهو من كتب الأدب العامة ويقع في ثمانية أجزاء مرتبا على حروف المعجم ، ورسالة الحور العين وتنبيه السامعين وشرحها ، والقصيدة الحميرية أو النشوانية وهى خلاصة السيرة الجامعة لأخبار ملوك التبابعة ، وكتاب القوافى ، وغيره من المؤلفات . (راجع بالتفصيل : *نشوان بن سعيد : الحور العين* ، تحقيق كمال مصطفى ، بيروت ط٢ ، ١٩٨٥ ، ص ١٦ – ٢٥ من مقدمة المحقق ؛ عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ، ص ٢٩٧ – ٣١٢ ، وانظر أيضا ، ص ٦٨ هـ ٢ من تحقيق د. شكرى فيصل *لخريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهانى*) .

[3] هو الفقيه الإمام جمال الإسلام شمس الشريعة يحيى بن أبي الخير بن سالم بن أسعد بن عمران العمرانى . ولد في مصنعة سير عام ٤٨٩ هـ/ ١٠٩٥ م ، حيث تلقى علومه الأولى ، وحفظ القرآن الكريم ولم يبلغ بعد الثالثة عشرة من عمره ، ثم تفقه بجماعة من أعيان علماء عصره منهم خاله أبو الفتوح بن عثمان العمرانى ، حيث قرأ عليه الكافي في الفرائض " المواريث " للصردفى ، ثم درس على غيره عددا آخر من الكتب في الفرائض والفقه والأصول والحديث والتفسير . وارتحل في طلب العلم في سائر أنحاء اليمن فخرج إلي أحاظه والجند وسهفنه وذى السفال وذى أشرق وغيرها ، ثم توجه إلي مكة حيث أدى الفريضة ورحل للمدينة للزيارة ، ثم عاد لمكة وسمع من علمائها والوافدين إليها حتى صار المرجع الأول في الفقه الشافعي ، وعاد إلي اليمن وتفقه عليه الكثيرون حتى صار صاحب مدرسة فقهية كبرى ، ومن أشهر مصنفاته كتاب البيان وهو من أهم كتب الفقه الشافعي ، وأنجزه في خمس سنوات (٥٢٨ – ٥٣٣ هـ) ، ويقع في عشرة مجلدات (منه نسخة بدار الكتب رقم ٢٥ فقه شافعي) ويروى أنه لما دخل البيان إلي العراق طيف به مرفوعا في أطباق الذهب وقال=

فيها العديد من الأئمة والعلماء الذين ازدهرت بعلمهم البلاد إبان العصر موضـــوع الدراسة ، وقد امتدحه الأهدل وذكر مآثره وأفضاله على الحركة العلمية في اليمن فقاله عنه " ثم صار الفقه في طبقة معظمهم أصحاب الشيخ يحـيى بـن أبي الخـير صاحب البيان " ، حتى يقال أنه ليس في اليمن فقيه إلا من أصـحابه وأصـحاب أصحابه " [١] .

وعندما قدم الأيوبيون إلي اليمن ، عملوا بدورهم على تنشـيط الحركـة العلمية في البلاد ، وتشجيع العلماء والأدباء ، فحظـى أهـل العلـم والأدب في بلاطهم بمكانة مرموقة ، وتشير المصادر إلي أن الملك المعظم توران شاه كان شديد العناية بالعلم ، معظماً للعلماء ، فيذكر ابن سمرة أنه ذهب بنفســه إلي دار الفقيـه الزاهد " أبو بكر بن سالم بن عبد الله بن يزيد ت ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م لزيارته، فاستأذن عليه وتبرك بالسلام عليه " واستسعد بالنظر إليه وسأله الدعاء وأن يمسـح عليه بدنه ففعل " [٢] . وتعُد زيادة توران شاه للفقيه ابن يزيد تعظيمـا لشـخص الفقيه وإجلالاً للعلم . كذلك قرب المعظم توران شاه إليه الأديب الشاعر أبا بكر بـن أحمـد العنـدى الـيمنى [٣] ، وعينــه لمهارتــه الفائقــة في الـنظم

=أهل العراق : ما كنا نظن باليمن انسانا حتى رأينا البيان بخط علوان . كما صنف كتبا أخرى منها كتاب الزوائد ، والانتصار في الرد على " المعتزلة " القدرية الأشرار ، وكتاب غرائب الوسيط،ومختصرا من إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ، وتوفى في ذى السفال عام ٥٥٨ هـ / ١١٦٢ م (للمزيد راجع : الجندى : *السلوك* ، ق ١٠٨ ؛ ابن سمرة : *طبقات فقهاء اليمن* ، ص ١٧٤ ـ ١٨٤ ؛ الشرجى : *طبقات الخواص* ، ص ٣٦٣ ـ ٣٦٥) .

[١] الأهدل : تحفة الزمن ، ق ٨٨ ـ ٨٩ .

[٢] ابن سمرة : *المصدر السابق* ، ص ٢١١ ؛ الأهدل : *تحفة الزمن* ، ق ٩٣ .

[٣] هو أبو بكر بن أحمد بن محمد العندى اليمنى ، ولد بأبين عام ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م ، ونشأ بها وتلقى علومه الأولى وحفظ بها القرآن ، ودخل عدن عام ٥٣١ هـ / ١١٣٦ م ، فاجتمع فيها بالعلماء الوافدين من الآفاق في موسم عدن ولازم العلم حتى تفقه وتأدب ، وفاق أقرانه في النظم والنثر ، ومهر في الحساب وصناعة الكتابة ، حتى ذاع علمه وفضله ، ولما مات محمد بن عزى كاتب الشيخ بلال بن جرير المحمدى مولى بنى زريع على عدن ، جعله كاتبا له فصاحبه ، وصار مدبرا لأمره لا يقطع أمرا دون مراجعته ، وعلت منزلته حتى صار وزيرا لبنى زريع ، وصاحب ديوان الإنشاء بها . وبلغ شغفه بالعلم أنه كان إذا سمع بقدوم قافلة للثغر ، خرج إلي الباب واستخبر عمن بها من الفقهاء والأدباء ، فإذا ظفر بأحد منهم بالغ في إكرامه وأنزله مدة مقامه وزوده عند رحيله وإذا كان باعه في الأدب قصيرا عمل له الشعر على لسانه واستنجز له الصلة ، وأوصاه بمطالعة الأدب وممن فعل معهم ذلك الأديب والمؤرخ عمارة اليمنى عند دخوله عدن المرة الأولى . ولما دخل توران شاه اليمن استخدمه وجعله كاتبا لانشائه ، وامتحن آخر عمره بكفاف بصره وتوفى عام ٥٧٤ هـ / ١١٧٨ م . (للمزيد راجع : الجندى : *السلوك* ، ق ١٥٦ ـ ١٥٩ ؛ العماد الأصفهانى : *خريدة القصر وجريدة العصر* ، ج٣ ، تحقيق د. شكرى فيصل ، دمشق ١٩٦٤ ، ص ١٤٢ ـ ٢٠١ ؛ الفاسى : =

والنثر كاتبا لإنشائه ، حيث تولى كتابة الرسائل إلي أخيه الناصر صلاح الدين الأيوبى [1] .

وكان العزيز طغتكين فقيهاً له مقروءات ومسموعات ، وسمع على القاضى أحمد بن على العرشانى موطأ الإمام مالك [2] ، وكان محباً للعلماء يبجلهم ويرفع منازلهم ويبالغ في إكرامهم [3] وقد انتجعه الشعراء ومدحوه فكان ينعم عليهم ويجزل لهم العطاء ، قدم إليه الشاعر شرف الدين محمد بن نصر بن الحسين بن عنين [4] ، ومدحه بغرر قصائده ، فأحسن إليه وأجزل صلته ، فاكتسب بن عنين من وراء طغتكين مالاً وفيراً وخرج به من اليمن في تجارة ، قاصداً الديار المصرية وسلطانها آنذاك العزيز عماد الدين عثمان بن صلاح الدين فألزمه أرباب الديوان بدفع الزكاة عن تلك المتاجر ، فنظم في ذلك شعراً قارن فيه بين العزيز طغتكين وكرمه وجوده ، وبين العزيز عثمان في تقتيره من ذلك قوله :

ما كل من يتسمى بالعزيز لها أهل ولا كل برق سحبه غدقه

بين العزيزين بون في فعالهما هذاك يعطى ، وهذا يأخذ الصدقة[5]

ونظم ابن عنين الكثير من القصائد—كما ذكرنا—في مدح طغتكين الذى قربه إليه فحظى في بلاطه بمكانة مرموقة،ومن هذه المدائح،قصيدته البائية التى مطلعها :

حبيب نأى وهو القريب المصاقب وشحط نوى لم تنض فيه الركائب[6]

ومن مدائحه أيضا في طغتكين :

= *العقد الثمين* ،ج٨ / ٩ – ١٠ ، وراجع أيضا : العبدلى : *هدية الزمن* ، ص ٦٧ – ٧٣ وجعل الجندى والعبدلى تاريخ وفاته ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م ؛ الأهدل :*نفسه* ، ق ١٠٠ – ١٠١) .

[1] العبدلى : *هدية الزمن* ، ص ٦٧ وما بعدها . حيث أمدنا بنموذج من الرسائل الديوانية الصادرة من ديوان الإنشاء الأيوبى .

[2] الخزرجى : *الكفاية* ، ق ٨٢ ، *العسجد* ، ق ١٠١ ؛ابن الديبع :*قرة العيون* ، ص ٢٨٠ .

[3] حسن محمود :*تاريخ اليمن* ، ص ٢٥٢ .

[4] هو أبو المحاسن محمد بن نصر الدين بن نصر بن عنين الأنصارى ، ولد ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م وكان شاعراً متفننا مطلعا على معظم أشعار العرب ، مولعا بالهجاء وثلب أعراض الناس ، ونفاه صلاح الدين بسبب وقوعه في الناس ، فطاف بالبلاد من الشام والعراق والجزيرة وغيرها ودخل اليمن ، وانضوى في خدمة طغتكين ومدحه وتقرب إليه ، وأقام بها مدة ثم خرج للديار المصرية وعاد إلي دمشق وصار يتردد منها وإليها ، وتولى الوزارة في دمشق لبعض أبناء البيت الأيوبى ، ثم اعتزل الخدمة ، وتوفي في دمشق ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م ودفن في مسجده بأرض المزة على باب دمشق . للمزيد راجع عنه وعن أشعاره ابن خلكان *بوفيات الأعيان*،ج٤ / ١٠٦ – ١١٠ (ت ٦٥٦) .

[5] ابن خلكان : *المصدر السابق* ، ج٢ / ص ٢٠٦ – ٢٠٧ .

[6] عبد الله محمد الحبشى : *أوليات يمانية في الأدب والتاريخ* ، ط١ بيروت ١٩٩١ ، ص ١٨٦ .

وكيف أخاف الفقر أو أُحْرَم الغنى ... ورأى ظهير الدين فيّ جميل
من القوم ، أمــا أحنــفٌ فَمُسَفَّهٌ ... لديهم ، وأما حاتم فبخيل
فتى المجــد أمــا جــارُه فمُمنَّـــعٌ ... عزيز ، وأما جنده فذليل
وأمــا عطــايا مــا له فمباحـــة ... عذَابٌ ، وأما ظِلُّه فظليلُ[1]

واهتم المعز إسماعيل بن طغتكين بدوره بالعلم والعلماء وخــص بعنايتــه الأدباء منهم،وبلغ شغفه بالشعر[2]والسير أن كلف أبا الغنائم مسلم بن محمود بن نعمــة الشيزرى[3]أن يصنف كتابا برسمه،فصنف الشيزرى كتاباً عنونه باسم"عجائب الأسفار وغرائب الأخبار"أودع فيه الكثير من أشعاره،وأخبار الناس[4].وعــرف عــن المعــز إسماعيل جوده وكرمه على الشعراء والأدباء وتقريبه إياهم،فيروى الخزرجى نقــلاً عن الشيزرى أنه " اصطبح ثلاثة أسابيع فأعطى فيها ووهب وذهب في الجود كل مذهب،فحسب ما وهب فيها فكان ستة عشر لكا وهذا غاية الجود"[5].كــذلك مدح نفس هذا الشاعر"الشيزرى"الملك المسعود الأيوبى،الذى اهتم بدوره بــالعلم والتصانيف،فصنف الشيزرى لخزانته مصنفا بعنوان"جمهــرة الإســلام ذات النثــر والنظم" أورد فيها الكثير من الأشعار في مدح المسعود وغيره من أهل اليمن[6] .

---

(1) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج٣ / ٧٢ .

(2) كان المعز إسماعيل ذاته شاعراً بليغاً يروى الخزرجى أن شعره كان مجموعاً في زمنه في مجلد ضخم وهى أشعار جيدة بالنسبة لأشعار الملوك ومن نظمه :

وانى أنا الهادى الخليفة والذى ... يقود رقاب الغلب بالضمر الجرد
ولابد من بغداد أطوى ربوعها ... وأنشرها نشر السماسرة البـرد
ويخطب لى فيها على كل منبر ... وأظهر دين الله في الغور والنجد

(3) (ت فيما بين ٦١٧ ، ٦١٨ هـ / ٢٠ – ١٢٢١ م) وذلك طبقا لابن خلكان (راجع : وفيات الأعيان ، ج٢ / ٢٠٧) ، بينما يجعل الحبشى تاريخ وفاته بعد عام ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م (راجع : أوليات يمانية ، ص ١٨٦) ، ونرجح تاريخ الحبشى ونجعله بعد ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م حيث كان الشيزرى موجودا حتى عام ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م ، وذلك ابان وقعة عصر التى دارت بين أمراء بنى رسول والأشراف وأسفرت عن هزيمة الأشراف ، فانبرى الشيزرى يهنئ بنى رسول بهذا الانتصار (راجع : الخزرجى : العقود ، ج١ / ٤٣) أما والد الشيزرى ويدعى أبو الثناء محمود فكان متصدرا لإقراء النحو بجامع دمشق وتوفى عام ٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م (راجع : ابن خلكان : المصدر السابق ، ج٢ / ٢٠٧) .

(4) ابن خلكان : وفيات الأعيان : ج٢ / ٢٠٧ .

(5) الخزرجى : العسجد ، ق ١٠٣ ، وراجع ما سبق الباب الأول من الرسالة ، حيث أوضحنا مدى كرمه وسخائه على الشعراء وبخله على جنده مما أدى لهلاكه على أيديهم .

(6) ابن خلكان : نفس المصدر والصفحة ؛ الحبشى : أوليات يمانية ، ص ١٨٦ .

وجرى الرسوليون على نهج أسلافهم من بنى أيوب في تشجيع العلم والعلماء فتقربوا إليهم وصاحبوهم ، وحرصوا على زيارتهم في مقار إقامتهم والتبرك بدعواتهم ، وقد حفلت المصادر بإشارات عديدة تدل على مدى ما حظى به أهل العلم والأدب في ذلك العصر أيضا من توقير واحترام ، فيذكر الخزرجى على سبيل المثال أن جد الرسوليين وهو شمس الدين على بن رسول كان محبا للعلماء والصالحين ، مصاحبا للبعض منهم ، حريصا على إجابة مطالبهم ، ممتثلا لإرشاداتهم في أفعال الخير والرفق بالرعية ، وكان الفقيه حسين بن أبى بكر الشيبانى أبرز من صحب من هؤلاء الفقهاء [(١)] .

وتتمثل مكانة العلماء المرموقة في المجتمع اليمنى في تشريف المبرزين منهم بزف مؤلفاتهم ، عند الفراغ منها إلي باب السلاطين ، وإكرامهم نظير ذلك بالجوائز السنية ، والاحتفال بالانتهاء من تصنيفها ، وضمها لخزائن الكتب السلطانية ، احتفالاً مهيباً . ومن الأمثلة الدالة على ذلك ، ما حدث مع الفقيه جمال الدين محمد بن عبد الله الريمى ، عندما فرغ من تأليف مصنفه الشهير المرسوم بـ " التفقيه في شرح التنبيه " ويقع في أربعة وعشرين مجلداً ، فحمل إلي الأشرف الثانى الرسولى عام ٧٨٨ هـ / ١٣٨٦ م ، لضمه لخزانته السلطانية ، وذلك على رؤوس المتفقهين من بيت الفقيه إلي مقام السلطان ، مزفوفا بالطبلخاناه ، وحملت أجزاء التفقيه في أطباق الفضة الملفوفة بأثواب الحرير والديباج ، فحباه السلطان بجائزة سنية مقدارها ٤٨ ألف درهم وذلك " تعظيما للعلم ورفعا لدرجته إذ هو بركة الدنيا والآخرة " [(٢)] .

وكان تقرب سلاطين بنى رسول إلي العلماء يمثل صورة واضحة لتعظيمهم للعلم وتبجيلهم لأهله ، وقد علت همة بعضهم في سبيل النهوض بالمستوى الفكرى للبلاد ، إلي مراسلة مشاهير العلماء من خارج اليمن واستكتابهم في القدوم إلي

---

(١) الخزرجى : العقود ، ج١ / ٤٠ .

(٢) الخزرجى : الكفاية ، ق ٢٠٥ ، العقود ، ج٢ / ١٦٠ ، العسجد ، ق ٢٥٨ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص ٣٨٠ الفضل المزيد ، ص ١٠٤ . وعن جمال الدين الريمى ومنزلته في البلاط الرسولى ووصوله لمنصب قاضى القضاة في المملكة اليمنية ووفاته عام ٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م راجع : الخزرجى : العقود ، ج٢ / ١٨٣ .

اليمن ، مثال ذلك ما روته المصادر عن احتفاء الرسوليين بقدوم الفقيه العلامة اللغوى مجد الدين الفيروز أبادى (ت ٨١٧ هـ / ١٤١٤ م) ، صاحب القاموس، مطلوبا إلي الأبواب السلطانية عام ٧٩٦ هـ / ١٣٩٣ م [١] ، فلما وصل " أكرمه السلطان وأنصفه وأنزله منزلا يليق بحاله وأرسل إليه ... بأربعة آلاف درهم جدد برسم الضيافة " [٢] ، وكان عند وصوله إلي عدن قد صرف له ألف دينار ليتجهز بها للوصول إلي الأبواب السلطانية ، واستمر مقيما في كنفه عاكفا علي نشر العلم والعمل علي الانتفاع به ، وأضيف إليه قضاء الأقضية بالديار اليمنية ، وتزوج الأشرف ابنته ، ونال منه رفعة وبرا [٣] ، ويتمثل الاحتفاء به وبعلمه في صورة أخرى فبعد أن فرغ من كتابة مصنفه الفقهى " الإسعاد بالإصعاد إلي درجة الاجتهاد " وذلك في عام ٨٠٠ هـ / ١٣٩٧ م ، حمل الكتاب مزفوفا بالطبول والمغانى ، وحضر سائر الفقهاء والقضاة والطلبة ، وساروا أمام الكتاب إلي باب السلطان وكان يتألف من ثلاثة مجلدات حملها ثلاثة رجال علي رؤوسهم ، فلما دخل علي السلطان وتصفحه أجاز مصنفه بثلاثة آلاف دينار [٤] .

ومما يروى عن تمسك ملوك بنى رسول بالعلماء وترغيبهم في البقاء ببلادهم حرصا علي تنشيط الحركة العلمية ، ما تذكره المصادر عن الفيروز أبادى أيضا أنه رغب في العودة إلي مكة عام ٧٩٩ هـ / ١٣٩٦ م وطلب من الأشرف السماح له بذلك ، فرد عليه السلطان بقوله " إن هذا الشئ ما ينطق به لسانى ولا يجرى به قلمى ، فقد كانت بلاد اليمن عمياء ، فاستنارت ، فكيف يمكن أن نتقدم وأنت أعلم أن الله قد أحيا بك ما كان ميتا من العلم ، فبالله عليك ، ألا ما وهبتنا بقية هذا العمر ، والله يا مجد الدين يمينا بارة أنى أرى فراق الدنيا ونعيمها ، ولا فراقك أنت اليمن وأهله " [٥] .

---

(١) الخزرجى : *الكفاية* ، ق ٢٢٢ ، *العقود* ، ج٢ / ٢١٨ .
(٢) الخزرجى : *الكفاية* ، ق ٢٢٢ .
(٣) الخزرجى : *الكفاية* ، ق ٢٢٢ ؛ الفاسى : *العقد الثمين* ، ج٤ / ٣٩٢ – ٤٠١ ؛ ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٣٨٢ ؛ الحنبلى : *شذرات الذهب* ، ج٧ / ١٢٦ – ١٢٧ .
(٤) الخزرجى : *العقود* ، ج٢ / ٢٤٤ ، *العسجد* ، ق ٢٨٤ .
(٥) الحنبلى : *شذرات الذهب* ، ج٧ / ١٢٩ – ١٣٠ .

كما استقدم المؤيد الرسولي إلي اليمن في عـام ٧٢٠ هـ / ١٣٢٠ م ، عالم الهندسة الأمير بدر الدين حسن بن أحمد بن المختار وكان من العلماء القلائل العارفين " بعلوم الأوائل من الهيئة والهندسة وعلم المجسطي وكان مشاركا في كـل فن وضاربا في كل علم بنصيب ، ولم يكن في البلاد المصرية ولا البلاد الشامية من يناسبه في معرفته مع اتساعها ، وفرح السلطان بوصوله فرحا شديدا "[(١)] .

ووضع الفقيه البارع أبو عبد الله محمد بن أبى بكر بن محمد بـن حسـن الفارسى (ت ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م) ، بين يدى المظفر الرسولى ، مجموعة مـن المصنفات العلمية ، منها كتاب في الفلك أسماه باسم المظفر [(٢)] ، كما برع في عدة فنون أخرى ألف فيها المصنفات منها كتاب في الموسيقى بعنوان " دائرة الطرب "، وكتاب آخر في وضع الألحان ، وثالث في معرفة السموم ، مما يدل على معرفتـه بالطب والتداوى كذلك وضع كتابا آخر في البيطرة ، بعنوان " التبصرة في علـم البيطرة " [(٣)] . وجدير بالذكر أنه صنف كل هذه الكتب والتواليف في ظل الرعاية التى كان يسبغها عليه السلطان المظفر الرسولى ، مما ينهض دليلا على رغبة ملـوك هذه الدولة في نشر العلوم على اختلافها .

وتحفل المصادر بالعديد من مظاهر اهتمام سلاطين بنى رسول بالعلمـاء ، من ذلك حرص بعض السلاطين على زيارة الفقهاء في دورهم ، والجلوس إليهم ، والتبرك بدعواتهم ، ومن هؤلاء الفقهاء الذين حظوا بالزيـارة السـامية للمظفـر الرسولى الفقيه أبو عبد الله محمد بن عمر " القاضى عمر الهزاز " ت ٦٧٠ هـ / ١٢٧١ م الذى كان المظفر " يجله ويعتقد صلاحه وربما زاره في بيتـه ... وكـان يستدعى دعاؤه كثيرا " ... ولما علم بوفاته ... ، كتـب إلي أولاده يسـألهم أن يدفنوه في التربة الواقعة قبلي جامعه المظفرى في ذى عدينة بتعز " ففعلوا ، ولم يكن يدفن فيها إلا خواص بنى رسول من الأقارب والسرارى والأولاد الصغار " [(٤)] .

---

(١) الخزرجي : العقود ، ج١ / ٣٥٤ .

(٢) ويعرف بالزيج المظفرى ، وله كتاب آخر باسم آيات الآفاق في خواص الأوفاق . (أنظر : الخزرجي : العقود ، ج١ / ١٧٨ . وراجع عن مصنفاته الفلكية ما يلى عن علم الفلك في الكتاب) .

(٣) الخزرجي : العقود ، ج١ / ١٧٨ .

(٤) الخزرجي : العقود ، ج١ / ١٦٠ .

ويروى الخزرجي في معرض حديثه عن اهتمام المظفر الرسولى بالعلم والعلماء،حرصه على زيارة الفقيه أبي العباس أحمد بن محمد بن أسعد(٦٦٧ هـ / ١٢٦٨ م) ، في سهفنه ، حيث تناول الطعام معه [١] ، كما كان يقوم بالإنفاق على العديد من الفقهاء وتزويدهم بما يقوم بحالهم في الدنيا [٢] ، ونهج ابنه الواثق نهجه في العناية بالعلماء والتقرب إليهم ورفع منازلهم ، فيروى الخزرجي أنه حينما كان مقطعا لموزع ، اشتهر بحرصه على زيارة الفقهاء والصالحين في دورهم وسؤالهم الدعاء [٣] .

ومن مظاهر إعزاز هؤلاء السلاطين للعلماء وعنايتهم البالغة بهم وحرصهم على تكريمهم ، مسامحتهم في ضرائب أراضيهم ومزروعاتهم ، ومن أبرز هؤلاء الفقيه الشافعي أبو اسحق ابراهيم بن الحسن الشيباني ، الذى زاره المظفر زمن إمارته في منزله بالخوهة وهي قرية على ساحل حيس ، فبشره الفقيه بالملك بعد أبيه ، فلما صار إليه الملك سامحه في خراج أرضه ، وأراضي أهليه ونخيلهم [٤] . كما سامح أيضا الفقيه أبا الحسن على بن أحمد الأصبحى (ت ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م) وكان يمتلك أرضا زراعية ، وامتدت هذه المسامحة الضريبية لعهد ولده الأشرف الأول ، الذى أمر باستمرارها ، بل قام بزيادة مقدارها مبالغة في تكريم هذا الفقيه لمنزلته العلمية الرفيعة [٥] . كذلك فعل الأشرف الثاني الرسولى مع جماعة من مشاهير علماء عصره منهم مؤرخنا الخزرجي حيث سامحه في خراج أرضه ونخله مسامحة مستمرة مؤبدة مستقرة [٦] . وبلغ من تكريم الدولة للعلماء أن

---

(١) الخزرجي : *العقود* ، ج١ / ١٥٥ .
(٢) الخزرجي : *العسجد* ، ق ١٣٨ – ١٣٩ .
(٣) الخزرجي : *العقود* ، ج١ / ١٩٢ – ١٩٣ .
(٤) الخزرجي : *طراز الزمن* ، ق ١٩ ؛ الأهدل : *تحفة الزمن* ، ق ٨٣ – ٨٤ .
(٥) الخزرجي : *العقود* ، ج١ / ٢٩٢ – ٢٩٤ . وكان الامام أبو الحسن الأصبحى من أشهر علماء عصره وانتهت إليه رئاسة العلم باليمن ، في الفقه والحديث ومن أشهر تصانيفه المعين وغرائب الشرحين ، وأسرار المهذب ، وفتاو كثيرة وغيرها ، ودرس في المدرسة المظفرية وتخرج على يديه جماعة من أبرز فقهاء العصر الرسولى (للمزيد راجع : *العقود* ، ٩٣ – ٢٩٤) .
(٦) الخزرجي : *العقود* ، ج٢ / ١٤٩ ، *الكفاية* ، ق ٢٠١ . كذلك كانت نساء البيت الرسولى يعملن على اكرام العلماء واجلالهم وتعظيمهم ، وتفقدهم بالعطايا الوافرة مثال ذلك أم الملك المجاهد المعروفة بأمنة بنت الشيخ اسماعيل النقاش (راجع : الحبشي : *معجم النساء* ، ص ١٨ – ١٩) .

السلطان كان لا يعطى الذمة لأحد إلا على يد العلماء [١] ، ويعاقب الولاة أن حصلت منهم معارضة لأحكام الشريعة [٢] ، كما كانت تقبل شفاعاتهم دائما مما يدل على المنزلة الرفيعة التي كانوا يحظون بها في البلاط الرسولى [٣] .

ب- السلاطين العلماء

وشغف كثير من حكام اليمن بالدراسة والتحصيل والتأليف في فروع العلم المختلفة ، ومن هؤلاء المنصور نور الدين عمر بن رسول ، الذى درس الفقه والحديث على علماء عصره ومنهم الفقيه أحمد بن ابراهيم بن عمران[٤] (٥٥٧ – ٦٣٣ هـ / ١١٦١ – ١٢٣٥ م) ، وقرأ عليه المنصور في الفقه والحديث ، حيث دأب الفقيه على الصعود للمنصور في حصن تعز ، والاختلاء بالسلطان وإقرائه كل يوم [٥] . كما درس المنصور أيضا على يد شيخ محدثي زبيد آنذاك ويدعى الإمام أبي عبد الله محمد الفشلى [٦] ، وصحب المتصوفة وبالغ في إكرامهم ، لاسيما الشيخ والفقيه صاحبي عواجه وغيرهما [٧] .

ومن ملوك اليمن أيضا الذين تشربوا بحب العلم وتحصيله السلطان الملك المظفر الذى كان محباً لأهل العلم [٨] ، مقبلاً على مجالستهم والأخذ عليهم ، فأخذ من كل فن بنصيب ، فدرس الفقه والحديث والنحو والمنطق على علماء عصره في

---

[١] ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٣٨٦ .
[٢] الخزرجى : *العقود* ، ج٢ / ٢٤٩ .
[٣] الخزرجى : *الكفاية* ، ق ٢٣٨ ؛ ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٣٨٨ .
[٤] تفقه ابن عمران بالامام سيف السنة ودرس عليه الفقه والأصول والحديث والنحو ، وتأثر به تأثرا كبيرا حتى حاكاه في جميع أموره ، ولزم ابن عمران مجلسه ١١ سنة ، ثم أقام بجامع إب للتدريس أغلب عمره ، لم يخرج منه إلا في موت عزيز لديه ، أو للاختلاف إلى بلدته لزيارة رحمه ، ويؤثر عنه أنه نسخ عدة كتب بيده ، وأوقفها على الطلبة وكتب على كل منها أبياتا توضح الغرض من وقفه فيقول :

وقف حرام وحبس دائم الأبد	بقاء رجاء ثواب الواحد الصمد
على الحنابلة المشهور مذهبهم	من آل بيت أبى عمران ذى الرشد
لاحظ فيه لبدعي يخالفنى	أو كان معتقدا ضداً لمعتقدى

وكان المنصور يحبه ويعتقده ورتبه مدرسا في الوزيرية بتعز ، وأجاز لعدد من فقهاء عصره في الحديث . (راجع : الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ٦٠ – ٦١) .
[٥] الخزرجى : *نفس المصدر والصفحة* .
[٦] الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ٨٥ ، *الكفاية* ، ق ٩٩ .
[٧] الخزرجى : *العسجد* ، ق ١٢٣ .
[٨] الأفضل الرسولى : *نزهة العيون* ، ق ٢٦٢ ، *الكفاية* ، ق ١٢٦ .

اليمن ومكة [١] ، كما درس علم الفلك والهندسة [٢] وكانت له في الطب يد طولى، إذ اشتغل منذ أيام شبيبته به اشتغالا كثيرا ، كما ذكر ذلك في كتابه إلي الملك الظاهر بيبرس [٣] .

ويروى الخزرجي حادثة تدل علي تضلعه في العلوم التي درسها وسعة اطلاعه وملخصها أنه طالع نسخة من تفسير الرازى ، فشك أن بها نقصا ، فكتب إلي قاضى القضاة بمصر آنذاك وهو تاج الدين بن بنت الأعز ، فأرسل له أربع نسخ من نفس التفسير المذكور ، فطالعها المظفر ، فوجد بها ذات النقص ، فأوفد قاصدا إلي مدينة هراة بخراسان فرجع إلي اليمن ومعه نسخة المصنف ، فلما قرأت عليه ظهر له النقص في النسخ السابقة ويعلق الخزرجي على ذلك بقوله " فانظر إلي هذه الهمة العالية في تحقيق العلوم والاجتهاد فيها ومطالعة هذا التفسير الجامع المعلوم"[٤] ويؤكد هذه الهمة العالية في التحقيق والاهتمام بضبط الكتب وتحصيلها ما ذكره الفقيه جمال الدين الريمى صاحب شرح التنبيه بقوله " طالعت أمهات كتب الحديث من كتب الخليفة فوجدتها مضبوطة بخط يده ، حتى من رآها يقول لم يكن له فعل غيرها طول عمره ، مع كثرة اشتغاله بالعلم في فنون شتى واشتغاله بأمور المملكة " [٥] .

وقد صنف المظفر الرسولى عددا من المصنفات في شتى العلوم تشهد بتضلعه في العلم ، من هذه المصنفات كتاب في الطب والتداوى بالأعشاب عنوانه " المعتمد في الأدوية المفردة " [٦] ، وفي الفلك صنف كتابا عنوانه " تيسير المطالب

---

[١] عن تحصيله وأسماء علمائه وشيوخه راجع : الخزرجى : _العقود_ ، ج١ / ٢٣٣ ، _العسجد_ ، ق ١٥٨ ؛ الأهدل ، _تحفة الزمن_ ، ق ٩٢ ؛ الفاسى : _العقد الثمين_ ، ج٧ / ٤٨٩ .

[٢] الفاسى : _المصدر السابق_ ، ج٧ / ٤٨٩ .

[٣] الخزرجى : _العقود_ ، ج١ / ٢٣٤ .

[٤] الخزرجى : _نفس المصدر والصفحة_ .

[٥] الخزرجى : _العقود_ ، ج١ / ٢٣٤ ، _الكفاية_ ، ق ١٢٧ . كذلك كان المظفر شديد الاهتمام بدراسة القرآن الكريم وتفسيره فيروى شيخه الفقيه محمد بن الحضرمى أنه كان يكتب كل يوم آية من كتاب الله تعالى وتفسيرها ويحفظها ويحفظ تفسيرها ويدرسها على شيخه غيبا . (راجع : الخزرجى : _العسجد_ ، ق ١٥٨) .

[٦] عبد الله محمد الحبشى : _حياة الأدب اليمنى في عصر بنى رسول_، صنعاء، ط٢ ، ١٩٨٠ ، ص ٦٠ حيث يشير خطأ إلي أن هذا المؤلف لابن المظفر الأشرف عمر . (راجع بيانات النسخة المطبوعة في قائمة المصادر بنهاية الكتاب والموضحة نسبه المؤلف للمظفر يوسف) .

في تسيير الكواكب " ، وكتابا آخر عنوانه " المخترع في فنون الصنع " ، وله أيضا " العقد النفيس في مفاكهة الجليس " [١] ، كما جمع لنفسه أربعين حديثا " عشرين في الترغيب وعشرين في الترهيب " وغير ذلك من الكتب [٢] .

كذلك كان ولده الأشرف عمر " الأول " متبحرا بدوره في عدة علوم ، حيث اشتغل منذ صباه بالعلم فصنف في عدد من فنونـــه ، كالطـــب والبيطـــرة والزراعة وفلاحة الأرض ، والفلك والأنساب وغيرها ، ومن أشهر هذه المصنفات: الجامع في الطب [٣] ، والمغني في البيطـــرة [٤] ، وفي الفلـــك صـــنف كتابـــا في الاسطرلاب ، وآخر عنوانه "التبصرة في علم النجوم " [٥] ، وثالث بعنوان "الدلائل في معرفة الأوقات والمنازل " [٦] . كذلك صنف في الزراعة مصنفا طبـــع تحـــت عنوان"ملح الملاحة في معرفة الفلاحة"[٧]،وفي الأنساب مؤلفا موسوما بـــ " طرفـــة الأصحاب في معرفة الأنساب " [٨] .

أما المؤيد بن المظفر فيذكر عنه الخزرجى وعن اهتمامه بالعلم والعلماء مـــا نصه أنه"كان مشاركا في العلوم،قد أخذ من كل فن وشارك في كـــل علـــم"[٩]، فأقبل على دراسة الفقه واللغة فحفظ " كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ "في اللغة[١٠]،

---

(١) الحبشي : *المرجع نفسه* ، ص ٦٠ .

(٢) الخزرجي : *الكفاية* ، ق ١٢٧ ، *العسجد* ، ق ١٥٨ ، العقود ، ج١ / ٢٣٣ – ٢٣٤ ؛ الفاسي : *العقد الثمين* ، ج ٧ / ٤٨٩ . وراجع أيضا : *العيني* (بدر الدين ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م) : *عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان* ، ج ٣ ، تحقيق د. محمد محمد أمين ، القاهرة ١٩٨٩ ، ص ٢٩٤ .

(٣) الخزرجي : *العقود* ، ج١ / ٢٣٤ .

(٤) الحبشي : *حياة الأدب* ، ص ٦٠ .

(٥) الحبشي : *المرجع السابق* ، ص ٦٠ .

(٦) الخزرجي : *الكفاية* ، ق ١٢٨ ، *العسجد* ، ق ١٦٠ .

(٧) ذكرتـه المصـادر باسم التفاحـة فـي معرفـة الفلاحـة . (راجـع : الخزرجـي : *الكفايـة* ، ق ١٢٨ ، *العسجد* ، ق ١٦٠ ؛ يحيى بن الحسين : *غاية الأماني* ، ق ١ / ٤٧٦ . وراجع الاسم الذى طبع به في قائمة المصادر آخر الكتاب) .

(٨) طبع هذا الكتاب وحقق بعناية زترستين ، في المجمع العلمى العربى ، دمشق ، ١٩٤٩ .

(٩) الخزرجى : *الكفايه* ، ق ١٥٤ .

(١٠) الخزرجى : *الكفاية* ، ق ١٥٤ ؛ ابن تغرى بردى : *النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة* ، ج٩ / ٢٥٣ ، وهـذا المصنـف تـأليف أبـى اسـحاق ابراهيم بـن اسـماعيل الطرابلسـى المعـروف بـابن الإجدابى ، وشـرحه الامـام اللغوى أبـو عبد الله محمد الفاسـى المغربـى ومنـه عدة نسـخ مخطوطـة ومطبوعة (*راجع النجوم* ، ج٩ ، حاشية ١ ، ص ٢٥٣) .

ومقدمة طاهر بن بابشاذ في النحو [1] ، وقرأ كتاب " الجمل " للزجاجى ، كما قرأ كتاب " التنبيه " لأبي اسحق الشيرازى (ت ٤٧٦ هـ / ١٠٨٣ م) ، قراءة محققة [2] . ولم يكتف بذلك ، بل بلغ شغفه بتحصيل العلم والمشاركة فيه أن " طالع الكتب المبسوطة في كل فن وسمع الحديث النبوى من الشيوخ الموثوق بهم ممن سنده عال ، وأجازه الشيخ الامام أبو العباس أحمد بن محمد الطبرى شيخ السنة بالحرم الشريف في البخارى والترمذى وناوله صحيح مسلم وأجازه في باقى الأمهات على حكم روايته التى سمعها واستجازها وما صنفه في كل فن وما وجد له من نظم أونثر " [3] .

ومما يدل على سعة اطلاعه وتشربه للعلم،إقباله على اقتناء الكتب في مختلف العلوم،حتى اشتملت خزائنه على مائة ألف مجلد،كما كان كثير الهبة والعطايا للعلماء في كل مكان،فكانت تحفه على سبيل المثال تصل إلي الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد في كل وقت[4].وكان له عدد من المصنفات أكثرها في فنون الأدب [5]

---

(1) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج٩ / ٢٥٣ وهـ ٢ . وتعرف هذه المقدمة باسم المقدمة المحسنية في العربية وضعها في النحو أبو الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ النحوى المصرى ت ٤٦٩ هـ (أنظر أيضا : الخزرجى ، الكفاية ، ق ١٥٤) .

(2) الخزرجى : الكفاية ، ق ١٥٤ ،العسجد ، ص ١٩٤ ، العقود ، ج١ / ٣٥٩ ؛ ابن تغرى بردى : المصدر السابق ، ج٩ / ٢٥٣ .

(3) الخزرجى : الكفاية ، ق ١٥٤ ـ ١٥٥ ، العسجد ، ق ١٥٣ ـ ١٥٤ ، العقود ، ج١ / ٣٥٩ .

(4) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٥ / ٣١ ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ، ق١ / ٤٩٤ ؛ الحنبلى: شذرات الذهب ، ج٦ / ٥٥ ، وكان في مكتبته عشرة نساخ ينسخون الكتب وترفع إلي خزانته بعد مقابلتها وتحريرها (راجع : ابن عبد المجيد: بهجة الزمن ، [تحقيق حجازى] ، ص ١٣٣) . أما الشيخ ابن دقيق العيد فهو تقى الدين أبو الفتح محمد بن على بن وهب بن مطيع القشيرى القوصى أحد الأئمة المعدودين في الديار المصرية في ق ٧ هـ / ١٣ م جمع بين العلم والدين ولد في عام ٦٢٥ هـ / ١٢٢٧ م ونشأ بقوص وتفقه بها ثم رحل إلي مصر والشام وأخذ على علمائها ومنهم عز الدين بن عبد السلام وانتهت إليه رئاسة العلم في زمانه وشدت إليه الرحال ، برع في العديد من فروع العلوم الدينية وبخاصة علم الحديث فكان استاذ زمانه فيه وله عدد من المصنفات منها الالمام في الحديث وشرحه ، وشرح العنوان في أصول الفقه ، وشرح العمده وكتاب في أصول الدين وله ديوان خطب علاوة على نظمه الشعر وتوفي عام ٧٠٢ هـ / ١٣٠٢ م (راجع : الأدفوى :كمال الدين جعفر بن ثعلب (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) : الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد ، تحقيق سعد محمد حسن ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٥٦٧ ـ ٥٩٩ ؛ السيوطى : الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر : حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، جزءان ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم : القاهرة ٦٧ ـ ١٩٦٨ ، ج١ / ٣١٧ ـ ٣١٨ ؛ أسامة أحمد إسماعيل : الإسكندرية ص ٩٣٢ وهـ ١ .

(5) الخزرجى : العقود ، ج١ / ٣٥٩ ، الكفاية ، ق ١٥٥ .

كما اختصر كتاب الجمهرة في البيزرة ، ويذكر الخزرجي أنه أوضح في مختصره ما لم ينبه عليه صاحب الكتاب [١] .

وكان المجاهد الرسولى على حد قول ابن الديبع ملكا عالى الهمة ، شريف النفس أديباً ، لبيباً ، فقيهاً ، نبيهاً ، شاعراً ، فصيحاً ، مشاركاً في عدة من فنون العلم ، ويقال أنه كان " أعلم بنى رسول " [٢] ، وكان محبا للعلماء مشفقاً عليهم ، يستمع إلي نصحائهم ويأخذ بها [٣] . وتذكر المصادر له عدداً من المصنفات منها ديوان ضم فيه أشعاره [٤] ، ومصنف آخر عن الفلاحة وزراعة الأرض بعنوان الإرشاد في علم الفلاحة [٥] ، كذلك وجه اهتمامه بالبيطرة وطب الحيوان ، فصنف كتابا وصلنا عن الخيل تحدث فيه عن أنواعها وصفاتها وبيطرتها ، كما ذكر فيه الوباء الذى ألم بالخيل في اليمن في عصره وأهلك الكثير من خيولها عنوانه " الأقوال الكافية والفصول الشافية في الخيل " .

كما كان الأفضل بن المجاهد مشاركاً للعلماء في عدة فنون من العلم ، عارفاً بالنحو والأدب واللغة والأنساب والتاريخ ، له مصنفات في عدة علوم منها علم السياسة ، وصنف فيه كتابا بعنوان " نزهة الظرفاء وتحفة الخلفاء " وهو كتاب مبوب على عدة فصول [٦] ، وصنف في الزراعة كتابا عنوانه " بغية الفلاحين في الأشجار المثمرة والرياحين " . ووضع في التاريخ عدة مصنفات جيدة منها كتابه " العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية " وهو مصنف يحتوى على طبقات فقهاء اليمن وكبرائها وملوكها ووزرائها ، وكتاب " نزهة العيون في تاريخ طوائف القرون " ، وكتاب " نزهة الأبصار في اختصار كنز

---

[١] الخزرجي : *العقود* ، ج١ / ٣٥٩ ، *العسجد* ، ق ١٩٤ ، *الكفاية* ، ق ١٥٥ .
[٢] ابن الديبع : *الفضل* ، ص ٩٨ ؛ وراجع أيضا : الخزرجي : *العقود* ، ج٢ / ١٠٥ .
[٣] الخزرجي : *العسجد* ، ق ١٠٤ ؛ ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٣٦٨ .
[٤] راجع نماذج من أشعاره من المخمسات الخزرجي : *العقود* ، ج٢ / ١٠٥ – ١٠٦ .
[٥] أنظر : تحقيق د. محمد عبد الرحيم جازم لكتاب *ملح الملاحة في الإكليل* ، العدد ١ سنة ٣ ، صنعاء ١٩٨٥ ، ص ١٦٧ . وأيضا : مقدمة مخطوطة الأفضل الرسولى الموسومة بـ " بغية الفلاحين في الأشجار المثمرة والرياحين " .
[٦] الحبشي : *حياة الأدب* ، ص ٦٠ .

الأخيار" ، كما اختصر وفيات ابن خلكان " [١] ، وله مصنف آخر في الأنساب بعنوان " بغية ذوى الهمم في معرفة أنساب العرب والعجم" [٢] وغير ذلك .

وكان ابنه الأشرف إسماعيل مؤثراً للعلم والعلماء متفننا في العلوم ، مشغولاً بها ، شغف بدراسة النحو والفقه والحديث والتاريخ والأنساب على علماء عصره ويأتى في مقدمتهم مجد الدين الشيرازى الفيروز أبادى صاحب القاموس ، وعبد اللطيف أحمد الشرجى (ت ٨٠٢ هـ / ١٣٩٩ م) ، الذى لازمه في مجالسه العلمية وقرأ عليه في النحو [٣] . كذلك حظى الفقيه عبد العزيز بن أحمد الربيعى الفارقى (ت ٨٦٨ هـ / ١٤٦٣ م) ، بمكانة مرموقة في البلاط الأشرفى، وتنقل مع الأشرف أينما انتقل سواء إلي تعز أو إلي غيرها [٤] . ويعد الأشرف الثانى آخر من اشتغل بالتأليف من ملوك بنى رسول في التاريخ والنحو والفلك ، ويذكر السخاوى في ذلك أنه كان من عادته في التأليف أن يشرع في أبواب الكتاب الرئيسة ثم يأمر من يتمها بعد ذلك بما نصه " .... وذلك أنه كان يضع وضعا ويحد حدا ، ثم يأمر من يتمه على ذلك الوضع ، ويعرض عليه فما ارتضاه أثبته ، وما شذ عن مقصوده حذفه ، وما وجده ناقصا أتمه .... " [٥] . ومن المصنفات المنسوبة إليه كتاب " فاكهة الزمن ومفاكهة الآداب والفطن في أخبار من ملك اليمن " .

وهكذا يمكن القول بأن اشتغال ملوك الدولة الرسولية بالتأليف يدل على إقبالهم على العلم ، وتميزت مؤلفاتهم بالاهتمام في المقام الأول بالجانب العلمى من تلك العلوم فكتبوا في علوم الطب والفلك والبيطرة والزراعة وغيرها من فنون العلوم التطبيقية .

---

[١] الخزرجى : العقود ، ج٢ / ١٣٥ ، العسجد ، ق ٢٤٨ ؛ الواسعى : فرجة الهموم ، ص ١٩٥ .
[٢] الخزرجى : العقود ، ج٢ / ١٣٥ ، العسجد ، ق ٢٤٨ ؛ ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص ١٠٢ ، السخاوى : الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (تحقيق روزنتال) ، دار الكتب العلمية ، بدون تاريخ ، ص ٢٨٨ .
[٣] ابن القاضى : درة الحجال في أسماء الرجال، ج٣ ،تحقيق د. محمد الأحمدى أبو النور ، القاهرة ، ٧٠ ــ ٧١ ، ص ١٦٩ ــ ١٧٠ ؛ السخاوى : الضوء اللامع ، م٢ / ٢٩٩ .
[٤] السخاوى : الضوء اللامع ، م٢ / ص ٢١٢ (ت ٥٤٣) .
[٥] السخاوى : الضوء اللامع ، م٢ / ص ٢٩٩ (ت ٩٢٢) .

ج- عقد المجالس العلمية

كذلك كانت المجالس العلمية والأدبية والدينية مظهراً من مظاهر اهتمام سلاطين وملوك اليمن بالعلم والجلوس إلي العلماء والسماع إليهم،ويصور الشاعر إسماعيل المقرى من خلال بعض أشعاره اهتمام السلطان الأشرف الرسولى الثانى بعقد هذه المجالس والمداومة على حضورها،وأهم هذه المجالس ما كان يعقد في رمضان تحت اسم مجالس التشفيع،حيث جلس هو بنفسه في إحداها وسمع صحيح البخارى على القاضى مجد الدين الفيروز أبادى وذلك في عام٧٩٨ هـ/١٣٩٥م [١].

وقد نظم الشاعر إسماعيل المقرى قصيدة في مدح الأشرف لعقده مثل هذه المجالس العلمية ، صور فيها هذا المجلس وما دار فيه من دراسات قرآنية وتلاوة لأى الذكر الحكيم وسماع الحديث النبوى نطالع منها :

أقمت شعار دين الله فيه ... بما أحييت من هذا المقام

جمعت على الصلاة تصف فيه ... ذوى الألباب والهمم السوامى

فمن بحر من العلماء طام ... ومن ليث من العظماء حامى

وقد لبسوا السكينة واستلاثوا ... جلابيب الحيا والاحتشام

فلا الأسماع تستملى حديثا ... ولا الأفواه تنطق بالكلام[٢]

وفي قصيدة أخرى يصور مجلسا من هذه المجالس والتفاف أهل العلم حول الأشرف الرسولى ، نذكر منها :

وحلقة علم يسقط الطير فوقها ... منزهة الأرجا عن اللغو والهجر

بها ظل أهل العلم حولك عكفا ... كما عكفت زهر النجوم على البدر[٣]

كذلك يصور ما كان يتلى في هذه المجالس من آى الذكر الحكيم في قوله:

وقامت حولك القراء تتلو ... حكيم الذكر والآى العظام

مرجعة بأصوات حسان ... مغردة كتغريد الحمام[٤]

---

[١] الخزرجى : العقود ، ج٢ / ٢٣٥ - ٢٣٦ .

[٢] طه أحمد أبو زيد : اسماعيل المقرى ، ص ١٧ - ١٨ .

[٣] طه أحمد أبو زيد : اسماعيل المقرى ، ص ١٦ .

[٤] طه أحمد أبو زيد : اسماعيل المقرى ، ص ١٥ .

ويصور الخزرجى بأشعاره أيضا اهتمامات الأشرف الثاني بالعلم والعلماء وذلك من خلال ترتيب الأشرف لمجموعة من العلماء للتدريس في جامع المملاح فيقول :

في جامع رحب الفناء فسيح	السوح لاضنك ولا وعر
وجمعت فيه العلم أجمعه	في المذهبين رفيعى القدر
والسبعة القراء كلهم	برواية المقرئ عن المقرئ
وكذا الفرائض والحديث وعلم	النحو والتصريف والشعر[1]

د - اهتمام السلاطين بإنشاء المدارس

ومن مظاهر عناية حكام اليمن في الفترة موضوع الدراسة أيضا إقبالهم على إنشاء المدارس والمساجد وغيرها من المنشآت في شتى أنحاء اليمن ، وشاركهم في ذلك كما سنوضح في الفصل الثالث من هذا الباب والباب الرابع بفصليه الكثير من أفراد بيتهم ، ومن يلوذ بهم من الأمراء والكبراء ورجال الحاشية ، وأهل اليسار والعلم من أبناء اليمن ، ورأينا إنفاقهم من مالهم الخاص على بناء تلك المؤسسات التعليمية ، ووقفهم الأحباس الهائلة للصرف من ريعها على مصالح تلك المنشآت والقيام بالإنفاق على المرتبين فيها من مدرسين ودرسة وموظفين . وقد عرفت هذه المدارس تدريس كل العلوم الإسلامية على مختلف أنواعها كالعلوم الشرعية واللغوية والأدبية ، بالإضافة إلي العلوم العقلية من فلك وطب وهندسة وحساب ومنطق وغيرها .

---

(1) *راجع باقي القصيدة في العقود* ، ج٢ / ١٧١ ـ ١٧٣ ؛ كذلك كان الأشرف اسماعيل بن الظاهر يحيى (٨٤٢ ـ ٨٤٥ هـ / ١٤٣٨ ـ ١٤٤١ م) محبا للعلم والعلماء والفقهاء معظما لحملة الشريعة ، مقصودا من قبل الشعراء فيعطيهم عطاء جزيلا . (راجع : ابن اسير : *الجوهر الفريد* ، ق ٤) . كما كان لأمراء الدولة الرسولية أيضا مشاركة واضحة في العلم وتعظيما لقدره من هؤلاء الأمير أسد الدين محمد بن الحسن بن رسول الذى كان يجالس الفقهاء والمحدثين بتعز ونسخ بيده العديد من المصنفات والمصاحف ووقفها على عدد من المساجد . كذلك كان الواثق نور الدين إبراهيم بن المظفر (ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م) ، من ذوى المعرفة بالأدب والمشاركة في الفقه والنحو ناظما للشعر ، ويجيز الشعراء بالجوائز السنية (راجع : الأفضل : *العطايا* ، ق ٢٠٤ ؛ الخزرجى : *العقود*، ج١ / ١٧٩ *العسجد* ، ق ١٥٤ ، ١٨٥ ، *الكفاية* ، ق ١٢٣ .

وكان بكل مدرسة مدرس للفقه ومعيد ومعلم لتحفيظ الصــبية الأيتــام القرآن الكريم ، فضلا عن إمام ومؤذن وبعض القومة للإشــراف علــى شــئون المدرسة، كذلك كان يرتب في المدرسة عشرة مــن الطــلاب لدراســة الفقــه ، ومجموعة من الصبية الأيتام لتعلم القرآن ومبادئ القراءة والكتابة . وكــان يتــولى التدريس في بعض المدارس مدرس لتدريس الحديث النبــوى الشــريف ، وآخــر لتدريس اللغة وقواعد النحو ، ومدرس ثالث للقراءات يقرئ الطلبة القراءات السبع لألفاظ القرآن الكريم .

ولم تكن المدارس وحدها هى القائمة بمهمة التعليم والتنوير ، بل قامــت المساجد بدور بارز في هذا المجال حيث اعتاد مؤسسو المساجد ترتيــب مدرســين وعدد من الدارسين معهم ، ومعلم لتعليم القرآن للصبية الأيتــام ، وينفــق علــى الجميع بما فيهم الإمام والخطيب والمؤذن وغيرهم من القائمين بوظــائف الخدمــة والإدارة ، من ريع الأحباس التي يحبسها منشئ المسجد لهــذا الأمــر [(١)] . وقــد انشئت أعداد كثيرة من المدارس والمساجد وتنافس في انشائها حكام اليمن وأمراء البيت الأيوبي والرسولى ومن يلوذ بهم ، حتى وصل عدد المدارس والمساجد علــى سبيل المثال في مدينة زبيد وحدها زمن الأشرف الثانى الرسولى ما ينيف على مائتين وثلاثين مدرسة ومسجدا ، وكان لهذه المدارس والمساجد الفضل الأعظم في تحمل الجانب الأكبر من رسالة التعليم وإثراء الحركة الفكرية في اليمن [(٢)] .

---

(١) راجع ما يلى *الفصل الثالث من هذا الباب* .

(٢) راجع *ما سبق من الكتاب* .

(٢) التواصل العلمي بين اليمن والأقطار الإسلامية الأخرى

أ- الرحلات المشتركة بين علماء الإسلام في طلب العلم :

ساهمت الرحلة العلمية في توطيد الروابط الفكرية بين اليمن والأقطار الإسلامية ، الأمر الذى جنب بلاد اليمن العزلة الفكرية عن بقية الأقطار العربية الإسلامية الأخرى ، وبالتالى عملت الرحلة على الارتقاء بمكانة اليمن ، كواحدة من المدارس الدينية في العالم الإسلامى ، ومن المعروف أن الرحلة في طلب العلم ، ولقاء شيوخ العصر كانت من أبرز الأسباب التي ساعدت على خلق البيئات الثقافية ، فعن طريقها يحدث تواصل الأفكار والأراء التي ينقلها شيوخ العصر في العلم والمعرفة أينما حلوا إلي المراكز العلمية التي يسعون إليها ، أو إلي الطلاب الذين يسعون بدورهم إليهم في معاهدهم ومدارسهم للاستزادة منهم .

وهكذا كانت الرحلة العلمية لبلاد اليمن ضرورية لحاجتها إلي روافد فكرية تساهم في إثراء حركتها العلمية ، وتحقيقا لذلك لم يتردد حكام اليمن في إيفاد طائفة من طلاب العلم اليمنيين لتلقى العلم في الأقطار الإسلامية التي ضربت بسهم وافر في الحقل العلمى ، ومنها مصر والشام والحجاز وخراسان والعراق وغيرها من المراكز العلمية التي كان لها تأثير فكرى متميز على بلاد اليمن ، نظراً لموقعها الدينى من ناحية ، وقربها جغرافياً من اليمن من ناحية أخرى ، فقد وفد إليها الكثير من علماء المسلمين من شتى الأقطار الإسلامية بدوافع دينية لتأدية الحج والعمرة ، ثم عرج بعضهم إلي بلاد اليمن ، حيث قاموا بالتدريس في مدارسها ومساجدها،كذلك وفد إلي مكة الكثير من طلاب اليمن حيث تلقوا علومهم على شيوخها من أهل الحجاز أو الوافدين إليها من شتى أنحاء العالم الإسلامى شرقية وغربية،وأخذوا عنهم الكثير من المعارف والعلوم ، لاسيما الشرعية منها[١] .

كذلك وفد إلي اليمن العديد من العلماء والأدباء مما ساهم في نشاط الحركة العلمية والأدبية وازدهارها وكان للعراق دورها البارز في مجال إثراء العلاقات الفكرية مع اليمن ، حيث ارتحل للعراق الكثير من طلاب العلم اليمنيين

---

[١] الحبشى : حياة الأدب اليمنى ، ص ٦٥ – ٦٦ .

فأخذوا على علمائه الكثير من مصنفاتهم ومروياتهم ، كما وصل إلي اليمن عدد من علماء العراق وأدبائه وشعرائه ، وكانت لهم اسهاماتهم الفكرية والأدبية المتنوعة ، وعن طريق الرحلة العلمية انتقلت المصنفات العلمية من اليمن إلي العراق وبالعكس، الأمر الذى ساعد على تطور الحركة الفكرية ، ومن أبرز المصنفات العراقية التى دخلت إلي اليمن ، تواليف الامام أبى اسحق الشيرازى (ت٤٧٦ هـ/ ١٠٨٣ م) ، والامام الغزالى (ت ٥٠٥ هـ / ١١١١ م) وغيرهما [١] .

وساهمت اليمن بنصيب وافر في نشر الثقافة العربية في افريقيا والهند إذ ورد عليها العديد من الطلبة الأفارقة ، وأخذوا على علماء اليمن ، وقد ذكر ابن سمره عددا من هؤلاء الطلاب الذين درسوا على أيدى علماء اليمن [٢] ، وصار هؤلاء الطلاب بعد ذلك علماء في بلادهم ، فكانوا بمثابة جسر ثقافى يربط بين اليمن وافريقيا ، إذ أسهموا بعد عودتهم إلي بلادهم في نشر الثقافة العربية فيها ، ومن هؤلاء الفقيه السيد يوسف بن عبد الله المزكى ، الذى تولى التدريس في كلجور ببلاد الحبشة [٣] . ومنهم من استقر في بلاد اليمن بعد تفقهه وصار معلما لمن يفد إليه من أنحاء افريقيا من طلاب العلم ، ومن هؤلاء الفقيه أحمد بن مطروح الحبشى الذى درس الفرائض والفقه واستقر في ذى أشرق ، وتفقه به جملة من طلاب زيلع الوافدين إلي اليمن [٤] . ووفد إلي اليمن أيضا عدد من طلاب الهند ، درسوا على أيدى علماء اليمن ونقلوا مصنفاتهم معهم عند عودتهم إلي الهند [٥] .

ب- علماء اليمن الذين أخذوا العلم خارجها

وكان لبعض علماء اليمن أيضا اسهاماتهم الفكرية ، خارج اليمن في الأقطار الاسلامية التى ارتحلوا إليها ومن هؤلاء على سبيل المثال :

---

[١] مثل كتاب التنبيه للشيرازى وغيره . (راجع : ابن تغرى بردى *النجوم* ، ج٩ / ٢٥٣) .

[٢] من هؤلاء الطلاب زكى بن عبد الله الحبشى ، وموسى بن يوسف ، وأبو القاسم بن عبد الله ، وابراهيم بن محمد المثنى ، وعبد الله بن عبده ، وأحمد بن المزكبان ، وهؤلاء جميعا من زيلع ومقديشيو ، كذلك ذكر ابن أسير عددا آخر من طلاب زيلع وجبرت ومقديشيو (راجع عنهم : ابن سمرة : *طبقات فقهاء اليمن* ، ص ٢٠٩ ؛ ابن أسير : *الجوهر الفريد* ، ق ٩٢) .

[٣] ابن سمرة : *طبقات فقهاء اليمن* ، ص ٢٠٩ - ٢١٠ .

[٤] ابن سمرة : *طبقات فقهاء اليمن* ، ص ٢٠٩ .

[٥] ادريس : *نزهة الأفكار* ، ق ٤١ ؛ يحيى بن الحسين : *أنباء الزمن* ، ق ١٠٦ .

الفقيه أبو عبد الله الحسين بن يوحن بن أبويه بن النعمان الباورى اليمني الذى خرج من بلده لطلب العلم،فطاف البلدان سعيا وراء الثقافة،وسمع من شيوخ الحديث،في بغداد،وأصبهان وغيرها،ودخل مكة وحدَّث هناك،فأخذ العلم عنه جماعة من علمائها منهم الحافظ محمد بن سعيد الدبيثى،وحدَّث أيضا ببغداد فأخذ عنه بعض علمائها منهم أبو الحسن على بن محمد بن عبد الكريم الجزرى وغيره ، ثم استقر به المقام في النهاية بأصبهان حيث توفى عام ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م [١] .

ومنهم الفقيه ومفتي الحرم محمد بن مفلح بن أحمد الأبيني العجيبي [٢] ، الذى انتقل من اليمن إلي مكة حيث أقام فترة يدرس ويفتي ، وإليه انتهت رئاسة الإفتاء بمكة ، توفي في أواخر المائة السادسة [٣] ، ومنهم أيضا تقي الدين أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن أبي الصيف الزبيدى اليمني،أحد علماء عصره في الفقه والحديث،انتقل إلي مكة واستوطنها ، وسمع على أبرز شيوخ الفقه من أهلها، وجلس لإقراء الحديث وتدريس الفقه والفتوى حتي انتهت إليه رئاسة الفقه بمكة بعد الفقيه محمد بن مفلح الأبيني،ومكث هناك لنشر العلم،وصدرت له عدة مصنفات في الحديث والرقائق انتفع بها الناس انتفاعا كليا،منها كتاب أسماه "الميمون " تضمن الأحاديث الواردة في فضائل اليمن وأهله،وله نكت مفيدة على التنبيه،وجمع أربعين حديثا عن أربعين شيخا من أربعين مدينة،وله مصنف آخر في فضائل رجب وشعبان ورمضان،وقد ارتفعت منزلته العلمية بين أهل مكة،حتي صار يلقب بشيخ الحرمين،واتصل بعدد من أكابر فقهاء عصره ومحدثيه كالحافظ السلفي،وابن الجوزى وغيرهما،وكان من الحفاظ المكثرين عالى الإسناد،مجتهداً وكانت أكثر أسانيد أهل اليمن تنتهي إليه،وأخذ عنه جماعة كثيرة العدد من أهل مكة وغيرهم ، وظل بها إلي أن وافته المنية عام ٦٠٩ هـ / ١٢١٢ م [٤] .

---

[١] الأكوع : *البلدان اليمانية* ، ص ٣٩ ؛ محمد رضا الدجيلي : *الحياة الفكرية في اليمن في ق ٦ هـ* ؛ منشورات مركز دراسات الخليج العربى ، البصرة ١٩٨٥ ، ص ٩١ .

[٢] وهو من قرية الطرية إحدى قرى ابين وينتسب إلي قوم هناك يعرفون بالعجيبيين (راجع : الجندى: *السلوك* ، ج١ / ١٥٦ ؛ وأنظر أيضا : ابن سمرة : *المصدر السابق* ، ص ٢٤٧) .

[٣] ابن سمرة : *المصدر السابق* ، ص ٢٤٧ ؛ الجندى : *السلوك* ، ج١ ، ق ١٥٦ ؛ الفاسي : *العقد الثمين* ، ج٢ / ٣٦٢ .

[٤] ابن سمرة: *المصدر السابق*، ج٦/٢٤٧؛ الجندى: *السلوك*، ج١/ ١٨١؛ ابن قاضي شهبة: *طبقات الشافعية*، المجلد الأول، بيروت ١٩٨٧، ص ٣٩٥ ؛ الاسنوى : *جمال الدين عبد الرحيم*(ت ٧٧٢ هـ /=

ومنهم ربيعة بن الحسن بن علي اليمني الحضرمي الذماري (ت٦٠٩ هـ/ ١٢١٢ م) وكان إماما عالماً حافظاً عارفاً باللغة " أديبا شاعراً ، ولد بظفار في ٥٢٥ هـ / ١١٣٠ م ، وتلقى دراساته الأولى باليمن ، ثم رحل إلي بلاد المشرق ، واجتمع بأكابر علماء عصره فيها ونال إجازاتهم ، ثم حدَّث بمصر ودمشق ، وأقام بأصبهان فترة طويلة أخذ فيها على علمائها ، وحدَّث هناك ، فسمع منه خلق كثير وأفاد عدداً وافراً من العلماء [١] .

كذلك أمدتنا المصادر بأمثلة عديدة أخرى توضح ذلك التواصل العلمي الذى نشأ بين اليمن وغيرها من أقطار العالم الإسلامي في المغرب والمشرق في العصر موضوع البحث . بسبب الرحلات العلمية التي كان يقوم بها أبناء اليمن خارج بلادهم ، فقد كانوا يقطعون المسافات الكبيرة ، من أجل طلب العلم ، في شتى الأقطار العربية والإسلامية ، ومن أبرز هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر : -

- **الفقيه الشافعي : مقبل بن محمد بن زهير بن خلف الهمداني** ، تفقه باليمن على عدد من علماء عصره ، ثم ارتحل لطلب العلم ، فاستقر بكرمان ، حيث أخذ الفقه والحديث على عدد من شيوخها ، وعاد إلي بلاده بعد تحصيل ما أراد من علم ، واستوطن ذى أشرق ، حيث عقد مجلس درسه ، وتلقى العلم على يديه عدد من أهلها ، وصنف مختصراً حسناً في الفرائض ، وتوفى في عام ٥٧٩هـ/ ١١٨٣ م ، وهى نفس السنة التي دخل فيها سيف الإسلام طغتكين إلي اليمن [٢] .

- **سالم بن فضل بن عبد الكريم بافضل(ت ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م) :**

أحد علماء حضر موت،رحل في طلب العلم،ودامت رحلته نحو أربعين عاما،وقرأ خلالها على عدد وافر من العلماء،وكان يمتاز بالموسوعية في العلوم العقلية والنقلية،وعاد بعد طول اغتراب إلي موطنه حضرموت،واستصحب عند عودته أحمالا من الكتب القيمة،ساهمت في إثراء الحركة الفكرية ببلاده،وانتفع بها طلاب العلوم والمعارف [٣] .

=١٣٧٠ م) : *طبقات الشافعية* ، ج٢ ، بيروت ١٩٨٧ ، ص ٤٨ (ت ٧٤٥) ؛ الفاسى : *المصدر السابق* ، ج١ / ٤١٥ - ٤١٦ ؛ السخاوى : *الإعلان بالتوبيخ* ، ص ٢٨٩ ؛ الشرجى : *طبقات الخواص* ، ص ٣١٤ .

[١] الأسنوى : *طبقات الشافعية* ، ج٢ / ٢٨١ (ت ١١٩٨) .

[٢] ابن سمرة : *المصدر السابق* ، ص ١١٥ ؛ الجندى : *السلوك* ، ج١ ، ق ٩٩ .

[٣] محمد رضا الدجيلى : *المرجع السابق* ، ص ٩٦- ٩٧ .

- الفقيه أحمد بن محمد بن عبد الله بن مسعود البريهسى السكسكى الكندى: الملقب بسيف السُنَّة : (ت ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م) ، أحد فقهاء اليمن المعتبرين ، سكن إب ، وأفضت إليه الرئاسة فيها ، وجمع بين الزهد والورع والفقه والحديث ، كما كان عارفا بالنحو واللغة ، ورحل في سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م إلي مكة ، وسمع فيها صحيح مسلم على الفقيه أبي عبد الله محمد بن الحسين الهروى إمام الحنابلة بالحرم المكى الشريف ، وحصل منه على إجازة بمروياته أرخت بعام ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م ، كذلك حصل الإمام سيف السُنَّة على إجازة لنفسه ولأولاده الخمسة " يحيى وعيسى واسماعيل ومحمد وعلى " من الإمام عبد الله بن عمر بن ابراهيم الوراق ، في جميع مروياته [(١)] .

وعاد بعد ذلك إلي إب ، ثم انتقل إلي الجند ، حيث لازمه جمع كثير ، سمعوا عليه ، وأجازهم [(٢)] ، ويعزى إلي أصحابه وتلاميذه نشر الفقه في نواحى مخلاف الجند ، وصاروا من كبار علمائها [(٣)] . وقد صنف سيف السنة في العديد من العلوم الشرعية كالحديث والأصول والفروع والفرائض والتفسير واللغة والنحو قدر الجندى عددها بثمانين مصنفا وقفها كلها على طلاب العلم بإب والجند[(٤)] .

- القاضي أبو الطيب طاهر بن يحيى بن أبي الخير العمرانى (٥١٨ - ٥٨٧هـ / ١١٢٤ - ١١٩١ م) : تفقه بأبيه ، وخلفه في حلقته ومجلس درسه ، وأفتى وأجاب على المسائل في حياته ، وجالس العلماء وروى عنهم ثم ارتحل إلي مكة بأولاده ونسائه ، عندما شملت فتنة ابن مهدى اليمن ، واستحل قتل العلماء ، وأقام بمكة مجاورا سبعة سنين [(٥)] ، أخذ خلالها العلم عن شيوخها ومن كان يفد إليها من العلماء ، فروى عن كبار المحدثين في الحرم كالشيخ الامام أبي على الحسين بن على بن الحسن الأنصارى ، والامام أبي حفص عمر بن عبد المجيد الميانشى

---

(١) ابن سمرة : *المصدر السابق* ، ص ١٩٠ ؛ الجندى : *السلوك* ، ج١ ، ق ١٢٥ ؛ بامخرمة : *قلادة النحر* ، ق ٧٦٨ .

(٢) راجع عنهم : الجندى : *السلوك* ، ج١ ، ق ١٢٥ .

(٣) الجندى : *السلوك* ، ق ١٢٦ .

(٤) الجندى : *السلوك* ، ق ١٢٦ - ١٢٧ ، وبالاضافة إلي تبحره في العلوم الشرعية كان ناظما للشعر (راجع نماذج من شعره في ابن سمرة : نفسه ، ص ١٩١ ؛ الجندى : *السلوك* ، ج١ ، ق ١٢٧) .

(٥) ابن سمرة : *المصدر السابق*، ص ١٨٧، وراجع الجندى : *السلوك*، ق ١٣٦ حيث يجعلها سنتين .

(ت٥٨٢ هـ / ١١٨١ م) ومقرئ الحرمين الشريفين أبي عبد الله محمد بن أبي مشيرح الحضرمي وغيرهم [١] ، وتضلع في مكة من العلوم تضلعاً جيداً حتى كان يقول " أنا ابن ثمانية عشر معلما " [٢] ووصلته الإجازات من عديد من العلماء من سائر الأقطار ، نذكر منهم يحي بن سعدون بن تمام القرطبي الأزدي (ت ٥٦٧هـ/ ١١٧١ م) من الأندلس ، وأبو الفضل عبد الله بن أحمد بن محمد الطوسي (ت٥٧٩هـ / ١١٨٣ م) ، وكان خطيبا للموصل من العراق وغيرهما من العلماء، بجميع مسموعاتهم ومناولاتهم [٣] .

ثم عاد إلي بلده عام ٥٦٦ هـ / ١١٧٠ م ، بسبب فتنة حدثت بين ولاة مكة أعجزته عن القيام بها لخوفه على أولاده ، ولما وصل إلي بلاده حدثت مناظرة علمية بينه وبين رأس المذهب الحنفي في دولة ابن مهدى وكان يدعى المدحدح محمد بن أبي بكر ، شهدها عبد النبي بن على بن مهدى ، استظهر فيها طاهر العمراني على شيخ الحنفية ، " فلما وجده عبد النبي كاملا " ولاه قضاء ذى جبلة وأعمالها ، فظل قائما بها حتى وقت دخول سيف الإسلام طغتكين لليمن [٤] ، وقد صنف القاضي طاهر عدداً من المصنفات في الفقه والحديث والقراءات [٥] ، وتفقه به جماعة من طلاب العلم [٦] .

- <u>**أبو عبد الله علي بن محمد بن سليمان بن غليس العريقي :**</u> (ت بعد ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م) : [٧]

أحد العلماء الزهاد وأصله من بلدة الهجر من وصاب ، اشتهر بالفقه والصلاح وارتحل إلي مكة والمدينة والعراق والشام ، وكانت أكثر اقامته في القفس

---

[١] ابن سمرة : <u>*نفسه*</u> ، ص ١٨٧ .
[٢] الجندى : <u>*السلوك*</u> ، ق ١٣٦ .
[٣] الخزرجى : <u>*العقد الفاخر*</u> ، ق ١٣٠ ؛ ابن سمرة : <u>*نفسه*</u> ، ح * للمحقق ، ص ١٨٧ .
[٤] الجندى : <u>*السلوك*</u> ، ق ١٣٦ . راجع الفاسى : حيث يجعل دوامه في منصبه لعهد توران شاه ، أنظر : <u>*العقد الثمين*</u> ، ج ٧ / ٦٠ – ٦٢ ، وأنظر ابن سمرة : <u>*طبقات فقهاء اليمن*</u> ، ص ١٨٨ .
[٥] من هذه المؤلفات : مقاصد اللمع في أصول الفقه ، وحد الفِكَر وضمنه الرد على المعتزلة في نفى القدر ، ومصنف في مناقب الشافعى ، وكتاب بعنوان معونة الطلاب بفقه معانى كلام الشهاب .
[٦] ابن سمرة : <u>*المصدر السابق*</u> ، ص ١٨٨ – ١٨٩ ؛ الجندى : <u>*السلوك*</u> ، ج١ ، ق ١٣٦ – ١٣٧ .
[٧] الجندى : <u>*المصدر السابق*</u> ، ج٢ ، ق ٣٥٥ ؛ الشرجى : <u>*طبقات الخواص*</u> ، ص ٢٤٠ ويجعل الحبيشى وفاته عام ٥٩٦ هـ ، راجع : <u>*تاريخ وصاب*</u> ، ص ١٩٩ .

والخليل ، ويذكر الشرجى أنه توفى بدمشق وكان أثناء مقامه في مكة على اتصال وثيق بالفقيه المحدث محمد بن أبي الصيف اليمنى ، وكانت بينهما صحبة ومؤاخاه ومكاتبات ، ولما رحل إلي بغداد اتصل بعدد من علمائها ، وسمع بالقدس من الحافظ أبي محمد القاسم الدمشقى وأثناء تردده إلي وصاب زائرا لأخيه عمر ، جلب معه كتبا كثيرة أوقفها على مدارسه الثلاثة (١) .

- **الفقيه محمد بن أحمد بن النعمان الحضرمي** : كان فقيها كبير القدر شهير الذكر ، طاف البلاد ، ولقي كبار علمائها ، فدخل أصبهان ، وثغر الاسكندرية ، فأخذ بها عن الحافظ السلفى (ت ٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م) . وأخذ عنه بها ، وروى عن أبي الفضل محمد بن عبد الواحد الاصبهانى كتاب الشمائل للترمذى وكان الحضرمى أحد شيوخ ابن سمرة الجعدى صاحب طبقات فقهاء اليمن ، وسمع عليه جماعة من فضلاء عصره بعدن (٢) .

- **الفقيه على بن محمد بن حامد اليمنى الصنعانى** : من علماء ق٦ هـ / ق ١٢ م : ارتحل إلي العراق فأخذ على عدد من علمائه في البصرة وواسط ، كما نزل حلب عام ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م ، وأخذ على أحد أعلام الشيعة بها وهو أبو الحسن بن محمد بن الحسن بن البطريق (ت ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م) ، وروى عن مشايخه مصنفاتهم العديدة في علوم القرآن والحديث وغيرها ومنها كتاب العمدة في عيون صحيح الأخبار في فضل على عليه السلام وآل البيت لابن البطريق، وهو الذى أدخل المصنف إلي اليمن ، وأخذ عليه بعد عودته لليمن مجموعة من علماء عصره منهم الفقيه على بن أحمد الأكوع (٣) .

- **الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سليمان بن بطال : المعروف ببطال الركبى (٤)** : تلقى دراساته الأولى باليمن على أعلام عصره ، ثم ارتحل بغية

---

(١) للمزيد : راجع : الجندى : *المصدر السابق* ، ج٢ / ٣٥٥ ، الحبيشى : *تاريخ وصاب* ، ص ١٩٩ ؛ الشرجى : *نفسه* ص ٢٣٩ – ٢٤١ .

(٢) ابن سمرة : *المصدر السابق* ، ص ٢٢١ ؛ الجندى : *السلوك* ، ج٢ ، ق ٢١٧ ؛ بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، ج٢ / ٢٠١ – ٢٠٢ ؛ الأهدل : *تحفة الزمن* ، ق ١٣٢ .

(٣) يحيى بن الحسين : *طبقات الزيدية* ، مخطوط مصور على ميكروفيلم رقم ٤١٤٠٨ ، دار الكتب المصرية ، ق ٦٩ .

(٤) نسبة إلي إحدى قبائل اليمن وتعرف بالركب وكانت تسكن عدة مواضع متفرقة من اليمن فمنها جزء يقطن الجبال المطلة على زبيد ، وجزء أخر يسكن الجبال المطلة على حيس ، وجزء ثالث=

الاستزاده إلي مكة المكرمة فجاور بها مدة ١٤ سنة ، فلم يترك أحدا من المقيمين بها أو الوافدين عليها من العلماء والفقهاء إلا جلس إليه وأخذ عنه ، فازداد علما ومعرفة ، ولازم صحبة الفقيه ابن أبي الصيف اليمنى ، فأجازه عام ٦٠١ هـ / ١٢٠٤ م ، ثم عاد إلي بلده ذى يعمد ، حيث تخرج به جماعة من الفقهاء في عدد من العلوم التي كان بارعا متفننا فيها ومنها القراءات والتفسير والأصول والعربية والنحو وغيرها ، وابتنى مدرسة بقريته ووقف كتبه وجملة من أرضه عليها ، وقصده الطلبة من أنحاء اليمن ، وله عدة تصانيف في الفقه والحديث منها كتاب المستعذب المتضمن لشرح غريب ألفاظ المهذب وغيرها ، وتوفى بعد عام ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢م [١] .

- الفقيه المحدث سراج الدين الريغى الزبيدى : أبو عبد الله الحسين بن أبي بكر (٥٤٥ - ٦٣١ هـ / ١١٥٠ - ١٢٣٣ م) ، درس باليمن ، وأجاز له علماء عصره ، ثم خرج إلي بغداد وحلب ودمشق ، وحدث بهم ، وأخذ عنه جماعة كثيرة حتى ذاع صيته لاسيما في بغداد حيث توفى في ٦٣١ هـ / ١٢٣٣م [٢].

- الفقيه أبو محمد جابر بن أسعد بن جابر الحميرى اليمنى الحضورى : تفقه بحضور إحدى قرى صنعاء ، وقدم إلي مكة ، واستوطنها وعرف بنزيل مكة ، وسمع بها على مذهب الشافعى ، وقصد الشام ، وحدث بها وبمكة ، وتوفى بالأخيرة عام ٦٤٩ هـ / ١٢٥١ م [٣] .

الفقيه الشهاب الصنعانى اليمنى : (ت ٧٣٥ هـ / ١٣٣٤ م) : ارتحل إلي دمشق وقضى فيها جل عمره ، ثم قدم إلي القاهرة ، فنزلها ، وتأهل بها ، وتولى بعض المناصب القضائية فيها ، وصنف عدة مصنفات في الفقه واللغة

=يقطن المنطقة الواقعة على حد حصن الدملوة (راجع : الفاسى : العقد الثمين ، ج٣ / ٣٧٦ ؛ بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج٢ / ٢٠٠) .

[١] الفاسى : العقد الثمين ، ج٣ / ٣٧٦ ؛ بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج٢ / ٢٠٠ - ٢٠١ .

[٢] الأفضل الرسولى : نزهة العيون في تاريخ طوائف القرون ، مخطوط مصور على ميكروفيلم رقم ١٧٩٧١ ، دار الكتب المصرية ، ق ١١٧ .

[٣] الفاسى : العقد الثمين ، ج٣ / ٤٠٠ .

والعروض وغيرها ، وعكف على تدريس الحديث ، كما رحل الي المدينة المنورة ، وسمع بها أيضا على بعض علمائها [1] .

– **الفقيه أبو محمد عبد الله بن أسعد اليافعي** : الملقب بعفيف الـدين ، تلقى علومه بعدن،وتفقه على شيوخها في الحديث والفقـه،ثم ارتحـل إلي مكـة، وجاور بها ملازماً للعلم،ثم عاد إلي اليمن ودرس بها،ثم التـزم الخلوة والانقطـاع بصحبة شيخه أبو الحسن على الطواشي(ت٧٤٨ هـ/ ١٣٤٧م)[2]فتـرة، ثم لازم العلم ثانية ، ورحل إلي مكة ، وجاور بها وتزوج،وقرأ على شيوخها،وتردد فيمـا بينها وبين المدينة المنورة يأخذ على علمائها،ثم ارتحل إلي الشام طلباً للعلـم عـام ٧٣٤ هـ / ١٣٣٣م،فسمع بالقدس والخليل،ثم قصد الـديار المصـرية فسـمع بالصالحية وغيرها من مجالس العلم بالقاهرة وغيرها من مدن الديار المصرية،ثم عـ . إلي مكة ملازما للعلم والعمل ، ورحل من جديد إلي اليمن لزيارة شيخه الطواشي والسماع على بعض علماء اليمن،ثم عاد إلي مكة،وانقطع بها للتصـنيف والإقـراء والإسماع . فصنف في العديد من العلوم كالنحو والعروض والتصوف والتـاريخ ، ومنها " الإرشاد والتطريز في التصوف " ، وكتاب في أخبار الصـالحين يسـمى " روض الرياحين " ، وفي التاريخ مصنفه المعروف (مرآة الجنان وعبرة اليقظـان في معرفة حوادث الزمان) ، وغيرهم ، وتوفى بمكة عام ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م [3] .

–**الفقيه شمس الدين أبو القاسم محمد بن عبد الله اليمني**:(ت٧٧٦ هـ/١٣٧٤م):

ارتحل إلي مصر ملازماً لدراسة الفقه الشـافعى ، ثم خـرج إلي الشـام ، فأنـزله التاج السبكى في بعض الخوانق ، وكانت له عدة تصانيف تـدل علـى اتساع باعه في العلم ، وتوفى بالطاعون عام٧٧٦ هـ / ١٣٧٤م [4] .

---

(1) السخاوى : *التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة* ، ج١ ، تحقيق محمد حامد الفقى ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص ٢٧٨ – ٢٧٩ .

(2) هو أبو الحسن على بن عبد الله نور الدين الطواشى اشتغل في عدة علوم من بينها الطب ، ولازم الاشتغال بالفقه ، ثم غلب عليه التنسك والخلوة وملازمة الذكر والتلاوة (راجع : ابن قاضى شهبه : *طبقات الشافعية* ، ج٢ / ٢٤٧) .

(3) للمزيد عنه وعن مصنفاته وأشعاره راجع : الاسنوى : *طبقات الشافعية* ، ج٢ / ٣٣٠ – ٣٣٣ ؛ ابن قاضى شهبة : *طبقات الشافعية* ، م٢ / ٢٤٦ – ٢٤٨ ؛ الفاسى : *المصدر السابق* ، ج٥ / ١٠٤ – ١١٥ ؛ الحنبلى : *شذرات الذهب* ج٦ / ٢١٠ – ٢١٢ .

(4) الحنبلى : *شذرات الذهب* ، ج٦ / ٢٤٨ – ٢٤٩ .

- **الفقيه الجمال التعكرى (محمد بن عمر بن مسعود اليمنى)** : تلقى علومه باليمن ، وسمع على علماء عصره ، ثم ارتحل إلي مكة وسمع على أبرز علمائها ، كما درس الفقه والعربية بها ، واستقر به المقام في الحرم الشريف ، وناب في الحسبة بمكة حتى توفى عام ٧٨٠ هـ / ١٣٧٨ م [١] .

- **المقرئ أبو القاسم بن أحمد بن عبد الصمد اليمانى** : ارتحل إلي مكة ، وتصدى للقراءات وأتقنها ، وجلس لإقراء الناس ، حتى نال شهرة عظيمة وتوفى بمكة عام ٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م [٢] .

- **الفقيه شمس الدين محمد بن الخضرى الزبيدى الشافعي**:(٧٢٤ - ٨٠٨ هـ / ١٣٢٣ - ١٤٠٥م)

ارتحل في شبابه إلي القاهرة حيث تفقه على شيوخ عصره ، ثم انتقل إلي غزة واستقر بها ، وإليها نسب بدءاً من عام ٧٤٤ هـ / ١٣٤٣ م ، ودخل دمشق وأخذ على علمائها ، وأجازوه وأذنوا له في الافتاء ، وصنف مجموعة تصانيف في عدة فنون منها الفقه والعربية [٣] .

- **محمد بن عبد الله بن زكريا البعدانى** : وعرف بنزيل الحرمين الشريفين ، حيث جاور بهما نحواً من ثلاثين عاما ، قدم إلي مكة في أوائل عام ٧٧٠ هـ / ١٣٦٨ م ، وأقام بها ملازماً لدرس الفقه والحديث وغيره من فنون العلم ، وتردد على المدينة ، ثم استقر بها ، وصار يتردد منها إلي مكة للسماع والدرس ، إلي أن توفى بالمدينة عام ٨١٠ هـ / ١٤٠٧ م [٤] .

- **المحدث أبو زيد على بن زيد بن علوان الردماوى الزبيدى** : ولد بردما من مشارق اليمن في ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م ، ونشأ بها ، وتلقى دراساته الأولية في عدة أماكن باليمن ، ثم ارتحل إلي مكة فحج ولازم العلم مدة ، ثم انتقل إلي الشام ، ودخل العراق ومصر وسمع على محدثيها كاليافعي وغيره ، وبرع في

---

(١) الفاسى : _العقد الثمين_ ، ج٢ / ٢٣٦ - ٢٣٧ .

(٢) الحنبلى : _شذرات الذهب_ ، ج٦ / ٢٧٧ .

(٣) الحنبلى : _شذرات الذهب_ ، ج٧ / ٧٩ .

(٤) الفاسى : _العقد الثمين_ ، ج٢ / ٥٢ - ٥٣ ؛ السخاوى : _التحفة اللطيفة_ ، ج٣ / ٥٩٧ ، وينسب الفقيه إلي بلدة بعدان من مخلاف جعفر باليمن ، وإلي هذا الفقيه يرجع الفضل في تعمير رباط دكاله بالمدينة المنورة ، حيث سعى في جمع ماله من أرباب الدنيا بها وعمّره .

عدة فنون من حديث وفقه ونحو وتاريخ وأدب ، واختص بعلمي الحديث واللغة ، واستقر بالشام يُدَرِّس فيها،ثم قدم إلي القاهرة في أخريات عمره حيث توفى في عام ٨١٣هـ / ١٤١٠ م [١] .

– **المقرئ أبو بكر بن عمر بن علي القرشي اليمني** : ولد بقرية القرشية القريبة من زبيد عام ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م ، وارتحل إلي مكة وجاور بالحرمين نحوا من ثلاثين سنة متوالية ، قضى أغلبها بمكة ، متوليا مشيخة الفقراء بأحد أربطتها واشتغل مؤدبا ومقرئا للأطفال بالحرمين ، كما أقرأ العديد من أهل مكة ، وكان له حظ وافر من العبادة والتدين ، وتوفى بمكة عام ٨١٥ هـ / ١٤١٢م [٢] .

– **الشاعر الجمال بن العليف** (محمد بن حسن بن عيسى العدناني الحلوي) ولد بحلي عام٧٤٢ هـ/١٣٤١م،وتردد إلي مكة،وسمع فيها،وغلب عليه الشعر،ومدح جماعة من فضلاء عصره منهم الأشرف الثاني الرسولي وغيره من أئمة الزيدية وأمراء مكة،ووصله الشريف بدر الدين حسن بن عجلان بصلات جيدة فانقطع إليه الشاعر في أخريات عمره إلي أن توفى عام ٨١٥ هـ / ١٤١٢م [٣] .

– **المقرئ رضي الدين أبو بكر بن يوسف العدني** : ارتحل للقاهرة ، وتعاني النظر في الأدب على أعلامها ، ومهر في القراءات ، وعاد إلي عدن ، وتولى كرسي الخطابة والقراءة بجامعها ، وكان ناظما للشعر ، سمع عليه ابن حجر ، وتوفى عام ٨١٦ هـ / ١٤١٣ م [٤] .

– **المقرئ عبد الرحمن بن هبة الله الملحاني اليماني** : ارتحل إلي مكة وأخذ على علمائها في القراءات حتى صار بصيرا بها ، وشارك في عدة علوم أخرى ، وتوفي عام ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م [٥] .

– **اللغوي ولي الدين عبد الولي الخولاني اليمني الشافعي** : ولد قريبا من تعز ولازم بها أشهر شيوخها في الفقه واللغة ، كما درس على الفيروز أبادي وأخذ

---

(١) الحنبلي : _شذرات الذهب_ ، ج٧ / ١٠٢ – ١٠٣ .

(٢) الفاسي : _العقد الثمين_ ، ج ٨ / ١٧ – ١٨

(٣) راجع عنه وعن أشعاره الفاسي : _العقد الثمين_ ، ج ١ / ٤٧١ – ٤٧٢

(٤) الحنبلي : _شذرات الذهب_ ، ج ٧ / ١٢٠

(٥) السخاوي : _الضوء اللامع_ ، م٢ : ٥٧ – ١٥٨

عنه النحو واللغة ، وصحبه إلي مكة وغيرها ، وعاد إلي تعز حيث صـارت إليـه رئاسة الافتاء بها وتوفى مطعونا عام ٨٣٩ هـ / ١٤٣٥ م [١] .

- المحدث مجد الدين أبو الطاهر محمد بن عبد الرحمن العلوى التعزى : ولد في ٨٠٦ هـ / ١٤٠٣ م ، وتلقى دراساته القرآنية الأولية بتعز ، كما حصل طرفا من العربية ونظم الشعر وشغف بدراسة الحديث ، فسمع على علمائه بتعز ، وحضر مجلس الفيروز أبادى فأجازه ، ثم خرج إلي مكة فسمع بها ، وقدم القاهرة ، ولازم مجلس سماع الفقيه ابن حجر العسقلانى،حتى عام ٨٤٠ هـ/ ١٤٣٦ م[٢] .

- الفقيه أحمد بن حسين الشاورى اليمانى الشافعي : ارتحل إلي مكـة ، ودرس على أعلامها في الفقه والقراءات واستقر بها حـتى مـات ٨٥٠ هـ / ١٤٤٦م ، كما برع في قرض الشعر [٣] .

- الفقيه شمس الدين على بن سعيد الزبيدى : وكان إماما فاضلا عالمـا بأنواع العلوم من الفقه والحديث والعربية والحساب والمنطق وغير ذلك ، ارتحل إلي عدة بلدان فسمع وقرأ بها منها مصر والشام والمدينة المنورة ومكة المكرمة ، فدرس على أيدى فقهائها وعلمائها ، وعاد إلي تعز ، حيث أخذ عليه جماعة كثيرة مـن طلاب العلم ، ورتب مدرسا في عدة مدارس باليمن منها الفرحانية والمجاهديـة ، وتوفى مزاولا لعمله في الدرس والإفتاء عام ٨٩٣ هـ / ١٤٨٧ م [٤] .

- الفقيه محمد بن عمر الشعبي : ارتحل إلي الشام ، ودخـل دمشـق ، وأخذ على شيخها ابن الوردى ، وعاد ومعه بعض المصنفات الفقهية لأهل الشـام منها كتاب " البهجة " في الفقه لابن الوردى ، وجلس للتدريس والإجازة لعـدد من فقهاء عصره [٥] .

- الفقيه إبراهيم بن عيسي بن محمد الشرعبي اليمنى : كان فاضـلا في الفقه والعربية والقراءات وغيرها ، وطوف البلاد للاستزاده من العلـم ، فـدخل

---

(١) الحنبلي : _شذرات الذهب_ ، ج ٧ / ٢٣١ .
(٢) الحنبلي : _نفسه_ ، ج ٧ / ٢٣٦ .
(٣) السخاوى : _الضوء_ ، م١ / ٢٩١ .
(٤) البريهي : _طبقات صلحاء اليمن_ ، ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .
(٥) البريهي : _طبقات صلحاء اليمن_ ، ص ١٣٧ - ١٣٨ .

القاهرة والشام ، ورحل إلي بلاد فارس والهند ، وقطن بها نحواً من سنتين ، عقد فيها مجالس للإقراء ، ثم دخل مكة بعد عام ٨٥٠ هـ / بعد عام ١٤٤٦ م ، وأقرأ الطلاب بها وبغيرها ، ثم عاد إلي عدن حيث وافته المنية عام ٨٩٦ هـ / ١٤٩٠م، بعد أن أوقف كتبه على أحد أربطة عدن [١] .

- المحدث أحمد بن أبي بكر بن ظهيرة الزبيدى : ولد بزبيد ٧٩٠ هـ / ١٣٨٨ م ، ونشأ بها وتلقى دراساته الأولية على علمائها ، ثم تردد عدة مرات إلي مكة مؤدياً للفريضة ، وعكف على السماع بها من علمائها ، وأجازه بعضهم في عدد من مصنفاتهم ومروياتهم ، كما جلس للحديث ، وسمع عليه طائفة من أهل مكة ، حيث انقطع بها للتدريس ، وأجاز لعدد من علمائها أو الوافدين عليها ومنهم السخاوى ، وتوفى ٨٥٣ هـ / ١٤٤٩ م [٢] .

- الفقيه صالح بن قاسم بن مياس المرادى اليمنى الصنعاني الحنفي : ولقب بالشيخ الصالح،وكان من علماء آخر العصر الرسولى،ولد بصنعاء ونشأ بها وحفظ القرآن وغيره من علوم الشرع،واشتغل قليلاً في الفقه والعربية وأصول الدين،ثم ارتحل عام ٨٥٣ هـ / ١٤٤٩م قرب نهاية عصر بنى رسول إلي مكة مؤدياً للفريضة دارساً على فقهائها،ثم دخل القاهرة،فلازم علماءها في الفقه والأصول والعربية،وأجازوه،ثم خرج للشام وتبريز والرى،وعكف على الدرس والتحصيل للإجازات قرابة خمس سنوات،ثم عاد للقاهرة واستقر بها،وتميز في علوم العربية والمنطق والبيان وتفرغ للتدريس رافضاً تولى مناصب القضاء [٣] .

- المقرئ أحمد بن على بن عمر الشوابطى اليمنى : ولد عام ٧٨١ هـ / ١٣٧٩ م بشوابط قرب تعز ، ونشأ بها ، وحفظ القرآن ، ثم ارتحل لتعز لاكمال علومه الفقهية ، فبرع في القراءات ، وغادرها مرتحلاً إلي مكة والمدينة فقرأ وسمع على علمائها وأجازوه ثم تردد إلي اليمن مراراً فيما بين (٨٠٥ – ٨١٢ هـ / ١٤٠٢ – ١٤٠٩ م) ، وأجاز عدد من طلابها في القراءات ثم عاد لمكة ، ولازم

---

(١) السخاوى : *الضوء اللامع* ، م١ / ١١٥ – ١١٦ .
(٢) السخاوى : *الضوء اللامع* ، م١ / ٢٥٥ – ٢٥٦ .
(٣) السخاوى : *الضوء اللامع* ، م٢ / ٣١٤ – ٣١٥ .

السماع والتفقه على مشاهير عصره بها ، وأجازوه ، وأذنوا له بالإفتاء والتدريس ووصفه ابن حجر بالشيخ القدوة ، الفاضل الأوحد الفقيه ، وأقام في المسجد الحرام، يقرئ ويدرس ويفيد ، فعم الانتفاع به في القراءات والحديث ، وممن سمع عليه السخاوى ، وقد أقر السخاوى بفضله فقال : " وحملت عنه الكثير " ، وتوفى ٨٦٣ هـ / ١٤٥٨ م [(١)] .

- **الإمام شرف الدين أبو القاسم بن موسى الصريفى الذؤالى** :برع في الأصول والفقه والعربية ، فدرس وأفتى في مدينة زبيد ، وصنف كتبا كثيرة ، انتفع بها الطلبة وكان لها آثارها الهامة في ازدهار الحركة العلمية بها ، من بينها كتاب "معارج التصنيف ومدارج التأليف " وكتاب " الغاية القصوى في الفرق بين التصنيف والفتوى " وكتاب " تحفة الراغب المجد وطرفة الراغب المستعد " وهو كتاب في بيان فضل العلم ، وغير ذلك من المصنفات ، وذاع صيته في اليمن ، وكثر طلبته ، ثم ارتحل إلي مكة ، ثم القاهرة ، فاشتهر بها ، وأضيفت إليه فيها بعض الولايات اللائقة بحاله ، فدرس في المنصورية بالقاهرة ، وظل بها إلي أن توفى بعد عام ٧٩٠ هـ / بعد عام ١٣٨٨ م [(٢)] .

وبالاضافة إلي من ذكرناهم على سبيل المثال لا الحصر ، هناك العديد من العلماء الذين خرجوا من أنحاء اليمن ، في طلب العلم ، ورحلوا إلي شتى الأقطار الإسلامية حيث المناهل والروافد الفكرية المتعددة [(٣)] ، مما يدل على حرص أهل العلم باليمن على الأخذ عن علماء الإسلام في أقطارهم المختلفة ، وإن كنا نلاحظ أن معظمهم اكتفى بالرحلة إلي مكة والمدينة حيث كانت الحجاز منتجعا للعلماء من شتى أنحاء العالم الإسلامى لمكانتها الدينية المتميزة ، ومن ثم أتاح ذلك لدراسى اليمن فرصة لقائهم ، لقرب المسافة بين البلدين ، فكلما نبغ واحد من أبناء اليمن ، وأكمل دراسته في بلاده من علوم الشرع المختلفة ، نجده يختلف إلي مكة للاستزادة من العلم على أيدى علمائها المقيمين فيها أو القادمين إليها من شتى أنحاء العالم

---

(١) السخاوى : *التحفة اللطيفة* ، ج ١ / ٢٠٢ - ٢٠٤ .

(٢) البريهى : *المصدر السابق* ، ص ٢٨٨ - ٢٨٩ .

(٣) راجع أمثلة أخرى في السخاوى : *الضوء اللامع* ، م٢ / ١٦٧ ، ١٦٨ ؛ *التحفة* ، ج ٣ / ٥٠ - ٥١ ؛ البريهى : *طبقات صلحاء اليمن* ، ص ٣٣٢ - ٣٣٤ .

الإسلامى ، وقد حرص طلاب العلم من أهل اليمن على الحصول على إجازات هؤلاء العلماء لهم ، ثم يعودون إلي بلادهم ، ويتبوأون كراسى التدريس والإفتاء بمعاهدها المختلفة .

ج- شيوخ العلم الوافدين إلي اليمن من أنحاء العالم الإسلامى :

كذلك ساعد قرب مكة من اليمن وتشجيع حكام اليمن للعلماء المسلمين بالعطايا والهبات ، ومشاركتهم العلمية وحرصهم علسى اجتذاب العلماء إلي بلادهم، على إقبال العديد من العلماء الذين وفدوا إلي مكة للحج ، أو المقيمين فيها ، على الارتحال إلي اليمن في العصر موضوع الدراسة ، مما ساهم بدوره في رقى الحركة الفكرية بها . ومن أبرز هؤلاء العلماء والأدباء والشعراء الذين قدموا إلي اليمن ، ودرسوا بها أو أخذوا على علمائها على سبيل المثال لا الحصر .

- القاضى الأجل محمد بن محمد بن بنان الأنبارى : (٥٠٧ - ٥٩٦هـ/ ١١١٣ - ١١٩٩ م)

ولقب بأثير الدين ذى الرياستين ، من جلة أدباء مصر وعلمائها وكان شاعرا فحلا وأديبا أربيا وكاتبا مبدعا صنف عدة كتب منها " كتاب المنظوم والمنثور " ، " وتفسير القرآن المجيد " ، وحدث بمصر وبغداد ، وقدم إلي اليمن صحبة سيف الاسلام طغتكين ، وتولى قضاء الأقضية بها ، وقد انتفع عليه عدد من الدارسين أثناء وجوده باليمن ، ومن هؤلاء القاضى إبراهيم بن أحمد بن عبد الله القريظى ، الذى قرأ عليه كتاب " شهاب الأخبار " للحافظ القضاعى في جامع عدن سنة قدومه إلي اليمن عام ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م ، وسمعه بقراءته جماعة من أهل عدن كان فيهم ابن سمرة الجعدى صاحب طبقات فقهاء اليمن [١] .

- العالم اللغوى محمد بن نوح (ت ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م) : قدم إلي اليمن ، واستقر مدة بزبيد ، وتصدر للإقراء بها ، فأفاد من علمه عدد من الدارسين، ثم انتقل إلي ذى جبلة ، واستوطنها ، حتى وفاته [٢] .

---

[١] ابن سمرة : *المصدر السابق* ، ص ٢٣٠ ؛ الجندى : *السلوك* ، ج ٢ ، ق ٢١٨ ؛ الخزرجى : *العقد الفاخر* ، ج ٢ ، ق ١٤١ ؛ القفطى : *انباه الرواه* ، ج ٣ / ٢٠٩ - ٢١٠ ، الصفدى : *الوافى بالوفيات* ، ج ١ ، *تحقيق س. ريدرنيغ ، فيسبادن* ١٩٨١ ، ص ٢٨١ - ٢٨٢ (ت ١٨٤) .

[٢] القفطى *إنباه الرواه*،ج ٤ / ١٨٥ ،وأنظر أيضا : محمد رضا الدجيلى: *الحياة الفكرية* ،ص ١٠٤ .

- **المحدث القصار البغدادي : أبو محمد يونس بن يحيى بن أبي الحسن بن أبي البركات الهاشمي** : من علماء الحديث بالعراق ، قدم إلي اليمن ، وحدث بها ، فسمع منه عدد من المشتغلين بعلم الحديث في مدينة زبيد وثغر عـــدن عـــام ٥٩٣ هـ / ١١٩٦ م ، وكان يعقد درس الحديث بمسجد الشجرة بعدن [١] ، ثم ارتحل لمكة حيث توفى عام ٦٠٨ هـ / ١٢١١ م [٢] .

- **شيخ القراء برهان الدين بن الحضرى البعدادى (أبو الفتح نصر بن محمد بن أبي الفرج)** : من علماء القراءات والحديث ببغداد ، وصل إلي الـيمن ، قادما من مكة، حيث حدث بالمهجم، وأدركه الأجل عام ٦١٧ هـ / ١٢١١م ، وكان كاملا في عدة فنون لاسيما الحديث والقراءات ، وسمع منه طائفـــة كـثيرة وعنه روى آخرون [٣] .

- **الامام أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بـــن علـــي القلعـــي :** (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م):وهو من كبار فقهاء الشافعية،وينسب على الأرجـح إلي قلعة حلب ببلاد الشام،وكان فقيها عالما مصنفا،له عدة تصانيف مشـــهورة في شتى العلوم،انتفع بها الناس كثيرا،منها مؤلفات في الجبر والفـــرائض،وفي مـــذهب الامام الشافعي،وله عدة تصانيف منها كتاب"احتراز المهذب"، "ولطائف الأنـــوار في فضل الصحابة الأبرار " ، "وكنـــز الحفاظ في غرائب الألفاظ "،ويعنى به ألفاظ المهذب،وله في علم السياسة"تهذيب الرئاسة في ترتيب السياسة"وكتاب في"أحكام القضاء"، وغيرها ، قدم إلي اليمن،وسكن مرباط بحضـــرموت،بناء علـــى طلـــب أهلها،بعدما تبينوا علمه وفضله وكان الفقه في البلد قليل،فأقبـــل القلعـــي علـــى التدريس ونشر العلم،فقصده الناس وانتفعوا بعلمه وتفقه به جماعة من أهلها، فكان له بذلك دور ثقافي ريادى في مرباط وحضرموت بصفة عامة ، وانتشر عن طريقه الفقه الشافعي هناك ، وخرج من مرباط،للحج،فحدث بمكة وزبيد وغيرهما مـــن البلاد التي مر بها وانتفع بعلمه خلق كثير،وعاد إلي مرباط ثانية،وحينما أمر السلطان

---

[١] بامخرمة : _تاريخ ثغر عدن_ ، ج ٢ / ٢٤٠ .
[٢] الفاسي : _العقد الثمين_ ، ج ٧ / ٥٠٠ – ٥٠١ .
[٣] الأفضل الرسولي : _نزهة العيون_ ، ق ٢٥٢ .

محمد بن أحمد الحبوظى أهل مرباط بالانتقال إلي مدينة ظفار التى أحدثها عام ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م ، ابتنى للفقيه القلعى بيتا بها ، فانتقل معه ، وظل يتردد على بيته الأول بمرباط ، حتى وافته المنية بها عام ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م [١] .

– **الشاعر التكريتى :** لم تذكر المصادر اسمه ولعله المعنى بمحمد بن أحمد التكريتى [٢] ، ويبدو أنه كان من شعراء العراق ، ولم يكن يتعانى الشعر مع معرفته به، لاستغنائه بالتجارة ، ولديه فضل منها ، خرج مسافراً من بلده فانكسر به المركب على ساحل مرباط ، فدخلها وقد غرق جميع " قماشه " فامتدح سلطانها محمد بن أحمد الأكحل (ت في أواخر ق ٦ هـ / ١٢ م) ، بقصيدة شهيرة تداولها شعراء اليمن وأدباؤها لبديع معانيها ، فيقول بامخرمة على لسانهم بعدما سمعوها " كل شعر يدرس إلا ما كان من قصيد التكريتى [٣] .

– **أبو عبد الله محمد بن على بن عطية المكناسى :** من علماء القرن السابع الهجرى ، وواضح من اسمه أنه مغربى الأصل من قبيلة مكناسة البربرية ، طاف بعدد من البلاد ، فدخل الشام والحجاز ، وجاور بمكة ، ثم قدم إلي اليمن وقرأ عليه العديد من الطلاب ، وانتهى به المطاف بالجلوس للتدريس في المدرسة الكاملية بالقاهرة [٤] .

– **الفقيه المحدث اللغوى الحسن بن محمد بن اسماعيل العمرى :** ويلقب بالرضى الصغانى،ولد بالهند٥٧٧ هـ/ ١١٨١م،وقدم إلي مكة لاستكمال تعليمه، فسمع بها وجاور عدة سنوات،وارتحل إلي اليمن،فسمع بها وبرع في اللغة والفقه والحديث،وله عدة مصنفات في اللغة منها"مجمع البحرين"في ١٢ مجلد، "والعباب الزاخر"فيما يزيد على ٢٠ مجلدا،وغيرها،وله تواليف أخرى في الفرائض والحديث ، كما برع في نظم الشعر ، وتوفي في بغداد عام ٦٥٠ هـ/ ١٢٥٢ م [٥] .

---

[١] راجع:الخزرجى:_العقود_،ج١/ ٥٦-٥٧؛_العقد الفاخر_، ق ١٢٩؛ الأهدل :_تحفة الزمن_ ، ق ١٢٩ .

[٢] ذكر الصفدى في الوافى بالوفيات ، ح١ / ٢١٢ شاعرا تكريتيا معاصرا يدعى محمد بن أحمد التكريتى (ت ٦١٨ هـ) ، ويرجح د. الدجيلى أن يكون هو الشاعر المقصود (راجع : _الحياة الفكرية_، ص ١١٢ هـ ٩٦) .

[٣] الخزرجى : _العقد الفاخر_ ، ق ٩١ - ٩٢ ، وراجع نص القصيدة أيضا في الأهدل :_تحفة الزمن_ ، ق ١٢٩ - ١٣١ ؛ بامخرمة _تاريخ ثغر عدن_ ، ج٢ / ٣٢ - ٣٦ .

[٤] الفاسى : _العقد_ ، ج٢ / ١٥٩ -١٦٠ .

[٥] الفاسى : _العقد_ ، ج٤/ ١٧٦ - ١٧٩

- **الفقيه ذو النون يونس بن يحيى بن أحمد عبد الله البغدادى** : كان إماما بارعا عارفا بالحديث وبطرقه ورجاله ، ارتحل إلي اليمن ، وأقام بمدينة زبيد مدة ، وأخذ عنه جماعة كثيرة ، وتوفي عام ٦٦٣ هـ / ١٢٦٤ م [٢] .

- **المحدث أبو اسحق ابراهيم بن عمر بن البرهان المصرى الواسطى السفار** : ولد عام ٥٩٣ هـ / ١١٩٦ م ، وارتحل إلي عدة بلدان ، وحدث في مجالسها في مصر والشام ومكة ، وقدم لليمن ، وروى عنه طائفة ، وارتحل للإسكندرية حيث توفى عام ٦٦٤ هـ / ١٢٦٥ م [٢] .

- **اسحاق بن أبي بكر الطبرى المكى الشافعي** : (٥٨٨ - ٦٧٠ هـ / ١١٩٢ - ١٢٧١ م) : تفقه في مكة على علماء الحديث بها ، وارتحل في طلب العلم فسمع بعدة مراكز علمية ، منها حلب وحماه وحمص ودمشق ومصر والاسكندرية ، ثم عاد إلي مكة وتولى قضاءها فترة ، ثم ارتحل إلي اليمن ، واستوطن زبيد ، وحظى بمكانة سامية بين قضاة اليمن ، وسمع عليه المظفر الرسولى، ولكنه لم يجزه ، وكان يعقد مجلس حديثه بالمدرسة الرشيدية بتعز [٣] .

- **الشيخ أبو العباس القسطلانى المكى الشافعي** : (٦١٤ - ٦٨٦ هـ/ ١٢١٧ - ١٢٨٧ م):ولد بمصر،وحمل طفلا إلي مكة،فنشأ بها،وتلقى علومه الأولية فيها،وواصل سماعه على العديد من شيوخها،كما درس التصوف،ثم ارتحل إلي دمشق،وبغداد والكوفة وغيرها من المراكز العلمية في الشام والعراق،وقدم إلي مصر وسمع على شيوخها،ثم دخل اليمن وأخذ على أهل العلم بها،وتميز بالحفظ والإتقان،وقرأ الفقه والتفسير وغيرها من العلوم،وصنف كتاباً في تاريخ اليمن عرف بـ " **فواصل الزمن في فضائل اليمن** " ، ومختصراً في علم الحديث ، وغيرها من المصنفات ، وتوفي بمصر متوليا مشيخة دار الحديث الكاملية [٤] .

---

(٢) الفاسى : *العقد* ، ج٤ / ٣٦٨ - ٣٦٩ .

(٢) الأفضل الرسولى : *نزهة العيون* ، ق ٨٨ .

(٣) الفاسى: *العقد الثمين*، ج٣ / ٢٩١ - ٢٩٣؛ أما المدرسة الرشيدية فكانت قائمة في ذى عدينة أحد أحياء مدينة تعز،وتنسب للقاضى الوزير الرشيد ذو النون محمد بن ذى النون المصرى الأخميمى الذى قدم لليمن مصاحبا للمسعود الأيوبى،ووقف عليها وقفا جيدا،كما أوقف عليها مجموعة كبيرة من الكتب في شتى العلوم المنقولة والمعقولة.(راجع : الأكوع : *المدارس الاسلامية*، ص ٣١ - ٣٥) .

(٤) للمزيد عنه وعن مصنفاته واشعاره راجع: الفاسى: *العقد الثمين*، ج١/ ٢١- ٣٢٧ ؛ السخاوى: *التحفة اللطيفة* ، ج٣ / ٤٨٥ - ٤٨٨ .

- الشيخ أبو الخطاب عمر بن عبد الرحمن بن حسان القدسي :(ت٦٠٤ - ٦٨٨ هـ / ١٢٠٣ -١٢٨٩ م) من أعلام التصوف بالقدس الشريف ، ارتحل إلي مكة لأداء الفريضة ، ثم دخل اليمن ، لنشر الطريقة الرفاعية ، وصحب الفقيه عمر بن سعيد العقيبي ، وأقام عنده في عام ٦٤٩ هـ / ١٢٥١م ، وكانت هذه الصحبة سبباً في شهرة ذلك الصوفى ، الذى استقر بأحد أربطة مدينة إب ، وعمل جاهداً على نشر الخرقة الرفاعية ، ولم يزل قائماً على الأمر حتى توفي باليمن عام ٦٨٨ هـ / ١٢٨٩ م [١] .

كذلك اجتذبت اليمن إليها في ذات الفترة موضوع البحث عدداً آخر من العلماء البارزين من شتى الديار المصرية والإسلامية نذكر منهم الأسماء التالية :

- الإمام أبو الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني (٥٧٧ - ٦٦٥ هـ / ١١٨١ - ١٢٦٦ م) : نشأ بغزنة ، وقدم بغداد عام ٦١٥ هـ / ١٢١٨ م ، ثم جاور بالحرمين الشريفين وكان عالماً نحوياً متفنناً في اللغة ، والتفسير والحديث والفقه على المذهب الحنفى ، وله عدة مصنفات منها كتاب التكملة ، والذيل والصلة ، ومنها كتاب في الفرائض ، وآخر في الوفيات وغيرها ، وقدم إلي اليمن مراراً ، فأقام في عدن وأخذ عنه طائفة من أفاضل العلماء ، وكان يعقد مجالسه العلمية في مسجد ابن البصرى ، وتنقل في أنحاء اليمن ، فقدم تعز وغيرها ، واستفاد منه طلاب العلم فائدة عظمى ، ثم ارتحل إلي مكة وتوفى ببغداد عام ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م ، وأوصى بأن يدفن بمكة ، فحمل إليها ودفن في ثراها [٢] .

- أبو الفداء اسماعيل بن عبد الملك الدينورى البغدادى : كان فقيهاً محدثاً مشهوراً من أهل العراق ، رحل إلي عدن واستوطنها ، وأخذ عنه القاضي أحمد القريظى (ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م) ، وغيره من فقهاء عدن ، وكان عابداً زاهداً ، وتتلمذ عليه أيضا المقرئ يوسف الصداءى (ت / بعد ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م) ، وكان يعمل إماماً لمسجد الفقيه الدينورى بعدن [٣] .

---

[١] الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ٢١٣ - ٢١٤

[٢] للمزيد عنه وعن مصنفاته وأشعاره راجع : بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، ص ٥٣ - ٥٨

[٣] بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، ج٢ / ٢١ - ٢٢

- **شيخ الحجاز محب الدين أبو العباس الطبرى :** (٦١٥ – ٦٩٤ هـ / ١٢١٨ – ١٢٩٤ م) : سمع بمكة على علمائها في الحديث والفقه ، ثم صار يُخَرِّج الأحاديث بسنده ودَرَّس وأفتى ، وصنف في الحديث كتاباً باسم الأحكام الكبرى في ستة مجلدات ، كما صنف في الفقه شرح التنبيه ، والمسلك النبيه في تلخيص التنبيه، وغير ذلك من المصنفات في الفقه والحديث ، ثم دعاه السلطان المظفر الرسولى للإقامة في اليمن ، فاستجاب لدعوته ورحل إلي اليمن وأقام في كنف السلطان يسمع عليه من مصنفاته ومروياته وغيرها ، وصنف برسمه عدة مصنفات منها كتاب أسماه " المحرر " جمع فيه أحكام الصحيحين ، " والطراز المذهب المحبر في تلخيص المذهب للملك المظفر " وغيرها ، وحظى محب الدين الطبرى بمكانة سامية لدى المظفر الرسولى ، الذى قربه إليه وأدناه منه ورفع منزلته وأجزل له العطايا ، ورتب له في كل شهر خمسين ديناراً ، لقاء تدريسه بمدرسة والده المعروفة بالمنصورية بمكة ، وكانت جامكيتها قبل ذلك ٢٤٠ دينارا في السنة . كما سمع من المحب غير واحد من أعيان العلماء وأثنوا عليه وترجموا له بتراجم عظيمة ونعتوه بألقاب عديدة ، وتوفي بمكة أثر عودته من اليمن [١] .

- **الفقيه أبو القاسم بن على بن موسى الروائى الزيلعي :** كان فقيهاً فاضلاً ارتحل لليمن،وتفقه بتهامة على علمائها،ثم انتقل إلي مدينة إب حيث رتب مدرساً في إحدى مدارسها،فانتفع الناس بعلمه لاسيما أهل إب وما حولها، وكان يتقن المهذب في الفقه اتقاناً كاملاً،ولم يزل بإب حتى وافته المنية بها عام٧٠٢ هـ / ١٣٠٢م [٢] .

- **أبو بكر بن يعقوب بن سالم الديرى الرحبى المعروف بشهاب الدين الشاغورى النحوى:** من علماء دمشق،يذكر ابن حجر أنه كان ماهراً في العلوم حتى كان يقرئ ثلاثين درساً في ثلاثين علماً،وصنف تصانيف مفيدة،ارتحل إلي اليمن، فحصل له قبول من ملكها المؤيد الرسولى،وأقبل عليه أهل اليمن،ومات بها عام ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م [٣] .

---

[١] للمزيد عنه وعن مصنفاته وأشعاره راجع : ابن قاضى شهبة : *طبقات الشافعية* ، م٢ ، ص ١٨ – ٢٠؛وأنظر أيضا الاسنوى *طبقات الشافعية*،ج٢/٧٢–٧٣ ؛ الفاسى : *العقد الثمين* ، ج٣ / ٦١ – ٧٢ .

[٢] الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ٢٨٥ – ٢٨٦ .

[٣] ابن القاضى *بره الحجال*،ج١/٢٢٤– ٢٢٥،ويذكر ابن حجر أنه توفى عام ٧٠٤ هـ في قلعة الجبل بمصر (راجع *الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة*،ج١دار الجيل بيروت بدون تاريخ،ص٤٦٨[ت ١٢٥٨]).

- الفقيه أبو اسحاق ابراهيم بن عثمان الجبرتي (ت ٧٠٤ هـ / ١٣٠٤ م) : نسبة إلي بلاد الجبرت من الحبشة ، كان فقيهاً زاهداً صاحب مسموعات وإجازات نالها على علماء عصره باليمن عند قدومه إليها ، واستقر بزبيد في المسجد الموسوم باسمه عند الخان المجاهدي [١] .

- الفقيه أبو عبد الله محمد الكاشغرى : نسبة إلي أحد بلاد الترك ، قدم إلي مكة فجاور بها ١٤ سنة ، وصنف فيها ، ثم ارتحل إلي اليمن ، فدرس النحو واللغة والتفسير وغيرها في المظفرية بتعز ، وابتنى رباطا بساحل موزع وانتفع به جماعة من أهل اليمن ، وتوفى بها عام ٧٠٥ هـ / ١٣٠٥ م [٢] .

- الفقيه اللغوى محمد بن حجاج الحضرمى المعروف بابن مطرف الأشبيلي:(٦١٨-٧٠٦ هـ/١٢٢١-١٣٠٦م):قدم حاجا إلي مكة،ثم رحل للإسكندرية،ورجع ثانية لمكة عام٦٦٠ هـ/١٢٦١م،ثم رحل متوجها إلي عدن، وأقرأ بها العربية،ظل مقيما بها حتى عام ٦٦٩هـ/١٢٧٠م،ثم خرج منها إلي مكة حيث توفى عام٧٠٦ هـ/١٣٠٦م[٣].

- الفقيه أبو الحسن على بن عثمان الأشبهي:تولى التدريس ببغداد، وارتحل إلي اليمن قادما من الحجاز،فأقام في المدرسة السيفية،وأخذ عنه جماعة من الفقهاء،ثم رتب في المدرسة المظفرية لتدريس الفقه،وأخذ عنه الدارسون بعض المصنفات الفقهية كالحاوى الصغير وغيره،ثم ارتحل إلي عدن عام ٧٠٧ هـ/ ١٣٠٧ م ، فغرقت سفينته قبل وصولها [٤] .

- الفقيه أحمد بن عبد الله الجبرتي : قدم من جبرت طالبا العلم ، فأقام في مصنعة سير ، وتفقه على علمائها من آل الأصبحى ، حتى صار فقيها فاضلا ، ورتب إماما في إحدى المساجد هناك ، وتوفى عام ٧٠٧ هـ / ١٣٠٧ م [٥] .

- الفقيه محمد بن عبد الله بن منعسه البغدادى : ولد ببغداد في ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م ، قدم إلي مكة شابا وسمع على العديد من علمائها ، ودخل إلي

---

[١] الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ٣٠٠ ، *طراز الزمن* ، ج٢ ، ق ٢٧ .
[٢] الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ٣٠٣ _ ٣٠٤ ؛ الفاسى : *العقد الثمين* ، ج٢ / ٣١٧ _ ٣١٨ .
[٣] الفاسى : *العقد الثمين* ، ج١ / ٤٥٢ _ ٤٥٣ .
[٤] الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ٣٠٩ _ ٣١٠ ؛ بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، ج٢ / ١٥٣ _ ١٥٤ .
[٥] الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ٣٠٩ .

اليمن في عام ٧٠٨ هـ ، مدعواً من قبل المؤيد الرسولى ، فناله " منه بر ورفد " ، وتوفى في نفس العام بالمهجم من تهامة [١] .

- المفتى صفى الدين أبو عبد الله محمد الهندى الشافعى : (٦٤٤-٧١٥هـ / ١٢٤٦ - ١٣١٥ م) : ولد بالهند ، وتلقى علومه وتفقه على علمائها، ثم خرج من دلهى عام ٦٦٧ هـ ، لأداء الفريضة ، فحج وجاور ثلاثة أشهر ، ثم دخل إلي اليمن ، ودرس في بعض معاهدها ، وبلغت شهرته العلمية الملك المظفر ، فأكرمه ، ووصله بالمال ، ثم ارتحل من اليمن سنة ٦٧١ هـ / ١٢٧٢ م ، قاصداً الديار المصرية ، فأقام بها أربع سنوات ثم سافر إلي دولة سلاجقة الروم ، وتولى التدريس بمدارسها في قونية وغيرها طوال احدى عشرة سنة، ثم ارتحل إلي دمشق ، حيث استقر به المقام ، ودرس في معاهد العلم بها ، وتصدر للإفتاء والإقراء والتصنيف ، وانتفعت الناس بتلاميذه ، وتوفى بدمشق عام ٧١٥ هـ / ١٣١٥ م [٢] .

- محمد بن تميم شرف الدين أبو عبد الله الإسكندرى : كان مولعاً بالأدب ، رحل إلي الهند ، وعمل كاتباً للدرج لدى أحد سلاطينها ، واثر وفاته ، استقدمه المؤيد الرسولى فدخل اليمن ، وصار كاتبا للدرج في بلاطه ، " وكان ذا نظم بديع ولفظ صنيع ، وله انشاء حسن " واشتهر بعمل المقامات ، حتى عرف في اليمن بالمقاماتى ومن قصائده في مدح التاجر عز الدين عبد العزيز بن منصور الحلبى الكويكى [٣] عند مجيئه لعدن بتجارة عظيمة فيقول :

أتذكر ليلى عهدنا المتقدما   أم البين أنساها عهودا على الحمى
وأيامنا اللائى على الخيف قد مضت   بمجلس أنس بالمسرة تُمّمَا

وله العديد من الموشحات البديعة ، وتوفي باليمن عام ٧١٥ هـ / ١٣١٥ م [٤] .

---

(١) الفاسى : العقد الثمين ، ج٢ / ٧٥ - ٧٨ ؛ الحنبلى : شذرات الذهب ، ج٦ / ١٧ .

(٢) للمزيد راجع : الأفضل الرسولى : نزهة العيون ، ق ٢٤٩ ، الاسنوى : طبقات الشافعية ، ج٢ / ٣٠٢ ، ابن قاضى شهبة : طبقات الشافعية ، م٢ / ٨٢ - ٨٣ ، النعيمى : الدارس في تاريخ المدارس، ج١ / ٩٧ - ٩٨ .

(٣) الصفدى : الوافى بالوفيات ، ج٢ / ٢٧٩ - ٢٨٠ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٣ / ٤١٢ (ت ١٠٩٥) .

(٤) واضح من اسمه انه ينسب إلي آل الكويك الكارمية وكان عدد كبير منهم يعمل بتجارة الكارم بالإسكندرية وكانت لبعضهم أياد بيضاء على العلم وتنسب إليهم مدرسة بالإسكندرية .

- **القاضى بدر الدين حسن بن أحمد المختار** : من أهل مصر وكان من بين من دعاهم المؤيد الرسولى من علماء مصر لإثراء الحركة الفكرية ببلاد اليمن ، وكان القاضى بدر الدين إماما متضلعاً في العلوم العقلية بصفة خاصة كالفلك والهندسة وغيرها من علوم الرياضيات حتى وصفته المصادر المعاصرة بأنه كان " ضاربا في كل فن من فنون العلوم الإسلامية بنصيب ، ولم يكن في الديار المصرية والشامية مع اتساعها من يناسبه في معرفته " ، وقد ساهم القاضى بدر الدين بنصيب وافر في تطور الحركة الفكرية ونشر العلوم العقلية في اليمن في زمنه ، ونال من المؤيد كل تقدير وتعظيم ، نظراً لما قدمه لبلده من الجهود العلمية [١] . ونصبه كاتباً للخزانة والإنشاء ، وتنقل في التدريس بين تعز وزبيد وعدن ، وصار من جملة خواص الملك المجاهد بعد ذلك ، وظل على تلك الحالة حتى توفى عام ٧٢٩ هـ / ١٣٢٨م[٢] .

- **الفقيه أبو العتيق أبو بكر بن جبريل العدلى** : نسبة إلي قبيلة في السودان تعرف بالعدل ، قدم إلي اليمن ، شأن كثير من أبناء شرق افريقيا بحكم المسافة القريبة طلبا للعلم والتفقه على شيوخه ، فدرس على الإمام جمال الدين الريمى شارح التنبيه وآخرين من علماء زمنه،وبرع في الفقه ودرس على يديه العديد من أبناء بلاده،وتنقل للتدريس في عدة مدارس بتعز وزبيد ، إلي أن استقر في المدينة الأخيرة يدرس في مدرسة أم المجاهد إلي أن توفي عام ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م[٣] .

- **الفقيه موفق الدين على بن نوح الزيلعى الحنفى** : أصله من بلدة زيلع من مدن الحبشة ، وكان فقيها بارعا حنفى المذهب نقالاً للحديث حافظاً لمعانيه ، عارفاً بالأصول والفروع ، قدم إلي اليمن ، ودخل زبيد ، ورتب مدرساً في المنصورية الحنفية بها ، فأخذ عليه جمع كبير من أهل زبيد وغيرهم وذاعت شهرته في تدريس الفقه بزبيد ، وتوفى بها عام ٧٥١ هـ / ١٣٥١ م[٤] .

---

[١] ابن عبد المجيد : _بهجة الزمن_ ، (تحقيق الحبشى) ، ص ٢٨٤ ؛ الخزرجى : _الكفاية_ ، ص ١٥٣، _العقود_ ، ج١ / ٣٥٤ .

[٢] بامخرمة : _تاريخ ثغر عدن_ ، ج٢ / ٤٩ - ٥٠ ويجعل وفاته عام ٧٢٧ هـ / ١٣٢٦ م ، راجع . الخزرجى : _العقود_ ، ج٢ / ٥٣ ويجعل وفاته كما أثبتنا بالمتن .

[٣] الأفضل الرسولى : _العطايا السنية_ ، ق ٦ - ٧ .

[٤] الخزرجى : _العسجد_ ، ق ٢٢٢ ؛ _العقود_ ، ج٢ / ٧٧ .

-**المحدث أحمد بن عمر القزويني المكي**:(٦٣٩-كان حيا حتى ٧٢٠هـ/ ١٢٤١-١٣٢٠م):أقام بمكة سنين عديدة،سمع فيها على جماعة من علماء الحديث ثم ارتحل إلي اليمن،فنزل بعدن واستوطنها،وانتفع الناس بعلمه،وفي ذلك يقول بامخرمة أنه قل"من يدخل لطلب الحديث أو التفسير أو غيرهما يرشد إلي غيره" وأخذ عنه الجندى مؤرخ اليمن بعض مصنفاته ومروياته،وإجازة عامة فيها،ومدحه بقوله "وقل ما رأيت مثله في أهل الوقت،وكان صبوراً على الإقراء...وكان يدرس في مسجد السماع،إماما فيه" [1].

- **المقرئ أبو عبد الله جمال الدين محمد بن ميمون الغرناطي الأندلسي** : كان إماما في النحو،قدم مكة لأداء الفريضة وقرأ على جماعة من المبرزين فيها،ثم خرج إلي اليمن،فنشر علمه فدرس وأفتى،وصحب جماعة من أعيان العلماء باليمن، ورتب مدرسا في مدينة ثعبات،وقصده الدارسون للإفادة عليه في علوم القراءات والعربية،ومدحه أحد فقهاء اليمن المتأخرين عنه بقوله"نقل إلي من فوائد المقرئ جمال الدين الغرناطي في علم القراءات ما يعجز عنه أكابر الوقت،وأنا أتحسر على عدم الاجتماع به،فلقد أضاعه أهل وقته،كما أنهم لم ينصفوه"وتوفى المقرئ جمال الدين عام٧٩٢ هـ/١٣٨٩م[2].

- **عبد اللطيف بن أبي بكر بن أحمد الشرجي**:سراج الدين الحنفي: كان بارعاً في العربية،مشاركاً في الفقه،شيخ نحاة مصر وإمامهم في عصره،رحل إليه الناس،وانتشر ذكره في البلاد،وقدم مكة،ثم دخل اليمن،وأقام بزبيد وعرف بنزيل زبيد،درس الفقه في الدحمانية بها،وذاع صيته،فاستدعاه الأشرف الرسولى إلي مجالسه العلمية التى كان يداوم على عقدها خاصة في شهر رمضان،وجلس للدرس على يديه،والتمس منه شرح أحد المصنفات النحوية،كما صنف بدوره عدة مصنفات انتفع بها أهل اليمن،منها نظم مختصر الحسن بن أبي عباد في النحو والإعلام بمواضع اللام في الكلام،ونظم مقدمة ابن بابشاد في أرجوزة من ألف بيت،كما صنف مؤلفاً في الفلك وغيرها ، وتوفى عام ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩ م [3].

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣ / ١٨ ؛ بامخرمة :تاريخ ثغر عدن ، ج٢ / ١١ .
(٢) البريهى : طبقات صلحاء اليمن ، ص ٢٥١ ـ ٢٥٢ .
(٣) ابن القاضى :درة الحجال ، ج٣ / ١٦٩ ـ ١٧٠ ؛ السخاوى :الضوء اللامع ، م٤ / ٣٢٥ ؛ الحنبلي :شذرات الذهب ج٧ / ١٧ ، وأنجب الشرجى ولده أحمد في زبيد ونبغ الابن بدوره في=

- **المحدث أبو بكر بن قاسم بن طراد المصري المالكي** : قدم إلي مكة حاجاً ، فسمع بها على علماء الحديث ، ودخل اليمن عام ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م، فسمع على محدثها إبراهيم بن عمر العلوى ، وعاد إلي الديار المصرية ، حيث اجتمع به الفاسى صاحب العقد في القاهرة والإسكندرية ، وأجاز له مروياته ، وتوفي بمصر عام ٨٠٦ هـ / ١٤٠٣م [١] .

- **الفقيه حسام الدين الحسن بن على الأبيوردى** : من خراسان ، اشتغل على جماعة من أكابر علمائها ، ثم ارتحل إلي بغداد ، فلازم بعض فقهائها ، ودرس الفقه على أيديهم ، ثم قصد مكة للحج ، ودرس بها صحيح مسلم ، ثم عاد لخراسان وطوف ببعض المدن المحيطة بها ، فقرأ الحديث في بعضها ، ودرس علوم الرياضيات ، وتقدم على أقرانه رغم كثرتهم ، وصنف في ذلك المصنفات المفيدة ، ثم عاد إلي مكة لأداء الفريضة عام ٨١٤ هـ / ١٤١١ م ، وسافر في عام ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م إلي اليمن ، فدخل زبيد ، ولقى القبول بها ، ثم انتقل إلي تعز وبلغت شهرته الناصر الرسولى ، فاجتمع به ، وفوض إليه تدريس العلوم العقلية في بعض مدارس تعز ، فانتفع به الدارسون ، وتوفى عام ٨١٦ هـ / ١٤١٣ م ، وهو في الخامسة والخمسين من عمره [٢] .

- **العالم اللغوى مجد الدين الشيرازى الفيروز أبادى** : (٧٢٩ – ٨١٧ هـ / ١٣٢٨ – ١٤١٤ م) : كان إمام عصره في النحو والعربية والحديث ، تفقه ببلاده ، وارتحل للشام ومصر ومكة ، وسمع بها ، واشتهرت فضائله ومصنفاته، ودخل بلاد الروم والهند ، وقدم إلي اليمن في سنة ٧٩٦ هـ / ١٣٩٣م ، بعد وفاة قاضى قضاتها جمال الدين الريمى ، شارح التنبيه (ت ٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م) ، فأقره الأشرف الثانى على منصب قاضى القضاة باليمن ، و لم

=العربية ، وكذلك ابنه شمس الدين محمد الذى احتل كرسى التدريس بالصلاحية بزبيد ، واجتمع به ابن حجر وسمع عليه شيئا في الحديث كما مهر في العربية أيضا وتوفى ٨١٢ هـ / ١٤٠٩ م ، (الحنبلى: *المصدر السابق* ، ج٧ / ٩٦) .

[١] الفاسى : *العقد الثمين* ، ج٨ / ١٩ – ٢٠ .

[٢] ابن القاضى : *درة الحجال* : ج١ / ٢٤٩ ؛ السخاوى : *الضوء اللامع* ، م٢ / ١٠٩ – ١١٠ ؛الحنبلى : *شذرات الذهب* ، ج٧ / ١٢٠ ؛ البريهى : *نفسه* ، ص ١٩٩ ؛ بامخرمة : *المصدر السابق* ، ج٢ / ٥٣ .

يزل متوليا هذا المنصب حتى توفى عام ٨١٧ هـ / ١٤١٤ م ، وقد حظى بمكانة مرموقة في البلاط الأشرفى ، ودرس في مدارس زبيد ، والتف عليه تلاميذه ، وقرأوا عليه صحيح البخارى ، فاجتمع من الفقهاء وغيرهم جمع عظيم ، وبلغ عدد من حضر عند ختم الصحيح نحو سبعمائة رجل ، ولما وصل مدينة تعز ، حلقت به طلبة العلم من أهلها وفقهائها وغيرهم من كل مكان ، فسمعوا عليه كتب الحديث والتفسير وأفادهم فائدة عظمى [١] .

ونال مكانة عظيمة في المجتمع اليمنى حتى أن البريهى يذكر أن العلماء والفضلاء إذا حضروا مجلسا هو فيه لزموا الأدب معه ، فمن كان منهم مفيدا ، صار بين يديه مستفيدا " فيكتبون معظم ما يتكلم به ويعلقونه في كتبهم " [٢] .

وقد صنف أثناء مقامه بزبيد معجمه الشهير بالقاموس المحيط في اللغة ، وله من التواليف شرح للبخارى أسماه " منح البارى في شرح البخارى " ، وكتاب المعالم المطابة في تاريخ طابة [٣] ، كما صنف في الفقه مصنفا برسم الأشرف الرسولى أسماه " الاصعاد " ، في أربعة أسفار ، وصنف لولده الناصر كتابا آخر في الحديث عنوانه " تسهيل الوصول إلي الأحاديث الزائدة على جامع الأصول ، في أربعة مجلدات ، وغيرها [٤] .

- <u>**الفقيه غياث الدين أبو عبد الله محمد بن خضر الكابلى الدفوى الحنفي**</u> : وكان فقيهاً أصولياً نحوياً عارفاً باللغة والفقه مجيداً للحديث والتفسير والقراءات ، شمولى المعرفة كعادة علماء عصره ، حيث أتقن المنطق والمعانى والبيان وغيرها من علوم العصر ، خرج من بلاده قاصداً مكة لأداء فريضة الحج ، فوصل إلي عدن عام ٧٩٣ هـ / ١٣٩٠ م ، فقرأ عليه جماعة من أهلها في النحو والمعانى، وارتحل إلي زبيد ، حيث استقبله السلطان الملك الأشرف بالترحاب ، وقرأ عليه عدد من أهل زبيد من الحنفية والشافعية في الفروع والأصول وغيرهما ،

---

(١) البريهى : <u>نفسه</u> ، ص ٢٩٦ .
(٢) البريهى : <u>*نفس المصدر والصفحة*</u> .
(٣) البريهى : <u>نفسه</u> ، ص ٢٩٤ .
(٤) الخزرجى : <u>*العسجد*</u> ، ق ٢٧٧ ، <u>*العقود*</u> ، ج٢ / ٢١٨ - ٢١٩ ؛ ابن قاضى شهبة : <u>*طبقات الشافعية*</u> ، م٢ / ٣٩١ - ٣٩٥ ؛ البريهى : <u>نفسه</u> ، ص ٢٩٣ - ٢٩٧ .

وبلغ من تقاطر الدارسين عليه في المسجد الجامع بزبيد أن حلقته كانت تضم نحـــواً من مائتي دارس ، مما يدل على غزارة علمه ومهارته في التدريس ، وصنف كتابـــاً في الفقه الحنفى برسم السلطان الملك الأشرف بناء على طلبه لم تمـــدنا المصـــادر بعنوانه ، ثم خرج بعد ذلك قاصداً الحج إلي مكة ، ومنها عاد إلي كـــابول عـــام ٧٩٤هـــ / ١٣٩١ م [١] .

- أحمد بن محمد بن إبراهيم شرف الدين المصرى : من علماء الحـــديث بالديار المصرية في القرن الثامن الهجرى / ق ٤١ م ، وفد إلي اليمن قادما من مكة، فقرأ البخارى في عدن على أئمة الحديث بها ، وأجازوا له بعض مروياتهم في عـــام ٧٤٨ هـــ / ١٣٤٧ م [٢] .

- الإمام المحدث شهاب الدين أحمد بن عمـــر الأنصـــارى الشـــاذلى المصرى: المعروف بالشاب التائب ، وفد إلي اليمن ووعظ ، وفسر القرآن الكـــريم بجامع الأشاعر بمدينة زبيد ، وسمع عليه جماعة من فضلاء اليمن ، وأجاز لعدد منهم في قراءاته ومروياته ، وصحب أكابر الصوفية باليمن كالشيخ أحمد الرداد الآتـــي ذكره، وذاعت شهرته في الآفاق وبلغت الأشرف الرسولى ، فأضاف إليه الخطابـــة بجامع زبيد " فجلا صدأ الصدور بوعظه ، وأزال درن القلوب بجواهر لفظـــه " ، وبقى على ذلك مدة ، ثم تنقل في مدن اليمن ، وعقد العديد من المناظرات العلمية مع فقهاء زبيد ، وتعز ، وإب ، كما وعظ فيها ، وفسر القرآن الكريم ، ثم ارتحـــل من اليمن إلي مكة المشرفة حيث أقام مجلسه للوعظ والتفسير ، فعكف عليه طلبـــة العلم الشريف ، فازداد شهرة ، ثم ارتحل لمصر ، وانتقل إلي دمشق ، حيث وافـــاه الأجل بها بعد عام ٨٢٠ هـــ / بعد ١٤١٧ م [٣] .

- أحمد بن أبي بكر بن محمد المكى المعروف بابن الـــرداد الزبيـــدى : (٧٤٨ - ٨٢١ هـــ / ١٣٤٧ - ١٤١٨ م) : قدم إلي اليمن من مكة ، واستقر بها فعرف بالزبيدى ، واتصل بالأشرف الثانى الرسولى ، ولازمه حتى صار من جملة

---

[١] بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج٢ / ٢١٤ - ٢١٥ .
[٢] بامخرمة : المصدر السابق ، ج٢ / ١٢ .
[٣] البريهـي : طبقـات صلحـاء اليمن ، ص ٢٤١ - ٢٤٢ ؛ بامخرمـة : نفسـه ، ج٢ / ١٠ - ١٢ ، راجع: الحنبلى حيث حدد تاريخ وفاته بعام ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨ م : شذرات الذهب ، ج٧ / ١٩٨ .

ندمائه وأخصهم به ، كما لازم صحبة الشيخ الصوفى اسماعيل الجبرتى ، وقد اشتهر في عدة فنون وخاصة النظم والحديث ، وسمع على ابن حجر عند وفوده إلي اليمن جزءاً من الحديث ، وأجاز لأبناء ابن حجر ، وانصرف للنسك والعبادة ، وولى قضاء اليمن بعد وفاة الشيرازى ، ثم توفى عام ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م [١] .

- **شيخ الإسلام ابن حجر العسقلانى (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ / ١٣٧١ - ١٤٤٨ م)** : وهو ممن رحل إلي اليمن في أوائل المائة التاسعة للهجرة بعد أن جاور بمكة ، فأقبل على الاشتغال والتصنيف باليمن ، فاجتمع إليه جماعة من فقهاء اليمن فأفادهم وأفاد منهم ، وكانت له مع بعض علماء اليمن وشعرائها العديد من المناظرات الفقهية التى أثرت الحياة العلمية باليمن ، ثم رحل من اليمن إلي مصر حيث اخترمته المنية ، وكان قد تولى بها القضاء الأكبر ، وأفضت إليه الرئاسة بجميع العلوم [٢] .

- **فتح الدين محمد النحريرى المعروف بأمين الحكم** : برز في علوم الحديث والعربية والفقه ، وقصد مكة حاجاً ، وجاور بالحرمين ، ثم دخل اليمن ، فقرأ الحديث بصنعاء وغيرها من المراكز العلمية اليمنية ، فأفاد به الدارسون ثم عاد إلي القاهرة ، حيث توفى عام ٨٢٢ هـ / ١٤١٩ م [٣] .

- **شمس الدين بن ركن الدين محمود الجيلانى** : وفد إلي اليمن سنة ٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م ، فدخل عدة مدن منها إب ، وقصد نواحى اليمن للزيارة وطلب الإفادة ،وساهم في نشر التصوف باليمن ، فلبس الخرقة على يديه عدد من كبار شخصيات اليمن ، ثم ارتحل من إب بعد فترة قصيرة [٤] .

- **عبد اللطيف بن أحمد بن على الفاسى المكى** : (٧٧٨ - ٨٢٢ هـ/ ١٣٧٦ - ١٤١٩ م) : هو شقيق الفاسى صاحب العقد الثمين ، تعلم ودرس الحديث وحفظ عدداً من المصنفات بمكة ، ثم ارتحل مع أخيه إلي القاهرة ، فسمع بها وأخذ علوم الحديث والفقه على شيوخها ، وعاد إلي مكة وقد تبصر في كثير

---

[١] للمزيد راجع : السخاوى : *الضوء اللامع* ، م١ / ٢٥٩ - ٢٦٢ .
[٢] البريهى :*طبقات صلحاء اليمن*،ص٣٣٩- ٣٤٠؛الحنبلى :*شذرات الذهب* ، ج٧ / ٢٧٠ - ٢٧٢ .
[٣] الحنبلى :*شذرات الذهب* ، ج٧ / ١٥٨ .
[٤] البريهى :*نفسه* ، ص ٣٣٩ .

من فنون العلم ، ودخل اليمن مراراً ، وأخذ بزبيد عام ٨٠٣ هـ / ١٤٠٠ م عن فقيهها الشهاب أحمد بن أبي بكر الناشرى ، وأذن له في الافتاء والتدريس ، ثم رحل إلي القاهرة وأقبل على الاشتغال بالعلم ، وبرز في علوم الحديث والفقه والأصول ، ثم انتقل إلي مكة وتنقل وهو يعمل في التدريس إلي تونس ، والقاهرة والإسكندرية ، إلي أن وافته المنية بالقاهرة عام ٨٢٢ هـ / ١٤١٩ م [(١)] .

– **المحدث أبو اسحاق إبراهيم بن محمدبن صديق الدمشقي** : وفد إلي اليمن سنة ٨٠٥ هـ / ١٤٠٢ م ، فقرأ عليه جماعة من العلماء صحيح البخارى وغيره من أمهات كتب الحديث ، وأجمع كل من درس عليه على غزارة علمه بتحقيق علم الحديث النبوى ، وعلو سنده ، وشدت إليه الرحال من أماكن شتى باليمن ، " فأفادهم غرر الفوائد " ، وذاعت شهرته في الآفاق ، ثم ارتحل إلي مكة المشرفة [(٢)] .

– **المحدث شمس الدين بن محمد الحسني القادرى** : كان إماما محدثاً فقيهاً، قرأ على أكابر علماء مكة والشام ومصر وغيرها وأجازوا له ، ثم دخل اليمن بعد ٨١٠ هـ / ١٤٠٧ م ، فاجتمع بدارسيها وكبار شيوخها فأفادهم وأفاد منهم ، وكانت له عناية بالشعر إلي جانب الحديث [(٣)] .

– **الفقيه المقرئ أحمد بن محمد بن عياش الدمشقي** : كانت له عناية قصوى بعلم القراءات ، بصيرا بها ، وفد إلي اليمن ، واستوطن تعز ، وتصدى للقراءات ، فالتف حوله جمع كبير من أهل اليمن ، وظل قائما بتدريس علوم القرآن الكريم ، حتى توفى عام ٨٢٢ هـ / ١٤١٩ م [(٤)] .

– **الحافظ جمال الدين أبو البركات محمد بن موسى بن على المراكشي** : أحد فضلاء الشافعية ، تفقه بمكة والمدينة ، وباشر الإفتاء والتدريس في الحرمين ، ورحل طلباً للعلم والسماع على المبرزين في علم الحديث في مصر والشام ، وروى عن شيوخهم ، ثم رجع إلي مكة بعد أن كملت معرفته وخرج لغير واحد من

---

(١) الفاسى : *العقد الثمين* ، ج٥ / ٤٨٢ – ٤٨٦ ؛ السخاوى : *الضوء اللامع* ، م٢ / ٣٢٢ – ٣٢٣ .
(٢) البريهى : *المصدر السابق* ، ص ٣٤٠ – ٣٤١ .
(٣) البريهى : *المصدر السابق* ، ص ٣٤٠ .
(٤) الحنبلى : *شذرات الذهب* ، ج٧ / ١٥٤ ؛ البريهى : *نفسه* ، ص ٢٠١ – ٢٠٣ .

مشايخه ، وصنف عدة تصانيف في علم الحديث ، ثم أعمل الرحلة إلي اليمن وتكرر رحيله إليها عدة مرات ، منها رحلته في عام ٨٢٠ هـ / ١٤١٧ م ، حيث تولى تدريس الحديث بالمدرسة التاجية بزبيد ، ومال بعد ذلك إلي استيطان اليمن فنقل إليه مصنفاته ، وظهرت لفضلاء اليمن مهارته في الحديث وغيره من العلوم الشرعية، فقدروه قدره ونوهوا بذكره ، وبلغ خبره إلي الناصر أحمد بن الأشرف الرسولى فمال إليه ، وناله منه جزيل العطايا بعد أن مدحه بعدة قصائد عصماء ، واستقرت له مشيخة الحديث بالتاجية ، فقصده الطلاب للأخذ عليه ، وصار يخرج من اليمن للحج ، وعندما يقيم في مكة والمدينة كان يتدفق عليه طلاب العلم للأخذ عليه والاجازة لهم ، حتى توفى بمكة المشرفة أثناء احدى حجاته عام ٨٢٣ هـ / ١٤٢٠ م ، وترك عدة مصنفات منها كتاب لم يكمله في تاريخ المدينة النبوية ، ومختصر في علم الحديث،وأربعين حديثا،وكثير من النظم والقصائد [(١)] .

- **القاضي عز الدين عبد العزيز بن على بن أحمد النويرى القرشي المكي الشافعي**:(٧٧٨-٨٢٥ هـ/١٣٧٦-١٤٢١م):يعد من أكابر فقهاء الاسلام،فقد كان محدثا أصوليا نحويا،مجودا لجميع فنون العلم،وفد إلي اليمن عدة مرات آخرها في أوائل المائة التاسعة للهجرة/أوائل ق ١٥م،فأقام باليمن نحوا من عشر سنوات،فأحسن إليه السلطان الملك الناصر أحمد الرسولى،فولاه قضاء تعز ، ومشيخة الحديث في المظفرية والسيفية وغيرها،فدرس وأفتى،وقرأ عند الناصر صحيح البخارى،فأقبلت على القراءة عنده جماعات كثيرة من فقهاء البلد وغيرهم وأجاز للعديد من أعلام عصره الوافدين لليمن كالتقى بن فهد وابن حجر ، وصارت له الرئاسة التامة أثناء مقامه بتعز،وولايته للقضاء بها،فتشدد مع الناس في الأحكام،فشق ذلك عليهم،وشكوه للسلطان وشنعوا عليه،فعزله السلطان عن القضاء،فرجع إلي مكة المشرفة،حيث وافته المنية أثر مرض أصابه بها عام ٨٢٥هـ/ ١٤٢١ م [(٢)] .

---

(١) وقد اختلف في تاريخ ميلاده فيما بين عامى ٧٨٧ ، ٧٨٩ هـ / ١٣٨٥ ، ١٣٨٧ م ؛ راجع : الفاسى : _العقد الثمين_ ، ج٢ / ٣٦٤ ٣٧١ (ت ٤٦٥) ؛ ابن قاضى شهبة : _طبقات الشافعية_ ، م٢ / ٣٩٣ وهـ ١٨ ؛ الحنبلى : _شذرات الذهب_ ، ج٧ / ١٦١ ـ ١٦٢ .

(٢) البريهى : _طبقات صلحاء اليمن_ ، ص ٣٤٣ ؛ السخاوى : _الضوء اللامع_ ، م٢ ج٤ / ٢٢١ ـ ٢٢٢ (ت ٥٦٨) ؛ الحنبلى : _شذرات الذهب_ ، ج٧ / ١٧٤ ـ ١٧٥ وذكر وفاته عام ٨٢٦ هـ / ١٤٢٢ م .

- **الإمام شمس الدين على بن الياس الحموى** : وفد إلي اليمن في سنة ٧٩٧ هـ / ١٣٩٤ م ، وكان له الباع الأطول في العلوم كلها ، ولكنه تفوق في علوم الأدب إلي حد أنه كان ينشئ الرسائل والمناشير والنظم ارتجالاً ويسردها سريعاً ، واشتهر غاية الشهرة ، فأقامه الأشرف الثاني الرسولى مدرساً بالمدرسة المعتبية ، وأضاف إليه الخطابة بالجامع المظفرى بذى عدينة ، " فكان واعظا تسرق الأفئدة لوعظه ، وانتفع عليه جماعة من طلبة العلم الشريف بتعز والوافدين إليها ، ثم ارتحل عن اليمن بعد فترة " [1] .

- **القاضى الإمام بدر الدين محمد بن أبي بكر المخزومى الدمامينى الاسكندرانى المالكى** : (٧٦٣ – ٨٢٧ هـ / ١٣٦٢- ١٤٢٤م) [2] : وهو من الأئمة البلغاء كان متبحراً في فنون الأدب له فيه مصنفات عديدة منها " كتاب المثنى على كتاب المغنى " في النحو ، وبرز في النظم والنثر والخط ، وكانت له مشاركة في الفقه وغيره من علوم الشرع ، وتصدر لإقراء النحو بالأزهر والجامع الغربى بالاسكندرية ، ووفد إلي اليمن في دولة الناصر الرسولى عام ٨١٨ هـ / ١٤١٥ م ، فأكرمه ، واجتمع بالأئمة من فقهاء زبيد وناظرهم ، ودرس بجامعها نحو سنة كاملة ، وانتقل إلي عدن ، فأجاز لبعض فقهائها في جميع مصنفاته وما تجوز له روايته وذلك عام ٨١٩ هـ / ١٤١٦ م . وله العديد من الأشعار منها ما قاله في وصف زبيد ونسائها ، ومدح النبى صلى الله عليه وسلم وغير ذلك كثير ، ثم رحل إلي الهند ، فأقبلت عليه الدنيا هناك ، وعظمه أهل الهند ، وأخذوا عنه وتوفى هناك . وكان البدر بن الدمامينى أحد " الكملة " في فنون الأدب ، حتى لقب بشاعر عصره ، وصنف عدداً من المصنفات في العلوم الشرعية من أهمها " نزول الغيث " وهى حاشية انتقد بها الصفدى في مصنفه شرح لامية العجم ، وتحفة الغريب في حاشية مغنى اللبيب وشرح البخارى وأغلبه في الإعراب ونحوه ، وله

---

(١) البريهى : *نفسه* ، ص ٣٤٣ ، ولم يحدد موضع وفاته أو تاريخها .

(٢) خالف الحنبلى بقية المؤرخين فحدد تاريخ ميلاده بعام ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م (راجع : *شذرات الذهب* ، ج٧ / ١٨١) كما اختلف البعض ايضا في تاريخ وفاته فحددها بعام ٨٢٨ هـ / ١٤٢٥ م (راجع : *اسامه احمد اسماعيل : الإسكندرية ، ص ٩٤٥ هـ ١*) .

شرح التسهيل ، وشرح الخزرجية ، وجواهر البحور ، وهـو مصـنف في علـم العروض وشرحه ، ومختصر حياة الحيوان للدميرى وغير ذلك [١]

– **الإمام تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكـي** : (٧٧٥ - ٨٣٢ هـ / ١٣٧٣ - ١٤٢٨ م) : صاحب كتاب العقد الثمين وغـيره مـن المصنفات ، قدم إلي اليمن عام ٨٠٥ هـ / ١٤٠٢ م ، فسمع على العديـد مـن علمائها بعدن وغيرها من المدن اليمنية ، وأجازوا له ، وجلس للحديث في عدد من مدارسها ، فكان فقيهاً حافظاً له يد طولى في الحديث والتاريخ والفقه ، وتكـرر دخوله إلي اليمن عدة مرات للسماع والإسماع ، فانتفع به الكثير من طلبة العلـم وأجاز العديد من أهل تعز وإب وغيرهما ، وتداولوا مصنفاته العديدة بينهم [٢] .

– **الإمام المقرئ المحدث شمس الدين أبي الخير محمد بن يوسف الجزرى**

أصله من شيراز بفارس ، نـزل دمشق والقاهرة ، وطاف شرقاً وغربـاً ، وأدرك كبار الأئمة في عصره وسمع عليهم وصنف الكتب النافعة في الحديث والقراءات ، ودخل اليمن عام ٨٢٨ هـ / ١٤٢٤ م ، زمن المنصور عبد الله بن الناصر أحمـد الرسولى ، فأحسن إليه احساناً كبيراً ، واستقر بزبيد ، مقرئاً لطلبة العلم بمسـجد الماشطة ، وحضر القراءة خلائق كثيرة ، وأسمع الحديث بمسجد الأشاعر ، وممـن حضروا مجلس سماعه الشاعر الفقيه اسماعيل بن أبي بكر المقرى ، وكانت بينـهما مطارحات ومناظرات علمية وأدبية حسنة ، ثم انتقل الإمام الجزرى إلي مدينة تعز ، فاجتمع عنده فقهاء المدينة وأعيان العلماء بها وقرأوا عليه ، ونسخ بعضهم جملاً من مصنفاته ، كما قرئ عليه صحيح مسلم ، وكتاب " النشر في القراءات العشر " ، وبعض صحيح البخارى وعدة مصنفات أخرى في الحديث ، فأفادهم ، واستفاد ، ثم ارتحل ثانية لشيراز حيث توفى في عام ٨٣٣ هـ / ١٤٢٩ م [٣] .

---

[١] للمزيد عنه وعن مصنفاته وأشعاره : راجع : البريهى : _طبقات صلحاء اليمن_ ، ص ٣٤١ - ٣٤٢؛ بامخرمة : _تاريخ ثغر عدن_ ، ج٢ / ٢٠٦ ؛ وأنظر أيضا : ابن القاضى : _درة الحجال_ ، ج٢ / ٢٨٦ - ٢٨٧ ؛ الحنبلى : _شذرات الذهب_ ، ج٧ / ١٨١ - ١٨٢ ؛ أسامة أحمد اسماعيل : الإسكندرية، ص ٩٤٤ - ٩٤٥ وما بهما من مصادر .

[٢] الفاسى : _العقد الثمين_ ، ج١ / ٣٣٧ - ٣٣٨ ؛ السخاوى : _التحفة اللطيفة_ ، ج٣ / ٤٨٨ - ٤٩٢ ؛ البريهى : _طبقات صلحاء اليمن_ ، ص ٣٤٦ - ٣٥٠ ؛ السخاوى : _الضوء اللامع_ ج٧ / ١١ .

[٣] البريهى : _طبقات صلحاء اليمن_ ، ص ٣٤٦ - ٣٤٧

- المحدث نسيم الدين عبد الغني بن جلال الدين عبد الواحد الفوى المكي المعروف بابن المرشدي : نبغ في علم الحديث حتى لقب بالإمام الفاضل والمحدث المفيد وغير ذلك من الألقاب التي تدل على علو كعبه في الحديث والإسناد،ثم دخل اليمن وسمع من الشيخ مجد الدين الفيروز أبادي،وتتلمذ على ابن حجر حال وجوده باليمن ورحل للقاهرة حيث توفى عام ٨٣٣ هـ/١٤٢١م[١] .

- عبد الرحمن بن علي الهندي الواعظ (٧٧٠ - ٨٣٧ هـ / ١٣١٨- ١٤٣٣ م) ، قدم من الهند إلي بلاد الشرق سعيا وراء العلم ، فدخل أرض الحجاز، وقدم إلي اليمن ، فأخذ على علمائها وسمع الحديث ، ثم جاور بمكة فترة ، وقدم للقاهرة ، فنال فيها حظوة ، ثم ارتحل لبيت المقدس ، وعقد به مجلس وعظه ، ودرس على يده جماعة من فضلاء الشام اثنى بعضهم على علمه وصلاحه ، ثم خرج متوجها لبلاده ، فمات غرقا عام ٨٣٧ هـ / ١٤٣٣ م [٢] .

- الفقيه محمد بن أبي بكر بن الحسين المراغي المدني : (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م) ، قدم إلي اليمن بعد عام ٨١٠ هـ / ١٤٠٧ م ، زمن الناصر أحمد الرسولى ، فأحسن إليه ، وقلده بما يستحقه ، فالتف حوله الدارسون وطلاب العلم، فقرأوا عليه ، وروى عليهم بأسانيده ، وصنف شرحا للمنهاج سماه " المشرع الروى في شرح منهاج النووى " في أربعة مجلدات ، وأقام بزبيد ، ثم تعز ، ودرس بهما ، ثم رجع إلي مكة المشرفة وبها كانت وفاته [٣] .

- الفقيه المحدث فتح الدين أبو الفتح محمد الشرف:(٧٧٥-٨٥٩هـ / ١٣٧٣ - ١٤٥٤ م) ، ولد بالمدينة المنورة ، ونشأ بها ، وتلقى علومه ودراساته في القرآن والفقه والنحو بها على شيوخ بلده ، والقادمين عليها وارتحل إلي القاهرة وراء العلم ، ثم عاد للمدينة وسمع عليه العديد من أهلها والوافدين إليها، وتكرر دخوله إلي اليمن عدة مرات ، فاجتمع بعدد من أعيان علمائها وقرأ عليهم وتأدب بهم وأجازوه فيما سمع عليهم ، وأذنوا له بالإفتاء والدرس ، فَحَدَّث ودَرَّس

---

(١) السخاوى : _الضوء اللامع_ ، م٢ ج٢ / ٢٥١ - ٢٥٣ ؛ الحنبلى : _شذرات الذهب_ ، ج٧ / ٢٠٣ .

(٢) السخاوى : _الضوء اللامع_ ، م٢ ج٤ / ١٠٣ .

(٣) البريهى : _طبقات صلحاء اليمن_ ، ص ٣٤٢ ، السخاوى : _الضوء اللامع_ ، ج٧ / ١٧٨ .

باليمن،وأجاز لعدد من الوافدين إليها وجماعة من أهلها،ثم انتقل إلي المدينة ، ومكة حيث توفى بها عام ٨٥٩ هـ / ١٤٥٤ م [١] .

– الحافظ المحدث وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد العدناني البرشكي المالكي:رحل من بلده تونس متجها إلي مكة لأداء فريضة الحج،ثم رحل إلي اليمن في عام٨٢٨ هـ/١٤٢٤م،وأقام في مدينة زبيد مدة،وأجاز لأهلها،ثم انتقل إلي مدينة تعز،فتتلمذ عليه جماعة من أهلها،وقرأوا عليه موطأ الإمام مالك،وحضر البريهي مجلس درسه واقرائه بالمدرسة الأشرفية،حيث اجتمع خلق كثير،وضاقت المدرسة بهم،وأجاز لكافة الحاضرين،ومنهم البريهي،وكتب لهم الإجازات فيما درسوه عليه بخطه،ومن مؤلفاته كتاب"المكافحة في أحكام المصافحة"وله أشعار عديدة في الوعظ وغيره[٢].

–الشيخ شمس الدين على بن يوسف بن أحمد المصرى ويعرف الغزولى : قرأ على جماعة من العلماء،في جميع فنون العلم،وأجازوا له ، فدرس وأفتى ، وطاف بالبلدان،فقدم إلي اليمن،حيث نزل بتعز،فدرس بها،ثم انتقل إلي ثغر عدن فأقام بها يدرس ويفتى والتف حوله بعدن عدد كبير من طلاب العلم وصنف في اليمن عدداً من التواليف منها كتاب بعنوان " شرف العنوان " ضمنه خمسة علوم هى الشعر ، والجبر والمقابلة ، والنحو والعروض ، كما صنف في الأصول رسالة قيمة ، وارتحل إلي الهند ، فدرس بها ، وهناك وافته المنية عام ٨٦٥هـ / ١٤٦٠ م [٣] .

– الفقيه المحدث أبو عبد الله صالح بن جباره الطرابلسى المغربى : كان فقيها محدثا،تفقه ببلده على أعيان علمائها ثم قدم عدن حيث انتفع به جماعة من أهلها والنازلين بها،وأخذوا عنه،وأدركته الوفاة بعدن عام٧١٤ هـ/ ١٣١٤م [٤] .

– القاضى سالم بن عبد الله الهندى : وكان معاصراً لابن بطوطة ، لقيه أثناء قدومه إلي عدن ، وأثنى عليه ، وانتهت إليه الرئاسة في العلم والقضاء بعدن ، وأقام ابن بطوطة في ضيافته أياما [٥] .

---

[١] السخاوى : التحفة ، ج٣ / ٥٣٥ – ٥٣٩ .
[٢] البريهى : طبقات صلحاء اليمن،ص ٣٤٧ – ٣٤٩ ؛ السخاوى : الضوء اللامع ، م٢ ج٤ / ١٣٢ .
[٣] البريهى : المصدر السابق ، ص ٣٥٠ – ٣٥١ ؛ السخاوى :الضوء اللامع ، ج٦ / ٥١ – ٥٢ .
[٤] الخزرجى : العقود ، ج١ / ٣٨٨ – ٣٣٫٩ ؛ بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج٢ / ٩٨-٩٩ .
[٥] ابن بطوطة : الرحلة ، ج٢ / ١٧٩ .

– عبد الله بن عبد الجبار بن عبد الله الاسكندرانى (٥٤٤ – ٦١٤ هـ / ١١٤٩ – ١٢١٣ م) : أصله من شاطبة بالأندلس ، وولد ونشأ بالثغر السكندرى ، وسمع بها من السلفى وغيره ، وحدث في عدة مدن ، ودخل اليمن ، فسمع عليه عدد من فضلائها ، وأثنى عليه وعلى علمه بعضهم [(١)] .

– أبو محمد عبد الله بن عمر بن أبي زيد الاسكندرانى : كان فقيها عارفا بالقراءات السبع وله فيها تصنيف كامل يسمى " الكامل " ، قدم إلي اليمن ، وأفاد من علمه الكثيرين من أهلها ، ودخل ثغر عدن عام ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م فأخذ عنه جماعة منهم شيخ القراء في عصره أبو العباس أحمد بن على الحرازى ، ثم رجع إلي الإسكندرية حيث توفى [(٢)] .

– المحدث محمد بن إبراهيم بن اسماعيل الزنجانى الشيرازى : درس بشيراز وبرع في الحديث والتفسير ، ودخل اليمن مرتين في دولة المؤيد الرسولى مبعوثا من ملك شيراز ، وكان يقيم في كل مرة من المرتين بعدن حيث يتصدر التدريس في معاهدها العلمية ، حتى انتفع به جماعة كثيرين من أهل عدن والوافدين إليها ، واجتمع به البهاء الجندى في عدن في المرة الثانية عام ٧١٨ هـ / ١٣١٨م، وأخذ عليه جملة من الأحاديث ، كما أجاز لجماعة أخرى ، وله عدة مصنفات في الحديث والتفسير [(٣)] .

– الفقيه شمس الدين محمد بن أحمد بن صقر الدمشقي : نشأ بالشام وتفقه بها ، حتى بلغ الغاية ، ثم حج وجاور بمكة ، وسمع على شيوخها ، ودخل اليمن صحبة الملك المجاهد عند صدوره لليمن بعد أداء الفريضة عام ٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م ، وكان فقيها أصوليا محدثا ، ولاه المجاهد القضاء الأكبر ، وقرأ عليه شيئا من العلوم ، وجعله من خواصه وأهل حضرته ، وبقى على القضاء الأكبر فترة من عهد المجاهد ، وطوال عهد ولده الأفضل ، وصدراً من دولة الأشرف الثانى ، وأسند إليه المجاهد النظر على المدارس ، فبقى على حاله بذلك ، وقام بالتدريس

---

(١) بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، ج٢ / ١١٥ – ١١٦ .
(٢) بامخرمة : *المصدر نفسه* ، ج٢ / ١١٧ .
(٣) بامخرمة : *المصدر نفسه* ، ج٢ / ١٩٣ .

والفتوى ، وانتفع الناس من تدريسه انتفاعاً كلياً ، وهو أول من أدخل كتاب " المهمات على الروضة " [١] إلي اليمن ، ورزق الجاه والقبول عند العامة ، وظل على الحال المرضى حتى توفى بتعز عام ٧٨٥ هـ / ١٣٨٣ م [٢] .

- **الإمام شرف الدين موسى بن عمر بن مرى الغزولي** : نسبة إلي قرية غزولة ببلاد الشام ، دخل اليمن ، واستقر بتعز ، حيث درس بالمجاهدية صحيح البخارى ، على يد الإمام نفيس الدين سليمان بن إبراهيم العلوى وذلك في عام ٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ م ، وأجازه العلوى ضمن جماعة آخرين بعد ٢٣ مجلساً للإقراء ، وخط العلوى الإجازة وأرخها بالتاريخ السابق ذكره ، واستقر شرف الدين بعد ذلك في التدريس بالمجاهدية ، ولكن سرعان ما وافته المنية فتوفى في نفس العام [٣] .

---

[١] وهو تأليف الإمام جمال الدين عبد الرحيم الاسنوى (ت ٧٧٢ هـ / ١٣٧٠ م) صاحب كتاب طبقات الشافعية ، ويعد أحد الكتب المتميزة في الفقه الشافعي .

[٢] البريهي : _طبقات صلحاء اليمن_ ، ص ١٨٢ - ١٨٣ ؛ الخزرجي : _العقود_ ، ج٢ / ١٥١ ؛ بامخرمة ، _تاريخ ثغر عدن_ ج٢ / ١٩٩ .

[٣] البريهي : _طبقات صلحاء اليمن_ ، ص ١٨٨ .

(٣) الرحلات العلمية في داخل اليمن

وبالإضافة إلي الرحلات الخارجية التى كان يقوم بها العديد من أبناء اليمن – كما أوضحنا – طلبا للعلم والتفقه بالدين ، في شتى أقطار العالم الإسلامى ، يجدر بنا أن نذكر بعض ممن كانوا يتنقلون بين مدن اليمن المختلفة لتحصيل العلم والاستزادة في فروعه على المبرزين من أبنائه المنتشرين في شتى أرجاء اليمن ، فحيثما يستقر الفقيه العالم في أحد مناطق اليمن ، يتوافد إليه الطلبة والدارسون من شتى بقاع اليمن ، وعلى هذا النحو تعددت الرحلات العلمية في داخل بلاد اليمن نحو المراكز العلمية المتفوقة التى تموج بالعلماء سعيا إلي التزود بعلمهم ، وهكذا شدت إليهم الرحال للسماع والاستجازة ، ومن بين هؤلاء العلماء الذين اجتذبوا إليهم طلاب العلم :

١- الإمام سيف السنة : الذى انتهت إليه الرئاسة في علم الحديث في زمنه، وذاع صيته واشتهر في أنحاء اليمن ، وقام بتدريسه في إب وذى جبلة ، ثم نزل الجند ، فرحل اليه الطلاب من كل مكان ، ويذكر ابن سمرة أنه " اجتمع إليه الأصحاب من ظبا [١] ، وذى أشرق ، والشعبانية [٢] ، وأعمال الجند وغير ذلك ، فأسمعهم إياه...سنة احدى وثمانين وخمسمائة " [٣] .

٢- الفقيه علي بن عيسى بن مفلح المليكى : أصله من مدينة إب ، وارتحل إلي عدن ، وأخذ على أعلامها في الفقه والحديث والتفسير والفرائض ، وظل ينتقل بين عدن وإب وجبأ ، وداوم على عقد مجالس درسه وسماعه فيها ، وأخذ عليه بكل مدينة جماعة من الدارسين [٤] .

٣- الإمام جمال الدين محمد بن حسين السراج : كان فقيهاً محدثاً نحوياً جامعاً لأشتات العلوم مصنفاً،ودرس وأفتى وانتفع به أهل صنعاء وغيرهم،وقصده طلاب

---

(١) ظبا : احدى القرى الواقعة بين ذى السفال وسهفنه وهى معدودة بين قرى الجبال بكثرة الفقهاء ، وبها مسجد يرجع تاريخ بنائه إلي خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه (الجندى : *السلوك* ، ج١ ، ق ٧٨) .

(٢) الشعبانية:صقع متسع فيه قرى كثيرة من أعمال تعز (راجع الجندى : *السلوك* ، ج١ ، ق ١٥٠) .

(٣) ابن سمرة : *المصدر السابق* ، ص ١٩٠ ، الجندى : *السلوك* ، ج١ ، ق ١٢٤ – ١٢٧ .

(٤) الجندى : *السلوك* ، ق ١٥٣ .

العلم من نواحي اليمن ودرسوا عليه مصنفاته ومنها شرح الحاوى الصغير وغيرها من كتب الفقه والحديث والنحو،ونقل عنه أئمة العصر وأجمع الفقهاء على جلاله وعلو رتبته وانتهت إليه رئاسة العلم ببلده ووقته،وتوفى بصنعاء في منتصف ق٨هـ/ منتصف ق ١٤م[١].

٤- الحافظ شرف الدين حسين بن محمد القرشي العلفي : وهو من علماء ق ٨ هـ / ق ١٤ م ، انتهت اليه رئاسة الحديث ومشيخته في صنعاء ، من ثم قصده بالرحلة طلاب العلم من أنحاء اليمن ، فأجاز العديد منهم ، وكان موضع إجلال وتعظيم أهل صنعاء ، وانتفع به طلبة العلم الشريف لعلو سنده [٢] .

٥- المقرئ جمال الدين محمد بن يحيى الهمدانى المشهور بالشارقي : برز في القراءات ، ودرس على أئمة اليمن في القراءات بتعز وذى جبلة وإب وغيرها ، ثم دخل زبيد فكان أكثر انتفاعه بها ، ثم استوطن قرية أسخن من صعفان (عزلة من حراز) ، وتصدر للتدريس بها ، " فقصده الناس من الآفاق البعيدة والقريبة فانتفع به كل من تخرج على يده " ، فقرأ عليه من أهل اليمن جمع كثير ، كما أجاز عدداً من الدارسين من أهل الشام ، وتوفى عام ٨٢٠ هـ / ١٤١٧ م [٣] .

٦- العلامة جمال الدين محمد بن عبد الله الكاهلي : سلمت إليه الرئاسة في بلده إب في الفقه ، وكان المرجوع إليه في المعضلات من المسائل الفقهية ، ومشكلات الفروع ، ودرس على أئمة عصره في اليمن ومكة والمدينة ، ثم رجع إلي إب بعد تمام انتفاعه ، وتصدى للتدريس والفتوى ، وانتفع به الطلبة وقصدوه من البلدان الشاسعة ، فأقام على التدريس والفتوى مدة طويلة تزيد على أربعين سنة [٤] ، وازدادت شهرته مع توليه قضاء إب ، وكان يحضر مجلس تدريسه نيف وأربعون رجلا من الفقهاء والقضاة المنتفعين ، وكان ثبتا في الجواب محققا للمذهب عارفا بالتنبيه والمهذب والحاوى ، وتوفى ٨٣٩هـ / ١٤٣٥ م [٥] .

---

[١] البريهى : _المصدر السابق_ ، ص ٢٥ .
[٢] البريهى : _المصدر السابق_ ، ص ٢٥ – ٢٦ .
[٣] البريهى : _نفسه_ ، ص ٤٢ – ٤٣ .
[٤] البريهى : _نفسه_ ، ص ٩٣ .
[٥] البريهى : _نفسه_ ، ص ٩٤ .

العلماء المتنقلون بين مراكز العلم اليمنية :

ومن اشتهر بالرحلة في طلب العلم والتفقه في الدين وجال بأنحاء اليمن المختلفة سعيا وراء ذلك على سبيل المثال : -

١- الفقيه أبو عبد الله محمد بن سعود الضُجاوى(٦١٨ - ٦٧٧ هـ / ١٢٢١ - ١٢٧٨ م) : تلقي علومه الأولية ، وتفقه بعلماء بلده ذى السفال ، وأخذ درجة الفتوى ، وارتحل إلي عدد من المدن طلباً للعلم ، وعاد إلي بلده فكان مبارك التدريس ، أجاز لعدد من تلاميذه ، وتفقه عليهم خلق كثير [1] .

٢- الفقيه أبو الحسن علي بن عبد الله بن الهيثم (٦١٩ - ٦٨٣هـ / ١٢٢٢- ١٢٨٤ م) : تفقه ببلده في نواحي صنعاء ، ثم ارتحل طلباً للعام فتردد بين صنعاء والجند وتعز . للأخذ على علماء هذه المدن [2] .

٣- الفقيه أبو الحسن علي بن أحمد العسيلي (٦٤٦ - ٧٠٤ هـ / ١٢٤٨ - ١٣٠٤ م) : قدم إلي جبلة طالبا للعلم ، ثم ارتحل إلي مصنعة سير ، فتفقه بها على كبار علمائها ، وصحب بنى محمد بن عمر حينما تولوا القضاء والوزارة ثم خرج لأداء الفريضة عام ٧٠٤ هـ / ١٣٠٤ م ، وتوفى في حدة بعد انقضاء الحج بنفس العام [3] .

٤-الفقيه أبو العباس أحمد بن عبد الدائم المعروف بابن الصفى الميموني: تفقه في بداية أمره بفقهاء تعز كابن العزاف وغيره،ثم ارتحل إلي تهامة،فأخذ عن الفقيه إسماعيل بن محمد الحضرمى وغيره،ثم عاد إلي ذى جبلة وعقد بها مجلس درسه ثم انتقل إلي تعز فدرس بالرشيدية ، ثم رتب مدرساً في مدرسة الأشرف الأول الرسولى،وظل قائما على التدريس بها حتى وفاته عام٧٠٧ هـ/ ١٣٠٧ م[4] .

٥- الفقيه أبو اسحق ابراهيم بن أحمد الأصبحي : شقيق الإمام على بن أحمد الأصبحى صاحب كتاب " المعين " ، ارتحل إلي أبين فقرأ على فقهائها ،

---

(١) الخزرجى : العقود ، ج١ - ١٨٠ - ١٨١ .
(٢) الخزرجى : العقود ، ج١ / ٢٠٣ .
(٣) الخزرجى : العقود ، ج١ / ٣٠٠ - ٣٠١ .
(٤) الخزرجى : العقود ، ج١ / ٣٠٩ .

وانتقل إلي عدن ولحج وتفقه علي أكابرها ، ثم عاد إلي بلده ، فدرس بمسجدها ، ثم انتقل إلي تعز ورتب مدرساً في بعض مدارسها ، ووافته المنية عام ٧١٨ هـ / ١٣١٨ م [١] .

٦- **الفقيه وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد النحواني** : كان إماما مبرزاً متضلعاً في عدد من العلوم،أصل بلده وصاب،وخرج منها لطلب العلم،فقرأ على عدد من الفقهاء بنواحي وصاب،فدرس عليهم التنبيه في الفقه والفرائض ،ثم ارتحل إلي شنين بناحية السحول،فقرأ على رضى الدين الشنيني الأصبحي كتاب المهذب والوسيط،وجملة من كتب الحديث،وانتقل إلي تعز فقرأ على أعيانها في الفقه مثل رضى الدين بن الخياط،كما قرأ الحديث على الإمام نفيس الدين العلوى،والإمام مجد الدين الشيرازي الفيروز أبادي،وانتقل إلي ذي السفال فقرأ على الفقيه عفيف الدين عبد الله بن صالح،وبإب على الفقيه صفي الدين أحمد بن حسن البريهي ، حتى بلغ الغاية في الفقه والحديث،فاستدعى للتدريس بالمدرسة السيفية بذبحان ، وكان عمره حينئذ ٢١ سنة،فدَّرس بها نحو سنة،ثم عاد إلي تعز،ثم استدعى لولاية القضاء بذي جبلة،وانتقل لقضاء الجند وأعمالها وظل يتردد بين المدينتين يحكم بهما إلي أن استقر في التدريس والخطابة بالمدرسة الفرحانية ، وأضيفت إليه العديد من الأعباء ، وتوفى عام ٨٢٣ هـ / ١٤٢٠ م[٢] .

---

[١] الخزرجي : *العقود* ، ج١ / ٣٤٩ .
[٢] للمزيد راجع : البريهي : *طبقات صلحاء اليمن* ، ص ٨٩ – ٩١ .

الفصل الثانى
النظـم التعليمية

الفصل الثانى
النظـــم التعليميـــة

(أ) البيـــوتات العلمية اليمنية

١- بيت بنى أبى عقامة
٢- بيت بنى الهيثم
٣- بيت بنى الامام
٤- بيت بنى عمران
٥- بيت آل العرشانى
٦- بيت بنى الحبيشى

(ب) المـــراحل التعليميـــة

١- المرحلة الأولى
٢- المرحلة الثانية
٣- المرحلة الثالثة

(ج) آداب التدريس وطرقه

١- الكتب المعتمدة للتدريس
٢- مجالس التعليم
٣- الإجـــازات
٤- طرق التدريس

(أ) البيـوتات العلمية اليمنيـة

حفلت بلاد اليمن في الفترة موضوع البحث بالعديد من الأسرات الـتي تخصص أفرادها في العلوم وبخاصة الدينية منها ، وتوارثوا مناصب التدريس والقضاء وغير ذلك مما يتصل بالمناصب الدينية والعلمية على مر الأعوام ، مما كان له أثـره الكبير في إثراء الحركة العلمية والأدبية في بلاد اليمن ، وسنورد هنا أمثلة لأبرز هذه البيوتات :

١- بيت بني أبي عقامـة :

كانوا يسكنون في مدينة زبيد ، وتوارث أفراد هذه الأسرة الفقه ومناصب القضاء ، منذ أن قدم جدهم أبو عبد الله محمد بن هارون التغلبي ، الذى ينتسـب إليه بنو أبي عقامة [١] ، مع ابن زياد عندما قلده المأمون العباسي والياً على اليمن ، إلي أن أقصاهم ابن مهدى عن مناصب الحكم [٢] ، ومع ذلك فقد ظلوا يتوارثـون الفقه ، وبرز غير واحد منهم في مجال الفقه والخطابة والشـعر وغـير ذلـك ، ثم أعادهم الأيوبيون إلي مناصب القضاء و لم يزالوا قضاة إلي صدر الدولة المظفرية[٣] .

وكان من بنى عقامة القضاة والفقهاء والمحدثين والشـعراء وذوى المكانـة العلمية المرموقة ، ويذكر المؤرخون نصرتهم للمذهب الشافعى والشـافعية عنـد دخول مذهبهم لليمن وفي ذلك يقول ابن سمرة " وفضائل بنى أبى عقامة مشهورة ، وهم الذين نصر الله بهم مذهب الإمام الشافعى في تهامة ، وقدماؤهم جهروا بسـم الله الرحمن الرحيم في الجمعة والجماعات ... " [٤] .

وممن عاصره عمارة اليمنى من فقهاء بنى أبى عقامة القاضى الفاضل أبـو عبد الله محمد بن القاضى عبد الله بن أبي عقامة ويعرف بالحفائلي،وكـان نبـيلاً فاضلاً فقيهاً،متكلماً شاعراً مترسلاً،انتهت إليه رئاسة المذهب الشـافعي بزبيـد ،

---

(١) عمارة اليمنى : *المفيد* ، ص ٤٥ ؛ العماد الأصفهاني : *جريدة القصر* ، ج٣ / ٢٣٧ .

(٢) عمارة اليمنى : *المفيد* ، ص ٤٥ ؛ الأهدل : *تحفة الزمن* ، ق ٣٤ .

(٣) الأهدل : *تحفة الزمن* ، ق ١٠٤ ؛ الجندى : *السلوك* ، ق ١٦٣ - ١٦٤ .

(٤) أبو سمرة : *طبقات فقهاء اليمن* ، ص ٢٤١ .

وكان ذا جاه كبير وعلم غزير ، وغالب تفقهه بأهل بيته ، الأمر الذى يدل على مدى نبوغ أفراد هذه الأسرة في العلوم الشرعية [١] .

ومن فقهاء بنى أبي عقامة المعاصرين للفترة موضوع البحث القاضى عبد الله بن محمد بن عقامة التغلبى ، وقد ولاه أثير الدين بن بنان الأنبارى قاضى قضاة اليمن على قضاء زبيد زمن سيف الإسلام طغتكين ، وتفقه بفقهاء زبيد ، وأخذ عنهم ، وكانت له معرفة جيدة بالحديث والتفسير [٢] . ومنهم أيضا القاضى إبراهيم بن أبي عقامة وهو آخر من ذكرته المصادر فيمن تولى قضاء زبيد ، وكان معاصراً للملك المظفر الرسولى ، ويذكر الجندى أنه لم يكن ثبتاً في القضاء ، فأراد قاضى القضاة آنذاك عزله ، واستشار المظفر في ذلك ، فأدركت المظفر شفقة عليه لأجل أهله ، وما لهم من سابق قدم بالقضاء ، فجوب إلي قاضى قضاته يستعطفه عليه بقوله " يا سيدى ، هو من بيت أنت تعلم حالهم وسابقتهم في هذا الشأن ، فتصدق عليه بالعطف والصبر كرامة لسلفه " [٣] ، وشاءت الأقدار أن يموت القاضى إبراهيم بن أبي عقامة في نفس هذا الوقت ، إذ خرج للإشراف على أرض يزرعها في جهة المسلب جنوب زبيد ، وأثناء عودته منها عثرت دابته ، فسقط فدق عنقه ومات على الفور [٤] .

ويعد إبراهيم هذا آخر من تولى القضاء من بنى أبي عقامة ، إذ أنه لم يشتغل أحد من المقيمين بزبيد من ذات الأسرة بالعلم في زمن الجندى (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) ، بل إن أغلبهم كانوا يتعانون الزراعة ، ومنهم جماعة كانوا يسكنون بوادى سهام بقرية تنسب إليهم فيقال لها : أبيات القضاة ، وكانت هذه القرية تعرف أيضا بمحل الدارية [٥] ، وقد أدرك الأهدل واحداً من بنى أبى عقامة كان يسكن هذا الموضع ، وتعانى الفقه فكان " فقيهاً فرضياً يفتى في الفقه

---

[١] للمزيد من التفاصيل عن الحفائلى وأشعاره والمتقدمين عنه من فقهاء وشعراء بنى أبى عقامة راجع : عمارة اليمنى : *المفيد* ، ص ٤٥ ، ٨٥ ، ٢٨٩ – ٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٣٤٣ ؛ العماد الأصفهانى : *جريدة القصر* ، ج٣ / ٢٤٠ – ٢٥٣ ، ابن سمرة : *طبقات فقهاء اليمن* ، ص ٢٤٠ ؛ الجندى : *السلوك*، ق ٨٤ – ٨٦ ، ١٦٣ – ١٦٤ .

[٢] ابن سمرة : *المصدر السابق* ، ص ٢٤١ ؛ الأهدل : *تحفة الزمن* ، ق ١٠٤ .

[٣] الجندى : *السلوك* ، ق ١٦٤ .

[٤] الجندى : *السلوك* ، ق ١٦٤ ؛ الأهدل : *تحفة الزمن* ، ق ١٠٤ .

[٥] الجندى : *السلوك* ، ق ١٦٤ .

والفرائض ويدرس " ، وكان من أهل التدين ، ويؤرخ الأهدل وفاته بأواخر المائة الثامنة للهجرة / أواخر ق ١٤ م "[١] .

٢- بيت بني الهيثم :

وسكنوا المشيرق من بلاد بني حبيش من أعمال إب [٢] ، وأول أفرادها الذى تنسب إليه هذه الأسرة أبو سعيد الهيثم بن محمد بن الحسين بن ناكور الحميرى ، ولد في ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م،وكان فقيها مشهوراً بالعلم ، وصفه الجندى بقوله " له ذرية بورك بها ما لم يبارك في غيرها من ذرارى الفقهاء لا تكاد تخلو من فقيه يفتي وحاكم يقضي ومدرس يقرئ،وهم حكام بلدهم، يتوارثون ذلك بطناً بعد بطن " [٣] . ومن أبرز أفراد ذرية الهيثم المعروفين بالتفقه وذاعت شهرتهم قبل العصر موضوع الدراسة ، ابنه أسعد بن الهيثم بن محمد (٤٠٣ - ٤٩٨ هـ / ١٠١٢ - ١١٠٤ م) ، الذى تفقه على علماء عصره بإب والسحول ، وبخاصة على الشيخ إبراهيم بن أبي عمران السكسكي [٤] ، والفقيه خير بن يحيى ، وقد درس أسعد وأولاده على يديه صحيح البخارى ، وأجازهم الفقيه خير بن يحيى ، وكتب لهم بخطه إجازة لهم ما مثالها " سمع على هذا الجزء من صحيح البخارى الشيخ الفقيه أسعد بن الهيثم وولداه زيد وعمرو ... " [٥] .

وكان أسعد بن الهيثم من أفضل فقهاء عصره ورعاً وعلماً وعبادة ، وكانت أشهر المصنفات التي تولى تدريسها إلي جانب البخارى،يومئذ،كتاب مختصر المزني وبعض شروحه،وكتاب الإفصاح للطبرى[٦].ومن بني الهيثم عمرو بن أسعد بن الهيثم(٤٥٣- ٥٢٧ هـ/١٠٦١ - ١١٣٢م) الذى تفقه بأبيه،وكان أحد فقهاء قريتي الحجفة،والجرنية من قرى المشيرق أيضا[٧]،ومنهم أيضا محمد وخير إبنا أسعد بن الهيثم،وكانا من علماء النصف الأول من ق ٦ هـ/ ١٢ م [٨] .

---

[١] الأهدل :*تحفة الزمن* ، ق ١٠٤ .
[٢] راجع : ابن سمرة : *طبقات فقهاء اليمن* ، ص ٣٢٤ للمحقق .
[٣] الجندى : *السلوك* : ق ٧٦ ؛ وأنظر ايضا : الأهدل *تحفة الزمن* ، ق ٥٥ ، حيث يجعل تاريخ مولده بعد ذلك بعامين أى عام ٣٦٩ هـ / ٩٧٩ م .
[٤] ابن سمرة : *طبقات فقهاء اليمن* ، ص ١١١ .
[٥] الجندى : *السلوك* ، ق ٨٤ .
[٦] ابن سمرة : *نفس المصدر والصفحة* .
[٧] ابن سمرة : *نفسه* ، ص ١١٢ ؛ الجندى : *السلوك* ، ق ٨٤ .
[٨] ابن سمرة : *نفسه* ، ص ١٤٩ .

ومن ذرية أسعد بن الهيثم أيضا الفقيه أحمد بن عمرو بن أسعد بن الهيثم (٥١١ – ٥٥٦ هـ / ١١١٧ – ١١٦٠ م) ، وكان أحد المعدودين في الفقه بالمشيرق ، كما نبغ إبنه يوسف بن أحمد بن عمرو في ذات المجال وكان معاصرا لابن سمرة الجعدى [١] .

ومن أبناء الفقيه الهيثم الذين ذاع صيتهم وشهرتهم في فترة البحث الفقيه على بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن عمرو بن أسعد بن الهيثم ، الذى وصل إلى رئاسة القضاء ببلده ، وتردد للتدريس بين بلده والجند وتعز كعادة علماء عصره ، واجتمع بالمؤرخ الجندى ، وتوفى في رجب عام ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م [٢] . وقد أنجب ولدين هما أبو بكر ، ويوسف . أما يوسف فقد تفقه بأبيه ، ثم بفقهاء عصره، وناب في قضاء صنعاء ، وتولى التدريس بمدرسة الزواحى [٣] ، وتوفى بصنعاء في عام ٦٨٩ هـ / ١٢٩٠ م [٤] .

أما أبو بكر فقد تفقه في بداية حياته العلمية على أخيه يوسف ، ثم انتقل إلى ذى السفال ، ومصنعة سير ، حيث تفقه على علمائها ، وصار إليه منصب القضاء ببلده ، فأدى عمله خير أداء ، وفي عام ٧١٥ هـ / ١٣١٥ م ، تولى منصب قاضى زبيد ، كما تولى منصب الحسبة بها خلفا للبهاء الجندى ، ولم تذكر المصادر تاريخ وفاته [٥] .

ومن أبناء هذه الأسرة أيضا الفقيه عبد الرحمن بن عمران بن أحمد بن أبي الهيثم وكان فقيها فاضلا ، صالحا تفقه بيوسف بن على بن عبد الله السابق ذكره ، وعقد مجلس درسه في مدرسة الزواحى ، وتفقه به جماعة ، ولم يعرف تاريخ وفاته [٦] .

---

[١] ابن سمرة : _طبقات فقهاء اليمن_ ، ص ١٩٥ .
[٢] الأهدل : _تحفة الزمن_ ، ق ١٢٢ .
[٣] وهى مدرسة كانت قائمة في قرية الزواحى في عزلة كومان من أعمال ناحية حبيش التى ينتمى إليها بنو الهيثم ، ابتناها أحد مشايخ بنى وائل ويدعى قاسم بن حمير الوائلى ، ووقف عليها وقفا جيدا ، وشرط أن يكون فيها مدرسا ودرسة ، وكانت تذكر أحيانا بأنها مسجد . (راجع : الجندى : _السلوك_ ، ق ١٣٢ ؛ الخزرجى : _العقد الفاخر_ ، ق ١٤٧) .
[٤] الأفضل : _العطايا السنية_ ، ق ١٥٥ ؛ الجندى : _السلوك_ ، ق ٨٤ ؛ الخزرجى : _العقد الفاخر_ ، ق ١٤٧ ؛ الأهدل : _تحفة الزمن_ ، ق ١٢٢ .
[٥] الأهدل _تحفة الزمن_ ، ق ١٢٢ .
[٦] الأفضل : _العطايا_ ، ق ٧٤ ؛ الخزرجى : _العقد الفاخر_ ، ق ٨ : _تحفة الزمن_ ، ق ١٢٢ ، وراجع أيضا : الأكوع : _المدارس الاسلامية_ ، ص ٩٢ – ٩٣ .

ومنهم الفقيه أسعد بن يوسف بن أحمد بن عمر ، أول من تـــدبر قضـــاء الجرنية،وابتنى مسجدها،وكان له شقيق يدعى أحمد بن يوسف،تفقه على علمـــاء عصره،وأنجب الفقيه أسعد ولدا يدعى محمدا،أخذ العلم وتفقه كباقي أفراد أسرته ، وتوفى بالجحفة عام ٦٨٩ هـــ / ١٢٩٠ م ، وترك بعده عدة أبناء تفقهوا عليـــه ، وتولى أحمد أوسطهم قضاء مدينة ذمار في أيام القاضي محمد بن عمر [١] .

٣- بيت بنى الإمام :

استوطنوا ذى أشرق الواقعة على مقربة من الجند،وينتســبون إلي الفقيــه الإمام محمد بن سالم بن عبد الله بن يزيد الشعبى (٣٩٥ - ٤٥٦ هـــ/ ١٠٠٤ – ١٠٦٣م)[٢]،وكان محدثا مدققا سمع على مشايخ عصره صحيح البخارى،ومنـــهم القاسم بن محمد الجمحى،المتوفى بذى أشرق،وقد توارث أفراد أسرته مـــن أبنائـــه وأحفاده الفقه،نذكر منهم عبد الله بن محمد بن سالم(٤٢٣ – ٤٩٧هـــ/١٠٣١ – ١١٠٣م)،وكان غالب تفقهه بأبيه،وغلب عليه علم الحديث مع الزهد والورع[٣]. وابنه سالم بن عبد الله وكان يعرف بين أفراد أسرته باسم سالم الأصغر (٤٥١ – ٥٣٢ هـــ/ ١٠٥٩–١١٣٧م)[٤]،وتفقه بأبيه،مما يدل على ما كان لأفــراد هــذه الأسرة من يد طولى في الفقه وسائر العلوم الشرعية،وكان إماما بجامع ذى أشرق ، وأحد أعلام علم الحديث في زمنه،سمع عليه العديد من أبناء عصره وأجازهم [٥] .

وممن نبغ منهم في فترة البحث ، وذاع صيته في ذى أشرق الفقيه الزاهـــد على بن أبي بكر بن سالم بن عبد الله (٥٣٦ – ٥٧٤ هــ / ١١٤١ – ١١٧٨م) أحد شيوخ مؤرخنا ابن سمرة في علم الحديث [٦] ، وقد تفقـــه بـــه جماعـــة مـــن معاصريه[٧] ومنهم أيضا الفقيه أبو محمد عبد الله بن محمـــد بـــن ســـالم (٥٠٢-

---

[١] الأهدل :*تحفة الزمن* ، ق ١٢٢ .

[٢] أما والده سالم بن عبد الله (ت ٤٤٣ هـ / ١٠٥١ م) فيذكر ابن سمرة عدم معرفته بكونه فقيها أم لا لإنعدام ذكره فيما بين يديه من أسانيد . راجع : *طبقات فقهاء اليمن* ، ص ١٠٠ .

[٣] الجندى : *السلوك* ، ق ٨٢ .

[٤] جعل الجندى وفاته عام ٥٣٣ هـ / ١١٣٨ م . راجع : *السلوك* : ق ٩٩ .

[٥] ابن سمرة :*المصدر السابق* ، ص ١١٥ ، ١١٦ ، ١٧٦ ؛ الجندى : *السلوك* ، ق ٩٩ .

[٦] ابن سمرة :*نفسه* ، ص ١٩٠ – ١٩٢ .

[٧] الجندى : *السلوك* ، ق ١٤٥ .

٥٧٨هـ / ١١٠٨ - ١١٨٢ م) ، وكان فقيها خيرا ، ولـه أخـوين شـقيقين أحدهما يدعى أحمد (ولد ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م) ، لم تذكر المصـادر تـاريخ وفاته ، وكان كأخيه فقيها قديرا في علم الفقه ، وشاعرا فحلا ، وعـرف بلقـب المجد وامتدح أعيان اليمن ، وصحب بعض مشايخ بني عمران أصـحاب مصـنعة سير، وأودع عندهم مصنفاته [١] .

أما الشقيق الثـاني فيـدعى علـى (٥١٠ - ٥٨٨ هـــ / ١١١٦ - ١١٩٢م) وتعانى الفقه كبقية أفراد أسرته [٢] ومنهم الفقيه محمد بن عبـد الله بـن محمد بن سالم (٥٢٧- ٥٩٠ هـ / ١١٣٢ - ١١٩٣ م) ، الذى انتهت إليـه رئاسة الفتوى والتدريس بذى أشرق [٣] ، ومنهم محمد بن الفقيه أبي بكر بن سالم الملقب بالضرغام (٥٣١ - ٥٨١ هـ / ١١٣٦- ١١٨٥ م) ، وكـان فقيهـا صالحا تقيا، توارثت ذريته الفقه بذى أشرق حتى عام ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣م [٤] .

٤- بيت بنى عمران

كانوا يسكنون مصنعة سير [٥] ، وكانت في البداية ، قرية خاوية فاشتراها فقهاء بني عمران ، وبدأوا في عمارتها عام ٥٥٧ هـ / ١١٦١ م ، فـابتنوا فيهـا المساكن ، وصارت منذ قدومهم إليها ، وابتداء عمارتها ، موئلا لطلبـة العلـم ، فكانت أعظم بلاد اليمن إفادة لطلاب العلم وأهلها أكثر الناس إعانة للطلبة بالقيام بكفايتهم [٦] ، ويؤكد الجندى مكانة هذه القرية العلمية وفضلها علـى الحركـة الفكرية ببلاد اليمن فيقول " ولا نجد في الجبال غالبا من المدرسين والمفتين والفقهاء والمحققين ، إلا من كان تفقه بها .... أو تفقه على من تفقه بها ... [٧] .

---

[١] الجندى :نفسه ، ق ١٤٥ ؛ الأهدل :تحفة الزمن ، ق ١٢٤ حيث أورد نماذجا من أشعاره خاصة عن احتراق بعض كتبه المودعة عند بنى عمران .

[٢] الجندى :نفسه ، ق ١٤٥ .

[٣] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص ٢٠١ ؛ الجندى : السلوك ، ق ١٤٥ .

[٤] عنه وعن بقية أفراد الأسرة راجع : ابن سمرة :نفسه ، ص ٢٠١ ؛ الجندى :السلوك ، ق ١٤٥ ؛ الأهدل :تحفة الزمن ، ق ١٢٤ ؛ بامخرمة :قلادة النحر ، ق ٥٩٨ .

[٥] وهى بلدة ناحية السبر قرب الجند . (راجع : ابن سمرة :نفسه ، ص ٣١٨ للمحقق) .

[٦] الأهدل :تحفة الزمن ، ق ١٢٠ ، ١٣٣ ، حيث كان يجتمع لدى بنى عمران الدرس على ايديهم نحوا من مائة دارس دفعة واحدة فكانوا يقومون بكفايتهم . (راجع :تحفة الزمن ، ق ١٢٢) .

[٧] الجندى : السلوك ، ق ٢١٩ .

وقام بنو عمران بالتدريس فيها وأولهم الفقيه الأمثل صاحب البيان الإمـــام يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني (ت٥٥٨ هـــ / ١١٦٢ م) [(١)] ، وخلفه على كرسي التدريس والفتوى ابنه طاهر بن يحيى (٥١٨ – ٥٨٧ هــــ / ١١٢٤ – ١١٩١ م) الذى تفقه بأبيه ، وآلت إليه رئاسة القضاء بإب وجبلة ونواحيها حتى وصول سيف الإسلام طغتكين إلي اليمن ، " فحصل عليه ما أوجب انفصاله "[(٢)] ، ولطاهر بن يحيى العمراني العديد من المصنفات في الفقه الشافعي منــــها " مقاصــد اللمع " ، في أصول الفقه ، وكتاب في الرد على المعتزلة في نفى القدر ، وكتـــاب "مناقب الشافعى " ، و " معونة الطلاب في شرح الشهاب " ، وغير ذلك ، وقـــد تفقه به جماعة من الدارسين بسير ، كما أخذ عليه جماعة من أعيان عصـــره [(٣)] ، كما درس عليه ولداه محمد وأسعد ، ولد محمد عام ٥٤٦ هـــ / ١١٥١ م ، وولى قضاء عدن ، وروى عنه جماعة كثيرة من أهل عدن ، بالإضافة إلي الوافدين عليها، وكان فقيهاً حافظاً محموداً،ولم تحدد المصادر تاريخ وفاته أو وفاة أخيه أسعد [(٤)] .

ومن فقهاء بنى عمران أيضا ، ممن ذاع صيتهم في سير ، وتعـــانوا الفقـــه وتدريسه ، الفقيه عثمان بن أسعد بن عثمان العمـــرانى (٤٩٤ – ٥٧٧ هــــ / ١١٠٠ – ١١٨١ م) ابن عم الفقيه يحيى بن أبي الخير ، وخال ولده طاهر ،وهـــو أحد شيوخ ابن سمرة الجعدى ، وكان فقيها صالحاً عابداً " يصلى بسبع القرآن في كل ليلة في أكثر أحواله " [(٥)] . ومنهم أيضا ابن عمه مسلم بن أسعد وهو شـــقيق عثمان السابق ذكره ، وكان محباً للعلم ملازماً له ، وشغف باقتناء الكتب الفقهية ، فجمع عدداً لا بأس به أوقفها جميعاً لطلاب العلم وجعل نظرها على يـــد أهلـــه ومنهم الفقيه طاهر بن يحيى العمرانى [(٦)] .

---

(١) الأهدل :تحفة الزمن ، ق ٧١ ما بعدها .
(٢) الأهدل :تحفة الزمن ، ق ٨٩ .
(٣) ابـن سـمرة : طبقـات فقهـاء الـيمن ، ص ١٨٦ ـ ١٨٩ ؛ الأهـدل :نفسـه ، ق ٨٩ ؛ ومـا سـبق ، ص ٥٥٤ من الكتاب
(٤) ابن سمرة : المصدر السابق ، ص ١٨٩ ؛ الأهدل :نفسه ، ق ١٠٢ .
(٥) ابن سمرة : نفس المصدر والصفحة ، الجندى :السلوك ، ق ١٣٦ ؛ الأهدل :نفسه ، ق ٨٩ .
(٦) ابـن سـمرة : طبقـات فقهـاء الـيمن ، ص ١٨٩ ؛ الجنـدى : السـلوك ، ق ١٣٦ ؛ الأهـدل ،تحفـة الزمن ، ق ٨٩ .

ومن بنى عمران أيضا القاضى ضياء الدين أحمد بن محمد بن موسى العمرانى ولد ٥٣٤ هـ / ١١٣٩ م وإليه انتهت ولاية القضاء في الجند ، وظل قائما بمهام منصبه حتى عام ٥٨٣ / ١١٨٧ م ، حينما استعفاه سيف الإسلام طغتكين ، وولى القاضى عيسى بن على بن المسلم بدلاً منه [١] .

ونبغ من بنى عمران أيضا الفقيه أبو بكر بن أحمد بن محمد بن موسى العمرانى ، وهو ولد قاضي الجند السابق ذكره ، وكان ينعت بسرداب العلم ، لغزارة فقهه ، ويعد أحد الحفاظ الكملة للمهذب في الفقه الشافعى ، وعاصر الملك المسعود الأيوبى ، وأثنى عليه معاصروه في بلاطه ووصفه بعضهم بأنه أفقه أهل اليمن في زمنه ، فقربه المسعود إليه ، وولاه القضاء ، وظل عليه ، حتى وافته المنية في أواخر عهد الملك المنصور نور الدين عمر الرسولى [٢] . وكان يعقد المطارحات والمناظرات العلمية ، ويقوم خلالها بحل المشكلات المستعصية في الفقه والتى تعرض عليه خلال هذه المناظرات ، فشهد له فقهاء عصره ممن حضر هذه المناظرات بالتميز والمهارة في العلوم الشرعية ، وعلى رأسها الفقه الشافعى وأصوله ، وقد دلل هو على تمكنه من ذلك بقوله :" أنا أحفظ المهذب كالفاتحة " [٣] .

وترك الفقيه أبو بكر عند وفاته ولداً واحداً صغيراً ، فأضيف القضاء إلي ابن عمه أسعد بن محمد بن موسى ، وظل المنصور الرسولى ينتظر ولد القاضى أبو بكر ، حتى شب عن الطوق ، وتفقه ، فجعله مكان أبيه فنهج نهجه في كل الأمور مع لطافة الفقه وزيادة في الورع ، كما كان كثير البر والصدقات [٤] . ومن أشهر أفراد بنى عمران على الإطلاق الصاحب القاضى بهاء الدين محمد بن أسعد بن محمد بن موسى العمرانى (٦١٨ – ٦٩٥ هـ / ١٢١١- ١٢٩٥) ، أول من جمع له بين قضاء الأقضية والوزارة في عهد بنى رسول ، وكان خطيبا مصقعاً لبيباً ، ذا دهاء وسياسة ، كما كان شاعراً بليغاً مترسلاً له أشعار رائقة جمعها في ديوان ضخم ، وظل جامعا بين المنصبين حتى عام ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م ، حينما أقام

---

(١) ابن سمرة : نفسه ، ص ١٨٦ ، ٢٣٦ ؛ الجندى : *السلوك* ، ق ١٤٦ .
(٢) الأهدل : *تحفة الزمن* ، ق ١٢٠ .
(٣) الأهدل : *المصدر السابق* ، ق ١٢٠ ، ولم تحقق المصادر تاريخ وفاته .
(٤) الأهدل : *نفس المصدر والورقة* .

المظفر الرسولى ابنه الأشرف معه في الملك ، وأصدر له مرسوما بولايـة عهـده ، فأشار البهاء على المظفر بأن يجعل أخاه حساناً وزيراً للأشرف ففعل ذلك ، وبقى هو على قضاء الأقضية حتى وافته المنية [١] .

ومنهم أيضا عبد الله بن أسعد بن محمد بن موسى العمرانى أخو البـهاء ، وكان على قدر كبير من العبادة والتلاوة والصيام في غالب أيامه ، كما كان بارعا في الخطابة والعلوم الشرعية ، له مقروءات ومسموعات وأخذ عليه الجندى ، ونال إجازته في عدة مصنفات . وقد سجن عبد الله مع باقى أخوته حسـان وعمـران بعدما جار عليهم المؤيد الرسولى وعزل حسان من مناصبه ، وتنقلوا في الحبس بين جبلة وتعز ، ثم أطلقوا من الحبس ، وسكنوا سهفنة فترة توفى خلالها عبد الله عـام ٧٠١ هـ / ١٣٠١ م [٢] ، بينما سبق حسان وولداه وبعض أفـراد أسـرته إلي سجن عدن في عام ٧٠٤ هـ / ١٣٠٤ م ، وتوفى حسان في محبسه هذا بينما ظل باقى أبناء بنى عمران في السجن ، حتى تشفعت فيهم إحدى نساء البيت الرسولى ، فأطلقوا من محبسهم ، ولما صار الملك إلي المجاهد ، أكرم وفادتهم ، وأعـادهم إلي سهفنة بكل مظاهر الاعزاز والاكرام [٣] .

وبالاضافة إلي المناصب الدينية والدنيوية التى تولاها بنو عمـران ، كـان منهم جماعة من الفقهاء درسوا وأفتوا وأجازو وصنفوا ، منهم أبو محمد عبد الرحمن بن القاضي عبد الله بن أسعد بن محمد بن موسى العمرانى وكان مقرئاً مجيداً عارفاً بالقراءات مشهوراً بها ، محققاً لها ، وكانت له في العربية معرفة حسـنة ، وتـوفى ٦٩٤ هـ/١٢٩٤م[٤]. أما أخوه محمد بن عبد الله العمرانى،فقد جلس للتـدريس والإفتاء،وصنف عدة مصنفات وأخذ عليه البهاء الجندى،وقرأ من مصنفاته كتـاب الصناعة في فضل صلاة الجماعة . وتوفى عام ٦٩٥ هـ/ ١٢٩٥م [٥] ، وأما أخوه

---

[١] الأهدل : _تحفة الزمن_ ، ق ١٢٠ - ١٢١ ؛ وراجع : الخزرجى : _العقود_ ، ج١ / ٢٤٤ - ٢٤٥ .
[٢] الأهدل : _المصدر السابق_ ، ق ١٢١ .
[٣] الأهدل : _نفسه_ ، ق ١٢١.
[٤] الخزرجى : _العقود_ ، ج١ / ٢٤٢ ؛ الأهدل : _تحفة الزمن_ ، ق ١٢٢ .
[٥] الأهدل : _المصدر السابق_ ، ق ١٢٢ .

أسعد،فقد كان ينوب عن أبيه عبد الله في قضاء الجند ، والخطبة بمسجدها الجامع ، وتوفى عام ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م [(١)] .

٥- بيت آل العرشاني

كانوا يقطنون ناحية عرشان [(٢)] ، وإليها نسبوا ، وأولهم الشيخ الحافظ سراج الدين أبو الحسن على بن أبي بكر بن فضل الهمداني العرشاني (٤٩٤ - ٥٥٧ هـ / ١١٠٠ - ١١٦١ م) ، لم يدرك العصر موضوع الدراسة ، وكان يعرف بشيخ المحدثين ، ونسبت إليه عدة تصانيف في الحديث [(٣)] . وكان له خمسة أولاد تفقه بعضهم ، وأشهرهم على الاطلاق الحافظ أبو العباس أحمد بن على بن أبي العرشاني (٥٤٢ - ٦٠٧ هـ / ١١٤٧ - ١٢١٠ م) ، وكان معاصرا لسيف الإسلام طغتكين ، تفقه بأبيه وبغيره من علماء عصره ، وانتهت إليه رئاسة القضاء في الجند وجبلة ، ثم تولى قضاء القضاة في اليمن كلها ، وكان فقيهاً فاضلاً وخطيباً مفوهاً ، صنف عدة مصنفات منها مختصرا جمع فيه من قدم اليمن من الفضلاء ، والعلماء والوزراء والشعراء وسواهم [(٤)] ، كما ذيل على تاريخ الطبرى في جزئين ، وصحب العزيز طغتكين ، الذى كان يحضر مجلس سماعه ، وقرأ عليه موطأ مالك ، وكتب له إجازة بذلك ، وكان للقاضى أحمد أيضا تذييل تاريخ القضاعى من زمن الحاكم بأمر الله إلي أيام المستنصر [(٥)] ، وشرح خطب ابن نباتة، وتاريخ اليمن وصفتها ومن ملكها في جزء واحد [(٦)] .

ومنهم أيضا ابنه القاضى على بن أحمد ، ولى قضاء عدن على حياة أبيه ، مما يدل على تمكنه في علوم الشرع ، وتولى منصب القضاء الأكبر في اليمن بعد

---

(١) الأهدل : نفس المصدر و الورقة.

(٢) وهى بلد بناحية ذى جبلة من أعمال إب تقع قريبا من الجند . (راجع : ابن سمرة ،نفسه ، ص ٣٢١ للمحقق) .

(٣) للمزيد عنه راجع : ابن سمرة : المصدر السابق ، ص ١٧١ - ١٧٢ ؛ الجندى :السلوك ، ق ١١٤؛ بامرخمة :تاريخ ثغر عدن ، ج٢ / ١٣٦ - ١٣٧ .

(٤) الجندى : السلوك ، ق ١٥٣ ، راجع أيضا : ابن سمرة : المصدر السابق ، ص ٢٣٦ و هـ ٢ ؛ الأهدل :تحفة الزمن ، ق ٩٨ .

(٥) وهو المعروف باسم عيون المعارف وفنون الأخبار والخلائف لمحمد بن سلامة بن جعفر بن على القضاعى (ت ٤٥٤ هـ / ١٠٦٣ م) . راجع : محمد عبد الله عنان : مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصرى ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٥٨ - ٦٠ .

(٦) الجندى :السلوك ،ق ١٥٣؛ الأهدل :تحفة الزمن، ق ٩٨- ٩٩،ابن سمرة:نفسه ،ص ٢٣٦ هـ ٢ .

أبيه، وهو آخر من ولى القضاء من آل الحافظ العرشانى ، وتوفى عام ٦٢٥ هـ / ١٢٢٧ م [١] ، وانجب القاضى على إبناً واحداً هو الفقيه أبو محمد عبد الله بن على (٥٩٥ – ٦٧٦ هـ / ١١٩٨ – ١٢٧٧ م) ، الذى تفقه على علماء عصره، وكان فقيهاً فاضلاً ذاكراً للفقه عارفاً بالمذهب الشافعى تمام المعرفة ، ناظره الفقيه الشاعر أبو بكر بن دعاس الحنفى ، في المدرسة النجمية فذاكره بعدة مسائل، فأجابه العرشانى عنها " بما يشفى النفس ... ثم أقبل يسأله ويراجعه فاعترف له ابن دعاس بجودة الفقه " [٢] ، وأقر بفضله ، وقد تفقه به كثيرون واعترفوا بمهارته في التدريس والفتوى [٣] .

ومن نفس الأسرة أيضا نبغ عدة أفراد في العلوم الشرعية ، وتولى بعضهم مناصب القضاء ، من هؤلاء سرى الدين إبراهيم بن فضيل العرشانى وكان فقيهاً أصولياً ، ألف في الفقه والأصول عدة مصنفات وولى قضاء صنعاء على عهد الأمير ورد سار الأيوبى واستمر فيه حتى وفاته عام ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م ، وفي أيامه بنى الأمير ورد سار المنارتين بجامع صنعاء ، وجدد عمارته ، وبنى الجبانة ، كما قام سرى العرشانى ببناء المطاهير والبركة لنفس الجامع ، وسار في القضاء سيرة محمودة، وله تذييل على تاريخ الرازى يعرف باسم الاختصاص [٤] .

ويضيف الجندى فقيها آخر من أسرة العرشانى ، سقط اسمه من النسخة الخطية التى رجعنا إليها ، وذكر أنه تفقه على علماء عصره ، وخرج إلي مكة في طلب العلم ، فأخذ عن المقيمين بها والوافدين عليها ، وكان ذا مسموعات وإجازات من أكابر فقهاء عصره ، أدركه البهاء الجندى ، ونال منه إجازة عامة ووصفه بأنه كان صبوراً على الإقراء ، وتوفى عام ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م [٥] .

ومنهم أيضا الفقيه أبو الخطاب عمر بن أبي بكر عمر بن الحافظ العرشانى، وكان ذا مسموعات وإجازات ، وهو ابن عم الحافظ أحمد الغرشانى ، وتوفى

---

(١) الجندى :*نفسه* ، ق ١٥٥ ؛ الأهدل ،*نفسه* ، ق ٩٩ .

(٢) الجندى :*السلوك* : ق ١٥٥ ؛ الأهدل :*تحفة الزمن* ، ق ٩٩ .

(٣) الجندى :*نفس المصدر والصفحة* ؛ الأهدل :*نفس المصدر والصفحة* .

(٤) الجندى ،*نفسه* ، ق ١٥٤ ــ ١٥٥ ؛ الأهدل :*نفس المصدر والصفحة* ، أما كتاب الاختصاص لابن فضيل العرشانى فقد نشره وحققه د. حسين العمرى وألحقه بكتاب الرازى عن تاريخ صنعاء .

(٥) الجندى :*نفسه* ، ق ١٥٥ ؛ الأهدل :*نفس المصدر والصفحة* .

٧٠٣هـ / ١٣٠٣ م ، وخلفه على مجلس تدريسه ابنه عبد الله ، ونهج سيرة أبيه من حيث تفقهه وتدريسه ومكارم أخلاقه ، ووافته المنية عام ٧١١ هـ / ١٣١١م وخلفه أخوه أبو بكر وكان فقيهاً عارفاً بالمذهب ، قصده الوافدون إلي عرشان للدرس والتحصيل على يديه ولم يعرف تاريخ وفاته [١].

ومن ذرية الحافظ العرشاني أيضا القاضي صفي الدين أحمد بن عبد الله العرشاني ، كان من كبار العلماء العاملين ، والفقهاء المبرزين ، درس وأفتى ، وتولى القضاء بعرشان ، ومنهم أيضا ولده القاضي شمس الدين الذي تتلمذ على والده في الفقه ، وعلى جماعة من أكابر فقهاء عصره ، وأجازوا له التدريس والافتاء ، فقام عليهما بعرشان وتوفي بعد ٨٠٠ هـ / ١٣٩٧ م [٢].

ومنهم القاضي الأجل وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد بن أحمد العرشاني وكان إماماً فاضلاً عالماً،قرأ على يد جماعة من العلماء في الفقه والحديث ومنهم الإمام مجد الدين الشيرازي والإمام نفيس الدين العلوي،وانتهت إليه ولاية القضاء بمدينة حلة،ثم اعتلى قضاء ثغر عدن،ثم رجع إلي ولاية قضاء تعز ، وكان عادلاً في أحكامه حسن السيرة في معاملاته،كما كان من أهل العبادة والقيام،وإلي جانب مناصبه القضائية تولى التدريس والإفتاء بعدد من المدارس اليمنية،وتوفي ٨٣٦ هـ / ١٤٣٢م [٣].

٦- بيت بني الحبيشي

استوطنوا وصاب،ومنهم الإمام العلامة الصالح وجيه الدين عبد الرحمن بن عمر الحبيشي(٦٦٥- ٧٨٠ هـ/١٢٦٦-١٣٧٨م)وكان فقيهاً صالحاً،عده الشرجي من صوفية اليمن[٤]واشتهر بالفصاحة والبلاغة،وكان شاعراً نظم الشعر وهو صغير،ثم اشتغل بالفقه والحديث على جماعة من شيوخ عصره،منهم الفقيه عفيف الدين عبد الله محمد بن أسعد(ت ٧٣٢ هـ/ ١٣٣١م [٥]) ، والفقيه تقي

---

[١] الجندي : *نفسه* ، ق ١٥٥ – ١٥٦ ؛ الأهدل : *نفس المصدر والصفحة* .
[٢] البريهي : *طبقات صلحاء اليمن* ، ص ١٢٩ .
[٣] البريهي : *المصدر السابق* ، ص ٢١٨ ، بينما يجعل ابن الديبع وفاته عام ٨٣٩ هـ / ١٤٣٥ م في الطاعون الذي انتشر باليمن في أواخر عهد الظاهر يحيى . (راجع : *الفضل المزيد* ، ص ١١٣) .
[٤] الشرجي : *طبقات الخواص* ، ص ١٦٩ .
[٥] راجع : الحبشي : *تاريخ وصاب* ، ص ٢٢٨ .

الدين عمر بن عبد الله بن صالح (ت ٧٤٢ هـ/١٣٤١م) [١] ، وفي الحديث على الامام شهاب الدين أحمد بن أبي الخير الشماخي (ت ٧٢٩ هـ/ ١٣٢٨م)[٢] ، وتولى القضاء في وصاب عام ٧١٥ هـ / ١٣١٥ م ، كما تفقه على عدد آخر من علماء عصره في القراءات والفقه والحديث والنحو وأجازوه في مصنفاهم ومروياهم [٣] ، ثم استقر للتدريس في بعض بلاد خولان ، وأخذ عليه عدد من الدارسين ، وفي عام ٧٤٠ هـ / ١٣٣٩ م ، قام بالتدريس في المدرسة المؤيدية بمدينة تعز ، ثم طلب الإذن من الملك المجاهد لزيارة أهله في وصاب ، فأذن له ، ولم يعد بعدها للتدريس فيها ، وأقام بوصاب على الدرس والإفتاء ، ثم عكف على التصنيف فكان إماماً محققا في العديد من الفنون كالتفسير والنحو والحديث واللغة والأصول والفروع ومن أبرز هذه المصنفات كتاب " بلغة الأديب إلي معرفة الغريب " وكتاب " الاعتبار لذوى الأبصار " وضع فيه قصيدة تزيد على مائتين من الأبيات ، كل بيت يجمع ثلاثة أبيات ، ووضع كلاما مسجوعا موافقا لما في الأبيات من المعنى ، وفصله ، خمسة عشر فصلا . وكتاب " نظام الغريب " الذى ظهر في مجلد ضخم ، وضعه عام ٧٣٨ هـ / ١٣٣٧ م ، ومنها كتاب النظام والتبيان " ، نظم به كتاب التنبيه في الفقه بما يزيد على اثنى عشر ألف بيت جمع فيها مسائل جمة ، وكتاب " المعتقد للألباب والمعتمد في الآداب " ، وهو منظومة على قافية الياء تزيد على ألف وأربعمائة بيت ، جعله على أربعة وأربعين باباً ، وكتاب " آداب المسافر ومقاصده " ، وكتاب " الارشاد للأمراء والعلماء والمتكسبين والعباد " ، وكتاب " التوشيح والثناء والذكر والرحمات " وكتاب "الديوان " في مجلدين ، ومجموعة خطب ومواعظ وحكم ونصائح وأدعية شريفة انتخبها ، منها ما جمعه في كتاب سماه " زهر البساتين في الدعاء على عدو الدين " وصنفه على تسعة فصول ، في كل فصل تسعة فنون ، بالاضافة إلي ديوان حافل

---

(١) الحبيشي : *المصدر السابق* ، ص ٢٢٨ .

(٢) هو أبو العباس أحمد بن أبى الخير بن منصور الشماخي السعدى من أهل زبيد ، كان إماما جليلا ، انتهت إليه مشيخة الحديث في اليمن وعنه وعن والده انتشر علم الحديث في زمنه في ربوع اليمن ، سمع الملك المؤيد عليه سنن أبى داود وذلك عام ٧١٣ هـ / ١٣١٣ م ، وتوفى ٧٢٩ هـ / ١٣٢٨ م (راجع : الخزرجى ، *العقود* ، ج٢ / ٥٢ ؛ *الشرجى طبقات الخواص* ، ص ٨٣ – ٨٤) .

(٣) راجع عن هؤلاء العلماء ، الحبيشى : *تاريخ وصاب* ، ص ٢٣٤ .

من أشعاره ، وغير ذلك من الكتب والخطب والآداب ، وانتهت إليه الرئاسة في العلم بوصاب وفي القضاء والافتاء والتدريس حتى عام ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م ، ثم اجتهد في التلاوة والعبادة وترك ما سواهما إلي أن وافته المنية عام ٧٨٠ هـ / ١٣٨٠ م [١] . وخلف ثلاثة أبناء نجباء بذل صادق الجهد في تفقيههم حتى صاروا من أفاضل العلماء في وقتهم أولهم :

١- الفقيه الكبير جمال الدين محمد بن عبد الرحمن الحبيشي ، الذى مدح البريهى فقهه وعلمه بقوله " انه ممن طابت له المحافد والمغارس ، وأنارت مصابيح علمه المساجد والمدارس ، وكان عالماً عاملاً بعلمه ... كثير الذكر والاجتهاد " [٢] ، ولد عام ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م وأخذ العلم عن شيوخ بلده وعن أبيه ، وكان ذا معرفة قوية في القراءات السبع والتفسير والحديث والفقه واللغة والآداب ، واستقام بالتدريس والافتاء بعد والده في وصاب ، وصنف كتبا كثيرة منها كتاب " البركة في فضل السعى والحركة ، وما ينجي بإذن الله من الهلكة " [٣] ، وهو كتاب حوى جميع الفنون من الفقه وأصول الدين وعلم الطب والحديث ، وبعض صفات الرسول عليه الصلاة والسلام نظماً ونثراً ، وكتاب "عمدة الطالب في الاعتقاد الواجب " ، وكتاب " فرجة القلوب وسلوة الكروب"، وكتاب " التذكير بما إليه المصير " [٤] ، وكتاب " الجواهر الفاخرة فيما يسهل أمور الدنيا والآخرة " وكتاب " نشر طى التعريف في فضل حملة العلم الشريف "[٥] ، وكتاب " النورين في إصلاح الدارين " [٦] ، وغير ذلك من الرسائل والمنظومات ، وجدير بالذكر أنه لم يدون من أشعاره وقصائده إلا ما كان منها في الحكم والنصائح والمدائح النبوية ، ومن شعره ما كتبه إلي ولده عبد الرحمن يحثه على طلب العلم فيقول :

---

(١) للمزيد راجع : الحبيشى : تاريخ وصاب ، ص ٢٣٣ ـ ٢٣٩ ؛ البريهى : طبقات صلحاء اليمن ، ص ٢٧- ٢٨ ؛ الشرجى : طبقات الخواص ، ص ١٦٩ - ١٧٠ .

(٢) البريهى : نفسه ، ص ٢٨ .

(٣) طبع هذا الكتاب عام ١٣٥٤ هـ راجع هـ ٢ ص ٢٢٨ لمحقق البريهى .

(٤) منه نسخة خطية بجامع صنعاء المكتبة الغربية تحت رقم ٢٢٠، البريهى : نفسه ، ص ٢٩ هـ ٢ .

(٥) منه عدة نسخ خطية إحداها بمكتبة جدة تحت رقم ٨٤ ، البريهى : (نفسه ، ص ٢٨ هـ ١) .

(٦) منه عدة نسخ خطية إحداها بايطاليا بمكتبة الامبروزيانا تحت رقم ٧٥ B ، البريهى : (نفسه ، ص ٢٩ هـ ١) .

ما لذة الخلق في الدنيا جميعهـم ولا الملوك وأهل اللهو والطرب
كلذتي في طلاب العلم يا ولدى فالعلم معتمدى حقا ومكتسـبى[(١)]

وتوفى عام ٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م [(٢)] .

وقد أنجب جمال الدين محمد بدوره ثلاثة أبناء ، الأول جمال الدين عبد الرحمن بن محمد وكان فقيها مؤرخاً (٧٣٤ – ٧٨٢ هـ / ١٣٣٣ – ١٣٨٠م)، صنف كتاب الاعتبار في التواريخ والآثار ، أو ما يعرف أيضا بتاريخ وصاب ، وخص به الحديث عن ملوك اليمن ، وتاريخ مدينته وصاب ، وتراجم علمائها وصلحائها ومشايخها ، ولم يتعرض لترجمة باقى أهل اليمن ، سوى من جاء ذكره في سياق حديثه عمن أوردهم بكتابه ، وتوفى في نفس عام ٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م الذى توفي فيه والده ، وأكمل أحد أولاده كتاب تاريخ وصاب وأضاف إليه زيادات تنتهى إلي حوالى عام ٨٤٨ هـ / ١٤٤٤ م [(٣)] .

والثانى أحمد بن محمد ، ولد ٧٤٠ هـ / ١٣٣٩ م ، الذى تفقه على أبيه وجده وغيرهما من كبار شيوخ عصره ، وكان مشاركا بالعلم ، أفتى ودرس ويرجع إليه الفضل في توصيل الماء الجارى إلي قريتهم " الحرف " وذلك بحفره بئراً طويلة تمتد نحو خمسين ذراعا ثم حفر من قاعها عرضاً حتى عمق مائة ذراع على ضوء الشمعات والمصابيح بين أحجار وصخرات عظام حتى انبثق الماء جارياً...وكان أهل قرية " الحرف " لا يجدون الماء الجارى قبل ذلك إلا في أحد الواديين الأسفلين [(٤)] ، وتوفى عام ٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م [(٥)] .

أما الثالث عمر الذى ولد في عام ٧٥١ هـ / ١٣٥٠ م ، فكان يتميز بالفصاحة والبلاغة ، وتفقه بأبيه وجده وغيرهما ، ودرس الفرائض ، وتولى القضاء

---

(١) البريهى نفسه،ص ٢٩، وراجع باقى القصيدة في الحبيشى :تاريخ وصاب ، ص ٢٤٠ – ٢٤١ .

(٢) للمزيد راجع : الحبيشى :نفسه ، ص ٢٣٩ - ٢٤٠ ؛ الشرجى :طبقات الخواص ، ص ١٧٠ ؛ البريهى :نفسه ص ٢٨ – ٢٩ ، وجعل وفاته عام ٨٠٢ هـ / ١٣٩٩ م بينما جعلها حفيده الذى أكمل كتاب تاريخ وصاب عام ٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م ، وهو ما اعتمدناه بالمتن .

(٣) البريهى :نفسه ، ص ٢٩ ويجعل وفاته في أوائل المائة التاسعة . (راجع أيضا : الحبيشى :نفسه، ص ٧ من مقدمة المحقق ، ٢٤١ من متن الكتاب) .

(٤) الحبيشى :تاريخ وصاب ، ص ٢٤٢ ؛ البريهى :المصدر السابق ، ص ٢٩ .

(٥) الحبيشى :نفسه ، ص ٢٤١ – ٢٤٢ ، وكان له ولد مشارك بشئ من العلم يدعى عمر . (راجع : البريهى :نفسه ، ص ٢٩) .

والفتوى ، وكان مشاركا في العلم بالتأليف والتصنيف ، وعمر مدرسة بقريتــه ، وتولى التدريس بها ، ووقف عليها أراضٍ كثيرة واسعة تقوم بمصـــالحها ، وتـــوفى ٨٠٣ هـــ / ١٤٠٠ م [١] .

٢- أما الابن الثاني للإمام وجيه الدين فهو الفقيه العالم صـــفي الـــدين أحمد بن عبد الرحمن ، قرأ في الفقه على أبيه وأخيه ، ثم على جماعة مـــن علمـــاء وصاب وتعز ، ثم رحل إلي مكة لآداء الفريضة ، فقرأ على الأئمة هنالك فأجـــازوا له ، وظهرت براعته في عدة علوم منها الحديث والفقه واللغة ، كما أجاد قـــرض الشعر ونظمه ، وغير ذلك من فنون العلم ، وصنف كتبا كثيرة منها " الارشاد في معرفة سباعيات الأعداد " وهو كتاب ضخم في الوعظ منه نسخة خطية باليمن[٢]، وكتاب " رياضة النفوس الزكية في فضل الجوع وترك اللذائذ الشهية " وكتاب " التعريف في آداب التأليف " ، وكتاب " تحفة الراغبين وتذكرة الســـالكين " [٣] ، وكتاب "منهاج العابدين " ، ونسبت إليه قصائد كثيرة رائعة جمعـــت في ديـــوان ضخم ، وكان حافظاً محققاً ، تولى القضاء فترة بتوجيه من أبيه ، ثم استعفى أبـــاه من الحكم فأعفاه ، وأنجب عدة أولاد ، وانتفع عليه جماعة كثيرة مـــن الدارســـين وراغبى العلم ، وتوفى في عام ٧٧٩ هـــ / ١٣٨٧ [٤] في حياة أبيه [٥] .

أما أكبر أولاده ويدعي الفقيه عبد القدوس بن أحمد ، فقد ولد ٧٥٥هـــ/ ١٣٥٤ م ، وقرأ على أفراد أسرته في الفقه والنحو واللغة والحديث والفرائض وغير ذلك ، وأجازوا له فدرس وأفتى ، وكان مصنفاً كأبيه ألف عدة تواليف منها "تحفة الراغبين وارشاد الطالبين " وكتاب " الصريح في الاعتماد على القول الصـــحيح " ولكنه لم يكمله ، وكتاب " اظهار النصيحة في الورع عن الأفعـــال القبيحـــة " ،

---

[١] الحبيشى : نفسه ، ص ٢٤٢ ؛ البريهى : نفسه ، ص ٢٩ .
[٢] منها نسخة في مكتبة جامع صنعاء الغربية رقم ١٤ معارف عامة .
[٣] منه نسخة خطية في مكتبة صنعاء الغربية رقم ٦٥ مجاميع .
[٤] الحبيشى : تاريخ وصاب ، ص ٤٣ ، وتختلف المصادر في تاريخ وفاته فجعلها ابن أخيه صاحب الاضافات على تاريخ وصاب كما أثبتناها في المتن ، بينما يجعلها البريهى عام ٨٢٢ هـ / ١٤١٩ م . (راجع : طبقات صلحاء اليمن ، ص ٣٠) ، وخالفهم الخزرجى فجعلها ٧٦٩ هـ / ١٣٦٧ م (راجع: العقود ، ج٢ / ١٢٠) .
[٥] الحبيشى : المصدر السابق ، ق ٢٤٢- ٢٤٣ ؛ الخزرجى : العقود ، ج٢ / [illegible] - ١٢٠ ؛ البريهى: المصدر السابق ، ص ٣٠ .

وغير ذلك في أصول الدين والتصوف وعلم التوحيد،وتوفى بالشام قافلا من الحج، حيث كان في طريقه للاستزادة من العلم والتحصيل وذلك عام٧٩٩ هـ/ ١٣٩٦م[١].

ويليه إبنه الأوسط في العمر القاضي أبو محمد عبد العزيز أحمد ، وكان إماماً عاملاً تفقه على بعض أهل بلده ، وارتحل داخلياً لاكمال تعليمه ، فقرأ في شنين من السحول على علمائها ، وأجاز له بعضهم ، ثم عاد إلي بلده " فدرس وأفتى وأحيى مآثر أهله " ، وتولى القضاء بوصاب ، وكان شاعراً فصيحاً ، اشتهرت بعض قصائده بوصاب ودارت على ألسنة أهلها ، وتوفى عام ٨٢٥ هـ / ١٤٢١ م [٢].

٣- أما الابن الثالث من أبناء القاضي الإمام وجيه الدين عبد الرحمن بن عمر ، فهو ولده عبد الله،وتفقه كالعادة على أبيه وأخوته،فأجازوا له،فدرس وأفتى،وكان حافظاً مدققاً فيروى عنه أنه ما سئل عن مسألة في فقه أو تفسير أو أصول أو شعر وغير ذلك إلا وأجاب إجابة صائبة ،وكان شديد الزهد والورع، ولم ينظم الشعر إلا بعد أن حثه والده على نظمه حيث أرسل إليه كتاباً به أبيات شعرية يقول له فيها :

فهمت فقها ونحواً واللغات ولم يعجزك إلا مقال الشعر كيف ترا

فأقبل بعد ذلك على نظم الشعر وأجاد فيه [٣].

ومن أفراد هذه الأسرة أيضا الفقيه جمال الدين محمد بن عبد العزيز بن أحمد،قرأ الفقه على أبيه وغيره من أفراد أسرته،وتفوق في الفقه فدرس وأفتى وتولى القضاء بوصاب،وتوفى مقتولا بعد عام٨٤٠ هـ/١٤٣٨م[٤]،وخلفه على مقعد الدرس والإفتاء وولاية القضاء ابن عمه الفقيه جمال الدين محمد بن عمر بن أحمد بن عبد الرحمن الحبيشي ، وكان فقيهاً مجيداً ، وظل يتولى مناصبه السابقة حتى اخترمته المنية فيما يقرب من عام ٨٥٠ هـ / ١٤٤٦ م [٥].

---

(١) الحبيشي :نفسه ، ص ٢٤٤ ؛ البريهي :نفسه ، ص ٣١ .
(٢) البريهي :نفسه ، ص ٣١ - ٣٢ .
(٣) الحبشي :تاريخ وصاب ، ص ٢٤٤ - ٢٤٥ ؛ البريهي :طبقات صلحاء اليمن ، ص ٣٣ .
(٤) الحبيشي :المصدر السابق ، ص ٣٢ - ٣٣ .
(٥) الحبيشي :نفسه ، ص ٣٣ .

(٢) المـــراحل التعليمية

من المعروف أن طلاب العلم في تلك الفترة كانوا يمرون بمراحل تعليميـــة ثلاث ، يحصلون في آخرها على الإجازة العامة بالتدريس والفتوى :

أ- المرحلة الأولية

وهى مرحلة الدراسة في الكتاتيب أو " المعلامة " ويتركز الاهتمام في هذه المرحلة على تعليم الصبية الصغار مبادئ القراءة والكتابة والحساب ، وتحفظـيهم القرآن الكريم كله عن ظهر غيب ، ويكلف الصبى في هذه المرحلة بإعادتــه مـرة أخرى لتأكيد حفظه [١] .

وكانت الكتاتيب منتشرة في القرى والمدن اليمنية المختلفة تيسـيرا علـى الصبية الالتحاق بأقربها إلي دورهم وجرت العادة أن يبدأ الالتحاق بالمعلامة في سن صغيرة أى في الخامسة أو بعدها بقليل ، أما عن فترة بقاء الصبى بالمعلامة فتتوقـف في المقام الأول على قدرة الصبى ومهارته في الحفظ والانتهاء من خـتم القـرآن . وتبدأ الدراسة في هذه المرحلة ، بتعليم الصبية حروف الهجـاء ومبـادئ القـراءة والكتابة على الألواح الخشبية ، وحفظ قصار سور القـرآن ، ثم يبـدأ المعلـم في التدرج معهم ، حتى يتم الانتهاء من حفظ القرآن كله ، فإذا ما ختم الصبى القرآن وأتقن حفظه ، يكون قد أنتهى من هذه المرحلة التى عادة ما كانت تتراوح مـدتها ما بين سنتين إلي أربع سنوات ، وكان يقام للصبى بهذه المناسبة احتفـال يختلـف مظهره وفقا للحالة المادية للأسرة ، مثال ذلك ما حدث مع الفقيه عبـد الله بـن أسعد اليافعى (ت ٧٦٨ هـ) عند ختمه للقرآن في عدن ، فأقيمت لـه وليمـة كبيرة ، أطعم فيها جماعة كبيرة من الناس [٢] .

ويصور الشاعر اسماعيل المقرى ، الذى استقينا من أشعاره بعض المعلومات السابقة عن المرحلة الأولية للتعليم ، ما يتم في تلك المرحلة من حيث الابتداء بتعلم

---

(١) الجندى : _السلوك_ ، ق ١٠٩ ، ابن سمرة : _طبقات فقهاء اليمن_ ، ص ٣ ؛ بامخرمة : _تاريخ ثغر عدن_ ، ج٢ / ٣٠ .

(٢) بامخرمة : _تاريخ ثغر عدن_ ، ج٢ / ١١٠ ، طه أحمد أبو زيد : _اسماعيل المقرى_ ، ص ٢٧٩ ، وانظر أيضا : الجندى : _السلوك_ ، ق ١٠٩ .

حروف الهجاء ، ومبادئ القراءة والكتابة على الألواح وغير ذلك من خلال قصيدته التي أنشدها يهنئ فيها الناصر أحمد الرسولي بدخول ابنه محمد المعلامة فنظم قائلا :

أتم سرور أن يرى الوالد الإبنا ينافس في الأعلى ويسمو عن الأدنى

ويصور فرح الصبي بدخول الكتاب ذاكرا أدوات الكتابة المستعملة آنذاك فيقول :

فهنأ ابن اسماعيل أن محمدا تربع في كتابه ضاحكا سنا

وأن دواة المجد فوق بساطه وأقلامها قد وشحت كفه اليمنى

ثم ينتقل بنا مبينا ابتداء التعليم في هذه المرحلة بتعريف الطفل حروف الهجاء ، ثم التدريب على خطها في الألواح الخشبية فيقول :

ولما ابتدا يهجو الحروف تطاولت رقاب المعالي نحوه مصغية أذنا

نعوذه بالله وهو يخطها ويحفظها لفظا ويفقهها معنى

إذا خطها في اللوح لاحت مخائل بها عنه يثنى عن قريب ما يثنى

تود المآقي أن يكون سوادها مدادا وباقيها لمكتوبة متنا[1]

ب- المرحلة الثانية

إذا ما أتم الصبية المرحلة الأولية بتمام حفظ القرآن وختمه،ينتقل من شاء إكمال تعليمه إلي المرحلة الثانية وهي الالتحاق بالمسجد أو المدرسة،لتلقى العلوم الشرعية واللغوية على أئمتها وشيوخها في المدن أو القرى الكبرى المصاقبة لها. ويوضح ابن سمرة هذا عن نفسه بقوله أنه عندما أتم القرآن حفظا وسماعا،وختمه عن ظهر قلب،وأعاده ثانية للتأكد من تمام حفظه ، انتقل لدراسة الفقه على جماعة من الشيوخ الأجلاء،في إحدى القرى الكبرى المجاورة لبلدته[2].وفي هذه المرحلة أيضا تبدأ الرحلة الداخلية للطالب،حيث يسعى إلي التنقل بين حواضر الديار اليمنية للاستزاده من أعلام عصره المقيمين في هذه المراكز الثقافية ، اشباعاً لرغباتهم في طلب العلم والاستزادة منه ، والحصول على إجازتهم بذلك [3] .

---

[1] طه أحمد أبو زيد : _اسماعيل المقرى_ ، ص ٢٧٩ – ٢٨٠ والقصيدة طويلة من ٣١ بيتا .
[2] ابن سمرة : _المصدر السابق_ ، ص ٣ .
[3] الجندي : _السلوك_ ، ق ٧٥ .

وتبدأ الدراسة في هذه المرحلة بقراءة الكتب المبسطة أولا ، ويذكر الجندى أن معظم فقهاء اليمن وأنحائها لا يستفتح الاشتغال بصناعة النحـــو ، إلا بدارســـة "مختصر ابن عباد " للحسن بن أبي عباد الذى كان هو وابن أخيه إبراهيم بن محمد إمامى النحو في بلاد اليمن آنذاك وإليهما كان أهل النحو يرتحلون من مختلف أنحاء اليمن وذلك لتساهل ألفاظه واقتراب عباراته [١] ، ثم يتدرج الطالب بعد ذلك إلي دراسة ما هو أشد صعوبة ، وهكذا حتى يتيسر له دراسة العديد مـــن المصـــنفات الفقهية واللغوية ، وغيرها من العلوم الشرعية الواجب دراستها في هذه المرحلـــة ، وقد يعيد الطالب دراسة الكتاب الواحد أكثر من مرة على أكثر من فقيه حتى يتم التيقن من استيعابه على الوجه الأكمل ، حيث كانت هذه المرحلة أيضـــا يعتمـــد الطالب فيها على الحفظ والفهم معا ، وكانوا يعتبرون الطالب الذى ثبت أنه أكثر من زملائه حفظا من الطلاب النجباء المشهود لهم بالكفاءة [٢] ، حيث كانت هذه المرحلة تعتمد على سماع الطالب قراءة شيخه لما يدرسه مـــن الكتـــب ، ثم يعيـــد الطالب قراءة ما سمع إلي أن يتمكن من حفظه غيبا [٣] .

وتنتهى الدراسات الفقهية في أغلب الأحيان بنهاية هذه المرحلـــة ، الـــتى كانت مدة الدراسة بها ، كما صرحت بذلك الوقفيات الخاصة بالمدارس في ذلـــك العصر،تراوح بين أربع وخمس سنوات [٤] ، يسمح للطالب بعدها بالحصول على إجازة مكتوبة بما أتم درسه وسماعه من علوم الدين واللغة وغير ذلـــك ، ويـــتمكن بذلك من العمل في التدريس والافتاء وغيرها من الأعمال التى تتطلب من شـــاغلها المعرفة الكاملة بعلوم الفقه واللغة شأن الأعمال المتعلقة بالقضاء والدواوين .

ج- المـرحلةالثـالثة:

ويواصل الطالب في هذه المرحلة البحث ودراسة العلوم المختلفة ، والمواظبة على حضور مجالس مشاهير العلماء ، ومناقشتهم والتدريب على المناظرات العلمية، وأهم ما تتميز به هذه المرحلة سعى الطلاب للانتقال إلي خارج بلادهم في رحلـــة

---

[١] الجندى : *المصدر السابق* ، ق ٨٣ .
[٢] الجندى : *السلوك* ، ق ١٠٩ .
[٣] الجندى : *نفس المصدر والورقة* .
[٤] راجع ما يلى *الفصل الثالث من هذا الباب* .

علمية يجوبون فيها المراكز الثقافية في عواصم الإسلام المختلفة ، لتحصيل مزيد من العلم والمعرفة على أيدى شيوخها . وقد أوضحنا فيما سبق عند الحديث عن الاتصال العلمى بين اليمن والأقطار الإسلامية المختلفة ، كيف رحل عدد غير قليل من علماء اليمن ودارسيها طلبا للعلم والمعرفة وبغية الاستزادة منهما إلي العديد من حواضر الثقافة والعلم آنذاك لاسيما إلي مكة والمدينة ، فاستفادوا وأفادوا [١] .

وفي هذه المرحلة تظهر قدرة هؤلاء العلماء على التصنيف والشرح ومدى القدرة على الابتكارات والاضافات والتجديدات في مجال العلوم التى درسوها وأجادوها ، فتظهر الشروح والمختصرات والتعليقات على مصنفات سابقة لهم ، وكذلك تبرز العديد من التواليف الجديدة التى يقومون هم على تأليفها بأنفسهم ، ويطلق على العلماء في هذه المرحلة العديد من الألقاب التى تشير إلي مدى تميزهم في العلوم المختلفة مثل سيف السنة [٢] ، والإمام العلامة [٣] ، وسراج الدين ، وشيخ المحدثين [٤] ، والمقرئ العلامة [٥] ، والفقيه العلامة [٦] ، والأمير العلامة الطبيب [٧] ، والإمام العلامة الحافظ [٨] ، والعلامة المُحَدِّث [٩] ، وغير ذلك من الألقاب التى تدل دلالة واضحة على تميز هؤلاء الفقهاء وأنهم بلغوا ذروة مناصب الصدارة والرئاسة في الفتوى والتدريس للعلوم التى تميزوا بها ، كالفقه والحديث والقراءات ، والطب واللغة والنحو وغير ذلك من العلوم [١٠] .

وقد تبلغ شهرة البعض منهم مبلغا عظيما ، فتصل أخبارهم إلي الحكام الذين يعمدون إلي استدعائهم من بلادهم ، إلي حاضرة البلاد ، ويوكلون إليهم مهمة التدريس بمعاهدها العلمية ، ويقومون بأنفسهم بالقراءة والدرس على أيديهم،

---

[١] راجع ما سبق ، ص ٥٥١ من هذا الفصل .
[٢] ابن سمرة : المصدر السابق ، ص ٩٠؛ الجندى : السلوك ، ق ١٦٧ ، الأهدل : تحفة الزمن ، ق ٨٠ .
[٣] البريهى : المصدر السابق ، ص ٧٤ ، ١٧١ .
[٤] ابن سمرة : المصدر السابق ، ص ١٧١ .
[٥] البريهى : المصدر السابق ، ص ١٤٦ ، ٢١٤ .
[٦] البريهى : المصدر السابق ، ص ١٧٥ .
[٧] البريهى : المصدر السابق ، ص ٢١٦ .
[٨] البريهى : المصدر السابق ، ص ٢٠٦ .
[٩] البريهى : المصدر السابق ، ص ٢٩٧ .
[١٠] البريهى: المصدر السابق ، ص ١٢٧ .

أو يعهدون إليهم بتعليم أولادهم مثال ذلك سيف الإسلام طغتكين حينما بلغه تميز الحافظ العرشاني في علم الحديث ، فقرأ على يديه موطأ مالك ، وأخذ منه إجازة بذلك [١] ، كذلك فعل المظفر الرسولي حينما وصلته شهرة الفقيه العلامة عبد الله بن يحيى بن أحمد الهمداني (ت ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م) وهو الذى انتشر عنه سماع كتاب البيان للإمام يحيى بن أبي الخير العمراني (ت ٥٥٨ هـ / ١١٦٢ م) في العهد الرسولي ، وعرف بأسانيده العالية الموثوقة ، فاستدعاه المظفر الرسولي ، وأخذ عليه ، وكذلك بعض أبناء البيت الرسولي ، ورتب مدرسا في الحَجْر ببعدان، فكان الناس يفدون إليها ويأخذون عنه فيها [٢] . كذلك فعل المظفر مع الفقيه الأصولي المنطقي الزكي البيلقاني (ت ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م) ، حينما وصل إلي عدن قادماً من فارس ، فأرسل لوالي عدن يأمره بتجهيزه وتسييره إلي حضرته ، بغية القراءة عليه في المنطق ، ثم رتبه بعد ذلك مدرساً في المنصورية بعدن ، ورتب ابنه معيداً معه في نفس المدرسة [٣] .

كذلك فعل المجاهد الرسولي مع القاضي العلامة شمس الدين محمد بن صقر الدمشقي (ت ٧٧٥ هـ / ١٣٧٣ م) حينما دخل اليمن ، وبلغته شهرته ، فاستدعاه المجاهد وقربه إليه وقرأ عليه شيئاً من العلوم ، وولاه القضاء الأكبر [٤] وفي عهد الأفضل برز الفقيه المقرئ شمس الدين علي بن عباس السكسكي (ت ٧٨٩هـ / ١٣٨٧ م) ، في القراءات وظهرت براعته في عدة فنون من العلم قام على تدريسها ، ولما ذاع صيته لم يتردد الأفضل في دعوته لتأديب أولاده ومنهم الأشرف إسماعيل ، فانتفع على يده انتفاعاً عظيماً [٥] .

ونهج الأشرف إسماعيل الثاني نهج والده ، فعندما بلغه ما حازه العلامة عفيف الدين عبد الله بن صالح البريهي (ت ٧٨٩ هـ / ١٣٩٥ م) من شهرة واسعة النطاق في الوعظ والتدريس ، استدعاه من بلده ذى السفال ، وأوكل إليه

---

(١) الجندي : السلوك ، ق ١٥٣ .
(٢) الخزرجي : العقود ، ج١ / ١٥٦ .
(٣) الخزرجي : العقود ، ج١ / ٢٣٨؛ العسجد،ق ١٥٩؛ بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج٢ / ٨٠- ٨٣ .
(٤) البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص ١٨٢ .
(٥) البريهي : المصدر السابق ، ص ١٨٣ .

التدريس بالمدرسة الأفضلية في تعز ، وأضاف إليه الخطبة بجامع المغربة ، " فكان يخطب فيه فترق القلوب لوعظه " [١] .

كذلك فعل مشايخ بنو عمران أصحاب مصنعة سير ، حيث انقطعوا للتدريس بها ، ولما صار إليهم القضاء الأكبر والوزارة ، شغلوا عن التدريس ، مما دفعهم إلي استقدام مشاهير الفقهاء من الديار المصرية إلي سير ليدرسوا لأولادهم ولمن جاء إلي المصنعة طالبا للعلم ، ومن أبرز الفقهاء الذين استقدموا إلي سير للتدريس ، الفقيه عبد الله بن أحمد الزبراني [٢] ، وأبو الحسن بن راشد ، ومنصور بن محمد بن منصور الأصبحي ، وابن أخيه محمد بن أبي بكر بن منصور ، وعلى بن أحمد الأصبحي شيخ الجند ، ومحمد بن على الشعبي ، وعبد الله بن عمران الخولاني، وابنه محمد بن عبد الله ، والذى كان يجتمع عليه نحو مائة دارس أو زيادة [٣] .

ونهج الشيخ يحيى بن اسحاق بن على بن اسحاق العيانى السكسكى صاحب جبأ [٤] نفس النهج وكان كثير الزيارة والاختلاف إلي فقهاء ذى أشرق ، فسمعهم يثنون على الفقيه ابراهيم بن حديق ، ويمتدحون تدينه وعلو كعبه في مجال الفقه ، فسأله الانتقال معه إلي جبأ ليقوم على التدريس لابنه أبي بكر ، وغيره من الدارسين الوافدين إلي جبأ للتعلم [٥] .

---

[١] البريهى : _نفسه_ ، ص ١٨٤ ـ ١٨٥ .
[٢] الجندى : _السلوك_ ، ق ١٠٨ - ١٠٩ .
[٣] الجندى : _المصدر السابق_ ، ق ٢١٩ ـ ٢٢٠ ؛ الأهدل : _تحفة الزمن_ ، ق ١٣٣ - ١٣٤ .
[٤] وهى مدينة غربى جبل صبر وجنوبى تعز (راجع : ابن سمرة : _طبقات فقهاء اليمن_ ، ص ٣١٠ للمحقق) .
[٥] الجندى : _السلوك_ ، ق ١٦٦ ـ ١٦٧ ؛ الأهدل : _تحفة الزمن_ ، ق ١٠٤ .

(٣) آداب التـدريس وطرقه

١ – الكـتب المعـتمدة للتـدريس

تميزت الفترة موضوع البحث بالاهتمام بالعلوم الشرعية واللغوية في المقام الأول ، فاتسمت بوفرة طلابها وعلمائها ، ومجالسها العلمية الـتى قامـت علـى تدريس الفقه والأصول والحديث والتفسير والقراءات والفرائض ، وكذلك تعلـيم علوم اللغة والأدب من نحو وصرف ولغة وبيان وأدب من شعر ونثر وغير ذلـك . وكانت أبرز الكتب المعتمدة في تدريس هذه العلوم تتعلق بالمذهب الشافعى الذى ساد أنحاء كثيرة من ربوع اليمن في فترة البحث ، ففى الفقه الشـافعى وأصـوله وفروعه اعتمد في التدريس كتاب التنبيه والمهذب لأبى اسـحاق الشـيرازى (ت ٤٧٦ هـ / ١٠٨٣ م) ، الذى دخل اليمن في أواخر ق ٥ هـ / ق ١١ م[١] ، وشروحهما وحواشيهما كذلك كانت تدرس في اليمن بعض كتبه الأخرى مثـل "اللمع " ، والنكت في الخلاف والتبصرة في أصول الفقه ، والتعليق في أصول الفقه وملخصه [٢] .

كذلك كان يدرس كتاب البيان للإمام يحيى بن أبى الخـير العمـرانى[٣] ، والمنهاج للإمام النووى[٤]،والوسيط والوجيز للإمام الغزالى [٥]،وكتاب " الحاوى " لنجم الدين عبد الغفار بن عبد الكريم القزوينى (ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م) [٦]

---

(١) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص ٤ ، ١١٨ ، ١٤٩ ؛ الجندى : السلوك ، ق ١٠٩ ؛ البريهى : نفسه ، ص ٨٩ .

(٢) ابن سمرة : المصدر السابق ، ص ١٢٠ ، ١٥٢ ، ١٧٥ ؛ الجندى : المصدر السابق ، ق ١٠٩ ، ١٤٤ ، ١٥٥ ؛البريهى :نفسه ، ص ٨٩ . وكتاب النكت في الخلاف يبحث في المسائل المختلف عليها بين الامامين الشافعى وأبى حنيفة .

(٣) الجندى :نفسه ، ق ١٠٩ ، ١٤٣ ؛ البريهى :نفس المصدر والصفحة .

(٤) وهو منهاج الطالبين وواحد من كتب الفقه الشافعى وشرحه عدد من علماء اليمن منهم الامام جمال الدين الريمى شارح التنبيه . (البريهى : المصدر السابق ، ص ٣٨) .

(٥) البريهى :نفسه ، ص ٨٩ وهما اثنان من ثلاثة كتب للغزالى في فروع الشافعية والثالث هو البسيط (انظر : ابن سمرة ، المصدر السابق ، ص ١٩٤ ؛ الجندى : السلوك ، ق ١٣٨) .

(٦) البريهى :نفسه ، ص ٣٦ ، ٨٥ ، وقد شرحه عدد من أهل العلم في فترة البحث منهم العلامة محمد بن حسين السراج (ت ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م) (راجع : البريهى :نفسه ، ص ٢٥) وشرحه أيضا الفقيه الشاعر اسماعيل المقرى (ت ٨٣٧ هـ / ١٤٣٣ م) شرحا وافيا في كتابه المعروف باسم التمشية أو تمشية الجمل في مجلدين ومنه نسخة مخطوطة بمكتبة جامع صنعاء رقم ٤٨٥ فقه .

وكتاب إرشاد الغاوى إلي مسالك الحاوى " للفقيه إسماعيل بن أبي بكر المقـــرى " واختصر فيه الحاوى للقزوينى ، ويعد كتاب الإرشاد من الكتب النفيسة في فـــروع الشافعية [١] ، أقبل عليه الطلاب بالدرس والتحصيل ، واشتغل به علماء الشـــافعية في اليمن وغيره من الأقطار الإسلامية ، وكان أحد الكتب المعـــدودة والمقـــررة في مدارس العصر الرسولى وما بعده [٢] .

أما في علم الحديث فقد كانت تدرس كتب الحديث الست أو الأمهـــات الست [٣] ، وكان المعتمد في تدريس علم الفرائض كتاب " الكافى " لاسحاق بن يوسف الصردفى (ت ٥٠٠ هـــ / ١١٠٦ م) وشروحه [٤] وكان فقهاء الـــيمن قبل تصنيف الصردفى للكافى ، يتفقهون في الفرائض بكتاب أبي بقية محمد ابن أحمد الفرضى ، وبكتاب كفاية المبتدى لمحمد بن يحيى بن سراقة العامرى ، ومصـــنفات ابن اللبان [٥] .

وفي النحو كان كتاب "المختصر " لابراهيم بن محمد بن اسحاق بن عباد (علماء ق ٥ هـــ / ١١ م) وشروحه ، ومختصر عمه أيضا الحسن بن أبي عباد[٦]، هى الكتب المعتمدة عند الشافعية في علم النحو ، وكذلك مقدمة ابن بابشاذ [٧] ، وفي اللغة كتاب " نظم الغريب " ، للإمام اللغوى عيسى بـــن ابـــراهيم الربعـــى الوحاظى (ت ٤٨٠ هـــ / ١٠٨٧ م) [٨] ، وكتاب " قيد الأوابد " وهو قصيدة مشهورة في اللغة والنحو لأخيه إسماعيل بن ابراهيم الوحاظى (ت ٤٨٠ هـــــ / ١٠٨٧ م) [٩] ، وكتاب" غريب الحديث " في اللغة لأبي عبيد القاسم بن ســـلام

---

[١] البريهى : *المصدر السابق* ، ص ٣٠٣ ، وقام على شرح الإرشاد عدداً من العلماء . راجع عنهم طه أحمد أبو زيد : *اسماعيل المقري* ، ص ٧١ وهـ ١ .

[٢] طه أحمد أبو زيد : *اسماعيل المقرى* ، ص ١٩ ، ٧١ .

[٣] الجندى *السلوك* ، ق ٨٤ ، ١٢٦ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥٣ .

[٤] الجندى : *السلوك* ، ق ١٢٦ .

[٥] ابن سمرة : *المصدر السابق* ، ص ١٠٧ ؛الجندى : *السلوك* ، ق ٨٢ .

[٦] الجندى : *السلوك* ، ق ٨٣ وكان له أيضا كتاب آخر متداول هو تلقين المتعلم واختصره من كتاب سيبويه .

[٧] راجع ما سبق *ص ٥٤٤ من الكتاب* ؛ السخاوى : *الضوء اللامع* ، م٢ ج٤ / ٣٢٥ .

[٨] ابن سمرة : *المصدر السابق* ، ص ١٥٦ ، ١٧٥ ؛ الجندى : *السلوك* ، ق ١٠٤ – ١٠٥ .

[٩] ابن سمرة : *نفسه* ، ص ١٥٧ ؛ الجندى : *السلوك* ، ق ١٠٤ .

(ت ٢٢٤ هـ / ٨٣٧ م) ؛ وكتاب " مختصر العين " للخوافى [١] ، وفي التفسير كان الكتاب المعتمد في التدريس ناسخ القرآن ومنسوخه ومعانيه لأبي جعفر الصفار (ت ٣٣٨ هـ / ٩٤٩ م) [٢] وغير ذلك من المصنفات [٣] .

٢- مجالس التعليم :

وجدت عدة مسميات للمجالس العلمية أثناء مرحلة الدراسة في المسجد والمدرسة ، حيث كانت هذه المجالس تعقد بأواوين هذه المنشآت التعليمية ، ومنها ما أطلق عليه حلقة العلم ، ومنها ما عرف بمجلس التدريس ، ومنها ما سمى بمجلس السماع . وكان كل مجلس من هذه المجالس يتخذ شكله المتعارف عليه في تلك العصور ، حيث يلتف الدارسون والمستمعون في شكل دائرى حول الأستاذ أو الفقيه الذى يكمل الدائرة .

وكانت هذه المجالس الثلاثة تختلف فيما بينها من حيث نوعية العلم الذى يتناوله كل مجلس منها وسنتناول بايجاز كل مجلس منها على النحو التالى :

أ – حلقة العلم : ويبدو أنها كانت جلسة علمية يتناول فيها الفقهاء الحاضرون العديد من المسائل والمشكلات الفقهية بالمناقشة وإيجاد الحلول واستذكارها،ومن هذه الحلقات العلمية حلقة الفقيه الإمام زيد بن عبد الله اليفاعى في الجند،حيث اعتاد فقهاء الجند الاجتماع في أيام معينة يتناقشون فيها في مثل هذه الحلقات،وممن حضر حلقة الامام اليفاعى الفقيه أسعد بن أبي بكر بن بلاوة الجَعَدى [٤] .

ب – مجلس التدريس :[٥] وورد في المصادر ذكر العديد من مجالس العلم والتدريس وكذلك مجالس السماع ، دون تحديد لأماكن عقد كل منها في أغلب

---

(١) ابن سمرة : *المصدر السابق* ، ص ١٦٤ ، ١٧٥ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ؛ الجندى : *السلوك* ، ق ١٣٧ – ١٣٨ .

(٢) الجندى : *السلوك* ، ق ٩٩ ؛ ابن سمرة ، *نفسه* ، ص ٩٠ ، ١٠٠ ، ٢٠٠ .

(٣) البريهى : *صلحاء اليمن* ، ص ٢٣٣ ؛ الأهدل : *تحفة الزمن* ، ق ١٠٢ ، وراجع عن الكتب المعتمدة لدى الحنفية والزيدية ؛ الأكوع : *المدارس الإسلامية* ، ص ١٤ – ١٦ .

(٤) الجندى : *السلوك* ، ق ١٣٢ وراجع : ابن سمرة : *المصدر السابق* ، ص ١٧٣ ؛ الأهدل : *تحفة الزمن* ، ص ٨٤ .

(٥) وهى عملية التدريس ، حيث يذهب الطلاب للدراسة فى المسجد أو المدرسة وكانوا يجلسون غالبا على الأرض أمام الفقيه الذى يجلس بدوره على كرسى مرتفع أو يجلس على الأرض متكئا بظهره على جدار المسجد بجوار المنبر أو متكئا أحيانا على المنبر نفسه ، ويلتف حوله الطلاب . وقد أمدنا=

الأحيان،ويبدو أن مجالس التدريس كانت خاصة بمذاكرة الفقه والأصول والعلوم اللغوية والفرائض،بينما كانت مجالس السماع تختص بتدريس الحديث النبوى الشريف وسماعه.ومن أبرز مجالس التدريس والعلم التى تداولت المصادر ذكرها فى الفترة موضوع البحث مجلس الفقيه أبى عمران موسى بن محمد الطويرى [١] ، وكان"عالماً أديباً عارفاً فاضلاً"[٢]،تفقه جماعة من مشايخ الحصيب بزبيد عليه،وانتفعوا به من أبرزهم الفقيه الشافعى أبو محمد الحسن بن أبى بكر بن اختيار الشيبانى(ت ٥٨٣ هـ/١١٨٧م)،الذى لزم مجلس تدريسه مدة سبع سنين بغية الاستفادة من علمه[٣]،ويعد الشيبانى واحداً من مشايخ ابن سمرة الجعدى،الذى درس عليه عدة مسائل فى الفقه وذلك فى مجلس تدريسه الذى داوم على عقده بعدن وكان ذلك عام٥٨١ هـ/١١٨٥م [٤] .

ومن مجالس التدريس بزبيد أيضا مجلس القاضى عياش بن محمد بن أسد المخزومى،وكان معاصراً لابن سمرة الجعدى(ت ٥٨٦ هـ/١١٩٠م)،وكان مجلسه يعقد بمسجد الأشاعر،وكان فقيها محققاً قصده الطلبة من أنحاء اليمن،ومن جملة من درس عليه بمسجده هذا الفقيه أبو بكر بن يحيى بن اسحاق وذلك عام٥٨١ هـ/ ١١٨٥ م [٥] .

ومنها مجلس الفقيه عبد الله بن عيسى بن أيمن الهرمى الذى أخذ عليه جماعة من الفقهاء منهم الفقيه حسن بن أبى بكر الشيبانى السابق ذكره (ت ٥٨٣هـ/١١٨٧م) والفقيه محمد بن إسماعيل الأحنف [٦] ، والفقيه عبد الله بن أحمد الصريدح [٧] .

=الجندى في كتابه السلوك بمثل واضح يدل على شكل مجلس التدريس آنذاك فيقول عن الفقيه زيد اليفاعى"وكانت مدرسة الفقيه عن يمين المنبر وربما اتكأ وقت التدريس على المنبر وكان أصحابه فوق ثلثمائة متفقه في غالب الأيام يقوم بإعالتهم قوتاً وكسوة وكانوا يملأون ما بين الباب والمنبر كثرة.."(راجع *السلوك*،ق٩١؛وأنظر أيضا ابن سمرة *المصدر السابق*،ص ١١٥حيث يتحدث أيضا عن التفاف الطلاب حول أستاذهم يقرأون عليه عند ترجمته للفقيه مقبل بن زهير(ت٥٧٩ هـ/١١٨٣م) .

[١] لم تذكر المصادر تاريخا لوفاته .

[٢] الأفضل : *العطايا السنية* ، ق ٥٤ .

[٣] الجندى : *السلوك* ، ق ١٣١ ؛ الأهدل :*نفسه* ، ق ٨٣ – ٨٤ ؛ بامخرمة :*تاريخ ثغر عدن* ، ج٢ / ٥٠ ؛ وراجع :ابن سمرة ،*نفسه* ، ص ٢٤٧ حيث يجعلها تسع سنوات .

[٤] ابن سمرة :*نفس المصدر* ، ص ٢٤٧ ؛ بامخرمة :*نفس المصدر* ، ج٢ / ٥٠ .

[٥] الجندى : *السلوك* ، ق ١٨١ ، وراجع أيضا : ابن سمرة ، *المصدر السابق* ، ص ٢٣٢ ، ٢٤٥ .

[٦] ابن سمرة :*نفسه* ، ص ٢٤٣ ، ٢٤٦ ؛ الجندى : *السلوك* ، ق ١٣٠ ويذكر أن الأحنف كان فقيها جليلا صنف كتابا أسماه ثمرة المهذب أجاب فيه على التساؤلات المشكلة به والتى لم يجب شيخه عليها وكانت له مكاتبات مع مؤلف البيان يتناظران فيها ما يشكل عليهما من الفقه .

[٧] ابن سمرة : *طبقات فقهاء اليمن* ، ص ٢٤٥ ،؛ الأهدل :*تحفة الزمن* ، ص ٨٣ – ٨٤ ؛ الجندى : *السلوك* ، ق ١٨١ ، وكانت له ذرية من الفقهاء خلفه بعضهم في مجلس تدريسه . راجع بالتفصيل : الجندى : *المصدر السابق* ، ق ١٨١ – ١٨٢ .

ومن عقد مجلس درسه بمسجد الأشاعر أيضا الفقيه محمد بن عيسى بن همدان وأخوه الفقيه على بن عيسى بن همدان (وكانا معاصرين لابن سمرة) ، وعرفا بملازمة الطلبة وإرشادهم والتفقه الكامل بالمسائل والإفتاء فيها [١] . ومن مجالس التدريس أيضا بنفس المسجد ، مجلس تدريس الفقيه عبد الله بن أسعد الوزيرى (ت٦١٣ هـ / ١٢١٦ م) ، وكان أحد الفقهاء الأصوليين لقيسه ابن سمرة ، وحضر مجلس تدريسه وشهد بذلك قائلاً " لقيته وسمعت كلامه ، رأيته مدرسا في مسجد الأشاعر بزبيد ، وحوله جماعة يقرأون عليه ... " [٢] .

ومن مجالس التدريس بزبيد أيضا مجلس الفقيه إبراهيم بن محمد بن زكريا الوزيرى (٥٣٦ – ٦٠٩ هـ / ١١٤١ – ١٢١٢ م) ، وكان فقيهاً كبيراً موضع تكبير وإجلال في حياة أبيه (محمد بن زكريا ت ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م) ، وربما فضل عليه ، وكان أكثر فقهاء عصره أصحاباً ، وأغلب من تفقه عليه أهل تهامة ، حيث قصده الطلبة من كل مكان للحصول على الإجازات ، وأخذ عنه القريب والبعيد. ومن جلة تلاميذه موسى بن عجيل ، وعبد الله بن جمعان وعلى بن قاسم الحكمى،ومحمد بن يوسف الشويرى،وقد توفى الوزيرى في سنة ٦٠٩ هـ / ١٢١٢ م، فلزم مجلس تدريسه من بعده تلميذه الفقيه موسى بن عجيل [٣] .

وخلف الفقيه أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عبد الله بن زكريا الشويرى،موسى بن عجيل في مجلس درس زبيد،وكان الشويرى فقيهاً كبيراً عارفاً محققاً،ملماً إلماماً كبيراً بدقائق المذهب الشافعي ، حافظاً للمذهب ومشكلاته وتفقه به جماعة كبيرة من أهله وسكان تهامة ، وتوفى عام ٦٢٥ هـ / ١٢٢٧ م [٤] .

ومن مجالس التدريس التى داوم الفقهاء على عقدها في عصر بنى رسول لتدريس الفقه وغيره من الدراسات الدينية واللغوية لطلاب العلم ، مجلس تدريس الفقيه أبي الحسن على بن محمد بن منصور الجنيد (ت ٦٨٠هـ / ١٢٨١ م) ، وكان فقيهاً تقياً خيراً تفقه بعلماء عصره ، وامتحن بقضاء ذى أشرق وإليه انتهى

---

[١] ابن سمرة : *المصدر السابق* ، ص ٢٤٥ ؛ الجندى : *نفسه* ، ق ١٨١ .
[٢] ابن سمرة : *نفسه* ، ص ٢٣٩ – ٢٤٠ .
[٣] الأفضل :*العطايا السنية* ، ق ٣ ؛ الجندى : *السلوك* ، ق ١٨٢ ؛ الأهدل : *نفسه* ، ق ١١٣ .
[٤] الجندى : *السلوك* ، ق ١٨٢ .

تدريسها فداوم على الجلوس في مجلس التدريس لأصحابه ومريديه ، وغيرهم من طلاب العلم ، ومن أبرز من لزم مجلس تدريسه الفقيه أبو بكر التعزى [١] .

وممن أقام مجلسا للتدريس الفقيه عبد الرحمن بن سعد العقيبى الذى خلف ابن عمه الفقيه عمر بن سعيد العقيبى في مجلس تدريسه ، وعكف عليه أصحابه للقراءة عليه والأخذ منه ، فتفقه به جماعة كبيرة من أهل عصره ، وتوفى عام ٦٩٠هـ / ١٢٩١ م [٢] .

وممن عقد مجالس التدريس وذاعت شهرته بأرجاء اليمن الفقيه جمال الدين محمد بن عبد الله الكاهلى ، الذى سلمت إليه الرئاسة ببلده في الفقه ، وتصدى للتدريس والفتوى وانتفع به الطلبة ، وقصدوه من البلدان الشاسعة ، فأقام على التدريس والفتوى مدة تزيد على أربعين عاماً ، وتولى القضاء في إب ، فسار فيه سيرة مرضية وزاده القضاء شهرة فكان " يحضر مجلس تدريسه نيف وأربعون رجلا من الفقهاء والقضاة المنتفعين ، وكان ثبتاً في الجواب محققاً للمذهب والأقوال خصوصا في التنبيه والمهذب والحاوى .... " ، وظل قائما على الدرس بمجلسه حتى توفى عام ٨٣٩ هـ / ١٤٣٥ م ، في الوباء الذى شاع في البلاد في هذه السنة [٣] .

وكان للإمام مجد الدين الشيرازى الفيروز أبادى مجالس تدريسه التى كان يلقى فيها دروسه على طلابه في زبيد وغيرها في النحو وعلوم اللغة ، ومنهم الفقيه القاضي جمال الدين محمد بن حسين البجلى (ت بعد ٨٠٠ هـ / بعد ١٣٩٧ م) الذى يذكر عنه البريهى أنه " حضر مجلس التدريس للإمام مجد الدين الشيرازى ومجلس تدريس الفقيه نفيس الدين العلوى فأجازا له " [٤] .

ومن أشهر مجالس التدريس في هذا العصر أيضا مجلس العلامة جمال الدين الريمى (ت ٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م) الذى سلمت له الرئاسة في العلم بزمنه ، وقصده الطلاب من جميع أقطار اليمن وغيره " واعترفوا بفضله ، واغترفوا من

---

[١] الخزرجى : _العقود_ ، ج١ / ١٩١ .
[٢] الخزرجى : _العقود_ ، ج١ / ٢٢٢ .
[٣] البريهى : _طبقات صلحاء اليمن_ ، ص ٩٣ – ٩٤ .
[٤] البريهى : _المصدر السابق_ ، ص ١٥٩ .

فوائده وفهمه ، فكان مجلسه جامعاً للمبتدى والمنتهى يفيدهم من نخب علمه ويفيض عليهم من جوده ... فمعظمهم من اشتهر من العلماء بعده " ممن درس عليه بمجلس تدريسه بزبيد ، أو من تلاميذه بعد ذلك [١] .

~~كذلك من مجالس التدريس المشهورة آنذاك بعد مجلس الشيرازى والريمى ،~~
مجلس تدريس الفقيه الامام نفيس الدين سليمان بن ابراهيم بن عمر العلوى (٧٤٥ – ٨٢٥ هـ / ١٣٤٤ – ١٤٢١ م) ، وكان من تلاميذ الشيرازى ، وصار أحد أعلام عصره في الفقه الحنفي والشافعي لتحقيقه المذاهب كلها ، كما كانت له اليد الطولى في علوم اللغة والبلاغة ، كما كان كوالده " ت ٧٥٢ هـ / ١٣٥١م " إماماً في الحديث وطرقه ومعرفة رجاله ، فكان يعقد مجالس التدريس لتعليم الفقه والأصول ، ومجالس السماع لإقراء الحديث الشريف وكان مجلس تدريسه أو سماعه" يجمع المبتدى والمنتهى ويستفيد منه كل منهم ما يأمل ويشتهى " [٢] .

كذلك كان للفقيه النحوى عبد اللطيف بن أبي بكر السراج الزبيدى (ت٨٠٢ هـ / ١٣٩٩ م) ، حلقة درسه ومجلسه لتدريس النحو في زبيد ، فيذكر السخاوى أنه خلف شيخه في " حلقته فعكف عليه الطلبة واستقر في تدريس النحو بالصلاحية بزبيد فأفاد واستفاد وانتشر ذكره في البلاد ، وارتحل الناس إليه من سائر أنحاء اليمن وغيرها .... ، كما عقد دروس الفقه أيضا بالدحمانية بزبيد " [٣] .

ج- مجلس السماع : وفيه كان يجلس الدارسون أمام الأستاذ في جلسة مشابهة لمجلس التدريس ، وغالبا ما يختص مجلس السماع – كما ذكرنا – بتدريس الحديث النبوى واقرائه ، وممن عقدوا هذه المجالس في الفترة موضوع البحث الفقيه المحدث أحمد بن محمد بن عبد الله البريهى الملقب بسيف السنة (٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م) الذى جمع بين الزهد والورع والعلم والحديث وأفضت إليه الرئاسة فيهم في إب والجند ، وارتحل إلي مكة " وسمع فيها صحيح مسلم في سنة ثمانين وخمسماية " ، ورجع إلي مدينة إب فعقد بها مجلس سماع " صحيح مسلم " ، ثم

---

[١] البريهى : *طبقات صلحاء اليمن* ، ص ١٨١ .
[٢] البريهى : *المصدر السابق* ، ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧ .
[٣] السخاوى:*الضوء اللامع* ،م٢ ج٤/٣٢٥وراجع عن مجالس تدريس النحو:البريهى:*نفسه*،ص ٣٢٥.

نزل الجند وعقد بها مجلس سماع في عام ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م ، وممن حضر له مجلس السماع في الجند الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عمر بن اسماعيل بن علقمة الجماعى (ولد عام ٥٣٤ هـ / ١١٣٩ م) ، ويذكر الأهدل أنه كان أحد من حضر سماع صحيح مسلم بجامع الجند على سيف السنة ، وخالفه في جواب بعض المسائل [١] .

ومن مجالس السماع في صدر الدولة الرسولية ، مجلس سماع الفقيه عمر بن محمد بن مضمون في مدينة تعز ، وكان هذا الفقيه معاصراً للملك المنصور عمر بن رسول ومدرساً في المدرسة الوزيرية ، وداوم على عقد مجلسه بها بدءاً من عام ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م [٢] .

وكان للفقيه أبي الحسن أحمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عليان الأكنى [٣] ، مجلس سماعه الذى داوم على عقده بالجند،وكان يسمع فيه البيان لأبي الخير العمرانى حيث كان هذا الفقيه أحد تلاميذه وعنه انتشر هذا الكتاب ، وتوفي الفقيه الأكنى فيما يقرب من سنة ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م أو بعدها بقليل [٤] .

كذلك كان للإمامين الشيرازى الفيروز أبادى ، ونفيس الدين العلوى مجالس للسماع أسوة بمجالسهما للتدريس ، وممن حضر مجالسهما لسماع الحديث وأجازا له بالتدريس والإفتاء الفقيه عفيف الدين عبد الله بن أبي بكر البريهى (ت٨٠٣ هـ / ١٤٢٦ م) [٥] . والفقيه جمال الدين محمد بن عمر بن محمد البريهى (ت ٨٣٦ هـ / ١٤٣٢ م) [٦] . والفقيه شرف الدين موسى بن مرى

---

[١] ابن سمرة : *المصدر السابق* ، ص ١٩٠ – ٢٠٠ ؛ الأهدل :*تحفة الزمن* ، ق ٨١ ، ٩٢ ؛ الجندى: *السلوك* ، ق ١٤٤ وممن حضر مجلس السماع عند سيف السنة الفقيه أبو بكر بن يحيى العيانى (ت ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م) ، والشيخ ابن حديق الجشيبى (راجع عنهما : الأهدل :*تحفة الزمن* ، ق ١٠٤– ١٠٥ ؛ الجندى :*السلوك* ، ق ١٦٧) .

[٢] الجندى :*السلوك* ، ق ١٧٥ .

[٣] نسبة إلي عزلة تعرف بأكنيت قريبة من الجند (الأهدل ، ق ٩٢) .

[٤] الأهدل :*تحفة الزمن* ، ق ٩٢ ؛ وراجع أيضا : ابن سمرة :*المصدر السابق* ، ص ٢٠٠ ؛ الجندى: *السلوك* ، ق ١٤٣ ويلاحظ أن الأهدل قد ذكر أن ممن سمع عليه البيان السلطان الملك المظفر وأعيان دولته ، وهذا القول عار من الصحة ، لكون الفقيه الإكنى طبقاً لرواية الأهدل توفى عام ٦٢٠ هـ أو بعدها بقليل ، بينما يؤرخ الخزرجي ولادة المظفر الرسولى بعام ٦١٩ أو ٦٢٠ تقريباً أى في نفس عام وفاة الفقيه . (راجع الخزرجى :*العقود* ، ج ١ / ٨٣ ، ٢٣٢) .

[٥] البريهى :*المصدر السابق* ، ص ١٣٩ .

[٦] البريهى :*نفس المصدر والصفحة* .

الغزولى الذى حضر مجلس سماع الإمام نفيس الدين العلوى في المدرسة المجاهدية بمدينة تعز عام ٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ م ، فقرأ عليه " صحيح البخارى " وختمه في ثلاثة وعشرين مجلساً ، وحضر القراءة والسماع جمع من العلماء الكبار فأجاز لهم الشيخ المذكور وأرخ الإمام العلوى القراءة والإجازة للفقيه شرف الدين الذى وافته المنية في نفس العام [١] .

وممن حضر مجلس سماع الشيرازى والعلوى أيضا بحكم كونهما أشهر محدثين في زمنهما الفقيه عفيف الدين عمر بن عيسى العماكرى (ت بعد ٨٠٠هـ / ١٣٩٧ م) الذى درس الفقه على يد الإمام جمال الدين الريمى ، ثم انتقل لسماع الحديث ونيل الإجازة فيه من الشيرازى والعلوى ، فسمع الحديث والتفسير عليهما وأجازا له ، وانتهت إليه الرئاسة في التدريس والفتوى بعد أستاذه جمال الدين الريمى ، وتخرج على يديه جماعة من الفقهاء [٢] .

ومن أصحاب مجالس التدريس الفقيه وجيه الدين عبد الرحمن الزوقرى (ت ٨١٠هـ/ ١٤٠٧م)،الذى تتلمذ في البداية بمجالس الشيرازى والعلوى وأجازا له،وكان إماماً في الأصول والفروع،وصار بعد تفقهه"ممن يدار عليه الفتوى والتدريس في مدينة تعز،وكان باذلاً نفسه لإفادة العلم الشريف يتلقى الطلبة منه الفوائد الجليلة ولا يخلو وقت من أوقاته عن تدريس أو قيام بعبادة أو فتوى " [٣] .

كذلك حضر الفقيه برهان الدين إبراهيم العزيزى (ت بعد ٨٠٠ هـ / ١٣٩٧ م) مجلس السماع في الحديث النبوى والتفسير عند الشيرازى والعلوى وأجازا له [٤] ، وممن حضر ذات المجالس أيضا الإمام وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد بن حسن البريهى ، فأجاز له الشيخ مجد الدين الشيرازى بعد قراءته عليه وسماعه منه كثيرا من كتب التفسير والحديث واللغة وغيرها ، وقرأ على الإمام نفيس الدين العلوى كتب الحديث وأجازه [٥] .

---

[١] البريهى :نفس المصدر ، ص ١٨٨ .
[٢] البريهى :نفس المصدر ، ص ١٩١ – ١٩٢ .
[٣] البريهى : المصدر السابق ، ص ١٩٣ .
[٤] البريهى :نفسه ، ص ٢٠٣ .
[٥] البريهى :نفسه ، ص ٢٠٤ .

كذلك كان للإمام الحافظ جمال الدين بن الخيـاط (ت ٨٣٩ هـ / ١٤٣٥ م) مجلس سماعه الذى حاز شهرة عظيمة في وقته ، فيذكر البريهى أنه " لما انتهت اليه الرئاسة في علم الحديث وانفرد بذلك ، تزاحمت عليه الطلبة ، فكان يحضر عنده جمع كثير ، فكان مجلسه حافلاً جامعاً للعلماء والمتعلمين " حيث كمل له معرفة جميع العلوم من الحديث والتفسير والفقه والنحو " ، وكان يسمى الباقر لسعة علمه وفهمه واستنباطه وحفظه والتفرد في تحقيق علم الحديث ، وسلمت له الرئاسة فيه ، وخلف الإمام نفيس الدين بتدريس الحديث النبوى [١] .

و لم تكن هناك مدة محددة للدراسة في هذه المجالس،فقد تطول أو تكثر حسب عدد الكتب المطلوب الإجازة فيها وحجمها،ومقدرة الدارس على سرعة الحفظ والاستيعاب.ويستمر الدارس في حضور هذه المجالس العلمية حتى ينتهى من تحصيله،والحصول على إجازة شيخه بما درسه واستوعبه،وتروى المصادر ما يفيد باختلاف مدة الدراسة من فقيه إلي آخر،فتذكر على سبيل المثال أن الفقيه الشيبانى لزم مجلس أستاذه الطويرى نحواً من سبع سنوات[٢]،بينما لزم الفقيه أبو عبد الله محمد بن مضمون،مجلس شيخه سيف السنة في الجند مدة إحدى عشر سنة[٣]، بينما يذكر الفقيه ابن سمرة الجعدى عن نفسه أنه لزم مجلس الفقيه محمد بن زيد بن عبد الله ابن حسان نحواً من ثلاث سنوات أخذ فيها عنه علوم العربية وجوانب من الفقه [٤].

٣- الإجـازات

وضح إهتمام المسلمين في الفترة موضوع البحث بتحصيل العلوم والدراسات الدينية ، والتفقه فيها ، ونيل الإجازات أو الشهادات العلمية الدالة على التفوق في هذه العلوم والانتهاء من تحصيلها ، وبمقتضى مثل هذه الإجازات

---

(١) البريهى : نفسه ، ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩ .

(٢) راجع ما سبق ، ص ٦١٧ من الكتاب .

(٣) الجندى : السلوك ، ق ١٧٣ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ق ١١٠ .

(٤) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص ٢٣٣ . وراجع ايضا عن مجالس سماع الحديث النبوى : بامخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ج٢ / ٢٢٩ حيث دوام الفقيه شمس الدين ابو الخير الجزرى الوافد إلي اليمن في أواخر العصر الرسولى على عقد مجلس سماعه في مسجد الأشاعرة بزبيد ، واقرا فيه الطلاب مسند الشافعى وسنن ابن ماجه وأبى داود وحضر مجلسه فقهاء الوقت وكبراؤه . وكان ذلك عام ٨٢٨ هـ / ١٤٢٤ م .

كان يسمح لهم بالتدريس والفتوى فيما حصلوه من علوم ، كما كانت تجيز لهم الالتحاق بسلك القضاء وغيرها من أعمال الدواوين .

وقد تعددت نوعيات هذه الإجازات العلمية ، فبعضها كان يمنح شفوياً وذلك للفقهاء في أعقاب المناظرات العلمية التي تشهد لهم بالعلم والمعرفة ، حيث يجتمع عدد من جلة العلماء لمناظرة شخص ما ، والتعرف من خلال هذه المناظرة على علمه ومدى إجادته فيه، فإذا تأكدوا من كونه متضلعاً في العلوم ، عارفاً بها ، سابراً لأغوارها ، شهدوا له بأنه عالم ، وهذه الشهادة الشفهية ، كانت تعد من أقوى الشهادات ، وبموجبها يسمح للفقيه بمزاولة العمل في التدريس والفتوى والارتقاء لمناصب الفقهاء .

وقد أمدتنا المصادر بعدة أمثلة لتلك الشهادات أو الإجازات الشفهية التي منحت لبعض فقهاء العصر من علماء أكثر منهم شهرة وأعلى منصباً ، في أعقاب المناظرات العلمية التي كانت تعد إيذانا بمولد عالم جديد تكون له الصدارة في بلده في مجال التدريس والإفتاء ، وقد يتولى في أعقابها منصباً قضائياً كبيراً ، تعبيرا على علو كعبه فيما ناظره فيه العلماء من مسائل وعلوم .

مثال ذلك ما حدث مع الفقيه أبي الطيب طاهر بن أبي الخير العمراني ، حينما ناظره الفقيه الحنفي محمد ابن أبي بكر المدحدح في حضور عبد النبي بن مهدى ، في أعقاب عودة طاهر من مكة المشرفة ، وتعددت هذه المناظرات ، واستطاع الفقيه طاهر أن يتفوق فيها على مناظره " فقطعه واستظهر عليه " ، الأمر الذي جعل المدحدح يشهد له بالكفاءة التامة في علوم الشرع وأحكام المذهب الشافعي وغيره من الأصول والفروع ، فولاه عبد النبي بن مهدى قضاء ذى جبلة وأعمالها ، وظل قائما في منصبه حتى عام ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م [١] .

ومنها أيضا ما حدث زمن المظفر الرسولى ، مع القاضى عبد الله بن على بن أحمد العرشانى (٥٩٥ – ٦٧٦ هـ / ١١٩٨ – ١٢٧٧ م) ، الذى ناظره الفقيه الحنفى أبو بكر بن دعاس في المدرسة النجمية بجبلة في محاولة منه لإحراج الشافعية حيث كان هو رأس الحنفية في زمنه ، فذاكر القاضى عبد الله في عدة

---

[١] ابن سمرة : *طبقات فقهاء اليمن* ، ص ١٨٧ – ١٨٨ وراجع ما سبق من الكتاب .

مسائل ، أجاب عنها القاضي إجابات شافية ، ثم أقبل بدوره وسأل ابن دعاس عدة مسائل وراجعه في عدة مشكلات ، فاعترف ابن دعاس بجودة فقهه ، وأخبر المظفر بأنه فقيه عارف [١] .

وبالإضافة إلي تلك الإجازات الشفوية ، كانت هناك إجازات أو شهادات مكتوبة يحصل عليها الطلاب الدارسين ، تشهد بدراستهم علـى أحـد العلمـاء المبرزين ، وبنوعية الكتب والمصنفات التي أجازهم فيها ، كمـا تشـهد بنوعيـة الدراسة التي تخصص فيها الدارس من فقه أو حديث أو خلافه ، وكانت الإجـازة الممنوحة في الفقه تسمى إجازة فقط ، بينما كانت إجازة الحديث تسمى أحيانـا "مسموعات " [٢] ، وبذلك تعددت نوعيات الإجازات فكان منها إجازة سمـاع ، وإجازة بكتاب وهى إجازة خاصة ، وإجازة بمصنفات عالم ومسموعاته ومروياته ، وهى إجازة عامة .

١- إجـازة السماع :

وهى غالباً ما تطلق على الشهادات المحصلة في علم الحديث ومصـنفاته ، فعندما ينتهى الطالب من سماع كتب الحديث وحفظها وختمها على يد الأستاذ ، يقوم الأخير بمنحه إجازة فى الصحيح الذى أسمعه إياه ، مثال ذلك ما حدث مـع الإمام سيف السنة ، الذى حصل على مثل تلك الإجازة السماعية فى مكـة الـتى وفد إليها للعلم والدراسة ، فسمع صحيح مسلم على الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الهروى ، إمام الحنابلة بالحرم ، وبعد إتمام السماع والقراءة نـال إجـازة الهروى بذلك ، وقد أورد الجندى نصها فى قوله " فقال فى كتب السـماع مـن اللفظ ما مثاله : سمع على الشيخ الإمام السيد الفقيه الزاهد العابد سيف السنة أبـو العباس أحمد بن محمد " وأرخ تلك الإجازة بشهر المحرم من عـام ٥٨١ هـــ / ١١٨٥م ، وكانت هذه الإجازة مكتوبة على نسخة صحيح مسلم الخاصة بسيف السنة [٣] .

---

[١] الجندى : *السلوك* ، ق ١٥٥ .
[٢] الجندى : *المصدر السابق* ق١٢٥ .
[٣] الجندى : *نفس المصدر والورقة* .

وكانت هذه الإجازات تكتب أحيانا شعراً مثال ذلك ما كتبه الفقيه عمر بن أبو عبد الله محمد بن مضمون بن أبي عمران لجماعة من الدارسين عقب سماعهم صحيح البخارى عليه وإجازته لهم ، ونظم إجازته شعرا فقال :

فيا سامعاً ليس السماع بنافع　　　اذا أنت لم تعمل بما أنت سامع

إذا كنت فى الدنيا عن الخير عاجزاً　　　فما أنت فى يوم القيامة صانع ؟[1]

ومن هذه الإجازات السماعية أيضا ، الإحازة التى حصل عليها الفقيه شرف الدين موسى الغزولى من شيخه المحدث نفيس الدين العلوى عقب سماعه صحيح البخارى ، وأرخ العلوى له الإجازة بالقراءة والسماع [2] . ومنها الإجازة التى حصل عليها الامام وجيه الدين البريهى ، عقب انتهائه من سماع كتب الحديث وقراءتها على الإمام نفيس الدين العلوى فكتب له بخطه بعد الاستدعاء للإجازة من صاحب الترجمة مثاله:"أجزت له ذلك لعلمه وبراعته فأنه الفقيه العالم النجيب وفق الله أحواله ، ونفع به وبسلفه ... وأرخ الإجازة بسنة اثنتى عشرة وثمانمائة "[3] .

٢- إجازة خاصة

وكانت تمنح للدارس فى الكتاب الذى عكف على دراسته والاستجازة به ، وعادة ما يكون هذا الكتاب من أمهات الكتب واكثرها شهرة فى زمنه ، وكذلك الأستاذ الذى تولى تدريسه للطالب ، ومن خلال هذه الإجازة يستطيع العلماء تقييم الطالب علمياً . وكانت هذه الإجازات تكتب عادة على نسخة الكتاب الذى درسه الطالب وختمه ، مثال ذلك الإجازة التى منحها الفقيه ابن أبى الصيف اليمنى للفقيه أبى عبد الله محمد بن بطال الركى (ت بعد ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢م) ، فى مكة ، فيقول الجندى عنها " رأيت إجازته له وتاريخها سنة ٦٠١هـ " [4] .

ومن أمثلة الإجازات الخاصة التى نالها الدارسون فى الفترة موضوع الدراسة ، تلك التى نالها العزيز طغتكين من الإمام القاضى أحمد العرشانى ببعض

---

[1] الجندى :نفسه ، ق ١٧٥ – ١٧٦ .
[2] البريهى : طبقات صلحاء اليمن ، ص ٢٠٤ – ٢٠٥ .
[3] البريهى :نفس المصدر والصفحة .
[4] بامخرمة :تاريخ ثغر عدن ، ج٢ / ٢٠١

كتبه،كما نال إجازة خاصة ثانية منه أيضا تفيد قراءته لموطأ مالك عليه[1].كذلك حصل البهاء الجندى على إجازة خاصة من الفقيه والمحدث أبي العباس أحمد بن عمر القزوينى فى كتاب الواحدى فى التفسير،وإجازة خاصة أخرى تفيد سماعه وحفظه لكتاب الحاجبية[2].كذلك نال الفقيه والمحدث اللغوى أحمد بن ابراهيم بن على العسلقى(ت٨٠٦ هـ/١٤٠٣م)إجازة خاصة من الفقيه محمد بن عمر بن على الشعبى فى بعض المؤلفات اللغوية ومنها بعض مقدمة بابشاذ وشرحها،وبعض كتاب شرح الجمل [3] .

٣- إجازة عامة:

ويمنحها العالم للطالب الذى تلقى على يديه العلم في جميع مصنفاته ومسموعاته ومروياته في عدد من الفنون ، وكانت بدورها تكتب على المصنفات التى أجاز فيها العالم الطالب ، مثال ذلك ما أورده الجندى عن الإمام سيف السنة، الذى حصل على إجازة عامة له ولأولاده في جميع ما سمعوه وحفظوه من مسموعات ومرويات الشيخ عبد الله بن عمر الوراق بمكة ، فيقول " ووجدت بالكتاب [يعنى صحيح مسلم] أيضا ما مثاله إجازة من الشيخ عبد الله بن عمر بن أحمد بن الحسين بن إبراهيم الوراق ، فقال فيها أيضا ما مثاله " استخرت الله العلى العظيم وأجزت الشيخ الإمام الأجل السيد الفقيه ناصر السنة أبي العباس أحمد بن محمد ، ولأولاده الكرام يحيى وعيسى وإسماعيل ومحمد وعلى أن يرووا عنى مسموعاتى وإجازاتى وأرخ كون ذلك في الحجة سنة ثمانين وخمسمائة " [4] .

كذلك نال العسلقى إجازة عامة من شيخه الشعبى في جميع مصنفات الشيخ أبي اسحق الشيرازى التى قرأها عليه وهى التنبيه والمهذب واللمع والتبصرة والنكت كلها بسنده إلي المؤلف ، وكذلك أجازه في كتب أخرى منها فقه اللغة للثعالبي ونظام الغريب ، وكفاية المتحفظ للطرابلسى المعروف بابن الاجدابي وغير ذلك من المصنفات التى قرأها عليه [5] .

---

[1] الأفضل : *العطايا السنية* ، ق ٨ .
[2] بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، ج٢ / ١١ – ١٢ .
[3] ابن أسير : *الجوهر الفريد* ، ق ٢٨ .
[4] الجندى : *السلوك* ، ق ١٢٥ .
[5] ابن أسير : *الجوهر الفريد* ، ق ٢٨ .كذلك أجاز مجد الدين الشيرازى للمؤرخ الخزرجى عام ٨٠١هـ / ١٣٩٨ م إجازة عامة في جميع مقروءاته ومسموعاته ومستجازاته ومصنفاته وكتب له بخطه الإجازة . (راجع : *العقود* ، ج٢ / ٢٤٩ – ٢٥٠) .

ومن هذه الإجازات العامة التى كان يحصل عليها الفقهاء من أساتذهم وتتيح لهم تدريس كافة ما سمعوه على أستاذهم من مصنفاته ومروياته وغير ذلك من العلوم التى أخذوها عليه ، الإجازة العامة التى حصل عليها البهاء الجندى من شيخه أبى العباس أحمد بن عمر القزوينى في كل ما سمعه عليه من علوم الحديث والتفسير [١] ، والإجازة العامة التى نالها على يد الفقيه أبى محمد عبد الله بن على العرشانى في الفقه والحديث وغيره من العلوم ، حيث كان العرشانى (ت ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧ م) صاحب مسموعات وإجازات تلقاها من كبار الشيوخ درسها على يديه الجندى ونال منه إجازة عامة بذلك [٢] . والإجازة العامة التى نالها الفقيه الشهاب أبو العباس أحمد الزيلعى من السخاوى في مكة ، فكتبها له بخطه وذكر فيها ما قرأه عليه وما بلغه من أوصافه [٣] .

كذلك أجاز الشيخ شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد الجزرى الدمشقى، في الحديث والقراءات وغيرهما من العلوم ، جماعة من فقهاء أواخر العصر الرسولى الذين داوموا على حضور مجالس سماعه وإقرائه وتدريسه بمسجد الأشاعر بزبيد ، ومنهم الفقيه جمال الدين محمد بن أحمد حميش عام ٨٢٨ هـ / ١٤٢٤ م ، حث أجازه إجازة عامة في جميع ما سمعه من تأليفه وروايته وتصنيفه في الحديث والقراءات والنظم والنثر وغيره [٤] .

وكانت الإجازات الفقهية تمنح أيضا من شيوخ البلدان سواء كانت هذه الإجازة لتدريس مصنفاتهم ، أو تدريس الكتب التى أجيزوا فيها . من ذلك ما رواه الجندى عن الفقيه أبى الطيب طاهر بن يحيى العمرانى ، عندما سكن مكة بأهله وأخذ العلم عن المقيمين بها والوافدين إليها فتضلع من العلوم تضلعا جيدا . ووصلته الإجازات من الشيوخ في البلدان [٥] .

---

[١] بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج٢ / ١٢ .
[٢] الجندى : السلوك ، ق ١٥٥ .
[٣] السخاوى : الضوء اللامع ، م١ / ٣٥٦ .
[٤] بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج٢ / ٢٢٩ .
[٥] الجندى : السلوك ، ق ١٣٦ .

وجدير بالذكر أن الإجازات الدراسية كانت تمنح من الفقيه لجميع دارسيه، إلا الذين يخالفونه في الرأى والإجابة على المسائل الفقهية التي يعرضها عليهم ، مثال ذلك ما ذكره ابن سمرة في طبقاته عن الفقيه الأجل سيف السنة أنه قد أجاز أصحابه كلهم عدا الفقيه محمد بن أحمد بن عمر الذى خالفه في إجابة إحدى المسائل [1] .

٤- طـرق التدريس

كانت أهم الطرق المتبعة في العملية التعليمية باليمن في العصر موضوع الدراسة هى طريقة السماع ، والقراءة والحفظ وطريقة الإملاء والكتابة ، وأخيراً المناظرة العلمية وهى أرقى طرق التدريس وخاتمة آخر مراحل التدرج والتفقه العلمى .

أما طريقة السماع : وهى أولى الطرق المتبعة في العملية التعليمية سواء كان ذلك في مرحلة المعلامة أو في مرحلة الدراسة الأعلى بالمسجد أو المدرسة ، فكان الصغار في المعلامة يبدأون بتعلم حروف الهجاء وكيفية النطق سماعا على معلميهم ثم يعيدون نطقها كما سمعوها ، ثم يبدأون في حفظها ،واستمر السماع أسلوباً للتدريس في المدرسة والمسجد ، حيث يبدأ الطالب بمجرد انتظامه في مجلس التدريس في سماع قراءة الكتاب على أستاذه ، سواء كان ذلك في دراسة الفقه أو الحديث أو اللغة أو غيرها من العلوم الشائعة آنذاك ، وذلك حتى يتيقن تماما من نطق الكلمات والعبارات نطقا سليما ، وتبدأ هذه الطريقة بأن يقرأ الشيخ المعلم الدرس ، فيفتتحه بالاستعاذة ، ثم البسملة ، ثم يدعو بالدعاء المتعارف عليه عند بدء الدرس ، وهو " اللهم علمنا ما جهلنا ، وذكرنا ما نسينا " ثم يقول : قال المؤلف رحمه الله ونفعنا بعلومه : ثم يقرأ الدرس فقرة فقرة ، ثم يأخذ في شرح وتوضيح ما يحتاج إلي ايضاح ، ثم يوجه بعد ذلك إلي طلابه السؤال المشهور " ظهر " أى هل ظهر المعنى ، فيجيبونه في حال الإثبات بكلمة " ظاهر " ، وإذا لم يظهر المعنى للكل أو لأحدهم أو بعضهم ، فإنه يعيد الشرح بتفصيل وإمعان وتوضيح أكثر ، حتى

---

[1] ابن سمرة : *طبقات فقهاء اليمن* ، ص ١٩١ ؛ الجندى : *السلوك* ، ق ١٢٥ .

يظهر المعنى الصحيح للجميع ، ويستمر المعلم هكذا حتى ينتهى الكتاب وعند نهايته يختتمه بقوله " إلي هنا ونزيد والحمد لله رب العالمين " [١] .

وكما سبق كانت طريقة السماع متبعة في تدريس كافة العلوم ، ثم صارت مصطلحا بعد ذلك يطلق غالبا على من يقوم بدراسة علوم الحديث وسماعه، ومن يمنح إجازة في السماع يعني حصوله على إجازة تفيد دراسته واستيعابه لعلم الحديث .

- **طريقة القراءة** : وتأتي بعد السماع ، حيث يعيد الطالب قراءة ما سمعه من أستاذه ، والغرض من هذه الطريقة تعويد الدارس على كيفية النطق اللغوى الصحيح للكلمات ، وقد يأمر الأستاذ الطالب بأن يعيد قراءة الكتاب المرة تلو الأخرى ، حتى يتمكن الدارس من قراءته كاملاً بطريقة سليمة ، وهذه الطريقة هى الشائعة في معظم بلاد اليمن حيث يقرأ الطالب الدرس والشيخ يستمع ، ثم يأخذ الشيخ في شرح الدرس فقرة فقرة ، وهى طريقة أكثر نفعاً للطلاب لكونها تساعدهم على تقويم ألسنتهم ، فلا يلحنون في كلامهم عند القراءة ، إذ ينبه الشيخ من يقرأ من الطلاب إذا لحن ، ويبين له موضع الخطأ ، والصواب فيه ، ويشرح له ما يتعلق بموضوع الدرس [٢] .

وحينما يفرغ الطالب من القراءة عند شيوخه ينصرف إلي مراجعة ما قرأ عندهم من الدروس في ذلك اليوم حتى يتقن حفظه تماما وتسمى هذه الطريقة :

طريقة الإعادة أو الحفظ : وهى طريقة تبدأ منذ بداية التعليم في الكتاتيب أو المعلامة ويستمر الحفظ أسلوبا للتحصيل العلمى في مرحلة الدراسة بالمسجد أو المدرسة ، وتعد عملية الحفظ لاسيما للقرآن الكريم والأحاديث من أهم العمليات الدالة على نبوغ الطالب آنذاك في التحصيل العلمى وتمتد عملية الحفظ إلي العديد من أمهات كتب الفقه واللغة [٣] . وكان أكثر الفقهاء حفظاً يطلق عليه الشيخ

---

[١] ابن سمرة : *المصدر السابق* ، ص ١٥٤ ؛ الأكوع ، *المدارس الإسلامية* ، ص ١٩ م .
[٢] ابن سمرة : *المصدر السابق* ، ص ١٥٤ ؛ الأهدل : *تحفة الزمن* ، ق ٦٧ ، ٧٤ ؛ وراجع أيضا : الأكوع : *المدارس الإسلامية* ، ص ١٩ م .
[٣] ابن سمرة : *المصدر السابق* ، ص ١٠٣ ، ١٢٢ ، ١٧٢ .

الحافظ، وأصبح ذلك اللقب مصطلحا يطلق أيضا على المحدثين المعروفين بكثرة الأحاديث التي يحفظونها ويسترجعونها عن ظهر غيب [١] .

أما عن كيفية الإعادة والحفظ فكان الطالب يستحضر في ذهنه خلاصة كل درس حتى يجيب على أسئلة شيخه في اليوم الثاني حول ما قرأه ، ومنه يعرف الشيخ مقدار فهم وتحصيل كل طالب لما قرأ ومقدار جده واهتمامه ثم يشرع الطالب في قراءة ومراجعة ما سيتناوله درس الغد عند شيوخه ، ويدقق في كل درس إما منفرداً وإما مع زملائه ، ويقوم أفقههم للدرس مكان الشيخ ، فيدرس لزملائه ، ويقلد أستاذه في كيفية الإملاء ثم الشرح ، كما يحدد الطالب المسائل العويصة التي لم يفهمها حتى يركز انتباهه عليها أثناء شرح الشيخ للدرس [٢] .

- طريقة الكتابة والإملاء : وهي النقل من الكتب أو الإملاء يقوم به الشيخ المعلم ، وتعد هذه الطريقة من أهم متطلبات العملية التعليمية ، وتبدأ مع الطالب منذ مرحلة المعلامة ، ويستمر فيها بشكل أوسع في مرحلة التعليم بالمدرسة، وكان الطلاب يقومون في معظم الأحيان بنقل المصنفات من أساتذهم ، ويقوم كل أستاذ بمطابقة ما نقله كل طالب على النسخة التي معه ، وبعد ذلك تبدأ مرحلة وضع الشروح للكتاب والتعليقات ، والأجوبة على ما يتضمنه الكتاب من مسائل ومشكلات [٣] ، هذا وقد يقوم الأستاذ بإملاء كتابه على الدارسين مباشرة، ويتم ذلك أثناء الدرس ، أو عقب الفراغ من تدريس الكتاب ، وإذا كان الكتاب مذيلاً بشروح وتعليقات ، يقوم أيضا بإملائها ، أو يتولى الطالب نقلها مع العناية بتوضيح اسم صاحب التعليق ، وتسمى هذه العملية الكتابية استنساخ ، والكتاب المنسوخ عن الأصل نسخة ، ويقوم الأستاذ بكتابة إجازة على هذا الكتاب الذي قام الدارس بنسخه ودرسه على يديه ، وفرغ من التفقه منه [٤] .

- طريقة المناظرة : وتعد من أهم الطرق المتبعة في العلمية التعليمية ، وكانت هذه الطريقة تطبق في المرحلة الأخيرة من مراحل التفقه العلمي ، وعادة ما

---

(١) الجندي : السلوك ، ق ٨١ ؛ الأفضل : العطايا السنية ، ق ٥ .
(٢) الأكوع : المدارس الإسلامية ، ص ٢٠ م .
(٣) الجندي : السلوك ، ق ١٨٢ .
(٤) الجندي : السلوك ، ق ١٢٤ - ١٢٦ .

كانت تجرى المناظرات العلمية بين علماء وفقهاء ، أو بين فقهاء كبار مـن ذوى الشهرة ، وفقهاء جدد ، أو بين أصحاب مذهب ومذهب آخر ، مثال ذلـك مـا أوردناه سابقا عن المناظرة العلمية التى تمت بين الفقيه طاهر بن يحيى العمـرانى ، ورأس الفقه الحنفى في زمنه [١] ، أو بين الفقيه أبي بكر بن دعاس الحنفى والقاضى عبد الله بن على العرشانى [٢]

ومن أمثلة هذه المناظرات العلمية الفقهية أيضا ، المناظرة العلمية التى جرت بين القاضى جعفر المعتزلى الذى وفد إلي أرض اليمن قادما من العـراق " وكـان يدعى أنه ناظر علماء العراق وأقام عليهم الحجج حتى رد جماعة منهم عن مذاهبهم " ويقول لأهل مذهبه لو نـزلت اليمن لرددت أهله إلي مذهب الاعتزال ، فنـزل اليمن عازما على مناظرة فقهائه ، فلما صار بإب اجتمع مع الإمام سـيف السـنة الذى ناظره في العديد من المسائل الفقهية والمذهبية " وأسقط حجته " ، كـذلك ناظره الفقيه أبو الحسن على بن عبد الله بن عيسى بن أيمن الهرمى (ت ٥٧٠ هـ/ ١١٧٤ م) ، في حضور عدد من أهل العلم وأعيان البلد ، وأظهر عجزه ، وأسقط حججه ، وعجز المعتزلى عن مجاراته علمياً ، وتيقن للجميع خلو وفاضه من العلـم والمعرفة [٣] .

ومن هذه المناظرات العلمية أيضا ما اعتاد فعله الفقيه المصـبرى (وكـان معاصراً للمظفر الرسولى) ، حيث قصد زبيد وناظر فقهاءها ، وغلـب علـيهم بحججه وأسانيده [٤] ، ويذكر الخزرجي أنه كان " كلما مر بفقيه قصده وناظره " حتى التقى بالفقيه العالم أبي محمد عمرو بن علـى السـباعى (ت ٦٦٥ هـــ / ١٢٦٦م) ، في أبيات حسين وناظره في عدة مسائل فقهية ، فاستظهر عليه الفقيه

---

(١) راجع ما سبق ، ص ٥٥٥ من الكتاب .

(٢) راجع ما سبق ، ص ٦٠١ من الكتاب .

(٣) راجع عن هذه المناظرة العلمية والأسئلة الفقهية التى دارت بها : الجندى : السلوك ، ق ١٤٢ - ١٤٤ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ق ٩١

(٤) ونظم الفقيه المصبرى أبياتا يدلل بها على قصر باع علماء زبيد في العلم فيقول

لما دخلت اليمنا رأيت وجهى حسنا

أف لها من بلدة أفقه من فيها أنـا

راجع الخزرجى : العقود ، ج١ ١٥

السباعى ، ودحض براهينه وأسانيده الفقهية ، فاعترف له بالريادة العلمية ، وبادر بالاعتذار عما نظمه في حق علماء زبيد [١] .

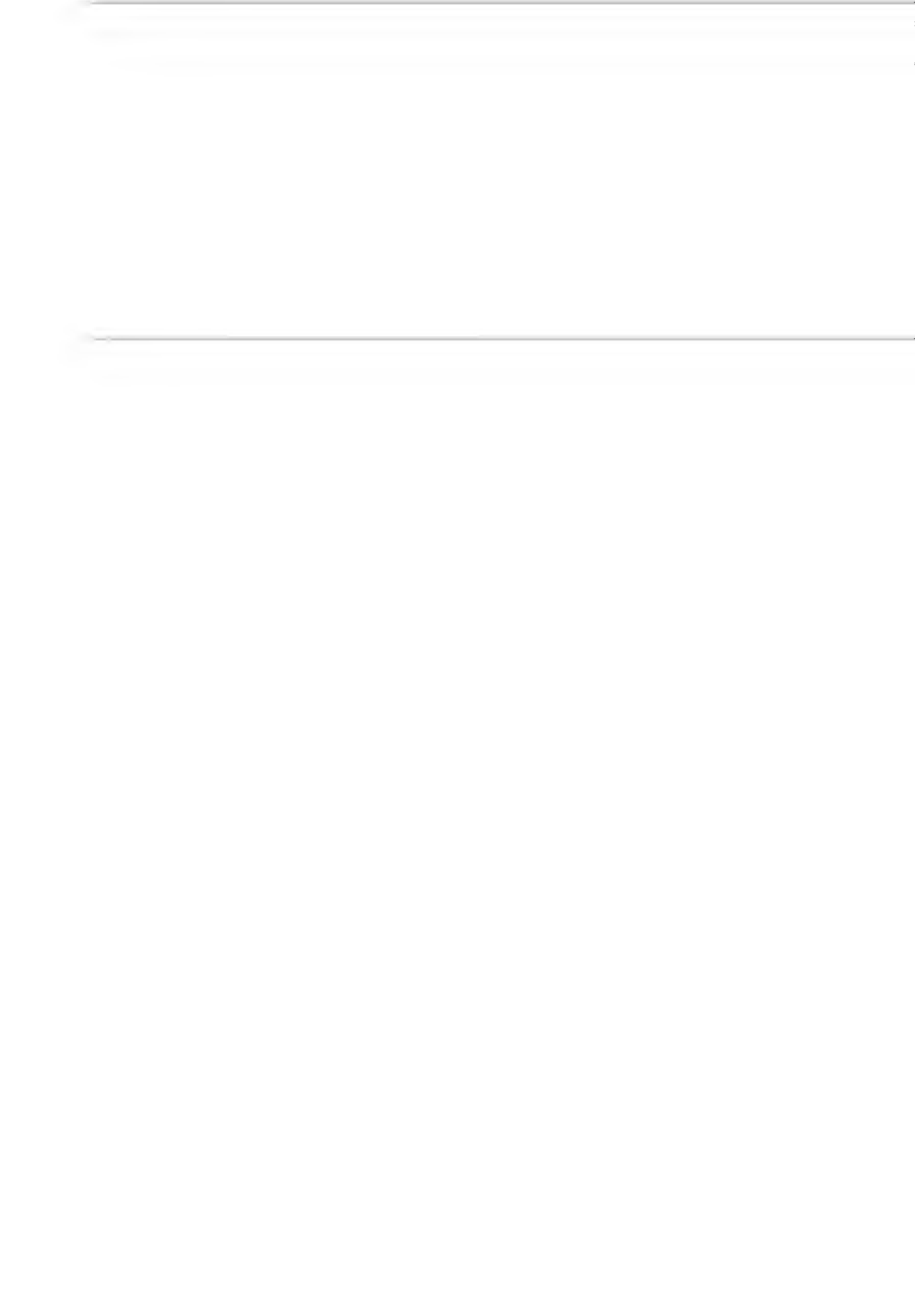
أما عن أوقات التدريس،فكان لكل مدرس مواعيد معينة يختارها للتدريس فيها،وقد يتفق مع الطلاب على الوقت المناسب للتدريس،فمثلا كان الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بطال الركبي ، يدرس لطلابه في مدرسته منذ الصباح حتى دخول وقت صلاة العصر ، وبعد أن يفرغ من آدائها ينهض إلي طلابه ويأمرهم بالخروج إلي البرية المجاورة لمدرسته ، لمزاولة بعض الرياضات البدنية فيأمرهم بالاشتغال بالمسابقة على الأقدام والمواثبة ، ويظلون يتواثبون ويتسابقون إلي اصفرار الشمس ، فينصرفون صحبة شيخهم إلي الوضوء استعداداً لصلاة المغرب [٢] .

وبعضهم كان يدرس قبل شروق الشمس،فيلقى على طلابه درسين أو ثلاثة دروس،وربما أكثر من ذلك،في موضوع واحد،أو في عدة موضوعات، وبعضهم كان يأتى وقت الضحى،ويستمر في التدريس إلي حين آذان الظهر، فيقطع مجلس درسه،ليصلى صحبة طلابه،ثم ينصرفون إلي شئونهم،وكان بعض المدرسين يختار وقت درسه بين العصرين،وآخرون كانوا يدرسون بين العشائين[٣] .

وكان الشيخ يأتى للموضع المخصص للتدريس في المسجد أو المدرسة ، حاملاً كتبه ، فإذا وصل إلي ذلك الموضع الذى اختاره لنفسه في المسجد ، أو المكان المحدد للتدريس في المدرسة ، يجد طلابه قد تحلقوا حول مكانه ، فيبادرهم بالتحية ، ويجلس على الأرض مثلهم ، ولا يختلف عنهم سوى في كونه يضع كتبه فوق كرسي وهم يبسطون صحائفهم وكتبهم على الأرض ، وجرت العادة أن يخاطب الطلاب أستاذهم بلفظ الجماعة مسبوقاً بلقب :سيدى ، مبالغة في التكريم والتوقير ، وإذا ما انتهى الشيخ وفرغ من القاء دروسه ، انصرف ، والطلاب جلوس ، فلا يقوم له عند مجيئه أو انصرافه أحد ، وقد يسارع أحد الطلاب بحمل نعله إلي باب المدرسة أو المسجد ، توقيراً واحتراماً له [٤] .

---

[١] للمزيد راجع : الخزرجى : العقود ، ج١ / ١٥٠ – ١٥١ .
[٢] بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج٢ / ٢٠٠ – ٢٠١ .
[٣] الأكوع : المدارس الإسلامية ، ص ١٨ م .
[٤] الأكوع : المدارس الإسلامية ، ص ١٨ – ١٩ م .



الفصل الثالث
المدارس اليمنية ودورها في ازدهار الحركة العلمية

الفصل الثالث
المدارس اليمنية ودورها في ازدهار الحركة العلمية

* مقدمة (المدارس)

أ – مدارس العصر الأيوبى

١- المدرسة المعزية
٢- المدرسة السيفية بتعز
٣- المدارس الأتابكية
٤- المدرسة الرشيدية
٥- المدرسة الأشرفية
٦- مدرسة ميكائيل
٧- المدرسة المجيرية
٨- المدرسة الفاتنية بذى جبلة
٩- مدرسة المسانيف
١٠- المدرسة الياقوتية

ب – المدارس الرسولية (مدارس السلاطين)

١ – المدرسة الوزيرية
٢- المدرسة الغرابية
٣ – مجموعة المدارس المسماه (المنصورية أو المنصوريات)
٤ – مجموعة المدارس المظفري
٥ – المدرسة الأشرفية (مدرسة الأشرف الأول)
٦ – المدرسة المؤيدية
٧- المدرسة المظفرية الصغرى
٨ – مدرسة الملك المجاهد
٩- مدرسة دار الوعد
١٠ – المدرسة الأفضلية

ج – أشهر المدارس التى شيدها أمراء الدولة الرسولية

١ – المدارس الأسدية
٢- المدارس التاجية
٣ – المدارس النظامية
٤- مدرستا ابن نجاح
٥ – مدرسة على بن يحيى العنسى
٦- المدرسة العمرية
٧ – مدرستا الأمير عباس التغلبى
٨- المدرسة الأفتخارية
٩ – المدرسة الهكارية
١٠- المدرسة الجوهرية
١١- المدرسة الجوهرية بتعز
١٢- مدارس بنى فيروز
١٣- مدرسة محمد بنى ميكائيل

د – المدرسة الأشرفية الكبرى بتعز

هـ – المدرسة الظاهرية

و – المدرسة العباسية

ز – أشهر المدارس التى أقامتها النساء :

١- المدرسة المعتبية
٢- المدرسة الياقوتية
٣- مدرسة سلامة .... ألخ

ح – المدارس التى أسسها الفقهاء والشخصيات العامة

ط – المدارس مجهولة النسب لمؤسسيها

مقــدمة

المــدارس :

ونعنى بها المنشآت المعمارية التى تضم بين جنباتها قاعات للتدريس ، وبيوتاً للطلبة والدارسين وتصرف لهم رواتب وجرايات تدور عليهم ، وعلـى الفقهـاء والعلماء القائمين بالتدريس لهم فيها [١] .

ومن المعروف أن المسلمين كانوا يحرصون منذ فجر الإسلام علـى عقـد مجالس العلم وحلقات الدرس في المساجد،وكانت تلك الحلقات العلمية أشبه مـا تكون بالصفوف الدراسية في وقتنا الحاضر،ثم تطور هذا الأمر على أيدى الـولاة والحكام،وأعيان المجتمع حرصا منهم على نشر تعاليم الـدين الإسـلامى،فظهرت المدارس في اليمن منذ عصر الأيوبيين،وتنافس الخاصة والعامة من أهل اليسار والعلم في تشييدها،وشاع إنشاء المدارس في مدن اليمن بحيث أصبحت تقارب المساجد في الكثرة العددية،وللأسف الشديد اندثر معظمها لاسيما مدارس الفتـرة الأيوبيـة،التى لا يوجد أى بناء منها يمكن التعرف من خلاله على الأنماط الأولى للمدارس اليمنية[٢].

وترجع أسباب دثور هذه المدارس إلي عامل الزمن والإهمال في صـيانتها وترميم ما يتشعث منها وضعف مادة بنائها ، والتعدى على مواضعها بحكم ضعف النظار المشرفين على أمورها ، ويذكر الجندى في سياق حديثه عن خراب إحـدى المدارس الأيوبية وهى المدرسة الفاتنية بذى جبلة أنها " خربت لسوء النظار وعـدم الحكام وذوى النقض والإبرام " [٣] .

ويعزى إلي الملك المعز اسماعيل بن طغتكين الفضل في إنشاء المـدارس في اليمن فهو " أول من بنى المدارس من ملوك الغز في تعز وزبيد " [٤] ، ثم تبعـه في ذلك قادة الدولة الأيوبية وأعيان الأمراء فيها وغيرهم من أهل اليسار والعلـم ، ثم

---

(١) محمد سيف النصر : *المدارس اليمنية* ، تخطيطاتها وعناصرها المعمارية ، مجلة الإكليل ، العدد الأول السنة الثالثة ، صنعاء ١٩٨٥ ، ص ٩٩ .

(٢) محمد سيف النصر : *المدارس اليمنية* ، ص ١٠١ .

(٣) الجندى : *السلوك* ، ج٢ / ق ٣٣٣ .

(٤) الخزرجي : *طراز الزمن* ، ق ٣٧١ ، *الكفاية* ، ق ١٨٤ ؛ ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٢٨٦ ، الفضل المزيد ، ص ٨٥ ؛ يحيى بن الحسين *أنباء الزمن* ، ق ٢٤٥ .

تعاقب إنشاء المدارس في عهد بني رسول وانتشرت انتشاراً واسعاً ، ولم يقتصر تشييد المدارس على سلاطين بني رسول فحسب ، بل سار أبناء الأسرة الرسولية رجالاً ونساءً على سنتهم الحميدة ، واقتفى أثرهم أمراؤهم وكبار رجال دولتهم وأتباعهم ، " وسراة اليمن وأعيانها في عصرهم حتى صار بناء المدارس وتشييدها سمة من سمات دولتهم ، ومظهراً بارزاً من مظاهر حضارتهم "[1] .

وانتشر إنشاء المدارس في أنحاء عديدة من اليمن ، وبخاصة في تعز وزبيد والجند،وذي جبلة وإب،وغيرها من مدن اليمن ومخاليفها،وأوقف مؤسسو هذه المراكز العلمية الأموال الطائلة للصرف عليها وكفاية المرتبين بها،كما حبسوا عليها متحصلات العديد من الأراضي الزراعية والعقارات وغيرها من الأملاك وخزائن الكتب ، ونستدل على اتساع الأوقاف المحبوسة على مثل هذه المنشآت مما ذكرته المصادر عن أم الملك المجاهد التي بلغت متحصلات أوقافها المحبوسة على مآثرها الدينية وفي مقدمتها المدارس ما يزيد على ألف مد كل عام[2] . وفيما يلي عرض لأهم مدارس العصر الأيوبي :

أ– مدارس العصر الأيوبي :

١ – المدرسة المعزية : شيدها المعز إسماعيل في زبيد عام ٥٩٤ هـ / ١١٩٧ م ، وباسمه نسبت فكانوا يسمونها أحياناً " مدرسة المعز " كذلك عرفت بمدرسة الميلين ، وكانت تقع شرقي الدار الناصري الكبير [3] ، وتشغل موقعها اليوم مدرسة أخرى تعرف بمدرسة الإسكندرية [4] ، أوقف عليها وقفا جيداً من الأراضي والرباع [5] ، وكانت هذه المدرسة (المعزية) مخصصة لتدريس المذهب الشافعي ، ويشير صاحب بهجة الزمن إلي أنه حينما آل أمر اليمن إلي الأتابك

---

(١) الأكوع : *المدارس الإسلامية* ، ص ٦ م ؛ محمد سيف النصر : *المدارس اليمنية* ، ص ١٠١ .

(٢) راجع ما سبق عن الأوقاف في الكتاب ؛ وانظر :ابن الديبع : *الفضل المزيد* ، ص ٩٩ ؛ الأكوع : *المدارس الاسلامية* ، ص ٦ – ٧ م .

(٣) ابن عبد المجيد :*بهجة الزمن* ، ص ١٣٥ ؛ الخزرجي :*طراز الزمن* ، ق ٣٧١ ، العسجد ، ق ١٠٤ ، *الكفاية* ، ق ٨٤ ؛ ابن الديبع :*قرة العيون* ، ص ٢٨٦ ، *الفضل المزيد* ، ص ٨٥ ؛ يحيى بن الحسين :*أنباء الزمن* ، ق ٢٤٥ .

(٤) وهي إحدى المدارس العثمانية أقامها إسكندر بن سولي المعروف باسكندر موز وكان يتولى حكم اليمن في عصر السلطان العثماني سليمان القانوني ، وتوفي هذا الوالي عام ٩٤٣ هـ / ١٥٣٦ م ؛ راجع : الأكوع : *المدارس الإسلامية* ، ص ٣٦٠ .

(٥) الخزرجي:*طراز الزمن*،ق٣٧١ ؛ ابن الديبع :*قرة العيون* ، ص ٢٨٦ . وعن العلماء الذين تناوبوا التدريس فيها والذين كانوا يعرفون بحكماء الميلين راجع:الأكوع:*المدارس الإسلامية*،ص ١٢ .

سيف الدين سنقر سنة ٦٠١ هـ / ١٢٠٤ م ، أمر بإغلاق مدرسة المعز " وأخرج الفقهاء الشافعية منها " واستولى على وقفها ، وجعله على مقام الإمام أبي حنيفة بالحرم الشريف [١] .

وقد جددت عمارة هذه المدرسة مرتين الأولى في عهد الملك المسعود بن الكامل محمد الأيوبي [٢]،والثانية في عهد الأشرف الثاني الرسولي في عمارته الشاملة لكافة المنشآت الدينية المتهدمة في زبيد وذلك عام ٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م [٣] .

٢- المدرسة السيفية بتعز : وهي أول مدرسة أنشئت باليمن ، ومؤسسها هو المعز إسماعيل بن طغتكين أيضاً ، وعرفت بالسيفية نسبة إلي والده الملك العزيز سيف الإسلام طغتكين (ت ٥٩٣ هـ / ١١٩٦ م) المقبور بها ، وكان السبب في إنشائها أن المعز لم تطب نفسه بدفن والده في حصن تعز ، وطلوع القراء كل يوم ولمدة سنة تقريباً إلي الحصن للقراءة عليه ، " فاشترى دار سنقر الأتابك ، وجعلها مدرسة ونقل رفات والده إليها ، ووقف على تربته وادى الضباب " للإنفاق من متحصلاته على مصالح تلك المدرسة ، كما رتب سبعة من القراء يقرأون على تربة أبيه التي جعلها في مؤخرة المدرسة كل يوم ختمة من القرآن [٤] .

٣- المدارس الأتابكية : يؤثر عن الأمير سيف الدين سنقر الأتابك اهتمامه هو الآخر ببناء المدارس ، فأقام خمسة مدارس في أرجاء اليمن منها :

- *المدرسة الأتابكية في ذى هزيم* [٥] : وهي المدرسة التي ضمت رفاته اثر وفاته عام ٦٠٩ هـ / ١٢١٢ [٦] .

---

(١) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص ١٣٥. (راجع أيضا : الخزرجي : العسجد ، ق ١٠٥ ، الكفاية ، ق ٨٥) .

(٢) ابن الديبع :الفضل المزيد ،ص٨٧؛يحيى بن الحسين :أنباء الزمن ،ق ٣٣٢؛الخزرجي :العسجد ،ق ١١٢.

(٣) الخزرجي : العقود ، ج٢ / ١٨٠ ؛ ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص ١٠٣ .

(٤) الخزرجي : طراز الزمن ، ق ٣٧١ ، العسجد ، ق ١٠٢ - ١٠٤ ، الكفاية ، ق ٨٣ - ٨٤؛المقريزي: السلوك ، ج١ ، ق ٣ ، ص ٩٥٢ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص ٢٨٣ - ٢٨٦ ؛ يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ، ق ٥٧ ، ٢٤٣ - ٢٤٥ وعن أسماء العلماء الذين تناوبوا التدريس بها راجع : الأكوع : المدارس الإسلامية ، ص ١٣ - ١٥ .

(٥) المعروفة الآن بهزيم وتقع في جنوب غرب مدينة تعز (راجع:الأكوع :المدارس الإسلامية ،ص ١٨).

(٦) الخزرجي : الكفاية ، ق ٨٦ ؛ طراز الزمن ، ص ٣٢٥ ، العسجد ، ق ١٠٦ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص ٢٨٩ ؛ يحيى ابن الحسين : أنباء الزمن ، ق ٣٠٥ - ٣٠٦ .

-*والمدرسة الأتابكية في أبين* [١] ، كما ابتنى مدرسة ثالثة في مغربة تعز إلي جانب جامع المعز الذى شيده هناك [٢]. وحظيت زبيد بدورها بنصيب وافر من منشآته المعمارية ، فابتنى بها مدرستين كبيرتين ، الأولى وتعرف **بالمدرسة الدحمانية:** وكانت تقوم غربي رحبة الدار الكبير ، ووصفتها المصادر بأنها كانت " مدرسة كبيرة عقد فيها أواوين " [٣] ، وابتناها الأتابك سنقر للفقيه محمد بن إبراهيم بن دحمان المضرى ، وكان فقيهاً صالحاً ، عارفاً بالفقه على المذهب الحنفى ، وكان الأتابك سنقر " إذا صار إلي زبيد لم يكن ينقطع عنه " ، فبنى هذه المدرسة تكريما له ، وخصصها لتدريس المذهب الحنفى ، وكان ابن دحمان أول من دَرَّس بها ، وتوارث أفراد أسرته التدريس بها بعد وفاته ، وظلت تعرف بهم فيطلق عليها مدرسة ابن دحمان أو الدحمانية [٤] .

- *والثانية هى المدرسة العاصمية :* وكانت تقوم إلي الجنوب الغربى من الدار الناصرى بزبيد ، وابتناها الأتابك سنقر للفقيه الشافعى أبي الخطاب عمر بن عاصم بن عيسى اليعلى(ت ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)،وكان فقيهاً عارفاً بالفقه والنحو واللغة والحديث ، وإليه انتهت رئاسة الفتوى والفقه بزبيد ، وعرفت المدرسة باسمه ونسبت إليه [٥] ، وقد عاصر هذا الفقيه الدولة المظفرية ، وظل قائماً بأمر التدريس بمدرسته في عصر المظفر ، وكانت له مكانة معظمة عنده ، يدلنا على ذلك ما ذكره الخزرجى عند ترجمته لهذا الفقيه لما حدث بينه وبين قاضى الأقضية بهاء الدين العمرانى من وحشة لكلام نقل عنه للقاضى ، الذى أمر نائبه في الوقف بزبيد وكان

---

(١) الأكوع :*المدارس الإسلامية* ، ص ٢٣ ، ويبدو انها كانت ملحقة بالجامع الذى شيده في منطقة خنفر هناك (راجع : الخزرجى :*الكفاية* ، ق ٨٧) .

(٢) الأكوع : *المدارس الاسلامية* ، ص ١٩ ؛ محمد سيف النصر : *المدارس اليمنية* ، ص ١٠٠ .

(٣) ابن عبد المجيد :*بهجة الزمن* ، ص ١٣٥ ؛ ابن الديبع : *الفضل المزيد* ، ص ٨٥ ؛ *Berbara Finster , op . cit , p . 254 .*

(٤) الجندى :*السلوك*، ج٢/ق٢٣٥-٢٣٦؛ابن عبد المجيد :*بهجة الزمن*، ص ١٣٥- ١٣٦ ؛ الخزرجى : *الكفاية*،ق ٨٦؛ابن الديبع :*قرة العيون*،ص ٢٨٩ ؛*الفضل المزيد*،ص ٨٤،٨٥؛ يحيى بن الحسين: *انباء الزمن* ، ق ٣٠٦ وعن علماء هذه المدرسة راجع : الأكوع : *المرجع السابق*، ص ٢٤ - ٢٨ .

(٥) الجندى :*السلوك* ، ج٢ / ٢٢٧ ، الخزرجى : *الكفاية* ، ق ٨٦ ، *العقود* ، ج١ / ٢٠٥ ، *العسجد* ، ق ١٠٦ ؛ ابن الديبع :*قرة العيون* ، ص ٢٨٩ ؛ *الفضل المزيد* ، ص ٨٦ ؛ يحيى بن الحسين ، *انباء الزمن* ، ق ٣٠٦ . وقد تولى تجديد عمارتها الأشرف الرسولى سنة ٧٩٢ هـ .(راجع : الخزرجى : *العقود* ، ج٢ / ١٨٠) .

يدعى ابن وحيش بمعاندته في مدرسته وتعقيد الأمور عليه في نفقته،فكان "يقابله بما لا يليق " [١] ، فكتب الفقيه للمظفر يشكو له سوء المعاملة ، فأمر المظفر قاضي قضاته بعدم التعرض لابن عاصم ، وصرف ابن وحيش عن الإشراف على المدرسة العاصمية وكتب للفقيه قائلاً " قد صرفناه عن النظر في مدرستك فاجعل عليها ناظراً من شئت " [٢] .

٤- المدرسة الرشيدية: كان للعلماء الذين صحبوا ملوك بني أيوب إلي اليمن دورهم في بناء المدارس،ومنهم القاضي الرشيد ذو النون بن محمد بن ذى النون المصرى الإخميمي الشافعي(ت٦٦٣ هـ/١٢٦٣م)،الذى قدم إلي اليمن صحبة الملك المسعود الأيوبي[٣]وابتنى المدرسة الرشيدية المنسوبة إليه في منطقة ذى عدينة أحد أحياء مدينة تعز،وجدد مسجداً بجوارها وأوقف عليهما وقفاً جيداً،واختص المدرسة بوقف آخر عبارة عن مجموعة كبيرة من الكتب في شتى العلوم العقلية والنقلية[٤].

٥- مدرسة ميكائيل : ابتناها شمس الدين أبو محمد ميكائيل بن أبي بكر بن محمد الموصلي التركماني[٥]،في مدينة الجند،التي ولاه عليها الملك المسعود الأيوبي وقدم بصحبته إلي اليمن ، وظل والياً على الجند من آخر الدولة المسعودية إلي أول الدولة المظفرية،وتولى التدريس بها ، ووقف عليها وقفا جيداً حاملاً يقوم بمصالحها وكفاية المرتبين بها[٦].وقد حاول ابنه عمر تغيير هذا الوقف إثر وفاة أبيه،وذلك في عهد المظفر الرسولي،فنهاه عن ذلك قاضي القضاة آنذاك ويدعى بهاء الدين العمراني خشية أن تتعرض المدرسة للخراب وينتهى دورها العلمى [٧] .

---

(١) الخزرجي : العقود ، ج١ / ٢٠٥ .

(٢) الجندى : السلوك ، ج٢ ، ق ٢٢٧ – ٢٢٨ ، العقود ، ج١ / ٢٠٥ – ٢٠٦ ، وعن العلماء الذين قاموا بالتدريس فيها راجع : الأكوع : المدارس الإسلامية ، ص ٣٠ – ٣١ .

(٣) كان أحد أعيان الفقهاء ، تولى إمرة عدن عدة مرات ، وكان مقصوداً من العلماء والفضلاء الوافدين لعدن من الشام والعراق ، وعاصر الملك المنصور نور الدين عمر بن رسول ، وتولى الوزارة له وتوفى ٦٦٣ هـ وقبر في تعز في المقبرة المعروفة بالأجيناد (راجع : بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج٢ / ٧٨) .

(٤) بامخرمة : المصدر السابق ، ج٢ / ٧٧ – ٧٨ . وعن القائمين بالتدريس فيها راجع : الأكوع : المرجع السابق ، ص ٣١ – ٣٥ .

(٥) كذلك أنشأ الأمير ميكائيل مسجداً براس نقيل سودة وسقايتين وحوضا أجرى إليه الماء سبيلاً لسقيا الناس والحيوانات . (راجع : الجندى : السلوك ، ج ٢ ، ق ٢٤٦) .

(٦) الخزرجي : العقد الفاخر الحسن ، ق ١٣٦ ؛ الجندى : السلوك ، ج٢ / ٢٤٦ .

(٧) الأكوع :المدارس الإسلامية، ص ٣٥ – ٣٦ ؛ محمد سيف النصر : المدارس اليمنية ، ص ١٠٠ .

٦- المدرسة المجيرية : ومن أتباع الأيوبيين الذين شيدوا المــدارس أبــو المسك كافور التقى المعروف بمجير الدين ، وكان أحد خدام العزيز سيف الإسلام طغتكين وكان " يتعانى القراءة ومحبة العلماء وحسن الظن بهم " [1] ، وكـــان لــه اشتغال بطلب العلم الشريف ، فكان شيخاً في الحديث ، روى عنه جماعة ، وابتنى في مدينة تعز المدرسة المجيرية ، ودرس بها ، وكانت تقع غربي مدينة تعز قبلي قرية المحاريب ، ودفن مجير الدين في فنائها [2] .

٧- المدرسة الفاتنية في ذى جبلة : وأسسها فاتن بن عبد الله المعــزى ، وكان خادماً حبشياً من موالى المعز إسماعيل بن طغتكين ووقف على هذه المدرســة وقفاً جيداً ، ولكن سرعان ما خربت المدرسة لعدم كفاءة النظار القــائمين علــى أمرها [3] .

٨- مدرسة المسانيف : وهى إحدى مدرستين شيدهما ياقوت المعــزى ، وكانت تقع في قرية المسانيف الواقعة في منتصف الطريــق بــين ذى جبلــة وذى عقيب، وكانت مسجداً ومدرسة في آن واحد ، وجعل فيها تربته ، ووقف عليها وقفاً جيداً ، إستولى عليه بعض ذرارى الأمير أسد الدين بن رســول " ظلمــاً ولا يقوم بواجب شرطه " الواقف [4] .

٩- المدرسة الأشرفية : ابتناها الأمير جمال الدين ياقوت الجمالى ، وكان والياً على حصن تعز في دولة سيف الإسلام طغتكين ، وكان موضعها في مغربــة تعز ، وسميت بالأشرفية نسبة إلي أول من دَرَّس بها وهو الفقيه أبو العباس أحمد بن على بن محمد بن سالم الأصغر اليزيدى ، الشعبى نسباً ، والأشرقى بلداً [5] ، وكان فقيهاً مشهوراً صالحاً تفقه على يديه جماعة من أهل تعز ومن أقواله " أعطوا العلــم كلكم ، يعطيكم بعضه ، فإنكم إن أعطيتموه بعضكم لم تظفروا منــه بشــئ"[6].

---

[1] الأفضل الرسولى : *العطايا السنية* ، ق ٤٢ .
[2] الأفضل الرسولى:*العطايا السنية*،ق ٤٢؛الخزرج: *العقد الفاخر* ، ق ٨٣ ، العقود ، ج١ / ٧٤ .
[3] الجندى : *السلوك* ، ج٢ /ق ٣٣٣ ؛ الأفضل الرسولى : *العطايا السنية* ، ق ٤١ ؛ الخزرجى : *العقد الفاخر* ، ق ٧٧ .
[4] الجندى : *السلوك* ، ج٢ / ق ٣٣٣ .
[5] الخزرجى : *طراز الزمن* ، ق ٢١٠ ــ ٢١٢ ؛ الأفضل الرسولى : *العطايا السنية* ، ق ٩ .
[6] الخزرجى : *طراز الزمن*، ق ٢١١ .

وبلغ شغفه بالعلم أنه كان كثير التردد على المساجد لسماع الفقهاء،فكان يقول : " كلما طفئ سراج (أى انتهت حلقة فقيه) رحت إلي الآخر ، حتى إذا لم أجد سراجا نمت " [١] ، وتوفى الأشرقي على تدريس المدرسة وذلك لبضع وتسعين وستمائة هجرية [٢] .

١٠- المدرسة الياقوتية : وهى المدرسة الثانية المنسوبة لجمال الدين ياقوت الجمال التعزى ، أنشأها في ذى السفال جنوبي إب [٣] .

ب - المدارس الرسولية (مدارس السلاطين) :

نهج الرسوليون بدورهم نهج أسلافهم من بنى أيوب في تشييد المدارس والاهتمام بها وتخصيص الأحباس عليها ، وتبعهم في ذلك العديد من رعايا دولتهم من الخاصة والعامة على حد سواء ، وينسب إلي المنصور نور الدين عمر بن رسول مؤسس الدولة عدداً من المدارس منها :

١- المدرسة الوزيرية: شيدها في مغربة تعز بأسفل حافة الملح بالقرب من حصن تعز[٤].وعرفت بالوزيرية نسبة إلي مدرسها أبو العباس أحمد بن عبد الله الوزيرى "لطول إقامته في تدريسها وإقامة ابن عمه أيضا"[٥]،ورتب فيها المنصور الرسولى إماماً ومدرساً ومعيداً وطلاباً ومؤذناً ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن [٦] .

---

(١) الخزرجى :نفسه ، ق ٢١١ .

(٢) الأفضل الرسولى : العطايا السنية ، ق ٩ ؛ وراجع : الأكوع : المرجع السابق ، ص ٨ .

(٣) الأكوع : المرجع السابق ، ص ٨ ؛ محمد سيف النصر : المدارس اليمنية ، ص ١٠٠ .

(٤) الفاسى : العقد الثمين ، ج٦ / ٣٤٨ ؛ الأكوع : المدارس الإسلامية ، ص ٤٦ .

(٥) الفاسى : العقد الثمين ، ج٦ / ٣٤٨ ؛ الخزرجى : طراز الزمن ، ق ١٥٥ ، الكفاية ، ق ٩٩ ، العسجد ، ق ١٢٢ ، العقود ، ج١ / ٨٢ . أما الوزيرى فهو الفقيه أبو العباس أحمد بن عبد الله بن اسعد بن إبراهيم الوزيرى بلداً (وهى قرية تعرف بالوزيرة تقع في منطقة العدين شمال مدينة تعز ، الأنصارى نسباً ، درس بالوزيرية مدة طويلة فنسبت إليه ، ثم خرج لأداء فريضة الحج ، وإثر عودته سكن زبيد وانتقل للتدريس بالمنصورية العليا بها إلي أن توفى عام ٦٦٢ هـ / ١٢٦٣ م ، ودفن في مقبرة باب القرتب ، أما ابن عمه الذى خلفه في التدريس بالوزيرية فيدعى أبو العباس احمد بن محمد الوزيرى ولد ٥٩٢ هـ وتفقه على عدد من علماء عصره منهم ابن عمه الوزيرى الذى استنابه على المدرسة فظل قائما بالتدريس فيها إلي أن توفى عام ٦٦١ هـ / ١٢٦٢ م (راجع : الخزرجى : العقود، ج١ / ١٣١ ، ١٣٣ - ١٣٤ ، الكفاية ، ق ٧٧ ، طراز الزمن ، ق ١٥٥ - ١٥٦ ؛ الجندى : السلوك ، ج٢ / ٢٦٧ - ٢٦٨) .

(٦) الجندى : السلوك ، ج٢ ، ق ٢٦٥ ؛ الأفضل الرسولى : العطايا السنية ، ق ٦ ؛ الخزرجى : الكفاية ، ق ٩٩ ، العسجد ق ١٢٢ ، العقود ، ج١ / ٨٢ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص ٣١٢ . وراجع عن علمانها : الأكوع : المدارس الإسلامية ، ص ٤٦ - ٥٠ .

٢- المدرسة الغرابية : كانت تقع أيضا في مغربة تعز ، وعرفت بالغرابية نسبة إلي مؤذنها عبد الله غراب ، وكان رجلاً صالحاً صيتاً " يسمع آذانه إلي الشجرة " وهي قرية شمال تعز ، فنسبت المدرسة إليه [١] .

٣- مجموعة المدارس المسماه بالمنصورية أو المنصوريات : أنشأ المنصور الرسولي عدة مدارس أخرى في أنحاء مختلفة من اليمن ، وعرفت كل واحدة منهن بالمنصورية ، منها :

- *المدرسة المنصورية بالجند :* ورتب فيها أسوة بغيرها من المدارس التي شيدها مدرساً ومعيداً وطلاباً وإماماً ومؤذناً ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن ، ووقف عليها وعلى سائر مدارسه الأخرى أوقافاً مفيدة تقوم بكفايتهم جميعاً [٢] .

- *المدرسة المنصورية بوادى سهام :* وكانت قائمة في حد المنسكية من نواحي وادى سهام [٣] ، وكانت تعرف أيضا بمدرسة المنسكية [٤] .

- *المدرسة المنصورية بزبيد :* وعددها ثلاث شيدها المنصور ، وخصص واحدة لتدريس المذهب الشافعي ، ***وعرفت بالمنصورية العليا*** [٥] ، وهي التي درس بها الفقيه الوزيري سالف الذكر ، كما درس بها الفقيه أبو العباس أحمد بن أبي بكر بن سرور الشافعي ، عندما انقطع المدرسون عن التدريس بها في عهد المظفر الرسولي فرتبه للتدريس فيها [٦] ، كذلك درس بها الفقيه الشافعي أبو العباس أحمد بن أبي بكر بن عبد الله بن محمد بن علي بن إسماعيل الحضرمي المعروف بشهاب

---

[١] الجندى:*السلوك*،ج١٢، ق ٢٦٥ ؛ الفاسى : *العقد الثمين* ، ج٦ / ٣٤٨ ؛ الخزرجى : *العقد الفاخر*، ق ٦٧،*الكفاية*،ق ٩٩ ، *العسجد* ، ق ١٢٢ ، *العقود* ، ج١ / ٨٢ ؛ ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٣١٢؛ بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، ج٢ / ١٧٩ ؛ وعن علمائها راجع : الأكوع : *نفسه* ، ص ٤٢ – ٤٦ .

[٢] الخزرجى : *طراز الزمن* ، ق ٧٦ ، *العقود* ، ج١ / ٨٢ ، *العقد الفاخر* ، ق ٦٧ ، *العسجد* ، ق ١٢٢ ؛ ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٣١٢ . وعن القائمين بالتدريس فيها راجع : الأكوع : *نفسه* ، ص ٣٨ – ٤٢ .

[٣] المنسكية أو المناسكة بلدة تقع بين المنصورية والمراوغة (راجع : الأكوع : *نفسه* ، ص ٤٢) .

[٤] الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ٨٢ ، *العسجد* ، ق ١٢٢ ، *الكفاية* ، ق ٩٩ ، *العقد الفاخر* ، ق ٦٧ ؛ ابن الديبع : *قرة العيون*،ص ٣١٢،*الفضل المزيد*،ص ٩٠؛بامخرمة*تاريخ ثغر عدن* ، ج٢ / ١٧٩ .

[٥] الخزرجى : *العسجد* ، ق ١٢٢ ، *العقود* ، ج١ / ١٨٢ ، *الكفاية* ، ق ٩٩ ؛ بامخرمة : *المصدر السابق* ، ص ١٧٩ ؛ الأكوع : *نفسه* ، ق ٥١ ؛ محمد سيف النصر : *المدارس اليمنية* ، ص ١٠١ . وكانت تعرف أيضا بالمنصورية الشرقية دليلا على أنها أقيمت في القطاع الشرقى من زبيد (راجع : ابن الديبع : *الفضل المزيد* ، ص ٩٠) .

[٦] الخزرجى : *طراز الزمن* ، ق ٧٧ .

الدين، وكان فقيهاً صالحاً تقياً خيراً عارفاً بالمذهب ، انتهت إليه رياسة الفتوى بمدينة زبيد ، وتخرج على يده عدداً من أهلها ، وظل مدرساً بالمنصورية العليا إلي أن توفي عام ٧٨٧هـ/ ١٣٨٥ م ، وكان على حد قول الخزرجي " باذلاً نفسه لطلبة العلم....فاضلاً مشهوراً يقضى حاجة الصغير والكبير " [١] .

والثانية عرفت بالمنصورية السفلى[٢]،وخصصها المنصور لأصحاب المذهب الحنفي،وأفرد فيها موضعاً لتدريس الحديث النبوى الشريف ، ويذكر الخزرجي أن المنصور أقدم على بنائها نزولاً على رغبة الفقيه أبي العتيق أبي بكر بن عيسى بن عثمان الشهير بابن حنكاس(ت٦٦٤ هـ/١٢٦٥م)،وكان قد اعترض موكب المنصور،وطلب منه بناء مدرسة للحنفية أسوة بمدرسة الشافعية قائلا له:"يا عمر،ما فعل بك أبو حنيفة،إذ لم تبن لأصحابه مدرسة،كما بنيت لغيرهم"،فأمر ببناء المدرسة الثانية،وجعل فيها موضعاً لأصحاب الأمام أبي حنيفة،وموضعاً لأصحاب الحديث النبوى " [٣].أما المنصورية الثالثة بزبيد،فقد خصصها لتدريس الحديث النبوى طبقاً لما أوردته المصادر[٤] .

– *المدرسة المنصورية بعدن* : لم تحدد المصادر موقعها بالمدينة ، وبناها المنصور " وجعلها جمنونين [٥] ، أحدهما للشافعية والثاني للحنفية [٦] ، ووقف عليها أوقافا جيدة في عدن ولحج للإنفاق منها على مصالح تلك المدرسة [٧] .

---

[١] الخزرجي : *طراز الزمن* ، ق ٧٨ ، وقد حدد لنا الخزرجي الراتب الذي يتقاضاه شيخ المنصورية العليا في أول كل سنة من الواقف بأربعين مداً من الغلال . راجع : *طراز الزمن* ، ق ١٤٢ ؛ وعن القائمين بالتدريس فيها من العلماء راجع:الخزرجي:*طراز الزمن*،ص ١٤٠ – ١٤٣ ، ١٥٠ – ١٥١ .

[٢] الأكوع : *المرجع السابق* ، ص ٥٣ ؛ محمد سيف النصر : *المرجع السابق* ، ص ١٠١ ، وتعرف أيضا بالمنصورية الغربية مما يشير إلي وقوعها في غرب زبيد (راجع : ابن الديبع : *الفضل المزيد*، ص ٩٠) وقد امتدت إليها يد التجديد والترميم بعد أن كادت تندرس وذلك في عهد الأشرف الثاني الرسولي فأعاد تعميرها سواء الإيوان الحنفي أو إيوان تدريس الحديث النبوي وذلك عام ٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م . كذلك أعيد ترميم المدرسة المنصورية العليا في ذات العام بعد أن تطرق الخراب إلي معظمها فأعاد القاضي سراج الدين تعميرها ضمن غيرها من المآثر التى جددت في ذلك العام . (راجع : الخزرجي : *العقود* ، ج٢ / ١٨٠ ؛ والملحق رقم [١] آخر الكتاب) .

[٣] الخزرجي : *العقود* ، ج١ / ١٤١ ، ولعل ذلك يعني أن المدرسة كان لها إيوانان ، خصص أحدهما لتدريس المذهب الحنفي ، بينما جعل الآخر لتدريس الحديث النبوي الشريف ، ومن المعروف أن أول مدرسة بأواوين ظهرت في اليمن هى المدرسة الدحمانية . راجع
Berbara Finster , The Arch , P . 254

[٤] الخزرجي:*الكفاية*،ق٩٩ ؛*العسجد*،ق١٢٢ ؛*العقود*،ج١/٨٢؛بامخرمة:*تاريخ ثغر عدن* ، ج٢ / ١٧٩ .

[٥] أو جملونين أي الأسقف المسنمة ولعله يقصد بها إيوانين .

[٦] بامخرمة :*تاريخ ثغر عدن* ، ج٢ / ١٧٩ .

[٧] الخزرجي : *العقد الفاخر الحسن* ، ق ٦٧ ؛ الأكوع : *المرجع السابق* ، ص ٥٧ وعن القائمين بالتدريس فيها راجع ص ٥٧ – ٦٤

٤- **مجموعة المدارس المظفرية** : كذلك نهج المظفر سُنَّة أبيه فعنى بتشييد المدارس ومنها :

- *المدرسة المظفرية بتعز* : وكانت تقع في أعلى مغربة تعز [١] ، ويذكر الأكوع أنها دثرت في تاريخ غير معروف ولم يتبق منها سوى النص التأسيسي المذكور عليه اسم المدرسة واسم مؤسسها ، ورفع هذا الحجر من بين أنقاضها ، ووضع في الجانب الغربي من جامع الملك المظفر والمعروف بجامع ذى عدينة في تعز[٢]، وذكر في وصفها أنها " وضعت على قاعدة لم يعمل مثلها فيما قبل " [٣] ، وقد بناها الملك المظفر من الأموال المحصلة من جزية اليهود ، فيذكر الأفضل الرسولي في هذا الصدد أن أرزاق القضاة في اليمن كانت تعتمد على هذه الجزية " فلما أراد المظفر بناء مدرسته أمر بجمع الجزية من جميع الجهات ليصرفها في عمارة المدرسة ، وجعل أرزاق القضاة من غير الجزية [٤] .

ورتب المظفر فيها مدرساً ومعيداً وعشرة من الطلبة ، كما رتب فيها إماماً ومؤذناً ومعلماً وعشرة أيتام يتعلمون وقَيِّماً وأوقف عليهم من العقار ما يقوم بكفاية الجميع [٥] .

- *المدرسة المظفرية في ظفار الحبوضى* : ولم تحدد لنا المصادر موقعها من المدينة ، كما أنها لم تذكر تاريخ تأسيسها وربما أقدم المظفر على تشييدها عقب نجاح حملته الشهيرة على ظفار وضمها إلي سلطانه عام ٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م ، وكان بناء المدرسة هناك كمركز علمي ديني ومدني يمثل مظهراً من مظاهر السيطرة السياسية على تلك البلاد ، حيث أن المدارس لم تكن تشكل مؤسسة خيرية تعليمية فحسب ، بل كان وراءها دوافع سياسية تستهدف إظهار السيادة الرسولية على

---

(١) الخزرجى : العقود ، ج١ / ٢٣٣ ؛ *الكفاية* ، ق ١٢٦ ؛ ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٣٣٥ .
(٢) الأكوع : *المرجع السابق* ، ص ١٠٤ .
(٣) الأكوع : *المرجع السابق* ، ص ١٠٦ – ١٠٧ .
(٤) الأفضل الرسولي : *العطايا السنية* ، ق ٢٩ ، وقد اعترض على ذلك الفقهاء ومنهم القاضى عباس بن منصور بن عباس البريهى السكسكى الذى عزل نفسه عن القضاء ولزم بيته ، وقام بالتدريس في عدة مدارس أخرى بذى جبلة ، وتوفى ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م (راجع : *العطايا السنية ، نفس الورقة*) . وعن العلماء الذين رتبوا للتدريس بها راجع : الأكوع : *المرجع السابق* ، ص ١٠٨ – ١١٥ .
(٥) الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ٢٣٣ ، *الكفاية* ، ق ١٢٦ .

تلك الأرجاء وذلك من خلال إرساء دعائم المذاهب السنية لاسيما الشافعي منها[1] . وقد وقف بانيها عليها ما يقوم بكفاية المرتبين فيها [2] .

٥- المدرسة الأشرفية أو مدرسة السلطان الملك الأشرف " الأول "

ممهد الدين عمر : هي مدرسة دارسة إبتناها ممهد الدين عمر في حافة الملح من حي الحميراء في مغربة تعز [3] ، ودفن بها عند وفاته عام ٦٩٦ هـ / ١٢٩٦م[4] . وقد أجرى لها الأشرف الماء من جبل صبر ، وجعل فيها بركه للماء ومطاهير ، وخصصها لتدريس المذهب الشافعي ويذكر بامخرمة في هذا الصدد أن بانيها رتب فيها " إماماً ومؤذناً وقيماً ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن ، ومدرساً للفقه على مذهب الشافعي " وجماعة من الطلبة يقرأون عليه وأوقف على الجميع ما يقوم بكفايتهم [5] .

وأول من دَرَّس بها الفقيه أبو العباس أحمد بن عبد الدايم بن على الصفى الميموني الشافعي الملقب بشهاب الدين (٦٤٠ - ٧٠٧ هـ / ١٢٤٢ - ١٣٠٧ م) ، وكان معلماً لأحد أبناء الأشرف الأول ، فلما ابتنى الأشرف مدرسته ، رتبه فيها مدرساً ، وكان الأشرف دائم العناية به " يفتقده ولا يغفل عنه " [6] ، فلما توفى الأشرف أشار عليه بعض أصحابه بترك التدريس بالأشرفية لضعف وقفها والانتقال إلي غيرها من المدارس التي خصص لها وقف حامل ، فرفض الصفى ما عرضوه عليه وقال " لا أغير صحبة الأشرف حياً ولا ميتاً " ، وانتهت إليه رئاسة الفتوى بتعز ، وظل على التدريس بالأشرفية حتى توفى في التاريخ المذكور [7] .

٦- المدرسة المؤيدية : وهي بدورها من المدارس الدارسة وقام بتشييدها السلطان الملك المؤيد داود الرسولي عام ٧٠٢ هـ / ١٣٠٢م ، وذلك في مغربة

---

(١) *Berbara Finster , op . cit , P . 254 .*
(٢) الخزرجي : *العقود* ج١ / ٢٣٣ ؛ *الكفاية* ، ق ١٢٦ ؛ ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٣٣٥ .
(٣) الخزرجي : *طراز الزمن* ، ق ١٥٠ ، *العقود* ، ج١ / ٢٥١ ؛ الأكوع : *المرجع نفسه* ، ص ١٨٤ .
(٤) الخزرجي : *العقود* ، ج١ / ٢٥١ ؛ ابن الديبع : *الفضل المزيد* ، ص ٩٤ .
(٥) بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، ج٢ / ١٨٣ .
(٦) الخزرجي : *طراز الزمن* ، ق ١٥٠ ؛ *العقود* ، ج١ / ٣٠٩ .
(٧) الخزرجي : *طراز الزمن* ، ق ١٤٩ - ١٥٠ ، *العقود* ، ج١ / ٣٠٩ ؛ وراجع عن باقي المرتبين التدريس بها الأكوع : *المدارس الإسلامية* ، ص ١٨٦ - ١٨٧ .

تعز ، في حافة القماطين (بائعى البقر) غربي المغربة [١] ، وأوقفها على طائفة الشافعية [٢] ، ويذكر ابن عبد المجيد في معرض حديثه عن تأسيس المدرسة أنه صدر أمر السلطان ببناء " مدرسة عالية البنيان ، شامخة الأركان لحفظ نظام الأديان"[٣] ، ورتب فيها مدرساً على مذهب الإمام الشافعي ومعيداً وعشرة من الطلبة الدارسين للفقه على مذهب الإمام الشافعي ، ومقرئاً يقرئ القرآن العظيم بالسبعة الأحرف . ومعلماً يقرئ القرآن على جماعة من الأيتام ، وإماماً يصلي بها الخمس صلوات ، ومؤذناً [٤] ، وقيماً [٥] .

ووقف للإنفاق على مصالحها أوقافاً جمة من الأراضي والكروم في مخلاف جعفر وبساتيناً في وادى ظبا والوحص تقوم بكفاية المرتبين فيها [٦] ، كما وقف عليها خزانة من الكتب النفيسة تشتمل على مصنفات متعددة في التفسير والفقه والحديث واللغة والنحو وغيرها من أمهات الكتب في شتى الفنون منها تفسير القرآن العظيم للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازى (ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩م) المسمى بمفاتيح الغيب ، وغيرها من الكتب عظيمة الشأن في بابها [٧] . فجاءت المدرسة ببنيانها ، وما أوقف عليها من نفائس الكتب " زاهية المغاني بديعة المعاني"[٨] .

---

(١) الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ٢٨٥ ، ٣٥٨ ؛ *طراز الزمن* ، ق ٢٨١ ، ٣١٢ ، ٣٢٥ ، *الكفاية* ، ص ١٣٩ ، ويذكر الأكوع بأن مكان هذه المدرسة لا يزال معروف حتى اليوم باسم المؤيد وموقعه عند باب النصر خارج السور فيما بين حصن القاهرة شرقاً وبرج السراجية غرباً . (راجع : *المدارس الإسلامية* ، ص ٢٠٢ هـ ٧) .

(٢) ابن عبد المجيد : *بهجة الزمن* (تحقيق حجازى) ، ص ١١٩ .

(٣) ابن عبد المجيد : *بهجة الزمن* (تحقيق الحبشى) ، ص ٢٢٠ .

(٤) ابن عبد المجيد : *بهجة الزمن* (تحقيق الحبشى) ، ص ٢٢٠ ؛ الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ٣٥٨ ، *العسجد* ، ق ١٧٤ ؛ الأفضل الرسولى : *فاكهة الزمن* ، ق ٢١٣ ؛ ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٣٤٨؛ يحيى بن الحسين : *أنباء الزمن* ، ق ٨٧ .

(٥) الخزرجى : *الكفاية* ، ق ١٣٩ ، *العقود* ، ج١ / ٢٨٥ .

(٦) الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ٢٨٥ ، ٣٥٨ ، *العسجد* ، ق ١٧٤ ، *الكفاية* ، ق ١٣٩ ، وراجع : الأكوع : *المدارس الإسلامية* ، ص ٢٠٢ .

(٧) ابن عبد المجيد : *بهجة الزمن* (تحقيق الحبشى) ، ص ٢٢٠ – ٢٢١ ؛ الرسولى : *فاكهة الزمن* ، ق ٢٢٣ ؛ يحيى بن الحسين : *أنباء الزمن* ، ق ٨٧ . وكان بهذه الخزانة أيضا كتاب نهاية المطلب في دراية المذهب للإمام عبد الملك بن عبد الله الجوينى المعروف بإمام الحرمين (ت ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥م) .

(٨) ابن عبد المجيد : *المصدر السابق* ، ص ٢٢٠ وعن المرتبين للتدريس بها ، ورواتب مدرس النحو بها وكان يبلغ ٣٠ دينارا شهريا راجع الأكوع : *المدارس الإسلامية* ، ص ٢٠٤ – ٢١١ .

٧- **المدرسة المظفرية الصغرى** : كانت قائمة في تعز في حى المحاريب[١] أحد أحياء مدينة تعز القديمة في الجانب الشرقى منها [٢] ، ولذا كانت تسمى مدرسة المحاريب نسبة للحى . وقام بتشييدها المؤيد الرسولى تنفيذا لوصية ولده المظفر الذى توفى عام ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م ، حيث جاء في جملة ما أوصى به أن " يبتنى له مدرسة في قرية المحاريب،وأن يجرى لها الماء،وأن يجرى الماء منها إلي حول [حوض] تحتها " فنفذ والده وصيته وشيدها ورتب بها جماعة من الطلبة[٣] .

٨- **مدرسة الملك المجاهد أو المدرسة المجاهدية** : أمر بانشائها الملك المجاهد عام ٧٣١ هـ / ١٣٣٠ م ، وكانت قائمة في رأس راحة الشريف في ناحية الحبيل شرق مدينة تعز [٤] . ويذكر الخزرجى أنه جعلها " مدرسة وجامعاً وخانقاه ، ورتب فيها إماماً وخطيباً ومؤذناً وقيماً ومدرساً يقرأون الفقه ، ومحدثاً وطلبة يقرأون الحديث ، ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن ، وشيخاً ونقيباً وفقراء وطعاماً للواردين ووقف عليها وقفاً جيداً يقوم بكفاية الجميع منهم "[٥] وتولى الإشراف على عمارتها القاضى جمال الدين محمد بن مؤمن اليحيوى [٦] .

٩- **مدرسة دار الوعد**:شيدها الملك المجاهد أيضا،وكان موقعها في سوق الأحد بحى ذى عدينة بمدينة تعز وملاصقة لدار العدل،ولذا كانت تعرف أيضا بمدرسة دار العدل[٧]،وضمت بدورها خانقاه،ورتب فيها إماماً ومؤذناً ومعلماً

---

(١) ابن عبد المجيد : _بهجة الزمن_ (_تحقيق حجازي_) ص ١٢٨ ؛ الخزرجي : _العقود_ ، ج١ / ٣٣٠ . وراجع : ابن عبد المجيد (_تحقيق الحبشي_) حيث يحدد مكان المدرسة في منطقة المخادر وهى بلدة تقع شمال إب بحوالى ٢٠ كم . راجع : _بهجة الزمن_ ، ص ٢٦٩ .

(٢) الأكوع : _نفسه_ ، ص ٢١٢ .

(٣) ابن عبد المجيد : _المصدر السابق_ (_تحقيق الحبشي_) ص ٢٦٩ ، (_تحقيق حجازي_) ص ١٢٨ ؛ الخزرجى : _العقود_ ، ج١ / ٣٣٠ .

(٤) الخزرجى : _العقود_ ، ج٢ / ٥٧ ومكانها اليوم المستشفى العام وبجواره محطة الكهرباء ومستشفى الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين (راجع : الأكوع : _المدارس الإسلامية_ ، ص ٢٢٩) .

(٥) الخزرجى : _طراز الزمن_ ، ق ٣٥٣ ، _العسجد_ ، ق ٢٣٥ ؛ _العقود_ ، ج٢ / ٢٧ ، ٥٧ ، ١٠٦ ؛ ابن تغرى بردى : _النجوم_ ، ج١١ / ٩١ ؛ ابن الديبع : _قرة العيون_ ، ص ٣٦٧ ، ٣٦٨ .

(٦) الأكوع : _المدارس الإسلامية_ ، ص ٢٣٠ ، وعن العلماء القائمين بالتدريس بها راجع : _المرجع السابق_ ، ص ٢٣٣ – ٢٣٦ .

(٧) الخزرجى : _العقود_ ، ج٢ / ١٠٧ ، _العسجد_ ، ق ٢٣٥ ؛ ابن الديبع : _قرة العيون_ ، ص ٣٦٨ ؛ _الفضل المزيد_ ، ص ٩٨ راجع ايضا : الأكوع : _المرجع السابق_ ، ص ٢٣٧ .

وأيتاماً وقيِّماً وشيخاً ونقيباً للفقراء،وأوقف عليها ما يقوم بكفاية الجميع منهم،من محاسن أملاكه ورباعاً وضياعاً في وادي زبيد وتعز [١] .

١٠- المدرسة الأفضلية : أقيمت في ناحية الحبيل من مدينة تعز بجوار المدرسة المجاهدية[٢]،وشيدها كما هو واضح من اسمها السلطان الملك الأفضل العباس ابن المجاهد،وشرع في تأسيسها في الرابع عشر من شهر رجب عام ٧٦٥هـ/ ١٣٦٣م،وقد أشاد ابن الديبع بحسن بنائها فقال"ليس لها نظير في البلاد" [٣]،وأمر الأفضل بعمارة منارة بها وصفها الخزرجي بقوله"لم يكن في البلاد مثلها،وذلك أنها على ثلاث طبقات،فالطبقة الأولى مربعة الشكل صحيحة الأركان،والطبقة الثانية مثلثة الأركان قائمة الحروف،والطبقة الثالثة مسدسة الشكل عجيبة المنظر " [٤] .

ورتب فيها إماماً ومؤذناً وقيماً ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن ، ومدرساً في الشرع الشريف ، ومعيداً وعشرة من الطلبة ، ومحدثاً وشيخاً صوفياً ونقيباً ، وفقراء وطعاماً للواردين، فأوقف للصرف على مصالحها أوقافاً كثيرة منها أطياناً ونخيلاً وكروماً ورباعاً تقوم بكفايتها وكفاية المرتبين بها [٥] .

ج- أشهر المدارس التي شيدها أمراء الدولة الرسولية

١- المدارس الأسدية : وسار أفراد الأسرة الرسولية وأعيان تلك الدولة على نهج ملوكهم في العناية بالمدارس والحرص على تشييدها في كافة أرجاء اليمن،

---

[١] الخزرجي : *العسجد* ، ق ٢٣٥ ، *العقود* ، ج٢ / ١٠٧ ؛ راجع أيضا : *الأكوع* : ص ٢٣٧ .

[٢] الخزرجي : *العقود* ، ج٢ / ٢٧ ، ابن تغري بردي : *النجوم* ، ج١١ / ١٤٦ ؛ وانظر أيضا : الفاسي : *العقد الثمين* ، ج٥ / ٩٥ ؛ الأكوع : *المدارس الاسلامية* ، ص ٢٤٣ .

[٣] ابن الديبع : *الفضل المزيد* ، ص ١٠٢ .

[٤] الخزرجي : *العقود* ، ج٢ / ١١٥ ، ١٣٥ – ١٣٦ ، *العسجد* ، ق ٤٨ ، *الكفاية* ، ق ١٨٦ ؛ ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٣٧٦ وشارك في عمارة هذه المنارة مؤرخنا الخزرجي الذي كان شيخا للمزخرفين في عصره وكان يحمل لقب النقاش ، وكانت له مشاركات في زخرفة العديد من المدارس والدور الملوكية ومنها المدرسة الأفضلية وكان اسمه مثبتاً على جدرانها دليلاً على مشاركته في مباشرة عمارتها ، كما كان من جملة المزخرفين لدار الديباج إحدى الدور الملوكية بثعبات من تعز (راجع : البريهي : *طبقات صلحاء اليمن* ، ص ٢٩٠ – ٢٩١) .

[٥] الخزرجي : *العقود* ، ج٢ / ١٣٦ ، *العسجد* ، ق ٢٤٨ ؛ ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٣٧٦ ، وابتنى أيضا مدرسة في مكة المكرمة كانت قائمة في المسعى في الجانب الشرقي منه قبالة باب الكعبة ، ورتب فيها مجموعة من السدنة والقومة منهم مدرس ومعيد وعشرة من الطلبة بالإضافة إلى إمام ومؤذن وقيم ومعلم وأيتام يتعلمون القرآن الكريم وأوقف عليها وقفا جيداً . (راجع : الفاسي : *العقد الثمين* ، ج٥ / ٩٥ ؛ الخزرجي : *العقود* ، ج٢ / ١٣٦ ؛ ابن تغري بردي: *النجوم* ، ج١١ / ١٤٦؛ راجع أيضا : الأكوع : *المدارس الإسلامية* ، ص ٢٤٦) .

وقد أمدتنا المصادر على اختلافها بالعديد من الإشارات التي تفيد شغف هؤلاء الأتباع بعمارة المدارس ، فنرى عدداً منهم يقوم على بناء أكثر من مدرسة في مدن متفرقة ، يرتب فيها الفقهاء والطلاب ، وحبسوا عليها الأوقاف الجليلة للصرف على مصالحها ، ضمانا لاستمرار قيامها بأداء وظيفتها ، وألحقوا بها مكاتب لتعليم أيتام المسلمين ، وكذلك الأسبلة والمساجد والمدافن . ومن أشهر الأمراء الذين شغفوا ببناء المدارس : الأمير أسد الدين محمد بن رسول ، الذي أنشأ مدرستين الأولى وهي :

- *المدرسة الأسدية :* في إب ، وقد شيدها في طرف سوق المدينة الواقع في الجانب الغربي منها [1] ، ولا تزال هذه المدرسة قائمة حتى اليوم ، وتشير بربارة فنستر (Berbara Finster) ، إلى أنها تتكون من صحن واسع مكشوف يشغل المسجد جانبه الشمالي ، وينفتح المدخل في جانبه الجنوبي ، أما الجانبين الشرقي والغربي فيشغلهما إيوانا التدريس ، وهكذا يظهر الصحن في شكل مربع تشرف عليه أربع بوائك ، كل منها مكون من ثلاثة عقود ، وتقوم زوايا الصحن الأربعة على أربعة قباب ضحلة [2] .

أما المدخل فيتكون من فتحة دائرية متسعة يتقدمها من الخارج سلم هابط من أربع درجات يفضي إلي الفناء أو إلي دركاة مربعة مغطاة بقبة ضحلة . والمسجد معلق يشبه مسجد الصالح طلائع بن رزيك بالقاهرة (٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) ، ويضم المسجد عدة محلات ، تشكل مباني الأساس بالنسبة للمدرسة.أما غرف المدرسة التي كان يقع بعضها في القطاع الشرقي من المسجد فقد هدمت [3] .

ويمكن الوصول إلي داخل المدرسة عن طريق فتحة الباب الواقعة بصدر دركاة الدخول ، وتتكون من فتحة باب مستطيلة تغلق بمصراعي باب من الخشب

---

(١) الخزرجي : العقد الفاخر ، ق ١٠٨ ، العقود ، ج١ / ١٧٩ ، ٣٥٠ ؛ يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ، ق ٨١ ؛ الأكوع : المدارس الإسلامية ، ص ١٢١ .

(٢) Berbara Finster , The Arch , P . 255 .

(٣) Berbara Finster , Ibid.

يتوجها من أعلى شرفات مسننة ويعلوها شريطان كتابيان يتضمنان أمر الإنشاء واسم المنشئ [(١)] .

- *مدرسة أسد الدين :* وهي المدرسة الثانية التي شيدها أسد الدين ، ودفن فيها عام ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م ، كما دفن فيها أيضا جماعة من ذريته [(٢)] . وكانت قائمة في قرية الجبالى من عزلة وراف من أعمال ذى جبلة [(٣)] ، وتقع شمال غربي جبلة، وقد أوقف عليها أسد الدين وعلى مدرسته بإب وقفاً جيداً ، خصص بعضه لإطعام الوافدين والدارسين [(٤)] ، وقد تهدمت المدرسة ولم يبق منها سوى أطلال دارسة [(٥)] .

٢- **المدارس التاجية :** تنسب إلي الطواشى تاج الدين بدر بن عبد الله المظفرى (ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م) [(٦)] ، وعددها ثلاث تقع إحداها في الجبل بقرية تعرف بالوحيز أحد أرباض مدينة تعز [(٧)] ، في الجهة الغربية منها ، وهى من المدارس الدارسة أيضا كغالبية المدارس الرسولية ، وكانت هذه المدرسة مخصصة لدراسة الفقه [(٨)] .

أما المدرستان الأخريان فكانتا قائمتين في زبيد الأولى وتعرف بالتاجية نسبة لمؤسسها ، وكانت أحيانا تعرف بمدرسة المبردعين ، لأن المبردعين كانوا يشتغلون عندها ، وهى مدرسة مختصة بتدريس الفقه الشافعي . أما المدرسة الثانية، فكانت تعرف بمدرسة القراء ، لكونه وقفها على قراء القرآن بالسبعة ، وخصص فيها موضعاً لدارسة الحديث النبوى فكانت تؤدى دور مدرستين إحداهما للقراء والثانية لأهل الحديث ، وخصص للإنفاق عليها أوقافاً عديدة . ورتب في كل

---

(١) Berbara Fister , Ibid .

(٢) الخزرجى : العقود ، ج١ / ١٧٩ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ق ١١٤ .

(٣) الجندى : السلوك ، ج١ / ١٧٨ ؛ الخزرجى : العقود ، ج١ / ١٧٩ ؛ الأكوع : نفسه ، ص ١٢٦ .

(٤) الجندى : السلوك ، ج١ / ١٧٨ ، كما وقف على ذات المدرسة عدة نسخ من المصنفات التى قام على نسخها أثناء سجنه منها مقدمات قرآنية وغيرها .

(٥) الأكوع : المدارس الإسلامية ، ص ١٢٦ ، ويذكر أن المدرسة تخربت في عام ١٠٨٨ هـ حيث قرأ ذلك على حاشية نسخة من مخطوطة المسجد موجودة في مكتبة الشيخ محمد بن عبد الرحمن العبيكان سفير السعودية باليمن قبل عام ١٣٨٢ هـ (راجع ص ١٢٦ هـ ٤) .

(٦) الجندى : السلوك ، ج٢ ، ق ٢٣٤ .

(٧) الجندى : السلوك ، ج٢ ، ق ٢٣٤ ؛ الأكوع : نفسه ، ص ١٨٠ .

(٨) الجندى : السلوك ، ج٢ / ٢٣٤ ؛ الخزرجى : العقود ، ج١ / ١١٣ .

مدرسة من المدارس الثلاث مدرس وطلبة وإمام ومؤذن في أوقات الصلاة الخمسة ، وأوقف عليها وقفاً جيداً يقوم بكفايتها جميعا [(١)] .

٣- المدارس النظامية : وشيدها الأمير نظام الدين مختص بن عبد الله المظفرى ، وعددها أربعة . الأولى كانت قائمة في ذى هزيم إحدى القرى الواقعة جنوب غرب مدينة تعز وكانت تعرف أيضا بمدرسة ذى هزيم أو النظامية بذى هزيم [(٢)] ، وكانت مخصصة لدراسة الفقه . والمدرسة الثانية بزبيد ، وتعرف بالنظامية أيضا ، وكانت مخصصة لدراسة الفقه على المذهب الشافعى ، وكانت تقع إلي يمين الدار السلطانى ، ووقف عليها وقفاً جليلاً يفى بالإنفاق عليها وعلى المرتبين فيها [(٣)] ، أما المدرسة الثالثة وتعرف أيضا بالمدرسة النظامية ، فكانت قائمة في قرية الوحص في ناحية بحرانة من أعمال ذى السفال ، وتقع جنوبى حصن بحرانة[(٤)]، وكانت "مدرسة حسنة ، أجرى إليها " نظام الدين " الماء من جبل الفرع ، وصرف على ذلك مالاً جزيلاً ، واشترى أرضاً جليلة متوالية في الوحص وما والاها في عرج من محارث الوحص ..... ووقفها على اصلاح ذلك وعمارته، ونفقة مدرس وطلبة ومعلم وأيتام كشرط ساداته في مدارسهم [(٥)] " .أما المدرسة النظامية الرابعة فكانت قائمة بذى جبلة [(٦)] .

٤- مدرستا ابن نجاح : وهما نسبة للأمير محمد بن نجاح أحد أمراء الدولة المظفرية (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) ، شيد الأولى في مغربة تعز الشرقية المعروفة

---

(١) الجندى : السلوك ، ج٢ / ٢٣٤ ؛ الخزرجى : المسجد ، ق ١٥٨ ، العقود ، ج١ / ١١٣ . وله أيضا دار مضيف لإطعام الواردين رتب فيها شيخاً ونقيباً وقيماً لإطعام الواردين وإماماً ومؤذناً (راجع : الجندى : السلوك ، ج٢ ، ق ٢٣٤ ؛ المسجد ، ق ١٥٨) .

(٢) الجندى : السلوك ، ج٢ ، ق ٢٣٣ . وراجع عن القائمين بالتدريس فيها : الأكوع : المدارس الإسلامية ، ص ٩٤ - ٩٦ .

(٣) الخزرجى : المسجد ، ق ١٥٨ ؛ وعن القائمين بالتدريس فيها راجع : الأكوع : نفسه ، ص ٩٧ - ١٠٣ . ويلاحظ أن الجندى لم يذكر تخصصات هذه المدارس النظامية ، بينما يذكر الخزرجى أنها ثلاث مدارس فقط النظامية بزبيد وكانت مخصصة لدارسة الفقه ، أما المدرستان الأخريان فإحداهما خصصت للقراءات ، والثانية لأهل الحديث ، ورتب في مدرسة الفقه ومدرسة القراءات ودار المضيف ، في كل موضع إماماً ومؤذناً وقيماً ، ووقف على المدارس الثلاثة ما يفى بنفقاتها . (راجع: الخزرجى : العقود ، ج١ / ١٣٣) .

(٤) الجندى : السلوك ، ج٢ ، ق ٢٣٣ ؛ الأكوع : المدارس الإسلامية ، ص ١٠٤ .

(٥) الأكوع : المدارس الإسلامية ، ص ١٠٤ .

(٦) الجندى : السوك ، ج٢ ، ق ٢٣٣ .

بالمعاينة وعرفت بالنجاحية ، والثانية ابتناها في الجند وعرفت بمدرسة ابن نجـــاح ، و لم تشر المصادر إلي تاريخ تشييدهما أو إلي تخصصاقمما في الفقـــه أو الحـــديث أو القراءات ، ومن الجدير بالذكر أن ابن نجاح أوقف عليهما أوقافا كافية للإنفـــاق عليهما وعلي القائمين بهما [١] .

٥- مدرسة علي بن يحيى العنسي [٢]: أقيمت في قرية المكنة [٣] وابتناها الأمير شمس الدين على بن يحيى العنسى ، وأوقف وقفا جيدا جاملا ، وقد درست المدرسة تماما ، وكذلك القرية [٤] ، ويذكر الخزرجي من أسباب ذلك تعدى أولاد الأمير العنسي على أوقاف المدرسة [٥] .

٦- المدرسة العمرية : كانت قائمة في حافة الملح من مغربـــة تعـــز [٦] ، وتنسب للأمير نجم الدين عمر بن سيف الدين بن نفيس ، أخو المظفر لأمه " وكان أميراً ذا همة عالية وسيرة حسنة " وتوفى في عام ٦٦٧ هـــ / ١٢٦٨ م [٧] .

٧- مدرستا الأمير عباس التغلبي : وشيدهما الأمير الكبير شجاع الـــدين عباس بن عبد الجليل بن عبد الرحمن التغلبى (ت ٦٦٤ هـــ / ١٢٦٥ م) ، الأولى وشيدها في أبيات حسين من أعمال وادى سردد ، وكانت قائمة في حافة السوق، وأسس الثانية في بلده المعروفة بذخر في موضع يعرف بالحبيل وهى إحدى نواحى تعز ، وكانت تعرف بمدرسة ذخر أو مدرسة عباس [٨] ، وخصص الأمير شـــجاع الدين لهما وقفاً جيداً يقوم بكفاية المرتبين فيهما وفي غيرهما من مآثره الدينية [٩] .

---

(١) الخزرجى : العقود ، ج١ / ١٩٦ .
(٢) وهو الأمير شمس الدين على بن يحيى العنسى كان أميراً جواداً كريما عالى الهمة ينسب إلي عنس إحدى بطون مذحج ، وكانت له مكانة عظيمة لدى السلطان نور الدين بن رسول ، ولكن تبدل حاله في عهد ولده المظفر لميله إلي الأمير أسد الدين فانتهى أمره إلي السجن حيث توفى عام ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م ، ودفن في مدرسته موضع الحديث(راجع:الخزرجى:العقود ، ج١ / ١٩٤ – ١٩٥) .
(٣) قرية من معشار هدفان من مخلاف صهبان (راجع : الأكوع : نفسه ، ص ١٤٢) .
(٤) الأكوع : نفسه ، ص ١٤٢ .
(٥) الخزرجى : العقود ، ج١ / ١٩٥ .
(٦) الخزرجى : العقود ، ج١ / ١٥٣ .
(٧) الخزرجى : العقود ، ج١ / ١٥٣ – ١٥٤ .
(٨) الخزرجى : العقود ، ج١ / ١٤١ ؛ الأكوع : المدارس الإسلامية ، ص ١٦٩ .
(٩) الخزرجى : العقود ، ج١ / ١٤١ ؛ بامخرمة : ج٢ / ١٠٥ .

هذا وقد أقام ابنه محمد مدرسة في زبيد برسم ذكرى والده عرفت هي الأخرى بمدرسة عباس،في موضع الدار التي كان الأمير شجاع الدين يسكنها، فجعلها ابنه محمد مدرسة تحمل اسم أبيه ، وقد دثرت بدورها و لم يتبق لها أثر [١] .

٨- المدرسة الافتخارية : وتعرف أيضا بالمدرسة الياقوتية ، وكانت تقع في منصورة الدملؤة من مخلاف الصلو من أعمال المعافر [٢] ، وابتناها الطواشي افتخار الدين ياقوت بن عبدالله المظفرى [٣] .

٩- المدرسة الهكارية : كانت قائمة في مدينة زبيد فيما بين باب سهام ، والموضع المعروف بالمدرك [٤] ، وابتناها الأمير الكبير المظفرى المؤيدى بدر الدين أبو عبد الله محمد بن على بن محمد الهكارى بجوار داره [٥] ، وكانت المدرسة عامرة حتى عهد الخزرجي ، وامتدت يد الإصلاح والتعمير لبعض أجزائها المتشعثة في عهد الأشرف الثاني الرسولى عام ٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م [٦] .

١٠- المدرسة الجوهرية : وكانت قائمة في حافة الملح من مغربة تعز [٧] ، إبتناها الأمير صفي الدين أبو الدر جوهر بن عبد الله الدويدار المجاهدى (ت٧٥٥هـ / ١٣٥٤ م) [٨] ، وقد ورد وصفها في الوقفية الغسانية ، ويتضح من خلالها أنها كانت تتكون من صحن مكشوف يحده بيت الصلاة من الجانب القبلي وتتقدم المحراب قبة تكتنفها من الجانبين أربعة قباب ، قبتان في كل جانب ،

---

(١) الخزرجي : العقود ، ج١ / ١٤١ ؛ الأكوع : نفسه ، ص ١٧٠ .
(٢) الخزرجي : العقود ، ج١ / ٢١٢ ؛ الأكوع : نفسه ، ص ١٢٨ .
(٣) كان خادما للمظفر ولعب دوراً هاماً في الاستيلاء على حصن الدملؤة في بداية عهد المظفر وكان هذا الحصن في يد المفضل أخو المظفر ووالدته بنت جوزة ، فاستطاع استمالة المرتبين بالحصن وملكه للمظفر ، وظل نائبا له بالحصن حتى توفي عام ٦٨٧ هـ / ١٢٨٨ م (راجع : الخزرجي : العقود ، ج١ / ٢١٢ ، العقد الفاخر ، ق ١٤٠ ؛ وراجع عن فقهاء هذه المدرسة : الأكوع : المدارس الإسلامية ، ص ١٢٩) .
(٤) الخزرجي : العقود ، ج١ / ٢٩٤ .
(٥) الأكوع : نفسه ، ص ٢١٣ .
(٦) الخزرجي : العقود ، ج٢ / ١٨٠ ومن الذين قاموا بالتدريس فيها الفقيه أبو الخطاب عمر بن على الزيادى (ت ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م) راجع : العقود ، ج١ / ٢٩٤ .
(٧) راجع : الوقفية الغسانية ، ص ٥٧ .
(٨) الخزرجي : طراز الزمن ، ق ٤٦٩ ، العقود ، ج٢ / ٨٨ ، وكان يعرف بجوهر الرضواني وكان معدوداً في أهل الرياسة خدم والدة الملك المجاهد حتى صار زمام بابها فارتفع شأنه ونال من السلطان ثقة تامة ، فكان سفيره للديار المصرية ومات في إحدى هذه السفارات عام ٧٥٥ هـ / ١٣٥٤ م (راجع : طراز الزمن ، ق ٤٦٩ ، العقود ، ج٢ / ٨٨) .

ويقابل بيت الصلاة من أعلى الصحن ، مؤخرة المدرسة وهي بدورها مغطاة بقبتين، وقد استنبطت هذا التخطيط من النص التالى للوقفية " وصورة بنائها يومئذ مجلس قبلى سقفه قبة فيها المحراب ، وبطرفيه جناحان شرقي وغربي ، سقف كل جناح قبتان ، وصرحة مكشوفة ، ومؤخر سقفه قبتان " [١] .

وقد ألحق الواقف بمدرسته مجموعة ملحقات ومرافق تضم مخازن للكتب وأدوات الإضاءة ، بالإضافة إلي الملحقات المائية من بركة ومغتسلات وساقية [٢] .

ويتضح من نص الوقفية وجود خزانة للكتب الموقوفة على المدرسة ومكتب لتعليم الأيتام القرآن الكريم ، خصص له الواقف موضعاً مستقلاً بذاته ، ورتب فيه معلماً وعشرة أيتام يتعلمون القرآن ، وخصص الواقف لمعلم الأيتام راتباً شهريا قدره خمسة عشر زبديا ، ولكل واحد من الأيتام العشرة أربعة أزبد [٣] ، وذلك من أنواع الغلال المتحصلة من الوقف المذكور .

كذلك يفهم من نص الوقفية وجود حمام يضم ثلاثة أحواض للاستحمام ، ومغتسل،وبركة تزود بالماء عن طريق الساقية الموجودة بجوارها[٤].كما تنص الوقفية أيضا على ترتيب الواقف لمجموعة من الموظفين بالمدرسة المذكورة يقومون على أمرها وحدد لكل منهم راتباً عينياً،من هؤلاء" إمام راتب يصلى بالناس...ملازم على الصلوات الخمس بأوقاتها"[٥]بالإضافة إلي قيامه بإمامة المصلين في الصلوات المسنونة،ومؤذن ملازم على الآذان في أوقاته"،ويفهم من نص الوقفية أن المدرسة الجوهرية لم يكن لها مئذنة،بدليل عدم النص عليها في الوقفية،والاكتفاء بالإشارة إلي قيام المؤذن بالتسبيح ورفع الآذان الشرعى والإقامة بأمر الإمام،ويعقب الصلوات الدعاء للواقف المذكور،وعليه التسبيح ليلاً في المدرسة المذكورة أو على سطحها في الأسبوع مرتين ليلة الجمعة وليلة الإثنين،وعليه القيام بالتراويح والرغائب " [٦] .

---

[١] أنظر :*نص الوقفية* ، ق ٥٧ .
[٢] أنظر :*نص الوقفية* ، ق ٥٧ .
[٣] أنظر :*نص الوقفية* ، ق ٦٤ .
[٤] ذكر الخزرجي ما يتفق مع هذا فيقول أن جوهر أقام مدرسة في تعز " فيها بركة ومطاهير وعلى بابها حمام ، ورتب فيها إماماً ومؤذناً وقيماً ومعلماً وأيتاما يتعلمون القرآن ومدرسا وطلابا ، وأوقف علي الجميع وقفا جيدا يقوم بكفاية الجميع منهم (راجع : *طراز الزمن* ، ق ٤٦٩) .
[٥] أنظر :*نص الوقفية* ، ق ٦٢ وقد حدد له الواقف راتبا شهريا قدره ١٥ زبديا (راجع : ق ٦٤) .
[٦] أنظر :*نص الوقفية* ، ق ٦٢ وحدد الواقف للمؤذن راتبا قدره سبعة أزبد ونصف ، (ق ٦٤) .

وكانت المدرسة تضم من القومة قيّماً يتولى تنظيف المسجد وجناحيه ومؤخره ، وسائر الأمكنة ، وفرش ما يحتاج إلي فرشه ، وتنظيف البركة والمطاهير وإشعال المصابيح والقناديل في المسجد والمدرسة المذكورة ، وحفظ آلات المدرسة المخصصة لها من الفرش والقناديل والسقاء وغير ذلك [١] .

وخصص الواقف أيضا لمدرسته درساً في الفقه على المذهب الشافعي ، ورتب لذلك مدرساً " يقرئ الطلبة المرتبين فيها في فنون العلم الفقهي فروعاً وأصولاً " [٢] وحدد عدد الطلاب المرتبين بعشرة طلاب وقرر للمعلم وطلابه راتباً شهريا للمدرس ٣٠ زبديا ، ولكل طالب عشرة أزبد [٣] ، كما ألزم الواقف مدرس الفقه بإقراء الطلاب الحديث النبوى والتفسير والفرائض والوعظ والرقائق والنحو واللغة ، واشترط على الطلاب بدورهم أن يقوموا بالقراءة عليه سماعاً واستماعاً [٤] .

١١ – المدرسة الجوهرية في زبيد : وهي المدرسة الثانية التي شيدها جوهر الرضوانى ، وأوقف عليها ورتب فيها إماماً ومؤذناً ومعلماً وأيتام يتعلمون، كما أقام بها بركة ومطاهير [٥] .

١٢– مدارس بني فيروز :

مدرسة السنف : كانت تقع في مدينة إب جنوبي الجامع الكبير ، وكانت تعرف بالحسنية نسبة للأمير حسن بن أبي بكر فيروز [٦] ، ويذكر القاضى الأكوع أنها كانت أحسن مدارس إب ، وظلت قائمة إلي فترة قريبة ، ثم وضع مفتى إب يده عليها في السبعينيات من هذا القرن (ق ٢٠ م) لمجاورتها لمنزله ، فسلخ الجزء

---

(١) راجع : *نص الوقفية* ، ق ٦٢ – ٦٣ وحدد الواقف راتبا له قدره ٧ أزبد ونصف ، (ق ٦٤) .
(٢) راجع : *نص الوقفية* ، ق ٦٣ .
(٣) راجع : *نص الوقفية* ، ق ٦٤ .
(٤) أنظر : *نص الوقفية* ، ق ٦٣ .
(٥) الخزرجى : *طراز الزمن* ، ق ٤٦٩ وابتنى أيضا سبيلاً بزبيد كان موقعه في ملتقى الطريقين بين باب القرتب وباب الشبارق وهو عبارة عن حوض كبير مغطى بقبتين وأوقف عليه وقفا جيدا . راجع *طراز الزمن* ، ق ٤٦٩ .
(٦) كان أميرا كبيرا من بنى فيروز أصحاب إب الموالين لبنى رسول ، وصف بأنه كان محبا للفقهاء الصالحين (الخزرجى : *العقد الفاخر* ، ق ١١ ، وعن مدرسى السنف وعلمائها راجع : *المدارس الإسلامية* ، ص ١٨٨- ١٨٩) .

القبلى منها وحوله إلي دكاكين وكانت فيه مقبرة لبعض علماء المدرسة ، بينما حول الجزء الغربى منها إلي مخازن ، وبنى وسط المطاهير بيتا [١] .

ولبنى فيروز عدة مدارس أخرى ابتنوها في مدينة إب ووقفوا عليها ما يليق بحالهم منها :

مدرسة محمد فيروز : وتنسب إلي محمد بن حسن بن أبى بكر بن فيروز الملقب بالأسد ، وكانت من أحسن مدارس بنى فيروز ، وتوفى مؤسسها عام ٧٢٩هـ/ ١٣٢٨ م [٢] .

المدرسة الشمسية : إبتناها الأمير شمس الدين أبو بكر بن فيروز ، وكان معاصراً للمنصور نور الدين عمر الرسولى وولده المظفر ، ورفعه المظفر لإمرة طلبخاناه وأنعم عليه بالإقطاعات الجليلة لفضله وأسرته على الأسرة الرسولية والمتمثل في حملهم لجثمان المنصور إثر مقتله والقيام بواجب دفنه بما يليق بالملوك في غيبة المظفر بالمهجم [٣] ، أما المدرسة فلا زالت عامرة حتى الآن ، وتقع قبلى الجامع الكبير ، ويذكر الأكوع:"أن مفتح بابها الخارجى إلي الشرق " ، ويجاور الباب غرفتان إحداهما عن يمين الباب وتستعمل الآن كمكتب لتحفيظ القرآن ، والثانية عن يسار الباب ، وكانت مخصصة لتدريس العلوم الفقهية [٤] .

١٣ – مدرسة محمد بن ميكائيل : وكانت قائمة بزبيد قبالة بباب الشبارق، وقد خربت بدورها ، إبتناها الأمير نور الدين محمد بن ميكائيل المجاهدى[٥] ، وقد امتدت إليها يد التعمير والاصلاح بعد أن دثرت وذلك في عهد الأشرف الثانى الرسولى ضمن عمارته الشاملة لمآثر زبيد الدينية عام ٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م والتى أشرف عليها القاضى عبد اللطيف بن سالم [٦] .

---

[١] الأكوع : المرجع السابق ، ص ١٨٧ وهـ ٤ .
[٢] الخزرجى : العقد الفاخر ، ق ١٧ ؛ الأكوع : المرجع السابق ، ص ٢١٨ .
[٣] الخزرجى : العقود ، ج١ / ٨٢ .
[٤] الأكوع : المدارس الاسلامية ، ص ١٤١ .
[٥] الخزرجى : العقود ، ج١ / ٣٥٩ ، ج٢ / ٥٩ .
[٦] الخزرجى:العقود،ج٢ / ١٨٠.أما محمد بن ميكائيل فكان اميرا جليلا حمل لقب ملك الأمراء دليلا على علو منزلته أيام إنقياده للدولة الرسولية،حيث عمل استدارا للملك المجاهد،ثم نزع يده عن الطاعة وادعى السلطنة في أواخر عهد المجاهد وخُطب له في المهجم والمحالب وحرض اثر إدعائه السلطنة وضربت السكة باسمه وادعى النسب النبوى وكانت مدة سلطنته عامين(٧٦٣ – ٧٦٥ هـ /=

د- المدرسة الأشرفية الكبرى بتعز

مازالت هذه المدرسة قائمة عامرة حتى اليوم ، في مدينة تعز " بحافة الدرج قبلي حصن تعز المحروس " [١] . شيدها الملك الأشرف " الثاني " اسماعيل بن الأفضل لطائفة الشافعية سنة ٨٠٠ هـ / ١٣٩٧ م [٢] . ويتمثل ذلك في قول الخزرجي عن المرتبين بها " رتب فيها إماماً ومؤذناً وقيماً ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن ، ومدرساً على مذهب الإمام الشافعي ومعيداً وعدة من الطلبة ومدرساً يتحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومدرساً في النحو والأدب وجماعة من الطلبة أيضاً ، ووقف فيها عدة من الكتب النفائس في كل فن ، وأوقف على المدرسة المذكورة وعلى المرتبين فيها وقفاً جيداً يقوم بكفايتهم [٣] .

ويصف الخزرجي بناءها فيقول :" مدرسة حسنة الشكل لها بابان شرقي وغربي ، وباب يماني ، ومقدم فسيح ، وشمسية رحبية وتكوين عجيب ، وابتنى فيها مطهرا نفيساً " [٤] . وورد في الوقفية الغسانية وصفاً لها أكثر شمولاً ودقة وتفصيلا[٥] نطالع فيه " أن السلطان .... الملك الأشرف ممهد الدين إسماعيل بن مولانا السلطان السيد الأجل ... الملك الأفضل خلد الله مملكته وأدام دولته ... أراد أن يتقرب إلي الله تعالى بوقف به يدرأ عنه السيئات ... فسارع أحسن الله إليه وأكمل المنة لديه ، بإنشاء المدرسة المباركة التأسيس المعمورة بذكر الله تعالى والصلاة والتدريس بحافة الدرج قبلي حصن تعز المحروس ... وبنا فيها مسجد لله رغبة في الثواب وذخيرة ليوم الحساب ... وصورة بنيانها يومئذ قبة كبيرة فيها المحراب محمولة على أربعة عقود وجناحان شرقي وغربي كل جناح فيه أربع قبب ،

=٦١ - ١٣٦٣ م) ، واستمر على خلافه زمن الأفضل الذى تمكن من هزيمته وطرده من قواعد الرسوليين فلجأ لبلاد الأئمة فأعطاه الإمام المهدى على بن محمد حصن المفتاح فظل به إلي أن وافته المنية وقبر بداخله وذلك عام ٧٧٩ هـ / ١٣٩٤ م (راجع : الخزرجي : *العقود* ، ج٢ / ١٠٢ - ١٤٣؛ يحيى بن الحسين : *غاية الأماني* ، ق ٢ ، ص ٢٥٨) .

(١) أنظر : *الوقفية الغسانية* ، ق ٤ .

(٢) مصطفى شيحه : *المرجع السابق* ، ص ٨٩ ؛ الأكوع : *المرجع السابق* ، ص ٢٦٩ ؛ محمد سيف النصر : *المرجع السابق* ، ص ١٠٩ .

(٣) الخزرجي : *العقود* ، ج٢ / ٢٦٠ .

(٤) الخزرجي : *العقود* ، ج٢ / ٢٦٠ .

(٥) راجع *هذا الوصف في الملحق رقم (٥) في نهاية الكتاب* .

وفي القبة شباكان من جهة القبلة شرقى المحراب وغربيه ، وفي كل جناح شباكان من جهة القبلة شرقى المحراب وغربيه ، وثلاثة أبواب ، بابان شرقيان وباب يمانى ينفذ إلي جملول وفي كل جناح خرستان من جهة الثلث ، مستطرق من جهة البابين الشرقيين إلي مجاز شرقى محمول محترم بأربعة عقود ، عقد قبلي وثلاثة يستطرق به — أعني المجاز — إلي الجملول الشرقى ، وفيه باب شرقي ، وشباكان حديد وثلاثة شبابيك إلي القاعة المذكورة ، وفي الجملول الشرقى خزانة من جهة اليمن ، وشباك في أثناء المجاز الشرقى باب كبير ببوابة وفسقية صغيرة وبركة كبيرة، ورحبة فيها إيوان ، وينتمى هذا المجاز الشرقى إلي أثناء المجاز اليمانى ، ويستطرق من المجاز اليمانى إلي المنارة الشرقية،ثم إلي الخانقاه المهيئة للصادر والوارد إن شاء الله تعالى ثم إلي المنارة الغربية" [١] .

وقد فصل لنا الواقف من خلال سطور الوقفية العناصر المعمارية الداخلية ، ووظيفة كل عنصر منها،فمنطقة القبة والمتصدرة للمدرسة حيث المحراب والجناحين كانت مسجدا للصلاة ومكانا للإعتكاف والتلاوة لآى الذكر الحكيم ، أما المجلس الشرقى فكان مخصصاً لتدريس الحديث النبوى وما يتصل به من علوم ، بينما خصص المجلس الغربى لتدريس الفقه فروعاً وأصولاً على المذهب الشافعي . بينما أوقفت الخزانة الموجودة في المقصورة الشرقية على حفظ كتب العلم بالمدرسة[٢].

– وظائف المدرسة والخانقاه من واقع الوقفية

تضمنت سطور الوقفية إقرارات وظيفية نص عليها الواقف بشأن ما رتب للمدرسة من الموظفين والقومة ، ومنهم من كان يتولى خدمة المسجد ورعاية مصالحه ، ومنهم من كان يقوم بخدمة المدرسة ، ومنهم من كان يعهد إليه الإشراف على مصالح الخانقاه الملحقة بالمنشأة الأشرفية .

فبالنسبة لوظيفة المسجد رتب فيه الواقف عدة وظائف ذكرت الوقفية منهم الإمام ، والمأمونين (لعلهم المؤذنين) الصيتين ، وقيمين وأوضحت سطور الوقفية الأعمال المنوطة بكل وظيفة [٣] .

---

(١) راجع : *الوقفية الغسانية* ، ص ١ – ٢ .
(٢) راجع : *نص الوقفية* ، ق ٣ – ٤ .
(٣) راجع : *نص الوقفية* ، ص ١٣ والملحق رقم (٥) آخر الكتاب .

ويتضح لنا من نص الوقفية أن المسجد قد خصص له الواقف خمسة أفراد منهم الإمام،ومأمونين يعاونان الإمام في إقامة الشعائر ورفع الآذان،وقيمين يتوليان صيانة مرافق المسجد وسائر الأماكن بما فيها المدرسة.وقد أشارت سطور الوقفية إلي الرواتب المخصصة لكل وظيفة،فقد حدد الواقف لناظر الوقف المحبوس على المدرسة وملاحقها أن يصرف راتباً شهرياً للإمام غرة كل شهر ونلاحظ أنه كان راتباً نقدياً وعينياً،علاوة على ما رتب له من كسوة في كل سنة بالإضافة إلي مبلغ نقدى آخر[١].كذلك حددت الوقفية راتب كل من المؤذنين أو المأمونين والقيمين [٢].

- منـاهج الدراسة

ونلاحظ من خلال سطور الوقفية الغسانية اهتمام الواقف بذكر الدروس المقررة بالمدرسة ، وهى الدروس المخصصة للمذهب الشافعى ، فنجده يقرر بها درساً للفقه الشافعى حدد مكانه بمقصورة المجلس الغربى [٣] ، وأتاح الواقف لمدرس الفقه الاستفادة من أى موضع آخر بالمدرسة لعقد حلقة درسه متى رغب في ذلك[٤] . وقرر الواقف عشرة من الطلبة لدراسة الفقه الشافعى أصولاً وفروعاً على يد هذا الفقيه ، وكان يعاونه معيد في التدريس يعرض عليه الطلبة ، ويبحثون معه توطئة للدرس الذى يشرحه الفقيه [٥] .

وكان يصرف للمدرس في غرة كل شهر راتب نقدى وعينى يتسلمه من الناظر مقابل أدائه لمهام وظيفته ، وقد حدد الواقف راتبه بثلاثة وثمانين زبديا وثلث زبدى وخمسين دينارا ، وفي كل سنة كان يصرف له مقطع بياض [ثوب من القماش الأبيض] ومائة دينار ، بينما حدد للمعيد راتب شهرى أيضا يتسلمه في غرة كل شهر ومقداره " أحد وأربعون زبديا وثلثا زبدى وعشرون دينارا ، وكسوة في كل سنة مقطع بياض وخمسون دينارا " [٦] .

---

(١) راجع :نص الوقفية ، ص ١٥ .
(٢) راجع :نص الوقفية ، ص ١٥ .
(٣) أنظر :نص الوقفية ، ص ٣ .
(٤) راجع :نص الوقفية ، ص ٣ .
(٥) راجع :نص الوقفية ، ق ١٣ .
(٦) أنظر :نص الوقفية ، ق ١٥ .

وبالإضافة إلي هذا العمل الرسمى وهو تدريس أصـول الفقـه الشـافعى للطلاب المرتبين ، كان على مدرس الفقه وكذلك مدرس الحديث النبوى الشريف تدريس علومهما للراغبين في الدرس (المتطوعين) [١] .

كذلك شرط الواقف على الطلاب بذل الجهد في التحصيل والبحـث ، فمن كان يظهر عليه خلل أو تقصير أو مضت عليه خمس سـنوات و لم يتقـدم في دراسته ، كان على الناظر فصله وتعيين آخر بدلاً منه [٢] .

ولعل في هذا الشرط الذى يحدد لنا فترة معينة للطالـب يتقـرر بعـدها صلاحيته للتحصيل والدرس من عدمها ما يدل على اهتمام الواقـف بالتحصـيل العلمى للطلاب ، والحرص على إعطاء فرصة التعليم لمن يستحقها من المجيدين من الطلبة ، أما من يثبت إهماله أو تقصيره ، فيتم فصله والتحاق غيره عوضه ، هـذا وقد حدد الواقف راتباً شهرياً لكل طالب قدره ٧,٥ زبدى و ٧,٥ دينار [٣] .

كما شرط الواقف على المعيد القيام بمقتضيات وظيفته على النحو الأكمل من ناحية إشرافه على إقراء الطلبة ومذاكرته لهم ، " واستخراج ما عنـدهم مـن الفهم وعرض محصول رأيه ورأيهم على الفقيه المدرس " [٤] .

أما بالنسبة لدراسة الحديث النبوى ، فقد قرره الواقف أيضـا بالمدرسـة الأشرفية ، وحددت الوقفية الموضع الذى يعقد فيه درس الحـديث بمـا نصـه " والمقصورة من الجملول الشرقي لإقراء الحديث النبوى على صـاحبها [٥] أفضـل الصلاة والسلام وسماعه وأسماعه ، وما ينشر من العلوم الشـريفة المقربـة إلي الله تعالى.... " [٦] . وأتاحت الوقفية لمدرس الحديث شأن مدرس الفقه أن " يـدرس حيث شاء من جميع الأماكن المذكورة في المدرسة " [٧] ، واشترط الواقف علـى مدرس الحديث المرتب بالمدرسة أن يكون ملماً بالحديث النبوى والتفسير والوعظ

---

[١] أنظر : *نص الوقفية* ، ق ١٣ – ١٤ .
[٢] أنظر : *نص الوقفية* ، ق ١٧ .
[٣] أنظر : *نص الوقفية* ، ق ١٥ .
[٤] أنظر : *نص الوقفية* ، ق ١٧ .
[٥] الصواب : صاحبه .
[٦] أنظر : *نص الوقفية* ، ق ٣ .
[٧] أنظر : *نص الوقفية* ، ق ٣ .

والرقائق، بَيِّن الراوية صحيح السند ، ويقرئ الطلبة المرتبين على دراسة الحديث ، فيقرأون عليه سماعاً واستماعاً [١] ، كما اشترط عليه القيام بوظيفته وبذل وسعه للطلبة والإقراء والقراءات في كل يوم من الحديث والتفسير والوعظ والرقائق " ما سهله الله عز وجل ويعقب بمجلس الحديث على صاحبه أفضل الصلاة والسلام ما يسره الله من القرآن الكريم " [٢] .

أما عن راتبه الشهرى الذى حدده الواقف فكان يقدر بـ ٤١,٣ زبدى وعشرين دينارا ، كما كان يتلقى كل سنة مقطع بياض وأربعين دينارا [٣] . أما عن الطلبة المرتبين لدراسة الحديث النبوى فقد حددت الوقفية عددهم بخمسة طلاب ، شرط الواقف عليهم الاهتمام بتحصيل وضبط الحديث وفهم معانيه وتجويد سنده [٤] ، وقرر لهم راتبا شهريا – أسوة بنظرائهم من دارسى الفقه – ٧,٥ زبدى و ٧,٥ دينارا [٥] . أما بالنسبة لإقامة الطلاب المرتبين بالمدرسة فلم تخصص لهم وحدات سكنية مستقلة بذاتها ، وإنما وفرت لهم أماكن للإقامة في نفس الموضع الذى كانوا يدرسون فيه حيث ذكرت الوقفية ما نصه " .... والمشتغلين بذلك من المرتبين وسواهم من أمثالهم الارتفاق بالمقصورة المذكورة ليلاً ونهاراً ، بالنوم ونحوه " [٦] .

كذلك نتبين من نصوص الوقفية تخصيص الواقف بمدرسته درساً للقراءات، يقوم به قارئ " لكتاب الله العزيز بالقراءات السبع عارف محقق لأنواع علوم القراءات متقن لها علماً ونطقاً " ، ورتب له " خمسة من الطلبة يشتغلون عليه في القراءات المذكورة في كل يوم ما سهله الله عز وجل بالبحث والاتقان " [٧] .

وقرر الواقف راتبا شهريا للقارئ قدره ٤١,٣ زبدى و ٢٠ دينارا ، ومكافأة سنوية مقدارها كسوة مقطع بياض وأربعون دينارا ، أما المشتغلون عليه

---

[١] أنظر : *نص الوقفية* ، ق ١٣ .
[٢] أنظر : *نص الوقفية* ، ق ١٧ .
[٣] أنظر : *نص الوقفية* ، ق ١٥ .
[٤] أنظر : *نص الوقفية* ، ق ١٧ .
[٥] أنظر : *نص الوقفية* ، ق ١٥ .
[٦] أنظر : *نص الوقفية* ، ق ٣ .
[٧] أنظر : *نص الوقفية* ، ق ١٤ .

من الطلبة فقد خصص لكل واحد منهم أيضا راتباً شهرياً مماثلاً لأقرانهم السابقين وقدره ٧,٥ زبدى و ٧,٥ دينار [١] .

وقرر الواقف أيضا درساً للنحو يقوم به فقيه نحوى لتدريسه " عارف لأحوال النحو وفروعه ، بصير بأدلته مستحضر لنصوصه ، ذاكر لشواذه وغوامضه، مفيد للطلبة المتقدم ذكرهم يصلح من ألسنتهم ركيكها ويجلوا عن صدورهم شكوكها،عارف بارع فيها،ناقل لفصيحها مستعمل لصحيحها "[٢] .

ويتضح من عبارة " للطلبة المتقدم ذكرهم " الواردة في الوقفية ، أن درس النحو كان مقرراً على كافة طلاب المدرسة المرتبين للدراسة بها في الفقه والحديث والقراءات ، بهدف إعدادهم إعداداً لغوياً سليماً ، يساعد على تحصيلهم للعلوم المتخصصة التي يدرسونها والتي لا يستقيم لهم استيعابها إلا بالتمكن من ناصية اللغة والبيان .

كذلك ، خصص الواقف بمدرسته موضعاً لتعليم أيتام المسلمين مكانه " الإيوانان الشرقي والغربي في دهليز الباب اليماني لتعليم القرآن الكريم لجماعة الأيتام المرتبين .... " [٣] ، وعين لهم معلما " يعلم القرآن الكريم " ، وذلك في جميع أيام السنة فيما عدا أيام الجمع والأعياد والأوقات التي جرت العادة للمتعلمين في المدارس العطلة فيها [٤] ، وكان هذا المعلم يتولى تعليم أيتام المسلمين ، حيث رتب له الواقف خمسة عشر يتيماً يتعلمون القرآن على يديه [٥] ، وشرط الواقف على المعلم "ملازمة التعليم وبذل الواسع والاجتهاد " [٦] ، وخصص له راتباً شهرياً قدره الواقف بأحد وأربعون زبديا ، بينما قرر الواقف للأيتام راتباً شهرياً أيضا حدده " بعشرة أزبد " يتسلمونها غرة كل شهر [٧] .

---

(١) أنظر : *نص الوقفية* ، ق ١٥ .
(٢) أنظر : *نص الوقفية* ، ق ١٤ .
(٣) أنظر : *نص الوقفية* ، ق ٤ .
(٤) أنظر : *نص الوقفية* ، ق ١٤ .
(٥) أنظر : *نص الوقفية* ، ق ١٤ .
(٦) أنظر : *نص الوقفية* ، ق ١٧ .
(٧) انر : *نص الوقفية* ، ق ١٥ .

- الخانقاه الملحقة بالمدرسة الأشرفية

تعد الخانقاوات من العمائر الدينية التي انتشرت في العالم الاسلامي في ذلك العصر ، كمنشأة دينية ينقطع فيها المتصوفة وأهل الزهد والتنسك للعبادة ، وقد ألحق السلطان الملك الأشرف بمدرسته أو مجمعه الديني خانقاه ، أمدتنا الوقفية الخاصة بالمدرسة بموضعها ووصفته لنا وصفاً دقيقاً ، وحددت وظيفة هذه المنشأة وعدد المرتبين المنقطعين بها بما نصه " ويستطرق من المجاز اليماني إلي المنارة الشرقية ثم إلي الخانقاه المهيأة للصادر والوارد إن شاء الله تعالى ثم إلي المنارة الغربية " [١] ، ثم تتابع الوقفية وصف التخطيط المعمارى للخانقاه فتقول " وصفة الخانقاه المذكورة بعد الدخول من بابها [إلي] [٢] إيوانين متقابلين شرقيا وغربيا ، وبينهما فسقية وقبة وشباكان قبليان إلي القاعة المذكورة " [٣] .

ويمكن القول استنادا إلي النص السابق أن بناء الخانقاه يتألف من قاعة وسطى ينفتح عليها من الجهتين الشرقية والغربية إيوانان كبيران متقابلان ، ويتوسط القاعة فسقية تعلوها قبة . ونلاحظ خلو سطور الوقفية من الإشارة إلي الخلوات (أو الحجرات) المخصصة لإقامة المتصوفة والنساك ، ولذا نرجح أن المعمار اليمني إستعاض عنها بالإيوانين الشرقي والغربي .

ونلاحظ أيضا من خلال نص الوقفية أن الخانقاه استغلت إلي جانب وظيفتها الأصلية داراً للضيافة فأشارت الوقفية إلي ذلك بما نصه " .... والخانقاه المذكورة دار ضيف للصادر والوارد من الفقراء والمساكين وأبناء السبيل وطائفة الصوفية المتوسمين بالخير المنقطعين إلي الله تعالى المتزيين بزى أهل الطريق " [٤] .

وأشارت الوقفية أيضا إلي إقرار الواقف لأحد مشايخ الصوفية وترتيبه بالخانقاه ومعه عشرة من المريدين ، واشترط تخصيص اثنين منهم لخدمة الواردين إلي الخانقاه والقيام بإطعامهم [٥] .

---

(١) انظر : *نص الوقفية* ، ق ٢ .
(٢) الكلمة في الأصل غير واضحة فوضعنا [إلي] ليستقيم المعنى .
(٣) انظر : *نص الوقفية* ، ق ٢ .
(٤) انظر : *نص الوقفية* ، ق ٤ .
(٥) انظر : *نص الوقفية* ، ق ١٤ .

وكان يصرف لشيخ الخانقاه راتب شهرى قدرته الوقفية بـــ ٤١,٣ زبدى و٢٠ دينارا ، علاوة على مكافأة سنوية عبارة عن كسوة مقطع بيـــاض وأربعـــين دينارا ، بينما كان يصرف للمريدين الثمانية كل واحد منهم " عشرة أزبد " أمـــا التاسع والعاشر منهم وهما " المتصفان بخدمة الفقراء والواردين المتصدران للإطعـــام لكل نفر خمسة عشر زبدى " [1] وحددت الوقفية مقدار الطعام المعـــد لإطعـــام الواردين إلي الخانقاه ، ومقدار ما يصرف منه كل يوم [2] .

واشترطت الوقفية على شيخ الخانقاه ومريديه ، الالتزام بما حدده الواقف من حيث القيام بالخدمة المرضية للواردين للخانقاه ، والابتعاد عن البدع والضلال، والالتزام بمراعاة سنن الدين والانقطاع للنسك والتبتل ، وعلى المريـــدين الالتـــزام برأى شيخهم وعدم مخالفته ، وخدمة الواردين دون ضجر أو ملل [3] .

- التـــربة الملحقة بالمدرســة

ألحق بالمدرسة الأشرفية طبقاً لما اشتملت عليـــه الوقفية،تربـــة أو مـــدفن للموتى،حدد موضعه"بسفلى باقي المجلسين الشرقي والغربي موقوف مدفنا للموتى ، وظاهرهما لتشخيص علامات القبور عند الحاجة إلي ذلك،ولقعود القراء فيها لقراءة القرآن الكريم على الترب المقدسة ونحو ذلك،وباقي القاعة المذكورة موقوف مدفنا للموتى"[4].وعلى هذا النحو فإن التربة كانت تشغل موضعا مركزيا في تخطيط المدرسة،حيث كان يكتنفها من الشرق والغرب مجلس الدرس(الإيوانان الشرقي والغربي).

وقد قرر الواقف على التربة أربعة من القراء " يقرأون القرآن الكـــريم في كل يوم ، كل واحد نصف الختمة الشريفة عند التربة المرحومة ، تربـــة الطفـــل المقدس ثراه الملك الظافر المرحوم ولد مولانا السلطان الملـــك الأشـــرف أدام الله ملكه" [5] . واشترط عليهم المواظبة والملازمة والاجتهاد ، والقيام بما وصف عليهم

---

(1) أنظر :*نص الوقفية* ، ق ١٦ . وهذه الزيادة كانت نظير ما يقومان به من خدمة للواردين إلي الخانقاه .

(2) أنظر :*نص الوقفية* ، ق ١٦ .

(3) أنظر :*نص الوقفية* ، ق ١٧ .

(4) أنظر :*نص الوقفية* ، ق ٤ .

(5) أنظر :*نص الوقفية* ، ق ١٤ .

أولا ، وأن يترحموا على الملك الظافر ويدعون له بعد القراءة [١] ، وحدد الواقف لكل واحد منهم راتباً شهرياً قدره عشرة [٢] أزبد بالزبدى التعزى القديم [٣] .

كذلك قرر الواقف إيقاد الشمع كل ليلة عند التربة المذكورة وحدد ذلك بشمعة توقد ليلاً وزنها رطلان بالرطل المصرى ، وألزم الواقف بضرورة إضاءتها كل ليلة مهما بلغ ثمنها [٤] .

- وظائف الإدارة والخدمة بالمدرسة الأشرفية

خصص الواقف لمدرسته عدداً من المرتبين للقيام على شؤون تلك المنشأة ومصالحها ، حتى يتسنى لها القيام بوظيفتها التى أسست من أجلها على نحو مرضى، من هذه الوظائف ما ارتبط بإدارة المنشأة وأوقافها ، ومنها ما ارتبط بخدمة وصيانة مرافقها ، ويأتى في مقدمة هؤلاء المرتبين : -

- *النائب:* واشترط الواقف توافر الأمانة والكفاءة في صاحب هذا المنصب لاختصاصه بعموم النظر في شتى مصالح المنشأة،إذ عليه مباشرة الأرض الموقوفة على مصالح المدرسة،والقيام بتأجيرها إيجاراً مماثلاً لنظيرتها من الأراضى الأخرى،وتحصيل غلالها،وتعمير الأرض التابعة للمدرسة متى اقتضت الحاجة إلي ذلك[٥]، فكان عليه تحصيل ريع الوقف وصرفه في المصارف التى اشترطها الواقف،كما تمتد مهام وظيفته طبقا للنص الوارد في الوقفية إلي المحافظة على الأصول الموقوفة ورعايتها الرعاية الأمثل حتى تستمر في إنتاج الريع اللازم للصرف على مصالح تلك المدرسة .

كذلك كان على النائب الاهتمام بمصلحة المدرسة وعمارة ما يتشعث منها أو من مبانى المسجد ، ونلاحظ من خلال نص الوقفية ، تقديم الواقف عمارة المسجد وترميمه على المدرسة ، الأمر الذى يعطى للمسجد مكانته واحترامه كبيت من بيوت الله فهو الأحق بالاهتمام والعمارة لقداسة مكانته في نفوس المسلمين[٦] .

---

[١] أنظر : *نص الوقفية* ، ق ١٩ .

[٢] خصص للقراء المذكورين وللشمع الذى يوقد كل ليلة عند التربة المذكورة وطبقا لنص الوقفية قطعة من الأرض المزدرعة بوادى خدد بمعشار حصن الحمراء ومقدار متحصلها ٤ آلاف دينار ومائة وثلاثة وثلث دينار سنويا . (راجع : *نص الوقفية* ، ص ١٤) .

[٣] أنظر : *نص الوقفية* ، ق ١٩ .

[٤] *راجع الوقفية* ، ق ١٤ ، ١٩ .

[٥] أنظر : *نص الوقفية* ، ق ١٤ .

[٦] *راجع : الوقفية* ، ق ١٥ .

وحدد الواقف راتباً شهرياً للنائب مقابل قيامه بمهام وظيفته قـدرها " أحـد وأربعون زبديا وثلثا زبدى وعشرون دينارا ، ومقطع بياض وأربعـون دينـارا سـبب الكسوة في كل سنة " [١] .

– *الناظر:* ويقوم بمباشرة تطبيق الشروط التي اشترطها الواقف بخصوص منشأته فكان عليه الإشراف على كل صغيرة وكبيرة بداخل المنشأة الأشرفية بما يحقـق القيـام بوظيفتها على النحو الأمثل والصرف على مصالحها من ريع الوقف[٢]،ومنها الإشـراف على مواظبة الطلاب على الدرس والتحصيل،وفصل الطلاب الذين لا يواظبون وإدخال غيرهم عوضهم [٣]،وعليه الإنفاق على قيمة الشموع التي توقـد في المدرسـة كـل ليلة،وكذلك ما تحتاج إليه المدرسة من سليط(أي زيت للوقود)[٤]في ختمة شـهر رمضان وليلة النصف من شعبان،كما عليه تدبير النقد اللازم للصرف على تـوفير الماء اللازم للمدرسة في هذه المناسبات الدينية،وكذلك توفير الفرش اللازم للمسـجد وسائر الأماكن الملحقة به والمعتاد فرشها،والإشراف على تنظيفها [٥] .

– *القومة:* كما عين الواقف مجموعة من القومة يتعهـدون بتنظيـف المنشـأة الأشرفية،منهم قيمان يتوليان تنظيف المسجد وجناحيه وسائر المدرسة المذكورة ورحابها وأماكنها المذكورة باطنها وظاهرها وفرش ما يحتاج إليه فرشه وتنظيف البركة والفسقية ومواضع الماء في المدرسة المذكورة من الطحلب والرواسب التي تجتمع فيهـا وإشـعال المصابيح في المسجد والجناحين وسائر الأمـاكن الـتي تحتـاج إلي الاستصباح،وإشـعال القناديل،كما يقومان بحفظ أدوات الخدمة من بسط وحصير وقناديل وشراب وتنظيـف المطاهير [٦] .

وخصص الواقف قيما ثالثا وأوكل إليه الإشراف على ساقية المدرسة المنصـب إليها الماء وإجرائه على حسب العادة[٧]،وكان عليه مباشرتها في كل وقت وإجراء المـاء إليها وإزالة ما يعوق سريان الماء فيها [٨] .

---

[١] انظر : *نص الوقفية* ، ق ١٦ .
[٢] انظر : *نص الوقفية* ، ق ١٦ .
[٣] انظر : *نص الوقفية* ، ق ١٧ .
[٤] انظر : *نص الوقفية* ، ق ١٦ .
[٥] انظر : *نص الوقفية* ، ق ١٥ .
[٦] انظر : *نص الوقفية* ، ق ١٣ .
[٧] انظر : *نص الوقفية* ، ق ١٤ .
[٨] انظر : *نص الوقفية* ، ق ١٧ .

- *مصروفات المدرسة:* أوردت الوقفية في سياق عرضها للمهام الموكولة لناظر الوقف،ما يشير إلي مصروفات ضرورية حتى تتمكن المدرسة من مباشرة مهامها منها،ما قرره الناظر من مبالغ لشراء الزيت والشموع اللازمين للإضاءة[١]، ومنها أيضا ما كان يصرفه الناظر من أجل فرش أرضية المنشأة الأشرفية من حصر سواء في المسجد أو المجالس والخانقاه وسائر الأماكن المعتاد فرشها [٢] .

ويلاحظ أن هذه المصروفات كانت مقدمة على صرف الرواتب المقررة للمرتبين بالمنشأة،حيث نص الواقف على صرف ما تحتاج إليه المدرسة أولا من المصروفات الأساسية،ثم يصرف"ما فضل بعد ذلك " على أرباب الوظائف[٣]. كذلك كان يصرف مما تبقى من ريع الوقف ومتحصلاته على شراء الشمع اللازم لإضاءة التربة الملحقة بالمدرسة [٤] .

- *خزائن الكتب:* ألحق السلطان بمدرسته خزانة للكتب،كانت في الواقع خزانتين،إحداهما كبيرة،والثانية صغيرة،وحددت الوقفية موضعهما بالمقصورة الواقعة في الجهة اليمنى من الجملول الشرقي[٥].

ومن المعروف أن السلطان الملك الأشرف الثاني كان محباً للعلم،مهتما بالعلماء،فاهتم بتزويد مدرسته وخزانة الكتب بها بنفائس الكتب في كل فن،ومما يؤثر في هذا الصدد واهتمام الأشرف بالمصنفات العلمية وإثابة العلماء على مصنفاتهم ما روته المصادر عن الاحتفال بفراغ الفقيه جمال الدين الريمي(ت٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م)من تأليف كتابه الموسوم"بالتفقيه في شرح التنبيه"في ٢٤ مجلدا،فحمل هذا المصنف في غرة ذي الحجة ٧٨٨ هـ/٢٤ديسمبر١٣٨٦م إلي الملك الأشرف مزفوفا بالطبلخاناه موضوعا في أطباق من الفضة،ملفوفاً بأثواب الحرير والديباج،من دار المصنف إلي مقر السلطان،وسار العلماء والقضاه والأمراء بين يديه،فأجازه السلطان باثني عشر ألف دينار(٤٨ألف درهم)"إعظاما للعلم ورفعا لدرجته إذ هو بركة الدنيا والآخرة"[٦] .

---

(١) أنظر :*نص الوقفية* ، ق ١٥ - ١٦ .

(٢) أنظر :*نص الوقفية* ، ق ١٥ .

(٣) أنظر :*نص الوقفية* ، ق ١٥ .

(٤) أنظر :*نص الوقفية* ، ق ١٤ ، ١٦ .

(٥) أنظر :*نص الوقفية* ، ق ٢ ، ٣ .

(٦) الخزرجي :*العقود* ، ج٢ / ١٦٠ ؛ ابن الديبع :*الفضل المزيد* ، ص ١٠٤ ؛ وراجع أيضا : الأكوع :*المدارس الإسلامية* ، ص ٢٧٥ .

- *ملحقات المدرسة* : أشارت الوقفية إلي اشتمال المنشأة الأشرفية علـــى مجموعة من الملحقات عبارة عن عدة مخازن لحفظ البسط وآلات الإضاءة والبيوت المذكورة كلها كانت محيطة بالبركة من ثلاث جهات القبلة واليمين والشرق [١] .

هـ- المدرسة الظاهرية

وكانت في مدينة تعز في الجانب الشرقي منها المعـــروف حاليـــا بحافـــة الظاهرية [٢] ، إبتناها الظاهر يحيى بن الأشرف إسماعيل الرسولي (ت ٨٤٢هـــ / ١٤٣٨م) ، وذلك فيما بين عامي ٨٣٢ - ٨٣٥ هــ / ١٤٢٨ - ١٤٣١م [٣] ، وبنى فيها منارتين إحداهما بدرجتين ، ليس لها في اليمن نظير " إلا في صنعاء " [٤] ، ولنفس السلطان مدرسة أخرى في ثغر عدن كانت قائمة بـــالقرب مـــن ســـاحل البحر ، وأقام لها منارة مماثلة لمنارة مدرسته بتعز [٥] .

وعلى الرغم من دثور هذه المنشأة التعليميـــة ، إلا أن الوقفيـــة الغســـانية حفظت لنا وصفاً معمارياً دقيقاً لها ، كما أوضحت ما كانت تشتمل عليه المدرسة من مرافق ملحقة بها . ويمكن القول من خلال سطور الوقفية أن المدرسة كانـــت تتكون من صحن أوسط مكشوف تحف به من الأركان الأربعة أربعة أروقة . أمـــا بيت الصلاة ، فيتكون من مستطيل يمتد من الشرق إلي الغرب وينقسم إلي ثلاثـــة أقسام متساوية ، يسقف القسم الأوسط في جزء منه بقبة كبيرة محمولة على أربعة عقود ، موزعة بواقع عقدين في كل جانب ، أما البلاطة الوسطى مـــن الجـــانبين

---

(١) أنظر : *نص الوقفية* ، ق ٣ .

(٢) الخزرجي : *العسجد* ، ق ٢٩٥ ؛ ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٣٩٨ ؛ يحيى بن الحسين : *أنباء الزمن* ، ق ١٠٢ ؛ الأكوع : *المدارس الإسلامية* ، ص ٢٩٦ .

(٣) نلاحظ أن الوقفية مؤرخة بعام ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨ م ، بينما يجعل ابن الديبع تاريخ ابتداء عمارتها عام ٨٣٥ هـ / ١٤٣١ م مما يجعلنا نقول بأن ابتداء عمارة المدرسة كان في عام ٨٣٢ هـ وتاريخ الفراغ منها هو عام ٨٣٥ هـ(راجع *نص الوقفية*، ق ٤٢ ؛ ابن الديبع : *الفضل المزيد* ، ص ١١٢) .

(٤) ابن الديبع : *الفضل المزيد* ، ص ١١٢ .

(٥) الخزرجي : *العسجد* ، ق ٢٩٦ ؛ ابن الديبع : *الفضل المزيد* ، ص ١١٢ وكانت المدرسة قائمة حتى عام ١٠٠٢ هـ / ١٥٩٣ م حيث تم تجديدها على يد الوالي العثماني آنذاك ويدعى حسين باشا ، وظلت إحدى المنارتين قائمة حتى عام ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م ، ثم تهدمت في وقت لاحق ، ويعزى الأكوع سبب خراب المدرسة إلي الحامية العسكرية بالمدينة التي اتخذت من أسفل المدرسة مخزنا للسلاح ، وتم تفجيره بواسطة أحد أمناء المخازن عقب اكتشاف اختلاسه لبعض محتوياته من السلاح، مما أدى إلي تصدع أركان المدرسة ، وانهيارها (راجع : الأكوع : *المدارس الإسلامية* ، ص ٢٩٦- ٢٩٧ وهـ ٣) .

فيكتنفها بلاطاتان سقفت كل منهما بأربع قباب صغيرة محمولة بدورها على عقود. ويتقدم هذا الإيوان مجاز مستعرض مغطى بجملون ، تقوم في طرفيه قبتان صغيرتان ، وكان يتصدر البلاط الأوسط عند تعامده على جدار القبلة محراب مجوف ، حيث تقول الوقفية ما نصه " وصورة بنيانها قبة كبيرة محمولة على أربعة عقود ، فيها المحراب ، ويحفها أربع قبب شرقية ، وأربع قبب غربية ، ومحمولة على عقود أيضا " [١] .

ويكتنف الصحن من الجهتين الشرقية والغربية رواقان يشرف كل منهما على الصحن المكشوف من خلال بائكة تتكون من ثلاثة عقود ، ويغطى كل رواق منها طبقا لنص الوقفية سقف جملون [٢] . ويحد الصحن من الجهة الجنوبية ظلة متماثلة معمارياً من حيث الواجهة مع واجهة إيوان القبلة ، وشيد من الجانبين قبتان صغيرتان [٣] .

وتذكر المصادر أن المدرسة الظاهرية كانت مزودة بمئذنتين تنتصبان في الجانبين الشرقي والغربي بمؤخرة المدرسة [٤] .

ويلاحظ من خلال نصوص الوقفية أن المدرسة كانت تشتمل على تسعة مداخل وزعت بالتساوى على الجهات الشرقية والغربية والجنوبية ، كما ألحق المعمار بالمدرسة الظاهرية عدة مرافق هامة مكملة لوظيفة المنشأة متمثلة في مكتبة مخصصة لحفظ الكتب [٥] ، ومكتب " معلامة " لتعليم الأيتام [٦] ، كما ألحق بالجهة الشرقية عدة ملاحق مائية تشمل فسقية صغيرة ، وبركة كبيرة يحفها من الجانب الشرقي " ستة بيوت مطاهير ومن القبلى بيتين ، ومغتسل ، ومن اليمين بيتين ومغتسل وقبة وسقاية صغيرة يشرب منها الماء " [٧] . كذلك ألحق الواقف بالمدرسة تربة حدد موضعها بأسفل المجلسين الغربي والشرقي " [٨] .

---

[١] أنظر : *نص الوقفية* ، ق ٢٢ . وراجع الملحق رقم (٦) في نهاية الكتاب .
[٢] أنظر : *نص الوقفية* ، ق ٢٣ .
[٣] أنظر : *نص الوقفية* ، ق ٢٣ .
[٤] أنظر : *نص الوقفية* ، ق ٢٣ .
[٥] أنظر : *نص الوقفية* ، ق ٢٣ .
[٦] أنظر : *نص الوقفية* ، ق ٢٣ .
[٧] أنظر : *نص الوقفية* ، ق ٢٣ — ٢٤ .
[٨] أنظر : *نص الوقفية* ، ق ٢٤ — ٢٥ .

أما مكان المعلامة الخاصة بجماعة الأيتام المرتبين فجعل موضعها في "الإيوانين الشرقى والغربى في دهليز الباب اليمانى " [١] ، واتخذ الجملونان الموجودان بإزاء المنارتين مكانا لمبيت المتعلمين [٢] .

وكذلك خصص المجلسان الشرقى والغربى المخصصان لتدريس الحديث والفقه للإرتفاق ليلا ونهارا بالنوم ونحوه [٣] . أما المخازن المخصصة للبسط والفرش فكان موضعها القبة الكائنة غربى المنارة الغربية [٤] .

أما بالنسبة لمناهج الدراسة فقد قرر الواقف لمدرسته درسا في الفقه على مذهب الإمام الشافعى [٥] ، ورتب له عشرة من الطلبة " يقرئهم العلم الشريف ويقرأون عليه كل يوم " وكان عليه أن يقرئ بعد ذلك من شاء من المتطوعين [٦] . كما قرر أيضا درسا في الحديث النبوى ورتب له مدرسا وخمسة من الطلاب ، بالاضافة إلي من شاء من المتطوعين ، ودرسا ثالثا في القراءات رتب له مقرئا عارفا بأنواع علوم القراءات وخمسة من الطلاب يشتغلون عليه في الفن المذكور [٧] ، ودرس رابع في النحو يقوم فيه المدرس النحوى بتدريس النحو وأصوله وفروعه لجميع الطلاب المتقدم ذكرهم " ليصلح من ألسنتهم ركيكها ويجلوا عن صدورهم شكوكها عارفا باللغة بارعا فيها " [٨] .

وكان يعمل بالمدرسة من بين المرتبين حافظ للكتب مهمته حفظ الكتب الموقوفة بها على طلبة العلم الشريف " لا يمنعها مستحقها ولا يعطيها غير مستحقها، فإذا طلب الطالب كتابا أعاره وقدر له مدة يعلم إنقضاء الحاجة من الكتب فيها ، ثم يطلبه منه عند إنقضاء المدة ويفتقدها عن الآفات التى تعرض للكتب " كالعث " والأرضة ونزول الماء وغير ذلك [٩] .

---

[١] انظر :*نص الوقفية* ، ق ٢٥ .
[٢] انظر :*نص الوقفية* ، ق ٢٥ .
[٣] انظر :*نص الوقفية* ، ق ٢٤ .
[٤] انظر :*نص الوقفية* ، ق ٢٥ .
[٥] انظر :*نص الوقفية* ، ق ٣٩ .
[٦] انظر :*نص الوقفية* ، ق ٣٩ .
[٧] انظر :*نص الوقفية* ، ق ٣٩ .
[٨] انظر :*نص الوقفية* ، ق ٣٩ – ٤٠ .
[٩] انظر :*نص الوقفية* ، ق ٤٠ .

وعين الواقف أيضا من بين جملة المرتبين بالمسجد والمدرسة ، إماماً ومؤذنين ملازمين على الآذان والإقامة...قائمين مع الإمـام في سـائر الصـلوات المفروضـة والمسنونة[١]،وقيمين"يتوليان تنظيف المسجد وسائر المدرسة المذكورة ورحابها...وفرش ما يحتاج إلي فرشه،وتنظيف البركة والفسقية والأحواض ومواضع الماء...مـن الطحلـب والتراب المجتمع فيها المغير للماء،وإشعال المصابيح والشـماع في المسـجد...وإشـعال القناديل والشماع في المدرسة...ويتوليان أيضا حفظ آلة المدرسة المعدة لها من البسـط والحصر والقناديل والأسقية ونحو ذلك وتنظيف المطاهير [٢] .

كذلك أفرد الواقف لكل واحد من هؤلاء المرتبين بدءاً من النائـب والنـاظر وانتهاء بالطلاب راتباً شهرياً عينياً يقوم بكفايتهم [٣] ، وما زاد من متحصلات الوقـف يقوم الناظر ببيعه وتسلم ثمنه نقداً ويرصده لإصلاح ما يتشعث من المدرسـة ومـا زاد يصرف لإطعام الفقراء والمساكين " لكل نفر كفاية يومه خبزاً " [٤] .

و- المدرسة العباسية

أقيمت هذه المدرسة في نجد راحة الشريف من مدينة تعز[٥]،ابتناها العباس بن على بن رسول[٦].ويمكن الوقوف من خلال الوقفية على تخطيط افتراضـي لبنائهـا الـذى كانـت عليه،ويبدو أن هذه المنشأة كانت تضم مسجدا له جناحين[٧].وتشير الوقفية إلي وجود مجلسين في هذه المدرسة،أحدهما شرقي خصص لتدريس الحديث النبوى،والآخر غربي خصص لتدريس الفقه الشافعي،وكان يعلو هذا المجلس الغربي قبة اتخـذت خزانـة للكتـب وسـائر آلات المدرسة[٨]. وتشير الوقفية إلي موضع التربة من البناء فتحدده ببـاطن قاعـة المدرسـة وظاهرها لوضع شواهد القبور[٩] .

---

(١) انظر :*نص الوقفية* ، ق ٣٩ .
(٢) انظر :*نص الوقفية* ، ق ٣٩ .
(٣) انظر :*نص الوقفية* ، ق ٤٠ .
(٤) انظر :*نص الوقفية* ، ق ٤٠ – ٤١ .
(٥) انظر :*نص الوقفية* ؛ الأكوع :*المدارس* ، ص ٢٤٨ .
(٦) انظر :*نص الوقفية* ، ق ٩٧ . ونلاحظ على هامش ذات الورقة عبارة تفيد بسقوط ترجمة الواقف من أول الوقفية ، وإن كان يتضح من خلال سطور الوقفية الأخرى أن الواقف أحد سلاطين بنى رسول حيث تشير السطور كلما جاء ذكر الواقف عبارة " خلد الله ملكه " ، ومن المعروف أن الوحيد من بين سلاطين بنى رسول الذى حمل اسم العباس هو الملك الأفضل الرسولي (ت ٧٧٨ هـ / ١٣٧٦ م) ، مما يرجح معه نسبة المدرسة إليه . (راجع :*نص الوقفية* ، ق ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٠٦) .
(٧) انظر :*نص الوقفية* ، ق ٩٧ .
(٨) انظر :*نص الوقفية* ، ق ٩٧ .
(٩) انظر :*نص الوقفية* ، ق ٩٧ .

كذلك اشتملت المدرسة على مجموعة من الملحقات المائية من بركة ومطاهير ومغتسلات وأحواض ، وكانت هذه المرافق تزود بالماء عن طريق ساقية ملحقة بالمنشأة خصص للإشراف عليها قيم يتولى أمرها [١] .

واشتملت المدرسة أيضا على مئذنة يرتقي إليها المؤذن للآذان والتسبيح[٢]، كما كانت تشتمل على مجموعة من الأروقة الفاصلة بين وحدات المنشأة من الداخل ، استخدم بعضها للتدريس ، مثال ذلك المجاز اليمانى (الجنوبى) واشتمل على دكة مستطيلة استخدمت لتعليم القرآن الكريم لجماعة الأيتام وسواهم من المتعلمين [٣] ، كما استخدمت عقود الرواق الغربي داراً للمضيف وخانقاه للمتصوفة والمنقطعين للتعبد [٤] مما يشير من ناحية أخرى إلي عدم تخصيص الواقف وحدات مستقلة بمنشآته للقيام بوظيفتها كخانقاه أو داراً للمضيف ، وربما يرجع ذلك لصغر حجم المنشأة على سبيل المثال [٥] .

كذلك يمكن القول من خلال ما أوردته الوقفية أن الوظائف التى رتبت بها كانت تشابه غيرها من الوظائف التى رتبت في المدارس الأخرى التى أشرنا إليها إذ قرر الواقف لهذه المنشأة عدة وظائف منها ما يختص بالمسجد والصلاة ، ومنها ما يتصل بالتدريس وتعليم الأيتام ، ومنها ما يتصل بالخانقاه والمتصوفة .

- ***وظائف المسجد والصلاة :*** رتب الواقف بمدرسته إماماً يصلى بالناس الصلوات الخمس في أوقاتها والرغايب والتراويح ، وليلة النصف من شعبان والخسوف والكسوف واشترط فيمن يشغل هذه الوظيفة أن يكون حافظا "للقرآن الكريم عن ظهر قلب ، جيد [القراءة] ، حسن الصوت " [٦] ، كما اشترط عليه مراعاة وقت الفضيلة من أوقات الصلوات الخمس والمواظبة عليها ، وتجنب ما تكرهه الجماعة ، وقيام شهر رمضان العظيم بالتراويح والتخفيف بالجماعة عملا بوصية الرسول " صلعم " [إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فإن فيهم السقيم

---

[١] أنظر :*نص الوقفية* ، ص ٩٧ ، ١٠٣ .
[٢] أنظر :*نص الوقفية* ، ق ٩٧ .
[٣] أنظر :*نص الوقفية* ، ق ٩٧ .
[٤] أنظر :*نص الوقفية* ، ق ٩٧ .
[٥] أنظر :*نص الوقفية* ، ق ٩٧ .
[٦] أنظر :*نص الوقفية* ، ق ١٠٢ .

والضعيف وذا الحاجة] [١] . وقرر له نظير القيام بهذه الوظيفة راتباً شهرياً قدره "أربعون زبديا بالزبدى التعزى القديم من الحبوب المقتاتة " [٢] .

ومن الوظائف المتعلقة بالصلاة أيضا وظيفة"المؤذن"،حيث أوقف الواقف لمسجده مؤذناً ملازماً للآذان والإقامة في المدرسة المذكورة في أوقات الصلوات الخمس المفروضة،واشترط عليه أن يحافظ على الآذان في أوقاته وأن يكون حسن الصوت وأن يقوم مع الإمام في سائر الصلوات المسنونة [٣] ، واشترط عليه أيضاً ملازمة الأوقات الخمسة والإعلام بدخول الوقت والصلوات والآذان الشرعى والإقامة بأمر الإمام والتسبيح ليلاً بالمنارة في المدرسة المذكورة أو سطحها في الأسبوع مرتين ليلة الجمعة وليلة الاثنين،والقيام بالتراويح والرغايب والنصف من شعبان مع الإمام حسب ما جرت عليه العادة[٤]،وحدد راتبه المقرر شهرياً بعشرين زبدياً[٥].

كما عين الواقف قيِّما يتولى تنظيف المسجد المذكور وسائر أماكنه من الداخل والخارج والمطاهير والبركة والميضأة ، وإيقاد المصابيح بالمسجد والجناحين[٦] ، وحدد له راتباً شهرياً نظير القيام بمهام وظيفته على الصفة المذكورة قدره " عشرون زبدياً " [٧] .

– *وظائف التدريس :* نستنتج من نصوص الوقفية أن الواقف خصص مدرسته لأصحاب المذهب الشافعي ، وقرر بها درساً للفقه على هذا المذهب (أصولاً وفروعاً) حدد موضعه بالمجلس الغربي من المدرسة ، ورتب له مدرساً ، وأتاح له أن ينتقل بطلابه للتدريس لهم في أى موضع يشاء من المدرسة ، علاوة على المجلس المحدد لهم [٨] ، كما اشترط عليه أن يعقد للمتطوعين درساً خاصاً بهم بعد الانتهاء من الدرس الأساسى المقرر للطلاب المرتبين [٩] . كما اشترط عليه

---

(١) انظر :نص الوقفية ، ق ١٠٥ .
(٢) انظر :نص الوقفية ، ق ١٠٤ .
(٣) انظر :نص الوقفية ، ق ١٠٢.
(٤) انظر :نص الوقفية ، ق ١٠٥ .
(٥) انظر :نص الوقفية ، ق ١٠٤ .
(٦) انظر :نص الوقفية ، ق ١٠٢ – ١٠٣ .
(٧) انظر :نص الوقفية ، ق ١٠٤ .
(٨) انظر :نص الوقفية ، ق ٩٧ .
(٩) انظر :نص الوقفية ، ق ١٠٣ .

شروطا تضمن قيامه بمهام وظيفته على النحو الأكمل ، منها أن يقوم بإقراء " الطلبة الدرس والبحث والمطالعة والاجتهاد " ، وإذا ما تبين تقصير أحد الطلاب في خلال المدة المتاحة له وهي خمس سنوات ، جاز للناظر فصله وإلحاق غيره عوضه ، ويتم ذلك عن طريق متابعة المدرس لطلابه ، ورفع تقرير بذلك إلى الناظر ، يوضح فيه أمر المتخلف منهم في التحصيل والاستيعاب ليستبدله الناظر بغيره [1] .

وتمثل هذه المتابعة وتحديد مدة الدراسة كشرط لاستمرار الطالب مرتباً في المدرسة دافعاً للطلاب لبذل الجهد في التحصيل والاستيعاب حتى ينعموا بمواصلة الدراسة ، ويدل من ناحية أخرى على اهتمام المشرفين على المدرسة برفع المستوى التعليمي للطلاب ، أما الراتب الذى حدده الواقف لمدرس الفقه فهو " مائتا زبدى" غرة كل شهر [2] .

وعين الواقف معيداً يساعد مدرس الفقه في أداء مهام وظيفته ، من ذلك إعانة الطلاب على استذكار دروسهم والبحث معهم توطئة للدرس [3] ، واشترط الواقف عليه إقراء الطلبة ومذاكرتهم ، واختبار قدراتهم من الفهم وعرض رأيه ورأيهم على الفقيه المدرس [4] .

أما بالنسبة للطلاب الذين رتبهم الواقف لدراسة الفقه على المذهب الشافعي ، فقد حددت الوقفية عددهم بعشرة طلاب مرتبين ، وقرر لهم الواقف راتباً شهرياً قدره عشرون زبدياً لكل واحد منهم [5] . كذلك قرر الواقف درساً للحديث النبوى في مدرسته وحدد موضعه بالإيوان الشرقى من المدرسة [6] .

ونلاحظ أن هذا الإيوان الشرقى كان يستخدم لعقد درس الحديث في الأوقات المخصصة للدراسة ، كما كان يستغل كمكان للنوم سواء للطلاب المرتبين أو غيرهم من المتطوعين في غير أوقات الدرس ، الأمر الذى يوضح أن

---

(1) أنظر : *نصن الوقفية* ، ق ١٠٥ .
(2) أنظر : *نصن الوقفية* ، ق ١٠٤ .
(3) أنظر : *نصن الوقفية* ، ق ١٠٣ .
(4) أنظر : *نصن الوقفية* ، ق ١٠٣ وكان على مدرس الفقه وطلبته المشتغلين عليه قراءة القرآن الكريم وسماع الحديث الشريف وإسماعه عليه عوضا عن قراءة الفقه ودرسه في شهر رمضان المعظم ، ويعقبون القراءة وإسماع الحديث الدعاء للواقف (راجع : *نصن الوقفية* ، ق ١٠٦) .
(5) أنظر : *نصن الوقفية* ، ق ١٠٣ – ١٠٤ .
(6) أنظر : *نصن الوقفية* ، ق ٩٧ .

الواقف لم يخصص بمدرسته أماكن مستقلة لإقامة الطلاب، واكتفى باستخدام هذا المجلس لتلك الأغراض من إقامة ونوم في الأوقات الخالية من الدروس .

ومن ثم فقد رتب الواقف مدرساً للحديث يقوم على تـدريس الحـديث النبوى الشريف وتفسيره ، مهمته الوعظ وإلقاء الرقائق وهي الأحاديث التي ترقـق قلوب المسلمين ، وتعمد إلي إزالة الغلظة من نفوسهم ، كما أبدى الواقف اهتماما واضحا بدروس اللغة والنحو ، حرصاً منه على استقامة ألسنة الطـلاب ، ولكـى يتمكنوا عن طريق إجادتهم اللغة والبيان أن يسـتوعبوا الـدروس الـتى يتلقونهـا وتساعدهم على قراءة الأحاديث وفهم شروحها التي يلقيها المدرس [١] .

واشترط الواقف على مدرس الحديث القيام بوظيفته وبذل كل ما بوسعه لتعليم الطلبة والإقراء والقراءة في كل يوم من الحديث والتفسير والوعظ والرقائق ، ويعقب بمجلس الحديث ما تيسر من القرآن الكريم والدعاء للمنعم المتصدق والواقف المتقدم الذكر [٢] .

وهكذا وضحت لنا الوقفية المنهج المتبع في درس الحديث،حيث يبدأ يوميا بقراءة الحديث وتفسيره،ثم يختتم الدرس بقراءة ما تيسر من القرآن الكريم،وعقـب الانتهاء من ذلك يتم الدعاء لصاحب المنشأة الذى حدد راتبـاً شـهرياً لمـدرس الحديث قدره مائة زبدى[٣].أما طلاب الحديث النبوى المرتبين فقد حددت الوقفية عددهم بخمسة طلاب،واشترطت أن يكون لأحدهم معرفة دقيقة باللغـة والنحـو ليساعد المدرس على قراءة الحديث الشريف أثناء الدرس[٤]،واشترطت الوقفية على طلبة الحديث الإجادة الكاملة في"تحصيله وضبط الحديث وفهم معانيه،وتجويد سنده[٥]" .

وقرر الواقف لكل طالب من طلاب الحديث المرتبين عشرين زبدياً راتبـاً شهريا فيما عدا الطالب الخامس الذى اشترط فيه إجادة اللغة والنحو ، ليتولى قراءة

---

(١) أنظر :*نص الوقفية* ، ق ١٠٣ .
(٢) أنظر :*نص الوقفية* ، ق ١٠٥ .
(٣) أنظر :*نص الوقفية* ، ق ١٠٤ .
(٤) تنص الوقفية على ذلك بما نصه " على خمسة طلبة يشتغلون عليه في الحديث النبوى والتفسير والوعظ والرقايق اسماعا واستماعا ، وفي النحو واللغة يفضل أحدهم بمزيد من التفقه بشرط إتصافه بإسماع الحديث النبوى .... " راجع :*نص الوقفية* ، ق ١٠٣ .
(٥) أنظر :*نص الوقفية* ، ق ١٠٥ .

الحديث للمدرس ، فقد قرر له الواقف نظير ذلك راتبا شهريا قدره ثلاثون زبدياً[١] أى بزيادة عشرة أزبد عن أقرانه نظير إجادته لناصية البيان ومساعدته للمدرس بقراءة الأحاديث أثناء الدرس . كذلك أتاح الواقف لمدرس الحديث أن يقرأ الحديث لمن شاء من المتطوعين بعد الانتهاء من الدرس الأصلي [٢] .

كما اهتم الواقف أيضا– كجارى العادة– بأيتام المسلمين وتعليمهم فخصص لهم معلامة بالمدرسة موضعها"الدكة المستطيلة بالمجاز اليماني"[٣]،ورتب لهم معلماً يتولى تدريس القرآن الكريم لهم تلقيناً وخطاً ولغيرهم ممن يشاء من الراغبين في حفظ القرآن الكريم[٤]،وكان على معلم الأيتام أن يقوم بتعليمهم القرآن الكريم في سائر الأيام باستثناء عطلات الجمع والأعياد أو لعذر ظاهر بين بشرط الاستنابة [٥] وذلك حتى يستمر الدرس والتحصيل على أكمل وجه ولا يتعطل .

وقرر الواقف له راتباً بدوره حددته الوقفية بأربعين زبدياً،أما الأيتام المرتبين وعددهم خمسة عشر يتيماً فقد قرر الواقف لكل منهم عشرة أزْبُد شهرياً [٦].

– *الخانقاه :* اشتملت المدرسة العباسية على خانقاه أوقفها مؤسس المدرسة على المريدين من المتصوفة والصادرين والواردين للمدرسة [٧] . ورتب الواقف لتلك الخانقاه شيخاً من المتصوفين المتصفين بسمت أهل الصوفية [٨] واشترط عليه الاستقامة على سنن طريقته من مراعاة التنسك والتبتل والانقطاع إلي الله عز وجل [٩] ، كما اشترط عليه صرف ما تقرر للصادر والوارد والفقراء " على حسب وسعهم من غير ضجر ولا ملل ولا تكلف " [١٠] واشترط عليه أيضا أن يتلقى عهداً من السالكين وجماعة أتباعه أن لا يعترى الخانقاه المذكورة ، قبيح بدعه

---

[١] أنظر :*نص الوقفية* ، ق ١٠٤
[٢] أنظر :*نص الوقفية* ، ق ١٠٣ .
[٣] أنظر :*نص الوقفية* ، ق ٩٧ .
[٤] أنظر :*نص الوقفية* ، ق ٩٧ .
[٥] أنظر :*نص الوقفية* ، ق ١٠٣ .
[٦] أنظر :*نص الوقفية* ، ق ١٠٤ .
[٧] أنظر :*نص الوقفية* ، ص ٩٧ .
[٨] أنظر :*نص الوقفية* ، ص ١٠٣ .
[٩] أنظر : *نص الوقفية* ، ق ١٠٥ .
[١٠] نظر :*نص الوقفية* ، ق ١٠٥ ، وقرر الواقف مبلغ مائة دينار شهريا لإطعام الواردين بالخانقاه كل يوم ثلاثة دنانير وثلث دينار (راجع :*نص الوقفية* ، ق ١٠٤) .

ولا لهو أو دف بجلاجل وغيره [١] ،وخصص الواقف له راتباً شهرياً قدره (عشرون ديناراً من النقد ومن الغلة ستون زبديا [٢] ، كما كان يصرف له مائة دينار سنوياً كل دينار أربعة دراهم مصرية على صفتها وتعيينها وذلك برسم كسوته [٣] .

أما المريدون فقد رتب الواقف بالخانقاه عشرة من المريــدين الســالكين المنقطعين يفضل أحدهم بمزيد من النفقة بشرط اتصافه بحقيقة الفقراء والــواردين والقيام على إطعام الطعام بالمعروف [٤] .حيث يشير نص الوقفيــة إلي إختصــاص واحد من العشرة بمباشرة أمور المتصوفة مع شيخ الخانقاه ومساعدته في إطعــامهم وخدمتهم ، واشترط الواقف على هؤلاء الأتباع التأسى بهدى شيخهم والاســتنان بسنته [٥] . هذا وقرر الواقف راتباً شهرياً لكل واحد منهم مقداره خمســة عشــر زبديا ، واختص عاشرهم وهو " المتصف بحقيقة الفقــراء والــواردين " والقــائم بخدمتهم وإطعامهم بعشرين زبدياً راتباً شهرياً [٦] .

- *وظائف الخدمة والإدارة* :رتب الواقف قيمين"يتوليان تنظيف المسجد المذكور[وجناحيه]المذكورين وسائر أماكنه المذكورة وفرش ما يحتاج فرشــه وتنظيــف البركة والفسقية من الطحلب " وتنظيف الجدران "ومواضع الماء في المدرسة المذكورة من الطحلب والتراب المجتمع فيها المغير للماء وإشعال المصابيح في المسجد والجناحين وسائر الأماكن التي تحتاج للاستصباح في الأوقات التي جرت العادة للاستصباح فيها كالعشاء وصلاة الصبح وإيقاد القناديل والشموع في المدرسة المذكورة داخلها وخارجها في ليلة الختمة من شهر رمضان الكريم كجارى عادة المدارس في تلك الليلــة ، ويتوليــان حفظ عدد المدرسة من البسط والحصــر والفــرش والقناديــل والســقاء وســوى ذلك،وتنظيف المطاهير وأمكنة قضاء الحاجة وإزالة النجاســة المائعــة والراكــدة الموجودة في ظاهر ذلك [٧] .

---

(١) أنظر :*نص الوقفية* ، ق ١٠٥ .
(٢) أنظر :*نص الوقفية* ، ق ١٠٤ .
(٣) أنظر :*نص الوقفية* ، ق ١٠٤ .
(٤) أنظر :*نص الوقفية* ، ق ١٠٣ .
(٥) أنظر :*نص الوقفية* ، ق ١٠٥ .
(٦) أنظر :*نص الوقفية* ، ق ١٠٤ .
(٧) أنظر :*نص الوقفية* ، ق ١٠٢ ـ ١٠٣ .

ومن المعروف أن عدد القناديل والمصابيح والشموع المضاءة كـــان يزيـــد طبقا لنصوص الوقفيات التي تعرضنا لها خلال شهر رمضان المعظم وبخاصـــة ليلـــة ختم القرآن،وكذلك في ليالي الرجبية والنصف من شعبان احتفالا بهذه المناسـبات الدينية ، ولذا نجد الواقف يخصص المال اللازم لشراء دهن الاستصـــباح والشـــمع حسب الحاجة إليه [١] ، كذلك خصص الواقف ما يلزم من المال لكـــي يصـــرفه الناظر في شراء ما تحتاجه المنشأة من فرش وعدد الإصلاح والتنظيف ممـــا يضـــمن استمرار قيام المنشأة بوظيفتها [٢] .

وحدد الواقف راتبا لكل قيم منهما نظير أداء الوظيفة كما هو منصـــوص عليها،وهو عشرون زبديا[٣]،كذلك رتب الواقف فيما يعمل على تزويد المنشـــأة بحاجتها من الماء اللازم للوضوء والشرب والتطهر وذلك مـــن الســـاقية الملحقـــة بالمدرسة،وعرف هذا الموظف بقيم الساقية لتوليه"مباشرتها في كل وقت وإجراء الماء وإزالة ما يمنعه عن الجريان"[٤]،وقرر له هو الآخر راتباً شهرياً قدره"عشرة أزبد"[٥] .

أما بالنسبة لإدارة المنشأة فقد رتب الواقف عليها ناظراً يتولى مباشرة جميع شئونها والصرف على مصالحها من ريع الأحباس الموقوفة عليها ، ويعـــرف هـــذا الموظف بناظر الوقف ، من مهامه تبصير نائب الوقف بما يتوجـــب عمارتـــه ممـــا تشعث من مباني الوقف ، حتى يتم إصلاحه بما يعود بالنفع من جراء عمارتـــه[٦] . كذلك رتب الواقف موظفا آخر مهمته تحصيل ريع الأوقاف وصـــرفها في أوجـــه الإنفاق المختلفة وفقا لما يراه الناظر ، ويطلق على هذا الموظف اســـم " النائـــب " واشترط فيه أن يكون " كافيا أمينا يباشر الأرض المذكورة "الموقوفة " ويؤجرهـــا بأجرة مثلها وتحصيل غلالها ويسوق حواصلها ويعمر الأرض المذكورة والمدرســـة المذكورة وأماكنها الموصوفة عند الحاجة إلي ذلك " [٧] ، ويصرف ما بقى من ريع

---

(١) انظر :*نص الوقفية* ، ق ١٠٤ .
(٢) انظر :*نص الوقفية* ، ق ١٠٤ .
(٣) انظر :*نص الوقفية* ، ق ١٠٤ .
(٤) انظر :*نص الوقفية* ، ق ١٠٦ .
(٥) انظر :*نص الوقفية* ، ق ١٠٢ .
(٦) انظر :*نص الوقفية* ، ق ١٠٣ – ١٠٤ .
(٧) انظر :*نص الوقفية* ، ق ١٠٢ .

الوقف على جملة المرتبين بالمنشأة ، وحدد الواقف له راتبا شهريا قدره ستون زبديا[١] نظير قيامه بمهام هذه الوظيفة التي من شأنها عند القيام بها على أكمل وجه أن تعين المنشأة على أداء رسالتها ومواصلة أدائها لمهمتها ما دامت العناية بها وبأحباسها دائمة ومكفولة .

ز- أشهر المدارس التي أقامتها النساء :

كذلك قامت المرأة في العهد موضوع الدراسة لاسيما الفترة الرسولية منه بدور بارز وملموس في تشييد المآثر الدينية وبخاصة المدارس ، وتحفل المصادر المختلفة بالعديد من الإشارات التي تدل على مساهمة المرأة الرسولية إلي جانب الرجال من سلاطين بني رسول والأمراء وأعيان الدولة في بناء المدارس . وكانت الواحدة منها تعد بمثابة مجمع علمي متكامل يضم المسجد والخانقاه وحلقات الدرس وخزائن الكتب ومكاتب لتحفيظ القرآن ، علاوة على المدافن التي كانت تضم عادة رفات مؤسسيها ومن يتوفى من ذراريهم ، بالإضافة إلي عدة ملحقات خيرية أخرى تتمثل في الأسبلة وأحواض المياه لسقيا الناس والدواب ، ومن أشهر المدارس التي شيدتها المرأة في ذلك العصر :

- *المدرسة المعتبية :* تقع هذه المدرسة وفقاً للخزرجي في الواسطة من مدينة تعز [٢] ، وتحدد الوقفية الغسانية المكان بصورة أدق فتذكر أن موضعها في سفل السراجية من نواحي مدينة تعز [٣] ، أمرت بتشييدها الجهة الكريمة جهة الطواشي الأجل جمال الدين معتب الأشرفي [٤] . وقد وقفت عليها إماماً ومؤذناً وقيماً ومدرساً وطلبة ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن ، ولا زالت هذه المدرسة قائمة حتى اليوم [٥] .

---

(١) انظر : *نص الوقفية* ، ق ١٠٤ .

(٢) الخزرجي : *العقود* ، ج٢ / ٢٠٩ .

(٣) انظر : *نص الوقفية* ، ق ٤٤ .

(٤) وهي زوج الملك الأشرف الثاني وأم اولاده الأربعة عبد الرحمن الفائز واحمد الناصر ، والعباس الأفضل وعلى المجاهد ، وتوفيت عام ٧٩٦ هـ / ١٣٩٣ م ، وكانت كثيرة البر والصدقات (راجع : الخزرجي ، *الكفاية* ، ق ٢١٩ - ٢٢٠ ، *العقود* ، ج٢ / ٢٠٩ - ٢١٠ ، *العسجد* ، ق ٢٧٤ ؛ ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٣٨٢) .

(٥) الخزرجي : *العقود* ، ج٢ / ٢١٠ ، *الكفاية* ، ق ٢٢٠ ، *العسجد* ، ق ٢٧٤ ؛ الأكوع : *نفسه* ، ص ٢٨٤ .

ومن خلال المخطط الأفقي للمدرسة المعتبية [١] ، وكذلك سطور الوقفية الغسانية الخاصة بتلك المدرسة ، يمكن القول بأن المدرسة كانت تتخذ شكل مستطيل يمتد من الشمال إلي الجنوب ، وكان بيت الصلاة يزيد في الارتفاع عن مؤخرة المنشأة ، وتحتوى الواجهة الشرقية للمدرسة على كتلتين رئيستين ، الأولى تحتوى على أربع فتحات معقودة تتشابه مع مثيلاتها في الضلع المقابل [٢] ، أما القطاع الجنوبي من امتداد الواجهة فهو أكثر بروزاً عن سمت بقية الواجهات الخارجية ، وهو يمثل الكتلة الثانية التي شغلت بقية امتداد الواجهة ، وخصصها الواقف كمرافق تخدم المدرسة [٣] .

ويتوسط بناء المدرسة صحن مربع الشكل يتقدمه من جهة الشمال بيت الصلاة ، ويكتنف ضلعيه الشرقي والغربي إيوانان ، بينما يتوسط المدخل الجدار الجنوبي من المدرسة [٤] .

ونلاحظ أن فتحة المدخل تقع على محور جوفة المحراب ، إذ جعل المعمار فتحة الباب الرئيسة يتقدمها من الداخل مجموعة فتحات متتالية حتى لا يحجب رؤية المحراب عن الداخل للمسجد[٥].ويؤدى باب المدخل إلي دهليز مستعرض منقسم إلي أقسام ثلاثة،القسم الأوسط منها يتقدم الباب مباشرة وتعلوه قبة صغيرة بينما ينقسم بقية الدهليز إلي مساحتين غير متساويتين تعلو كل منهما قبوة مدببة، ويتوسط واجهة الدهليز من ناحية الشمال فتحة مستطيلة تؤدى إلي مجنبات الصحن[٦] .

ويشغل الصحن مساحة مربعة الشكل تتقدم واجهاته الشمالية والشرقية والغربية ثلاث بوائك متساوية ، أما بيت الصلاة فيقع في الجانب الشمالى من صحن المدرسة ، ويشرف على الصحن بظلة قائمة على عدد من العقود منها عقدان متطرفان شرقا وغربا ينفتح كل منهما على المجنبتين الشرقية والغربية [٧] .

---

[١] نشر الأكوع هذا المخطط في كتابه المدارس الإسلامية ، ص ٢٨٣ .
[٢] راجع : المخطط الأفقي للمدرسة .
[٣] أنظر : المخطط الأفقي للمدرسة .
[٤] أنظر : المخطط الأفقي للمدرسة .
[٥] أنظر : المخطط الأفقي للمدرسة .
[٦] أنظر : المخطط الأفقي للمدرسة .
[٧] أنظر : المخطط الأفقي للمدرسة ، وراجع :نص الوقفية ، ق ٤٥ .

ويشغل بيت الصلاة مسطحاً فسيحاً يتصدره المحراب [١] ويتألف بيت الصلاة من ثلاث بلاطات متساوية يفصل بينها صفان من العقود على جدار القبلة، وتقطع هذه البلاطات أسكوب عرضى من ثلاثة عقود [٢] ، ترتكز هذه العقود على دعامتين تتوسطان المساحة الداخلية للمسجد ، فأوجد هذا التقسيم ستة أساطين مربعة الشكل تعلوها قباب [٣] .

وينفتح في واجهة المحراب من الجانبين نافذتان هما النافذتان الثانية والثالثة من نوافذ الواجهة الشمالية ،كذلك ينفتح في كل من الجدارين الشرقى والغربى نافذتان وجميع هذه النوافذ مشبكة بالحديد ، وتنفتح النافذة الواقعة في الركن الشمالى على مساحة مربعة تعلوها قبة ، وكذلك النافذة المواجهة لها ، أما النافذتان الأخريان فتنفتح كل منهما على إيوان يكتنف الأول المسجد من الجهة الغربية والثانى يكتنفه من الجهة الشرقية [٤] .

أما الإيوان الواقع على امتداد الجانب الشرقى للمنشأة من الداخل فيشرف على الصحن من خلال ظلة تتقدمها بائكة مكونة من ثلاثة عقود تشرف على الصحن الداخلى [٥] ، وهذا الإيوان مخصص للتدريس ، وتتكون كتلة دخول المدرسة من فتحة باب مستطيلة الشكل ، ويعلوها عقد [٦] ، ويفضى المدخل إلي داخل المجنبة وتتخذ شكل مستطيل يمتد من الشمال إلي الجنوب ويفتح في صدره ثلاث دخلات [٧] .

أما الملحقات المائية فتشغل الركن الجنوبى الشرقى من الجهة الشرقية للمدرسة ويفضى إليها ثلاثة مداخل ، بحيث يمكن القول بأن مجموعة الملحقات المائية جاءت وفق هذا المخطط خارج نطاق المنشأة تقريباً [٨] . أما مداخل الملحقات المائية فأحدها يقع في نهاية الطرف الجنوبى للممر الشرقى ، بينما يقع

---

[١] راجع : *المخطط الأفقى* .
[٢] راجع : *المخطط الأفقى* .
[٣] راجع : *المخطط الأفقى* .
[٤] أنظر : *المخطط الأفقى* .
[٥] أنظر : *المخطط الأفقى*.
[٦] أنظر : *المخطط الأفقى*.
[٧] أنظر : *المخطط الأفقى*.
[٨] أنظر : *المخطط الأفقى*.

الثاني في وسط الرواق الشرقي أما الثالث فهو في نهاية الممر الجنوبي تقريبا ، وتؤدى هذه المداخل وفقا لنص الوقفية إلي بركتين أحداهما أكبر حجما [١] ، ويحيط بهما مجموعة من المطاهير [٢] لا تعدو حجرات مستطيلة [٣] .

ونلاحظ أن سطور الوقفية قد تكررت بها كلمة "المجاز " [٤]، ويبدو أن المقصود به مجموعة الممرات أو الظلات الواقعة أو الفاصلة بين الوحدات المعمارية من داخل المنشأة والتي نراها تحيط بالمسجد من ثلاث جهات،وبالصحن من جهات أربعة،كما تفصل أيضا وفقا للمخطط الأفقي بين أواوين المدرسة وكتلة الصحن [٥] .

وقد حفظت لنا الوقفية الغسانية [٦] نصاً كاملاً لبنيان المدرسة وصفته بشكل عام،كما أوردت لنا أسماء مجموعة المنشآت التي تتضمنها المدرسة وكذلك تضمنت الوقفية أسماء الأوقاف التي حبسها الواقف للصرف علي مصالح مدرسته[٧] .

وتصف الوقفية تخطيط المسجد بما يتفق مع ما أوردناه من خلال المخطط الأفقي فقد اشتمل وفقاً لنص الوقفية علي محراب وبلاطتين وقبوات ومجنبات ثلاثة من الشرق والغرب والجهة القبلية.ويتضح من نص الوقفية أن المسجد كان يتألف من بلاطتين تم تغطيتهما بستة قباب،أما الأبواب السبعة الموزعة طبقا للنص"بابان في الضلع الشرقي وبابان في الضلع الغربي،وثلاثة في الضلع الجنوبي"،لم يتبق منها وفقا للمخطط الأفقي سوى كتلة المدخل الواقع في منتصف الجانب الجنوبي المواجه للمحراب،أما باقي الأبواب فقد حولت إلي نوافذ.أما بالنسبة لتخطيط المدرسة فجاء في المخطط موافقا لنص الوقفية [٨] .

كذلك أمدتنا الوقفية بأسماء بعض المرافق التي تضمنتها المدرسة وهي المطاهير والبرك ومكتب تعليم القرآن الكريم لليتامى والمتطوعين ، والساقية [٩] .

---

[١] راجع :*نص الوقفية* ، ق ٤٥ .
[٢] أنظر :*نص الوقفية* ، ق ٤٥ .
[٣] أنظر :*المخطط الأفقي* .
[٤] أنظر :*نص الوقفية* ، ق ٤٥ .
[٥] أنظر :*المخطط الأفقي* ، والملحق رقم [٨] في آخر الكتاب .
[٦] نشر القاضي الأكوع جزءا من وصف المدرسة المعتبية في كتابه المدارس ، ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥ وهو المتعلق بوصف بنيان المدرسة دون تعليق .
[٧] أنظر :*نص الوقفية* ، ق ٥٥ .
[٨] أنظر :*نص الوقفية* ، ق ٤٦ .
[٩] أنظر :*نص الوقفية* ، ق ٤٥ ـ ٤٦ .

كما يتضح أيضا من نص الوقفية أن عمارة هذه المنشأة لم تتضمن مئذنة، حيث نصت الوقفية عند الحديث عن المؤذن والآذان ما يلى " وما يستطرق إلي ذلك جميعه والدرجة المصعود منها إلي سقف المدرسة للآذان " [١] كذلك لم تتضمن الوقفية أى إشارة إلي وجود أضرحة أو موضع مخصص كمدفن ، كما رأينا في عدد آخر من المدارس الرسولية .

وبالنسبة للوظائف المرتبة بالمدرسة المعتبية،فقد أمدتنا الوقفية بمجموعة من المرتبين بداخل المدرسة في وظائف يتعلق بعضها بالمسجد والصلاة،وبعضها الآخر بالمدرسة وما يتصل بها من حلقات التعليم والتدريس،حيث أدت المدرسة وظيفتها المزدوجة كمسجد ومدرسة . فمن المعروف وطبقا لنص الوقفية أن الجزء الواقع في المجلس القبلى بصدر المدرسة خصص مسجداً لآداء الصلاة والاعتكاف والتلاوة[٢] وقرر الواقف للمسجد عدداً من الوظائف تعينه على آداء رسالته منها وظيفة الإمام الموكل إليه إمامة المصلين في الصلوات المفروضة ، وقررت له الوقفية راتباً شهرياً عينيا قدره " أربعين زبدياً [٣] " ، ووظيفة مؤذن مهمته رفع الآذان إعلاما بدخول وقت الصلاة ، وكان يتولى رفع الآذان من سطح المدرسة وذلك لأنها كانت مجردة من المئذنة ، وقرر له الواقف راتباً شهرياً بدوره قدره " ثلاثون زبدياً " [٤] .

ولما كانت المدرسة مخصصة لتدريس الفقه الشافعى[٥]،فقد رتب الواقف مدرساً للفقه ومعيداً يساعد المدرس في التدريس للطلبة المرتبين بالمدرسة،وأتاحت الوقفية لمدرس الفقه أن يقوم بالتدريس لطلابه في أى مكان من أماكن المدرسة علاوة على المجلس الغربى الموقوف لدرس الفقه[٦].وقرر الواقف للمدرس راتباً قدره " مائتا زبدى " ، وللمعيد " خمسون زبديا " ، بينما قرر للطلاب جميعاً و لم تحدد الوقفية عددهم " مائتا زبدى " أيضا [٧] .

---

[١] أنظر :*نص الوقفية* ، ق ٤٦ .
[٢] أنظر :*نص الوقفية* ، ق ٤٦ .
[٣] أنظر :*نص الوقفية* ، ق ٥٥ .
[٤] أنظر :*نص الوقفية* ، ق ٥٥ .
[٥] أنظر :*نص الوقفية* ، ق ٤٦ .
[٦] أنظر :*نص الوقفية* ، ص ٤٦ .
[٧] أنظر :*نص الوقفية* ، ص ٥٥ .

كذلك ضمت المدرسة نشاطات تعليمية أخرى إلي جانب كونها مخصصة لدراسة الفقه الشافعي ، فقد قررت الواقفة بمدرستها درسا للحديث النبوى خصصت لقارئه راتبا شهريا قدره ثلاثون زبديا [١] .

كما رتبت الواقفة وظيفة معلم لتعليم أيتام المسلمين القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة ، ورتبت له عددا من اليتامى يتلقون العلم على يديه ، وإن لم تحدد لنا الوقفية عددهم أيضا . وقررت للمعلم راتبا قدره " أربعة أزبود " بينما قررت لليتامى مائة زبدى [٢] ، مما يشير إلي زيادة عددهم عن عشرة أيتام كما جرت العادة في نصوص وقفيات المدارس الأخرى . وجدير بالذكر أن تحفيظ القرآن الكريم لم يكن قاصرا بالمدرسة على الأيتام ، بل أتاحت الوقفية الفرصة لمن يرغب من المتطوعين من غير الأيتام في حفظ القرآن على يد ذات المعلم [٣] .

كذلك رتبت الواقفة مجموعة من القومة لوظائف الخدمة والإدارة بالمدرسة،منهم قيمان على المدرسة والساقية،وقدرت لهما الواقفة راتبا شهريا نظير قيامهما بمهام وظيفتهما،الأول ويتقاضى ثلاثين زبدياً،بينما يتقاضى قيم الساقية خمسة عشر زبدياً،كذلك رتبت نائباً للإشراف على أحباس المدرسة والإنفاق على مصالحها ، وحددت له راتباً قدره " ستين زبدياً يصرف من غلة الغراس " [٤] .

- *المدارس الياقوتية:* وعددها أربعة تحمل كل منها اسم المدرسة الياقوتية[٥] وينسب تشييدها إلي الحرة جهة الطواشي اختيار الدين ياقوت زوج الملك الظاهر يحيى بن الأشرف الرسولى [٦] ، الأولى وابنتنها بزبيد غربى الخان المجاهدى " ورتبت فيها إماماً ومدرساً ومقرئاً للسبع وغير ذلك " [٧] ، والثانية

---

(١) أنظر : *نصن الوقفية* ، ق ٥٥ .
(٢) أنظر : *نص الوقفية* ، ق ٥٥ .
(٣) أنظر : *نص الوقفية* ، ق ٤٦ .
(٤) أنظر : *نص الوقفية* ، ق ٥٥ .
(٥) جدير بالذكر أن ياقوتية حيس لم يرد اسم مشيدها أو تاريخ بنائها ، ويرجح الأكوع استنادا إلي مسماها الياقوتية أنها من بناء نفس السيدة(راجع *المدارس* ، ص ٣٠٩ ؛ البريهى : نفسه ، ص ٧٥) .
(٦) توفيت بعد عام ٨٤٠ هـ / بعد ١٤٣٦ م . راجع : السخاوى : *الضوء اللامع لأهل ق ٩* ، منشورات دار الحياة ، بيروت بدون تاريخ ، م٦ ، ج١٢ / ١٦٦ ، وان نعتها بأنها زوجة الأشرف اسماعيل بن الظاهر ، والصواب أنها زوجة الظاهر يحيى نفسه .
(٧) ابن الديبع : *الفضل المزيد* ، ص ١١٢ ولا تزال هذه المدرسة قائمة حتى اليوم (راجع : الأكوع : نفسه ، ص ٣٠٨) .

كانت قائمة بعدن بحافة الشيخ البصال ، ورتبت فيها الواقفة إماماً ومدرساً للفقه ومجموعة من طلبة العلم ، وأيتاما يتعلمون القرآن الكريم [(١)] ، والثالثة وأقيمت في مدينة حيس[(٢)]، وقد أورد البريهى ذكرها في ترجمته لأحد الفقهاء الذين قاموا بالتدريس بها وهو الفقيه رضى الدين أبو بكر بن أحمد الطيب بن أبي بكر بن أحمد بن دعسين بن مبين القرشى (ت ٨٤٢ هـ / ١٤٣٨ م) [(٣)] ، فذكر أنه " رتب مدرساً في المدرسة الياقوتية بقرية حيس [(٤)] .

أما المدرسة الياقوتية الرابعة فكانت قائمة في رباط البريهى في ذى السفال[(٥)]، وكان الساعى إلي عمارتها الفقيه جمال الدين محمد بن أبي السرور البريهى،وشخص آخر يدعى الحاج شمس الدين على بن داود الحداد،فقد أشرفا على عمارة المدرسة حتى تمت ، فلما عمرت جعلت الموقفة وهى امرأة السلطان الظاهر يحيى،النظر على المدرسة والوقف والموقوف عليها للفقيه جمال الدين[(٦)]و لم يزل على ذلك حتى وفاته عام٨٤٣ هـ/ ١٤٣٨م[(٧)] .

واشتملت الوقفية الغسانية على حجة وقف المدرسة كاملة وتحتوى الافتتاحية على اسم مؤسسة المدرسة كاملاً وموقع المدرسة،وما رتب فيها من وظائف بغرض الصلاة والتدريس[(٨)].وقد وصفت الوقفية بنيان المدرسة وتخطيطها المعمارى،ونستطيع القول من خلال ما جاء بسطور حجة الوقف أنها كانت مدرسة صغيرة المساحة ، اشتملت على مسجد وإيوان للتدريس بينهما صحن مكشوف ومقصورة بها المحراب[(٩)].

---

(١) الأكوع : المرجع السابق ، ص ٣١٠ .

(٢) البريهى :طبقات صلحاء اليمن ، ص ٢٧٥ .

(٣) جعل السخاوى تاريخ وفاته عام ٨٤٣ هـ / ١٤٣٩ م راجع :الضوء اللامع ، م٦ ، ج١١ / ١٧ – ١٨ ، وكان ابن دعسين فقيها متصوفا ، ولي قضاء موزع عدة مرات ولزم التدريس والافتاء بالياقوتية بحيس حتى توفى (أنظر : البريهى :نفسه ، ص ٢٧٤ – ٢٧٥) .

(٤) البريهى : المصدر السابق ، ص ٢٧٥ .

(٥) البريهى :المصدر السابق ، ص ١٤٣ ؛الأكوع : المرجع السابق ، ص ٣٠٦ ، وقد ورد في الوقفية الخاصة بهذه المدرسة أنها كانت قائمة في قرية ذى السفال المحروسة إحدى قرى تعز ويحدها من جهة اليمين رباط الفقيه ابن ابى السرور البريهى (راجع:نص الوقفية ، ق ١٦٣) والملحق رقم [٣] بآخر الكتاب .

(٦) البريهى : المصدر السابق ، ص ١٤٣ ؛ وراجع :نص الوقفية : ق ١٦٦ حيث جعلت نظرها من بعده للأرشد من دريته .

(٧) البريهى :المصدر السابق ، ص ١٤٣ ؛ الأكوع : المدارس الإسلامية ، ص ٣٠٧ .

(٨) أنظر :نص الوقفية ، ق ١٦٣ .

(٩) نشر الأكوع قسما من وقفية هذه المدرسة تضمن وصفا لبناء المدرسة دون تعليق . راجع : المدارس الإسلامية ، ص ٣٠٧ .

ونستدل من الوقفية أن البوابة اليمانية التي تنفتح جنوبي المدرسة تؤدى إلي دهليز أو مجاز يقع على يمين الداخل ويفضى بدوره إلي كتلة الملحقات المائية المكونة من ساقية ومطاهر وميضأة (مغتسل) ، وعلى يسار الداخل من المدخل الرئيس أيضا دهليز أو مجاز يؤدى بدوره إلي درج صاعد يفضى إلي المقصورة [1] .

وتصف الوقفية الجزء المؤدى إلي صحن المدرسة من الداخل والتي وصفته بالشمسة المرتفعة ويقصد بها صحن مربع مكشوف من الجهة الشمالية من بيت الصلاة الذى حددته الوقفية في مقدمة المدرسة (أى في الجزء الشمالى) بينما شغل الجزء الغربي من الصحن بإيوان مخصص للتدريس .

أما بيت الصلاة فيتألف من ثلاثة أروقة يفصلها صفان من العقود ويتوسط الجدار الشمالى من بيت الصلاة محراب،وينفتح في جدران بيت الصلاة ثلاثة أبواب موزعة على الواجهة الجنوبية لبيت الصلاة . فكان يتوسط الجدار الجنوبي مدخل أوسط يتجه مباشرة للمحراب ، وعلى جانبى المدخل الأوسط مدخلان أحدهما في الشرق يصل بيت الصلاة بإيوان المدرسة ، والآخر في الجهة الغربية ، وكان بيت الصلاة يشرف على الصحن المكشوف عن طريق بائكة من عقود ثلاثة .

وتتابع الوقفية بعد ذلك سرد الأراضى والأحباس التي أوقفتها الواقفة للصرف على مصالح المدرسة والمسجد الملحق بها،وكذلك ذكر حدود المدرسة من جهاتها الأربعة [2] . كما زودتنا الوقفية أيضا بمعلومات عن المرتبين في هذه المنشأة والوظائف الموكولة إليهم ، وأوجه صرف متحصلات الأحباس الموقوفة عليها .

فمن جملة المرتبين الناظر على المدرسة،وكانت مهمته النظر على سائر المرتبين لخدمة المدرسة وعلى الأراضى المذكورة،يباشرها ويتفقدها ويعمرها ويؤجرها[3] .

ورتبت الواقفة فيها أيضا إمام " يصلى بالجماعة الصلوات الخمس في أوقاتها المعلومة شرعاً والتروايح والوتر بعدها في جميع شهر رمضان المبارك ، والكسوفين ، ويشترط فيه أن يكون حافظاً للقرآن الكريم ، جيد التلاوة ، حسن

---

[1] لعلها كانت مخصصة لصلاة الواقفة عند حضورها للمدرسة ولغيرها من النساء .

[2] أنظر :*نص الوقفية* ، ق ١٦٣ – ١٦٤ .

[3] عن مهام الناظر *راجع ق ١٦٥ – ١٦٦ من الوقفية* .

الصوت [١] . ومؤذن يتولى الآذان والاقامة في أوقات الصلوات الخمس المفروضة والمسنونة المذكورة في المدرسة المباركة ، ويشترط فيه أن يكون حسن الصوت مأموناً من ثقات المسلمين [٢] . وقيم يتولى تنظيف المدرسة المذكورة ورحابها وأماكنها المذكورة باطناً وظاهراً ، وفرش ما يحتاج إليه وتنظيف البركة المذكورة والفسقية أيضاً والأحواض ومواضع الماء من الطحلب والتراب المجتمع فيها المغير للماء ، وإشعال المصابيح في الأوقات المعتادة ، كجارى العادة في المدارس الرسولية، ويتولى أيضا حفظ عدد المدرسة من البسط والحصر والقناديل [٣] . كذلك رتبت الواقفة بالمنشأة معلماً للقرآن الكريم ، ورتبت له أربعة أيتام يتعلمون على يديه[٤] .

واشترطت الواقفة على الناظر أن يستغل الأراضى المحبوسة على المدرسة الاستغلال الأمثل من غير ضرر على الوقف ، وألا يتجاوز تأجيره لتلك الأراضى سنة شمسية ، ويقسم الناظر الريع المتحصل من هذه الأوقاف أثلاثا فيصرف الثلث منه " لمصالح المدرسة وعمارة ما تشعث منها واصلاح ساقية الماء إليها والحصر والسليط لجميع السنة ولشهر رمضان المبارك وليلة الختمة كجارى العادة ، وتنظيف باطن الجسور وما يتعلق بمصالح المدرسة كإبدال ما ينكسر من القناديل ونحو ذلك ، وعمارة ما يحتاج من الأرض الموقوفة مما لابد منه ما يكون فيه العائدة الجميلة على المدرسة المباركة " [٥] . أما الثلث الثانى فيصرف على المرتبين " على أربعة عشر سهما لكل يتيم سهم واحد ، والباقى المرتبين عشرة أسهم لكل واحد سهمان ولا تفاضل بينهم ، بل هم على ذلك سواء في رداءة المغل وجودته " [٦] . أما الثلث الباقى فخصصته الواقفة " لإطعام المقيمين بالمدرسة والوافدين إليها ، كما يصرف من هذا الثلث أجر من كان يتولى إعداد الطعام وما يحتاج إليه من ثمن

---

(١) أنظر :*نص الوقفية* ، ق ١٦٥ .
(٢) أنظر :*نص الوقفية* ، ١٦٥ .
(٣) أنظر :*نص الوقفية* ، ٦٥ ١٦٦ .
(٤) أنظر :*نص الوقفية* ، ق ١٦٦ كما نصت الوقفية أيضا على أن جميع هؤلاء المرتبين عليهم المواظبة والقيام بوظائفهم لا يغفلون عنها إلا بعذر شرعى بشرط الإستتابة (أنظر : ق ١٦٦ من الوثيقة) .
(٥) أنظر :*نص الوقفية* ، ق ١٦٦ والملحق رقم [٧] بآخر الكتاب .
(٦) أنظر :*نص الوقفية* ، ق ١٦٦ .

الأدم ، والذي يفضل عن ذلك يصرفه الناظر على حسب ما يراه من وجوه البر من كسوة عار أو مواساة محتاج تقربا إلي الله تعالى " [١] .

وتوضح الوقفية أن المدرسة تشعثت بعض أجزائها فامتـــدت إليهـــا يـــد الإصلاح والترميم في عام ١١٧٧ هـــ / ١٧٦٣ م ، وتم هذا الترميم على يد ناظر الوقف ، وقد سجل تاريخ الترميم في حجة الوقف بيد مفتي تعز آنـــذاك ويـــدعى "علوان بن على اليامى " [٢] .

– *مدرسة سلامة :* كانت هذه المدرسة تقع في مغربة مدينـــة تعـــز [٣] ، ابتنتها جهة الطواشى جمال الدين مرشد المجاهدى سلامة ، وهى بنت الملك المجاهد الرسولى (ت ٨٠٤ هـــ / ١٤٠١ م) ، وكانت عمارتها في أوائل عهـــد الدولـــة الأفضلية [٤] . وقد قامت جهة سلامة بتشييدها على أرض ورثتها من والدتها جهة الطواشى الأجل جمال الدين نصر [٥] .

ونلاحظ من خلال سطور الوقفية أن المدرسة كانت تضم مجموعـــة مـــن المرافق المعمارية منها المسجد ، والمدفن بالإضافة إلي المرافق المائية من بركة ومطاهير ومغتسلات وأحواض ، وهكذا جمعت هذه المنشأة كغيرها من المدارس بين وظيفتي التدريس وإقامة الشعائر الدينية [٦] .

وأمام تعدد هذه الوظائف للمنشأة ، حبست الواقفة للصرف على تلـــك الوظائف أوقافاً عديدة سجلتها نصوص الوقفية [٧] .

ويمكن القول من خلال سطور الوقفية أن المدرسة كانت تتخـــذ شـــكلاً مستطيلاً ويتوسطها صحن مركزى يتقدمه بيت الصلاة ، ويكتنفه مـــن الجـــانبين الشرقي والغربي إيوانان يشرفان على الصحن من خلال بائكة ذات ثلاثة عقـــود .

---

[١] أنظر :*نص الوقفية* ، ق ١٦٦ .
[٢] أنظر :*نص الوقفية* ، ق ١٤٨ .
[٣] أنظر :*نص الوقفية* ، ق ٧٠ .
[٤] أنظر :*نص الوقفية* ، ق ٦٩ ؛ السخاوى :*الضوء اللامع* ، م٦ ج١٢ / ٦٦ ويلاحظ أن الوقفية من خلال نصوصها قد سجلت تاريخ ٧٦٧ هـ / ١٣٦٥ م تاريخا لكتابتها مما يشير من ناحية أخر ى إلي أن عمارة المدرسة قد فرغت في هذا التاريخ ،مما استدعى كتابة الوقفية(راجع*نص الوقفية* ،ق٨٠) .
[٥] أنظر :*نص الوقفية* ، ق ٦٩ .
[٦] أنظر :*نص الوقفية* ، ق ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٧٦ .
[٧] راجع :*نص الوقفية* ، ق ٧٣ – ٧٤ – ٧٥ – ٧٨ – ٧٩ .

أما المسجد فيتألف بدوره من ثلاث بلاطات ، تعلوها ثلاث قباب موزعة على الأسكوب الموازى لجدار القبلة وتتقدم القبلة الوسطى جوفة المحراب ويكتنفها من الجانبين قبة على كل جانب ، ويتوسط المحراب جدار القبلة ، بالإضافة إلي بعض الملحقات التى يتم الوصول إليها عن طريق الإيوانين ، والتى كانت تصل الصاعد إليها ببعض الغرف والمخازن الخاصة بالمدرسة . ويكتنف الصحن من كلا الجانبين الشرقى والغربى مجنبة تطل على الصحن ببائكة من ثلاثة عقود .

كذلك تضمنت الوقفية إقرار الواقف بتخصيص موضع من المنشأة يكون مدفنا يخصص له المجنبة الغربية[١]بما نصه"الإيوان الصغير الغربى".وتحدد الواقفة أن يكون المسجد مخصصاً للصلاة واعتكاف المعتكفين وقراءة القارئين وتعبد المتعبدين[٢].

كما تذكر الوقفية المرافق المائية التى كانت تضمها المنشأة وتساعدها على أداء وظيفتها كالبركة التى خصصت للوضوء والمجاز المؤدى إلي المطاهير والمغتسل.... وقضاء حاجة الإنسان ، والأحواض فيهما للاستنجاء من البول والغائط والمغتسل الذى فيه الحوض لاغتسال المغتسلين من المسلمين [٣] ، والمجلس الغربى الذى يصعد إليه بدرجة لما يحتاج إليه من وضع أقمشة المدرسة كالأسقية ، والحصر ، والبسط ، والقناديل ، وغير ذلك مما يتعلق بأمر المدرسة [٤] ، ويحدد الإيوان الشرقى كمكان للتعليم ، والغربى لمرور الناس به [٥] .

وقد أمدتنا الوقفية بمعلومات كافية عن وظائف الخدمة والادارة والمرتبين بالمدرسة ورواتبهم المقررة من هؤلاء الناظر على أمر الوقف ومهمته استغلال الأحباس من العقارات والأراضى [٦] ، وما يجتمع إليه من ريع هذه الأوقاف كل سنة ينفق منه على تجديد بناء المدرسة وترميم أبنيتها وجدرانها ومراحيضها وسواقى الماء وإصلاح ما تشعث من عمارتها [٧] .

---

[١] أنظر :*نص الوقفية* ، ق ٧١ .
[٢] أنظر :*نص الوقفية* ، ق ٧٠ .
[٣] أنظر :*نص الوقفية* ، ق ٧١ .
[٤] أنظر :*نص الوقفية* ، ق ٧١ .
[٥] أنظر :*نص الوقفية* ، ق ٧١ .
[٦] أنظر :*نص الوقفية* ، ق ٧٥ .
[٧] أنظر :*نص الوقفية* ، ق ٧٥ .

كذلك أوكل الواقف لناظر الوقف حرية التصرف كاملة في حالة تعـذر إصلاح ما تهدم من المنشأة بفعل السيول وما شابه ذلك ، فعليه جمع ريع الوقـف وابتناء مسجد جديد على نفس الهيئة والصفة في مكان لا تصله السيول ، وعليـه الاحتراز الكامل على متعلقات البناء ، والعمل على جر الماء للبناء الجديد بأى وجه من الوجوه [١] .

ثم عليه بعد ذلك النفقة على عمارة أراضى الوقف وسـواقيها وبركهـا ومنابع عيون الماء ، وما تحتاج إليه المدرسة من آلة الفرش والتنظيـف ، ووسـائل الإضاءة اللازمة من سليط وشموع وغيره لإضاءة المسجد والمدرسة والمطاهير [٢] .

أما ما تبقى بعد ذلك من مال فكان يصرفه الناظر علـى بقيـة المـرتبين بالمنشأة ومنهم إمام " حافظ للقرآن الكريم عن ظهر قلبه غيبا حسن الديانة ظـاهر العدالة ، يصلى في المدرسة المذكورة الخمسة [أوقـات] المفروضـة في أوقاتهـا ، والنوافل التي جرت العادة بإجماع الناس فيهـا كـالتراويح والرغايـب .... "[٣] وحددت الوقفية للإمام راتباً شهرياً نظير أدائه لمهام وظيفته " في كل شهر خمسين زبدياً من حبوب طعام المستغل من أرض الوقف المذكورة بالزبدى القديم التعزى ، ومن العين في كل سنة ختم القرآن الكريم في شهر رمضان ثلاثين دينـارا " [٤] . وثاني المرتبين المؤذن وراتبه في كل شهر من الغلة " ثلاثين زبديا ... ومن العين في كل سنة عشرين دينارا بعد ليلة الختمة " [٥] ، أما القيم فكان عليه تنظيف المدرسة المذكورة ، ومواضع الصلاة وغيرها من المواضع كالبركة والمطـاهير والمغتسـل ، وحفظ أدوات المدرسة وعددها من فرش وبسط وقناديل وزيوت الإضاءة ، كمـا كان يقوم بفتح البركة عند تغيير مائها وغسلها وإزالة الحمأة والطحلـب المجتمـع فيها.... وهو المسؤول عن إيقاد المصابيح والقناديل ... ويتولى حفظ المدرسة ممن لا يليق دخوله ، ورد الماء من العين إلي المدرسة وإصلاح ما أمكنه إصلاحه بيده[٦]

---

[١] أنظر : *نص الوقفية* ، ق ٧٥ .
[٢] أنظر : *نص الوقفية* ، ق ٧٦ .
[٣] أنظر : *نص الوقفية* ، ق ٧٦ .
[٤] أنظر : *نص الوقفية* ، ق ٧٦ .
[٥] أنظر : *نص الوقفية* ، ق ٧٦ .
[٦] أنظر : *نص الوقفية* ، ق ٧٦ – ٧٧ .

ويتسلم نظير ذلك راتبا قدره ثلاثون زبديا كل شهر ، ومن العين في السنة عند ختم القرآن الكريم في رمضان كمكافأة سنوية أسوة بسابقيه عشرين ديناراً [١] .

وعن الدراسة بالمدرسة ، فيبدو من الوقفية أنها خصصت لدراسة الحديث النبوى،حيث لم يرد في السطور المتاحة لدينا ما يفيد بتخصيص الواقفة دروساً للفقه بل اقتصرت النصوص على " قارئ يقرأ الحديث النبوى على صاحبه أفضل الصلاة والتسليم"وحددت الوقفية وظيفته بقراءة الحديث النبوى كل يوم بعد صلاة العصر ما تيسر"ويسمع من حضره ويدعو عقب ذلك وعليه حفظ كتب المدرسة المذكورة منها فما احتاجت إليه من ترقيع رفع الأمر إلي الناظر ليصلحها[٢]"،أما راتبه فكان يبلغ عشرة دنانير شهرياً [٣] .

بالإضافة إلي الحديث النبوى وتدريسه،ألحق بالمدرسة معلامة لتعليم أيتام المسلمين القراءة والكتابة والقيام على حفظ القرآن،ورتب لهم معلماً برسم ذلك،وقرر له راتب عيني شهرى قدره"خمسون زبديا"،وحددت الوقفية مدة أربع سنوات لكى يحفظ الدراسون القرآن حفظاً تاماً،ومن تمر عليه السنوات الأربع دون إكمال حفظ القرآن يتعرض للفصل[٤]،وقد قرر الواقف لكل يتيم"من الغلة في كل شهر عشرة أزبود"[٥]، ومكافأة سنوية يتسلمها كل فرد منهم في شهر رمضان مقدارها خمسة عشرة ديناراً [٦] .

واشترطت الوقفية على القائمين بأمر الخدمة والادارة والقائمين بالتدريس أيضا أن يؤدى كل منهم ما يناط له من عمل في وظيفته ولا يجمع مع وظيفته وظيفة أخرى [٧].

- *مدرسة حلل :* تقع في قرية الظهرة [٨] ، وشيدتها الحرة حلل بنت عبد الله الحسيني عام (٦٥٣ هـ / ١٢٥٥ م) [٩] ، وكان موضع المدرسة في الأصل

---

[١] انظر :*نص الوقفية* ، ق ٧٧ .
[٢] انظر :*نص الوقفية* ، ص ٧٧ .
[٣] انظر :*نص الوقفية* ، ق ٧٧ .
[٤] انظر :*نص الوقفية* ، ق ٧٧ .
[٥] انظر :*نص الوقفية* ، ق ٧٧ .
[٦] انظر :*نص الوقفية* ، ق ٧٧ .
[٧] انظر :*نص الوقفية* ، ق ٧٧ .
[٨] الظهرة : قرية تقع في رأس وادى نخلان أمام قرية السيانى [المشراح] من جهة الشرق (راجع: المقحفى :*معجم المدن* ، ص ٢٧١ ؛ الأكوع :*المدارس الإسلامية* ، ص ١٤٦) .
[٩] كانت الحرة حلل :إحدى حظايا الأمير شمس الدين على بن يحيى العنسى ، وكانت من المحسنات كثيرة الصدقة على الأيتام ، ولما سجن الأمير العنسى في عهد المظفر الرسولى انقطعت للعبادة وأدت فريضة الحج وتوفيت في تاريخ غير معروف وقبرها يقع في الجانب الأيمن من= مدرستها .

داراً لمشيدة المدرسة ، فحولتها إلي مدرسة ، وانتقلت لسكنى دار أخرى ابتنتها إلي جوارها ، ووقفت عليها وقفاً جيداً ، ومازال باقياً من هذه المدرسة القسم الشرقى منها [١] .

- *المدرسة الشمسية* :وكانت قائمة في ذى عدينة بمدينة تعز[٢]،بالقرب من الجامع المظفري[٣]،وتنسب إلي الدار الشمسى إبنة الملك المنصور الرسولى (ت٦٩٥ هـ/١٢٩٥م)[٤]،والتى أمرت ببنائها،ووقفت عليها وقفاً جيداً ورتبت فيها إماماً ومؤذناً وقيماً ومدرساً وطلبة ومعلما وأيتاماً برسم تعلم القرآن[٥]،ومن اطلاعنا على جملة المرتبين بالشمسية،يمكن القول بأنها كانت تضم مكتبا-كغيرها من المدارس - لتعليم الأيتام،وعلاوة على ذلك كانت المدرسة إلي جانب قيامها بدورها التعليمى ، كانت تقوم بوظيفة المسجد،فتؤدى بها الصلوات الخمس المفروضة بدليل أن الواقف خصص لها إماماً ومؤذناً [٦] . كذلك ابتنت الدار الشمسى مدرسة أخرى في مدينة زبيد كانت قائمة جنوبى سوق المعاصر [٧] ، ورتبت فيها أيضا إماماً ومؤذناً وقيماً ومعلماً،وأيتاماً يتعلمون القرآن،ومدرساً يدرس الحديث النبوى الشريف [٨] ، ووقفت عليها بدورها وقفاً جيداً في وادى زبيد يفى بالإنفاق على المرتبين فيها [٩] ، وقد تداعت بعض أجزاء من هذه المدرسة بمرور الزمن -فامتدت إليها يد الإصلاح والترميم في عهد الأشرف الرسولى عام ٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م [١٠] .

(راجع: الخزرجى : *العقد الفاخر الحسن*،ق ٢٢٨؛ الأكوع : *المدارس الإسلامية* ، ص ١٤٧ - ١٤٨) .

[١] الخزرجى : *العقد الفاخر* ، ق ٢٢٨ ؛ الأكوع :*المرجع السابق* ، ص ١٤٧ - ١٤٨ .

[٢] الجندى:*السلوك*،ج٢،ق٢٣٢؛الخزرجى:*العقود*،ج١ / ٢٤٦ ؛ ابن الديبع :*قرة العيون* ، ص ٣٣٥ .

[٣] الأكوع : *المرجع السابق* ، ص ١٥١ - ١٥٢ .

[٤] الجندى : *السلوك* ، ج٢ ، ق ٢٣٢ ؛ الخزرجى :*العقود* ، ج١ / ٢٤٥ .

[٥] الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ٢٤٦ .

[٦] للمزيد عن القائمين بالتدريس فيها (راجع : الأكوع : *المدارس الإسلامية* ، ص ١٥٣ - ١٥٧) .

[٧] الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ٢٤٦ ؛ ابن الديبع :*قرة العيون* ، ص ٣٣٥ .

[٨] ذكر ها الجندى بأنها مسجدا ، الأمر الذى يشير إلي ازدواجية الوظيفة التى تؤديها المدرسة كصرح تعليمى ، ومسجد لأداء الشعائر الدينية بما رتب فيه من إمام ومؤذن (أنظر : الجندى : *السلوك* ، ج٢، ق ٢٣٢) .

[٩] الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ٢٤٦ وراجع عن مدرسيها الأكوع : *المدارس* ، ص ١٥٨ .

[١٠] الخزرجى : *العقود* ، ج٢ / ١٨٠ .

- *المدرسة النجمية :* وهي في ذى جبلة [١] ، ولا تزال معروفة بهذا الاسم حتى اليوم ، ولم يبق منها إلا المسجد الملحقَ بها وشيدته أيضا الدار نجمى [٢] ، ويسمى مسجد الدار النجمى ، وكان موضع المدرسة والمسجد في الأصل دارا لأبي الحسن على بن محمد بن إبراهيم بن المعلم ، فاشترتها الخاتون ، وحولتها إلي مدرسة تحمل اسم زوجها تخليداً لذكراه حيث قتل أثناء حملة المنصور نور الدين على حضرموت، وابتنت فيها مسجداً نسبته إليها [٣] .

- *المدرسة الشهابية :* وابتنتها أيضا الدار النجمى ، تخليدا لذكرى أخيها المدعو شهاب الدين محمد بن على بن رسول [٤] وكانت قائمة أيضا في ذى جبلة[٥] ، وكان القضاة يتولونها ، فيذكر الجندى أنه كلما جاء حاكم أى قاضي إلي ذى جبلة سكنها وأخذ طعامها باسم التدريس بها حتى كان آخر الدولة المؤيدية عندما طلب الفقيه عمر التباعي من المؤيد أن يهبها له ، فاستجاب له المؤيد فاستولى عليها ، وكان ذلك زمن الجندى [٦] .

- *المدرسة الشرفية :* شيدتها أيضا الدار النجمى في ذى جبلة ، وسمتها الشرفية نسبة إلي أخيها الأمير شرف الدين موسى بن على بن رسول المتوفى في مصر [٧] ، وألحقت بها مسجداً صغيراً عند مدخلها ، ولا تزال المدرسة عامرة حتى اليوم ، وكذلك مسجدها الكائن عند مدخلها من الجهة الشرقية [٨] . أما عن تاريخ تأسيسها فغير معروف ، وإن كنا نرجح أنها أقيمت قبل عام ٦٨٨ هـ / ١٢٨٩م، استناداً إلي ما ذكره الخزرجي في ترجمته للفقيه عبد الرحمن بن يحيى بن

---

(١) الجندى : *السلوك* ، ج٢ / ٣٣٤ .

(٢) الجندى : *السلوك* ، ج٢ / ٣٣٤ ؛ الأكوع : *نفسه* ، ص ٦٧ ، وهى أخت السلطان الملك المنصور والتسمية نسبة إلي زوجها نجم الدين أبى بكر بن زكرى (زكريا) أحد امراء المنصور الرسولى .

(٣) الخزرجى : *العقد الفاخر* ، ق ٢٣٢ ؛ الجندى : *السلوك* ، ج٢ ، ق ٣٣٤ وعن مدرسيها راجع : الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ١٢٥ ، ١٢٦ ــ ١٢٧ ؛ الأكوع : *نفسه* ، ص ٦٨ ــ ٧١ وذكر الجندى : أنه لم يكن في ذى جبلة رزقا للطلبة إلا من الدار النجمية وحاشيتها حيث وقفت على مآثرها أوقافا عظيمة (الجندى : *السلوك* ، ج٢ ، ق ٣٣٤) .

(٤) الجندى : *السلوك* ، ج٢ ، ق ٣٣٤ .

(٥) الجندى : *السلوك* ، ج٢ ، ق ٣٣٤ .

(٦) الجندى : *السلوك* ، ج٢ ، ق ٣٣٤ .

(٧) الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ٢١٤ .

(٨) الأكوع : *نفسه* ، ص ٧٢

سالم الشهابي ، المتوفى في عام ٦٨٨ هـ / ١٢٨٩ م ، وأشار الخزرجي إلى أنه أول من قام بالتدريس في المدرسة الشرفية عند بنائها وذلك بقوله " ولما بنيت المدرسة الشرفية بذى جبلة ... كان الفقيه عبد الرحمن المذكور أول من درس بها ، وكان يومئذ أكبر الفقهاء " [١] .

- *المدرسة العومانية:* وكانت تقع في الشمال الغربي من ذى جبلة[٢] ابتنتها الحرة لؤلؤة زوج الأمير على بن رسول،ودفنت بها،وقام بأمر التدريس بها جماعة الفقهاء من بنى الشهاب[٣]،كما درس بها أيضا الفقيه أبو اسحاق إبراهيم بن يحيى بن سالم،وظل قائما بالتدريس فيها حتى توفى عام(٧٢٢ هـ/ ١٣٢٢م) [٤] .

- *مدرسة ملدية:* تقع في قرية مدية في أعلى وادى ظبا في الشمال الشرقى من ذى السفال عند السفح الجنوبى لجبل التعكر[٥].إبتنتها جهة دينار الشهابي عائشة بنت محمد بن على بن رسول زوج الملك المظفر الرسولى وأم ولده المؤيد، وكانت تمتلك أرضا كثيرة في وادى ظبا من ذى السفال،ابتنت عليها قصرا، وشيدت مدرستها قبالة القصر،وأوقفت عليها أفضل أراضيها"وشرطت فيها ما شرط في مدارس أهلها من المرتبين"،ولا تزال هذه المدرسة قائمة حتى اليوم،وإن تهدمت أجزاء كثيرة منها،وسقفها آخذ في الانهيار بسبب إهمال ولاة الوقف،وقد رمم بعضه بطريقة أفسدت جماله،ويذكر الأكوع أنه شاهد حجراً من أصل البناء على باب المدرسة "مزبور عليه آية الكرسى،ومن تحتها اسم المدرسة،واسم بانيها،ولكن الكتابة غير واضحة فلا تقرأ " [٦] .

- *المدرسة الأسدية :* وكانت قائمة في حافة الميهال [٧] من مغربة تعز[٨] وشيدتها الحجة المصونة إبنة الأمير أسد الدين محمد بن الحسن بن رسول وكانت تعرف بدار الأسد أيضا [٩] .

---

[١] الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ٢١٤ ؛ وعن باقى مدرسيها راجع : الأكوع : نفسه ، ص ٧٢ ـ ٧٥ .
[٢] الأكوع : *المدارس الإسلامية* ، ص ٦٥ .
[٣] الأكوع : *المرجع نفسه* ، ص ٦٥ ـ ٦٦ .
[٤] الخزرجى : *طراز الزمن* ، ق ٦٢ ـ ٦٣
[٥] الأكوع : *المرجع السابق* ، ص ١٦٨ .
[٦] الأكوع : *المرجع نفسه* ، ص ١٦٨
[٧] الأكوع : *المرجع نفسه* ، ص ١٣٦
[٨] ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٣٤٨
[٩] ابن الديبع : نفسه ، ص ٣٤٨ أما دار الأسد فقد حدث لبس عند المؤرخين بشان رواجها ، فقد ذكر الخزرجى في *العقود* ج ٣ ، *الكفاية* ، ق ١٤١ ـ ١٤٢ بأنها زوج المؤيد وكانت كثيرة=

– *المدرسة الشقيرية :* كانت قائمة في مدينة الجند ، تنسب إلي امرأة كانت تعمل ماشطة للحرة بنت جوزة إبنة الأتابك سيف الدين سنقر وزوج المنصور نور الدين عمر بن رسول وأم ولديه المفضل والفائز ، وكانت هذه الماشطة قد تزوجت مملوكا يدعى شقير ، فلما حضرها الوفاة أوصت بدارها وأرض كانت تملكها لأولاد مولاتها المفضل والفائز ، إذ لا وارث لها ، فلما بلغ ابنة جوزة ذلك قالت "نحن في غنى عن ذلك ، وأمرت أن تجعل الدار مدرسة وأن توقف الأرض عليها " [١] .

– *المدرسة الواثقية :* وكانت قائمة في مدينة زبيد وعرفت عند بعض الناس بالنورية [٢] ، شيدتها الجهة الكريمة ماء السماء ابنة الملك المظفر ، وكانت ملاصقة لبيت أخيها الملك الواثق فعرفت لذلك بالواثقية [٣] ، وجعلت فيها إماماً ومؤذناً وقيماً ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن ومدرساً وطلبة يقرأون العلم ووقفت عليهم من أملاكها ما يقوم بكفايتهم [٤] .

– *المدرسة الأشرفية في زبيد :* وكانت تقع في جنوبي مدرسة الميلين[٥] ، وتسمى أيضا مدرسة (جهة دار الدملؤة) ، نسبة إلي الجهة الكريمة التي أمرت ببنائها وهى جهة دار الدملؤة : نبيلة إبنة السلطان الملك المظفر (ت ٧١٨ هـ / ١٣١٨ م) [٦] ، ورتبت بها – كما هى العادة – جملة من القومة المرتبين لرعاية المدرسة والقيام على شئونها ووقفت عليهم ما يقوم بكفايتهم [٧] ، وقد تشعث

=المروؤة حسنة الشفاعة وتوفيت عام ٧٠٤ هـ / ١٣٠٤ م ودفنت في المؤيدية . بينما ذكر ابن الديبع انها زوجة المظفر ووافقه الأكوع على ذلك . (راجع : ابن الديبع :<u>قرة العيون</u> ، ص ٣٣٥ ؛ الأكوع: <u>المدارس الاسلامية</u> ، ص ١٣٦ . وعند حديث ابن الديبع عن مآثر المؤيد ناقض نفسه فذكر أنها كريمته راجع<u>قرة العيون</u> ، ص ٣٤٨) .

[١] الخزرجى :<u>طراز الزمن</u> ، ق ٤٦ – ٦٥ . وعن القائمين بالتدريس فيها راجع : الأكوع :<u>نفسه</u> ، ص ٨٨ – ٩٠ .

[٢] الخزرجى : <u>العقود</u> ، ج٢ / ٣٠ ، ١٤٨ .

[٣] الخزرجى : <u>العقود</u> ، ج٢ / ٣٠ ؛ ابن الديبع :<u>قرة العيون</u> ، ص ٣٣٥ .

[٤] الخزرجى : ج٢ / ٣٠ وتوفيت ماء السماء عام ٧٢٤ هـ / ١٣٢٣ م .

[٥] الخزرجى : <u>العقود</u> ، ج١ / ٣٥٠ .

[٦] الخزرجى : <u>العقود</u> ؛ ج١ / ٣٥٠ ولها عدة مآثر اخرى منها مدرسة في ظفار الحبوضى ومسجدا في جبل صبر وغيرها (راجع : الخزرجى : <u>العقود</u> ، ج١ / ٣٥٠ – ٣٥١ ؛ ابن الديبع :<u>قرة العيون</u>، ص ٣٣٥) .

[٧] الخزرجى : <u>العقود</u> ، ج١ / ٣٥٠ .

معظمها بفعل الزمن وإهمال النظار ، فأمر الأشرف الثاني الرسولي بإعادة ترميم ما تداعى منها ، وتولى تجديد عمارتها القاضي سراج الدين عبد اللطيف سالم عام ٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م [١] .

– *المدرسة السابقية* : وكانت في زبيد ، وعرفت بالعفيفية ، وكذلك بمدرسة مريم ، نسبة إلى مؤسستها الحرة المصونة " مريم " بنت الشيخ الشمس بن العفيف زوج السلطان الملك المظفر (ت ٧١٣هـ / ١٣١٣ م)، وكانت من أحسن المدارس وضعاً ، ورتبت فيها إماماً ومؤذناً وقيماً ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن ، وخصصتها لدراسة المذهب الشافعي ، حيث رتبت بها مدرساً للفقه الشافعي ومعيداً وطلبة " وأوقفت على الجميع وقفا جيدا يقوم بكفايتهم"[٢] ، وامتدت إليها يد التعمير والإصلاح في عهد الأشرف الثاني إثر تداعي معظم بنيانها[٣] كذلك ابتنت الحرة مريم مدرسة أخرى في حافة الحميرا من مغربة تعز[٤] ، وكانت تدعى " مدرسة الدار الجديدة " وتعرف أيضا بمدرسة الحميرا نسبة لموضعها [٥] ، وابتنت مدرسة ثالثة في قرية ذى عقيب شمال غرب ذى جبلة[٦] ووقفت على هاتين المدرستين ودار المضيف المجاورة لمدرسة ذى عقيب وقفا جاملا يقوم بكفايتهم ، وقد دفنت الحرة في مدرستها بذى عقيب عام ٧١٣ هـ / ١٣١٣ م [٧] .

– *مدرسة بني خضر* : وكانت قائمة في قرية الجنابي [٨] بذى جبلة ، ابتنتها السيدة الحرة زهراء بنت الأمير بدر الدين الحسن بن علي بن رسول حيث سكن ابنها ويدعى محمد بن أحمد بن خضر بن الحسام والملقب بدر الدين بعد أن أفرج عنه المظفر بعد وفاة عميه الأميرين أسد الدين وفخر الدين ، فنزل هذه

---

(١) الخزرجي : العقود ، ج٢ / ١٨٠ .
(٢) الخزرجي : العقود ، ج١ / ٣٣٤ ، الكفاية ، ق ١٥٠ .
(٣) الخزرجي : العقود ،ج٢/ ١٨٠وعن القائمين بالتدريس فيها راجع:الأكوع:نفسه،ص١٦١ – ١٦٤ .
(٤) الخزرجي : العقود ، ج١ / ٣٣٤ .
(٥) الأفضل الرسولي : العطايا السنية ، ق ٣ ؛ الأكوع : المدارس الإسلامية ، ص ١٦٥ .
(٦) الخزرجي : العقود ، ج١ / ٣٣٤ ، الكفاية ، ق ١٥٠ .
(٧) الخزرجي : نفس المصدر والصفحة ، الكفاية ، ق ١٥٠ .
(٨) قرية من عزلة دراف من أعمال ذى جبلة وهي اليوم أطلال وتقع شمال غرب ذى جبلة (راجع : المقحفي : معجم المدن ، ص ١٤٠) .

القرية ، وعكف على الدراسة والعلم " فجمعت خزانته من الكتب ما لم يجمعه أحد من نظرائه " [١] ، وتوفي عام ٧٠٧ هـ / ١٣٠٧ م ، فشيدت أمه هذه المدرسة التي سميت باسم أسرته " بني خضر " وضمت رفاته ورفات عدد آخر من أفراد أسرته [٢] .

– *المدارس الصلاحية :* وهي ثلاث مدارس تعرف جميعا بالمدارس الصلاحية ، نسبة إلي أم السلطان الملك المجاهد جهة الطواشي شهاب الدين صلاح المؤيدي (ت.٧٦٢ هـ / ١٣٦٠ م) [٣] التي أمرت ببنائها ، الأولى وهي المدرسة الكبيرة المعروفة أيضا باسم مدرسة " أم السلطان " ، كانت قائمة في زبيد وأنشأتها عام ٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م ، ورتبت فيها إماماً ومؤذناً وقيماً ونازحاً للماء إلي المطاهر الموجودة بها ، ومدرساً للشرع على المذهب الشافعي وآخر للحديث النبوي ، وثالث لدراسة النحو ، وطلبة في كل فن من الفنون المذكورة ، علاوة على مكتب لتعليم الأيتام كان يضم معلماً وأيتاماً وأوقفت على الجميع ما يقوم بكفايتهم [٤] ، وشيدت أمام مدرستها هذه خانقاه ورتبت فيها شيخاً ونقيباً وفقراء وأوقفت عليهم وقفا جيدا حسنا كافيا [٥] .

أما المدرسة الصلاحية الثانية : فكانت قائمة في قرية المسلب إحدى ضواحي مدينة زبيد ، وخصصتها لدراسة المذهبين الشافعي والحنفي ورتبت فيها طلابا لدراسة المذهبين ، وألحقت بها سبيلا لسقاية الدواب ، كما رتبت فيها إماماً ومؤذناً وقيماً ونازحاً ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن [٦] .

---

[١] بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج٢ / ١٩٧ – ١٩٨ .

[٢] الخزرجي : العقود : ج١ / ٩٥ ، الكفاية ، ق ١٠٣ ، العسجد ، ق ١٢٨ .

[٣] الخزرجي : العقود ، ج٢ / ١٠٠ وكانت من خيار الخواتين عاقلة سديدة الرأي ضبطت البلاد ضبطا عظيما أثناء تغيب ولدها المجاهد في الديار المصرية وكانت توقر العلماء ، كثيرة الاحسان على الفقراء " تدور على بيوت الناس تتفقدهم بالعطايا الوفيرة " (راجع : الخزرجي : العقود ، ج٢ / ١٠٠) .

[٤] الخزرجي : العقود ، ج٢ / ١٠١ ، ورممها الأشرف الثاني الرسولي بعد أن تداعت بعض اركانها (راجع : العقود ، ج٢ / ١٨٠) وكذلك رمم الخانقاه أيضا .

[٥] الخزرجي : العقود ، ج٢ / ١٠١ وعن المرتبين للتدريس بها راجع : الخزرجي : طراز الزمن ، ق ٤٥ ، ٧٩ ؛ الأكوع : نفسه ، ص ٢٢١ – ٢٢٦ .

[٦] الخزرجي : العقود ، ج٢ / ١٠١ .

أما المدرسة الصلاحية الثالثة ، فكانت قائمة في قرية السـلامة في وادى نخلة شرقي مدينة حيس [١] ، وكانت تعرف أحيانا بمدرسة السـلامة ، وجعلتـها لأصحاب الفقه الشافعي ، كما خصصت أحد مواضعها لتدريس الحديث النبوى ، ونلاحظ من وظائف المرتبين بها أنها كانت في آن واحد مدرسة ومسجداً جامعاً ، ومما يشير إلي ضخامة مساحتها أيضا أنها رتبت بها وفقا لما ذكره الخزرجى " إماماً وخطيباً ، ومؤذناً وقيماً ونزاحاً للماء إلي المطاهر وإلي السبيل هنالك ومعلماً وأيتامًا يتعلمون القرآن ومدرساً للفقه على مذهب الامام الشافعي ، ومدرسـاً للحـديث النبوى وطلبة مع كل مدرس وأوقفت على الجميع أوقافا جيـدة نفيسـة تقـوم بكفايتهم وتزيد " [٢] .

- *المدرسة الفاتنية بزبيد* : كانت تقع جنوبى باب سهام ، ونسـبت إلي جهة فاتن ماء السماء (ت ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م) [٣] أخت الملـك المجاهـد ، ورتبت فيها إماما ومؤذنا وقيما ونـزاحا للماء ومعلما وأيتاما برسم تعلم القـرآن وأوقفت على ذلك وقفا يقوم بكفايته ، كما شيدت سبيلا قبالة هـذه المدرسـة عرف بالسبيل الفاتنى [٤] ، وقد أمر الأشرف الثانى الرسولى بترميم المسجد والسبيل بعد أن تداعت بعض أجزائهما في عهده [٥] .

- *المدرسة الفرحانية*: وكانت تقع في مدينة زبيد،ويقال لهـا مدرسـة أم السلطان[٦]،وابتنتها الحرة أم الملوك جهة الطواشى جمال الدين فرحان وذلـك في عـام ٨١٦ هـ/١٤١٣م[٧]،وهى زوجة السلطان الملك الأشرف الثـانى الرسـولى وأم السلطان الملك الظاهر يحيى[٨] .وهناك مدرسة أخرى في تعز كانت تعرف أيضا بالمدرسة

---

[١] الأكوع : *المدارس الإسلامية* ، ص ٢٢٨ وتقع القرية على يمين السالك إلي تعز (راجع : الخزرجى : *العقود* ، ج٢ / ١٠١) .

[٢] الخزرجى : *العقود* ، ج٢ / ١٠١ .

[٣] تعرف بذلك نسبة للطواشى كمال الدين فاتن المؤيدى أمير ثعبات (ت ٧٩٤ هـ / ١٣٩١ م) راجع: الخزرجى : *العقود* ، ج٢ / ١٩٩ ، *الكفاية* ، ق ٢١٧ - ٢١٨ .

[٤] الخزرجى : *العقد الفاخر* ، ق ١٦٩ ؛ ابن الديبع: *الفضل المزيد* ، ص ٩٩ - ١٠٠ ، راجع أيضا : *المسجد* ، ق ٢٣٥ - ٢٣٦ ، وقد عرف وقفها في وادى زبيد باسم البر الفاتنى .

[٥] الخزرجى : *العقود* ، ج٢ / ١٨٠ .

[٦] الخزرجى:*الكفاية*،ق٢٣٩،ابن الديبع*قرة العيون*،ص٣٩١؛بامخرمة :*قلادة النحر* ، ق ١١٥٨ .

[٧] بامخرمة : *المصدر السابق* ، ق ٥٧ / ١١٥٨ ؛ ابن الديبع : *الفضل المزيد* ، ص ١٠٨ .

[٨] ابن الديبع :*قرة العيون* ، ص ٣٩١ .

الفرحانية ملحقة بجامع ذى عدينة(الجامع المظفرى)[١]، لم يرد ذكر لبانيها، ويرجح الأكوع أنها من بناء الحرة جهة الطواشي فرحان [٢] ، وقد توفيت الحرة جهة فرحان عام ٨٣٦ هـ / ١٤٣٢ م ، فقام الملك الظاهر بإنشاء مدرسة عظيمة على ضريحها ، عرفت أيضا بالمدرسة الفرحانية [٣] ، ورتب فيها إماما وخطيبا وأيتاما ومعلما لهم ، وعشرين قارئا يقرأون القرآن عند ضريحها ، عقب كل صلاة، ورتب لهم ما يقوم بكفايتهم [٤] ، وهذه المدرسة لا تزال قائمة عامرة حتى اليوم[٥] .

– *مدرسة النظارى :* كانت قائمة في قرية النظارى [٦] من عزلة الحرث من مخلاف بعدان من أعمال إب ، أقامتها إمرأة يذكر الأكوع أن اسمها سيدة بنت أحمد النظارى [٧] ، ووقفت عليها وقفا جيدا [٨] .

ح– المدارس التي أسسها الفقهاء والشخصيات العامة :

لم يقتصر إنشاء المدارس في العصر موضوع الدراسة على الحكام من الملوك والسلاطين ومن يلوذ بهم من الأمراء ورجال البلاط وسيدات الأسرة المالكة،بل ساهم أيضا في تشييدها أعيان المجتمع اليمنى من الفقهاء والقضاة والعلماء وغيرهم من أهل اليسار،وحفلت المصادر المختلفة بذكر العديد من المدارس التي أقدم على تشييدها أعيان المجتمع اليمنى ، والتي وقفنا عليها من خلال التراجم الواردة لهؤلاء الأعيان من أهل العلم والثراء .

وقد حفلت هذه المدارس بالمرتبين فيها من مدرسين ودارسين ، وغيرهم من الأئمة والمؤذنين والقومة للقيام على مصالح المدارس مما يسر لها أداء الدور الذى شيدت من أجله ، وأوقف عليها المشيدون الكثير من الأحباس ومن أمثلة هذه المدارس : –

---

[١] البريهى : *طبقات صلحاء اليمن* ، ص ٢٦ ، ٨٩ .
[٢] الأكوع : *المدارس الإسلامية* ، ص ٢٩٠ .
[٣] أطلق عليها البريهى اسم المدرسة الفرحانية البرية الخارجة من زبيد حيث انشأها ولدها على تربتها خارج المدينة ، وذلك تمييزا لها عن المدرسة الفرحانية الأم التى كانت قائمة بداخل المدينة (راجع : البريهى : *المصدر السابق* ، ص ٣٩) .
[٤] الخزرجى : *الكفاية* ، ق ٢٤١ ؛ ابن الديبع : *الفضل المزيد* ، ص ١١١ .
[٥] مصطفى شيحة : *المرجع السابق* ، ص ٩٧ – ٩٩ .
[٦] الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ٣٤٨ .
[٧] عن المدرسة والقائمين بالتدريس فيها راجع : الأكوع : *المدارس الإسلامية* ، ص ٢٣٨ – ٢٣٩ .
[٨] الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ٣٤٨ .

- *المدرسة النـــزارية :* أقيمت في مدينة الجؤة [(١)] ، شيدها الفقيــه أبــو العباس أحمد بن محمد بن مفضل بن عبد الكريم أسعد بن سبأ النــزارى ، الــذى نال حظا وافرا في عهد المنصور الرسولى " فترأس والتزم البلاد من عدن إلي الجـــد (ت٦٤٦ هــ / ١٢٤٨ م) [(٢)] .

- *مدرسة حصن الظفر :* وكانت قائمة في عزلة الشرمان من القمـــاعرة جنوب قرية حكرميد [(٣)] ، شيدها الشيخ عبد الوهاب بــن رشــيد بــن عــزان العريقى [(٤)] ، "ووقف عليها وقفا جيدا ، ورتب فيها مدرسا ودارسين " [(٥)] .

- *مدرسة ابن الجلاد :* كانت قائمة في زبيد ، وتنســـب إلي مؤسســـها القاضي جمال الدين محمد بن إبراهيم بن يوسف الجلاد الأشرفى الأفضلى المجاهدى (٧٢٤ - ٧٨٤ هـــ / ١٣٢٣ - ١٣٨٢ م) [(٦)] ، أوقفها لأصحاب الإمـــام أبي حنيفة ، بحكم كونه فقيهاً حنفياً ، وأوقف فيها كتبا كثيرة نفيسة [(٧)] .

- *مدرسة حجر :* وكانت مشيدة في قرية حجر [(٨)] من عزلــة حيســـان بناحية بعدان من أعمال إب[(٩)]،ابتناها الشيخ على بن محمد بن على الحميرى[(١٠)] .

---

(١) مدينة خربة في جبل الصلو تقع تحت حصن الدملؤة من أعمال تعز (راجع : المقحفى : معجم المدن ، ص ٩٦) .

(٢) الخزرجى : طراز الزمن ، ق ٢٩٠ - ٢٩٢ . وكان لهذا الفقيه عدة مآثر أخرى منها جامع بقرية وعلان عليه وقف جيد ، ومعلامة للأيتام ، وسقاية بقرية حصلة ، كما بنى الصفين الأخيرين بجامع السمكر ، وأحدث في طريق تعز بئرا وحوضا وساقيتين ، وقد استولى الخراب على الجميع بما فيهم الجؤة والمدرسة النـزارية (راجع : طراز الزمن ، ق ٩١ - ٢٩٢ ؛ الأكوع : المرجع السابق ، ص٩١ - ٩٢) .

(٣) إحدى قرى الجند(راجع:الأكوع:المدارس ، ص ١٢٩ ؛ الخزرجى : طراز الزمن ، ق ١٠٦) .

(٤) الخزرجى:العقود،ج٢٠٦/١،طراز الزمن ، ق ١٠٦ . وكان الشيخ عبد الوهاب من أعيان الرؤساء يتولى بلد العوادر بمال معلوم يحمل إلي السلطان ، توفي في المدينة المنورة عقب أدائه لفريضة الحج عام ٧٦٢ هـ / ١٢٧٣ م ، ودفن بالبقيع (راجع : الخزرجى : العقود ، ج١ / ٦٥ - ١٦٦) .

(٥) الخزرجى : العقود ، ج١ / ١٦٥ .

(٦) كان أوحد أهل زمانه عالما بالمذهب الحنفى بارعا في الفلك والحساب تولى الشدود الأربعة نال مكانة عظيمة في عهد الأفضل الرسولى الذى أقطعه حرض ورمع ، وحمل له طبلخاناه وعلما وجمع بين نظارة ثغر عدن وولايته وتوفى على نظارة الثغر عام ٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م (راجع : الخزرجى : العقد الفاخر ، ق ٨٥ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج٢ / ١٩٤) .

(٧) الخزرجى : العسجد ، ق ٢٥٤ ، العقود ، ج٢ / ١٥٠ ؛ بامخرمة : المصدر السابق ، ج٢ / ١٩٤ .

(٨) الخزرجى : العقود ، ج١ / ١٥٦ .

(٩) الأكوع : المدارس ، ص ١٣٢ - ١٣٣ .

(١٠) الخزرجى : العقود ، ج١ / ١٥٦ . كان الحميرى من أعيان المشايخ يسكن حصن بيت عز من عزلة حيسان ، اعتقله المظفر الرسولى لإجباره على تسليم الحصن لمناعته ، فطالت مدة الحبس=

- *مدرسة وجيه الدين العلوى* [1] : كانت في مدينة زبيد ويذكر بامخرمة أن القاضي وجيه الدين أقامها بجوار داره عام ٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ م [٢] ، وحينما شرع في عمارتها " اشترى أرضا وحفر فيها بئرا [للماء] ، ثم صنع من هذه الأرض آجرا ، وحمل منها الطين إلي المدرسة " فكان جملة الآجر والطين من تلك الأرض احترازا منه أن يدخل في عمارتها شئ لا يملكه " [٣] ، ورتب فيها إماما ومؤذنا وقيما ومدرسا وطلبة على مذهب الإمام أبي حنيفة [٤] وجعل فيها موضعا لتدريس الفقه الشافعي ورتب فيه بدوره جماعة من الدارسين ، وأوقف على الجميع وقفا يقوم بكفايتهم [٥] .

- *المدرسة الدعاسية* : أسست في زبيد [٦] جنوبي مسجد الأشاعر المبارك وعلى مقربة منه [٧]،شيدها الفقيه سراج الدين أبو بكر بن عمر بن إبراهيم بن دعاس [٨] أثناء إقامته في زبيد، وورد في الوقفية تاريخ الفراغ من كتابتها وهو عام

=بالشيخ ، فاذعن ابنه وسلم الحصن للمظفر الذى أطلق سراح الشيخ الحميرى ، فانتقل لسكنى قرية الحجر ، وابتنى مدرسته بها وكانت عامرة في عهد الخزرجي (راجع : *العقود* ، ج١ / ١٥٦ ؛ الأكوع : *المدارس* ، ص ١٣٣) .

[١] هو أبو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن يوسف بن عمر العلوى الحنفى الملقب بوجيه الدين ، كان أوحد أهل عصره علما ورئاسة ولد عام ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م وكان ملتزما بوادى زبيد ، ثم ارتقى في الخدمة السلطانية فحسده أقرانه ، فاعتقله الأشرف الرسولى بعدن ثم تحقق براءته فأفرج عنه وتبوأ لديه مكانة عالية ، كانت له مشاركة محمودة في الشعر والنثر ومن نظمه القصيدة المسماه "*الجوهر الرفيع وبهجة المعاني في معرفة أنواع البديع ، ومدح النبي العدناني*" حوت كافة فنون البديع وتوفى عام ٨٠٣ هـ / ١٤٠٠ م (راجع : الخزرجي : *العقد الفاخر* ، ق ٧ ؛ بامخرمة : *قلادة النحر* ، ج٣ / ١١٤٧ ، *تاريخ ثغر عدن* ، ج٢ / ١٢١ - ١٢٤) .

[٢] بامخرمة : *قلادة النحر* ، ج٣ / ١١٤٨ ، *تاريخ ثغر عدن* ، ج٢ / ٢٣ - ١٢٤ .

[٣] بامخرمة : *قلادة النحر* ، ج٣ / ١١٤٨ ، *تاريخ ثغر عدن* ، ج٢ / ٢٣ - ١٢٤ .

[٤] بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، ج٢ / ١٢٤ .

[٥] بامخرمة : *قلادة النحر* ، ج٣ / ١١٤٨ .

[٦] الخزرجي : *العقود* ، ج١ / ١٥٥ .

[٧] أنظر : *نص الوقفية* ، ق ١ ، بينما حدد الخزرجي موقعها في زمنه فيما بين سوق المنجارة والسوق الكبير (راجع : *العقود* ، ج١ / ١٥٥) .

[٨] كان ابن دعاس فقيها حنفيا ، وأديبا فاضلا ، نال حظوة عند الملك المظفر واختصه بشعره فجعله جليسا له وكان مهتما بسرقة الشعر ، وأكثر من الإدلال على السلطان ووزيره البهاء العمرانى فطرده المظفر إلي زبيد فأقام بها وابتنى مدرسته ، وظل بزبيد إلي أن وافته المنية عام ٧٦٧ هـ / ١٢٦٨ م (راجع : الخزرجي : *العقود* ، ج١ / ١٥٥ ؛ الجندى : *السلوك* ، ج٢ ، ق ٢٣٧) .

٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م) [١] ، واختص بها أهل المذهب الحنفي الذى كان المؤسس ينتمي إليه [٢].ويذكر الخزرجي أنها كانت عامرة بالمدرسين والطلاب في زمانه[٣].

– ***مدرسة البجلي*** [٤] : كانت تقع في قرية عواجه بوادى سهام من تهامة شيدها الفقيه أبو الخطاب عمر بن إبراهيم بن محمد بن حسين البجلي [٥] ، وكان من أهل الثراء ، فعمر مدرسته بالآجر والنورة ، وقام بالتدريس فيها فكان مقصودا من الضيوف والزوار [٦] يطعم جماعة من الطلبة ويقرئهم .

– ***مدرسة عمر بن على العلوى*** : وكانت قائمة في مدينة زبيد ، شيدها الفقيه أبو الخطاب عمر بن على العلوى الحنفى (ت ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣م)[٧] ، وخص بها أهل مذهبه من أصحاب الإمام أبي حنيفة [٨] . كذلك أنشأ حفيده ويدعى محمد بن يوسف العلوى مدرسة أخرى في زبيد ، خصصها لتدريس الفقه الحنفى ، ورتب فيها إماماً ومؤذناً وقيماً ، ومدرساً في النحو [٩] . وقد هدم إبنه وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد بن يوسف هذه المدرسة " وبناها بناء حسنا متقنا على أحسن تكوين " [١٠] .

– ***المدرسة الرشيدية*** : كانت قائمة في مدينة تعز [١١] في حي ذى عدينة[١٢] قام بعمارتها القاضى الرشيد ذو النون بن محمد بن ذى النون المصرى

---

[١] راجع : نص الوقفية ، ق ١ ، ولعل هذا التاريخ يشير إلي تاريخ الفراغ من عمارة هذه المدرسة .
[٢] انظر : نص الوقفية ، ق ٢ .
[٣] الجندى : السلوك ، ج٢ ، ق ٢٣٧ ؛ الخزرجي : العقود ، ج١ / ١٥٥ وعن القائمين بالتدريس فيها راجع الأكوع : المدارس ، ص ١٥٠ - ١٥١ ، وانظر أيضا : الخزرجي : طراز الزمن ، ق ٦٢ .
[٤] يذكر الخزرجى في العقود ، ج٢ / ٢٠ أنها مسجدا .
[٥] كان فقيها صاحب دنيا متسعة ولد عام ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩ م وتفقه بأخيه على بن إبراهيم ولازمه حتى ظهر نبوغه ، وادى فريضة الحج مرارا وتوفى عام ٧٢٢ هـ / ١٣٢٢ م (انظر : الخزرجى : العقود ، ج٢ / ٢٠) .
[٦] الخزرجى : العقد الفاخر ، ق ٦٢ ، العقود ، ج٢ / ١٩ - ٢٠ .
[٧] كان فقيها متميزا ولد عام ٦٦٤ هـ / ١٢٦٥ ، له مصنف جيد من سبعة مجلدات عرف بنزهة النظار وانس الحضار ، اودعه كثيرا من شعره ، واقتنى خزانة نفيسة من الكتب كانت تشتمل على ٥٠٠ ديوان من الشعر ، وتوفى عام ٧٠٢ هـ / ١٣٠٣ م فى أعقاب مصادرة المؤيد له (راجع : الجندى : السلوك ، ج٢ / ٢٣٨ ، الخزرجى : العقود ، ج١ / ٢٩٥) .
[٨] الخزرجى : العقود ، ج١ / ٢٩٥ ؛ الجندى : السلوك ، ج٢ / ٢٣٨ .
[٩] بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج٢ / ١٢٤ .
[١٠] بامخرمة : نفسه ، ج٢ / ١٢٤ .
[١١] الخزرجى : العقود ، ج١ / ٢٠٩ ؛ بامخرمة : المصدر السابق ، ج٢ / ٧٧ .
[١٢] الأكوع : المدارس ، ص ٣١ .

الأحميمي [١] ، وأوقف عليها كتبا كثيرة مشتملة على كثير من العلوم العقلية والنقلية [٢] .

– *مدرسة البهاء العمراني* : أقيمت في مصنعة سير بمخلاف صهبان[٣] وتنسب إلي قاضي القضاة بهاء الدين محمد بن أسعد بن محمد بن موسى العمراني (٦١٨ – ٦٩٥ هـ / ١٢٢١ – ١٢٩٥ م) ، وهو أول من جمع له الوزارة والقضاء في اليمن في الدولة المظفرية [٤] .

– *المدرسة المحالبية* : كانت قائمة في زبيد ، وأورد السخاوي ذكرها في سياق ترجمته لأحد الفقهاء الذين تولوا التدريس فيها فنسبها للقاضي الشهاب أحمد بن إبراهيم المحالبي [٥] الذي أوقف عليها كتبا كثيرة في شتى الفنون من تفسير وفقه ونحو ولغة وأشعار وشروح وتواريخ [٦] ، وممن درس بها الفقيه محمد بن علي بن عثمان الزبيدي إمام الحنفية بزبيد (ت ٨٤٢ هـ / ١٤٣٨ م)[٧] ، مما يرجح أنها كانت مخصصة لتدريس الفقه الحنفي أصولاً وفروعاً .

– *مدرسة المزجاجي* [٨] : قام بعمارتها بزبيد الشيخ محمد بن محمد بن أبي القاسم أبو عبد الله المزجاجي الزبيدي (٧٥٣ – ٨٢٩ هـ / ١٣٥٢ – ١٤٢٥م)[٩] بجوار داره قريبا من الجامع الكبير بزبيد ، وأوقف عليها ما جمعه من

---

[١] قدم لمصر صحبة الملك المسعود الأيوبي ، تولى إمرة عدن مرارا ، ثم تولى الوزارة للمنصور الرسولي ، توفي في تعز عام ٦٦٣ هـ / ١٢٦٤ م (راجع : بامخرمة : *نفسه* ، ج٢ / ٧٧ - ٧٨) .

[٢] بامخرمة : *المصدر السابق* ، ص ٧٧ – ٧٨ .

[٣] الجندي : *السلوك* ، ج٢ ، ق ٢٥٥ .

[٤] كان القاضي بهاء الدين إلي جانب مناصبه هذه شاعرا فصيحا وخطيبا لبيبا ، توفي على منصب قاضي القضاة بعد أن تنازل لأخيه حسام الدين حسان عن منصب الوزارة (راجع : الأفضل الرسولي : *العطايا السنية* ، ق ٤٣ ؛ الخزرجي : *العقد الفاخر* ، ق ٩١ ، *العقود* ، ج١ / ٢٤٤ –٢٤٥؛ بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، ج٢ / ٢٠٣ - ٢٠٤ ؛ الأكوع : *المدارس* ، ص ١٤٥ – ١٤٦) .

[٥] السخاوي : *الضوء اللامع* : ج٨ / ١٩٦ .

[٦] الأكوع : *المدارس* ، ص ٣٢١ .

[٧] السخاوي : *الضوء اللامع* ، ج٨ / ١٩٦ .

[٨] أطلق عليها السخاوي مسجدا وكذلك الشرجي (راجع : *الضوء اللامع* ، ج٩ / ١٨٩ ، *طبقات الخواص* ، ص ٣٣٣) .

[٩] كان أحد مشايخ الصوفية الكبار بزبيد ، وعرف بملازمته للعلم وتحصيل الكتب حتى جمعت خزانته حوالى ألف مجلد أوقفها على مدرسته ، وكانت له دنيا واسعة أنفق منها الكثير على الفقراء والمساكين ، وحظى بمكانة مرموقة عند بني رسول فصاحب الأشرف الثاني وولده الناصر فكان يلازمه ويجالسه وتوفى عام ٨٢٩ هـ / ١٤٢٥ م وتزوج الظاهر يحيى الرسولي ابنته الطاهرة سيدة الناس بعد وفاته عام ٨٣٣ هـ / ١٤٢٩ م . (الخزرجي : *العقد الفاخر* ، ق ١١٦ ؛ الشرجي :=

كتب كثيرة في العديد من فنون العلم ، وجعل الإشراف على المدرسة وأحباسها لحفيده عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٤٧ هـ / ١٤٤٣ م) [١] ويذكر الأكوع نقلا عن صاحب تاج العروس أن الفيروز أبادى عكف على تصنيف مؤلفه " القاموس المحيط " في هذه المدرسة [٢] .

– *مدرسة تقى الدين بن معيبد* : أقيمت في المحاريب من مدينة تعز سنة ٧٧٩ هـ/١٣٧٧م،وينسب بناؤها للقاضى الوزير أبي حفص تقى الدين عمر بن أبي القاسم بن معيبد الأشعرى[٣]،وكانت مجاورة لباب داره وجعل فيها بركة ومطاهير،وأجرى إليها ساقية من الماء،ورتب فيها إماماً ومؤذناً وقيماً ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن،وخصصها لتدريس الفقه الشافعي فرتب بها مدرساً لذلك، وجماعة من الطلبة يقرأون عليه،وأوقف على الجميع وقفاً يقوم بكفايتهم ، ويذكر الخزرجى أنه أى الخزرجى هو الذى قام بزخرفة هذه المدرسة وتزويقها باستدعاء من الوزير عندما أقدم على عمارتها باعتباره مقدم أهل هذه الصناعة في زمانه [٤] .

– *مدرسة جمال الدين الريمى*[٥] :أقيمت في زبيد ابتناها الإمام القاضى جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر الريمى(ت٧٩٢ هـ/١٣٨٩ م) فكانت لا تخلو من الطلبة والمشتغلين بالعلم وقراءة القرآن،وأوقف الريمى عليها

=طبقات الخواص ، ص ٣٣٣ – ٣٣٤ ؛ البريهى : طبقات صلحاء اليمن ، ص ٢٩١ – ٢٩٢ ؛ السخاوى : الضوء اللامع ، ج٩ / ١٨٨ – ١٨٩) .

[١] الشرجى : طبقات الخواص ، ص ٣٣٣ .

[٢] الأكوع : المدارس ، ص ٣٢٢ .

[٣] تولى الوزارة للأفضل الرسولى عام ٧٧٤ هـ وظل عليها حتى توفى عام ٧٨١ هـ / ١٣٧٩ م ، وكان أديبا فاضلا مقصودا بالمدح من فضلاء عصره(الخزرجى،العقود،ج٢/١٤٥-١٤٦؛العقد الفاخر، ق ٦٩) .

[٤] الخزرجى : العقد الفاخر ، ق ٦٩ ؛ الأكوع : المرجع السابق ، ص ٢٦٠ - ٢٦١ .

[٥] هو أحد الفقهاء المحققين العارفين وآلت اليه الرئاسة العلمية في زمنه فصار مجلسه جامعا للمبتدئ والمنتهى في العلم يقصده الطلاب من اليمن وخارجها ، وهو صاحب مصنف التفقيه في شرح التنبيه الذى حمل للأشرف الرسولى على أطباق الفضة ملفوفا فى الحرير والديباج ، وكانت له حظوة عند ملوك بنى رسول ، صحب المجاهد والأفضل وولاه الأشرف قضاء الأقضية وعرف بأنه كان يبذل نفسه وماله للطلبة والمشتغلين بالعلم ، ألف الكثير من المصنفات ، وكانت مكتبته تشتمل على ألفى مصنف في شتى العلوم (للمزيد راجع : الخزرجى : العقود ، ج٢ / ١٨٣ ، العقد الفاخر ، ق ١٠٦ ؛ البريهى : المصدر السابق ، ص ١٨١ - ١٨٢) .

أوقافاً جليلة،تكفي لإطعام الغرباء والمنقطعين من الطلبة بمدرسته والمشتغلين بالفقه نفقة وكسوة ، وما يحتاجون إليه من ورق ومداد لتحصيل الكتب [١] .

ط- المدارس مجهولة النسب لمؤسسيها :

وهناك مجموعة أخرى من المدارس ورد ذكرها في ثنايا تراجم العلماء والفقهاء الذين تولوا التدريس فيها،و لم نتعرف على أسماء من أبتنوها،من هذه المدارس :

- *المدرسة البدرية:* أقيمت في مدينة إب،وأورد البريهي ذكرها في طبقات صلحاء اليمن في سياق ترجمته للفقيه جمال الدين محمد بن عبد الله الكاهلي (ت٨٣٩ هـ/ ١٤٣٥م)[٢]،يقول البريهي:".... بل رؤئ وقت الضحى يوم وفاته مارا في الطريق في رحبة بيته عند المدرسة البدرية التي عند بيته..."[٣]،وقد رجح القاضي الأكوع أنها في الغالب مدرسة محمد بن حسن بن أبي بكر بن فيروز (ت٧٢٩ هـ/١٣٢٨م)[٤].وكانت هذه المدرسة عامرة إلي ما قبل عام ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨ م،وكان مكانها قبلي(شمال)الجامع الكبير،فهدم أمير لواء إب آنذاك القاضي أحمد بن أحمد السياغي(ت١٣٨٤ هـ/١٩٦٤م)جزءا منها وبنى عليه بيتا لرجل هدم بيته لتوسيع الجامع الكبير بعد أن ضاق بالمصلين،وما يزال الجزء الذى لم يهدم منها قائما [٥] .

- *المدرسة البدرية اللطيفية :* لم نتعرف على مشيدها أو تاريخ عمارتها ، إذ أورد السخاوى ذكرها عرضا في ترجمته لأحد العلماء المرتبين للتدريس بها ويدعى الفقيه عبد الله بن محمد بن على بن أبي بكر الناشرى (٨٠٥ - ٨٤١ هـ / ١٤٠٢ - ١٤٣٧ م) ، وكان يقوم بتدريس الفقه بها [٦] .

- *المدرسة الناصرية :* أقيمت في مدينة إب [٧] ، وأورد البريهي ذكرها في سياق ترجمته للفقيه الصالح تقى الدين عمر ابن ابى بكر الحارثى (ت ٨٣٣ هـ /

---

(١) الخزرجي : *العقد الفاخر* ، ق ١٠٦ ؛ الأكوع : *المدارس* ، ص ٢٥٨ .
(٢) جعل السخاوى تاريخ وفاته عام ٨٣٧ هـ / ١٤٣٣ م ، أنظر : *الضوء اللامع* ، ج٨ / ١٢١ .
(٣) البريهي : *طبقات صلحاء اليمن* ، ص ٩٤ .
(٤) الأكوع : *المدارس* ، ص ٢١٨ ، ٣٢٠ .
(٥) الأكوع : *المدارس* ، ص ٣٢٠ .
(٦) السخاوى : *الضوء اللامع* ، ج٥ / ٥٨ ، كذلك قام الناشرى بتدريس علم القراءات في المؤيدية بتعز ، كما تولى التدريس بالصلاحية بزبيد نيابة عن خاله .
(٧) البريهي : *المصدر السابق* ، ص ٩٢ .

١٤٢٩ م) الذى كان يتولى تدريس الفرائض والنحو بها ، كما كان دائم الاعتكاف فيها [١] ، ولم يرد اسم مؤسسها [٢]

– *مدرسة جرن شريف*: أقيمت في مدينة إب، وورد ذكرها عند ترجمة البريهى للفقيه جمال الدين محمد بن حسن البريهى (٨٠٣ هـ/ ١٤٠٠م)، فذكر ما نصه " ولى نيابة الجامع المبارك بمدينة إب سنين كثيرة فعمره عمارة جيدة وأصلح ما تشعث منه أحسن صلاح، وتولى نيابة مدرسة جرن شريف بالمدينة المذكورة فعمرها، وكان يقبض ما شرطه الواقف للناظر ، فلما قربت وفاته ندم على ما أخذ من ذلك فباع نصف بيته الذى يسكنه وصرف ثمنه لعمارتها وإصلاحها..."[٣].

– *المدرسة الفتحية*: أقيمت في مدينة ذى جبلة، وورد ذكرها في ترجمة البريهى لأحد الفقهاء الذين تولوا التدريس فيها ومنهم الإمام رضى الدين أبو بكر بن محمد بن عمران المعروف بالكابة (توفى بآخر المائة الثامنة)، فذكر البريهى ما نصه " قرأ بمدينة ذى جبلة في النحو والحديث والقراءات السبع والتفسير، ...ثم تولى التدريس بالمدرسة الفتحية بعد موت شيخه المأربى وأفتى وكان إماما جليلا عالما وله قريحة حسنة وشعر جيد"[٤]، ودرس بها أيضا الامام جمال الدين محمد بن عبد الله بن سلم الخولانى "وكان من أجل من اشتهر بالعلم...فدرس وأفتى بمسجد الدار، والفتحية"، وكان بارعا في الفرائض والحساب، وتوفى ٨٠٥ هـ/ ١٤٠٢م [٥].

– *المدرسة الحسينية* : وكانت قائمة في زبيد ، ولم نستدل على مؤسسها، وأورد البريهى ذكرها في سياق ترجمته لشيخها القائم بالتدريس فيها الفقيه كمال الدين موسى بن أحمد بن على بن عجيل المعروف بالمشرع (٨٠٢ – ٨٧٩ هـ / ١٣٩٩ – ١٤٧٤ م) وكان يقوم بالإفتاء والتدريس بها ، " ولما ملك بنو طاهر زبيد أضيف إليه نظر المدرسة الحسينية وتدريسها إلي أن مات ... " [٦] .

---

[١] البريهى : *نفس المصدر والصفحة* .

[٢] يرجح محقق كتاب البريهى نسبتها إلي الملك الناصر أحمد بن الأشرف اسماعيل (ت ٨٢٧ هـ/ ١٤٢٣ م وذلك بناء على اسمها الناصرية ، رغم أن المصادر المتاحة لم تذكر عن الناصر قيامه بتأسيس المدارس .

[٣] البريهى : *طبقات صلحاء اليمن* ، ص ٨٧ – ٨٨ .

[٤] البريهى : *طبقات صلحاء اليمن* ، ص ١٢١ .

[٥] البريهى : *طبقات صلحاء اليمن* ، ص ١٢٢

[٦] السخاوى : *الضوء اللامع* ، ج١٠ ، ١٧٥ ؛ البريهى : *المصدر السابق*، ص ٣١٤ – ٣١٥

وراجع أيضا: الأكوع : *المدارس* ، ص ٢٩٦

الفصل الرابع
إزدهار العلوم والآداب في اليمن

الفصل الرابع
إزدهار العلوم والآداب في اليمن

١ – العلــوم الشرعية

أ – القراءات وعلوم القران

ب – علم الحديث

ج – الفقه وأصوله

٢– الدراسات اللغوية والأدبية

أ – علوم اللغة والنحو

ب – الأدب (النثر – الشعر)

٣– العلـــــوم العقلية

أ – الطب

ب – الحساب

ج – الفلك

(١) العلوم الشرعية

وهى العلوم المتصلة بالقرآن الكريم والحديث الشريف كالقراءات والفقه والحديث والتفسير ، وقد حظيت هذه العلوم بمكانة متميزة في مدرسة اليمن العلمية ، ونالت قسطاً كبيراً من اهتمام المسلمين بها ، وقد زخرت بلاد اليمن بنخبة متميزة من خيرة العلماء وأبرزهم في مجالات العلوم الشرعية ، كما تميزت أيضا هذه الدراسات الدينية بوفرة طلابها ومجالسها العلمية ، مما جعلها أظهر الحركات الفكرية في المجتمع العلمى ببلاد اليمن .

١- القراءات وعلوم القرآن :

حظيت بلاد اليمن بجملة من العلماء أسهموا بنصيب وافر في هذا المجال ، وذاعت شهرتهم،وشدت الرحال للأخذ عليهم،ومما لاشك فيه أن اعتناء علماء اليمن بالدراسات القرآنية كان نابعاً من عقيدة دينية خالصة،مثلهم في ذلك مثل غيرهم من المفسرين في شتى أنحاء العالم الإسلامى،ومن ثم أقدم علماء اليمن على القرآن ينهلون منه،ويفسرونه كل على قدر طاقته،وبما يسره الله من فهم معانيه وأحكامه ودقائقه،وشهدت الفترة موضوع الدراسة ظهور عدد من المهتمين بتلك الدراسات فصنفوا عدداً من التفاسير القرآنية ، وفيما يلى جدول بأبرز هؤلاء المصنفين في:-

- القراءات وعلوم القرآن :

اسم الفقيه	المصنفات	الشيوخ	سنة الوفاة
نشوان بن سعيد الحميرى	- مسك العدل والميزان في موافقة القرآن [1]		٥٧٣ هـ / ١١٧٧ م
سالم بن فضل بن عبد الكريم بافضل (من كبار علماء تريم)	- وضع تفسيراً للقرآن الكريم [2]		٥٨١ هـ / ١١٨٥ م

---

(١) بروكلمان : *تاريخ الأدب العربى* . نقله إلي العربية د. عبد الحليم النجار وآخرون ، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٧ ، ج٥ / ٣٠٠ ؛ وراجع أيضا : عمارة اليمنى : *المفيد* ، ص ٣١١ - ٣١٢ هـ للمحقق؛ نشوان الحميرى : *الحور العين* ، ص ٢٥ من مقدمة المحقق .

(٢) محمد رضا الدجيلى : *الحياة الفكرية* ، ص ١١٩ .

محمد بن الحسين المعينى المعيلفى	لوامع البرهان وقواطع البيان في تفسير القرآن[1]		٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م
محى الدين حميد بن أحمد بن جعفر بن الحسن القرشي	- تفسير القرآن الكريم - مختصر تفسير الحاكم الجشمي[2]		أوائل ق ٧هـ / ١٣ م
على بن سليمان بن أسعد المعروف (بجيدره)	المباني والمعاني والقرآن [3]		٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م
عبد الله بن أحمد بن أسعد بن أبي الهيثم	- له ثلاثة مصنفات في علم القراءات وهي : الإيضاح - الإشارة - الكفاية [4]		عاش في أواخر ق ٦هـ / ١٢م
محمد بن إدريس بن الناصر [5]	- كتاب التيسير - كتاب الأكسير الإبريز في تفسير القرآن العزيز - الحسام المرهف في تفسير غريب المصحف - الدرة المضية في الآيات المنسوخة الفقهية - النهج القويم في تفسير القرآن الكريم [6]		٧٣٦هـ / ١٣٣٥ م

[1] البغدادى (إسماعيل باشا محمد أمين البابانى) ت ١٣٣٩ هـ / ١٩٢٠ م : هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، طبعة مصورة بالأوفست عن طبعة استانبول ١٩٥١ م ، طهران ١٩٦٧ ، ج٢ / ١٠٢ .

[2] يحيى بن الحسين : طبقات الزيدية ، ق ٣٧ . حيث يذكر أنه حذف منه اللغة والإعراب والقراءة ، واقتصر على المعنى والحكم .

[3] بروكلمان : المرجع السابق ، ج٥ / ٣٠١ ؛ محمد رضا الدجيلي : المرجع السابق ، ص١٢٣ .وكان على بن سليمان هذا من أعيان علماء اللغة والأدب في عصره .

[4] يرجح أ. عبد الله الحبشي أن تكون هذه المصنفات أسماء ثلاثة لمصنف واحد ، خاصة وأن ياقوت الحموى يذكر أن هذا الفقيه المقرئ قد صنف كتابا في القراءات السبع (راجع : مصادر الفكر العربي الاسلامي في اليمن ، مركز الدراسات اليمنية ، صنعاء ١٩٧٩ ، ص ١٧ ؛ الأكوع : البلدان اليمانية ، ص ٧٢) وأنظر أيضا : الخزرجي : العقد الفاخر ، ق ١٤١ .

[5] هو أحد علماء المفسرين ، وصنف في عدة فنون أخرى منها الفقه والتاريخ .

[6] الشوكاني : محمد بن على (ت ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م) : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، ج٢ ، دار المعرفة ، لبنان بدون تاريخ ، ص ١٢٦ - ١٢٧ .

يحيى بن القاسم بن عمر بن على العلوى اليمنى المعروف بالفاضل العلوى " أو الفاضل اليمنى "[١]	- حاشية على تفسير الكشاف وتعرف " بتحفة الأشراف "[٢] - درر الأصداف في حل عقدة الكشاف [٣]		كان حيا في عام ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م
عبد الله بن أسعد بن على اليافعى	- كتاب الإرشاد والتطريز في فضل ذكر الله وتلاوة كتابه العزيز - الدر النظيم في خواص القرآن الكريم - الأنوار اللائحة في أسرار سورة الفاتحة [٤]		ت ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م
محمد بن على بن عبد الله الخطيب الموزعى	- تيسير البيان في أحكام القرآن [٥]		ت ٨٢٥ هـ / ١٤٢١ م
الفقيه الحنفى أبو بكر بن على الحداد	- تفسير الحداد أو " كشف التنزيل في تحقيق التأويل "[٦]		ت ٨٠٠ هـ / ١٣٩٧ م

---

[١] وكان بارعا في عدة علوم ، وارتحل إلي عدة حواضر إسلامية وراء العلم والاستزادة منه ، فقرأ على علماء هذه الديار .

[٢] وعرفت بحاشية العلوى وتناقلها الناس فيما بينهم . (راجع : الشوكانى : _البدر الطالع_ ، ج٢ / ٣٤٠ ؛ الحبشى : _المرجع السابق_ ، ص ١٩ .

[٣] الحبشى : _المرجع السابق_ ، ص ١٩ .

[٤] للمزيد من التفاصيل عن اليافعى أحد كبار المتصوفة باليمن وحياته ومصنفاته في العديد من فنون العلم كالفقه والنحو والتصوف والشعر وأصول الدين والتاريخ (راجع : الإسنوى : _طبقات الشافعية_ ، ج٢ / ٣٣٠ ــ ٣٣٣ ؛ الفاسى : _العقد الثمين_ ، ج٥ / ١٠٤ ــ ١١٠ وما بعدها ؛ الشرجى : _طبقات الخواص_ ، ص ١٧٢ ــ ١٧٦ ؛ بامخرمة : _تاريخ ثغر عدن_ ، ج٢ / ١٠٩ وما بعدها ؛ الشوكانى : _المصدر السابق_ ، ج١ / ٣٨٧ ؛ الحبشى : _مصادر_ ، ص ١٩ .

[٥] البريهى : _طبقات صلحاء اليمن_ ، ص ٢٦٨ - ٢٦٩ ، والامام الموزعى هذا هو الذى بدأ عمارة جامع موزع ، ولما عجز عن إتمامه ، أرسلت إليه جهة فرحان زوجة الأشرف الثانى مالاً جزيلاً ، أتم به عمارة الجامع ، واشترى بما تبقى لديه من اموال ارضاً أوقفها على مصالح الجامع . أما كتاب تيسير البيان فمنه عدة نسخ خطية إحداها بمكتبة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة . (راجع : البريهى : _نفسه_ ، ص ٢٦٩ هـ ٣ - ٤ للمحقق) .

[٦] الشوكانى : _البدر الطالع_، ج١ / ١٦٦ وتوجد منه نسخة خطية بمكتبة الامبروزيانا تحت رقم B46 .

الفقيه يوسف بن أحمد بن محمد بن عثمان الزبيدى اليمنى	– الثمرات في تفسير آيات الأحكام [(١)]		٨٣٢ هـ / ١٤٢٨م
الفقيه المقرئ النحوى حسن بن محمد بن سعيد الشظبى	– الدرة [(٢)]		٨٣٤ هـ / ١٤٣٠ م
الفقيه محمد بن سعيد بن على بن كبن	– الدر النظيم في شرح بسم الله الرحمن الرحيم [(٣)]		٨٤٢ هـ / ١٤٣٨ م
الفقيه المقرئ عثمان بن عمر بن أبي بكر الناشرى [(٤)]	– الدر الناظم لرواية حفص من قراءة عاصم في القرآن – الهداية إلي تحقيق الرواة إيضاح الدرة المضية في قراءات الثلاثة الصحيحة المرضية – الدر المكنون في رواية الدورى وحفص وقالون – نفائس الهمزة في وقف هشام وحمزة [(٥)]		ت ٨٤٨ هـ / ١٤٤٤ م
الشيخ جمال الدين محمد بن إبراهيم الخولانى الشهير بالساودى [(٦)]	– فكاهة البصر والسمع في معرفة القراءات السبع – مختصر في قراءة نافع وأبي عمرو [(٧)]		

(١) الشوكانى : البدر الطالع ، ج٢ / ٣٥٠ وهو من الكتب الشهيرة عند أهل اليمن ويوجد منه عدة نسخ خطية بمكتبات اليمن . (راجع : الحبشى ، مصادر ، ص ٢١) .

(٢) ولما فرغ من تصنيفه أرسل نسخة منه إلي زبيد لينتفع بها الدارسون هناك ، كذلك له مؤلفات أخرى في النحو . (راجع : السخاوى : الضوء اللامع ، ج٣ / ١٢٤ – ١٢٥ [ت ٤٨٠]) .

(٣) السخاوى : الضوء اللامع : ج٧ / ٢٥١ .

(٤) للمزيد عنه (راجع : البريهى : المصدر السابق ، ص ١١٣ – ١١٦) .

(٥) السخاوى : الضوء اللامع ، ج٥ / ١٣٤ ؛ الحبشى : مصادر ، ص ٢٣ .

(٦) وهو من المتخصصين في القراءات أدرك أخريات العصر الرسولى ووصف بانه وحيد عصره ومقرئ مصره ، لم يكن في زمنه بصنعاء وذمار وصحده وغيرها من جهات اليمن العليا من يماثله أو يدانيه في علم القراءات السبع ، ووفدت عليه الطلاب من جهات شتى " فأفادهم الفوائد السنية ، وكان يخطب ، فإذا وعظ كان كمن لانت له صم الصخور " ، وكان مفوضا إليه كتابة الإنشاء وأمر الوقف بدولة الأئمة الزيدية ، وكان شافعى المذهب يعتقد ما يعتقده أهل السنة ، ولكنه كان يخفى حقيقة مذهبه تقية عن الزيدية خشية إيذائهم له . (راجع : البريهى : نفسه ، ص ٢٤) .

(٧) وأصدره في ثلاثة مجلدات كبار . (راجع : البريهى : المصدر السابق ، ص ٢٤) .

ومن مشاهير القراء في اليمن وأبرزهم في الفترة موضوع الدراسة :

- *المقرئ أبو عبد الله سليمان بن أسعد الجدلي الحميري* (ت ٥٩٣هـ/ ١١٩٦م):تفقه بعلماء عصره،وكان الدارسون يقصدونه في بيته،وممن أخذ عنه الفقيه إبراهيم بن إسماعيل بن حديق[١]،ومن مآثره أنه قبل وفاته أوقف كتبه ومصنفاته على طلبة العلم القاصدين داره،وقد أدرك الجندى بعضها قبل أن تنهدم داره وقريته كلها [٢] .

- *ومنهم أيضا ابن عمه وتربه أسعد بن سلمان الجدلي:*وكان زميله في القراءة على مشايخ العصر،ولم تذكر المصادر تاريخ وفاته،واكتفى الجندى بذكر اطلاعه على بعض كتب الفقيه سليمان التي تركها بداره،ولم تكن تحمل سوى تاريخ وفاة سليمان [٣] .

- *المقرئ أبو بكر بن أسعد بن حسين*(ت٦٤٣ هـ/١٢٤٥م):وكان معاصراً للسلطان المنصور نور الدين عمر وكان يتولى القراءة في مجالس التشفيع التي اعتاد بنو رسول عقدها احتفالاً بشهر رمضان وتميز بحسن الصوت وجودة التلاوة [٤].

- *الفقيه المقرئ أبو الحسن علي بن مسعود بن علي الساعي الكنبي* (ت ٦٥٠ هـ / ١٢٥١ م) : كان إماماً كبيراً ، برع في فنون كثيرة ، وكان غالب اشتغاله خاصة في أوائل عمره بالقراءات السبع ، وتفقه في القراءات على علماء حراز حتى أتقنها ، وقصدته الطلبة للقراءة عليه ، ويروى الخزرجي أن حلقة درسه كانت تجمع ثمانين متفقهاً ، وقد تفقه وقرأ عليه جمع كبير ، وانتشر عنه الفقه والقراءات في حجة وغيرها من المناطق المجاورة انتشاراً عظيماً [٥] .

- *المقرئ : أبو محمد سعيد بن أسعد بن علي الحرازي* (ت ٦٧٨ هـ/ ١٢٧٩ م) : وكان حافظاً للكتاب الكريم وتميز بحسن الصوت وجودة التلاوة ، وكان معلماً ومقرئاً للبيت الرسولي ، حيث استدعته الدار نجمى أخت الملك

---

[١] راجع عنه : الجندى :السلوك ، ق ١٦٦ .
[٢] الجندى :السلوك ، ق ١٤٩ - ١٥٠ ؛ الأهدل :تحفة الزمن ، ق ٩٦ .
[٣] الجندى :السلوك ، ق ١٥٠ .
[٤] الخزرجى :العقود ، ج١ / ٧٣ - ٧٤ .
[٥] الخزرجى :العقود ، ج١ / ٩٩ - ١٠٠ .

المنصور الرسولى إلي ذى جبلة ، فصار معلماً عندهم ، ثم انتدبه الملك المظفر أثناء توليه السلطنة إلي بلاطه ، وأسند إليه التدريس لولده الأشرف ، ونال نصيباً وافراً من الدنيا لقربه من بلاط الحكم ، ولكنه كان خير مرشد وناصح لولى العهد ، "وكان كثيرا ما يصده عن أمور غير لائقة " [١].

- *الفقيه المقرى سبأ بن عمر اللدمى*(ت٦٩٤ هـ/١٢٩٤م):وكان فقيهاً خيراً قرأ القرآن بالسبع قراءات حتى أتقنها ، كما درس كتب الحديث والفقه ، وقدم عدن وترتب للقراءة في مسجد السوق،كما قرأ الحديث فيه أيضا وأخذ عنه المحدث أبو العباس أحمد بن على الحرازى القراءات وصحيحى مسلم والبخارى[٢].

- *المقرئ الفقيه محمد بن عيسى بن على بلسر* (ت ٧٠٧ هـ / ١٣٠٧م): كان فقيها حافظا لكتاب الله ، ومن أحسن الناس صوتا ، رتبه بنو عمران إماماً في جامع الجند [٣] .

- *المقرئ عبد الكريم بن على بن إسماعيل* (ت ٧١٧ هـ / ١٣١٧ م): وكان عارفا بالقراءات،درسها على أبرز علماء زمنه،وقصده الطلاب للقراءة عليه ، فانتفعوا به كثيراً،وكان مدققاً لا يفوته شئ من خطأ القارئ وهو يقرأ عليه[٤] .

- *المقرئ : أبو محمد الخضر بن محمد المغربي* (ت ٦٩٠ هـ / ١٢٩١م) : وكان مقرئا عارفا فاضلا مجتهدا محققا أخذ على علماء عصره في القراءات ومنهم الحرازى في عدن ، وابن الحذاء [٥] .

- *المقرئ أبو حفص عمر بن أحمد بن سعد وعرف بابن الحذاء* : نسبة إلي احترافه صناعة النعال ، وإليه انتهت رئاسة القراءات في اليمن أجمع في ق٧ هـ/ ق ١٣ م ، ما قرأ عليه أحد إلا وانتفع به [٦] .

- *الفقيه المقرئ أبو العباس أحمد بن على بن أحمد الحرازى* (ت٧١٨ هـ/ ١٣١٨ م) : كان فقيها فاضلا عرف بالإمام الفقيه العلامة المقرئ

---

[١] الخزرجى : العقود ، ج١ / ١٨٨ .
[٢] الخزرجى : العقود ، ج١ / ٢٤١ ؛ بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج٢ / ٦ - ٧ ، ٨٩ - ٩٠ .
[٣] الخزرجى : العقود ، ج١ / ٣٠٨ .
[٤] الخزرجى : العقود ، ج١ / ٣٤٥ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ق ١٠٨ .
[٥] بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج٢ / ٦٩ .
[٦] الأفضل : العطايا ، ق٣٧ - ٣٨؛ الجندى : السلوك ، ق ١٧٠ - ١٧١؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ق ١٠٧ .

النحوى اللغوى الأصولى ، مما ينهض دليلا على شمولية معرفته ، أخـذ القـراءات السبع على الفقيه المقرئ أبو محمد عبد الله بن عمر النكزاوى الاسكندرى الوافـد إلي عدن ، وقرأ عليه بالحروف السبعة ، كما أخذ القراءات عن الفقيه المقرئ سبأ، وبلغ الغاية في هذا الفن ، وأخذ عليه جم غفير من بينهم البهاء الجندى " وكـان مبارك التدريس ما قرأ عليه أحد إلا وانتفع به " [1] .

- *المقرئ عبيد بن محمد* (ت ٦٩٦ هـ / ١٢٩٦ م) : كـان أحـد تلاميذ ابن الحذاء في علم القراءات وبرع في هذا الفن ، شأن أهـل بيتـه الـذين اشتهروا بجودة حفظهم للقرآن ، وممن أخذ عنه المقرئ أبو عبد الله الجـدائى (ت ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م) [2] .

المقرئ أبو عبد الله محمد بن عثمـان بـن شـنينة (ت ٧٥٨ هـ / ١٣٥٦م) : وكان عارفا بالقراءات السبع وطرقها وكانت له مشـاركة في علـوم الفقه والحديث والنحو ، تتلمذ على يد أبو الحسن بن شداد شيخ القراء في عصره، كما أخذ على علماء القراءات والحديث بمكة ، وانتفع به أهل اليمن انتفاعا كبيرا، خاصة في فن القراءة ، وأخذ عليه الخزرجى حيث قرأ عليه القراءات السبع إفـرادا وجمعا [3] .

- *الفقيه المقرئ أبو الحسن على بن أبي بكر بن محمد بن شداد الحميرى* (ت ٧٧١ هـ / ١٣٦٩ م) : وكان كعادة علماء عصره ، متفوقا في عدة فنـون يأتى على رأسها القراءات والفقه والعربية والحديث ، وكان محققا في جميع هـذه العلوم ، واليه انتهت الرئاسة في اليمن كله في علوم الفقه والحديث خصوصـا في علم القراءات ، حيث أجازه علماء عصره في اليمن ومكة المشرفة ، وانتفع بعلمـه جماعة من المقرئين منهم المقرئ محمد بن عثمان بن شـنينة شـيخ الخزرجـى في القراءات وغيره من فقهاء عصره الذين تصدوا للإقراء بعد دراستهم عليه وانتفع بهم أهل اليمن ، وانفرد الحميرى بالرئاسة في آخر عمره ، وانتشر ذكـره ، وقصـده

---

[1] الخزرجي : العقود ، ج١ / ٣٥٢ ؛ الإسنوى : طبقات الشافعية ، ج٢ / ٣٢٧ ؛ بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج٢ / ٦ - ٧ ؛ وراجع عن النكزاوى : نفس المصدر ، ج٢ / ١١٧ .

[2] الجندى : السلوك ،ق١٧١ ؛الخزرجى:العقود ، ج٢ / ٢٣ – ٢٤ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ق ١٠٧ .

[3] الخزرجى : العسجد ، ق ٢٣ ؛ الكفاية ، ق ١٨٠ ، العقود ، ج٢ / ٩٢ .

الطلبة من جميع الجهات " وكانت إليه الرحلة في علمى الحديث والقراءات ، ومن مصنفاته في هذا المجال كتاب " المبتهج للطالب المدلج " [١] .

- *المقرئ على بن مفلح الكوفى*(ت٧٩٠ هـ/١٣٨٨م): وكان فقيها فاضلا عارفا بالقراءات السبع وغيرها،دارسا على علماء عصره كابن الحرازى في عدن ، اتسم بكثرة إحسانه إلي طلبة العلم ، وكان كثير المؤاساة لهم ، متحملا لغالب مؤنتهم من طعام وكسوة [٢] .

المقرئ الفاضل المفضل بن عمران الحرازى(توفى بعد ٨٥٠هـ/١٤٤٦م): انتقل من حراز إلي صنعاء فقرأ بالقراءات السبع والنحو على المقرئ الساودى ، وأقام يدرس عليه سنين ، ثم ارتحل إلي تعز لمزيد من التفقه في القراءات والفقه ، حتى ذاع اسمه ، فاستدعاه الامام الناصر الزيدى إليه ، وجعله مؤدبا لولده وليعلمه آداب القرآن الكريم [٣] .

- *المقرئ الإمام جمال الدين محمد بن يحيى الهمدانى الأسخنى المشهور بالشارقى* (ت ٨٢٠ هـ / ١٤١٧ م) : أخذ القراءات عن أصحاب المقرئ بن شداد ، كما درس النحو وغيره من العلوم على جماعة من شيوخ عصره في مدينة تعز وذى جبلة وإب وغيرها ، ثم دخل إلي زبيد فكان أكثر انتفاعه بها ، ثم عاد إلي بلده " الشارقة " بوصاب ، فأقام بها ثم انتقل إلي قرية أسخن ، فاستوطنها ، وتصدر للتدريس والإقراء فيها ، " فقصده الناس من الآفاق البعيدة والقريبة فانتفع به كل من تخرج على يده " . وقصده من دمشق مقرئين للقراءة عليه فأجازهما ، كما قرأ عليه من أهل اليمن جمع كثير ممن تصدروا للإقراء بعد ذلك [٤] .

- *المقرئ عثمان بن أحمد*(ت ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م):كان إلي جانب براعته في علم القراءات مجيدا لعلوم النحو والعربية حسن القراءة،يمتهن النساخة ويقتات منها،ورتب إماماً في المدرسة الجلالية،فكان دأبه الاشتغال بعلم القرآن وتعليمه،وانتفع به جماعة من طلاب العلم [٥] .

---

[١] بامخرمة :*تاريخ ثغر عدن* ، ج٢ / ١٣٨ ـ ١٣٩ ؛ الحبشى :*مصادر الفكر* ، ص ٢٤ .
[٢] بامخرمة :*نفس المصدر* ، ج٢ / ١٦٤ .
[٣] البريهى :*طبقات صلحاء اليمن* ، ص ٢٦ .
[٤] البريهى :*المصدر السابق* ، ص ٤٢ - ٤٣ .
[٥] البريهى :*طبقات فقهاء اليمن* ، ص ١٠٩ ـ ١١٠ .

- *المقرئ العلامة صفي الدين أحمد بن علي الشوايطي*(ت ٨٦٤ هـ / ١٤٥٩م):قرأ بالقراءات العشر في اليمن،واشتهر بتجويد القراءة،وأقـام يـدرس القراءات ببلده"شوايط"،ثم انتقل إلي مكة بأسرته فقطنها إلي أن وافته المنية بها [١] .

- *المقرئ الولي شمس الدين بن علي بن عمر الخولاني :* كان عالما زاهدا قرأ القراءات بالسبع وبغيرها من سائر العلوم على فقهاء وقته ، وقصد للإفـادة ، وأجمع أهل عصره على صلاحه وعلمه ، وبلغ الغاية في الشهرة ، وطـال عمـره وانتفع به الناس وتوفى آخر المائة الثامنة للهجرة / ق ١٤ م [٢] .

- *المقرئ عفيف الدين سعيد بن علي الفتوحي السورقي* (ت٨٤٠هـ/ ١٤٣٦ م) : قرأ على جماعة من أهل بلده بالقراءات السبع ، ثم رجـع إلي بلـده فأقام فيها مفيدا للطلبة الوافدين إليه باذلا نفسه لإفادتهم وإعانتهم بما يقدر عليه من المعونة إليهم ، وما عجز عنه سعى لهم به ، وخلفه ابنه عبد الرحيم في مجلس التلاوة والإقراء ، فلزم طريقة أبيه ، وعمل بنساخة المصاحف الكريمة ، وكانـت كلمتـه بالإصلاح مسموعة بين أهل بلده [٣] .

- *المقرئ رضى الدين أبو بكر بن علي المقرئ اليهاقري* (قرية غـربي الجند) : استوطن اليهاقر وعمل بتدريس علم القراءات وتجويدها بها ، فذاع ذكره، وقصده الناس ، وحظى باحترامهم فارتفعت مكانته ، وأصبح مقبول الشفاعة عند الوجهاء والسلطان ، وتوفى بعد ٨١٠ هـ / ١٤٠٧ م [٤] .

- *المقرئ شمس الدين بن علي بن عباس السكسكي* : قرأ بـالقراءات السبع وغيرها من فنون العلم ، حتى تأهل للتدريس ، فدرس وأفـتى ، ثم نـدب لتأديب أولاد الأفضل الرسولي ومنهم الأشرف اسماعيل ، فانتفع بعلمه ، وولي كتابة الإنشاء في الدولة الأفضلية ، ثم ولي القضاء الأكبر ، ثم اعتلى كرسي الوزارة مـن عام (٧٨٧ – ٧٨٩ هـ / ١٣٨٥ – ١٣٨٧ م) [٥] .

---

(١) البريهي : *المصدر السابق* ، ص ١٤٤ .
(٢) البريهي :*نفسه* ، ص ١٤٤ ـ ١٤٥ وعن تلاميذه راجع :*نفس المصدر* ، ص ١٤٥ – ١٤٦ .
(٣) البريهي :*نفسه* ، ص ١٥٢ ـ ١٥٣ .
(٤) البريهي :*نفسه* ، ص ١٥٨ – ١٥٩ .
(٥) البريهي :*نفسه* ، ص ١٨٣ ـ ١٨٤ .

- *المقرئ عفيف الدين عبد الله بن عمر بن منصور الصراري* (ت ٨٠٤ هـ / ١٤٠١ م) وكان " متبسطا للتدريس مستنبطاً منها كل معنى نفيس " ، كانت قراءته بمواضع متفرقة من اليمن على أئمة من العلماء أسانيدهم في الصحيح متفقة ، ثم استقر بمدينة إب ، حيث صار إماماً لجامعها قائما بالتدريس فيه ، وفي بعض مدارسها ، وانتهت إليه الرئاسة في علم القراءات السبع لبلده ، ويذكر البريهى " انه كان لا يمر عليه وقت من النهار غالباً إلا وهو يقرأ فيه ، أو يحصل شيئاً من كتب العلم ، أو ينسخ كتاب الله تعالى . وأن جماعة من الدرسة ، كانت قراءتهم عليه ليلاً لما لم يتسع لهم النهار " [١] .

ب - *علم الحديث* : أسهم عدد كبير من علماء اليمن في هذه الفترة بدراسة الحديث النبوى الشريف والتصنيف فيه . وفيما يلى عرض لأهم الباحثين من أهل اليمن في علم الحديث :

اسم الفقيه	المصنفات	الشيوخ	سنة الوفاة
- محمد بن سعيد بن القريظى [٢]	- المستصفى في سنن المصطفى [٣] - القمر [٤]		٥٧٥هـ/ ١١٧٩م [٥]
- الطاهر بن يحيى بن أبي الخير العمرانى	- معونة الطلاب بفقه معانى كلم الشهاب [٦]		٥٨٧هـ / ١١٩١ م

[١] البريهى : *طبقات صلحاء اليمن* ، ص ١٨٩ - ١٩١ .
[٢] هو من كبار علماء عصره في الحديث ،دخل عدن ، وجمع العديد من المصنفات في علم الحديث .
[٣] استخرجه من كتب الصحاح التى داوم على جمعها ، ووصف هذا الكتاب بأنه من الكتب المباركة المتداولة في اليمن يعتمده الفقهاء والمحدثون .
[٤] ووضعه على منوال كتاب " الكوكب الدرى " للإقليشى الأندلسى (ت ٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م) .
[٥] ذكر ابن سمرة وفاته عام ٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م بينما ذكر الجندى وبامخرمة التاريخ المثبت بالمتن ، راجع : *طبقات فقهاء اليمن* ، ص ٢٢٥ . الجندى : *السلوك* ، ق ١٥٩ ؛ الخزرجى : *العقد الفاخر* ، ق١٠٣؛ الأهدل :*تحفة الزمن* ، ق ١٠١ الشرجى : *طبقات الخواص* ، ص ٣٢٢ ؛ بامخرمة :*تاريخ ثغر عدن* ، ج٢ / ٢١٩ ـ ٢٢٠ ؛ وأنظر أيضا : الحبشى :*مصادر الفكر* ، ص ٤٠ ، الأكوع : *البلدان اليمانية* ، ص ٢٤٥ .
[٦] جمع فيه المصنف بين الحديث والفقه وهو شرح لكتاب شهاب الأخبار للقضاعى (ت ٤٥٤ هـ) ويشتمل على أحاديث نبوية في المواعظ والآداب .(راجع:ابن سمرة:*المصدر السابق* ، ق ١٨٨) .

سنة الوفاة	الشيوخ	المصنفات	اسم الفقيه
٦٠٩هـ/ ١٢١٢ م		- الميمون [٢] - الأربعون [٣]	- المحدث : أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن أبي الصيف اليمني الزبيدى [١]
٦٢٠هـ / ١٢٢٣ م	ابراهيم القريظى	- أربعون حديثا في فضائل الأعمال	على بن محمد بن حديد الحسيني الحضرمي اليمني [٤]
ت بعد ٦٣٠ هـ / بعد ١٢٣٢م		- الأربعون المستخرجة من أحاديث الحسان والصحاح الجامعة لما استحب درسه عند المساء والصباح - الأربعون في لفظ الأربعين - شرح كتاب الايمان من صحيح البخارى [٦]	أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان بن بطال الركبي [٥]

---

(١) من أشهر حفاظ الحديث باليمن ، أقام في مكة ، واشتغل هناك بتدريس الحديث وقال الجندى عنه ان أكثر أسانيد أهل اليمن تنتهي إليه . (راجع : *السلوك* ، ق ١٨١) .

(٢) جمع فيه الأحاديث النبوية الواردة في فضائل اليمن وأهله .

(٣) جمع فيه أربعين حديثا عن أربعين شيخا من أربعين بلده . راجع عن ابن أبي الصيف ومصنفاته : ابن سمرة : *نفس المصدر* ، ص ٢٤٧ - ٢٤٨ ؛ الأفضل الرسولي : *العطايا السنية* ، ق ٤٥ ؛ الخزرجي : *العقد الفاخر* ، ق ١٢٩ ؛ الشرجي : *طبقات الخواص* ، ص ٣١٤ ؛ الفاسي : *العقد الثمين*، ج١ / ٤١٥ ؛ السخاوى : *الاعلان بالتوبيخ* ، ص ٢٨٩ .

(٤) يعرف عند أهل اليمن بالشريف أبي الحديد ، وكان حافظ عصره ، وذو دراية واسعة بعلم الحديث، كما كان كثير الرحلة في طلب العلم ، ارتحل من حضرموت إلي عدن ، ودرس المستصفى على إبراهيم القريظى ورحل إلي تعز وأخذ عن علمائها . (راجع : الفاسي : *العقد الثمين* ، ج٢ / ٢٤٩ - ٢٥٠ ؛ بامخرمة : *المصدر السابق* ، ج٢ / ١٥٧ - ١٥٨ ؛ الحبشي : *مصادر الفكر* ، ص ٤١) .

(٥) هو أحد الأئمة اليمنيين العارفين بعدد من العلوم الدينية واللغوية كالقراءات والتفسير والحديث والأصول والنحو ، تخرج عليه جماعة من الفقهاء ، وأخذ عنه جمع من فضلاء عصره ، وابتنى مدرسة وقام بالتدريس فيها لطلابه ، وتنسب له عدة مصنفات في الفقه وغيرها . (راجع : بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، ج٢ / ٢٠٠ - ٢٠١) .

(٦) الفاسي : *العقد الثمين* ، ج٣ / ٣٧٦ ؛ الحبشي : *مصادر الفكر* ، ص ٤١ .

اسم الفقيه	المصنفات	الشيوخ	سنة الوفاة
أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن على الحضرمى [١]	- المرتضى [٢]	أبو الغيث بن جميل	٦٥١هـ/ ١٢٥٣م
اسماعيل بن محمد بن اسماعيل بن على الحضرمى	- مختصر لشرح صحيح مسلم ويعرف بـ"المعلم بفوائد مسلم للمازرى"[٣]		٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م
الامام الحافظ : أبو الخير بن منصور بن أبي الخير الشماخى السعدى [٤]	- نكت على أحاديث المصابيح والعمدة في رجال الوسيط للواحدى[٥]		٦٨٠هـ/ ١٢٨١ م
الكاتب المؤرخ تاج الدين عبد الباقى بن عبد المجيد اليمانى	- مطرب السمع في حديث أم زرع - اختصار الصحاح [٦]		٧٤٣هـ/ ١٣٤٢ م
أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن اسماعيل البريهى [٧]	- مختصر لشرح صحيح مسلم		٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م

---

[١] كان محدثا كاملا عارفا بعلم الحديث ، كما كان من العلماء الزهاد باذل النفس كثير السعى في قضاء حوائج الناس ، صحب شيخ الصوفية في اليمن أبا الغيث بن جميل الذى وقف على دفنه بنفسه . (راجع : الشرجى : *طبقات الخواص* ، ص ٢٧٨ - ٢٨٠) .

[٢] ويعد مختصرا لكتاب شعب الايمان للبيهقى ، وزاد فيه الحضرمى زيادات حسنة .

[٣] اسماعيل هو نجل الفقيه الحضرمى السابق ذكره . أما المازرى فنسبة لمازرة بجزيرة صقلية . (راجع:الاسنوى *طبقات الشافعية* ،ج١/ ٢١٦[٤٠٩]؛ الحبشى : *مصادر الفكر* ، ص ٤٣) .

[٤] هو نزيل زبيد ، وكان فقيها إماما عارفا ، تطلع إلي العديد من العلوم وأجاد فيها ، وصنف ما يدل على عمق معارفه حتى قيل في وصفه ، لم يكن له نظير في إجادة العلم وضبط الكتب " وكان لا يوجد إلا وعنده كتاب ينظر فيه ، ومحبره وأقلام يصلح بها ما وجد في الكتاب من غلط أو سقط أو تصحيف " ، وجمعت خزانته ما لم يجمعه أحد من نظرائه من الكتب . (راجع : الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ١٩٠)

[٥] الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ١٩٠ ؛ الحبشى : *مصادر الفكر* ، ص ٤٣ .

[٦] صنف هذه المصنفات في علم الحديث وغيرها أثناء مقامه باليمن (راجع : الشوكانى : *البدر الطالع* ، ج١ / ٣١٧ - ٣١٨)

[٧] كان فقيها مجتهدا ، انتهت إليه رئاسة الفتوى والفقه في الجند ونواحيها ، وقام بالتدريس في المدرسة النجمية المنشأة عام ٦٢٨هـ / ١٢٣٠ م ، كما تولى التدريس في المؤيدية ، وشارك في عدد من فنون العلم (راجع الخزرجى *العقود* ، ج٢ / ٧٥)

اسم الفقيه	المصنفات		سنة الوفاة
الإمام الحافظ أبو اسحاق إبراهيم بن عمر بن على بن محمد العلوى [1]	- تعاليق على أمهات كتب الحديث - مصنف في الإسناد ، ذكر فيه نحو سبعين شيخا		٧٥٢ هـ/ ١٣٥١م
أبو بكر بن أحمد بن على بن عبد الله بن دعسين [2]	- شرح سنن أبي داود [3]		٧٥٢هـ / ١٣٥١ م
إبراهيم بن محمد بن مطير	- شرح الأربعين حديثا للنووى - مختصر كتاب الأذكار للنووى [4]		٧٦٢هـ/ ١٣٦٠ م
الإمام جمال الدين محمد بن موسى بن الصريفى الذؤالى [5]	- حديقة الأذهان في أحاديث فضل الأخلاق والإحسان [6]		٧٩٠هـ/ ١٣٨٨ م
الإمام جمال الدين محمد بن عبد الله الريمى (صاحب كتاب التفقيه في شرح التنبيه)	- الدر النظيم المنتقى من كتاب الترمذى الحكيم [7]		٧٩٢هـ/ ١٣٨٩ م

---

(1) كان حنفي المذهب ، انتهت إليه رئاسة علم الحديث في اليمن ، وعنه أخذ فقهاء العصر ، واليه كانت الرحلة من الآفاق ، وكان يتولى التدريس بالمدرسة الصلاحية وأقبل على مجالسه العام والخاص من الناس (راجع : الخزرجى : _العقود_ ، ج٢ / ٨١ الأفضل الرسولى : _العطايا السنية_ ، ق٤٤؛ الحبشى : _مصادر الفكر_ ، ص ٤٤) .

(2) كان فقيها متعدد المواهب ، عده الشرجى من جملة المتصوفة باليمن ، انتفع به كثير من أهل اليمن، وقد استدعاه المجاهد الرسولى ليوليه قضاء زبيد فرفض ، ولم يقبل السلطان عذره ، فامتهل منه ثلاثة أيام ، فلما كان اليوم الثالث توفى . (راجع : الشرجى : _طبقات الخواص_ ، ص ٣٩٠) .

(3) كان في نحو أربعة مجلدات ، ومات ابن دعسين عنه والكتاب مسود . (راجع : الخزرجى : _العقود_ ، ج٢ / ٨١ - ٨٢ ؛ الشرجى : _المصدر السابق_ ، ص ٣٩٠ - ٣٩١) .

(4) الحبشى : _مصادر الفكر_ ، ص ٤٥ .

(5) البريهى : _طبقات صلحاء اليمن_ ، ص ٢٨٧ وقد اشتهر الذؤالى بمعرفة الحديث والتفسير والمنطق والأدب فذاع صيته واشتهر أمره ودرس وأفتى ، وتكاثرت عليه الطلبة ، وكانوا يفدون إليه من المناطق البعيدة لاستفتائه .

(6) شرح فيه أربعين حديثا في مجلد ضخم وتوجد منه نسخة خطية بمكتبة جامع صنعاء الغربية برقم ٢٣٧ حديث . (راجع : البريهى : _نفسه_ ، ص ٢٨٨) .

(7) البريهى : _المصدر السابق_ ، ص ١٨٢ . أما كتاب محمد بن على الترمذى (ت ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م) فهو " نوادر الأصول في أحاديث الرسول .

عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر الناشرى اليمانى الشافعى [١]	- شرح قطعة من جامع المختصرات للنسائى		٨١٤هـ/ ١٤١١م
الإمام صفى الدين أبو العباس أحمد بن أبى بكر بن أحمد البريهى [٢]	- الأربعين النافعة في بيان رحمة الله الواسعة		ت٨١٥هـ/ ١٤١٢ م
أبو الربيع سليمان بن ابراهيم بن عمر بن على العلوى الحنفى [٣]	- كتاب " أربعون حديثا رواية أمير المؤمنين على بن أبي طالب - مسانيد العلوى		٨٢٥هـ/ ١٤٢١ م
جمال الدين محمد بن عمر بن محمد بن صالح البريهى [٤]	- أربعين حديثا في المعجزات والكرامات التى صحت لرسول الله صلى الله عليه وسلم - أربعين حديثا في مناقب الخلفاء	عمر بن محمد بن صالح البريهى الشيرازى نفيس الدين العلوى	٨٣٦هـ / ١٤٣٢ م

[١] اخذ على علماء عصره وتقدم في العلم والعمل والجاه ، وقرأ عليه العديد من الدارسين ، وتولى التدريس بجامع المملاح خارج زبيد ، وكان محط تقدير الفيروز أبادى عالم عصره ، وانتقل الناشرى إلي تعز وتقلد عدة وظائف علمية منها التدريس بمدرسة الأتابك سنقر بذى هزيم غربى تعز ، والخطابة بجامع عدينة . (راجع : السخاوى : *الضوء اللامع*، ج٥ / ٥٤ ؛ الحنبلى : *شذرات الذهب*، ج٧ / ١٠٩) .

[٢] ينتمى إلي إحدى البوتات العلمية العريقة في اليمن ، تولى التدريس بعد وفاة خاله وابن عمه الفقيه صفى الدين أحمد بن حسن البريهى ، وظل يقوم بالتدريس في هذا المجلس نحوا من ٣٠ عاما ، أفاد خلالها الطلبة وحصل لنفسه كتبا كثيرة نسخها بخطه ووضع عليها تهميشات وشروح وضبطها أحسن الضبط " حتى صارت كتبه أمهات كتب أهل الوقت " ، وصنف في الفقه والقراءات ، وعلق على عدة مصنفات أخرى جمعها من كتب كثيرة ، وكانت مصدرا خصبا لإنتفاع الطلاب والدارسين عليه. (راجع : البريهى : *المصدر السابق* ، ص ٩٦ - ٩٨) .

[٣] شيخ المحدثين في عصره ، أجاز له مشاهير الحفاظ في مصر والشام والمدينة المنورة ، وقرأ عليه العديد من فقهاء عصره ودارسيه وتولى عدة وظائف علمية بمدراس تعز وزبيد ، وتصدرت طائفة من أصحابه ممن سمع عليه لإقراء الحديث ببلادهم . (راجع : السخاوى : *الضوء اللامع* ، ج٣ / ٣٥٩ ؛ بامخرمة : *المصدر السابق* ، ج٢ / ٩٤ - ٩٥ ؛ الحبشى : *مصادر الفكر* ، ص ٤٧) .

[٤] قرأ على والده وغيره وأجازوا له ودرس وأفتى وتولى القضاء بعد والده في ذى السفال ، وحصل كتبا كثيرة وقام على نسخها بخطه الحسن . (راجع : البريهى : *نفسه* ، ص ١٣٩) .

حسين بن عبد الرحمن بن محمد بن علي الحسيني العلوي الشافعي المعروف بالأهدل [١]	- حاشية على البخاري أسماها " مفتاح القارئ لجامع صحيح الامام البخاري - الكفاية في تحصين الرواية - التنبيهات على التحرز في الروايات - عدة المنسوخ من الحديث		٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م

وبالإضافة إلي هؤلاء المصنفين من مشاهير علماء اليمن في علم الحديث ، أوردت المصادر أسماء عدد آخر من علماء الحديث الذين قاموا على تدريسه في المعاهد العلمية اليمنية في الفترة موضوع البحث،نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر :

- *الإمام أحمد بن محمد بن عبد الله بن سالم البريهي المعروف بسيف السنة* : وآلت اليه الرئاسة في علم الحديث في زمنه [٢] .

- *والحسين بن يوحن بن أبويه بن النعمان الباوري* : وكان محدثاً فاضلاً ، طاف البلدان ، فأفاد واستفاد ، واستقر بأصبهان حيث قام بالتدريس في معاهدها ، وتوفى هناك عام ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م [٣] .

- *وعلى بن عباس بن عيسى بن مفلح المليكي* : وكان حافظاً زاهداً ، روى عنه جماعة كثيرة من فقهاء اليمن عدة كتب في الحديث والتفسير ، ووافته المنية عام ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م [٤] .

- *ومن علماء الحديث أيضا مجير الدين أبو المسك كافور التقى* : وكان أحد خدام العزيز طغتكين ، شغف بالقراءة وصحبة العلماء ، وصار شيخاً في الحديث ، وروى عنه جماعة ، وابتنى المدرسة المجيرية بتعز [٥] .

(١) من مشاهير علماء اليمن المبرزين في علم الكلام،وكعادة علماء عصره برع في عدة علوم وهو مصنف كتاب"تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن".(راجع:السخاوى:*المصدر السابق* ،ج٣/١٤٥؛ الشوكانى:*المصدر السابق* ، ج١ / ٢١٨- ٢١٩ ؛ البغدادى : *هدية العارفين* ، ج١ / ٣١٥) .

(٢) ابن سمرة : *المصدر السابق* ، ص ١٩٠ – ١٩١ .

(٣) الأكوع : *البلدان اليمانية* ، ص ٣٩ . وينتمى لقرية باور أحد مواضع اليمن .

(٤) ابن سمرة : *المصدر السابق* ، ص ٢١٨ – ٢١٩ ؛ الأهدل : *تحفة الزمن* ، ص ٩٨ .

(٥) الأفضل الرسولى:*العطايا السنية*،ق٤٢. وعن المدرسة المجيرية راجع:الأكوع:*المدارس الإسلامية*، ص ٩ .

– *أبو عبد الله محمد بن أبي علقمة الجماعي* (من علماء ق ٦ هـ / ق ١٢ م) : أحد تلاميذ الإمام سيف السنة ، سمع عليه صحيح مسلم بجامع الجند ، تصدر للتدريس ببلده ذى السفال ، فكان إمامها وخطيبها ومدرسها والمفتي بها ، وتفقه به جماعة [١] .

– *المحدث : محمد بن علي بن عبد الخالق اليماني :* كان من علماء ق ٧ هـ / ق ١٣ م ، البارزين في علم الحديث ، يذكر الفاسى أنه كانت له أحاديث مخرجة من أصول سماعات على يد جماعة من أهل الحديث بمكة خرج بعضها عام ٦٤١ هـ / ١٢٤٣ م [٢] .

– *الفقيه المحدث : أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الفشلي* (ت ٦٦١ هـ / ١٢٦٢ م) : وكان من كبار الفقهاء المحدثين أخذ عن جماعة من علماء عصره كابن أبي الصيف وغيره ، ودرس على يديه كثير من أهل اليمن وغلب عليه علم الحديث ، فصار إماما فيه ، وشغل مكانة مرموقة لدى المنصور الرسولي وولده المظفر الذى جلس إليه وسمع عليه عدة كتب في الحديث وتوفى بزبيد [٣] .

– *الفقيه المحدث : أبو الخطاب عمر بن سعيد الهمداني العقيبي* (ت٦٦٣ هـ / ١٢٦٤ م) : كان عالما زاهدا جامعا لطريقى العلم والعمل ، ارتحل بداخل اليمن لطلب العلم ، فأخذ على مشاهير اليمن في عصره ، لاسيما في علم الحديث، وكان حافظا مشهورا ، ويذكر الخزرجى أنه كان حافظا لجامع البخارى من الصحيح عن ظهر غيب [٤] .

– *المحدث : أبو حفص عمر بن سعيد بن محمد بن علي الربيعي* (ت٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) : وكان فقيها محدثا ، تولى قضاء صنعاء ، ووصف بأنه " من أفصح الناس وأحسنهم رواية للحديث ، وانه إذا حضر مجلسا لا يكون لأحد فيه ذكر دونه ، ومن الأدلة على تميزه العلمى ، أنه يفوق غيره من الحفاظ في مقدار

---

(١) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص ٢٠١ – ٢٠٣ ؛ الجندى : السلوك ، ق ١٤٤ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ق ٩٣ .
(٢) الفاسى : العقد الثمين ، ج٢ / ١٥٧ .
(٣) الخزرجي : العقود ، ج١ / ١٣٠ – ١٣١ .
(٤) للمزيد راجع : الخزرجى : العقود ، ج١ / ١٣٦ – ١٣٨ .

محفوظة من الأحاديث الذى يبلغ وفقا للخزرجى نحو خمسة آلاف حديث ، وكان محط احترام وتقدير المظفر الرسولى ، وذاع صيته وانتشر ذكره في البلاد ، فصنف أحد العلماء في مناقبه مجلدا ، وأخذ عنه جماعة من أهل صنعاء والوافدين عليهما ، وقد كوفئ بأن أسند إليه قضاء اليمن ، ووصل تقليده من بغداد متوجا بالعلامة الشريفة العباسية [(١)] .

- *المحدث : أبو الحسن على بن محمد بن حجز الهجرى* (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) : وكان فقيها محدثا له مسموعات وإجازات ، سكن عدن ، وذاع صيته بها ، فكان الدارسون يجتمعون إليه للقراءة عليه في مسجد السماع الذى عرف بهذا الاسم ، لكثرة ما كان يسمع فيه من الكتب على الوافدين اليه ، وسمع على الهجرى العديد من أعيان فقهاء عصره ، وكان مبسوط الحال ، يتصدق في غالب أيامه على الفقراء ، كما كان بيته منزلا للقادمين إلي عدن لا ينزلون إلا عنده ، وتوفى عن ٨٨ عاما [(٢)] .

- *أحمد بن أبي بكر بن عمر المعروف بابن الأحنف* (ت ٧١٧ هـ / ١٣١٧ م) : تفقه بعلماء ذى جبلة ، وكان عارفا بعلم الحديث والتفسير ، وصنف فيهما تصانيف جيدة ، لم تذكر لنا المصادر مسمياها ، وكان حافظا للمذهب وتولى التدريس بالمدرستين الشرفية بذى جبلة ، والمؤيدية بتعز ، ثم عاد إلي ذى جبلة في أخريات عمره حيث توفى [(٣)] .

- *الإمام أبو الخير منصور الشماخى* (ت ٧٢٩ هـ / ١٣٢٨ م) : وهو شيخ مشايخ الحديث باليمن في وقته ، وصف ووالده بجودة الضبط والاتقان ، وعنهما انتشر سماع علم الحديث ودراسته بالقطر اليمانى ، وسمع عليه جماعة كثيرة من أبرزهم المؤيد الرسولى الذى درس على يديه سنن أبى داود وذلك عام ٧١٣هـ / ١٣١٣ م [(٤)] .

---

(١) الخزرجى : العقود ، ج١ / ٢٠٦ - ٢٠٧ .
(٢) الخزرجى : العقود ، ج١ / ٢٠٨ .
(٣) الخزرجى : العقود ، ج١ / ٣٤٦ ؛ ابن القاضى : درة الحجال ، ج١ / ٧٣ (ت ٩٦) أما المدرسة الشرفية فقد ابتنتها الدار نجمى ابنة على بن رسول تخليدا لذكرى أخيها الأمير شرف الدين موسى بن على بن رسول المتوفى بالديار المصرية (راجع عنها : الأكوع : المدارس الإسلامية ، ص ٧٢) .
(٤) الخزرجى : العقود ، ج٢ / ٥٢ .

- *أبو اسحق إبراهيم بن سليمان السرددى*: اهتم بدراسة القـرآن الكـريم، وغلب عليه قراءة كتب الحديث وإقرائها،وعنه أخذ جماعة من مدرسى تعز ومحـدثيها ، وحينما حانت ساعة وفاته ، أوقف كتبه والأرض التي يمتلكها على طلبة العلم [١] .

- *المحدث : سليمان بن إبراهيم بن عمر بن على العلوى العدناني* (ت ٨٢٥ هـ / ١٤٢١ م) : من أشهر محدثى اليمن ، سمع على العديد من أهل بلده، والوافدين إليها من مكة وغيرها ، وأجاز له العديد من مشايخ عصره ، وظهـرت نجابته في علم الحديث ، حتى أصبح شيخ مشايخ المحدثين في وقتـه بـبلاد الـيمن وحافظهم ، واستقر للتدريس بعدد من مدارس تعز وزبيد ، وسمع عليه عدد كـبير من الدارسين وازداد نفعهم به حتى لقب أيضا بإمام أهل السنة ، وذكر ابن حجـر عنه " أنه عنى بالحديث وأحب الرواية " ، حيث سمع منه ، كما أجاز لابنه محمـد وذلك عام ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م [٢] .

- *الفقيه المحدث : شرف الدين أبو القاسم بن على بن محمد الأصبحي*: تتلمذ على علماء عصره في القراءات والفقه والحديث ، وتصدر للتدريس بمدينـة تعز ، فاشتهر بتحقيق علم الحديث ، ورتب إماماً بالمدرسة الشمسية المجاورة لجامع ذى عدينة وقام بخطابة الجامع ، وأثنى عليه أستاذه نفيس الدين العلوى ، وتصـدر لنشر الحديث بعده فلم تطل مدته وتوفى قبل عام ٨٣٠ هـ / ١٤٢٦ م [٣] .

- *العلامة المحدث جمال الدين محمد بن إبراهيم العلوى*(ت٨٢٢ هـ/ ١٤١٩م):وهو شقيق الإمام نفيس الدين العلوى وكان عالما محـدثا درس علـى شيوخ الحديث الذين سمع عليهم أخوه،وذاعت شـهرته بمدينـة زبيـد في علـم الحديث،بنفس القدر الذى بلغته شهرة الإمام نفيس الدين في تعز والجبال،فقد أقبل عليه طلاب العلم والدارسين من كل صقع في اليمن،فأفـاد وأجاد،ونـال دنيـا واسعة،استعان بها على نشر العلم وبخاصة فن الحـديث،وأقبلت الطـلاب عليـه للتدريس والفتوى رغم إصابته بالجذام،واتسم بالأسانيد العالية [٤] .

---

[١] الأفضل : *العطايا السنية* ، ق ٣ .
[٢] للمزيد راجع:السخاوى:*الضوء اللامع*،ج٣/٢٥٩-٢٦٠؛بامخرمة:*تاريخ ثغر عدن*،ج٢/٩٤-٩٥ .
[٣] البريهى : *طبقات صلحاء اليمن* ، ص ٢١٤ - ٢١٥ .
[٤] البريهى : *المصدر السابق* ، ص ٢٩٧ .

- *شهاب الدين أحمد بن عمر بن أحمد بن المنقش الزبيدى* (ت بعد ٨٣٠ هـ / بعد ١٤٢٦ م) : أخذ على فقهاء عصره في العلوم الفقهية والنحوية، وكذلك في الحديث النبوى ، وشارك في هذه العلوم ، وتصدر للتدريس في الحديث، وأثنى عليه معاصروه في الحفظ وجودته ، واختصر صحيح البخارى فجعله مثل المسندات ، يذكر الصحابى ثم يذكر جميع ما رواه من الأحاديث ، وصنفه برسم السلطان الملك الظاهر يحيى الرسولى ونسبه إليه [1] .

- *الإمام الحافظ عفيف الدين عثمان بن على الأحمر* (ت ٨٣٨ هـ / ١٤٣٤ م) : درس الفقه والحديث والنحو على علماء بنى الناشرى وغيرهم بمدينة زبيد ، وحضر مجالس الشيرازى والعلوى وأجازا له ، وطغت شهرته في علم الحديث بعد وفاة العلامة جمال الدين العلوى [2] .

- *الامام حافظ الزمن : جمال الدين أبو حامد محمد بن صالح الهمدانى الشهير بابن الخياط اليمنى الشافعى :* (ت ٨٣٩ هـ / ١٤٣٥ م) : كان حافظ البلاد اليمنية وشيخ العلوم وإمامها في عصره ، تلقى دراساته الأولية ببلده ، وارتحل لطلب العلم في الديار اليمنية وغيرها من الأقطار الإسلامية ، وأجازه من درس على يديه في جميع فنون العلم ، وقام بجمع شيوخه وأنسابه في كراسة ، واكتملت له معرفة جميع العلوم الشرعية ، وإن كان قد تفرد وتخصص بعلم الحديث ، فسلمت له الرئاسة فيه ، واحتل مكانة الإمام نفيس الدين العلوى بعد وفاته ، وتزاحم عليه الطلبة ، وحفل مجلسه بالعلماء والمتعلمين ، وأثنى عليه علماء العصر ، ووصلت شهرته بالكمال والعلم إلي السلطان الملك الناصر أحمد ، ونال مكانة راقية في المجتمع العلمى اليمنى [3] .

- *الامام كمال الدين موسى بن محمد الضجاعى*(ت٨٥١ هـ/١٤٤٧م): درس أيضا على أيدى الأئمة من بنى الناشرى وغيرهم بزبيد،وأجازوا له،وتصدر للتدريس والافتاء وأضيفت إليه الخطابة بجامع زبيد ، فكان لوعظه موقع في

---

(١) البريهى : المصدر السابق ، ص ٣٠٨ ؛ السخاوى : الضوء اللامع ، ج٢ / ٤٩ ـ ٥٠ .
(٢) البريهى : المصدر السابق ، ص ٣٠٨ .
(٣) البريهى : المصدر السابق ، ص ٢٢٨ ـ ٢٣٠ ؛ الحنبلى : شذرات الذهب ، ج٧ / ٢٣١ ـ ٢٣٢ .

القلوب[١] ، وانتهت إليه الرئاسة في علم الحديث بعد موت الفقيه عثمان الأحمر ، وكان من عادته أن يقوم بتدريس الحديث النبوى في شهور رجب وشعبان ورمضان بينما يخصص بقية شهور السنة لتدريس الفقه ، وصنف عدة مصنفات منها كتاب " غاية الأمل في فضل العلم والعمل " [٢] .

هذا وكان للمرأة اليمنية أيضا دور واضح في الحياة العلمية باليمن في العصر موضوع الدراسة ، وأمدتنا المصادر بأسماء عدد من النساء اليمنيات ، ممن عكفن على تحصيل العلوم على أئمة اليمن وغيره من الأقطار الإسلامية لاسيما مكة المكرمة ، وجلس بعضهن للتدريس والإقراء والإسماع ، ومن هؤلاء النسوة اللائي تخصصن في علم الحديث :

- *زينب بنت تمام بن يحيى الحميرية :* وروت عن شيوخها ، وتوفيت عام ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م [٣] .

- *نفيسة بنت محمد بن تمام الحميرية* (ت ٧١٩ هـ / ١٣١٩ م) : سمعت على شيوخ العصر ، وروت الحديث فكانت محدثة فاضلة [٤] .

- *صفية بنت إبراهيم بن أحمد بن يحيى الزبيدى :* عرفت بأم الفضل ، سكنت مكة المكرمة وقرأت على محدثيها ، وجلست لرواية الحديث وإسماعه بمكة عام ٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م ، وأجازت لبعض أعيان عصرها ومنهم القطب القسطلانى وابنه أمين الدين ، وكتبت الإجازات بخطها ، وتوفيت بمكة عام ٧٤٣ هـ / ١٣٤١ م ، ويذكر الفاسى أن شاهد قبرها كان يحمل الألقاب الآتية :

" الست الشيخة العالمة العاملة الزاهدة الفاضلة الورعة السعيدة الشهيدة شيخة الصوفيات،خادمة الفقراء بالحرمين الشريفين...ثم اسمها وكنيتها ولقبها الزبيدى[٥] :

---

(١) أثنى على وعظه الامام الشنطبى فمدحه نظما فقال :

إذا رمت من وعظ شفاء فاتها	بوعظ كمال الدين للداء يستطب
ليقول مقالا مستطابا لصدقه	وكم من مقال لم يلذ ويستطب
إذا ما ترقى منبرا فاح عنبرا	وساعده فصل الخطاب إذا خطب

راجع البريهى : *المصدر السابق* ، ص ٣٠٩ .

(٢) البريهى : *نفسه* ، ص ٣٠٩ .

(٣) الحبشى : *معجم النساء* ، ص ٩٠ .

(٤) الحبشى : *معجم النساء* ، ص ١٨٩ .

(٥) الفاسى : *العقد الثمين* ، ج٨ / ٢٥٩ - ٢٦٠ .

- ***فاطمة بنت عبد الوهاب اليافعي*** (٧٨٦ - ٨٢٧ هـ / ١٣٨٤ - ١٤٢٣ م) : أجاز لها محدثو عصرها في مكة حيث نزلت بها وتزوجت بأحد أعيانها إلي أن توفيت بها [١] .

- ***مريم بنت أبي القاسم بن أحمد بن عبد الصمد الأنصاري الخزرجي اليمني*** : عاشت في مكة ، وأجاز لها محدثوها في عام ٧٧١ هـ / ١٣٦٩ م ، وكانت تقرأ وتكتب في علم الحديث ، وروى عنها التقي بن فهد في معجمه ، وتزوجت بشهاب الدين أحمد بن الضياء الحنفي قاضي مكة ، وتوفيت عام ٨٢٦هـ / ١٤٢٢ م [٢] .

- ***منصورة بنت عبد الله بن التقي محمد بن أحمد العمري الحرازي المالكي*** (ت ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م) : وأجاز لها بمكة محدثو عصرها في عام ٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ م وما بعدها ، وسمع عليها السخاوي ، وتوفيت بمكة [٣] .

- ***زينب بنت عبد الله بن أسعد بن سليمان اليافعي الشافعي اليمني المكي*** : أجاز لها فقهاء عصرها بالمدينة المنورة ومكة وخرج لها النجم بن فهد مشيخة حدثت بها وبغيرها ، وأخذ عنها جماعة من الفضلاء ، ووافتها المنية بمكة عام ٨٤٦ هـ / ١٤٤٢ م عن ثماني وسبعين عاما [٤] .

---

[١] السخاوي : *الضوء اللامع* ، ج ١٢ / ٩٦ .
[٢] الفاسي : *العقد الثمين* ، ج ٨ / ٣١٦ - ٣١٧ ؛ السخاوي : *الضوء اللامع* ، ج ١٢ / ١٢٥ .
[٣] السخاوي : *الضوء اللامع* ، ج ١٢ / ١٢٧ .
[٤] السخاوي : *الضوء اللامع* ، ج ١٢ / ٤٣ .

ج- الفقه وأصوله :

حفلت بلاد اليمن في الفترة موضوع البحث،بعدد وافر من الفقهاء الذين صنفوا المؤلفات العديدة في الفقه والأصول وعلم الفرائض أو المواريث وغير ذلك من فروع الفقه الاسلامي على اختلاف مذاهبه،وممن برز في هذا المجال على سبيل المثال : -

- *الفقيه الشافعي : الحسن بن أبي بكر الشيباني* (٥٠١ - ٥٨٣ هـ / ١١٠٧ - ١١٨٧ م) : وكان من خيرة علماء الحديث والفقه ، صنف عدة مصنفات في الفقه الشافعي ، ذكرت المصادر منها كتاب " المشكل " ووضعه لشرح كتاب المهذب للشيرازي [١] .

- *أبو الطيب طاهر بن يحيى بن أبي الخير العمراني:* ودرس الفقه على أبيه يحيى العمراني صاحب البيان،وخلفه في حلقته ومجلس تدريسه،وأجاب على المشكلات في حياته،ثم أسمع وحدث وصنف،ومن مصنفاته في الفقه"كتاب الاحتجاج الشافي على المعاند في طلاق التنافي"،ورسالته في الرد على أحد معاصريه من الفقهاء ويدعى أبو بكر ابن محمد العبسي[٢]في مسألتي الربا والطلاق[٣]،ووضع هذه الرسالة بتوجيه من والده وفقيه آخر،أغضبهما كلام العبسي المخالف للكتاب والسنة[٤]،كما وضع في أصول الفقه مصنفا بعنوان " مقاصد اللمع " [٥] شرح فيه كتاب اللمع لأبي اسحاق الشيرازي (ت ٤٧٦ هـ) في أصول الفقه[٦] .

---

(١) الجندى : السلوك ، ق ١٣١ ؛ وراجع أيضا : ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص ٢٤٦ - ٢٤٧؛ بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج٢ / ٥٠ .

(٢) راجع عن هذا الفقيه الأديب:ابن سمرة:المصدر السابق،ص٢٠٥-٢٠٨؛الجندى:السلوك،ق ١٤٦ .

(٣) كان العبسي لا يرى جواز طلاق التنافى ، ولا يفتى بصحته : ولا يقول بصحة بيع ثوبه إلي آخر بطعام مسمى ثم يرد الثوب ويأخذ منه ما اتفقا عليه من الطعام ، ويرى أنها حيلة على استحلال محض الربا ، والأولى حيلة على رفع الطلاق بعد وقوعه وله في هاتين المسألتين قصيدتان إحداهما ببطلان التنافى يقول في أولها :

طلاق التنافى قد نفى الحق ظاهرا ... وأنى له والله يشهد لى آنفا

والقصيدة الثانية ببطلان حيلة الربا يقول في أولها :

الحق أضحى غريبا ليس يفتقد ... فكل من قاله في الناس يضطهد

راجع : نص القصيدتين في : ابن سمرة : المصدر السابق ، ص ٢٠٦ - ٢٠٨ .

(٤) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص ٢٠٨ .

(٥) ابن سمرة : المصدر السابق ، ص ١٨٨ .

(٦) الأكوع : البلدان اليمانية ، ص ١٥٨ ؛ وانظر أيضا : الجندى : السلوك ، ق ٢٣٦ ؛ الإسنوى : طبقات الشافعية ، ج١ / ١٠٤ - ١٠٥ .

– *الفقيه ابن ميش :* كان معاصراً لياقوت الحموى ، وضع كتاباً في شرح التنبيه ، يقع في مجلدين ، ويبدو من عنوانه أنه شرح لكتاب التنبيه للفقيه أبي إسحاق الشيرازى السابق الذكر [١] .

– *الفقيه نعيم بن عبد الله العشارى الأبينى [٢] :* وعرف بعشرى اليمن لتميزه في عشرة علوم ، وكان عارفاً لعلم تأويل الرؤيا ، ووضع بدوره كتاباً في الفقه يقع في ثلاثة مجلدات ، ولم يرد اسم هذا المصنف ، أما نعيم فقد توفى بعد عام ٦٠٠ هـ / بعد ١٢٠٣م [٣] .

– *الفقيه موسى بن محمد الطويرى :* ووضع في الفقه الشافعي كتاباً شهر به عنوانه " احتراز المذهب " [٤] .

– *الفقيه محمد بن علي بن الحسين القلعي* (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م): كان من كبار فقهاء الشافعية ، وكان له دوره المتميز في نشر المذهب الشافعي في حضرموت – كما ذكرنا آنفا – وقد وضع عدة مصنفات في الفقه منها قواعد المهذب [٥] ، والمستغرب في ألفاظ المهذب [٦] ، وكتاب " ايضاح الغوامض في علم الفرايض " يقع في مجلدين جيدين جمع فيه مذهب الشافعي وغيره وذكر فيه طرفا من الجبر والمقابلة والوصايا [٧] ، وله أيضا " احتراز المهذب " وهو مصنف مدحه الفقهاء وأثنوا على محتوياته ، وله " كنز الحفاظ في غريب الألفاظ " أى ألفاظ المهذب ، وله أيضا كتاب " الأحكام " [٨] وهو مختصر ، وغير ذلك من المصنفات في السياسة وقواعد الملك وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم [٩] .

---

[١] الأكوع : *البلدان اليمانية* ، ص ٢٤٥ .

[٢] ترجم له الأهدل والجندى تحت اسم نعيم بن محمد الطروى نسبة لقرية الطرية إحدى قرى أبين (راجع الجندى : *السلوك* ، ق ١٥٦ ؛ الأهدل : *تحفة الزمن* ، ق ٩٩) .

[٣] الأكوع : *البلدان اليمانية* ، ص ١٧ ؛ ابن سمرة : *المصدر السابق* ، ص ٢٢٢ ؛ الجندى : *السلوك* ، ق ١٥٦ ؛ الأفضل الرسولى : *العطايا السنية* ، ق ٥٤ ؛ الأهدل : *تحفة الزمن* ، ق ٩٩ .

[٤] ابن سمرة : *المصدر السابق* ، ص ٢٤٣ ؛ الجندى : *السلوك* ، ق ١٣٢ ؛ الأفضل الرسولى : *المصدر السابق* ، ق ٥٤ .

[٥] يسميه الأهدل : *شواهد المهذب* (راجع *تحفة الزمن* ، ق ١٢٩) .

[٦] الجندى : *السلوك* ، ق ٢١٠ ؛ الأهدل : *تحفة الزمن* ، ق ١٢٩ .

[٧] الجندى : *السلوك* ، ق ٢١٠ ؛ الأهدل : *تحفة الزمن* ، ق ١٢٩ .

[٨] ورد في الجندى تحت عنوان أحكام القضاة (راجع : *السلوك* ، ق ٢١٠) .

[٩] الكتاب الأول بعنوان تهذيب الرئاسة في ترتيب السياسة ، والثانى لطائف الأنوار في فضل الصحابة الأخيار .

- *مسعود بن علي بن مسعود العنسي الأشرقي* : (٥٤٨ – ٦٠٤هـ / ١١٥٣ – ١٢٠٧ م) : تولى منصب قاضي قضاة اليمن زمن سيف الإسلام طغتكين عقب عزل الحافظ أحمد العرشاني ، وصنف في الفقه والأصول منها كتاب أسماه " الأمثال في شرح أمثال اللمع " لأبي إسحاق الشيرازي ، وكتاب "الشهاب" في أصول الدين ، كما صنف مؤلفاً ثالثاً في شروط القضاء مات عنه دون أن يكمله [١] .

- *التباعي الوصابي : موسى بن أحمد بن يوسف* (٥٦٧ – ٦٢١ هـ / ١١٧١ – ١٢٢٤ م) : صنف شرحاً على اللمع أسماه " شرح اللمع " ، أجمع الفقهاء على نفعه وحله للعديد من الإشكالات في أصول الفقه [٢] .

- *الفقيه أحمد بن مقبل بن عثمان بن مقبل بن عثمان العلهي الدثيني* (ت٦٣٠ هـ / ١٢٧١ م) : نسبة إلي دثينة شرقي عدن ولد ٥٥٦ هـ / ١١٦٠ م ، تفقه على الإمام سيف السنة وعدد من علماء عصره ، وكان فقيهاً محققاً مدققاً صنف في علوم الفقه عدة مصنفات تشهد بتفوقه في هذا المجال منها كتاب " الجامع " في الفقه ويقع في أربعة مجلدات ، وكتاب " الإيضاح " في أصول الفقه ، وكتاب " شرح المشكل من اللمع " [٣] .

- *الفقيه محمد بن علي الزيلعي* (ت ٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م) : تفقه على يد الفقيه اسماعيل الحضرمي وغيره من فقهاء عصره،وعرف بالفقه والصلاح، وصنف كتابا أسماه " شرح اللمع " ، وصفه الخزرجي بأنه "شرح مفيد " [٤] .

- *الفقيه أبو الحسن علي بن أحمد بن أسعد الأصبحي* (٦٤٤-٧٠٣هـ / ١٢٤٦ – ١٣٠٣ م) : أتقن علوم الفقه ، وكان من المحققين في هذا المجال العارفين به ، يرجع إليه فقهاء عصره يسألونه ويعتمدون جوابه ، وتفقه عليه عدة من أهل عصره ، وقام على التدريس بالمدرسة المظفرية فترة ، وكان موضع إجلال السلطان الملك المظفر وابنه الأشرف عمر ، وتشهد مصنفاته بقدراته العالية

---

(١) الأكوع : البلدان ، ص ٣٠ – ٣١ .
(٢) الحبشي : مصادر الفكر ، ص ١٥٥ .
(٣) بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج٢ / ١٥ .
(٤) الخزرجي : العقود ، ج٢ / ٥٥ .

في الفقه ، ومنها كتاب " معين أهل التقوى على التدريس والفتوى " ويعرف بكتاب " المعين " ، وهو مختصر في مجلدين ، جرد فيه مسائل انتقاها من نحو أربعين كتاباً عددها في خطبة كتابه [1] من أبرزها كتاب البيان ، وعليه اعتمد فقهاء اليمن آنذاك ، ومن الأدلة على أهمية كتاب البيان لديهم ما ذكره صاحب المعين عنه حيث يقول " ما أشكلت على مسألة في الفقه ، وفتشت لها البيان ، إلا وجدت به بيانها ، ووضح لى بنيانها فجزاه الله عن الإسلام خيرا " [2] يقصد بذلك مصنف البيان وهو الإمام يحيى بن ابن الخير العمراني . كذلك صنف الأصبحي كتاب " غرائب الشرحين " ، و " أسرار المهذب " [3] ، ومجموعة فتاوى جمعها أحد تلاميذه [4] .

- *الفقيه محمد بن اسماعيل بن أبي الصيف اليمني* : وصنف في الفقه مؤلفين ، الأول ويعرف " بالنكت على التنبيه " ، والثاني " المنسك " [5] .

- *أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الحضرمي التريمي* (ت ٦١٣ هـ / ١٢١٦ م) : من مؤلفاته في الفقه كتاب عنوانه " الإكمال لما وقع في التنبيه من الإشكال " [6] .

- *الفقيه أبو محمد عبد الله بن زيد بن مهدى العريقي* (ت ٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ م) : كان فقيهاً دقيق النظر ، مشهوراً بالعلم والصلاح ، وتدل مصنفاته على غزارة علمه ، وجودة نقله ، وله عدة مصنفات في الفقه والأصول منها المهذب الصحيح، والبيان الشافى ، وقد مدحه ياقوت الحموى بقوله " لم يذكر فيه قولين ولا وجهين [7] ، وله مصنف آخر عنوانه " المهذب " ، وعرف بمهذب عبد الله بن زيد وبناه على ترتيب المهذب مع حذف الخلاف [8] .

---

[1] الخزرجي : العقود ، ج٢ / ٢٩٢ ؛ الإسنوى : طبقات الشافعية ، ج٢ / ٢٥٧ ؛ البريهى : طبقات صلحاء اليمن ، ص ١٦٦ وهـ ٢ – ٣ .
[2] الجندى : السلوك ، ق ١١١ .
[3] الخزرجي : العقود ، ج١ / ٢٩٢ .
[4] بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج ٢ / ١١ .
[5] الحبشى : مصادر الفكر ، ص ١٧٦ .
[6] الإسنوى : طبقات الشافعية ، ج١ / ٧٤ .
[7] الخزرجي : العقود ، ج١ / ٧٢ ؛ وانظر أيضا : الأكوع : البلدان اليمانية ، ص ٢١٣ .
[8] الحبشى : مصادر الفكر ، ص ١٧٧ .

- *الشواحيلي : أبو الحسن علي بن قاسم بن العليف* (ت ٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ م) : كان من كبار أئمة الفقه في اليمن ، تفقه عليه معظم فقهاء عصره من غالب نواحي اليمن ، وله مصنفات مفيدة منها كتاب الدرر في الفرائض ، ومختصر آخره سماه " الدرر " أوضح فيه بعض مشكلات التنبيه وسيرها إلي بغداد ، وأجاب عنها جماعة من علماء بغداد ، وأجاب هو بدوره عنها فكان جوابه " أرضى الأجوبة كلها " ، وبالإضافة إلي تصانيفه ، كان يقوم بالتدريس على أحسن وجه ويرجع إليه الفضل في أنه خرج في درسه ستين مدرسا [١] .

- *الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن علي الهرمل* (ت ٦٦٨ هـ/ ١٢٦٩م):كان من جلة الفقهاء وفضلائهم،له مصنف في الفقه سماه"التحفة" وضمنه زيادات استدركها على كتاب الوسيط على المهذب ويقع في مجلدين[٢].

- *الفقيه أبو حفص عمر بن عاصم اليعلي الكناني* (ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م) : كان إماماً في عدة علوم كالنحو واللغة والفقه وإليه انتهت رئاسة الفقه والفنون بزبيد وصنف في الفقه كتابا بعنوان"زوائد البيان على المهذب"[٣].

- *الفقيه الإمام أبو العباس أحمد بن موسى بن علي بن عمر بن عجيل* (٦٠٨ – ٦٩٠ هـ / ١٢١١ – ١٢٩١م) : كان عارفاً بالفقه والأصول والحديث والنحو والفرائض ، كما كان من أعلام التصوف باليمن ، وإليه انتهت رئاسة الفقه بها ، وله عدة حواشي أو اعتراضات على المهذب والتنبيه ، وكذلك على كتاب الكافي في الفرائض للصردفي [٤] .

- *الفقيه أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن محمد بن منصور الأصبحي* (ت٦٩١ هـ / ١٢٩١ م) : كان فقيها عظيم القدر مدققاً مبارك التدريس ، تفقه به عدد كبير من طلاب العلم قصدوه من نواحي شتى ، وكانت حلقة درسه في بلده مصنعة سير ، كما يذكر الخزرجي " تجمع أكثر من مائة فقيه في غالب

---

[١] الخزرجي : العقود ، ج١ / ٧١ .
[٢] الخزرجي : العقود ، ج١ / ١٥٨ .
[٣] الأفضل الرسولي : العطايا السنية ، ق ٣٨ ؛ الخزرجي : العقود ، ج١ / ٢٠٥ – ٢٠٦ .
[٤] الخزرجي : العقود ، ج١ / ٢١٨ – ٢٢٠ ؛ الشرجي : طبقات الخواص ، ص ٥٨ ؛ وللمزيد عن هذا القطب الصوفي راجع : الشرجي : طبقات الخواص ، ص ٥٧ – ٦٤ .

الأوقات،وربما بلغوا أكثر من مائتين في كثير من الأوقات"،فانتقل إلي إب فتلقـاه أهلها بالترحيب واحتملوا من جاء معه من الطلبة وقاموا بكفاية الجميع ما دامـوا منقطعين،وصنف عدة مؤلفات منها المصباح وهو مختصـر في الفقـه،والفتوح في غرائب الشروح،والإيضاح في مذاكرة التنبيه،وكتاب الوسائل،ومصنف الترجيح ، والإشراف في تصحيح الخلاف ، وكتاب آخر بعنوان فضائل الأعمال [١] .

- *الفقيه أبو العباس أحمد بن علي بـن عبـد الله العـامري* (٦٤٠ – ٧٢١هـ / ١٢٤٢ – ١٣٢١ م) : كان يعرف بالمدرس لطول اشتغاله بالتدريس في المهجم وشهرته فيه ، وتفرغ لنشر العلم ، أخذ عنه جمـع كـبير ، واعتـبره الشرجي من صوفية اليمن [٢] ، وصنف عدة مصنفات منها شرح التنبيه " وقام فيه بشرح مسائل التنبيه شرحا لطيفاً مشتملا على فوائد عدة ، ولكنه لم يستوعب كل مسائله [٣] . وإن كان موضع ثناء غالبية الفقهاء [٤] ، وله " شرح " الوسـيط في نحو ثمانية أجزاء [٥] .

- *الفقيه محمد بن سعد بن محمد بن علي المعروف بأبي شكيل الأنصاري الخزرجي* : (٦٦٤ – بعد ٧٢٩ هـ / ١٢٦٥ – ١٣٢٨ م) : كان فقيهاً بارعاً تدل مصنفاته على تضلعه في العلوم ومن هذه المصنفات شرح كتاب الوسـيط في الفقه للواحدي ، ومجموعة من الفتاوى . وقد تولى قضاء زبيد مدة طويلة ، كمـا تولى التدريس بعدن فترة [٦] .

- *الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي المعروف بالبصال* : من فقهاء الصوفية في اليمن،وكانت له مشاركات في الفقه والقراءات،صـنف في الفقه كتابا يتعلق بشرح التنبيه،وصفه بامخرمة بقوله"ينتفع به الفقيه وغيره...وفيه فوائـد عديدة ونكت مفيدة "،وتوفي الفقيه الذهبـي بعدن عام٧٤٥ هـ/١٣٤٤م [٧] .

---

[١] الخزرجي : <u>العقود</u> ، ج١ / ٢٢٤ .
[٢] الشرجي : <u>طبقات الخواص</u> ، ص ٨١ – ٨٢ .
[٣] الإسنوي : <u>طبقات الشافعية</u> ، ج١ / ٣٢٨ .
[٤] الخزرجي : <u>العقود</u> ، ج١ / ٣٥٧ .
[٥] الإسنوي : <u>المصدر السابق</u> ، ج١ / ٣٢٨ ؛ الخزرجي : <u>العقود</u> ، ج١ / ٣٥٧ – ٣٥٨ .
[٦] بامخرمة : <u>تاريخ ثغر عدن</u> ، ج٢ / ٢١٨ – ٢١٩ .
[٧] الإسنوي : <u>طبقات الشافعية</u> ، ج٢ / ٣٣٠ ؛ بامخرمة : <u>المصدر السابق</u> ، ج٢ / ١٩٨ - ١٩٩ ، وإليه تنسب حافة البصال بعدن حيث تم دفنه وكانت تعرف قبل ذلك بحافة البزازين .

– *الشيخ الإمام جمال الدين بن حسين بن علي السواج* (ت بعد ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م) : كان فقيها محدثاً نحوياً جامعاً لأشتات العلوم مصنفاً ، درس على مشايخ عصره فأجازوه ، ثم درس وأفتى بمدينة صنعاء ، فانتفع به أهلها ، وغيرهم ، وقصده الطلاب من نواحي اليمن ، وتخرجوا عليه ، وتنسب إليه مصنفات عديدة ، منها في الفقه " شرح الحاوى الصغير " [1] .

– *أبو بكر على بن موسى الهاملى* (ت ٧٦٩ هـ / ١٣٦٧ م) : كان فقيهاً على المذهب الحنبلى ، عارفاً بالأصول والنحو شاعراً بليغاً ، أخذ العلم على يديه عدد كبير من أهل زبيد ، وكان يعقد مجلس درسه في المدرسة المنصورية وله منظومة في الفقه أسماها بداية المهتدى [2] ، كما شرح القدورى في الفقه [3] .

– *الإمام وجيه الدين عبد الرحمن بن عمر الحبيشى* (ت ٧٨٠ هـ / ١٣٧٨ م) : اشتغل بالفقه على جماعة من شيوخ عصره ، وتولى القضاء بوصاب، كما عمل مدرسا بالمؤيدية بتعز ، وكان محققاً للعديد من العلوم كالتفسير والحديث والنحو واللغة وغيرها ، وصنف عدة مصنفات منها في الفقه كتاب " النظم والتبيان " ومات دون أن يكمله [4] ، وكتاب " المنسك " [5] ، وكتاب الفتاوى الحبيشية ، وعمدة التقليد [6] .

– *الفقيه جمال الدين محمد بن على بن ثمامة* (ت ٧٨٨ هـ/ ١٣٨٦م) : وكان فقيهاً ناسكاً ، تولى التدريس في المدرسة النظامية بزبيد بعد وفاة أبيه إلي أن توفى هو الآخر ، وله عدة مصنفات منها في الفقه مختصران أحدهما مختصر المنهاج للنواوى ، والثانى مختصر المعين للأصبحى [7] .

– *الفقيه الأشهر جمال الدين الريمى* (٧١٠ – ٧٩٢هـ / ١٣١٠ – ١٣٨٩ م) : كان إمام عصره ، عارفاً بدقائق المذهب الشافعى ، مشتغلا بالعلم

---

(١) البريهى : المصدر السابق ، ص ٢٥ .
(٢) الخزرجى : العقود ، ج٢ / ١٢٠ .
(٣) البغدادى : هدية العارفين ، ج١ / ٢٣٥ ؛ وراجع أيضا : الحبشى : مصادر الفكر ، ص ١٨٨ .
(٤) البريهى : المصدر السابق ، ص ٢٨ .
(٥) الحبيشى : تاريخ وصاب ، ص ٢٣٥ .
(٦) الحبشى : مصادر الفكر ، ص ١٨٩ .
(٧) الخزرجى : العقود ، ج٢ / ١٦١ .

والتدريس ، باذلاً نفسه للطلبة ، يقوم بنفقة الغرباء منهم ، ونال حظوة عند ملوك بني رسول وتولى قضاء الأقضية في عهد الأشرف الثاني الرسولي ، وصنف عدة مصنفات منها في الفقه مؤلفه الأشهر وهو الشرح الكبير لكتاب التنبيه المعروف "بالتفقيه في شرح التنبيه " ، يتألف من ٢٤ مجلدا [(١)] . وكتاب المعاني البديعة في اختلاف الشريعة ، وكتاب " الإجماع " أو عمدة الأمة في إجماع الائمة الأربعة[(٢)]، والانتصار لعلماء الأمصار " ، " ومطالع الإشراق في إختلاف الغزالي وأبي اسحاق [الشيرازي]"[(٣)].وله أيضا إتفاق العلماء،وخلاصة الخواطر،وغرائب كتب المذهب وهو مصنف يعالج مسائل المذهب والفتاوى ، وغير ذلك من المصنفات[(٤)] .

- *أبو بكر بن علي الحداد الزبيدي* (ت ٨٠٠ هـ / ١٣٩٧ م) : من علماء الحنفية بزبيد ، قرأ على والده وعلى عدد من مشايخ عصره ، وبرع في عدة أنواع من العلوم ، وبخاصة علم الفقه " فاشتهر ذكره وطار صيته " ، فصنف في الفقه الحنفي شرحين لمختصر القدوري أحدهما صغير وعرف بالجوهرة المنيرة [(٥)] ، والثاني كبير في نحو ثمانية مجلدات أسماه السراج الوهاج ، وصنف أيضا سراج الظلام وبدر التمام ، وهو شرح لمنظومة الشيخ أبو بكر الهاملي " بداية المهتدى " والرحيق المختوم وهي شرح لقيد الأوابد في الفقه ، والنور المستبين بشرح منظومة النسفي في الخلاف [(٦)] .

- *نور الدين علي بن أبي بكر الهمداني المعروف بابن الأزرق* : تلقى علومه بأبيات حسين ، ثم ارتحل إلي زبيد فدرس بها الفقه والجبر والمقابلة على أئمة عصره ، وحج ودرس بمكة ثم عاد إلي بلده ، ومهر في الفقه والحساب " وأكثر من مطالعة الكتب ، وفرغه الله من الشواغل ، فما كان يبرح مطالعاً أو مدرساً أو

---

(١) الخزرجي : العقود ، ج٢ / ١٨٣ بينما يذكر البريهي : أنه يتألف من ١٦ مجلدا (راجع : طبقات صلحاء اليمن ، ص ١٨٢) .
(٢) توجد من كتاب المعاني البديعة نسخة خطية في مكتبة جامع صنعاء رقم ٦٥٩ ، رقم ٦٦٠ ونسختان بهولنده وزبيد (راجع البريهي : نفس المصدر ، ص ١٨٢ هـ ٢) . ومن كتاب الإجماع نسخة خطية بجامع صنعاء تحت رقم ٥٥٠ فقه .
(٣) البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص ١٨٢ .
(٤) الحبشي : مصادر الفكر ، ص ١٩١ .
(٥) الشوكاني : البدر الطالع : ج١ / ١٦٦ .
(٦) البغدادي : هدية العارفين ، ج١ / ٢٣٦ ؛ وأنظر أيضا : الحبشي : المرجع السابق ، ص ١٩٢ .

مذاكراً أو محصلاً للفائدة أو مصنفاً ، ودرس وأفتى نحو خمسين سنة ، حتى صار "المرحول إليه . والمعول في الفتوى عليه في تلك الجهات قريبها وبعيدها " ، وتفقه به كثيرون من أهل بلده وغيرها ، وصنف في سائر العلوم ، فمن مصنفاته في الفقه: الشرح الكبير على التنبيه ويعرف باسم " التحقيق الوافى بالايضاح الشافى " في شرح التنبيه على مذهب الشافعى "[1] وهو في نحو ثلاثة مجلدات ، وله شرح آخر متوسط للتنبيه سماه " التحقيق " في جزأين ، وله أيضا كتاب مختصر المهمات للإسنوى ، ونفائس الأحكام ويشتمل على خمسة أقسام الأول في الفقه والنحو ، والثانى في المسائل المخرجة على المسائل الأصولية ، والثالث في تناقض تصحيح الشيخين الرافعى والإسنوى ، والرابع في المسائل اللغوية ، والخامس في مسائل منثورة نفيسة ملتقطة من كتب المذهب مرتبة على ترتيب أبواب الفقه . كذلك صنف في الفرائض " المواريث " شرحا على الكافى في الفرائض للصردفى أسماه " بغية الخائض في شرح الفرائض " ، وله أيضا نكت على الكافى ، وتوفى ابن الأزرق عام ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م ببلده أبيات حسين[2] .

- *أبو بكر بن محمد بن صالح بن محمد الجمال الجبلى المعروف بابن الخياط* (٧٤٢ - ٨١١ هـ / ١٣٤١ - ١٤٠٨ م) : من أهل جبلة ، ونشأ بمدينة تعز ، وأخذ الفقه والقراءات على علمائها ، وارتحل إلي مكة للحج مراراً وأخذ على علمائها ، وبرع في الفقه ، ولازم التدريس بعدة مدارس رسولية منها الشمسية والمعتبية بتعز ، وكانت له مراجعات فقهية مع المجد الشيرازى ، وترقى في العلوم وتزايد استحضاره لكتاب الحاوى ، فكانت له شروح وحواشى عليه[3] ، وله نبذة في معرفة أسماء الطيور والحيوانات المذكورة في باب الأطعمة للحاوى وغيره مفسرة بلغة أهل اليمن[4] .

- *أبو بكر بن على بن أبي بكر الناشرى اليمانى* (٧٨٢ - ٨٢١ هـ / ١٣٨٠ - ١٤١٨ م) : كان فقيهاً راسخاً تفقه بأبيه وغيره ، وتولى التدريس في

---

[1] منه نسخة خطية بمكتبة جامع تريم . راجع : الحبشى : *مصادر الفكر* ، ص ١٩٤ .
[2] السخاوى : *الضوء اللامع* ، ج٥ / ٢٠٠ .
[3] السخاوى : *المصدر السابق* ، ج ١١ / ٧٨ - ٧٩ .
[4] الحبشى : *مصادر الفكر* ، ص ١٩٥ .

عدة مدارس ، كما تولى الخطابة في جامع الجند ، وناب في القضاء عن أبيه في زبيد، وصنف حواشي على المنهاج للنووى [١] .

– *الإمام صفى الدين أبو العباس أحمد بن أبي بكر البريهى* (ت٨٢٥هـ/ ١٤٢١م):قرأ وتفقه على علماء عصره باليمن ومكة،وكان يتكسب من نسخ الكتب،أما معظم أوقاته فكان يقضيها في الخلوة بالمسجد،والتدريس والإقراء للطلبة ومن مصنفاته في الفقه كتاب وضعه على التنبيه سماه"النظائر"، يحتوى على المسائل المشتبهة والخلاف المتناظر على التنبيه ، كما شرح خطبة منظومة الحاوى [٢] .

– *القاضى وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد بن حسن البريهى* (ت ٨١٧هـ / ١٤١٤ م) [٣] : كان فقيهاً مجتهداً في طلب العلم ، له معرفة جيدة بمصنفات علم الفقه وشروحه ، وقد صنف فيه عدة مصنفات منها شرح الحاوى ، شرح المنهاج ، شرح الوجيز ، مختصر التفقه في شرح التنبيه للإمام الريمى ويتألف من ثلاثة مجلدات [٤] .

– *جمال الدين محمد بن نور الدين الخطيب الموزعى* (ت ٨٢٥ هـ / ١٤٢١ م) : هو سليل أسرة من العلماء ، تولت الخطابة بموزع ، تلقى علومه بزبيد ، وبعد تخرجه درس وأفتى واشتهر وقام بمناظرة الشيخ أحمد الرداد بشأن كتب ابن عربى ، ويذكر البريهى في ذلك أنه اجتمع مع جماعة من الفقهاء والصوفية في مجلس حافل " بزبيد " وناظره ابن الرداد فأقام الإمام محمد نور الدين حجته ببطلان كلام ابن عربى في كتبه " فهمت الصوفية بالفتك بالإمام نور الدين " فلما رجع إلي بلده صنف كتاباً في الرد على ابن عربى سماه " كتاب كشف الظلمة عن هذه الأمة " ، كما صنف رسائل في الفقه وأحكام القرآن منها "كتاب جامع الفقه في ثلاثة مجلدات ، ومات دون أن يتمه ، وكتاب " كنوز الخبايا في قواعد الوصايا " وغيرها في الأحكام والنحو [٥] .

---

[١] السخاوى :نفسه ، ج١١ / ٥١ .
[٢] للمزيد راجع : البريهى : المصدر السابق ، ص ٩٦ ـ ٩٨ .
[٣] السخاوى : الضوء اللامع،ج٥ / ١٢٩ وجعل وفاته عام ٨٢٠ هـ / ١٤١٧ م بعد عودته من الحج .
[٤] البريهى : المصدر السابق ، ص ٨٧ .
[٥] البريهى : المصدر السابق ، ص ٢٦٩ ؛ الحبشى : حياة الأدب اليمنى ، ص ١٠١ .

- *الفقيه يوسف بن أحمد بن محمد بن عثمان اليماني الزبيدى* (ت ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨ م) : استوطن هجرة العين من ثلا وعرف بالمصنف الشهير ، ولهذا قصده طلاب العلم من جميع أقطار اليمن وأخذوا عنه جميع العلوم الشرعية وقد ألف عدداً من المصنفات في الفقه منها كتاب " الزهور المشرقة والنفحات العبقة " وهو شرح على اللمع ، " والرياض الزاهرة والجواهر الناظرة على التذكرة الفاخرة " وهو حاشية عليها ، ومختصر الانتصار ، وله أيضا الثمرات في تفسير آيات الأحكام ، وتعليق على الزيادات ، وصنف في الفرائض " الجواهر والغرر في كشف أسرار الدرر " ، ووضع في المساحة كتاب " برهان التحقيق وصناعة التدقيق " ، وكان رغم ذلك مؤثراً للعزلة ، يتفاخر طلابه بأنهم درسوا عليه [(١)] .

- *الفقيه عبد الرحمن بن محمد بن عمر الناشرى* (٧٧٨ - ٨٢٦ هـ / ١٣٧٦ - ١٤٢٢ م) : تفرغ للعلم والدراسة وولى قضاء القحمة ، وله نكت على جامع المختصرات [(٢)] .

- *الإمام شهاب الدين أحمد بن محمد الربيعى الحميرى المشهور بالشلفى*: درس القراءات والفقه والنحو على أئمة عصره ، كما برع في علم الفرائض وأجاز له مشاهير العلماء فيها ، وقام بالتدريس في المجاهدية ، وتوافد عليه طلاب العلم للقراءة عليه فيها وفي غيرها ، وصنف في الفقه والفرائض مصنفات منها كتاب في مناسك الحج سماه " هداية السالك إلي مقاصد الناسك " ونقل فيه مسائل وفروع في الفقه مفيدة ، كما صنف في الفرائض منظومة سماها " كفاية الرائض في علم الفرائض " وشرحها في مصنف عنوانه " نهاية الخائض في شرح كفاية الرائض في علم الفرائض " [(٣)] .

- *الفقيه صفى الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر البريهى* (ت ٨٣٣ هـ / ١٤٢٩ م) : كان فقيهاً عالماً بالنحو والفرائض والفقه ، واشتغل بتدريس هذه العلوم بمدينة إب وانتفع به طلابها ، ويذكر ابن عمه البريهى صاحب طبقات

---

(١) الشوكانى : البدر الطالع ، ج١ / ٣٥٠ .
(٢) السخاوى : الضوء اللامع ، ج٤ / ١٣٥ ؛ الحبشى : مصادر الفكر ، ص ١٩٦ .
(٣) البريهى : طبقات صلحاء اليمن ، ص ٢١١ .

صلحاء اليمن انه كانت له معرفة جيدة خاصة ببهجة الحاوى وهو كتاب البهجة الوردية للعلامة عمر بن مظفر الوردى المتوفى عام ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م ، وهى أرجوزة في خمسة آلاف بيت نظم فيها كتاب الحاوى الصغير للقزوينى ، فعمد البريهى إلي تأليف شرح لها سماه " التعليق " فاخترمته المنية قبل تمامه ، كما صنف في الفرائض كتابا في شرح الكافى للصردفى ، وله أشعار رائقة في الوعظ والزهد والغزل [١] .

- *الإمام شرف الدين إسماعيل بن أبي بكر المقرى الشاورى* : كان من مشاهير علماء اليمن ، ضرب في سائر العلوم والآداب بسهم وافر ، وتصفه المصادر بأنه كان " نادرة الدهر وأعظم فضلاء العصر " [٢] ، وكانت له قريحة مطاوعة وبديهة عجيبة ، أنشأ غرر القصائد في مقتبل عمره في مدح أعيان عصره والسلطان الأشرف الرسولى الثانى ونال عطاياهم ، ثم نهاه والده عن الشعر ؛ وحثه على الاشتغال بعلوم الشرع ، فامتثل واجتهد بطلب العلم الشريف ثم بالتدريس والتصنيف ، ورحل إلي مكة المشرفة للاستزادة العلمية وعاد إلي بلده ليتابع التدريس والفتوى والتصنيف في شتى العلوم والفنون من الشعر والفقه والنحو والعروض والتاريخ وتوفى في عام ٨٣٧ هـ / ١٤٣٣ م [٣] . ومن مصنفاته في الفقه التى جعلته محط أنظار العلماء في عصره وبعد عصره لأهميتها في بابها ، والتى تناولها الكثير من العلماء بالشرح والنظم والاختصار كتابه المرسوم : " بارشاد الغاوى الي مسالك الحاوى " اختصر فيه الحاوى الصغير للقزوينى ، ووصفه الشوكانى بقوله "وهو كتاب نفيس في فروع الشافعية رشيق العبارة حلو الكلام في غاية الإيجاز مع كثرة المعانى ، وشرحه في مجلدين وقد طار في الآفاق واشتغل به علماء الشافعية في الأقطار وشرحه جماعة منهم " [٤] ، وشرحه شرحاً مبيناً في كتاب آخر سماه "التمشية" في مجلدين [٥] .

---

(١) للمزيد راجع : البريهى : *المصدر السابق* ، ص ٩٩ - ١٠٢ .

(٢) البريهى : *المصدر السابق* ، ص ٣٠٠ .

(٣) للمزيد عن هذا الفقيه الشاعر ونسبه وحياته راجع : طه أحمد أبو زيد : *اسماعيل المقرى* ، ص ٣٣ - ٧٩ .

(٤) الشوكانى : *البدر الطالع* ، ج١ / ١٤٣ .

(٥) البريهى : *طبقات صلحاء اليمن* ، ص ٣٠٣ .

وله أيضا " روض الطالب ، ونهاية مطلب الراغب " ، اختصر فيه الروضة في الفروع للإمام النووى [١] وقد شرحه واختصره جماعة من العلماء منهم ابن حجر العسقلانى ، والقاضى زكريا بن محمد الأنصارى ، وجلال الدين السيوطى ، كذلك اختصره تلميذ المقرى سراج الدين عمر بن معيبد الزبيدى (ت ٨٨٧ هـ / ١٤٨٢ م) وسمى شرحه " الإلهام لما في الروض من الأوهام " [٢] .

وله أيضا كتاب"عنوان الشرف"جمع فيه خمسة علوم واسمه كاملا "عنوان الشرف الوافى في الفقه والنحو والتاريخ،والعروض والقوافى"[٣]،ويذكر طه أحمد أبو زيد أن المقرى وضع هذا الكتاب أساساً في علم الفقه كما أوضح المؤلف في مقدمته حيث يقول"وبعد فهذا كتاب جليل كتبته لم أسبق بعد إليه ألفته مختصراً في الفقه"ثم يوضح ما اشتمل عليه كتابه من فنون أخرى بقوله"فإن أعان الله وتم حينئذ أمره على هذا،فهذا نعمة من الله لا يوفى شكرها،قول،ولا عمل رصعته بمعانى بديعة بليغة منها،نبذة من تاريخ الدولة الرسولية،وشئ من الكلام في معانى العربية،بديع وأحرف معدودة،إذا جمعتها من أوائل سطوره انتظمت عروضا فهذه ثلاثة أشياء وعلم رابع يحصل من جمعه من آخر كل سطر،وطرفة في علم القوافى،فاتفقت هذه وهى خمسة علوم من تأملها عجب،اخترعتها لا على منوال ورسمت لها مراسم على غير مثال،فجاء مفقهاً وجاء مؤدباً،وجاء مؤرخاً"وفرغ من تأليفه عام ٨٠٤ هـ / ١٤٠١ م [٤] .

أى أنه وضع مؤلفه أولا في الفقه ثم أعمل فكره في إدماج العلوم الأخرى باختيار اللفظ المناسب حتى يؤدى اللفظ الواحد لأربعة معانى زائدة على المعنى الذى وضع الكتاب من أجله وهو الفقه ، وينتج عن هذه المعانى التى تحملها الألفاظ المركبة أربعة علوم مضافة إلي الفقه وهى النحو والتاريخ والعروض والقوافى[٥] .

---

[١] البريهى : طبقات صلحاء اليمن ، ص ٣٠٣ ؛ طه أحمد أبو زيد : المرجع السابق ، ص ٧٢ وهـ ١ حيث يوجد من هذا الكتاب مخطوط بالمكتبة الشرقية للجامع الكبير بصنعاء .

[٢] عن هذا التلميذ ومصنفاته راجع : السخاوى : الضوء اللامع ، ج٦ / ١٣٢ ـ ١٣٥ .

[٣] طبع هذا الكتاب بالمطبعة السنية بمصر عام ١٣٠٩ هـ ، راجع : طه أحمد أبو زيد : المرجع السابق ، ص ٧٥ هـ ١ .

[٤] البريهى : المصدر السابق ، ص ٣٠٢ ـ ٣٠٣ ؛ الشوكانى : البدر الطالع ، ج١ / ١٤٢ ـ ١٤٣ ؛ طه أحمد أبو زيد : المرجع السابق ، ص ٧٥ .

[٥] طه أحمد أبو زيد : نفس المرجع ، ص ٧٤ . وقد صنف هذا الكتاب برسم السلطان الأشرف الثانى الرسولى ولكنه لم يتمه في حياته حيث توفى الأشرف عام٨٠٣ هـ فقدمه لابنه الناصر أحمد.(راجع الشوكانى:البدر الطالع،ج١/ ١٤٢؛وراجع أيضا: ابن القاضى درة الحجال ، ج١ / ٢١٠ ـ ٢١١) .

ومن مصنفاته أيضا رسالتان في الرد على المتصوفة من أتباع ابن عـــربى[١] وغير ذلك من المصنفات [٢] .

- جمال الدين محمد بن أبي بكر بن محمد بن صالح الهمداني المعـــروف بابن الخياط (٧٨٧ - ٨٣٩ هـ / ١٣٨٥ - ١٤٣٥ م) : أخذ عـــن علمـــاء اليمن وغيرهم من القادمين اليها ، وخرج للحج وأخـــذ هنـــاك علـــى الأئمـــة المشهورين، فأجاوزه . وكانت له منـــزلة خاصة عند الملك الناصـــر الرســـولى ، وصنف في الفقه كتاباً عنوانه " شرح الصدور في وجـــوب الـــبراءة بالنـــذور " ، وسبب تأليفه له أن امرأة اتفقت مع رجل على أن يتزوجهـــا بعـــد أن رغبتـــه في نكاحها ، وقالت له "تزوج علي وعلى نذر الله أن نكحتني وكتب الله بيننا فراقـــا أبرأتك من مهرى ، فهل يلزمها الوفاء بالنذر إذا فارقها " ، فصنف مصنفه السابق وأوضح بوجوب صحة النذر ولزوم الوفاء بذلك وأقام الدليل عليه.[٣] .

أما المصنف الفقهى الثاني فعنوانه"عين التحقيق في عدد بناء البيت العتيـــق" وألفه جواباً على سؤال وصله من زبيد مضمونه أن الفقهاء اختلفوا في عدد بنايات الكعبة المشرفة،فأجابهم على ذلك بجواب شاف أظهر فيه الدلائل على صـــحة بنائهـــا إحدى عشرة مرة،وذكر من بناها[٤]،وله مجموعة فتاوى عرفت بفتاوى ابن الخياط[٥] .

- الفقيه أبو القاسم بن أحمد بن إبراهيم بن عيسى بن مطير الحكمـــى اليماني المعروف بابن مطير (ت ٧٧٣ - ٨٤٤ هـــ / ١٣٧١ - ١٤٤٠ م) : انتهت إليه الرئاسة في التدريس والإفتاء وصنف في الفقه كتاباً عنوانه الكفايـــة في الرد على من أنكر استحباب صلاتي رجب وشعبان [٦] .

- الإمام شمس الدين بن علي بن محمد بن عبد العلي بن قحر (٧٥٨- ٨٤٥ هـــ / ١٣٥٦ - ١٤٤١ م)[٧] : كان من كبار علماء زبيـــد ومفتيهـــا ،

---

(١) الشوكاني : البدر الطالع ، ج١ / ١٤٤ - ١٤٥ .
(٢) راجع عنها : الحبشي : مصادر الفكر ، ص ١٩٨ ؛ طه أحمد أبو زيد ، ص ٧٣ - ٧٤ .
(٣) البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص ٢٣٠ .
(٤) البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص ٢٣٠ .
(٥) السخاوي : الضوء اللامع ، ج٧ / ١٩٤ - ١٩٥ ؛ الحبشي : مصادر الفكر ، ص ١٩٩ .
(٦) السخاوي : الضوء اللامع ، ج١١ / ١٣١ - ١٣٢ .
(٧) جعل السخاوي وفاته عام ٨٤٢ هـ . راجع : الضوء ، ج٥ / ٣١٣ .

وأخذ الناس عنه ، وهو أول من ولى من الشافعية إمامة مسجد الأشاعر بها في عام ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م ، وكان بينه وبين الفقيه شرف الدين اسماعيل المقرى خلاف حول عدد من المسائل بسبب ميل ابن قحر للصوفية [١] ، وقد استقام ابن قحر بمكان المقرى في التدريس والفتوى بعد وفاته ، وصنف كتاباً في الفقه برسم السلطان الظاهر يحيى الرسولى عنوانه " الكتاب الظاهرى " وأجازه عليه السلطان بمائة مثقال وكساه " ، وكان ابن قحر وحيد عصره ، جمع من الكتب مكتبة مليئة بالمؤلفات أحسن ضبطها وصححها ونبه على دقائق في مواضع منها ، وطال عمره في التدريس والإفادة للطلبة ، وتوفى بزبيد [٢] .

- *الفقيه عثمان بن عمر بن أبي بكر الناشرى*(ت ٨٤٨ هـ/١٤٤٤م): صنف في الفقه كتابين الأول عنوانه ، شرح الإرشاد في الفقه للقاضى إسماعيل بن المقرى ، والثانى شرح الحاوى للقزوينى [٣] .

- *الفقيه محمد بن ابراهيم بن ناصر الجمال الحسيني الزبيدى الشافعي* (ت٨٥٤ هـ / ١٤٥٠ م) : أحد تلاميذ ابن المقرى اذ أنه تفقه وقرأ عليه الكثير من تصانيفه حتى صار من أجل تلاميذه ، ولازم العلم حتى تقدم وتصدى للتدريس والإفتاء بزبيد ، وانتفع الناس به ، وصنف وشرح عدة مصنفات فقهية منها " مختصر كتاب القوت " للأذرعى [٤] ، ومختصر كتاب " التفقيه " لجمال الدين الريمى ، ومختصر الجواهر للقمولى و لم يكمله [٥] .

- *الإمام جمال الدين محمد بن سعيد بن على بن كبن* (ت ٨٤٢ هـ / ١٤٣٨ م) : كان اول اشتغاله بالعلم في عدن على إمام وقته القاضى رضى الدين أبى بكر الحبيشى قاضى عدن ، وقد نال منه إجازات عديدة ، ثم ارتحل في أنحاء اليمن سعياً للعلم ، وتأهل في النهاية للتدريس والفتوى ، وخلف أستاذه في قضاء

---

(١) صنف المقرى قصيدة في الرد على ابن قحر لميوله الصوفية قال فيها :

من قلد العلماء وأقدم عذرا وعلى الذى أفتاه عهده ما أعترى

راجع : البريهى : *المصدر السابق* ، ص ٢٠٩ وهـ ٣ .

(٢) البريهى *المصدر السابق* ، ص ٣٠٩ - ٣١٠ ؛ السخاوى : *الضوء اللامع* ، ج٥ / ٣١٢ - ٣١٣ .

(٣) السخاوى *الضوء اللامع* ، ج٥ / ١٣٤ .

(٤) وكتابه يسمى " قوت المحتاج في شرح المنهاج " لحمدان الأذرعى (ت ٧٨٤ هـ) .

(٥) السخاوى : *الضوء* ، ج٦ / ٢٨٢ .

عدن ، وحصل في خزانته من الكتب نحواً من ألف كتاب ، وكانت له في التدريس " اليد العالية والبراعة " ، وله عدة مصنفات فقهية منها " المفتاح على كتاب الحاوى الصغير " للقزوينى ؛ وقد اشتهر هذا المصنف وانتشر واعتمده الناس واجتهدوا بتحصيله وله تعاليق فقهية أخرى [١] .

- *الإمام جمال الدين الطيب محمد بن أحمد الناشرى* (٧٨٢ - ٨٧٤هـ/ ١٣٨٠ - ١٤٦٩م):أخذ على مشايخ عصره ، واشتهر بحسن التدريس والصواب في الفتوى ، وتولى القضاء الأكبر ، واختص بالسلطان الظاهر يحيى الذى رفعه على جميع الناس بفضل علمه وورعه ، وقلده أمر مدرسته بتعز تدريساً ونظراً، وحثه على وقف كتبه فيها ففعل وأوقف بها نفائس المصنفات وكانت نحواً من خمسمائة مجلد ، كما قام بالتدريس في الأشرفية والفرحانية بتعز ، وصنف في الفقه جملة مصنفات مفيدة منها " ايضاح الفتوى في النكت المتعلقة بالحاوى " في ثلاثة مجلدات [٢] جمع فيه متفرق الكلام كالتحرير لأبى زرعه ، والمفتاح لابن كبن،والأذرعى والجواهر للقمولى في الفقه،والمهمات للإسنوى في الفقه وشرح الحاوى وغير ذلك من المصنفات المعروفة في زمنه ، ويذكر البريهى أن هذا الكتاب انتشر وذاع في أرجاء اليمن ومكة والشام وتلقاه الناس بالقبول[٣] .

- *الفقيه تقى الدين عمر بن معيبد الأشعرى* (٨٠١ - ٨٨٧ هـ / ١٣٩٨ - ١٤٨٢ م) : أحد تلاميذ إسماعيل المقرى ، قرأ عليه في الفقه وعلى غيره من أئمة وقته ، وأجازوا له فدرس وأفتى وأفاد وصنف كتبا منها " النكيتات الخفيات على المهمات "ويحتوى على ٣٠٠ اعتراض ، كما صنف " مهمات المهمات " ، ووضع كتابا سماه " الإبريز الغالى على وسيط الغزالى " ، واختصر كتاب الأنوار في الفقه للأردبيلى وأسماه " أنوار الأنوار " ، وله غير ذلك الكثير من المصنفات [٤] .

---

(١) البريهى : *المصدر السابق* ، ص ٣٣٠ - ٣٣١ .
(٢) السخاوى : *الضوء* ، ج٦ / ٢٩٨ ، بينما يجعل البريهى المصنف في مجلدين (راجع : *طبقات صلحاء اليمن* ، ص ٣١٧) .
(٣) البريهى : *طبقات صلحاء اليمن* ، ص ٣١٧ .
(٤) السخاوى : *الضوء* ، ج٦ / ١٣٢ - ١٣٥ ؛ البريهى : *المصدر السابق* ، ص ٣١٣ - ٣١٤ .

– *الفقيه عفيف الدين أبو القاسم بن أبي بكر العسلقي* (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) : قرأ على جماعة من شيوخ عصره ، واجتهد حتى تأهل للتدريس والفتوى واشتغل في أواخر عمره بالنسخ ، واختصر كتاب إحياء علوم الدين للغزالي في مختصر حسن [١] .

– *الفقيه جمال الدين محمد بن ابراهيم بن ناصر الحسيني* (ت ٨٥٣ هـ / ١٤٤٩ م) [٢] : أجاز له مشاهير علماء عصره ورتب إماماً بمسجد الأشاعر ، وشرع في تصنيف شرح للمنهاج ، ومختصر للتفقيه ، ولكن الموت عاجله قبل إتمامها،وكان ينظم إجاباته الفقهية شعراً [٣] .

– *الفقيه جمال الدين محمد بن عمر الفارقي النهاري* (٨٠٥ – ٨٩٣هـ/ ١٤٠٢ – ١٤٨٧ م) : تفقه على القاضي شرف الدين إسماعيل المقرى، وغيره من فقهاء عصره في القراءات والفقه الذى أحرز فيه شهرة عالية ، وكثر استقدامه له حتى صار فقيه ناحيته ، ورتب إماماً ومدرساً بالمدرسة الفرحانية، ثم انتقل بعد ٨٥٠ هـ / بعد ١٤٤٦ م إلي وصاب هرباً من الفتن الضاربة بزبيد في أواخر العصر الرسولى بين العبيد وقبائل المعازبة والقرشيين ، فدرس هناك وأضيف إليه القضاء ، وصنف في الفقه شرحاً للمنهاج في أربعة مجلدات سماه " مفتاح الأرتاج في شرح المنهاج " واختصر كتاب الجواهر للقمولى في أربعة أسفار تحت اسم "زواهر الجواهر " ، ومصنفاً ثالثاً تحت عنوان "الكفاية" [٤] .

---

[١] البريهى : المصدر السابق ، ص ٣١٢ .
[٢] السخاوى : الضوء ، ج٦ / ٢٨٢ حيث جعل وفاته عام ٨٥٤ هـ / ١٤٥٠ م .
[٣] راجع أمثلة لذلك في البريهى : طبقات صلحاء اليمن ، ص ٣١١ .
[٤] السخاوى : الضوء ، ج٨ / ٢٦٩ – ٢٧٠ ؛ البريهى : المصدر السابق ، ص ٣٩ – ٤٠ .

(٢) الدراسات اللغوية والأدبية

١- اللغة والنحو

بدأت عناية أهل اليمن بعلوم اللغة والنحو منذ فترة مبكرة من التاريخ الإسلامى نتيجة عوامل دينية بحتة إذ بواسطة اللغة العربية يتمكن الفرد المسلم من الوقوف على معانى القرآن الكريم وفهم أسراره ، وتحصيل السنة النبوية ، فظهر في اليمن العديد من المعاجم اللغوية لعل من أقدمها كتاب " نظام الغريب " لعيسى بن ابراهيم " (ت ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م) الذى نال شهرة واسعة في زمنه ، واعتمده الطلبة في دراستهم في كل عصر [١] .

ثم ظهر بعد ذلك المعجم اللغوى الكبير الذى وضعه الأمير نشوان بن سعيد الحميرى(ت٥٧٣ هـ/١١٧٧م)،وقد أخذ هذا المعجم منذ ظهوره يضارع نظام الغريب في الشهرة والمكانة،وعرف باسم"شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم"[٢].اعتنى فيه بلهجات أهل بلاد اليمن[٣]،فاشتمل على مفردات يمنية لا توجد في غيره من قواميس اللغة [٤]،وأما المفردات التى لا تختص بأهل اليمن ، فقد أكثر فيها من شواهد القرآن الكريم وأشعار العرب [٥] ، وصار " شمس العلوم " المعجم اللغوى المؤثر على أهل بلاد اليمن حتى ظهور القاموس المحيط للفيروز

---

(١) الحبشى : حياة الأدب اليمنى ، ص ١١٢ - ١١٣ .

(٢) وهو في ثمانية مجلدات ، وضم إلي جانب اللغة استطرادات وإفاضات في شتى العلوم فتضمن الحديث والفقه والتاريخ وعلم الفلك والنحو والطب وغيرها لتوضيح معانى الكلمات المفردة فتعرض الكتاب بذلك لموضوعات تاريخية وفلكية وطبية وفقهية حتى أصبح موسوعة علمية واسعة . وقام نشوان بترتيب معجمه على حروف المعجم ، وقسمه إلي ابواب وجعل لكل حرف من حروف الهجاء بابا ، وقسم كل باب إلي شطرين احدهما للأسماء والآخر للأفعال ، وجعل لكل كلمة من الأسماء او الأفعال وزنا ومثالا ، يذكر الكلمة في اللغة فإن كان لها نفع من الطب او غيره ذكره قاصدا بذلك أن يأمن التصحيف والتحريف فحروف المعجم تحرس النقط ، وتحفظ الخط والأمثلة حارسة للحركات والشكل ، وقد تفرد بهذا المنهج ولم يسبقه إليه أحد من المصنفين ، وهكذا جاء معجمه اللغوى متضمنا شروحا علمية وطبيعية وأيضا أحكاما شرعية (راجع : نشوان الحميرى : الحور العين ، ص ٢٣ – ٢٤ من مقدمة المحقق ؛ محمد رضا الدجيلى : الحياة الفكرية ، ص ١٦٦ ؛ حسين العمرى : مصادر التراث اليمنى في المتحف البريطانى ، دمشق ، ١٩٨٠ ، ص ٤٢ ؛ وراجع أيضا : عن مصنفات نشوان بن سعيد : يحيى بن الحسين ، طبقات الزيدية ، ق ٦١ - ٦٣ ب) .

(٣) الحبشى : مصادر الفكر ، ص ٣٧٠ ؛ محمد رضا الدجيلى : الحياة الفكرية ، ص ١٦٥ .

(٤) راجع أمثلة لذلك في : محمد رضا الدجيلى : المرجع السابق ، ص ١٦٥ .

(٥) محمد رضا الدجيلى : المرجع السابق ، نفس الصفحة .

أبادى [١] ، ونظرا لأهمية هذا المعجم اللغوى فقد اختصره عدد من العلماء ، منهم ولده محمد بن نشوان بن سعيد الحميرى ، وكان بدوره من علماء اللغة وأعلامها في أواخر القرن الخامس الهجرى وأوائل السادس ، واختصره في مصنف يحمل اسم " ضياء الحلوم المختصر من شمس العلوم " ويقع في مجلدين [٢] .

كذلك صنف نشوان كتابا آخر في اللغة باسم القوافى ، ولا يزال مخطوطا[٣] عنوانه " مشكل الروى وصراطه السوى " [٤] ، وكتاب " ميزان الشعر وتثبيت النظام [٥] ، وصنف ابنه محمد مصنفاً آخر عنوانه " مختصر في الفرق بين الضاد والظاء " [٦] .

ومن علماء اللغة في هذا العصر أيضا ***الفضل بن أبي السعد العصيفرى*** (ت٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) وكان من أشهر علماء اليمن في الفرائض واللغة ألف في الفرائض " الفايض في علم الفرائض " في نحو عشرة مجلدات ، وعقد الأحاديث في علم المواريث ، واختصره في مصنف ثالث بعنوان " مفتاح الفايض في علم الفرائض " [٧] أما في اللغة فقد وضع مصنفين أحدهما بعنوان شرح المفصل في النحو للزمخشرى ، وشرح الكافية لابن الحاجب [٨] .

- ***محمد على القلعى*** (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٧٢ م) : صنف في اللغة : كنز الحفاظ في غرائب الألفاظ (الألفاظ الواردة في كتاب المهذب في الفقه) ، واللفظ المستغرب من ألفاظ المهذب [٩] .

---

(١) الفه الفيروز أبادى في زبيد وأهدى النسخة كاملة للسلطان الناصر أحمد الرسولى وصدرها بعدة أبيات في مدحه (راجع : الحبشى : _حياة الأدب اليمنى_ ، ص ١١٣) .

(٢) نشوان الحميرى : _الحور العين_ ، ص ٥ ، ونشرت منتخبات منه في ليدن عام ١٩١٦ م بعناية عظيم الدين أحمد خان (راجع : _نفس المصدر_ ، ص ٢٤ من مقدمة المحقق ؛ الدجيلى : _المرجع السابق_ ، ص ١٦٦ ؛ الحبشى : _مصادر الفكر_ ، ص ٣٧١ ؛ حسين العمرى : _مصادر_ ، ص ٤٣) .

(٣) الحبشى : _مصادر الفكر_ ، ص ٣٧٠ .

(٤) نشوان الحميرى : _الحور العين_ ، ص ٢٥ ، ٨٧ .

(٥) الدجيلى : _المرجع السابق_ ، ص ١٦٥ .

(٦) الحبشى : _مصادر الفكر_ ، ص ٣٧١ .

(٧) الحبشى : _مصادر الفكر_ ، ص ٢٦٠ ، حسين العمرى ، _مصادر التراث_ ، ص ١٦٠ - ١٦١ .

(٨) الحبشى : _مصادر الفكر_ ، ص ٣٧١ .

(٩) الأهدل : _تحفة الزمن_ ، ق ١٢٩ .

- *أبو الحسن بن سليمان النحوى الملقب بابن حيدرة* (ت ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م) : ينسب له كتاب كشف المشكل في النحو ، والمقصود والممدود ، وشرح ملحة الاعراب للحريرى [(١)] .

- *محمد بن أحمد بن سليمان بن بطال الركبى* (ت بعد ٦٣٠ هـ / بعد ١٢٣٢م):وله المستعذب في شرح ألفاظ المهذب،كما صنف أحد تلاميذه ويدعى جمهور بن على بن جمهور مصنفا في اللغة بعنوان: "المذاكرة العربية في النحو"[(٢)] .

- *أبو اسحاق ابراهيم بن على بن عجيلة* (توفى فيما بين ٦٤٠ – ٦٤٦هـ / ١٢٤٢ – ١٢٤٨ م) : كان بارعا متفوقا في عدة علوم منها الفقه والفرائض والحساب واللغة ، حيث وضع شرحا لكتاب نظام الغريب في اللغة[(٣)] .

- *الفقيه أبو على بن يحيى بن ابراهيم بن العمك* (ت ٦٧٠ هـ / ١٢٧١ م) : كان من أعيان العلماء ، وبرع في فن الأدب والنحو واللغة والعروض ، وكان شاعرا فصيحا ، نظم في مدح الملك المظفر قصائد عدة ، كما صنف كتبا كثيرة في اللغة والنحو ، ومن مصنفاته في هذا المجال كتاب الكامل في العروض والقوافى ، وآخر بعنوان الكافى في العروض والقوافى ، والبيان في النحو واستدرك فيه على مقدمة ابن بابشاذ المعروفة بالمقدمة الحسنية [(٤)] .

- *الامام أبو عبد الله محمد بن الحسن الصمعى* : كان من العلماء الذين انقطعوا للتدريس والافادة ، فدرس في المنصورية بزبيد ، وغلب عليه علم النحو ، وله فيه مصنفات كثيرة مفيدة منها الغاية والمثال في العروض ، وقد تفقه به جماعة ، وتوفى عام ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م [(٥)] .

- *الفقيه الامام أبو محمد عبد الله بن عمر بن سالم الفائشى* (٦٥٩ – ٦٩٥ هـ / ١٢٦٠ – ١٢٩٥ م) : أخذ على علماء أبين ، وتفقه في تهامة بالفقيه أحمد بن موسى بن عجيل ، ودخل الجند ودرس على يديه هناك جماعة ،

---

(١) السيوطى : *بغية الوعاة* ، ج٢ / ١٦٨ ؛ الحبشى : *المرجع السابق* ، ص ٣٧٠ – ٣٧١ .
(٢) بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، ج٢ / ٢٠٠ .
(٣) الأفضل الرسولى : *العطايا* ، ق ٣ ؛ البغدادى : *هدية العارفين* ، ج١ / ١١ ؛ الحبشى : *مصادر الفكر* ، ص ٣٧٢ .
(٤) الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ١٦١ ؛ الحبشى : *المرجع السابق* ،ص ٣٧٣ .
(٥) الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ١٧٧ .

وقام بالتدريس في المدرسة النجمية،ظل بها إلي أن وافته المنية،وكانت لـه معرفة جيدة بالنحو والفقه والقراءات،صنف في النحو مصنفا نحا فيه نحو البابشاذية وسماه "اللوامع في النحو"، كما كانت له دراية واسعة بالأصول والحديث وغيره [1] .

- ***الفقيه محمد بن عبد القدوس الأزدى الظفاري*** (ت ٦٩١ هـ / ١٢٩١ م) : أحد أدباء ظفار المعدودين ، وكان كاتب انشاء السلطان سالم بن ادريس الحبوضي حاكم ظفار في عهد المظفر الرسولي ، وهو الذى رد على كتاب المظفر لحاكم ظفار والذى آتى فيه ذكر الآية الكريمة " **ويسألونك عن الجبال** " ، فأورد في رده " **فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا....** " ، وكان الأزدى بارعا في فنون الأدب له ديوان شعر ، كما نظم كتاب التنبيه ، وصنف كتابا في فن الخط والقلم ووضعه لخزانة السلطان سالم الحبوضي ، سماه " العلم في معرفة القلم " وكان كامل الإفادة في فنه وهو الخط وما يتعلق به من القلم وغيره [2] .

- ***الفقيه أبو بكر بن أحمد بن عبد الرحمن المعروف بالصائغ*** (٦٣٣ - ٧١٤ هـ / ١٢٣٥ - ١٣١٤م) : وكان متبحرا في علوم الفقه والأدب والنحو، وآخر ما صنفه كتاب " ايضاح غريب الألفاظ اللغوية " [3] .

- ***الفقيه النحوى البارع أبو الفضل بن أحمد بن عثمان بن بصيص الحنفي الزبيدى*** (ت ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م) : وكان إمام الحفاظ وشرف النحاة وختام الأدباء ، انتهت إليه رئاسة الأدب في عهده ، وكانت الرحلة إليه ، وله عدة تصانيف مفيدة منها شرح المقدمة الحسنية في النحو لبابشاذ ، واخترمته المنية قبل تمامه ، ووصفه الخزرجي بأنه شرح جيد مفيد انتحل فيه الأسئلة الدقيقة ، وأجاب عنها بالأجوبة الشافية وهذب منهاجها ونشر مقاصدها ، وله المنظومة المشهورة في العروض والقوافى [4] .

---

(١) الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ٢٤٧ .
(٢) بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، ج٢ / ٢١٠ .
(٣) الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ٣٣٦ ؛ الحبشى : *مصادر الفكر* ، ص ٣٧٤ .
(٤) الخزرجى : *العقود* ، ج٢ / ١١٨ ؛ *الكفاية* ، ق ١٨٨ ، *العسجد* ، ق ١٩٠ ؛ الحنبلى : *شذرات الذهب* ، ج٦ / ٢١٠ .

- الفقيه جمال الدين أبو زيد محمد بن عبد الرحمن السدوسى (ت ٧٧٣هـ/ ١٣٧١ م) : كان فقيها عالما بفنون الجبر والمقابلة ، وقام بالتدريس فوصف بحسن الإقراء وتفقه به عدة من أهل المذهب الحنفى باليمن ، وصنف في اللغة وله " مختصر شرح الخوارزمى " [1] .

- الفقيه عبد اللطيف بن أبي بكر بن أحمد بن السراج الشرجى الزبيدى اليمانى(٧٤٠ - ٨٠٣ هـ/ ١٣٣٩-١٤٠٠م):ولد بقرية الشرجة بين حيس وزبيد،ونشأ بها،وحفظ القرآن،وارتحل عام ٧٦٢ هـ/ ١٣٦٠م إلي زبيد ، فأخذ عن ابن بصيص في النحو والأدب وغيرها ، وظل ملازما له حتى توفى، ثم أخذ العربية عن علماء عصره،وخلف شيخه ابن بصيص في حلقة درسه،فعكف عليه الطلاب،واستقر في تدريس العربية والنحو في المدرسة الصلاحية بزبيد،وانتشر ذكره في البلاد،فارتحل الطلاب إليه من سائر أنحاء اليمن وغيرها،وأخذ الفقه والتفسير والحديث على عدد من علماء اليمن،وعنى عناية كبيرة بجمع المؤلفات ونسخها بخطه واعتنى بضبطها واتقانها،كما درس الفقه والعربية أيضا بالدحمانية بزبيد فذاعت شهرته وبلغت الملك الأشرف الرسولى،فاستدعاه إلي مجلسه العلمى ، وقرأ عليه بعض مصنفات اللغة والنحو،والتمس منه تصنيف بعض المصنفات فيهما من تلك المصنفات شرح ملحة الأعراب،ونظم مقدمة ابن بابشاذ في النحو، فجاءت أرجوزة في نحو ألف بيت، ونظم مختصر الحسن بن أبي عباد في النحو ، واختصر المحرر في النحو،وجعله على قسمين الأول في مفردات الكلام،والثانى في المركبات،ووضع كتاب" الإعلام بمواضع اللام في الكلام "،وصنف مقدمة في علوم النحو وكان الأشرف الرسولى يقرأ عليه فيه وفي غيره من تصانيفه ، وصار الشرجى شيخ النحاة في عصره،وعنه أخذ الناصر الرسولى بن الأشرف،وابن حجر العسقلانى الذى قال عنه أنه"أحد أئمة العربية اجتمعت به بزبيد وسمعنا من فوائده" [2] .

- الفقيه أبو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن يوسف بن عمر العلوى (٧٤٨ - ٨٠٣ هـ / ١٣٤٧ - ١٤٠٠ م) : كان أوحد رجال عصره جلال

---

[1] الخزرجى : *العقود* ، ج٢ / ١٣٠ .

[2] السخاوى : *الضوء اللامع* ، م٢ ج ٤ / ٣٢٥ ؛ الخزرجى : *العقود* ، ج٢ / ٢٥٧ .

ورياسة ونباهة ونفاسة [١] ، واتصل بخدمة السلطان الملك الأشرف فندبه ملتزماً بوادى زبيد ، ثم ترقى في الخدمة السلطانية والمباشرات الديوانية ، وتنقل في سائر الجهات اليمنية ، وبالإضافة إلي ما قام به من أعمال إدارية كان أديباً بارعاً له نظر في كثير من العلوم ومشاركة في المنثور والمنظوم ، ومن محاسن مصنفاته الأدبية القصيدة البديعية المسماة " الجوهر الرفيع ودوحة المعانى في معرفة أنواع البديع " ، أودعها سائر فنون البديع من التجنيس والترصيع والترشيح والتوشيح وغير ذلك من معانى البديع ، وشرحها شرحاً شافياً كاملاً [٢] .

وممن وصلتنا أسماءهم من علماء اللغة والنحو وقاموا علـى تدريسها في معاهد العلم باليمن في فترة البحث أيضا :

– ***الفقيه بدر الدين حسن بن محمد بن سعيد الشظبى الحارثى الحـوزى*** (ت٨٣٤ هـ / ١٤٣٠ م) : انتقل من بلده إلي صنعاء فقرأ في النحو واللغة والحديث على الأئمة المجودين لهذه الفنون ، وانتقل إلي تعز سعياً وراء العلم ، وارتحل إلي الحجاز ودرس على أيدى الأئمة بالحرمين الشريفين في الحديث ، ثم عاد إلي صنعاء ، حيث قام على تدريس النحو ، واشتهر به وصنف فيه مختصراً جامعاً سماه " تبصرة أولى الألباب في ضوابط الإعراب " كان مثار استحسان علماء النحو بصنعاء وغيرها ومدحه بعضهم على هذا المصنف [٣] .

– ***الإمام جمال الدين محمد بن نور الدين الخطيب الموزعى*** (ت بعد ٨١٠هـ / بعد ١٤٠٧ م) : وصنف في عدة فنون من العلم ، من ذلك علم النحو وكتابه يسمى " مصابيح المعانى في حروف المعانى " [٤] .

– ***الفقيه أبو الحسن على بن الحسين الوصابى*** (٥٧٧ – ٦٥٧ هـ / ١١٨١ – ١٢٥٨ م) : كان فقيهاً أصولياً نحوياً لغوياً ، رتب مدرساً للعربية والنحو في المدرسة المظفرية بتعز ، وكان أول من درس بها ، وكانت له إلي جانب

---

[١] بامخرمة : قلادة النحر ، ج ٣ / ١١٤٧ .
[٢] بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج٢ / ١٢٠ ـ ١٢١ ؛ قلادة النحر ، ج٣ / ١١٤٧ ـ ١١٤٨ ؛ السخاوى : الضوء اللامع ، ج٤ / ١٥٣ .
[٣] راجع ما سبق : ص ٧١٢ من الكتاب ، الحبشى : المرجع السابق ، ص ٢١ .
[٤] البريهى : طبقات صلحاء اليمن ، ص ٢٦٩ . وتوجد منه نسخة خطية مصورة بمعهد المخطوطات العربية .

تدريسه للعربية عدة مصنفات في الأصول منها كتاب ضمنه الرد على الزيدية ، وآخر ضمنه الرد على من يكفر تارك الصلاة [١] .

– *الفقيه جمال الدين محمد بن يوسف الصبري* (ت ٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م) : كان نحوياً لغوياً عارفاً بعدد آخر من العلوم كالجبر والمقابلة والفرائض ، وتصدر لتدريس العربية والنحو في المدرسة الغزالية بتعز ، ثم انتقل إلي المظفرية وتولى القضاء في أخريات عمره ، ووافته المنية بمكة المشرفة [٢] .

– *الفقيه أبو محمد القاسم بن عبد الرحمن بن راشد* (ت ٧٤٥ هـ / ١٣٤٤م):كان نحوياً لغوياً،أجاد قراءة النحو قراءة متقنة،ثم قام على إقرائه في صنعاء مدة،وارتحل بعدها إلي تعز،حيث دَرَّس الحديث في المؤيدية،ثم في ذى هزيم ، وعاد ثانية لإقراء الحديث بصنعاء فترة،ثم عاد إلي تعز ثانية حيث وافته المنية [٣] .

– *يوسف بن محمد بن على الجعفرى :* (ت ٧٤٦ هـ / ١٣٤٩ م) : كان فقيهاً نحوياً لغوياً ومحدثاً ، درس هذه الفنون على عدة من الأئمة المجودين لها ، ثم قام على تدريس النحو بالمدرسة الأشرفية بتعز [٤] .

– *الفقيه أبو الحسن على بن محمد الصبرى* (ت ٧٥٢ هـ / ١٣٥١م): برع في اللغة والنحو ، وأجاد فنونهما ، وجلس للتدريس بالمدرسة السابقية بالحميرا [٥] .

– *الفقيه أبو الغيث محمد بن راشد السكونى* (ت ٧٥٩ هـ / ١٣٥٧م) : وكان فاضلاً جامعاً لعلوم شتى من الفقه والنحو واللغة وأجاد في علم المعانى والبيان والعروض والقوافى ، وذكر الخزرجى قيامه بالتصنيف في هذا المجال وإن لم يذكر اسم مؤلفه ووصفه بقوله " له مصنف لطيف يدل على جودة معرفته وصفاء ذهنه وتدقيق فطنته " ، وقام على تدريس تلك العلوم بعدة مدارس بزبيد وتعز [٦] .

---

[١] الخزرجى : العقود ، ج١ / ١٢٠ – ١٢١ .
[٢] الخزرجى : العقود ، ج٢ / ٦٩ .
[٣] الأفضل الرسولى : العطايا ، ق ٤٢ ؛ الخزرجى : العقود ، ج٢ / ٧١ – ٧٢ .
[٤] ابن القاضى : درة الحجال ، ج٣ / ٣٥٦ – ٣٥٧ .
[٥] الخزرجى : العقود ، ج٢ / ٨٢ .
[٦] الخزرجى : العقود ، ج٢ / ٩٣ .

- *الفقيه أسعد بن محمد* : وكان فقيهاً ناهاً وأديباً لبيباً ، تميز في العربيــة واتخذ من منــزله حلقة لدرسه ، وظل قائما على تدريس العربية والفقه حتى توفى عام ٥٩٦ هـــ / ١١٩٩ م [١] .

- *أحمد بن عبد اللطيف بن أبي بكر بن عمر الزبيدى* (ت ٨١٢ هـــ / ١٤٠٩ م) : وعرف بشهاب الدين النحوى برع في العربية كأبيه ، وقــام علــى تدريسها بالمدرسة الصلاحية بزبيد ، واتسم بحسن الخط ، وجودة الضبط والنقل ، ووافته المنية عن أربعين عاما [٢] .

- *الفقيه شهاب الدين أحمد بــن محمــد الريمــى* (ت ٨٧٠ هـــــ / ١٤٦٥م): قرأ على علماء عصره في الفقه والنحو وبرع في النحو والعربية وقــام بتدريسهما في الفرحانية بتعز والمعتبية أيضا ، ثم انتقل إلي مدينة صنعاء ، للتدريس بها وهناك توفى [٣] .

- *الفقيه شهاب الدين أحمد بن مطهر بن موسى الحميرى الموســوى* : اجتهد في دراسة القراءات والفقه والنحو الذى تخصص فيه وعكف على دراســته على أئمة عصره في صنعاء وغيرها ، حتى تفوق فيه وحصل بخطه نحــو عشــرين مصنفا في النحو ، وقام على تدريسه بإب ووصاب ، حيث توفى وأوصى بوقــف كتبه بمدينة إب على نظر الفقهاء من بنى البريهى ، وتوفى بعد عــام ٨٣٠ هـــــ / ١٤٢٦ م [٤] .

- *الفقيه شمس الدين على بن أبي بكر الســحولى* (ت ٨٥٢ هـــــ / ١٤٤٨ م) : يصفه البريهى بقوله " كان له اليد الطولى في علــم النحــو اللغــة والعروض وأمثال العرب وعلم القوافى " ، وانتظم في مدارس إب للدرس والإفتــاء مدة أربع سنوات في أخريات عمره ، وكان قبل ذلك عاكفاً على إقراء الطــلاب بمدينة تعز [٥] .

---

(١) بامخرمة : قلادة النحر ، ق ٣٨٦ .
(٢) ابن القاضى : درة الحجال ، ج١ / ٨٤ ؛ السخاوى : الضوء ، ج١ / ٣٥٤ ؛ الحنبلى : شذرات الذهب ، ج٧ / ٩٦ .
(٣) البريهى : طبقات صلحاء اليمن ، ص ٢٦ .
(٤) البريهى : طبقات صلحاء اليمن ، ص ٣٦ – ٣٧ .
(٥) البريهى : طبقات صلحاء اليمن ، ص ١١١ – ١١٣ .

- *الفقيه النحوى برهان الدين ابراهيم بن إسماعيل الجحافى :* كان إماماً محققاً في علم النحو واللغة ، ومشاركاً في علم الفقه والحديث والفرائض ، وغلبت عليه قريحة الشعر والعربية ، وتوفى عام ٨١٠ هـ / ١٤٠٧ م [١] .

- *الفقيه شمس الدين على بن أحمد الأصبحى* (ت ٨١٨ هـ / ١٤١٥م) : كان إماماً محققاً لعلم الفرائض والنحو ، مشاركاً بغيرهما من سائر العلوم ، أجاز له شيوخ عصره ، فقام على تدريس الفرائض والنحو ، وانتفع به جماعة من الطلبة ، كما برع في نظم الشعر [٢] .

- *الفقيه رضى الدين أبو بكر بن محمد الصبرى :* كان فقيهاً نحوياً ، ذاع صيته ، فاستدعاه الناصر أحمد الرسولى ، وجعله مؤدباً لأولاده ومعلما لهم ، وأضاف إليه أسبابا أخرى ، فقام على التدريس بعدة مدارس بتعز ، وتوفى عام ٨١٠ هـ / ١٤٠٧ م [٣] .

- *الفقيه شرف الدين اسماعيل بن ابراهيم البومه* (ت ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م) : قرأ على جماعة من أئمة وقته في العلوم وتميز في النحو والتصريف ، انتهت إليه الرئاسة فيهما بعصره ، فدرس وأفتى وتخرج على يده جماعة من أهل زبيد والوافدين عليها ، وأجاز عددا كبيرا منهم [٤] .

- *الفقيه شرف الدين أبو القاسم بن على عرف بابن زبيده :* تفوق في فن الأدب وبرع فيه وأجازه علماء عصره بذلك ، ثم أخذ الفقه والتفسير والحديث على الشيرازى والجزرى ، ثم تخصص في النحو فكان محققاً للمعانى والبيان والأصلين ، وتخرج على يديه عدد من علماء عصره ، وتنقل في مواضع كثيرة من اليمن يدرس ويفتى في أواخر عصر الدولة الرسولية ، ثم خرج للحج ، فتوفى بمكة عام ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م [٥] .

---

[١] البريهى : طبقات صلحاء اليمن ، ص ١٩٤ – ١٩٥ .
[٢] البريهى : طبقات صلحاء اليمن ، ص ٢٠٠ – ٢٠١ .
[٣] البريهى : طبقات صلحاء اليمن ، ص ٢٠٥ .
[٤] البريهى : طبقات صلحاء اليمن ، ص ٢٨٩ – ٢٩٠ .
[٥] البريهى : المصدر السابق ، ص ٣١٢ – ٣١٣ ؛ السخاوى : الضوء اللامع ، ج١١ / ١٣٦ وجعل تاريخ وفاته عام ٨٥٨ هـ / ١٤٥٤ .

- *الفقيه رضى الدين أبو بكر بن محمد بن أسلم القراع اليافعي* : من علماء القرن الثامن الهجرى ، كان إماما في النحو درس عليه القاضى ابن كبن في عدن وأجازه في ألفية بن مالك ، ونسخ رضى الدين عدة مصنفات بخطه منها التسهيل لابن مالك وشرحه لابن عقيل ، ومغنى اللبيب لابن هشام ، وتوفى بعد عام ٧٨٦ هـ / ١٣٦٦ م [١] .

- *الفقيه أحمد بن على بن أحمد الحرازى* (ت ٧١٨ هـ / ١٣١٨ م) : عرف بالمقرئ النحوى اللغوى الأصولى ، مما يدل على تفرده في هذه العلوم ومنها اللغة والنحو ، وعنه أخذ العديد من علماء عصره من بينهم البهاء الجندى وجمع غفير ، وانتفع به الكثيرون في عدن وغيرها [٢] .

---

(١) بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج٢ / ٢٨ .
(٢) بامخرمة : المصدر السابق ، ج٢ / ٦ – ٧ .

٢- الأدب

أ- النثر :

نشطت الكتابات الأدبية في اليمن في هذه الفترة موضوع البحث ، واتسع مجالها ، وأولاها سلاطين اليمن حظاً وافراً من الاهتمام والتشجيع ، فقد شجعوا الأدباء ، وقربوهم من مجالسهم وأغدقوا عليهم الهبات والعطايا المالية [1] ، فعلى سبيل المثال اشتهر الملك الأيوبي المعز إسماعيل بكرمه الوافر تجاه الشعراء ، وأحاط نفسه بكوكبة منهم من بينهم الشاعر أحمد بن محمد الأموى الأشرقى [2] ، والأديب الشاعر ابن الدلال المصرى [3] . وكان المعز إسماعيل نفسه شاعراً بليغاً له ديوان شعر يقع في مجلد ضخم [4] .

وقد أدى مثل هذا الاهتمام إلي نبوغ عدد غير قليل من الأدباء ساهموا في تطور الحركة الأدبية في اليمن آنذاك ، وكان الكثير منهم يجمع بين قرض الشعر والنثر الأدبي فصار الواحد منهم يوسم بالشعر تارة ، وبالنثر تارة أخرى ، ومن أشهر هؤلاء الأدباء في الفترة موضوع البحث نشوان بن سعيد الحميرى الذى جمع بين قرض الشعر ونظمه ، وبين الكتابة فكان شاعراً وناثراً ، وترك لنا من المصنفات الأدبية ما يشهد بتفوقه في هذين المجالين ، من ذلك كتابه " الحور العين " الذى تضمن مقالات أدبية وتاريخية متنوعة [5] ، وكتاب الفرائد والقلائد [6] .

وممن جمع بين النثر والشعر الأديب أبو بكر بن أحمد العندى ، صاحب ديوان الإنشاء في عهد بنى زريع ، والذى أدرك طرفاً من عهد الدولة الأيوبية ، وصار كاتب الإنشاء لدى توران شاه ، وكان شاعراً وكاتباً مجيداً ، يعود إليه الفضل في تطور النثر الفنى في ديوان الإنشاء باليمن ، وقد أشاد عمارة اليمنى

---

(1) الخزرجي : *العقود* ، ج١ / ٨٣ ؛ بامخرمة : *قلادة النحر* ، ق ١١٠٤ .
(2) الأكوع : *البلدان اليمانية* ، ص ٣٠ ؛ ابن حاتم : *السمط* ، ص ٧٢ .
(3) ابن حاتم : *السمط* ، ص ٤٣ .
(4) الخزرجي : *الكفاية* ، ق ١٥٥ ، *العسجد* ، ق ١٠٣ .
(5) أنظر : *كتاب الحور العين بتحقيق كمال مصطفى* ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٥ .
(6) محمد رضا الدجيلي : *الحياة الفكرية* ، ص ١٧١ و هـ ٣٣ حيث أشار إلي هذا الكتاب ووجود نسخة خطية منه بمكتبة جامع صنعاء .

بأسلوب العندى في الإنشاء وما تميز به من عذوبة ووضوح وسلاسة فقال " فأما البلاغة فهو إمامها ونبذة زمامها،وأما خاطره فأهدى من النجم السارى وأسلس من العذب الجارى،وأما عبارته فلا يعوقها حبس،ولا يشوبها لبس،فسيح في الإطالة بحاله موف على الروية ارتجاله،يكاد نظمه أن يبتسم ثغره،ونثره أن ينظم دره"[١].

كذلك أشاد بأسلوبه البليغ العذب كل من القاضى الجليس أبو المعالى عبد العزيز بن الحباب ، والشيخ أبو الحجاج الموفق بن الخلال صاحبا ديوان الإنشاء في الدولة الفاطمية وقالا عنه " لم تصل إلينا مكاتبة أحد من الآفاق ولا رأينا لكتاب الشام والعراق ما رأيناه من حسن مكاتبات ترد علينا من جزيرة اليمن من إنشاء الأديب أبي بكر بن أحمد العندى فإن له بلاغة تشهد عذوبة مطبوعها بكرم ينبوعها وألفاظا تدل معانيها على فضل معانيها [٢] .

وقد وصلنا نموذج من نثر العندى يشهد بذلك ، ويجمع فيه بين النثر الفنى والنظم الشعرى ، وهو أسلوب ساد الكتابة الأدبية في ذلك العصر موضوع الدراسة ، وهذا النموذج ، هو الرسالة التى دونها على لسان المعظم توران شاه إلي أخيه صلاح الدين يستأذنه في الوصول إلي الديار المصرية ، وقد استهلها بقصيدة شعرية جاء فيها :

لولا محلك في قلبي وأفكارى ما رنح الشوق أعطافى وتذكارى
ولا التفت إلي مصر وساكنها وقد تعوضت عن مصر بإمصار[٣]

ثم كتب بعد القصيدة يقول " لم يزل المقام الملكى الناصرى الصلاحى خلد الله ملكه باهر الأشواق ، نافذ الأوامر في جميع الآفاق ، ولا زالت عساكر نصره محفوفة بالتأييد ، ومحاسن أيامه متضاعفة الإقبال والتجديد وميامن سعادته كافلة له بتناول الغرض البعيد ، ومذ نهض المملوك العزم عن الديار المصرية ، وحكم عليه القضاء بمفارقة الأبواب الملكية الناصرية ترجل عن مقر العز بحيث استقراره بالقاهرة المعزية ، وسمت به الهمم إلي افتتاح البلاد اليمانية ، فصار يعتسف مخاوف المحازم ، ويقطع . بلاد الأعداء ما يكل عن قطعه شفار الصوارم ، ويدوس من صيد

---

[١] عمارة اليمنى : *المفيد* ، ص ٣٢٦ .
[٢] عمارة اليمنى : *المفيد* ، ص ٣٢٦ ، العبدلى : *هدية الزمن* ، ص ٧٣ .
[٣] راجع باقى الاستهلالة الشعرية للرسالة في العبدلى : *هدية الزمن* ، ص ٦٧ – ٦٨ .

الرءوس ما يسمو به من أسباب عارم ودارم ، واثقا من نفسه أن لا يرتاح من تلك الديار لبرق لائح ، ولا يطمح بالتفاته خاطر إليها طامح ، لا يجفوه سبقت منها إليه، ولا لأن موارد السرور تكدرت عليه ، لكن حفظا لمكان عزه أن تقدح فيه عوارض الأيام ، وارتفاعا لسمو قدره أن يجرى عليه للوحشة أحكام وعلما أنه حقيق بقول من لا يناسب لديه أدنى الاحترام"[1].ثم يواصل بقية رسالته جامعا فيها بين المقاطع النثرية ، والاستدلالات الشعرية [2] ، مما يعبر عن سمات النثر الفني في هذا العصر ، ونلاحظ في هذه الرسالة العناية التامة بالجمال اللفظي ، والإكثار من استخدام السجع والمحسنات البديعية ، مما يوضح اتجاه الذوق الأدبي في هذا العصر، وهي ظاهرة اتسمت بها الكتابات الأدبية في العصر الإسلامي بصفة عامة .

واستمر أسلوب الجمع في الكتابات الأدبية بين القصائد الشعرية والنثر الأدبي في عصر بني رسول،ويزودنا الخزرجي بنص نثرى امتزج فيه النثر الأدبي بالأبيات الشعرية كتبه أحد كبار الأدباء في العصر الرسولي يدعى أخو كنده ، وأرسله إلي السلطان الملك المظفر يهنئه فيه بانتصاره على خصمه صاحب ظفار وافتتاحها وضمها لسلطانه عام٦٧٨ هـ/ ١٢٧٩فيقول في افتتاحيتها " **بسم الله الرحمن الرحيم " فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين**"[3] مطالع صدق بالنصر نورها وتباشير صدق تضاعف على العالمين سرورها، وسطوات ملك دفع من البدعة باطلها،وجيوش نصر عقدت الأرض لمشارق قساطلها،وهدمت من ربوع البغي منازلها،حتى حلت الخسار.ونزلت بوائق البوار بمن نهض فلم يقدر،وزاحم فلم يصبر،فالحمد لله الذى حبا لمولانا المقام الأعظم السلطاني العالمي العاملي الجوادى الرحيمي الملكي المظفري خلد الله ملكه في عصور الأزمات ومعاطف الملوان هذا الفتح المبين ، وأخمد بسيفه نار المبطلين"[4].

---

(١) العبدلي : مدية الزمن ، ص ٦٨ ـ ٦٩ .

(٢) راجع نص الرسالة النثرية الشعرية وهي طويلة في العبدلي : مدية الزمن ، ص ٦٩ ـ ٧٢ .

(٣) يعد استخدام الآيات القرآنية الكريمة كمقدمات للرسائل الديوانية أو ختامها ، ظاهرة شاعت في مكاتبات ديوان الإنشاء آنذاك ، وقد أمدنا ابن حاتم بعدة نماذج تؤيد ذلك منها الرسالة التى صدرت عن بلاط المظفر الرسولي لصاحب ظفار ، وإن لم يمدنا باسم كاتبها ، وفيها استخدمت الآيات القرآنية لابراز الهدف المقصود من الرسالة بصورة واضحة (راجع : ابن حاتم : السمط ، ص ٥٠٧) .

(٤) الخزرجي : العقود ، ج١ / ١٨٦ ، الكفاية ، ق ١١٩ ـ ١٢٠ .

ثم ينظم بعد ذلك قصيدته الشعرية التى يختمها بقوله مندداً بصاحب ظفار:

رام المضاهاة جهلا فاعتدى سفها ولا مضاهاة بين الدر والعاج

ويختتم رسالته نثرا بقوله " لازالت الثغور معمورة ، والجيوش مؤيدة منصورة ، وعقود التهانى منتظمة السلوك ، والجنود المظفرية قافلة بجماجم الملوك ، ماهمر ركام ، وسجع على فروع الأيك حمام " [١] .

ويمكن القول بأن أهم الكتابات النثرية التى شاعت في ذلك العصر ما صدر منها عن ديوان الإنشاء ، وهى كتابات اتصلت اتصالا وثيقا بالحياة السياسية في ذلك العصر ، حيث عمد كتاب الإنشاء إلي الإجابة علـى الرسائل الـواردة للبلاط السلطانى باسلوب انشائى بديع . ومن الرسائل الديوانية التى صدرت عـن هذا الديوان ووصلت إلينا من ذلك العصر وتعد نموذجا آخر من نماذج النثر الأدبي الذى شاع في عهد بنى رسول ، نص الكتاب الذى أورده القلقشـندى في كتابـه "صبح الأعشى " ، والذى بعث به السلطان الأشرف الثانى الرسولى إلي الظـاهر برقوق سلطان المماليك في مصر عام ٧٩٨ هـ / ١٣٩٥ م ، ردا علـى كتـاب تلقاه من السلطان المذكور نطالع فيه :

" أعز الله تعالى أنصار المقام الشريف العالى السلطانى الظاهرى ، وزاده في البسطة والقدرة ، وضاعف له مواد الاستظهار والنظر العزيز ، وجعل الظفر مقرونا براياته أينما يممت ما بينهما تمييز ، ومحبوبا إلي عساكره المنصورة حيث توجهـت وفتح ببركة أيامه كل مقفل ممتنع بأمر وجيز ، ولا زال ممتثل الأوامر والمراسـم ، رافلا في أردان العز والمكارم ، ممدودا على الأمة [منه] ظل المراحم ، بمنه وكرمه. أصدرها إليه من زبدة زبيد المحروسة معربة عن صدق ولائه متمسكة بوثيق أسباب آلائه ، ناشرة طيب ثنائه ، مترجمة ناظمة لمنثور الكتاب الكريم الظـاهرى الـوارد بتاريخ ذى الحجة عظم الله بركاتها ، سنة سبع وتسـعين وسـبعمائة ، أحـسن الله خاتمتها ، فتلقيناه باليدين ، ووضعناه على الرأس والعين ، وأسند للنابه على شريف همته ، وصفاء مودته ، وتأكيد اخوته ، وسألنا الله تعالى أن يمتعنـا ببقـاء دولتـه القاهرة وينشر في المشارق والمغارب أقلامه الزاهرة ، ففضنا ختامه ، فوجد فيه من

---

[١] الخزرجي : العقود ، ج١ / ١٨٧ ، الكفاية ، ق ١٢٠ ، العسجد ، ق ١٤٩ ـ ١٥٠ .

نشر السلم الأريج أذكاه ، ومن أنور مابجه القلم الشريف ما يخجل منه نوار الربيع وبهاه ، فانشرحت به الصدور وتزايد به السرور وقرت به الأعين .... " [١] .

ثم تشرح الرسالة بعد ذلك للملك الظاهر ، الأحوال السياسية في اليمن ، ويتمثل ذلك في النص التالى " ... ونوضح لعلمه الكريم ما أفاء الله به علينا من النصر الذى خفقت بنوده وأشرقت سعوده ، وبرقت سيوفه في رقاب المارقين ، وأطردت في راياته المآرب فتناولها باليمن " **نصر الله وفتح قريب وبشر المؤمنين** "، وفتح القلاع والمصانع ، والاستيلاء على المرابع والمزارع ، واستئصالنا شأفة المارقين، واسترجاع حصن قاف المحروس بعد طول مكثه ، تحت يد العرب ، فكم من يكى مقتول .. وأسير مكبول .. وحصان ترك سبيلها ، ورب حصان كثر عليه عويلها فخربنا المعاقل وأطلقنا العقائل ، وأوطناهم الميم " **وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم** " ، ثم تواصل الرسالة شرح العلاقات السياسية القائمة بين الديار المملوكية وبلاد اليمن في ذلك الوقت [٢] .

ومن النماذج النثرية التى وصلت إلينا من ذلك العصر وصدرت عن ديوان الإنشاء الرسولى ، التقليد الذى أمر المظفر الرسولى بكتابته لإبنه الأشرف عمر ويتضمن قراره بإسناد ولاية العهد إليه عام ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م ، وإن لم تمدنا المصادر باسم كاتبه ، وقد سبق أن ذكرنا نص هذا التقليد عند الحديث عن نظم الحكم والإدارة في الباب الأول [٣] ، ونلاحظ أيضا أنه تخلل نص هذا المرسوم أبيات شعرية في مدح الأشرف الرسولى والإشادة بخصاله الحميدة ، مما يؤيد شيوع الجمع في الرسائل والكتابات النثرية بين الشعر والنثر الفنى [٤] .

ويعد الكاتب عبد الباقى بن عبد المجيد اليمانى (ت ٧٤٣ هـ / ١٣٤٢م) ، من الكتاب المبرزين في صناعة النثر الأدبى في عصر بنى رسول ،

---

[١] القلقشندى : _صبح الأعشى_ ، ج٨ / ٧٢ – ٧٣ .
[٢] راجع القلقشندى : _صبح الأعشى_ ، ج٨ / ٧٤ – ٧٦ .
[٣] راجع : _الباب الأول من الكتاب_ .
[٤] راجع : الخزرجى : _العقود_ ، ج١ / ٢٣١ – ٢٣٢ ، _الكفاية_ ، ق ١٢٦ ؛ وأنظر أيضا : ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٥٦٦ – ٥٦٧ ؛ بامخرمة : _تاريخ ثغر عدن_ ، ج٢ / ١٨١ .

ووضعه النويرى في مصاف أعيان الكتاب في عصره ، فقد وصفه قائلا " هو الذى أتقن صناعة الأدب في غرة شبابه ، وبرز على من اكتمل في طلبها ... وسما إلي سماء البلاغة ، فكان نجمها الزاهر ، وارتقى إلي أفلاك البراعة فكان نيرها الباهر...[1]" وقد اشتهر ابن عبد المجيد بن معاصريه بكتابة الرسائل الديوانية ، ويورد النويرى نماذج منها قبل أن يلتحق بخدمة المؤيد الرسولى ويتولى ديوان الإنشاء ، ومنها كتاب من انشائه على لسان الخليفة العباسي المستكفى بالله إلي صاحب اليمن المؤيد الرسولى جاء فيه " أما بعد حمد لله مانح القلوب السليمة هداها ، ومرشد العقول إلي أمر معادها ومبتداها ، وموقف من اختاره إلي محجة صواب لا يضل سالكها ، ولا نظم عند اختلاف الأمور العظام مسالكها ، وملهم من اصطفاه اقتفاء آثار السنن النبوية ، والعمل بموجب القواعد الشرعية والانتظام في سلك من طوقته الخلافة عقودها ، وأفاضت على سدته الجليلة برودها وملكته أقصى البلاد ، وناطت أحكامه السديدة أمور العباد ... " [2] . ويبدو أن إعجاب المؤيد بأسلوب انشاء هذه الرسالة ، هو الذى جعله يرحب بقدوم ابن عبد المجيد لليمن حين وفد إليها ، ويدفعه إلي أن يقلده ديوان الانشاء .

ومن آثاره النثرية التي وصلت إلينا أيضا رسالة نثرية رائعة من حيث طرافتها ، وضعها ابن عبد المجيد على لسان طفيلى ، يلقن ابنه أسرار المهنة ، بدأها بقوله " هذا عهد عهده زارد بن لاقم ، لبالع بن هاجم استفتحته بأن قال : الحمد لله مسهل أوقات اللذات وميسرها ، وناظم أسباب الخيرات ومكثرها ، وجاعل أسواق الأفراح قائمة على ساق ، جابرة لمن ورد إليها بأنواع الارفاد وأجناس الأرفاق ، أحمده علي أن أحلنا في منازل السادات أرفع الدرجات ، وأحل لنا من الأطعمة الفائقة الطيبات .... " [3] وبعد هذه المقدمة وبعد الحمدلة ، يلى ذلك وصية الطفيلى لإبنه وجاء فيها " فإن صناعة التطفيل صناعة مهوبة ، وحرفة عند الظرفاء محبوبة ، لا يلبس شعارها إلا مقدام .... لا يقام سوق وليمة إلا وأنا

---

[1] النويرى : *نهاية الأرب* ، ج٨ / ١٤٩ .
[2] النويرى : *نهاية الأرب* ، ج٨ / ١٥٠ ، القلقشندى : *صبح الأعشى* ، ج٦ / ٤٢١ – ٤٢٢ .
[3] النويرى : *نهاية الأرب* ، ج٣ / ٣٤٢ ، وراجع أيضا : ابن عبد المجيد : *بهجة الزمن* ، تحقيق حجازى،حيث أورد نص الرسالة كاملة أيضا كأحد نماذج ابن عبد المجيد النثرية،ص ١٥٩ – ١٦٤ .

الساعى إليها، ولا ترفع أعلام نار مأدبة إلا وكنت الواقف لديها ، اتخذ الـدروب شباكا للاصطياد، وحبائل أبلغ بها لذيذ الازدراد .... " (١) وهى رسالة طويلة تتسم باسلوب مسجوع ملئ بالمحسنات ، كما تتميز بطرافتها وملاحتها .

وبالإضافة إلي ما عرضناه من نماذج نثرية ، يمكن القول بأنها لا سيما الرسائل الديوانية ، لا تختلف من حيث أسلوبها عن أسلوب المراسلات الإنشائية الصادرة من ديوان الإنشاء المصرى آنذاك ، ويؤيدنا في ذلك قول كل من القلقشندى والعمرى بأن كتاب الإنشاء في اليمن ، كانوا ينحون في رسائلهم وأساليبهم الإنشائية منحى كتاب الإنشاء بمصر المملوكية (٢) .

وإذا أضفنا إلي ما سبق تلك المقدمات النثرية المسجوعة التى شاع كتابتها في مقدمات المصنفات العلمية والأدبية في ذلك العصر ، لتكونت لدينا حصيلة نثرية كبيرة تتميز بشيوع أسلوب السجع والتصنع البديعى في الكتابات الأدبية ، مثال ذلك مقدمة كتاب بهجة الزمن لابن عبد المجيد ويقول فيها " رب يسر وأعن ، الحمد لله مصرف الأقدار ، ومكور الليل على النهار ، وجاعل الأيام والليالى عبرة لأولى الاعتبار ، وما ينشأ منهما من اختلاف الدول تاريخا يستضئ به أولو الأبصار، نحمده على منّه المدرار ، وسحب فضله الغزار ، ونصلى على سيدنا محمد النبى المختار ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه المهاجرين في دينه ، أحباء الله والأنصار ... ، فان المنح الإلهية ، والمنن الربانية ، نظمتنى في سلك الخدم الشريفة العالية ، المولوية .... ولما مثلت بمقامه العالى ، وشاهدت فضله الجالى ، رأيت العالم في انسانه ، العالم النحرير يغرق في بحر بيانه ... وسأل وضع للقطر اليمنى من عهد الرسول " صلعم " تاريخا ... نفصل أحوال القطر اليمنى وملوكه على جلية من الأمر مقررة وموضحة ، لمتأملها محررة ، فأجبته خلد الله سلطانه أنى عثرت على مصنفات مختصرة ، وفوائد في أمهات الكتب معتبرة ، تذكر طرفا من أخبار اليمن المحروس .... وعلق بالذهن منها أشياء جميلة ، وفوائد جليلة ، فبرز مرسومه برسم ما علق بالذهن من أخباره،وأحضره الحسن عند التذكر من آثاره ... " (٣) .

---

(١) راجع : الحبشى : *حياة الأدب اليمنى* ، ص ٢٢٠ – ٢٢٤ حيث اورد نص الرسالة كاملا .

(٢) راجع *ما سبق ص ٧٩ من الكتاب وما بعدها* .

(٣) راجع المقدمة كاملة في بهجة الزمن (*تحقيق الحبشى*) ص ١٥ – ١٧ .

ومن أمثلة هذه المقدمات النثرية التي تتصدر المصنفات وتؤيد ما ذهبنا إليه من شيوع الصنعة البديعية والسجع في الكتابات النثرية التي ترجع إلي هذا العصر ، مقدمة الشاعر إسماعيل المقرى لقصيدته المسماه " الذريعة إلي نصر الشريعة " الـتي قدم لها بقوله بعد البسملة والحمد لله " قال الشيخ الإمام العلامة أوحد البلغاء ناصر الشريعة شرف الدين إسماعيل ابن أبي بكر المقرى ، ردا على الصوفية ، وإنكـاراً عليهم السماع الزميم ، وأن فاعله ومرتكبه على غير هدى وصـراط مسـتقيم ، ومزيفا لأقاويلهم المنكرة ومذاهبهم المحمقة ... " [١] .

ب- الشعر

شهدت الفترة موضوع البحث نهضة شعرية شاملة ، حيث حفل العصـر بعدد وافر من الشعراء الذين أسهموا في مختلف فنون الشعر وأغراضه [٢] ، فكـان للشعر وللشعراء في هذه الفترة نشاط لم تشهده بلاد اليمن من قبل ، وساعد على ذلك تشجيع الملوك والسلاطين من حكام اليمن لا سيما بني رسول ، الذين كانوا على مستوى عال من الأدب والثقافة ، فكان منهم العلماء والأدبـاء ، ومـن ثم دفعتهم اهتماماتهم العلمية والأدبية إلي تقريب أصحاب المواهب ومنهم الشعراء إلي مجالسهم ، وتشجيعهم بإحسانهم المتواصل ، وجوائزهم السنية التي لم يحصل أحـد على نظيرها من قبل سواهم ، حتى أصبح الشعر مصدر تكسب وثراء كـبير [٣] . وكان لذلك أعظم الأثر في نهضة الشعر ، فنبغ عدد كبير مـن الشـعراء يمكـن تصنيفهم في هذا العصر إلي ثلاثة مراتب :

المرتبة الأولى : وهم الشعراء الذين لاذوا ببلاط بني أيوب وبني رسـول ، وأغدق عليهم السلاطين ، وقربوهم من مجالسهم المختلفة ، وقاموا بـدور حلقـة الاتصال بين الحكام والمحكومين من طوائف المجتمع اليمني ، وكانت أشـعارهم لا

---

(١) طه احمد أبو زيد : *إسماعيل المقري* ، ص ١٠١ - ١٠٢ ، وراجع أمثلة أخرى لهذه المقدمات النثرية المتسمة بالسجع والصنعة البديعية مقدمة قصيدة الجمانات البديعية لنفس الشاعر ومقدمة ديوانه، ص ١٣٣ - ١٣٩ .

(٢) للمزيد عن اتجاهات الشعر في تلك الفترة راجع:الحبشي: *حياة الأدب اليمني* ، ص ١٦٥ وما بعدها .

(٣) الحبشي : *حياة الأدب اليمني* ، ص ١٧١

تعدو مدائح لهؤلاء الملوك تلقى في كل مناسبة ، وهؤلاء يمثلون الغالبية العظمى من الشعراء الذين كانت الحياة الأدبية آنذاك تعج بهم .

المرتبة الثانية : وتجمع موضوعاتها بين مدح وتصوير بعض أوضاع المجتمع اليمني ، أي أنها تتناول الشعر الاجتماعي وغيره من مجالات الشعر الأخرى .

المرتبة الثالثة : آثر فيها الشعراء الابتعاد عن بلاط الحكم والقضايا الدنيوية، واتجهوا إلي تنسم عبير الروح "بمناجاة إلهية ومدائح نبوية " [١] . ومن أبرز شعراء اليمن في هذا العصر :

– *نشوان بن سعيد الحميري* : أحد أعلام هذا العصر ، وتميز شعره بقوة الحبك ، وحسن السبك [٢] فمن شعره قوله في الفخر باليمن :

منا التبابعة اليمانيون الألى	ملكوا البسيطة سَل بذلك تُخبر
من كل مرهوب اللقاء مُعصَّب	بالتاج غاز بالجيوش مُظفَّرِ
تعنو الوجوه لسيفه ولُرمحه	بعد السجود لتاجه والمِغْفَر
يارب مفتخر ولولا سَعينا	وقيامنا مع جَدَّه لم يفخر
فأفخر بقحطان على كل الورى	فالناس من صدفٍ وهم من جوهر
وخلافة الخلفاء نحن عمادها	فمتى نَهُمّ بعزل والٍ نقدر
مثل الأمين أو الرشيد و فتكنا	بهما ومثل ابن الزبير القَسْور
واذا غضبنا غضبة يمانية	قطرت صوارمنا بموت أحمر
فغدت وهاد الأرض مُترعةَ دما	وغدت شباعاً جائعاتُ الأَنْسُر
وغدا لنا بالقهر كل قبيلة	خولا بمعروف يَزينُ ومُنكَر
وإناخة الضيفان فرضٌ عندنا	يلقى به الوِلدان كل مُبَشّرِ [٣]

وهذه القصيدة نموذج من أشعار كثيرة نظمها نشوان في الفخر باليمن يوضح من خلالها المفاخرات القائمة بين القحطانية والعدنانية ، وهي مفاخرات

---

(١) عمارة اليمني : المفيد ، ص ٢٩٧ ؛ العماد الأصفهاني : خريدة العصر ، ج٣ / ٢٦٨ ويوجد لنشوان ديوان شعر لا يزال مخطوطا منه نسخة بمكتبة الامبروزيانا بايطاليا راجع : عمارة : المصدر السابق ، ص ٣١١ هـ للمحقق .

(٢) طه أبو زيد : إسماعيل المقرى ، ص ٢٥ – ٢٦ .

(٣) العماد الأصفهاني : جريدة القصر ، ج٣ / ٢٦٩ – ٢٧٠ ؛ عمارة : المفيد ، ص ٣٠٣ – ٣٠٧ .

ظهرت في التراث اليمني منذ عصر الهمداني(ق ٤هـ/ق ١٠م)،واستمرت بعد ذلك بفترة طويلة[١]،ويذكر البريهي في طبقاته ما يفيد استمرار هذه المفاخرات في سياق ترجمته لأحد علماء علماء لحج وعدن وهو الإمام جمال الدين محمد بن عبد الرحمن العواجي(ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)،الذى نظم قصيدة في الرد على الخمرطاشية التي نظمها الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن خمرطاش في مدح قحطان ويعرب والأوس والخزرج من الأنصار،وذم قريشا،وجعل العواجي قصيدته تحت عنوان"النفحة الروحانية والدرة العدنانية"،ضمنها مدح قريش وذكر جودهم، وهجا فيها غسان ومن انتمى إليهم من قحطان ويعرب وغيرهم . وجاءت في ما يزيد على ٦٧٠ بيتا،فعند ذلك انتدب الأشرف المؤرخ والشاعر الخزرجي للرد على الشيخ العواجي،والمفاخرة بقحطان وغسان،وعندئذ بادر الخزرجي بمدح غسان وتعظيم كل من ينتسب إليهم في قصيدة أسماها"الدوحة اليعربية والنفحة الخزرجية"،واستهلها كما هى العادة آنذاك بخطبة نثرية بليغة ، أفحمت العواجي فلم يرد عليه جوابا ، ويعلل البريهى عدم رده بالخوف من السلطان ، بدليل اعتصامه بعد ذلك بأحد الأربطة ، و لم يظهر للتدريس والفتوى ، إلا بعد أن تشفع له أحد كبار القضاة لدى السلطان فلم يعاقب العواجي عما ذم به غسان ، وعفا عنه ، وولاه القضاء بعدن ، فظل عليه حتى توفى [٢] .

- *الشاعر أبو بكر بن أحمد العندى :* هو أديب عدن وشاعرها وكاتبها ، ويمتاز شعره بالرقة والجمال ، وعن أشعاره يقول عمارة اليمنى في مفيده يمدحه "فالشعر الجيد الرائق الفائق أقل خصاله وأكمل نباله " [٣] ومن أشعاره التى أنشدها يهنئ فيها توران شاه بدخوله عدن وافتتاح اليمن قوله :

أعساكراً أسريتها وجنوداً	أم أنجمٌ أطلعتها وسعودا
أم تلك ماضية العزائم أرهقت	بالرأى منه وجردت تجريدا
أم تلك أقدار الإله ونصره	رفعت عليك لواءها المعقودا

---

(١) محمد رضا الدجيلى : *الحياة الفكرية* ، ص ١٨٣ .
(٢) البريهى : *طبقات صلحاء اليمن* ، ص ٣١٩ – ٣٢١ .
(٣) عمارة اليمنى : *المفيد* ، ص ٣٣٤ ؛ العبدلى : *هدية الزمن* ، ص ٧٣ .

فسموت تطوى البيد منشقاً بها | حتى لكادت أن تبيــد البيدا
وهضت لا الصعب المرام رأيته | صعبا ولا المرمى البعيد بعيدا[1]

ومن أشعاره في وصف عدن :

حياك يا عـــــدن الحيا حَيَّــاك | وجَرى رُضابُ لماه فَوْقَ لمَاك
وأفتر ثغر الروض فيك مضاحــكاً | بالبشر رونق ثغرك الضحاك
ووشت حدائقه عليك مطـــارقاً | يختال في حَبَراتها عطفـــاك
فلقد خُخخت بسرِ فضلٍ أصبحت | فيه القلوب وُهُنَّ من أسْراك
يسرى بها شوق إليك وإنمـــا | للشوق جَشَّمها الهوى مَسْراكِ[2]

– *سالم بن فضل بن عبد الكريم بافضل* (ت ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م) :

أحد علماء الشافعية بحضرموت ، كان من الشعراء المتميزين ، وله قصيدة طويلــة قالها للتدليل على قدرة الله والنظر في الكون والانسان ، وقد وصفت هذه القصيدة عناصر الطبيعة من جماد وماء ومعدن وحيوان ونبات وبحار ، ثم أتي علـــى ذكــر الانسان ومزاجه وخلقه ووظائف أعضائه وغرائب طباعه ، وهي في مائة وثلاثـــين بيتا ، ويندرج هذا الشاعر في المرتبة الثالثة التي أوضحناها آنفا . ومن قصيدته عـــن الانسان :

وأعجب أمـــر ما ترى العين وسعــه | على صغر منها لدى الفتح والشعر
وفيه لســـان ناطــق ومترجـــــم | ومنه بيان الذوق للحـــــلو والمر
وفي القلب فكر كيــف كــان ممنعا | ومحتجبا في الصدر كالملك في القصر
ومهما ترمه بالتمـــاس تحســـه | بروحك من تلك النجارات بالسحر
وفي الروح فامسك فهو من أمر ربنا | ودعه لما فيه من المنع و الحظــــر[3]

ومنها قوله عن الفلك :

وفي البدر فكر كيف يبدو هلاله | وكيف تناهى نوره ليلــه البدر

---

(١) راجع نص القصيدة كاملا في الخزرجي : *العسجد* ، ق ٩٠ – ٩١ ، *الكفاية* ، ق ٧٢ – ٧٣ ، العبدلي : *المرجع السابق* ، ص ٦٥ – ٦٧ .

(٢) العماد الأصفهاني : *جريدة القصر* ، ج٣ / ١٨٧ ، وراجع باقي القصيدة في نفس المصدر ، ص١٨٧ – ١٩٠ .

(٣) محمد رضا الدجيلي : *الحياة الفكرية* ، ص ١٨٥ .

ومن بعد هذا صار ينقص ضوؤه ... الى أن يرى مثل القلامة الظفـــر
ومن أعجب الأشياء تحويل نوره ... الى ما عليه كان في أول الشهـــر
وهذا من الرحمن لطف بخلـــقه ... ليحسوا به عدد الحساب بلا فكر
وسبحان من حلى السماء بزينة ... وأتقن ما فيها من الأنجم الزهـــر[١]

ومن شعراء الفترة الأيوبية أيضا الذين ينتمون للمرتبة الأولى وعاشوا على مدائحهم للملوك بنى أيوب الشاعر أحمد بن محمد الأشرقى الذى امتدح المعز إسماعيل ابن طغتكين بقصيدة طويلة على ادعائه الخلافة ويفتخر من خلالها ببنى أمية فيقول:

بنى العباس هاتوا فاخـــرونا ... هلموا للجدال وانصفـــونا
رجال كلنا فإذا انتسَبنــــا ... دعونا جهورة ماء وطينـــا
إذا بلغ الفطام لنا وليـــدٌ ... تخرُّ له الجبابر ساجـــدينا
باسماعيل من عَلْيًا قريـــش ... ولستم للمناسب جاحـــدينا
دعونا المعز لديـــن ربى ... وندعوه أميـــر المؤمنـــينا
فشكرا للإله وجل مـــن لم ... يـــزل يعفو ويجزى المُحْسنينا
صناعة خادم عبد محـــب ... يناظر دونهـــا المتـــأولينا
أتاك بها لتقضى عنه دينـــا ... ومثلُك من قضى عنه الديونا[٢]

ومنهم أيضا ابن الدلاّل المعاصر للمعز إسماعيل ويصفه ابن حاتم بأنه كـــان "من الفضلاء المشهورين ، وله ديوان شعر متداول بين الناس "[٣] ، وكان مداحاً للملوك وان اشتهر بين الناس بهجائه المقذع ، ويبدو أن هذا الهجاء يتصـــل بعـــدم وصله بالعطايا ، ونستند في ذلك على هجائه للقاضى الأسعد أمير حرض بقوله :

حمل الأسعدُ رُمحاً ... قرنُهُ أطول منهُ
وتمادى ينبغى ما ... قدْرُهُ يقَصُرُ عنه[٤]

وبعد أن التقى بالقاضى الذى أكرمه وأمر بانصافه ، يتـــذمم مـــن هـــذا الهجاء، حينما يسأله القاضى عن صحة ذلك ، فيأبى أن يسمعه له بعد أن نال بـــره

---

[١] محمد رضا الدجيلى : _المرجع السابق_ ، ص ١٨٤ – ١٨٥ .
[٢] راجع نص القصيدة كاملا في ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٧٢ – ٧٣ .
[٣] ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٤٣ .
[٤] ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٤٣ .

وإحسانه ، لولا ضغط القاضى عليه ليسمعه ، فأنشده لــه [١] . وحينمــا سمعــه القاضى ، تبسم و لم يؤاخذه على ذلك [٢] .

ومنهم الشاعر العماد الشيزرى [٣] ، وكان شاعراً لسلاطين بنى أيوب في اليمن ، صحب المعز إسماعيل وكذلك أخوه الملك الناصر ، وصار مــن بعــدهما شاعراً للملك المسعود ومن نظمه في تهنئة أمراء بنى رســول بانتصــارهم علــى الأشراف في وقعة عصر عام ٦٢٣هـــ / ١٢٢٦ م :

ألا هَكذا للمُلك تعلــو المراتــــب	**وتسمو على رغم العــداة المناقبُ**
فتوح سرت في الأرض حتى تضوعت	**مشارقها من طيبهــا والمغــــاربُ**
بسيف الجواد ابن رسول تـــوطدت	**قواعد ملك ربه عنــــه غائـــــبُ**
فولوا ومن طعن القنا في ظهورهـــم	**عيون ومن ضرب السيوف حواجبُ [٤]**

ومن شعراء المرتبة الأولى أيضا الشاعر ابــن حمــير (ت ٦٥١ هــــ / ١٢٥٣م) [٥] الذى وصفه المنصور الرسولى بأنه " حاضر القريحة سريع البديهــة " ينظم الشعر ارتجالاً دون تحضير [٦] ، وقد نظم ابن حمير غرر القصــائد في مــدح المنصور نور الدين عمر بن رسول وابنه الملك المظفر ، وغيرهما من أعيان البلاد في عصرهما، وحفل ديوانه بالعديد من هذه القصائد ، منها على سبيل المثال الأبيــات التالية يمدحه فيها ويشكو عليه صاحب ديوان الكدرى (الكــدراء) وأصــحابه فيقول :

---

[١] ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٤٣ .
[٢] ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٤٤ .
[٣] راجع ما سبق ، _ص٥٣٦ من الكتاب_ .
[٤] الخزرجى : _العقود_ ، ج١ / ٤٣ ، _العسجد_ ، ق ١١٠ ؛ ابن الديبع : _قرة العيون_ ، ص ٢٩٦ .
[٥] هو أبو عبد الله جمال الدين محمد بن حمير بن عمر الوصابى الهمدانى : شهد أواخر الدولة الأيوبية وعاصر دولة الملك المنصور الرسولى إلي نهايتها ، وفي عهد المنصور لمع اسمه وفاق اقرانه وعرف بشاعر الملك المنصور ، لقيامه على مدحه ، كما عاصر أيضا بدايات دولة المظفر الرسولى . ولم تقتصر مدائحه على سلاطين بنى رسول بل تطرقت إلي أعيان تلك الدولة أيضا ، وكان ابن حمير إلي جانب براعته في النظم ، كاتبا مجيدا يظهر ذلك من خلال مسطورته التى اعتذر فيها إلي أبى بكر بن معيبد بن عبد الله وجمعت بين المقاطع الشعرية والنثر الأدبى الفنى الذى تخللته الآيات القرآنية والأمثال والحكم والمواعظ . وتوفى ابن حمير في زبيد عام ٦٥١ هـ / ١٢٥٣ م (راجع بالتفصيل : _ديوان أبى عبد الله جمال الدين بن حمير_ : تحقيق محمد بن على الأكوع ، دار الدعوة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٥ ، ص ٢٢ – ٤٣ ، ٢٠٣ – ٢٢٣) .
[٦] _ديوان ابن حمير : ص ٩٢_ .

أهدى إلي الملك المنصور من مدحـــي عِكرا يُقَصِّرُ عنه المنـــدَلُ العَطِـــرِ
وأنشد الشعر حيث الدست منحفلُ ولا يلجلجني عـــيٌّ ولا حَصَـــــرُ
حيث المآثر فيها الخيل عاديــــــة والوشى يخلع والعقـــاب والبـــــدرِ
فارقت أرضَ سهامٍ وهى مُؤثـــــرةُ لى السهامَ وفي كَدْرائهــــا كـــــدر
مَازلتُ أزرع زرعاً لا أفيـــد بـــــه شيئاً وزرع سِهـــامٍ كُلـــــهُ ضَــررُ
كم ذا أعددُ للكتـــاب فاقــــــرةً والقوم لو سلموا في الدست ما اعتبروا
تمسى السكاكين ليلاً في دفاتِرهـــم تمحو وتكشط منها كلمـــا سطـــروا[1]

وفي موضع آخر نظم مهنئاً المنصور بتسلم حصون حجة والمخلافة عـــام ٦٣٤ هـــ / ١٢٣٦ م ، وعودته إلي زبيد فقال :

هنئت بالنصر لمّا جئتَ في لجب مظللاً بالردينيَّات والعــــذب
ومرحباً يا رَسولَ الملـــوكِ وإن غاب السماكُ ونسراه فلا تَغب[2]

ويقول في مدح الملك المظفر حينما كان والياً بإقطاعه رِمع وانجابه ولده الأشرف :

هنئت بالولد الميمون والولـــــــد ولا برحت سعيداً مدة الأبـــد
في غرة الشمس في عز الشَّرايخ في سعادة المشترى في جبهة الأسد
أعيذه بعد أسمـــــاء الإله بقــــل وقل وقل وبحمد الواحد الصمد
من العيون ومن ريب المنون ومـــن رقش المتون ومن نفاثة العقـــــد[3]

ومن شعره في الغزل :

نوحُ الحَمَامِ على الأغصان يُشجيني والبَرقُ يَضحَكُ أحياناً فُيُبْكيـــنى
ما كانَ لى ولَخوطِ البان أعشقــه ما كان لى ولسْهم اللحظ يرمينى
يا دَار زينَب والدنيـــا مفرقـــةٌ حُيِّيْتَ فيك غـــزالاً لا يحييـــنى

إلي أن يقول :

في القلب منك جنون لا يفارقنى وانما يَصرعُ المجنون في الحين [4]

---

[1] راجع نص القصيدة كاملا في ديوان ابن حمير : ص ٨٢ ـ ٨٥ .
[2] أنظر نص القصيدة ، في ابن حاتم : السمط ، ص ٢١١ ـ ٢١٣ ، ديوان ابن حمير : ص ٩٠ ـ ٩١ ، الخزرجي : الكفاية ، ق ٩٤ ، العسجد ، ق ١١٧ .
[3] ديوان ابن حمير : ص ٩٧ ـ ٩٨ ، الخزرجي : الكفاية ، ق ١٢٧ ، العسجد ، ق ١٢٤ .
[4] ديوان ابن حمير : ص ١٠٧ ـ ١٠٨ .

وله في الهجاء من نصه :

غيـــرى تغيـــره الفتـــاةُ العيطـــلُ ويشوقُه الغادون حيث تحملوا

وسواى يُشجيه الحَمَامُ إذا شَـــدى وقيجُ لَوْعَته الصَّبَا والشمـــأل

لكننى أبكى على زمنٍ مضَـــــــى بالرُّقمتَينُ فدمعُ عينى يَهْمُـــــلُ[1]

ومن شعراء المرتبة الأولى أيضا الشاعر عبد الله بن جعفر [2] ، وقد أوردت المصادر له عدة قصائد يمدح فيها الملك المؤيد الرسولى ومنها قصيدة مطلعها :

أعلمت من قاد الجبال خيولاً وأفاض من لمع السيوف سيـــولاً

وأماج بحراً من دلاصٍ سابغ جرَّت أُسود الغاب منه ذيـــولاً

ومن القسى أهلة ما ينقضى منها الخضاب من النصول نصولاً

إلي أن يقول :

ملك إذا هاجت هوائج بأسه ترك العزيز من الملـــــوك ذليلاً

يقفو المظفر والشهيد مآثـــرا وعلىّ وفخرا في الملـــــوك أثيلاً

وافى إلي عدن كمقدم جـــدّه سيف بن ذى يزن الكريم أصولاً[3]

وقال مهنئا له على الفراغ من بنيان قصر المعقلى بثعبات ويصف من خلال هذه التهنئة بنيان هذا القصر وقيام سقفه دون أعمدة إلي غير ذلك من صفاته مـــا نصه :

---

[1] _ديوان ابن حمير_ : ص ١٤٤ ـ ١٤٥ نظم هذه القصيدة في هجاء الشاعر أبى محمد مسلم بن العليف وكان أحد كبار الشعراء المعاصرين لابن حمير وفادا على الملوك مادحا لهم بقصائد طنانه ، فوفد على بنى معيبد أصحاب الوزارة والقضاء فمدحهم ، فأثابوه وقربوه إليهم ، فخشى ابن حمير على نفسه أن ينال ابن العليف حظوتهم ، وتسقط حرمة ابن حمير لديهم ، فدس له عندهم ، وزعم أنه هجاهم في معرض المدح ، وحرف معانى الكلام واستأذنهم في هجائه فأذنوا له فقال هذه القصيدة . (راجع : _ديوان ابن حمير_ ، ص ١٤٤ وهـ ٢) وقد رد عليه ابن العليف نظما فقال :

باية شـــــــئ بعـدكم أتعـــلل ومن اى وجه بعدكم أتحمـــل

وما العذر حتى لا الام على البكا عليكم ولا فيما قد أجد واهزل

أحاول بعد الظـــــاعنين تحمـلا وحسبك يوم البين من يتحمل

(راجع نص القصيدة كاملا في _ديوان ابن حمير_ ، ص ١٤٦ ـ ١٤٨) .

[2] هو عفيف الدين ابو محمد عبد الله بن على بن جعفر ، كان شاعرا فصيحا لقب بشاعر الدولتين واديب اليمنين ، وكان بارعا بليغا ، استمر كاتبا للإنشاء في الدولة المؤيدية وكان مداحا للملوك والأمراء ، وله عدة مدائح في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وله أيضا مدائح ربانية ، وتميز بالعبادة والتدين وكان نظيف الأدب صائنا للعرض ، وتوفى عام ٧١٣ هـ / ١٣١٣ م (انظر : الخزرجى : _العقود_ ، ج١ / ٣٣٥ ، _العسجد_ ، ق ١٨٨ ، _الكفاية_ ، ق ١٥٠) .

[3] راجع نص القصيدة كاملا في الخزرجى : _العقود_ ، ج١ / ٢٦٦ ـ ٢٦٧ .

هنئت قصراً على كل القصور سما   يا حبذا برج سعد فيه بدرٍ سمـــا
بنيته مستجدا تستجدُّ بـــــــه   نصرا من الله قد أجرى به القلما

ثم يقول :

هل في الخلافة آيات تشاهدها   وقوف سقف ولا شئ به دعمـــا
كأن أربعة الجوزاء رواشـــــنه   والجوكتان كأن الفرقدين همـــــا
بين الشبهين شاذروان قبلتـــه   هما الجناحان وهو القصر بينهمـــا
تظل منه صفوف الماء ساجدة   مؤدبات لسلطان الورى خدمـــا
إلي سواقي رخام فوق فسقية   فأعجب لجامد ماء فيه ذائب ما
وللخورنق حين المعقلى بـــدا   كمثل خدٍ إذا قابلتــه انهزمـــا

واختتمها بقوله :

أحييت من يوسف السامي مآثره   فمذ وجدت بحمد الله ما عدما[1]

ومن قصائده أيضا في مدح المؤيد قصيدة مطلعها :

ترك الجبال الشم قاعا صفصفا   من وعده ووعيده ما أخلفا

إلي أن يقول :

جمع الجيوش إلي المغار ولو أتـــى   للحرب قبل جيوشه فردا كفى
دأب المؤيد أن يسل على العدى   سيفا ودأب رقابهـــا أن تقـــطفا

واختتمها بقوله :

يدعون يا سلطان عفوا بالرضا   فأجابهم وأثابهـــــم وتعـــــطفا
نظر البوارق من بلاد ربيعـــةٍ   وفدت وخاف بلمعها أن تخطفا[2]

---

(١) الخزرجى : العقود ، ج١ / ٣١١ – ٣١٢ .

(٢) الخزرجى : العقود ، ج١ / ٣٠٥ – ٣٠٦ ، وعن بعض قصائده الأخرى في مدح المؤيد راجع : العقود ، ج١ / ٢٧٨ ، ٢٨٣ – ٢٨٥ . كما نظم في رثاء ابن المؤيد المظفر حسن وعزاء والده المؤيد قصيدة نطالع فيها :

أمولى الملوك وسلطانهـــا   ويا من له طـاعـة تفترض
فلا ملك ناقض عقــــــده   ولا ملك عاقد مـــا نقـض
ولا عوض منك في ذا الورى   وكل الورى أنت منهم عوض

راجع الخزرجى : العقود ، ج١ / ٣٣٠ – ٣٣١

ومن هذه المرتبة أيضا على بن الحسن الخزرجى الشاعر ومــؤرخ الدولــة الرسولية الذى ضمن مصنفاته عن بنى رسول عددا من القصائد حصرها جميعا على ملوك هذه الدولة الذين عاصرهم ، ومن شعره فيهم قصيدة يمــدح بهــا الملــك الأشرف إسماعيل بمناسبة ختان أولاده عام ٧٩٤ هــ / ١٣٩١ م ، ومطلعها :

هب النسيم معنبــــر النفحــات وشذا الحمام بأطيب النغمات
وتضوع اليمن الخصيب بأســـره بالطيب من عدن إلي عرفات
وتألق البرق الكليل فأشـــرقــت أنواره في حنــدس الظلمات
فرحا بتطهير الملــوك الأكــرميــن الأعظمين الجلــة السادات
أسد الحروب اذا الرماح تشاجرت يوم الوغى وأهله الجلســات
أولاد مــولانا ومــالك عصرنــا قمر الخلافة صادق العزمات
الأشرف بن الأفضل بن على بن دا ود بن يوسف قسور الغابات[1]

ومن شعراء المرتبة الثانية الشاعر إسماعيل المقرى ، الذى مدح خمسة مــن ملوك الدولة الرسولية [2] وتعتبر قصائده صحيفة شعرية سجل فيها تــاريخ مــن عاصرهم من ملوك هذه الدولة وامتدحهم وأضفى عليهم صفات عديــدة منــها رجاحة العقل ونفاذ الرأى وحسن التدبير والعدل بين الرعية وغــير ذلــك مــن الصفات البدنية ، فنطالعه يمدح الملك الأشرف إسماعيل الثانى بنفاذ الرأى ورجاحة العقل فيقول :

فتقتلهم من غير سيف سعوده وتأخذهم آراؤه أخذ ذى قهر
كفى رأيه أعداءه عن جيوشــه فآراؤه تغنى عن العسكر المجــر
وفي الأشرف السلطان له حجة تقام على أهل الضلال والكفر

ويبالغ الشاعر في مدحه فيقول :

ورأيك لا يؤتى من الزيغ والهوى وأمرك أمر الله ما عنه مذهب[3]

---

(1) الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ١٩٧ وراجع باقى القصيدة في نفس المصدر والجزء ، ص ١٩٨ .
(2) هؤلاء الملوك هم الأشرف الثانى وولده الناصر أحمد وحفيداه المنصور عبد الله والأشرف اسماعيل بن الناصر ، والظاهر يحيى بن الأشرف .
(3) طه احمد أبو زيد : *اسماعل المقرى* ، ص ١٤٢ ؛ وراجع أيضا :
Mohammad Abdulh Ghanim , Yemeni Poetry from the pre – Islamic Age to the Beginning of the Modern Era , (in Yemen) P . 161 .

ويمدح الناصر بن الأشرف بهذه الصفة أيضا مبالغاً في نفاذ رأيه وفراسته وبعد نظره إلي حد اطلاعه على ما تكنه النفوس فيقول :

به الحدس والرأى الذى إن أراده   أطل على أنباء ما في الطوية[١]

وفي موضع آخر يؤكد نفس المعاني بقوله :

حفي بذب الكيد يعمل رأيه   فيمضي – وهل يخطى الرمى شهاب

له فكر بين الغيوب يديرها   فيرفع ستر دونها وحجاب[٢]

ويمدح الملك المنصور عبد الله بن الناصر بسداد الرأي أيضا وعدم الاعتداد برأى الغير ، وتبصره بأنواع النقد يعرف كيف يميز الرجال في أكثر من موضع بديوانه ، ويتمثل ذلك في قوله :

ودع كل رأى غير رأيك وحده   فما أنت عند المكرمات مقلدا

وقال في قصيدة أخرى :

بصير بأنواع النقادة في الورى   يميز ما بين الرجال من الصرف[٣]

ومدح الملك الأشرف إسماعيل بن الناصر بسداد الرأى رغم حداثة سنه فقال :

سن حديث ورأى الكهول به   تعجب وكمال حير الفكرا

محاسن ما اهتدى للإنصاف بها   بنو الثمانين خل السابع العشر[٤]

واذ يمتدح الظاهر يحيى يبالغ في وصفه له بسداد الرأى في كثير من القصائد منها هذا النموذج الذى يصف الملك الظاهر بحسن رأيه الذى يجذب ذوى النهى ويدني العقلاء من بلاطه فيقول :

جذت بحسن الرأى منهم ذوى النهى   وأدنيت عنهم من وجدت له عقلا[٥]

ونلاحظ أن الشاعر قد اضفى هذه السمة على ملوك بنى رسول بوجه عام، وجعلها متأصلة فيهم ، كما وصف أحلامهم بأنها راسخة تزن الجبال رزانة والبحار كرماً ، وأن عقولهم كاملة لا تحتاج إلي أداة تقيس بها الناس فيقول :

---

(١) طه أحمد أبو زيد : *المرجع السابق* ، ص ١٤٢ .
(٢) طه أحمد أبو زيد : *المرجع السابق* ، ص ١٤٣ .
(٣) طه أحمد أبو زيد : *المرجع السابق* ، ص ١٤٣ .
(٤) طه أحمد أبو زيد : *المرجع السابق* ، ص ١٤٤ .
(٥) طه أحمد أبو زيد : *نفس المرجع والصفحة* .

لم يجعل الله الخلافة والعلــى　　فيكم لمعنى كان بل لمعــانى
فحلومكم تزن الجبال رزانة　　وأكفكم عنها البحار تدانى
وعقولكم مما استطال كمالها　　تزن الرجال لكم بلا ميزان [(١)]

ومع هذا المديح جاءت مدافعاته الشعرية على رعايا المجتمع بغية رفع المظالم عنهم وحمايتهم من عمال الدولة الذين يصطنعون معهــم كــل وســائل القهــر والعسف، فيخاطب في إحدى قصائده الملك الناصر مطالباً برفع الظلم عــن أهــل زبيد الذين شدد عليهم واليها وظلمهم فيقول :

هم الرعايا العبيد الطائعون هم　　وأنت أنت المطاع السيد الملك
فلا تكلهم الى من ليس يرحمهم　　ولا يرى هلكهم أمرا به درك
فضرهم بين فاغنم دعا وثنــــا　　يبقى وتبقى له ما أبقى الفلك[(٢)]

وهكذا نجده مؤرقا بقضايا مجتمعه ، فيصور آلامه ، وينقلــها لصــاحب السلطان مدافعا عن مجتمعه كلما أحس بوقع الظلم عليه في أى مكان مــن أنحــاء اليمن ، فنستمع إليه يصور تعاسة الرعايا في لحج وشكاواهم من ظلم الوالى فيقول للسلطان :

رعية لك في لحج بصرت بهــــم　　لهم وجوه نفاها ظاهرا فيها
يشكون من كاتب يغرى بسلبهم　　نعماء أنت بحمد الله كاسيها
فرده خائبا عنهــــم وردهـــــم　　بما يدوم ثناه في ذراريهــا[(٣)]

وحدث أن زار السلطان الأشرف بن الناصر مدينة زبيد عام ٨٣٠ هــ / ١٤٢٦ م ، وصادف نــزوله وقوع ظلم على مواطنى المدينة في ضرائب النخــل ، فبادر الشاعر بمخاطبة السلطان طالبا رفع الظلم عنهم ، بقوله :

لو كنت تعلم ما بأهل زبيد　　وزبيد من شوق إليك شديد
أنقذهم من محنة النخل التى　　كادت تشيب رأس كل وليد
ومغارم أكلت على ملاكه　　ثمراته وأنت على الموجــود

---

(١) طه أحمد أبو زيد : *المرجع السابق* ، ص ١٤٤ .
(٢) طه أحمد أبو زيد : *المرجع السابق* ، ص ٢٨١ .
(٣) طه أحمد أبو زيد . *المرجع السابق* ، ص ٢٨١ .

من بعد ما أسر البلاد وأشرفوا   فيه علـــى التفريق والتطـــريد
لو دام عاما واحـــدا لتبـــددوا   في كـــل أرض أيمـــا تبديـــــد
وافيتهم وقد التويـــن حبائـــل   واشتد ضيق خناق كل وريـــد
ما كان يعرف رب نخـــل راحة   في النخل من خوف ومن تشديد[1]

وهكذا يمكن القول بأن الشاعر هنا رغم مدحه للملوك وتقربه إليهم ، لم ينس مجتمعه ، وما يتعرض له من بطش الولاة ، ولم يترك السلطان يظلمـــه ، بـــل جعل تقربه منه لصالح مجتمعه ، وجعل من مديحه للسلاطين " عصا يتوكأ عليهـــا ويضرب بها هؤلاء الولاة الظالمين " [2] .

ومن شعراء المرتبة الثالثة الشاعر الصوفي عفيف الدين عبد الرحيم البرعي المهاجري [3] ، ويذكر الأستاذ طه أحمد أبو زيد له ديوانا شعريا جمع فيه طاقـــات روحية من الشعر الصوفي الرفيع في الابتهالات والتضرعات والمواجد الإلهية والمدائح النبوية [4] التي قامت عليها شهرته كشاعر ، حيث حصر معظم شعره في مدحـــه والتغني بمزاياه سالكا في ذلك نهج من سبقه من شعراء المديح النبوي [5] .

ومن نظمه في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام ذاكرا مزاياه :

أرأيت من ركب البراق عتيما   وتلاه جبريل الأمين نديما [6]

وفي قصيدة أخرى يشير إلي معراجه للسماء فيقول :

كفته كرامة المعراج فضلا   بها في القرب ساد الأنبيـــاء
سرى من مكة ببراق عـــز   لأقصى مسجد وعلا السماء
مفتحة له الأبواب منهـــا   يجاوزها إلي العرش إرتقـــاء
فسر به الملائكة ابتهاجـــا   وصلى خلفه الرسل اقتـــداء

---

[1] طه أحمد أبو زيد : *المرجع السابق* ، ص ٢٨٢
[2] طه أحمد أبو زيد : *المرجع السابق* ، ص ٢٧٨ .
[3] ينسب إلي برع جبل وناحية قرب زبيد درس الفقه والنحو على أئمة وقته وتأهل للتدريس والفتوى وقصدته الطلاب من أماكن شتى واشتهر بالعلم والعمل وكان من الشعراء المجودين ، وجمع شعره في ديوان عرف بديوان البرعي طبع في القاهرة ، وتوفي عام ٨٠٣ هـ / ١٤٠٠ م (راجع : البريهي: *طبقات صلحاء اليمن* ، ص ٤٣ – ٤٤) .
[4] طه أحمد أبو زيد : *المرجع السابق* ، ص ٢٨ .
[5] الحبشي : *حياة الأدب اليمني* ، ص ٢٦٧ .
[6] طه أحمد أبو زيد : *المرجع السابق* ، ص ٢٩ .

وكلم ربه من قــاب قــوس — وألهم في تحيتــه الثنــاء [١]

ومن قصائده في التوحيد قوله :

تجلت لوحدانية الحق أنـــوار — فدلت على أن الجحود هو العار

تسبح ذرات الوجود بحمـــده — ويســجد بالتعظيم نجم وأشجار

ويبكي غمام الغيث طوعا لأمره — فتضحك مما يفعل الغيث أزهار [٢]

وفي دلائل قدرته تعالى يقول :

كل شئ منكم عليكم دليل — وضح الحق واستبان السبيل [٣]

ويعد البرعى من الشعراء القلائل الذين لم يقصدوا الملــوك والســلاطين لمدحهم ، ولم يتكسب بشعره في أغلب الأحيان ، وإن قصد بعض الأثرياء من غير المتصلين بالدولة طلبا للمال لإعالة عائلته الكبيرة وضيق ذات يده [٤] ، وهو الأمــر الذى جعله يقصد هؤلاء الأثرياء عارضا عليهم مطالبه وهو يصرح بعدم نجاحه عند مداحه وحاول التجارة بالشعر فخسر ويعبر عن ذلك نظما فيقول :

يا أيها الوالــد البـر الشقيــق أجب — عن كل من زاده التذكير نسيانا

تاجرت بالشعر أبغي الربح فانعكست — حالى على فعاد الربح خسرانا [٥]

وهكذا مارس البرعى حياته دون تزلف أو غرور ، وكان على قدر كــبير من الاستقامة الخلقية بحيث لم يتزلف من أجل الظفر بجاه أو مال ولهذا كان يعــانى الفقر على عكس من عاصرهم من الأدباء الذين كانوا يلجأون إلي مداهنة الملــوك والرؤساء واتخذوا من النفاق الأدبي وسيلة للتجارة الفكرية ، وكان على شــاكلته أيضا الشاعر الشيخ الصوفى أحمد بن علوان [٦] ، الذى اعتزل الملوك ، ويعمــد في

---

[١] الحبشي : حياة الأدب ، ص ٦٩ ، وراجع نماذج أخرى من مدائحه للرسول والأسباب التى جعلته يقصر معظم شعره على المدح النبوى ، ص ٢٦٧- ٢٦٨ .

[٢] طه أحمد أبو زيد : المرجع السابق ، ص ٢٨ – ٢٩ .

[٣] طه أحمد أبو زيد : المرجع السابق ، ص ٢٩ .

[٤] الحبشي : حياة الأدب اليمني ، ص ٢٦٣ – ٢٦٤ .

[٥] الحبشي : حياة الأدب اليمني ، ص ٢٦٥ .

[٦] هو أبو الحسن أحمد بن علوان الصوفى ، وكان أبوه علوان كاتب الإنشاء للملك المسعود الأيوبى ، وقد شب أحمد على عادة أولاد الكتاب ، فتعلم منذ نعومة أظافره ، وصار كاتبا عارفا بالنحو بارعا في اللغة والكتابة ، فعلا في نظم الشعر ونحى فيه إلي نهج الصوفية ، وصاحب أبا الغيث جميل شيخ الصوفية باليمن وأخذ عنه العهد والخرقة ، وصنف كتابا في الوعظ نحى فيه منحى ابن الجوزى=

أشعاره إلى حمد الله ، ولم يمدح الملوك ، بل نجده يلوم الملك المظفر الرسولى على تشييده القصور الملكية في الوقت الذى يسكن رعاياه في دور متواضعة بسيطة فيقول له :

يا ثالث العمرين إفعل كفعلهما ... وليتفق فيه منك السر والعلن

واستبق عدلا يقول الناظرون له ... نعم المليك ونعم البلدة اليمن

عار عليك قصورات مشيدة ... وللرعية دور كلها دمن[1]

ومن أشعار ابن علوان في التصوف قصيدة يقول فيها :

معانى الحب سقياها ... لمن يعطى عطاياها

أتتك الخود خود الحب ... تتلوها هداياها

معانيها مغانيها ... وريـاها حمياها [2]

ونختتم هذه القائمة بأسماء أبرز شاعرات اليمن ، فقد أمدنا ابن المجاور بترجمة قصيرة عن إحدى شاعرات اليمن وتدعى شمس النهار بنت أحمد بن سبأ بن أبي السعود ، أنشدت في وصف جبل صبر تقول :

عاتبتنى فقالت : كيف طاب ... لك النأى وخليت الوطن ؟

يتـرك الحبيب حبيبه ... ويطلب الإقامة في عدن

واعتضت من صيد الظباء ... صيود أرباب السفن

واعتضت صيرة من صبر ... سلطان أجبال اليمن [3]

- *بنت السرددى :* من أشهر شاعرات اليمن وكانت معاصرة لابن حمير المتوفى عام ٦٥١ هـ / ١٢٥٣ ، وكانت تفد على الملوك وتمدحهم بقصائدها ،

=فلقب بجوزى اليمن ، كما صنف في التصوف ، وتوفى عام ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م ، (راجع : الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ١٤٥ - ١٤٧) .

(١) الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ١٤٦ ، وراجع أيضا : *Ghanim , Yemeni Poetry , P . 161 .*

(٢) طه أحمد أبو زيد : *المرجع السابق* ، ص ٣٠ .

(٣) ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٥٨ . وهذا النوع من الشعر وكذلك شعر بنت السرددى من الشعر الملحون الذى يعرف باليمن بالشعر الحمينى ، وهو شبيه بشعر الموشحات ، والزجل العامى المصرى ، أو النظم القصير الخفيف الذى لجأ إليه الشعراء لاستخدامه في الغناء . (راجع : يحيى بن الحسين : *أنباء الزمن* ، ق ١٠١ ، *غاية الأمانى* ، ق ٢ / ٥٧١ ؛ الحبشى : *حياة الأدب اليمنى* ، ص ١٩٣ ؛ وراجع بالتفصيل عن شعر الغناء أو الشعر الحمينى محمد عبده غانم : *شعر الغناء الصنعانى*، دار العودة ، ط٣ ، بيروت ١٩٨٣ ؛ ولنفس المؤلف بالانجليزية :

Ghanim , Yemeni Poetry , P . 161 .

ويذكر الحبشى نقلا عن المؤرخ وطيوط يقول " وفد الشعراء على محمد بن زكريا (أحد شيوخ العرب في تهامة) ووصله ابن حمير وبنت السرددى وابن الأصمع ، فلما قدموا عليه أكرمهم ، وأخرج كتابا وجاء بمسودة يقابل بينها وبين مسودته معهم ، وظل يومهم على التمنى ... " وقام كل منهم بما معه من الشعر فنظمت بنت السرددى قصيدة منها :

ما بال أهلك يا سعاد　　　قد غيروا عهد الوداد

تحميهم جرد الجهاد　　　والسمهريات الحداد

ويذكر وطيوط في وصفها أنها " كانت لسنة لها جرأة على الكلام ، فكانت في محمل ورواتها في محمل " [1] .

---

[1] الحبشى : معجم النساء ، ص ١٠٨.

(٣) العلـــوم العقلية

على الرغم من أن العلوم العقلية لم تبلغ في اليمن في عصر بني أيوب وبني رسول ، ما بلغته العلوم النقلية بها ولا سيما علم الفقه والحديث أو العلوم الشرعية عامة التي كانت تشغل أنذاك في العالم الإسلامي مركزاً متميزاً ، إلا أنها لم تعـــدم عدداً من العلماء المتميزين من أهل البلاد أو ممن آثروا الإقامة فيها ونهضوا بـــالعلوم العقلية ونبغوا فيها .

ففي علم الطـب :

وهو أحد العلوم التجريبية نبغ عدد من أهل اليمن ، وصنف بعضهم عدداً من المصنفات الطبية ، وتبوأ بعضهم مكانة مرموقة في بلاد اليمن ، نذكر منهم :

- ***أبو عبد الله بن أبي بكر بن حسن بـــن علـــى التيمـــى الفارســـى*** (ت ٦٧٦ هــ / ١٢٧٧ م) : وأصله من بلاد فارس حيث ارتحل والده إلي مكة للحج فجاور فيها مدة ١٦ عاما ، ثم قدم عدن فسكنها ، وأنجـــب فيهـــا ولـــده المذكور(أبا عبد الله محمد)، الذى أخذ على أئمة عصره في الفقه والمنطق والأصول واللغة وغيرها كالعالم البيلقاني ، والصغاني ، وبرع في الطب والمنطق والموســـيقى والفلك ، وطغت عليه شهرته في الفلك ، وله فيه مصنفات عديدة . كما صنف في الموسيقى والألحان ، أما في علم الطب فقد ألف مصنفين أحدهما يســـمى " مـــادة الحياة وحفظ الناس من الآفات " ، وهو كتاب في معرفة السموم وأنواعها ، والثاني عنوانه "الدرة المنتخبة في الأدوية المجربة " [(١)] ، وكلاهما وصـــل إلينـــا مخطوطـــا ، ووضع مصنفا في الطب البيطرى أيضا عنوانه " التبصرة في البيطرة"[(٢)] .

- ***ومن أطباء ذلك العصر أيضا مهدى بن على بن إبراهيم الصُـــنبرى اليمنى المهجمى*** (ت ٨١٥ هــ / ١٤١٢ م) [(٣)] وبرع في القراءات إلي جانـــب

---

(١) منه نـ ـة خطية بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ٢٩٩٢ ، وأخرى بمكتبة جامع صنعاء الغربية تحت رقم ، طب . راجع الحبشى : _مصادر الفكر_ ، ص ٤٩٥ .

(٢) الخزرجى : _العقود_ ، ج١ / ١٧٨ ؛ بامخرمة : _تاريخ ثغر عدن_ ، ج٢ / ٢٠٩ .

(٣) الجزرى : شمس الدين محمد بن محمد (ت ٨٣٣ هـ / ١٤٢٩ م) : _غاية النهاية في طبقات القراء، نشر برجستراسر_ ، ج٢ ، ط٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٢ ، ص ٣١٦ .

الفقه، وكان ينظم الشعر،وتميز بحسن الخط وجودته،كما نسخ عدة كتب في العلوم الشرعية واللغوية،وإلي جانب ذلك برع في الطب بحيث وصفه صاحب غاية النهاية في طبقات القراء بأنه كانت طبيبا حاذقا،ومن تواليفه في الطب كتاب عنوانه الرحمة في الطب والحكمة،وصفه بأنه مختصر لطيف مفيد[١]، وقد قسمه إلي خمسة فصول الأول في علم الطبيعة،والثاني في طبائع الأغذية والأدوية،والثالث فيما يصلح البدن في حال الصحة،والرابع في الأمراض الخاصة،والخامس في الأمراض العامة [٢] .

- *ومنهم إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر الأزرق :* من علماء القرن التاسع الهجرى / ق ١٥ م ، ووضع بدوره كتابا في الطب يعد واحدا من أكثر المؤلفات الطبية اليمنية شهرة في وقته وعنوان هذا الكتاب " تسهيل المنافع في الطب والحكمة " [٣] والكتاب رسالة تعالج كل مظاهر علوم الطب ، ويبدأ الطبيب مصنفه ، بذكر الطبائع الجسمية الأربعة " الدم والصفراء والبلغم والسوداء " [٤] .

- *ومنهم محمد بن أبي الغيث بن على بن حسن المخزومى الكمراني اليمني* : ولد بأبيات حسين وتفقه بها ، وتقدم في علمى الطب والنحو ، وصنف في النحو مقدمتين ، وفي الطب مصنفا كبيرا عنوانه " شفاء الأجسام في الطب " ، اعتمد عليه صاحب كتاب تسهيل المنافع السابق ذكره في كثير من موضوعاته[٥] ، ويذكر السخاوى عن الكمراني أنه كان من المتبحرين في الفقه وسائر العلوم ، وعليه مدار الفتوى والتدريس ببلده أبيات حسين ، وفي آخر حياته تحول إلي الاشتغال بعلم الطب والنظر في كتبه " وصار الناس يعتمدون عليه فيه ولم يزل على ذلك حتى مات في ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م " [٦] .

كذلك أمدتنا المصادر بأسماء مجموعة أخرى من المتطببين الذى جمعوا إلي جانب التفقه في العلوم الشرعية واللغوية ، المعرفة بعلم الطب والقيام على مزاولته ،

---

(١) الجزرى : غاية النهاية ، ج٢ / ٣١٥ - ٣١٦ .
(٢) الحبشى : مصادر الفكر ، ص ٤٩٥ .
(٣) وتوجد منه نسخة خطية بجامع تريم ١١٥٦ خ ، كما طبع باليمن عدة طبعات شعبية ، راجع:الحبشى : المرجع السابق ، ص ٤٩٦ .
(٤) *Varisco , Medicine and the herbal in Medieval Yemen (in Yemen) p 312.*
(٥) الحبشى : مصادر الفكر ، ص ٤٩٥ .
(٦) السخاوى : الضوء اللامع ، ج٨ / ٢٧٨ .

من هؤلاء الفقيه المتطيب أبو العتيق أبو بكر المكـي الحنفـي (ت ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م) وكان عالما مشهورا في اللغة والنحـو والأدب عارفـا بالطـب [١] ، والفقيه أبو الحسن علي بن أحمد بن الجنيد (ت ٧٥٣ هـ / ١٣٥٢ م) ، وكان فقيها ماهرا نحويا لغويا بارعا في علـم الطـب ، ودرس في الأسـدية بتعـز وفي الصلاحية بزبيد [٢] . كذلك كان الفقيه الفاضل عمر بـن محمـد بـن الجبلـي (ت ٧٥٨ هـ / ١٣٥٦ م) ، وكان فقيها عارفا مشتغلا بالفقه ، ومن أعلم أهل عصره بالطب في مدينة زبيد ، وانتفع به كثير من الناس ، ويذكر الخزرجي في مجال مهارته في التطبيب وتدريسه ما نصه " وله أوصاف في الطب يعرفها كثير من أهل زبيد [٣] ، ومنهم نور الدين علـي بـن عبـد الله الطواشـي الأزدي الشـافعي (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧ م) ، وكان ماهرا بعدة فنون من العلم منها علم الطب[٤] .

وبرع في الطب أيضا المقرئ الإمام علي بن عمر بـن مسـلم الخـولاني (ت٧٦٠ هـ / ١٣٥٨ م) ، ووصفته المصادر بالعلامة في الطب [٥] ، والإمـام جمال الدين بن أبي القاسم الضراسي ، وكان شمولي المعرفة كعادة أبناء عصـره ، برع في عدة علوم ، يأتي على رأسها علم الطب والتشريح ، وقصده كـل مـن رغب في دراسته ، حتى أن كل مدرس في الطب كان مـن تلاميـذه أو تلاميـذ تلاميذه ، وانتهت إليه الرئاسة في هذا العلم ، حتى أنه ظل قائما على تدريسه مـا يزيد على ستين عاما ، بذل خلالها نفسه للطلبة ، " وحفظ الله عليه سمعه وبصـره مع الطعن في السن والضعف من أجل حلقتـه ولـه قواعـد وضـوابط قررهـا للمستفيدين يعظم قدرها ويجل نفعها " في علم الطب وغيره من العلوم التي بـرع فيها [٦] ، وتوفي الامام الضراسي عام ٨٠٦ هـ / ١٤٠٣ م [٧] .

---

(١) الخزرجي : *العقود* ، ج١ / ١٧٩ ؛ الأفضل الرسولي : *العطايا* ، ق ٦ ؛ الأهدل : *تحفة الزمن* ، ق ١٤٦ – ١٤٧ .
(٢) الخزرجي : *العقود* ، ج٢ / ٨٣ .
(٣) الخزرج : *العقود* ، ج٢ / ٩١ ، *العسجد* ، ق ٢٣٠ ، *الكفاية* ، ق ١٨٠ .
(٤) ابن أسير : *الجوهر الفريد* ، ق ٥ .
(٥) البريهي : *طبقات صلحاء اليمن* ، ص ١٢٢ .
(٦) البريهي : *طبقات صلحاء اليمن* ، ص ١٢٧ .
(٧) البريهي : *طبقات صلحاء اليمن* ، ص ١٢٨ .

وكان العلامة صارم الدين داود بن على بن أبي بكر بن قايماز الأصغرى البعدانى ، من العارفين بالطب ذوى المهارة به ، فقرأ الطب والحكمة على جماعة من أجلاء عصره في اليمن وغيرها ، كما درس الحديث والتفسير وأتقن علوم المتصوفة ولزم طريقهم ، ومهر في الطب والفلك فكان " حكيما طبيبا عارفا بعلم الفلك " ومشاركا في غيرهما من العلوم ، توفي بتعز عام ٨٣٥ هـ / ١٤٣١م[١] . كذلك كان الإمام جمال الدين محمد بن سعيد بن كبن (ت ٨٤٢ هـ / ١٤٣٨م) مشاركا بعلم الطب مع سائر العلوم ، وعلى بن الشقراء وهو من الوافدين إلي اليمن من الديار المصرية ، أثنى عليه الجندى وعلى مهارته في الطب وفضله في اللغة والنحو فقال "لم أعلم طبيباً سنيا ورد مثله مع فضل كامل بالفقه والنحو وغيرهما ، وكان كبير القدر عند أهل مصر[٢] .

كذلك حظيت علوم الحساب والمساحة والجبر والفلك باهتمام عدد كبير من علماء اليمن في الفترة موضوع البحث ، وقد حفظت لنا المصادر التاريخية وكتب التراجم أسماء عدد من هؤلاء العلماء ، ومما لا شك فيه أن ارتباط مثل هذه العلوم لا سيما الحساب والمساحة والفلك بأغراض يومية تمس الحاجة إليها كالزراعة والمواقيت والفرائض ، دفع أبناء اليمن إلي دراستها والمشاركة فيها ، أضف إلي ذلك المركز الاقتصادى الكبير الذى نعمت به اليمن خلال فترة موضوع البحث ، استلزم عمل جملة من أبنائها بمثل هذه العلوم لاسيما في مجال علم الحساب ، فكان ذلك دافعا للاهتمام بتلك العلوم . ولعل من أبرز علماء اليمن

---

(١) البريهى : طبقات صلحاء اليمن ، ص ٢١٦ - ٢١٧ .

(٢) بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج٢ / ١٥١ . وجدير بالذكر أنه مما ساعد على اقبال أهل اليمن على دراسة العلوم التجريبية من طب وفلك وحساب ومساحة وغيرها تشجيع ملوك بنى رسول على ذلك ومساهماتهم العملية فيها فينسب إلي بعضهم القيام على دراسة العديد من هذه العلوم حتى برعوا فيها وصنفوا فيها عدة مصنفات من هؤلاء المظفر يوسف الذى ينسب إليه كتاب في الطب بعنوان " البيان في كشف الطب للعيان " كما طبع له كتاب المعتمد في الأدوية المفردة وهناك من ينسب هذا المصنف الأخير لابنه الأشرف عمر والذى صنف بدوره في الطب كتابا عنوانه الجامع في الطب كما ذكر الخزرجى ، وله أيضا في طب الحيوان المغنى في البيطرة ، وتوجد منه نسخة بمكتبة الامبروزيانا بايطاليا برقم (B ٣٣) ، ونسخ أخرى في ذات المكتبة ومكتبات أخرى كالمتحف البريطانى ودار الكتب المصرية ومكتبة جامع صنعاء وللمجاهد الرسولى كتاب في الطب البيطرى خاص بالخيول سبق التعريف به . (راجع : الخزرجى : العقود ، ج١ / ٢٣٤ ، الحبشى : مصادر الفكر ، ص ٥٥٤، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٧٢) .

الذين نبغوا في علوم الحساب والجبر والمساحة وما يتصل بها العالم أبو بكر محمد بن الفارسي الملقب بالفخر (٦٥٦ - ٧١٧ هـ / ١٢٥٨ - ١٣١٧ م) ، وكان من أبناء عدن، برع في عدة علوم ، ولكن قامت شهرته على مهارته في علم الحساب التي ورثها عن أبيه الذى كان حسابيا مشهورا ، وعلى يديه تلقى ابنه دقائق هذا العلم [1] .

وكان أحمد بن عمر بن هاشم المزيجفى الخزاعى ، من البارزين في هذا الفن في اليمن ، صنف فيه بعض التواليف ، منها شرح مختصر الخوارزمى في الجبر والمقابلة ، وهو الذى كان عليه اعتماد الطلبة في دراستهم لهذا الفن ووضع أيضا كتاب " جوهر الحساب " ولم يصدر منه سوى الجزء الأول ، ومات عليه عام ٦٨٠ هـ / ١٢٨١ م دون إكماله [2] ، كما صنف الفقيه صفى الدين أحمد بن عبد الرحمن بن عمر الحبيشى (٧٢٢ - ٧٦٩ هـ / ١٣٢٢ - ١٣٦٧ م) كتاب " الارشاد إلي معرفة سباعيات الأعداد " [3] . وأبو بكر بن على الهاملي (ت٧٦٩ هـ / ١٣٦٧ م) الذى ألف كتابا عنوانه مفيد الطلاب في معرفة الحساب [4] .

ووضع العلامة جمال الدين محمد بن عبد الله بن سلم (ت ٨٠٥ هـ / ١٤٠٢م)مصنفا في علم الحساب وشرحه أسماه"طوالع السعدى في شرح الهندى " ، ووضع مؤلفا آخر بعنوان " ضوابط الحساب " ، ويعد ابن سلم هذا من أجَّل علماء اليمن في علوم الحساب والجبر وتصدر لتدريسهما في مدارس جبلة [5] .

ومن علماء اليمن في الحساب أيضا الإمام أبو اسحاق إبراهيم بن أحمد السحان الريمى (ت في أوائل المائة التاسعة / ١٥ م) ، وقرأ على جماعة من فقهاء وقته وأجازوا له ، واشتهر بعلم الفرائض والجبر " وقصد للإفادة وتخرج به جماعة من الأئمة " وقد صنف شرحاً مفيداً في ذلك العلم سماه " شرح مخارج العدد الذى

---

[1] الخزرجى : العقود ، ج١ / ٣٤٦ . ٣٤٧ ؛ بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج٢ / ٢٩

[2] الحبشى : مصادر الفكر ، ص ٤٩٢ ، وله ايضا : حياة الأدب اليمنى ، ص ٨٧

[3] الخزرجى : العقود ، ج١ / ١١٩ ، ١٢٠ ؛ البريهى : طبقات صلحاء اليمن ، ص ٣٠ ؛ الحبيشى : تاريخ وصاب ، ص ٢٤٢ - ٢٤٣

[4] الحبشى : مصادر الفكر ، ص ٤٩٢

[5] البريهى : المصدر السابق ، ص ١٢٢

في آخر كتاب الهندى " [١] . وصنف محمد بن عبد الله بن عمر الناشــرى (٧٣٣ - ٨٢١ هـــ / ١٣٣٢ - ١٤١٨ م) قاضى زبيد في الحساب والمثلثــات كتابــا عنوانه " مختصر في الحساب ومساحة المثلثة " [٢] .

ومن علماء الحساب البارزين باليمن أيضا العلامة شمس الدين بن على بن عمران الحميدى ، قرأ على شيوخ عصره في الأصول والفقه والفــرائض والنحــو وغير ذلك ونال إجازاهم ، واجتهد في تحصيل العلوم ، حتى صار إماما محققا "فاق أهل زمانه وأربى على أقرانه ، فشدت إليه الرحال للدراسة علـــى يديــه ونيـــل الإجازات عليه ، وقد صنف جملة مصنفات تشهد ببراعته في عدة علوم منها الفقه والنحو [٣] ، كما صنف في الحساب مصنفا عنوانه " الانتخاب في حساب الفقــه وفقه الحساب " ، وقد مدحه علماء عصره وعلى رأسهم الفقيــه جمـــال الـــدين الضراسى وهو أحد علماء زمنه في الجبر والحساب والفرائض ، فيذكر البريهـــى أن الضراسى حينما نظر مصنف الحميدى استحسنه وشكر مؤلفه على تصنيفه لمثـــل هذا المصنف وكتب في ذلك جوابا مطولا جاء فيه " هو في الحقيقة مغتــرف مـــن بحرك، و لم يشاهد إلا بعض آيات مجدك وآثار فخرك " [٤] . وقد ذاع صيت هـــذا الحسابى الجليل إلي السلطان الظاهر يحيى فأحسن إليه ووصله بصلات جليلـــة ، ثم أقامه ولده الأشرف اسماعيل بن الظاهر على قضاء تعـــز ، ثم وافتـــه المنيـــة عـــام ٨٥٦هـــ/ ١٤٥٢ م وهو في طريقه إلي بيت الله العتيق [٥] .

ومن علماء القرن التاسع الهجرى في الحساب أبـــو بكـــر بـــن البرهـــان الضجاعى الحنفى ، وكان عالما بالقراءات السبعة ووضع فيها مؤلفـــا في ثلاثـــين جزءا، كما كان شاعرا فصيحا وصفه السخاوى بأنه شاعر وقته بـــلا منازعـــة ،

---

[١] البريهى : *المصدر السابق* ، ص ١٤٧ - ١٤٨ .

[٢] وقد ضبطه شعرا في قوله :

إذا رمت تكسير المثلث يا فتـــــــى	**فجمعك للأضلاع أصل لنا أتـــــى**
ونصف لمجموع الأضلاع فابتــــــده	**وخذ كل ضلع فاعرضه مفاوتـــا**
على النصف ثم الضرب للبعض بهيع	**ونفذ ببعض ونصف فاعلمنى مثبتا**

راجع : السخاوى : *الضوء اللامع* ، ج٨ / ١٠٠ .

[٣] راجع عن هذه المصنفات في الفقه وغيره : البريهى : *المصدر السابق* ، ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .

[٤] البريهى : *طبقات صلحاء اليمن* ، ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .

[٥] البريهى : *طبقات صلحاء اليمن* ، ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .

وبالإضافة إلي مهارته في الشعر والقراءات كان عارفاً بالحساب صنف فيه مؤلفاً جيداً لم يذكر السخاوى عنوانه ، كما لم يمدنا بتاريخ وفاته [١] .

وبالإضافة إلي من ذكرناهم من المصنفين في علوم الحساب والجبر والمقابلة والمساحة أمدتنا المصادر المتاحة بأسماء مجموعة أخرى من الفقهاء العلماء في هذا الميدان ، قاموا بتدريس هذه العلوم في مدارس اليمن ومعاهدها العلمية في الفترة موضوع البحث ، ومن أبرز هؤلاء العلماء عبد الرحمن بن اسماعيل بن يحيى الزبيدى (ت ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م) وكان ماهرا في الفرائض والحساب [٢] . والفقيه البارع أبو عبد الله بن أبي بكر الزوقرى المعروف بابن الخطاب (٦٠٠- ٦٦٥ هـ / ١٢٠٣ - ١٢٦٦ م) ، وكان فقيها أصوليا فرضيا حسابيا ، كما برع أيضا في علوم الحديث والقراءات ، وقام على تدريس ذلك كله بمسجد الأشاعر حينا ، ومسجد الأمير فخر الدين في حافة الخبازين بزبيد [٣] .

والفقيه أبو اسحاق ابراهيم بن على بن عمر بن عجيل (ت ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م) : وكان بالإضافة إلي تميزه في علوم اللغة والفقه ، ماهرا في الفرائض والحساب ، فوصف بأنه أفضل أهل زمانه في الفرائض والحساب وغيرهما وقام على تدريسهما إلي جانب غيرهما من العلوم الشرعية لجمع كبير من الطلبة الذين قصدوه بمسجده الذى ابتناه وجعل منه مدرسة لإقراء طلابه [٤] .

وكان الفقيه أبو محمد صالح بن عمر البريهى (٦٣٥ - ٧١٤ هـ / ١٢٣٧ - ١٣١٤) فقيهاً فرضياً حسابياً عارفاً بالحساب والجبر والمقابلة ، شرح الكافى في الفرائض للصردفى شرحاً جيداً في مصنف له ، وإليه انتهت رئاسة هذه الفنون في زمنه [٥] . والفقيه أبو بكر بن أحمد بن عمر الشعبى المعروف بابن المقرى (٦٧٥ - ٧١٤ هـ / ١٢٧٦ - ١٣١٤ م) وكان من خيرة المشتغلين في الفقه

---

[١] السخاوى : الضوء اللامع ، ج١١ / ٢٨ ، وقد وقف مقدمته في القراءات على مسجد الأشاعر بزبيد وزينها بالذهب والفضة إجلالا وتعظيما .

[٢] ابن قاضى شهبة : طبقات الشافعية ، م١ ، ص ٤٣١ .

[٣] الخزرجى : العقود ، ج١ / ١٤٧ - ١٤٩ .

[٤] الأفضل : العطايا ، ق ٣ .

[٥] الخزرجى : العقود ، ج١ / ٢٦٧ ، ٢٢٨ ، العسجد ، ق ١٨٨ ، ١٨٩ ، الكفاية ، ق ١٥١ .

والنحو والفرائض والحساب ، تولى تدريسها بالأشرفية بزبيد [١] ، ومنهم أيضا الفقيه الفاضل أبو الحسن على بن عبد الله الزيلعى الفرضى (ت ٧١٤ هـ / ١٣١٤ م) وعرف بالفرضى " لإحكامه علم الفرائض والحساب " مع مشاركة في غيرهما من العلوم الدينية لاسيما الفقه والحديث والتفسير والنحو ، وقام بتدريس علمى الفرائض والحساب بالمدرسة التاجية بزبيد ، وتوفى على ذلك [٢] . والفقيه أبو بكر بن محمد بن على الرعيني المعروف بابن المقرى (٦٤٢ - ٧١٤ هـ / ١٢٤٤ - ١٣١٤ م) ، وكان محققاً في علم الفرائض والحساب والجبر والمقابلة وقام على إقرائهما معيداً في إحدى مدارس عدن ، وكان بارعاً في تخصصه ، وفيه يقول الخزرجى نقلا عن الجندى " وأخبرني بعض من قرأ عليه الفرائض قال كنت أغلط في ضرب المسألة واستمر ثم استدرك فأريد تغيير ما قد صورته على البحث فيقول لا تطمس إلا من موضع كذا فأعمل بما قال فأجده صوابا " [٣] . والفقيه جمال الدين أبو زيد محمد بن عبد الرحمن بن أبي السراج السدوسى (ت ٧٧٣ هـ / ١٣٧١ م) ؛ وكان عالماً في الجبر والمقابلة له تعليقات مفيدة واعتراضات جيدة صنف مختصراً على شرح الخوارزمي في الجبر والمقابلة ، كما درس تخصصه فكان مبارك التدريس حسن الإقراء [٤] . كذلك كان الفقيه أبو العباس أحمد بن موسى بن الجلاد البجلى الحنفى الفرضى (ت ٧٩٢هـ / ١٣٨٩ م) ، إماماً في الفرائض والجبر والمقابلة والحساب وكانت له في ذلك مصنفات جيدة ، ولكن لم تمدنا المصادر بمسمياتها ، درس على والده وغيره في هذه العلوم ، وقام بتدريسها فانتفع به خلق كثير لاسيما في الفرائض والحساب والهندسة وتوفى في سنة ٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ [٥] عن ٩٢ عاما . وكان القاضى عبد القادر بن عبد الله بن محمد الناشرى اليمانى (ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م) ، عارفاً بالفقه والفرائض والحساب

---

(١) الخزرجى : العقود ، ج١ / ٣٣٧ .
(٢) الخزرجى : العقود ، ج١ / ٣٣٦ ، العسجد ، ق ١٨٨ ، الكفاية ، ق ١٥١ .
(٣) الخزرجى : العقود ، ج١ / ٣٣٨ .
(٤) الخزرجى : العقود ، ج١ / ١٣٠ ، العسجد ، ق ٢٤٥ ؛ الكفاية ، ق ١٩٣ - ١٩٤ .
(٥) الخزرجى : العقود ، ج٢ / ١٨٤ ، الكفاية ، ق ٢١٢ .

وغيرها من العلوم ، قام على تدريس الفرائض والحساب وتحصيل الكتب ، وكان ذا همة في جمعها ، ونظراً لكفاءته تقلد عدة مناصب قضائية في اليمن (١) .

وممن تصدر أيضا لتدريس الحساب والجبر والمساحة بمدارس اليمن الفقيه عفيف الدين ناجى بن محمد الشرقى وقام على تدريس تلك العلوم بالإضافة إلي النحو بمدارس وصاب وتوفى بعد ٨٥٠ هـ / ١٤٤٦ م (٢) ، والإمام العلامة صفى الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر البريهى (٨٣٣ هـ / ١٤٢٩ م) ، وعرف بالفقيه النحوى الفرضى دلالة على تمكنه من ناصية هذه العلوم ، ويعلل البريهى براعته في علوم الجبر والحساب ، بأنه درس شرح الخوارزمى بنفسه من غير شيخ ، وكان مبصراً بالتعليم يعين الطالب على قصده ، وبالإضافة إلي تمكنه في العلوم العقلية والنقلية كان له باع طويل في الشعر والألغاز فنظم في مختلف أغراض الشعر من الوعظ والغزل والزهد (٣) .

ومن المشتغلين بالحساب أيضا الفقيه شهاب الدين أحمد بن أبي بكر النجدى ، الذى ذاعت شهرته في علم الفرائض والجبر والمقابلة ، وأجازه شيوخ وقته في هذه العلوم ، حتى صار إماما فيها وتخرج على يديه جماعة وأجاز لهم ، وتوفى (بعد ٨٣٠ هـ / بعد ١٤٢٦ م) (٤) ، كذلك كان الإمام جمال الدين محمد بن أبي القاسم الضراسى شيخ علماء عصره في الفرائض والحساب عالما محققا مدققا " لجميع أنواع علم الفرائض والحساب والجبر والمقابلة والأقدار المتناسبة والخطائن" (٥) ، وغلبت عليه دراسة هذا الفن إلي جانب تفوقه ودراسته لعلم الطب والتشريح ، واشتهر بذلك وقصده الدارسون لهذه العلوم من كل صوب ، وسلمت له الرياسة بهذين الفنين ومكث على تدريسهما – كما سبق القول في علم الطب – ما يزيد عن ستين عاما (٦) .

---

(١) السخاوى : *الضوء اللامع* ، ج٤ / ٢٧٥ – ٢٧٦ .
(٢) *طبقات صلحاء اليمن* ، ص ٣٨ – ٣٩ .
(٣) للمزيد راجع : البريهى : *المصدر السابق* ، ص ٩٩ – ١٠٢ .
(٤) البريهى : *المصدر السابق* ، ص ١٢٤ .
(٥) البريهى : *المصدر السابق* ، ص ١٢٧ ، والخطائن أحد فروع علم الحساب ويعرف منه استخراج المجهولات العددية (راجع نفس المصدر ، ص ١٢٧ هـ ١ *المحقق نقلا عن كشف الظنون*) .
(٦) البريهى : نفسه ، ص ١٢٧ .

كذلك تميز الفقيه شهاب الدين أحمد بن على البرحى بعلمى الفرائض والحساب حيث درسه على شيوخ عصره حتى برع في علم الفرائض وأتقن أصوله وحقق دقائقه ... فكان وحيد زمانه ببلده في علوم الفرائض والحساب وغير ذلك...وأتقن المناسخات والدوريات وإخراج المجهولات ومساحة الدوريات وغير ذلك مما يتعلق بهذا الفن[١]،وتوفى عام ٨٧٣ هـ/١٤٦٨م[٢]،ومنهم الفقيه وجيه الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الفرسي المشهور بالشويهر(ت٨٧٤ هـ/١٤٦٩م) [٣] ، وكان فقيهاً حنفياً فرضياً نحوياً له الباع الأطول في العلوم العقلية[٤] .

علم الفلك

كان هناك تيار نشيط لدراسة علوم الفلك في اليمن سبق العصر موضوع الدراسة،وقد ازدهر هذا العلم إزدهاراً كبيراً،انعكست آثاره في عدد ضخم من المصنفات يبلغ مائة مخطوط فلكى قام على تصنيفها علماء يمنيون في العصور الوسطى،وقد توزع العديد من هذه المخطوطات الفلكية اليمنية في عدة مكتبات في دول أوربا والشرق الأدنى،وتعد أكثر هذه المخطوطات ثراء في هذا المجال تلك التي تحتفظ بها مكتبة الامبروزيانا بميلان،كذلك تضم بقية المكتبات الأخرى في برلين والقاهرة واكسفورد وباريس عدداً من المخطوطات اليمنية العلمية القيمة ومنها عدة مخطوطات فلكية [٥] .

كذلك تحتفظ مكتبات اليمن الخاصة ، ومكتبة الجامع الكبير في صنعاء ، ببعض هذه المخطوطات الفلكية ورغم قلتها ، إلا أنها ذات أهمية كبرى ، فقد حفظت بين طياتها الكثير من الأعمال والمؤلفات الأخرى عباسية وفاطمية لم تعد موجودة ، أو باقية في شكلها أو مضمونها الأصلى [٦] .

ومن المعروف أن أول عالم فلكى يمنى وصلتنا عنه معلومات موثقة هو لسان اليمن وعالمها الشهير الهمدانى ، الذى ترك واحدا من أعماله العلمية عن

---

(١) البريهى : *طبقات صلحاء اليمن* ، ص ١٥٠ .
(٢) البريهى : *طبقات صلحاء اليمن* ، ص ١٥٠ .
(٣) جعل السخاوى وفاته عام ٨٣١ هـ/ ١٤٢٧ م ، أنظر : *الضوء اللامع* ، جـ ٤ / ٧٢ .
(٤) البريهى : *طبقات صلحاء اليمن* ، ص ٣١٥ ـ ٣١٦ .
(٥) *King , (D . A) ; Astronomy in Medieval Yemen (in Yemen) , p . 301 .*
(٦) *King , Op . cit , P . 301 .*

الفلك ويعرف بالزيج،وكان اعتماد أهل اليمن عليه حتى القرن السابع الهجرى على الأقل / ق ١٣م،ومما يؤسف له أن هذا المصنف قد فقد و لم يصل إلينا [١] .

وفي الفترة موضوع البحث وبخاصة في عصر بنى رسول ، شهدت اليمن نشاطا ملحوظاً في علم الفلك ، وقد تولى السلاطين جانبا من هذا النشاط ، فقد صنف المظفر الرسولى في هذا الميدان كتابا عنوانه " تيسير المطالب في تسيير الكواكب " ، يقع في خمسة أبواب تنتظم في ثمانية فصول [٢] . كذلك ألف ولده الأشرف ممهد الدين عمر كتابا أو بحثا ضخما شاملا عن تركيب الاسطرلابات والمزاول ، وفي ذلك تأكيد على علمه الواسع بالمؤلفات الفلكية السابقة على عصره الخاصة بمثل تلك الآلات أندلسية ومصرية ، وقد ضمن الأشرف مؤلفه مجموعة من الجداول الجديدة المتناسقة بهدف رسم منحنيات عن لوحات الاسطرلاب ، ومنحنيات عن الساعات الشمسية الأفقية محصيا هذه الجداول المخصصة لخطوط عرض المراكز الحضارية في اليمن والحجاز [٣] .

وتضمن مصنف الأشرف الرسولى نقشاً تفصيلياً عن البوصلة المغناطيسية، وهى تمثل أول إشارة مبكرة معروفة عن البوصلة في نص عربى خاص بعلم الفلك[٤].كذلك ترك لنا الأشرف مصنفاً كبيراً عن علم التنجيم الذى ضمنه جداول لعلم التنجيم،وضبط الوقت،وتكلم على نحو دقيق عن عملية التنسيق الخاصة بخط عرض أو بمنطقة صنعاء،ولا زالت توجد من هذا المصنف نسخة فريدة تحتفظ بها مكتبة البودليان في اكسفورد بعنوان " التبصرة في علم النجوم " [٥] .

---

[١] كذلك صنف نشوان الحميرى مصنفا بعنوان أرجوزة في معرفة الشهور الرومية (راجع : الحبشى : مصادر الفكر ، ص ٤٨٣) ؛ King , Ibid

[٢] وتوجد نسخة خطية بجامع صنعاء تنسب للملك المظفر تحت عنوان مخالف فتسمى " المطالب في تسيير النيرين وحركات الكواكب " ولعلها نفس المصنف المذكور في المتن وتحمل رقم ٥٢ بمجموعة الكتب المصادرة . (راجع : الحبشى : مصادر الفكر ، ص ٥٥٣) .

[٣] King , Op . cit , P . 303 .

[٤] King , Ibid .

[٥] King , Op . cit , P . 304 .
الحبشى : مصادر الفكر ، ص ٥٥٦ . وجدير بالذكر أن متحف المتروبوليتان للفن في نيويورك لا يزال محتفظا بواحد من الأسطرلابات التى صنعها الأشرف الرسولى ويعد ذا قيمة عالية ، ويمثل واحدا من أكثر الاسطرلابات الفلكية إثارة والباقية من العصور الوسطى ، وذلك بسبب أهمية صانعه والمعلومات المتوافرة عن اهتمامته الفلكية (راجع : King , Op . cit , 304)

وبالإضافة إلي ما سبق ذكره ظهرت مصنفات فلكية أخرى في عصر بني رسول منها كتاب الفقيه أبي اسحاق إبراهيم بن علي بن منصور الأصبحي الملقب بابن المبردع ، من أهل الجند وكان فقيها نحويا لغويا عارفا بالحساب وعلوم الفلك وقد صنف كتابا في الفلك يعد أول كتاب بعد زيج الهمداني السابق ذكره عنوانه " اليواقيت في علم المواقيت " ، ويدل هذا المصنف على عمق معرفة المصنف بعلم الفلك ، وكان عليه اعتماد أهل اليمن في المواقيت ، أما المؤلف فقد توفي بعد عام ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م [١] .

كذلك صنف العلامة محمد بن أبي بكر الفارسي عدة مصنفات في علم الفلك بتوجيه من السلطان المظفر منها " الزيج المظفري " نسبة إلي الملك المظفر ، وقد ضمنه جداول خاصة ببلاد اليمن ، اعتمد في تصنيفها علي الزيج العراقي الذي يرجع تاريخه إلي القرن السادس الهجري / ق ١٢ م [٢] ، ومن مصنفاته أيضا في هذا المجال " نهاية الإدراك في أسرار علم الأفلاك " ، وكتاب " مصارع الفكر البهيج في حل مشكلات الزيج " ، ومصنف " آيات الآفاق في خواص الأوفاق "[٣] . كما أمدنا ديفيد كنج باسم عالم يمني فلكي كان معاصراً للمظفر أيضا يلقب بالكواشي ، وقد أعد بدوره زيجا ضمنه جداول خصصها فقط لمدينتي عدن وتعز ، مسجلاً ملاحظاته أو مشاهداته والتي وضعها بنفسه أثناء إقامته بمصر ، مدمجا إياها بمعلومات استقاها من الزيجين المصري والعراقي المبكرين [٤] .

كما زودنا كنج أيضا باسم أحد الفلكيين اليمنيين المعاصرين للمؤيد الرسولي يدعى أبو العقول الفلكي ، كان يعمل في بلاطه ، وقد صنف بدوره زيجا عرف باسم " الزيج المختار "، وقد أطنب كينج في وصف هذا الزيج وإبراز قيمته العلمية ، وقد أعتمد في تصنيفه علي واحد من الزيجات التي ألفها ابن يونس الفلكي

---

(١) الأفضل : العطايا السنية ، ق ٣ .

(٢) King , Op . cit , P . 303 .

(٣) الخزرجي : العقود ، ج١ / ١٧٨ ؛ بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج٢ / ٢٠٩ ؛ الحبشي : حياة الأدب اليمني ، ص ٨٧ ؛ King , Op . cit , P . 306 .

(٤) وقد تضمنت مؤلفات الفارسي معلومات مفيدة عن جغرافية الأراضي المقدسة حيث ضمنها تخطيطا فلكيا للكعبة ، وقد أثبتت المقاييس الحديثة صحة المعلومات التي أوردها الفارسي وسجلها في رسائله الفلكية . (راجع : King , Op . cit , pp . 306 - 307) .

القاهرى الشهير في ق ٤ هـ / ق ١٠ م ، وقد ضمن أبو العقول مصنفه جداول فلكية في غاية الدقة خاصة بخطوط عرض مدن تعز وزبيد وعدن وصنعاء ، وخصصت جداول الجزء الأكبر من هذا المصنف لمدينة تعز ، وتشتمل أيضا على فصول السنة والفصول الزراعية [١] .

وصنف الفقيه إسماعيل بن إبراهيم بن عطية النجراني(ت٧٩٤ هـ/ ١٣٩١م)وكان عالما في الفلك رسالة بعنوان"رسالة في علم النجوم والزيجات"[٢].

ومن المعروف أن التقاويم الفلكية (الزيجات) كانت تجهز في كل عام لسلاطين اليمن عن طريق فلكييهم ، وكانت هذه الجداول تشتمل على معلومات عن التقاويم والنجوم (علم التنجيم) للسنة المراد معرفة المعلومات عنها بجانب جداول لأماكن الشمس والقمر ، وللكواكب لكل يوم من أيام السنة [٣] ، وبالإضافة إلي هذه المعلومات الخاصة بالنجوم ، كانت هناك تكهنات فلكية يتم وضعها لكل يوم [٤] . ويذكر كنج أنه ما زال هناك تقويمين باقيين حتى الآن في صورة خطية ، الأول وخاص بمدينة صنعاء ويرجع لعام ٧٢٧ هـ / ١٣٢٦ – ١٣٢٧م، والثاني لمدينة تعز ويرجع لعام ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥- ١٤٠٦ م [٥] .

وبالاضافة إلي ما سبق ، أمدتنا المصادر وكتب التراجم بأسماء عدد آخر من المشتغلين بعلم الفلك والتنجيم ، من هؤلاء القاضى جمال الدين محمد بن إبراهيم الجلاد (ت ٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م) ، وكان بارعا في علم الحساب

---

(١) King , Op . cit , P . 305 .

(٢) الشوكانى : البدر الطالع ، ج٢ (الملحق ، ص ٥٦) ؛ الحبشى : مصادر الفكر ، ص ٤٨٤ .

(٣) يوجد في ساحة مسجد الجند شمال تعز عمود او عصا حجرية تمثل ساعة شمسية بارتفاع قامة الانسان تعرف هناك بعصا معاذ بن جبل وعن طريقها كان أهل اليمن يعينون حساب أو معرفة او تحديد اى وقت من أوقات اليوم باستعمال قواعد بسيطة مشتقة من علم الفلك ، وبخاصة معرفة وقت صلاة الظهر والعصر ،وكل منهما محدد عن طريق خطوط طول الظل والتى يمكن ضبطها وتنظيمها وقد ذيل ابن المبردع رسالته الفلكية بقائمة عن أطوال الظل ، والتى لاحظها بنفسه في مسجد الجند ومن المحتمل انه استعمل نفس العصا بشكل فعلى . (راجع : King , Op . cit , P . 307) .

(٤) الخزرجى : العسجد ، ق ١٩٤ ؛ King , Op . cit , P . 305 .

(٥) King , Op . cit , P . 305 .
ومن المعروف أن الأفضل الرسولى قد صنف بدوره خلاصة وافية لأبحاث وجداول نجمية استقى مادتها في معظمها من تقاويم ومصادر فلكية يمنية ومصرية وشامية مبكرة ، ويوجد من هذا المصنف نسخة خطية محفوظة لدى إحدى المكتبات اليمنية الخاصة كما يذكر كنج ، ويمثل هذا المختصر الأفضلى اهمية كبرى للقائمين على دراسة تاريخ العلوم العقلية لكونه يحتوى على معلومات منتقاة من كتب أولى لم يعد لها وجود حاليا (راجع : King , op . cit , P . 306) .

والفلك [١] ، وأبو الحسن على بن بهادر الحاسب (ولد ٧٢٤ هـ / ١٣٢٣ م) ، ووصفه الأفضل الرسولى والذى كان ابن بهادر معاصراً له ويعمل في خدمته بأن له " معرفة شافية في علم الفلك " [٢] ، ومنهم المقرئ الإمام جمال الدين محمد بن يحيى الهمدانى الأسخنى (ت ٨٢٠ هـ / ١٤١٧ م) ، وكانت له معرفة جيدة في علم الأسماء والرمل [٣] ، ومنهم الفقيه المحدث شمس الدين على بن محمد الشعبى (ت٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م) واشتغل بشئ من علم الفلك ، وكان مدرسا له بالمسجد الجامع بثعبات إلي جانب الحديث النبوى [٤] .

ومن علماء الفلك أيضا الشيخ جمال الدين محمد بن على المصرى الكاتب الحاسب ، وأصل والده من مصر ووفد إلي اليمن ، وكانت له معرفة بعلم الفلك ومشاركة بعلم الفرائض ، وكان من الرواد الذين أسندت إليهم الرئاسة بصنعة التقويم والتسيير في علم الفلك ، فنال مكانة مرموقة لدى سلاطين اليمن ، فرتبوا له جامكية ، وداوم على تدريس الفلك والفرائض الى أن توفى . وخلفه ولده المذكور (الشيخ جمال الدين) الذى درس على يد والده الفلك والحساب والفرائض والضوابط المحتاج إليها لصنعة التقويم فكان " وحيد عصره فيه " ، وأخذ عليه جماعة منهم الفقيه على الجبيلى الذى قام على تدريس هذه العلوم بعده ، وتوفى جمال الدين بعد ٨٣٠ هـ / بعد ١٤٢٦ م) [٥] .

---

[١] الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ١٥٠ ، *العسجد* ، ق ٢٥٤ .

[٢] الأفضل الرسولى : *العطايا السنية* ، ق ٣٧ .

[٣] البريهى : *طبقات صلحاء اليمن* ، ص ٤٢ – ٤٣ .

[٤] البريهى : *المصدر السابق* ، ص ٢٣٤ .

[٥] البريهى : *المصدر السابق* ، ص ٢٨٤ . وجدير بالذكر أن لجمال الدين ولد يدعى الفقيه بدر الدين الحسن ، وقد أتقن بدوره ما تعلمه من والده في هذا العلم وقام على تدريسه وتعليمه ، ولكنه لم ينل ما ناله والده من حظوة في البلاط الرسولى ، وتوفى عام ٨٤٠ هـ / ١٤٣٦ م . (راجع : *نفس المصدر والصفحة*) .

الباب الرابع
عمائر اليمن في عصر بنى أيوب
وبنى رسول

الفصل الأول
المساجد والجوامع

الفصل الأول
المســـاجد والجوامع

١ – أشهر المساجد الجامعة

١– الجامع الكبير بصنعاء
٢– مسجد معاذ بن جبل (بجبل صيد بالجند)
٣– مسجد وجبانة ومصلى العيدين بصنعاء
٤– جامع الجند
٥– الجامع الكبير بزبيد
٦– جامع الأشاعر بزبيد
٧– مسجد تيثد
٨– المسجد الكبير بإب
٩– الجامع المظفرى بتعز

٢– المســـاجد الدارسة

أ – المساجد التى أنشأها السلاطين
ب – المساجد الدارسة التى أقامها أعيان اليمن

مقـــدمة

تنوعت وتعددت المنشآت المعمارية في اليمن خـــلال الفتـــرة موضـــوع البحث، وتتمثل المنشآت المعمارية الدينية في المساجد والمدارس ، أما المدارس فقـــد سبق أن تناولناها بالدراسة في سياق دراستنا للحياة العلمية ، ولـــذلك فسنقصـــر حديثنا في العمارة الدينية على المساجد ، أما المنشآت المعمارية المدنية فتتعلق بالمدن والقصور والدور والطرق وغيرها ، في حين تشتمل العمـــارة العســـكرية علـــى الحصون والأسوار والخنادق [1] . الأمر الذى يتطلب عدة دراســـات متخصصـــة تتناول هذه المنشآت المتعددة ، ولذا سوف نقتصر في صفحات هذا البـــاب علـــى دراسة سريعة لهذه المنشآت المعمارية المتعددة سواء ما اندثر منها ، أو ما زال قائماً، وذلك من خلال ما أمدتنا به المصادر والوثائق بالإضافة إلي مجموعة أخـــرى مـــن اللوحات والأشكال التي تعين على إبراز أهم الملامح المعمارية لتلك العمائر القائمة علماً بأن معظم هذه العمائر لاسيما الأيوبية منها قد إندثر ، ولم يتبق سوى بعض أطلال لها ، كذلك الحال بالنسبة للعمائر الرسولية حيث لم يتبق لنا من هذه المباني سوى آثار قليلة [2] وبخاصة ما ينتمي منها للعمائر الدينية من مساجد ومدارس لمـــا تتمتع به هذه المنشآت من حرمة وقداسة .

---

(1) مصطفى شيحة : _مدخل إلى العمارة_ ، ص ١٧ – ١٩ .

(2) _Berbara Finster , the Architecture of the Rasulids , (in Yemen 3000 Years of Art and Civilization) , P . 254 ._

(١) أشهـــر المساجد الجامعـة

للمسجد الجامع أهمية كبرى في الإسلام ، فإلى جانب وظيفتـــه الدينيـــة الأساسية وهى جمع المسلمين لأداء الصلاة وسماع خطبة الجمعة ، كـــان معهـــداً للتعليم ، وداراً للقضاء ، وأساس التنظيم العمرانى للمدينة الإسلامية ، فهو قلـــب المدينة النابض بحياتها ، والمركز الديني والحضارى الذى تلتف حوله بقيـــة المراكـــز العمرانية الأخرى . وقد شهدت اليمن في العصر موضوع الدراسة إقامة العديد من المساجد الجامعة والمساجد الخاصة بالإضافة إلي ترميم وتجديد عـــدد آخـــر مـــن المساجد التي يرجع تاريخها لعصور سابقة ، وظلت تؤدى وظيفتها إلي ما بعد ذلك، بحيث صارت المساجد في ذلك العصر أحد المعالم الحضارية التي تبـــــرز مكانـــة الدولة والاهتمامات الدينية لمؤسسى هذه الصروح الدينية ، ومما يؤكد هذه المقولة ما ذكره ابن الديبع عن صدور أوامر السلطان الأشرف الثانى الرسولى بحصر أعداد المساجد والمدارس القائمة في مدينة زبيد فبلغ عددها " مائتين وبضـــعا وثلاثـــين " وذلك عام ٧٩٥ هـــ / ١٣٩٢ م [١] .

ومن أشهر المساجد الجامعة السابقة على فترة البحث ، والتي ظلت تؤدى وظيفتها ، وحظيت باهتمام حكام اليمن في العصرين الأيوبى والرسولى ما يلى :

١- الجامع الكبير بصنعاء :

يعد من أقدم مساجد اليمن،وأقدم المساجد الجامعة التي أقيمت في عصـــر النبوة على حد ما أورده المؤرخون الأوائل،وقد دارت آراء متعددة حول اسم مؤســـس البناء الأصلى،وأرجح ما قيل أنه الصحابي وبر بن يحنس الأنصارى الخزاعى[٢].

---

(١) ابن الديبع : _قرة العيون_ ، ص ٣٨٢ ، _الفضل المزيد_ ، ص ١٠٤ .

(٢) _Serjeant , San ' a P . 323 . Lewcock , the Medieval , p . 202 ._
ومن الاسماء الأخرى التى وردت كمؤسسين لهذا الجامع فروة بن مسيك المرادى ، وإبان بن سعيد ابن العاص ، والمهاجر ابن ابى امية أخو أم سلمة . أما عن موقع المسجد ، فقد أقيم في حديقة باذان الساسانى الحاكم الفارسى في الوقت الذى انتشر فيه الإسلام في اليمن ، وقد بنى في المنطقة الواقعة بين صخرة تدعى الململة الخضراء وبين قصر غمدان ، وموضع الململمة ما زال موجودا إلي اليوم على الحافة الخارجية للجدار الغربى للمسجد الكبير،داخل ساحة الوضوء (راجع عن ذلك : الرازى: _تاريخ مدينة صنعاء_ ، ص ٥٣٠ ؛ الحجرى : _مساجد صنعاء_ ، ص ٢٣ – ٢٤ ؛ راجع أيضا: مصطفى شيحه _المرجع السابق_ ، ص ٢٩ - ٣٠ _Serjeant , Op . cit , p . 323_)

وقد تعرض الجامع في العصور التالية إلي كثير من الإضـــافات وأعمـــال التجديد ، ففي القرن الأول الهجرى / ق ٨ م ، وفي عهد الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك (٨٦ – ٩٦ هـــ / ٧٠٥ – ٧١٥ م) ، كتب إلي أيوب بـــن يحـــيى الثقفى واليه على اليمن ، بتوسعة المسجد الكبير وأن " يبنيه بناء جيدا محكمـــا"[١] ، فامتثل أيوب للأمر وقام بالزيادة فيه ، فوسعه من الجانب الشمالى ، من ناحية قبلته الأولى إلي حيث موضع قبلته اليوم [٢] ، وأضاف محرابا في الجدار الشمالى الجديد ، وكان مزينا بالنقوش والتزويقات " وصنعة عجيبة حسنة بالجص " [٣] .

وفي القرن الثانى / منتصف القرن ٨ م فتحت بجدران الجامع أبواب للمرة الأولى وذلك في عهد عمر بن عبد المجيد بن عبد الرحمن العدوى ، والى بنى العباس على صنعاء [٤] ، وقد استخدمت في عمارة هذه الأبواب كتل حجرية اتخذت من بعض المنشآت القديمة المجاورة للجامع ، ومن هذه الأبواب المدخل الواقع على يمين المحراب الذى نقل من أبواب قصر غمدان وبه صفائح فولاذية متقنة الصنع [٥] .

وتبع هذه الإضافة إصلاحات أخرى تمت في عام ١٣٦ هـــــ / ٧٥٤ م ، حيث صدرت تعليمات الخلافة العباسية إلي واليها على اليمن ويدعى علـــى بـــن الربيع بتجديد عمارة المسجد الكبير ، يؤيد ذلك الكتابات الكوفية التى ســـجلت على لوحة حجرية مثبتة على جدار مكتبة الجامع جهة المئذنـــة الشـــرقية وتفيـــد بتجديد عمارته في هذا العام على يد هذا الوالى [٦] .

---

(١) الرازى : المصدر السابق ، ص ١٣٥ ؛ Serjeant , San 'a , p . 323

(٢) الرازى : المصدر السابق ، ص ١٣٥ - ١٣٦ ؛ Serjeant , op . cit , p . 323 .

(٣) الرازى : نفس المصدر ، ص١٣٦ .وقد ازال هذه النقوش القاضى يحيى بن عبد الله بن إسماعيل بن كليب(ت ٣٤١ هـ / ٩٥٢ م)وأعاده إلي صورته القديمة وجصصه بالجص الساذج باعتبار أن ذلك التزيين مكروه يلهى المصلين عن صلاتهم بالنظر إليه وقد نهى عن تزويق المساجد(راجع:الرازى : المصدر السابق،ص ١٣٦ ؛ مصطفى شيحة : المرجع السابق ، ص ٣٠ ؛ Serjeant , Ibid) .

(٤) ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص ٤٢ ؛ وانظر أيضا : الرازى : نفسه ، ص ١٣٧ ؛ الحجرى : مساجد صنعاء ، ص ٢٤ ؛ Serjeant , op . cit , p . 324 , Lewcock , op . cit , p . 207 .

(٥) مصطفى شيحة : المرجع السابق ، ص ٣٠ ؛الحجرى : المرجع السابق ، ص ٢٤ وتحتوى هذه الصفائح على لوحين مكتوبين بخط المسند (راجع : الحجرى : مساجد صنعاء ، ص ٢٥) .

(٦) الحجرى : المرجع السابق ، ص ٢٦ ؛ Serjeant , op . cit , p . 324
وراجع نص التجديد في : مصطفى شيحة : المرجع السابق ، ص ٣١ .

وفي سنة ٢٦٢ هـ/ ٨٧٥م،إكتسح سيل عظيم صنعاء،فأخرب المسجد الكبير تماما،فأعيد بناؤه على يد الأمير محمد بن يعفر الحميرى،وشمل تجديد بناء الجامع السقوف أو المصندقات الخشبية التي صنعت من خشب الساج،بينما كان البناء الأساسي من الحجر والجبس[1]،فكان هذا السيل سبباً في إحلال الأخشاب محل الأسقف الحجرية كما كان مبرراً للاصلاحات الرئيسة التي تمت بالمسجد[2] .

أما في عهد بني أيوب ، فقد تمت إعادة بناء المنارتين الشرقية والغربية وتم ذلك على يد الأمير علم الدين وردسار أمير صنعاء الأيوبي،فتذكر الرواية التاريخية ابتداء عمارة المنارة الشرقية في عام ٦٠٢ هـ/١٢٠٥م،و"كانت قد نقضت في مدة متقدمة"[3]فأمر وردسار بعمارة هذه المنارة،واستغرقت عملية التجديد عاماً كاملاً وأدخل في بنائها الداخلي عنصر معمارى جديد هو"الدرابزين"أو السياج الخشبي الذى اتخذ من خشب الساج وركبه وردسار في وسط المنارة،ثم أكمل بناءها وجعلها مثمنة،ويعبر ابن فضيل عن ذلك بقوله"فجهز"أى الأمير وردسار لها البنائين والجعلاء،وحمالة تحمل الجص من المحاجر،مع أموال بذلها وسلمها،اشترى بها جص محمول إلي المسجد—وحضر الأمير— أعزه الله تعالى-عمارتها،أكثر زمان عمارتها لا يغيب عنها إلا إذا توجه إلي غزوة يغزوها،حتى إذا وصلت العمارة إلي موضع الدرابزين(الشرفة)،فأمر بعمل الدرابزين فيها،فعمل من ألواح جيدة حسنة مزوقة، وسمرت بالمسامير الحديد البليغة الغليظة،وجعل الدرابزين بنفسه من الساج،وسمر بالمسامير،وأحكمت صنعته،ولم يعلم قط منذ الإسلام أنه كان في صنعاء منارة لها درابزين،ولا في مخلاف جعفر،ولا في جميع الجبال من بلاد اليمن،حتى أحدث في مدينة صنعاء منارة بأمر هذا الأمير-أعلى الله ذكره—ولم يكن أحد من صناع صنعاء عمل قبلها منارة بدرابزين ولا شاهدها ؛ وهم الذين عملوه برأى الأمير وترتيبه لهم ، لأنه قد شاهد — لا شك — في الشام جنسها ..... "[4] .

---

[1] الحجرى :نفسه ، ص ٢٦ ؛مصطفى شيحة :نفسه ، ص ٣١ ؛ *Serjeant , Ibid* .

[2] البعض يذكر أن تلك العمارة الشاملة للمسجد تمت عام ٢٦٥ هـ على يد الأمير إبراهيم بن محمد بن يعفر وليس على يد والده (راجع : الرازى :نفسه ، ص ١٣٦ ؛ الحجرى :نفسه ، ص ٢٦) .

[3] ابن فضيل نظام الدين سرى بن فضيل الترشانى(ت٦٢٦ هـ/١٢٢٩م):كتاب الاختصاص"أو ذيل تاريخ مدينة صنعاء للرازى"،تحقيق:حسين العمرى،ملحق بكتاب تاريخ مدينة صنعاء للرازى،ص ٥٤٨.

[4] ابن فضيل :الاختصاص ، ص ٥٤٩

ثم اتخذت المنارة شكل المثمن من الدرابزين (الشرفة) إلي موضع القبة ، ثم صنعت القبة صنعة محكمة ، وركبت في أعلاها ثلاث جوزات من النحاس ، ويتوجها هلال من النحاس ، وجصص أسفله وأحكم . وسجل هذا التجديد أو النص التأسيسى لتاريخ البناء على لوح حجرى ، وتاريخ الفراغ منه ، ونصب في جدار المئذنة من الجهة الشرقية ، ولا يزال هذا النص موجودا حتى اليوم [١] .

أما المنارة الغربية فقد تصدعت وتغيرت قاعدتها حتى سقف المسجد ، الأمر الذى دفع الأمير وردسار إلي إصدار أمره بهدمها وإعادة بنائها [٢] . وتم ذلك عقب فراغه من تجديد المئذنة الشرقية في عام ٦٠٣ هـ / ١٢٠٦ م فنقضت المنارة، وأقيم لها أساسات جديدة ، من قطع الحجارة والنورة [٣] والجص طبقة بعد طبقة حتى أحكم الأساس ، ثم بنيت بالأحجار قليلا ، ثم أطلع بناؤها بالآجر والجص ، وتوقفت عمارتها إلي ما يقرب من سقف الجامع ، ثم واصل البناءون بناءها دون توقف بالآجر والجص الجديد حتى بلغت حد الدرابزين (الشرفة) ، ثم عمل درابزينها صنعة محكمة أكثره بالساج ، وعمل باقيها مسدسا " وركبت قبتها وباقى صنعتها على أحسن صنعة وأتقنها ، وأحكم بناء وأحسنه ، وركب في رأسها على صورة السفينة من نحاس وعمل له عمود من حديد ، وكذلك عمل في الشرقية عمود من حديد " [٤] .

وهكذا جاءت المئذنة الغربية مشابهة إلي حد كبير لمثيلتها الشرقية ، فهى تتكون من قاعدة مربعة ، يقوم عليها بدن مستدير ، ينتهى بشرفة ، يلى ذلك بدن

---

(١) ابن فضيل *الإختصاص* ، ص ٥٥٠ . وراجع النص التأسيسى في : الحجرى : *مساجد صنعاء* ، ص ٢٨ ، هذا وقد أعيد تجديد هذه المنارة في أوائل القرن الماضى وتتكون من قاعدة حجرية مربعة الشكل بها مدخلان أحدهما في الناحية الشمالية والأخر في الناحية الشرقية ، يقوم عليها بدن مستدير تعلوه شرفة تزدان بصفوف من المقرنصات ، ويعلو البدن بدن آخر سداسى الشكل ، بكل ضلع نافذة معقودة ويتوج هذا البدن قبة صغيرة (راجع : مصطفى شيحة : *المرجع السابق* ، ص ٣٥ ، تقارير أثرية جـ ١ / ٨٦ .

(٢) ابن فضيل : *المصدر السابق* ، ص ٥٤٨ .

(٣) وهى مادة جيرية بيضاء يتم حرقها أكثر من مادة الجص الأبيض .

(٤) ابن فضيل : *نفسه* ، ص ٥٥١ ، وكان الفراغ من عمارة المنارة الغربية في رمضان من نفس السنة ٦٠٣ هـ / ١٢٠٦ م . أما شكل السفينة الذى ركب من النحاس بأعلى القبة ، فيرمز إلي أن الجامع يشبه بحر العلم ، وقد تكرر وضع أشكال تمثل السفن بأعلى قباب الأضرحة مثل ضريح الإمام الشافعى بالقاهرة ، وضريح الشيخ الطرطوشى بالإسكندرية .

قصيـــر من ستة أضلاع به فتحات نوافذ صغيرة معقودة تفتح في كل اتجاه ويتوج المئذنة قبة صغيرة [١] .

كما ينسب للأمير وردسار قيامه بحفر بئر المسجد الجامع ، وتعمير المطاهير والبركة ، و لم يكن الجامع مزودا بهما من قبل ، وأشرف على هذه العمارة القاضى ابن فضيل العرشانى صاحب كتاب الاختصاص ، وقاضى صنعاء في عهد وردسار، وقد شرع في بناء المطاهير والبركة في عام ٦٠٦ هـــ / ١٢٠٩ م ، وتم الفراغ من عمارتهما عام ٦٠٧ هـــ / ١٢١٠ م ، وأنفق عليهما من وقف المسجد ، بينمـــا تم حفر البئر وعمل المجارى منها إلي مطاهر جامع صنعاء على نفقة الأمـــير وردســـار ومن ماله الخاص [٢] .

وفي عهد بنى رسول وبالتحديد عام ٦٦٥ هـــ / ٦٦ – ١٢٦٧ م ، أعيد تجديد محراب هذا المسجد ، يؤكد ذلك وزرة مستطيلة الشكل تقع أسفل تجويـــف العقد الأعلى تتضمن نقشا كتابيا مطموسا يشير إلي تاريخ تجديد هذا المحراب نطالع فيه " عمر هذا المحراب بعناية القاضى الأجل ضياء الدين عمر بن ســـعيد الربيعـــى أجزل الله ثوابه في سنة ٦٦٥ هـــ " [٣] ، وهناك نقش كتابى آخر مســـجل علـــى جانبى عقد جوفه المحراب يشير إلي الصانعين اللذين أوكل إليهما القيام بهذا التجديد نطالع فيه [عمل هذا المحراب العبد الفقير إلي الله عبد الصمد بن أحمـــد بـــن أبى الفتوح وولده أحمد ، وجعلا ما يستحقانه من الأجرة على ذلك صدقة لله تعـــالى طلبا للثواب الجزيل تقبل الله منهما] [٤] ومن ذلك يبـــدو واضـــحا أن المحـــراب والمنطقة المحيطة بجدار القبلة قد جددت زمن بنى رسول [٥] ، وفي نفس العصر ، تم تجديد مطاهير الجامع وبركة المياه على يد الإمام الناصر صلاح الدين محمـــد بـــن الإمام المهدى (ت٧٩٣ هـــ / ١٣٩١ م) ، بمشورة القاضى حسن بـــن محمـــد النحوى قاضى صنعاء آنذاك فتحسنت عما كانت عليه [٦] .

---

[١] مصطفى شيحه : *المرجع السابق* ، ص ٣٥ – ٣٦ .
[٢] ابن فضيل : *الاختصاص* ، ص ٤٩٤ – ٤٩٥ ؛ الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ٤٨ – ٤٩ .
[٣] الحجرى : *المرجع السابق* ، ص ٢٨ – ٢٩ .
[٤] الحجرى : *المرجع السابق* ، ص ٢٩ .
[٥] Serjeant, op . cit , p . 325
[٦] الحجرى : *المرجع السابق* ، ص ٢٨ ؛ Serjeant , op . cit , p 325

٢- مسجد معاذ بن جبل (بجبل صيد يماني الجند) [١]

وينسب للأمير وردسار أيضا القيام بتجديده وتوسيعه،والاهتمام البالغ بنائه وزخرفته وفرشه،وتم الفراغ من عمارته في أواخر عام٦٠١ هـ / ١٢٠٤م ، ويذكر صاحب الاختصاص أن المسجد كان في الأصل صغيراً وضعيف البنيان بنى بأحجار غير مهذبة وكان سقفه غير محكم ، فنقض الأمير وردسار هذا المسجد الصغير"وأمر بالأحجار المحكمة المتقنة،فبنى أساسه بها،ثم بالآجر والجص،وجعل مسجدا كبيرا جامعا،وحمل الأخشاب الجيدة وأذهبت بالذهب،والأطباق الرصينة المزوقة الحصينة،فجعل سقفه أطباقا كله،وقضض جميعه وجصص،وأحكمت صنعته واتخذ فيه منارة عالية،بنيت بالآجر والجص ، وعملت قدامه بركة وقضضت [٢] وأحكمت صنعتها،وعنى في عمارته غاية العناية والصنعة،وتوجه هذا الأمير-وفقه الله تعالى- من صنعاء إليه في وقت عمارته مراراً حتى فرغت عمارته وأحكمت وفرشه بالحصر الرفيعة النفيسة،ورتب فيه إماماً وقيماً،وأرصد لهم رزقا بقدر كفايتهم " [٣] ، وسمى المسجد باسم معاذ لكونه أذّن في موضعه .

٣- مسجد وجبانة ومصلى العيدين بصنعاء :

كان يقع في الجهة القبلية خارج صنعاء،وهى أول جبانة اتخذت مصلى للعيدين في الإسلام على عهد الرسول(صلعم)،وينسب تعميرها إلي فروة بن مسيك المرادى الذى وضع في أيام عمارته للجبانة كمصلى للعيدين أساس مسجده الموسوم باسمه قرب الجبانة وكان يجلس فيه أيام عمارته للجبانة[٤].وكان البناء الأصلى يتكون من فناء ممهد محاط بأربعة أسوار مع مدخل واحد من خلال سور القبلة [٥] .

---

[١] وينسب إلي معاذ بن جبل صعود جبل صيد والآذان من عليه ، فاقام أهل الجند في موضع الاذان مسجدا تبركا بالصحابى الجليل وهذا المسجد غير جامع الجند الكبير الذى اختط في موضع ناقة معاذ (راجع : ابن فضيل : *الاختصاص* ، ص ٥٤٤ _ ٥٤٥) .

[٢] القضاض:طبقة من الملاط يتخذ من مادة شبيهة بمادة الأسمنت ويتكون من خليط من مسحوق الحصى مع النورة والتراب ويستخدم في كساء السطوح والميازيب وأحواض المياه.(راجع غازى رجب محمد:*البيوت القلاعية في اليمن*،مجلة سومر،الجزء٢،١مجلد٣٧،بغداد ١٩٨١، ص ١٦٤).

[٣] ابن فضيل : *الاختصاص* ، ص ٥٤٥ .

[٤] ابن فضيل:*الاختصاص*،ص٥٣٢؛الحجرى:*مساجد صنعاء*،ص ٣٩ ؛ *Serjeant , San 'a , p . 351*

[٥] الرازى : *تاريخ مدينة صنعاء* ، ص ١٤٠ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٥ ؛ ابن الفضيل : *الاختصاص* ، ص ٥٣٣ ؛ *Serjeant , san 'a , p . 351* .

وتم تجديد الجبانة والمصلى في نفس الوقت الذى تم فيه تجديد الجامع الكبير في عصر الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك [١] ، وقد أعيد اصلاحها ثانية بعد أن تشعث بعض بنيانها في عام ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م ، على يد قاضى صنعاء سليمان بن محمد النقوى [٢] ، ثم جددت الجبانة والمصلى وأحيطت بالجص والأحجار مرة ثالثة عام ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م ، وذلك على يد القاضى محمد بن الحسين الأصبهانى [٣] .

أما التجديد الشامل لهذه المجموعة فقد تم على يد الأمير ورد سار الأيوبى ، وتناول هذا التجديد الجبانة ومصلى العيدين والمسجد المجاور لها وذلك بمشورة القاضى ابن فضيل العرشانى الذى أوضح للأمير حاجتها للعمارة " فحينئذ شمر لعمارتها وسارع ببنائها ، ونشط إلي إحيائها " [٤] ، وكان بداية العمل في عمارتها في الثانى من شوال عام ٦٠٢ هـ / ١٢ مايو ١٢٠٥ م ، حيث أمر وردسار بنقض المصلى والانفاق على عمارته نقدا ، فنقض من أساسه " وكان قد دور من جهة يمانية بحجارة جدارا يكون طوله ذراعا ، فنقض الجميع منبره وغيره ، وزيد في طوله من شرقيه عشرون ذراعا ، وأحدث الجدار اليمانى كله من أساسه "[٥] ، واستمرت عمارته أياما متوالية بدون انقطاع ويشيد ابن فضيل بهمة الأمير وردسار وعنايته بالبناء ، وبذله النفقات الكثيرة من أجل إتمام العمارة ، وحضوره للمصلى كل يوم للإشراف على البناء والمشاركة بالرأى والمشورة ، ويعبر عن ذلك بقوله : "واستقل هذا الأمير الركوب إلي المصلى في كل يوم لا ينقطع ولا يفتر قائما وقاعدا وفي بعض الأوقات يضرب خيامه فيها ويباشر العمارة بنفسه ويرتبها ، ويقترح على البناء هذا الترتيب الذى فيها " [٦] . فجاءت جدرانها في نهاية الاتساع، كما أوجد في شرقى المصلى مقصورة خاصة لصلاة النساء وحصصها وقضضها ، وأقام حوضا في غربى المصلى أجرى إليه الماء من البئر ، وعملت

---

[١] الحجرى : مساجد صنعاء ، ص ٣٩ ؛ Serjeant , Ibid .

[٢] الحجرى : نفسه ، ص ٣٩ ؛ Serjeant , Ibid .

[٣] الرازى : المصدر السابق ، ص ٢٦٦ – ٢٦٧ ، الحجرى : نفسه ، ص ٣٩ ؛ Serjeant , Ibid .

[٤] ابن فضيل : الاختصاص ، ص ٥٣٤ .

[٥] ابن فضيل : المصدر السابق ، ص ٥٣٥

[٦] ابن فضيل : نفس المصدر والصفحة .

السواقى في جداره اليمانى وجدد الجدارين الشرقى والغربى من أساسـهما وقـام بعمارتهما عمارة متقنة ، كذلك صنع منبرا للمصلى جاء في غاية الإحكام والاتقان وكذلك قبوته"وعمل في جانبيه خشبتان مثقوبتان بنى عليهما وجصص وجعـلا برسم الرمحين اللذين فيهما العلمان"[١].كما جعلت جدران الجبانة الثلاثة العدنيـة والشرقية والغربية مسنمة كلها مقضضة،وفتح بابا لمصلى النساء في الجانب الشرقى من المصلى،حيث كانت تدخل منه النساء"من حيث لا يراهن الرجال ولا يطلـع عليهن فيه أحد في الجبانة الكبيرة ومصلى الرجال"[٢].وأحيط المنبر بحائط من كافة الجهات،وجصص هذا الحائط وأحكم قضاضه،ونقش محراب الجبانة نقشا حسـنا متقنا وزين بكتابات ونقوش من آى الذكر الحكيم،وقد سجل هذا التجديد علـى لوحتين من الحجر ثبتا في جدار القبلة على يسار المحراب،وقضـض حواليهمـا ، سجل على أحدهما اسم الله تعالى واسم رسوله الكريم(صلى الله عليـه وسـلم)، وأسماء الخلفاء الراشدين واسم فروة بن مسيك المرادى أول من أحـدث عمـارة الجبانة والمصلى ، بينما سجل على اللوحة الثانية اسم الأمير علم الدين وردسـار القائم بالتجديد وتاريخ بداية العمارة والفراغ منها[٣] .

ولم يكتف وردسار بذلك ، بل إنه جصص جميع جدران الجبانة ظـاهرا وباطنا ، حتى فرغ من عمارتها واتقانها وإحكامها ، وكان خلال مراحل البناء يقوم ومعه حاشيته وأجناده بالإشراف على إتمام العمارة ، حتى تم الفراغ منها في اليـوم التاسع من شهر ذى الحجة من نفس العام ٦٠٢ هـ / السابع عشر مـن يوليـو ١٢٠٥ م ، وصلى فيها العيد وهى كاملة [٤] .

ثم أمر بفضة ، عملت طلعتين كبيرتين ، وكتب فيهما آيات من القـرآن الكريم واسمه ، ووقفهما على المنبرين الشريفين (منبر الجبانـة ، ومنـبر المسـجد الجامع) " لوقت كل خطبة يكونان ، والرمحين اللذين فيهما العلمان " [٥] .

---

[١] ابن فضيل : _نفس المصدر والصفحة_ .
[٢] ابن فضيل : _نفس المصدر والصفحة_ .
[٣] ابن فضيل : _المصدر السابق_ ، ص ٥٣٦ ؛ <u>Serjeant , San 'a , P . 351</u>
[٤] ابن فضيل : _الاختصاص_ ، ص ٥٣٦ – ٥٣٧ .
[٥] ابن فضيل : _الاختصاص_ ، ص ٥٣٧ .

كما أمر بحفر البئر التي تلي الجبانة،فعمد البناؤن إلي حفرها وبنائها،كما أحدثوا بركة بجوارها،وتم كساء جدران البئر والبركة والسواقي بطبقة من القضاض " الأسمنت " ، ثم أجرى الماء من البئر ، كذلك أمر ببناء الدار التي تلي البئر برسم الساكن فيها لحفظ الضيعة والإشراف على الدواب المخصصة للضيعة[1] .

كما أمر بإحياء الضيعة المحيطة بالجبانة والمصلى،واصلاحها فأقامت الأبقار أشهراً في حرثها واصلاحها حتى تم تمهيدها وثبتت وزرعت[2]بمختلف صنوف الغراس حيث غرس فيها من الفاكهة المشمش والرمان والسفرجل والتفاح والجوز ، كما غرس في شرقي المصلى أشجار الكروم،وأحاط الضيعة والمصلى بسور محكم من الزابور(الطين والحجارة)[3]،ولم يكن سبقه أحد إلي مثل ذلك وصارت الضيعة والغراس فيها وقفاً محبساً على مصالح الجبانة والمصلى وعمارتهما وعمارة الضيعة، أما ما فضل عنهما فكان ينفق على من يسكن بها من الفقراء والمساكين والوافدين إليها وأبناء السبيل وغيرهم من المنقطعين والعلماء والمتعلمين فيها وفي مسجدي فروة بن مسيك وصنعاء فكان لكل من هؤلاء " نصيب من الوقف المذكور يدفع إليه منها مثلما يدفع للساكن فيها والواصل إليها وعلى القيم فيها والناظر بأمرها أن يدفع إليه من غلتها أجرة مثله ، وهو العامل عليها فهو من جملة الموقوف عليهم سواء سكن فيها أو لم يسكن فله نصيب منها لأجل عمله"[4].

وهكذا صارت الجبانة روضة حسنة فاقت غيرها بحسن بنيانها ، وإتقان قضاضها وإحكام صنعتها ، وزاد في تجميلها الغراس المحيطة بها ، فكان الناس وأشراف العرب والرؤساء يفدون إليها للنزهة والتنعم بجمالها [5] .

٤- جامع الجند

وسمي بهذا الاسم نسبة إلي مخلاف الجند [6] ، وهو من المساجد الأولى التي

---

(1) ابن فضيل :نفسه ، ص ٥٣٩ ؛ Serjeant , op . cit , p . 351 .

(2) ابن فضيل :نفسه ، ص ٥٣٩

(3) ابن فضيل :نفسه ، ص ٥٥١ هـ ١٠ ؛ Serjeant ,op . cit , p . 351 .

(4) ابن فضيل :نفسه ، ص ٥٥١ ـ ٥٥٢

(5) ابن فضيل :الاختصاص ، ص ٥٣٩ ـ ٥٤٠

(6) الجند : بلدة مشهورة تقع شمال شرقي مدينة تعز بحوالى ٢٢ كم ، وهى نسبة إلي جند بن شهران (أحد بطون المعافر) ، أما اليوم فهى بليدة صغيرة محدودة السكان ، أشهر ما فيها جامعها الأثرى موضوع الدراسة ، وعدد من سواقى المياه المحفورة في الجبال بعمق عشرة أمتار وترجع إلي عهد=

بنيت في صدر الإسلام باليمن [١] ، وعرف أيضا بمسجد معاذ نسبة إلي بانيه وهو الصحابي الجليل معاذ بن جبل الذى بعثه الرسول عليه الصلاة والسلام إلي اليمن عاملاً عليها وحمله على ناقته ، وقال له " يا معاذ انطلق حتى تأتي الجند ، فحيث ما بركت بك هذه الناقة ، فأذن ، وصل ، وابتن فيه مسجداً " [٢] ، ووصل معاذ إلي الجند في آخر جمادى الآخرى وأول رجب ، فبركت الناقة في الموضع الذى أمر ببناء المسجد فيه ، واجتمع ببني الأسود سادة الجند واستعان بهم على بناء الجامع وصلى بهم ، في أول جمعة من رجب " فمن ذلك اليوم ألف الناس إتيان مسجد الجند في أول جمعة من رجب يأتونه ويصلون فيه الصلاة " [٣] .

وقد تعرض جامع الجند الأول للعديد من الاصلاحات والتجديدات التي غيرت كثيراً من معالمه القديمة ، بحيث يمكن القول بأنه لم يتبق من عمارته الأولى سوى البقعة الصغيرة التي أقيم عليها الجامع الأول وأدخلت ضمن المساحة الحالية للمسجد [٤] . وأول اشارة وردت إلي تجديد هذا المسجد الجامع والزيادة فيه ترجع إلي أواخر القرن الرابع الهجرى / أواخر ق ١٠ م ، وذلك بمناسبة الزيادة التي أجراها فيه الحسين بن سلامة وزير بني زياد (ت ٤٠٢ هـ / ١٠١١ م) ، الذى " زاد فيه وحسن عمارته " [٥] .

=الصليحيين . والى هذه المدينة ينسب العديد من علماء اليمن ، يأتى في مقدمتهم بهاء الدين الجندى صاحب كتاب السلوك (راجع : الأكوع : *البلدان اليمانية* ، ص ٨١ – ٨٣ ، المقحفى : *معجم المدن* ، ص ٩٥) .

(١) مصطفى شيحه : *المرجع السابق* ، ص ٢٦ .

(٢) الأهدلى : السيد محمد بن على الأهدلى الحسينى اليمنى الأزهرى : *نشر الدر المكنون من فضائل اليمن الميمون* ، الدار اليمنية للنشر والتوزيع ، ط الأولى الجديدة ، بيروت ١٩٨٧ ، ص ١٤٢ .

(٣) ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٥١ ؛ ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٦٦ ؛ *Lewcock , R , The Medieval Architecture of Yemen (in Yemen 3000 Years , P . 206 .*

(٤) مصطفى شيحه : *المرجع السابق* ، ص ٣٧٥ ؛ غازى رجب محمد : *جامع الجند لبنة جديدة في هيكل العمارة الإسلامية في اليمن* ، مجلة دراسات يمنية ، العدد ٢١ (يوليو – سبتمبر) صنعاء ، ١٩٨٥ ، ص ١١٨ .

(٥) الأكوع : *البلدان اليمانية* ، ص ٨٢ ؛ ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٦٥ ؛ ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٢٣٢ ؛ يحيى بن الحسين : *غاية الأماني* ، ق ١ ، ص ٢٣٢ ؛ العرشى (حسين بن أحمد) : *بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى اليمن من ملك وإمام* ، نشر : الأب انستاس مارى الكرملى ، القاهرة ١٩٣٩ ، ص ١٤ ؛ *Lewcock , op . cit , P . 206 .*

وفي عهد السيدة أروى بنت أحمد الصليحى ، أمر وزيرها الأمير المفضل بن أبي البركات بن الوليد بتجديده للمرة الثانية في وتم ذلك " بالحجر المنقوش واللبن المربع " [١] .

وبقي المسجد على حالته هذه بعد التجديد الصليحى له ، إلي أن أصيب بحريق كبير سنة ٥٥٨ هـ / ١١٦٢ م ، على يد المهدى بن على بن مهدى الذى حاصر أهل الجند لمدة أربعة عشر يوما ثم دخلها " فقتل أكثر من فيها من صغير وكبير ورماهم في البئر التى في المسجد ، وحرق المسجد بمن فيه من الضعفاء والعجائز والعواتك والودائع والكتب والمصاحف " ، وترك المدينة خاوية على عروشها [٢] ، وظل المسجد مهدما خربا ، حتى أعاد سيف الإسلام طغتكين بن أيوب بنائه ، وزاد في مساحته ، واستخدم الآجر في أعمال التجديد والاصلاح ، وزاد في سمك الجدران ، وصنع له منبراً خشبياً ، يعد تحفة فنية غنية بالعديد من الزخارف النباتية والهندسية ، وكان يزدان ببعض النقوش الكتابية التى أتلفت الدهانات الحديثة قيمتها الأثرية [٣] .

وفي دولة ولده الناصر أيوب بن طغتكين ، اهتم الأمير سيف الدين سنقر أتابكه ومدبر أمور مملكته بجامع الجند ، فشرع في سنة ٦٠٣ هـ / ١٢٠٦ م في عمارة بيت الصلاة والمجنبات الثلاثة بالجامع ورفع سقوفه بالآجر والجص ، وصبغ زخارفه ونقوشه بالذهب واللازورد [٤] . حتى صار سقف جامع الجند مضرباً للأمثال في دقة الصناعة وجمال الزخرفة ، وفي ذلك يذكر ابن المجاور قول أحد

---

[١] ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٦٥ ؛ الأفضل الرسولى : *فاكهة الزمن* ، ق ١٥٥ .

[٢] ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٢٦٠ ؛ يحيى بن الحسين : *غاية الأماني* ، ق ١ / ٣١٥ ، أنباء الزمن ، ق ١٨٢ ؛ وأنظر أيضا : ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٦٥ حيث يرجع تاريخ هذا الحريق لعام ٥٥٤ هـ (راجع أيضا : غازى رجب : *المرجع السابق* ، ص ١١٩) .

[٣] ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٦٥ ؛ الأفضل الرسولى : *فاكهة الزمن* ، ق ١٥٦ ؛ يحيى بن الحسين : *أنباء الزمن* ، ق ١٨٣ ؛ *Lewcock , op . cit , 206*
ويرجع تاريخ عمارة طغتكين للمسجد لعام ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م يدلنا على ذلك نص كتابى نسخى موجود على أحد أعمدة المجنبة الشرقية للمسجد ، وردت فيه ألقاب طغتكين وتاريخ التجديد . (راجع: غازى رجب : *نفس المرجع* ، ص ١٢٢ ، ١٢٣) .

[٤] ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٦٥ ـ ١٦٦ ؛ الخزرجى : *العسجد* ، ق ١٠٦ ، *الكفاية* ، ق ٨٦؛ ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٢٨٩ ؛ يحيى بن الحسين : *غاية الأماني* ، ق ١ ، ص ٣٩٥ ؛ غازى رجب : *المرجع السابق* ، ص ١٢

الحكماء للدلالة على جمال هذه الزخارف فيقول : " خذ من جامع تعز المنبر ومن جامع الجند السقف " [(١)] .

وفي عهد المسعود الأيوبي ، أراد تجديد عمارة مسجد الجند ، فأمر بهدم عمارته الأولى فهدمت [(٢)] وإعادة بنائه ، ولكن عملية التجديد توقفت بعض الوقت لقلة الماء ، فلما سقطت الأمطار ، بعث المسعود بمال عظيم إلي الشيخ ظهير الدين على بن عمر ، وأمره أن يبني ذلك المسجد بناء جديدا حسنا ، وأن ينمقه بكل ما جرت به عادة الملوك في مبانيهم من التذهيب والزخرفة ، وأن يقيم على بابه منزلا لقعوده فيه ففعل [(٣)] .

وامتدت العناية بمدينة الجند ومسجدها الجامع في عصر بني رسول ، فيشير الخزرجي إلي صدور أوامر الأشرف الثاني اسماعيل عام ٧٩٣ هـ / ١٣٩٠ م ، باعادة تسوير مدينة الجند ، وكان سورها قد دثر ، ولم يبق له أثر ، فجدد بناءه ، بحيث استعاد جماله ورونقه وفاق ما كان عليه [(٤)] ، وكان في الجهة الشرقية من المسجد منارة من العصر الأيوبي ، ربما أضيفت للمسجد عند إضافة المجنبات إليه زمن الأتابك سيف الدين سنقر [(٥)] ، ولكنها سقطت في عصر الظاهر يحيى بن اسماعيل الرسولي وهي المنارة الشرقية ، فأعاد الظاهر تعميرها وتجديدها [(٦)] ، ولكن لم يطل بها العهد بعد هذا الترميم فلم تلبث أن تهاوت بعد قليل ، بدليل عدم وجودها الآن ، وما تبقى هو المئذنة الغربية التي أسسها السلطان عامر بن عبد الوهاب بن طاهر [(٧)] .

---

(١) ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٦٦ .

(٢) يحيى بن الحسين : *غاية الأماني* ، ق ١ ، ص ٤١٧ .

(٣) الخزرجي : *العسجد* ، ق ١١٢ – ١١٣ ، *الكفاية* ، ق ٩٠ – ٩١ ؛ يحيى بن الحسين : *غاية الأماني*، ق ١ ، ص ١٨٠ ، *أنباء الزمن* ، ق ٣٣٣ .

(٤) الخزرجي : *العقود* ، ج٢/ ١٨٧ .

(٥) *Lewcock , op . cit , 206 .*

(٦) ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٣٩٨ ؛ الخزرجي : *الكفاية* ، ق ٢٤٢ .

(٧) ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٣٩٨ وهـ ٦ للمحقق ؛ غازى رجب : *جامع الجند* ، ص ١٢١ ، هذا وقد استمرت التجديدات على هذا المسجد طوال العصور التالية حتى كان آخرها فيما بين ٧٣ – ١٩٧٤ ، فأعيد ترميمه وتجديده فيها على نحو سئ مما أدى إلي طمس العديد من معالمه الأثرية ، وخاصة زخارف المسجد وعدة عناصر معمارية أخرى عدا المحرابين والمنارة ، كما استبدل السقف الخشبي بآخر أسمنتي ، وكذلك بعض الأعمدة مما يعوق تقديم دراسة أثرية متكاملة حوله (راجع :=

٥- الجامع الكبير بزبيد

ويرجع تاريخ إنشائه إلي عصر سابق للفترة موضـــوع البحـــث،وتعرض بدوره للعديد من الإضافات والتجديدات عبر حقب التاريخ الإسلامى،واهتم بنـــو رياد بهذا الجامع، فامتدت يد القائد الحسين بن سلامة إليه بالتجديد عام ٣٩١هــ/ ١٠٠٠م[١]،ثم تعرض للهدم علي يد المهدى بن على بن مهدى،فأعاد المبارك بـــن منقذ والى زبيد تجديده بتوجيه من توران شاه الأيوبى،وبدأ ببناء المقدم من جـــامع زبيد في عام ٥٧٣هــ / ١١٧٧م ، وتذكر المصادر أنه أعاد الخطبة إليه بعد تجديد مقدمه، وهو القسم المحاط بأساطين الخشب [٢] ، ثم أمر سيف الإسلام طغـــتكين ببناء مجنباته الجنوبية والشرقية والغربية مع المنارة في عام ٥٨٢ هــ/ ١١٨٦ م [٣] .

وفي عهد الأشرف إسماعيل بن الظاهر يحيى (٨٤٢ – ٨٤٥ هــ/ ٣٨ – ١٤٤١م)وكان مواظباً على أداء صلاة الجمعة به،اهتم بإنشاء بركة حسنة عظيمـــة في الناحية الشرقية من الجامع "ولم يكن بالجامع بركة في زمن بنى رسول.... فانتفع الناس كثيرا ، كما عمر جزءا من أسقف المسجد ، وأصلح متشعثه ، وأقـــام فيـــه طلابا يقرأون القرآن عقيب كل صلاة ورتب لهم ما يقوم بكفايتهم [٤] .

= *Lewcock , op . cit , p . 206* ؛ غازى رجب : *المرجع السابق* ، ص ١٢١ ؛ حسين السياغى : *معالم الآثار اليمنية* ، ص ١١١ – ١١٢) .

[١] ابن الديبع : *الفضل المزيد* ، ص ٨٠ ؛ مصطفى شيحه : *المرجع السابق* ، ص ٤٥ – ٤٦ .

[٢] الخزرجى : *العسجد* ، ق ٩٥ ، *الكفاية* ، ق ٧٧ حيث يؤكد ذلك فيذكر أن جميع مقدم جامع زبيد في زمنه من عمارة ابن منقذ ، وأن اسمه مكتوب على المدخل الذى يدخل منه الخطيب على يمين المحراب ، راجع أيضا : ابن الديبع :*قرة العيون* ، ص ٢٧٣ – ٢٧٤ ،*الفضل المزيد* ، ص ٨٠ .

[٣] الخزرجى : *العسجد* ، ق ١٠١ ، *الكفاية* ، ق ٨٢ ؛ ابن الديبع : *الفضل المزيد* ، ص ٨٤ ؛ *Berbara Finster , The Architecteur of Rasulids , p . 254 .*

[٤] الخزرجى : *العسجد* ، ق ٢٩٧ ، الكفاية ، ق ٢٤٣ ، ابن الديبع :*قرة العيون* ، ص ٤٠١ . وجدير بالذكر أن السلطان عامر بن عبد الوهاب بن طاهر قام بهدم الجامع فيما عدا المئذنة ، وأعاد تعميره من جديد عام ٨٩٧ هـ / ١٤٩١ م ويوجد النص التأسيسى لهذه العمارة الطاهرية على يمين ويسار المحراب في رواق القبلة وتمت هذه العمارة على يد المعلم على بن حسن المعمار المعروف بالعكباز ، وقد أضاف بن طاهر بركة ثالثة للمسجد إلي جانب البركة الشرقية التي أقامها الأشرف اسماعيل الثالث الرسولى ، وبركة المنصور عبد الوهاب بن طاهر (راجع ابن الديبع : *الفضل المزيد* ، ص ٨٠ - ٨٢ ؛ مصطفى شيحه *المرجع السابق* ، ص ٤٦)

٦- جامع الأشاعر بزبيد

ويعد بدوره أحد المساجد الجامعة العظمى في اليمن،ويرجع تاريخ بنائه، كما تروى بعض المصادر إلي العام الثامن للهجرة فقد أسسه جماعة من الأشاعرة على رأسهم الصحابي الجليل عبد الله بن قيس المكنى بأبي موسى الأشعري،وكان المسجد في بداية إنشائه بسيطا[1]،ثم تعرض مثل غيره من المساجد الجامعة عبر الفترات الإسلامية المختلفة إلي عدة مراحل من الإضافات والتجديد والتعمير[2]، فقد ظل المسجد كما أسسه الأشاعرة،إلي أن قام محمد بن عبد الله بن زياد بتأسيس مدينة زبيد عام ٢٠٤ هـ/ ٨١٩م،وبعد ذلك عمد إلي تعمير مسجد الأشاعرة ، واستمرت عناية ملوك بنى زياد بالمسجد وبخاصة القائد حسين بن سلامة الذى تنسب إليه العمارة الكبيرة للجامع وذلك عام ٤٠٧هـ/١٠١٦م،وشملت تجديداً شاملاً للمسجد،حتى قيل أنه أنشأه إنشاءً جديداً "وعمره عمارة حسنة،وجعل فيه طرازات من داخله ورسم رسمه فيه فصار هذا المسجد المذكور العمرة للقائد حسين بن سلامة ، والاسم للإشاعرة من أجل البئر والبلد " [3] .

ثم وردت أول إشارة بعد ذلك إلي مسجد الأشاعر بعد عام ٦٥٠هـ/١٢٥٢م،أى في عهد الدولة المظفرية،حيث أوقف الأمير الشهاب الخرتبرتي والى زبيد قطعة من الأرض الزراعية للصرف عليه من ريعها،كما أوقف أحد أعيان الأمراء بذات الدولة ويدعى الأمير شهاب الدين أبو محمد غازى بن المعمار الكبير ، عدة دكاكين للصرف عليه من متحصلاتها،وينسب إلي نفس الأمير قيامه عام ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م،بنصب منبر للحديث والوعظ بمسجد الأشاعر[4]،وصنع هذا المنبر من خشب الطنب،وجاء كما تروى المصادر غاية في الدقة وجمال الصنعة،ولا يزال موجوداً حتى الآن[5]،ويعد هذا الأمير أول من نشر قراءة كتب الحديث والوعظ بمسجد الأشاعر بزبيد بعد صلاة الصبح والعصر في كل يوم، ووقف لذلك وقفاً جيداً على من قرأها،وذلك

---

(1) محمد بن عبد الوهاب المقداد : (ت ٩٩٢ هـ / ١٥٨٤ م) : جامع الأشاعر المسمى قرة العيون وانشراح الخواطر فيما حكاه الصالحون في فضل مسجد الأشاعر : تحقيق عبد الرحمن الحضرمى : مجلة الإكليل ، العددان ٣ ـ ٢٤ السنة الأولى ، صنعاء ١٩٨١ ، ص ١٠٨ .

(2) مصطفى شيحه : المرجع السابق ، ص ٥٠ .

(3) المقداد : جامع الأشاعر ، ص ١٠٨ ، ١١٢ .

(4) ولهذا كان قارئ الحديث يقيم الدعاء لهذا الأمير الخرتبرتي قبل القراءة ، كذلك أوقف أحد الفقهاء مجموعة كتب دينية للقراءة على هذا المنبر فكان يدعى له أيضا لهذه الأوقاف (راجع : ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص ٩٢) .

(5) المقداد : جامع الأشاعر ، ص ١١٨ ، ١٣٧ وهـ ٢٦ ، ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص ٩١ .

بعد أن أمر بنصب منبر في جانب المسجد يجلس عليه القارئ " ليسمع قراءته كل من كان في المسجد عظة وتذكارا " [(١)] . وفي عهد الملك الناصر أحمد بن الأشرف اسماعيل الرسولى ، تم انشاء بركة مسجد الأشاعر على يد أم الملك الظاهر جهة الطواشي فرحان(ت٨٣٦هـ/ ١٤٣٢م)[(٢)]،وتولى الإشراف على إنشائها الشجاع القباطي ، وكان عدد المصلين في المسجد قليل،فلما أقيمت هذه البركة كثرت أعداد المصلين حتى كاد المسجد المبارك يضيق بهم خصوصا عصر يوم الجمعة فإنه لم يكن يتسع للمصلين الذين كانوا يزدحمون إلي أن يبلغوا الباب والشوارع التي تليه ويصلون على البركة وعلى جدارها .... وانتفع الناس بهذه البركة انتفاعا كليا، وأقبل الناس لأداء الصلاة في مواقيتها من كل ناحية ، حتى أن صلوات الجماعة لم تكن تخلو من المصلين الذين كانوا يتوافدون في كل الأوقات بسبب هذه البركة[(٣)] .

وفي عام ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨ م عمر الأمير سيف الدين برقوق الظاهرى خازندار الظاهر يحيى المسجد فجدد بناء الجنبة الشرقية وسقفه وقضضه ، " وجعل جدار المسجد الأول عقودا فسيحه يصلى فيها المصلى عند تضايق الصفوف ، وعمر مقصورة النساء ، وجعل له خزانة جيدة ، وسقف جناحه اليمانى ، وقضضه، وميز جداره الأول عقودا فسيحة ، ورفع درجها ، بحيث أنه يصلى عليه عند الازدحام ، وجعل للبركة رواقين بدعامتين أساسهما في " قعر " البركة من آجور ونوره ، فصار كل من كان على البركة يظهرون في الظلام ، ورمم متشعث جدار المسجد المذكور ، ورسم فيه بالذهب ، ونصب منبرا وجعل عليه مقدمة قرآنية ، وأنفق في تحصيلها مالا جزيلا ، وهي قليلة النظر في الخط والتذهيب، وقد سبق له قبله بمقدمات ، وجعل قارئا قبل صلاة الصبح وقبل صلاة

---

(١) المقداد :نفسه ، ص ١١٨ وما زال منبر الحديث موجودا بالمسجد يصعد عليه أحد العلماء ويجلس ويتجه للحاضرين بقراءة الأحاديث والوعظ (راجع : المقداد :نفسه ، ص ١٣٧ هـ ٢٦) .

(٢) المقداد :نفسه ، ص ١١٨ وكانت هذه البركة عميقة عن مستوى سطح المسجد ، وتتسع لمجموعة كبيرة من الناس عند الوضوء إلي جانب البركة الغربية ، وقد ظلت هذه البركة قائمة حتى عام ١٣٩٢هـ ، حيث ردمت في هذا التاريخ (راجع : *المصدر السابق* ، ص ١٣٧ هـ ٢ للمحقق) وكانت مساحتها حوالى عشرة أذرع مربعة (راجع المقداد *جامع الأشاعر* ، ص ١١٩) .

(٣) المقداد *جامع الأشاعر* ، ص ١١٩

العصر ووقف لها ولمصالح المسجد المذكور وقفا جيدا " [١] ، وقام بالإشراف على هذه العمارة المعمار الصديق بن عمر الموزعى [٢] .

٧- مسجد تيشد [٣]

وهو مسجد صغير كشفت عنه البعثة الألمانية للآثار وينتمى بطرازه المعمارى وزخارفه إلي الفترة الأيوبية ، وهو عبارة عن بناء صغير المساحة مستطيل الشكل يقع على أحد المنحدرات ويستقر وسط منازل البلدة ، ورغم التجديدات التى طرأت على هذا المسجد ، إلا أن حالته ما زالت سيئة ، حيث تصدعت جدرانه ، وسقفه القديم ، الذى يفترض أنه كان مزخرفا فيما مضى ، وطمست زخارفه ومعالمه الأثرية نتيجة هذا التجديد . بينما بقيت الجدران المحيطة بالمسجد ، والدعائم الخشبية وتيجان الأعمدة المنحوتة [٤] .

ويبلغ طول المسجد من الداخل٩,٢٥م وعرضه ٦م ،وينقسم إلي ثلاثة أساكيب عن طريق صفين من الدعائم يمتدان في محاذاة جدار القبلة[٥].أما محراب المسجد فهو عبارة عن فتحة مقعرة عميقة ذات قوس مدبب تنحرف فتحته قليلا في الاتجاه الشرقى[٦].أما المدخل فيتكون من أربعة أقواس أقيمت في الواجهة الأمامية ، وينتظم كل اثنين منهما في ناحية كطرفى محول يفصل بينهما مسافة عريضة،الأمر الذى يكسب الواجهة تناقسا وتعادلا في التوزيع يؤثر في الناظر اليها تأثيراً جمالياً [٧] .

---

[١] ابن الديبع :*قرة العيون* ، ص ٤٠٠ ؛ المقداد : *جامع الأشاعر* ، ص ١١٩ – ١٢٠ ، وقد أشرف المسجد على الخراب في عصر بنى طاهر فامتدت يد المنصور تاج الدين عبد الوهاب بن طاهر له بالعمارة ، حيث أمر بهدمه وإعادة بنائه وذلك عام ٨٩١ هـ / ١٤٨٦ م ، فهدم وبنى بناء حسنا ورفع عن مستوى الأرض بنحو سبعة أذرع ، وزيدت فيه زيادات من الجانب الأيمن ، وفتح في جداره القبلى نافذتان لزيادة كمية الاضاءة الداخلة لجوانب المسجد المذكور كما أبدلت الأساطين والدعائم التالفة بأخرى جديدة ، وجعل للبركة رواق يمانى زيادة على الرواق الأول الشرقى ، كما جعل لها باب يفضى إلي خارج المسجد يدخل منه الناس أيام المطر صيانة للمسجد هذا ولم تتقطع صلاة الجماعة مدة عمارة هذا الجامع ، كما أدخلت عليه عدة تجديدات أخرى في عصور تالية (راجع : الخزرجى :*الكفاية* ، ق ٢٤٢ ؛ المقداد :*جامع الأشاعر* ، ص ١٢٠ – ١٢١) .

[٢] الخزرجى :*الكفاية* ، ق ٢٤٢ ؛*العسجد* ، ق ٢٩٦ .

[٣] بلدة صغيرة من نواحى دلال قريبة من جبل بعدان أحد جبال مدينة الجند . راجع : الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ٥٧ .

[٤] *تقارير أثرية ، ج١ / ٤١* .

[٥] راجع :*شكل رقم (١) ولوحة رقم (٢)* .

[٦] *تقارير أثرية ، ج١ / ٤١* .

[٧] *تقارير أثرية : ج١ / ٤١* .

وتسود البساطة داخل المسجد ، فجدرانه مدهونة بالجير الأبيض ، ويوجد أسفل السقف سجافان [١] مزدوجان متدرجان يحيطان بعوارض السقف من الجوانب. أما المحراب فكما ذكرنا جوفة مستطيلة الشكل ذات قوس مدبب مضغوط دون تقوس جوهري ، ويحيط بالمحراب إطار جصي يبدأ ظهوره من منطقة القاعدة ، يخلو من الزخارف فيما عدا أطرافه المحاطة بحافة بارزة ، وكل مظاهر الزخرفة في المسجد تتمثل في دعائمه الثمانية ، التي تتوزع على صفين يتكون كل منها من أربع دعائم تفصل بينهما مسافات متساوية [٢] .

وتحمل الدعائم الخشبية بقواعدها المنحوتة في الصخر ، عوارض السقف التي تتجه من الشرق إلي الغرب ، ويتوج هذه الدعائم نوعان من التيجان : التيجان المزودة بالكوابيل ، والتيجان القيثارية (أى التي تشبه القيثارة) . أما النوع الأول فيتكون جسم الكابولى من مرواح تخيلية يتوسطها عرق عريض بارز منحوت بطريقة مجسمة [٣] . وفوق التاج نحتت خطوط ملساء ضيقة [٤] .

أما التيجان القيثارية فتتخذ أشكالا مختلفة ، فهى إما على شكل قيثارة ، أو على شكل زهرة اللوتس المتفتحة ويلاحظ أن هذه الدعائم من النوع المسطح تبدو وكأنما نحتت من الخشب [٥] .

ومن خلال هذا العرض الموجز للعناصر المعمارية والزخرفية في المسجد يمكننا تحديد تاريخ بنائه،فعقود المدخل تتشابه مع أشكال العقود في العمارة الأيوبية في مصر والشام،وسحف(أفاريز)الجدران البارزة كانت شائعة كأحد أنماط العمارة في اليمن في أواخر ق٦ هـ وأوائل ق٧ هـ/١٢– ١٣م،كما تتشابه التيجان ذات الكوابيل،مع تيجان أعمدة عدة مساجد أخرى في اليمن مثل مسجد حوث الذى ينتمى إلي نفس الفترة الأيوبية،وإن كان من بناء الأئمة الزيدية،وعلى هذا الأساس يمكن القول بأن مسجد تيثد قد تم بناؤه في بداية ق ٧ هـ / أوائل ق ١٣م [٦] .

---

[١] سجاف : هو الافريز العلوى الذى يدور حول السقف من أدناه .
[٢] _تقارير أثرية ، ج١ / ٤١_
[٣] _انظر لوحة رقم [٢]_ .
[٤] بربارة فنستر : _تقارير أثرية ، ج١ / ٤٢_
[٥] _انظر لوحة رقم [٣]_ .
[٦] بربارة فنستر : _تقارير أثرية ، ج١ / ٤٣_ .

٨- المسجـــد الكبير بإب

يقع هذا المسجد على ربوة عالية في وسط مدينة إب ، يتم الصعود إليـــه عن طريق ممرات عديدة ، ويرجع تاريخ تأسيسه وفقا للعديد من الروايات إلي عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه [١] . وقد توالت عليـــه عـــدة اضـــافات وتجديدات خلال فترات متعاقبة من التاريخ الإسلامى ، لعل أشـــهرها تجديـــدات القائد حسين بن سلامة في بدايات ق ٥ هـــ / أوائل ق ١١ م [٢] .

أما معظم عمارة الجامع القائمة الآن فإنها تنسب إلي الأمير أســـد الـــدين محمد بن الأمير بدر الدين الحسن بن على بن رسول (ت ٦٧٧ هـــ / ١٢٧٨ م) ابن أخى المنصور نور الدين مؤسس الدولة الرسولية [٣] ، الذى قام بعملية اصلاح شاملة للمسجد أثناء عمارته للمدرسة الأسدية المنسوبة اليـــه ، ويمكـــن تقـــدير التجديدات المنسوبة للأمير أسد الدين في الجناح الشمالى من المسجد [٤] .

وينفتح في المسجد ثلاثة مداخل في الجانب الغربى ، منها مدخل في الجدار الجنوبى الغربى ، ومدخلين في الجدار الشمالى يتقدمهما ظلة تعلوها ثلاثـــة قبـــاب متجاورة ، ويفضى المدخل الجنوبى إلي ردهة تؤدى إلي المجنبة الغربية التى تتألف من بلاطتين ، بينما تشتمل المجنبة الجنوبية من الرواق على بلاطة واحدة ، ويلاحظ أن معظم عقود هذه البلاطات منفوخة ومدببة [٥] .

ويهمنا هنا التوسعات والتجديدات التى أجريت على عمارة هذا الجامع في العصر موضوع الدراسة ، وأول المواضع التى امتدت إليها يد التجديدات والزيـــادة بيت الصلاة الذى تعرض للإضافات والتجديدات العديدة التى تمت به في فتـــرات مختلفة [٦] . ويتوسط المحراب جدار القبلة ، وتحيط به تربيعـــة جصـــية مســـتطيلة

---

[١] كما هو الحال في هذه المساجد القديمة فإن موضعا معينا من مساحة المسجد يعد هو المسجد الأصلى الذى أقيم في البداية ، أما بالنسبة للمسجد الأصلى في جامع إب فيقع في الرواق السابع من بيت الصلاة الحالى من الجهة الغربية . (راجع :تقارير اثرية ، ج١ /ص ٦٣) .
[٢] تقارير اثرية ، ج١ / ٦٣ ؛ مصطفى شيحه : المرجع اسابق ، ص ٥٨ .
[٣] الخزرجى :العقود ، ج١ / ١٧٩ ؛ يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ، ق ٨١ .
[٤] تقارير اثرية ، ج١ / ٧٠ وقد أدخلت على المسجد عدة تجديدات أخرى في عهد بنى طاهر والعهود التالية . راجع عنها بالتفصيل :تقارير اثرية ، ج١ / ٦٣ .
[٥] مصطفى شيحه : المرجع السابق ، ص ٥٨ ؛ Berbara Finster , the Arch . P . 255
[٦] مصطفى شيحه : المرجع السابق ، ص ٥٩ .

الشكل، ويعلو المحراب عقدان ويكتنفه من الناحيتين زخارف ملونة حديثة ، ونطالع على المحراب بعض الآيات القرآنية ، والى يسار هذا المحراب جوفة محراب آخر حديث الإنشاء ، أما المنبر فيقع إلي الشرق منه ، وهو منبر قديم من الخشب يضم بعض الحشوات التي ترجع إلي العصر موضوع الدراسة ، وتتميز هذه الحشوات بأنها متخذة من خشب الخرط المفرغ بالزخارف ، وتحتوى على بعض الكتابات الأثرية التي تشير لتاريخ صناعة هذا المنبر نطالع منها (بسم الله الرحمن الرحيم ، أمر بعمل هذا المنبر المقام العالى المولوى الأمجدى الأوحدى شيخ ....محيى الأنام ونظام الاسلام) وعلى حشوة أخرى نطالع (عمل هذا المنبر المبارك في العشرين من ذى الحجة سنة ست وثمان ماية)[١] .

ويتألف بيت الصلاة من ست بلاطات موازية لجدار القبلة يقطعها في الوسط مجاز قاطع يتعامد على مساحة القبة المتقدمة للمحراب،ويلاحظ هنا أن بعض العقود مدببة،والبعض الآخر نصف مستدير[٢].وتغطى هذه البلاطات سقوف مسطحة من الخشب ،ويتميز السقف الخشبي للمجاز ببقاء بعض المصندقات الخشبية ذوات الزخارف النباتية والهندسية [٣] . ويلاحظ وجود كتابة نسخية جهة المداخل الشمالية من الجدار الغربى نطالع منها النص التالى (بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله وحده ، أمر بعمارة هذا المقدم في " وعلى السطر الثانى" الجامع المبارك مولانا المقام العالى المولوى الأسدى أسد الدين محمد ... عز نصره)[٤].

أما المئذنة فقد تعرضت بدورها لأعمال التجديد ، فيشير د. مصطفى شيحه إلي وجود تاريخ هذا التجديد داخل قاعدة المئذنة على افريز من الحجر بالجدار الشرقى يشير إلي أنها أنشئت سنة ٦٨٥ هـ ، ويتوزع النقش الكتابى على سطرين قرأها على النحو التالى (أمر بعمارة هذه المنارة المباركة مولانا الأوحد نور الدين ....) ، وعلى السطر الثانى (.... المسلمين محمد بن اسماعيل بن محمد

---

(١) مصطفى شيحه نفس المرجع والصفحة .

(٢) Berbara Finster , The Arch P . 255.

مصطفى شيحه : نفس المرجع والصفحة .

(٣) تقارير أثرية ، جا / ٦٥ وشكل رقم [ ] .

(٤) مصطفى شيحه : المرجع السابق ، ص ٦٠ .

بن... سنة خمس وثمانين وستماية) [١] ، ونرجح اعتمادا على ما ورد في نفس النص التأسيسى السابق أن يكون تاريخ هذا التجديد هو عام ٦٣٥ هـ وليس ٦٨٥ هـ ، وذلك استنادا على ورود لقب نور الدين كلقب للآمر بهذه العمارة ، ومن المعروف أن السلطان الوحيد الذى حمل هذا اللقب ونعت به المنصور نور الدين عمر بن على بن رسول (ت ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م) مؤسس الدولة الرسولية ، ويدعم رأينا ما ذكره د. مصطفى من عدم تأكده من صواب هذه القراءة ، نظرا للظلام الدامس الذى يلف قاعدة المئذنة [٢] .

وتقع المئذنة في الناحية الجنوبية الشرقية ، وهى على شكل بدن مثمن الأضلاع مرتفع ، يرتكز على قاعدة حجرية مربعة ، وتعلو البدن المثمن شرفة تزدان من الخارج بمقرنصات ، ويتوجها من أعلى طاقية مقببة من جزئين ذات إطار دائرى بارز إلي الخارج ، ويمتاز البدن الرئيسى المثمن بزخارف هندسية جصية[٣] .

٩- الجامع المظفرى بتعز

أنشأه المظفر الرسولى في منطقة ذى عدينة إحدى أرباض مدينة تعز [٤] ، ويسميه ابن الديبع بالجامع الأعظم [٥] ، ومن المعروف أن المظفر رتب فيه إماما وخطيبا ومؤذنين يتناوبان الآذان في أوقات الصلاة ، وقيمين يشرفان على خدمة المسجد ، ووقف عليه ما يقوم بكفاية الجميع [٦] .

---

(١) مصطفى شيحه : *المرجع السابق* ، ص ٦٠ ، أما الاسم الموجود على السطر الثانى من القراءة فنرجح أنه لأحد القضاة الذين أوكل إليهم مهمة الإشراف على هذه العمارة ، حيث إعتاد السلاطين آنذاك تكليف قضاة المسلمين بهذه المهام الإشرافية . (راجع مثال لذلك في الخزرجى : *العقود* ، ج٢ / ١٨٠) .

(٢) مصطفى شيحه : *المرجع السابق* ، ص ٦٠ هـ ٢ .

(٣) مصطفى شيحه : *نفس المرجع والصفحة* ؛ محمود إبراهيم حسين : *المآذن اليمنية دراسة أثرية فنية* ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٤٢ *ولوحة رقم ٢٤* ص ١١٣ .

(٤) الخزرجى : *الكفاية* ، ق ١٢٦ ؛ ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٣٣٥ ؛ الأكوع : *المدارس الإسلامية* ، ص ١٠٧ . أما عدينة بالتصغير فهى أحد أرباض ثلاثة لمدينة تعز (عدينة ، والمغربة وتقع بين جبل صبر وحصن قاهرة تعز ، والمشرقية وهى غير معروفة اليوم ولعل المقصود بها ربض ومنتزه ثعبات . (راجع : الأكوع : *البلدان اليمانية* ، ص ٢٠٤ وهـ ٤) .

(٥) ابن الديبع : *الفضل المزيد* ، ص ٩١ كذلك كان الجامع المظفرى يعرف بجامع ذى عدينة نسبة لمكان إنشائه . (راجع : الأكوع : *البلدان اليمانية* ، ص ٢٠٤ هـ ٣) .

(٦) الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ٢٣٣ .

ويعد الجامع المظفرى درة العمارة الرسولية،فهو الجامع الوحيد الباقى من عهد بنى رسول[١].ومما يؤسف له أن المصادر التى أشارت إلي عمارة المظفر الرسولى لهذا الجامع،اكتفت بهذه الاشارة في سياق عرضها لمآثر المظفر الدينية،دون الحديث عن تاريخ عمارة هذا الجامع أو تاريخ الفراغ منه،الأمر الذى يجعلنا نرجح أن عمارة مثل هذا الجامع الضخم بكل ما يحتويه من عناصر وتفاصيل معمارية وزخرفية بالغة الروعة سواء في التخطيط أو التنفيذ،قد تمت في فترة زمنية اتسمت بالاستقرار السياسى والازدهار الاقتصادى،الذى يساعد على البناء والتعمير،ولذا نرجح أن بناءه تم في النصف الثانى من فترة حكم الملك المظفر الطويلة التى دامت حوالى ٤٧ عام من(٦٤٧–٦٩٤ هـ/٤٩ – ١٢٩٤م)،ومن المعروف أن الفترة الثانية من حكم المظفر اتسمت بالاستقرار الداخلى بعد أن دانت له البلاد بالطاعة، واتسع نطاق حكمه ليشمل معظم أنحاء اليمن،ويمتد نفوذه إلي مكة[٢]،وقد انعكس ذلك بوضوح على المنشآت التى أقيمت في عهده بقيمها البنائية العالية .

ولقد امتدت أعمال التجديد والزيادة في هذا الجامع المظفرى شأن المساجد القديمة الأخرى ، فتشير المصادر إلي قيام الملك المجاهد الرسولى بزيادة مساحة الجامع من الناحية الغربية ، وعرفت بالزيادة الغربية ، بينما تنسب الزيادة الشرقية إلي السلطان الأشرف الثانى الرسولى الذى أمر بإحداثها عام ٧٩٣ هـ / ١٣٩٠ م واستحث الناس على الفراغ منها ، فلما اكتمل بناؤها انتفع الناس بها انتفاعا عظيما ، وكثر الدعاء للسلطان [٣] .

ويشغل الجامع المظفرى من الخارج مساحة كبيرة مستطيلة الشكل تمتد من الشرق إلي الغرب [٤] ، وللجامع أربع واجهات ، ويعد بيت الصلاة أكثر اتساعا

---

[١] *Berbara Finster , The Arch . P . 256 .*

[٢] محمد عبد العال أحمد أضواء جديدة على إحياء الخلافة العباسية ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، ص ٦٦ – ٦٩ ومما ذكر تعليقا على مدة حكمه الطويلة ، وحسن سياسته وتدبيره للملك ما قيل على لسان أحد الأئمة الزيدية حينما بلغة نبأ وفاته فقال " مات تبع الأكبر مات معاوية الزمان ، مات من كانت أقلامه تكسر سيوفنا وسلاحنا " (راجع : ابن عبد المجيد :*بهجة الزمن* ، ص ١٧١ - ١٧٢ ؛ الكبسى *اللطائف السنية* ، ق ٥٤) .

[٣] الخزرجى :*العقود* ، ج٢ / ١٠٧ ، ١٨٧ ، ٢٦٠ ؛*العسجد* ، و ٢٦٧ ، *الكفاية* ، ق ١٨٤ ، ٢١٣ ، الفاسى . *العقد الثمين* ، ج٦ / ١٧٣ ١٧٤ ؛ ابن الديبع :*قرة العيون* ، ص ٣٦٨ ، ٣٨٦

[٤] مصطفى شيحه · *المرجع السابق* ، ص ٩٣ ، *وراجع الشكل رقم ٣ واللوحة رقم ٣*

من غيره من بيوت الصلاة ، ويشكل مع جدار القبلة ، واجهة رئيسية مهيبة باتجاه مدينة تعز [١] ، وتتميز هذه الواجهة بالابداع الزخرفي ممثلا في تكوينات هندسية تزدحم بها الواجهة من الخارج [٢] ، ويعلو رواق القبلة ثلاثة قباب متساوية الحجم[٣] . وقد قسم المعمار الرسولى واجهة جدار القبلة من الخارج إلي قسمين شبه متساويين تتخللهما مجموعة من النوافذ ، ونلاحظ أن مجموعة النوافذ السفلية ترتفع ابعض الشئ عن مستوى سطح الأرض ، ويعلو هذه النوافذ مجموعة أخرى من النوافذ العلوية المعقودة ، ويفصل بين كل نافذة ومثيلتها بدخلتين مسمطتين يعلوهما رأسين معقودين على شكل الدلايات [٤] .

ويكتظ القطاع العلوى من واجهة المحراب بضروب من الجدائل المتشابكة المحفورة في الجص ، عمد إليها الفنان الرسولي في محاولة منه لملء فراغ الواجهة العريضة . أما بقية واجهات الجامع سواء الغربية أو الجنوبية أو الشرقية ، فتتفتح فيها المداخل المؤدية إلي المسحد ، ونلاحظ أن المدخل الرئيس ينفتح في الواجهة الغربية ، وهو عبارة عن مدخل بارز عن سمت جدار الواجهة ، يتوجه عقد مفصص يتكون من سبعة فصوص ، ويكتنف جانبي المدخل مسطبتان ، كما يجاور كتلة الدخول فتحة باب معقودة لعلها تفضى بدورها إلي بيت الصلاة [٥] .

أما بيت الصلاة فيشغل مساحة مستطيلة الشكل تمتد من الشرق إلي الغرب ويشتمل جدار القبلة على المحراب المنحرف عن محور جدار القبلة ، ويعد هذا الجدار أكثر الأجزاء قدماً في الجامع المظفرى ، ويشتمل بيت الصلاة على أربع بلاطات (أساكيب) تمتد عقودها بحذاء جدار القبلة ، وعقود بيت الصلاة من النوع المنفوخ المنكسر ، ويعلو رواق المحراب ثلاثة قباب متجاورة كبيرة ، تتميز الوسطى منها بأنها أكثر إرتفاعا ، ويفصل بين القباب الثلاثة فراغات غير منتظمة[٦] وتزين الزخارف الجصية الملونة بواطن القباب ، وتزدان العقود وواجهاتها

---

(١) Berbara Finster , The Arch . P . 256 .

(٢) أنظر : اللوحة رقم [٥] .

(٣) Berbara Finster , op . cit , 256 .
مصطفى شيحه : المرجع السابق ، ص ٩٣ .

(٤) أنظر :لوحة رقم [٥] .

(٥) أنظر :لوحة رقم [٤] .

(٦) راجع : المسقط الأفقي للجامع .

بالكتابات والزخارف النباتية والهندسية ، ومن الملاحظ أن عمارة هذا الرواق تعرضت لعدة اصلاحات أجريت به خلال فترات تالية لإنشائه [١]

وتقوم القبة الرئيسة على أربع جوفات مقوسة في الأركان الأربعة من قاعدة القبة تحصر بينها أشكالا من العقود المفصصة المزينة بتجاويف صماء ، ويزدان باطن القبة والحنايا والجوفات المقوسة بزخارف ملونة وآيات من القرآن الكريم ، وتتماثل القباب الثلاث من حيث العناصر المعمارية والوحدات الزخرفية ، وإن كانت القبة الشرقية تفوق القبة الغربية في اكتظاظ زخارفها [٢] .

أما الصحن فيتخذ شكل مستطيل صغير تحيط به ثلاث مجنبات من الجهة الجنوبية والشرقية والغربية ، كل مجنبة تشتمل على رواق واحد وتشرف على الصحن ببوائك محمولة على دعائم ، وتعلو المجنبات الثلاث المحيطة بصحن المسجد قباب ضحلة ، ونلاحظ من خلال المخطط الأفقي للجامع المظفرى أن المجنبتين الشرقة والغربية تعلو كلا منهما قبتان إلا أن المجنبة الغربية انهارت إحدى قبتيها ، أما المجنبة الجنوبية فيعلوها خمسة قباب غير متساوية في الحجم ، ويلاحظ أن قبتى الركنين بهذه المجنبة تزيد في الاتساع عن القباب الثلاث الأخرى [٣] .

أما مئذنة الجامع المظفرى فقد سقطت عام ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م واستعيض عنها بمئذنة حديثة [٤] وكانت المئذنة القديمة تقع في الركن الجنوبى لشرقة من المسجد ، وكانت تتكون من قاعدة مربعة الشكل تزدان بمجموعة دخلات معقودة تعلوها أربعة أفارير أفقية تتوج هده الدخلات من أعلى [٥] .

أما المدخل المؤدى إلي أعلى المئذنة ، فكان يقع في الجهة الشمالية من القاعدة المربعة ، ويعلو هده القاعدة بدن المئذنة وهو مثمن الشكل ويتكون من ربعة أجزاء مختلفة من حيث الارتفاع ، ويفصل بين كل جزء وآخر شرفات ذات

---

(١) مصطفى شيحه : نفسه ، ص ٩٣ ؛ Berbara Finster , op . cit , 256

(٢) مصطفى شيحه المرجع السابق ، ص ٩٣

(٣) راجع المسقط الأفقى للجامع

(٤) ابن الديبع : قرة العيون ، ص ٣٣٥ هـ ٣ للمحقق ؛ الأكوع : المدارس الإسلامية ، ص ١٠٧ ؛ مصطفى شيحه المرجع السابق ، ص ٩٣ ؛ Berbara , op . cit , 256

Lewcock , Smith " Three Mediveal Mosques in The Yemen oriental Art , vol XX , no 1 , Spring , 1974 , Part , I , P 77

(٥) راجع اللوحه الخاصه بالمئذنه القديمه

حطات مجوفة [١] ويتميز البدن المثمن الذى يلى القاعدة بعدة تجويفـات رأسـية ، ويلى هذا البدن المثمن شرفة دائرية بارزة ترتكز على صفين من الحطات المجوفـة ، ويعلو البدن المثمن الأدنى بدن مثمن ثانى يتميز بأنه أقل مساحة وارتفاعا من سابقه ويتميز كل ضلع من أضلاعه بدخلة رأسية معقودة ضحلة ، ويتوج هـذا البـدن المثمن إطار مفصص من الآخر ، يرتكز عليه البدن الثالث الذى جاء بدوره مـثمن الشكل ويقل في المساحة والارتفاع عن البدن الثانى ، وتنفتح في أضـلاعه عـدة فتحات مستطيلة ، وينتهى هذا البدن بقمة المئذنة وهى نصف كروية تحيط بها عدة حليات معمارية [٢] .

(١) Lewcock , Smith , Three Mediveal , P . 77 . وكذلك لوحة المئذنة .
(٢) أنظر :لوحة المئذنة Lewcock , Smith , Ibid .

(٢) المساجد الدارسة

أ- المساجد التي أنشأها السلاطين

وبالإضافة إلي هذه المساجد التي لاتزال قائمة ، أمدتنا المصادر والوثائق بالعديد من أسماء المساجد والجوامع المندثرة والتي تنافس حكام اليمن في العصر موضوع الدراسة على إقامتها بشتى أنحاء اليمن ، فضلا عن ترميم ما تشعث منها[1] ، ولم يكن الحكام وحدهم هم الأسخياء في عطائهم المعماري فقط بل نهج نهجهم العديد من الأمراء ، وأفراد الأسرة المالكة نساء ورجالا ، وغيرهم من القادة وأعيان المجتمع من الفقهاء والعلماء والتجار ، كما كان الحال في العديد من البلدان الاسلامية الأخرى ، وذلك تقربا إلي الله تعالى من جهة ، وحرصا على النهوض بالحركة العلمية في اليمن من جهة أخرى بإقامة هذه المؤسسات التعليمية والانفاق عليها بحبس الأوقاف للصرف منها .

وتعرضنا فيما سبق لاهتمامات الحكام الأيوبيين بالمنشآت المعمارية الدينية، وأوضحنا إقبالهم على أعمال التجديد والتوسيع لعدد من المساجد اليمنية القديمة ، كذلك يؤثر عن بعضهم الاهتمام بابتناء العديد من المآثر الدينية منها المساجد ، فالأتابك سيف الدين سنقر ينسب إليه بناء مسجد جامع بمغربة تعز ، كان يعرف بجامع المغربة ، وأحيانا بجامع المعز نسبة للملك المعز اسماعيل بن طغتكين ، وصنع له

---

[1] لعل من ابرز الأمثلة الدالة على اهتمام حكام اليمن بهذه المنشآت المعمارية الدينية ما أمدتنا به المصادر على سبيل المثال عن اهتمام الأشرف الثانى الرسولى بتلك العمائر ويتمثل ذلك في قيامه بحصر ما هو موجود منها بوادى زبيد عام ٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ م من مساجد ومدارس فزاد عددها عن ٢٣٠ مسجدا ومدرسة . وكان قبل ذلك بحوالى ثلاثة أعوام أى في سنة ٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م ، قد أصدر مرسوما بعمارة كافة المساجد والمدارس والأسبلة بوادى زبيد ، وإعادة ما تشعث منها إلي حالتها الأولي بعد أن استولى الخراب على كثير منها حتى " ألصقها بالأرض " ، وبلغ عدد ما امتدت إليه أعمال التجديد والاصلاح من تلك العمائر الدينية حوالى ٦٥ موضعا اجتهد القاضى سراج الدين عبد اللطيف بن سالم الذى أوكل إليه هذا الأمر اجتهادا كليا في سبيل احيائها ، حتى استطاع إعادتها على " حقائقها المعتادة ورسومها القديمة وأحيا السبل الدائرة ، وقام في ذلك حق القيام (راجع : الخزرجى : *العقود* ، ج٢ / ١٨٠ ، ٢٠٣ ، *الكفاية* ، ق ٢١١ ابن الديبع : *الفضل المزيد* ، ص ١٠٤ ، وراجع عن *أسماء هذه المآثر الدينية ملحق رقم (١) بآخر الكتاب* .

منبـــرا كان آية في جمال الصنعة وابداع الزخرفة ، كما ابتنى جامعا ثانيا في مدينة خنفر بأرض أبين [١] .

كذلك أولى عدد آخر من أمراء الدولة الأيوبية للمنشآت الدينية وعلـــى رأسها المساجد اهتمامهم وعنايتهم ، فابتنى الأمير وردسار أمير صـــنعاء مســـجداً بالجند خارج المدينة في ناحية جبل صرب عرف بمسجد صــرب ، تم دفنـــه فيـــه وأقيمت فوق ضريحه قبة وذلك في أعقاب نقل جثمانه من حصـــن الســـمدان الى موضع مسجده عام ٦١٠ هـــ / ١٢١٣ م [٢] كذلك أنشأ الأمير عثمان الزنجبيلى مسجداً في عدن وأوقف عليه متحصلات خان البـــز بنفس المدينة للصرف منـــها على احتياجاته ، وما زاد من أموال الوقف كان يوجه للصرف على احتياجـــات المسجد الحرام بمكة [٣] ، ومن هؤلاء الأمراء أيضا الأمير سيف الدولة مبارك بـــن منقذ ، أحد أمراء الدولة الصلاحية ونائب توران شاه على حكم زبيد ، وقد سبق أن أوضحنا اهتمامه بعمارة المقدم من جامع زبيد ، كذلك ابتنى مســـجداً جامعـــاً بنفس المدينة كان يعرف بمسجد المناخ ، وكان ملاصقا لدرب المنـــاخ الكـــبير في الناحية الشمالية من المدينة عند باب شخار أحد أبواب مدينـــة زبيـــد الثمانيـــة ، ويذكر الخزرجى أن هذا الباب انهدم في عام ٧٧٧ هـــ ووصفه بقوله " كان بابـــا كبيرا غربى المسجد المذكور ، يده [دلفته] الشرقية على جدار المسجد ، ويـــده الغربية على جدار الاصطبل " ، وقد أوقف الأمير المذكور على المسجد وقفاً جليلاً في زبيد [٤] .

وأشادت المصادر أيضا باهتمامات بنى رسول في تشييد العمائر الدينية وفي مقدمتها المساجد ، فتذكر أن مؤسس دولتهم وهو الملك المنصور " ابتنى في كـــل قرية من التهائم مسجدا ، ووقف عليها أوقافا جيدة " [٥] . كما ابتنى مســـجدا في

---

[١] يحيى بن الحسين : <u>*أنباء الزمن*</u> ، ق ٣٠٥ ؛ الخزرجى : <u>*العسجد*</u> ، ق ١٠٦ ، <u>*الكفاية*</u> ، ق ٨٦ ؛ ابن الديبع : <u>*قرة العيون*</u> ، ص ٢٨٩ . أما مدينة خنفر فهى مدينة خربة بوسط وادى أبين الواقع شمال شرقى عدن وكان لها شهرة تاريخية في أحداث اليمن الهامة (راجع : الأكوع : <u>*البلدان اليمانية*</u> ، ص ١٦ وهـ ٢ ؛ المقحفى : <u>معجم المدن</u> ، ص ١٤٥) .

[٢] الخزرجى : <u>*الكفاية*</u> ، ق ٨٦ ، <u>*العقود*</u> ، ج١ / ٥٧ .

[٣] الخزرجى : <u>*العسجد*</u> ، ق ٩٥ ؛ ابن الديبع : <u>*قرة العيون*</u> ، ص ٢٧٣ .

[٤] الخزرجى : <u>*العسجد*</u> ، ق ٩٤ ، <u>*الكفاية*</u> ، ق ٧٦ ؛ ابن الديبع : <u>*قرة العيون*</u> ، ص ٢٧٢ .

[٥] الجندى: <u>*السلوك*</u> ، ج٥٤٣/٢ ؛ الخزرجى: <u>*العقود*</u> ، ج١ / ٨٢ ؛ ابن الديبع : <u>*قرة العيون*</u> ، ص ٣١٢ .

مفازة النورى الواقعة فيما بين حيس وزبيد ورتب فيه إمامين [١] ، يقومان بإمامة المصلين بالتناوب ، ونلاحظ أنه لم ترد إشارة لتعيين خطيب بهذا المسجد ، الأمر الذى يدعونا إلي القول بأنه كان مسجداً قاصر على أداء الصلوات الخمس فقط ، أى أنه لم يكن مسجداً جامعاً ، كما يفهم من النص أيضا أن هذا المسجد كان يضم ملحقات سكنية مخصصة لإقامة هذين الإمامين حيث يقول الخزرجى " واشترط لمن يسكن معهما مسامحة فيما يزرعه .... " [٢] .

كذلك سار الملك المظفر على نهج أبيه من حيث الاهتمام بتشييد المساجد فتشير المصادر إلي قيامه ببناء عدد من المساجد بأنحاء متفرقة من اليمن منها جامع المهجم بتهامه وكان يعرف أيضا بالجامع المظفرى ، ولم يتبق منه الآن سوى جزء من منارته [٣] وكانت تقوم في الركن الجنوبي الشرقى من المسجد الجامع ، الذى كان يشغل مساحة عظيمة ، وكانت أسقفه مغطاة بقباب ، ويقوم على ما يزيد على ثلاثمائة سارية (عمود) ، وكان يعد أحد ذخائر المظفر ، وتذكر المصادر أن جميع القرآن الكريم كان مكتوبا على جدرانه وسواريه [٤] ، ورتب فيه المظفر مدرسا ودارسين ، وإماماً ، وخطيباً ، ومؤذناً ، وقيماً ، ومعلماً ، وأيتاماً ، ووقف عليهم وقفاً جيداً يقوم بكفايتهم [٥] ، الأمر الذى يوضح ويؤكد عظمة هذا المجمع الدينى التعليمى .

كذلك ابتنى المظفر مسجداً جامعاً في مغربة تعز ، كان يعرف في زمن الخزرجى بالمسجد الجديد ، ورتب فيه بدوره " إماماً وخطيباً ومؤذنين وقيمين ، ووقف عليه ما يقوم بكفاية الجميع " [٦] ، وبنى جامع واسط بالمحالب وذلك للفقيه محمد بن عبد الله الحارثى الذى تولى التدريس فيه [٧] ، ورتب فيه مدرسا وطلبة

---

[١] راجع ابن الديبع : قرة العيون ، ص ٣١٢ حيث ذكر أنهما إماما ومؤذنا . راجع أيضا : لنفس المؤلف : الفضل المزيد ، ص ٩٠ .

[٢] الخزرجى : العقود ، ج١ / ٨٣ ، الكفاية ، ق ٩٩ ؛ ابن الذيبع : قرة العيون ، ص ٣١٢ .

[٣] انظر : اللوحة رقم [٧] .

[٤] Berbara Finster , op . cit , p . 255 .
ابن الديبع : قرة العيون ، ص ٣٣٥ ، الفضل المزيد ، ص ٩١ .

[٥] الأكوع : المدارس الإسلامية ، ص ١٠٧ ؛ الخزرجى : العقود ، ج١ / ٢٣٣ .

[٦] الجندى السلوك ، ج٢/ ٥٥٢ ؛ الخررجى العقود ، ج١/ ٢٣٣ ؛ ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص ٩١

[٧] الجندى ، السلوك ، ج٢ ، ٢٣٣

وإماماً وخطيباً ومؤذناً وقيماً وأيتاماً ، ووقف عليهم ما يقوم بكفايتهم [١] ، ومن مآثره أيضا بناء جامع المنسكية [٢] ، ورتب فيه مدرسا ودارسين ، ومن أوائل من تولى التدريس به الفقيه أبو عبد الله محمد بن عمر بن الأحمر الخزرجي الأنصاري الساعدي (٦٣٩- ٧٠٧ هـ / ١٢٤١ - ١٣٠٧ م) ، الذى ظل قائما على تدريس الفقه بذلك المسجد الجامع حتى وافته المنية في العام المذكور [٣] .

كذلك كان طواشيه نظام الدين مختص المظفري (ت ٦٦٦ هـ / ١٢٦٧م) " راغبا في طلب الأجر وبقاء الذكر " ، فابتنى بدوره عدة منشآت دينية منها المسجد المعروف بمسجد السابق النظامي في مدينة زبيد ، وهذه التسمية نسبة لأحد مماليكه ربما كان هو المشرف على عمارة المسجد [٤] .

أما السلطان الملك المجاهد ، فقد نهج بدوره نهج أسلافه في الاهتمام بعمارة المسجد ، فابتنى في عام ٥٧٥ هـ / ١٣٥٠ م ، جامعا في قرية النويدرة خارج باب سهام أحد أبواب مدينة زبيد ، ورتب فيه إماما وخطيبا وقيما ومعلما يقوم بتعليم الأيتام القرآن الكريم ، كما عين به مدرسا لتدريس الفقه ومجموعة من الطلبة، وجعل للجامع نزاحا للماء [٥] . وأنشأ مسجدا ثانيا عند بستان الراحة المعروف بحائط لبيق الواقع خارج باب زبيد الشرقي وهو باب الشبارق ، ورتب

---

(١) الخزرجي : *الكفاية* ، ق ١٢٦ ؛ *العقود* ، ج١ / ٢٣٣ ؛ ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٣٣٥ .

(٢) المنسكية : إحدى قرى وادى سهام بزبيد ، وتقع فيما بين المنصورية والمراوعة ، وكانت بها إحدى مدارس المنصور نور الدين بن رسول . (راجع : المقحفي : *معجم المدن* ، ص ٤١٢) .

(٣) الخزرجي : *العقود* ، ج١ / ٣١٠ .

(٤) الخزرجي : *العقود* ، ج١ / ١٥٢ ؛ ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٣٣٥ . والمسجد كان يقع جنوبى دار السلطان بزبيد . أما نظام الدين مختص فكان في الأصل مولى للأمير بدر الدين غازى بن جبريل أتابك الملك الناصر أيوب طغتكين ، ثم خدم المنصور نور الدين عمر بن رسول ، فجعله أتابكا لولده المظفر فقام على تربيته وتأديبه ، ولما تولى المظفر السلطنة رفعه إلى إمرة الطبلخاناه ، وأقطعه إقطاعا جليلا ، فكان جديرا لما ندب إليه من أعمال . ومن مآثره بناء المطاهر بجامع ذى أشرق ، وأوقف عليه أوقافا جيدة ، وعدة مدارس أخرى منها المدرسة النظامية بزبيد ، وأخرى في ذى جبلة ، وثالثة بذى هزيم إحدى نواحي تعز ، ومواضع أخرى . (راجع : الجندى : *السلوك* ، ج٢ ، ق ٢٣٣ ؛ الخزرجي : *العقود* ، ج١ / ١٤٠ ، ١٥٢ - ١٥٣ ؛ ابن الديبع : *الفضل المزيد* ، ص ٩١) .

(٥) الخزرجي : *العقود* ، ج٢ / ١٠٧ ؛ *الكفاية* ، ق ١٨٤ ؛ ابن الديبع : *الفضل المزيد* ، ص ٩٩ ؛ الفاسى : *العقد الثمين* ، ج٦ / ١٧٣ - ١٧٤ . أما النويدرة فهى قرية دارسة تقع شمال شرقى زبيد تعرف اليوم بالمراحل (راجع : ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٣٦٨ وهـ ٢ للمحقق) .

فيه إماماً ومؤذناً وقيماً ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن [١] . ويبدو من قائمة المرتبين بالمسجد أنه كان مسجداً صغيراً مخصصاً لآداء الصلوات الخمس وتحفيظ الصبية القرآن ، بدليل خلو قائمة المرتبين من خطيب للمسجد . كذلك ابتنى مدرسة في ناحية الجبيل بمدينة تعز ، جعلها جامعا لخدمة تلك الناحية ورتب فيها بدوره إماماً ومؤذناً وخطيباً وقيماً ومدرساً للفقه ومحدثاً وطلبة ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن[٢]، كما جعل بها خانقاه ورتب فيها شيخا ونقيبا للفقراء [٣] ، ووقف على جميع منشآته الدينية أوقافا جيدة في وادى زبيد ومدينة تعز من " محاسن أملاكه ورباعا وضياعا" [٤] .

كما ابتنى أيضا في عام ٧٣٤ هـ / ١٣٣٣ م ، جامعا في " ثعبات " بتعز، رتب فيه إماما ومؤذنا وخطيبا ومعلما وأيتاما يتعلمون القرآن الكريم ، ومحدثا يقرئ حديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، ووقف السلطان عليه وقفا جيدا يقوم بكفاية الجميع منهم [٥] .

وقد تناولت إحدى الوقفيات الرسولية وتعرف بالوثيقة أو الوقفية الغسانية[٦] هذا الجامع المندثر بالوصف المعمارى له ، كما أوضحت الوظائف التى رتبها الواقف — ونعنى به الملك المجاهد الرسولى — في هذا الجامع الذى كان يقوم بدور تعليمى كمدرسة إلي جانب وظيفته الأصلية كأحد المساجد الجامعة .

فهو يتكون طبقا لنص الوقفية من صحن وأربعة إيوانات منها بيت الصلاة وثلاث مجنبات حيث ورد بها عند الحديث عن فرش الجامع ما نصه " ... ويصرف

---

(١) الأفضل الرسولى:*العطايا السنية*،ق ٣٦ ؛الخزرجى:*العقود*، ج٢ / ١٠٧؛*الكفاية*،ق١٨٧؛ الفاسى : *العقد الثمين* ، ج٦ / ٧٣ - ١٧٤ ؛ ابن الديبع :*قرة العيون* ، ص ٣٦٨ ، *الفضل المزيد* ، ص ٩٩ .

(٢) الخزرجى :*العقود* ، ج٢ / ١٠٦ ، وراجع : ابن الديبع :*قرة العيون* ، ص ٣٦٨ و هـ ١ .

(٣) الخزرجى :*العقود* ، ج٢ / ١٠٦ ، *الكفاية* ، ق ١٨٤ .

(٤) الخزرجى :*نفس المصدر والصفحة* ، *الكفاية* ، ق ١٨٤ .

(٥) الأفضل الرسولى : *العطايا السنية* ، ق ٣٦ ؛ الخزرجى :*العقود* ، ج٢ / ٥٩ ، ١٠٦ – ١٠٧ ، *الكفاية* ، ق ١٨٤ ، الفاسى :*العقد الثمين* ، ج٦ / ١٧٣ – ١٧٤ ؛ ابن الديبع :*قرة العيون* ، ص٣٦٨، *الفضل المزيد* ، ص ٩٩ .

(٦) اطلعت على نسخة خطية لهذه الوقفية تشمل بعض صفحات منها منسوخة بالقلم الرصاص بمكتبة المرحوم الأستاذ الدكتور محمد عبد العال أحمد الخاصة وتشتمل على بعض حجج الوقف الخاصة بجامع ثعبات ومجموعة من المدارس الرسولية منها المدرسة الأشرفية ، والمدرسة الظاهرية ، والمدرسة العباسية ، والمدرسة الجوهرية بتعز ، والمدرسة المعتبية ، والمدرسة الياقوتية بذى السفال وغيرها من مدارس العصر الرسولى

أيضا في قيمة حصر للمقدم والجناحين والمؤخر والمقصورة ومؤخرها والمعلامـــة ، وساير الأماكن المعتاد فرشها قدر الكفاية على ما يراه الناظر وفي آلـــة الاصـــلاح والتنظيف ... " [١] .

ومن هذا النص يتضح اشتمال المسجد على بيت الصلاة ومؤخرة (وهى المجنبة الجنوبية) وجناحين (هما الجنبتان الشرقية والغربية) أى كما أوضحنا صحن وثلاث مجنبات وبيت للصلاة ، كما يتضح من ذات النص أن هذا المسجد كـــان مخصصا لصلاة السلطان بدليل اشتماله على المقصورة ، ومن ناحية أخرى كان هذا المسجد جامعا تؤدى فيه صلاة الجمعة والعيدين ، إذ ورد في نص الوقفية ما يؤيـــد ذلك ونصه " وعلى خطيب يخطب في الجامع المذكور فوق المنبر فيـــه في الجـــامع والأعياد ويصلى بالناس صلاة الجمعة وصلاة العيدين ، فاضل كامل حسن الصوت ظاهر العدالة " [٢] .

وأشارت الوقفية أيضا إلي أن جامع ثعبات موضـــوع الدراســـة كانـــت عمارته تشتمل على منارة ، وإن لم تحدد الوقفية موقعها من المسجد ، وقد رتب لها الواقف مؤذناً وحددت لنا الوقفية المهام الموكولة إليه جاء فيها " وعلـــى المـــؤذن ملازمة الخمسة والإعلام بدخول الوقت وقت الصلاة ، والآذان الشرعى ، والاقامة بأمر الإمام والتكبير خلفه والتسبيح ليلا بالمنارة في الجامع المذكور أو ســـطحه في الأسبوع ليلة الجمعة ، وليلة الإثنين ، وعليه القيام مع الإمام بالتراويح والرغايـــب وليلة النصف من شعبان ، على حسب العادة " [٣] .

كذلك بينت الوقفية عددا آخر من الموظفين الذين رتبهم الواقف على هذا الجامع ، ومنهم الناظر أو النائب وهو الذى يتولى الاشراف على مصـــالح الجـــامع المذكور ، والصرف عليه من متحصلات الأراضى والدكاكين والمعصرة والحمـــام وغير ذلك من الأوقاف الموقوفة عليه ، ومباشرة عمارته واصلاح ما يتشعث منه ،

---

(١) راجع : *نص الوقفية* ، *ق ٩١ والملحق رقم [٤] بآخر الكتاب* .

(٢) راجع : *نص الوقفية* ، ق ٩٠ ونلاحظ أن الوقفية قد حددت راتبا عينيا يتقاضاه الخطيب غرة كل شهر حدده الواقف بخمسة عشر زبديا تعزيا من الحبوب المقتاتة (راجع : *نص الوقفية* ، ق ٩١) أما الزبدى التعزى فهو يساوى طبقا لنص الوقفية ١٤ رطلا مصريا والرطل المصرى حوالى ١٤٠ درهما (*راجع الجزء الخاص بالمكاييل والموازين من الكتاب*) .

(٣) راجع : *نص الوقفية* ، ق ٩٢ .

وتسليم الرواتب المحددة بالوقفية لسائر المرتبين والطلبة ، وقد وردت الاشـــارة إلي هده المها بعدة مواضع من الوقفية [1] . وفي موضع آخر منها تشير ســطورها إلي بعض المهام الموكولة للناظر أو من ينوب عنه ومنها الحرص على استغلال الأحباس الاستغلال الأمثل ، والتأكد من صحة العقود الموقعة بين المؤجرين والناظر ، كمـــا نصت الوقفية أيضا على أن مدة العقد لا تزيد عن ثلاث سنوات ، ولا يتم تـــأجير أى من الأحباس لمستأجر جديد ، إلا بعد إنتهاء مدة الايجار الأولى ويجـب علـى الناظر مراعاة الوقف والجامع مراعاة تامة ، وصيانته صيانة دائمة ، وتوفير الزيوت اللازمة لإضاءة المسجد الجامع في الأوقات التى تحتاج لذلك وبخاصة في المساء وأول خيوط الفجر ، وحددت سطور الوقفية عدد القناديل التى يجب اشعالها في المواضع التى تستحق ذلك بما لا يقل عن خمسة قناديل كل ليلة [2] .

كذلك بينت الوقفية عددا آخر من الوظائف المرتبة في هذا المسجد الجامع، والذى كان يقوم كما سبق الذكر بوظيفتين ، وظيفته الأساسية كأحد المســاجد الجامعة ، وكمدرسة ، إذ ذكرت الوقفية أنه رتب فيه شيخا برسم تدريس الحديث النبوى الشريف وقارئ للحديث المذكور ودرسه [3] . وفي موضـــع آخـــر يـــبين بصورة أكثر وضوحا مهام شيخ الحديث وقارئه ، والواجبات الملقاة على الطلبـــة وبيان المواد التى يقومون بدراستها وتشمل علوم الحديث والتفسير والنحو واللغـــة وغيرها من العلوم الدينية [4] .

أما عن الطلبة فتذكر الوقفية أنه على الطلبة متابعة الشـــيخ في الحـــديث النبوى الشريف ، والتفسير والوعظ والرقايق إسماعا واستماعا ، وكذلك في النحو واللغة والعلوم المقربة إلي الله عز وجل [5] . وفي موضع آخر تؤكد الوقفيـــة علـــى ضرورة اجتهاد الطلاب في المواظبة والتحصيل [6] .

---

[1] راجع : *نص الوقفية ، ق ٩٠*

[2] راجع : *نص الوقفية ، ق ٩١*

[3] راجع : *نص الوقفية ، ق ٩١*

[4] راجع . *نص الوقفية ، ق ٩٢*

[5] راجع : *نص الوقفية ، ق ٩١*

[6] راجع *نص الوقفية ، ق ٩٢*

ومن الوظائف المرتبة أيضا بالإضافة إلي من ذكرناه من المرتبين " الإمام " وأوضحت الوقفية وظيفته توضيحا تاما من حيث القيام بالناس في صلاة الجماعة في الأوقات الخمسة ، وكذلك النوافل كالتراويح وغيرها من النوافل واشترطت حفظه الكامل للقرآن الكريم وحسن الصوت وجودة التلاوة والمواظبة على عملـه [(١)] ، وعليه مراعاة وقت الفضيلة من أوقات الصلوات المفروضة والمواظبة عليها ، وتجنب كل ما تكرهه الجماعة وقيام شهر رمضان بالتراويح والنصف من شعبان والرغايب وصلاة الخسوف والكسوف بالجماعة على التخفيف عملا بوصية النبى (صـلعم) "إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فإن منهم السقيم والضعيف وذا الحاجة " [(٢)] .

كذلك حرص الواقف على أن يضمن مسجده الجامع كتابا لتعليم الأيتام ، ورتب لهم معلما يقوم بهذه المهمة مع تحديد عدد الأيتام الدارسين بعشرة أطفال[(٣)] .

وحددت الوقفية أيضا الأيام التى تعد بمثابة عطلة دراسية يحصـل عليهـا الدرسة والمتعلمين في ذلك العصر ، كذلك كان يحصل علـى نفـس العطـلات مجموعة المرتبين في وظائف المسجد الجامع ولكن كان يشترط عليهم وخاصة الإمام والمؤذن والقيم عند القيام بتلك العطلات الاعتيادية أو الطارئة أن يستنيبوا من يقوم بمهامهم حتى عودتهم شريطة أن تتوافر فيه نفس الكفاءة الموجودة عنـد المرتـب الأصلى [(٤)] .

ويتضح أيضا من نص الوقفية أن الملك المجاهد أقام بمسجده الجامع عـدة مرافق معمارية كمجموعة خدمات للمسجد ومرتاديه من المصلين والدارسـين ، ورتب لها من يقوم بالإشراف عليها ، وتتمثل هذه المرافق في ميضأة وسقاية وبركة وأحواض ومجموعة من المطاهير والمغتسلات [(٥)] . وتؤكد الوقفية علـى ضـرورة متابعة القيم لمهام وظيفته فتذكر أنه " على القيم ملازمة وظيفته وتنظيف الجـامع المذكور وأماكنه ومستطرقاته وتنظيف المطاهير والمغتسلات والبركـة والسـقاية

---

(١) راجع : *نص الوقفية ، ق ٩٠* .
(٢) راجع : *نص الوقفية ، ق ٩٢* .
(٣) راجع : *نص الوقفية ، ق ٩٠* .
(٤) راجع : *نص الوقفية ،ق ٩٠ ، ٩٢* .
(٥) راجع : *نص الوقفية ، ق ٩٠ – ٩١* .

وسوى ذلك وفرش الحصر في الأماكن المعتاد فرشها ، وإشعال المصابيح عند الحاجة إليها واطفاؤها عند الاستغناء عنها " [١] .

كما أوضحت الوقفية أيضا الرواتب المخصصة للمرتبين لخدمة الجامع المذكور ، وكذلك للطلاب الدارسين به ، كما بينت زيادة النفقات في المواسم والاحتفالات الدينية كشهر رمضان وليلة النصف من شعبان ، لكثرة المترددين على الجامع من المصلين في هذه الأوقات ، وبقائهم في المسجد لأوقات متأخرة من الليل حيث يقومون بإحياء هذه الليالى بصلاة القيام أو التراويح وغيرها من أوجه العبادات [٢] .

وتختتم الوقفية بتاريخ تحريرها وهو ٣ من شوال عام ٧٣٥ هـ وبآية من الذكر الحكيم تم إشهاد الشهود على صحة ما ورد بالوقفية وتوقيع كل منهم[٣] .

كذلك عرف الأشرف الثاني الرسولي بأنه من المؤسسين للمساجد ، فتشير المصادر إلي قيامه بإنشاء مسجد في قرية المملاح بناحية القوز ظاهر زبيد ، عرف بجامع المملاح ، والجامع المبارك ، والجامع الأشرفي [٤] ، الذى تم اختطاطه في ١٥ من المحرم عام ٧٩٠ هـ / ٢٦ يناير ١٣٨٨ م ، وأقيمت فيه أول صلاة للجمعة في السابع والعشرين من ذى القعدة من نفس العام ٧٩٠ هـ / ٢٧ نوفمبر ١٣٨٨م [٥] ، وكان هذا المسجد بدوره جامعا يدلنا على ذلك كثرة المرتبين بداخله من السدنة والقومة علاوة على وجود خطيب بينهم مما يدل على أن المسجد كان معدا للصلوات الجامعة كالجمعة والعيدين فقد رتب فيه " إماما ومؤذنين وقيمين وخطيبا " [٦] كما ألحق به كتابا لتعليم الأيتام القرآن الكريم ،

---

[١] راجع : *نص الوقفية ، ق ٩٢* .
[٢] راجع : *نص الوقفية ، ق ٩٢* .
[٣] راجع : *نص الوقفية ، ق ٩٤* . ومن هؤلاء الشهود الذين يزيد عددهم عن خمس وعشرين شاهدا ووردت أسماؤهم وتوقيعاتهم من يدعى عمر بن علي بن علي ، وعلي بن عبد الله الفقيه ، وأبو بكر بن موسى حامد ، ومحمد بن القاسم ، ومحمد بن عبد الله المعلم ، وعبد الرحمن بن صالح العطار وغيرهم .
[٤] الخزرجي : *العقود* ، ج٢ / ٢٦٠ ، *الكفاية* ، ق ٢٣٦ ، *العسجد* ، ق ٢٦٠ – ٢٦٢ ؛ ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٣٨٦ – ٣٨٧ ، *الفضل المزيد* ، ص ١٠٤ ؛ الخزرجي : *طراز أعلام الزمن* ، ق ٣٨٤ .
[٥] الخزرجي : *العقود* ، ج٢ / ١٦٤ – ١٦٨ ، *الكفاية* ، ق ٢٠٦ ، *العسجد* ، ق ٢٦٠ – ٢٦١ ، ٢٩٠ .
[٦] الخزرجي : *العقود* ، ج٢ / ١٧١ ، *الكفاية* ، ق ٢٠٨ ، *العسجد* ، ق ٢٦٢ .

ويبدو أنه ألحق به خانقاه بدليل وجود أحد مشـايخ الصـوفية ضـمن المـرتبين بداخله[١]، علاوة على قيامه بوظيفة المدرسة بدليل ترتيـب الأشـرف الرسـولى لمجموعة من الفقهاء والمدرسين بداخله للقيام بالتدريس ونشر العلم ، فعين ستة من المدرسين يتناوبون تدريس العلوم الفقهية والحديث والقراءات على النحو التـالى " مقرئ لكتاب الله تعالى بالقراءات السبع ، ومحدث بأحاديث رسول الله صـلى الله عليه وسلم ، ومدرس بالشرع الشريف على مذهب الإمام الشافعي ، ومدرس على مذهب الإمام أبى حنيفة النعمان ، ومدرس للنحو وصـناعة الإعـراب ومـدرس للفرائض ، ورتب مع كل واحد منهم جماعة من الطلبة " [٢] .

كذلك قام السلطان الملك الأشرف الثانى الرسولى بترميم ما تداعى مـن المساجد والمدارس والأسبلة بمدينة زبيد ، فيذكر ابن الديبع أنـه أمـر " بعمـارة المساجد والمدارس بزبيد ، بعد أن كان أكثرها داثرا لا أثر له ، وفيها ما قد أشرف على التلف " [٣] ، وقد بلغ عدد المنشآت الدينية التى امتدت إليها يـد الأشـرف بأعمال التجديد والترميم حوالى ٦٥ موضعا [٤] .

أما السلطان الملك الظاهر يحيى ، فلم يؤثر عنه إقامته لأى مسجد طـوال فترة حكمه ، وإنما امتدت جهوده إلي تجديد عمارة ما شيد منها قبل سلطنته ، من ذلك عمارته لمنارة مسجد الجند الشرقية بعد أن خربت " [٥] ، كما أعاد خازنداره - كما سبق القول - وهو الأمير سيف الدين برقوق الظاهرى بناء مسجد الأشاعر بزبيد عام ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨ م فعمره عمـارة حسـنة ، وزاد فيـه زيـادات مستحسنة منها مجنباته الشرقية والغربية والجنوبية ومقصورته ، وجعـل بالمسـجد

---

(١) الخزرجى : *العقود* ، ج٢ / ١٧١ ، *المسجد* ، ق ٢٦٢ ، *الكفاية* ، ق ٢٠٨ ، وراجع أيضا : *طراز أعلام الزمن* ، ق ٣٨٤ حيث يذكر أن الجامع كانت له منارة شاهقة .

(٢) الخزرجى : *المسجد* ، ق ٢٦٢ ، *الكفاية* ، ق ٢٠٨ ، *العقود* ، ج٢ / ١٧١ ، وكان الخزرجى أحد المدرسين المرتبين لإقراء القرآن بالقراءات السبع ويعلق على اجتماع العلماء للتدريس بالمسجد بقوله " فأعجبنى ما رأيت من اجتماع العلماء في الجامع المذكور واشتغال كل طائفة بما ندبت له " ، كما نظم قصيدة يمدح فيها الأشرف وأسلافه من سلاطين بنى رسول ويمتدح صنيعه لتشييد هذا المجمع العلمى كما ورد بذات القصيدة أسماء بعض هؤلاء المرتبين للتدريس وتعليم الصبية ، وكذلك اسم خطيب المسجد الجامع (راجع نص القصيدة في الخزرجى : *العقود* ، ج٢ / ١٧١ – ١٧٣) .

(٣) ابن الديبع : *الفضل المزيد* ، ص ١٠٣ .

(٤) الخزرجى : *الكفاية* ، ق ٢١١ .

(٥) ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٣٩٨ ، *الفضل المزيد* ، ص ١١٢ .

خزانة لحفظ أمتعته وفضضه بالنورة ، ورسم فيه بالذهب واللازورد ، وزخـــرف جداره القبلى بأنواع النقوش والتذهيب ، ونصب في المسجد المـــذكور منـــبرا ، وجعل عليه مقدمة كريمة من القرآن العظيم أنفق عليها نفقة جليلة ، وهى عديمـــة النظر والخط والذهب ، وجعل على الباب قارئا قبل صلاتى الظهـــر والعصـــر ، ووقف لذلك ولمصالح المسجد المذكور وقفا عظيما ، وجعل نظر ذلك إلي العمـــار الصديق بن عمر الموزعى [1] .

كما اهتم السلطان الملك الأشرف اسماعيل بن الظاهر يحيى ، بجامع زبيـــد فعمر جملة من سقوله ، وأصلح متشعثه ، كما شيد به بركة حسنة عظيمة ، مـــن جهة الشرق اذ لم يكن بالمسجد بركة منذ عههد بنى أيوب وحتى عهد الأشرف بن الظاهر ، كما أقام فيه مجموعة من الطلبة يتذاكرون القرآن عقيب كل صلاة ورتب لهم ما يقوم بكفايتهم [2] .

ويتضح من العرض السابق مدى اهتمام حكام الـــيمن مـــن الأيـــوبيين والرسوليين بعمارة المسجد ، وتجديد ما تداعى منها ، مما يظهر لنا اهتمام هـــؤلاء السلاطين بالتشييدات المعمارية بصفة عامة ، والمساجد والمنشآت الدينية الأخـــرى بصفة خاصة .

ب- المساجد الدارسة التى أقامها أعيان اليمن :

وبالاضافة إلي ما سبق هناك مجموعة أخرى من المساجد المندثرة ينســـب بناؤها لعدد من أمراء وأعيان اليمن في الفترة موضوع البحـــث ، منـــها مجموعـــة المساجد التى ابتناها الأمير فاتن المعزى أحد أعيان الدولة الأيوبية ، وكان أســـتاذا حبشيا معلقا بأذيال العلم ، مصاحبا للعلماء فابتنى مسجدا حسنا بمدينة ســـهفنة ، ووقف عليه وقفا جيدا ، يقوم بإمام ومؤذن ومعلم وعشرة أيتـــام ، كمـــا شـــيد مسجدين آخرين بذى جبلة ، أحدهما على الطريق من جبلة إلي ذى عقيب ، وبـــه قبره وأوقف عليه وقفا جيدا ، بينما ابتنى المسجد الآخر بأطراف مدينة ذى جبلة ،

---

[1] راجع ما سبق عن مسجد الأشعار ، ص ٧٥٥ من الكتاب ؛ الخزرجى : *العسجد* ، ق ٢٩٦ ؛ ابن الديبع : *الفضل المزيد* ، ص ١١٢

[2] الخزرجى : *العسجد* ، ق ١٩٧ ؛ ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٤٠١ ، *الفضل المزيد* ، ص ١١٥

وكان مسجدا صغيرا "ليس بعده مسجد ولا بيت بل هو أطرف بناء بذى جبلة ". أما تارخي وفاة فاتن المعزى فغير معلوم [(١)] .

ومنها المسجد الذى شيده الأمير بدر الدين الحسن بن على بن رسول (ت٦٦٢ هـ / ١٢٦٣ م) في قرية عكار [(٢)] ، عند تربة أبيه الأمير شمس الدين على بن رسول " ووقف عليه وقفا جيدا ، ورتب فيه إماما ومؤذنا ومدرسا ودرسة وقيما ، وكان وقفه يقوم بكفاية الجميع منهم وإطعام من وفد إلي المسجد "[(٣)] ومن أوائل من قام بتدريس الفقه في هذا المسجد الفقيه أبو عبد الله محمد المأربى (ت ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠م) [(٤)] ، كذلك كان الجندى صاحب السلوك أحد الفقهاء المرتبين للتدريس فيه في الفترة من ٧١٠ – ٧١١ هـ / ١٣١٠ – ١٣١١ م [(٥)] .

كما أنشأ الأمير بدر الدين بن رسول مسجدا آخر في زبيد ، قامت على تجديده حفيدته المعروفة بالحرة ماء السماء إبنة الملك المظفر بعد أن تشعث بناؤه فابتنته مختصرا ووقفت عليه وقفا جاملا [(٦)] . كذلك شيد الأمير شجاع الدين عباس بن عبد الجليل التغلبى (ت ٦٦٤ هـ / ١٢٦٥ م) أحد أعيان أمراء بنى رسول ، وكان أميرا على زبيد وبها كانت وفاته ، مسجدين أحدهما في قرية السلامة بزبيد عرف بمسجد عباس ، والثاني في قرية أبيات حسين . وكان له في كل موضع من هذه المواضع أوقافا جيدة تقوم بكفاية المرتبين فيه من المدرسين والقومة والطلبة [(٧)] .

---

(١) الجندى : *السلوك* ، ج٢ ، ق ٣٣٣ .

(٢) عكار : بلدة شمال دينة ذى جبلة بعزلة وارف بينها وبين ذى جبلة نحو ميل واحد ولا تزال عامرة. (راجع : ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٣٢٦ و هـ ٥ ؛ المقحفى : *معجم المدن* ، ص ٢٩٢) .

(٣) الجندى : *السلوك* ، ج٢ / ٢٤٨ ؛ الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ٦٧ ، ١٣٤ ؛ ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٣٢٦ .

(٤) الجندى : *السلوك* ، ج٢ / ٣٣١ ؛ الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ٦٧ .

(٥) الجندى : *نفس المصدر والصفحة* .

(٦) الجندى : *السلوك* ، ج١ / ١٧٩ ، أما الحرة ماء السماء فهى ابنة المظفر وأمها هى ابنة الأمير أسد الدين محمد بن الحسن بن رسول وهى إحدى خيار الخواتين كثيرة البر والاحسان بأهلها ، والصدقة على الفقراء . ولها العديد من المآثر الدينية والأوقاف الجليلة التى حبستها للصرف عليها وتوفيت في قرية التربية شرقى زبيد وذلك عام ٧٢٤ هـ / ١٣٢٣ م . (راجع : الجندى : *السلوك* ، ج١ / ١٧٩ ؛ الخزرجى : *العقود* ، ج٢ / ٣٠)

(٧) الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ١٣٩ - ١٤٠

وشيد الأمير فخر الدين على بن الحسن بن رسول مسجدا في زبيد أيضـــا عرف بمسجد فخر الدين ، كان قائما في حافلة الخبازين شرقي الموضع المعـــروف بالمدرك ، ومن أشهر الفقهاء المرتبين فيه برسم الفقه ، الفقيه أبو عبد الله بـــن أبي بكر الركبي المعروف بابن الحطاب (ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م) [١] .

ومن المساجد المندثرة أيضا المسجد الذى ابتناه الطواشى كمال الدين فاتن أمير ثعبات(ت٧٩٤ -١٣٩١م)وكان يعرف بمسجد فاتن،وشيده في مغربة تعـــز فوق حافة الملح إحدى نواحى المدينة[٢].ومسجد كافور المؤيدى المجاهدى بـــذى عدينة من تعز وابتناه أحد عمال الدولة الرسولية ويدعى أبو المسك كافور عبد الله (ت٧٦٩ هـ/١٣٦٧م)وكان أميرا مشهورا خدم الدولة في عهد كل من المؤيد والمجاهد وجمع بين الرئاسة وحسن السياسة،وتولى إمرة حصنى الدملؤة وتعز مرارا [٣] .

وشيد الأمير بهاء الدين بن عبد الله الأشرفى ، حاجب الســـلطان الملـــك الأشرف الرسولى الثانى أيضا ،مسجدا حسنا في زبيد شرع تخطيط أساسه وعمارته في عام ٧٨٥ هـ / ١٣٨٣ م ، وبلغ الغاية في الروعة والجمال ويذكر الخزرجـــى "أنه لم يكن له نظير في زبيد صنعة وزخرفة باطنا وظاهرا ... " ، وكان الخزرجى ذاته هو المشرف على زخرفة البناء بنفسه ، حيث كان آنذاك مقدم أهـــل تلـــك الصناعة ، أما عن موضع المسجد فكان قائما غربي سوق المعاصر ، وأضاف المعمار إليه قبة عالية وبركة ومطاهير ، كما رتب الآمر بعمارته مجموعـــة مـــن الســـدنة والقومة به من بينهم إمام ومؤذن وقيم ومعلم ويتامى [٤] .

كذلك ابتنى أبو الدر بن عبد الله المجاهدى المعروف بصفى الدين الرضوانى زمام الآدر الكريمة والدة الملك المجاهد مسجدا في زبيد شرقي الجامع الكبير وأوصى بعمارته عمارة جيدة ، وأوقف عليه ما يقوم بكفاية المرتبين به وهم إمام ومـــؤذن وقيم علاوة على معلم وأيتام يتعلمون القرآن ، وأنشأ به بركة ومطاهير [٥] .

---

(١) الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ١٤٧ - ١٤٨ .
(٢) الخزرجى : *الكفاية* ، ق ٢١٧ - ٢١٨ ؛ *العقود* ، ج٢ / ١٩٩ .
(٣) الأفضل الرسولى : *العطايا السنية* ، ق ٤٢ .
(٤) الخزرجى : *طراز أعلام الزمن* ، ق ٤٣٤ .
(٥) الخزرجى : *طراز أعلام الزمن* ، ص ٤٦٩ .

كذلك كان لعدد من فقهاء اليمن دورهم الملحوظ في تشييد المآثر الدينية من المدارس والمساجد ،.وإن كانت عنايتهم بابتناء المدارس تزيد عن اهتمامهم بتشييد المساجد ، ولعل ذلك يرجع إلي أن المدارس تتناسب وطبيعة وظيفتهم وهى القيام بالتدريس وإجازة الطلاب ، ومن أشهر المساجد المندثرة التي شيدها جملة من الفقهاء المسجد الأعلى بالملحمة [1] . وينسب إلي ذرية الفقيه يحيى بن فضل بن أسعد المليكى (ت ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م) ، وهم جماعة من الفقهاء قاموا بالتدريس فيه [2] .

ومسجد عروان [3] : وينسب للفقيه أبي عبد الله هارون الحميرى الذى أوصى عندما حضرته الوفاة عام ٧١٧ هـ / ١٣١٧ م ، بثلث ماله لبناء هذا المسجد ، فقام ورثته ومريدوه بشراء الأرض وحبسها لصالح المسجد المذكور فابتنوه " مسجدا حسنا " وتوافد عليه أهل العلم للتدريس والتصنيف وتحصيل العلوم الفقهية [4] ومسجد الجبرتي الذى كان قائما في مدينة زبيد عند الخان المجاهدى الجديد ، وينسب تشييده للفقيه أبو اسحاق ابراهيم بن عثمان بن آدم الجبرتي [5] . كذلك شيد الفقيه عثمان بن محمد بن عمر بن أبي بكر الهزاز اليحيوى [6] وكان معاصرا للملك المؤيد الرسولى وولده المجاهد ، مسجدا بقرية

---

[1] الملحمة : قرية من عزلة السحول ناحية المخادر من أعمال إب تقع تحت الحصن المعروف بشواحط (راجع : المقحفى : *معجم المدن* ، ص ٤٠٨) .

[2] الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ٥٦ .

[3] عروان : عزلة من ناحية السبرة بأعمال وادى السفال تنسب لعروان بن جشم بن عبد شمس (راجع : المقحفى : *معجم المدن* ، ص ٢٨٥) .

[4] الأفضل الرسولى : *العطايا* ، ق ٥٤ ، أما الفقيه الحميرى فكان فقيها له مسموعات ومقروءات ودين وزهد وورع وأمانة ومحبة للعلم ، وطلبة ، وكان حريصا على تحرى الحلال في مكسبه وتوفى اثر عودته من أداء فريضة الحج .

[5] الخزرجى *العقود* ، ج١ / ٣٠٠ ، والجبرتى نسبة إلي جبرت من بلاد الحبشة ، وكان هذا الفقيه زاهدا عابدا صاحب مسموعات وإجازات حصل عليها من ائمة عصره وكان غالب عمره لا يفارق المسجد وتوفى عام ٧٠٤ هـ / ١٣٠٤ م (أنظر أيضا : الأفضل الرسولى : *العطايا السنية* ، ق ٣) .

[6] كان فقيها فاضلا درس على أعلام عصره بتعز ، ورتب برسم تدريس الفقه بمدرسة أم السلطان بتعز ، ثم امتحن بالمصادرة هو وبعض أخوته ، وناب ابنه محمد بن عثمان عنه في التدريس بمدرسة أم السلطان عندما تنحى عن التدريس بها ، ولما أفرج عنهم عاد إلي بلده بذى السفال ، ثم انتقل إلي تعز وسكنها وعاد لمدرسته أم السلطان وانتقل ولده للتدريس بالمؤيدية ، وظل عثمان الهزاز قائما بالتدريس في المدرسة المذكورة حتى عام ٧١٣ هـ / ١٣٢٣ م حينما اشتدت فتنة أهل جبل صبر ضد المجاهد الرسولى ، فتركها وعاد إلي بلده ذى السفال ، وتاريخ وفاته غير معلوم اما ابنه محمد=

الوحص قريبا من منـزله [١] . كذلك شيد الفقيه أحمد بن يحيى بن الزكى البيلقانى مسجد صغيراً بجوار تربة الزكى البيلقانى ناظر عدن (ت ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م) عرف بمسجد البيلقانى وقد وقف عليه ثمانية دكاكين متساطرة متلاصقة بسوق القصب وشرط أن يرصد ثلث أجرة الدكاكين لعمارتها ولعمارة المسجد ، وعين الثلثين لوظائف المسجد كالإمام والمؤذن وغيرهما [٢] .

كذلك كان للمرأة اليمنية لا سيما في عصر بنى رسول دور ملموس في المنشآت المعمارية ، ومن بينها المساجد ، ومن أهم تلك المساجد التى قامت المرأة اليمنية بتشييدها مسجد الدار شمسى [٣] ، وكان يقع جنوبى سوق المعاصر بمدينة زبيد [٤] .

كما ابتنت إبنة الملك المظفر وتدعى " نبيلة " [٥] ، مسجدين أحدهما في جبل صبر المطل على تعز ، والثانى في مغربة تعز وكان مسجدا ومدرسة ، "ووقفت على الجميع أوقافا تقوم بكفاية الكل " [٦] . أما الحرة " ماء السماء " وهى إحدى بنات المظفر الرسولى أيضا ، فيذكر الجندى أنه كان لها العديد من الآثار المتقنة الذكر منها مسجد ابتنته في حدبة تعز [٧] وجعلت عليه وقفا "يقوم بإمام ومؤذن وأيتام ومعلم " [٨] ، وأعادت بناء مسجد جدها بدر الدين بزبيد وجعلت عليه

=فتوفى عام ٧٢٨ هـ / ١٣٢٧ م (راجع : الأفضل الرسولى: *العطايا السنية* ، ق ٨٠ ؛ الخزرجى : *العقد الفاخر* ، ق ٢٩ ، *العقود* ، ج٢ / ٥٠) .

[١] الأكوع :*المدارس الإسلامية* ، ص ٨٤ ، أما قرية الوحص : فهى قريبة من حصن البحرانة وتقع إلى الشمال الغربى من ذى السفال ، وتعرف الآن ببحرانه (راجع : الخزرجى : *العقود* ، ج٢ / ٥٢- ١٥٣ ؛ المقحفى : *معجم المدن* ، ص ٤٣) .

[٢] بامخرمة :*تاريخ ثغر عدن* ، ج٢ / ٨٢ – ٨٣ .

[٣] نسبة إلى السيدة الحرة الدار شمسى ابنة الملك المنصور نور الدين عمر بن رسول وكانت من أعيان الخواتين عاقلة لبيبة ،ن حفظت الملك لأخيها الملك المظفر عقب مقتل أبيها ، وغياب المظفر في المهجم ، فاستطاعت حفظ مدينة زبيد ، كما ساعدت أخاها في التغلب على حصن الدملؤة ، ولها العديد من المآثر الدينية إلى جانب مسجد زبيد الذى كان مدرسة أيضا (راجع : الجندى : *السلوك* ، ج٢ ، ق ٢٣٢ ؛ الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ٢٤٦ . وتوفيت عام ٦٩٥ هـ / ١٢٩٥ م) .

[٤] الجندى : *السلوك*، ج٢ / ٢٣٢ ، الخزرجى : *العقود* ، ج١/ ٢٤٦ .

[٥] تعرف بالجهة الكريمة دار الدملؤة وكانت من خيار الخواتين.تقية بارة بأهلها.توفيت في عام ٧١٨ هـ/١٣١٨م(راجع:الجندى:*السلوك*،ج٢،ق ١٣٠ ؛ الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ٣٥٠- ٣٥١) .

[٦] الجندى : *السلوك* ، ج١ / ١٣٠ ، الخزرجى :*العقود* ، ج١ / ٣٥٠ .

[٧] وهى المرتفع شرقى مسجد اسحاق ولازالت تعرف بهذا الاسم حتى اليوم.أما المسجد فقد اندثر تماما .

[٨] الجندى : *السلوك* ، ج١ ، ق ١٧٩

وعلى مدرستها المجاورة له " وقفا جاملا للدرسة وأيتام يتعلمون ومـدرس يقـرئ الدرسة والعلم [(١)] .

وابتنت الدر النجمى إحدى أميرات بني رسول بدورها مسـجدا في ذى جبلة ، ورتبت فيه مدرسين ودارسين وممن درس بالجامع الفقيه أبو عبد الله محمـد بن مصباح العنسى (ت ٦٥٩ هـ / ١٢٦٠ م) ، الذى ظل مرتبا للتدريس فيـه حتى توفى ، وظلت أسرته تتوارث التدريس والعناية بالمسجد النجمى [(٢)] .

وشيدت الآدر الكريمة جهة الطواشى شهاب الدين صلاح والدة الملـك المجاهد[(٣)] وتدعى آمنة بنت الشيخ اسماعيل بن عبد الله الحلبى المعروف بالنقاش ثلاثة مساجد في كل من ناحية المجلية بمدينة تعز ، وفي التربية إحدى قرة وادى زبيـد " ورتبت فيه إماماً ومؤذناً وقيماً ومعلماً وأيتاماً ودرسة يقرأون القرآن وسبيلا لشرب الدواب " [(٤)] والمسجد الثالث في قرية المملاح بزبيد وكان مسجدا صغيرا[(٥)] .

وابتنت ثلاثة جوار من جواريها بدورهن ثلاثة مساجد في زبيد ، وهبـت الجهة الكريمة لهن الأراضى وأوقفتها على المساجد ، إحداهن تدعى الحاجة سمـح ابتنت مسجدا كان موضعه عند سوق الشباك ، والثانية تعرف بالحاجة قنـديل ، وكان مسجدها يقع شمال باب القرتب ، بينما الثالثة وتدعى الحاجة غصون فقـد ابتنت مسجدها جنوبى دار السلطان بزبيد وكان على " الجميع أوقاف جيـدة " ، كما ابتنى زمامها الطواشى جوهر الرضوانى مسجدا بدوره كان موضـعه شـرقى الجامع الكبير [(٦)] .

---

(١) الجندى : _السلوك_ ، نفس الورقة .

(٢) الخزرجى : _العقود_ ، ج١ / ١٢٥ ؛ الجندى : _السلوك_ ، ج٢ / ٣٣٤ . أما الدار لانجمى فهى ابنة الأمير على بن رسول أحد أمراء البيت الرسولى وعمة الملك المظفر وعرفت بالنجمية نسبة لزوجها ويدعى الأمير نجم الدين بن أبى زكريا أو ذكرى أحد الأمراء القادمين لليمن وكان مقداما شجاعا أرسله المنصور الرسولى إلي حضرموت بسبب فتحها فقتل هناك . وكان لها عددا من المآثر الدينية (راجع : الجندى : _السلوك_ ، ج٢ / ٣٣٤ ؛ الخزرجى : _الكفاية_ ، ق ١٠٣ ، _العسجد_ ، ق ١٢٨) .

(٣) توفيت عام ٧٦٢ هـ / ١٣٦٠ م (راجع : الخزرجى : _العقود_ ، ج٢ / ١٠٠) .

(٤) الخزرجى : _العقود_ ، ج٢ / ١٠١ .

(٥) الخزرجى : _الكفاية_ ، ق ١٨٢ ؛ ابن الديبع : _الفضل المزيد_ ، ص ٩٩ .

(٦) الخزرجى : _الكفاية_ ، ق ١٨٢ ؛ ابن الديبع : _الفضل المزيد_ ، ص ٩٩ .

كذلك شيدت الآدر الكريمة جهة الطواشي جمال الدين الأفضلي ، زوجة الأفضل الرسولي وأم ولده الأشرف الثاني [١] مسجدا على باب دارهـــا المعـــروف بدار الأمان في ربض المغربة أحد أرباض مدينة تعز وكان مسجدا واسعا جعلت فيه بركة ومطاهير وأجرت إليه الماء فانتفع به الناس نفعا عظيما [٢] .

كما ابتنت السيدة جهة فاتن المسماة ماء السماء [٣] ابنة السلطان الملـــك المؤيد ، وأخت المجاهد عدة مساجد منها مسجد الربذ وهو مسجد كان قائمـــا في طريق النخل بوادى زبيد ، وألحقت به سبيلا ، كما شيدت مســـجدا صـــغيرا في مدينة زبيد ، كان موقعه فيما بين باب الشبارق وبين المرباع ، وأوقفت على كـــل ذلك وقفا يقوم بكفايته [٤] .

---

[١] توفيت عام ٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م ، ولها العديد من المآثر الدينية الحسنة .

[٢] الخزرجى *العقود* ، ج٢ / ١٤٩ ، *الكفاية* ، ق ٢٠١ ، *العسجد* ، ق ٢٥٤ .

[٣] توفيت عام ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م .

[٤] ابن الديبع : *الفضل المزيد* ، ص ٩٩ – ١٠٠ .

الفصل الثانى
المنشآت المعمارية والمدنية والعسكرية

الفصل الثانى
المنشآت المعمارية والمدنية والعسكرية

- مقدمة

١ - عمارة المدن والقرى

(مدينة تعز - مدينة عدن)

١- دور عدن

٢- الحمامات وآبار المياه

٣- العمائر الدينية بعدن

٤- المنشآت الاقتصادية

٥- الأسوار والتحصينات

٢- عمارة القصور والدور

أ - القصور ب - الدور

٣- الاستراحات

٤- الطرق والدروب

٥- المنشآت المعمارية العسكرية

أ - الحصون ب - الأسوار ج - الخنادق

المنشـــآت المعمارية المدنيـــة

تشغل العمائر المدنية في العصر موضوع الدراسة مكانة كبيرة ، إذ حرص الكثير من الملوك والسلاطين والأمراء على تعمير المدن بالمرافق العامة مـــن قنـــاطر وجسور وحمامات وخانات ودور وقصور ، وحفلـــت المصـــادر بالعديـــد مـــن الإشارات التى تبين بجلاء مدى اهتمام سلاطين اليمن بصفة عامة ، وملـــوك بـــنى رسول بخاصة بتشييد العمائر المدنية المختلفة ، ولكن للأسف لم يصل إلينا من هذه العمائر سوى النذر اليسير وأطلال دراسة ، ولعل السبب في ضياع هذه المنشـــآت يرجع إلي عوامل مختلفة منها كثرة الحروب والصراعات القبلية التى دارت آنذاك في مناطق عديدة من اليمن ، وكثيرا ما كان يتخللها الكثير مـــن حـــوادث النـــهب والسلب والتدمير والحرق [١] بالإضافة إلي ضعف مادة البناء من جهة ، ومعـــاول الزمن والكوارث الطبيعية كالسيول والزلازل التى خربت كـــثيرا مـــن البيـــوت والقصور وغيرها من العمائر ، وأهلكت معها الكثير من الأنفس والدواب من جهة أخرى ، ومن أمثلة هذه الكوارث سيل عام ٦٠١ هـــ / ١٢٠٤ م [٢] ، وزلـــزال عام ٦٥٧ هـــ / ١٢٥٨ م ، وزلزال عام ٨٣٥ هـــ / ١٤٣١ م ، بالإضـــافة إلي تعديات الناس من جهة ثالثة ، أضف إلي ذلك أن العمائر المدنية كانت لا تتمتـــع بنفس الحرمة والقداسة التى حظيت بها العمائر الدينية ، مما ساهم في سرعة دثورها.

وعلى آية حال سوف نحاول من خلال الروايات التاريخيـــة المتنـــاثرة أن نرسم في هذه الدراسة بعض ملامح العمران اليمنى المدنى في عهـــد بـــنى أيـــوب وبنى رسول .

ومن خلال هذه الإشارات يمكن القول بتنوع إهتمامات هؤلاء الحكام بالتعمير والتمصير،فقد أنشأ بعضهم المدن والقرى وشيد بعضهم القصـــور والـــدور الخاصـــة والعامة،ومن بين أمثلة هذه الدور،دور الضيافة التى توزعت في أنحاء شتى مـــن الـــيمن بهدف إيواء الغرباء الوافدين إلي البلاد ، وتوفير الطعام لهم ، فكانت هـــذه الـــدور

---

(١) راجع أمثلة لذلك في *الداعي عماد إدريس* : *نـزهة الأفكار* ، ق ٣٤ ؛ الخزرجى : *العقود* ، ج٢ / ١٥ ، ٣٣ ؛ ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٣٩٦ .

(٢) راجع : مجهول : *تاريخ الدولة الرسولية* ، ص ٢٦٩ ؛ الخزرجى : ج١ / ١١٩ ؛ يحيى بن الحسين: *غاية الأماني* ، ق ١ ، ص ٣٨٧

إحدى مآثرهم الخيرية ، وتجاوزت عنايتهم بالعمران المدنى إلي الإهتمام بتعمير الطرق والدروب ومنع الإعتداءات وأعمال السلب من مسالكها إمعانا لراحة المارين والمسافرين عبرها .

ومن أبرز الأمثلة الدالة على اهتمامهم بالعمائر المدنية المدن ، والقرى التى أنشأوها وشجعوا الرعايا على سكناها والنهوض بها ، فمن المعروف أن بناء المدن يعد من أهم دعائم قيام الدولة ، حيث اختطت المدن كحواضر وقواعد لأجهزة الحكم والإدارة ، وفي هذه المدن كان كبار موظفى الدولة والأمراء يتبارون في انشاء القصور [١] لسكناهم وإقامة دور الإمارة [٢] وثكنات للجند ، بالإضافة إلي المرافق المدنية الهامة اقتصادية واجتماعية كالحمامات والخانات والقياصر والوكالات ودور الطراز ودور العلم والمدارس والخوانق والقلاع والمساجد [٣] ، وكانت المدن تخطط على شكل أحياء متصلة تربطها شبكات من الدروب والأزقة التى تشغلها الخانات والأسواق والدور المأهولة بالسكان على اختلاف طبقاتهم [٤] أو يوزع فيها السكان على شكل تجمعات قبلية [٥] ، أو طبقية [٦] ، وتحاط المدن بأسوار حصينة مرتفعة بغرض حماية السكان والمنشآت من أى عدوان تتعرض له ، وكانت هذه الأسوار دائما محل عناية الحكام وإهتماماتهم باعتبارها خط الدفاع الأساسى عن المدينة بما يسبقها من خنادق ، وفي حالة إتساع النطاق العمرانى للمدينة ، كانت تزود بأسوار حديدة ، وكان ينفتح في هذه الأسوار عدة أبواب تمكن السكان والوافدين على المدينة من الدخول إليها والخروج منها ، كما كان يدعمها أبراج ضخمة يرتب عليها المقاتلة [٧] .

---

(١) الخزرجى : *العسجد* ، ق ١٠١ ؛ يحيى بن الحسين : *غاية الأمانى* ، ق ١ ، ص ٣٣٧ ، *أنباء الزمن* ، ق ٢٤١ .

(٢) الخزرجى *العسجد* ،ق ١٠١ ، *العقود* ، ج٢/ ١٥ ؛ وراجع أيضا : ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ٧٤، ٧٨ ؛ عمارة اليمنى ، *المفيد* ، ص ١٢٠ ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ، ق ١ ، ص ٣٣٧ .

(٣) عمارة اليمنى : *المفيد* ، ص ١٢٠ ؛ ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٣٠ .

(٤) ابن بطوطة : *الرحلة* ، ج٢ / ١٧٢ ؛ ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٣٩٧ ؛ حسين السياغى : *معالم الآثار اليمنية* ، ص ٥٧ ـ ٥٩ .

(٥) مسلم اللحجى : *تاريخ مسلم اللحجى* ، ق ١٨ .

(٦) ابن بطوطة : *الرحلة* ، ج٢ / ١٧٢ .

(٧) ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ٧٤ ، ١٢٨ ؛ الخزرجى : *العسجد* ، ق ٦٩ ؛ ابن الديبع : *الفضل المزيد* ، ص ٤٩ ـ ٥٠ ، ٩٧ .

(١) عمارة المدن والقرى

ومن الأمثلة الدالة على إهتمام حكام اليمن بتشييد المدن وعمارة القرى ما روته المصادر عن قيام توران شاه ، بعد أن إستقرت دعائم ملكه باليمن ، باختيار موضع يصلح مقرا لملكه ، فوقع إختياره على موقع تعز ، فاتخـذه مقـرا لاقامتـه وسكناه ، ويروى ابن خلدون في هذا الصدد ما نصه " ثم نـزل زبيـد واتخـذ كرسيا لملكه ، ثم استوخمها وسار في الجبل ومعه الأطباء يتخير مكانا صحيح الهواء والماء ليتخذ منه مسكنا ، فوقع اختيارهم على مكان تعز فاختط به المدينة ونـزلها، وبقيت كرسيا لملكه وملك بنيه ومواليهم بنى رسول " [١] ، ونستنتج من هذا النص أن هذه المدينة إزدهرت في عصر بنى أيوب ، واحتفظت بهـذا الإزدهـار طـوال موضوع الدراسة باعتبارها حاضرة الدولة ومقر الإدارة ، ويشير ابن بطوطة الذى زار المدينة في عهد المجاهد الرسولى إلي اتساع عمرانها وتوزع سكانها في أحيائهـا الثلاثة بشكل طبقى فيقول : " مدينة تعز حضرة ملك اليمن ، وهى من أحسـن مدن اليمن وأعظمها ... وهى ثلاث محلات إحداها يسكنها السـلطان ومماليكـه وحاشيته وأرباب دولته وتسمى باسم لا أذكره [٢] ، والثانية يسـكنها الأمـراء والأجناد وتسمى عدينة ، والثالثة يسكنها عامة الناس وبها السوق العظمى وتسمى المحالب " [٣] .

كذلك ابتنى العزيز طغتكين مدينة المنصورة عام ٥٩٢ هـ / ١١٩٥ م ، قبلى الجند على بعد عدة أميال منها وشيد بها قصرا كبيرا وحماما ، وابتنى للعسكر فيها بيوتا [٤] ، وأمر معظم جنده بالإقامة فيها [٥] ، وعرفـت باسـم منصـورة

---

(١) عمارة اليمنى : تاريخ اليمن (المختصر المنقول من كتاب العبر لابن خلدون) ملحق ضمن كتاب تاريخ اليمن لعمارة ، تحقيق : حسن سليمان محمود ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ١٤٧ ــ ١٤٨ .

(٢) لعله الحى المعروف باسم المغربة أومغربة تعزحيث كانت دار الملك وقد حظيت المغربة بالعديد من العمائر الرسولية ومآثرهم الخيرية . (راجع : الخزرجى : العقود ، ج٢ / ١٥) .

(٣) ابن بطوطة : الرحلة ، ج٢ / ١٧٢ .

(٤) ابن حاتم : السمط ، ص ٣٩ ؛ الخزرجى : العسجد ، ق ١٠١ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص٢٨٠ ؛ بامخرمة قلادة النحر ، ق ٨٠٢ ؛ الحنبلى : شذرات الذهب ، دار المسيرة ، بيروت ، ط٢/ ١٩٧٩ ، ج٤ / ٣١٢ .

(٥) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ، ق ١ ، ص ٣٣٧ ، أنباء الزمن ، ق ٢٤١ .

حنوة [١] . وجلب إليها الماء اللازم للشرب وسقاية الدواب وري أراضيها وبساتينها من جبل صبر وغرس بها أنواعا مختلفة من الغراسات جلبها من ديار مصر وغيرها من البلدان [٢] .

واهتم الأيوبيون أيضا بعمارة المدن اليمنية التي كانت قائمة قبل ورودهم لليمن،الأمر الذى ساهم في اتساع نطاقها العمراني وازدياد عدد سكانها،وإزدهار أحوالها الإقتصادية،ولعل أبرز مثال على ذلك مدينة عدن،التي يتضح اهتمام بني أيوب بها من عبارة توران شاه والتي قالها لجنده منعا لهم من تخريب الثغر ونهبه إثر نجاحهم في فتحه فقال لهم"ما جئنا لتخريب البلاد،وإنما جئنا لنملكها ونعمرها[٣]..ونتنفع بدخلها [٤] ".مما يوضح لنا الأهمية الكبرى التي أولاها توران شاه لهذا الثغر وحرصه على العناية به لكونه ميناء تجاريا هاما يدر العديد من الموارد التي تساهم في نهضة ممالك اليمن وتطورها بحكم كونها " كرسي عملها "[٥] .

وقد شهد عمران عدن الكثير من التطور في عهد بني أيوب سواء في المنشآت الاجتماعية أو الاقتصادية أو التحصينات التي استجدت بالمدينة وميناءها في ذلك العصر .

فبالنسبة للمنشآت الاجتماعية ، فقد ساعد إستقرار الأوضاع السياسية في عهد بني أيوب على نشاط حركة التعمير التي حققت مزيدا من الإزدهار العمراني في المدينة في عهدهم ،وهو إستقرار بدأت ملامحه إثر نجاح الزريعون في حماية عدن من حملة صاحب (قيس) عام ٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م [٦] ، ففي أعقاب هذا

---

[١] نسبة لوادي خنوة الذى قام طغتكين بتعميره وإحيائه أيضا ، وهى (المنصورة) كانت قائمة في وادي نخلان من رأس بلاد الحجرية (المعافر) واليوم بليدة قروية لم يتبق من آثارها شئ وتقوم على نشز من الأرض في منتهى عزلة خنوة وتطل على واديها ، وتبعد عن شمال شرق الجند بحوالى ٣ ساعات . (راجع : ابن الديبع : قرة العيون ، ص ٢٨٠ و هـ ٤) . ونلاحظ أن ابن أسير قد خلط بينها وبين تعز فقال ان طغتكين إختط مدينة المنصورة المساة بتعز (راجع : الجوهر الفريد ، ق ٣) .

[٢] يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ، ق ٢٤١ .

[٣] بن عبد المجيد : بهجة الزمن (نسخة حجازى) ، ص ٧٦ ، ونلاحظ خلو نسخة الحبشى من هذه العبارة . وانظر أيضا : ابن كثير : البداية والنهاية ، م٦ ، دار الغد العربى ، القاهرة ١٩٩١ ، ص٧٩٥ .

[٤] ابن واصل : مفرج الكروب ، ج١ / ٢٤٢ .

[٥] عمارة اليمنى : المختصر ، ص ١٢٥

[٦] ابن المجاور : المستبصر ، ص ١٢٦ .

الانتصار " نزلوا من الحصون وسكنوا الوادى وبنوا الدو. الملاح وهم أول من بنى الدور بالحجر والجص [١] ، وقبل ذلك كانت معظم مبانيهم من الأخصاص "[٢]

وأدى تزايد نشاط المدينة الاقتصادى في عصر بنى أيوب إلي اتساع نطاقها العمرانى حتى اتصلت عمارتها إلي بابها أى وصل العمران إلي باب البر بها [٣] ، كما تزايد عدد سكانها ، فانتجعها الناس من كل صوب للتجارة والعمل في أسواقها العامرة ، فوفد إليها العرب من شتى أنحاء اليمن والأقطار العربية المجاورة ، علاوة على غيرهم من الجنسيات المختلفة ، كالأحباش والعجم ، وقد عبر ابن المجاور عن تعدد جنسيات ساكنى ثغر عدن أبلغ تعبير وذلك بقوله " وغالب سكان البلد عرب مجمعة من الإسكندرية ومصر والريف والعجم والفرس وحضارم ، ومقادشة وجبالية وأهل ذبحان وزيالع وحبوش ، وقد التأم اليها من كل بقعة من كل أرض وتمولوا فصاروا أصحاب خير ونعم " [٤] . فازدهرت أوضاعها العمرانية بتزايد عدد سكانها ، فشيدوا المنازل والأسواق والخانات والمساجد وحفروا الآبار وغير ذلك من المظاهر العمرانية المختلفة اللازمة لإقامتهم ، ويؤيدنا في ذلك ابن المجاور الذى يتحدث عن زيادة عدد سكانها في ولاية المعتمد رضى الدين محمد بن على التكريتى الوالى الأيوبى لعدن زمن الملك المسعود فيقول " وكثر الخلق بها فبنوا الدور والأملاك وتوطن بها جماعة عرب من كل فج عميق .. وحفرت الناس بها الآبار وبنو المساجد وأقاموا المنابر ورجعت طيبة " [٥] .

ويزودنا ابن المجاور بوصف لمنازل عدن ومواد البناء المستخدمة في بنيانها ، ومعظمها متخذة من المحاجر المتوفرة بنواحيها ، كما استخدموا الخشب والجص وجاءت مبانيهم موافقة لطبيعة المدينة وحركتها التجارية النشيطة فكانت تتألف من طابقين الأول ولعله كان يستخدم كمخزن للبضائع ، والثانى للسكنى ، وكانت

---

[١] ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٢٦ .

[٢] عمارة : *المختصر* ، ص ١٤٤ .ولذلك كانت كثيرا ما تتعرض للحرائق التى تأتى على الكثير من مبانيها . (راجع : المقدسى : *أحسن التقاسيم* ، ص ٨٥ ؛ وانظر أيضا : بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، ج١ / ٩) .

[٣] ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٤٧

[٤] ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٣٤

[٥] ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٣٠ ؛ بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، ج١ / ١٠

هذه الدور مربعة الطراز فيذكر " وبناء دورهم مربعة كل دار وحـدها طبقـتين الأسفل منهما مخازن والأعلى منـهما مجـالس ، وبنـاؤهم بـالحجر والجـص والخشب..." [1] .

١- دور عـدن

ومن أهم العمائر المدنية التي أقيمت في عدن في عهد بني أيوب مجموعة الـدور الكبرى أو القصور التي تنافس على تشييدها أهل الثراء والمال باليمن من أمثلتها :

دار السعادة : وهي بناء سيف الإسـلام طغـتكين ، وأقامهـا قبالـة الفرضة[2]، وقد تطور عمرانها وزيد في مساحتها في عهد بني رسـول ، إذ اعتـاد المجاهد الرسولي النـزول بها عند قدومه لعدن ، فزاد فيها " وأمر ببنـاء المفـرش البحري وما فوقه ، وفي عهد الأشرف الثاني بن الأفضل الرسولي ، آلت ملكيتـها لجماعة من التجار المصريين يعرفون ببني الخطباء وكانوا قد تدبروا أمـر عـدن في زمنه وولي بعض أعيانهم نظر عدن آنذاك [3] .

ويصف بامخرمة بناء هذه الدار بأنها كانت مثلثة الشكل ، وظلت قائمـة تؤدي دورها كأحد قصور الضيافة زمن بني طاهر الذين عمدوا إلي زيادة مساحتها أيضا فزاد الشيخ عامر بن طاهر فيها زيادة ممتدة إلي جهة حقات في الطول ومشرقة في العرض إلي جهة الساحل ، ثم زيد فيها أيضا في أواخر عصر دولة بـني طـاهر زيادة تشرف على البحر ممتدة إلي جهة الفرضة [4] .

دار الطويلة : وينسب صاحب المستبصر تشييدها إلي شخص يدعى ابـن الخاين في عصر بني أيوب ، ويحدد موضعها بمحاذاة الفرضة من جهة الغـرب[5] ، وكان بينها وبين الفرضة فضاء ، وعلى مدخلها " دكتان مسقوفتان يجلس عليهما كتاب الفرضة ، وكانت متجرا للملوك " [6] .

---

[1] ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٣٧ .
[2] ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١١٠ .
[3] بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، ج١ / ١٠ – ١٢ .
[4] بامخرمة : *المصدر السابق* ، ج١ / ١١ .
[5] ابن المجاور : *المستبصر* : ص ١١١
[6] بامخرمة : *المصدر السابق* ، ج١ / ١١

دار المنظر : أو قصر المنظر ، وينسب ابن المجاور عمارته إلي بنى أيـــوب وبالذات إلي الملك المعز إسماعيل بن طغتكين ابتناه أعلى جبل حقات [١] ، ويناقضه في ذلك بامخرمة الذى يؤكد أن ما قام به المعز هو تجديد لعمارتها ، وأنهـــا كانـــت مقرا لبنى زريع من قبلهم ، ويستدل على ذلك بورودها في أشعار بعـــض شـــعراء اليمن السابقين على عهد بنى أيوب [٢] .

٢- الحمامات وآبار المياه

يشكل بناء الحمامات مظهرا عمرانيا متطورا في مدينـــة عدن،فقـــد أدت زيادة عدد السكان بها إلي مزيد من العناية بتقديم الخدمات الاجتماعية اللازمة لهم من حمامات وتوفير لمصادر المياه اللازمة لوسائل إعاشتهم ، ويعبر ابن المجاور عـــن ذلك بقوله"فلما كثر الخلق بعدن بنوا بها الحمامات"[٣].ومن أشهر حمامات عـــدن الحمام الواقع عند حبس الدم،وتم بناؤه عام ٦٤٢ هـــ/١٢٢٥م[٤]،كـــذلك بـــنى المعتمد رضى الدين محمد بن على التكريتي حماما آخر سمى باسمه"حمام المعتمد" وكـــان مجاورا لجامع عدن[٥]،كما شيد حماما آخر أطلق عليه ابن المجاور اسم " حمام حسين"[٦].

ويزودنا حمزة لقمان بوصف لبناء حمامات حسين وتخطيطها المعمـــارى في بدايات ق ١٨ الميلادى،فيذكر أن جدرانها كانت مكسوة بلوحات البلور والمرمـــر والأحجار الملونة بالأخضر والأزرق والأحمر،كما كان يزينها من الداخل شرفات محمولة على دعامات وتتسم بروعة المنظر، كما ذكر أن الحمامات كانت تنقســـم من الداخل إلي قسمين أحدهما للإغتسال والثانى عبارة عن غرف مسقوفة بعقود[٧]

---

[١] ابن المجاور : *المصدر السابق* ، ص ١١١ ، ١٢٧ .

[٢] بامخرمة : *نفسه* ، ج١ / ١٢ .

[٣] ابن المجاور : *نفسه* ، ص ١١٧ .

[٤] ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١١٧ . ولعل هذه التسمية نسبة إلي أحد المواضع الكائنة بالثغر .

[٥] ابن المجاور : *نفسه* ، ص ١١٧ – ١١٧٨ ؛ بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، ج٢ / ٢٢٣ .

[٦] حمزة لقمان : *تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية* ، دار مصر للطباعة ، ١٩٦٠ ، ص ٧٤ – ٧٥ .ويرجع تاريخ بناء حمامات حسين إلي سنة ٦٠٠ هـ/ ١٢٠٣ م . أما حسين المنسوب إليه الحمامات فربما كان هو البانى الأصلى لها أو المشرف على بنائها ، مما يجعلنا نرجح بأن هذا الحمام يرجع تاريخ بنائه إلي عهد سابق على العصر الأيوبى ثم تهدم ، فأعاد المعتمد عمارته وجدد بنيانه وظل يحمل اسمه الأصلى .

[٧] حمزة لقمان : *تاريخ عدن* ، ص ٧٤ – ٧٥ .

لعلها كانت تستخدم لارتداء الملابس بعد الاستحمام والراحة قليلا قبل الخروج إلي الطريق .

أما بالنسبة لمصادر المياه اللازمة للمدينة فقد توفرت لها عن طريق الآبار ، واستخدمت مياهها لسد الحاجة اليومية للحمامات ، والدور والمنازل من المياه اللازمة للأغراض الحياتية المختلفة ، وقد أفاض ابن المجاور في الحديث عن آبار مدينة عدن ، بأنواعها المختلفة ، والأسماء التى أطلقت عليها وتواريخ احتفار بعضها، ويقسم هذه الآبار إلي عدة أنواع وفقا لطبيعة المياه النابعة منها ، فهناك الآبار العذبة ، ومن أشهرها بئر زعفران الذى اتصفت مياهه بالعذوبة الفائقة فكان يصنع منها النبيذ ، وتحمل مياه هذا البئر لعدة مدن يمنية كالجند وتعز وصنعاء وزبيد لاستخدامها في عمل النبيذ المعروف بنبيذ الزعفران [1] .

وهناك آبار سميت بأسماء المواضع التى احتفرت بجوارها لخدمتها مثال ذلك بئر الحمام الذى استحدثه المعتمد التكريتى ، وبئر الحمام القديمة [2] ، ولعل في اقتران تسمية البئر بالحمام ما يفيد بأنها حفرت بجواره لتزويده بما يحتاج إليه من المياه لأداء دوره المنوط به . ومنها بئر أصحاب العمارة وهى بئر احتفرت عام ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م بغرض استخدام مياها في ضرب اللبن [3] ، وهذا البئر اقترن اسمه بطائفة حرفية وهم العاملون في مجال البناء والتشييد لسد حاجتهم من المياه اللازمة لصناعتهم .

ومن الآبار العذبة التى احتفرت بعدن في الفترة الأيوبية ، بئر أحمد بن المسيب وقد حفر عام ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م ، وبئر العقلانى في عام ٦١٥ هـ / ١٢١٨ م ، وبئر الجديدة في عام ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م ، وبئر السلامى في عام (٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م) وغيرها [4] .

ويضيف ابن المجاور عددا آخر من الآبار المالحة التى كانت تستخدم في سقاية الدواب المختلفة وغيرها من الاستعمالات ومنها بئرين عند مرابط الخيل،

---

[1] ابن المجاور : _المستبصر_ ، ص ١٣١ .
[2] ابن المجاور : _نفس المصدر والصفحة_ .
[3] ابن المجاور : _المستبصر_ ، ص ١٣٤ .
[4] ابن المجاور : _المصدر السابق_ ، ص ١٣٣ – ١٣٤ .

وبئر عرف ببئر الأفيلة كان قريبا من مرابطها المجاورة لحمام المعتمد على ســـاحل حقات وغيرها [(١)] .

٣- العمائــر الدينية بعدن

وهى من المنشآت الدينية التى تخدم السكان وتعود عليهم بالنفع العــام ، ويأتى على رأسها المساجد ، وقد ذكرت المصادر التاريخية أن أول نواب عدن من قبل بنى أيوب ونعنى به الأمير عثمان الزنجبيلى شيد مسجده الذى وسم باسمـــه فى عدن ، وأوقف عليه أوقافا جيدة منها " خان البز " بالمدينة ، وهو ســـوق أقامـــه بعدن لتجارة هذا النوع من الأقمشة ، وحبس متحصلاته للانفاق على مســـجده بعدن ، وما زاد من متحصلات هذا الوقف عن حاجة المسجد ، أمر بانفاقه علـــى مصالح المسجد الحرام بمكة ، الذى اختصه بعدد آخر من الأحباس وقفهـــا بعـــدن وهى مجموعة من العقارات والأملاك والدور والدكاكين [(٢)] .وقد أشاد الجنـــدى بهذه الأعمال الخيرية ذات النفع العام عند مقدمه لعدن فقال " ولقـــد كنـــت لمـــا قدمت عدن ورأيت ما وقفه هذا الأمير على الحرم والمسجد فكنت استعظم قـــدره وأستكثر خيره " [(٣)] .

ومنها الجامع الذى شيد بجوار حمام التكريتى عام ٦٢٥ هـــ / ١٢٢٧ م ، فى عهد المسعود يوسف الأيوبى ووصفه صاحب تاريخ ثغر عدن وذكر أن المعتمد التكريتى قد عمر مسجدا كبيرا قرب حمامه على ساحل حقات [(٤)] .

أما عن مآثر بنى رسول الدينية فى عدن ، فقد أشارت المصـــادر إلى قيـــام المنصور بن رسول مدرسته المنصورية بعدن وجعل لها " جمنونين أحدهما للشافعية ، والثانى للحنفية " [(٥)] ، كذلك ابتنى الملك الظاهر يحيى منارة عجيبة الشكل بالثغر ، وذلك عند باب الساحل (باب عدن البحرى) [(٦)] .

---

(١) ابن المجاور : _نفسه_ ، ص ١١٨ ، ١٣٢ – ١٣٤ .
(٢) ابن المجاور : _نفسه_ ، ص ١٣٠ ؛ بامخرمة : ج٢ / ١٣١ ؛ ابن الديبع : _قرة العيون_ ، ص ٢٧٣ .
(٣) بامخرمة : _تاريخ ثغر عدن_ ، ج٢ / ١٣٢ .
(٤) ابن المجاور : _المستبصر_ ، ص ١١٧ – ١١٨ ؛ حمزة لقمان : _تاريخ عدن_ ، ص ٧٤ .
(٥) بامخرمة : _تاريخ ثغر عدن_ ، ج٢ / ١٧٩ .
(٦) ابن الديبع : _الفضل المزيد_ ، ص ١١٢ .

وأقيمت بعدن في الفترة الرسولية أيضا عدة مساجد أخرى جاء ذكرها في سياق الترجمة للعلماء والفقهاء الذين رتبوا للتدريس بها،من هذه المساجد مسـجد السماع[١]،وكان يتولى تدريس الحديث والتفسير به الفقيه أحمد بن عمر أبو العباس القزويني الذي كان معاصرا للجندى ودرس له وأجـازه[٢].ومسـجد الـدورى وينسب إلي اقبال الدورى أحد مياسير أهل عدن[٣]،ومسجد ابن البصرى وهو أحد المساجد القديمة السابقة على العصر موضوع البحث أسسه الشيخ الوزير ياسر بن بلال المحمدى،وقام ابن البصرى وهو أحد تجار عدن في عهد بنى رسـول علـى تجديده واصلاح ما تشعث منه فنسب اليه[٤]،ومسجد البيلقانى وكان مقاما بموضع يدعى القطيع وشيده أحمد بن يحيى بن الزكى البيلقانى[٥]،وأوقف عليه عدة دكاكين للصرف من أجرتها على عمارته ورواتب المرتبين بداخله [٦] .

٤- المنشآت الاقتصادية

يتمثل إزدهار عدن التجارى في تلك الفترة في عدة مظاهر منها نمو المراكز العمرانية الاقتصادية وزيادة الاهتمام بها فقد قام الأمير عثمان الزنجيلي ببناء عدد مـن المنشآت الاقتصادية لخدمة الحركة التجارية الرائجة بالمدينة منها القيسارية العتيقة،و[illegible] صاحب تاريخ عدن أنها كانت أسواقا مسقوفة خصصت لبيع وشراء الأعشا[illegible] الطبية[٧]،كذلك قام ببناء خان البز[٨]،وكان مخصصا لتجارة الحرير،وتسم[illegible] تجعلنا نرجح أنه كان بمثابة فندق مخصص لـنزول التجار العاملين في [illegible]ـيع وشـراء البـز،ولا نستبعد أنه كان يمثل في بنائه فنادق العصور الو[illegible]ـطى،حيث كـان يتكون الفندق من طابقين السفلى يستعمل مخزنا للبضائع، والعلوى يخصص لمبيت التجار والعاملين في السوق،كما شيد مجموعة أخرى من الأسواق والدكاكين[٩].

---

(١) بامخرمة :تاريخ ثغر عدن ، ج٢ / ١٢ .
(٢) بامخرمة :نفسه ، ج٢ / ١١ – ١٢ .
(٣) بامخرمة :نفسه ، ص ٢٣ .
(٤) بامخرمة :نفسه ، ج٢ / ٥٤ .
(٥) راجع عنه ما سبق ، ص ٧٧٨ من الكتاب .
(٦) بامخرمة :نفسه ، ج٢ / ٨٣ .
(٧) ابن المجاور :المستبصر ، ص ١٣٠ ، حمزة لقمان :تاريخ عدن ، ص ٦٦ .
(٨) ابن الديبع :قرة العيون ، ص ٢٧٣ .
(٩) بامخرمة :تاريخ ثغر عدن ، ج١ / ٤٩ .

وشيد المعز إسماعيل بن طغتكين قيسارية جديدة للعطارين ، لها باب يغلق في الليل [1] . ويدلنا ذلك على اهتمام المعز باقتصاديات البلاد وبعدن قاعدة اليمن الاقتصادية ، كما أن تخصيصه قيسارية قائمة بذاتها لتجارة التوابل والنباتات الطبية يعبر من ناحية أخرى على مدى ما كانت تشهده هذه التجارة من رواج آنــذاك ، وإغلاق هذه الأسواق ليلا بالأبواب والأقفال لحمايتها من السرقة يدلنا على تطور حضارى وإهتمام بالغ بالعمائر الاقتصادية وحمايتها .

ويبدو أن بعض أجزاء من القيسارية تداعى في عهد المسعود الأيوبى ، ممـا استدعى العمل على ترميمها ، فقام المعتمد التكريتى نائبه بعدن ، بتجديد بنائهـا باسم الملك المسعود يوسف الأيوبى [2] .

ويدخل ضمن المنشآت الاقتصادية التى أقيمت بعدن في الفترة موضـوع البحث ، بناء الأمير عثمان الزنجبيلى للفرضة [3] ، أى الدائرة الجمركية ومحل رسو السفن وتفريغ البضائع ، وتحصيل الرسوم الجمركية المقررة عليها .

وكانت الفرضة تقع مقابل دار السعادة بعدن ، وجعل الزنجبيلى لها بابين : باب يؤدى إلي الساحل تدخل منه البضائع لدفع الرسوم المستحقة عليها ، وبـاب ينفذ إلي المدينة تخرج منه البضائع بعد دفع الرسوم .

كذلك أسس الأمير نور الدين عمر بن رسول إبان نيابته لعدن في أخريات العهد الأيوبى دارى الوكالة والزكاة عام ٦٢٥ هـ / ١٢٢٧م [4] ، ويبـدو مـن تسمية الدار الأولى أنها كانت مخصصة لعقد الصفقات التجارية من قبـل وكـلاء التجار المقيمين بالثغر ، ولا نستبعد أنها كانت تستخدم أيضا في بعـض أجزائهـا كمخازن لحفظ البضائع ريثما يتم الاتفاق على البيع بين المشترين ، وكانت الدولة

---

(١) ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٣٠ ؛ وراجع أيضا : بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، ج٢ / ٢٢٣ . حيث ينسب بناءها للعزيز طغتكين والد المعز اسماعيل ، مما يجعلنا نرجح أن بناء القيسارية قد بدأ في عهد طغتكين ، وتم في عهد ولده المعز .

(٢) ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٣٠ ؛ بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، ج١ / ١٤ ، ٤٨ .

(٣) ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٢٨ .

(٤) ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٤٣

تحصل في مقابل أداء الدار لهذه الخدمة التجارية رسما قدره قيـراط واحد عن كل دينار[١]،أما دار الزكاة،فكانت تختص بتحصيل الزكاة على البضائع المعفاة من العشور[٢].

٥- الأسوار والتحصينات

ومن مظاهر الاهتمام بمدينة عدن ومينائها قيام الأمير عثمـان الزنجبيلـي بتحصينها بالأسوار والاستحكامات العكسرية المنيعة من جهتي البحـر والـبر،إذ ينسب إليه تجديد بناء أسوار عدن،ومن المعروف أن تلك الأسوار أقيمت لأول مرة في عهد بني زريع حماية للبضائع الموجودة بداخل الميناء ومنع تهريبها ليلا دون دفع الرسوم المستحقة عليها،فبنى أول سور لعدن من جهة البحر،امتـد مـن الحصـن الأخضر(الخضراء)إلي جبل حقات،وكان سورا ضعيفا فتهاوى"بعضه على بعـض، واهتدم لدوام الموج عليه"[٣]،فلما تهدم أدير عليه سور ثان من القصـب مشـبكا، وبقى على حاله إلي أن دخل توران شاه مدينة عدن فأمر بتجديد السور وتم ذلك على يدى نائبه عثمان الزنجبيلي الذى مد من جهة البحر سورا قويا من الحجـارة والجص على طول ساحل عدن من سفح جبل الخضراء شمالا إلي جبـل حقـات جنوبا،فتح فيه ستة أبواب[٤]هي:باب الصناعة، وباب حومـة،وباب السـيلة[٥]وبـاب الفرضة ومنه تدخل البضائع الواردة من البحر إلي الفرضة،ومنه تخرج أيضا إلي السـفن بالميناء،وباب مشرف ويقع جنوبي باب الفرضة،وكان يعرف في أيام بامخرمـة ببـاب الساحل،ويظل مفتوحا للداخل والخارج بين المدينة والساحل[٦].والباب السـادس ويعرف بباب"حيق"وأطلق عليه بامخرمة اسم باب السر،وكان يقع في نهاية السـور من جهة الجنوب ولا يفتح إلا لأمر هام بحيث يؤدى إلي حوش باب دار السعادة[٧].

---

(١) ابن المجاور :نفس المصدر والصفحة .

(٢) ابن المجاور :نفس المصدر والصفحة .

(٣) ابن المجاور :نفسه ، ص١٢٧ - ١٢٨ .

(٤) كانت في زمن المقدسي خمسة أبواب . راجع :أحسن التقاسيم ، ص ٨٥ .

(٥) باب الحومة والسيلة كان يخرج منهما السيل إذا نزل الغيث بعدن ، وكان باب السيلة يعرف في عهد بامخرمة (ق ١٠ هـ/ق ١٦ م) بباب مكسور لأن السيل كان يكسره في كل مرة يكون نزول الغيث فيها غزيرا . (راجع : ابن المجاور :المستبصر ، ص ١٢٨ ؛ بامخرمة :تاريخ ثغر عدن ، ج١ / ١٤) .

(٦) ابن المجاور :المستبصر ، ص ١٢٨ ؛ بامخرمة :تاريخ ثغر عدن ، ج١ م ١٤ .

(٧) ابن المجاور :نفس المصدر والصفحة ؛ بامخرمة :نفس المصدر والصفحة

ثم مد الزنجبيلي سورا ثانيا فوق الجبل المحيط بعدن من ناحية حصن الخضراء المطل على الميناء والمدينة ، واستمر السور صاعدا إلي الشمال على رأس الجبل إلي حصن التعكر الواقع على رؤوس الجبال بأعلى باب البر [١] . وبهذا السور تحصنت المدينة من جهة البر وتعذر تسلق جبل التعكر أو شمسان كما يعرف اليوم والهبوط اليها .

وأدار سورا ثالثا على جبل حقات من طرفه الشرقي المطل على الميناء من ناحية جبل المنظر ، كان يمتد إلي جبل " العر " وهو جبل يحيط بعدن من ناحية الغرب والشمال الغربي [٢] ، ويعد هذا السور مكملا للسور البحري وكانت مهمته حماية المدينة من أى هجوم بحرى تتعرض له ، بالاضافة إلي منع تهريب السلع التجارية الموجودة بداخل المدينة ، وفتح في هذا السور باب عرف " بباب حقات"[٣].

وهكذا أصبحت مدينة عدن بفضل هذا الأسوار من أكثر مدن اليمن حصانة ومنعة بل أصبحت أشبه بقلعة يصعب اختراقها ، وكما استهدفت هذه الأسوار حماية المدينة حربيا ، كان من مهامها حماية المدينة اقتصاديا فقد وضعت هذا الأسوار حدا لعمليات تهريب البضائع من البحر للمدينة دون دفع الرسوم المطلوبة ، مما عاد على المدينة بالأمن والاستقرار ، وساعد على زيادة النشاط الاقتصادى بها وكثرة الأموال الواردة عليها من جراء هذا الرواج ، كذلك حمت هذه الأسوار المدينة من السيول المدمرة ، مما أدى لمزيد من الأمن لسكانها .

ومما يذكر للرسوليين أيضا في مجال إهتمامهم بعمارة المدن والقرى في اليمن ، ما روته المصادر عن قيام بعضهم بعمارة قرى كاملة ، ويتمثل ذلك في قيام السلطان الملك المنصور نور الدين بإنشاء قرية النورى الواقعة بين حيس وزبيد

---

(١) ابن المجاور :*نفس المصدر الصفحة* ، بامخرمة :*نفس المصدر والصفحة* ، المقحفى :*معجم المدن* ، ص ٧٠ . ويذكر المجهول صاحب كتاب تاريخ الدولة الرسولية (ص ١٤٧) أن عدن في عهد الناصر الرسولى أصبح لها بابان من جهة البر " الباب القديم هذا ، وباب آخر فتحه الناصر عام ٨٠٩ هـ عرف بباب الزيادة " فيقول عن ذلك ابتدئ بعمارة باب الزيادة على باب ثغر عدن المحروس من جهة البر نهار ٢٥ من شهر شوال سنة ٨٠٩ هـ " .

(٢) ابن المجاور :*نفس المصدر والصفحة* ؛ بامخرمة :*نفس المصدر والصفحة* .

(٣) ابن المجاور :*نفس المصدر والصفحة* ؛ بامخرمة :*نفس المصدر والصفحة* .

وكانت قبل ذلك مغارة عظيمة . فصارت قرية كبيرة ، أنشأ بها مسجدا ، وسامح من يسكنها فيما يزرع . فأقبل الناس على تعميرها وسكناها [١] ، كـذلك نهـج الأمير جمال الدين على بن عبد الله الحمزي أحد زعماء الأشراف الكبار المـوالين لبني رسول (ت ٦٩٩ هـ / ١٢٩٩ م) نهجه ، فأقدم على عمارة قرية المنقـل والحصن القائم بها وذلك بأوامر من الملك المظفر الرسـولى عـام ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣م [٢] .

وأصدر الملك المؤيد أوامره في عام ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م بعمارة البرك[٣] وهي بلدة على ساحل البحر الأحمـر [٤] ، وفي عـام ٧١٣ هـ / ١٣١٣ م ، صدرت أوامره بعمارة قرية الراحة من أعمال لحج [٥] . ومن الجدير بالـذكر أن الجيش اليمنى هو الذى كان يباشر تلك العمائر ، وفي ذلك يقول صاحب كنـز الأخيار : "وصدر " أى الملك المؤيد " جيشا إلي البرك لعمارته " [٦] ، مما يشير من ناحية أخرى إلي أن الجيش كان يضم من بين عناصره العديد من فئـات المجتمـع اليمنى فكان يضم الفقهاء وأرباب الحرف والصناعات المختلفة .

كذلك انتهج المجاهد نهج أبيه المؤيد في الاهتمام بعمارة اليمن والنـهوض بها، ويذكر الخزرجى أنه أقام في ثعبات مدينة وأدار حولها سورا حصينا فتح فيـه عدة أبواب وعمر جامعها وأجرى إليه الماء ، وفي ذلك يقول " وفي هـذه السـنة (٧٣٤هـ / ١٣٣٣ م) كملت عمارة سور ثعبات وركبت أبوابها وصارت مدينة حصينة وعمر جامعها وأجرى إليه الماء .. " [٧] .

---

[١] الخزرجى : العقود ، ج١ / ٨٢ - ٨٣

[٢] عماد الدين إدريس :كنز الأخيار ، ص / ٩٠ ، ١١٤ والمنقل قرية تقع إلي الشرق من الطريق الرئيسي بين حوث وخمر راجع حاشية (١) ص ١١٤ من نفس المصدر .

[٣] عماد الدين إدريس :كنز الأخيار ، ص ١٣٣ ؛ الخزرجى : الكفاية ، ق ١٤٠ ، العسجد ، ق١٧٥.

[٤] وتقع هذه البلدة في ناحية بلاد المع من تهامة عسير فيما بين مرسى القحمة جنوبا ، ومرسى حلى بن يعقوب شمالها.(راجع:المقحفى:معجم المدن،ص ٥١؛الأكوع : البلدان اليمانية ،ص ٤٣ وهـ ٢)

[٥] عماد الدين إدريس :كنز الأخيار ، ص ١٤٧

[٦] عماد الدين إدريس كنز الأخيار ، ص ١٣٣

[٧] الخزرجى : العقود ج٢ ٥٩ . وكانت عمارتها قد بدأت عام ٧٣٣ هـ / ١٣٢٢ م ، ولم تشهد ثعبات قبل عهد المجاهد سورا من قبل ، ورتب على أبوابها حراسا وحفظة راجع . العقود ، ج٢ / ٥٨ ؛ الفاسى : العقد الثمين ج٦ ٩٠ ، الافضل الرسولى العطايا ، ق ٤٢ كذلك أمر الأشرف الرسولى عام ٧٨٦ هـ ١٣٨٤ م بعمارة قرية لمعقل بوادى زبيد ، وأمر بتخفيف الخراج المقرر =

(٢) عمارة القصور والدور

أ- القصور:

تعد القصور من أهم العمائر المدنية ، التى تعبر عن فخامة الملك وقوته وهمم السلاطين وقدراتهم العالية ، وتبرز مدى ما وصلت إليه الدولة من تقدم ورقى، وقد أمدتنا المصادر المختلفة بعدد من الإشارات والمعلومات عن هذه القصور ، ومواضعها ، كما وصفتها في كثير من الأحيان وزودتنا ببعض التفاصيل عما كانت تحتويه من عناصر زخرفية وفرش ورياش،وأمدتنا أيضا بأسماء مشيديها .

ويعد الملك العزيز طغتكين أكثر حكام بنى أيوب إهتماما بابتناء العمائر المختلفة ، حرصا منه على تأصيل قواعد الملك لبنى أيوب في اليمن ، والعمل على إزدهار البلاد وعمرانها ، فتفيد المصادر التاريخية بأنه "لما استقر في تعز صرف همته إلي بناء الدور وتشييد القصور .... " [١] ، ومن القصور التى أمر بانشائها قصرا شيده في مدينة المنصورة [٢] ، وقصر الجند القديم الذى أعاد بناءه [٣] والقصر الذى أقامه في صنعاء وعرف بدار السلطان [٤] ، أو الدار السلطانية [٥] وقد زودنا صاحب غاية الأماني بوصف رائع لهذا القصر ، وما احتواه من زخارف مذهبة ، وما أحاط به من بساتين ، تفنن القائمون عليها بغرسها بغرائب الأشجار وصنوف الرياحين ، وفي ذلك يقول صاحب غاية الأماني "وبنى الدار السلطانية في صنعاء ، وبالغ في بنائها ، وزخرف غرفها بالذهب وألوان الصناعات ، وجعل فيها حماما

=على ساكنيها رغبة في إعمارها ، حتى يقوموا بمنع السراق عن مهاجمة نخل الوادى (راجع : الخزرجي : _العقود_ ، ج٢ / ١٥٢) .

(١) يحيى بن الحسين : _غاية الأماني_ ، ق ١ ، ص ٣٣٦ .

(٢) ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٣٩ ؛ بامخرمة : _تاريخ ثغر عدن_ ، ج٢ / ١٠٣ ؛ يحيى بن الحسين : _المصدر السابق ، نفس الصفحة_ .

(٣) ابن حاتم : _نفس المصدر والصفحة_ ، الخزرجي : _العسجد_ ، ق ١٠١ ؛يحيى بن الحسين : _غاية الأماني_ : ق ١ / ٣٣٧ .

(٤) ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٣٨ .

(٥) يحيى بن الحسين :_غاية الأماني_ ، ج١ / ٣٣٧ .

وبركة يطلع منها الشاذروان ، وأجرى الأنهار حولها ، وكانت البساتين حافة بها ، فيها صنوف الأشجار وأنواع الرياحين والأزهار "[١] .

واعتنى سلاطين بني رسول كذلك بتشييد القصور الفخمة ، ويأتي السلطان الملك المظفر والمؤيد داود وولده الملك المجاهد ، والأشرف الثاني في مقدمة السلاطين الذين اهتموا بعمارة القصور .

وتزخر المصادر بالعديد من الإشارات عن هذه القصور ، كما تزودنا أحيانا بوصف شائق لعمارة بعضها ، بينما تقتصر أحيانا أخرى على مجرد ذكر إشارات مقتضبة عن بناء أحد السلاطين لواحد من هذه القصور ، دون إمدادنا بأية اشارة عن وصفه مكتفية بذكر اسم القصر وموقعه وتاريخ ابتداء عمارته ، وتاريخ الفراغ منها ، مع الإشارة أحيانا إلي اسم المشرف على عملية البناء .ومن أبرز هذه القصور الرسولية القصور التالية :

١- *القصر الذى شيده السلطان الملك المظفر*: في مواجهة حصن ثلا[٢]، خلف التعبرة[٣]،وصدر الأمر السلطاني ببنائه عام٦٧٠ هـ/١٢٧١م،وتولى الأمير علم الدين سنجر الشعبي الاشراف على أعمال البناء فكان"في كل يوم يركب، ويباشر العمارة،وهي مستمرة حتى كمل الدرب في شهرين،وكان دربا عظيما وقصرا وخوارج وأبوابا،ونقل إليه جميع ما يحتاج من الشحنة من الطعام،وسليط وغيره[٤]،كما ابتنى للعسكر بيوتا ملحقة بالقصر رتب فيها حاميه لحفظه مكونة من خمسمائة رجل يساعدهم جماعة من الخيالة استخدمهم من همدان ووضعهم تحت قيادة الأمير بدر الدين محمد بن حاتم صاحب"مصنف السمط الغالي الثمن"[٥] الذى

---

(١) يحيى بن الحسين : *غاية الأماني* ، ق ٣٣٧ ، ويذكر يحيى بن الحسين ان الامام المنصور بالله عبد الله بن حمزه امر بهدم أجزاء من هذه الدار ونقل بعض اخشابها وابوابها إلي ظفار . (راجع :*نفس المصدر* ، ص ٣٨ - ٣٣٩) .

(٢) ثلا : حصن مشهور في الجهة الغربية الشمالية من صنعاء.يبعد عنها بنحو ٤٥ كم منها ، وتقوم مدينة ثلا الأثرية على السفح الشرقي منه ويحتضنها الحصن من الغرب وتبعد المدينة عن صنعاء بمسافة ٣٤ كم ولها سور ينفتح فيه أربعة أبواب . (راجع : الأكوع : *البلدان اليمانية* ، ص ٦٧ وهـ١؛ المقحفي : *معجم المدن* ، ص ٧٤) .

(٣) ابن حاتم : *السمط* ، ص ٤٠٥ .

(٤) ابن حاتم : *السمط* ، ص ٤٠٥

(٥) ابن حاتم : *السمط* ، ص ٤٠٥ - ٤٠٦

يشير إلي أن السبب في إقدام المظفر على بناء قصره في هــذا الموقــع ، رغبتــه في السيطرة على صحن ثلا المنيع ، وانتــزاعه من أيدى الأشراف ، و لم يكن يتأتى له ذلك إلا باستقرار المحطة العسكرية ، في موقع قبالة الحصن ، تتوافر فيه كل أسباب الراحة والمنعة للجند ، حتى يتمكنوا من الثبات مع طول الحرب والحصار ، وبالفعل استطاع الأمير علم الدين سنجر الشعبى والقوة التى كانت معه الاســتيلاء علــى الحصن بعد سبعة أشهر من الحروب إثر الانتهاء من بناء القصر [١] .

وعلى الرغم من الأسباب التى ذكرها صاحب السمط لبناء قصر ثلا ، إلا أن المصادر تصمت بعد ذلك عن ذكره و لم تمدنا بأية إشارة عن الأسباب التى أدت إلي إهماله وتداعى عمارته ودثوره .

٢ – *ومن القصور الدارسة أيضا :* وينسب تشييدها إلي المظفر الرسولى، القصر الذى ابتناه في وصاب في موضع يسمى " أكمة عيشا " بوادى سخمل[٢] .

هذا وقد انتقد الشاعر أبو الحسن أحمد بن علوان الصوفى (ت ٦٦٥ هـــ/ ١٢٦٦ م) السلطان الملك المظفر لكونه أحد المشيدين العظام للقصور الفخمــة ، في الوقت الذى يعيش فيه رعاياه في أبنية متواضعة [٣] فقال للمظفر في قصيدته :

يا ثالث العمرين إفعل كفعلهما	**وليتفق فيه منك السر والعلن**
واستبق عدلا يقول الناظرون له	**نعم المليك ونعم البلدة اليمن**
عار عليك قصورات مشيـــــدة	**وللرعية دور كلها دمـــن[٤]**

٣ – *ومن أشهر القصور الرسولية أيضا :* القصر الذى شيده الملك المؤيد داود في ثعبات وعرف باسم قصر " المعقلى " ، واستغرق تشييده ســبع ســنوات كاملة إذ كان الشروع بعمارته في عام ٧٠١ هــ / ١٣٠١ م ، والفراغ منها عام

---

[١] ابن حاتم : السمط ، ص ٤٠٤ ، ٤٠٦ ؛ وانظر أيضا : الخزرجى : العقود ، ج١ / ١٦٠ .
[٢] الحبيشي :الاعتبار ، ص ١١٧ ،وسخمل احد أودية وصاب الشهيرة ويصب في واى زبيد . (راجع : المقحفى : معجم المدن ، ص ١١٧) .
[٣] هو صاحب يفرس احدى قرى جبا ولد في عقامة إحدى قرى جبل صبر ، ونشأ في قرية ذى الجنان من جبل ذخر وكان والده كاتبا للملك المسعود ، وشب على القراءة والتعلم ، ثم سلك طريق التصوف ، وارتحل لشيخ الصوفية في عصره وهو أبو الغيث بن جميل ، فأخذ عليه العهد ، وكان آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ، صنف في الوعظ والتصوف ، توفى عام ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م . (راجع : الخزرجى : العقود ، ج١ / ١٤٥ – ١٤٧) .
[٤] الخزرجى : العقود ، ج١ / ١٤٦ .

٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م [١] ، ويعد هذا القصر من مفاخر العمائر المدنية الرسولية ، ولقد زودنا المؤرخ ابن عبد المجيد اليماني بوصف معماري دقيق لهذا القصر ذكر فيه تفاصيل معمارية دقيقة من واقع رؤيته له والطواف به فقال واصفا بعض أجزائه "وصورة بنيانه مجلس طوله خمسة وعشرون ذراعا في عرض عشرين ذراعا ، بسقفين مذهبين بغير أعمدة في مثل هذا الطول [بأربع مناظر] [٢] ، بأربع رواشن[٣] ، وبين يديه بركة طولها مائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا [٤] ،على حافتها الأوز من الصفر الأصفر ترمى بالماء من أفواهها [٥] ، وشاذروان [٦] قبالة المجلس بعيد المدى ينصب ماؤه إلي البركة ، تخاله عند انصبابه كاللوح من البللور لا يمكن التعبير عن حسنه ، وفي المجلس المذكور طشتان من الرخام حلزونيان الشكل، ترى الماء يدور في جداولها دورانا عجيبا . وفي صدر المجلس شبابيك تفتح على بستان عجيب المنظر ،بديع المختبر وحسن المخبر ، وكذا الروشن الذى به ، حدث عن جماله ولا حرج ...) [٧] .

ويتضمن هذا النص تفاصيل معمارية دقيقة تشير إلي أن القصر كان يشتمل على مجلس يتمثل في قاعة عرش كبيرة مستطيلة الشكل أبعادها ١٠ × ١٢,٥ مترا تقريبا ، يعلوها سقف خشبي مذهب يزدان بمستوين (مزدوج) ولا يستند على أية أعمدة ، بل يرتكز على جدران القاعة ، مما يجعلنا نرجح أنه كان

---

(١) الخزرجي : العقود ، ج١ / ٣١١ ، الكفاية ، ق ١٤٤ ،العسجد ، ق ١٨٠ ؛ وراجع أيضا : ابن الديبع : قرة العيون ، ص ٣٤٦ ؛ عماد الدين إدريس : كنز الأخيار ، ص ١٣٨ .

(٢) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن (نسخة حجازي) ، ص ١٢٢ ؛ الخزرجي : العسجد ، ق ١٨٠ .

(٣) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن (تحقيق الحبشي) ، ص ٢٥١ .

(٤) يذكر الخزرجي :أن في وسط هذه البركة فوارة ترمى الماء إلي السماء فيبلغ مدى بعيدا . (راجع: الخزرجي : العقود ، ج١ / ٣١١ ، الكفاية ، ق ١٤٥ ، العسجد ، ق ١٨٠) .

(٥) في الخزرجي : على حافتها صفة طيور ووحوش صفر أصفر ترمى الماء من أفواها . (راجع : العقود ، ج١ / ٣١١ ، الكفاية ، ق ١٤٥ ، العسجد ، ق ١٨٠) .

(٦) شاذروان : لفظ فارسي يدل على حاجز مائل أو لوح من الرخام المائل الذى ينحدر عليه الماء وعادة يتكون من صدر مزخرف وفتحة يصب منها الماء إلي خوض أو طشتيه أسفله ويخرج من هذا الصحن قناة صغيرة توصل الماء إلي فسقية أو بركة في وسط المكان . (راجع : محمد محمد أمين ، ليلى على إبراهيم : المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية ، الجامعة الأمريكية ، القاهرة ١٩٩٠ ، ص ٦٩) .

(٧) ابن عبد المجيد. المصدر السابق ، تحقيق الحبشي ، ص ٢٥١ ـ ٢٥٢ ، وقارن (تحقيق حجازي) مع بعض الاختلاف ؛ راجع أيضا : الوصف الذى أورده الخزرجي : العقود ، ج١ / ٣١١ ، الكفاية ص ١٤٤ ـ ١٤٥ ، العسجد ، ق ١٨٠

على شكل قبو [١] ، ولعل المعمار لجأ إلي هذا التصرف المعمارى ، وعدم بناء السقف على أعمدة رغبة منه في ألا تحجب هذه الأعمدة رؤية ما يتصدر المجلس من الحدائق والبساتين الممتدة التي تذكرنا بطراز الحدائق التي كانت تقام في بغداد ومدينة الزهراء وحمراء غرناطة ، وكذلك الفوارات التي كانت تتوسط القاعة ، والتي كان الناظر يطل عليها من خلال أربعة مناظر [٢] ، بأربعة رواشن [٣] مزينة بتشبيكات ذهبية .

ويتقدم قاعة العرش ، بركة مساحتها ٢٥ × ٢٥ مترا تحيط بها تماثيل برونزية تمثل طيورا وحيوانات ، تمج المياه من أفواهها ، بنفس الاسلوب الذى يذكرنا بما هو قائم في قصر الحمراء بغرناطة ، كذلك أشار النص إلي أعمال التذهيب التي كانت تزدان بها الأسقف الخشبية للقاعة ، وأعمال الترخيم المحيطة بالبركة والشاذروان .

واستغرق بناء هذا القصر كما ذكرنا سبع سنوات وحشد فيه المؤيد خلالها مجموعات كبيرة من أرباب الحرف والصناعات المختلفة ، بعضهم من أهل الصنعة باليمن ، والبعض الآخر من الغرباء الوافدين من الخارج ، ويؤيد ذلك الخزرجى بقوله : " وسمعت من يحكى ممن أدرك أيام عمارته " أنه كان يطلع إليه في كل يوم نحو من سبعين بغلة من الصناع الغرباء ما بين نجار ودهان ونحاس وصانع ومكندج ومرخم ومزخرف ، ومصور خارجا عمن يركب الحمير ومن لا يركب من أتباعهم ... وهذا ما عدا صناع البلاد وهم أضعاف أضعافهم " [٤] .

وقد أفاضت المصادر في وصف محاسن هذا القصر ، فذكر ابن عبد المجيد في بديع صنعه ما نصه " والقصر المذكور قصرت المحاسن على نواحيه ، واطلع الإجادة من أفق معاليه تكون من رخام ، ومن نضار وبهتت عند رؤيته الأبصار .

---

(١) *Berbara Finster , The Arch . p . 254 .*

(٢) المنظر : مجلس مرتفع يتخذ ليشرف منه الناظر على ما حوله من المناظر البعيدة ، وعادة ما يتخذ في الأبنية المطلة على البساتين والمنتزهات . (راجع : محمد محمد أمين ، *المصطلحات المعمارية* ، ص ١١٧) .

(٣) الروشن : يقصد به الخرجات المستخدمة للبروز بالعمارة وزيادة مسطح الأدوار العليا ، أى بناء خارج عن سمت جدار البناء كالشرفة . (راجع : محمد محمد أمين : *المرجع السابق* ، ص ٥٨) .

(٤) الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ٣١١ ، *الكفاية* ، ق ١٤٥ ، *العسجد* ، ق ١٨٠ .

تدبجت رياض رخامه ، وانفتحت أزهار كمامه ، وبدت مصبغات سقوفه ، مشرقة الألوان لابسة حلل العسجد والعقيان ، سما فليس له في شكله نظير ، وعلا ، فلا شبيه بالخورنق ولا السدير ، أجمع أرباب اختراق الآفاق أن لا نظير له في مصرهم وشامهم والعراق " [١] .

كذلك وصفه عماد الدين إدريس المعاصر لبنائه (ت ٧١٤ هـ / ١٣١٤م) بقوله " وهو مالا يمكن حصر وصفه ، لأنه من محاسن الدنيا أقامت فيه الصناع سبع سنين ، وليس فيه إلا الرخام والذهب .... " [٢] وقد احتفل السلطان الملك المؤيد بافتتاح القصر والفراغ من عمارته ، فأقيمت الاحتفالات الفخمة ودعى إليها أعيان الناس وعامتهم " وأمر بإفاضة الخلع على أعيان الناس ، وأجرى من بحر كرمه لهم نوالا وبلغهم من سببه آمالا " [٣] .

وقد تبارى الشعراء الذين حضروا الحفل في تهنئة المؤيد في مدح السلطان ووصف المعقلى ومن هؤلاء الشاعر العفيف عبد الله بن جعفر الذى أنشد قائلا:

هنيت قصرا على كل القصور سما … يا حبذا برج سعد فيه بدر سما
بنيته مستجدا تستجد به … نصر من الله قد أجرى به القلما
هل في الخلافة آيات تشاهدها … وفوق سقف ولا شئ به دعما
وأبصر التبر مبذولا لطالبه … فنال من موجديه ما به زعما
كأنما عاد غمدان كبنيته … وأظهر الله من أستارها إرما
كأن أربعة الجوزاء رواشنه … والجركنان كأن الفرقدين هما
بين الشبيهين شاذروان قبلته … هما الجناحان وهو النسر بينهما
تظل منه صفوف الماء ساجدة … مؤديات لسلطان الورى خدما
إلي سواقى رخام حول فسقية … فأعجب لجامد ماء فيه ذائب مما[٤]

---

[١] ابن عبد المجيد : بهجة الزمن (تحقيق الحبشى) ، ص ٢٥١ .
[٢] عماد الدين إدريس : كنز الأخيار ، ص ١٣٨ وراجع عن أوصاف المؤرخين للقصر وعمارته : الخزرجى : العسجد ، ق ١٨٠ ، الكفاية ، ق ١٤٤ ، العقود ، ج١ / ٣١١ .
[٣] ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص ٢٥٢ ؛ الخزرجى : العقود ، ج١ / ٣١١ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص ٣٤٦ .
[٤] راجع باقى القصيدة في : ابن عبد المجيد : بهجة الزمن (تحقيق الحبشى) ، ص ٢٥٢ - ٢٥٣ ؛ الخزرجى : العسجد ، ق ١٨٠ ، الكفاية ، ق ١٤٤ ؛ العقود ، ج١ / ٣١١ - ٣١٢ .

كذلك أنشده عبد الباقي بن عبد المجيد كاتب انشائه وصاحب كتاب بهجة الزمن قصيدة طويلة في مدحه وصف في جملتها المتنزهات السلطانية ومن بينها وصف المعقلي فقال فيها :

في كل عود من سواجع طيرها	عود يريك اللحن من نغماتها
فخرت به ثعبات أمصار الورى	بجميل منظرها وجل صفاتها
وبها مشيد المعقلي فكم بـه	من صنعة فخرت بحسن ثباتها
قصر يقصر عن لحاق كماله	باهي النجوم إذا سمت بسماتها[(١)]

ولم يكن هذا القصر ، القصر الوحيد الذى شيده السلطان الملك المؤيد ، إذ تشير المصادر أن السلطان أمر بإنشاء قصر ثان في بستان صالة بتعز بعد أن فرغ من بناء قصر المعقلي ، وعرف هذا القصر الجديد باسم قصر المنتخب[(٢)] ، ومما يؤسف له أنه لم يزودنا المؤرخون بأى نص يدل على موقعه أو وصف عمارته .

٤ — *ومن القصور التى ترجع أيضا إلي عهد السلطان الملك المؤيد :* القصر الذى أمر بتشييده عام ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م ، في مدينة زبيد ظاهر باب الشبارق، في البستان الذى يرجع إليه الفضل كذلك في إنشائه وغرسه والمعروف بحائط لبيق نسبة للبستان الذى شيد فيه[(٣)] . وقد أمدنا ابن عبد المجيد بوصف معمارى لما كان عليه القصر وقت بنائه فقال " وصورة بنائه ، أن وضع به إيوان طوله خمسة وأربعون ذراعا ، وفي صدره مقعد عرضه ستة أذرع ، ولـه دهليز متسع، وفوق الدهليز قصر بأربعة أواوين ، والجميع بجملون ، وفيه المبانى الغربية المشرفة على البستان المذكور من جميع نواحيه "[(٤)] .

وطبقا للنص السابق يمكن القول بأن القصر كان يشتمل على إيوان كبير ، يتصدره مقعد يتصل بدهليز يؤدى إلي طريق صاعد ، نصل عبره إلي المبنى الرئيسى

---

(١) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن (تحقيق الحبشي) ، ص ٢٥٤ ؛ الخزرجي : العقود ، ج١ / ٣١٣ .
(٢) ابن عبد المجيد بهجة الزمن (تحقيق الحبشي) ، ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥ ، (تحقيق حجازى) ، ص١٢٢ ؛ الخزرجي : العقود ، ج١ / ٣١٣ ، العسجد ، ق ١٨٠ ، الكفاية ، ق ١٤٤ .
(٣) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن (تحقيق الحبشي) ، ص ٢٧٠ ؛ (تحقيق حجازى) ، ص ١٢٨ ؛ وراجع أيضا : الخزرجي : العقود ، ج١ / ٣٢٩ ، الكفاية ، ق ١٤٨ ، العسجد ، ق ١٨٦ ؛ ابن الديبع: قرة العيون ، ص ٣٤٨ .
(٤) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن (تحقيق الحبشي)، ص ٢٧٠ ؛ (تحقيق حجازى) ، ص ١٢٨ .

للقصر ، ويتألف من أربعة أواوين بالطابق العلــوى ، تشــرف علــى صــحن مركزى،وبذلك يتكون القصر من طابقين،الطابق الأرضى ويحتوى على الإيــوان والدهليز،والطابق العلوى ويضم الأواوين الأربعة،كذلك لم يفت ابن عبد المجيــد وصف الأسقف الجملونية للقصر،مما ينهض دليلا على وقوفه على عمارة القصــر، وتجوله بداخله واصفا إياه،وقد سبق أن وصف قصر المعقلى وصف شاهد العيــان فحرص على وصف سقفه الخشبى القائم دون أعمدة،وزخارفه الرائعة من الداخل.

ونظم ابن عبد المجيد قصيدة بديعة المعاني آتى فيها على وصــف القصــر والبستان المحيط به [١] نطالع فيها :

قصر فبالعلو من وادى زبيد عال	على المنار عظيم القدر والشأن
هذا الخورنق بل هذا السدير آتى	في عصر داو لا في عصر نعمان[٢]
فقف بساحته حتى ترى عجبــــا	كم راحة هطلت فيها بإحســـان
أنسى بإيوانه كسرى فلا خيـــر	من بعد ذلك من كسرى بإيوان[٣]

٥- قصــور المجاهد

كذلك أشارت المصادر إلي اهتمام إبنه الملك المجاهد بعمارة القصور ، وإن اكتفت عند الإشارة لأحد هذه القصور المجاهدية بذكر اسم القصــر ، وموضــع اختطاطه ، دون التطرق لتخطيطه المعمارى أو صفة بنيانه . ومنها قصر الفــائق ، وكان قائما في الموضع المعروف باسم نخل الأبيض من وادى زبيد ، وقد إستقر فيه المجاهد لمدة يومين عند عودته من مكة المكرمة عام٧٤٢ هـــ / ١٣٤١ م في طريقه إلي تعز حاضرة ملكه ، يتحدث الخزرجى عن ذلك بقوله " وفي يوم الثلاثاء ..تقدم السلطان إلي نخل الأبيض ... فأقام في النخل الثلاثاء والأربعاء في قصره المعــروف بالفائق " [٤] .

---

(١) وعرف القصر أيضا بقصر بستان الراحة ، حيث كان البستان يسمى بهذه التسمية أيضا إلي جانب تسميته القديمة بحائط لبيق .

(٢) في العقود لا في قصر غمدان (راجع : الجزء الأول ، ص ٣٤٣) .

(٣) راجع نص القصيدة كاملة في ابن عبد المجيد :بهجة الزمن (تحقيق الحبشى) ، ص ٢٧٠ – ٢٧٣ ، (تحقيق حجازى) ، ص ١٦٧ – ١٦٨ ؛ وأنظر أيضا :الخزرجى :العقود ، ج١ / ٣٤٣ – ٣٤٤ ؛ ابن تغرى بردى :النجوم ، ج٩ / ٢٥٣

(٤) الخزرجى :العقود ، ج٢ / ٦٩ ،العسجد ، ق ٢٢٠ .

وينسب أيضا للسلطان الملك المجاهد بناء قصر ثان في الجهملية ، وهى أحد مواضع مدينة تعز ، التى يعزى إليه عمارتها وشيد بها أيضا بستانه المعروف بـذات الاسم ، وكان القصر يقوم في وسط هذا البستان ، ومن الجدير بالذكر أنه أقام في هذا القصر للراحة ، عند وصوله لمشارف تعز في أعقاب عودته من أداء فريضة الحج بمكة المكرمة في نفس العام [١] ، مما يشير إلي معاصرة قصر الجهملية ، لمثيله الفائق.

كما شيد قصرا ثالثا في بستانه المعروف ببستان السوجين في زبيد [٢] . ومن القصور الرسولية الدارسة أيضا ، قصر الخورنق وينسب تشييده إلي الملك الأفضل ، وهو القصر الذى وافته فيه المنية عام ٧٧٨ هـ / ١٣٧٦م [٣] .

٦- قصر الأشرف الثاني :

كذلك شيد ولده الملك الأشرف الثاني قصراً في زبيد ، أطلقت عليه المصادر اسم دار النصر وكان قائما بإحدى نواحي زبيد المسماة ناحية القوز [٤] ، وقد صدر الأمر بنائه عام ٧٨٠ هـ / ١٣٧٨ م ، ويعزى إلي هذا السلطان تشييد مجموعة من القصور ، يبدو من المصادر أنها كانت تقوم كوحدات بنائية مستقلة ، وتضاف إلي قصور كبرى قائمة من عصور سابقة ، مثال ذلك : دار الذهب ، التى كانت ملحقة بالدار السلطاني الكبير بزبيد ، وهى دار أمر بعمارتها في عام ٧٩٧هـ / ١٣٩٤ م ، وعرفت باسم الركن اليماني [٥] ، وأحيانا أخرى بالقصر اليماني [٦] ، دليلا على قيامها في الناحية الجنوبية من الدار السلطانية ، ويروى الخزرجى أن الأشرف اهتم بعمارتها اهتماما شديدا ففرغ الصناع من بنائها في أقرب مدة [٧].وفي عام ٨٠٠ هـ / ١٣٩٧ م عمد إلي توسيعها والزيادة فيها[٨] .

---

[١] الخزرجى : *العقود* ، ج٢ / ٦٩ ، *العسجد* ، ق ٢٢٠ . وتعرف الجمهلية اليوم بالجحملية . راجع : المقحفى : *معجم البلدان* ، ص ٩٨ .
[٢] الخزرجى : *العقود* ، ج٢ / ٧٣ .
[٣] الخزرجى : *العقود* ، ج٢ / ١٣٤ ؛ ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٣٧٥ .
[٤] الخزرجى : *الكفاية* ، ق ١٩٩ ؛ *العقود* ، ج٢ / ١٤٣ ؛ *العسجد* ، ق ٢٥١ .
[٥] الخزرجى : *العقود* ، ج٢ / ٢٢٥ .
[٦] وحدد موضعه قبالة مدرسة الميلين الأيوبية من جهة الغرب . راجع : *العقود* ، ج٢ / ٢٤٦ .
[٧] الخزرجى : *العقود* ، ج٢ / ٢٢٥ .
[٨] الخزرجى : *العقود* ، ج٢ / ٢٤٦ .

وكان الأشرف الثانى الرسولى من المغرمين بالتشييد والبنـــاء ، إذ يمــدنا الخزرجى برواية تؤيد ذلك ، وإن لم يستفض في ذكر هذه العمائر مكتفيا بــالقول بأن استقرار الأشرف الثانى بزبيد عام ٧٩٨ هـــ / ١٣٩٥ م ، وجعلــها محــلا لسكناه واكبه نشاط كبير في العمران والبناء إذ " اخترع فيها القصور العجيبــة ، والمنازل الرحيبة " [١] .

٧ - *كذلك أقدم الأمراء من أفراد الأسرة الرسولية على ابتناء القصور الفخمة لسكناهم* : ويشير الخزرجى إلي قيام الأميرين أسد الدين محمد بن الحسن بن رسول ، وأخيه الأمير فخر الدين بتشييد قصرين في صنعاء ، وقد خرب هــذا القصران وتم هدمهما على أيدى جنود الزيدية في عــام ٦٤٩ هـــ / ١٢٥١ م ، أثناء الصراعات الدائرة بينهم وبين السلطان المظفر الرسولى [٢] .

---

(١) الخزرجى العقود ، ج٢ / ٢٣٣
(٢) الخزرجى العقود ، ج١ / ٩٤ ، العسجد ، ق ١٢٨ .

ب- عمارة الدور

اهتم حكام اليمن في الفترة موضوع البحث إلي جانب تشييدهم للمساجد والمدارس والقصور ، بابتناء الدور الفاخرة - وجاراهم في ذلك - أهل اليسار من اليمنيين ، وقد أوضح العمرى ذلك بقوله " ولأهل اليمن سيادات بينهم محفوظة...ولأكابرها حظ من رفاهية العيش والتنعم ... ولهم الديارات الجليلة والمباني الأنيقة ... " [1] .

وكانت هذه الدور تتخذ منازل لسكناهم،كما استخدم بعضها دورا للضيافة لمن يقدم عليهم زائرا،وكان يطلق على الدار عند ذلك إسم دار المضيف، ويشير العمرى إلي ذلك في سياق حديثه عن حرص سلاطين اليمن وعنايتهم باستقدام أهل الحرف والصناعات وإكرامهم بحكم إغترابهم عن بلادهم ، فيبذلون وسعهم في ضيافتهم [2] .

وتشير المصادر إلي أسماء عديد من تلك الدور المندرسة،التى شيدت في كثير من مدن اليمن.من هذه الدور دار السعادة التى أشرنا إليها عند الحديث عن عمارة المدن التى ترجع للعهد الأيوبى،ودار الطويلة،ومنها أيضا دار الصلاح، وتنسب إلي صلاح بن على الطائى أحد مياسير التجار بعدن في عصر بنى رسول، والذى أضطرته الإجراءات القاسية التى لحقت بالتجار في أواخر عهد الدولة الرسولية،وما حاق بهم من ظلم وعسف إلي الهروب من عدن إلي سواحل الهند، فاستصفت الدولة أملاكه ومن بينها هذه الدار،وضمتها لبيت المال،وفي عهد بنى طاهر،جعلوها مقرا للمتجر السلطانى،وزاد سلاطين بنى طاهر في مساحتها زيادة كبيرة استغلت كمخازن لمتاجرهم [3] .

ومنها أيضا الدار التى شيدها الأمير علم الدين وردسار في صنعاء ، واتخذ لها موضعا في بستان طغتكين المعروف ببستان السلطان الواقع في الجانب الغربى من صنعاء والذى أقام فيه طغتكين من قبل الكثير من الدور وأجرى إليها الماء من غيل

---

(١) العمرى : _مسالك الأبصار_ ، ص ١٥٩ .
(٢) العمرى : _مسالك الأبصار_ ، ص ١٦٢ .
(٣) بامخرمة _تاريخ ثغر عدن_ ، ج١ / ١٢ .

البرمكي [١] ، فنهج علم الدين وردسار نهجه ، وابتنى دارا في أحد أركانه ، وجعلها مقرا لإقامته " ونقل إليها أمواله وذخائره " ، وجعل في البستان حماما ساق إليه الماء من نفس الغيل ، وأحاط الدار بخندق مشبك بشبابيك مقفلة ، ترفع عند نزول السيول ، لتدخل المياه منها ، فلا تنجرف الدار بفعل الماء المندفع ، وحدث عام ٦٠١ هـ / ١٢٠٤ م ، أن جاء السيل " قبل رفعها ، فرجع إلي قرة العين ، ثم دفع دفعة واحدة ، فأخرب دار وردسار ، وذهبت بجميع ما فيها ، وكان وردسار حينئذ في الحمام ، فدخل عليه السيل من باب الحمام فقر بنفسه إلي باب السبحة ، وكاد أن يهلك " [٢] .

كذلك شيد الداعي محمد بن حاتم دارا في وادي ضهر ، ووصفها عماد الدين إدريس بأنها كانت دارا حسنة فسيحة ، ويبدو أن بعض أجزائها زالت عنه كسواته الزخرفية فعمل ابنه العباس على ترميمها فجصصها " وأصلحها وأمر من حسن كسلها " وسكن بها [٣] .

ومن سلاطين بني رسول الذين أبدوا اهتماما خاصا بتشييد الدور ، الملك المظفر يوسف ،الذي أمر بتأسيس دار للمضيف في ذي عدينة بتعز [٤] ، وحرص علي إعمارها من مال حلال ،فيذكر الجندي ، أنه قام بتوفير الأحجار اللازمة لبنائها من دار قديمة كانت تقع في منطقة الشعبانية خارج تعز ، اشتراها من ورثتها، من ماله الخاص ونقلت أحجارها على ظهور الجمال إلي ذي عدينة ،فابتنى بها داره الجديدة وهي دار المضيف ، بينما اجتلب لها الآجر من موضع آخر [٥] .

ومما سبق يتضح أن السلطان المظفر كان حريصا كل الحرص على أن تكون المواد المستخدمة في بناء تلك الدار ذات المنفعة العامة من مال حلال ليست

---

[١] يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ق ١ ، ص ٣٣٧
[٢] يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ق ١ / ٣٨٧ ، ولم يغرق هذا السيل دار وردسار فقط وانما اخرب العديد من الدور المعمورة وأهلك الكثير من الأنفس والأموال . اما عن دار وردسار فلم يتبق منها إلا بقايا عقود وشبابيك أتى سيل عام ١٠٢٩ هـ / ١٦١٩ م على ما تبقى من آثارها ، ثم جددت وأعيد بنائها ثانية زمن يحيى بن الحسين (ت ١١٠٥ هـ / ١٦٨٨ م) . (راجع : غاية الأماني ، ق١، ص ٣٨٨)
[٣] عماد الدين إدريس نزهة الأفكار ، ق ١٣٢
[٤] الخزرجي العقود ، ج١ . ٢٣٣
[٥] الجندي السلوك ، ج١ ، ق ١١٣

به شبهة الحرام،فعمد لشراء الدار القديمة من أصحابها رغم تفرقهم في البلاد اليمنية وقام بنقض عمارتها واستخدام أحجارها في تشييد داره الجديدة مما يعبر عن تحريه العدل وعدم استغلاله لسلطانه في الحصول على المواد اللازمة من دور مغتصبة .

كذلك تعرفنا على مواد البناء المستخدمة في التشييد وهي الحجارة والآجر، مما يشير إلي عناية المظفر بتقانة بنايتها باعتبارها أحد المآثر الخيرية .

وأبدى السلطان الملك المجاهد بدوره عناية فائقة في ابتناء الدور العامة ، ومن أبرزها دار العدل [1] ، والتي خصصها للنظر في مظالم الرعية وكانت قائمة في سوق الأحد بذي عدينة بتعز و " جعلها قريبة [من السوق] للإطلاع على أمر المظلومين ، وجعل الدار مشرفة على السوق لينتصف اليه المظلوم " [2] ، مما يحقق سرعة الفصل في مظالمهم ، ولعل في الحرص على بناء دار للعدل ما يعبر عن عناية سلاطين بني رسول بالنظر في أحوال رعاياهم ورفع الظلم عنهم ، ورد لكل ذي حق حقه [3] .

كذلك قام الملك الأشرف الثاني الرسولي بعمارة دارين أو قصرين في زبيد سميا باسم واحد وهو دار النصر أو قصر دار النصر ، الدار الأولى كانت قائمة بناحية القوز وهو موضع قرب قرية القرتب جنوبي زبيد ، وكان الشروع في تأسيسها في عام ٧٨٠ هـ / ١٣٧٩ م ، وهي الدار التي شهدت وفاة زوجة وأم أولاده جهة الطواشي معتب عام ٧٩٦ هـ / ١٣٩٣ م [4] . أما الدار الثانية فعرفت أيضا بدار النصر ، وشيدها في ناحية القوز الأعلى من زبيد ، واحتفل بوضع أساسها في غرة شهر ربيع الأول عام ٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ م [5] .

وشيد في زبيد في منطقة النخل كما سبق القول قصرا ، أو دارا كبيرة عرفت باسم دار الذهب ، وكانت هذه الدار ملحقة بالركن اليماني من الدار

---

(١) الأفضل الرسولي : *العطايا السنية* ، ق ٣٦ ؛ وراجع أيضا :ابن الديبع : *الفضل المزيد* ، ص ٩٨ ؛ الخزرجي : *العقود* ، ج٢ / ١٠٧ .

(٢) الأفضل الرسولي : *العطايا السنية* ، ق ٣٦ .

(٣) راجع أمثلة عن حرص حكام اليمن على نظر المظالم وإنصاف أصحاب الحقوق ، ص ١٦٢ من الكتاب .

(٤) الخزرجي :*العقود*، ج٢ / ١٤٣ ، *الكفاية* ، ق ٢٢١ ؛ ابن الديبع :*قرة العيون* ، ص ٧٦ – ٣٧٧ .

(٥) الخزرجي : *العقود* ، ج٢ / ٢٠١ ، *العسجد* ، ق ٢٧٢ ؛ *الكفاية* ، ق ٢١٨ .

السلطاني الكبير بزبيد ، وزودت بالعراريش والاسطبلات ووصفها الخزرجي بقوله وجعل السلطان لحوية باب الدار أربعة أبواب شرقي وغربي وشمالي وجنوبي ، واحتوت الحوية على آلات السلطان كلها من الخيل والبغال والحمير والأفيال،وسائر البيوتات كالخزانة والفرشخانة والطشتخانة ، والشربخانة،والركبخانة ، والطبلخانة ، فازدان بها الموضع وحسن حسنا تاما " [١] . ومن الجدير بالذكر أنه احتفل بوضع أساسها في ٢١ جمادى الآخر عام ٧٩٧ هـ/ ١٢ ابريل عام ١٣٩٤ م ، وأمر الصانع بالاهتمام بعمارتها وسرعة الفراغ منها ، فانتهوا من عمارتها في الثاني من شعبان من نفس العام ، فاستغرق بذلك بناء الدار وملاحقها نحوا من أربعين يوما ، مما يعد زمنا قياسيا لا يستطيعه إلا من يملك المال والنفوذ [٢] .

أما الملك الناصر أحمد بن الأشرف ،فيرجع إليه الفضل في إنشاء عدد كبير من الدور ، ذكرت المصادر أسماءها ومواقعها منها داري الترنجة ،والقاهرة ، وأحدثهما في حصن الفص بقورابر [٣] ، والذي يعزى إليه عمارته وتحصينه [٤] ، فبنى فيه " قصورا مشيدة ودورا شامخة ، وجعل خشبها من الصندل " [٥] ، وأنشأ دارا ثالثة في بحرة ورابعة بالدعب [٦] . كما ابتنى دارين عظيمتين في بيدحه [٧] ، وأحاطهما بالبساتين والقنوات المائية التي ساق اليها الماء من أماكن بعيدة [٨] ، كذلك شيد في المقرانة [٩] دارا عظيمة عرفت باسم دار النعيم ، أسست في سنة

---

(١) الخزرجي : *العقود* ،ج١ / ٢٢٦.

(٢) الخزرجي *نفس المصدر والصفحة* .

(٣) وهو أحد حصون اليمن في وصاب السافل قرب زبيد يعرف مكانه اليوم بالمكعل وقد خربت مبانيه منذ زمن قديم . (راجع : الأكوع : *البلدان اليمانية* ، ص ٢٣٨ وهـ١ ؛ المقحفي : *معجم المدن* ، ص ٣٣٧) .

(٤) ابن الديبع :*قرة العيون* ، ص ٣٩١ ؛*الفضل المزيد* ، ص ١٠٨ .

(٥) ابن الديبع :*قرة العيون* ، ص ٣٨٩ .

(٦) ابن الديبع :*الفضل المزيد* ، ص ١٠٨ .

(٧) بيدحه : مقاطعة في عزله أرباب من بلاد بريم جنوب صنعاء .راجع : المقحفى ،*نفسه* ، ص ٦٢ .

(٨) ابن الديبع :*قرة العيون* ، ص ٣٩١ ،*الفضل المزيد* ، ص ١٠٨ .

(٩) حصن وبلدة في عزلة حجاج من ناحية جبن وأعمال رداع وتبعد عنها بمسافة ٦٢ كيلو مترا، كانت عاصمة للدولة الطاهرية ، وقد خربت الآن ، وهى مجرد قرية صغيرة ليس بها سوى عدة مزارع وبيوت حديثة وعدد سكانها قليل (راجع : الأكوع : *البلدان اليمانية* ، هـ ٢ ، ص ٢٧٢ ؛ المقحفى : *معجم المدن* ، ص ٤٠٣ - ٤٠٤) ومن الجدير بالذكر أن أحد أبواب اشبيلية التى كانت=

٨٢٠ هـ / ١٤١٧ م ، ويذكر ابن الديبع أنه أغدق على البنائين عند الفراغ من عمارتها فمنحهم مكافأة قدرها ٢٠ ألف دينار [١] ، كذلك ينسب إليه عمارة الدار الناصرى الكبير في زبيد [٢] .

وينسب إلي ولده الأشرف اسماعيل بناء دار المملكة بتعز وعرفت هذه الدار في زمنه بالأخضرى [٣] ولعلها زيادة أمر باضافتها على قصر الحكم في عصره، ويعزى إلي عمه السلطان الملك الظاهر يحى بناء دار السلا على باب الشبارق أحد أبواب مدينة زبيد ، في عام ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨ م [٤] ، كذلك شيد الظاهر يحى دارا ثانية في نخل الوادى بزبيد وذلك في عام ٨٣٥ هـ / ١٤٩١ م ، عرفت باسم دار العذيب [٥] ، ومن المؤسف ألا يرد في المصادر العربية أية تفاصيل عن عمارة هذه الدور باستثناء أسمائها ومواقعها .

وهناك دور ورد ذكرها في المصادر دون أن يذكر أسماء من شيدها أو صفة بنائها وتخطيطها المعمارى ، منها دور سلطانية ، وأخرى للأمراء وأعيان البلاد ، ومن أمثلة هذه الدور دار شهاب وكانت قائمة في صنعاء في أواخر ق٦هـ / ق ١٢ م [٦] ، ودار العنقاء ، ودار المسعودة ،وكانتا قائمتين في حصن أفئدة أحد حصون صنعاء [٧] في عهد المظفر الرسولى .

ومن الدور التى كانت قائمة أيضا في الفترة موضوع البحث ، ووردت الينا اسماءها ، مجموعة من الدور السلطانية التى اعتاد السلاطين النزول بها أثناء تنقلاتهم بأنحاء اليمن ، ويبدو أنها كانت ملحقات بالقصور السلطانية أو وحدات معمارية قائمة بذاتها ، ومنها دور أخرى للأمراء والأعيان ، فمن الطائفة الأولى :

=موطنا لكثير من القبائل اليمنية في العصر الاسلامى كان يعرف بباب مقرانة Macaran مازال قائما حتى اليوم .

[١] ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص ١٠٦ ؛قرة العيون ، ص ٣٨٩ .

[٢] الخزرجى :الكفاية ، ق ٢٤٤ ؛ ابن الديبع :قرة العيون ، ص ٣٩١ ، الفضل المزيد ، ص ١٠٨ .

[٣] ابن الديبع :قرة العيون ، ص ٣٩٣ .

[٤] ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص ١١٠ ، الكفاية ، ق ٢٤١ .

[٥] ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص ١١١ .

[٦] يحيى بن الحسين :أنباء الزمن ، ق ٦٢ . وشهاب هذا هو الأمير الشهاب الجزرى نائب صنعاء في عهد العز اسماعيل بن طغتكين الأيوبى ولم يشر صاحب أنباء الزمن صراحة هل هو المشيد لها ، أم المالك فقط .

[٧] عماد الدين إدريس :نزهة الأفكار ، ق ٧١ .

دار السعيدة : وكانت قائمة في زمن المظفر الرسولى في منطقة الجبيل بتعز (فيما بين المدرستين المجاهدية والأفضلية وبين قرية عُسَيْق) [١] .

دار الشجرة : وكانت قائمة في مدينة تعز ، وورد ذكرها للمرة الأولى في عهد المؤيد الرسولى ، مما يرجح معه أن يكون هو مشيدها ، وظلت قائمة تؤدى وظيفتها حتى أواخر العصر الرسولى [٢] .

دار المؤيد : وهى داره التى كان يسكنها قبل توليه السلطنة ، وكانت قائمة في منطقة الميهال بتعز ، أقامت فيها عمة الملك المؤيد الدار الشمسى أثناء إقامتها بتعز لزيارة قبر أخيها المظفر ، وتوفيت بها عام ٦٩٥ هـ/ ١٢٩٥ م [٣] .

دار السلام : في مدينة جبلة ، وهى ذاتها التى كانت تسمى دار العز من العصر الصليحى ، حيث ينسب تشييدها للسيدة الحرة بنت أحمد الصليحى ، وظلت تؤدى وظيفتها طوال العصر الأيوبى والرسولى [٤] .

دار الشريف : وكان موضعها بمدينة تعز ، وورد ذكرها عند نزول الأشرف الثانى بها وإقامته فيها عام ٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م ، دون أية إشارة إلي اسم مؤسسها أو إلي موضعها بالمدينة [٥] .

دار السرور : وهى إحدى الدور السلطانية بتعز وورد ذكرها عند الحديث عن وفاة السلطان الملك الأشرف اسماعيل بن الظاهر يحيى بها عام ٨٤٥هـ/ ١٤٤١ م [٦] .

دار القسطال : وهى إحدى الدور القائمة في حصن تعز في أواخر العهد الرسولى ، وأقام فيها الشيخ عامر بن طاهر مناصرا للمظفر يوسف الثانى بن

---

(١) الخزرجى : *العسجد* ، ق ١٢٦ ، *الكفاية* ، ق ١٠٢ ، *العقود* ، ج١ / ٩٢ .

(٢) الخزرجى : *العسجد* ، ق ١٩١ -١٩٢ ، ٢٥٩ ، *العقود* ، ج١ / ٣٥٨ ، ج٢ / ١٤ ، ١٦٢ ، ١٨٢ ، *الكفاية* ، ص ١٦٤ ، ٢١١ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ؛ ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٣٤٨ ، ٣٩٦ . وقد وافت المنية الملك المؤيد في هذه الدار عام ٧٢١ هـ / ١٣٢١ م ، وكانت تقع في العصيفرة شمال تعز حيث توجد محلة تعرف بالشجرة ، كان بها بستان وعدة روافد مائية . (راجع : *قرة العيون* ، هـ ٢ / ٣٤٨ للمحقق) .

(٣) الخزرجى : *العقود* ، ج٢ / ٢٤٥ ، *الكفاية* ، ق ١٢٩ ، *العسجد* ، ق ١٦١ .

(٤) الخزرجى : *العسجد* ، ص ٢٦٣ ، *الكفاية* ، ق ١٧٠ ، *العقود* ، ج٢ / ٦٣ ، ١٧٥ - ١٧٦ ؛ ابن الديبع : *قرة العيون* ، ص ٣٨٣ وهـ ٣

(٥) الخزرجى : *العقود* ، ج٢ / ١٨١

(٦) ابن الديبع *قرة العيون* ، ص ٤٠١ ، *الفضل المزيد* ، ص ١١٥ .

المنصور عمر بن الأشرف اسماعيل في صراعه على السلطة مع منافسه المسعود بن الأشرف بن الناصر بن الأشرف الرسولي [١] .

دار النجا : وكانت بدورها إحدى الدور السلطانية بتعز ، استقر فيها المظفر يوسف الثاني عقب تنصيبه سلطانا عام ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م ، " فنزل بدار الشجرة في موكب عظيم ، ثم ركب إلي دار النجا بتعز و لم يزل " [٢] .

أما دور ومنازل الأمراء والأعيان البلاد ، فقد أمدتنا المصادر ببعض الإشارات عن عدد من هذه الدور من حيث أسمائها وأسماء شاغليها أو مؤسسيها دون التطرق إلي تفاصيل بناء هذه الدور أو مكوناتها المعمارية ، من أشهر هذه الدور : دار أسد الدين بن رسول : وشيدها عام ٦٥٧ هـ / ١٢٥٨ م في منطقة تعرف بالحبول قريبا من حصن ذى مرمر شمال صنعاء . كذلك ابتنى أحد دعاة الاسماعيلية ويدعى الداعى الحسين بن على بن الوليد الأنف دارا عرفت باسم دار الريشة ، وكانت مجاورة لدار أسد الدين سابقة الذكر [٣] ، وكانت كلتا الدارين تقومان بجوار باب ياقوت أحد أبواب حصن ذى مرمر الأولى من خارجه ، والثانية بجوار الباب من داخله [٤] .

---

[١] ابن الديبع *قرة العيون* ، ص ٤٠٤ ؛ الخزرجي : *الكفاية* ، ق ٢٤٤ .
[٢] ابن الديبع *قرة العيون* ، ص ٤٠٢ ، الخزرجي : *الكفاية* ، ق ٢٤٣ .
[٣] عماد الدين إدريس : *نزهة الأفكار* ، ق ٦٥ .
[٤] عماد الدين إدريس *نزهة الأفكار* ، ق ٥٣ ، ٦٥ .

(٣) الاستراحات

اهتم بتشييدها حكام اليمن من بني رسول بصفة خاصة ، وكانوا يقصدونها في الصيف للتنزه وطلب الراحة حيث شغفوا بالنزول إلي البساتين والمتنزهات التي أقاموها بأنحاء اليمن لاسيما بتعز وزبيد ، وحرصوا على ابتناء الاستراحات الخاصة وسط هذه البساتين للإقامة فيها كلما قصدوا بستانا منها ، ويشير العمرى إلي ذلك في قوله " ولصاحب هذه المملكة البساتين والمتنزهات الحسنة ، يتعهدها في الأحيان ، ويقيم بها للتنزه بها ، وهذا الملك لا ينزل في أسفاره إلا في قصور مبنية له في منازل معروفة من بلاده ، فحيث نزل في منزله وجد بها قصرا مبنيا ينزل به " [١] ، حيث اعتاد الواحد منهم أن " يصيف بتعز ، ويشتي بزبيد " [٢] .

وكانت بعض هذه الاستراحات تقوم وسط البساتين التي اعتنى بغرسها سلاطين اليمن في الفترة موضوع البحث [٣] ، بينما شيد البعض الآخر في بساتين كانت قائمة من قبل في فترة سابقة على العصر موضوع البحث ، ولم تكن معروفة على الاطلاق وإنما شاع ذكرها بعد أن أصبحت موضع رعاية السلاطين الذين عنوا بغرسها وتعهدوها بالرعاية منذ العصر موضوع الدراسة ، وكانوا ينتقلون من استراحة إلي غيرها للتنزه في جنباتها إذ كانت على حد قول العمرى " مقصورة على لذاتهم والخلوة مع حظاياهم وخاصتهم من الندماء والمطربين " [٤] ، وبخاصة السلطان الملك المؤيد الذى شغف بالخلوة في بساتينه العديدة وخاصة بستان ثعبات الذى اعتاد أن يقضى فيه أوقاتا سعيدة ، ويقيم الاحتفالات الفخمة التي يدعو إليها أعيان الأمراء " ويمد لهم الأسمطة الفاخرة ، ويعقد لهم الجلسات في متنزهاته ووسط بساتينه [٥] .

---

[١] العمرى : مسالك الأبصار ، ص ١٥٣ .
[٢] العمرى بمسالك الأبصار ، ص ١٥٢ ؛ القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٥ / ٨ .
[٣] الخزرجي : العقود ، ج١ / ٣٢٩ .
[٤] العمرى : مسالك الأبصار ، ص ١٦٠ .
[٥] ابن عبد المجيد بهجة الزمن (تحقيق) ، ص ٢٣٨ .

ومن بين تلك الاستراحات المزودة ببساتين وجنات بستان الراحة المعروف بحائط لبيق ، ويرجع تاريخ اقامته إلي عهد المؤيد الرسولى ، وكان يقع ظاهر بـــاب الشبارق بزبيد ، وابتنى به – كما سبق الذكر – استراحة أو قصرا عظيما ، سمـــى باسم البستان فكان يعرف بقصر بستان الراحة ، أو قصر حائط لبيق [١] . كمـــا كان يعرف أيضا بالبستان الشرقى نسبة لموقعه بشرق مدينـــة زبيـــد [٢] . ومـــن البساتين التي شيدها المؤيد أيضا ، وابتنى بها قصرا يقضى فيه أوقات راحته بســـتان صاله الواقع شرقي تعز وابتنى به قصرا أو استراحة عرفت بالمنتخب وضع أساســـه عام ٧٠٨ هـــ / ١٣٠٨ م [٣] ، فجاء في عمارته " بديع المباني مستغن بحسنه عن الأغاني ليس له في شكله ثان " [٤] .

كذلك نهج المجاهد نهج أبيه فأنشأ البساتين بدوره وساق إليها الماء اللازم ، وشيد بها المباني والاستراحات الخاصة ، ومن هذه البساتين الجهمليـــة واســـتراحته المنسوبة إلي البستان وعرفت بقصر الجهملية [٥] ، وعمد ابنه الأفضل بـــدوره إلي الاهتمام بعمارة الاستراحات والبساتين المحيطة بها ، وتذكر المصادر عمارته لـــدار الديباج في البستان الذى عرف باسم الاستراحة فسمى ببســـتان دار الـــديباج ، وحرص على غرسه بغرائب الأشجار الواردة اليه من الهند وغيرها من الأقطار[٦] .

واقتدى الأشرف الثاني الرسولى بأسلافه ، فحرص بـــدوره علـــى بنـــاء الاستراحات وغرس البساتين ، ومن أشهرها بستان ســـرياقوس الأعلـــى في وادى زبيد ، الذى غرس فيه غرائب أنواع الشجر [٧] .

ولعل أهم هذه الاســـتراحات جميعـــا بســـتان ثعبـــات الـــذى حظـــى لفترة طويلة بعنايـــة الســـلاطين الـــذين ســـبقوا العصـــر موضـــوع الدراســـة وواصل من خلفهم من ســـلاطين بـــنى أيـــوب وبـــنى رســـول العنايـــة بهـــا

---

[١] الخزرجي : _الكفاية_ ، ق ١٦٠ ، ١٧٣ ، ٢١٤ ، _العسجد_ ، ق ٢٦٧ .
[٢] الخزرجي : _العقود_ ، ج٢ / ٣٤ – ٣٥ ، _العسجد_ ، ق ٢٠٣ .
[٣] الخزرجي : _العسجد_ ، ص ١٨١ .
[٤] ابن عبد المجيد _بهجة الزمن_ (تحقيق الحبشى) ، ص ٢٥٥ ؛الخزرجي : _العقود_ ، ج١ / ٣١٣ .
[٥] الخزرجي : _الكفاية_ ، ق ١٧٣ ، _العقود_ ، ج ٢ / ٦٩ .
[٦] الخزرجي : _العقود_ ، ج٢ / ١٢٠ .
[٧] ابن الديبع : _قرة العيون_ ، ص ٣٨٧ ؛الخزرجي : _العقود_ ، ج٢ / ٢٦٠ .

بحيث أصبح بحق أجمل مصايف اليمن[١] ، وتذكر المصادر أن المنصور بن المفضل بن أبي البركات الحميرى [٢] هو أول من اتخذه استراحة له ، فكان ينـزل إلي هذه الاستراحة من حصن تعز ، فيقف بها الأيام ، ولم يـزل كذلك إلي أن توفى سنة ثمان وأربعين وخمسمائة " [٣] .

ثم بدأ الرسوليون في عمارة هذه المنطقة وإحيائهـا،ووردت أول اشارة لثعبات في نقش كتابي نشره"ركس سميث R. Smith كان مسجلا على جدران بركة قديمة مشيدة من الحجر،ويرجع تاريخ هذا النقش لعام٦٤٥ هـ / ١٢٤٧م ، أى أواخر عهد المنصور نور الدين عمر مؤسس دولة بنى رسول،ونطالع في النقش النص التالى: "بسم الله الرحمن الرحيم ، أتم بناء هذه البركة المباركة مولانا الأمير ، قطب الدين[٤]خلد الله ملكه وكان[الفراغ من]هذه البركة يوم الأحد...[الحادى عشر] من شهر محرم سنة خمس وأربعين وستة مائة " [٥] .

وقد تكرر ذكر هذا المتنـزه السلطاني بعد ذلك في كتابات المـؤرخين ، فيذكر الخزرجي أن الملك المظفر اتخذ من ثعبات مقرا لإقامته في أخريات حياتـه ، بعد أن تخلص من مهام الحكم وأعبائه ، وسلم مقاليد الأمور لأبنـه وولى عهـده الأشرف في عـام ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م [٦] ، وفي هـذه الاستراحـة وافتـه

---

[١] العمرى : *مسالك الأبصار* ، ص ١٦٠ .

[٢] المنصور بن المفضل ، هو الأمير الذى انتقلت إليه أملاك وذخائر الصليحيين عقب وفاة السيدة الحرة بنت أحمد عام ٥٣٢ هـ / ١١٢٧ م . وتولى زمام الأمور بعدها ، وعندما كبر سنه وضعف ، ابتاع الداعى بن سبأ منه الحصون والبلاد عام ٥٤٧ هـ / ١١٥٢ م بمائة ألف درهم وكان عدد الحصون ٢٨ معقلا ، واستقر المنصور بحصن تعز وصبر . (راجع : عمارة اليمنى : *المفيد* ، ص١٧١ ، ١٨٧ ، ٢٣٤ ؛ الأفضل الرسولي :*فاكهة الزمن* ، ق ١٦٥ ؛أحمد بن أحمد بن محمد المطاع :*تاريخ اليمن الاسلامى* ، تحقيق عبد الله الحبشى ، ط١ ، بيروت ١٩٨٦،ص ٣٠١ -٣٠٢) .

[٣] الأفضل الرسولي:*فاكهة الزمن* ، ق ١٦٥ ، ويجعل البعض تاريخ وفاته عام ٥٥٢ هـ . (راجع : ابن سمرة : *طبقات فقهاء اليمن* ، هـ ١ / ١٢٤) .

[٤] قطب الدين : هو أحد أبناء المنصور نور الدين عمر الثلاثة وهم المظفر يوسف والمفضل قطب الدين والفائز أحمد . (راجع : ابن حاتم :*السمط* ، ص ٢٧١ ، ٢٩٥ - ٢٩٦ ؛ الخزرجى :*العقود* ، ج ١ / ٨٣) .

[٥] راجع النص في

Smith(G.R.),The Yemenite Settlement of Th' abat Historical numismatic and Epigraphicnotes Arabian Studies I , 1974 , pp . 120 - 122 .

وراجع وصف هذه البركة أيضا في ابن عبد المجيد :*بهجة الزمن* ، ص ٢٣٩ .

[٦] ابن عبد المجيد :*نفسه* ، ص ١٧١ ؛ الخزرجى :*العقود* ، ج١ / ٢٣٢ .

المنية في نفس العام [(١)] .

كذلك اهتم الملك المؤيد بن المظفر بهذا الموضع ، حيث غرس فيه البساتين النضرة ، وشيد بها الاستراحات ، ومنها قصر المعقلى عام ٧٠٨ هـ / ١٣٠٨م [(٢)] وداوم على العناية بهذا المتنــزه وصيانة عمائره لشغفه بالنــزول فيه [(٣)] . ونهج المجاهد نهج والده فاعتنى بذات المتنــزه وأكمل عمارته وقام بانشاء سور ثعبات ورتب على أبوابها الحراس [(٤)] ، وذلك فيما بين عامى ٧٣٣ - ٧٣٤ هـ / ٣٢-١٣٣٣م [(٥)] ، وركبت أبوابها وصارت ثعبات مدينة حصينة ، وعمر جامعها ، وأجرى إليه الماء ، ورتب فيه إماما ومؤذنا وخطيبا ومعلما وأيتاما يتعلمون القرآن الكريم ، ومحدثا يقرئ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوقف السلطان عليهم وقفا يكفيهم جميعا [(٦)] . وهكذا جعل منها المجاهد مدينة متكاملة ، ومركزا علميا متألقا بفضل الجامع الذى أنشأه وكان يقوم بدور المدرسة ، و لم تقتصر انشاءاته بثعبات على ذلك ، بل يشير الخزرجي إلي قيامه ببناء العديد من القصور الفخمة والبساتين الرائقة [(٧)] ، ويشيد كل من العمرى والقلقشندى بما استحدثه المجاهد في مدينة ثعبات من عمائر ، وبخاصة القبة الكبيرة والمقعد اللذين قام ببنائهما، وفي ذلك يقول العمرى [(٨)] " ولسلطانهم بستان يعرف بالثعبات ، يطلع

---

(١) الخزرجى : العقود ، ج٢ / ٢٣٢ ؛ وراجع أيضا : ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص ١٧١ ؛ ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص ٩٣ ، قرة العيون ، ص ٣٣٤ .

(٢) راجع ما سبق عنه ، ص : ٨٥٧ وما بعدها .

(٣) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص ٢٣٨ . كذلك اعتنى المؤيد ببستان صهلة في تعز ، وساق إليه المياه من الجبال المجاورة ، وابتنى فيه أبنية غاية في الحسن . (راجع : القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٥ / ٨) . ويذكر ابن عبد المجيد وصفا لبركة المياه التى تتوسط هذا البستان وإحاطة أشجار الكروم بها ، ومدى صفاء المياه في هذه البركة رغم عمقها الذى يصل لمقدار قامة الانسان . (راجع : بهجة الزمن ، ص ٢٤٠ _ ٢٤٢) .

(٤) الخزرجى : العقود ، ج٢ / ٥٨ .

(٥) يذكر سميث أنه شاهد بقايا الأسوار المجاهدية التى كانت تحيط بثعبات ، والتى أقدم على بنائها لحماية المدينة من الغزو وذلك بعد أن استولى عليها بعض الخارجين عليه إثر الانقلاب الذى قام به عمه المنصور أيوب في بداية حكمه وتمخض عنه احتلال ثعبات ولم تكن مسورة من قبل . (راجع : الأفضل الرسولى : العطايا السنية ، ق ٣٦ ؛ Smith , op . cit , pp . 121 – 122) .

(٦) الخزرجى : العقود ، ج٢ / ٥٩ .

(٧) الخزرجى : العقود ، ج٢ / ١٠٦ .

(٨) العمرى : مسالك الأبصار ، ص ١٦٠ وراجع نفس النص مع بعض الاختلاف في القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٥ /٩ .

إليه ، ويقيم فيه أياما للنـــزهة به ، فيه قبة ملوكية ومقعد سلطاني فرشهما وأزرهما رخام ملون ، وبها عمد قليلة المثل ، يجرى فيها الماء من تبعات تملأ العين حسنا[1] ، والأذن طربا بصفاء صفيرها ، وطيب خريرها ، وترى شبابيكهما على أشجار قد نقلت إليه من كل مكان تجمع بين فواكه الشام والهند ، ولا يقف ناظر على بستان أحسن منه جمعا ، ولا أجمع حسنا ، ولا أتم صورة ولا معنى ، يهز معاطف روحـــه الصبا ، كأنه في اليمن من بقايا سبأ " .

ويتضح من النص السابق أن المجاهد شيد بهذا المنتزه مقعدا مغطـــى بقبـــة كبيرة ، كانت حوائطه وأرضياته مكسوة بالرخام الملون ، أما القبة فقد تم رفعهـــا على عدة أعمدة قليلة ، مما يوضح القدرات العالية التي كانت تتوفر لدى المعمـــار اليمنى الذى سخر البناء لخدمة الغرض الذى أنشئ من أجله ، فرفع القبـــة علـــى أعمدة قليلة حتى يتيح قدرا كبيرا من الفراغ أمام المقعد الذى يجلس فيه الســـلطان لإمتاع نظره برؤية البساتين والمياه التي تنساب أمامه بين الجداول ، فلو تعـــددت الأعمدة الرافعة للقبة ، لحجبت رؤية هذه المناظر الخلابة [2] .

وبالإضافة إلي اتخاذها مكاناً للتنـــزه والاستحمام لطيب هوائها ، وجمـــال طبيعتها ، اتخذها سلاطين بنى رسول منتجعاً للاستشفاء والنقاهة ، فتذكر المصادر أن المؤيد أقام فيها للنقاهة حتى يبرأ من المرض الذى ألم به في عـــام ٧٠٤ هـــــ / ١٣٠٤ م ، ولم يزل بها حتى من الله تعالى عليه بالعافية ، فغادرها صاعدا لحصـــن تعز [3] . كذلك نجده يرسل ابنه المظفر حسن إلي ثعبات وذلـــك عنـــدما اعتـــل وأصابته الحمى والسعال ، واشتد عليه المرض في ٧١٢ هـــ / ١٣١٢ م ، وساعد مناخ ثعبات الطيب على شفائه وإبلاله من مرضه إلا أن المرض لم يلبث أن عاوده من جديد وثقل عليه ، فوافته المنية بثعبات في أواخر نفس العام [4] .

---

[1] يذكر الأفضل الرسولى أن والده المجاهد قد جر إليها الماء من جبل صبر وعرف الغيل الذى يرويها بالكوثر . (راجع : *العطايا السنية* ، ق ٣٦) .

[2] الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ٢٩٨ .

[3] للمزيد من التفصيلات عن ثعبات راجع : *Smith , op . cit , pp . 119 – 134*

[4] عماد الدين إدريس : *كنز الأخيار* ، ص ١٤٦ ؛ الخزرجى : *العقود* ، ج١ / ٣٣٠ .

وشغف الأفضل الرسولى بدوره بالإقامة في ثعبات،وكان يدير منـــها شـــئون الحكم[١]،حتى أنه أقام بها دارا لسك العملة،إذ يذكر سميث العثور على بعــض القطــع النقدية التى تحمل اسم الأفضل العباس،منها ما هو مؤرخ بعام ٧٦٥ هــ/١٣٦٣م ومنها ما يعود لعامى٧٦٦ هــ،٧٦٩ هــ/١٣٦٤م،١٣٦٧[٢].كذلك كان ابنــه الأشــرف الرسولى دائم الإقامة في ثعبات،حتى أن الخزرجى يذكر انه صام بها رمضان أكثر من مرة[٣].

واهتم سلاطين بنى رسول بمدينة ثعبات اهتماما عظيما ويتمثل ذلــك في إفرادهم واليا يقوم على شئونها ويضبط أمورها ، ويكون في اســتقبال الســلاطين ومن يصاحبهم من ضيوف عند مقدمهم إليها للتنــزه والاستجمام ، ويشرف على تأمين احتياجاتهم ، والاهتمام بالعمائر السلطانية بها ، ومن أبــرز هــؤلاء الــولاة الطواشى كمال الدين فاتن " ت ٧٩٤ هــ / ١٣٩١ م " [٤] .

وتشير المصادر أيضا إلى أن المجاهد الرسولى،شيد بمدينة ثعبات ســجناً أو معتقلاً خصص للتحفظ على الخارجين على طاعته[٥]،وكان يعــرف باســم دار الأدب،ويبدو من استعراض أسماء بعض المعتقلين فيه،أنه كان مخصصا للمســجونين السياسين المعارضين لسلاطين بنى رسول والخارجين على طاعتهم من ذوى المكانة الاجتماعية العليا في الدولة[٦]،بدليل انشائه في هذا الموضع الذى بالغ المؤرخون في وصف جمال الطبيعة فيه،حتى أن الأفضل الرسولى وصف مآثر والده في تلك المدينة بأنها جعلت منها"جنة الدنيا"،وأطلق على بساتينها اسم"الفردوس" [٧] ،تعبيرا عــن مدى حسنها وجمال طبيعتها،ويؤيده العمرى في ذلك فيصفها بأنها"في اليمن مــن بقايا سبأ "[٨] .

---

(١) الخزرجى : _العقود_ ، ج٢ / ١٣٥ .

(٢) _Smith , op . cit , p . 133 ._

(٣) الخزرجى : _العقود_ ، ج٢ / ١٨٧ ، ٢١٩ .

(٤) الخزرجى : _العقود_ ، ج٢ / ١٩٩ .

(٥) الخزرجى : _العقود_ ، ج٢ / ٦١ .

(٦) وكانوا في معظمهم من الأمراء والقضاة أصحاب المناصب الكبرى في الدولة ومنه قاضى القضاة والمتحدث في أمر الوزارة زمن المجاهد ويدعى القاضى ابن المؤمن ، والأمير سيف الدين برقوق الظاهرى في عهد الظاهر يحيى ، بل كان الظاهر يحيى نفسه مسجونا بثعبات وذلك زمن الأشرف اسماعيل بن الناصر أحمد ، وقبل أن يتولى السلطنة . (راجع : الخزرجى : _العقود_ ، ج٢ / ٦١ ؛ ابن الديبع : _الفضل المزيد_ ، ص ١٠٩ ؛ مجهول : _تاريخ الدولة الرسولية_ ، ص ٢١٨) .

(٧) الأفضل الرسولى : _العطايا_ ، ص ٣٦ .

(٨) العمرى : _مسالك الأبصار_ ، ص ١٦٠ .

(٤) الطـرق والدروب

إهتم الحكام والأمراء بإقامة شبكات من الطرق والدروب التى تربط قلب المدن بظاهرها ، فعنوا بتعبيدها ، وصيانتها بصفة مستمرة ، تيسـيرا للاتصـالات داخلها وخارجها وتسهيلا لعبور التجارة والبريد ، وقوافل الحجيج ، هذا بالإضافة إلي أن تمهيد الطرق وتعبيدها من شأنه أن ييسر على الحملات العسكرية مهام عبور الجيش من موضع إلي آخر عند الخروج للغزو والحرب .

وتتضمن المصادر التاريخية إشارات إلي ما كان يقوم بـه حكـام الـيمن لتحقيق ذلك في تلك الفترة ، ومنهم على سبيل المثال العزيـز سـيف الاسـلام طغتكين ، الذى يرجع إليه الفضل في تجديد تخطيط الطريق أو النقيل الواقع فيمـا بين الجؤة والمفاليس ، وكان يقدر بحوالى مائة وثلاثين ملوى (منعطف) ، وكـان السبب في ذلك أن بعض القبائل العربية عمدت إلي تخريب أجزاء منه ، إثر دخول توران شاه اليمن ، لتعويق مسير الجيش الأيوبى عبره لإكمال مسيرته في الفتح[١] .

وينسب إلي المعز إسماعيل بن طغتكين تعبيد الطريق الواصل فيما بين قلعـة إب والمغربة ، وتقدر مسافته بنحو فرسخين [٢] [١٢ كم] .

وإهتم الأتابك سنقر بدوره بصيانة الطرق وحفظها ، إيمانا منه بأهميتـها كمعابر لنقل الجيوش ، وتأمين سلامة البلاد ، فأصدر أوامره بحفظها وحراسـتها ، فكان يرتب عليها حراسا وحفظة ، يكونون بمثابة عيون على مفارقها تحرزا من أى عدوان تتعرض له [٣] .

ويعد السلطان المظفر يوسف الرسولى أكثر سلاطين تلك الدولة اهتمامـا بعمارة الطرق والدروب ، فتذكر المصادر بعض مآثره في هـذا المجـال ، ومنـها أصداره أمره عام ٦٧١ هـ / ١٢٧٢ م بعمـارة درب ذمـار [٤] . وفي عـام

---

(١) ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٥١ .
(٢) ابن المجاور : *المستبصر* ، ص ١٧٥ ــ ١٧٦ ، والفرسخ يقدر بحوالى ٦ كم عنه راجع : هنتس: *المكاييل* ، ص ٩٤ .
(٣) ابن حاتم : *السمط* ، ص ٩٢ .
(٤) عماد الدين إدريس *كنز الأخيار* ، ص ١١٠ . أما ذمار فهى مدينة كبيرة تقع جنوب صنعاء بحوالى ٩٩ كم . (راجع : المقحفى ، *معجم المدن* ، ص ١٦٧) .

٦٨١هـ / ١٢٨٢ م ، صدرت أوامره للأمير علم الدين سنجر الشعبى[(١)] بعمارة درب شوابه " فقام بتعبيده وشحنه ورتب فيه وأكمله " [(٢)].

كما أعاد السلطان الملك الأشرف الثاني تعبيد درب مدينة الجند ، فقد أصدر أوامره للقاضي وجيه الدين عبد الرحمن العلوى في عام ٧٩٣ هـ / ١٣٩٠م بأن " يندب المعمارين والبنائين ليعمروا " درب الجند " ، ففعل ، وعاد إلي وضعه الأول بعد أن كان قد دثر[(٣)]،وينسب إلي زوجته جهة معتب الأشرفى ، الكثير من المآثر في هذا المجال أيضا،فيذكر الخزرجى أنها كانت"تأمر بإصلاح الطرق والمدرجات والعقبات "،وترفع ما يتضرر منه المارون من الشجر وغيره [(٤)] .

كذلك أمر السلطان الملك الظاهر يحيى ببناء درب جديد على المحالب[(٥)]، إثر تدمير الدرب القديم واحتراقه ضمن ما حرق من مباني البلدة في غزو قامت به قبيلة الواعظات عام٨٣٦ هـ/١٤٣٢م،فكملت عمارته،وتحصنت البلدة بالدروب والأبواب من جديد،وأمنت الدور الواقعة عليه[(٦)].كما ينسب اليه الفضل أيضا في تجديد درب مدينة زبيد عام ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨م[(٧)]، مما زاد في حصانتها،فأمنت المنشآت الواقعة عليه،كما امنت المسافرين والعابرين من خلاله .

---

(١) علم الدين سنجر الشعبى ، كان أحد مماليك المسعود الأيوبى ، متدينا محافظا على الصلوات لعب دورا هاما في أحداث الدولة الرسولية بوصفه احد الأمراء الكبار وقادة الجيش ، توفى عقب إنهيار القصر عليه وعلى مجموعة من ضيوفه من أعيان البلاد في عام ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م . (للمزيد راجع: ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٥٣٨ ـ ٥٤٠ ؛ الخزرجى : _العقود_ ، ج١ / ١٩٦ ـ ١٩٧) .

(٢) ابن حاتم : _السمط_ ، ص ٥٣٨ . وشوابه : واد من أعمال ذى بين في بلاد بكيل ينحدر ماؤه إلي الجوف . وتنسب للوادى قرية شوابه الواقعة أعلاه . (أنظر : الأكوع : _البلدان اليمانية_ ، ص ١٧٠ ؛ المقحفى _بمعجم المدن_ ، ص ٢٣٨ ؛ _Wilson , Gasettear , p . 207_) .

(٣) مجهول : _تاريخ الدولة الرسولية_ ، ص ١١٠ ؛ ابن الديبع : _قرة العيون_ ، ص ٣٨٢ .

(٤) الخزرجى : _العقود_ ، ج٢ / ٢١٠ .

(٥) ابن الديبع : _قرة العيون_ ، ص ٣٩٦ ـ ٣٩٧ ، أما المحالب بلدة تهامية خربة تقع في وادى مور ، وتبعد عن زبيد بحوالى ٢٠٠ كم . (راجع : الأكوع : _البلدان اليمانية_ ، ص ٢٥٦ و هـ ٣ ؛ المقحفى : _معجم المدن_ ، ص ٣٦٤) .

(٦) ابن الديبع : _الفضل_ ، ص ١١٠ .

(٧) ابن الديبع : _نفس المصدر والصفحة_ .

(٥) المنشآت المعمارية العسكرية

لعبت العمائر العسكرية دورا هاما في الفترة موضع الدراسة ، وأولاها الحكام عناية فائقة لأهميتها في المحافظة على أركان دولتهم ، واستطاعوا استغلال ما تتميز به اليمن من عوامل طبيعية متمثلة في الجبال والمرتفعات الشاهقة التي يصعب ارتقاؤها ، فشيدوا في ذراها المعاقل والحصون ، التي اعتبرت بمثابة خطوط دفاعية أولى تسبق المدن ، كما استخدموها كخزائن لحفظ الأموال ، كذلك إتجه بنو أيوب وبنو رسول إلي تجديد عمارة الحصون القديمة والإضافة إليها ، وأقاموا الأسوار حول المدن تمكينا لحصانتها ، واحتفروا الخنادق أمام هذه الأسوار .

وكان الدافع إلي هذا الاهتمام بالمنشآت العسكرية ، ما فرضته عليهم الظروف السياسية المحيطة بهم ، حيث كثرت الصراعات وازدادت وطأة الحروب فيما بينهم ، وبين القوى السياسية الموجودة بداخل اليمن ، ممثلة في دولة الأئمة الزيدية باليمن الأعلى وحلفائهم من القبائل العربية المختلفة ، من جهة ، والصراعات الداخلية على الحكم بين أفراد البيت الحاكم لا سيما في عهد بني رسول ، والحروب التي دارت فيما بينهم للوصول إلي العرش من جهة أخرى كل ذلك جعلهم يهتمون إهتماما خاصا بالعمائر العسكرية وتشييدها في مختلف أنحاء المدن اليمنية .

ومن أهم تلك العمائر الحربية التي شيدوها أو أعادوا تجديدها وترميم عمارتها القديمة : -

أ- الحصون

عني سلاطين بني أيوب وبني رسول بإنشاء العديد من هذه الحصون ، وتجديد عمارة القديم منها ، ففي العهد الأيوبي أعيد بناء الكثير من الحصون إما بسبب قدمها ، أو نتيجة تهدمها بسبب الحرب والحصار ودك بنيانها بالمجانيق ويرجع الفضل الأعظم في ذلك إلي الملك العزيز طغتكين الذي انصرفت همته بعد

إستقرار دعائم الحكم في اليمن إلي إنشاء هذا النوع من المنشــآت بالاضــافة إلي اهتمامه بتشييد القصور [١] .

ومن أشهر الحصون التي تم تجديد بنيتها في زمنه حصن التعكر[٢]،الذى أمر في عام٥٨٥ هــ/١١٨٩م بتحديده بعد نجاحه في الاستيلاء عليه،فهدم ما تبقى منه وبناه بناء جديدا،مبالغة في زيادة وثاقته ومنعته[٣].كما أعاد بناء حصن حب[٤].إثر نجاحه في الإستيلاء عليه قهرا،بعد حصار دام نحوا من سنة،وتم افتتاحه عام٥٨٢هــ ١١٨٦م[٥]،وجدد عمارة حصن خدد[٦]،وانصرفت همته لـتعمير عــدة حصـــون أخرى منها،تجديد بنيان حصن ظفار[٧]الذى ازداد بنيانه حصانة ومنعة بعد هــذه العمارة،واستحال على الزيدية الاستيلاء عليه[٨].وتنسب إلي طغتكين معظم عمرة حصن تعز،وكذلك حصن صغير أقامه على ذروة جبل المفاليس عرف بحصن المصانع[٩].

كما يؤثر عن طغتكين أيضا إعادة بنائه لحصن الدملؤة [١٠] بعد تمكنه من تملكه بالمال " فهدمه وأعاد بناءه ثانية ، وركب عليه ستة أبواب ومن جملتها باب

---

(١) ابن حاتم :السمط ، ص ٣٩ .

(٢) التعكر : جبل في ذى جبله من أعمال إب ، والحصن يعتلى الجبل ويطل على ذى جبلة من الناحية الجنوبية. (راجع : الأكوع :البلدان اليمانية ، ص ٦١ وهـ ٢ ؛ المقحفى : معجم المدن ، ص ٧٠) . وهو اليوم خرائب وأطلال ويستخدم كحامية عسكرية .

(٣) بامخرمة :تاريخ ثغر عدن ، ج٢ / ١٠١ .

(٤) حصن حب : حصن مشهور بناحية بعدان من أعمال إب وهو من أمنع معاقل اليمن ، وأصعبها مرتقى . (راجع : الأكوع :البلدان ، ص ٨٧ ــ ٨٨ وهـ ٤ ؛ المقحفى : معجم المدن ، ص ١٠٤) .

(٥) بامخرمة :تاريخ ثغر عدن ، ج٢ / ١٠١ .

(٦) بامخرمة :تاريخ ثغر عدن ، ج٢ / ١٠١ ، وحصن خدد : كان يقوم في عزلة العارضة من مخلاف جعفر من ناحية حبيش التي تدخل في أعمال إب . (راجع : الأكوع نفسه ، ص ١١٠ ؛ وراجع وصف الحصن والماء الواصل اليه زمن الهمداني في :المقحفى : معجم المدن ، ص ١٤٢) .

(٧) ابن حاتم : السمط ، ص ١١٢ . وظفار اسم لعدة مواضع في اليمن ، ولعل المقصود بذلك من خلال نص ابن حاتم حصن ظفار " ذى ريدان " الواقع جنوبى صنعاء بحوالى ١٥٠ كم . (راجع : الأكوع : البلدان اليمانية ، ص ١٩٢ ــ ١٩٣ ؛ المقحفى بمعجم المدن ، ص ٢٦٧ ــ ٢٦٩) .

(٨) ابن حاتم :السمط ، ص ١١٢ .

(٩) الخزرجي : العسجد ، ق ١٠٠ ؛ بامخرمة :تاريخ ثغر عدن ، ج٢ / ١٠١ ، ووصف ابن المجاور حصن تعز فذكر أنه من أهم الحصون التي بنيت باليمن وأمنعها ،ويطل على تعز حيث شيد على طريق جبا ، وسور بأسوار قوية من الحجر والجص وفتحت فيه الأبواب وهو سرير الملك وحصن الملوك ويعرف باسم تل الذهب أو جبل الذهب لأن أموال جميع اليمن مكنوزة به . (راجع : المستبصر ، ص ١٥٦) .

(١٠) الدُملُؤة : قلعة منيعة مشهورة ، كانت تعرف بـ " خزانة ملوك اليمن " ، تقع جنوب الجند من ناحية الغرب بحوالى ٣٠ كم وتبعد عن تعز بحوالى ٦٠ كم . (راجع : الأكوع : البلدان اليمانية ، ص ١١٧ - ١١٨ وهـ ١) .

الذراع، وباب نبهان ، وباب الأسد ، وباب الغزال ، وحفر فيها ثـلاث بـرك " وغرس حولها بستانا حسنا ، واتخذ حول الحصن ميدانا ، فصارت الدملؤة غاية في الحصانة والمنعة كما غرس بستانا ثانيا تحت الحصن يقال له " الجنات " ، جلب إليه سائر أصناف الفواكه [١] .

واهتم الأتابك سنقر بدوره بعمارة نفس الحصن ، فتذكر المصادر أنه قـام على تعميره ، وابتنى فيه أبنية مختلفة وأضاف إليه عدة مناظر ، وسجل اسمه علـى أبوابها [٢] . كما أدار الملك المسعود يوسف الأيوبى سورا ثانيا حول الحصن مـن كافة الجهات لإحكام حصانته ، في عام ٦١٤ هـ / ١٢١٧م [٣] ، وفي عام ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م أقام نفس الملك سورا حول حصن بكر يطوقه من كافة جهاته ، إمعانا في زيادة حصانته [٤] .

ويؤثر عن المنصور نور الدين عمر بن رسول تشييده لحصن القاهر علـى أنقاض موضع قديم كان يسمى بحجر الجراد في جبل حضور ، فهدمه المنصـور ، ورتب في الجبل عسكرا من المشاه ، حتى فرغ من عمارته ، ورتب فيه واليا يقـوم على امره [٥] . كما ابتنى مجموعة من الحصون على الطريق الواصل بـين الـيمن ومكة ، واحتفر المناهل بجوارها لتزويدها بالماء اللازم للجنود الذين رتبهم في هـذه الحصون تحرزا من أى عدوان قد تتعرض البلاد له من جهة بـنى أيـوب بالـديار المصرية [٦] . وأمر أيضا بعمارة جبل البرك على ساحل البحر الأحمر وهـو أحـد جبال عسير ورتب فيه الجنود [٧] .

---

[١] ابن المجاور : المستبصر ، ص ١٥٤ .
[٢] الخزرجى : العسجد ،ق ١٠٦ .
[٣] ابن المجاور :المستبصر ، ص ١٥٤ .
[٤] الخزرجى : العسجد ، ق ١٠٩ . وبُكَر : أحد حصون صنعاء المشهورة يبعد عنها بما يزيد قليلا عن خمسين كم ،ويحاذى حصن كوكبان من الشمال الغربى . (راجع : الأكوع : البلدان ، ص ٤٦ وهـ٣ ؛ المقحفى : معجم المدن ، ص ٥٥) .
[٥] ابن حاتم : السمط ، ص ٢٢٨ . وحضور :جبل مشهور إلى الغرب من صنعاء ويعرف بجبل النبى شعيب ، ويرتفع فوق مستوى سطح البحر بحوالى ٣٧٠٠ م ،وأطلق اسمه على ناحية حضور التى يقع فيها ، وأعلى رؤوسه يعرف بالقاهر نسبة للحصن الموجود هناك . (راجع : الأكوع : البلدان اليمانية ، ص ١٠٠ هـ ١ ، المقحفى :معجم المدن ، ص ١٢٢ – ١٢٣) .
[٦] الخزرجى : العقود ، ج١ / ٨٣ ؛ ابن الديبع :قرة العيون ، ص ٣١٢ .
[٧] الخزرجى :نفس المصدر والصفحة ؛ ابن الديبع :نفس المصدر ، ص ٣١٢ – ٣١٣ .

ونهج نهجه ولده المظفر يوسف الذى يعد أكثر سلاطين بنى رسول تشييدا للمعاقل والحصون ، ويرجع ذلك لطول فترة حكمه ، وكثرة الأحداث والصراعات التى تعرضت لها البلاد ، طوال ذلك العهد الذى يقترب من نصف قرن ، فتذكر المصادر من جملة المعاقل والحصون التى عمرها وشحنها بالمؤن والعتاد والرجال احترازا على البلاد من غائلة العدو حصن غراب الذى قام بإعماره وفقا لما ذكره ابن حاتم عام ٦٦٤ هـ / ١٢٦٥ م ، ويقع هذا الحصن بأعلى حصن الطويلة غربى صنعاء [١] .وصدرت أوامره في عام ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م ، بعمارة حصن الزاهر [٢] وندب لذلك الأمير فخر الدين بكتمر القلاب (ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م) [٣] . كما عمر حصن التعبرة القريب من حصن ثلا [٤] ، الذى تم ترميمه وتجديده عام ٦٦٧ هـ / ١٢٦٨ م [٥] .

وفي سنة ٦٧٠ هـ/ ١٢٧١م،أمر بعمارة حصن الجنات المواجه لحصن ثلا ، فكملت عمارته في غضون شهرين ، وجعله " دربا عظيما وقصرا وخوارج وأبوابا ، ونقل إليه جميع ما يحتاج من الشحنة " ، كما رتب فيه طائفة من المقاتلة فرسانا ومشاه ، واشرف على عمارته الأمير علم الدين سنجر الشعبى [٦] .

كذلك عمر حصن ذروه [٧] ، " ولم يكن قد عمر منذ عهد الصليحى ، فأمر بعمارته ، وحمل إليه مادة البناء والعدد " [٨] ، وفي عام ٦٧٢ هـ / ١٢٧٣م، أمر بعمارة حصن آخر على الجبل المسمى قرن عنتر [٩] ، وأسماه

---

[١] ابن حاتم : السمط ، ص ٣٦٤ . والطويلة مدينة غرب كوكبان بنحو ٢٥ كم وشمال غرب صنعاء بنحو ٧٧ كم (المقحفى : معجم المدن ، ص ٢٦٥ . وانظر أيضا : الخزرجي : الكفاية ، ق ١١٣) .

[٢] الزاهر : قرية مشهورة في بلاد الجوف جنوبى المطمة . (راجع : المقحفى : معجم المدن ، ص١٨٩) .

[٣] الخزرجي : العقود ، ج١ / ١٤٣ ، الكفاية ، ق ١١٣ .

[٤] التعبرة وثلا يقعان غرب صنعاء . (راجع :
Wilson , op . cit , p . 108 ; Smith,G .R;The Ayyubids and Early Rasulids in the Yemen (567 – 694 / 1173 - 1295) London , 1972 , p . 208 .

[٥] ابن حاتم : السمط ، ص ٣٨١ .

[٦] ابن حاتم :السمط ، ص ٤٠٥ .

[٧] ذروة : حصن منيع في بلاد حاشد يطل على ذى بين ويعرف بذروة حجه . (راجع : المقحفى : معجم المدن ، ص ١٦٧ ؛ Smith , op . cit , p . 148) .

[٨] ابن حاتم : السمط ، ص ٤٠٧ ؛ عماد الدين إدريس :كنز الأخيار ، ص ١١٠ .

[٩] هو الحصن الذى يطل على صنعاء من الجنوب الغربى ويعرف بظفار حتى اليوم(راجع: المقحفى :معجم المدن،ص ٢٦٩؛ Wilson , op . cit , p . 254 . ابن الديبع:قرة العيون،ج٢/ ٣٤٧) .

حصن ظفار ، وأقام المظفر قريبا منه ، حتى كملت عمارته ، وشحنه بالعدد والسلاح والمقاتلة ، وملأ مناهله بالماء جلبه على ظهور الجمال والبغال [(١)] ، كما أمر أيضا بعمارة حصن دايان في بلاد بني شهاب قرب صنعاء [(٢)] ، وأصدر أوامره في عام ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م للأمير علم الدين سنجر الشعبى بعمارة حصن الكوله [(٣)] فامتثل للأمر وأحكم عمارته ،وشحنه بالمقاتلة [(٤)] .

وجدير بالذكر أن المظفر الرسولى خصص لتلك الحصون أوجه للانفاق على ترميمها وتجديد ما تخرب منها وكذلك على من يتولى الدفاع عنها،هي إقطاعات خاصة لكل حصن فرضها على مشايخ البلاد،يصرف منها على ما يحتاجه من مؤن وعتاد ورواتب ولمن يرابط فيه من الجند،ويوضح صاحب السمط ذلك النظا بقوله"أنها" أى الحصون "، لما صارت إلي ملك مولانا السلطان ، أقامت النفقة تحمل اليها من تهامة مدة،ثم وردت الأوامر بعد ذلك على الأمير بدر الدين محمد بن طير—وهو إذا ذات مشد الديوان في المهجم—بان يطلع الحصون ويقرر عليها قطعا،فطلع في سنة إحدى وستين(وستمائة)،وجمع مشايخ البلاد،وتحدث معهم بما ورد به الأمر السلطاني ، فأجابوا بالسمع والطاعة ، وافترقوا، فكانت فرقة هذا الحصن " مبين " ثلاثة آلاف دينار ، والذنوب ألف ومائتين ، وأهل جبل عمرو ألفين وأهل جراف كذلك ... وكانت هذه قطعا يسلمها أهل الحصون ، وسائر البلاد هنالك يجبون ، فيحملون الطعام ، ويسلمون الدراهم " [(٥)] .

ونهج الملك المؤيد نهج سابقيه في الاهتمام بعمارة الحصون،وترميم،وإعمار ما تداعى منها،ففي سنة٧٠١ هـ/١٣٠١م،أصدر أمره إلي الجيش بالشروع في عمارة حصن القنة [(٦)] ، فسارع الجيش إلي عمارتها وشحنها بالمؤن والماء تجنبا

---

(١) ابن حاتم : السمط ، ص ٤٣١ ؛ عماد الدين إدريس بكنز الأخيار ، ص ١١٠ ؛ الخزرجى : العسجد ، ص ١٤٣ ، العقود ، ج١ / ١٦٥ .

(٢) ابن حاتم : السمط ، ص ٤٩٨ .

(٣) الكولة :اسم مشترك لعدد من المواضع باليمن والمراد هنا الحصن الواقع في بلاد حاشد من ناحية العشة . (راجع : المقحفى بمعجم المدن ، ص ٣٥٣ ؛ Wilson , op . cit ; 285) .

(٤) الخزرجى،الكفاية،ق١٢١ ،العسجد،ق ١٥١ ؛عماد الدين إدريس بكنز الأخيار ، ص١١٣– ١١٤ .

(٥) ابن حاتم : السمط ، ص ٣٦٨ – ٣٦٩ .

(٦) القنة:حصن في ريدة التى تقع إلي الشمال الغربى من صنعاء بمسافة ٤٩ كم.(راجع:المقحفى: نفسه، ص ١٨٦) .

للعسكر " مضرة من عدم الماء والطعام " ،وفي نفس العام أمر الحسام بن مسعود ابن طاهر بتجديد عمارة حصن تعز وشحنه بالسلاح ، فنصب فيه منجنيقين [١] .

وفي عام ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م ، بعث قوة من الجند لعمارة الحصن الواقع في البرك من جبال عسير ، وكان المشرف على هذه العمارة الأمير المقدم موسى بن أبي بكر بن علاء الدين [٢] .

أما الملك المجاهد فينسب إليه عمارة حصن الجاهلي في حجة [٣] وإقامة سوره [٤] ، كما يرجع إليه الفضل في ترميم وإعادة بناء حصن تعز إثر تهدمه من ضربات المنجنيق [٥] .

كذلك إهتم الملك الناصر أحمد بن الأشرف اسماعيل بعمارة الحصون ، وتشييد المصادر بعنايته بحصن الفص أحد فروع حصن قوارير عناية فائقة ، فأقدم على عمارته وزيادة تحصيناته [٦] ، واعتنى أيضا بحصن قوارير وبالغ في تحصينه ودعمه، ويذكر ابن الديبع في ذلك أنه " اشتغل بتحصين حصن قوارير المعروف ، وأكثر فيه البناء والتجصيص ، وجمع الأموال وما يحتاج إليه من الشحنة " [٧] ، ويتابع ابن الديبع وصف شدة اعجاب الناصر بحصن قوارير فيذكر أنه أمر بسبب ذلك ببناء القصور المشيدة والدور الشامخة به وجعل خشبها من الصندل ، وطاب له المقام به ، حتى حضرته الوفاة في أحد هذه القصور التي ابتناها بحصن القص من قوارير عام ٨٢٧ هـ / ١٤٢٣ م [٨] .

---

(١) عماد الدين إدريس : _كنز الأخيار_ ، ص ١٢٨ .

(٢) عماد الدين إدريس : _المصدر السابق_ ، ص ١٣٣ - ١٣٤ ؛ الخزرجي : _العقود_ ، ج١ / ٢٩٨ .

(٣) حجة : مدينة كبيرة في الشمال الغربي ن صنعاء بمسافة ١٢٧ كم (راجع : المقحفي بمعجم _المدن_، ص ٧٨ / ١١٠) .

(٤) الأفضل الرسولي : _العطايا_ ، ق ٣٦ .

(٥) الأفضل الرسولي : _العطايا_ ، ق ٣٦ .

(٦) ابن الديبع : _الفضل المزيد_ ، ص ١٠٨ ،_قرة العيون_ ، ص ٣٩١ .

(٧) ابن الديبع :_قرة العيون_ ، ص ٣٩١ .

(٨) الخزرجي : _الكفاية_، ق ٢٤٠ ؛ ابن الديبع :_قرة العيون_ ، ص ٣٨٩ ، ٣٩٢ ، _الفضل المزيد_ ، ص١٠٨ . ويمكننا القول من خلال النصوص الواردة في المتن أن الحصون كانت تتخذ بالاضافة إلي الأغراض العسكرية التى أنشئت من أجلها ، بمثابة مدن قائمة بذاتها تتوافر فيها كافة مقومات الحياة والحماية ، ولذا كانت تمارس بداخلها الحياة العامة ، ويقبل على سكناها الملوك والرعايا . (راجع أيضا : بامخرمة :_قلادة النحر_ ، ق ١١٥٨) .

ب- الأســوار

تعد الأسوار من المنشآت العسكرية الهامة التي عنى حكام اليمن بتشييدها حماية لمدنهم،باعتبارها إحدى الوسائل الدفاعية الهامة التي تعوق إقتحــام القــوات المعادية،وعلى الرغم من دثور هذه الأسوار التي شيدها حكام الــيمن في الفتــرة موضوع الدراسة،بحيث لا يعدو ما تبقى منها أطلال دراســة لا يكــن وصــفها، ولكننا نستطيع تصور ما كانت عليه الأبراج التي كانت تربط بين بدنات الأسوار من حصانة،وما كان يتخللها من مزاغل وسقاطات،وغير ذلــك مــن الوســائل الدفاعية،وذلك من خلال الروايات التاريخية التي أمدتنا بها المصادر عن بعض أسوار المدن اليمنية،كما تعبر النفقات التي أنفقوها في سبيل تدعيم هذه الأسوار والأبراج وتقويتها،وشحنها بالجند والعتاد،عن إهتمام هؤلاء الحكام بإقامة أسوار المدن دعما للدفاع عن تلك المدن .

وتذكر الروايات التاريخية،إهتمام سيف الاسلام طغتكين بإدارة الأســوار حول المدن اليمنية،فتنسب إليه إعادة بناء سور صنعاء بعد أن تهدم[١]،كما يرجــع إليه الفضل أيضا في تشييد سور جديد حول مدينة زبيــد في عــام ٥٨٩ هـــ / ١١٩٣م[٢].وتشير هذه النصوص إلي أن المجاهد الرسولى قــام عــام٧٣٩ هـــ/ ١٣٣٨م بتجديد عمارة هذا السور وفتح فيه أبوابا لربط داخل المدينة بخارجهــا ، واحتفر الخنادق التي تتقدم تلك الأسوار،وقد استغرقت هذه العمارة العسكرية نحوا من ثلاث سنوات[٣]،وكان يتولى الإشراف على هذه العمارة الأمير شجاع الــدين عمر بن عثمان بن محيا أمير مدينة زبيد وناظرها ومشدها[٤] .

وقام الأفضل الرسولى بتجديد هذا السور مرة ثانية إثــر تــداعى بعــض أجزائه، وتثلم عمارة أبراجه ، وردم بعض الخنادق المتقدمة للسور ، فأعاد تجديــد كل ذلك وأنفق في عمارته وتطهير الخنادق من كيمان الأتربــة أمــوالا طائلــة ،

---

[١] الخزرجى *العسجد* ، ق ١٠٠ ؛ بامخرمة : *تاريخ ثغر عدن* ، ج٢ / ١٠١ .
[٢] بامخرمة : *المصدر السابق* ، ج٢ / ١٠١ . وما سبق ، من الكتاب .
[٣] *راجع ما سبق* ، الباب الأول من الكتاب .
[٤] *راجع ما سبق* ، الباب الأول من الكتاب .

كذلك تابع الأشرف الثاني والظاهر يحيى اهتمامهما باستحكامات مدينة زبيد فجددا ما تداعى من أسوارها ، وعمارة ما إرتدم من خنادقها [١] .

كذلك أمر المجاهد الرسولي بعمارة سور ثعبات ، ولم تكن مسورة من قبل، وفتح في هذا السور أبوابا ، ورتب عليها حراسا وحفظة ، وقد استغرقت عمارة هذا السور عاما كاملا حيث بدأت عمارته عام ٧٣٣ هـ / ١٣٣٣ م ، وتم الفراغ منها عام ٧٣٤ هـ/ ١٣٣٣ م ،ويذكر الخزرجي في هذا الصدد ما نصه " وفي هذه السنة كملت عمارة سور ثعبات وركبت أبوابها وصارت مدينة حصينة " [٢] .

كما اهتم الأشرف الثاني بدوره بمدينة الجند فأعاد تسويرها عام ٧٩٣ هـ / ١٣٩٠ م ، بعد أن دثر سورها القديم ، ولم يتبق له أثر ، فأعاده على حالته الأولى ،ويقول الخزرجي عنه بعد ترميمه أنه " ربما هو اليوم أحسن مما كان " [٣] .

ج- الخنادق

وهي من الوسائل الدفاعية العامة التي استخدمت لتدعيم النظام الدفاعي عن مدن اليمن في عصر سلاطين بني أيوب وبني رسول . وتشير المصادر إلي قيام هؤلاء السلاطين بتجديد حفر الخنادق القديمة أو إقامة خنادق حول الأسوار الجديدة دعما لها ، فيذكر ابن حاتم أن المظفر الرسولي قد أولى التحصينات الدفاعية إهتمامه ، وعمد إلي زيادة حصانة الأسوار المحيطة بمدنه ، فنجده يقوم باصلاح الخندق المتقدم لباب الشبارق أحد أبواب مدينة زبيد [٤] . ويتابع المجاهد جهود سلفه ، فيذكر ابن الديبع قيامه بحفر جميع خنادق نفس المدينة عام ٧٣٩ هـ/ ١٣٣٨ م [٥] ، ويواصل ابنه الأفضل الاهتمام بتحصينات زبيد ، فيعيد حفر خنادقها وعمارة ما إرتدم منها [٦] .

---

(١) *راجع ما سبق* ، الباب الأول من الكتاب .
(٢) الخزرجي :*العقود* ، ج٢ م ٥٨ - ٥٩ .
(٣) الخزرجي :*العقود* ، ج٢ / ١٠٦ .
(٤) ابن حاتم :*السمط* ، ص ٢٥٤ .
(٥) ابن الديبع :*قرة العيون* ، ص ٣٦١ ؛ وراجع أيضا :*الفضل المزيد* ، ص ٩٧ ؛الخزرجي :*العقود*، ج٢ / ٦٤ .
(٦) الخزرجي :*العسجد* ، ق ٢٦٢ ؛ وما سبق من الكتاب .

وفي عهد الأشرف الثاني الرسولي ، ازدادت حدة الصراعات مع دولة الأئمة الزيدية ، الذين اشتد خطرهم وتهديداتهم لمدن اليمن ، وعلى رأسها مدينة زبيد ، الأمر الذى دفع السلطان الرسولى إلي إصدار أوامره بترميم الحصون والأسوار،وسرعة حفر الخنادق حولها احترازا من الهجمات المعادية،فأمر بعمارة ما إرتدم منها وبخاصة الخندق الثاني الذى طمره الطواشى أهيف ، كما جدد عمارة السور الثاني للمدينة الواقع على الخندق الثاني إثر تداعى أجزاء منه [1] ،وأعيد تجديد أسوار المدينة ثانية على عهد الظاهر يحيى عام ٨٣٣ هـ / ١٤٢٩م [2] .

وهكذا صرف حكام اليمن في الفترة موضوع البحث قسما هاما من اهتمامهم للبناء والتعمير لكافة أنواع العمائر دينية ومدنية وعسكرية ، وخصوا التحصينات الدفاعية بجزء كبير من هذا الاهتمام مما ساهم مع عوامل أخرى في الحفاظ على كيان دولتهم لمدة تزيد عن قرنين من الزمان .

---

(1) راجع ما سبق من الكتاب

(2) راجع ما سبق من الكتاب

الخـــــاتمة

ونصل في نهاية البحث إلي عدد من الحقائق التي أسفرت عنها دراستي لمظاهر التقدم الحضارى في اليمن في عصرى بني أيوب وبني رسول ، فقد أبرزت الدراسة مدى التقدم والإزدهار الذى وصل إليه اليمن في شتى مناحى الحياة في ذلك العصر . فأوضحت من خلال دراسة نظم الحكم والإدارة السائدة في فترة البحث ، أن معظم حكام بني أيوب ظلوا مرتبطين بالدولة الأم (في مصر والشام)، التي حاولت من منطلق الخوف من استقلال بعض هؤلاء الحكام باليمن إلي تقييد حركتهم ومنعهم من الاندماج مع سكان البلاد الأصليين ، أو الاعتماد عليهم في أعمال الدولة ووظائفها العامة بصفة أساسية ، فأبرزت كيف كان الحاكم الأيوبي عند قدومه من مصر إلي اليمن ، يصل ومعه حكومة شبه كاملة بسائر أعضائها من الوزراء والقضاة ورجال البلاط وغيرهم من أفراد الجهاز الإدارى والعسكرى ، وقد وضح ذلك تماما في حملتي سيف الاسلام طغتكين ، والمسعود يوسف بن الكامل محمد ، الأمر الذى جعل الأيوبيين يعيشون في شبه عزلة عن المجتمع اليمني ، اعتمادا على قوتهم العسكرية ، والامدادات التي كانت تصلهم من الديار المصرية .

ومما لاشك فيه أن هذه السياسة أدت إلي ربط حكام اليمن من بني أيوب بصلات وطيدة مع الأيوبيين في مصر ، ولكنها على العكس من ذلك لم تسمح لهم بتكوين قاعدة شعبية لهم في بلاد اليمن ، بل إن الشعب أنف من السيطرة الأيوبية القائمة على القوة العسكرية ، ولذلك رحبوا بخروج الأمير نور الدين عمر بن رسول على الحكم الأيوبي وأيدوه في الاستقلال بملك اليمن ، وعلى الرغم من اعتماد الرسوليين على العناصر المملوكية في حكم البلاد وتسيير دفة الحكم بها ، وعلى من دأبوا على استقدامه من خارج البلاد حتى يظل على الولاء والتبعية لهم ، بالإضافة إلي أبناء الأسرة الرسولية ذاتها ، إلا أنهم لم يستغنوا عن خدمات سكان البلاد الأصليين في شتى شئون الحكم والإدارة ، فاستعانوا بهم وأقدموا على استخدامهم أيضا في فرق الجيش وغيرها ، الأمر الذى أدى إلي اندماج الرسوليين في نسيج المجتمع اليمني – بعكس بني أيوب – مما ساعد على استمرار الحكم الرسولي لفترة طويلة من الزمن .

كذلك أوضحنا بما لا يدع مجالا للشك أنه على الرغم من قصر فترة الحكم الأيوبى لبلاد اليمن ، وانشغال الأيوبيين الدائم في الصراع مع القوى المختلفة لتوحيد البلاد ، وتوطيد نفوذهم فيها ، إلا أنهم تمكنوا من وضع أسس وقواعد جديدة لنظم الحكم والإدارة مقتبسة من الإدارة الأيوبية في مصر والشام ، وجاراهم في ذلك الرسوليون من بعدهم ، فاستكملوا بدورهم نظم الحكم ورسوم الإدارة على نفس النهج الأيوبى والمملوكى ، وهى نظم أكثر تقدما من النظم التى كانت سائدة في اليمن في ظل الإدارات والحكومات السابقة عليهم ، فأبرزت كيف أحدثوا (أى بنى أيوب وبنى رسول) عدداً من التغييرات الهامة في جميع مناحى الحكم في البلاد ، فأدخلوا نظام الإقطاع الادارى والعسكرى كأساس لحكم البلاد ، متأثرين في ذلك بالنظام الإقطاعى الأيوبى والمملوكى السائد في مصر،وحاولوا نقله كلية إلي اليمن ، ولكن بما يتوافق وطبائع أهل البلاد هناك . كذلك أوضحت كيف تأثر النظامان العسكرى والقضائى بما كان عليه نفس النظامين في الديار المصرية من حيث تعيين قاضى قضاة شافعى للبلاد ، وقضاة للمذاهب المختلفة ، كذلك تشابهت اجراءات التقاضى ، وترتيب فرق الجيش اليمنى ونظمه العسكرية سواء البرى أو البحرى بمثيله في الديار المصرية .

وهكذا وضع الأيوبيون أساس النهضة الشاملة التى قامت في اليمن في عصر بنى رسول الذين خلفوهم في حكم البلاد والذين لم يغيروا شيئا من النظم والقواعد الأيوبية ، بل ساروا عليها واستفادوا من جهودهم وأضافوا عليها مكملين لنظم وقواعد ورسوم الحكم والادارة .

أما في مجال الحياة الاقتصادية ، فتناولت بالدراسة الثروة الزراعية والحيوانية فأوضحت مدى توافر المقومات الطبيعية والبشرية اللازمة لقيامها بالبلاد ، وكيف أدى ذلك إلي إزدهارها ، ومنها خصوبة أراضى اليمن ، وتنوع مناخها ، وتوافر الماء اللازم لقيامها ، بالإضافة إلي تشجيع حكام اليمن للزراعة والاهتمام بها ، وبينت كيف تنوع هذا الاهتمام بين اهتمام علمى بالتصنيف في المجالات الزراعية المختلفة وما يتعلق بالثروة الحيوانية لا سيما الخيول ، وبين الاهتمام العلمى وذلك بإنشاء البساتين الملحقة بقصورهم والعناية بها ، واستخدامها بمثابة محطات تجارب

زراعية ، قاموا على جلب الغراسات المختلفة لها من شتى الأقطار ، وتجربة نموها ، الأمر الذى ساعد على إستنباط محاصيل جديدة ، أقدموا على تعميم زراعتها في أنحاء اليمن ، بعد نجاح زراعتها في بساتينهم الملكية . كذلك عرضت لدراسة الوسائل المتبعة في زراعة الأرض من حرث وتمهيد وبذر وسقاية وحصاد ، مع عرض موجز لأشهر المحاصيل الزراعية ووسائل التخزين ، واستنباط التقاوى الجيدة، الأمر الذى ساعد على تنوع المحاصيل ، ووفرة انتاجها بما يكفى حاجة البلاد الأساسية ، والقيام بتصدير الفائض منها .

وقدمت أمثلة لهذه البساتين أو المحطات الزراعية منها بستان السلطان (طغتكين) وبستان ثعبات ، وسرياقوس والسوجين والشجرة وغيرها . وقد أضفت هذه البساتين على منشآتهم المعمارية مظهرا جماليا لا نظير له وساعدت على إبراز مواطن الجمال في تلك المنشآت .

كذلك أبرزت مدى ثراء اليمن فيما يتعلق بالمراعى الطبيعية والثروة الحيوانية المتنوعة في أراضيها لا سيما من الخيول والأغنام ، التى أقدمت الدول المحيطة لا سيما الهند ومصر على استيرادها لجودتها الفائقة .

وأشرت إلي الصناعة وأبرزت الاهتمامات السلطانية بالفنون الصناعية كأساس لنهضة البلاد ، وتوافر مقوماتها في اليمن من مواد خام وأيدى عاملة مدربة لها خبراتها الطويلة بعديد من الصناعات ، سواء من أهل البلاد ، أو من الوافدين عليها ، الذين اهتم حكام اليمن إهتماما فائقا بجلبهم وتوفير أسباب الراحة والحياة الكريمة لهم حتى يساهموا في دفع عجلة الانتاج والنهوض بالبلاد ، وأوضحت أهم الفنون الصناعية التى قامت باليمن وساعدت على زيادة شهرتها كمركز اقتصادى عالمى لاسيما الصناعات المعدنية وصناعة النسيج ، والمصنوعات الجلدية ، والخزفية وغيرها من الصناعات .

أما بالنسبة للتجارة ، فقد توصلت إلي التعرف على العوامل والأسباب التى أدت إلي تمتع اليمن بإزدهار تجارى كبير في مجال التجارة الداخلية والخارجية ، ففي مجال التجارة الداخلية ، أبرزت ما لقيته هذه التجارة من اهتمام خاص من قبل الدولة وأعيان البلاد ، حرصا على توفير السلع اللازمة للمواطن اليمنى ، ويتمثل

ذلك في إصلاح الطرق الداخلية بين المدن المختلفة ، وإقامة محطات لاستراحة التجار والعابرين على هذه الطرق ، كذلك أبرزت كيف عمرت المدن اليمنية المختلفة بالعديد من أصناف السلع سواء المنتجة محليا ، أو الواردة من بلدان الشرق، والتي قامت على تصريفها مجموعة من الأسواق المتنوعة ما بين موسمية وأسبوعية ويومية ودائمة ومتخصصة ، وأبرزت حقيقة هامة في هذا المجال إعتمادا على ما ذكرته المصادر الجغرافية وكتب التراجم ، وهى أن التجارة سواء الداخلية أو الخارجية ، لم تكن قاصرة على الرجال فقط ، بل شاركت فيها النساء أيضا ، وهناك من بلغت منهن شأنا كبيرا في عالم التجارة والمال ، مما يشير إلي دور المرأة اليمنية الإيجابي في خدمة مجتمعها في العصر موضوع الدراسة .

وأبرزنا من خلال هذه الدراسة الاقتصادية ما تمتعت به البلاد من شهرة في مجال التجارة الخارجية ، فقد نشطت الحركة التجارية البحرية في اليمن ، وكانت عدن تمثل المركز المتخصص التي تصب فيه تجارات الشرق والغرب ، ومنه تصدر إلي مختلف أنحاء العالم المعروف آنذاك ، وأبرزت كيف كان للعامل الجغرافى أبلغ الأثر في تبوأ هذه المدينة ، المكانة السامية في هذا المجال ، بسبب وقوع هذا الميناء العدنى فيما بين الشرقين الأقصى والأدنى ، مما سمح بقيامه بدور فعال في تجارة العبور حتى أخريات العصر الوسيط . مما جعلها تمثل أهمية كبرى بالنسبة لموارد الدولة المالية ، ولذا حرص سلاطين اليمن - لاسيما في عصر بنى رسول - كل الحرص على تشجيع التجارة العدنية من منطلق إيمانهم بأهمية الدور الذى تلعبه المدينة في إمدادهم بالموارد المالية اللازمة لبقائهم ، وقد أوضحنا ذلك من خلال عرض موجز للمتحصلات المالية الواردة من عدن أو كما كانت تعرف بخزانة عدن ، إلي تعز ، الحاضرة السياسية للبلاد ، في كل عام ، ومن أبرز المظاهر التي تعكس لنا هذا الاهتمام ، أن الرسوليين على وجه الخصوص - وعلى الأقل حتى عصر السلطان الناصر أحمد بن الأشرف الثانى - كانوا يزورون ميناء عدن ، ويجتمعون مع العاملين في الفرضة ، ويلتقون بالتجار والنواخذة من أهل البلاد ، أو الأجانب الوافدين ، ويحثون العاملين في فرضة عدن على تخفيف العبء الواقع على التجار ، وإسقاط المكوس والضرائب الجائزة عن كاهلهم .

كذلك أوضحت في مجال الحديث عن التجارة العدنية ، قسوة الإدارة الجمركية بثغر عدن ، في معاملة الوافدين عليها ، وبينت كيف أن هذه القسوة كانت سمة عامة سيطرت على كافة جمارك العالم الوسيط آنذاك . وأبرزت قوائم السلع المتداولة بهذا الثغر وقيمة العشور المختلفة المفروضة عليها ، موضحا كيف أن حاجة البلاد كانت تستدعى أحيانا إعفاء بعض السلع الواردة من الضرائب نظرا للحاجة إليها وافتقار الأسواق إليها ومنها بعض المواد الغذائية ، والمواد الخام ، المجلوبة من الهند ومصر ، وكذلك الرقيق ، وبينت كيف أن اليمنيين فرضوا عدة ضرائب إضافية على بعض السلع الواردة التى يوجد لها مثيل بالداخل وذلك حماية للمنتج المحلى وحرصا على رواجه ، كذلك عمدوا إلي رفع الضرائب على بعض المنتجات المحلية عند تصديرها ، في محاولة للإبقاء عليها لحاجة البلاد إليها .

وألمحت أيضا في مجال التجارة الخارجية إلي نشاط التجارة البرية مع كل من الحجاز والعراق والشام ومصر ، وقيام اليمن بتصدير الكثير من منتجاتها المحلية ذات الشهرة العالمية ومنها الأحجار الكريمة وفي مقدمتها العقيق اليمانى بالاضافة إلي عدد من المشغولات الصناعية مثل المصنوعات الجلدية والمنسوجات ، والتحف المعدنية وأنواع الأسلحة كالسيوف والجنابى ، بالإضافة إلي السلع الشرقية الواردة إليها ، والتى كانت اليمن تمثل معبرا لها إلي الأسواق العالمية .

واختتمت دراستى للجانب الاقتصادى لبلاد اليمن ، بإبراز عدد من الحقائق تتصل بنظم المعاملات التجارية السائدة في أسواقها ، فأوضحت معرفة اليمن للتعامل النقدى وبينت أنواع العملة المتداولة في أسواقها ، سواء تلك المضروبة بدور سكنها المنتشرة في أنحاء اليمن ، أو تلك الواردة إلي البلاد من العملات الأجنبية ، وأوضحت السياسة النقدية للبلاد والتدهور الذى أصاب قيمة النقد الذهبى اليمنى ، مما أدى إلي الاعتماد على النقد الفضى والعملات الأجنبية كالدوكات والإفرنتى ، وأبرزت الأسباب التى أدت إلي ذلك . كذلك أبرزت العديد من وسائل التعامل التجارى الأخرى ، ومنها المقايضة ، والشركات المساهمة وشركات القراضة ، والمصارف الأهلية ، والحوالات والبيع بالأجل ، وغير ذلك .

كما بينت كيف أثر انتشار نظام الضمان وسياسة الاحتكار التجارى الغاشم التي أقدم عليها سلاطين اليمن إلي جانب عوامل أخرى - بالسلب - على اقتصاديات البلاد،واقتصاديات عدن بوجه خاص ، فأصابها التدهور فكانت بذلك أحد معاول الهدم الرئيسية التي أصابت مقتلا من تلك المدينة العريقة ، لما سببته من إرتفاع عشوائى في أسعار السلع الشرقية ، وعدم قدرة التجار على الوفاء - سواء بأثمان البضائع التي يحتاجونها ، أو الضرائب المفروضة عليها ، فقل الواصل من التجار إلي عدن وبدأ التجار يتحولون عنها إلي ميناء جدة ، لتفادى هذا العسف في فرض العشور وسياسة الاحتكار وطرح البضائع ، الأمر الذى أدى إلي انهيار مكانة عدن التجارية وإزدهار بندر جدة ، مما عجل بنهاية حكم بني رسول للبلاد .

كذلك اختتمت هذه الدراسة بعرض موجز لمجموعة من المكاييل والموازين والمقاييس المستخدمة في اليمن ، وأبرزت أن منها وحدات اشتركت في استعمالها مع مثيلاتها من بلدان الشرق آنذاك ومنها ما اقتصر استخدامه على أسواق اليمن فقط ، وأوضحت كيف أن هذه الوحدات كانت عياراتها تختلف باختلاف المدن من ناحية ، ونوعية السلع المباعة بهذه الوحدات من ناحية أخرى ، كذلك أثبت قيام نظام الطوائف الحرفية والنقابات المهنية ، ومعرفة أسواق اليمن لنظام الحسبة والمحتسب شأنها في ذلك شأن غيرها من الأقطار الإسلامية الأخرى .

وفيما يتصل بدراسة الحياة الاجماعية وأحوال المجتمع اليمنى في الفترة موضوع البحث ، فقد سلطت أضواء ساطعة على عناصر السكان في المجتمع اليمنى، مشيرا إلي دورهم وإسهاماتهم الحضارية للنهوض ببلاد اليمن ، سواء من العناصر العربية الأصلية ، أو العناصر الأجنبية الوافدة ، كما أبرزت دور أهل الذمة في المجتمع اليمنى ، واليهود منهم بوجه خاص ، فرسمت صورة واضحة المعالم لأساليب حياتهم وثقافاتهم واهتماماتهم البالغة بالتعليم الديني والمدنى ، وعنايتهم الفائقة بالشعر وتعلم العربية مما ساعدهم على محاولة الإندماج في المجتمع اليمنى .

أما فيما يختص بمظاهر الحياة الاجتماعية ، فقد أبرزت بوضوح إسهامات المرأة اليمنية في النهوض بالمجتمع اليمنى من خلال مشاركتها الإيجابية في مجال التعليم والعمل الاجتماعى ، مشيرا من خلال ذلك إلي أبرز النسوة اللائى كان لهن

دور بارز في هذا المضمار . كذلك أوضحت التقاليد المتبعة في الزواج ، وحفلات الختان ، وغيرها من الاحتفالات والمواكب السلطانية في شتى المناسبات الدينية والقومية غيرها ، وكيف اكتملت رسوم ونظم هذه الاحتفالات في عصر بني رسول ، لما تمتع به هذا العصر من ثراء وترف بالغين ، بالإضافة إلي الاستقرار السياسى الذى نعمت به البلاد في هذا العصر ، مما ساهم في اكتمال هذه المراسم . كذلك بينت الكثير من العادات والتقاليد اليمنية ، واختلاف هذه العادات باختلاف المدن اليمنية ، كما سلطت الأضواء على الأطعمة والأشربة المتداولة في اليمن ، والزى واختلافه باختلاف المدن والمخاليف والحالة الاجتماعية للأفراد وطبيعة الحرف المختلفة فبينت كيف شاع الترف في المدن اليمنية لدى طبقة الحكام وأهل اليسار ، فشيدوا القصور الواسعة والمنازل الأنيقة ، وامتلكوا الكثير من القيان والمغنيات ، وتناولوا أفخم الأطعمة ، وكانت حفلاتهم المختلفة تتسم بالبذخ والثراء، بينما كان معظم أفراد الشعب اليمنى في القرى يعانى مرارة العيش والفقر .

وفيما يتصل بالحياة العلمية ، أوضحت الدور الهام الذى لعبه حكام اليمن في ازدهار العلوم والآداب في المجتمع اليمنى ، بتقديرهم البالغ للعلماء ، واحتفائهم بمصنفاتهم العلمية ، والحرص على اقتنائها ، علاوة على اهتمامهم الخاص هم أيضا بالعلم ودراسته ، والجلوس إلي أشهر علماء البلاد للتحصيل على أيديهم ونيل الإجازات منهم ، بالإضافة إلي قيام بعضهم بالتصنيف في شتى أنواع المعارف لاسيما العقلية منها ، كما بينت كيف أن هذه العناية الملكية بالعلم تتمثل في حرصهم البالغ ومن يقتدى بهم من أعيان البلاد وأفراد الحاشية على تشييد المدارس ودور العلم بشتى أنحاء اليمن بدءاً من العصر الأيوبى ، مما ساهم في رقى الحركة العلمية ، فتطرقت للحديث عن هذه المدارس القائمة منها أو الدراسة ، والأحباس التى أوقفت للصرف على مصالحها ، حرصا على استمرار دورها الدينى والتعليمى الرائد .

كما أبرزت من خلال بعض الوقفيات تفاصيل بعض هذه المدارس المعمارية والعلوم التى كانت تدرس بها ، والطرق المتبعة في التدريس والرواتب المخصصة للقائمين على أمر تلك المدارس من قومة ومشرفين ومعلمين وطلبة .

كذلك أبرزت النظم التعليمية في بلاد اليمن فتطرقت بالبحث في الكتب المعتمدة في التدريس ، وبخاصة في المذهب الشافعي الذى ساد اليمن جنوبه ووسطه ، وأوضحت تميز اليمنيين في تلك الفترة بالسعى في طلب العلم في الداخل والخارج وأثبت أن الرحلة العلمية والتواصل العلمى بين اليمن والأقطار الإسلامية المختلفة أسهما في إزدهار الحركة العلمية وقيام مراكز علمية متعددة في اليمن قامت على نشر العلم بين مختلف الطبقات اليمنية ، كما أثبت مشاركة المرأة اليمنية في هذه الحركة التعليمية ، واقبالها على التعلم لاسيما علوم الدين واللغة .

وتوصلت من خلال هذه الدراسة إلي أن علماء اليمن كانت لهم مكانة علمية واجتماعية مميزة ، فكانوا يحظون بمركز مرموق ، فحازوا ثقة الأمراء والسلاطين فقصدوهم بالزيارة ، كما أقبل الناس على مجالسهم لسماع العلم . كذلك تناولت بالدراسة أشهر الأسرات اليمنية التى نبغ أفرادها في مختلف العلوم والفنون حتى صاروا أعلاما نابهين باليمن يقصدهم الناس للسماع ونيل الإجازات الدراسية .

واختتمت هذه الدراسة بإبراز مدى مساهمة اليمن في المجال الفكرى في كثير من العلوم النقلية والعقلية ، موضحا أنه رغم طغيان العلوم النقلية والدينية منها على وجه الخصوص ، إلا أن اليمن لم تعد من أبنائها جماعة اهتموا بدراسة العلوم العقلية ووضع المصنفات القيمة في عدد من معارفها كالطب والفلك والعلوم الحسابية ، مما يوضح أن اليمن لم تكن متخلفة آنذاك عن ركب الحضارة الإسلامية، بل ساهمت بنصيب وافر في هذا الازدهار الحضارى . كذلك تميز اليمنيون في العصر موضوع البحث بالحرية الفكرية فتقبلوا جميع المذاهب الإسلامية من شيعية وسنية ، وعمدوا إلي نشرها في ربوع اليمن ، وقد تعايشت هذه المذاهب في حرية وسلام بين أفراد الشعب اليمنى ، بينما كانت هذه المذاهب في صراع مستمر من جانب السلطة والجهاز الحاكم .

وفيما يختص بالعمران اليمنى ، عمدت إلي إلقاء الأضواء على بعض أنواع العمائر اليمنية في فترة البحث ، والتى لاتزال بعض عمائره قائمة حتى اليوم لاسيما العصر الرسولى — تشهد بمتانة بنائها وعظمة مشيديها الذين بسطوا نفوذهم على

معظم أراضى اليمن ، وامتد نفوذهم إلي بعض الجهات الخارجية — الأمـــر الـــذى كان له أثره البالغ في النهضة العمرانية التى شملت البلاد في عهدهم ، وقد انعكست هذه النهضة بصورة خاصة على العمائر الدينية ، وقد أوضحت من خلال دراستى مدى عناية سلاطين اليمن بعمارة المساجد سواء الجامعة منها أو الثانوية وكـــذلك العديد من الأمراء ورجال الحاشية وأعيان البلاد ،ونساء الأسرة الرسولية أيضـــا ، وقيامهم على ترميم ما تشعث من العمائر السابقة على عصرهم ، ضمانا لبقائهـــا تؤدى وظيفتها .

كذلك أثبت أن فترات الإزدهار العمرانى في فترة البحث كانت تختلـــف من سلطان إلي آخر تبعا لظروف البلاد السياسية،وطول فترة حكم كل ســـلطان، وما يستتبع ذلك من فترات استقرار أو نـــزاع وقلاقل.واستطعت من خلال هذه الدراسة تقديم حصر بأبرز المساجد والمدارس الدارسة التى شيدت في فترة البحـــث وبعض المدارس التى لا تزال قائمة،وذلك من خلال اســـتقراء المصـــادر التاريخيـــة والنصوص الوثائقية،وسلطت الضوء على أسمائهـــا وأسمـــاء مشـــيديها،ومواقعها، وأوضحت أهم الوظائف المرتبة بها،والرواتب النقدية والعينية المحددة لكل وظيفة.

كما نشرت مقتطفات من النصوص الوثائقية الخاصـــة بعمـــارة بعـــض المساجد والمدارس والتعليق عليها بداخل الدراسة .كما أبرزت مدى تأثر العمـــران بالحياة السياسية .

وتمكنت من خلال الوقفية الخاصة بجامع ثعبات من تحديد اســـم مشـــيده وهو الملك المجاهد، كما أشرت إلي كافة الوظائف المرتبه فيه ، والرواتب المحـــددة لكل وظيفة من واقع الوقفية .كما رجحت تاريخ بناء الجامع المظفرى بالفترة الثانية من حكم المظفر يوسف وهى فترة اتسمت بالاستقرار والثراء إلي حد كـــبير ممـــا يسمح بالتفرغ لمثل هذه العمارة الكبرى .

كما اثبت نسبة المدرسة الفرحانية بزبيد إلي الظاهر يحيى الرسولى الـــذى شيدها ملحقة بضريح والدته بالمدينة ، بينما نسبها البعض خطئاً إلي الحـــرة جهـــة الطواشى جمال الدين فرحان ، وذلك اعتمادا على نص ابن الديبع الصريح الـــذى ينص على نسبة المدرسة للظاهر الرسولى ، وأوضحت من خلال هذا النص وظيفة

هذه المنشأة التعليمية و ببه وقيامها بشعيرة صلاة الجمعة أى أنها كانت مسجدا جامعاً . خصص لها المشيد عدة وظائف ورتب فيها عشرين قارئا يقومون بقراءة القرآن بالتناوب على ضريح والدته مما يظهر إهتمام السلاطين من ناحية أخرى وقدرتهم على توفير الموارد المالية اللازمة للإنفاق على ما يرتبون من وظائف بمنشآتهم

وقد حاولت بقدر الامكان وصف بعض هذه العمائر معماريا من خلال اللوحات والأشكال المتوفره ، ومن خلال الوقفيات التى تناولت هذه المنشآت والأحباس الموقوفة عليها وعلى وظائف الخدمة والإدارة بها

كذلك أبرزت من خلال هذه الدراسة عناية حكام اليمن بعمارة القرى وتمصير المدن ، الأمر الذى ساعد على الإزدهار العمرانى لبلاد اليمن ، وفصلت الحديث بصفة خاصة عن مدينة عدن حاضرة البلاد الاقتصادية

وقدمت دراسة موجزه لتطورها العمرانى فى العصر موضوع الدراسة كما أبرزت عناية حكام اليمن وأعيان البلاد أيضا بإقامة القصور والاستراحات بشتى أنحاء اليمن ، فقدمت تصورا وصفيا لقصر المعقلى الذى شيده الملك المؤيد الرسولى من خلال استقراء بعض النصوص التاريخية المعاصرة ، والذى جاء شبيها بما اعتاد حكام المسلمين تشييده من قصور فى بغداد والأندلس ، وبخاصة قصر الحمراء بغرناطة

واختتمت الدراسه بدراسة العمارة الحربية واهتمام سلاطين اليمن بتحصين المدن اليمنية المختلفة وتدعيمها بالأسوار التى تخللها أبراج الدفاع والحراسة ، واحاطة المدن بالخنادق مما أضفى عليها مزيدا من الحصانة والمنعة ، مما كان له عظيم الأثر فى الدفاع عنها ضد الهجمات الخارجية ، وأبررت بصفة خاصة الاهتمام بالاجراءات الدفاعيه بمدينتى زبيد وثعبات كذلك أبرزت العناية الفائقة بالحصون والقلاع وشحنها بالسلاح والعتاد بوصفها خطاً دفاعياً أمامياً عن المدن اليمنية . وقدمت بعض النماذج لذلك

وهكذا أدى تنافس حكام اليمن وأعيانها في حركة البناء والتشييد التي شملت مختلف أنواع العمائر من دينية ومدنية وعسكرية ، إلي تطور وإزدهار العمران اليمني في فترة البحث ، فمصرت المدن وعمرت القرى والنواحي المنعزلة وازدهر عمران المدن القديمة ومنها عدن وزبيد وغيرها .

وعلى هذا النحو ، أمكنني أن أعرض صورة شبه متكاملة لمظاهر الحضارة في بلاد اليمن منذ أن قامت الدولة الأيوبية بضمها عام ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م ، وحتى نهاية حكم بني رسول لها عام ٨٥٨ هـ / ١٤٥٤م .

الملاحـــق

ملحق رقم (١)

قائمة بالمآثر الدينية التي تم تجديد عمارتها في عهد الأشرف الثاني الرسولي عام ٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م في مدينة زبيد : نقلا عن: الخزرجي : مخطوط الكفاية والاعلام ، ق ٢١٠-٢١١[١]

وتقدم السلطان إلي تعز يوم السادس عشر من شهر صفر ، وقد أمر القاضي سراج الدين عبد اللطيف [بن محمد] [٢] بن سالم بعمارة المساجد والمدارس والسبل ، وأضاف إليه شد الأوقاف المباركة بزبيد ، وأن يعيدها كما كانت . وكان الخراب قد استولى على كثير من المساجد والمدارس حتى ألصقها بالأرض ، وبعضها أمثل من بعض .

فأما الذى عَمَّره بعد ان كان داثرا فالمدرسة المنصورية الحنفية،ومجلس الحديث النبوى بها،والسيفية الصغيرة والنظامية والعفيفية والميكائيلية،ومسجد الأتابك سنقر،ومُسجد نجم،ومسجد الطواشي فاخر،ومسجد الطيرة،ومسجد عباس الظفارى،ومسجد أزدمر وهو مسجد باب القرتب،ومسجد الساباط،ومسجد ابن الهمام،ومسجد الخيزران،ومسجد خليجان،ومدرسة التربية ومسجد الصياد بالتربية أيضا،ومسجد القرتب،ومسجد الرّبذ،وسبيل القرتب،والسبيل الفاتنى على باب سهام،وسبيل المنظر،وسبيل فشال،وأحدث السبيل الذى على باب مسجد الجامع بزبيد.

وأما الذى معظمه خراب وباقيه قائم،فالمنصورية العليا،والأشرفية،والسابقية، والسيفية الكبرى،والتاجية الفقهية والشمسية،ومسجد السابق النظامي،ومسجد الحاجة غصون،ومسجد الحاجة قنديل،ومسجد الحاجة سماح،ومسجد الأمير عباس بن عبد الجليل،والصلاحية بزيد ومدرسة المسلّب وسبيلها،وسبيل الشهاب بزبيد،وسبيل المنصورية [٣] ، ومسجد الجبرتى ، والقبة الفاتنية ، ومسجد البانة [ق ٢١١] وسبيل مسجد الرّبذ ، وسبيل التربية ، وسبيل الصلاحية بزبيد وسبيل باب النخل ،

---

[١] ورد في نفس النص مع اختلاف طفيف في ترتيب المنشآت وبعض الألفاظ في الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق ٢٦٤ - ٢٦٥ .

[٢] الزيادة من الخزرجي : العقود ، ج٢ / ١٨٠ .

[٣] في العسجد ق ٢٦٥ [المنصورة] .

ومسجد بستان الراحة ، والخانقاة التاجية بزبيد ، وجـامع النويـدرة وسـبيله ، وسبيليّ [1] الطنبغا .

وأما الذى معظمه قائم وبعضه [2] خراب ، فالمدرسة الصلاحية الكـبيرة والفاتنية والفرحانية وسبيلها ، ومدرسة الميلين والعاصمية ، والهكارية ، والدحمانية ومدرسة القراء والحديث بها ، ومسجد الست جهة رشيد والمسجد الجامع بزبيد ، وسبيل الطواشى خضير ، فهذه خمسة وستون موضعا من المآثر الدينية ، فقـام في ذلك كله قياما كليا واجتهد وأعاد معالم الوقف على حقائقها المعتادة ورسـومها القديمة ، وأحيا السبل الدائرة وقام في ذلك حق القيام حتى شكره الخاص والعام .

---

[1] فى العقود ، ج٢ / ١٨٠ " سبيل " .
[2] فى العقود ، ج٢ / ١٨٠ [وما فيه] .

ملحق رقم (٢)

نموذج لحفلات الختان وما يجري فيها في عصر دولة بني رسول من خلال حفل تطهير أولاد السلطان الملك الأشرف الثاني الرسولي عام ٧٩٤هـ/١٣٩١م. نقلاً عن:

الخزرجي: العسجد المسبوك ق ٢٦٩ - ٢٧١

[ق ٢٦٩]

" ولما نقضى رمضان عزم السلطان على تطهير أولاده ، وأمر بتحصيل مالابد منه ، مما تدعو الحاجة إليه من الجزائر على اختلاف أنواعها من الطير وذوات الأربع والبيض ، ومن الحنطة والسمون والعسلات والأرزاز ، ومن الرمان والعدس والقرطم والحُمر والزبيب واللوز والسكر والزعفران والنشا والفلفل والكزبرة والزنجبيل والبصل والثوم والكمون والملح وسائر التوابل ، وكذلك القرفة والمصطكى والنسبل والجوزبوّا والسونبر والبسباسة ومن البقول على اختلاف ألوانها وأجناسها كالفجل والقرع والموز والبطيخ والرطب والأعناب وسائر الفواكه ، ومن الحطب والشمع والسليط ، وآنية الصينى واليشم [ق ٢٧٠] والقاشانى والفخار من الصحون والزبادى والجرر والأدواح والكيزان البيض والطباشير والقراريب والمطاهر ، ومن أنواع الرياحين كالفل والورد والنرجس والياسمين والمنثور والكاذى والأترنج والبلح وأشباه ذلك ، ومن أنواع الطيب كالمسك والعنبر والصندل والبنفسج والألوه ، والشند والند ومن الورد والغوالى ، ومما لا يدخل تحت العد والحصر شئ كثير ، ومن أنواع الحلوى ، وما ينضم إليها أيضا كالمبسوط والمشبك والقاهرية والقرعية والشيزرية والفانيد والخشخاشية ، واشباه الطيور والبطاطيخ والقطايف المقلية والحامض والخشدار والكعك المطابق المحشو والجوز واللوز والزبيب الأخضر والفستق ، ومن المشروب كالنوبيا والفقاع واشباه ذلك مما لم يذكر ، واستعمل من قصور الشمع الملونة ، والشماع المزهرة شئ كثير ووصل الأمراء والمقدمون من سائر الجهات فوصل أمير زبيد الأمير عز الدين وهبة

بن محمد بن الفخر ، ومشدها القاضى سراج الدين عبد اللطيف بن محمد بن سالم
ولما انقضى شوال احتفل أهل الدار بل سائر النـاس بـذلك احتفـالا عظيمـا ،
فاستحضروا من المخضّبات نحوا من ثمانين امرأة .واستحضروا من نسـاء الأمـراء
والمقدمين والقضاة والمتصرفين وأكابر أهل البلد ، فلم يتخلف منهن امرأة . وحمل
الأمراء والمقدمون وكبار أهل الدولة التقاديم النفسية إلي باب الدار ، فحمل الأمير
بدر الدين محمد بن على الشمسى نحوا من ستين [حمالا] [١] يحملـون الشـمع
المزهر والقصور الملونة والمشام المشبوكة وشيئا كثيرا من المأكول والمشموم . وحمل
القاضى شهاب الدين الوزير شيئا كثيرا يجل عن الوصف ويزيد علـى الحصـر .
وكذلك الطواشى صفى الدين جوهر بن عبد الله ....[٢] أمير حصن تعز يومئـذ ،
والقاضى شرف الدين الفارقى والقاضى رضى الدين أبو بكر الصائغ ، والأمير بهاء
الدين بهادر بن عبد الله الشمسى ، والأمير بدر الدين حسين الخراسانى ، والشـيخ
شرف الدين السفساف ، والأمير فخر الدين أبو بكر الغزالى صاحب حصن صبر ،
وكان كل من حمل حمله ممن ذكرناهم وغيرهم يجعل قبل حمله رأسين مـن البقـر
جيدين على أتم ما يكون من الحسن ، وعليهما ثوبان من الحرير الملون ، ويصـل
معه من المغانى والزناجين والبواقين يزفون كل حمل إلي باب الدار المعروف بـدار
النصر من ثعبات المعمورة فإذا وصلوا [٣] إلي باب الدار المـذكور ، قـام مقـدم
الجزارين، فينـزع الثياب الحرير ويذبح ما وصل من الجزائر ، فإذا ذبح ما أتى به
إلي هنالك، أخذه من حضر من الغلمان كالسوّاس والحمالة والبـواقين وغلمـان
البساتين وأهل الأسطبلات والفيالين وغيرهم ممن ينخرط في سلكهم .

وفي يوم السادس من ذى القعدة المذكور أمر السلطان بركوب العسـاكر
المنصورة إلي الميدان السعيد بثعبات المعمورة بكرة وعشية ثلاثة أيام ، فلم يتخلـف
أحد من الوزراء والأمراء والمقطعين والمشدين وسائر المقدمين وكافة الجند من الخيل
والرجل والطبلخاناه يخدم على باب الدار ليلا ونهارا . وكان الطهور المبارك يـوم
الخميس التاسع من الشهر المذكور ، فحضر الناس على اخـتلاف طبقـاتهم مـن

---

[١] في الأصل " حملا " والصواب ما أثبتناه .
[٢] في الأصل الصنى ، وفي الخزرجي : العقود ، ج٢ / ١٥٠ ، ١٧٦ ، ١٩٦ " الصينى " .
[٣] العبارة في الأصل " فإذا قد وصلوا " فحذفنا قد ليستقيم المعنى

الوزراء والأمراء المقطعين والمشدين وكتاب الدواوين والضامنين والقضاة والفقهاء وكبراء أهل الوقت ، ودخل الجميع إلي سماط قد اتقنه طهاته ، وتناصفت في الحسن جهاته ، لم ير الراؤن أعظم منه بعدا وأفيضت الخلع الملوكية والشاشات المذهبة [على كبراء الدولة] [١] وكسى الحاضرون على اختلاف حالاتهم وتباين طبقاتهم من غلمان السلطان الخاصة . ثم خرجوا من مجلس السماط إلي مجلس الحلواء ، فأخذوا منه بحسب ما أرادوا ، ثم قاموا إلي سماط فيه من الجوز واللوز والزبيب والعنب والسوبيا والفقاع والفستق والبندق وما أشبه ذلك شئ كثير ، ثم قاموا إلي مجلس الطيب ، فاستعملوا منه شيئا كثيرا من المسك والعنبر والماء ورد والشند والغالية ، وكان يوما مشهورا لم يكن في الدهر مثله .

قال الفقيه على بن الحسن الخزرجي : وكنت ممن حضر ذلك وشاهدته [٢٧١] شيئا فشيئا وحضره عدة من فصحاء الشعراء بالقصائد الفاخرة ، وأجيزوا الجوائز السنية وهم الفقيه موفق الدين على بن محمد الناشرى والفقيه سراج الدين عبد اللطيف بن أبي بكر الشرجي ، والفقيه رضى الدين أبو بكر بن فارس ، والفقيه عفيف الدين عثمان بن أبي بكر الأصبحي ، والفقيه نور الدين على بن اياس الحموى ، والفقيه برهان الدين ابراهيم بن أبي بكر العزيزى ، والفقيه شهاب الدين أحمد بن أبي بكر الصبرى ، والفقيه صارم الدين إبراهيم الجحافى ، والفقيه موفق الدين على الطبنى ، والفقيهه بدر الدين حسن بن على الحجازى . ولم يمكننى اثبات قصيدة أحد دون الآخر .وفي اثبات جميعهم تطويل وملل ، ورأيت أن لا أخلى هذا السرور العظيم من قصيدة ، وكنت ممن قال في ذلك الفرح العظيم ما يُعد به من المحبين ، فأثبت قصيدتى التى قلتها يومئذ ، وأنا أعلم أنها دون كل ما قيل لكن ألجأت الضرورة إليها .... " [٢] .

---

[١] *الزيادة من العقود ، جـ٢ / ١٩٧ .*

[٢] *ورد هذا النص أيضا في الكفاية والاعلام ق ٢١٥ – ٢١٦ ، والعقود اللؤلؤية ، جـ٢ من ١٩٦ – ١٩٧ مع اختلاف طفيف في بعض العبارات .*

ملحق رقم (٣)

وصف المدرسة الياقوتية القائمة في رباط البريهي

بذي السفال جنوب إب من خلال نص الوقفية الغسانية

[ق ١٦٢]

" .... الحمد لله صح عندى الوقف المذكور كما ذكر حسبما سطر تقبل الله تعالى منهم وضاعف ثوابهم وصلى الله على محمد . وكتبه العبد الفقـير إلي الله تعالى محمد بن داود بن محمد عفى الله عنهم ، وعليها تنفيذ آخـر ولفظـه ثبـت عندى،وقف موالينا حفظهم الله تعالى...بجميع ذلك تقبل الله منهم وضاعف ثوابهم وكتبه الفقير إلي الله تعالى محمد بن عبد اللطيف بن أحمد الناشرى ، وكذلك عليها علامة القاضى أحمد بن على المررى وهذا أوان الشروع فيها وهى منقولـة منـها اللفظة باللفظة بسم الله الرحمن الرحيم،الحمد لله الذى هدى بفضله من شاء مـن عباده لاكتساب الثواب ووفقهم للمبادرة إلي الأعمال الصالحة ذخيرة ليوم المآب ، وأعد لهم جنات عدن مفتحة لهم الأبواب،وأشهد أن لا إله إلا هو وحده لا شريك له شهادة أعدها ليوم الحساب ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى أنـزل عليه الكتاب كتابه الكريم ، أعظم به من كتاب صلى الله عليه على آله ما ومض برق في سحاب ورضى الله عن أصحاب[ـه] الأنجاب وسلم كثيرا.

وبعد فإنه لما أمر الله عباده بالإنفاق والايثار وحرضـهم علـى الصـدقة وحثهم على الاستكثار ، ووعدهم على ذلك الجزاء الأوفر في دار القرار ، فقـال جل ذكره وثناؤه ، الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار وضمن لهم الخلف في كتابه المبين فقال وهو أصدق القائلين " **وما أنفقتم من شئ فهـو يخلفـه وهـو خـير الوازقين**" [١] وأمرهم على لسان نبيه الصادق في المقال بالتقرب إليه بصالح الأعمال فقال تعالى وهو الكبيـر المتعال " **قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتي يـوم لا بيـع فيـه ولا خـلال** " [٢]

---

[١] سورة سبأ ، آية ٣٩ .

[٢] سورة ابراهيم ، آية ٣١ .

[ق١٦٣] وكان الوقف من القرب المندوب إليها والطاعات المحثوث عليها ، وكان لا يلحق العبد من الأعمال الصالحة بعد مماته إلا احدى ثلاث خصال لما صح عن النبي الصادق في المقال صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه خير صحب وآل ، ان قال "**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من إحدى ثلاث ، صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له** "، ولقوله صلى الله عليه وسلم لسيدنا عمر بن الخطاب رضوان الله عليه لما ملك مائة سهم من خيبر فقال عمر يا رسول الله صلى الله عليك ، أصبت مالا لم أصب مثله، وأني أريد التقرب به إلي الله عز وجل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حَبِّس الأصل وسَبِّل الثمرة .

فحينئذ بادرت وسارعت موالينا الآدر الكرام أولو الفضل والإنعام ذات الستر الرفيع والحجاب العالى المنيع والأصل الطاهر الشريف،والنسب العالى المنيف سيدة الخواتين،أكرم نساء الملوك والسلاطين،جهة الطواشي الأجل جمال الدين ياقوت الظاهرى طول الله في طاعته أعمارهم وبلغهم آمالهم ، وقضى أوطارهم ، وخلد مُلك سلطانهم وأيد بالفتح العزيز المبين والنصر والتمكين آمين.

وأمرت بانشاء المدرسة المباركة التأسيس المعمورة بذكر الله والصلاة والتقديس بقرية ذى السفال المحروسة جوار ضريح الشيخ الإمام أحد أحباب هذه الأمة ، عمدة أعلام الأئمة ، ولى الله تعالى سلطان العلماء وتاج الفقهاء أبى زكريا يحيى بن أبى الخير العمرانى مصنف البيان ، بل الله ثراه بوابل الرضوان رغبة في الثواب ، وذخيرة ليوم الحساب ، ورجاء أن نكون في عداد من قال فيهم العلى القادر " **إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر** " [1] وليكمل لديها المنّة ويحييها على الكتاب والسنة ، وليبنى لها بيتا في فراديس الجنة كما ورد بذلك الخبر عن سيدنا محمد المصطفى خير البشر ، صلى الله عليه وسلم ، ما اتصلت عين بنظر وأذن بخبر .

" وصورة بنائها بوابة يمانية يدخل منها إلي مجاز يكون عن يمين الداخل يسلك فيه إلي عقد محمول عليه ساقيه الماء إلي البركة المبارك فيها ، ثم إلي مجاز المطاهير والمغتسل هنالك ، ثم يكون عن يسار الداخل من الباب الخارجى مجاز

---

[1] *سورة التوبة ، آية ١٨* .

أيضا ينفذ فيه إلي باب الدرجة التي يصعد فيها إلي أعلى المقصورة هنالك ، ثم يسلك أيضا من الباب الخارجي إلي شمسة مرتفعة البنيان ، وغربي الشمسة المذكورة إيوان ، ويدخل من الشمسة إلي مقدم المدرسة المذكورة المباركة ، وهو مجلس مستطيل شرقا وغربا فيه ثلاثة عقود ، وفي المجلس ثلاثة أبواب أحدها شرقي يمر فيه إلي مصلى ، والثاني يماني يخرج منه إلي قاعدة المدرسة المذكورة ، والثالث غربي يستطرق منه إلي مقصورة ذات محراب ، وفي المقدم المذكور أربعة شبابيك حديد أحدهما شرقي والثاني والثالث قبليان عن يمين المحراب ويساره والرابع غربي ، وبتمام هذه الصفات ، تمت صفة البنيان .ويليها من ارجائها وجوانبها الرحاب الواسعة الممتدة الفضاء من الجهات الأربع المحيطة بها ، ويحد هذه المدرسة المباركة قبليا حول الداخلة بيد الشيخ الصالح جمال الدين محمد بن أبي السرور البديهي ، وشرقيا النخيل وإلي شعبته مفتاح ، ويمانيا رباط الفقيه [١٦٤] الصالح المشهور وإلي الله تعالى أبي السرور وغربيا الطريق المسلوك بها إلي حول الداخلة المذكورة .

ولما تم ذلك بحمد الله تعالى حسن توفيقه على ما ذكر وحسبما رسم وسطر ، بادرت موالينا ووقفت وحبست وسبلت وحرمت وأبدت على لسان وكيلها الآتي ذكره جميع قرار المدرسة المذكورة وبنيانها بصفاتها المذكورة وحدوده الأربعة المشهورة مسجدا لله تعالى بالمقدم المذكور والقاعة والأماكن الطاهرة فيها عند البركة لصلاة المصلين واعتكاف المعتكفين وتلاوة التالين وتبتل المتبتلين ، والبركة هنالك الجامعة للماء لوضوء المتوضئين واغتسال المغتسلين ، وطهارة المتطهرين وسائر الانتفاعات المعتادة ، والمطاهير المذكورة للاستطابة وقضاء الحاجة والحيطان فيها للاستنجاء والمغتسل هنالك لاغتسال المسلمين وتنظيفهم وما يستطرق إلي ذلك كله موقوف لما ينتفع به من الاستطراق ومصالح المدرسة وما تخلل بين ذلك مما عسر استقصاؤه في هذه البصيرة فهو موقوف على مصالح المدرسة المباركة وقفا صحيحا شرعيا جاريا على القواعد الشرعية مشتملا على الشروط المعتبره المرعية ، فلما نجز ذلك بحمد الله وقفت أيضا وحبست وسبلت جميع الأراضى الآتي ذكرها على مصالح المدرسة المذكورة المباركة على ما يأتي ذكره مشروحا في الجهات الآتي ذكرها .... " .

ملحق رقم (٤)

قطعة من الوقفية الغسانية خاصة بجامع ثعبات الذي أقامه السلطان الملك المجاهد عام ٧٣٤هـ/١٣٣٣م

[ق ٩٠]

"... وقف الواقف المذكور عن موكله مولانا السلطان المقدم الذكر خلد الله ملكه وجعل الأرض بأسرها ملكه جميع الأرضين المذكورة المحدودة والسهام المذكورة مشاعة في أصولها المذكورة بجميع ما ذكر من الأرضين وجميع البيوت المذكورة ، وجميع الحمام المذكور والدكاكين المذكورة وعدة المعصرة المذكورة المعلومة ، وحقوق ذلك المعروفة له والمنسوبة إليه المتصلة به والمنفصلة عنه وسواقيه ومنابع مياهه وحقوق ذلك ومرافقة وما يعرف لذلك وينسب إليه متصلا ومنفصلا على مصالح الجامع المبارك الموقوف المذكور وأماكنه الموصوفة المذكورة أولا ، وعلى نائب كاف أمين يباشر الوقف ويؤجره بأجرة مثله ويحصل على الأرض ويسوق حواصلها ويعمر الوقف المذكور والجامع المذكور وأماكنه عند الحاجة إلي ذلك ، ويصرف ما بقى على من يأتي ذكره ، وعلى إمام راتب يصلى بالناس في المسجد المذكور ملازم على الصلوات الخمس في أوقاتها ويصلى بهم الرغايب والتراويح وليلة النصف من شعبان والخسوف والكسوف حافظ للقرآن عن ظهر قلب جيد التلاوة حسن الصوت .وعلى مؤذن ملازم على الآذان والإقامة في الجامع المذكور في أوقات الصلوات الخمس المفروضة ، محافظ على الآذان في أوقاته، جيد مأمون صيت ، والقيام مع الإمام في الصلوات المفروضة والتكبير خلفه والقيام معه أيضا في سائر الصلوات المسنونة كالرغائب والتراويح وليلة النصف من شعبان ، ويقوم أيضا معه في صلوات الخسوف والكسوف . وعلى قيم يتولى تنظيف الجامع المذكور وأماكنه المذكورة وفرش ما يحتاج إلي فرشه واشعال المصابيح عند الحاجة إليها واطفائها عند الاستغناء عنها وتنظيف البركة والحيضان ومواضع الماء والسقاية في الجامع المذكور من الطحلب والتراب المجتمع في ذلك المغير للماء . وعلى خطيب يخطب في الجامع المذكور فوق المنبر فيه في الجمع

والأعياد ويصلى بالناس صلاة الجمعة وصلاة العيدين ، فاضل كامل حسن الصوت ظاهر العدالة . وعلى معلم يعلم القرآن الكريم في الجامع المذكور حيث عين للتعليم على مرور الزمان إلا في الجمع والأعياد والأوقات التى جرت العادة بتبطيل التعليم فيها أو لعذر ظاهر بين بشرط الاستنابة شرطه أن يكون حافظا للقرآن الكريم عن ظهر قلب كاتبا . وعلى عشرة أيتام يتعلمون القرآن الكريم مع المعلم في الجامع المذكورا حيث عين للتعليم على مرور الزمان ، إلا في الأوقات التى جرت عادة المتعلمين بالتبطيل فيها . [ق ٩١] ، وعلى شيخ في الحديث النبوى على صاحبه أفضل الصلاة والسلام والتفسير والوعظ والرقائق ، ثابت الرواية صحيح السند يقرئ الطلبة في الجامع المذكور حيث أمكن منه ، ويقرأون عليه اسماعا واستماعا بكرة وعشية ، وله أن يقرئ بعد ذلك من شاء من المتطوعين ما عنده من العلوم الشريفة المقربة إلي الله عز وجل . وعلى قارئ يقرأ الحديث النبوى والتفسير والوعظ والرقائق على الشيخ المذكورة بكرة وعشية ، ببطئ القراءة ليسمع من حوله ، حسن الصوت جيد القراءة . وعلى ثلاثة من الطلبة يشتغلون على الشيخ في الحديث النبوى على صاحبه أفضل الصلاة والسلام والتفسير والوعظ والرقائق اسماعا واستماعا ، وفي النحو واللغة وما أحبوا من العلوم المقربة إلي الله عز وجل ويعقبون الجميع بمجلس القراءة الدعاء للمنعم المتصدق . فيستغل [الناظر] هذه الأراضى الموقوفة المذكورة بوجوه الاستغلال التى يستغل بها مثلها من غير ضرر ولا إتلاف شئ منها بالعقود الصحيحة المسماة التى لامحاباة فيها على المدة التى يكون أبعدها ثلاث سنين وكذلك سائر الوقف المذكور من الدكاكين والحمام والمعصرة، يؤجر ذلك بأجرة مثيله بالاحتياط والاغتباط لا يتجاوز الناظر أكثر من المدة المذكورة ولا يعقد عليها عقدا مستأنفا ما لم تمض مدة الايجار الأولى ، ولا يؤجر ذلك إلا على وجه النظر والاحتياط والمصلحة والاغتباط ، فلا يؤجر الوقف بدون أجرة المثل ، فمن خالف ذلك أو في شئ منه فعقده باطل رد عليه ، فما قسم الله عز وجل ومن به ورزق من ريع هذه الأراضى المذكورة وغلالها المتحصلة ونمائها وأجرة المنافع في كل سنة أولها ، يبدأ الناظر أو من فوض إليه الناظر يلقى ذلك في عمارة الوقف المذكورة عمارة تزيد في نمائه واصلاح ما تشعث منه وظهر مصلحته

بعمارته ، ثم بعمارة الجامع المبارك المذكور وأماكنه وطرقه ومرافقه وطرقاته وسواقيه وما أحاطت عليه حدوده الأربعة من اصلاح منكسر واقامة متهدم وتبديل صفة رأى الناظر المصلحة بدلك ثم بعد ذلك يصرف الناظر على طريق المصلحة من الدهن للاستصباح في المساء والصباح على حسبما ينتفع به المصلون ويستضئ به القاصدون في كل ليلة قدر الكفاية بشرط أن لا ينقص في كل ليلة عن خمسة قناديل في المواضع التى تحتاج إلي الاستصباح على قدر ما يراه الناظر .ويصرف أيضا في قيمة حصر للمقدم والجناحين والمؤخر والمقصورة ومؤخرها والمعلامة وسائر الأماكن المعتاد فرشها قدر الكفاية على ما يراه الناظر وفي آلة الاصلاح والتنظيف على حسبما يراه الناظر .وما فضل بعد ذلك صرف غرة كل شهر ما مبلغه خمسة وثلاثون زبديا بالزبدى التعزى الذى عبرته وزنا أربعة عشر رطلا بالرطل المصرى مما يحصل من الوقف من أنواع الحبوب المقتاتة . وللإمام ثلاثون زبديا بالزبدى المذكور ، وللمؤذن عشرون زبديا بالزبدى المذكور ، وللقيم عشرة أزبود ، والخطيب خمسة عشر زبديا ، والمعلم خمسة وعشرون زبديا ولكل من الأيتام العشرة عشرة أزبود ، وشيخ الحديث النبوى على صاحبه أفضل الصلاة والسلام مائة زبدى وعشرون زبديا ، ولقارئ الحديث ثلاثون زبديا ، ولكل نفر من الثلاثة الطلبة عشرون زبديا الجميع غرة كل شهر لكل نفر ما ذكر ونسب إليه [ق ٩٢] بالزبدى الذى عبرته ما ذكر أولا من أنواع الغلال المتحصلة من الوقف المذكور لا ينفرد واحدا بجنس دون الآخر ، ولا يقدم أحدهم على الآخر عند الإتباع ، ومهما ضاق الحاصل والعياذ بالله فعل الناظر بحسب ما تقتضيه المصلحة حينئذ وعند ختمة شهر رمضان يصرف ما يحتاج إليه من السليط لداخل الجامع وخارجه حسبما يراه الناظر ، وفي ليلة الرغايب وليلة النصف من شعبان يزاد في سقا الجامع على ما يراه الناظر .

وعلى النائب رعاية شرط الواقف والزام أرباب الوظائف اتباع شرط الواقف وعليه الاحتهاد والمباشرة وتحصيل ما يجب تحصيله والسعى في النظر والاحتياط ، وايصال كل ذى حق حقه بعد قيام كل منهم بوظيفته وعلى الإمام مراعاة وقت الفضيلة من أوقات الصلاة المفروضة والمواظبة عليها ،وتجنب كل ما

تكرهه الجماعة وقيام شهر رمضان العظيم بالتروايح والنصف من شعبان والرغايب وصلاة الخسوف والكسوف بالجماعة على التخفيف عملا بوصيته عليه أفضل الصلاة والسلام إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فإن فيهم السقيم والضعيف وذى الحاجة ، وعلى المؤذن ملازمة الأوقات الخمسة والإعلام بدخول الوقت وقت الصلاة والآذان الشرعى والإقامة بأمر الإمام والتكبير خلفه والتسبيح ليلا بالمنارة في الجامع المذكور أو سطحه في الأسبوع ليلة الجمعة وليلة الأثنين وعليه القيام مع الإمام بالتروايح والرغايب وليلة النصف من شعبان على حسب العادة ، وعلى القيم ملازمة وظيفته ، وتنظيف الجامع المذكور وأماكنه ومستطرقاته وتنظيف المطاهير والمغتسلات والبركة والسقاية وسوى ذلك ، وفرش الحصر في الأماكن المعتاد فرشها واشعال المصابيح عند الحاجة إليها واطفاؤها عند الاستغناء عنها . وعلى الخطيب ملازمة وظيفته في أوقاتها ومراعاة منصب الخطبة بما يجب المراعاة فيه.وعلى المعلم ملازمة التعليم ، وعلى شيخ الحديث النبوى على صاحبه أفضل الصلاة والسلام القيام بوظيفته وبذل وسعه للطلبة ، والإقراء والقراءة في كل يوم بكرة وعشية من الحديث والتفسير والوعظ والرقائق ما سهله الله عز وجل ويعقب مجلس القراءة ما يسره الله تعالى من القرآن الكريم والدعاء للمنعم الموقف عنه المقدم الذكر خلد الله ملكه . وعلى قارئ الحديث النبوى على صاحبه أفضل الصلاة والسلام قراءة الحديث والتفسير والوعظ والرقائق في كل يوم بكرة وعشية والاعلان بالقراءة ليسمع من حوله والدعاء عقيب القراءة للمنعم المتصدق . وعلى الطلبة الاشتغال بتحصيل الحديث النبوى على صاحبه أفضل الصلاة والسلام وضبطه وفهم معانيه وتجويد سنده واستماعه عند قراءة القارئ المذكور وحضورهم في كل يوم بكرة وعشية عند الشيخ والقارئ في الجامع المذكور ، وعلى الجميع من المرتبين المواظبة والملازمة إلا في الأوقات التي جرت العادة بالبطالة بها كالجمع والأعياد وعند الضرورات الحادثة والحاجة الداعية إلا الإمام والمؤذن والقيم ومن نابه منهم عذر استناب من يقوم بوظيفته ....

ملحق رقم (٥)

وصف المدرسة الأشرفية الكبرى بتعز من خلال الوقفية الغسانية

[ق ١]

"...بسم الله الرحمن الرحيم أن السلطان السيد الأجل العالم العامل العادل سلطان الاسلام والمسلمين...السلطان الملك الأشرف ممهد الدين اسماعيل بن مولانا السلطان السيد الأجل العالم العامل...الملك الأفضل ضرغام الدين...العباس بن علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول خلد الله مملكته وأدام دولته ونشر في الخافقين ألويته وأصلح سره وسريرته ممن يحب ويسارع إلي فعل الخيرات واكتساب الحسنات،وأراد أن يتقرب إلي الله تعالى بوقف به يدرأ عنه السيئات صدقة جارية على مر الأيام والساعات واختلاف الأزمان والأوقات،لا يغير حكمها مغير،ولا يكدر صفوها مكدر،...فسارع أحسن الله إليه وأكمل المنة لديه بانشاء المدرسة المباركة التأسيس المعمورة بذكر الله تعالى، والصلاة والتدريس بحافة الدرج قبلى حصن تعز المحروس التي يأتي ذكر صفتها ومحل رسمها وبنائها وحقيقة تكوينها بنيانا واقتصارا،وبنى فيها مسجدا لله رغبة في الثواب وذخيرة ليوم الحساب لحسن اعتقاده بالله العلى القادر لقوله تعالى "**إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر،وأقام الصلاة،وآتى الزكاة،ولم يخش إلا الله**" [١] ، فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين،وليكمل الله لديه المنة ويحييه على السنة الإسلامية،وليبنى الله له بيتا في الجنة،وصورة بنيانها يومئذ قبة كبيرة فيها المحراب محمولة على أربعة[ق ٢] عقود،وجناحان شرقي وغربي،كل جناح فيه أربع قبب،وفي القبة شباكين من جهة القبلة شرقي المحراب وغربيه وفي كل جناح شباكين من جهة القبلة،شرقي المحراب وغربيه،وثلاثة أبواب،بابان شرقيان وباب يماني ينفذ إلي جملول(جملون)وفي كل جناح خرستان من جهة الثلث مستطرق من جهة البابين الشرقيين إلي مجاز شرقي محمول محترم بأربعة عقود ، عقد قبلي وثلاثة يستطرق به أعني المجاز إلي الجملول الشرقي،وفيه باب شرقي،وشباكان حديديان وثلاثة شبابيك إلي القاعة المذكورة .

---

[١] سورة التوبة ،آية ١٨ .

وفي الجملول الشرقي خزانة مى جهة اليمين ، وشباك في أثناء المجاز الشرقي ، باب كبير ببوابة وفسقية صغيرة وبركة كبيـــرة،ورحبة فيها إيوان،وينتمى هـــذا المجـــاز الشرقي إلي أثناء المجاز اليماني،ويستطرق من المجاز اليماني إلي المنارة الشرقية ، ثم إلي الخانقاه المهيئة للصادر والوارد إن شاء الله تعالى ثم إلي المنارة الغربية.وصفة الخانقاه المذكورة بعد الدخول من بابها[إلي]إيوانين متقابلين شرقيا وغربيا،وبينهما فســقية وقبة وشباكان قبليان إلي القاعة المــذكورة،ثم يخــرج مــن المجــاز إلي البواســة الكبيــر[ة]....وصور[تها] بوابة بعقدين شرقي وغربي،ويستطرق من هذا البــاب إلي دهليز بسقف مصلب،وإيوانين شرقي وغربي ومجلس شرقي ومجلس غــربي،في كل مجلس قبة،في كل قبلة باب يخرج من باب القبة الشرقية إلي الرحبة المذكورة ، ثم يسلك من باب القبة الشرقية إلي الرحبة المذكورة،ثم يسلك من باب القبة الغربية إلي مجاز غربي محمول غير محترم،وفيه باب كبيــر غربي نحيت ببوابة على يمين الباب عقدان،وعلى يساره خمسة عقود أحدهما قبلي وما عداه غربيه ثم يسلك من المجــاز الغربي إلي مجلس غربي ،وجناح معقود ... وفي المجلس المذكور باب غربي يستطرق إلي المجاز الغربي وشباكان حديديان أحدهما عن يمين الباب ، والآخر عن يســاره ، وثلاثة شبابيك شرقية إلي جهة القاعة .وفي يماني هذا المجلس خزانة كبيــرة وخزانة صغيرة وخرستان من جهة القبلة ،فحفت القاعة حينئذ بالبنيان المذكور الولوج من باب مكون في القبة الكبيرة للاستطراق والمشاهدة اثنــا عشــر بابــا [ق ٣] ، وتضمنت التربة المذكورة بعد الولوج إلي باطنها مى بابها المكون في الإيوان الشرقي في الخانقاه بنيان شرقي وغربي وبينهما حاجز يستطرق من أحدهما إلي الآخــر في كل بيت منهما دكة مستطيلة ،ثم ينتهى المجاز مى جهــة الشــرق إلي المطــاهير والمغتسلات وهن ثلاث عشرة بيتا مغتسلات ثلاثة ، ومطاهير عشرة ، والبيــوت المذكورة كلها محيطة بالبركة من ثلاث جهات القبلة واليمن والشرق على حسب ما يقتضيه تكوينها ، وبتمام هده الصفات تمت صفات البنيان ، وإليــه الرحــاب الواسعة الممتدة مى الفضاء ، ظاهر اتجاه كل باب وسائر أنواع مرافقها من الجهات المحيطة بها على حسب ما يقتضيه حكمها وتكوينها فالذى يحد ذلك قبليا الطريــق المسلوك هنالك ، وشرقيا بيوت والبينيان هنالك ،وغربيا الطريق المسلوك المسمى

بالدرجة ، ويمانيا حصن تعز المحروس فحينئذ وقف وحبس وسبل وأبـد وحـرم وتصدق مولانا السلطان المقدم الذكر ، خلد الله ملكه ، وجعل الأرض بأسـرها ملكه ، وتقبل قرباته وأزلفها عن نفسه الشريفة حرسها الله تعالى ، جميع المدرسـة وبنيانها المذكور الموصوف المحدود كما هو بصفاته المـذكورة وحـدود الأربعـة المشهورة على ما يأتي ذكره وتفصيله إن شاء الله تعالى ، فالقبة المـذكورة صـدر المدرسة المذكورة ذات المحراب والجناحين مسجدا لله تعـالى لصـلاة المصـلين ، واعتكاف المعتكفين ، وتلاوة التالين ، والمقصورة من الجملول الشـرقى لإقـراء الحديث النبوى ، على صاحبه أفضل الصلاة السلام وسماعه واسماعه ، وما تيسر من العلوم الشريفة المقربة إلي الله تعالى ،والمشتغلين بذلك من المرتبين وسـواهم مـن أمثالهم ، الارتفاق بالمقصورة المذكورة ليلا ونهارا بـالنوم ونحـوه، والخزانـة في المقصورة المذكورة في يمانى الجملول المذكور لكتب العلم الشريف ، وسائر المصالح العائد نفعها على المدرسة حسب ما يقتضيه نظر الناظر ، ومقصورة المجلس الغـربى لإقراء العلم الشريف الفقهى فروعا وأصولا على مذهب الامام أبي عبد الله محمـد بن إدريس الشافعي المطلبى رضى الله عنه وأرضاه ، وللدرس والبحث وللمدرسين ،مدرس الفقه ومدرس الحديث أن يدرس حيث شاء من جميع الأماكن المذكورة في المدرسة ،والخزانة في هذه المقصورة المذكورة في المجلس المذكور مخـزان الكتـب وسائر المصالح [ق ٤] ، العائد نفعها على المدرسة حسب ما يتقضيه نظر الناظر، والعقود المعدودة في المجاز الغربى عربيا وقبليا موقوفة للانتفاع بالارتفاق من العقود والنظر ، وكذلك عقود المجاز الشرقى موقوفة كما ذكر ، والخانقاه المـذكورة دار ضيف للصادر والوارد من الفقراء والمساكين وأبناء السبيل ، وطائفـة الصـوفية المتوسمين بالخير المنقطعين إلي الله تعالى المتزيين بزى أهل الطريق ، والقبـة الـتى في المجلس الغربى بازاء الباب اليمانى مخزان لسقاء المدرسة وقناديلها ، وما أمكن مـن آلتها المعدة لها ، وكذلك القبة في المجلس الشرقى موقوفة كما ذكـر ، والمجلسـان المذكوران بإزاء الباب اليمانى موقوفان للبسط والفرش والحصر وما يعود نفعه مـن مهمات المدرسة المذكورة ، وسفلى باقى المجلسين الشرقى والغربى موقوف مـدفنا للموتى ، وظاهرهما لتشخيص علامات القبور عند الحاجة إلي ذلك ، ولقعود القراء

فيها لقراءة القرآن الكريم على الترب المقدسة ونحو ذلك ، وباقى القاعة المـذكورة موقوف مدفنا للموتى ، والإيوانات الشرقى والغربي في دهليز الباب اليمانى ، لتعليم القرآن الكريم لجماعة الأيتام المرتبين وسواهم من المتعلمين والبركة الكبيرة جامعـة للماء المسبل إليها لوضوء المتوضئين ، وغسل المغتسبين ، وطهارة المتطهرين وسائر الانتفاعات المقصودة كالعادة ، والمطاهير المعدة المذكورة للاستطابة وقضاء الحاجة ... [ق ١٣] [ويصرف الباقى على] إمام ، [و] مأمونين صايتين قائمين مـع الإمام في سائر الصلوات المسنونة كالرغايب والتراويح وليلة النصف من شـعبان ، وفي صلوات الخسوف والكسوف، وعلى قيمين يتوليان تنظيف المسجد وجناحيه ، وسائر المدسة المذكورة ورحابها وأماكنها المذكورة باطنا وظاهرا ، وفرش ما يحتاج إلي فرشه ، وتنظيف البركة الفسقية ومواضع الماء في المدرسة المذكورة من الطحلب والتراب المجتمع فيها المغير للماء ،واشعال المصابيح في المسجد والجناحين ، وسـائر الأماكن التى تحتاج إلي الاستصباح فيها في الأوقات التى جرت العادة فيها بـذلك كالمغرب والعشاء ، وصلاة الصبح ، وإشعال القناديل ، والسـماع في المدرسـة المذكورة داخلها وخارجها في ليلة الختمة من شهر رمضان المعظم كجارى عـادة المدارس في تلك الليلة ، ويتوليان حفظ آلة المدرسة المعدة لها من البسط والحصـير والقناديل والأسقية وسوى ذلك ، وتنظيف المطاهير ...وعلى فقيه مدرس للعلـم الشريف في المدرسة المذكورة على مذهب الإمام أبي عبد الله محمد بـن إدريـس الشافعى رضى الله عنه وأرضاه ويقرئ الطالبين المرتبين فيها في فنون [علم] الفقه فروعا وأصولا، وله أن يقرئ بعد دلك ما شاء من المتطوعين . وعلى عشرة مـن الطلبة يقرأهم العلم الشريف ، ويقرأون عليه كل يوم ما سهله الله عز وجل للدرس والبحث والاجتهاد منه ومنهم من أنواع العلم الشريف المقرب إلي الله عز وجل . وعلى معيد يؤرض عليه الطلبة ويبحثون معه توطئة للمدرس ، واستبيان ما يقـدح في نفوس الطلبة وتحرير الصور والمسائل وتصويرها .وعلى مدرس للحديث النبوى عنى صاحبه أفضل الصلاة والسلام والتفسير والوعظ والرقائق ، بين الرواية صحيح السند يقرئ الطلبة فيها فيقرأون عليه سماعا واستماعا وعلى خمسة [ق ١٤] من الطلبة يشتغلون عليه بعلوم الحديث في كل يوم ما سهله الله عز وجل ، وكـذلك

يقرئ بعد ذلك ما شاء من المتطوعين مع البحث والاجتهاد منه ومنهم . وعلى مقرئ لكتاب الله العزيز بالقراءات السبع عارف محقق لأنواع علوم القراءات متقن لها علما ونطقا ، وعلى خمسة من الطلبة يشتغلون عليه في القراءات المذكورة في كل يوم ما سهله الله عز وجل بالبحث والاتقان ، وعلى فقيه نحوى مدرس في النحو عارف لأحوال النحو وفروعه بصير بأدلته مستحضرا لنصوصه ذاكرا لشواذه وغوامضه مفيد للطلبة المتقدم ذكرهم يصلح من ألسنتهم ركيكها ، ويجلوا عن صدروهم شكوكها عارف بارع فيها ، ناقل لفصيحها مستعمل لصحيحها وعلى معلم يعلم القرآن الكريم في المدرسة المذكورة حيث عين للمتعلمين على مرور الأزمان إلا في [ال] جمع والأعياد والأوقات التي جرت العادة للمتعلمين في المدارس يبطلون فيها ، أو لعذر ظاهر بشرط الاستنابه لمن تقدم ذكرهم . وعلى خمسة عشر يتميا يتعلمون القرآن الكريم في المدرسة المذكورة حيث عين للمتعلمين. وعلى شيخ من مشايخ الطريقة السالكين المحققين المتصفين بصفة الصوفية ، وعلي عشرة من المريدين السالكين المنقطعين ، يفضل اثنان منهم لمزيد من التفقه بشرط اتصافهما بخدمة الفقراء والواردين وقيامهما على الاطعام ،والطعام المعد للصادر والوارد إلي الخانقاه المذكورة بالمدرسة المذكورة من الفقراء والسالكين وأبناء السبيل إطعام بالمعروف ، وعلى قيم ينظر في أمر ساقية المدرسة المنصب إليها الماء ، واجرائه على حسب العادة ، وعلى نائب كاف أمين يباشر الأرض المذكورة ويؤجرها بأجرة مثلها ، ويحصل على غلالها ويسوق حواصلها ، ويعمر الأرض المذكورة والمدرسة المذكورة وأماكنها عند الحاجة إلي ذلك . ويصرف ما بقى علة من ذكر ، وعلي أربعة من القراء يقرأون القرآن الكريم في كل يوم واحد نصف الختمة الشريفة عند التربة المرحومة تربة الطفل المقدس ثراة الملك الظافر المرحوم ولد مولانا السلطان الملك الأشرف أدام الله ملكه ،وعلى إشعال الشمع في كل ليلة شمعة عند التربة المذكورة ... [ق ١٥] ... ثم يصرف الناظر بعد ذلك ما بقى على طريقة المصلحة من الدهن في المساء والصباح على حسب ما ينتفع به المصلون ، ويستضئ به القاصدون في كل شهر ثمنين من السليط على أى سعر بلغ، ويصرف أيضا قيمة حصر المسجد وجناحيه والمجالس والخانقات وسائر الأماكن

المعتاد فرشها قدر الكفاية على ما يراه الناظر ، وفي آلة الإصلاح والتنظيف على حسب ما يراه الناظر ، وما فضل بعد ذلك يصرف للإمام المرتب غرة كل شهر أحد وأربعون زبديا وثلث زبدى بالزبدى التعزى القديم ، وعشرون دينارا وكسوة في كل سنة مقطع بياض وأربعون دينارا ، وللمؤذنين غرة كل شهر لكل نفر عشرون زبديا وفي كل سنة ثوبان خام وعشرون زبديا ، ولكل واحد ثوب خام وعشرة دنانير وللقيمين غرة كل شهر لكل واحد عشرون زبديا ، وفي كل سنة ثوبان خام وعشرون دينارا لكل واحد نصف ذلك ، وللمدرس غرة كل شهر ثلاثة وثمانين زبديا وثلث زبدى وخمسين دينارا ، وما هو سبب الكسوة في كل سنة مقطع بياض ومائة دينار ... ولكل واحد من طلبة الفقه المشتغلين به غرة كل [شهر] سبعة أزبد ونصف الزبدى ، وسبعة دنانير ونصف دينار . وللمعيد غرة كل شهر أحد وأربعون زبديا وثلث زبدى وعشرون دينارا ،وكسوة في كل سنة مقطع بياض وخمسون دينارا .وللمدرس في الحديث النبوى غرة كل شهر أحد وأربعون زبديا وثلثا زبدى وعشرون دينارا ، وفي كل سنة مقطع بياض وأربعون دينارا سبب الكسوة . وللطلبة المشتغلين عليه في الحديث النبوى على صاحبه أفضل الصلاة والسلام ، لكل واحد منهم غرة كل شهر سبعة أزبد ونصف زبدى وسبعة دنانير ونصف دينار ، وللمقرئ غرة كل شهر أحد وأربعون زبديا وثلثا زبدى وعشرون دينارا وكسوة في كل سنة مقطع بياض وأربعون دينارا ، والمشتغلين من الطلبة عليه لكل واحد غرة كل شهر سبعة أزبد ونصف زبدى وسبعة دنانير ونصف دينار ، وللنحوى غرة كل شهر أحد وأربعون زبديا وثلثا زبدى وعشرون دينارا وفي كل سنة مقطع بياض وأربعون دينار سبب الكسوة . وللمعلم غرة كل شهر أحد وأربعون زبديا ، وللأيتام غرة كل شهر عشرة أزبد . ولشيخ الخانقاه غرة كل شهر أحد وأربعون زبديا وثلثا زبدى وعشرون دينارا وكسوة في كل سنة مقطع بياض وأربعون دينار ولكل واحد من الثمانية المريدين غرة كل شهر عشرة أزبد وتاسعهم وعاشرهم [ق ١٦] وهما المتصفان بخدمة الفقراء والواردين المتصديان للإطعام لكل نفر خمسة عشر زبدى ، ولقيم الساقية غرة كل شهر عشرة أزبد ، وللنائب أحد وأربعون زبديا وثلثا زبدى وعشرون دينارا ومقطع بياض وأربعون دينارا سبب الكسوة في كل سنة .

ملحق رقم (٦)

وصف المدرسة الظاهرية من خلال الوقفية الغسانية

[ق ٢١] بسم الله الرحمن الرحيم . . . وبه نستعين

هذه نظير لبصيرة المدرسة الظاهرية على ما اختاره الواقف حال صحته في وقفيته نقلت من بصيرة نقلت من السجل المحفوظ على ما حرز فيه بلا زيادة ولا نقصان وعليها علامة القاضي مراد بن على الحاكم بمدينة تعز المحروسة بالله وكذلك طابعه ....

وبعد فإنه لما كان الوقف من القرب المندوب إليها والطاعات المحثوث عليها،وكان لا يلحق العبد بعد موته من الأعمال الصالحات[ق ٢٢]إحدى ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له **لقوله صلى الله عليه وسلم إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من إحدى ثلاث"الحديث "**... وكان مولانا...السلطان الملك الظاهر هزبر الدين يحيى بن...السلطان...الملك الأشرف... إسماعيل بن العباس بن على بن داود بن يوسف بن عمر بن على بن رسول ... ممن يحب ويسارع إلي فعل الخيرات واكتساب الحسنات فأراد أن يتقرب إلي الله تعالى بقربة تدرأ عنه السيئات صدقة جارية على مر الأيام والساعات واختلاف الأزمان والأوقات،لا يغير حكمها مغير ولا يكدر صفوها مكدر ، ولا يزيل رسمها تأويل أحد من المتأولين ، ولا يحولها حيل المحتالين ، جعله الله من الذين قال فيهم وهو أصدق القائلين " **أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجز العاملين** " فسارع أحسن الله إليه ، وأكمل المنة لديه بانشاء المدرسة المباركة التأسيس المعمورة بذكر الله تعالى والقراءة والصلاة والتدريس مسجدا لصلاة المصلين واعتكاف المعتكفين . وصورة بنيانها قبة كبيرة محمولة على أربعة عقود فيها المحراب ، ويحفها أربع قبب شرقية وأربع قبب غربية ، ومحمولة على عقود أيضا في الجدار القبلى ستة شبابيك حديد بأزواج دروف [نوافذ مزدوجة] ، وفي الجانب الشرقى شباك حديد في القبة القبلية ، وباب في القبة اليمانية يخرج منه إلي قبة ، وهى في رأس المجاز الشرقى

المستطيل شاما ويمنا ، وفيها عقدين أحدهما قبليا [ق ٢٣] والآخر شرقيا ، وفي الأيسر شباك حديد في القبة الشامية ، وفي القبة اليمانية باب يخرج منه إلي قبة ، وهى في رأس المجاز الغربي المستطيل شاما ويمنا وفيها عقدين أحدهما قبليا والآخر غربيا ، وفي الجدار اليمانى خمسة أبواب نافذة إلي جهة اليمن ، وخرستان وصرحة محفوفة بأربعة أروقة من الجهات الأربع ، يحمل كل رواق ثلاثة عقود ، وفي كل ركن من الأروقة المذكورة قبة ومجلس شرقى مستطيل شاما ويمنا بأربعة شبابيك حديدية شرقيان وغربيان ، وثلاثة أبواب شرقى وقبلى وغربى ، ويحد المجلس المذكور من الشرق المجاز الشرقى ، من الشام جملون محمول عليه ، وعلى جدار المقدم الشامى ، ومن الجانب الغربى رواق شرقى الصرحة المذكورة ، ومن الجانب اليمانى جملون محمول عليه ، وعلى جدار المجلس غربى مستطيل شاما ويمنا بأربعة شبابيك حديدية شرقيان وغربيان ، وثلاثة أبواب شرقى وقبلى وغربى ، ويحد المجلس المذكور قبليا جملون مستطيل شرقيا وغربيا محمول عليه وعلى جدار المقدم .ومن الجانب الشرقى رواق غربى الصرحة المذكورة ،ومن الجانب اليمانى جملون محمول عليه وعلى جدار المجلس اليمانى وفي الجملون المذكور باب نافذ المجلس المذكور ،يجعل فيه كتب المدرسة المباركة ، ومن الجانب الغربى المجاز الغربى، وصدر كل مجلس من المجلسين المذكورين قبة وسطا محمولة على جملونين شرقيين وغربيين ، ومجاز شرقى مستطيل شاما ويمنا ، يحده جدار شرقى باب شرقى ببوابة مخرج المدرسة ، ومن جهة الشرق يحد الباب المذكور عقد في الجدار من الجانب القبلى يدخل من الباب المذكور في جهة اليمن إلي فسقية صغيرة ، وباب من جهة اليمن يخرج منه إلي رحبة فيها بركة كبيرة يحفهما من الجانب الشرقى ستة بيوت مطاهير ، ومن القبلى بيتين ومغتسل ومن اليمين بيتين ومغتسل وقبة وسقاية صغيرة يشرب منها الماء ، ومجاز محيط بالمغتسلات شاما وشرقا ويمنا وفيه من الجانب الشرقى باب نافذ في جهة الشرق ، ثم يخرج من الرحبة المذكورة إلي مجاز مستطيل شرقا وغربا بعقود جملون ، وفي وسطه مصلب فهي شمسه مكوللك مخمس يحده من الجانب اليمانى المنارة الشرقية ، يصعد فيها بدرجتين ومخزان يلى المنارة من جهة الغرب ، ثم يليه الباب اليمانى ، وصفته بإيوانين معلامة وعقد مصلب وبوابة كبيرة

فيها الباب اليمانى ،ويحد الدهليز مخزان جملون من جهة الغرب ، ثم المنارة الغربية ويحدها قبة من جهة الغرب ثم مجاز غربى مستطيل شاما ويمنا يحده جدار غربى فيه بوابة هى مخرج المدرسة المباركة من جهة الغرب . وفي الجدار المذكور ثلاثة عقود من جهة القبلة ، ومن الجانب الغربى عقدين صغيرين ،ثم يصعد من درجة المنارة الغربية قاعة محمولة على المجاز اليمانى مسقوفة وشمسة مثمنة ... ومجلسين أحدهما على الدهليز اليمانى ، وفيه قبة بوابة بعقد مكولك على البوابة اليمانية ، وفيه ثلاثة شبابيك من الجانب اليمانى ، وشباكان حديديان ، أحدهما شرقيا والآخر غربيا [ق٢٤] وفي المجلس المذكور شباكان حديديان في جهة اليمن ، وفي المجلس المذكور مخزان من جهة الغرب ،وتحته من جهة الشرق بيت مطهرة ، ويحد البيت المذكور من الجانب القبلى إيوان مكولك ، وفيه فسقية مثمنة للشرب والوضوء ، ومجلس من الجانب القبلى محمول على الرواق يمانى الصرحة ، وفيه روشن أوسط وشباكان حديدان يشرفان إلي صرحة المدرسة والمجلسين المذكورين ... وبتمام هذه الصفات تمت صفة البنيان ... فحينئذ وقف وحبس وسبل مولانا السلطان الملك الظاهر ... جميع قرار المدرسة وبنيانها المذكور الموصوف المحدد كما هو بصفاته المذكورة وحدودها الأربعة المشهورة على ما يأتى ذكره إن شاء الله تعالى ، فالقبة المذكورة صدر المدرسة المباركة ذات المحراب والجناحين مسجدا لله تعالى لصلاة المصلين واعتكاف المعتكفين وتبتل المتبتلين وتلاوة التالين ،والمجلس الشرقى المستطيل شاما ويمنا لإقراء الحديث النبوى على صاحبه أفضل الصلاة والسلام وسماعه واستماعه ، وما تيسر من العلوم الشريفة المقربة إلي الله تعالى ، وللمشتغلين بذلك من المرتبين وسواهم من أمثالهم الارتفاق بالمجلس المذكور ليلا ونهارا بالنوم ونحوه، والمجلس الغربى المستطيل شاما ويمنا لإقراء العلم الشريف الفقهى فروعا وأصولا على مذهب الإمام أبى عبد الله محمد بن إدريس الشافعى المطلبى رضى الله عنه وأرضاه ، وللمشتغلين بذلك من المرتبين وسواهم من أمثالهم الإرتفاق بالمذكور ليلا ونهارا بالنوم ونحوه وللمدرسين مدرس الفقه ومدرس الحديث وغيرهما من المجلس الغربى مخزن للكتب وسائر المصالح العائد نفعها على المدرسة حسب ما يقتضيه نظر الناظر . وأسفل هذا المجلس المذكور الغربى وأسفل المجلس الشرقى أيضا موقفان

مدفن للموتى وظاهرهما لتشخيص علامات القبور عند الحاجة إلي ذلك ، ولقعـود قراء القرآن الكريم على التراب المقدسة إن شاء الله تعالى ونحو ذلـك ، وبـاطن القاعة المذكورة [ق ٢٥] موقوفة مدن للموتى وظاهرها لتشـخيص علامـات القبور ، والإيوانان الشرقى والغربى في دهليز الباب اليمانى لتعليم القـرآن الكـريم جماعة الأيتام المرتبين وسواهم من المتعلمين ، والقبة التى هى غربى المنـارة الغربيـة موقوفة للبسط والفرش وما يعود نفعه لمهمات المدرسة المذكورة .والجملونان بإزاء المنارتين مقوفان للإرتفاق والانتفاع لسائر المرتبين بالمدرسة المـذكورة ، والبركـة الكبيـرة جامعة للماء المسبل إليها لوضوء المتوضئين وغسل المغتسلين ، وطهـارة المتطهرين وسائر الانتفاعات المقصودة على العادة ....



ملحق رقم (٧)

وصف مدرسة سلامة في مغربية تعز

من خلال الوقفية الغسانية

[ق ٦٩] ... فسارعت .. الآدر الكريمة جهة الطواشى الأجل جمال الدين مرشد " المجاهدى " سلامة ابنة مولانا السلطان الملك المجاهد على بن داود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول أحسن الله إليهم ، وأكمل المنة لديهم إلي إنشاء المدرسة المباركة التأسيس المعمورة لذكر الله تعالى والصلاة والتدريس التى يأتى ذكر رسمها وبنائها وحقيقة تكوينها بنيانا وقرارا بين الحائطين التى هى ارثها من والدها موالينا جهة الطواشي الأجل جمال الدين نصر قدس الله أرواحهم [ق ٧٠] في الجنة ، في مغربة مدينة تعز المحروسة ، وبنت فيها مسجدا لله تعالى رغبة للثواب وذخيرة ليوم الحساب ، لحسن اعتقادها ، وليكمل الله لهم المنة ويحييهم على الإسلام والسنة ، ويجعل جزاؤهم أعلى درج الجنة . فالذى يحدها قبليا وغربيا الحائطين الموقوفين عليها ، ويمانيا الطريق ،وشرقيا السائلة ، أحاطت هذه الحدود ، واشتملت على جميع الأبنية التى يأتى ذكرها إحاطة جامعة مانعة عن دخول غيرها فيها ، وخروج شئ منها إلي غيرها وصورة بنيانها يومئذ مقدم قبلى ذو محراب سقفه بثلاث قبب معقود بأحرف طين ، وفي المقدم المذكور خمسة شبابيك حديدية أربعة قبلية ،وشباك غربى وللمقدم المذكور أربعة أبواب ، باب إلي الإيوان الغربى ، الذى طوله عشرة أذرع ، وعرضه ستة أذرع له بابان أحدهما من المجلس ذى المحراب ، وبابان إلي المجاز الذى هو يمانى المقدم ، وبهذا المجاز ثلاثة عقود إلي القاعة والباب الرابع للمقدم مفتحه إلي مجاز شرقى فيه ثلاثة عقود شرقيان وقبلى ، سقف الإيوانين الشرقى واليمانى بخشب وجوابى وصحف ، والإيوان الغربى الذى طوله عشرة أذرع ، وعرضه ستة ، له بابان مفتحة إلي المجاز يمانى المقدم المذكور ،وفي القاعة بابان أحدهما إلي مجاز فيه مطهارين ومغتسل شرقى القاعة المذكورة والآخر إلي المجاز اليمانى المسلوك إلي الدهليز ، وفي القاعة بركة لها أربعة أركان ،وغربى المجاز المذكور درجة يصعد بها إلي مجلس غربى القاعة ،ودرجة إلي سقوف المدرسة

المذكورة ، ثم يخرج من المجاز إلي دهليز فيه إيوانان شرقى وغربى سقوفهما خشب وصحف ، وأربعة محاريب سفل المدرسة ، محرابان قبليان ومحرابان شرقيان ، وباب المدرسة الجامع البرانى هو غربى نافذ إلي الإيوان المذكورة أولا ، فلما تم ذلك كله على ما هو موصوف محدود ،وقف وحبس وحرم وسبل موالينا الآدر الكريمة...ابنة مولانا السلطان الملك المجاهد ... جميع قرار الأبنية المذكورة الموصوفة المحدودة إلا الإيوان الصغير الغربى الذى طوله عشرة أذرع ، وعرضه ستة أذرع ، فإنه باق على ملكهم للدفن بعد العمر الطويل ، أوقفت موالينا الآدر الكريمة ... [ق ٧١] جميع ما ذكره وحقوقه لله تعالى فالمسجد المذكور ذو المحراب والقبب الثلاث والسقف الموضوع عليه بناؤه وجذوعه الموضوعة على بناء السفل الذى تحته مسجدا لله تعالى ، ولصلاة المصلين واعتكاف المعتكفين وقراءة القارئين ، وتعبد المتعبدين ، والإيوانان المذكوران يمانية وشرقية والقاعة التى فيها البركة إلي المجاز الذى يمشى به المطاهير فإنه للاستطراق وما عداه مما ذكرناه أولا فهو لصلاة المصلين فرضا ونفلا وحرمت كحرمة المسجد أو حكمه كحكمه ، والبركة الجامعة للماء المسيب إليها لوضوء المتوضئين ، ولرفع الأحداث ، وتجديد الوضوء والمجاز يمانيها وشرقيها للاستطراق إلي المطاهير الاثنين ... والمجلس الغربى الذى يصعد إليه بدرجة لما يحتاج إليه من وضع أقمشة المدرسة كالأسقفية والحصر والبسط والقناديل وغير ذلك مما يتعلق بأمر المدرسة ، والإيوان الشرقى في الدهليز للتعليم ، والغربى لممر الناس به ، والسفل تحت المقدم القبلية والشرقية وقف لمصالح المدرسة وما تخلل بين ذلك مما عسر استقصاؤه ، فهو وقف على مصالح المدرسة المذكورة كما ذكر دون الإيوان المذكور. [ق ٧٤] .. وأوقفت موالينا الآدر الكريمة...جميع البيوت التى أنشأها موالينا طول الله أعمارهم غربى المدرسة المذكورة التى ذكر وصفها قرارا وبنيانا وصورة بنيانها حينئذ باب شرقى يدخل منه إلي دهليز ، ثم إلي قاعة أرضية فيها محراب ومطبخ وبيت راحة وباب غربى يخرج منه إلي بركة الحائط ، والإيوان الموقوفة على المدرسة المذكورة ، والإيوان يمانى البركة المذكورة ،ثم يصعد من القاعة الأرضية بدرجة إلي الحافةالعليا ، في وسط الدرجة خلوة صغيرة ، ثم يصعد منه إلي شربخانة ، ثم يدخل إلي قاعة فيها إيوان

يماني ومجلس شرقي بشباكين وطيرمه فوق الإيوان الوقف المذكور ،فيها شباك يماني بشرق على الطريق،وحائط الوقف الأعلى،وروشن يشرف منه على البركة بحائط الوقف الأسفل،ثم يخرج من البيت إلي القاعة إلي بيت راحة،ثم يصعد بدرجة إلي قاعة أخرى فيها منظرة تشرف إلي الحائط أيضا فيها شباكن قبلي وغربي،ثم يصعد بدرجة أخرى إلي سطوح الأبنية المذكورة والذى يحدها قبليا وغربيا الحائط الأسفل، وشرقيا المدرسة المذكورة ويمانيا الطريق ، ثم الحائط الأعلى.:. [ق٧٥]...فما أفاء الله عز وجل من هذه الأراضي المذكورة من الريع وأجرة المنافع،واجتمع منها كل سنة،صرف منه الناظر في أمر الوقف إلي عمارة المدرسة المذكورة من الريع وأجرة المنافع،واجتمع لها كل سنة،صرف منه الناظر في أمر الوقف إلي عمارة المدرسة المذكورة وأبنيتها وحيطانها ومطاهيرها والبركة فيها وسواقي الماء وعيونه ، واصلاح ما تشعث من ذلك ، ومهما حدث بالمدرسة المذكورة من هذه السيول من ضرر أو اندفعت إليها حجارة يمكن زوالها وهى باقية فأول ما يبدأ الناظر بأمرها أن يسعى باصلاحها ، ويصرف على اصلاحها من المتحصل بقدر الكفاية ،أو جميع الحاصل إن لم يمكن اصلاحها بأقل منه،وإن حالت السائلة عليها والعياذ بالله تعالى،و لم يمكن إصلاحها أبدا جمع الناظر بأمرها غلل الوقف،وبنى بها مسجدا على صفتها وهيئة بنيانها في مكان لا يصله ضرر السوائل [السيول]،إن أمكن بأقرب الأماكن إليها،أو في غيره مع الاحتراز عن وضعها بقرب سائله أو ما يخشى ضرره،فإن كان البينان بالقرب منها بحيث يمكن نقل أحجارها وأخشابها وحصائرها إليها فعل،وإلا اغتفر الناظر على نقل الأخشاب والأبواب وشبابيك الحديد وأمثال ذلك،ثم يجر إلي المسجد الذى بينيه سهما واحدا من أصل اثنى عشر سهما،من جميع الميزاب إلي حيث يوضع بنيانه،ويجعل للحائط الأعلى سهمين من أصل سهام الماء المذكورة،فاذا تعذر وجود الماء هذا إلي المسجد الذى ينبيه،[و لم يتمكن اشترى لها الماء]من أى موضع أمكنه وصرف عليه من حواصل الوقف حتى يتسيب إلي المسجد،فإن تعذر الأمران كلاهما،و لم يكن أحدهما أبدا والعياذ بالله تعالى جعل له مسقى،وجعل له من الأجرة في كل شهر عشرة دنانير إلي أن يمكنه إجراء الماء إليها،ويرتب له من المرتبين كما سيذكر في هذه المدرسة بهذه البصيرة ونفقتهم كنفقتهم .....

ملحق رقم (٨)

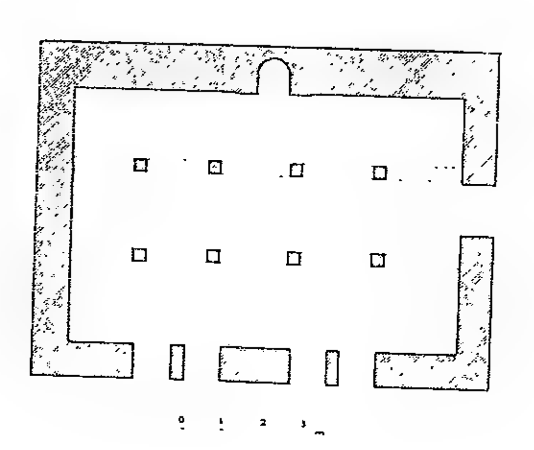
وصف المدرسة المعتبية من خلال

الوقفية الغسانية

[ق ٤٤] فسارعت [الآدر الكريمة ... جهة الطواشى جمال الدين معتب الأشرفى] أحسن الله اليها وأكمل المنة لديها بإنشاء المدرسة المباركة التأسيس المعمورة بذكر الله تعالى ، وإقامة الصلاة والتدريس سفل السراجية من نواحى مدينة تعز المحروسة التى تأتى صفة محل رسمه وبنيانها ،وحقيقة تكوينها بنياناً وقراراً ، وبنت فيها مسجدا لله تعالى رغبة في الثواب وذخيرة ليوم الحساب لحسن إعتقادها بالله تعالى العلى القادر .... [ق ٤٥] وصـ ة بنائها يومئذ بمجلس قبلى سقفه مقبب وفيه المحراب ، وفيه شباكان قبليان أحدهما عن يمين المحراب والآخر عن يساره ،مشبكان بحديد ، ثم لإيوانين مستطيلين عن يمين المجلس ذى المحراب ، وعن يساره ، وفي المجلس سبعة عقود في كل جناح خمسة عقود شرقية وغربية ، وعقدان مستقلان ، ثم مجاز يمانى المجلس المذكور مستطيل فيه أربع أسطوانات وخمسة عقود ، وقاعة مستطرقة وشرقيها وغربيها مجازان ، ومجلس غربى القاعة ، وفيه كم ، وخزانة ثم مجاز يدخل منه إلي القاعة ، ومجاز إلي البركة ، وبركة مخزن الماء ،وبيوت راحة عددها خمسة ومغتسلان ، وقاعة تلى البركة ، ودرجة يصعد فيها إلي السقوف ودهليز ، وإيوانان وباب يدخل منه وبوابة وحوية يمانى المدرسة مستطيلة ،وأحوال شرقى ذلك وقبليه تكملت صفات ما ذكر واحتيج إلي وقفه على ما يذكر ويعين ويوضح ويبين ، وشهرة ذلك تغنى عن تحديده عن عارفيه ، وأهل الخبرة به . فحينئذ وكلت موالينا الدور الكريمة مولانا وسيدنا السلطان...الملك الأشرف إسماعيل بن العباس بن على بن داود ...وأذنت له أن يوكل من شاء وقبل الوكالة منهم ، ووكل خلد الله ملكه .... مولانا القاضى الأجل الأكمل ... أحمد بن أبي القاسم بن مغيث .... أن يوقف عن موكلته مما يأتى ذكره وصفته على السبل التى يأتى ذكرها وقبل منه الوكالة ، فوقف وسبل وأبد وتصدق وحرم عن موكلى موكله مولانا السلطان ... قرار المدرسة وبنيانها

المذكورة والموصوفة [ق ٤٦] كما هى بالصفات المذكورة بين حدودها الأربعة المشهورة على ما يأتى ذكره وتفصيله إن شاء الله . فالمجلس القبلى صدر المدرسة المذكورة بين حدودها الأربعة المشهورة على ما يأتى ذكره وتفصيله إن شاء الله . فالمجلس القبلى صدر المدرسة المذكورة ذو المحراب وهو صفين مسقوف قبابا ستة وله سبعة أبواب ، بابان شرقيان وبابان غربيان إلي الجناحين ، وثلاثة أبواب يمانية وشباكان قبليان بحديد ، والجناحين الشرقى والغربى اللذين فيهما عشرة عقود منهم اثنان قبليان ، ومجاز يمانى المدرسة مستقيم فيه أربع اسطوانات ، وخمسة عقود مسجدا لله تعالى لصلاة المصلين وإعتكاف المعتكفين وتبتل المتبتلين وتلاوة التالين . والمجلس الغربى لإقراء العلم الشريف الفقهى فروعا وأصولا على مذهب الإمام أبى عبد الله محمد بن إدريس الشافعى المطلبى رضى الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة مأواه ، والدرس والبحث وقارئ الحديث النبوى على صاحبه أفضل الصلاة والسلام ، وسماعه بالمدرسة ، وقراءة سورة يس بعد قراءة الحديث واستماع المستمعين والدعاء بعده ،وكذا المعيد والمدرس [عليهما] التدريس للطلبة حيث شاءا وأرادا من جميع أماكن المدرسة . وصفة المجلس الموقوف للتدريس غربة القاعة فيه كم وخزانة كتب وخزانة أخرى بحرانية ، ومجازان في القاعة يدخل من أحدهما إلي المدرسة ، ومجاز يلى البركة ، والبركة الجامعة للماء المسيب إلي المدرسة لوضوء المتوضئين ، وغسل المغتسلين ، وطهارة المتطهرين وسائر الاستعمالات والانتفاعات المقصودة في العادة والقاعة تليها من الغرب لصلاة المصلين ، والمطاهير تليها للإستطابة وقضاء الحاجة ... والدرجة المصعود منها إلي سقف المدرسة للآذان وتفقد السقوف . والإيوانين أحدهما الغربى لتعليم القرآن الكريم لليتامى والمتطوعين، وكذا الدهليز والتقدمة وقف .....

الخرائط والأشكال واللوحات

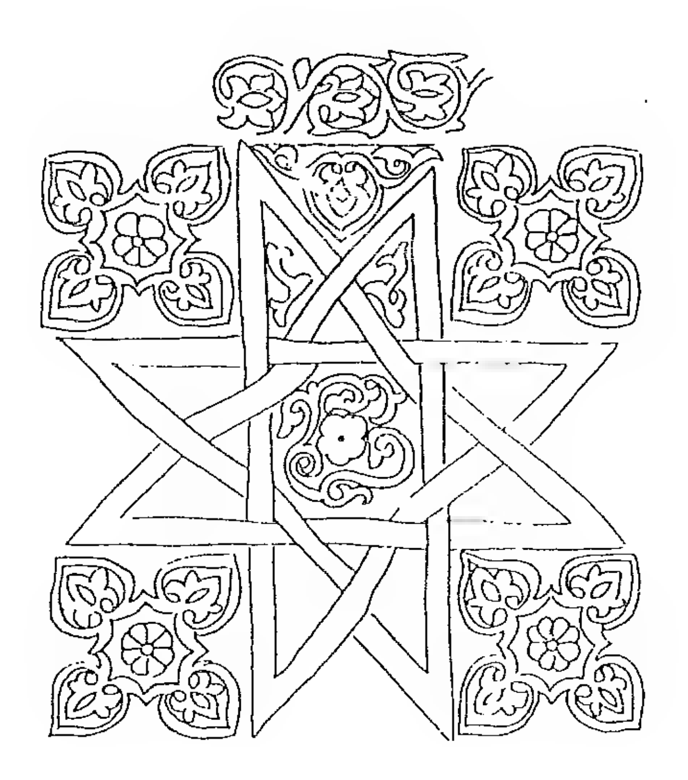


شكل رقم (١)

مسقط أفقي لمسجد تيند

نقلا عن : بربارة فنستر : تقارير أثرية من اليمن

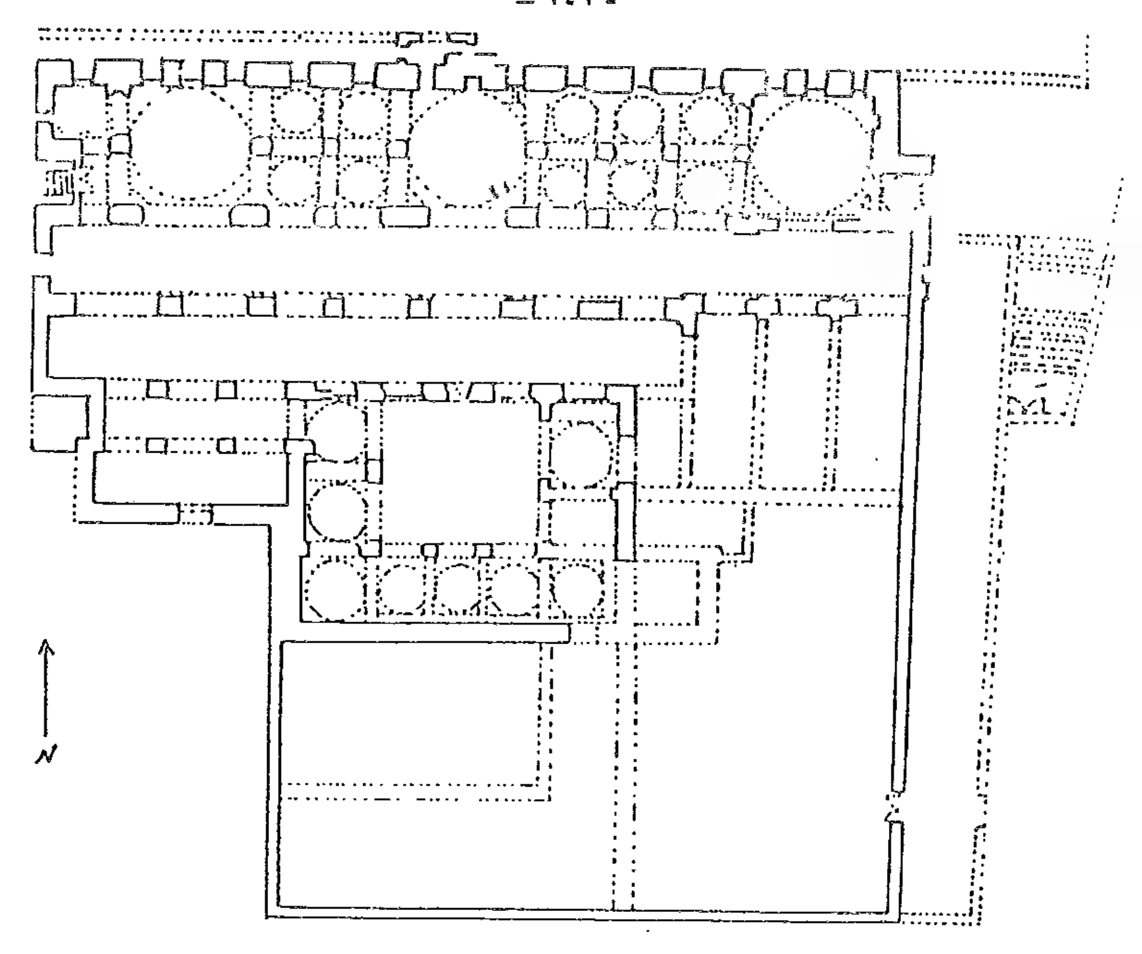
(جـ١/٤١)



شكل رقم (٢)

المصندقات الخشبية المزينة لسقف جامع تينمل

نقلا عن : بربارة فنستر : تقارير أثرية (جـ١/٦٥)

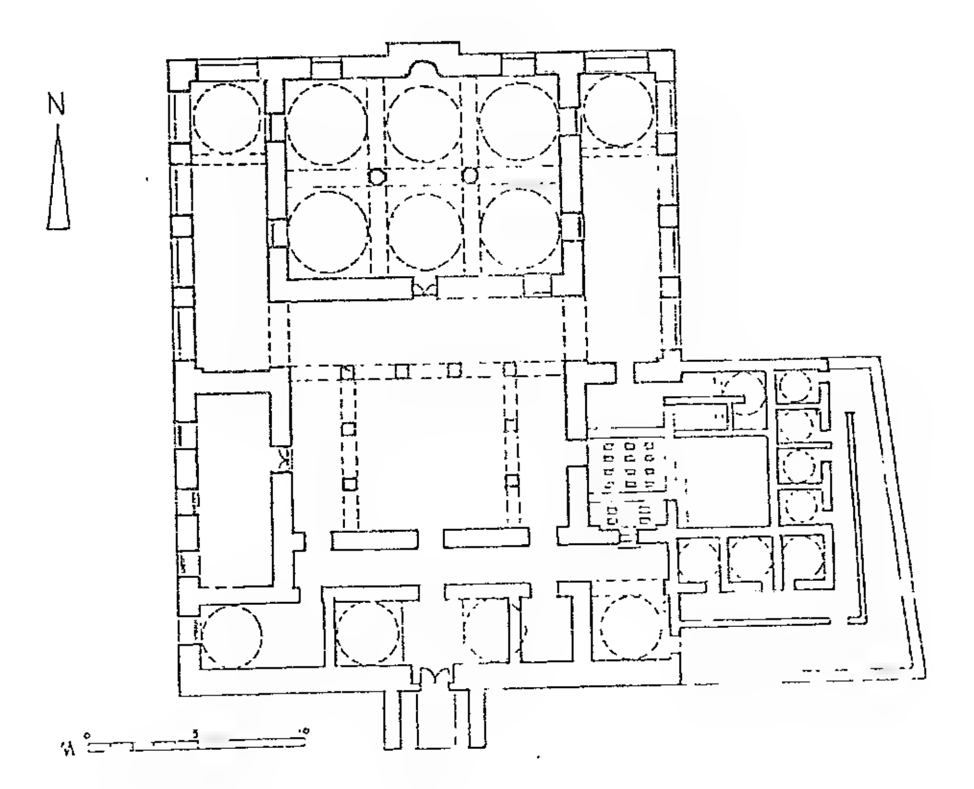


شكل رقم (٣)

مسقط أفقي لجامع المظفر

نقلا عن : Lewcock and Smith ;

Three Medieval Mosques (Fig 21)

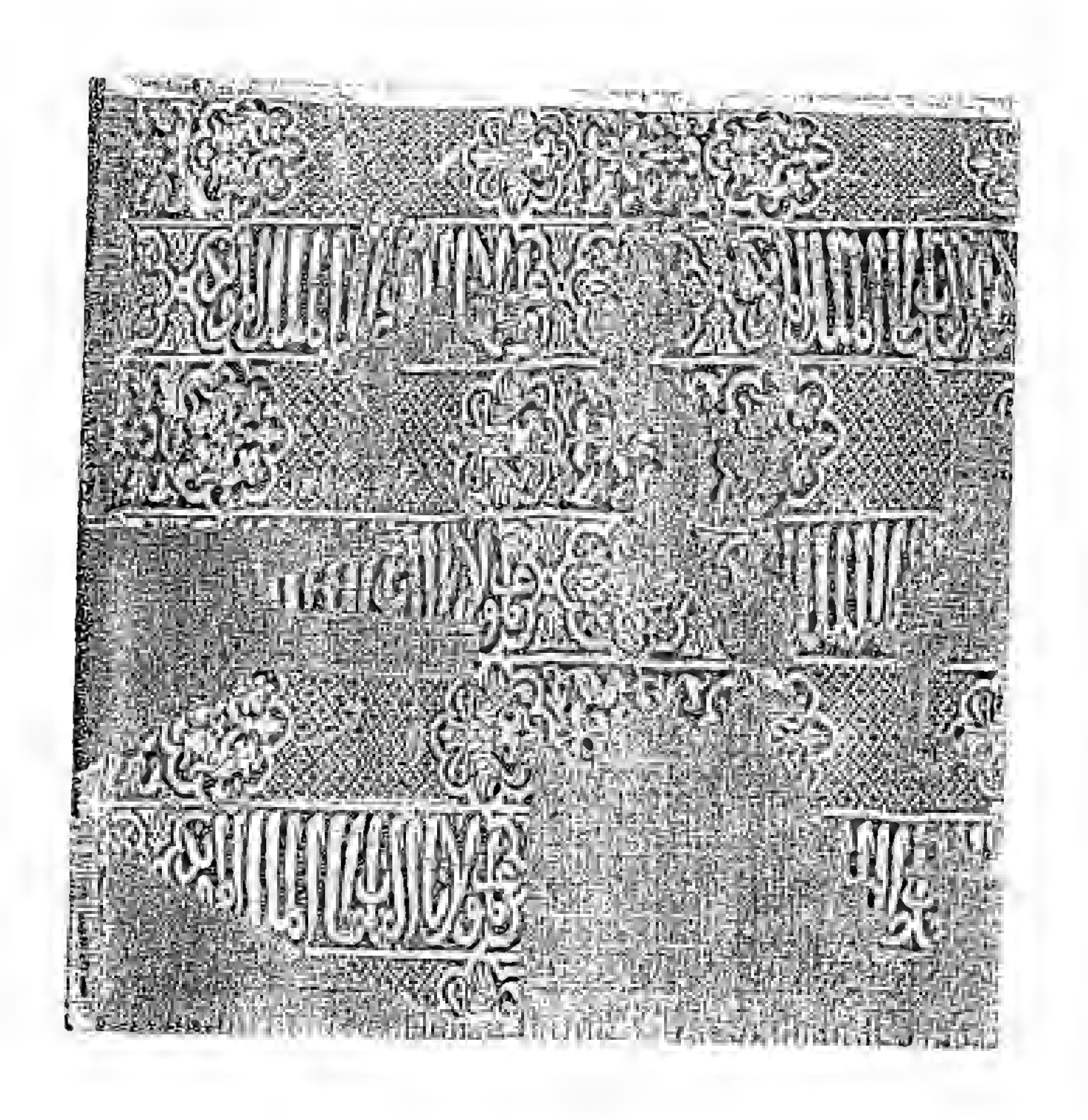


شكل رقم (٤)

مخطط المدرسة المعتبية في تعز

نقلا عن : الأكوع : المدارس الإسلامية في اليمن

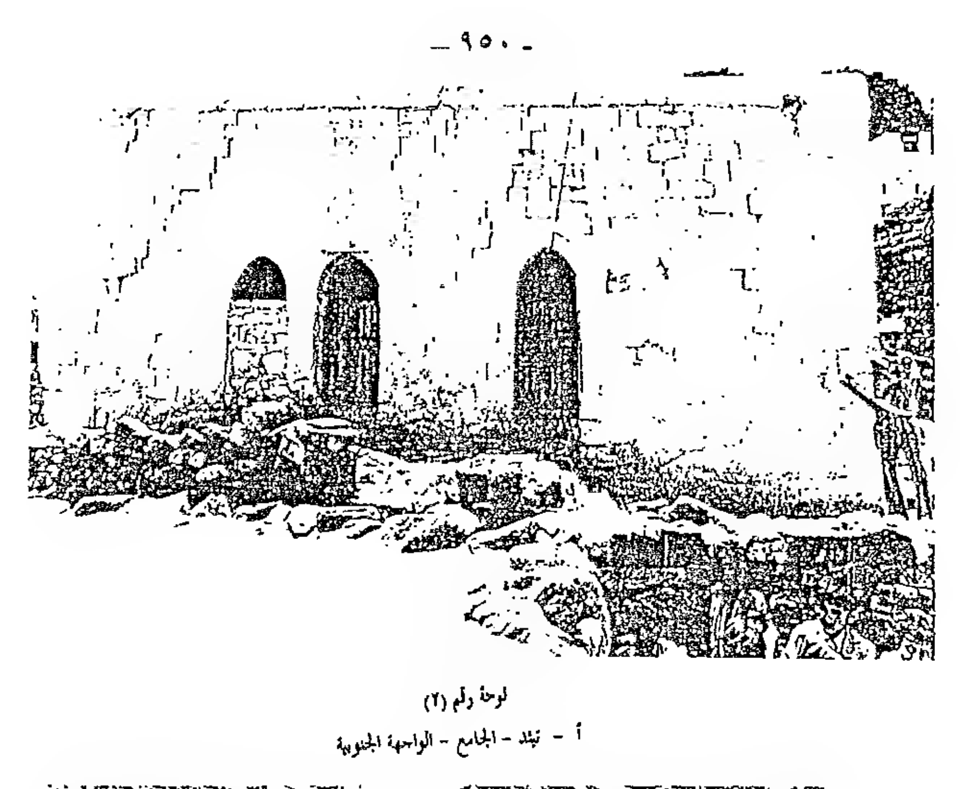
ص ٤٤



لوحة رقم (١)

قطعة من النسيج اليمنى تحمل لقب السلطان الملك المؤيد

نقلا عن : V. Porter , The Art of Rasulids (Yemen 3000 Years)

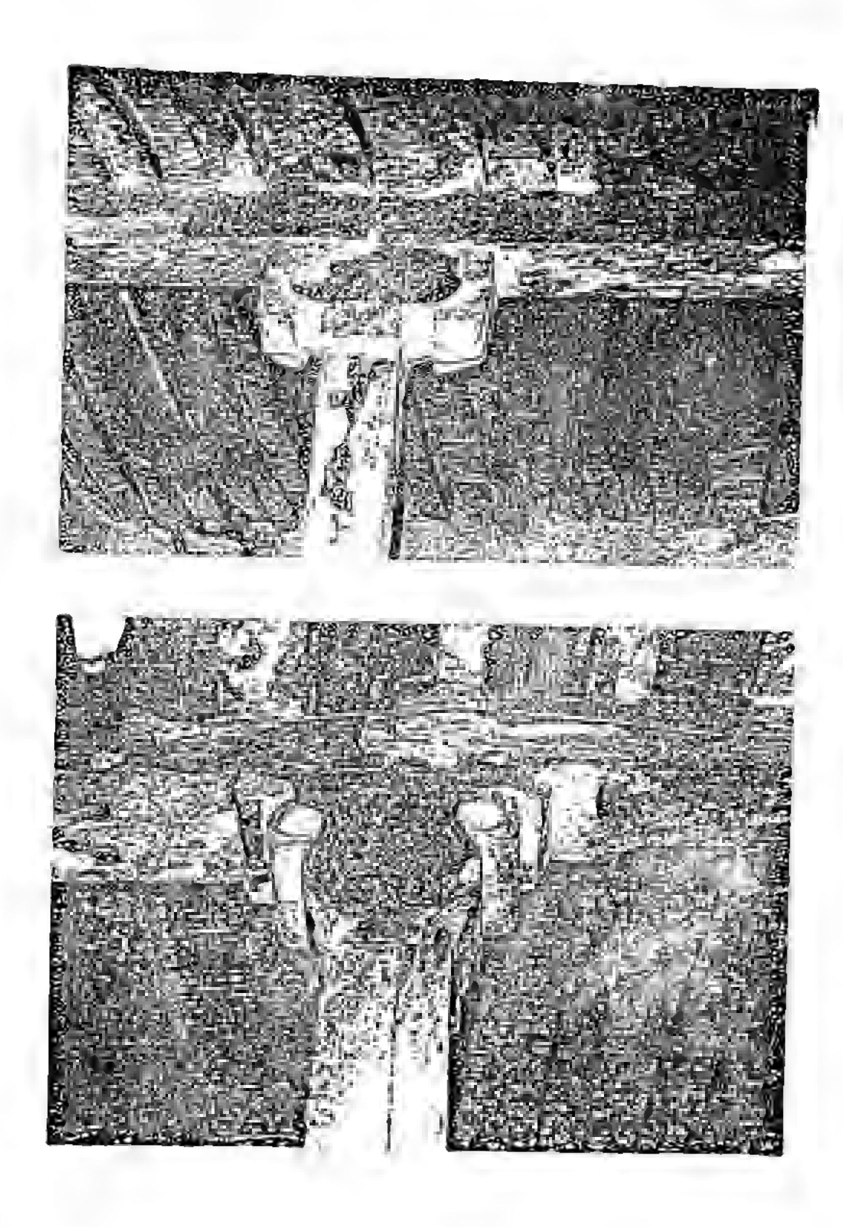


لوحة رقم (٢)

أ - تبلد - الجامع - الواجهة الجنوبية



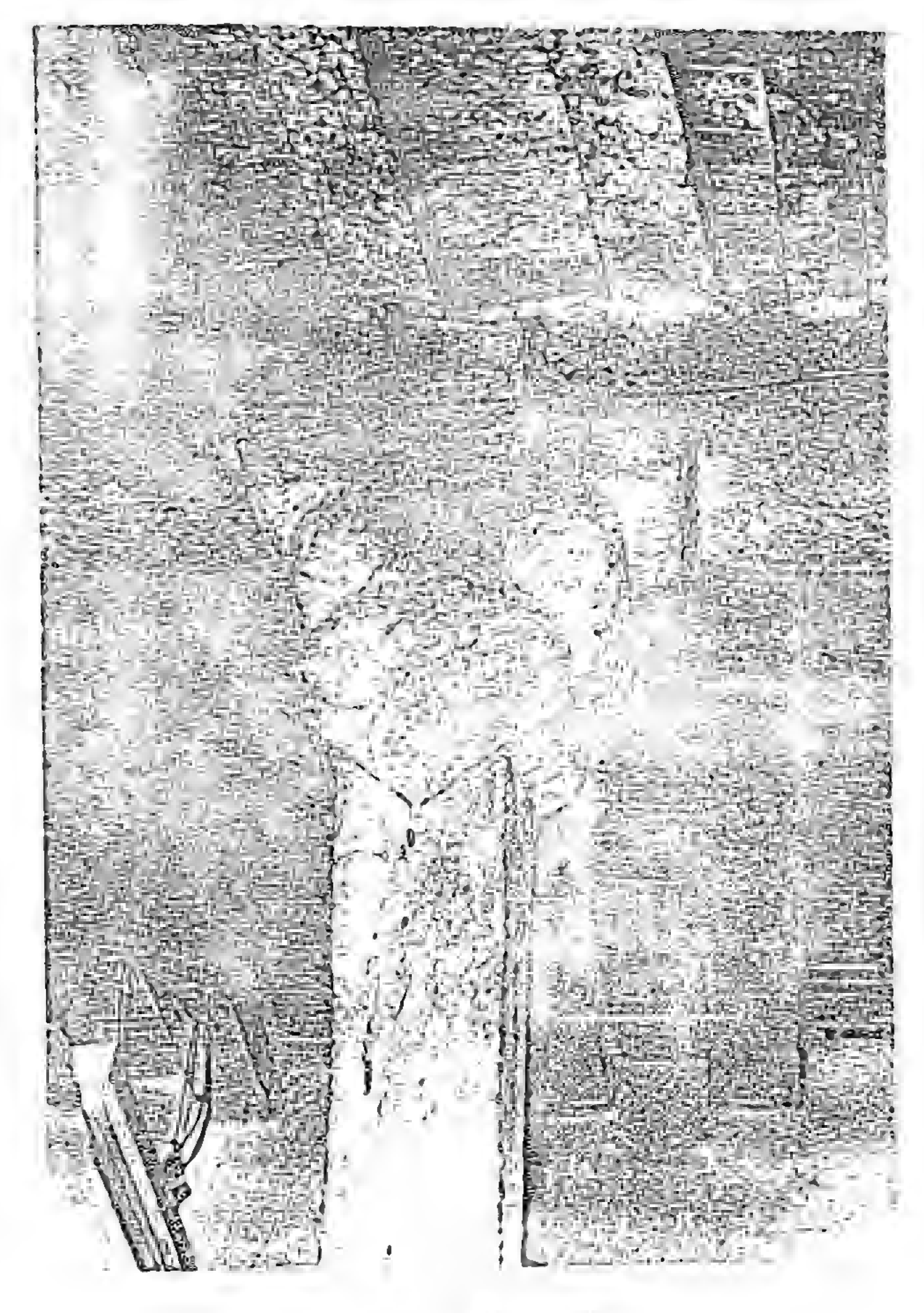
ب - جامع تبلد - الداخل



لوحة رقم (٣)

أ - ج جامع تيلد . تهجان أحمده

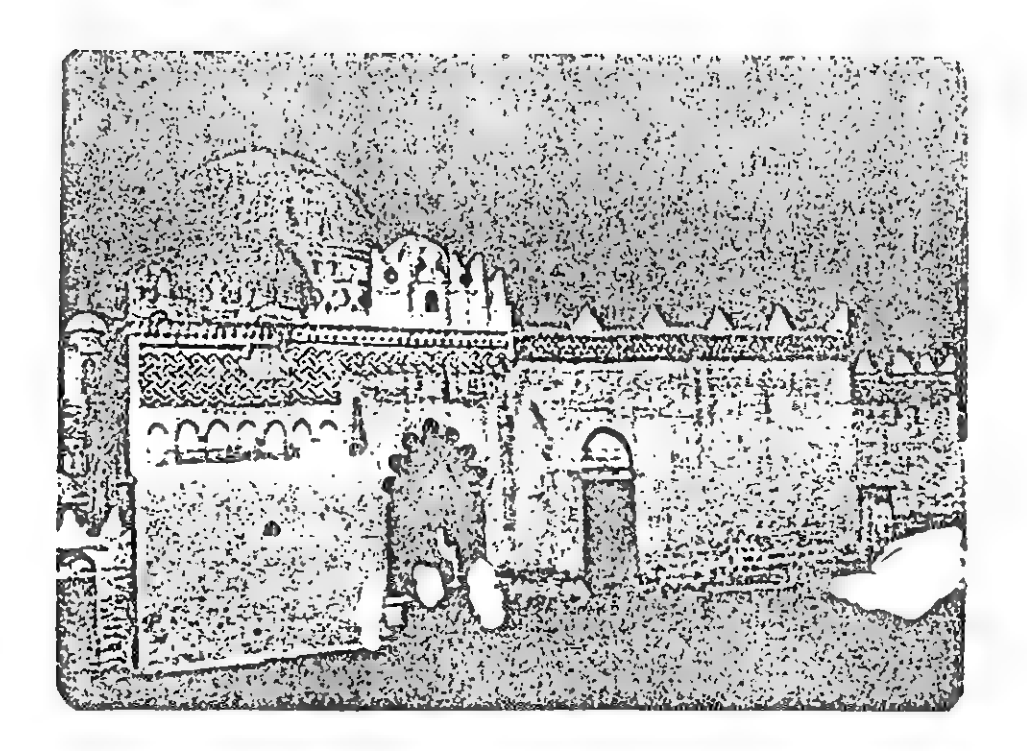
نقلا عن : وزارة مصر | تقارير أثرية



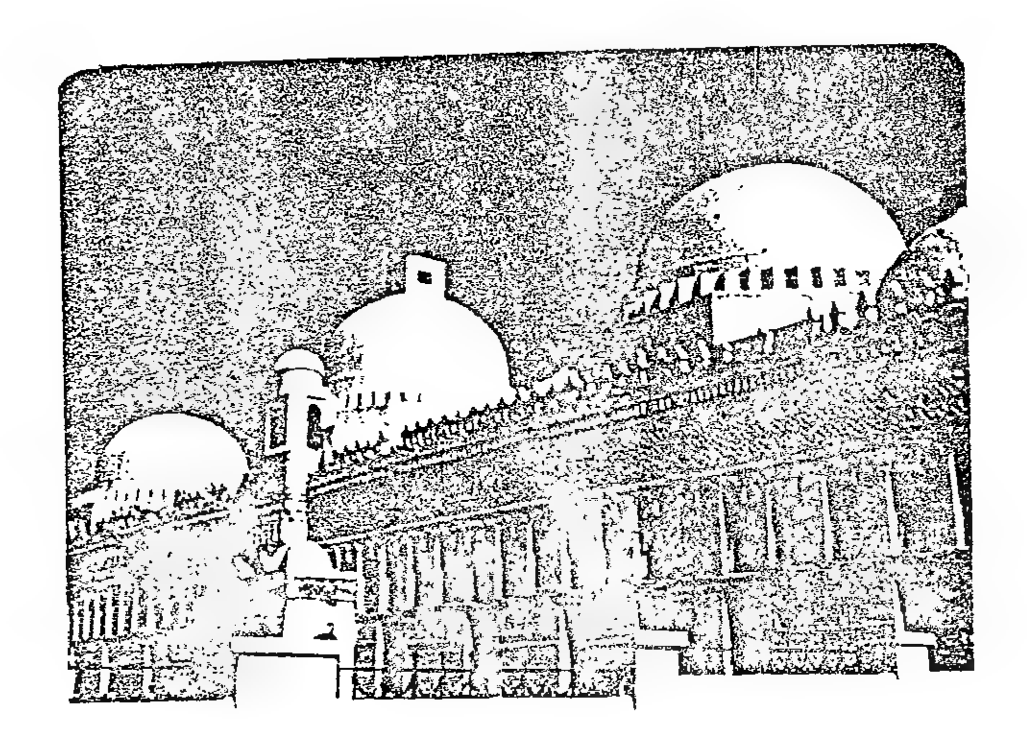
(ح)

جامع لســـ ـنجلة أمده

رســـم رقم ١٢١



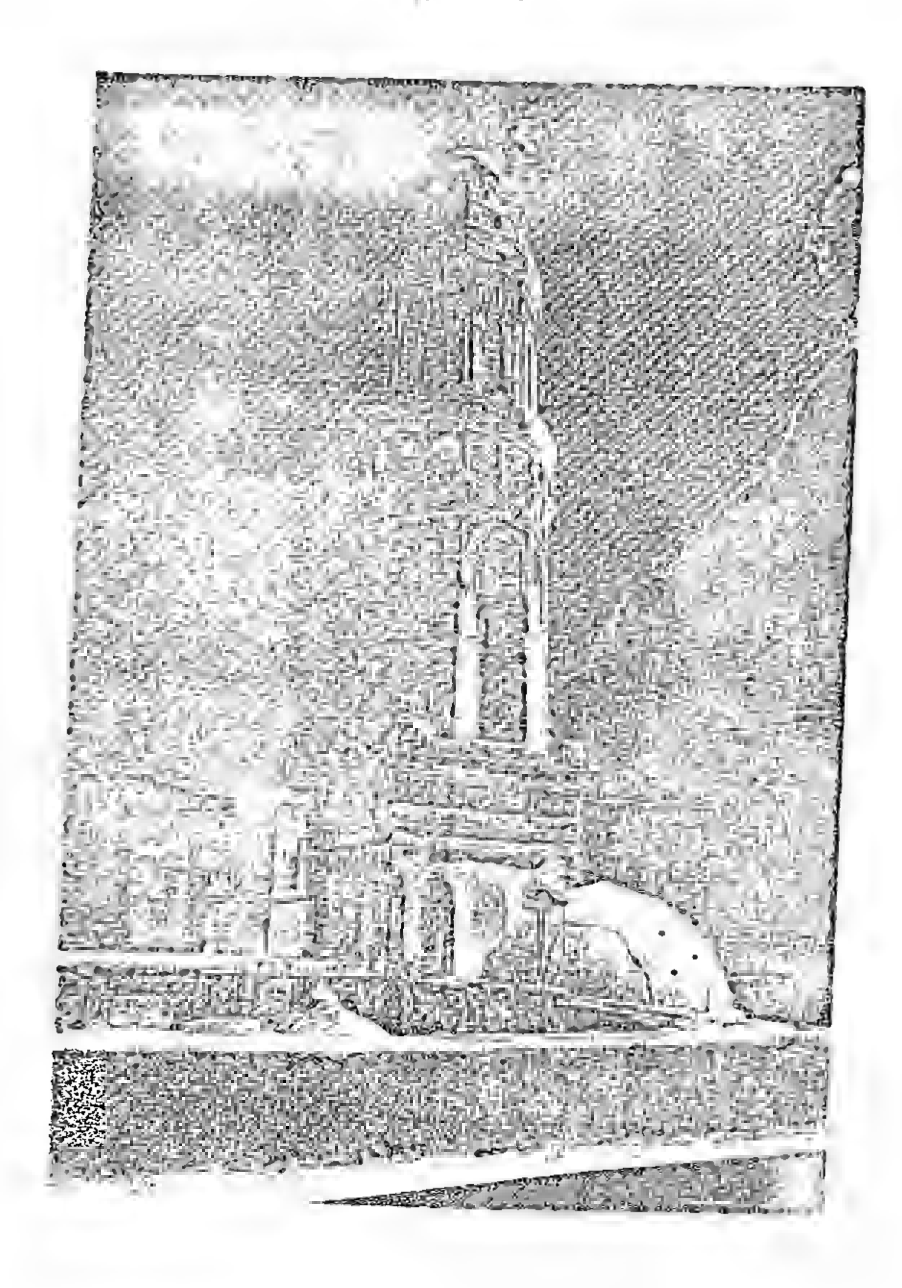
لوحة رقم (٤)
المدخل الغربى للجامع الظافرى
ويظهر به العقد المفصص



لوحة رقم (٥)

الواجهة الرئيسية لجامع المظفر

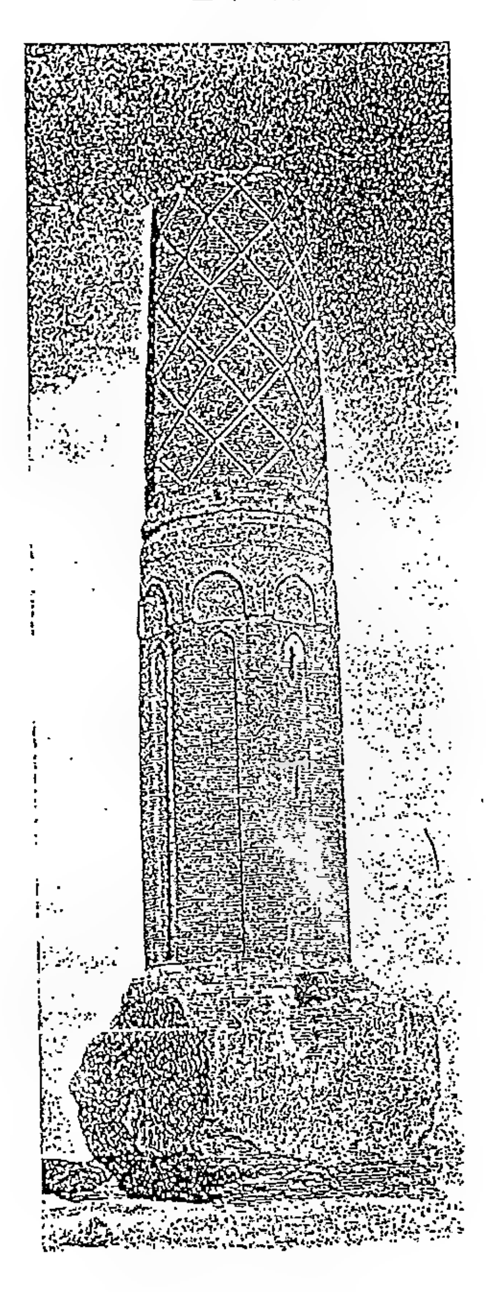
بمدينة تعز (نقلا عن : محمد سيف النصر : المدارس اليمنية)



لوحة رقم (٦)

كتلة المئذنة القديمة لجامع المظفر

نقلا عن وزارة الإعلام اليمنية



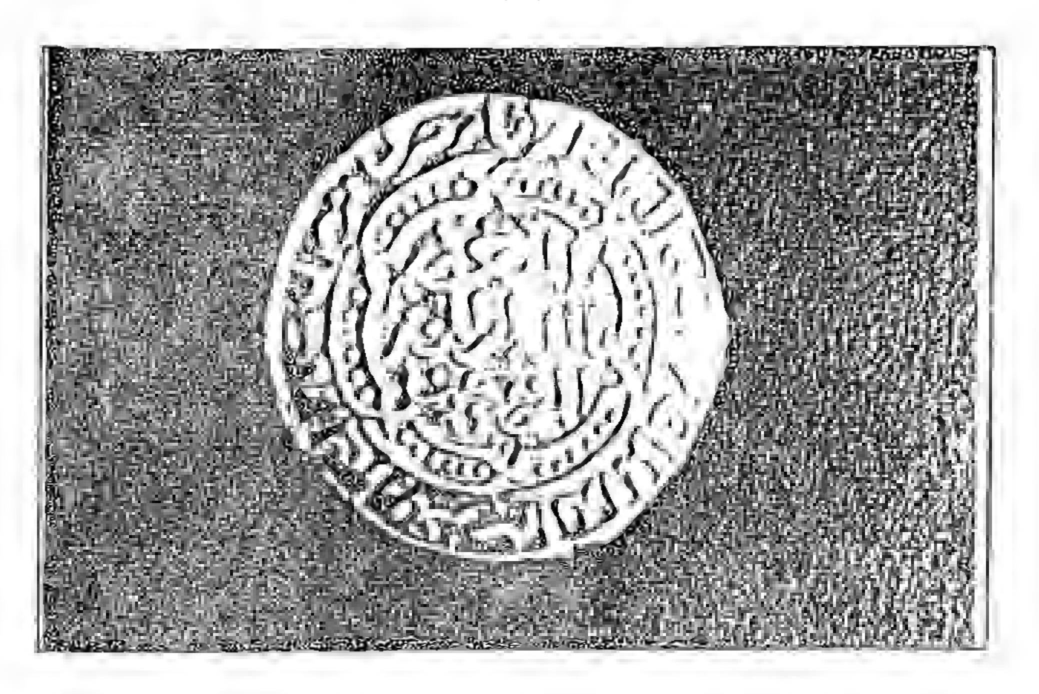
لوحة رقم (٧)

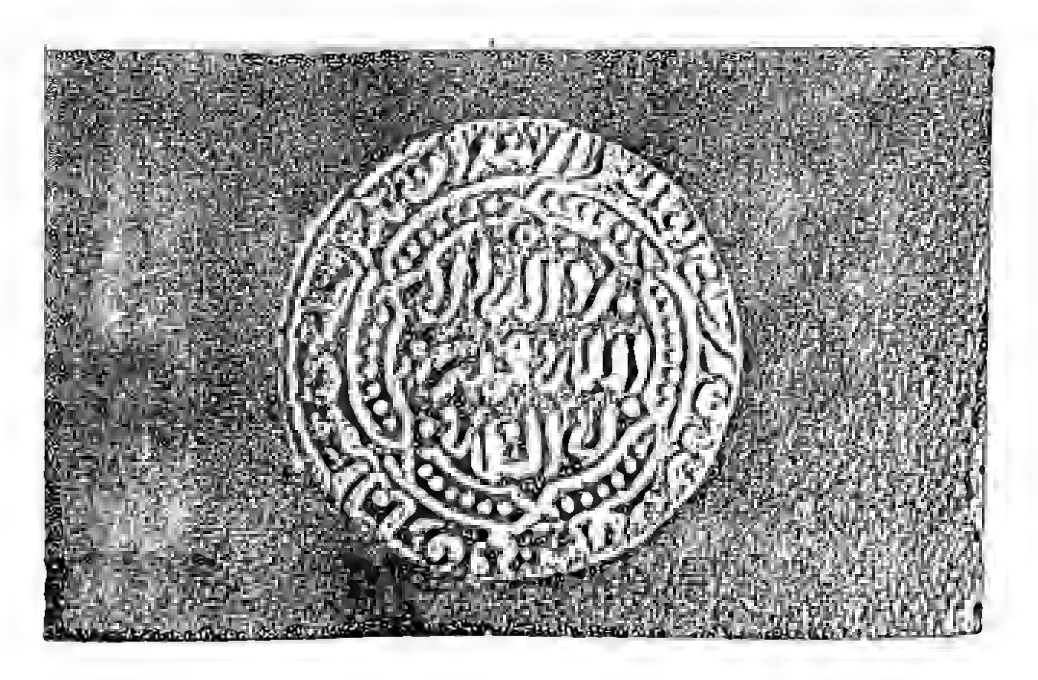
مئذنة الجامع المظفري بالمهجم

نقلا عن :

Berbara Finster , The Arch. of The Rasulids

(in Yemen 3000 Years)

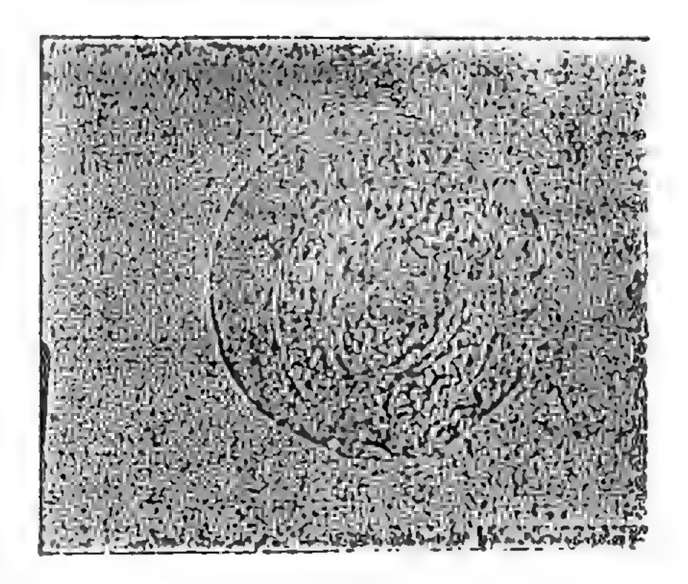


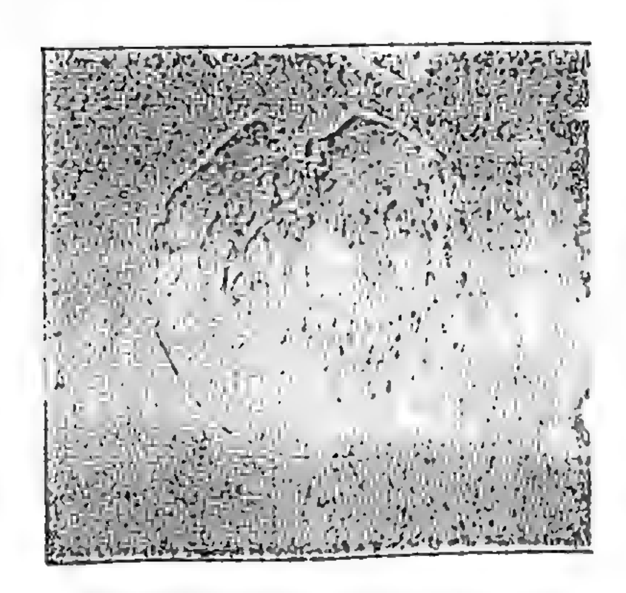


لوحة رقم (٨)

درهم رسولي ضرب زبيد عام ٦٤٢هـ

نقلا عن : ربيع حامد خليفة : طراز المسكوكات الرسولية



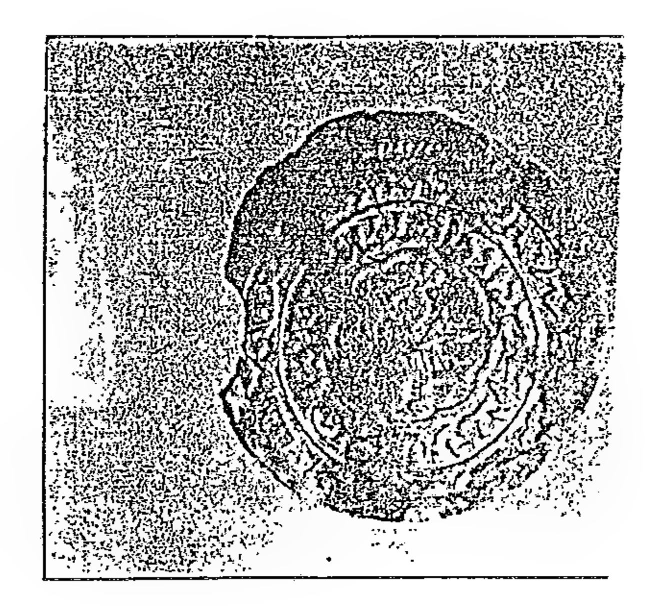


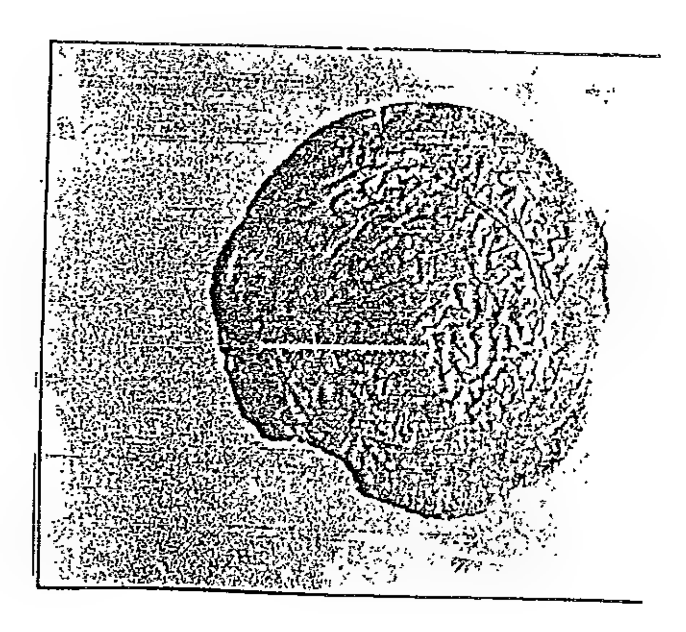
لوحة رقم (٩)

درهم رسولي ضرب عدن «عهد المجاهد»

نقلا عن : ربيع حامد خليفة

طراز المسكوكات الرسولية



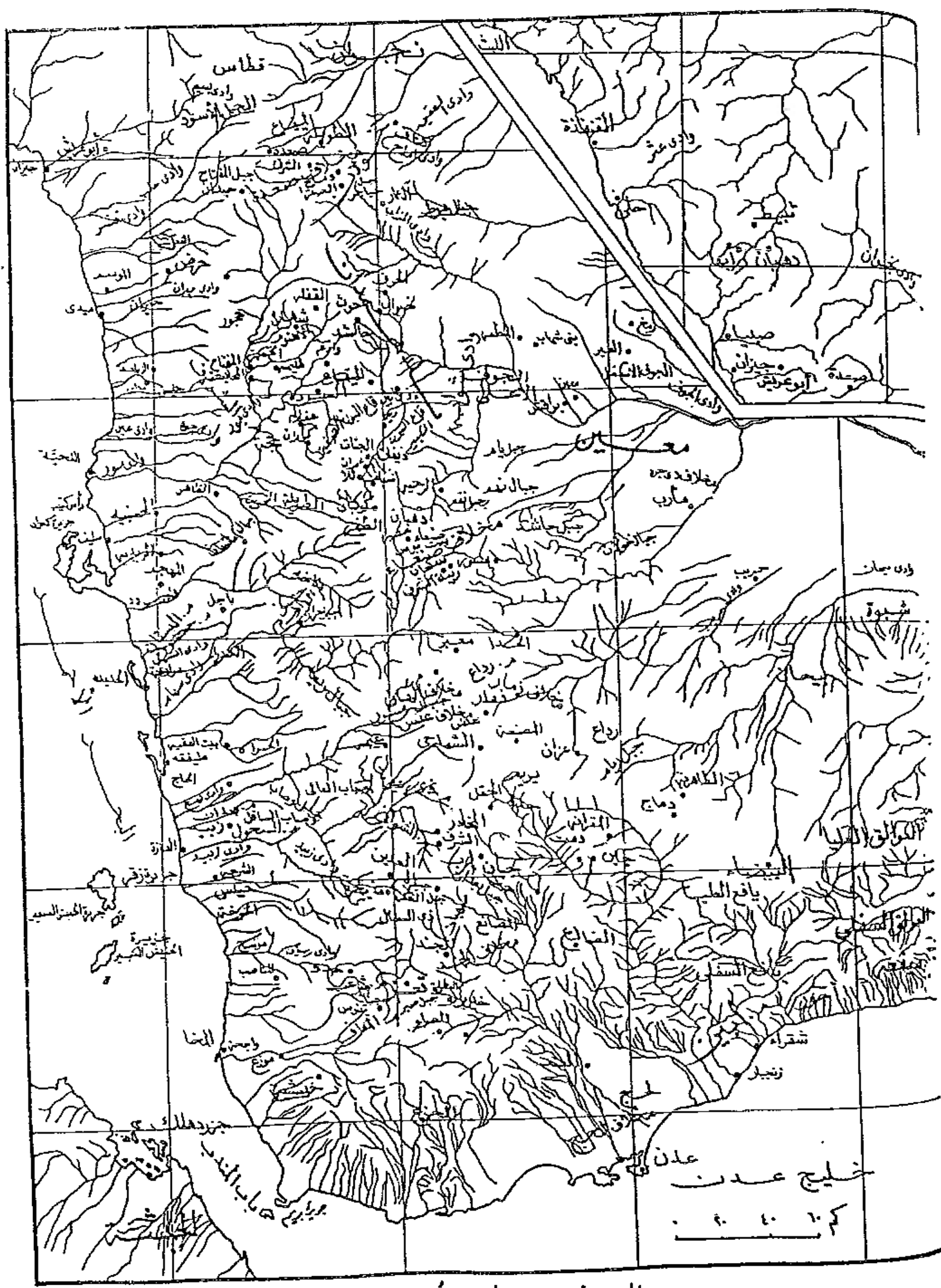


لوحة رقم (١٠)

درهم رسولي ضرب عدن عام ٧٥٠ هـ

نقلا عن : ربيع حامد خليفة

طراز المسكوكات الرسولية



اليمن في عصر دولتي بني أيوب وبني رسول
نقلاً عن: محمد عبد العال أحمد:
بنو رسول وبنو طاهر

قائمة المصادر والمراجع


كتب تاريخ وعلوم أخرى
facebook.com/hisy.books

أولاً : المصادر والمخطوطة

- ابن أسير : محمد بن محمد بن منصور (كان موجوداً سنة ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م) .
- الجوهر الفريد في تاريخ مدينة زبيد : مخطوط مصور بمعهد المخطوطات العربية عن نسخة المتحف البريطاني رقم ١٣٤٥ .
- الأشرف الرسولي : أبو العباس إسماعيل بن الأفضل عباس بن المجاهد: (ت ٨٠٣ هـ / ١٤٠٠ م) .
- فاكهة الزمن ومفاكهة ذوى الآداب والفطن في أخبار من ملك اليمن : مخطوط مصور على ميكروفيلم تحت رقم ٢٧٨٠٩ بدار الكتب المصرية .
- الأفضل الرسولي : عباس بن على بن داود بن يوسف (ت٧٧٨هـ/ ١٣٧٧ م) .
- العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية : مخطوط مصور على ميكروفيلم تحت رقم ١٧٩٧١ بدار الكتب المصرية . (عن النسخة رقم ٣٥١ تاريخ) .
- نزهة العيون في تاريخ طوائف القرون : مخطوط مصور على ميكروفيلم تحت رقم ١٧٩٧١ بدار الكتب المصرية . (عن النسخة رقم ٣٥١ تاريخ) .
- بغية الفلاحين في الأشجار المثمرة والرياحين : مخطوط مصور بمعهد المخطوطات العربية ضمن مجموعة من ١١٧ أ / ٢٢٥ ب عن نسخة مكتبة أحمد الثالث رقم ٢٤٣٤ (ب) .
- الأهدل : بدر الدين أبو عبد الرحمن الحسين بن عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م) .
- تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن : مخطوط مصور على ميكروفيلم تحت رقم ٢١٢٣ بدار الكتب المصرية .

- **الجزيرى** ابن الدين عبد القادر بن محمد الحنبلى (ت ٩٦١ هـ / ١٥٥٤ م)
- **درر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة** : مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣٧ م .
- **الجندى** بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن يعقوب (ت٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م)
- **السلوك في طبقات العلماء والملوك (٣ مجلدات)** : مخطوط مصور على ميكروفيلم تحت رقم (ج ١ رقم ١٢٠٣٤ ، ج٢ رقم ١٢٠٣٣، ج٣ رقم ١٨٤٥٨ عن نسخة دار الكتب المصرية رقم ٩٩٦ تاريخ)
- **الخزرجي** . موفق الدين أبو الحسن على بن أبي بكر بن الحسن بن وهاس (ت ٨١٢ هـ / ١٤٠٩ م) .
- **العسجد المسبوك فيمن ولى اليمن من الملوك** : مخطوط بمكتبة بلدية الاسكندرية تحت رقم ١٢٦٥ ب .
- **العقد الفاخر الحسن في طبقات أعيان اليمن** : مخطوط بالمتحف البريطانى رقم Kings College ٧٢ . مصور بالميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم ٣٣٦ تاريخ .
- **طراز الزمن في طبقات أعيان اليمن** : مخطوط في (جزئين) مصور على ميكروفيلم تحت رقم ٢٩٩٣٥ بدار الكتب المصرية .
- **الكفاية والاعلام فيمن ولى اليمن وسكنها من ملوك الإسلام** : مخطوط مصور على ميكروفيلم تحت رقم ٢٢٠٦ بدار الكتب المصرية
- **الداعى عماد الدين إدريس** . بن الحسن بن عبد الله بن على القرشى (ت ٨٧٢ هـ ١٤٦٧ م)

- نزهة الأفكار وروضة الأخبار في ذكر من قام باليمن من الملوك الكبار والدعاة الأخيار : مخطوط مصور على ميكروفيلم تحت رقم ٢٢٥٣ بدار الكتب المصرية .

■ الريعى : مفرج بن أحمد الريعى .

- سيرة ذوى الشرفين : مخطوط لدى د. محمد عبد العال أحمد (مكتبته الخاصة) عن الأصل الموجود بدار المخطوطات اليمنية بصنعاء تحت رقم ٢٥٧٣ .

■ سليمان الثقفى : من علماء القرن السادس الهجرى / ق ١٢ م .

- سيرة الامام أحمد بن سليمان : مخطوط مصور بمكتبة د. محمد عبد العال عن نسخة دار المخطوطات اليمنية بصنعاء تحت رقم ٢٥٢٤ .

■ الكبسى : بدر الدين محمد بن إسماعيل بن محمد بن يحيى (ت١٣٠٨هـ / ١٨٩٠ م) .

- اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية : مخطوط مصور على ميكروفيلم تحت رقم ٣٨ معهد المخطوطات العربية (عن نسخة خطية بمكتبة القاضى محمد بن على الأكوع الخاصة بتعز) .

■ مجهول :

- تاريخ اليمن : مخطوط مصور على ميكروفيلم تحت رقم ٩٦٨ تاريخ معهد المخطوطات العربية .

■ مجهول :

- سيرة الامام عبد الله بن حمزة : نسخة خطية بمكتبة د. محمد عبد العال الخاصة .

■ مجهول :

- نموذج تاريخ اليمن : مخطوط مصور بمكتبة د. محمد عبد العال الخاصة مأخوذة عن نسخة دار المخطوطات اليمنية بصنعاء رقم ٢٤٢٨ .

- **بامخرمة** : أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله (ت ٩٤٧ هـ / ١٥٤٠ م) .
- قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر : مخطوط مصور على ميكروفيلم تحت رقم ٥٨٥٧ بدار الكتب المصرية .
- **مُسَلَّم اللحجي** : مسلم بن محمد بن جعفر اللحجي الشطبي (ت٥٤٥هـ / ١١٥٠ م) .
- تاريخ مسلم اللحجي : نسخة خطية بمكتبة د. محمد عبد العال أحمد الخاصة .
- **المعلم وطيوط** : الحسين بن إسماعيل البجلي (من علماء ق ٩ هـ / ق ١٥ م) .
- تاريخ المعلم وطيوط : مخطوط مصور على ميكروفيلم تحت رقم ١٦١ بدار الكتب المصرية .
- **يحيى بن الحسين** : بن القاسم بن محمد الحسنى اليمنى الصنعانى (ت١١٠٥ هـ / ١٦٩٣ م) .
- أنباء الزمن في تاريخ اليمن : مخطوط مصور على ميكروفيلم تحت رقم ٢٠٣٣٨ بدار الكتب المصرية .
- طبقات الزيدية أو " الطبقات الزهر في أعيان العصر " : مخطوط مصور على ميكروفيلم تحت رقم ٤١٤٠٨ بدار الكتب المصرية .
- **الوقفية الغسانية** :

ثانياً : المصادر المطبوعة

- **ابن الأثير** : عز الدين أبو الحسن على بن الكرم (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) .
- الكامل في التاريخ : جـ ٩ ، دار الفكر ، بيروت ١٩٧٨ م .

■ ابن الأخوة : محمد بن محمد بن أحمد القرشى (ت ٧٢٩ هـ / ١٣٢٩ م) .

- معالم القربة في أحكام الحسبة : تحقيق د. محمد محمود شعبان ، وصديق أحمد عيسى المطيعى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٦ م .

■ إدريس : عماد الدين بن على بن عبد الله الحمزى (ت ٧١٤ هـ / ١٣١٤ م) .

- تاريخ اليمن من كتاب كنز الأخيار في معرفة السير والأخبار : تحقيق د. عبد المحسن مدعج المدعج ، مؤسسة الشراع العربي ، الكويت ١٩٩٢م.

■ الإدريسى : أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز (ت ٥٤٨ هـ / ١١٥٤ م) .

- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، جزءان : مؤسسة الثقافة الدينية ، القاهرة بدون تاريخ .

■ الإدفوى : كمال الدين جعفر بن ثعلب (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧م).

- الطالع السعيد الجامع اسماء نجباء الصعيد : تحقيق سعد محمد حسن: القاهرة ١٩٦٦ .

■ الإسنوى : جمال الدين عبد الرحيم (ت ٧٧٢ هـ / ١٣٧٠ م) .

- طبقات الشافعية ، جزءان : تحقيق كمال يوسف الحوت . دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٧ م .

■ الأشرف الرسولى : ممهد الدين عمر بن يوسف بن عمر بن على بن رسول (ت ٦٩٦ هـ / ١٢٩٦ م) .

- ملح الملاحة في معرفة الملاحة : تحقيق محمد عبد الرحيم جازم ، مجلة الإكليل اليمنية ، السنة الثالثة ، العدد الأول ، صنعاء – خريف ١٩٨٥ م.

■ **الاصطخرى** : أبو اسحق إبراهيم بن محمد الفارسى المعروف بالكرخى (ت في النصف الأول من ق ٤ هـ / ق ١٠ م) .

- " **المسالك والممالك** " : تحقيق د. محمد جابر عبد العال الحسينى ، مراجعة د. محمد شفيق غربال ، القاهرة ١٩٦١ م .

■ **الآنسى** : عبد الملك بن حسين الآنسى الصنعانى .

- **اتحاف ذوى الفطن بمختصر أبناء الزمن** : منشورات جامعة صنعاء ، ملحق العدد الثالث من مجلة كلية الآداب ، ١٩٨١ م .

■ **الأهدل** : حسن بن أبي القاسم الأهدل .

- **كشف القناع في معرفة أحكام الزراع** : تحقيق عبد الله محمد الحبشى، مجلة الإكليل اليمنية ، العدد الأول صنعاء ١٩٨٠ م .

■ **البريهى** : عبد الوهاب بن عبد الرحمن البريهى السكسكى اليمنى (من علماء ق التاسع / ق ١٥ م) .

- **طبقات صلحاء اليمن** : تحقيق عبد الله محمد الحبشى ، مركز الدراسات والبحوث اليمنية ، صنعاء ، بدون تاريخ .

■ **ابن بطوطة** : أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتى الطبخى (ت٧٧٩هـ / ١٣٧٧ م) .

- **رحلة ابن بطوطة المسماة " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار " أربعة أجزاء** : نشر وتحقيق ديفرميرى وسانجو نيتى G.Defremery et le Dr.B.R.sanguinetti باريس ، ١٨٥٤ م.

■ **بيبرس الدوادار** : الأمير ركن الدين بيبرس المنصورى (ت ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥ م) .

- **زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة** : تحقيق د. ربيدة محمد عطا ، بدون مكان للنشر أو تاريخ النشر .

■ **ابن تغرى بردى** جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م)

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : ١٦ جزء ، القاهرة ٣٨ - ١٩٧٢ م .

■ **التيفاشي** : شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف بن أبي بكر القيسى (ت ٦٥١ هـ / ١٢٥٣ م) .

- " أزهار الأفكار في جواهر الأحجار " : تحقيق وتعليق د. محمد يوسف حسن ، د. محمود بسيونى خفاجة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٧ م .

■ **ابن جبير** : أبو الحسن محمد بن أحمد الكتامى (ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) .

- رحلة ابن جبير : تحقيق د. حسين نصار ، القاهرة ١٩٥٥ م .

■ **الجزرى** : شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزرى (ت٨٣٢هـ / ١٤٢٨ م) .

- غاية النهاية في طبقات القراء ، جزءان : عنى بنشره ، ج برجستراسر G.Bergstraesser ، ط ٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٢م.

■ **ابن الحاج** : أبو عبد الله محمد بن العبدرى (ت ٧٣٧ هـ / ١٣٣٦ م) .

- المدخل إلي الشرع الشريف، مجلدان : دار الحديث ، القاهرة ١٩٨١م.

■ **ابن حاتم** : بدر الدين محمد بن حاتم بن أحمد بن عمران اليامى (كان موجوداً سنة ٧٠٢ هـ / ١٣٠٢ م) .

- السمط الغالى الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن : تحقيق ركس سميث ، جامعة كمبردج ، لندن ١٩٧٤ م .

■ **الجيشى** : وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الوصابى (ت ٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م) .

- تاريخ وصاب المسمى الاعتبار في التواريخ والآثار : تحقيق عبد الله محمد الحبشى ، مركز الدراسات والبحوث اليمنية بصنعاء ، ط ١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩١٩ م .

■ ابن حجر العسقلاني : شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن على بن حجر (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٩ م) .

- أنباء الغمر بأنباء العمر في التاريخ ، ٩ أجزاء : نسخة مصورة عن طبعة حيدر آباد ، ط ٢ بيروت ، ١٩٨٦ م .

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ٤ أجزاء : نسخة مصورة عن طبعة حيدر آباد ، الهند ، ١٣٤٨ / ١٣٥٠ م ، دار الجيل ، بيروت بدون تاريخ .

■ الحميرى : أبو عبد الله محمد بن أبي عبد الله محمد بن عبد المنعم (ت أواخر ق ٩ / أواخر ق ١٥ م) .

- الروض المعطار في خبر الأقطار : تحقيق د. احسان عباس ، ط ٢ ، مكتبة لبنان ، ١٩٨٤ م .

■ ابن حمير : أبو عبد الله جمال الدين محمد بن حمير بن عمر الوصابى الهمدانى (ت ٦٥١ هـ / ١٢٥٣ م) .

- ديوان ابن حمير : حققه وعلق عليه محمد بن على بن الحسين الأكوع الحوالى ، دار العودة ، بيروت ١٩٨٥ م .

■ الحنبلى : أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٨٧ م) .

- " شذرات الذهب في أخبار من ذهب " ، ٨ أجزاء : ط ٢ ، دار المسيرة ، بيروت ١٩٧٩ م .

■ الحنبلى : أحمد بن إبراهيم (ت ٨٧٦ هـ / ١٤٧١ م) .

- شفاء القلوب في مناقب بنى أيوب : تحقيق ناظم رشيد ، بغداد ١٩٧٩ م .

■ ابن حوقل أبو القاسم محمد (ت أواخر ق ٤ هـ / ١٠ م)

- صورة الأرض : بيروت ب . ت .
■ ابن خرداذبة : أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت في حدود سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م) .
- المسالك والممالك : ليدن ١٨٨٩ م Ed.DeGoeje .
■ الخزرجي : أبو الحسن على بن الحسن (ت ٨١٢ هـ / ١٤٠٩ م).
- العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية (جزءان) : تحقيق وتصحيح محمد بن على الأكوع الحوالى ، مركز الدراسات والبحوث اليمنية بصنعاء ، ط ٣ ، دار الآداب ، بيروت ١٩٨٣ م .
■ ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) .
- مقدمة ابن خلدون (٣ أجزاء) : تحقيق د. على عبد الواحد وافى ، ط ٣ ، دار نهضة مصر ، القاهرة ١٤٠١ هـ .
- تاريخ اليمن المنقول من العبر : نشره وعلق عليه د. حسن سليمان محمود ضمن كتاب تاريخ اليمن لعمارة اليمنى ، دار النشاء ، مصر ١٩٥٧ م .
■ ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) .
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، (٦ أجزاء في ٣ مجلدات): تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط ١ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٤٨ م .
■ الدمشقي : الشيخ أبو الفضل جعفر بن على (ت ق ٦ هـ/ ١٢م) .
- الاشارة إلي محاسن التجارة : تحقيق البشرى الشوربجى ، القاهرة ١٩٧٧ م .
■ ابن الديبع : أبو عبد الله عبد الرحمن بن على الشيبانى الشافعى (ت ٩٤٤ هـ / ١٥٣٧ م) .
- قرة العيون بأخبار اليمن الميمون : حققه وعلق عليه محمد بن على الأكوع الحوالى ، ط ٢ ، بيروت ١٩٨٨ م .

- نشر المحاسن اليمانية في خصائص اليمن ونسب القحطانية : تحقيق أحمد راتب حموش ، ط ١ ، دار الفكر ، دمشق ١٩٩٢ م .
- الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد : تحقيق د. يوسف شلحد ، دار العودة ، بيروت ١٩٨٣ م .
- بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد (ضمن كتاب الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد) .
■ الرازى : أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد الرازى الصنعانى (ت ٤٦٠ هـ / ١٠٦٨ م) .
- تاريخ مدينة صنعاء : تحقيق ودراسة د. حسين بن عبد الله العمرى ط٣ ، دار الفكر ، دمشق ١٩٨٩ م .
■ ابن رستة : أبو على أحمد بن عمر بن رستة (ت ٢٩٥ هـ / ٨٩٠ م) .
- الاعلاق النفيسة : ليدن ١٨٩١ م .
■ الزبيدى : تقى الدين أبو العباس حمزة بن عبد الله الناشرى اليمنى (ت ٩٢٦ هـ / ١٥١٩ م) .
- انتهاز الفرص في الصيد والقنص : تحقيق عبد الله محمد الحبشى ، الدار اليمنية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٥ م .
■ السبكى : الامام تاج الدين عبد الوهاب (ت ٧٧١ هـ/ ١٣٦٩م).
- معيد النعم ومبيد النقم : حققه وضبطه وعلق عليه محمد على النجار، وآخرون ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ب . ت .
■ السخاوى : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م) .
- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة (٣ أجزاء) : عنى بطبعه ونشره ، أسعد طرابزونى الحسينى ، تحقيق محمد الغفقى ، دار نشر الثقافة ، القاهرة ١٩٧٩ م .

- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (١٢ جزء في ٦ مجلدات) :** منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت بدون تاريخ .
- **الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ :** حققه وعلق عليه بالانجليزية فرانزروزنتال ، وترجم التعليقات والمقدمة ، د. صالح أحمد العلى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ب . ت .

■ **ابن سمرة :** عمر بن على الجعدى(ت بعد ٥٨٦ هـ/بعد ١١٩٠م).
- **طبقات فقهاء اليمن :** تحقيق فؤاد سيد،دار القلم ، بيروت ب . ت.

■ **السيوطي:** الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت٩١١هـ/ ١٥٠٦ م) .
- **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، جزءان :** تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ٦٧ – ١٩٦٨ م .

■ **الشابشتى :** أبو الحسن على بن محمد (ت ٣٨٨ هـ / ٩٩٨ م) .
- **الديّارات :** تحقيق كوركيس عواد ، ط ٣ ، دار الرائد العربي ، بيروت ١٩٨٦ م .

■ **أبو شامة :** شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي الدمشقي (ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م) .
- **الروضتين في أخبار الدولتين (جزءان) :** دار الجيل ، بيروت ب.ت.

■ **الشرجي :** أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي الزبيدى (ت ٨٩٣ هـ / ١٤٨٧ م) .
- **طبقات الخواص أهل الصدق والاخلاص :** تحقيق عبد الله محمد الحبشي ، الدار اليمنية للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٩٨٧٦ م .

■ **ابن شاهين الظاهرى (الأمير غرس الدين خليل) :** (ت ٨٧٢ هـ / ١٤٦٧ م) .
- **زبدة كشف الممالیك وبيان الطرق والمسالك :** نشر بول رافيس ، باريس ١٩٨٤ م .

■ **الشوكاني** : محمد بن علي (ت ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م) .

- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (جزءان) : دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ .

■ **شيخ الربوة** : شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي (ت ٧٢٧ هـ / ١٣٢٧ م) .

- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر : طبعة بالأوفست عن طبعة ليبزج عام ١٩٢٣ ، مكتبة المثنى ، بغداد ب . ت .

■ **الشِلِّي** : جمال الدين محمد بن أبي بكر بن أحمد الحسيني (ت ١٠٩٣ هـ / ١٦٨٢ م) .

- المشروع الروى في مناقب السادة بني علوى :القاهرة ١٣١٩ هـ .

■ **الصفدى** : صلاح الدين خليل بن أيبك .

- الوافي بالوفيات جـ ١ : نشر بعناية هلموت ريتر ، فيسبادن ١٩٨١ م ، جـ ٢ ، تحقيق س ز . ريد رينغ ، فيسبادن ١٩٨١ م .

■ **الصيرفي** : علي بن داود الجوهري (ت ٩٠٠ هـ / ١٤٩٥ م) .

- نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان ٤ أجزاء : تحقيق د. حسن حبشي ، القاهرة ١٩٧٠ – ١٩٩٤ م .

■ **ابن عبد الظاهر** : القاضي محيي الدين (ت ٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م).

- تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور : تحقيق د. مراد كامل، القاهرة ١٩٦١ م .

■ **ابن عبد المجيد** : تاج الدين أبو محمد عبد الباقي بن عبد المجيد بن عبد الله اليمني المخزومي (ت ٧٤٣ هـ / ١٣٤٢ م) .

- بهجة الزمن في تاريخ اليمن : تحقيق عبد الله محمد الحبشي ، محمد أحمد السنباني ، دار الحكمة اليمنية ، صنعاء ١٩٨٨ م .

- بهجة الزمن في تاريخ اليمن : تحقيق مصطفى حجازي ، قدم له إبراهيم الحضراني ، القاهرة ١٩٦٥ م .

■ **عبد المؤمن** : صفي الدين بن عبد الحق (ت ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨ م).

- مراصد الاطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع : نشره وستنفلد ، ليـدن ١٨٩٤ م .

■ العَرشاني : نظام الدين سرى بن فضيل(ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩م) .

- كتاب الاختصاص (ذيل تارخي مدينة صنعاء للرازى) : حققـه وعَلّق عليه د. حسين العمرى ، منشور ضمن كتاب " تاريخ مدينـة صنعاء للرازى " ط ٣ ، دار الفكر ، دمشق ١٩٨٩ م .

■ العصامى : عبد الملك بن حسين بن عبد الملك (ت ١١١١ هـ / ١٦٩٩ م) .

- سمط النجوم العوالى في أنباء الأوائل والتوالى : الجزء الرابع ، المطبعة السلفية ، القاهرة بدون تاريخ .

■ عمارة اليمنى : أبو محمد نجم الدين بن أبي الحسن على بـن زيـدان الحكمى (ت ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م) .

- تاريخ اليمن المسمى " المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها " : حققه وعلق عليه محمد بن على الأكوع الحوالى، ط ٣ ، مطبعة العلم ، القاهرة ١٩٧٩ م .

- المختصر المنقول من كتاب العبر لابن خلدون (منشـور ضـمن كتاب تاريخ اليمن) : لعمارة ، تحقيق د. حسن سليمان محمـود ، القاهرة ١٩٥٧ م .

■ العماد الأصفهانى : أبو عبد الله محمد بن محمـد بـن أبي الرجـاء (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) .

- خريدة القصر وجريدة العصر الجزء الثالث : قسم شعراء الشـام ، تحقيق د. شكرى فيصل ، مطبوعات المجمع العلمى العربي بدمشـق ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ١٩٦٤ م .

■ العُمرى : شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحـيى بـن فضـل الله (٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م) .

- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (ممالك مصر والشام والحجاز واليمن) : تحقيق أيمن فؤاد سيد ، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ، القاهرة ١٩٨٥ .
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار : (قبائل العرب في ق ٧ ، ٨هـ) ، دراسة وتحقيق دوروتيا كرافولسكى ، ط ١ ، المركز الاسلامى للبحوث ، بيروت ١٩٨٥ .
■ العينى : بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى (٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م) .
- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان جـ ٣ : تحقيق د. محمد محمد أمين، القاهرة ١٩٨٩ م .
■ الفاسى : تقى الدين أبي الطيب محمد بن أحمد بن على الحسنى (ت٨٣٢ هـ / ١٤٢٩ م) .
- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام (جزءان) : حققه ووضع فهارسه د. عمر عبد السلام تدمرى ، ط ١ ، دار الكتاب العربى بيروت ١٩٨٥ م .
- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين (٨ أجزاء) : تحقيق فؤاد سيد وآخرون ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ١٩٥٨ — ١٩٦٩ م .
■ ابن الفقيه : أبو بكر أحمد بن محمد الهمدانى .
- كتاب " مختصر كتاب البلدان " : ليدن ، ١٨٥٥ م .
■ ابن الفرات : ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن على (ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م) .
- تاريخ ابن الفرات (المجلد الثامن ٦٨٣ — ٦٩٦ هـ) : حققه وضبط نصه ، د. قسطنطين رزيق و د. نجلا عز الدين ، مطبعة الجامعة الامريكية ، بيروت ١٩٣٩ م .
■ ابن القاضى : أبو العباس أحمد بن محمد المكناسى (ت ١٠٢٥ هـ / ١٦١٦ م) .

- درة الحجال في أسماء الرجال " أو ذيل وفيات الأعيان " (٣أجزاء): تحقيق د. محمد الأحمدى أبو النور ، القاهرة ٧٠ - ١٩٧١ م .

■ ابن قاضى شهبة : أبو بكر تقى الدين بن أحمد بن محمد بن عمر (ت ٨٥١ هـ / ١٤٤٨ م) .

- طبقات الشافعية (٤ أجزاء في مجلدين) : تصحيح وتعليق د. الحافظ عبد العليم خان ، دار الندوة الجديدة ، بيروت ١٩٨٧ م .

■ قدامة بن جعفر : أبو الفرج قدامه بن جعفر ت (بعد ٣٢٠ هـ / بعد ٩٣٢ م) .

- الخراج وصناعة الكتابة : تحقيق د. محمد حسين الزبيدى ، دار الرشيد للنشر ، العراق ، ١٩٨١ (سلسلة كتب التراث ١١٠) .

■ القرمانى : أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقى (ت ١٠٠٨ هـ / ١٥٢٩ م) .

- أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ : بيروت بدون . ت .

■ القزوينى : زكريا بن محمد بن محمود القزوينى (ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م) .

- آثار البلاد وأخبار العباد : دار صادر ، بيروت ١٩٦٠ م .

■ القفطى : جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف (ت ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م) .

- إنباه الرواه على أنباه النحاة : تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ٥٠ - ١٩٧٣ م .

■ القلقشندى : أبو العباس أحمد بن على القلقشندى (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) .

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا (١٤ جزء) : القاهرة ١٩١٣ - ١٩١٩ م .

■ ابن كثير : عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٣ م) .

- البداية والنهاية (١٤ جزء في ثمانية مجلدات) : ط ١ ، دار الغد العربى ، القاهرة ١٩٩٢ م .

■ الماوردى : أبو الحسن بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى (ت ٤٥٠ هـ / ١٠٠٨ م) .

- الأحكام السلطانية والولايات الدينية : بيروت ١٩٧٨ م .

■ الملك المجاهد : على بن داود بن يوسف بن عمر بن رسول (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م) .

- " الأقوال الكافية والفصول الشافية في الخيل " تحقيق د. يحيى وهيب الجبورى: ط ١ ، دار الغرب الاسلامى ، بيروت ١٩٧٨ .

■ ابن المجاور : جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد الدمشقى (ت ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م) .

- صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ويسمي " تاريخ المستبصر ": Ed.O.,Loefgren , 2 vol . Leiden , 1951 , 1954 .

■ مجمع اللغة العربية .

- المعجم الوسيط : قام بإخراجه نخبة من العلماء ، جـ ٢ ، ط ٣ القاهرة ١٩٨٥ م .

■ مجهول : من القرن الثامن الهجرى / ق ١٤ م .

- مفتاح الراحة لأهل الفلاحة : تحقيق ودراسة ، د. محمد عيسى صالحية ، د. إحسان صدقى العمد ، ط ١ ، الكويت ١٩٨٤ م .

■ مجهول : عاش في ق ٩ هـ / ق ١٥ م .

- تاريخ الدولة الرسولية في اليمن : تحقيق عبد الله محمد الحبشى ، دار الجيل ، صنعاء ١٩٨٤ .

■ المظفر الرسولى : يوسف بن عمر بن على بن رسول (ت ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤ م) .

- المعتمد في الأدوية المفردة : صحة وفهرسة الأستاذ مصطفى السقا ، ط ٢،دار القلم،بيروت ب.ت(عن طبعة القاهرة الثانية ١٩٥١ م) .

■ محمد المقداد : محمد بن عبد الوهاب (ت ٩٩٢ هـ / ١٥٨٤ م).
- جامع الأشاعر المسمى قرة العيون وانشراح الخواطر فيما حكاه الصالحون في فضل مسجد الأشاعر : تحقيق : عبد الرحمن الحضرمي، مجلة الاكليل ، العددان (٣٠٤) السنة الأولى ، صنعاء ١٩٨١ م .
■ بامخرمة : أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله (ت ٩٤٧ هـ / ١٥٤٠ م) .
- تاريخ ثغر عدن " جزءان " : Ed.O, Loefgren , Leiden , 1936
■ المقدسي : شمس الدين ابن عبد الله محمد بن أبي بكر البشاري (ت ٣٨٨ هـ / ٩٩٧ م) .
- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم : ط ٢ ، ليدن ، ١٩٠٦ م .
■ المقريزي : تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) .
- المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار المعروف " بالخطط المقريزية" : طبعة مصورة عن طبعة بولاق ، جزءان ، ط ٢ ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ١٩٨٧ م .
- " السلوك لمعرفة دول الملوك " ٤ أجزاء في " ١٢ قسم " : تحقيق د. محمد مصطفى زيادة ، و د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ٣٩ — ١٩٧٣ م .
- الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك : نشر د. جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٥٥ م .
- الطرفة الغريبة في أخبار وادي حضر موت العجيبة : عني بنشره P.NOSKOYI بون ١٨٦٦ م .
■ ابن مماتي : الأسعد بن المهذب بن أبي مليح (ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) .

- " قوانين الدواوين " : تحقيق د. عزيز سوريال عطية ، مطبعة مصر ١٩٤٣ م .
- ناصر خسرو علوى : (ق ٥ هـ / ق ١١ م) .
- سفر نامة: ترجمة وتعليق د. يحيى الخشاب، ط ١ ، القاهرة ١٩٤٥ م .
- نشوان بن سعيد الحميرى : (ت ٥٧٣ هـ / ١١٧٧ م) .
- الحور العين : تحقيق كمال مصطفى : ط ٢ ، بيروت ١٩٨٥ م .
- النعيمى : عبد القادر بن محمد الدمشقي(ت ٩٧٨ هـ/ ١٥٧٠م) .
- " الدارس في تاريخ المدارس " جزءان : أعد فهارسه إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، لبنان ١٩٩٠ م .
- النويرى : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م) .
- نهاية الأرب في فنون الأدب .
جـ ٣ ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩ م .
جـ ٨ ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٣١ م .
- النويرى السكندرى : محمد بن قاسم بن محمد (تبعد ٧٧٩ هـ / ١٣٧٦ م) .
- الامام بالاعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الاسكندرية (٧ أجزاء): تحقيق د. عزيز سوريال عطية ، حيدر آباد – الهند ٦٨٠ – ١٩٧٣ م .
- الهمدانى : أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف (ت بعد ٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م) .
- صفة جزيرة العرب : تحقيق محمد بن عبد الله بن بلهيد النجدى ، مطبعة دار السعادة بمصر ، ١٩٥٣ م .
- الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء : تحقيق وتقديم د. كريستوفرتول ، ترجمة د. يوسف محمد عبد الله ، ط ٢ ، صنعاء ١٩٨٥ م

- الإكليل ، الجزءان الأول والثاني : تحقيق محمد بن علـى الأكـوع الحوالي ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ١٩٦٣ م .
- الإكليل ، جـ ٨ : تحقيق انستاس الكرملي ، بغداد ١٩٣١ م .
- الإكليل ، جـ ١٠ : تحقيق محب الدين الخطيب ، ط الأولى الجديدة، الدار اليمنية للنشر والتوزيع ١٨٩٧ م .
■ ابن واصل : جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧م).
- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، جـ ١ - ٣ : تحقيق د. جمال الدين الشيال ، مطبعة دار القلم ، القاهرة ١٩٦١ م .
■ يحيى بن الحسين : ابن القاسم بن محمد بن علي (ت ١١٠٥ هـ / ١٦٩٣ م) .
- غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ، قسمان : تحقيق د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ١٩٦٨ م .
■ اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح(ت ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م .
- كتاب البلدان (منشور ضمن كتاب الأعلاق النفيسة) .
■ أبو يوسف : القاضي يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢ هـ / ٧٩٨م).
- كتاب الخراج : تحقيق د. احسان عباس ، ط ١ ، دار الشروق ، بيروت ١٩٨٥ م .

ثالثاً : المراجع العربية والأوروبية المعربة

■ إبراهيم علي طرخان :
- مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة (١٣٨٢ - ١٥١٧ م) : مكتبة النهضة المصرية ، سلسلة الألف كتاب ، القاهرة ١٩٦٠ .
- النظم الاقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى : دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٨ م .

■ إبراهيم أحمد المقحفى :

- معجم المدن والقبائل اليمنية : دار الكلمة ، صنعاء ١٩٨٥ م .

■ أحمد بن أحمد بن محمد المطاع :

- تاريخ اليمن الإسلامي : تحقيق عبد الله محمد الحبشي ، ط ١ ، بيروت ١٩٨٦ م .

■ أحمد حسين شرف الدين :

- اليمن عبر التاريخ : القاهرة ١٩٦٣ م .

■ إسماعيل على الأكوع :

- البلدان اليمانية عند ياقوت الحموى : ط ٢ ، بيروت ١٩٨٨ م .

- المدارس الإسلامية في اليمن : ط ٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٦ م .

■ الأهدل : السيد محمد بن على الأهدلى الحسينى اليمنى الأزهرى .

- نثر الدرر المكنون من فضائل اليمن الميمون : الدار اليمنية للنشر والتوزيع ، ط ١ ، بيروت ١٩٨٥ م .

■ أيمن فؤاد سيد :

- مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي : المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ، القاهرة ١٩٧٤ م .

■ بربارة فنستر :

- تقارير أثرية من اليمن ، جـ ١ : ترجمة عن الألمانية : د. عبد الفتاح البركاوى ، المعهد الألمانى للآثار بصنعاء ١٩٨٢ م .

■ بروكلمان (كارل) :

- تاريخ الأدب العربى :نقلة إلي العربية د. عبد الحليم النجار وآخرون، جـ ٥ / دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٧ م .

■ بيوتروفسكى :

- اليمن قبل الاسلام والقرون الأولى للهجرة : تعريب محمد الشعيب، ط١ ، دار العودة ، بيروت ١٩٨٧ م .

■ البغدادى : إسماعيل باشا أمين البابانى (ت ١٣٣٩ هـ / ١٩٢٠م):

- هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين : طبعة مصورة بالأوفست عن طبعة استنابول ١٩٥١ م ، جـ ١ ، ٢ طهران ١٩٦٧ م .

■ جوايتاين :

- دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الاسلامية : ترجمة د. عطية القوصى ، ط ١ ، الكويت ، ١٩٨٠ م .

■ جورج فاضلو حورانى :

- العرب والملاحة في المحيط الهندى : ترجمة د. يعقوب بكر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٥٨ م .

■ حسن إبراهيم حسن :

- اليمن البلاد السعيدة : سلسلة اخترنا لك (عدد ٥٢) دار المعارف بمصر ، د. ت .

■ حسن سليمان محمود :

- تاريخ اليمن السياسى في العصر الإسلامى : ط ١ ، بغداد ١٩٦٩م.

■ حسن صالح شهاب :

- أضواء على تاريخ اليمن البحرى : ط ٢ ، دار العودة ، بيروت ١٩٨١م.

- فن الملاحة عند العرب : ط ١ ، دار العودة ، بيروت ١٩٨٢ م .

■ حسنين محمد ربيع :

- النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين : مطبعة جامعة القاهرة ١٩٦٤م.

■ حسين أحمد السياغى :

- معالم الآثار اليمنية : ط ١ ، صنعاء ١٩٨٠ .

■ حسين بن علي الويسى :

- اليمن الكبرى : القاهرة ١٩٦٢ م .

■ حسين بن عبد الله العمرى :

- مصادر التراث اليمنى في المتحف البريطاني : دمشق ١٩٨٠ م .

■ حسين علي المسرى :

- تجارة العراق في العصر العباسي : منشورات جامعة الكويت ١٩٨٢م.

■ حسين فيض الله الهمدانى وحسن سليمان محمود :

- الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن : القاهرة ١٩٥٥ م .

■ حمزة علي لقمان :

- تاريخ عدن وجنوب الجزيرة : دار مصر للطباعة ، القاهرة ١٩٦٠ .

■ درويش محفوظ النخيلي :

- السفن الإسلامية على حروف المعجم : الإسكندرية ١٩٧٤ م .

■ ديماند (م . س) :

- الفنون الإسلامية : ترجمة أحمد محمد عيسى ، مراجعة وتقديم د. أحمد فكرى ، ط ٣ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٢ م .

■ ربيع حامد خليفة :

- الفنون الزخرفية اليمنية في العصر الاسلامي : ط ١ ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ١٩٩٢ م .

■ السيد عبد العزيز سالم :

- تاريخ العرب قبل الإسلام : مؤسسة شباب الجامعة ، الجزء الأول ، الاسكندرية ، د . ت .

- في تاريخ وحضارة الأندلس : مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ١٩٨٥ .

- البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي : مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ١٩٩٣ .

■ سامح عبد الرحمن فهمي :

- الوحدات النقدية المملوكية (عصر المماليك البحرية) ط ١ : جدة ١٩٨٣ م .

■ سعيد الأفغاني :

- أسواق العرب في الجاهلية والإسلام : ط ٣ ، دار الفكر ، بيروت ١٩٧٤ م .

■ سعيد عبد الفتاح عاشور :

- المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك : ط ١ ، القاهرة ١٩٦٢م.

■ الشماخي : القاضي عبد الله بن عبد الوهاب :

- اليمن الانسان والحضارة : عالم الكتب ، القاهرة ١٩٧٢ .

■ طه أحمد أبو زيد :

- إسماعيل المقرى حياته وشعره : ط ١ ، دار الآداب ، بيروت ١٩٨٦.

■ عبد الرحمن زكي :

- الحلي في التاريخ والفن : المكتبة الثقافية (عدد ١٢٦) ، القاهرة ١٩٦٥ .

■ عبد الرحمن فهمي :

- النقود العربية ماضيها وحاضرها : القاهرة ١٩٦٤ م .

■ عبد الفتاح أحمد فؤاد :

- الإمام الزيدي أحمد بن سليمان وآراؤه الكلامية : دار الدعوة ، الاسكندرية ١٩٨٧ م .

■ عبد الله محمد الحبشي :

- مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن : مركز الدراسات اليمنية ، صنعاء ١٩٧٩م.
- حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول : ط ٢ ، صنعاء ١٩٨٠ م .
- أوليات يمانية في الأدب والتاريخ : ط ١ ، بيروت ١٩٩١ م .
- معجم النساء اليمنيات : ط ١ ، صنعاء ١٩٨٨ م .

■ عبد الله أحمد الثور :
- هذه هي اليمن : مطبعة المدني : القاهرة ١٩٦٩ م .

■ العبدلي : أحمد فضل بن علي بن محسن :
- هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن : القاهرة ١٣٥١ هـ .

■ عبد الله يوسف غنيم :
- جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك : ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، الكويت ١٩٧٧ م .

■ عدنان الترسيسي :
- اليمن وحضارة العرب : منشورات دار الحياة ، بيروت د . ت .

■ العرشي : حسين بن أحمد الزيدي (ت ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م) .
- بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى اليمن من ملك وإمام: تحقيق انستاس ماري الكرملي ، القاهرة ١٩٣٩ م .

■ عزيز سوريال عطية :
- العلاقات بين الشرق والغرب (تجارية - ثقافية - صليبية) : ترجمة د. فيليب صابر يوسف ، مراجعة أحمد خاكي ، ط ١ ، القاهرة ١٩٧٢ م .

■ عطية القوصي :
- تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية : القاهرة ١٩٧٦ م .

■ عصام الدين عبد الرءوف الفقي :

- اليمن في ظل الإسلام منذ فجره حتى قيام دولة بني رسول : دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٨١ م .

■ علي بيومي :

- قيام الدولة الأيوبية في مصر : ط ١ ، القاهرة ١٩٥٢ م .

■ علي حسين الناصري :

- النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية أواخر العصور الوسطى (١٢٥٠ – ١٥١٧) : مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٨١ م .

■ فارتيما (لودفيكوفارتيما Ludovico Divarthema) :

- رحلات فارتيما (الحاج يونس المصري) : ترجمة وتعليق د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ سلسلة الألف كتاب الثاني (عدد ١٣٤) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٤ م .

■ فالتر هنتس : Walther Hinz

- المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المترى : ترجمة د.كامل العسيلي ، منشورات الجامعة الأردنية ١٩٧٠ م .

■ ماير (ل . أ) :

- الملابس المملوكية : ترجمة صالح الشيني ، مراجعة وتقديم د. عبد الرحمن فهمي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٢ م .

■ محمد أمين صالح :

- تاريخ اليمن الإسلامي في القرون الثلاثة الأولى للهجرة (عصر الولاة): ط ١ ، مطبعة الكيلاني ، القاهرة ١٩٧٥ م .

■ محمد رضا الدجيلي :

- الحياة الفكرية في اليمن في ق ٦ هـ : منشورات مركز دراسات الخليج العربي ، البصرة ١٩٨٥ م .

■ محمد عبد العال أحمد :

- الأيوبيون في اليمن مع مدخل في تـاريخ الـيمن الإسـلامى إلى عصرهم : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠ م .
- بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهم : الهيئـة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠ م .
- أضواء جديدة على احياء الخلافة العباسية : القاهرة ١٩٨٧ م .
■ محمد بن على الأكوع الحوالى :
- اليمن الخضراء مهد الحضارة : ط ١ ، مطبعة دار السعادة ، القاهرة ١٩٧١ م .
■ محمد عبد الله عنان :
- مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصرى : ط١ ، القـاهرة ١٩٦٩ .
■ محمد متولى ومحمود أبو العلا :
- جغرافية شبه جزيرة العرب جـ ٣ / جغرافية الـيمن الشـمالى : ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٨ م .
■ محمد محمد أمين وليلى على إبراهيم :
- المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية : دار النشـر بالجامعـة الأمريكية ، ط١ ، القاهرة ١٩٩٠ م .
■ محمد يحيى الحداد :
- تاريخ اليمن السياسى : دار الهنا للطباعة ، القاهرة ١٩٧٦ م .
■ محمود إبراهيم حسين :
- الخزف الإسلامى في مصر : مكتبة نهضة الشرق ، جامعـة القـاهرة ١٩٨٤ م .
- المآذن اليمنية ، دراسة أثرية فنية : دار الثقافة العربية ، القاهرة د.ت.
■ مصطفى عبد الله شيحة :

- شواهد قبور إسلامية من جبانة صعدة باليمن : الجزء الأول ، مكتبة مدبولى ١٩٨٨ م .
- مدخل إلي العمارة والفنون الإسلامية في الجمهورية العربية اليمنية : القاهرة ١٩٨٧ م .
■ نـــــزار الحديثى :
- أهل اليمن في صدر الإسلام : المؤسسة العربية للدراسات والنشـــر ، بيروت د. ت .
■ نعيم زكى فهمى :
- طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٣ م .
■ نقولا زيــــادة :
- الجغرافية والرحلات عند العرب : بيروت ١٩٦٢ م .
■ الواسعى : الشيخ عبد الواسع بن يحيى اليمانى :
- تاريخ اليمن المسمى " فرجة الهموم والحزن في حـــوادث وتـــاريخ اليمن": ط ٣ ، الدار اليمنية للنشر والتوزيع ١٩٨٢ م .
■ واضـــــح الصمد :
- الصناعات والحرف عند العرب في العصر الجاهلى : ط ١ ، بيروت ١٩٨١ م .
■ يوسف محمد عبد الله :
- أوراق في تاريخ اليمن وآثاره جـــزءان : وزارة الاعــــلام والثقافـــة اليمنية، مشروع الكتاب ، ط١ ، بيروت ١٩٨٥ م .

رابعاً : الــدوريات والمقالات العربية

■ أحمد السيد دراج :

- ايضاحات جديدة عن التحول في تجارة البحر الأحمر منـــذ مطلـــع القرن التاسع الهجرى / ١٥ م " محاضرة ألقيت في الموسم الثقـــافى ٦٧ / ١٩٦٨ " الجمعية المصرية للدراســـات التاريخيـــة ، القـــاهرة ١٩٦٨م .
- ■ أحمد عمر الزيـــــلعي :
- بنو سليمان حكام المخلاف السليماني وعلاقاتهم بجيرانهم (بعد عام ٣٩٣ هـــ / ١٠٠٢ م - ٦٢٦ هـــ / ٢٨ - ١٢٢٩ م) : حوليات كلية الآداب - جامعة الكويت ، الحوليـــة الثانيـــة عشـــر ١٩٩٢م .
- دراهم رسولية مظفرية نقش عليها اسم الخليفة المستعصم بالله بعد وفاته ، دراسة في مغزاها السياسى وطرز سكها : مجلـــة اليرمـــوك للمسكوكات ، منشورات جامعة اليرموك ، قسم التاريخ ، عمّـــان ، المجلد الخامس ١٩٩٣ م .
- ■ حسين عيظة الشعبي :
- مدينة صعدة عبر أطوار التاريخ : مجلة الإكليل ، العـــدد رقـــم (١) السنة السابعة ، صنعاء ١٩٨٩ م .
- ■ رأفت النبـــــراوى :
- دراسة لقطعتين نادرتين من المنسوجات الإسلامية في مصر واليمن : مجلة الدارة عدد (٢٠) الســـنة ١٨ - أغســـطس ١٤٠٨ هـــــ / ١٩٨٧ م .
- ■ ربيع حامد خليفة :
- الفنون الإسلامية في عهد الدولة الرسولية : مجلـــة كليـــة الآداب ، جامعة صنعاء ، العدد ٨ / ١٩٨٨ م .
- مناهج الطراز الخاصة بمدينة صنعاء ، دراسة حـــول المنســـوجات اليمنية في العصر الإسلامي : مجلة الإكليل ، العدد (٢) ، صــــنعاء ١٩٨٨ م.

- توقيعات الصناع والفنانين على الآثار والفنون اليمنية الإسلامية : مجلة الإكليل ، العدد (٣ - ٤) ، صنعاء ١٩٨٨ م .
- طراز المسكوكات الرسولية (٦٢٦ هـ - ٨٥٨ هـ / ١٢٢٩ م - ١٤٥٤ م) : مجلة الإكليل ، العدد الثاني السنة السابعة ١٩٨٩م.
■ الشاطر بصيلى عبد الجليل :
- الكارمية : المجلة التاريخية المصرية (الجمعية المصرية للدراسات التاريخية) ، م ١٣ ، القاهرة ١٩٧٦ م .
■ عبد الرحمن عبد الله الحضرمي :
- المؤرخون والسبوت في زبيد : مجلة دراسات يمنية ، العدد ٤٦ (ابريل - يونيو) صنعاء ١٩٩٢ م .
■ عبد الله محمد الحبشي :
- جوانب من الحياة الاقتصادية في التاريخ اليمني : مجلة الكلمة ، العدد ٥١ - ٥٢ ، صنعاء فبراير ١٩٧٩ م .
■ صبحي يني لبيب :
- التجار الكارمية وتجار مصر في العصور الوسطى : المجلة التاريخية المصرية م ٤ ، العدد الثاني ، مايو ١٩٥٢ م .
■ غازي رجب محمد :
- جامع الجند ، لبنة جديدة في هيكل العمارة الإسلامية في اليمن : دراسات يمنية ، العدد ٢١ (يوليو - سبتمبر) صنعاء ١٩٨٥ م .
- البيوت القلاعية في اليمن : مجلة سومر (جـ ١ ، ٢) ، المجلد ٣٧، بغداد ١٩٨١ .
■ محمد أبو الفرج العش :
- المسكوكات في الحضارة العربية الإسلامية : مجلة الإكليل ، العدد (٥) سبتمبر ، صنعاء ١٩٨١ م .

- المسكوكات في الحضارة العربية الإسلامية ، الآثـار الإسـلامية في الوطن العربي : (المؤتمر السـابع) سـنة ١٩٨٠ ، تـونس ١٩٨٥ (ص ٢١٩ - ٢٢٨) .

■ محمد كريم إبراهيم :

- الفعاليات الاقتصادية لميناء عدن خلال القرنين الخامس والسـادس الهجرى : دراسة تاريخية ، مجلة المؤرخ العربى ، العـدد ٣٥ السـنة (١٤) بغداد ١٩٨٨ م .

■ محمد سيف النصر :

- المدارس اليمنية تخطيطاتها وعناصر المعمارية : مجلة الإكليـل السـنة الثالثة، العدد الأول ، صنعاء ١٩٨٥ م .

■ محمد عبد الرحيم جازم :

- الحرف والمنتجات الحرفية في مدينة صنعاء في أوائل دولة بنى رسول (٦٩٠ - ٦٩٥ هـ / ١٢٩٠ - ١٢٩٥ م) : مجلـة الثـورة ، الحلقات من ١ - ٣ سبتمبر ١٩٨٧ م .

■ محمد المتيمى :

- الصناعات الحرفية في مدينة صنعاء وآفاق تطورها : مجلة دراسـات يمنية، العدد ٣٢ (ابريل - يونية) صنعاء ١٩٨٨ م .

■ وفية عزى :

- نماذج من الفنون الإسلامية في اليمن : مجلة المجلة (ديسمبر) القاهرة ١٩٦٢ م .

خامساً : الـرسائل الجامعية

■ أسامة أحمد إسماعيل :

- الاسكندرية في عصر دولتى سلاطين المماليك : رسالة ماجسـتير لم تنشر بعد ، جامعة الاسكندرية ١٩٨٧ م .

سادساً : المــراجع الأجنبية

- **Ashtor , (E .) ;**
- Levant trade in the later middle ages , NEW JERSEY , 1983 .
- **...............**
- The Medieval near Easst , Social and economic history , London , 1978 .
- **Asma Yahya al - Bascha ;**
- women in Yemen - Past and Present(in Yemen 3000 Years of art and civilization in Arabia felix ," ed ",Werner Daum , Austria , 1988 .
- **Balog . (p .) ;**
- Dirhams Ayoubites inedits du Yemen ' Bulletin de L ' institut d' Egypte , Tome XXXVI , (Fascicule 2) , session 1953 - 1954 , le caire , 1955 .
- **Bikhazi , (Ramzi) ;**
- Coins of al - Yemen , 132 - 569 AH , Al - Abhath , vol . XXIII , nos ., 1 - 4 , Beirut , December , 1970 .
- **Berbara Finster ;**
- The Architecture of the Rasulids (in the Yemen 3000 years) .
- **Casta , (P . M .) ;**
- San ' a' (in the Islamic city)faculty of the oriental studies , Cambridge , u . K , July , 1976 (ed .) ; serjeant .
- **Diamand , M ;**
- Un published metal work of the rasulid sultans of Yemen , Metropolitan museum studies , vol . II pp . 229 - 237 .
- **Doran , (R . E .) ;**
- Examples of Islamic coinage from Yemen (in Yemen 3000 years pp . 182 - 204 .
- **Dozy , (R.) ;**
- Dictionnair se tallie des noms des vetements chez les Arabes , Amsterdam , 1945 .
- **Franke (A) ;**
- The Jews of Yemen (Yemen 3000 years) pp . 265 - 300.
- **Goitein , (S . D .) ;**
- Letters and documents on the India trade in medieval times , Islamic culture , vol . XXXVII , No . 1 , January , 1963 .
- **..................**
- From Aden to India specimens of the correspondence of India traders of the Twelfth century , Journal of the

economic and social history of the orient , vol . XXIII , parts 1 - 2 , April , Leiden , 1980 .

- ....
- The main industries of the Mediterranean area as reflected in the records of the Cairo Geniza ,Journal of the economic and social history of the orient vol ,IV ,p.1,Aug ., Leiden , 1961 .
- ....
- Jews and Arabs,their contacts through the ages,New York .
- **Heyd , (W .) ;**
- Histoire du commerce du lavant trade au Moyon - age , II tome , Leipzig , 1885 - 1886 .
- **Kammerer (Albert .) ;**
- La mer Rouge , 2 Tomes le caire , 1929 - 1935 .
- **King (D . A) ;**
- Astronomy in medieval Yemen (Yemen 3000 years) pp . 300 - 309 .
- **Lewcock , and G . Smith ;**
- Three medieval mosques in the Yemen , oriental art , vol . XX , No . 1 , spring 1974 .
- **Lewcock , (R .) ;**
- the medieval architecture of Yemen , (Yemen 3000 years) , pp . 204 - 211 .
- **Lewis , (B .) ;**
- Egypt and Syria ,(the Cambridge history of Islam),2 vols ., Cambridge , 1970 .
- **Miles , (G . C .) ;**
- The Ayyubids dynasty of the Yemen and their Coinage . Numismatic chronicle , 5 er , 19 , (1939) .
- **Muhammad' Abduh Ghanim ;**
- Yemeni poetry from the pre - Islamic age to the Beginning of the modern era (Yemen 3000 years) pp . 158 - 162 .
- **Piloti , (E .) ;**
- L ' Egypte au Commencement du Quinzieme sie'cle , le caire , 1950 .
- **Porter (vi) ;**
- The art of the Rasulids(Yemen 3000 years)pp . 232 - 253 .
- **Scott , (Hugh) ;**
- In the high Yemen , London , 1947 .
- **Smith , (G . R) ;**
- the Yemenite settlement of thabat historical numismatic and Epigraphic , notes Arabian studies , no . 1 , 1974 .
- **Serjeant , (R . B) ;**
- Societe et Gouvernement en Arabie du sud (Arabica Revue d' Etudes Arabes , Tome XIV , October , Leiden , 1967 .

- **Serjeant & Cahen (Cl .) ;**
- A fiscal survy of the medieval Yemen , Arabic , IV , 1957 .
- **.........................**
- Islamic textiles , material for a history up to the Mongol conquest Libaraire du Liban , (ch XV , textiles in the Yemen) Beirut , Labanon , 1972 .
- **Serjeant & Lewcock (ed) ;**
- San 'a an Arabian Islamic city , England , 1983 .
- **Varisco , (D . M .) ;**
- Rasulid agriculture and the almanac tradition , (Yemen 3000 years) pp . 309 - 312 .
- **.........................**
- Medicine and the herbal in medieval Yemen (Yemen 3000 years) pp . 312 - 321 .
- **Van Berchem (M .) ;**
- Notes d' archeologie Arabe , Journal Asiatique , dixieme serie , Tome III , Janvier - Fevrier , Paris , 1904 .
- **Wilson , (R . T . O .) ;**
- Gazetteer of historical north - west Yemen in the Islamic period to 1650 . New York , 1989 .



